الموسوعة الفلسفية

تأليف

دكتور عبد المنعم الحفني

دار ابن زيدون

مكتبة مدبولي

الموسوعة الفلسفية

تأليف

دكتور عبد المنعم الحفني

A Philosophical Encyclopedia

by

Dr. Abdelmonem Alhofni

مكتبة مدبولي
القاهرة

دار ابن زيدون
بيروت

لقــد طفتُ في تـلك المـعــاهــد كلهــا   وسيّــرت طــرفي بـين تـلك الـمـعــالـم
فــلـم أر إلاَّ واضــعــاً كــف حــائــر   عــلى ذقــن ، أو قــارعــاً ســن نــادم

(ابن سينا)

مقـــدمـــة

بتوفيق من الله كانت هذه الموسوعة التي أرجو أن تكون شاملة قدر الاستطاعة ، فقد يلتمس القارىء بها المادية أو المثالية مثلاً فيفتقدهما ، والسبب أن الحديث في أي منهما ، أو فيما هو من جنسهما ، حديث طويل هو تاريخ الفلسفة نفسه أو تاريخ الفلسفات كلها ، في كل زمان ومكان ، وهو جهد يتجاوز حدود طموحات هذه الموسوعة . وقد يلتمس القارىء أياً من المادية أو المثالية مثلاً في دوائر المعارف المماثلة ، وسيجد أن الحديث فيهما يقتصر على بلد من البلاد ، أو على مجموعة من البلدان المتشابهة الثقافة ، كبلاد أوروبا ، وهو ما حاولت أن أتجنّبه ، لأكون موضوعياً وعالمياً بقدر المستطاع ، ومن ثمَّ فقد وجدت من المناسب أن يتوجه بحثي إلى الشخصيات ، ومن خلالها يمكن للقارىء أن يستجمع شتات سمات الفلسفات الكلية ، وقدمت من ناحية أخرى مجملاً لتطور الفكر الفلسفي في البلدان الكبرى ، التي كانت لها إسهامات ملحوظة في صرح الفكر العالمي . ولقد وجدت أنه لتكمل الفائدة ، فإنه من المناسب أن يتبع هذه الموسوعة معجم لمصطلحات الفلسفة في لغاتها الأصلية اللاتينية والألمانية والإنجليزية والفرنسية ، وأن يتضمن الحديث في الفلسفات الكلية ، والنظريات والمذاهب ، ومختلف المصطلحات ، من حيث مضمونها وأبعادها وأهدافها وتطورها ، وأن يكون هذا المعجم بمثابة المجلد الثاني لهذه الموسوعة .

ولقد كنت دائماً أدوّن الملخصات لما أقرأ ، وهداني الله أن أصلها ببعضها ، وأجمعها في كتاب وافٍ لكل الشخصيات ، كافٍ للمتعلم من الرجوع إلى أساتذة الفلسفة العالمين بها ، كي لا يبقى حينئذٍ للمتعلم بعد تحصيل مفادها حاجة إليهم إلاّ من حيث السند عنهم .

وسيلحظ القارىء أن المكتبة العربية تخلو من موسوعات الفلسفة ، وليس ثمَّة إلاّ

كتابان مترجمان ، الأول « الموسوعة الفلسفية المختصرة » ترجمة للموسوعة الموجزة للفلسفة والفلاسفة الغربيين بإشراف إرمسون وترجمة الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين ، والثاني « الموسوعة الفلسفية » ترجمة لقاموس الفلسفة الصادر بموسكو سنة ١٩٦٧ ، توفر عليها الأستاذ سمير كرم . والكتاب الأول غير شامل ، وتحفّظ المترجمون فقالوا إنه تاريخ للفلسفة الغربية دون سائر الفلسفات ، واختلف فيه المترجمون حول ترجمة المصطلح الواحد ، فظهر بأكثر من معنى عند كل مترجم ، في القسم الذي اضطلع بترجمته . والكتاب الثاني ، رغم مراجعة الدكتور العظم ، إلا أن التوفيق قد خانه في كثير من الأحيان ، فمثلاً ترجم Eclectism بأنها النزعة التلفيقية ، والواقع أن التلفيقية هي Syncretism (ص ٤٧٨) ، بالإضافة إلى أخطاء في النطق ، مثل باركلي التي يكتبها بيركلي ، علاوة على أن الموسوعة مكتوبة بوجهة نظر ماركسية خالصة .

وإني لأرجو أن أكون قد وفّقت ، وآمل أن أصلح ما يكون قد وقعت فيه من أخطاء ، دون قصد ، في طبعات قادمة .

ولله الحمد أولاً وأخيراً

عبد المنعم الحفني

حـرف الألف

آمدي ... **Aamidi**

علي بن أبي علي بن محمد التغلبي (٥٥١ - ٦٣١ هـ) ولد في آمد بالعراق ، وتعلَّم الفلسفة بدمشق ، واشتغل بتدريسها بجامع الظاهر بالقاهرة ، فاتُّهم بالزندقة وفرَّ إلى الشام ، وعيّنه الملك المنصور بالمدرسة العزيزية (٦١٧ هـ) إلاَّ أن الملك الأشرف فصله لمعاودته تدريس الفلسفة . ومن كتبه « **أبكار الأفكار** » في الرد على الفلاسفة والمعتزلة والصابئة والمانوية ، و « **منتهى السؤل** » وهو ملحص للكتاب السابق ، و « **الجدل** » ، و « **في الفلسفة** » ، و « **دقائق الحقائق في المنطق** » ، و « **كشف التمويهات** » في الرد على ابن سينا .

إباضية ... **Ebadiya**

فرقة من الخوارج ، أصحاب عبد الله بن إباض ، قالوا إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار ولكنهم ليسوا مشركين ، وغنيمة أموالهم حلال عند الحرب دون غيره ، ودارهم دار توحيد إلاَّ معسكر سلطانهم فإنه دار بغي . وقالوا تقبل شهادة مخالفيهم عليهم ، ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن ، لأن الأعمال داخلة في الإيمان ، والاستطاعة قبل الفعل ، وفعل العبد مخلوق الله تعالى ، ويفنى العالم كله بفناء أهل التكليف ، ومرتكب الكبيرة كافر نعمة لا كافر ملّة ، وافترقوا فرقاً أربعة : الحفصية واليزيدية والحادثية والعبادية .

أبت ... **Abbt**

توماس أبت (١٧٣٨ - ١٧٦٦) ألماني ، أخلاقي ، أبوه صانع شعر مستعار ، درس اللاهوت واشتغل بتدريس الفلسفة بجامعة فرانكفورت . أول كتبه « **الموت من أجل أرض الوطن Vom Tode fuss Vaterland** » دعوة في الوطنية . ومن رأيه أن العبقرية الفكرية أسمى من العبقرية العاطفية أو عبقرية رجل الأفعال ، وأن الرجل ميدانه الأفعال والفكر ، وطبيعته آمرة مسيطرة ، بينما المرأة سلبية مطيعة ، وأن التعليم ينبغي أن يوجه هذه الوجهة ، وأن الناس ينقسمون إلى فئات ، أعلاهم المحاربون ثم الأنبياء ثم الفنانون والكُتّاب والوعّاظ والموظفون . وكان أبت فيلسوفاً شعبياً مثل مندلسون وليسنج .

أبدال ... **Abdàl**

طبقة من الصوفية ، في الغالب هي الطبقة الرابعة ، ويتلوها نزلاً طبقة الأبرار السبعة ، وصعداً طبقة الأوتاد الأربعة فالنقباء الثلاثة . وقد يُقال الرقباء بدلاً من الأبدال كما في سوريا ، وكان الدراويش الأتراك يسمون بالأبدال . والأبدال في الغالب أربعون رجلاً لكل منهم درجة ، وإن كان المكّي يجعلهم ثلاثمئة ، وابن عربي

سبعة ، وكلّما مات منهم واحد بدل الله مكانه واحداً ممن تحته . ويروى عن النبيّ ﷺ حكاية عن الله تعالى قال : إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همّه ولذّته في ذكري ، فإذا جعلت همّه ولذّته في ذكري عشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه ، لا يسهو إذا سها الناس ، أولئك كلامهم كلام الأنبياء ، أولئك الأبدال ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً صرفته بهم عنهم .

أبروقلوس .... **Proclus**

(نحو ٤١٠ ـ ٤٨٥ م) عرفه الإسلاميون باسم برقلس أو بركليس ، وذكروا أنه القائل بالدهر ، ونقلوا الكثير من كتبه ، وكان له تأثيره الذي يضارع تأثير أرسطو ، وكانت أهم كتبه لديهم كتابه المعروف باسم « **العلل** » والذي ذكره ابن النديم باسم « **الخير الأول** » .

وأبرقلس يُعتبر آخر من يعتدّ بهم من فلاسفة الإغريق ، لأنه بعد وفاته بأقل من نصف قرن حظر الامبراطور جستنيان تدريس الفلسفة (٥٢٩ م) ، وخلت أثينا والإسكندرية من مدارسها .

وأبرقلس ولد بالقسطنطينية من أسرة غنية ، وكان ينوي دراسة القانون ليصبح محامياً ولكنه تحوّل إلى الفلسفة وتعلّمها بالإسكندرية وأثينا ، واعتنق الأفلاطونية المحدّثة ، وتلقّاها عن بلوتارخ الأثيني وتلميذه سيريانوس ، وترأّس مدرستها بعد وفاة سيريانوس ، ووهب لها نفسه فلم يتزوج وصار نباتياً متنسّكاً ، شغل بالتأمّل والتدريس والكتابة ، ودون شروحاً على أفلاطون وإقليدس وبطليموس ، غير أن أهم مؤلّفاته « **الإلٓهيات الأفلاطونية** » ، و « **مبادىء الإلٓهيات** » ، وأهم إضافاته قوله بصدور الكائنات عن الواحد بحيث يكون كل شيء في كل شيء ، فمثلاً يعرف العقل الإنساني الواحد لكنه يعرّفه في صورة بشرية ، وفي الوقت نفسه فإن الوجود البشري يظهر داخل الحقيقة الواحدة في طبيعته الحقيقية . وهو يقول : إن الواحد يحتوي على العالم كله متّحد فيه تماماً ، ومع ذلك فواحدية الواحد لا تتأثر بالكثرة ، ويقول إن الحقيقة ليست مادية لكنها عقلية بمعنى شعورية ، فكل شيء فكرة ، وكل فكرة حقيقة ، ويختلف الشعور الكلي عن الشعور البشري ، ويعمل الشعور البشري من داخل الشعور الكلي . ويهتم أبروقلوس بالمبدأ الثلاثي ، وهو مبدأ يقول : إن كل ما يفيض عن الواحد يحتفظ من ناحية بالصورة التي صدر عنها ، ومن ناحية أخرى يبتعد عن المصدر ، ومن ناحية ثالثة يعود إلى المصدر .

إبستمولوجيا .... **Epistemology**

من الكلمتين الإغريقيتين Episteme معرفة + Logos علم ، بمعنى **نظرية المعرفة Theory of Knowledge** أو **Théorie de la Connaissance** وهي هذا الفرع الأساسي من الفلسفة الذي يبحث في المعرفة بأنواعها ، وفي طبيعتها ، وكان أساس بحث الفلاسفة هو عدم ثقتهم في المعرفة الحسّية وما تبدو عليه الأشياء ، وهو بحث بدأ في نحو القرن الخامس قبل الميلادي ، وكان أفلاطون هو المؤسس الحقيقي للابستمولوجيا بما طرح من أسئلة : هل المعرفة ممكنة ، وما مداها ، وهل في مقدور الإنسان أن يركن إلى صدق إدراكه وصحة معلوماته ، وما هي وسائله لتحصيلها ، وما طبيعة هذه المعرفة ؟

واختلفت مذاهب الفلاسفة حيال هذه الأسئلة ، وتنوّعت مواقفهم . ويسود الاعتقاد أن المعرفة العلمية هي أعلى درجات المعرفة ، ويردّ من يذهب إلى هذا الرأي السبب إلى المطابقة بين المعرفة والواقع ، لكن بعض الفلاسفة ينكرون أن تكون المعرفة العلمية صورة للواقع ، ويبرزون الدور الكبير الذي يلعبه العقل في تكوين هذه المعرفة ، ويقولون باستحالة بلوغ الحقيقة بمقتضى الوقائع المجرّدة ، ومع أنهم لا ينكرون أن التجربة هي مصدر المعرفة الوحيد ، إلّا أنهم يشيرون إلى الفروض والقوانين التي يقوم عليها العلم ،

ويصفونها بأنها صياغات رمزية ينتقل بها العلم من الإدراك المشوش إلى العقل الصريح بواسطة العيان ، ويهاجم هؤلاء الفلاسفة النزعة المغالية في تأكيد العلم Scientism بدعوى أن العلم لا يمكن أن يمثل الطبيعة إلاَّ بشروط العقل ، ومع أنهم يسلمون بأن الحقيقة هي مطابقة الفكر للواقع ، إلاَّ أنهم يختلفون في تعريف هذه الحقيقة ، فمنهم من يعتقد أن الحقيقة واحدة وكلية ، وهؤلاء هم أصحاب المذهب العقلي الذي يمثله أرسطو ، ومنهم من يعتقد أن الحقيقة في صيرورة وتغير ، وأنه لا وجود للحقيقة المطلقة ، وهؤلاء هم أصحاب المذهب الجدلي الذي يمثله هيجل ، ومنهم من يعرف الحقيقة بأنها المفيد النافع الذي يحقق أكبر قدر من الخير ، وأنها لذلك لا توجد واحدة بل توجد كحقائق ، وهؤلاء هم البراجماتيون الذين يمثلهم وليم جيمس وديوي ، ومنهم من يعتقد أن الحقيقة ذاتية شخصية تعاش مباشرة في تجربة حيّة ، وهؤلاء هم الوجوديون الذين يمثلهم كيركجورد .

وقد يقصر البعض المعرفة على العقل بوصفه أداتها ، أو على الحس ، أو على العقل والحس معاً ، أو على العيان أو الوجدان . ويصف العقليون العقل بأنه قوانين الفكر ، غير أن بعضهم يقول بأن العقل يستمد قوانينه من التجربة ، ومنهم من يقول بأنها مبادىء قد فطر العقل عليها وأنها سابقة على التجربة ، ويميّز البعض بين **العقل المتكوّن Constituted reason والعقل المكوّن Constituant reason** ، ويصفون الأول بأنه مكتسب ولذلك فهو متغير ويشبّهونه بالعادة ، بينما يصفون الثاني بأنه فطري ، ومن ثمَّ فهو فعّال ويشبّهونه بالغريزة . ومن الفلاسفة من يقول بأن العقل كلي واحد ، ومنهم من يقول بأن لكل أفراد الجنس البشري عقولاً فردية . ويجمع العقليون على أن قوانين العقل أربعة ، هي الهوية بمعنى أن الشيء هو نفسه ، وعدم التناقض بمعنى أن الشيء لا يمكن أن يكون نفسه ونقيضه في نفس الوقت ، والوسط المستبعد بمعنى أن الشيء إمَّا أن يكون هذا أو ذاك ولا وسط بينهما ، والعلّة الكافية بمعنى أنه لا وجود لشيء إلاَّ بعلّة لوجوده أو لحدوثه . ويصف البعض مبادىء العقل بأنها فطرية كلية ، ويصفها البعض بأنها فطرية ومكتسبة ، ويردّها التجريبيون والحسّيون إلى الحواس أو التأمّل الذي يستند إلى الحواس ، ويقول بعضهم إن المعرفة لا تكون إلاَّ بظواهر الأشياء ، وأنها نسبية ، ويردّها التجريبيون النقديون إلى الانطباعات ، وينكر الوصفيون المناطقة أن تكون المعرفة قبلية .

أما الفلاسفة الذين يردّون المعرفة إلى العيان أو الوجدان ، فبعضهم يصف هذا العيان بأنه حسّي Sensible intuition يقوم على الإدراك المباشر للمحسوسات ، ويصفه البعض بأنه تجريبي Intuition emperic يقوم على الإدراك المباشر الذي يعتمد على الممارسة المستمرة ، ويصفه البعض بأنه عيان عقلي Intellectual intuition بمعنى أنه إدراك مباشر دون براهين للمعاني العقلية المجرّدة ، ويصفه البعض بأنه عيان تنبّؤي Divining intuition نتيجة خاطرة ذهنية . وهناك الوجدان أو العيان الصوفي الذي يكون إدراك الأشياء به مباشرة من خلال المشاركة الوجدانية التي تنفذ إلى قلب الأشياء وتكشف عن حقيقتها بالكشف أو التذوّق أو الفيض أو الإشراق أو الوحي .

إبن أدهم — Ibn - Adham

ابراهيم بن أدهم (توفي نحو سنة ١٦١ هـ) وكنيته أبو إسحٰق ، عربي ، تشبه حياته حياة جوتاما بوذا ، وتنسب له الأسطورة أنه أمير من بلخ ، وأنه سمع هاتفاً يناديه يا إبراهيم ما لهذا خلقت ، فتحول إلى التنسّك . ولعلَّ أسطورة الأمير البلخي الشحاذ هي التي جعلت المستشرق جولدتسيهر يكتب عن تأثير البوذية في الإسلام .

وحياة إبن أدهم المتصوّفة أغنى من آرائه . وكتبت الأشعار والمسرحيات فيه ، وهو القائل « **ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك . ذم مولانا الدنيا فمدحناها ، وأبغضها فأحببناها ، وزهدنا فيها**

فآثرناها ورغبنا في طلبها » ، و « إيّاكم والكِبَر ! إيّاكم والإعجاب بالأعمال ! انظروا إلى من دونكم ، ولا تنظروا إلى من فوقكم ! » .

ابن إسحٰق .... Ibn - Ishak

أبو زيد حنين بن إسحٰق العبادي (٨١٠ ـ ٨٧٣ م) من نصارىٰ الحيرة بالعراق ، نسطوري النحلة ، سرياني اللغة ، اتقن اليونانية والفارسية والعربية ، واشتهر بنقله لكتب الطب والفلسفة ، وكانت له طريقته التي تميَّز بها عن بقية النقلة ، فكان يحصل معنى الجملة ثم يبسّطه في اللغة الأخرى بجملة قد تساوي الجملة الأصلية في عدد الكلمات أو تختلف عنها . وله في الفلسفة كتاب قاطيغورياس ، ونوادر الفلاسفة والحكماء ، وفيما يقرأ قبل كتب أفلاطون ، وشرح كتاب الفراسة لأرسطاطاليس ، والسماء والعالم ، وكتاب في المنطق ، وفي حقيقة الأديان ، وقيل إنه مات منتحراً بالسم حينما حرمه الجاثليق لأنه تفل على أيقونة المسيح وأمه ، ولم يكن يؤمن بالتعبّد للصور والتماثيل ، وانضمَّ إلى الرافضين لها في النزاع الديني الذي قام على تكريمها أو إلغائها .

ابن الراوندي .... Ibn - al-Rawindi

أبو الحسين أحمد بن يحيىٰ بن إسحٰق ، نسبته إلى راوند إحدىٰ قرى قاسان بنواحي أصبهان ، وتوفي سنة ٢٤٥ هـ ، وقيل عن أربعين سنة ، وقيل كان له نحو من ١١٤ كتاباً لم يصلنا منها شيء ، منها كتاب « **فضيحة المعتزلة** » يرد به على كتاب الجاحظ « **فضيلة المعتزلة** » ، وكان في صدر شبابه معتزلياً ، وخرج عليهم موغر الصدر ، وانحاز إلى الشيعة ، ولكنه انقلب عليهم ثم أنكر الدين كلية ، ومعجزات النبوّة ، وأهمها جميعاً ، من وجهة نظر الإسلام ، إعجاز القرآن ، بحجة أن هذا الإعجاز لا يلزم غير الناطقين بالعربية . ويبدو أن سلوكه لطريق الشك الديني كان بدافع فلسفي أصيل ، فأنكر إمكان إثبات وجود الله بالعقل ، وقال إن العقل البشري قادر على التمييز بين الخير والشر ، ومن ثمَّ فلا لزوم للوحي ولا للنبوّة . وكان يحتال على نشر إلحاده بنسبة آرائه إلى البراهمة .

إبن السيد .... Ibn - al-Sied

أبو محمد عبد الله بن السيد البطليموسي (١٠٥٢ ـ ١١٣٨ م) نسبة إلى بطليموس بالأندلس حيث ولد ، وكان كاتباً لصاحبها حسام الدولة أبي مروان عبد الملك ابن هذيل ، ثم سكن بلنسية ، وجلس فيها للتدريس ، وأقام فترة في سرقسطة ، وكانت له مناقشات مع ابن باجة ، راجعها في كتاب « **المسائل** » . ومن أشهر مؤلّفاته كتاب « **الدوائر** » يعرض فيه حالة الفلسفة في أسبانيا الإسلامية ، وفي رأيه أنه ليس ثمَّة تعارض بين الدين والفلسفة ، وفلسفته فيضية ، وهو يجعل الأقانيم الأفلوطينية مبادىء أولى وينظمها في ترتيب وفقاً لبراهين رياضية يعطيها سمة فيثاغورية محدّثة ، حيث الأعداد رموز للكون ومفتاحها جميعاً العدد العشري ، فالواحد يدخل في تركيب كل الكائنات وهو جوهرها وغايتها ، وهو يرمز لحقب الفيض الثلاث بدوائر ثلاث ، الأولى دائرة العقول العشرة وهي الصور اللّامادية وعاشرها العقل الفعّال، والثانية دائرة الأنفس العشرة، تسعة منها للأفلاك السماوية والعاشرة للنفس الكلية، وهي فيض مباشر عن العقل الفعّال ، والثالثة دائرة الكائنات المادية العشرة وآخرها الإنسان ، وفي كل من هذه الدوائر الثلاث يحتل المركز العاشر على التوالي العقل الفعّال والنفس الكلية فالإنسان .

ابن الأشرس .... Ibn - al-Ashras

ثمامة بن الأشرس ، متكلّم ، قيل عنه إنه كان إمام المفكرين الأحرار في العصر العباسي الأول ، واشتهر بآرائه التي انفرد بها في المسائل الكبرى التي شغلت أهل زمانه ، فالمتولدات ، وهي أفعال الإنسان ، ليست من فعل الإنسان ، وإلاَّ كان قادراً على خلق الأفعال مثله مثل الله ، وكذلك لا يمكن إضافتها إلى الله وإلاَّ أُضيفت إليه الأفعال القبيحة ، ولكنها أفعال بلا فاعل ،

مطبوعة في الإنسان وتتولد بغير علّة ، فهي أحداث من غير محدث . وكذلك المعرفة ، فالنفس لا تولدها وإلاّ قامت بفعل من أفعال الله ، ولكنها ضرورية في الإنسان ، ومن لم يعرف الله بالضرورة فليس مأموراً بمعرفته ، وهو غير مسؤول يوم القيامة ، ولا تخلد روحه ، ومثله مثل الحيوان ، أي يصير تراباً ، وهكذا مصير اليهود والنصارىٰ والمجوس وغيرهم ، والأطفال حتى أطفال المؤمنين .

ابن الفارض ..... Ibn - al-Farid

(١١٨١ - ١٢٣٥ م) عمر بن الفارض ، الشاعر الصوفي ، والثاني بعد جلال الدين الرومي ، صاحب التائية الكبرى ، كان يعيش في غيبوبة صوفية بالأيام ، فإذا أفاق أملى الشعر ، وقدر على ثلاثين أو أربعين أو خمسين بيتاً في المرة الواحدة ، وتبلغ تائيته سبعمائة وستين بيتاً . ولد ابن الفارض وتوفي بالقاهرة ، وتدور أغراضه على الحب الإلّهي الذي يقوم على الاتحاد ، أي الاعتقاد أن كل ما في الوجود يتساوى في الشرف ، لأنه يمثل جوانب من الحقيقة الإلّهية ، فالمسجد والكنيس وبيت الأصنام والنار كلها جوانب لله ، وشارب الخمر والمتعبّد في بيت عبادته ، كلاهما يمثل حقيقة واحدة في مظهرين ، والله يتبدّى لكل محب في محبوبه .

ابن النفيس ... Ibn - al-Nafies

(١٢١٠ - ١٢٨٨ م) علاء الدين أبو الحسن علي ابن أبي الحزم القرشي ، المعروف بابن النفيس ، ولد بالقرب من دمشق ، واشتغل باللغة والفقه والفلسفة والكلام ، ولكن اهتمامه واشتهاره كانا في الطب حتى لقد بز ابن سينا في رأي ، وتوصّل إلى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى ، وله « **الورقات** » في المنطق .

ابن الهيثم ...... Ibn - al-Haythem

أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم ، ويشتهر في الكتب اللاتينية باسم **Alhazen** ، ولد في البصرة نحو ٩٦٥ م ، ومات بالقاهرة نحو ١٠٣٨ م ، وكان من أعظم الرياضيين والطبيعيين في العصور الوسطى ، وقد انتقل إلى مصر على اعتقاد منه بإمكان تنظيم فيضان النيل أيام الحاكم بأمر الله ولكنه فشل ، ولما أراد الخروج من مصر رفض الحاكم وولّاه بعض المناصب ، وقد اضطرَّ إلى إظهار الجنون حتى ينجو من طيش الحاكم ، ولم يعد إلى الاشتغال بالعلوم إلاّ بعد وفاة الحاكم ، وهو يعتقد أن الفلسفة أساس العلوم جميعها ، وأن مدخلها ومنتهاها أرسطو ، ولذلك فقد توفّر على شرح كتبه وإن لم يصلنا منها شيء .

ابن باجة ..... Ibn - Bajja

أبو بكر محمد بن يحيىٰ بن الصائغ ، وشهرته ابن باجة ، ويسميه لاتين العصور الوسطى أفمباس Avempace ، ولد في سرقسطة بأسبانيا الإسلامية ، ومات في فاس بالمغرب سنة ١١٣٨ م ، ويروى أنه مات مسموماً بفعل أطباء فاس الحاقدين عليه ، وكان وزيراً ورياضياً وفلكياً وطبيباً وموسيقياً ، واشتهر بشروحه على أرسطو وتأثيره على ابن رشد وألبير الكبير ، وأشهر مؤلّفاته « **رسالة الوداع** » التي خصَّ بها أحد تلاميذه ليلة إحدى أسفاره ، وكتابه الأكبر « **تدبير المتوحد** » وفيه فلسفته ، وكان يرى أن الغزالي قد خدع نفسه والناس حين قال : إن الإنسان يرى الأمور الإلّهية بالخلوة ، وهو يرى أن التصوّف يحجب الحقيقة ولا يكشفها ، وينزع منزع الفارابي في آرائه في الطبيعة وما بعدها ، ويقسم الموجودات إلى متحرك وغير متحرك ، والمتحرك أجسام متناهية وحركتها أزلية ، ومن ثمَّ يكون لها محرك أزلي لامتناه وهو العقل . وتتوسط النفس بين الجسم والعقل ، ولذلك يجمع إدراكها للجزئيات بين الإحساس والتعقّل . ويتدرج العقل في الكمال من الأدنى إلى الأعلى ، فيدرك أولاً الصور المعقولة للجسمانيات ، ثم التصورات النفسية التي تتوسط بين الحس والعقل ، ثم العقل الإنساني ذاته والعقل الفعال من فوقه ، ثم عقول الأفلاك المفارقة . ويتجاوز

الإنسان ، بترقّيه من الجزئي إلى الكلي ، صُور ما هو إنساني إلى ما هو إلّهي ، بإرشاد من الفلسفة ، ومن ثم لا يبلغ العقل الإنساني مبلغ الكمال بالأحلام الصوفية ولكن بالمعرفة العقلية . وليست السعادة الكبرى إلاَّ النظر العقلي ، ولا سبيل إليها إلاَّ باعتزال الناس أحياناً وتنمية العقل باستمرار بلا حد ولا قيد ، وهو ما يعنيه بعنوان الكتاب « **تدبير المتوحد** » فالمتوحد هو الفيلسوف الفاضل الذي يعيش في عزلة ، ولكنه قد يؤلّف مع غيره من المتوحدين مجتمعاً صغيراً يعيش على الفطرة ، قانونه الحب ، وغايته الاتحاد بالعقل الأعلى الذي تفيض منه المعرفة .

ابن باقودا .... **Ibn - Baquda**

باهيا بن يوسف بن باقودا ، يهودي أندلسي ، عاش في سراقوسه في القرن الحادي عشر ، وينتمي إلى دائرة الثقافة الإسلامية الأسبانية ، واشتغل بالقضاء وكتب بالعربية ، وتأثر بإخوان الصفا ومتصوفة المسلمين ، وكتاباه « **فرائض القلوب** » و« **معاني النفس** » كلاهما في التربية الخلقية ، وفي رأيه أن اليهودية تهتم بالفرائض الدنيوية دون فرائض الروح ، ويصف الأخيرة بأنها إسلام المؤمن أمره لله ، والثقة فيه ، وعبادته لوجهه الخالص ، دون خوف من عقاب ولا طمع في ثواب ، ودوام الاستغفار .

ابن تيمية .... **Ibn - Taymiya**

(١٢٦٢ ـ ١٣٢٧ م) تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية ، الحنبلي الحراني ، ولد بحران في سوريا ، وتوفي في دمشق ، وخلف أباه في تدريس المذهب الحنبلي ، وانتقل بين القاهرة ودمشق ، وقضى نحو ست سنوات ونصف متفرقة في سجونهما بسبب عنفه في النقد ومحاربته للبدع ، وكان من أشد مفكري الإسلام تهجماً على الفلسفة والكلام ، ودعا إلى نبذ النزعة العقلية ، والعودة إلى منهج السلف الصالح ، وقال في ذلك : **لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن** . وفي كتابه « **الرد على المنطقيين** » ورسالته « **موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول** » حمل بعنف على دعوى أتباع أرسطو من المنطقيين أن المفاهيم التي ليست بديهية لا تُدرك إلاَّ بالحد ، على أساس أنها لما كانت غير بديهية كان لا بد لها من دليل وإلاَّ كانت دعوتهم باطلة ، وقال : إن تحديد المفاهيم تكتنفه الصعاب ، وحتى من دافع من المفكرين عن المنطق اضطر إلى التسليم بصعوبة تحديد الجنس الأقرب والفصل الخاص الذي يقوم عليه التعريف .

ونبّه ابن تيمية إلى اختلاف الناس في سرعة إدراك الحد الأوسط في القياس ، وهاجم نظرية البرهان عند أرسطو باعتبار أن البرهان يتناول الكليات الذهنية في حين أن الكائنات موجودات جزئية ، ومن ثمَّ يمتنع البرهان أن يؤدّي إلى معرفة إيجابية بالكائنات بشكل عام ، وبالله بشكل خاص ، وانتقد جدول الجواهر الخمسة . الصورة والهيولى والجسم والنفس والعقل ، وجدول المقولات العشر ، بدعوى أنهما لا ينطبقان على الموجودات العليا ، وقال إن المنطق منهج إنساني معرّض للخطأ ، وهو دون مرتبة المنهج الإسلامي الثابت في القرآن والحديث .

ابن ثابت .... **Ibn - Thabit**

(توفي ٩٣٤ م) أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة ، اشتهر كأبيه بنقله لكتب الطب والحكمة ، وله منها « **نواميس هرمس** » و« **شرح مذهب الصابئين** » ومات في بغداد على الإسلام .

ابن جرشون .... **Ben - Gershon**

(١٢٢٨ ـ ١٣٤٤ م) ليفي بن جرشون ، ويعرفه اللاتين باسم Gersonides ، يهودي فرنسي ، اشتهر بتعليقاته على مؤلفات ابن رشد وبكتابه الرئيسي « **ملاحم الرب** » ، وفلسفته خليط من تعاليم المشائيين وشرّاح أرسطو : ثيمستيوس والكسندر الأفروديسي ، والفارابي وابن سينا ، وعلى الخصوص ابن رشد .

والواقع أن ابن رشد موجود في كل صفحة من كتاب ابن جرشون ، وفي حديثه عن الله بوصفه الفكر الأسمى يعود ابن جرشون إلى مذهب أرسطو عن طريق ابن سينا وابن رشد ، ويرفض اللاهوتية عن نظرية الصفات السالبة ، فليس من الدقّة أن نقول إن الصفات الموجبة تضر بوحدة الله ، وإذا ما رجعنا إلى مذهب أرسطو كما يطرحه ابن رشد فإن الوحدة والوجود ليسا تعينين يفيدان الكثرة في الذات ، ولكنهما يتحدان بكل الأشياء مع الجوهر ، وبذلك فإن نسبتهما الإيجابية لله مشروعة تماماً ويؤكد ابن جرشون أن العالم مخلوق بحجة نظامه الغائي ، وبحجة استحالة تصور عالم قديم موغل في قدم لا نهاية له ، ولكنه قال : إن المادة قديمة ، وأن الله بوصفه المبدأ الأعلى للصور ، فإن الصور وحدها يمكن أن تصدر عنه بالفيض ، بينما المادة تختلف ماهيّة عن الصور ، ووجودها كان كجسم هندسي محض أعطي له الاستعداد لتلقّي الصور فيما بعد ، ومن هذه المادة القديمة أخرج الله العالم وليس من العدم . وإلّه ابن جرشون لا يعرف إلّا العام ، ولا يحيط علماً بالجزئي ، وتحديد علم الله يشكل عنده حجة لصالح حرية الإنسان ، طالما أن إرادة الإنسان تختصّ بالجزئي .

إبن جبرول Ibn - Gabirol

(نحو ١٠٢١ ـ ١٠٥٨ م) سليمان بن جودة بن جيرول ، المشهور عند النصارى بأفيرول Avicebrol ، شاعر وفيلسوف يهودي أندلسي ، ينتمي إلى دائرة الثقافة الإسلامية الأندلسية ، ولد في ملقه وتربّى في سراقوسه ، وتنزع فلسفته إلى الأفلاطونية المحدّثة ، وأشهر كتبه « **ينبوع الحياة** » بالعربية .

ابن حزم .... Ibn - Hazm

(٩٩٤ ـ ١٠٦٣ م) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، ولد ومات بقرطبة الأندلس ، وكان والده وزيراً لأميرها وصار هو نفسه وزيراً ، ويروى أن جده الأعلى كان نصرانياً اعتنق الإسلام ، واشتهر ابن حزم بنظريته في الحب التي ربما تأثّر فيها بنظرية أفلاطون ، والتي طرحها في كتابه « طوق الحمامة من الألفة والألاف » ، تناول فيه العشق وألوانه . وكان ابن حزم ظاهرياً ، وفي رسالته المسماة « إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل » ذهب إلى إبطال القياس الفقهي الذي لا يستند إلى القرآن والحديث ، ووجه الأصالة في ابن حزم تطبيقه لأصول الظاهرية على العقائد ، ونقده الشديد للفرق الإسلامية واليهودية والنصرانية ، ويعد كتابه « **الفصل في الملل والأهواء والنحل** » أول مؤلَّف في الديانات المقارنة سواء بالعربية أو بغيرها ، وهاجم فيه الأشاعرة ، وخاصة رأيهم في صفات الله . وكان كتابه « **كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس** » خلاصة تجاربه وقراءاته ، وجعل فيه النبيّ المثل الكامل للإنسان ، ويُقال إن مؤلّفاته بلغت الأربعمائة ، وكانت غزارة علمه سبباً في إقصائه وسجنه ، وأحرقت كتبه في إشبيلية ، وهوجمت فلسفته وخاصة بعد وفاته .

ابن حنبل .... Ibn - Hanbal

(١٦٤ ـ ٢٤١ هـ .) أحمد بن محمد بن حنبل ، إمام بغداد ، ومؤسّس المذهب الحنبلي أحد المذاهب السنّية الأربعة الكبرى ، والجد الأكبر للمذهب الوهابي عن طريق تلميذه تقي الدين بن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ .) .رغم أن بعض أصحاب الفرق ينكر أن يكون لابن حنبل مذهب كلامي ، ولم يعتبره الطبري مثلاً حجة في مسائل الفقه ، والسبب أن ابن حنبل كان من أهل الحديث ، ولم يأخذ بالرأي إلّا عند الضرورة ، واستند في تكوين أحكامه في بعض الأحيان على أحاديث ضعيفة ، ولكن المذهب الحنبلي اشتهر بمحاربته للبدع ، كما اشتهر ابن حنبل بموقفه الثابت فيما يسمّى محنة خلق القرآن ، وقد ضرب ضرباً مبرحاً وسجن لمدة سنتين فلم يحد عن موقفه ، ولم يستأنف التدريس إلّا بعد وفاة المأمون والمعتصم والواثق وعودة مذهب أهل السنّة إلى سابق مكانته في عهد المتوكل (٢٣٢ هـ .) .

واشتهرت من كتابات ابن حنبل رسالته التي كتبها في السجن وعنوانها « **الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت من متشابه القرآن** » ، ويشك الكثيرون في صحة نسبتها إليه ، وينكر فيها أحمد التأويل ، ويناقش المعتزلة في مشاكل كلام الله وخلق القرآن ، فقال إن الله لم يزل متكلماً « **ولا نقول إن كان ولا يتكلم حتى خلق كلاماً** » ، وفسر ﴿ **إنا جعلناه قرآناً عربياً** ﴾ بأن الجعل ليس هو الخلق ، بل هو على معنى « **فِعل** » ، فالقرآن فعل من أفعال الله ، ولم يسو القرآن بين القول والخلق فقال ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ فوضع تحت الخلق كل شيء مخلوق ، وقال ﴿ **لله الأمر من قبل ومن بعد** ﴾ ، فالله يخلق ويأمر ، وقوله غير خلقه ، والله يسمي القرآن وحياً وليس خلقاً ، ﴿ **فأوحىٰ إلى عبده ما أوحىٰ** ﴾ . ويرد على دعوى الجهم بأن القرآن شيء ، بأن الله يقول ﴿**إنّما قولنا لشيء**﴾ ، فالشيء ليس هو قول الله أو كلامه ، ويفنّد تأويل الجهم للآية ﴿ **ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث** ﴾ ، بأن الذكر المقصود ليس هو القرآن بل هو ذكر الرسول ، لأن النبيّ لم يكن يعلم فعلّمه الله ، فلما علّمه كان ذلك محدثاً ، وليس الأمر كما يدَّعي الجهمية بأن الذكر هو القرآن ، وأنه محدث وكل محدث مخلوق . ويناقش استنادهم إلى الآية ﴿**إنّما المسيح عيسىٰ بن مريم رسول الله وكلمته** ﴾ ، وعيسى مخلوق ومن ثمَّ فكلمته أو كلامه مخلوق ، بأن الكلمة التي ألقاها الله على مريم هي **كن** ، فكان عيسى بكن ليس هو كن ، ولكن بكن كان ، فالكن من الله قول وليس الكن مخلوقاً .

ابن حنين — Ibn - Honayn

(توفي نحو ٩١١ م) أبو يعقوب إسحٰق بن حنين بن إسحٰق ، كان مثل أبيه في النقل ، وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها ، إلَّا أن نقله للكتب الطبية قليل نادر بالنسبة إلى ما يوجد من كثرة نقله من كتب الفلسفة والرياضيات إلى لغة العرب ، وأهمها « أصول الهندسة » و «المعطيات » لإقليدس ، و « المجسطي » لبطليموس ، و « الكرة والأسطوانة » لأرشميدس ، و « الأشكال الكرية » لمنالاوس ، و « سوفسطس » لأفلاطون ، و « المقولات » ، و « الجدل » ، و « العبادة » ، و « الخطابة » ، و « السماء والعالم » ، و « الكون والفساد » لأرسطو .

ابن خلدون — Ibn - Khaldun

ولي الدين عبد الرَّحمٰن بن محمد بن خلدون ، ولد بتونس وتوفي بالقاهرة ، وتقلب في مناصب عدة ، وارتحل كثيراً ، ودوَّن أفكاره في سبع مجلدات كتبها في نحو ثلاث سنوات عن تاريخ العرب والبربر بعنوان « **كتاب العبر** » ، اشتهر منها المجلد الأول المعروف باسم **المقدمة** أو **مقدمة ابن خلدون** ، والمجلدان الأخيران باعتبارهما أحسن مصادر تاريخ المغرب العربي وخاصة البربر . ويعتبر أرنولد توينبي المقدمة أعظم إبداع فكري على الإطلاق ، واعتبر آخرون ابن خلدون أسبق في تفكيره على مكيافيللي وفيكو ومنتسكيو وهيجل وداروِن وسبنسر وماركس وتوينبي . وينتسب ابن خلدون بأسلوبه وبمنهجه إلى العصر الحديث أكثر من انتسابه إلى العصور الوسطى ، وربما كان ذلك هو سبب تأثيره المحدود في العصور الوسطى وتزايد الاهتمام به حالياً حتى ترجمت المقدمة إلى اللغات اللاتينية والألمانية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية واليابانية . وكان المؤرِّخون المسلمون قبل ابن خلدون يتبعون منهجاً في إثبات الوقائع التاريخية يعتمد على سرد الوقائع عن رواتها وتفضيل رواية الثقات من الرواة على غيرها ، متجاهلين معنى الحدث ، وهو المعنى الذي يستحق التريّث عنده وتأمله في محاولة لاستكناه حقيقته وتفسير أسبابه ، لكن ابن خلدون اعتبر التاريخ علم كيفية وقوع الأحداث وأسبابها ، وربط بينه وبين الفلسفة ، بل جعله فرعاً من الفلسفة يعتمد على العقل وجعل منهجه يقوم على التعليل التاريخي ويربط الأسباب بمسبباتها ، ومن ثمَّ يمكن عن طريقه التنبّؤ بالأحداث المستقبلة والإحاطة بظروف الماضي

وتصديقها أو تكـذيبها ، وأطلق ابن خلدون على علم التاريخ بمفهومه ذاك **علم العمران أو علم الحضارة** ، وقال إنه واضع هذا العلم . والحضارة عنده هي بداية ونهاية التطور الاجتماعي والتنظيم السياسي ، والإنسان اجتماعي بطبعه ، وتنهض المجتمعات بتعاون الإنسان مع الآخرين بهدف إشباع حاجاته الطبيعية . والحضارات أطوار وأحوال ، أبسطها البداوة حيث يسعىٰ الناس وراء الطعام الضروري ، وأوسطها المدينة حيث ترتقي حاجاتهم اقتصادياً وفكرياً وروحياً ، وأرقاها الدولة التي تستهدف خير الجماعة كلها وأمنها . والدين أقوى عوامل التأليف بين الجماعة . وتقوم الزعامة والسلطة على العصبية . ويؤدّي التنظيم السياسي الجيد للدولة إلى قوتها ورخائها . ولا تزدهر العلوم والفنون إلاّ في الدولة ، لكن الترف والانغماس في الشهوات يضعفان قوة الأمم الحربية واستمساكها بدينها وبعصبيتها ، فتصاب الدولة بالانهيار والحضارة بالتحلل . وللمجتمعات كالأفراد دورة حياة ، فهي تولد وتستمر وتتحلل ، لكن الحضارات تعيش أطول من الدول لأن ما يحصله الأفراد والمجتمعات من ثقافة يعيش في ضمائرها وعقولها ويمكن الحضارات من الاستمرار بعد انهيار الدول . ويتحدث ابن خلدون في نظريته عن تأثير المناخ وأشكال المجتمعات والقوى الاقتصادية فيها ، والعلاقة بين العمل والقيمة ، والأسس السيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية للسلطة ، وأشكال الدولة ، والعلاقة بين الدولة والدين ، ودور التربية في المجتمع ، والاعتماد المتبادل للرخاء والثقافة .

ابن داود .... Ben - David

(المتوفي نحو ١١٨٠ م) إبراهيم بن داود ، يهودي أندلسي ، تأثر خُطى ابن سينا ، وكتب « **العقيدة الرفيعة** » ، وعرفه المسيحيون باسم داود المترجم ، وقتلوه في طليطلة .

ابن دينار Ibn - Dinar

(توفي نحو ١٣١ هـ .) مالك بن دينار ، وكنيته أبو يحيىٰ ، وكان من الزاهدين قريباً من التصوف ، يعد حلقة تتوسط زهد الحسن البصري وتصوّف رابعة العدوية ومعروف الكرخي ، وكان كثير النقل من التوراة والإنجيل ، مفرطاً في الزهد حتى اعترف له الحسن البصري بعجزه عن مجاراته ، وكان يقول : «**إن البدن إذا أسقم لم ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة ، وكذلك القلب ، إذا علق حب الدنيا لم تنجع فيه موعظة** » .

ابن رشد Ibn - Rushd

(نحو ١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد، أشهر فلاسفة الإسلام وأبعدهم أثراً في الفكر الأوروبي والمسيحي ، ولد في قرطبة ومات بمراكش واشتغل بالقضاء والطب والتدريس ، من أسرة احترفت القضاء ، وعرف في أوروبا باسم **Averroes** وأطلقوا عليه اسم الشارح **Commentator** لشروحه على كتب أرسطو ، وكانت عادة تشتمل على ثلاثة شروح ، هي المختصر والمتوسط والمطول ، لتناسب فيما يبدو أعمار الدارسين وتدرّجهم في فهم أرسطو . وتمتاز بتعليقاته عليها وإيراده لشروح من سبقوه ، واشتهر فهمه لأرسطو باسم **الرشدية Averroism** ، فبعد وفاة ابن رشد ، وابتداءً من عام ١٢٠٠ ، بدأت ترجمته من العربية إلى العبرية واللاتينية ، ولكن فكره ، وفكر أرسطو عموماً ، اصطدم مع تعاليم الكنيسة ، فقد كان أرسطو يعتقد بقدم العالم وفناء النفس وإمكان تحقيق الكمال في الدنيا ، وشايعه ابن رشد ، وكانت تعليقات الأخير أوفى الشروح فعلاً لأرسطو ، وتتميز عن شروح الإسكندر الإفروديسي وسمبليقوس وغيرهما ممَّن تصدّوا لهذا العمل من القدامى ، وقيل عن مفهوم ابن رشد بأنه **المفهوم العربي** ثم اقتصروا على تسميته **بالمفهوم الرشدي أو الرشدية** ، وكان أول من سمَّى نفسه رشدياً أو اعترف بمشايعته لتفسير ابن رشد لأرسطو يوحنا جاندون (المتوفي

١٣٢٨) وإيريان البولوني (المتوفي ١٣٣٤) وبولس الفينيسي (المتوفي ١٤٢٩) . وكانت الرشدية تهمة يطلقها خصومها على مدرسي أرسطو بطريقة ابن رشد في القرن الثالث عشر . وكان من المتّهمين بها من جامعة باريس سيجر البارابانتي وبويثيوس من داسيا ، وبير نيير من نيفيل ، وانتقل تأثيرها من جامعة باريس إلى جامعتيّ بولونيا وبادوا ابتداءً من القرن الرابع عشر حتى منتصف القرن السابع عشر . وانعقد الخلاف حول ابن رشد فيما أطلقوا عليه **بمشكلة الحقيقة المزدوجة The «double truth» problem** التي أدّت إليها محاولة توفيقه بين الدين والفلسفة ، ومضمونها أن الشريعة والفلسفة أختان شقيقتان ، لأن الحقيقة واحدة لا تتجزّأ ، وكل ما هنالك أننا نسعىٰ إليها من زوايا شتّى ونفسرها من جوانب مختلفة ، ومن ثمّ اعتقد الرشديون اللاتين أن من الممكن أن تكون إحدى القضايا صحيحة فلسفياً وتناقض في نفس الوقت قضية أخرى صحيحة شرعياً وبالعكس . والواقع أن ابن رشد قد أدلى بقوله ذاك في معرض الدفاع عن الفلسفة . وكان الغزالي بكتابه « تهافت الفلاسفة » قد عبأ الرأي العام ضد الفلاسفة واستعدى عليهم السلطة ، وأراد ابن رشد أن يبيّن أغاليط الغزالي فردَّ عليه بكتاب « **تهافت التهافت** » اتهمه فيه بعدم الإخلاص للحقيقة وتزويرها ، وبيّن أنه بكتابه « **مشكاة الأنوار** » كان فيلسوفاً زميلًا ، واعتذر عنه بأنه ربما كان مدفوعاً إلى أقواله تلك عن الفلاسفة مداهنة للسلطتين الدينية والزمنية ، وشايع ابن رشد أرسطو فيما أنكر الغزالي على الفلاسفة ، فقال بقدم العالم وأورد نصوصاً من القرآن تثبت ما يدّعيه ، وأخذ عليه استخدامه لحجج فلسفية في إثبات الشريعة ، وميَّز بين ما يمكن أن يلجأ إليه الفلاسفة من حجج برهانية وما يمكن أن يلجأ إليه المتكلمون من حجج جدلية ، ونبّه إلى أن علماء الكلام يتردّون في الخطأ عندما يلجأون إلى الحجج البرهانية لإثبات العقائد الدينية ، ثم قال قولته الشهيرة إن الشريعة أخت الفلسفة وإن اختلفتا في المنهج ، غير أن الشريعة لها باطن وظاهر ، وأن قصصها وأمثالها تصويرات حسّية ليفهمها العامة ، لكن تأويلها منوَّط بالخاصة ، وإذن فبينما تخاطب الشريعة عامة الناس وخاصتهم ، لا تخاطب الفلسفة إلّا الخاصة .

ابن زيد .... Ibn - Zaid

(توفي ١٧٧ هـ) عبد الواحد بن زيد ، من كبار الزهّاد في الإسلام ، اشتهر بالإفراط في البكاء والحثّ عليه ، وهو الداعي إلى فكرة المحبة : «**ما أحسب شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلّا الرضا ، ولا أعلم درجة أرفع ولا أشرف من الرضا وهو رأس المحبة** » ، وهو الراوي للحديث القدسي عن العشق الإلّهي « **إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت نعيمه ولذّته في ذكري ، فإذا جعلت نعيمه ولذّته في ذكري عشقني وعشقته ، فإذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه ، وصرت معالم بين عينيه ، ولا يسهو إذا سها الناس . أولئك الأبطال حقاً ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة وعذاباً ذكرتهم فصرفت ذلك عنهم** » .

ابن سبعين .... Ibn - Sab'in

(٦١٣ - ٦٦٩ هـ) أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم الإشبيلي ، صوفي ، ولد بمرسية بالأندلس ، وقضى شبابه بالمغرب ، وفيها ألّف رسائله المشهورة **برسائل ابن سبعين** ، و « **المسائل الصقلية** » يرد بهما على أسئلة فريدريك الثاني ملك صقلية التي وجهها إلى علماء سبتة عن النفس والمقولات والعلم الإلّهي والعالم هل هو قديم أو حديث . ومن المحتمل أنه ألّف كتابه « **بد العارف** » بالمغرب كذلك ولم يكن قد تجاوز الثلاثين ، واتهم بالكفر فرحل إلى مكة وظلّ بها حتى مات ، وقيل إنه انتحر بفصد يديه حتى تصفى دمه . ومذهبه وحدة الوجود كالحلاج ، ويقول باتحاد الضدين ، ويبشر بجدل لاهوتي هدفه التوحيد المطلق ، فليس ثم غير الأيس ، وهو الوجود ، وهو الله . وابن سبعين كثير النقد للصوفية والفلاسفة والفقهاء ، وينقد الفلاسفة

لاضطرارهم إلى القول بالفروق والوقوع في صفات السلوب عندما يصفون الله ، وينقد أرسطو ، وابن رشد لأنه تابعه ، وابن سينا لأنه مموّه مسفسط ، والفارابي لأنه كثير الاختلاف في الآراء باختلاف كتبه وإن كان أفهم فلاسفة الإسلام ، والغزالي لحيرته وضعفه في الفلسفة . وينقد الفقهاء لأنهم يقولون بالظاهر ويتعلّقون بأقوال النبيّ دون حياته ، ويتشبثون بالمدرسة أي بالآراء المجرّدة .

ابن سينا .... **Ibn - Sina**

(١٩٨٠ - ١٠٣٧ م) أبو علي الحسين بن عبد الله ابن علي بن سينا ، ولد بقرية بالقرب من بخارى عاصمة الدولة السامانية ، وكان أبوه فارسياً من الشيعة الإسماعيلية ، ونشأ ابنه عليها ، لكن ابن سينا اتّجه وجهة فلسفية وعلّم نفسه بنفسه ، وأجاد علوم الطب والطبيعة والمنطق والهندسة والفلك ونجح في علاج الملك نوح بن منصور ولم يبلغ الثامنة عشرة . وقرأ في الفلسفة لأفلاطون وأرسطو والفارابي ، واشتغل بالسياسة ، وكان محباً للدنيا والخمر والنساء والترف ، وتولّى الوزارة ولم يبلغ الخامسة والثلاثين ، وأصيب بالقولنج (قرحة المعدة) في الخمسين ، فتاب عن الشهوات وأعتق إماءه وتصدّق بماله وانصرف إلى التأمل الفلسفي ومات في السابعة والخمسين .

وتزيد مؤلّفات ابن سينا عن المائة ، وتتراوح بين الكتب الموسوعية والرسائل القصيرة ، بعضها بالفارسية ولكن أغلبها بالعربية ، وأشهرها أربعة هي « **الشفاء** » ، و « **النجاة** » ، و « **الإشارات والتنبيهات** » في الفلسفة ، و « **القانون** » في الطب ، ورغم أنها محاولات للتوفيق بين الفلسفة والدين من ناحية ، وبين أفلاطون وأرسطو على طريقة الفارابي من ناحية أخرى ، فإنها تتميز بالأصالة وكان لها تأثيرها القوي ، وخاصة كتابه « الشفاء » على الفكر الديني الإسلامي واليهودي والمسيحي . وغاية الفلسفة عنده معرفة الله ، وهو يستعير من الفارابي برهان واجب الوجود لإثبات وجود الله ، ويفضله على برهان المحرك الأول لأرسطو ، ويرفض فكرة أرسطو أن الله لكماله لا يعلم إلاّ ذاته ، ويقول إن علم الله لذاته يستتبعه علمه بغيره طالما أنه علة كل شيء ، لكنه ينكر معه علم الله بالجزئيات لأن العلم بها يستتبعه تغير يوازيه في ذات العالم ، ويذهب إلى أن الله يعلم الكليات الثابتة الخالدة ، ويعلم الإنسان الجزئيات المتغيرة الحادثة . وعلم الله بالجزئيات كلي باعتبارها معلولات ونتائج لعلل ثابتة ، وعلمه سابق على الجزئيات لأنه علم قديم . ويقول ابن سينا بنظرية الفيض في نشأة العالم كالفارابي ، ولكنه يذهب إلى أن الله الواحد إذ يتعقل ذاته يصدر عنه العقل الأول ، ويرد الكثرة في العالم إلى هذا العقل ، وينسب إليه ثلاثة تعقلات ، أن يعقل الله فيصدر عنه العقل الثاني ، وأن يعقل ذاته باعتباره واجب الوجود بغيره فتصدر عنه النفس الكلية ، وأن يعقل ذاته باعتباره ممكن الوجود لذاته فيصدر عنه جسم الفلك الأول ، وهكذا بالتتابع بالنسبة لتسلسل العقول ، يصدر عن كل منها عقل ونفس وجسم حتى نصل إلى آخر الأجسام العلوية وهو جسم فلك القمر ، والعقل الأخير أو العقل الفعّال الذي يتوسط بين العالم العلوي والعالم السفلي ، ولكنه لم يقل كالفارابي إن عدد العقول السماوية عشرة بل ترك عددها لتقدم العلم والكشوف الفلكية ، وتقوم أصالته في هذا الباب على نظريته الثلاثية لتعقّلات العقل .

غير أن أهم إسهام لابن سينا هو نظريته في النفس ، وهو يقول إن المعرفة والنفس الإنسانيتين يصدران عن العقل الفعّال ، فالجسم يتلقّى منه النفس ، والنفس تتلقى منه المعرفة ، ويصف النفس بأنها عاقلة وفردية ، وبسيطة لا تتجزىء ، وجسم لطيف لم يوجد قبل وجود الجسم . وأنكر تناسخ الأرواح ، وقال إن النفس تخلق مع خلق الجسم ، وأنها صورة الجسم ، والجسم وسيلتها تستخدمه لبلوغ كمالها بتحصيل العلم النظري ، ويقتضي ذلك سيطرتها سيطرة كاملة على شهوات البدن وأهوائه ، وحتى النفوس التي تعجز بفطرتها عن التحكم في البدن تستطيع مع ذلك أن تعيش

طاهرة بأن تلتزم الشريعة . وتنفصل النفس عن الجسم بموته وتحلله لتعيش في الخلود ، إمَّا في النعيم لطهارتها ، وإمَّا في الجحيم لشرورها ، والجحيم هو سعيها للعثور على البدن الذي كان لها ، سعياً لا جدوى منه ، كي تحقق به كمالها الذي استحالَ عليها في الدنيا . وينفي ابن سينا أن تكون النفس أزلية قبل البدن كما قال أفلاطون ، وخالف أرسطو بأن جعل لها خلوداً بعد البدن . وهو ينكر أن الجسم يبعث ، لكنه يقول بخلود النفس لأنها غير مادية فلا تفسد ، ويصفها بأنها فردية ، ويسوق برهاناً اشتهر عنه يدلل به على فرديتها وخصوصيتها ، فعندما يتحدث المتكلم مشيراً إلى نفسه بقوله « أنا » لا يقصد بالأنا جسمه ، ولو فرضنا إنساناً خرج إلى الوجود في تمام نضجه وعقله ، معلقاً في الفضاء ، مغمض العينين ، متباعد الأطراف ، بحيث لا يرى ولا يلمس أعضاءه ، فإنه مع ذلك سيظل على يقين من شيء واحد ، أنه موجود كذات فردية . وقال عن الثواب والعقاب إنها مسائل معنوية وليست مادية ، وان صور العذاب في القرآن المقصود بها هداية العامة ، لأن البعث بالجسم لا يتفق مع الآخرة ، فلا عودة للدين بعد القيامة . وقال عن الفرائض والعبادات أنها لم تفرض لذاتها بل للتهذيب ، وطالما أن الفلاسفة والأولياء يحبون الخير لذاته فلا بأس أن يتخفَّفوا منها ، ولكن الشريعة كالفلسفة مضمونها الحقيقة ، وإنَّما الشريعة تستخدم اللغة الرمزية كي يفهمها العامة ، ويتلقّاها النبيّ مباشرة من العقل الفعّال ، أي الوحي ، بواسطة المخيلة . ويقول إن النبيّ يختلف عن الفيلسوف ، في طريقة تلقّيه للمعرفة وفي كميّتها ، وأنه يتلقى معرفته من العقل الفعال « مرة واحدة » ، ثم تتنزل على البشر بلغتهم ليفهموها ، وبدون الشريعة يعجز الإنسان كحيوان سياسي عن الاستمرار في الحياة ، وبدون النبيّ تعجز المجتمعات المتحضرة عن الاستمرار . والدولة الإسلامية التي تطبق الشريعة دولة مثلى كما كانت جمهورية أفلاطون دولة مثلى ، لكن الأولى أساسها الشريعة ومصدرها الله وواسطتها النبيّ ، والثانية أساسها القانون ومصدرها الله وواسطتها الفيلسوف ، ومن ثمَّ تفضل الدولة الإسلامية جمهورية أفلاطون ، كما يفضل النبيّ الفيلسوف ، والشريعة القانون .

إبن صديق ..... Ben - Sadik

(١٠٨٠ - ١١٤٩) يوسف بن يعقوب بن صديق ، يهودي أندلسي رباني ، من دائرة الثقافة العربية ، له كتاب « **الكون الصغير** » بالعربية ، ولكن الموجود منه حالياً الترجمة العبرية ، ينحو فيه منحىٰ الأشاعرة ، ويستعين بمذهبهم ليرد على يوسف البصير القرائي ، وكان الأخير تلميذاً للمعتزلة ، وكان الربانيون على خلاف مع القرائين ، وتبنى الربانيون الأشعرية ، بينما تبنى القراؤون الاعتزال .

إبن صفوان ..... Ibn - Safwan

أبو محرز جهم بن صفوان ، ولقبه الترمذي أو السمرقندي ، من أبرز القائلين بالجبر ، وتسمى طريقته بالجهمية . أخذ علم الكلام ومعظم آرائه عن الجعد بن درهم ، وأظهر مذهبه في ترمذ نحو سنة ١٠٠ هـ (٧١٩ م) ، وكان من الذين يدعون إلى الإصلاح بالقوة ، قال الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، والكفر هو الجهل بالله فقط ، ومن أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده ، لأن المعرفة لا تزول بالجحد ، فهو مؤمن . والإيمان لا يتبعض ، فلا ينقسم إلى عقد (اعتقاد بالقلب) وقول (إعلان باللسان) وعمل ، ولا يتفاضل أهله فيه ، فالأنبياء فيه كالعامة . وقال بالتنزيه المطلق وامتنع عن أن يصف الله بشيء ، وجعل الصفات على نوعين ، منها ما يتّصف العباد بمثلها ، ومنها ما يتّصف به الله وحده ، ونفى أن يتصف الله منذ الأزل بصفات يتصف بها عباده ، مثل عالم ومريد ، ولكن أفرد الله بصفات يتصف بها وحده مثل قادر ومحيي ومميت . ولما كان الله وحده هو القادر فإن المخلوقين لا يقدرون على شيء ، وأفعالهم التي تظهر منهم ليست من فعلهم ، بل من فعل الله . وقال إن الله لا يجوز أن يعرف الشيء قبل أن يخلقه ، إذ العلم بأي

شيء سيوجد غير العلم بأنه وجد ، وإذا كان علم الله بالشيء قبل أن يوجد خلاف علمه به بعد أن وجد ، فإن معنى ذلك أن علمه تغيّر ، وكل متغير مخلوق وحادث فليس بقديم ، فعلم الله بالأشياء الحادثة إذن حادث . وقياساً على ذلك يكون القرآن حادثاً ، لأنه كلام الله الذي تنزل على محمد (ﷺ) ، فلم يكن موجوداً قبله .

ابن طفيل .... Ibn - Tufayel

أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل ، يعرفه كُتّاب النصارى في العصور الوسطى باسم أبو بكر **Abu bacer** . ولد في قادس من أعمال غرناطة بأسبانيا الإسلامية ، وتوفي بالمغرب سنة ١١٨٥ م ، وكان موسوعياً وصديقاً لابن رشد ووزيراً ، وما كان من الممكن أن يعرفه الأوروبيون لولا ترجمة ابن رشد لكتاب النفس لأرسطو وذكره لابن طفيل في معرض النقد . واشتهرت روايته الفلسفية حي بن يقظان التي نسجها على مثال فلسفة ابن سينا وشخصيته الرمزية حي ابن يقظان . ويمثل حي عند ابن سينا العقل الفعّال أو ملاك الوحي جبريل ، إلاّ أن ابن طفيل جعله شخصية تعيش على الفطرة فوق جزيرة غير مأهولة ، ربما نشأ فيها بالتولد الطبيعي من العناصر ، وربما قذف به إليها طفلاً ، وأرضعته ظبية ، ونما عقله مع السنين فأدرك الطبيعة ثم تعرّف إلى الله وحده ، وعرف نفسه . وكانت تعيش في الجزيرة المقابلة لجزيرته أمة من الأمم تدين بديانة تحاكي الحقائق بضرب الأمثال ، ولكنها ضلّت طريقها ، ويظهر بها فتيان من أهل التقوى ، أحدهما سلامان ، ينزع نزعة دينية عملية ، ويتسلّط على العامة بمعتقداتها ، والآخر أبسال أو آسال ينزع نزعة صوفية فيرتحل عن الجزيرة طلباً للزهد والانقطاع إلى الدرس إلى جزيرة حي ، ويلتقي حي وأبسال وسرعان ما يتفاهمان وإن لم يكن حي يعرف لغة أبسال ، ولكنه يتعلمها ويتضح لهما أن فلسفة حي وشريعة أبسال صورتان لحقيقة واحدة . وعندما يعرف حي أن شعب الجزيرة الأخرى يتخبط في الظلام يقر قراره على السفر إليه ليصدقه النصيحة ، ولكنه يتبيّن هناك أن العامة أعجز من أن تدرك الحقائق المجرّدة ، وأن محمداً عليه السلام أصاب عندما كشف لهم عن الحقيقة بضرب الأمثال الحسّية . ويعود حي وأبسال إلى جزيرتهما ليعبدا الله عبادة تتجاوز الظواهر إلى الحقيقة العليا التي لا يقوى عليها إلاّ أقلية من أهل التصوف ، وليقنعا في حياتهما بما يقيم الأود ، لكنهما يتعهدان النبات والحيوان حتى لا يفني منها نوع بسبب شهواتهما ، ويعنيان بنظافة جسميهما ولباسهما ، ويسيران في حياتهما سيرة متناسقة تقلد حركة الأجرام ، وبذلك يسموان بنفسيهما عبر مدارج الكمال حتى يصبحا عقلاً محضاً ، وهو ما لا نستطيع نحن إدراكه وما تعجز عن وصفه اللغة .

ابن عباد السلمي .... Ibn - Abbad Al-Salami

معمر بن عباد السلمي ، من الطبقة السادسة من معتزلة البصرة ، ومن أكبر فلاسفتهم ، تتلمذ على عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء ، ورغم أنه لم تتوفر الأخبار عن حياته إلاّ أن الروايات تختلف حول وفاته ، ويذكر بعضها أنه مات مسموماً ، ويذكر البعض أنه عانىٰ من تتبّع المهدي والرشيد للمعتزلة ، وأن الرشيد سجنه ، ولعلّ أبرز أركان فلسفته قوله بالمعاني ، ويبدو أنه تأثّر فيها بأفلاطون ، حيث أنها ترجمة لمثله ، ويرد حركة الأجسام لحلول المعاني بها ، وأن معان أخرى هي علة المعاني الأولى ، وهكذا إلى ما لانهاية ، فليس للمعاني كل ولا جميع ، ومن ثم تنتهي إلى الله . والمعاني هي التي تسبب العرض ، وكل ما في العالم من أعراض يتسق مع شجرة المعاني ، وهي شجرة بسيطة ، والمعاني هي صفات الله . وغالى معمر في تنزيه الله أكثر مما فعل المعتزلة ، ونفى أن يكون الله قديماً ، لأن وصفه بالقدم يشعر بالتقادم الزمني ، ووجود الله ليس زمنياً . ويصف معمر الجسم بالأبعاد والعمق بينما كان المعتزلة يصفونه بالأبعاد فقط ، وينكر معمر

نظرية الجزء الذي لا يتجزأ لأنه ما من جزء إلاَّ وله جزء . والإنسان عنده نفس وجسم ، والنفس هي حقيقة الإنسان ، وهي معنى ، والجسد هو مسرح ظهور النفس .

إبن عدي ...... Ibn - A'dii

(توفي ٩٧٣ م) أبو زكريا يحيىٰ بن عدي ، رئيس أهل المنطق في زمانه ، ولد في تكريت ، وتوفي في بغداد ، وكان يعقوبي النحلة ، دافع عن إيمان الكنيسة السريانية ولاسيّما فيما يتعلق بالتثليث ، وكانت له تصانيف وتفاسير ونقول ، نقل كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو ، وفسَّر كتب الطوبيقا ، والمقالة الثامنة من السماع الطبيعي ، وفصلاً من كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو ، ومقال الإسكندر الأفروديسي في الفرق بين الجنس والمادة ، وألَّف رسالة في تهذيب الأخلاق ، ومقالة في سياسة النفس ، ومقالة في الموجودات ، وعدة مسائل في كتاب إيساغوجي ، ومقالة في تزييف قول القائلين بتركيب الأجسام من جزء لا يتجزأ .

إبن عذرا .... Ben - Ezra

(نحو ١٠٩٢ ـ ١١٦٧ م) إبراهام بن مايير بن عذرا ، يهودي ، نحوي ومفسِّر للكتاب المقدس ، وكتابه **بداية الحكمة** عن التنجيم كان له شأن في العصور الوسطى ، أما في الفلسفة فكان أفلاطونياً ، وكانت له آراء جريئة ولكنه طرحها في غموض حتى لا يؤخذ بها ، وقد تأثّر سبينوزا بها . وهو حلولي فالله هو الصورة ، ومنه تفيض كل القوى الفردية والعالم العقلي ، وخلود النفس هو اجتماع النفس الفردية بالنفس الكلية .

إبن عربي .... Ibn - Araby

(نحو ١١٦٤ ـ ١٢٤٠ م) محيي الدين أبو بكر بن عربي ، الحاتمي الطائي ، شيخ الصوفية الأكبر وسلطان العارفين ، ولد بمرسية في الأندلس ، ونشأ في إشبيلية ، وكان صديقاً لابن رشد ، ودرس الفلسفة والتصوّف ، واشتغل لفترة كاتباً للأمراء ، ثم ارتحل إلى عدد من البلاد الإسلامية ، واستقرَّ في دمشق وانقطع للزهد . ومؤلّفاته تربو على الثلاثمئة ، أشهرها **الفتوحات المكية** ، و **فصوص الحكم** ، والكتاب الأول في عشرين مجلداً شرح فيه تعاليم الصوفية ، والكتاب الثاني ضمنه نظريته في الإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية . وطريق ابن عربي طريق الجذب والفناء في الله إلى وحدة الشهود ، ثم لا يزال يرتقي حتى يقف على وحدة الوجود حيث تتوقف الكثرة وتتحقق وحدة الإنسان والعالم والإلّه . وليس الله هو المعبود المخيف ، ولكنه الغفور الرحيم الذي يخص محبيه العارفين بالمزيد من الرحمة والحب فيسقط عنهم التكاليف كأهل بدر الذين غفر لهم ذنوبهم وأوصلهم إلى مقام الخلة وأباح لهم ما حرَّم على غيرهم . وحب الله يقتضي حب كل ما هو جميل لأنه المظهر النسبي للجمال الإلّهي المطلق . وفسَّر ابن عربي العالم بنظرية الفيض وبالحقائق السبع وهي الله والقلم واللوح المحفوظ والروح العامة والطبيعة العامة والهيولى والجسم العام والشكل العام ، ومن تجليها تتكون المخلوقات وتتحول من الوجود الكامن إلى الوجود الظاهر . وغاية الله من العالم أن يرى فيه ذاته ، وكما يرى الإنسان صورته في المرآة فإن الله يرى ذاته في الإنسان ، والإنسان بالنسبة لله كالؤبؤ من العين ، وبظهور آدم ظهر الوعي في الوجود ، ومن بدء الخليقة كانت الحقيقة المحمدية أو روح النبوّة المتنقلة في الأنبياء والأولياء ، وابن عربي من القائلين بالجبرية ، والإنسان يولد عاصياً أو مطيعاً .

إبن عطاء .... Ibn - Ata'a

(نحو ٦٨٩ ـ ٧٤٩ م) واصل بن عطاء ، شيخ المعتزلة ، وكنيته أبو حنيفة ولقبه الغزّال ، ويقول البعض إنه لم يكن غزّالاً ، إلاَّ أنه لقّب بذلك لأنه كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهنَّ ، والواقع أن المعتزلة كانوا يلقبون بصنائعهم ، وكان واصل غزّالاً فعلاً ، وكان أحد

الأعاجيب ، فقد كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء ، فكان يتحاشاها ولم يكن يفطن أحد لذلك لفصاحته وبيانه . وكان ميلاده بالمدينة ، ويذكرون أنه كان من الموالي ، إلاَّ أننا لا نكاد نعرف شيئاً عن نشأته الأولى ، ومن الناس من يقول أنه تتلمذ على أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأنه كان أعلم الناس بكلام غالية الشيعة ومارقة الخوارج والزنادقة والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين والرد عليهم ، وأنه ارتحل في شبابه إلى البصرة ولزم الحسن البصري إلى أن اختلف معه حول تكفير صاحب الكبيرة، وكان من رأي واصل أنه في منزلة بين منزلتين ، فلا هو بالكافر ولا هو بالمؤمن ، ثم قام إثر إعلانه لرأيه واعتزل إلى أسطوانة بالمسجد ، فقال الحسن قولته المشهورة « اعتزل عنا واصل » فسمي وأصحابه بالمعتزلة . ولا شك أن فكرة المنزلة بين المنزلتين هي مركز الدائرة في آراء واصل الكلامية ، إلاَّ أنها لم تكن الفكرة الوحيدة . ويقوم مذهب واصل المسمَّى **الواصلية** على أركان أربعة ، أولها نفي الصفات عن الله ، لأن القول بصفات قديمة لله يعني إثبات أكثر من إله ، وثانيها الإيمان بأن القدر ، خيره وشره ، من الله ، لكنه يفرّق بين الصحة والمرض والموت والحياة ، وبين الخير والشر والطاعة والمعصية ، والأولى من الله ، والثانية من البشر ، فميَّز أفعال الله عن مكاسب العباد ، ونادىٰ بحرية الإرادة الإنسانية ، وقال بأن الإنسان مخيَّر ومن ثم مسؤول عن أفعاله . وثالثها القول بأن صاحب الكبيرة في منزلة بين منزلتيّ الكفر والإيمان . ورابعها قوله في أصحاب الجمل وصفين ، أن أحدهما فاسق لا بعينه ولا تقبل شهادته .

وكان واصل حجة في الإسلام وداعية له ، أرسل تلميذه حفص بن سالم إلى خراسان ليجادل السمنية ، والقاسم السعدي إلى اليمن ، والحسن بن زكوان إلى الكوفة ، وعبد الله بن الحارث إلى المغرب ، وعثمان الطويل إلى أرمينية ، وعمل هؤلاء على نشر الإسلام وتعريف الناس بحقائقه وكان من أصحابه عمرو بن عبيد وبشر بن سعيد وأبو عثمان الزعفراني ، وعنهم تلقى أبو الهذيل العلاف .

إبن عياض .... Ibn - Ayad

(توفي سنة ١٨٧ هـ) الفضيل بن عياض ، من كبار الصوفية ، ولد بسمرقند بأوزبكستان ، ويروى أنه سار في طريق الصوفية بعد أن كان قاطع طريق ، وكان يحب جارية فبينما كان يرتقي الجدار إليها سمع مقرئاً يتلو من القرآن ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ (سورة الحديد الآية ١٦) فقال يا رب قد آن ، وانتقل إلى مكة وجاور بها حتى مات . واشتهر عنه الحزن الشديد ، ومن أقواله لو خيِّرت أن أبعث فأدخل الجنة ، وبين أن لا أبعث لاخترت أن لا أبعث حياء من لقاء الله . وقد سئل عن الزهد فقال إنه القناعة فهو الغنى . وكان يرى أن الخوف أفضل من الرجاء .

إبن قرة ... Ibn - Korra

(٨٢٦ ـ ٩٠١ م) أبو الحسن ثابت بن قرة ، الناقل والمصنِّف القدير ، ولد في حران على دين الصابئة ، وأصبح رئيساً لطائفته ، وكان يحسن السريانية والعربية واليونانية وتعلَّم الفلسفة في بلاد الروم ، وله كتب « **اختصار المنطق** » ، و « **اختصار ما بعد الطبيعة لأرسطو** » ، و « **جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس** » ، و « **مختصر في الأصول من علم الأخلاق** » ، و « **كتاب في الطريق إلى اكتساب الفضيلة** » ، و « **تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية** » . وكان ثابت من الذين مهّدوا لإيجاد حساب التكامل والتفاضل . واستعان الرياضيون في القرن السادس عشر ، مثل كردان وغيره ، بحلوله لبعض المعادلات التكعيبية بالطرق الهندسية .

ابن لوقا Ibn - Luca

(٨٢٠ ـ ٩١٣ م) قسطا بن لوقا البعلبكي ، ولد في بعلبك ، ودرس في بلاد الروم ، وعاد إلى بغداد ينقل ما تعلَّم من اليونانية إلى العربية ، وله كتب « **الفرق بين**

النفس والروح » ، و « **المدخل إلى علم الهندسة** » ، و « **الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق** » ، و « **في شكوك كتاب إقليدس** » .

ابن مسرة Ibn - Masarra

(٨٨٣ ـ ٩٣١ م) ولد في قرطبة بالأندلس ، وبدأ يعلّم في السابعة عشرة ، واعتزل وتلاميذه في صومعة بجبال قرطبة ومات بها ، وكان فيلسوفاً متصوفاً اشتهر بمؤلفيه « **كتاب التبصرة** » ، و « **كتاب الحروف** » . ويقوم مذهبه على فلسفة أمبادوقليس ، ويقول بنظرية الفيض التراتبي للجواهر الخمسة ، المادة الأولى والعقل والنفس والطبيعة والمادة الثانية . والمادة الأولى هي الواحد البسيط الذي لا يحده وصف ، ولكنه مادة مدركة ، وإن كانت مغايرة لمادة عالمنا وسابقة عليها .

إبن مسكويه Ibn - Miskawaih

أبو علي بن مسكويه ، ولد في الري بفارس ، ومات في أصفهان عام ١٠٣٠ م ، وهو معاصر للبيروني وابن سينا ، وكان وزيراً ، وله نحو من عشرين مؤلفاً ، وفلسفته مزيج من آراء أفلاطون وأرسطو وجالينوس والشريعة الإسلامية ، غير أنه يميل إلى أرسطو أكثر ، ويعرف النفس بأنها جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس ، تدرك ذاتها وتعلم أنها تعلم وتعمل ، ومعارفها أوسع من العالم المحسوس ، وهي في أساسها عقلية أولية ، تميّز الأحاسيس وتقارنها وتصححها . وتتميز نفس الإنسان عن نفس الحيوان بالعقل الذي يهديه في أفعاله ويوجهه إلى الخير . والخير هو ما يتحقق به للإنسان كمال وجوده ، ولكن لا بد للإنسان من استعداد كامن يوجهه إليه . ومن الناس من هو خير بطبعه وهم قليلون ، ولا يتحولون عن الخير قط ، ومنهم من هو شرير بطبعه وهم كثرة ، ولا يتحولون عن الشر قط ، ومنهم من لا ينتمي إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ولكنهم يتلونون بالخير أو بالشر بالتأديب أو بمصاحبة أهل الخير أو أهل الشر . والخير إما عام يسعىٰ الجميع إليه ، وإمَّا خاص يحقق لصاحبه سعادته الخاصة ، وسواء كان عاماً أو خاصاً فإنه ما يتحقق به لصاحبه صورته الحقيقية ، ولكن الإنسان يستحيل أن يحقق لنفسه كل خيراتها ، ولا بد له من الاستعانة بالآخرين ، فإذا كانت الفضيلة هي تحقيق الإنسان لذاته ، فالأخلاق هي ما يجب أن تكون عليه أفعاله في الجماعة ، والدين هو الرياضة الخلقية للنفس وغايته طبع الإنسان بالطابع الاجتماعي .

إبن ميمون Maimonides

(١١٣٥ ـ ١٢٠٤ م) موسى بن ميمون ، أسباني ، وأبرز المفكّرين اليهود في العصور الوسطى ، لقبه اللاتين Maimonides ويدعى كذلك RaMBaM وهي لفظة تتكون من أوائل حروف هذه الألفاظ Rabi Moses ben Maimon . ولد في قرطبة ، ورحل عنها إلى شمال إفريقيا في سن الثالثة عشرة ، ثم استقرَّ في مصر في الثلاثين من عمره ، وصار طبيباً للقصر ورأس الطائفة اليهودية ، ومات بالقاهرة . وكان ابن ميمون من الفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بين الفلسفة والدين ، أو بين الفلسفة الأرسطية بمعنى أصح والدين اليهودي ، ويهتدي في ذلك بالمحاولة التي قام بها الفلاسفة العرب من أمثال ابن سينا الذي يدين له بنظريته في الخلود ، وابن رشد الذي أخذ عنه فكرته عن هوية الماهية والوجود في الله . واشتهر ابن ميمون بكتاب « **دلالة الحائرين** » ألَّفه باللغة العربية ، ثم ترجم الكتاب إلى العبرية واللاتينية في حياته ، والحائرون الذين يقصدهم هم أنصاف المثقفين الذين أخذوا بنصيب من الدين وتعاليمه والعلوم اليونانية والنظر الفلسفي ، لكنهم لم يبلغوا في أي منها درجة اليقين ، فلا هم نبذوا الدين ولا هم انصرفوا إلى العلم ، ورانت عليهم لذلك حيرة تفصح عن صراع بين الاتجاهين ، وكان الفارابي قبل ابن ميمون ، والفيلسوف اليهودي ابراهام بن داوود ، قد سبقا إلى استخدام مصطلح الحيرة لوصف التردد بين الدين والفلسفة . والفارابي مثله الفلسفي الأعلى بعد أرسطو ، ولابن باجة مكانة خاصة عنده . ويعالج

اللاهوت القائم على الوحي والفلسفة على أنهما مختلفان في الطبيعة لكنهما متكاملان ، ويتحدث عن الله بوصفه عقلاً وليس كما يصفه اللاهوت السالب ، ويدرك استحالة التوفيق الحقيقي بين وجهتيّ نظر الدين والفلسفة ، ويقول إن الله لكماله لا يمكن أن يضيف أو ينقص من خلقه ، وأن هناك ديناً للخاصة وآخر للعامة ، وأن التزام العامة بالشريعة ، لكن دين الخاصة هو التشبه بالله من خلال التعرف إلى فعله ، وهي المعرفة الوحيدة الممكنة بالله ، بدراسة الطبيعة والميتافيزيقا ، وأن كمال الإنسان بالمعرفة والعمل الذي يصدقها ، ومثله في ذلك أحبار اليهود والنبيّ موسى . ورغم أن ميمون كتب بالعربية إلَّا أن تأثيره على الفكر العربي لا يكاد يذكر ، بينما تصدّى له مفكرو اليهود بالنقد أو بالتأييد، ونقدهم رد فعل لموقفه اللاّأدرى من القضايا الميتافيزيقية الأساسية بناء على إدراكه بأن اللاهوت لا يجيبه على أي سؤال عن الحقيقة ليس بوسع العقل مناقشته ، بينما يدافع عنه المؤيّدون بأنه بعدم تصدّيه لبعض المسائل قد ترك أمرها للاّهوت كي يكون هناك مجال للإيمان . وعلى أي الأحوال فقد أثر « **دلالة الحائرين** » في اسبينوزا وهو ما نلمسه في « الرسالة اللاهوتية السياسية » حيث أفرد جزءاً كبيراً منها لنقده رغم أنه لم يذكره بالاسم إلَّا قليلاً ، وتأثّر به كذلك فلاسفة مسيحيون ملتزمون مثل توما الأكويني .

إبن واسع .... Ibn - Wase'a

محمد بن واسع ، من كبار الزهّاد ، ومن أصحاب الحسن البصري ، وهو الذي شهد أنه من كبار القرّاء ، وكان من البكائين حتى قيل فيه « إذا رأيت وجهه حسبته وجه ثكلى » . وهو القائل « أربع يمتن القلب ، الذنب على الذنب ، وكثرة مثافنة النساء وحديثهنّ ، وملاحاة الأحمق ، تقول له ويقول لك ، ومجالسة الموتى . قيل وما مجالسة الموتىٰ ، قال مجالسة كل غني مترف وسلطان جائر » .

إبن يوسف .... Ben - Joseph

(٨٨٢ ـ ٩٤٢ م) سعاديا بن يوسف ، الملقب بسعاديا الفيومي ، ولد بالفيوم من صعيد مصر ، ويعده اليهود أول فلاسفتهم الربانيين لأنه كان أول الذين أقبلوا على استخدام العقل والبرهان لإقامة فلسفة يهودية تستند على الكتاب والعقل معاً . وكان تأثره شديداً بالمعتزلة ، وكتابه الرئيسي « **الأمانات والاعتقادات** » مؤلف بالعربية ويتابع المعتزلة في موضوعاتهم وإن مال إلى منهج الأشاعرة في إثبات النص أولاً ثم تأييده بالعقل .

إبن يونس .... Ibn - Yunis

(توفي ١٠٠٩ م) أبو الحسن علي بن عبد الرَّحمٰن ابن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري ، من بني الصدف ، كانوا من أهل العلم واستوطنوا مصر ، وكان ابن يونس ، وشهرته المنجم ، عالماً فلكياً بارعاً في التسيير ، قديراً في المثلثات ، له الزيج الحاكمي الكبير ، وصفه ابن خلكان فقال هو زيج كبير رأيته في أربعة مجلدات ، ولم أر في الأزياج على كثرتها أطول منه . وضمنه جميع الكسوفات والخسوفات وقرانات الكواكب التي للأقدمين المتأخرين . وكان ابن يونس أسبق إلى عدد من المعادلات الرياضية لاختراع اللوغاريتمات ، وحلّ عدداً من الأعمال في المثلثات الكرية ، واستعانَ على حلّها بالمسقط الرأسي للكرة السماوية على المستوى الأفقي ومستوى الزوال ، واخترع الرقاص أو المواد أو بندول الساعة ، ورصد كسوف القمر وخسوف الشمس ، وحسب عدداً من القرانات القديمة ، واستنتج منها تزايد حركة القمر وميل أوج الشمس .

أبنيانو .... Abbagnano

نيقولا أبنيانو ، وجودي إيطالي ولد بساليرنو (١٩٠١) ويعتبر خير من يمثل الوجودية الإيطالية ، ويصفها بأنها فلسفة الممكن ، تأثر بظاهرية هوسرل وفلسفة كيركجارد وهايدجر وياسبرز ، ووقف ضد

هايدجر وياسبرز ، وعارض سارتر ولافيل ولوسين ، وهو يضم سارتر إلى كيركجارد تحت جناح الوجودية الألمانية ، ويصف وجودية من سواهما بأنها وجودية انطولوجية أو لاهوتية ؛ ويقول إن كل اشكال الوجودية منذ كيركجارد كانت انهزامية ، تنفي أولوية الإمكان ، ويميز بين اتجاهين في الفلسفة الوجودية ، الاتجاه اليساري المرتبط بهايدجر وياسبرز وسارتر ، والاتجاه اليميني المرتبط بمارسيل ولافيل ولوسين ، والمجموعة الأولى تنفي الوجود كإمكان ، بأن تحيل الإمكانيات الإنسانية إلى لا إمكانيات ، وتبرز فناء الإنسان وقدره المحتوم المؤدي به إلى الفشل ؛ والمجموعة الثانية تنفي الوجود بتحويل الإمكانيات الإنسانية إلى كمونيات مقدور عليها النجاح في النهاية ، ورغم أن اليمين واليسار يقومان على مبادىء متعارضة ـ « **استحالة الممكن** » ، و« **ضرورة الممكن** » ، فإنهما يجتمعان على أرض سلبية ، لأن كليهما ، بمعنى من المعاني ، يجعل الإمكان نفسه استحالة . والبديل الوحيد لهذه « **الوجودية السلبية** » هو « **الوجودية الإيجابية** » ، التي تهتدي بمبدأ « **إمكانية الممكن** » ، أو بتعبير كنط «**الإمكانية المتعالية**»، وعلى هذا فإن الإمكانية الحقيقيةالمتاحة للفرد ، هي الإمكانية التي ما إن يختارها ويحققها حتى تظل مفتوحة لمزيد من الاختيار والتحقق، أي أنها تظل ممكنة، أي أنه يقدم بديلاً يقوم على فلسفة إمكان مفتوح . وهو يعرف الممكن ، فيقول إنه ليس الممكن الكامن بالمعنى الأرسطي ، لأن الكمون يعني التجديد المسبق للواقع ، فما هو كامن يتحقق ويصبح واقعاً ، والكمون يستبعد الإمكان ، ورغم ان ارسطو ينفي إمكان تحقق كل ما هو كامن ، فإن الكامن عنده يظل ما هو مقدور تحقيقه ، ولا مكان للإمكان هنا . والممكن كذلك ليس هو « **المحتمل المشروط المتوقف على شيء آخر** » الذي قال به ابن سينا ، فبتعريفه يكون المحتمل هو المشروط المتوقف على شيء آخر ، وبذلك لا يكون الممكن الكامن ، ولا الممكن المتوقف على شيء آخر ، هما الممكن بمعنى « **ما يمكن أن يكون** » ؛ فممكن أرسطو الكامن ، وممكن ابن سينا المتوقف على شيء آخر ، هما ممكن الضرورة ، بمعنى « **ما يجب أن يكون** » . ويصف أبنيانو تفكير أرسطو وابن سينا والوجوديين الذين ينحون هذا المنحى ، بأنهم من أصحاب مذهب الضرورة ، ولكن بشكل مقنع ؛ ويصف محاولته هو الوجودية بأنها محاولة للتوفيق بين كنط وبين كيركجارد في صورة عصرية ، إذ أن كنط يصنف مقولاته في ثلاثة أزواج : الإمكان والاستحالة ، والوجود واللاوجود ، والضرورة والعرض ؛ ويضغط أبنيانو مقولات كنط في مقولة واحدة ، أو زوج واحد منها ، هو الضروري واللاضروري ، وذلك لأن الضروري والعارض ليسا ضدين ، وكذلك فالممكن ليس ضد المستحيل ، لأن الاستحالة هي نفي الضرورة وليست نفي الإمكان ، فما لا يمكن أن يكون هو عكس ما ينبغي أن يكون بالضرورة . ويعرف أبنيانو ، بوضعه وجودياً إمكانياً ، الوجود بأنه الإمكان ، واللاوجود بأنه اللاإمكان وليس الاستحالة . وبينما يستبعد اللاضروري الضروري والمستحيل ، فإنه يضم الممكن واللاممكن ، وهذا يعني أن الإنسان ليس بوسعه التأكد من تحقيق إمكانياته المتعارضة ، ولا التأكد من استحالة تحقيقها . ويعني ذلك أيضاً أن كل إمكانية عينية ، أي إمكانية يمكن إدراكها بالحواس ، متاحة للإنسان ، لها ناحيتان ، ناحية واعدة إيجابية ، وناحية سلبية منحوسة . ولتصوير ذلك نقول إن إمكانية المعرفة تضم داخلها إمكانية الخطأ ، وليست الأخطاء « **استحالات** » ما دمنا نرتكبها في الواقع ، ولكنها « **لا ممكنات** » ، بمعنى أنها لا تتحقق عندما توضع تحت الاختبار ، وهكذا تكون فلسفة أبنيانو ، في صميمها ، فلسفة وجودية للممكن ذات وجهين . ويطرق أبنيانو ميداناً جديداً لم تطرقه الوجودية الألمانية ، هو مشكلة القيمة ، وهي مشكلة « **ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان** » ، وهو يقول إن ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان هو الممكن ، أو هو المرادف الأخلاقي لما

يمكن The May-be ، ومن ثم يلتقي منطق الإمكان بأخلاقيات الإمكان ، ونرى هذين الوجهين في تفسيره الإمكاني للسلوك ؛ ويبرز تفسيره « معياريـة » الوجود الإنساني ، وهي المعيارية التي تشتمل على مشكلة الحرية بكل أبعادها ، وبذلك توحد وجودية أبنيانو المقولات المتكاملة للإمكان والحرية ؛ وهو يسمّي الفلسفات المعاصرة « التنوير الجديد » ، ويرتبط بالاتجاهات اللاوضعية والطبيعية المحدثة ، ولذلك طور الجوانب التجريبية والطبيعية في وجوديته ، مؤكداً الارتباط المنهجي بين الإمكان كمعيار للوجود ، والتثبت كمعيار للبحث العلمي ؛ وقال إن خرافة الأمن التي قالت بها وضعية « كونت » ، والتي ميزت عقلية القرن التاسع عشر ، ما تزال تعيش في الطوبيا العلمية المعاصرة ؛ ووافق فتجنشتاين على أن معاني الكلمات تعتمد على استخدامها ، ولكنه قال إن زعيم الحركة التحليلية فشل في إعطائنا تحليلاً فلسفياً لفكرة الاستخدام ذاتها .

(أهم كتبه « مقدمة في الفلسفة الوجودية **Intro-duzione all'Esistenzialismo** » (١٩٤٢) ، و « **الوجودية الإيجابية Esistenzialism Positivo** » (١٩٤٨) .

أبوت .... Abbot

(١٨٣٦ - ١٩٠٣) فرانسيس إلينجوود أبوت ، أمريكي ، تعلم بهارفارد ، وانضم إلى الكنيسة الموحدة الرافضة للتثليث ، وأحد المؤسسين للرابطة الدينية الحرة المطالبة بضم غير المسيحيين ، ومن مبادئها إيثار العلم على الوحي ، وحرية العقيدة . اشتغل استاذاً للفلسفة بجامعة هارفارد ، ودخل في عراك فكري مع آخرين ، وماتت زوجته (١٨٩٣) فانسحب من الحياة العامة ، وعكف على تأليف كتابه الكبير **الفلسفة القياسية The Syllogistic Philosophy** ، وانتهى منه بعد وفاة زوجته بعشر سنوات تماماً ، واحتفل بالمناسبة بأن انتحر فوق قبرها . ومن كتبه **التوحيد العلمي Scien-tific Theism** . وتنهض فلسفته على إبراز موضوعية العلاقات ، وانتقاد مثالية هيجل ونظرية المعرفة عند كنط التي تقتصر على معرفة الظواهر .

أبو حنيفة .... Abo-Hanifa

(٨٠ - ١٥٠هـ) النعمان بن ثابت بن زوطى (بضم الزاي وفتح الظاء) مؤسس المذهب الحنفي ، فارسي من التابعين ، كان أول المتكلمين من الفقهاء ، قال عنه الشافعي الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة ، له كتاب **الفقه الأكبر** ولو أن البعض يشك في نسبته إليه ، و**الفقه الأصغر** . وكان أول من استخدم مصطلح الفقه الأكبر للاعتقادات ، ومصطلح الفقه الأصغر للعبادات . وكان ظهوره في عصر كثرت فيه الفرق الإسلامية ، فكان واصل بن عطاء يقوم على رأس المعتزلة ويقول بوحدة ذات الله وصفاته ، وقال أبو حنيفة ان الله واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له . وينسب إليه أنه قال إن لله مائية ، أي ماهية ، وأراد بذلك أن الله يعلم نفسه شهادة لا بدليل ولا خبر ، ونحن نعلمه بدليل وخبر . وكان التجسيم والتشبيه قد انتشرا فأعلن أبو حنيفة أن الله لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه ، فكان أول من أطلق على الله أنه ليس كالأشياء . وميز بين صفات الذات التي يوصف بها الله ولا يوصف بضدها كالعلم ، وصفات الفعل التي يوصف بها وبضدها كالخلق . وقال إن من يحلف بالقرآن فقد حلف بغير الله ، وما كان غير الله فهو مخلوق ، وبذلك أجاب على مشكله خلق القرآن . ومن رأي أبي حنيفة أن الله خلق العالم لا من مادة ، لأن القول بخلق العالم من مادة معناه أن المادة قديمة . وقال إن الله كتب كل شيء بالوصف لا بالحكم ، أي بأن الأشياء ستكون على كذا من الصفات ، لا بصيغة الحكم ، أي فلتكن على كذا من الصفات ؛ وأن علم الله بالأشياء أزلي ، وأن ما يحدث من تغير إنما يكون في الأشياء لا في علم الله . وقال بنظرية الذر ، أي أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه على صورة الذر ، وأخذ

عليهم الميثاق ، وأقروا لله بالربوبية ، ولكنهم بعد الميلاد نسوا ميثاق الله .

ومذهب أبي حنيفة الكسبي مؤداه أن الله لا يجبر أحداً على الإيمان ، وأن كل أفعال العباد هو كسبهم على الحقيقة ، ولكن كل شيء بمشيئة الله وقدره وقضائه ، أي أن الأعمال مخلوقة من الله مكسوبة من العباد . ولم يكن أبو حنيفة يؤمن بالجبر ، وكان يفصل القضاء عن القدر ، فالقضاء ما حكم الله به مما جاء به الوحي ، والقدر ما تجري به قدرته وقدر على الخلق من الأزل . ويقسم الأمر أمرين ، أمر تكوين وإيجاد ، وأمر تكليف وإيجاب ، والأول تسير الأعمال في الكون على مقتضاه ، والثاني يسير الجزاء من الآخرة على أساسه .

أبيقور .... Epicurus

(٣٤١ - ٢٧٠ق.م) أثيني ، ولد بساموس ، وتعلم بأثينا ، وعاد إلى ساموس يعلم فيها ، وافتتح مدرسته المشهورة باسم **الحديقة** أو **حديقة أبيقور** ، لأنه كان يؤثر أن يجالس مريديه في حديقتها دون حجراتها ، وصارت حديقته نمطاً للمجتمعات الأبيقورية اللاحقة التي انتشرت في العالم المتحدث بالإغريقية ، وكانت مجتمعاته مضرباً للمثل في تعاطف أعضائها وتكافلهم ، وكان نموذجهم أبيقور نفسه الذي كان يقطر رقة وعذوبة وحباً ، ولقد أحبوه حتى ألّهوه ، وبقيت من تعاليمه شذرات في شكل ثلاث رسائل ، الأولى إلى هيرودوت ، واحتوت على نظريته الطبيعية المسماة **النظرية الذرية** التي يرجع فيها أصل الأجسام والمركبات إلى ذرات أو جواهر مفردة ، والثانية إلى بيثوكليز ، عن الفلك والظواهر الجوية ، والثالثة إلى مينوكيس عن الأخلاق ، بالإضافة إلى مدونة بها ملخص لبعض من أفكاره ليستخدمها أتباعه ، وتشتمل على أربعين فكرة . وتقوم فلسفته الطبيعية على الإقرار بحقيقة المعطيات الحسية ، ويجعلها أساس كل معرفة ، ويرجع نشأة المعاني الكلية إلى تكرار التجربة ، وعندئذ نثبتها في ألفاظ ، ونرجع إلى فكرتها في الذهن لنطبقها في التجارب بمشابهة اللاحقة ، ثم نتحقق من صدق ما نص إليه من أحكام بمعاينته على الطبيعة ، وقد لا يكون شيئاً محسوساً ، ومع ذلك فهو صادق لأن التجربة تقتضيه كعلة أو شرط لها . ونظريته الذرية ، ترد كل الأجسام إلى تكوينات من ذرات لا نراها ولا تتغير ، وهي على أشكال متنوعة ، ولكل نوع من الكائنات ذراته الخاصة به ، والذرات ككل توجد في الفضاء الكوني بأعداد لانهائية ، وعندما تتهيأ الظروف لائتلاف الذرات المتجانسة يتكون الكائن ، والإنسان ليس استثناء . والذرات الكونية في حركة دائمة بفعل ثقلها ، وحركتها في خطوط مستقيمة متوازية كأنها المطر ، لكن بعضها ينحرف من تلقاء نفسه ، وعندئذ تتصادم ، ومن تصادفها تتآلف ، حيث أن انحرافها هو فرصتها في التلاقي ، ومن تآلفها تتكون المركبات والأجسام . والفضاء الكوني الذي تتحرك فيه لانهائي ، والزمان حادث بفعل الحركة ، ومن ثم فهو لانهائي . والتغير والصيرورة دائمان طالما هناك حركة وتصادم وتآلف ، وطالما هناك صيرورة فكل شيء ممكن ، والممكن قد يتحقق يوماً ما في مكان ما ، والواقع هو حدود الممكن ، والصيرورة تجري في تتابع منتظم ودورة حياة ، والكون كله يشمله الانتظام والتوازن ، والإمكان المستمر للمركبات الجديدة يسري على الآلهة سريانه على باقي الكائنات ، وليس ما يمنع من تعدد الآلهة ، ووجود الشر يناقض الزعم بخيريتها المطلقة وبقدرتها الكاملة . وكل الأحداث لها تفسيراتها ، وتتنوع التفسيرات ، وكلها ممكنة طالما أنها معقولة ، والمعقول ما لا يتعارض مع الواقع والملاحظة . وليس ما يستوجب استقصاء تفاصيل العالم فالنظرة الإجمالية تكفي ، والعلم الطبيعي ليس مطلوباً لذاته ، لكن بمقدار ما يجعلنا نعيش حياة لذيذة سهلة ، والخير الأسمى هو اللذة الدائمة . ولا يفوز بالحياة الخيرة إلا الفيلسوف، لكن العلم بالخير لا يفيد وحده ما تفيد الحكمة العملية ، وهي تقبل على ما يؤلم طالما أنه يؤدّي إلى لذة أكبر ، وتدبر عن اللذة طالما أنها تنتهي بألم

أكبر. وليست الفضائل سوى وسائل لتحقيق الحياة اللذيذة. واللذات اتزانية **Catastematic Pleasures** وديناميّة **Kinetic Pleasures**، والأولى تتولد عنها زوال الألم، حيث يستعيد الإنسان سكونه وتوازنه، وليست السكينة والاتزان فراغاً من اللذة، لكنهما اللذة العظمى، وتنشأ النزعات من اختلال توازن الديناميّة عن حركة السعي والتحصيل والغزو، وهي اللذات التي ترضي النزعات، ويقبل الحكيم على اللذات الأولى لأنها الأبسط والأيسر. وللعقل والجسم لذاتهما الاتزانية والدينامية، ولذات العقل تقوم على لذات الجسم، والعقل يسعد (لذة دينامية) بسلامة البدن، ويطمئن ويسكن (لذة اتزانية) بزوال الهموم والآلام. وتتحقق سلامة العقل وسكينته بزوال خوفه من الموت والقدر والظواهر الجوية، عندما يدرك أنها قوانين الكون ونظامه الثابت. والبدن يعيش في الحاضر، لكن العقل، من خلال الذاكرة والتوقع، يتأمل الماضي ويرجو المستقبل، وهو يختار موضوعات انتباهه، والحكيم هو الذي يدخر اللذات الماضية، ويتطلع إلى اللذات التالية، ومن ثم يتجاوز محنة الحاضر. وكان أبيقور نفسه مثلاً عالياً مي احتمال آلام المرض بشجاعة نادرة، وكان مرضه بحصوة الكلية، لمدة طويلة، ومات بها. والفكرة التي تقول إن الأبيقوري هو الشخص المنصرف إلى حياة الدعة وتحصيل اللذات الداعرة فكرة قامت على دعايات الكتاب اليونانيين المتأخرين على الأبيقورية ولا تقوم على حياة أبيقور نفسه أو تعاليمه.

ولقد عرف الإسلاميون أبيقور وترجموه أبقورس أو أفقورس، ونقل عنه جابر بن حِيان أغلب نصوص كتابه «النفس» في كتابه «الحاصل»، ولكنهم اعتبروه فيلسوفاً مادياً (الشهرستاني)، وإن كان البعض يرى نظريته في الأجزاء المتناهية في الصغر تشبه نظرية الجزء الذي لا يتجزأ عند المتكلمين.

أبيقورية .... Epicuranism

ازدهرت المدرسة الأبيقورية في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، وبرز من تلاميذ أبيقور ميترودوروس (نحو ٣٣٠ - ٢٧٧ق.م) وكولوتس مؤلف كتاب «مذاهب الفلاسفة الأخرين تجعل الحياة مستحيلة» وهيرمارخوس (٣٢٥ - نحو ٢٥٠ ق. م) الذي خلف استاذه على المدرسة، وبوليستراتوس الذي خلف هيرمارخوس، مؤلف كتاب «عن الاحتقار الذي لا مبرر له للرأي العام». وكتبوا جميعاً ضد افلاطون وديموقريطس وأرسطو، وتركوا العديد من الرسالات في المذهب وفي موضوعات المعرفة والأخلاق والدين والبلاغة والشعر. وبرز من الأتباع فيلونيدس وزينون السيدوني وديمتريوس لاكونيا وفيلوديموس السوري الذي امتدحه شيشرون وكان من بين تلاميذه الشاعر فيرجيل. وكان آخر فلاسفة هذه المدرسة ديوجين الذي حفر سنة ٢٠٠ق.م حكمة أبيقور على حائط مدخل مدينة إينواندا، ومعظم ما كتب من تأليفه، وبعضه عن العلم والباقي عن الأخلاق.

أبيلار ... Abéllard

(١٠٧٩ - ١١٤٢) بطرس أبيلار، فرنسي، أشهر أهل زمانه ني الجدل، درس اللاهوت وتأثر بالإسمية، وغرر بإيلواز فخصاه إخوتها، ودخلت قصة حبهما عالم الأدب ودنيا العشق وترهب الحبيبان.

وكان أبيلار شديد الإعجاب بالفلاسفة غير المسيحيين لاعتمادهم على العقل، وكان يحب الثقافة الوثنية لجمالها، ووصف فلاسفة اليونان بالقداسة، وقال إن الله أوحى لهم بأخفى الحقائق لسمو أخلاقهم، ووصفهم وكل الحكماء، حتى البراهمة، بأنهم مسيحيون، وقال إن التعاون بين الفلسفة والدين ممكن، ولا سيما الجدل، فالجدل يرفع اللاهوت إلى مقام العلم.

وكان أبيلار يطوف بالمدن الفرنسية يعلم الجدل، وكان الناس يستبقون إلى محاضراته بالألوف، ونشر عدة كتب منها «**نعم ولا Sic et Non**» ضمنه نصوصاً لآباء الكنيسة تتعارض مع بعضها بشدة، وكان يهدف إلى

إثــارة الشك المنهجي والرغبة في معرفـة الحقيقـة والسعي خلفهـا ، وطريقتـه جدليـة غايتهـا إيضاح أن اختلاف معاني الألفاظ إنما بسبب اختلاف الأزمـان التي استخدمت فيها ، وعندما نعلم ذلك يختفي تعارضها ، ووصف الألفاظ بأنها كلية لأننا نقصد بها إلى دلالات كلية ، ودعا إلى تأسيس الإيمان على العلم والمنطق ، ووصف الأخـلاق المسيحية بـأنها إصـلاح لـلأخـلاق الطبيعية والمحك فيها على الضمير والنية ، وأن الخطيئة شخصية وليست أصلية موروثة عن خطيئة أبينـا آدم ، ومن ثم فالخلاص شخصي ولا دخـل فيه للمسيـح . واتهموه بالإلحاد وأحرقوا كتابه « **حول الوحدة الإلهيـة والثالوث الأقـدس** » (١١٢١) ، ومنعته الكنيســة من التدريس فأصابه الغم واعتزل الناس وطلب دفنـه بقبر حبيبته إيلواز .

اتفاقية Occasionalism

تعني أن الله هو العلة الأولى والكلية للحركة ، وكان ديكارت يقول إن الله عندما خلق المادة أو الامتداد خلق معها الحركة والسكون ، ولو لم يضف عليها الحـركة لكانت جامدة وعاطلة ، وأنـه برغم أن الحـركة سمـة الأجسـام فإنهـا ليست في الأجسام ذاتهـا ، لكنها في الله ، العلة الأولى والكليـة للحـركـة . ويضــرب الاتفاقيون المثل بكرة البلياردو التي تتحرك وتلامس كرة أخرى ساكنة فتحركها ، فليس في الكرة الأولى حركة أو قوة تستطيع تحريك الثانية ، ولكن الثانية تتحرك بفعل القوانين التي وضعها الله للحركة ، ونستطيع أن نسمي الكرة الأولى **العلة الاتفاقية Occasional Cause** أو **العلة الخاصة Particular Cause** لحركة الكرة الثانية ، بينما الله هـو العلة الفعالـة لهذه الحـركة . وبـالمثـل فـإن الأجسـ[illegible] لا تقدر على إحداث التغييرات التي تحدث في العقل كما في الإدراك الحسي ، ولا يقدر العقل على تحريك الجسم كما في الحركـات الإرادية للجسم ، وإنما الله هو الذي وضع القوانين التي تؤلف بين العقل والجسم .

اثنا عشرية Ethna-Ashriya

فرقة من فرق الشيعة ، تقول بوجود سلسلة من اثني عشـر إمـامـاً ، تـرتيبهم كـالآتي : علي المـرتضى ، والحسن المجتبي ، والحسين الشهيـد ، وعلي زيـن العابدين السجاد ، ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق ، وموسىٰ الكاظم ، وعلي الرضا ، ومحمد التقي ، وعلي النقي ، والحسن العسكري الزكي ، ومحمد المهدي الحجة . وتقول بأن محمد المهدي استتر وسيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً .

والأثنا عشرية هي المذهب الرسمي في إيران منـذ سنـة ١٥٠٠م حين أمر الشـاه اسماعيـل الصفـوي أن تضاف لصيغة الآذان وأشهد أن علياً ولي الله .

أجناسية Racism

وجهة النظر التي يصفها البعض بالعنصرية ، والتي تقسم الجماعات البشـرية إلى أجنـاس بحسب اللون والتركيب العظمي وبعض الفروق البيولوجية الأخرى ، وتُنسب إلى كل جنس صفات أخلاقية وعقليــة ترجع إليها الفروق الحضـارية ، وتبـرر بها دعـاوى سياسيـة واجتماعية . ومن تلك الفروق البيولوجية ما تزعمه من تفوق في الحروب والمـوسيقىٰ للجنس الآري ، وهي دعـاوى لم يؤيّدهـا العلم وإن كانت بعض الشـواهـد التاريخية ، التي يمكن تفسيرها والردّ عليها بسهولة ، تعززها . ولم يحدث أن كان هناك عبر التاريخ جنس خالص النقاء ، وإن كانت الشعوب لهـا سمات فـإنها سمات من باب وصف هذه الشعوب ، ولكنها لا تعطيها مبررات لتفوق مزعوم على غيرها ، ولم يحدث أن ثبت علمياً أن هناك فروق في الذكاء بين الشعوب ، ولا ينبغي الاعتداد بما أُجري منها فقد قام على الفروق الثقافيـة وهي فروق توجد بين أبناء الشعب الواحد نـاهيكَ عن الشعوب المختلفة ، ولقد كانت هناك دائماً هجرات من مختلف بقاع العالم إلى كل المناطق الحضارية وغيـر الحضارية ، وقامت الشعوب على الاختلاط فيما بينها . ولم ترج دعاوى العنصرية في الشعب الواحد إلاّ لأسباب

تتعلق بتبرير سيطرة الأقلية أو طبقة المالكين اقتصادياً وسياسياً على بقية الطبقات ، وذهب هذا التبرير إلى حدّ الزعم بفروق في الدم بين الطبقات ، ونسبوا إلى الطبقة الحاكمة أنها الطبقة التي تحكم بحقوق إلـهية ، وغالوا في التمييز بين الطبقات على أساس الدم ، ووصفوا الدم الحاكم بالزرقة التي تفرزه عن دم الرعاع . وراجت الدعوى العنصرية بين الشعوب لأسباب تتذرع بالوطنية لتبرير الحروب التوسّعية والاستعمار الإمبريالي ، ولم تعرف البشرية دعاوى أكثر تطرّفاً من الأجناسية مثل الصهيونية والنازية ، وكلاهما فاشية تستند إلى القوة وبسط النفوذ ، غير أن الصهيونية أقدم تاريخياً وأخطر من الناحية السياسية حيث إنها تقوم على الاستعمار الاستيطاني وتتذرّع بذرائع لاهوتية تنسب للشعب اليهودي أنه شعب الله المختار ، وتمنع التزاوج بينه وبين غيره من الشعوب ، وإن كانت التوصيفات الجسمية بين يهود إسرائيل تناقض هذا الزعم بالاختلاف البيّن بين أشكال اليهود الشرقيين واليهود الغربيين . ولم يعرف تاريخ الدعوات العنصرية صراعاً كالذي دارَ بين الصهيونية والنازية بسبب طبيعتهما الشوفينية الواحدة . وتعتبر النازية السامية نقيضها المطلق ، وتقوم على الزعم بسيادة الجنس الآري وبأن اليهود أحطّ السلالات البشرية . غير أن من الأجناسيين من غير اليهود والألمان من يعتبر الزنوج بالذات أحطّ الأجناس ، وتقوم الأجناسية في الولايات المتحدة على هذا الزعم تبريراً للاسترقاق وخصوصاً في ولايات الجنوب لأسباب اقتصادية زراعية ، ودفاعاً عن الفروق الاجتماعية والسياسية بين البيض والسود الذين يشكلون نسبة عالية من سكان أمريكا . وتتذرّع العنصرية أحياناً بأسباب دينية بدعوى أن الله قد جعلَ العقل والتدبير من نصيب الإنسان الأبيض ، والعضلات والعمل من قسمة الإنسان الأسود . وذاعت في أمريكا نظريات صامويل كارترايت وماديسون جرانت ولوثروب ستودارد ، وأشاعت الذعر بين البيض بحجة أن هجرة الآسيويين والإفريقيين ستغرق العالم المتحضّر بهم ، وبحكم أن الجنس الأبيض قليل التناسل والأجناس الأخرى كثيرة التوالد ، وسينتهي العالم باندثار الحضارة الأوروبية الوشيك ، الأمر الذي سارع بالدول الأوروبية إلى إصدار تشريعات حظر هجرة الأجناس غير الأوروبية . ومن الغريب أن بعض المستشرقين يزعم أن القرآن يقوم على بعض المزاعم العنصرية للأمة الإسلامية بحكم أنها خير أمة أخرجت للناس ، وينسى هؤلاء أن النسبة في الإسلام للخير ولم يكن للدم أو للون ، ويرتبط بمعنى الخير ما ينفع الناس وتقوى الله . وعموماً فإن الدعوى العنصرية ترجع إلى حركة التنوير ومزاعم بولانفرير وبوفون ومونتسكيو ، التي طورها جوبينو وتشمبرلين ، غير أن جوبينو كان ولا شك مؤسّس العنصرية ، وعنه ذاعت ولاقت الرواج حتى باتَ كل كُتّاب فرنسا في القرن التاسع عشر يتمسحون بطريقة أو بأخرى بنسبة أنفسهم إلى أصول غالية أو رومانية أو أنجلو سكسونية أو تيوتونية .

أحمدية Ahmadiyat

حركة غنوصية محدثة ، تنتشر في باكستان والهند وإندونيسيا وإفريقيا الغربية وبعض بلاد أوروبا والأمريكيتين، وتنسب إلى مؤسسها ميرزا غلام أحمد قاديان (١٨٣٩ ـ ١٩٠٨) ويسمىٰ أحياناً القادياني نسبة إلى مسقط رأسه قاديان من أعمال البنجاب ، ويطلق على الحركة لذلك اسم القاديانية أيضاً .

وتقول الأحمدية أو القاديانية بالتجسيد ، وأن النبي والمسيح قد تجسدا في القادياني ، وأن المسيح لم يصلب ولم يرفع ، ولكنه مات في الظاهر ، وخرج من القبر ، وهاجرَ إلى الهند ، وقبره في سرىٰ نكر .

وأذاع القادياني تعاليمه في كتابه براهين أحمدية (١٨٨٠) ، وبعد مماته انقسمت الجماعة إلى فرقتين رحلت إحداهما إلى لاهور ، وبقيت الأخرى في قاديان ، وهي فرقة الأغلبية وتنتخب خليفة لها من بين أسرة القادياني وتلقبه بخليفة المسيح .

أخبارية .... **Akhbariya**

فرقة من الشيعة الإمامية يعتقدون ظاهر ما وردت به الأخبار المتشابهة ، وينقسمون إلىٰ مشبهة يجرون المتشابهات على أن المراد بها ظواهرها ، وسلفية يعتقدون أن ما أرادَ الله بها حق بلا شبهة كما عليه السلف .

أخلاق .... **Ethics**

تعبر عنها في اللغات الأوروبية الكلمتان **Ethics** و **Morals** ، وتشتقّان من Ethica و Mores اللاتينيتين ، وكلاهما ينحدر من أصول يونانية ، ونعبر عن الأولى في العربية بالأخلاق جمع خلق ، وقد نعبر عن الثانية بالآداب ، كما نقول مثلاً الآداب المرعية في مجتمع ما ، ومفردها أدب . والأخلاق هي علم قواعد السلوك ، ومن ثمَّ كان قيام هذا العلم تالٍ على تشكيل قواعد السلوك ، وكان تقسيم البعض للأخلاق إلى نظرية وعملية ، والأولى علم معياري ، والثانية هي تطبيقاته التي تسمَّىٰ آداب السلوك . وتتفرع عن الأولى مذاهب ونظريات منها الوضعي والروحي ، والتطوري واللاهوتي ، والرواقي والأبيقوري ، والمادي والمثالي ، غير أنها جميعاً تلتقي في نتائجها العملية ، أي في الآداب السلوكية التي تنتهي إليها . بيد أن كل النظريات الأخلاقية مهما تنوّعت واختلفت فإنها تستمد صدقها في آخر الأمر من التجربة الأخلاقية ، وهي واقعة مباشرة تعيش المبادىء الخلقية ، وتتميز فيها التجربة اليومية العادية عن التجربة الوجدانية ، والتجربة الفردية عن التجربة الجماعية .

وتتميز **أخلاق الشكل أو الصورة Formal Ethics** عن أخلاق الموضوع Objective Ethics ، والأولى مجالها القيم الأخلاقية للأفعال والأشخاص ، بينما تربط الثانية قيمة الفعل أو الشخص بنتائجه العملية ، ولذلك يسميها كنط **أخلاق نجاح Ethics of Success** ، ويعرّف كنط الأخلاق الصورية بأنها الأخلاق التي تسترشد بقواعد الأخلاق التي يعرفها العقل العملي ، وهي قواعد صورية أو شكلية .

وفي مقابل أخلاق كنط الصورية قامت أخلاق الموضوع بدعوى أنه لا يمكن أن توجد أخلاق بدون موضوع . وتميّزت في أخلاق الموضوع عدة نزعات ، أولها نزعة أصحاب فلسفة القيم وعلى رأسهم ماكس شيلر ، ويرى أن القيم مثل عليا وانفعالات من الإنسان نحو غايات يصنعها بحرية ، وعرّف القيمة بأنها ما يجب فعله . وثانيها نزعة أصحاب الأخلاق الوضعية ، وهؤلاء تتوزعهم علوم البيولوجيا والنفس والاجتماع ، ويرى البيولوجيون ، وعلى رأسهم سبنسر ، أن الأخلاق يجب أن تحترم دورة حياة الإنسان الفسيولوجية ، وأن تقرّر المفيد للإنسان علمياً وتبتعد عن الأحلام والتهاويل . ويذهب الاجتماعيون ، وعلى رأسهم دوركايم ، إلى أن الأخلاق وقائع اجتماعية يمكن ملاحظتها ووصفها كالوقائع الفيزيائية ، وبذلك يمكن إقامة علم أخلاقي يسميه بريل **علم الأعراف Science of Mores** . ويرى النفسانيون أن الأخلاق أفعال منعكسة شرطية تكوّنت بفعل التربية ، وأن الإلزامات الخارجية منشؤها الضغوط الوراثية والوالدية التي تشكل ما يسمىٰ بالأنا الأعلى ، ودوره الأساسي قمع الدوافع الغريزية ، ويمثل الماضي أو الأخلاق المغلقة ، بينما يمثل الأنا الصيرورة أو الأخلاق المفتوحة .

ولا توجد القيم الأخلاقية مستقلة فلا بد لها من حوامل ، لكن إدراكها لا يتوقف على وجود الحوامل ، وفي الإمكان أن نتحدّث عن عالم من القيم كما تحدث أفلاطون عن عالم من المثل ، فالإنسان يدرك القيم الأخلاقية بنوع من الرؤية الباطنة ، كما في إدراكه للمعاني الكلية ، وهو ما يفسر إدراكها من قبل الطفل والبالغ والجاهل والمثقف . وتتضارب آراء الفلاسفة في نشأتها ، فمنهم من يرجعها إلى مصادر خارج الإنسان ، إلـهية أو اجتماعية ، ومنهم من يقصرها على الإنسان دون سواه ، فالإلـهيون أو اللاهوتيون يقولون **بالأخلاق اللاهوتية Theological Ethics** ، وينسبونها إلى مصدر واحد هو الله ، ومن هؤلاء نفر يقررون أن مصدر القيم

هو الإنسان ، ولكنه لا يدركها إلاَّ بتأثير علاقته الروحية بالله ، وأن الله قد جعلَ الخير والشر في طبائع الأشياء ليدركها العقل ، فما يراه فيها العقل من خير أو شر هو ما فطرها الله عليه ، وعلى رأس هؤلاء كيركجورد .

أما الذين يردون القيم الأخلاقية إلى المجتمع فحجتهم أنها قيم ذات مكانة عالية بين مختلف الرغبات ، وأن ما يحركها من عواطف لا بد أن يكون من جنسها ، والعواطف التي يمكن أن يتوافر فيها ذلك هي العواطف الاجتماعية ، فهي صدى صوت الجماعة في نفوسنا ، وتخاطب ضمائرنا بلهجة تختلف عن اللهجة التي تخاطبنا بها العواطف الفردية .

ويغلب على الفلاسفة القول بأن الإنسان هو واضع القيم الأخلاقية ، وعلى رأس هؤلاء نيتشه ، وكان يرى أن الفعل الأخلاقي لا يصدر إلاَّ ممَّن في استطاعته إتيانه ، لأنه فعل مسؤول وصادر عن إرادة حرة ، ومن ثمَّ فأصحاب القيم الأخلاقية هم الأقوياء الأعلون بنفوسهم . أما العبيد ، وهم المستضعفون ، فهؤلاء لهم أخلاق العبيد ، وهي أخلاق تجعل من الاتضاع والزهد والمسكنة والتضحية فضائل .

ولقد انقسم الفلاسفة بشأن وجود القيم إلى فريقين ، **فريق الواقعيين Ethical Realism** الذين يقررون أن للقيم موضوعية ووجوداً مادياً كوجود الكليات ، **وفريق الذاتيين Ethical Subjectivism** الذين ينكرون أن يكون للقيم أي وجود موضوعي ولا ينسبون إليها إلاَّ وجوداً ذاتياً ، أي في النفس . وكان أفلاطون من أنصار الفريق الأول حيث جعل للمثل عالماً بذاته على رأسه الخير ، وهذه المثل ليست تصورات ذهنية ، أي موجودة في الذهن ، ولكنها موجودات حقيقية وإن اختلف وجودها عن الوجود المادي للأشياء ، ومن أنصاره في العصر الحديث نيقولاي هارتمن ، ويجعل لها وجوداً ندركه إدراكاً وجدانياً مباشراً بالحدس ، إلاَّ أنه وجود ذاتي مثالي ، غير أن القيم الأخلاقية ، ترتبط بالذوات التي تحملها ، حيث أن قيم الأشياء ترتبط بالأشياء ، إلاَّ أن السلوك الأخلاقي لا يرتبط إلاَّ بالأشخاص ، لأنه لا يقدر عليه إلاَّ الذات التي لها إرادة وتفعل في حرية وتترسم غايات ومقاصد . ولا ينبغي أن نفهم أن هارتمن يقول بقيم نسبية ، فالشجاعة عنده لا تتوقف على الشجاع ، بل إن الشجاع قد صارَ شجاعاً لأنه قد امتلأ بالشجاعة ، ولذلك فإن هارتمن من القائلين **بالوجود المادي Material Essence** للقيم الأخلاقية .

ومن جهة مبادىء الحياة الأخلاقية ينقسم الأخلاقيون إلى مذاهب شتَّى ، أهمّها **المذهب العقلي في الأخلاق Ethical Rationalism** ، كما هو عند سبينوزا وكنط مثلاً ، وهؤلاء يستندون إلى العقل في تقرير الخير وقواعد السلوك ؛ **والمذهب الطبيعي في الأخلاق Ethical Naturalism** ويحدد أصحابه معنى الخير بمفهوم طبيعي ، فهو كل ما يؤدّي إلى لذة (أبيقور وبنتام) أو إلى منفعة الناس (مل) ؛ **ومذهب العاطفة في الأخلاق Ethics of Sympathy** (آدم شميث وشوبنهاور) ويمجّد أصحابه العاطفة سواء على صورتها الحيوية أو على صورة التعاطف والمحبة ، ويجعلون أساس الأخلاق ما نستحسنه أو نميل إليه ؛ **ومذهب الإرادية الأخلاقية Ethical Voluntarism** (نيتشه) ويصف القائلون به الخير بأنه كل ما يعلي في الإنسان شعوره بالقوة وإرادة القوة ، والشر بأنه كل ما يصدر عن ضعف ، والحياة بأنها نمو وزيادة في الاقتناء ومن ثمَّ فهي إرادة وقوة . (انظر **المقالات الخاصة بأخلاق الاستحسان ، والأخلاق اللاهوتية ، والنسبية الأخلاقية ، والنزعة الموضوعانية الأخلاقية ، والمذهب الطبيعي الأخلاقي ، والإلزام الخلقي ، والمنطقية الأخلاقية ، والضمير ، والواجب ، والمسؤولية ، والفضيلة**) .

أخلاق الاستحسان .. Ethics of Approbation

مجموعة من النظريات المثالية في الأخلاق ، تقوم على فكرة أن الصواب هو ما يستحسنه المجتمع أو الدين أو الضمير . ويصف ليفي بريل الضمير الفردي

والاجتماعي بأنه مجموعة من العادات والأعراف التي تستحسنها المجتمعات خلال عملية تطوّرها التاريخي ، ومن ثمَّ يسميها وقائع اجتماعية ، ويبني عليها علماً يسميه **علم الأعراف Science of Mores** أو علم الأيين . وتدور النظريات الدينية في الأخلاق عند بارت ونايبور وغيرهما على فكرة أن الله أعلم بصالح عباده ، ومن ثمَّ فإن ما يأمر به الله كان واجب الفعل لأن مصدره الله ، ثم لأنه في صالح البشر . غير أن النوع الثالث من نظريات الاستحسان يجعل الإنسان نفسه هو مصدر الإلزام الخلقي ، وليس المجتمع أو الدين ، ويفسر الأخلاق بمجموعة من الأفكار تسمَّىٰ **نظريات الحس الخلقي Moral Sense Theories** تقول بوجود حس أو إحساس خلقي في الإنسان تسعده الأفعال التي تتوجه إلى الخير العام ، ويصرفنا عن متابعة اللذة إلى ممارسة الواجب الاجتماعي . وفسَّر شافتسبري بهذا الحس الأخلاقي إعجابنا بالتضحية بذواتنا دون طمع من مكافأة أو خوف من عقاب . وأطلق جوزيف بتلر (١٦٩٢ ـ ١٧٥٢) على هذا الحس الأخلاقي اسم **الضمير** ، وهو هنا ضمير فردي وليس ضميراً اجتماعياً ، ووصفه بأنه **حدس الواجب Intuition of Duty** ، وجعله المصدر السيكولوجي للأخلاق . ورد آدم سميث (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠) الأخلاق في التحليل النهائي إلى مصدر واحد هو التعاطف مع الناس ، ومن ثمَّ أطلق على هذا الضرب من الأخلاق اسم **أخلاق التعاطف Ethics of Sympathy** . وطورها ديفيد هيوم (١٧١١ ـ ١٧٧٦) إلى أخلاق الاستحسان ، حيث قال بوجود عاطفة استحسان Sentiment of Approbation ووصف الصواب بأنه ما نستحسنه وما يعطينا اللذة العاجلة أو ما يؤدّي إلى لذة آجلة ، ووصف الفضائل بأنها ما يجعل الإنسان مقبولاً أو مفيداً لنفسه وللآخرين . وكان آدم سميث يشترط أن لا يترك لكل شخص على حدة أمر البت فيما يجوز وما لا يجوز وإلَّا كان ما نستحسنه مسألة شخصية ، وعلى ذلك افترضَ شخصية مثالية كان يتمنَّى لو توجد ، ونسب إليها ما يمكن أن يحظىٰ باستحسان الجميع ، وقامت على هذه الشخصية المفترضة مجموعة من الأفكار سميت **بنظريات المراقب المثالي Ideal Observer Theories** في الأخلاق . وبالرغم من أن جميع هذه النظريات تحاول أن تنسب الأخلاق إلى مصدر موضوعي ، إلَّا أنها تظل مع ذلك ذاتية الطابع ، وإن كانت لا تعد من نظريات **النزعة الذاتية الخالصة في الأخلاق Ethical Subjectivism** .

أخلاق لاهوتية ..... Theological Ethics

الأخلاق الدينية مما تدعو إليه الديانات الكتابية ، اليهودية والمسيحية والإسلام ، وهي أخلاق عملية غايتها صلاح الفرد في الدنيا وما يترتَّب على ذلك من ثواب يناله في الدنيا والآخرة ، غير أن الإسلام يستهدف بما يدعو إليه من أخلاق الفرد والمجتمع معاً ويوصف لذلك دون الديانتين الأخريين بأنه دين ودولة .

والصواب أو الخير الأخلاقي في الأخلاق الدينية مردُّه ومصدره الله ، وهو ما يتَّفق مع الشريعة كما يفسّرها السلف الصالح . أما الشر فمصدره الإنسان نفسه ، بنزعاته الأنانية وشهواته التي تتمكن منه بانشغال العقل عن الله ، والتي تذكيها عوامل لاإرادية تلعب دوراً كبيراً في صرف الإنسان عن الخلق القويم وتتمثل في إبليس . والإنسان مفطور على الخير ، ولكن اهتماماته الدنيوية تصرف ذهنه عن أصله السماوي فيتمكن منه الشر ، والإيمان هو الذي يعيده إلى صفاء الفطرة ، والشريعة هي المرجع الأخير في تقويم الأفعال . وتلعب فكرة الصواب والعقاب في الآخرة دوراً هاماً في تأصيل الأخلاق الدينية ، وينبع الالتزام الأخلاقي في الأخلاق الدينية من كونها أوامر صادرة من الله حتى لو كانت ضد ما يقضي به العقل والعرف ، مثل الأمر الذي صدر إلى النبيّ إبراهيم بذبح ابنه اسماعيل . ويتجلَّى الإيمان في الطاعة لله ، ولكن الله مع ذلك لم يجعل أوامره تناقض مقتضيات العقل وفدي إسماعيل بكبش ، وهو ما يجعل من ثم الأخلاق الدينية ، في رأي البعض ، قواعد

صحيحة عقلياً ، ولذلك فقد أمرَ بها الله . وذهبَ المعتزلة إلى مثل ذلك فقرروا أن الله ما جعل هذا شراً وذاكَ خيراً إلاَّ لأسباب ذاتية في الأفعال والأشياء نفسها . وقرر الأكويني وسكوتس أن الله لا يمكن أن يريد شيئاً لا يتفق مع الطبائع التي صاغها عليها .

اخناتون Akhnaton

(نحو ١٣٨٢ ـ ١٣٥٢ ق . م) أول من قال بالتوحيد في العالم وجعله بشارة لكل الأمم ، ودعا الناس إلى عبادة الله (أتون) الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء ، والذي لا شريك له ، فاطر السموات والأرض ، وخالق الناس ، ومدبّر الكون ، ومصوّر الأسماك في الأنهار ، وكل ما يحلّق بجناحيه في السماء ، واهب الحياة .

وكان اسم إخناتون ، قبل أن يدعو دعوته امنحوتب ، أي الإلـه آمون راض ، فغيّره إلى إخناتون ، أي خادم آتون ، أو كما نقول حالياً عبد الله . ونشأ في هليوبوليس مصر العليا (أرمنت الآن) وتعلم في مدرستها اللاهوتية ، ولكنه في الثالثة والعشرين اعترفَ لوزيره رعمس أن الله قد اختصّه رسولاً إلى البشر ، ورمز لإلـهه بقرص الشمس وقد امتدَّت منه عشر أيدٍ تقبض على العالم بعلامتيّ الحياة والصحة . ولم يكن إلـهه الشمس ذاتها ، ولكنه خالق الشمس باعتبارها أكبر دليل على وجود الله وقدرته ، فإذا كانت الشمس هي علة الحياة فالقوة التي فطرتها هي العلة الأولى الأحق بالعبادة من كل الآلهة المصنوعة . وحرَّم عبادة الأوثان وصياغة التماثيل لله . وحاولَ بعض المؤرّخين اليهود أن ينسبوا ديانته إلى اليهودية وتأثيرها في الفكر المصري حيث كان بلاطه يعجّ بالآسيويين والأفكار الجديدة ، استناداً إلى دعوته التي تقوم على « **الحقيقة الصدق العدالة** » والتي لم يكن لها مثيل في الفكر المصري ، والتشابه بين أناشيده لإلـهه ومزامير داود (الفقرات من ٢٠ إلى ٣٠ من المزمور رقم ١٠٤ من التوراة) إلاَّ أن المؤرّخ الكبير بريستيد ، وتوينبي وغيرهما ، دلَّل بما لا يدع مجالاً للشك على أن النشيد هو أصل المزمور وليس العكس ، كما أثبت المفكّرون اليهود أنفسهم (انظر كتاب فرويد موسىٰ والتوحيد) أن الآتونية أو الإخناتونية هي أصل اليهودية ، وأن الإلـه أتون هو الإله أدوناي اليهودي ، وأن موسىٰ كان أحد دعاة إخناتون ، وأنه بعد ثورة كهنة الأصنام وتدميرهم لمدينة إخناتون وقتلهم الملك ، وكان موسىٰ واليه على الإقليم الشرقي (محافظة الشرقية الآن) حيث كان تجمّع اليهود في مصر ، خافَ موسىٰ فخرجَ باليهود الذين لبّوا دعوته ، وأن اليهودية لم تتطوّر تطورها الثاني إلاَّ بعد اتصالها بالكنعانيين، ومن ثمَّ صارَ اسم إلـههم يهوا الذي كان هو نفسه اسم إلـه القبائل التي تسكن جنوبي فلسطين في مكان اسمه مرية قادش .

أخنسية Akhnasiya

فرقة من الخوارج الثعالبة ، أصحاب أخنس بن قيس ، هم كالثعالبة في الأحكام ، إلاَّ أنهم امتازوا عنهم بأن توقفوا فيمن هو في دار البعثة من أهل القبلة ، فلم يحكموا عليه بإيمان ولا كفر إلاَّ من علم حاله من إيمانه وكفره ، وحرّموا الاغتيال بالقتل لمخالفيهم ، والسرقة من أموالهم ، ونقلَ عنهم تزويج المسلمات من مشركي قومهم .

إخوان الصفا Brethren of Purity

جماعة من الفلاسفة الشعبيين ، جمعَ بينهم الود والوفاء كما يفهم من اسمهم « **إخوان الصفاء وخلّان الوفاء** » ، دوّنوا إحدى وخمسين رسالة في الفلسفة « **رسائل إخوان الصفاء** » ، كانت موسوعة فلسفية شملت الرياضيات ، والمنطق والطبيعيات والنفس والأخلاق والدين ، ينشرون بها آراءهم ، ويبدو فيها تأثرهم بالأفلاطونية المحدثة والفيثاغورية والغنوصية ، ويبغون منها أن تكون محاولة لتشكيل نظرة شاملة أو دين عالمي يتجاوز كل الأديان ، يصل الإنسان كغيره من الأديان بالحقيقة الكلية . وفلسفتهم باطنية ، وهناك من

الدلائل ما يثبت أنهم من الشيعة ، وأنهم ارتبطوا بطائفة الإسماعيلية ، ولعلَّ هذا هو سبب تغلغل الفلسفة الإغريقية في أفكار الإسماعيلية . وتتألف الجماعة من أربع طبقات ، الأولى طبقة الشباب من ١٥ إلى ٣٠ يُناط بهم الطاعة ، والثانية طبقة الرجال من ٣٠ إلى ٤٠ يتعلمون علوم الدنيا وحكمتها ، والثالثة طبقة الشيوخ من ٤٠ إلى ٥٠ في مرتبة كمرتبة الأنبياء يعرفون الناموس الإلهي ، فإن تجاوز الرجل الخمسين فقد صارَ في منزلة الملائكة المقربين يشهد حقائق الأشياء . وتناسب الفروض والعبادات عقلية الناس في الطبقتين الأولى والثانية ، ولم يكن تشريعها إلاَّ لتهذيب نفوسهم ، لكن الرجال من الطبقتين الثالثة والرابعة لا يطهر نفوسهم إلاَّ التأمل الفلسفي ، وهو الذي يقود بهم إلى معرفة الله والاتصال به . ولم يعرف مؤسِّس الجماعة ، وربما كان لعبد الله بن ميمون القداح يد في تأسيسها ، بل ولم يعرف من أعضائها إلاَّ القليلون بسبب أنها مذهب باطني وتعاليمها وكل شيء عنها سري ، وأشهر هؤلاء القليلون أبو سليمان المقدسي وأبو الحسن الزنجاني ومحمد النهرجوري ، وقيل إن أبا العلاء المعرِّي كان من أعضائها .

أدلر Adler

(١٨٧٠ ـ ١٩٣٧) ألفريد أدلر ، مؤسس **علم النفس الفردي Individual Psychology** ، يهودي مجري ، ولد في فيينا وتعلَّم بها الطب ، وتحوَّل إلى علم النفس وانضمَّ إلى فرويد ثم انشقَّ عليه ، وافتتح عدداً من مراكز التوجيه النفسي للأطفال والكبار ، وغادرَ النمسا عقب تولي النازي الحكم في ألمانيا ، وكان أهم كتبه « **النقص العضوي وتعويضه النفسي** » (١٩٠٧) و « **الجبلة العصابية** » (١٩١٢) و « **التطبيق والنظرية في علم النفس الفردي** » (١٩٢٠) ، وتدور نظرياته حول تأثير العاهات والنقص في التركيب الجسمي ودور الوراثة والبيئة في تكوين الشخصية وتوجيه الميول وتشكيل أسلوب الحياة ، والتعويض المغالىٰ فيه الذي تلجأ إليه الشخصية المعاقة (كدور الصمم في تكوين شخصية بيتهوفن) . وقال بوجود **دافع للعدوان Aggression Drive** (للتغلب على معوقات وضغوط البيئة) **وحاجة للحب for Affection Need** . ووصف **الشعور بالنقص Inferiority Feeling** الذي يتّسم به كل الأطفال تقريباً ، واستجابتهم له **بالعمل على التفوّق Striving for Superiority** والسعي **نحو هدف متخيل Fictive Goal** يثبت به الطفل امتلاكه للقوة الرجولية وقدرته على السيطرة ، ويواصله بخطة في الحياة أو **تصور لها يوجهه في حياته Guiding Fiction** ويتفاعل مع **الصورة المضادة Antifiction** التي عليها مطالب المجتمع بتعديل أهدافه وأسلوب حياته . وأطلق أدلر على الشعور بالنقص **عقدة النقص Inferiority Complex** والشعور بالتفوّق **عقدة التفوّق Superiority Complex** ، وقال : إن الشخصية السوية تتفاعل مع الواقع بالتكيّف مع متطلّباته ، ويكون تكيّف العصابي بالتواضع والتذلّل والتخنّث ، بينما يحاول الذهاني إعادة تشكيل البيئة لتنسجم مع تصوّره الشخصي لما ينبغي أن يكون عليه الواقع .

إدنجتون Edington

(١٨٨٢ ـ ١٩٤٤) آرثر ستانلي إدنجتون ، بريطاني ، تعلَّم في مانشيستر وكيمبردج ، وعيّن أستاذاً للفلك بكيمبردج ، وكان من أبرز منظري عصره ، وكتابه « **النظرية الرياضية في النسبية** » (١٩٢٣) إسهام حقيقي في نظرية النسبية ، وكتابه « **التركيب الداخلي للنجوم** » (١٩٢٦) يمهّد للثورة الحديثة في نظرية تطوّر النجوم ، وكانت أهم مؤلفاته الفلسفية « **طبيعية العالم الفيزيائي** » (١٩٢٨) و « **مسالك جديدة في العلم** » (١٩٣٥) و « **فلسفة العلم الفيزيائي** » (١٩٣٩) ، وهو يقسم العالم إلى عالم قابل للقياس لا مكان فيه للفردي والعيني وهو العالم الفيزيائي ، وعالم غير قابل للقياس هو عالم الوعي ، وهو الأساس لعالم الفيزياء . ويسمي نظريته في المعرفة بإسمين « **النظرية الذاتية**

الانتقائية Selective Subjectivism » و « النظرية التركيبية Structuralism » حيث ينتقي جهازنا الحسي من الواقع الموضوعي ما في وسعنا ملاحظته ، وما يمكن أن يكون مادة لمعرفتنا الفيزيائية . ومعرفة الوعي بمحتوياته (المعطيات الحسية) معرفة مباشرة ، وهي محتويات لا يمكن أن تشبه عناصر العالم الموضوعي بأي شكل كما ذكرنا . ويعمل العقل على تنظيم الطبيعة الفيزيائية في نمط يتّفق مع طبيعة العقل نفسه ، وبذلك تكون الكشوف التي نرتادها هي التي تفرضها علينا عملياتنا الحسّية والفكرية والقياسية . ويقول إدنجتون إن العقل يتكون من مادة نزعت عنها ماديتها ويسميها **المادة الذهنية Mind - Stuff وهي غير مادية لأنها لا تقاس ولا توزن ولا تُعد . ويتكون وعينا من المادة الذهنية ، وإذن لا شك أن العالم الموضوعي يتألّف كذلك من المادة الذهنية ، ومن ثمَّ يتداعى القول بأنه عالم مادي .**

إدواردز .... Edwards

(١٧٠٣ - ١٧٥٨) جوناثان إدواردز ، أمريكي ، مزج الدين بالفلسفة ، وانحدرَ من أسرة من القساوسة ، وتأثّر بالأفلاطونية وخاصة أفلاطونية كيمبردج ، وحاول أن يدخل من أفلاطونية المسيحية عناصر من تجريبية لوك ونيوتن وهتشسون ، ومن مثالية بيركلي ، ودون تأمّلاته في كتاب ضخم بعنوان « **أحكام متنوعة Miscel-laneous Observations** » من تسعة مجلدات ، اشتهرت منه ثلاث رسائل « **العواطف الدينية** » (١٧٤٦) تدور حول الحب كأساس للعلاقات الإنسانية والدينية و « **حرية الإرادة** » (١٧٥٤) يتحدث فيها عن حرية مقدورة أو مرسومة للإنسان حيث تتحرك الإرادة بدوافع وعلل خلفية أكثر منها بعلل مادية ، و « **طبيعة الفضيلة الحقة** » (١٧٦٥) يصف فيها الفضيلة بأنها جمال أو تفوق روحي ، والفعل الفاضل بأنه الفعل الصادر عن الطبيعة الفاضلة بصرف النظر عن فائدته لصاحبه أو للناس .

إرازموس Erasmus

(١٤٦٦ - ١٥٣٦) ديسيديريوس إرازموس ، هولندي ، وُلد في روتردام ، وتعلّم بباريس وتورين ، وهو من أصحاب النزعة الإنسانية ، ولعلّه أبرز ممثليها في عصر النهضة ، وبتأثيره زادَ الاهتمام باللغات الإغريقية واللاتينية والعبرية في المدارس ، وكان كثير السخرية من الإسكولائية ، ولعبَ دوراً رئيسياً في خلق الروح النقدية التي مهّدت لحركة التنوير .

أرستبوس القورينائي .. Aristippus of Cyrene

(نحو ٤٣٥ - ٣٦٦ ق . م .) من السقراطيين الصغار Minor Socratics ، ومؤسّس المدرسة القورينائية Cyrenaic School في اللذة Hedonism ، ولد في قورينا ، ثم رحل إلى أثينا وصارَ من تلاميذ سقراط ، وبعد وفاته رحل إلى بلاط ديونيسيوس في سراقوصة وإلى أماكن أخرى ، وكان يتقاضىٰ أجوراً عالية على تعليمه ، واهتمَّ مثل سقراط بالأخلاق العملية ، وكان يقول إن غايتها الاستمتاع باللذة الحاضرة ، ويقيّدها بضبط النفس الذي لا يرقىٰ إلى إنكار الذات ، لكنه ضبطَ اللذة المعقول بحيث لا تستعبدك اللذة ، وله في ذلك مثل مشهور عن خليلته « **إني أمتلك لايس Lais** (اسمها) **وليست هي التي تمتلكني** » . ما دامت كل الأفعال سواء إلَّا فيما تعود به من لذة فورية ، فإن الحياة تقتضي أن نتكيّف مع مختلف الظروف ، وأن نتقن استخدام الناس والمواقف ، والنتيجة شخصية أرستبوس نفسها التي قيلَ إنه كان يتحكّم في نفسه كيفما شاء ، فكان ربز أقرانه في اللهو والاستمتاع ، وكان يقنع بأبسط الأشياء وأقلّها لو أراد ، وهو يختار ما يناسبه في كل حالة ، وما تمليه الظروف .

أرسطو .... Aristotle

(نحو ٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) أرسطو بن نيقوماخوس ، طبيب أمينتاس الثاني ملك مقدونيا ، ولد ببلدة سطاغيرا شمالي اليونان ، وتوفي أبوه وهو حدث ،

وفي السابعة عشرة رحل إلى أثينا تلميذاً بأكاديمية أفلاطون (نحو ٣٦٧ ق . م) ولفت إليه نظر أستاذه فلقبه « العقل » لشدة ذكائه ، و« القراء » لسعة اطّلاعه ، وقضىٰ بالأكاديمية نحو عشرين سنة حتى وفاة أستاذه ، ولم يعجبه ، فيما يبدو ، أن تؤول الأكاديمية إلى سبيوسيبوس ابن أخي أفلاطون ، ولم يكن فيلسوفاً موهوباً ، فترك أثينا إلى أسوس في آسيا الصغرىٰ ، وانضمَّ إلى جماعة من تلاميذ أفلاطون ، وتزوج وقضىٰ بها ثلاث سنوات ، ثم رحل إلى ميتيلينا في ليسبوس ، وإلى هذه الفترة تعود معظم بحوثه في الحيوان ، وفي نحو ٣٤٢ ق. م . دعاه فيليب ملك، مقدونيا مربياً لإبنه الإسكندر الأكبر ، وشغل هذا المنصب نحو ثلاث سنوات ، وكان الاسكندر في الثالثة عشرة ، وقضىٰ أرسطو الخمس سنوات التالية في مسقط رأسه سطاغيرا ، وفي نحو ٣٣٥ ق . م عاد إلى أثينا ، وبمساعدة صديقه وتلميذه ثيوفراسطوس أنشأ مدرسته الشهيرة في منطقة الملعب الرياضي الذي يسمَّىٰ اللوقيون Lyceum ، ولذا سميت باسمه ، وكان ترخيص المدرسة والمنزل الذي شغلته باسم ثيوفراسطوس ، فقد كان محظوراً على الأجانب استصدار تراخيص العمل أو امتلاك العقارات باسمهم ، وكان بالمنزل ممشىً ظليل Peripatos يؤثره أرسطو ويغشاه كثيراً ويلقي دروسه على طلبته وهو يقطعه جيئة وذهاباً ، واشتهرَ ذلك عنه حتى سميت المدرسة باسم مدرسة المشائين Peripatetic School . ويسمى أرسطو وأتباعه المشاؤون Peripatetics ، وربما يرجع الاسم إلى طريقة التدريس خلال المشي ، وهي الطريقة التي ابتدعها بروتاغوراس وقلَّده فيها أرسطو فيما يقال . وقضىٰ في التدريس اثنتي عشرة سنة حتى توفي الإسكندر المقدوني فنشط الحزب الأثيني الوطني بزعامة ديموستين ، وكان حزباً معادياً للمقدونيين ، وأخذ يلاحق الأجانب ومنهم أرسطو ، ولم يكن أرسطو من المشتغلين بالسياسة ، ولم يكن من أشياع المقدونيين ، لكنه كان يوماً معلم الإسكندر ، ومن ثمَّ لفقوا له تهمة الإلحاد الشهيرة ، وبسرعة عهد أرسطو بالمدرسة إلى ثيوفراسطوس ، وغادر أثينا وهو يقول متهكّماً « لا داعي لأن أهيِّىء للأثينيين فرصة أخرى للإجرام ضد الفلسفة » ، مشيراً إلى إعدامهم لسقراط ، واتَّجه إلى خلقيس في جزيرة أوبا ، وتوفي بها في السنة التالية عن اثنتين وستين سنة ، تاركاً ثروة فلسفية ضخمة ، ضاعت منها مؤلّفات الشباب ولم يتبقَّ غير الأسماء وبعض المقتبسات ، ويبدو أنها كانت أفلاطونية في شكل محاورات . وبقيت معظم مؤلّفات الكهولة وليس فيها أثر للحوار ، صاغها في قالب تعليمي وقصد بها أصحاب الدراسات الجادة ، ولم يجر تداولها في العصور القديمة إلَّا على نطاق ضيق ، إلى أن توفَّر على نشرها أندرونيقوس الروديسي مدير اللوقيون الحادي عشر . وينبغي التنويه إلى أنها ليست كتباً دوّنت وروجعت ثم دفعت إلى الناشر ، لكنها مذكرات ومحاضرات كان أرسطو يمليها وطلبته يدونونها ، وفي كل مرة يراجعها وقد يعدل فيها أو يضيف عليها ، وقد تجيء غير متصلة ، ولم يحدث أن نالت أي منها صياغة نهائية . ويبدو أنها تهرأت وفعلت بها الرطوبة فعلها ، وأكلت العثة بعض أجزائها ، ومن ثمَّ فقد تعهّدها أندرونيقوس حتى أخرجها بالصورة التي آلت إلينا . ولعلَّ هذا يفسر افتقارها دائماً للشروح .

ويتجه بعض الباحثين إلى تقسيم التطوّر الروحي لأرسطو إلى مراحل ثلاث ، الأولى ما قبل ٣٤٧ ق. م ، وكان فيها ممتلئاً حماساً ويميل إلى الجزم ويدافع بحرارة عن الأفلاطونية ويؤمن بنظرية المثل ونظرية أفلاطون من الروح ويكتب على طريقته ، وإلى هذه الفترة ترجع مؤلفات الشباب التي اتَّجه بها إلى الجماهير وصاغها في شكل حواري . والمرحلة الثانية من ٣٤٧ إلى ٣٣٥ ق. م وانقلب فيها على أفلاطون وانتقده بشدة وخاصة نظريته في المثل ، وفيها كتب مؤلفة « في الفلسفة » ، والمرحلة الثالثة بعد ٣٣٥ ق. م واتَّجه فيها إلى البحث العلمي التجريبي ، ونفض عن نفسه كل غبار الفكر الأفلاطوني الميتافيزيقي ، ومن ثمَّ لا ينبغي البحث عن

نسق متكامل عند البحث في أرسطو . والأرسطية لا تقوم بنتائجها أو تعاليمها ، وإنَّما القيمة الكبرى لها في منهجها التحليلي . وقد يكون من المناسب أن نبدأ بوصف طريقة أرسطو في تصنيف بحوثه كمدخل لاستعراض فلسفته .

وتنقسم المعرفة عند أرسطو إلى نظرية وعملية وشاعرية أو بالأحرى إنتاجية ، ثم هو يقسم المعرفة النظرية إلى علوم الفلسفة والطبيعة والرياضيات ، ويقسم المعرفة العملية إلى الأخلاق والسياسة وعدد من الأنشطة الأخرى . وهو يسوق عدداً من الأسباب لتقسيماته تلك ويذكر أنها تقسيمات بحسب الأعراض التي تبحث فيها ، فالمعرفة التي هي غاية نفسها نظرية ، والمعرفة التي تتناول الأفعال عملية ، والمعرفة التي مناطها صناعة أو إنتاج شيء إنتاجية ، ثم هو يربط التقسيمات الفرعية للمعرفة النظرية بالتمايز بين موضوعات دراساتها ، فعلم الطبيعة يدرس ما يمكن أن يكون له وجود مفارق ولكنه عرضة للتغير ، والرياضيات تدرس ما لا يمكن أن يكون له وجود مفارق ولا يصيبه التغير ، والفلسفة الأولى أو الميتافيزيقا تدرس ما يتصف بأنه موجود على نحو مفارق وبأنه لا يتغير . ولم يدرج أرسطو المنطق ضمن تصنيفاته للعلوم واعتبره وسيلة أو أداة Organon الدراسة العلمية ، وانعكس اسم أورغانون على مؤلَّفاته المنطقية ولكنه هو نفسه كان يسمي المنطق علم التحليل المنطقي Analytics ، ولم يستخدم اصطلاح المنطق Logic لأول مرة بمعناه الحديث إلَّا الكسندر الأفروديسي سنة ٢٠٠ م فيما يقال ، ولكننا نعثر على هذا الاصطلاح عند أرسطو في مواضع ومعانٍ محددة ، وتدل بعض الشواهد على أنه كان قد بدأ في التداول بعد وفاة أرسطو مباشرة كمرادف لعلم التحليل المنطقي أو للديالكتيك ، ولذلك فربما كان الرواقيون أول من أعطاه استخدامه الحديث . وكتبه المسماة بالأورغانون ستة تعرف عند الفلاسفة الإسلاميين بالأسماء التالية : قاطيغورياس ، وباري أرمنياس ، وأنالوطيقا الأولى ، وأنالوطيقا الثانية ، وطوبيقا ، وسوفسطيقا ، واشتهرت بالترجمات الآتية : المقولات ، والعبارة ، والتحليلات الأولى ، والتحليلات الثانية ، والجدل أو المواضيع ، والأغاليط .

والمقولات عشر هي الجوهر مثل رجل ، والكمية مثل ثلاثة أشبار ، والكيفية مثل أبيض ، والإضافة مثل نصف ، والمكان مثل السوق ، والزمان مثل أمس ، والوضع مثل جالس ، والحال مثل شاكي السلاح ، والفعالية أو المنفعلية .

والمقولات تعني الأمور المضافة أو المقولة ، أي المحمولات . والجواهر المحمولات التي يقصد إليها أرسطو هي الجواهر الثانية ، لأنه يقسم الجواهر إلى جواهر أولى لا تضاف إلى موضوع مثل سقراط ، وجواهر ثانية وهي النوع والجنس مثل إنسان وحيوان ، وهي تضاف إلى موضوع كقولنا سقراط إنسان .

والمقولات هي رد أرسطو على المدرسة الإيلية وبارمنيدس من أن الهوية والوجود واحد ، وأن الشيء لا يقبل أي محمول عليه ، وأنه لا يكون إلَّا نفسه ، وأرسطو يقول إن المقولات محمولات تمثل وجوه الوجود المختلفة فالشيء الواحد يمكن أن يعتبر جوهراً أو كمّاً أو كيفاً إلخ . وكان الإيليون يقولون.: إن الشيء طالما هو نفسه فهو لا يقبل التغير والحركة ، ولا يمكن أن يتولَّد الوجود من لاوجود . وادَّعى الفلاسفة قبل السقراطيين أن التغير والحركة يكونان بانفصال أو اندماج العناصر طبقاً لمبادىء ، لكن هذه العناصر نفسها لا تتغير ، ورفض أفلاطون مبدأ التغير بدعوى أن الشيء لا يمكن أن يتغير إلى ضده دون أن يقضي على نفسه ، ولكن أرسطو افترض مادة أولية يمكن أن تدخل عليها صفات أو محمولات مختلفة ، وأسماها الهيولى وقال إنها ليست ماهية ولا شيئاً مما يدخل في المقولات ، وإنَّما هي قوة ندركها في ذاتها ، وهي المبدأ الأول للتغير ، ولكنها تنقصها الصورة ، فهي موضوع غير معين في نفسه ، وهذا اللاتعين هو المبدأ الثاني الذي

يعمل التغير في إطاره ، والصورة هي المبدأ الثالث ، وهي تتحد بالمادة فيكون الكائن ، والمادة والصورة متلازمان ومتكاملان . والمبادىء الثلاثة مبادىء أولية يعمل من خلالها التغير ، وهي قانون الوجود ، وكل تغير يكون من حال إلىٰ حال ضده ، وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون هناك تغيّر من اللاّوجود إلى اللاّوجود لأنه لا تضاد بينهما ، وإنَّما التغير من اللاّوجود إلى الوجود ويسمَّى كوناً ، ومن الوجود إلى اللاّوجود ويسمَّى فساداً ، ومن الوجود إلى الوجود ويسمَّى حركة .

ونلاحظ أن الهيولى والصورة هي المبدآن للماهية ، لأن اللاّتعين مبدأ عرضي ، أي نقطة نهاية صورة وبداية صورة ، وهما علتان ذاتيتان بهما تتكون وتعلم الأشياء ، فتمثال أبولون علته المادية البرونز ، وهي المادة التي صنع منها ، وعلته الصورية هي أبولون وهي الشكل الذي اتَّخذه التمثال ، غير أن هناك علتين أخريين ، إحداهما العلة النهائية وهي النهاية أو الغاية التي قصدَ إليها من عمل التمثال ، والأخرى العلة الكافية أو الفاعلة التي بدأت عملية التغير وحركتها ، وبذلك تكتمل العلل أربعاً ، اثنتان منها تعملان من داخل الشيء ، واثنتان من خارجه ، ويبدو وكأنَّ العلل جميعها تعمل وفق غاية ذاتية هدفها أن يكون الشيء نفسه، وتتساوى في تأثيرها العلة الصورية بالعلة الغائية ، طالما أن دراسة الغاية من الشيء هي دراسة لصورته ، وطالما أن الشيء لا يتحرك إلا على حسب صورته ، فإذا ما قبل الحركة تحرك بصورته وعلى حسبها . والأجسام تتحرك بنفسها أو تحركها قوى من خارجها ، وحتى الأجسام التي تتحرك من نفسها يلزم لها علة من خارجها تحركها ، وهذه تلزمها علة تحركها ، وهكذا إلى ما لا نهاية وهذا مستحيل ، وإذن فلا مناص من رد الحركة إلى محرك أول ، وهو لا يتحرك بالضرورة وإلا لانقسم إلى جزء محرك وجزء متحرك ، وهو فعال لا تخالطه قوة Potentiality لأن ما هو حاصل على القوة قد لا يفعل ، وفعل الحركة هو ماهيته ، والفعل Actuality يسبق القوة ، لأن ما هو بالقوة يخرج إلى الفعل بتأثير شيء هو بالفعل ، أي أن المبدأ ليس القوة (البذرة) بل الموجود التام أي الفعل الذي تصدر عنه البذرة . والمحرك الأول ليس جسمياً ، لأن الجسمي متناه ، ولا يمكن أن يكون جسماً متناهياً . ولأنه غير جسمي فهو ليس في مكان ، ولأن الحركة أزلية فهو أزلي ، ولأنه علة الحركة فالموجودات تتجه إليه بانفعالها وتفكيرها شأن المعشوق والمعقول ، ولأنه موضوع عشقها وتفكيرها فهو خير ، ولأنه فعل خالص الحركة والتعقل ، وهو يتعقل ذاته ، وتعقله لذاته تعقل ففعله لما أوجد أي للعالم ، وإذن فلدينا كائن هو المحرك الأول ، أزلي ، وعقل أوحد ، لا يتردد أرسطو أن يسميه الله .

والله خالد ، والنفس خالدة ، والنفس للجسم كالصورة للمادة ، وهي مبدأ أفعال الجسم ، وتنقسم قواها بحسب وظائفها ، فهناك النفس النامية ووظيفتها النمو والتوليد ، والنفس الحاسة ، والنفس المحركة ، والنفس الناطقة ، وهي ما يميز الإنسان لأنه وحده يختص بالعقل ، والعقل كالحس ، طبيعته قوة ، ولو كانت له صورة لحالت صورته دون تحقق الصورة المعقولة ، إلا أن قوته أكبر من قوة الحس ، لأنه يدرك الكليات والجزئيات بينما يقتصر الحس على المحسوسات والجزئيات . والعقل الذي يدرك الكليات هو العقل النظري ، وعندما يحكم على الجزئيات بالخير أو بالشر ويحرك النزوع إليها أو النفور منها يسمى العقل العملي . والعقل المطبوع بالمعقولات هو العقل المنفعل ، والعقل الطابع لها أو العلة الفاعلة للمعقولات هو العقل الفاعل، وكلاهما مفارق أي ليس له عضو ، ومن ثم روحي ، غير أن العقل الفاعل أشرف من العقل المنفعل مثلما النفس أشرف من الجسم ، وعندما يفسد الجسم تفسد قوى النفس ، طالما أن النفس كلها صورة الجسم كله ، وأن قوى النفس صور لأجزاء الجسم ، وبفساد الجسم لا تبقى هذه القوى فاعلة بعد فساد مادتها ، إلا العقل فإنه يبقى لأنه ليس صورة لمادة ، وكان اتصاله بالجسم يفسد طبيعته ، ويعود إلى ماهيته من حيث هو خالد ، أي يعود إلى

الله ، فالنفس الناطقة هي العقل الخالد أو الجزء الإلّهي في الإنسان . والإنسان بما هو كذلك يتميز بالعقل ، وكمال وجوده أو خيره من تمام تأديته لوظيفته ، ووظيفته هي الحياة الناطقة ، وخيره في ممارسة هذه الحياة على أكمل وجه ، وسعادته هي هذا الخير ، والإنسان يسعى إلى السعادة ، والأشياء التي يمكن أن تمنحنا السعادة ونجني منها الخير قد تضرنا عندما نستعملها بإفراط أو تفريط ، والفضيلة هي التوسط بين هاتين الرذيلتين ، مثلما الشجاعة هي التوسط بين التهور والجبن ، وممارسة الفضيلة تخلق ملكتها في الطبيعة ، والتطبع يجعلنا أقدر على ممارستها بشكل تلقائي ، والفضيلة نتعلمها كأي فن ، ولا توجد الفضيلة إلا إذا صارت عادة ، والرجل الفاضل هو الذي يميز الخير الحقيقي ويختاره ، والفضيلة إرادية مثلما الرذيلة إرادية ، والشرير هو الذي يختار الخير الظاهر ويريده . والفضائل خلقية وعقلية ، والعقل النظري موضوعه الكلي الضروري ،والعقل العملي موضوعه الجزئي لإرضاء الشهوات القويمة ، وفضيلة العقل النظري الحكمة النظرية ، وفضيلة العقل العملي الحكمة العملية . والحكمة النظرية تفضل الحكمة العملية ، والفضائل العقلية هي أسمى الفضائل لأنها تقربنا من الله ، ولأن أسمى وظائف الله والإنسان هي الفكر ، ولأن طبيعة الإنسان بها جزء إلّهي .

والإنسان حيوان سياسي ، بمعنى أنه يؤثر الحياة في تجمعات ، وتجمع المدينة هو أرقى التجمعات ، والحكمة العملية تتناول شؤون الدولة في علم السياسة ، وتساعد الدولة الأفراد على اكتساب الفضيلة وتنشيط التفكير ، والقانون يوفر الحرية وينقذ الأفراد من الفوضى ، وليست المدنية وليدة العرف ولكنها تقوم على الطبيعة الإنسانية وبها تتحقق السعادة .

أرقاسيلاوس .... Arcesilaus

(نحو ٣١٥ ـ ٢٤٠ق.م) رأس أكاديمية أفلاطون بعد وفاة إقريطس ، وكان أول من قال بالشك من تلاميذ أفلاطون ، وطبع به أكاديميته حتى أطلقوا عليه مؤسس الأكاديمية الجديدة .

ولد أرقاسيلاوس ببيتان من أعمال أيوليه، وكان وسيماً عبل الصوت نفاذ العينين خطيباً مفهوماً ومجادلاً صنديداً . اصطنع منهج سقراط وادعى مثله الجهل وتوجه بنقده الشديد إلى الرواقيين فاستخدم لأول مرة منهج تعليق الحكم Epoche ، مهاجماً اعتقادهم بوجود حقائق صحيحة بطبيعتها لا تقبل الشك ، وتعريفهم للإنسان الحكيم بأنه الإنسان الذي تكون لديه إدراكات حسية تتطابق مع الواقع وتفرض نفسها عليه فلا يرفضها ويبني عليها يقينه ، وهو قول يرقى إلى قصر العلم بالحقيقة على الحكماء ، ولكنه يرفض حكمة الحمقى لأنهم حمقى ، وإذن يتوجب أن يكون لدينا معيار صحيح نميز به الحمقى من الحكماء حتى نتيقن من أن ما يقولونه هو الحقيقة ، وطالما أننا يعوزنا هذا المعيار فإنه لا يسعنا أن نوافق الرواقيين على ما يذهبون إليه ، ويتهافت صميم أساس نظريتهم في المعرفة . لكن الرواقيين نقضوا منهجه الشكي ووصفوه بأنه منهج يستحيل به التفكير وتعجز به الفلسفة عن أن تحقق للإنسان الحياة السعيدة الدؤوبة، ورداً عليهم قال أرقاسيلاوس بمذهب الاحتمال Eulogon ، وزعم أن اليقين ليس ضرورياً للعمل ، ويكفي أن ندافع عما نفعل دفاعاً معقولاً ليكون هذا معياراً للصدق ، واصطنع القاعدة الرئيسية عند الشكاكين وهي مناقشة القولين المتناقضين للقضية الواحدة ، والاستماع إلى الرأي الآخر بلا تحيز ، واستخدام الصيغ الشكية مثل يبدو وربما وقد يكون ، ومن ثم أطلق البعض على فلسفته اسم **مذهب الشك الاحتمالي** .

اريوس .... Arius

اريوس السكندري (المتوفى ٣٣٥م) صاحب الأريوسية أو ما يسمى فن تاريخ المسيحية ببدعة أريوس ، فقد حارب دعوة التثليث وألوهية المسيح والقول بالحلول ، منكراً ما جاء في الأناجيل مما يوهم

بذلك ، متهماً المحتجين بها بتحريفها . وكان يقول إن الآب وحده الله ، والابن مخلوق مصنوع ، وكان الآب إذ لم يكن الابن . وكثر مشايعوه في العالم المسيحي ، واجتمع مجمع نيقية (٣٢٥م) ورجح كفة القائلين بألوهية المسيح ، ولكن الكنيسة المصرية مالت إلى عقيدة آريوس، ومالت إليها كثير من كنائس آسيا وأوروبا وإفريقيا إلا كنيسة الاسكندرية وأسقفها إثناسيوس ، مما اضطر الأهالي إلى الوثوب عليه ليقتلوه فهرب منهم واختفى .

إريجنا ...... Erigena ....

حنا سكوت أو حنا الاسكتلندي المشهور بإريجنا ، أول فيلسوف مدرسي ، عاصر الكندي أول الفلاسفة المسلمين ، واشتهر باطلاعه الواسع على الفكر الإغريقي ، فاستدعاه ملك فرنسا شارك الأصلع ليدرس في بلاطه ، وكان حنا ممتلئاً بتفسير أوغسطين للمسيحية ، فكان أول مصنفاته « **في الانتخاب الإلهي De Praedestinatione**» استجابة لطلب بعض الأساقفة أن يرد فيها على رسالة وضعها أحد الرهبان ، يزعم فيها أن الله ينتخب من يشاء من الناس للجنة أو للنار ، ورد إريجنا بأن العقل يرفض قبول أن الله ينتخب من يشاء للنار لأنه لا يمكن أن تكون له إرادة خير وإرادة شر معاً ، ولا يمكن كذلك أن تكون لله إرادة شر لأن الشر عدم، ويزيد إريجنا فيقول إن العقل يرفض فكرة الانتخاب أصلاً ، سواء للجنة أو للنار ، وإلا لما كان هناك مجال للمساءلة والمسؤولية والحرية . وأثار هذا الرأي الفريقين المتخاصمين معاً ، واستنكر مجمعان كنسيان قوله ، وأصيب إريجنا بصدمة دفعته إلى كتبه يستزيد منها إجادة اليونانية ، وكلفه شارل الأصلع بترجمة كتب ديونيسيوس والتعليق عليها ، وترجم كذلك كتابه الرئيسي «**في قسمة الطبيعة De Division Naturae**» (بين سنتي ٨٦٢ و ٨٦٦) ، وكان عبارة عن سؤال بين تلميذ وجواب للاستاذ يستشهد من خلاله بكثير من آيات الكتب المقدسة ، وتنضح الإجابات بالأفلاطونية المحدثة حيث يقسم الطبيعة أربع طبائع هي الله أولاً وهو الطبيعة ، غير المخلوقة الخالقة أو مبدأ الأشياء ، والابن ثانياً وهو الطبيعة المخلوقة الخالقة او كلمة الله المتضمنة لمثل الأشياء أو عللها الأولى أو العالم كما يتصوره الله ، والروح القدس ثالثاً وهو الطبيعة المخلوقة غير الخالقة أو العالم متحققاً خارج الله ، والله رابعاً وهو الطبيعة غير المخلوقة غير الخالقة أو الله من حيث هو غاية ترجع كل الموجودات .

وإريجنا يجعل الابن والروح القدس مخلوقين من الله مثلما رد أفلوطين العقل الكلي والنفس الكلية إلى الواحد ، مع أن المسيحية تعلم أن الأقانيم الثلاثة متساوية في الذات الإلهية . واتهم إريجنا بوحدة الوجود لقوله إن الأشياء كلها موجودة في الله ، وأن الله قسمة المخلوقات واجتماعها ، وأنه يجب التوحيد بين الخالق والمخلوق حتى لا نرى في المخلوق إلا الخالق .

ويشك إريجنا في وجود الجحيم ومعنى الآلام في الآخرة ، فبعد زوال العالم المادي لا ينبغي سوى الموجودات الروحية ، وليس الجحيم إلا شقاء الضمير يأكل كالدود ، والحزن يحرق كالنار . ويتردد أريجنا في تفسير معنى الخلاص لأنه متردد بين الافلاطونية والمسيحية ، ولا ينصرف عن الأفلاطونية إلا عندما يقول بنهاية العالم ، في حين ترى الأفلاطونية أنه أبدي ، وعندما يقول بالخلاص على يد المسيح . وكان كتاب في قسمة الطبيعة أهم للصنف ظهر في عصره ولمدة قرنين من الزمان ، وكان ملهماً لغيره ليحذو حذوه رغم إنكارهم لما جاء فيه .

أزارقة .... Azariquat

فرقة من رؤساء الخوارج ، كانت أشدها خطراً على وحدة العالم الإسلامي ، وتنسب إلى **نافع بن الأزرق** ، من أصل رومي ، وكان أبوه حداداً أعتق ، وانفرد نافع دون الخوارج بوجوب قتل مخالفيهم واستحلال دم نسائهم وأطفالهم ، وقوله ببراءة الإسلام من القعدة ، وممن يجيز التقية في قول أو عمل ، وإسقاط الرجم عن

الـزاني ، وقطع يـد الســارق من المنكـب ، وإيجـاب الصـلاة والصيام على الحـائض ، وتحريم قتـل أهـل الـذمة . وسمى المعتـدلون منهـم الأبـاضية ، وهؤلاء تحاشوا قتال مسلم بن عبيس وتركوا بقية الأزارقة تواجهه في مـوقعة دولاب حيث قتـل نـافـع (٦٥) ، وخلفـه عبيد الله بن الماحوز الذي قتله المهلب بن أبي صفرة في موقعة سلبري (٦٦هـ) ، وقتل أخاه الزبير في موقعة اصفهان ، ثم تصدى لقطري بن الفجاءة زعيمهم الأخير وقتله قائده سفيان بن الأبرد الكلبي ، وذبحهم المهلب جميعاً ، وبذلك انتهت فترة من أشـد فترات التـاريخ الفكري للإسلام تعصباً ووحشية .

أسباب وعلل .... Reasons and Causes

من المتـرادفـات المشهـورة في الفلسفـة ، ويميـز الفلاسفة عموماً بين التفسير السببي والتفسير العللي ، وترتبط الأسباب في الأفعال القصدية بالإرادة التي دفعت إلى هذه الأفعال ، والموضوعات التي تتوخاها ، بعكس العلل فإنها ترتبط بالاعتقادات أو الرغبات أو الأحاسيس التي دفعت إلى الأفعال ، فإذا ذهب سرب من الناس إلى السوق لشراء الخبز ، فإن سبب ذهابه يكون الخبز أو شراءه ، وهو قصد يريده ويتكلف له ، بينما تكون علة ذهابه هي اعتقاده بأن بيته يخلو من الخبز ، أو رغبته في أن يتناول الخبز ، أو إحساسه بالتعاطف مع أسرته التي تطلب نوعاً معيناً من الخبز ، وعلى أي حال فإن العلة تفيد نوعاً من القسر يختلف عن الإرادية التي ترتبط بها الأسباب .

إسحاقية .... Ishakiya

فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب **إسحاق بن زيد بن الحرث** ، قال بظهور الروحاني بالجسماني ، وقد ظهر جبريل بصورة بشر ، وكذلك الشيطان ، ولذلـك ظهر الله بصـورة الأشخاص ، وهم الخمسـة المشهـورون محمـد وعلي وفاطمـة والحسن والحسين ، وهم خير البرية ، ظهر الحق بصورهم ونـطق بلسانهم ، وهـذا معنى التأليه عند الخمسة .

إسرائيلي .... Israeli

(٨٥٠ ـ ٩٥٠م إسحاق بن سليمان إسرائيلي ، من دائرة الثقافة الإسلامية الأسبانيـة ، تنزع فلسفته إلى الأفـلاطـونيـة المحـدثـة ، ويتـابعهـا على المشـائيين العـرب ، ولـه كتـابـان بـالعـربيـة « **التعـريفـات** » ، و « **المبادىء** » ، ويقول إن الفلسفة هي البحث في الله من حيث هـو ، ومن حيث استطاعـة الانـسان . وقـال بفكرة فيض المخلوقات من العقل ، ومزج بين فكـرة الخلق من العدم وتولد الأشياء الطبيعية من المادة .

إسكافية .... Iskafiya

فرقة من المعتزلة ، أصحاب **أبي جعفر إسكاف** ، قالوا الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ، بخلاف ظلم الصبيان والمجانين فإنه يقدر عليه .

إسكندر .... Samuel Alexander

(١٨٥٩ ـ ١٩٣٨) صـامويـل إسكـندر ، يهـودي استـرالي ، ولـد وتعلم بسيـدني ، وتخـرج بجـامعـة ملبورن ، وحصل على منحة للدراسة بأكسفورد ، وكان أول بحث لـه « النـظام الأخـلاقي والتقـدم» (١٨٨٩) واضح التأثر بالأخلاق والمثالية السائدة في أكسفورد ، لكنه سرعان ما اتجه اتجاهاً فلسفياً يرتبط بشكل وثيق بتطور العلوم التجريبية وخاصة علمي الأحياء والنفس ، وسافر إلى فرايبورج بألمانيا ليقضي سنة في معهد هوجو مونستربرج السيكولوجي ، وانتخب لكـرسي الفلسـفـة بجامعة مانشستر (١٨٩٣) .

واشتهر الاسكندر بكتابه « **المكان والزمان والألوهية** **Space , Time and Deity** » (١٩٢٠) ألـقـاه محاضرات بجامعة جلاسجو عرفت باسم محـاضرات جيفورد ، في محاولة لإقامة مذهب انطولوجي شـامل متسق وصفه بأنه محاولة ميتافيزيقية بمنهج تجريبي ، ويعني بذلك أن الميتافيزيقـا نسق فكري مستـوعب ، وعلم متكامل خاص ، لا ينفرق عن العلوم الأخرى في روحـه ويتمـايـز عنهـا في حـدوده ويبحث في بعض

الخصائص الشاملة للتجربة التي تتجاوز نطاق بحث العلوم الأخرى ، وأهم هذه الخصائص هي الخاصية المكانية الزمانية Spatiotemporal ،ويقول إن فلسفة الواقعية تقوم على وصف معالم الخبرة وليس تفسيرها ، وما من شك أن الأحداث في التحليل النهائي تتصف بأنها تشغل حيزاً من المكان والزمان معاً ، وأنه عبارة عن نقاط مكانية تشغلها آنات زمانية ، أو عبارة عن متصل مكاني زماني يتكون من نقاط زمانية Point- Instants تشبه الذرات الروحية أو المونادات . والنقطة الزمانية هي أصغر وحدات الحركة، وأحياناً يتحدث عنها كما لو كانت عناصر حقيقية ، وأحياناً كما لو كانت مفاهيم مثالية ، ومن تأليفات هذه النقط الآنية تقوم المنظورات وتختلف فيما بينها باختلاف ما يدخل في تركيبها من مظاهر الزمان والمكان أو اعداد الأماكن وسلاسل اللحظات . وتحدد المقولات هذا الواقع المكاني . ومقولاته (كالهوية والتعدد والوجود والعلاقة والنظام) تعينات موضوعية للوجود المركب من مكان وزمان ، وكان كنط يعتبرها غريزية في العقل وتتضمن تنوعات الزمان والمكان وأما الإسكندر فاستخلصها من الوجود نفسه ومن خصائصه ولذلك سميت فلسفته فلسفة واقعية محدثة ونظريته في المعرفة واقعية بمعنى أن الفكر لا يفرض المقولات على الواقع ولم يستنبطها استنباطاً آلياً ، فالمعرفة تأمل للواقع حيث تنعقد علاقة بين العقل العارف وموضوع المعرفة هي استشعار أو وعي عندما يعي العقل ذاته ويستشعر ما يجري داخله من إدراك وعمليات معرفية ، والصورة التي يخرج بها الاسكندر من تأمل العالم صورة هرمية تنتظم فيها الموجودات على شكل مراتب وتتطور مبتدئة من قاعدة مادية حتى تبلغ الألوهية أعلى المراتب . وتعتمد كل مرتبة على الأدنى منها وليس العكس كما كان يقول الفلاسفة القدامى ، حيث جعل أفلاطون مثلاً الأولوية للعقل على الطبيعة ، ولكن الإسكندر يجعل الفكر نتاج الخبرة ، ويتحدث أحياناً كما لو كان ربطه للزمان بالمكان يؤدي إلى تفاعلات دينامية بل وتأليفات جديدة ، وكأن الزمان هو عقل المكان Time is the mind of space وهو قول استخلصه من الدراسات الفسيولوجية النفسية والعلاقة بين العقل والجسم ، ويضرب به المثل لما يريد أن يجليه من حقائق لا سبيل إلى توضيحها إلا بهذا المنهج ، منهج التمثيل ، فالشعور بالذات مثلاً في لحظة معينة يرتبط في حقيقته بتذكرنا لما كنا فيه من لحظة وما نتوقعه بعد لحظة . وما نحن عليه في فترة من الفترات يتكون في جزء منه من ذكريات الماضي وتوقعات المستقبل ، ومن ثم فلا وجود في الواقع لما نسميه الشعور بالذات في لحظة بعينها . وتتألف التجربة الحاضرة من منظور يتكون من الحاضر والماضي والمستقبل ، ويؤلف الثلاثة ما نسميه وحدة الطور الحالي . ويبين المنظور الخط التاريخي للتقدم . ويعمل جانبه الزماني بمثابة العقل بينما يماثل الجانب المكاني الجسد ، ذلك لأن الجسد هو البناء المنتظم المؤلف من ذكريات الماضي وتوقعات المستقبل ، أما العقل فهو الإضافة الجديدة التي تتحصل في آخر مراحل التطور ، وليس الزمان عقلاً بمعنى انه فكر أو شعور وهما ما يميز العقل الحقيقي ، ولكنه عقل بمعنى تشبيهي ، أي بمعنى أنه خاصة جديدة يتميز بها تأليف كيفي جديد ، وهو يريد أن يقول إن خواص المادة هي الخواص الأولية كالامتداد والعطالة ، وأما الخواص الثانوية كاللون فهي انبثاقات Emergents من المركبات المنتظمة للمادة ، ويمكننا بوصفها ذاك أن نسميها « عقلها » ولن يعني ذلك أننا نضفي عليها نوعاً من الشعور ، ولكننا نعني أن في كل مستوى يوجد عنصر يمكن أن يماثل العقل يقدم شيئاً جديداً ، وقد لا يكون في كل الأحوال عنصراً جديداً ، لكنه يمكن أن يكون بمثابة الوظيفة الجديدة ، فإذا حدث ذلك فإن الوظيفة الجديدة تتحكم في المستويات الدنيا التي تقوم عليها ولكنها لا تحيلها إلى شيء مختلف ، لأن العمليات الكيميائية الفيزيائية تظل عمليات كيميائية فيزيائية ولا تتحول إلى شيء آخر ، كما تظل العمليات العصبية شكلاً من أشكال العمليات الكيميائية الفيزيائية ، وإذن

فالعقل واحد من الانبثاقات ، ومصطلح الانبثاق لم يخترعه الإسكندر ولكنه وجده عند لويد مورجان يصف به المركبات الكيفية الجديدة التي ما كان من الممكن أن نتنبأ بتخلقها من مجرد معرفتنا بالعناصر المكونة للنمط القديم ، والتي تتميز عن كل العناصر التي تركبت منها . ويحمل كل انبثاق إمكانية أن يصبح بدوره مصدراً لانبثاق جديد ، وبذلك يتجدد التاريخ باستمرار وتتولد على مسرحه باستمرار كثرة تتعقد يوماً بعد يوم من الأحداث والكائنات المادية والحية والواعية ، ومن ثم يكون التطور والإبداعية من صميم طبيعة الوجود ، فإذا كان الزمان هو عقل المكان ، وإذا كان الوجود ينتظم في مراتب وطبقات على شكل هرمي ، والعقل أعلاها ، فإن الله أعلى من العقل البشري ، وهو عقل الوجود بأسره ، وهو ليس إلهاً مفارقاً ، ولكنه مبدأ التطور في العالم كله ، وهو الوجود اللامتناهي يسري عليه هو نفسه التطور ، وينزع باستمرار إلى الألوهية . والألوهية بوصفها حقيقة مقبلة موضوع للإنسان ، لأن المستقبل بوصفه مركباً آنياً متوقعاً واقعية عن الحاضر أو الماضي . ويؤمن الإنسان بالله بما له من خبرة عن الألوهية أو توقعات لها .

إسكندر أفروديسي

Alexander of Aphrodisias

ولد في أفروديسيا بآسيا الصغرى ، وكان يعلم بأثينا سنة ٢٠٠م ، واشتهر لقرون بأنه أكبر شراح أرسطو حتى لقبوه بأرسطو الثاني ، وله مؤلفات قصد بها مهاجمة الرواقية ، ولعل أبرز أفكاره قوله بالعقول الأربعة ، وهي أولاً العقل الذي هو بالفعل وهو الله أو العلة الأولى ، وثانياً العقل الهيولاني وهو موجود في النفس الإنسانية بالقوة لا بالفعل ، ويدل عليه استعداد الطفل الكامن من أن يعقل عندما ينمو ، وهو يسميه هيولاني لأنه بالقوة كالهيولى ، وثالث العقل بالملكة وهو العقل الذي اكتسب المعرفة بواسطة الحواس ، وهو حالة الراشدين ، ورابعاً العقل الفعال الذي يمارس الأفكار التي تكون العقل بالملكة . وإسهام الإسكندر هو التشابه الذي عقده بين العقل الفعال والعقل الذي قال عنه أرسطو أنه يدخل الجسد من الخارج والعقل الدائم التفكير في نفسه الذي أسماه أرسطو الله .

والعقل هو أسمى جزء أو وظيفة للنفس ، وطالما أن العقل الفعال كشكل منفصل ، هو وحده الذي يمكن أن يوجد بدون مادة ، فإذن لا يمكن أن يكون هناك خلود فردي للبشر . ولا تتضح العلاقة الحقيقية بين العقل الفعال والنفس الفردية أو العقل عند الإسكندر ، ولقد تضمن شرحه لكتاب النفس لأرسطو هذا الجزء الذي أورده عن العقل ، وهو الذي أعجب به الفلاسفة ، ومنه استخرج إسحاق بن حنين رسالته « العقل والمعقول » وبسببه اعتبروه أحد فلاسفة اليونان الكبار ، وأطلقوا عليه اسم « فاضل المتأخرين» .

إسكندر هاليسي Alexander of Hales

(١١٨٥ - ١٢٤٥ م) مدرسي إنجليزي ، ولد في هاليس أوين من مقاطعة شروبشاير بإنجلترا ، ومات في باريس حيث تعلّم في جامعتها وشغل بها كرسي اللاهوت ، وله مجموعة لاهوتية اشتملت على كتب « الحاشية » و« أسئلة محل مناقشة » وينسب إليه البعض « الشامل » من أربعة أجزاء ، ولكن البحوث الحديثة أظهرت أنه صاحب فكرته ومخططه وأن غيره أكمله ويفسر ذلك التضارب في أفكاره .

ولقد عرف الإسكندر الهاليسي باطّلاعه على كل ما كتب أرسطو والفلاسفة المسلمون ، وخاصة ابن سينا ، ويأخذ عليه قوله بأزلية العالم وبصدور الموجودات عن بعضها البعض وليس عن الله رأساً ، وترجع أهمية بحثه « الشامل » إلى عرضه الشائق لأفكار أوغسطين في اللاهوت والفلسفة . وهو يفرّق بين الخالق وخلقه ، ويجعل للمخلوق روحاً وجسماً ويتصوّر النفس الإنسانية جوهراً متخارجاً عن الجسم ومتصلاً به ، تتمايز قواها وأفعالها ، وتحتاج قوى النفس إلى إشراق إلهي يحركها .

إسكوتية Scotism

نسبة إلى **دنس سكوت** ، وهي إحدى فلسفات ثلاث انفرعت إليها الإسكولائية ، وهي إسمية أوكام وتوماوية الإكويني وإسكوتية دنس سكوت ، وشكّلت الفكر المسيحي المدرسي في القرون الوسطىٰ ، ونمت مع رهبنة الفرنسيسكان ، وحلّت تدريجياً محل مدرسة الإسكندر الهاليسي والقديس بونا فنتورا ، وبلغت أوجها في القرن السابع عشر حتى درست رسمياً في الجامعات الكبرى بإيطاليا وفرنسا وإنجلترا وبولنده وأسبانيا وأمريكا اللاتينية وروسيا ، وجاء أفولها مع أفول الإسكولائية والتضييق على الرهبنات الدينية في أوروبا في القرن التاسع عشر .

وتتمايز الإسكوتية عن التوماوية حين يجعل سكوت ، خلافاً لتوما الأكويني ، موضوع التأمّل الفلسفي مطلق الوجود لا الماهية المجرّدة من المحسوس ، وحين ينتقص من برهان المحرك الأول ويجعل قيمته نسبية لأنه لا يعرفنا بالله إلاّ بأدنى كمالاته ، وحين يضيق نطاق العقل ويشكك في قدرته وصحة براهينه ، وحين ينسب إلى هذه البراهين الاحتمال ويجعلها موضوع إيمان ، وحين يوسّع نطاق اللاهوت ويدفع إليه المسائل التي ينسب إلى العقل العجز عن التدليل عليها ، وحينَ يجعل من اللاهوت علماً غايته تدبير أحوال الناس لا تعريفهم بالحقائق ، ومن ثمَّ يباعد بين الوحي والعقل ويفتح الطريق أمام القول بتعارضهما .

إسماعيلية Ismaelites

أقوى فرق الشيعة ، وكانت تسميتها بهذا الاسم لأنها أوقفت سلسلة الأئمة عند **إسماعيل بن جعفر الصادق** ، وكان جعفر الإمام السادس قد استخلفَ ابنه الأكبر اسماعيل طبقاً للعرف الجاري ، لكنه وجده سكيراً فعادَ واستخلف ابنه الثاني موسىٰ ، فانقسمت الإسماعيلية فرقتين ، فالغالبية لم تعترف بالإمام الجديد لأنها لم تر أن الخمر يفسد عصمة الإمام ، وأن جعفراً لا ينبغي أن ينقض شيئاً أمر به الله . ولما كان اسماعيل قد ماتَ قبل وفاة أبيه بخمس سنوات فإنها أنكرت موته وادَّعت أن الأمر التبسَ على الناس ، وأنَّ الله غيبه لأنه خاف عليه . وذهبت جماعة منهم إلى أن الإمامة بوفاة اسماعيل تؤول إلى ابنه محمد ولا تؤول لأخيه موسىٰ .

وللإسماعيلية تاريخ كبير ، فقد حكموا المغرب ومصر عن طريق الفاطميين ٢٧٢ سنة وبضعة أيام ، وحكموا مناطق بإيران ١٧٧ سنة ، ومناطق بالشام ٣٠٧ سنة . وما تزال الإسماعيلية بالشام يتمركزون حول بلدة سلمية ، وفي إيران ناحية محلات بالقرب من قم ، ويلقبون في أفغانستان باسم مفتدى ، وفي البنجاب وكشمير وعمّان ومسقط وتانزانيا وخاصة زنجبار .

ويصف الإسماعيلية أنفسهم بأنهم أهل توحيددفاعاً عن أنفسهم ضد الطعون التي توجهها إليهم المذاهب الإسلامية بأنهم أهل شرك ، بأن جعلوا مع الله موجودات قديمة كالعقل الكلي والنفس الكلية ، ولأنهم قالوا بحلول روح الله في الأئمة ، ولهذا تحرص الإسماعيلية على توكيد معنى التوحيد بنفي الصفات عن الله إلى حد أنهم يذهبون إلى نفي التسمية وصفة الوجود بحجة أن كل موجود يحتاج إلى ما يستند إليه في وجوده ، ولكن الله يتعالىٰ عن هذه الحاجة ، ويستعملون كلمة أيس التي نجدها في ترجمة مؤلفات أرسطو إلى العربية بمعنى الوجود ، وذلك حتى لا يصدمون المشاعر الدينية بنفي صفة الوجود عن الله ، ويزعمون بأن الموجودات صدرت عن الله بطريق الإبداع وليس بطريق الفيض كما يقول الفلاسفة ، فلقد أبدعَ الله أولاً المبدع (بفتح الدال) الأول وهو العقل الأول والعلّة في وجود ما سواه ، وهو الكلمة أو فعل الأمر كن ، ولم يكن قبله شيء لأنه مشيئة الأشياء كلها ، وعنه انبعث العقل الثاني أو النفس الكلية . والانبعاث غير الفيض ، وهو يوجد من العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة يتم بها عالم الإبداع والانبعاث ، وتسمّى المبادىء الشريفة والحروف

العلوية ، والعقل العاشر يقوم بالنسبة للجسم مقام العقل الأول في عالم الإبداع الأول . والنفس البشرية جوهر ، ولها مراتب إلى نهاية مرتقاها بالانتساب إلى حظيرة القدس والتعلّق بها وقبول فيضها قبولاً تنقلب به ذاتها عقلاً . والتعليم الإلٰهي يكون بالوحي أو بالخطاب من وراء حجاب ، أو بالخيال وهو الرسول جبريل . والرسالة عامة بالنظرة السليمة التي أوجدها الله في الإنسان ، وخاصة يكلف بها الله رسله ، وللرسول أصحاب مختصّون به ، عددهم اثنا عشر كالاثني عشر في الموجودات من العالم الكبير والعالم الصغير ، ولكل منهم درجة ، وأعلاهم من كان أكثر شبهاً به . والنبيّ هو الناطق ، والنقباء سبعة من آدم حتى اسماعيل ابن جعفر. ولكل ناطق وصي أو خليفة، ووصي محمد هو علي ، ثم الأئمة من ذريته .

ويتفق الشيعة الاثنا عشرية مع الإسماعيلية في كل ذلك ، لأنهم يجعلون الإمامة لموسىٰ الكاظم بعد موت جعفر ، ولأولاده من بعده . ويفرّق الشهرستاني بين الإسماعيلية الفاطمية في مصر وإسماعيلية ألموت نسبة إلى قلعة ألموت بمقاطعة الديلمان على الشاطىء الجنوبي من بحر قزوين ، أو الإسماعيلية الصباحية نسبة إلى الحسن بن الصباح (المتوفي ٥١٨هـ) أول مؤسس لإسماعيلية ألموت . ولابن الصباح مؤلّف واحد هو « الفصول الأربعة » وأبرز ما في أقواله نظريته في التعليم ، الأمر الذي جعل أبا حامد الغزالي يلقب الإسماعيلية باسم التعليمية ، فقد ذهبَ ابن الصباح إلى إبطال الرأي والاجتهاد ، ودعا الناس إلى التعلّم من الإمام المعصوم . وكان من أبرز دعاة الصباحية الحسن الثاني الذي أعلنَ انتهاء الحياة على الأرض وقيام القيامة (٥٩٩ هـ) وأعلنَ نفسه قائم القيامة ، وأنه بمجيئه تزول مبررات التقية والعمل بالتكاليف الشرعية ، وأن مهمته هي إيجاد الجنة على الأرض ومن ثمَّ لا يصبح داعٍ للأحكام الشرعية وتسقط التكاليف ، ولكن ابنه الذيْ تولّى باسم الحسن الثاني أعمار الشريعة وبنى المساجد ، وانتهت إسماعيلية ألموت بقتل الملك خورشاه وكل أسرة الصباح على يد هولاكو ، كما انتهت الإسماعيلية الفاطمية بانقسامها إلى نزارية تقول بخلافة نزار بن المستنصر بالله ، ومستعلية تقول بخلافة الابن الثاني المستعلي ، وقتل نزار واستمرَّت النزارية في ألموت ثم الشام ، وانتهت المستعلية بموت الخليفة العاضد بأمر الله واستيلاء صلاح الدين الأيوبي على السلطة في مصر . وكانت أبرز دعوات النزارية في الشام دعوة رشيد بن سنان الذي قال بالتناسخ ، ووضع نفسه مكان الإمام السابع ، وكتب رسالة في ألوهية نفسه . وحاول ابن سنان قتل صلاح الدين مرتين ، ثم تصالح معه واستغله صلاح الدين في إرسال الفدائيين لقتل الصليبيين وأمرائهم ، وقد قتل اثنان من الفدائيين كونراد صاحب صور، وريموند الابن الأكبر لبوهيمند الرابع أمير أنطاكية بينما كان في كنيسة أنطرسوس . وكان أبو حاتم الرازي وأبو يعقوب إسحاق السجستاني وحميد الدين أحمد الكرماني والقاضي النعمان وابن حوشب وابن داود الشيرازي وناصر خسرو وجعفر بن منصور اليمن وابن الوليد وإبراهيم الحسين الحامدي وابن حنظلة من أعلام الفكر الاسماعيلي ، وإن كان الرازي والكرماني أشهرهم جميعاً .

أسوارية Aswariya

فرقة من المعتزلة أتباع علي الأسواري ، وكان من أتباع أبي الهذيل ، ثم انتقل إلى مذهب النظام ، وزادَ عليه بأن قال إن ما علمه الله أن لا يكون لم يكن مقدوراً لله تعالىٰ ، وهو قول يوجب منه أن تكون قدرة الله متناهية ، ومن كانت قدرته متناهية كانت ذاته متناهية .

اشتراكية Socialism

اسم الاشتراكية العربي قدمه لأول مرة سلامة موسىٰ ، ويفضل عليه كثير من المترجمين من أساتذة الجامعات العربية اسم **المذهب الاجتماعي** ، ولكن تعبير الاشتراكية ذاعَ وأصبحَ هو الاسم العربي المعروف

للنظام الاجتماعي الذي يدعو إلى تأميم وسائل الإنتاج وامتلاكها اجتماعياً .

وكان استخدام الاسم اللاتيني لأول مرة سنة ١٨٢٧ بالمجلة التعاونية التي كان يصدرها روبرت أوين مؤسّس الحركة التعاونية في العالم ، غير أن المؤرّخين يرجعون المذهب الاشتراكي لأبعد من كتابات أوين، إلى جمهورية أفلاطون وكتابات توماس مور والتطبيقات الشيوعية القبلية والمسيحية الأولى . ولا شك أن بذور الاشتراكية كانت كتابات المفكرين الفرنسيين السابقين على الثورة الفرنسية ، من أمثال فولتير وروسو والموسوعيين، ولم يكونوا اشتراكيين ولكنهم كانوا ثوريين ، إلاَّ أن أوين لم يكن ثورياً وإنَّما كان اشتراكيا تأثَّر بكتاب وليام جودوين « العدالة السياسية » . ولعلَّ العدالة هي المطلب الغالب في الاشتراكية والتي على أساسها تقوم دعوتها للمجتمع الأفضل ، وهو المجتمع الذي يتساوى فيه الناس في الفرص وأمام القانون . وكان برنارد شو يطلب أن يتساوى الناس كذلك في الدخول ، إلاَّ أن الاشتراكيين اختلفوا في ذلك ، وظهر اختلافهم في صياغة شعار الاشتراكية « **من كل حسب قدرته** » حيث أضاف بعضهم إليه « **وإلى كل حسب احتياجاته** » وأضاف آخرون « **وإلى كل حسب جهده** » أو « **حسب إنتاجه** » .

وتقترن الديموقراطية بالعدالة الاجتماعية ، فإذا كانت العدالة إحدى دعامتيّ المجتمع الاشتراكي ، فالدعامة الثانية هي الديموقراطية ، غير أن مفهومها مختلف عليه كذلك ، ويتراوح بين مفهوم الإرادة العامة للمجموع وبين ما يسمَّى المركزية الديموقراطية ، وهي شكل لم يألفه الديموقراطيون من قبل .

وكذلك يختلف الاشتراكيون حول شكل الجهاز الذي تُناط به عملية التحويل الاشتراكي ودعم الاشتراكية ، وكان أوين وفورييه يقولان بكومونات ريفية أو زراعية صغيرة تتمتع بالاستقلال والاكتفاء الذاتي ، وتتصل فيما بينها في أقل الحدود وبشأن الضروريات كمسائل الدفاع ، ولكن غالبية الاشتراكيين يدعون إلى التقدم العلمي والحضاري ويقولون بالتصنيع على نطاق واسع ويقيمونه على التخطيط الشامل ويأخذون بأساليب الإدارة الحديثة ويتجهون إلى الاتحادات الكبيرة .

وكذلك تتراوح أساليب الدعوة إلى الاشتراكية من الكتابة والخطابة بشكل عام ، إلى العمل في الأوساط العمالية ، والدعاية بالإقناع تارة وبالتهديد بالإضراب تارة أخرى . وكانت الحركة الاشتراكية في إنجلترا من الحركات التي انتهت إلى الأخذ بالإقناع والتدرّج في تطبيق الاشتراكية ، بينما كان ماركس وأتباعه من الثوريين الذين يرون أن الصدام بين الفئات العمالية وبين أصحاب العمل والحكومات البورجوازية حتمي على المدى الطويل .

ولقد كان ظهور البيان الشيوعي الذي أصدره ماركس وإنجلز (١٨٤٨) نقطة تحول فاصلة بين ما يسمىٰ **بالاشتراكية الطوباوية أو الخيالية** وبين ما أطلق عليه ماركس وإنجلز اسم **الاشتراكية العلمية** . ولأول مرة يخاطب العمال في كل العالم بوصفهم طبقة واحدة بصرف النظر عن الجنس أو القومية . وكان استخدام « العلمية » لوصف الاشتراكية بقصد أنها اشتراكية تأخذ بالتكنولوجيا الحديثة وتستخدم في تحليلاتها المنطق المستمد من الدراسات التاريخية الذي يقوم على فرضين : أن العمال طبقة مستغلة في النظام الرأسمالي المعاصر ومحرومة من ناتج عملها، وأنه لا سبيل إلى تغيير هذا الوضع القائم إلاَّ بتغيير أسلوب الإنتاج والتوزيع ، وأن هذا التغيير لن يتم بالتراضي أو النوايا الحسنة أو الدعوات الإصلاحية ، ولكنه سيتم فقط لو اتَّحدت البروليتاريا وقامت بتنحية البورجوازية عن الحكم وأقامت دكتاتوريتها . ومع أن الاشتراكية بمفهوم ماركس كانت المدرسة الغالبة بين مدارس الاشتراكية ، وخاصة بعد نجاح الثورة البلشفية وإنشاء الاتحاد السوفييتي والجمهوريات الاشتراكية في أنحاء العالم ، إلاَّ أن الحركة الاشتراكية بمفاهيم أخرى ما زالت قوية وإن كانت قد تأثّرت كثيراً بالفكر الماركسي ، سواء من ماركس نفسه أو من المفكرين بعده . ولعلَّ أفضل مرجع حتى الآن في الاشتراكية هو كتاب كول « **تاريخ الفكر الاشتراكي**» في سبعة أجزاء (لندن ١٩٥٣ - ١٩٦٠).

اشتراكية أخلاقية .... **Ethical Socialism**

مذهب في الاشتراكية يعطي الأولوية للعلاقات الأخلاقية ويضرب عرض الحائط بالمقولات الماركسية كصراع الطبقات والثورة الاجتماعية ودكتاتورية البروليتاريا ، ويجعل من الأخلاق علماً موضوعه رفع التناقضات في العلاقات الاجتماعية . وعند الاشتراكيين الأخلاقيين أن كنط هو مؤسّس هذا العلم حيث أنه أول من قال بفكرة التضامن والتكامل كأساس للاشتراكية عندما صاغ شعارها « إعمل دائماً بحيث تعتبر الإنسانية ، سواء في شخصك أو في الآخرين ، غاية وليست مجرد وسيلة » . وأشهر فلاسفة هذه الاشتراكية هيرمان كوهن وبول ناتورب ورودلف ستاملر .

إشراق .... **Illumination**

فلسفة **شهاب الدين يحيى السهروردي** ، الملقب بشيخ الإشراق، ويعرفها قطب الدين الشيرازي بأنها « الحكمة المؤسسة علىّ الإشراق أو أنها حكمة المشارقة الذين هم أهل فارس ، لأن حكمتهم كشفية ذوقية فنسبت إلى الإشراق الذي هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالاشراقات على النفوس عند تجردها » .

ويجعل آذار كايوان صاحب دساتير نامة الإشراقية فلسفة تقابل المشائية ، ويصف الإشراق بأنه الزرادشتي ، وبذلك يرد الإشراقية إلى أصول فارسية . غير أن الجرجاني يتحدث عن الإشراقيين بأنهم أتباع أفلاطون في إيران. ويقول السهروردي نفسه «رئيسنا أفلاطون » . ولا شك أن السهروردي تأثر بالفلسفتين الإيرانية واليونانية ، وبالقرآن نفسه ، وفلاسفة المسلمين ، الفارابي ، وابن سينا خصوصاً ، والغزالي ، وبالباطنيين وخاصة نظرياتهم في الإهامة والعقول العشرة والنور المحمدي ، وربما كان تأثر السهروردي بالباطنية من خلال كتاب الغزالي « مشكاة الأنوار » الذي يتحدث فيه عن الله مفيض الأنوار ومحمد نور الأنوار .

وظهرت الإشراقية في المغرب قبل السهروردي عند ابن مسرة الأندلسي (المتوفي ٩٣١ م) وتأثّر بها المدرسيون في الغرب المسيحي وبخاصة روجر بيكون ودون سكوت . ومن الواضح أن دانتي في الكوميديا الإلـهية قد تأثّر بنظرية النور ، وكان للإشراقية تأثير كبير في تأسيس البهائية وتطوير المذهب الشيعي ، كما كان لها تلاميذ كثيرون منهم ملا صدر الشيرازي (المتوفي ١٦٤ م) وشمس الدين الشهرزوري (المتوفي ١٢٥٠ م) وابن عربي وابن سبعين وابن باجة وابن طفيل .

أشعري .... **Ash'ari**

(نحو ٢٦٠ ـ ٣٢٣هـ) أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن إسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، فهو من أحفاد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ، وكنيته الأشعري لانتسابه للأشعر بن أرد في رأي ، أو لأن أبي موسى الأشعري الجد سمي أشعر لأن أمه ولدته وهو أشعر في رأي آخر ، وكان مولد أبي الحسن في البصرة ، وانتقل بعد ذلك إلى بغداد وتوفي بها ، وكان معتزلياً في شبابه ، وأخذ الاعتزال عن معتزلة البصرة وعلى رأس أبو علي الجبائي ، ولم يفارقه مدة أربعين سنة ، ولم نعرف شيئاً عن فلسفة الجبائي إلا من خلال مناظرات الأشعري له . ومؤلفاته تربو على المائة لم يصلنا منها إلا عدد قليل أشهره « **مقالات الإسلاميين** » ، و « **اللمع** » ، وكان العصر عصر فتن وقلاقل أنتشرت فيه الشعوبية والفلسفات الغنوصية والباطنية التي كان ينشرها غلاة الشيعة ، واشتد الجدل بين النقليين والعقليين ، أو بين أهل السنة والمعتزلة . واختط الأشعري لنفسه طريقاً وسطاً يوفق فيه بين الاتجاهين ، وتابعه عليها أبو بكر الباقلاني (المتوفي ١٠١٢م) وابن فودك (١٠١٦م) والأسفرايني (١٠٢٨م) وابن تومرت (١٠٣٠م) وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني (المتوفي ١٠٨٥م) وتلميذه أبو حامد الغزالي (المتوفي ١١١١م) والشهرستاني (١١٥٣م) وفخر الدين الرازي (١٢١٠م) ، ولكن توفيقات الأشاعرة كانت صورية أحياناً ، ففي الخلاف حول

صفات الله الجسمية فإن الأشعري سايرها اعتماداً على السلف باعتبارها أموراً سمعية يجب الإقرار بها ، واصطنع أحياناً التأويل ، وقال بإمكان رؤية الله بالعين كسماعه ، ولكنه استدرك بأن رؤية الله نوع من العلم لا يتعلق بالمكان والصورة والجهة . وفي صفات الله الواجبة ذهب إلى إثباتها قائلاً إن العالم والقادر والمريد على الحقيقة لا يتصور إلا أن يكون ذا علم وذا قدرة وذا إرادة ، ولكنه قال إن هذه الصفات ليست هي الذات كما قال المعتزلة ، ولا هي غير الذات كما قال السلف ، بل هي صفات أزلية قائمة بالذات ، وقال في مشكلة كلام الله بأن الكلام في الحقيقة معنى قائم بالنفس وليس ألفاظاً ، فهذه تسمى كلاماً على سبيل المجاز ، وكلام الله أزلي قديم كما قال السلف ، ولكن الألفاظ حادثة في الزمان كما قال المعتزلة . وقال عن الإرادة بأن للإنسان إرادة وقدرة خاصة كما قال المعتزلة ، ولكن هذه الإرادة والقدرة ليست هي التي تؤثر في إحداث الفعل بل هي نفسها خاضعة لإرادة الله ومخلوقة له . وقال مع المعتزلة بأن عقل الإنسان قادر على إدراك الشر والخير ، ولكن أمور العبادات لا يقررها العقل ولا يوجبها إلا الشرع .

أصحاب العدل والتوحيد

هم المعتزلة ، لأنهم قالوا يجب على الله ما هو الأصلح لعباده ، ويجب أيضاً ثواب المطيع ، فهو لا يخل بما هو واجب عليه أصلاً ، وجعلوا هذا عدلاً ، وقالوا أيضاً بنفي الصفات الحقيقية القديمة القائمة بذاته احترازاً عن إثبات آلهة قدماء متعددة ، وجعلوا هذا توحيداً .

اصطلاحية .... Conventionalism

وجهة النظر التي تقول بأن القوانين والنظريات العلمية ليست سوى اصطلاحات يتم اختيارها بطريقة تعسفية من بين بدائل كلها صالحة لوصف العالم الطبيعي . وتدين الاصطلاحية بالكثير لكنط وهنري بوانكاريه وإرنست ماخ وبيير دوهيم . وقد اعتقد كنط بأن الحلول المتعارضة قابلة للبرهنة عليها بدرجة متساوية ، وأنه توجد في عقل الإنسان أشكال قبلية تحكم تصوره للعالم . وذهب بوانكاريه إلى أن قوانين العلم لا تمت إلى العالم الواقعي بل تمثل اقتناعات تعسفية مقدر عليها أن تروج لوصف أكثر إقناعاً وفائدة . واعتبر ماخ العلم مجمل فروض اصطلاحية تساعدنا على التنبؤ . وأيد دوهيم الفلسفة الاصطلاحية عند بوانكاريه . وزعم أن تاريخ العلم يتألف من نظريات مختلفة يطرد بعضها بعضاً ولا تتصل ببعضها داخلياً ، وقال إننا عندما نستخدم الرياضيات في العلوم فإننا نمثل الصفات القياسية بطريقة اصطلاحية بحتة برموز رياضية تربطها ببعضها البعض تعسفياً في فروض .

إصلاح .... Reformation

الحركة ، الدينية أصلاً ، التي قامت بأوروبا في القرن السادس عشر ضد الكنيسة الكاثوليكية ، وأدت إلى انقسام العالم المسيحي إلى بروتستانت وكاثوليك . ويرجع تاريخها تحديداً إلى عام ١٥١٧ حينما طرح مارتن لوثر ، الداعي إليها ، بنوده الستة والتسعين لإصلاح الكنيسة ، ويؤرخ لانتهائها في ستينات القرن السادس عشر عندما تجمد النزاع وبدا واضحاً أن أياً من الفريقين لن يستطيع أن يفعل بالآخر أكثر مما فعل .

ولا يعبر « الإصلاح » عما تحقق فعلاً بقدر ما يعبر عما كان يجيش بصدر المطالبين به من آمال . والواقع أن الإصلاح انصرف إلى نواح اجتماعية وسياسية وفلسفية وعلمية ، وكثيراً ما يقال إنه الحد الفاصل الذي يؤرخ لنهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث . ولقد تباين المصلحون فيما بينهم في اتجاهاتهم ، فكان هناك المصلحون الإنسيون ، وكان برنامجهم أقدم من برنامج لوثر ، واستمر بعده ، وكان أبرزهم إرازموس ، وكان يريد للكنيسة أن تعود إلى براءة المنابع المسيحية ، وفهم المسيح بوصفه معلماً للفضيلة ، وبشر بالمسيحية كفلسفة أخلاقية ، وعارض كل ما من شأنه أن يفصم وحدة العالم المسيحي ، ولذلك رفض أن يتورط ضمن المصلحين البروتستانت .

وكان هناك المصلحون الراديكاليون الذين لم يعجبهم برنامج المصلحين البروتستانت ، وكان من رأيهم أن

الإصلاح يستحيل أساساً طالما أن فكرة « الكنيسة هي الدولة » هي المسيطرة ، وانقسموا فيما بينهم شيعاً ، فالمنادون بتجديد العماد Anabaptists ، كالإخوة السويسريين وجماعة الهتيواريت والمينونايت ، يدعون إلى التحلق في جماعات صغيرة على طريقة المسيحيين الأوائل ، والروحانيون مثل أندرياس كارلستات وتوماس مونزر وسيباستيان فرانك وكاسبرد شفنفيلد ، يدعون إلى الإتجاه في الصلاة رأساً إلى الله دون وساطة القساوسة ، والعقليون كالأخوين سوزيني ، يفصلون في مشاكل الإنجيل بالعقل ويرفضون مثلاً فكرة ألوهية المسيح والفداء ؛ والمصلحون الكاثوليك ، وهؤلاء رفضوا على يد البروتستانت لأنهم اعتبروهم ثواراً على الكنيسة ، ولكنهم في نفس الوقت تبنوا برنامجهم الإصلاحي واعترفوا في مؤتمر ترينت بأخطاء الكنيسة الكاثوليكية ووقفوا ضد سلبياتها ، ولذلك لم تكن حركتهم إصلاحاً مضاداً Counter reformation كما يقول البعض .

أما الإصلاح الاحتجاجي أو البروتستانتي فتميزت فيه ثلاثة اتجاهات ، فاللوثريون ، أتباع مارتن لوثر ، عارضوا البابوية ، ونجحت دعوتهم في معظم ألمانيا واكتسحت الدول الاسكندنافية ، وصارت لها جيوب في فرنسا ، وتسموا في انجلترا باسم الكنيسة المشيخية ، وانتشروا في أوروبا الشرقية . وكان الاحتجاج الذي نادى به اللوثريون سنة ١٥٢٩ أصل تسمية الحركة بالبروتستانتية (حيث أن فعل Protest يعني يحتج) .

وعموماً كان الإصلاح مقدمة لمذهب الفردية في المجال الديني باعتبار أنه دعوة إلى أن يكون كل فرد قسيس نفسه بدون وساطة بينه وبين الله ، فهو وضميره وفهمه للأناجيل ، أو أن كل فرد هو البابا لنفسه في تفسيره للنصوص الدينية . وساعد الإصلاح كذلك على إضعاف سيطرة الكنيسة على الاتجاهات الفكرية وخاصة في مجالي الفلسفة والعلوم ، وفصم الارتباط بين الأرسطية والمسيحية ، ورحب لوثر بالعلم الجديد واعتبره استعادة جزئية لمجد آدم الذي كان يتجلى في علمه بالطبيعة ، وعبر كالفن عن حسده للفلكيين لأنهم كانوا بفكرهم أقرب إلى عقل الخالق ، وقال كالفن جملته المشهورة التي اعتبرت القول الفصل في النزاع بين العلم والدين « إن آيات سفر التكوين والمزمور التاسع عشر ليست صياغات علمية ولكنها عبارات أدبية تناسب غير العلماء » .

أصم .... Assam

حاتم الأصم (المتوفي سنة ٢٢٣هـ) صوفي من أشهر تلاميذ شفيق البلخي ، ولد ببلخ من كور خراسان ، وفد بغداد ، وكانت له مناظرات مع علمائها . روى عنه أبو الوراق أنه « لقمان هذه الأمة » ، وهو القائل « رأيت رزقي من عند ربي فلم اشتغل إلا بربي . . ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري ، والرب تعالى ينظر إلى باطني فرأيت مراقبته أولى وأوجب ، فسقطت عني رؤية الخلق » .

وشرائع الزهد عنده ثلاث هي الصبر بالمعرفة والاستقامة على التوكل والرضا بالعطاء . ويقسم الموت إلى أبيض وأسود وأحمر وأخضر ، فالموت الأبيض هو الجوع ، والأسود هو احتمال أذى الناس ، والأحمر مخالفة النفس ، والأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض .

أطرافية .... Atrafiya

فرقة من الخوارج العجاردة أتباع غالب ، وهم على مذهب الحمزية ، إلا أنهم عذروا **أهل الأطراف** فيما لم يعرفوه من الشرع إذا أتوا بما يعرف لزومه من جهة العقل ، ووافقوا أهل السنة في أصولهم ، وفي نفي القدر أي إسناد الأفعال إلى قدرة العبد.

اغتراب .... Alienation

الغربة والاغتراب والاستلاب بمعنى أن لا يكون الشيء في مكانه أو الشخص في بيئته وموطنه ، تقول إن فلاناً يعيش في غربة أو يستشعر الغربة بمعنى أنه والمكان الذي هو فيه متخالفان . والاغتراب افتعال الغربة ، وهي لفظة كثر استخدامها في الفلسفة والعلوم والقانون بمعان متباينة بحسب هذه المجالات ، ويكاد يكون « هيجل » هو أول من أدخلها كاصطلاح في لغة

الفكر ، وعنده أن العقل المطلق أو الله بخلقه للطبيعة والإنسان قد طرح جزءاً منه خارجه فاستحال هذا الجزء غريباً عليه ، **لكن الإنسان دون الطبيعة هو الذي يحاول أن يرفع هذه الغربة فيعيد إلى الله سيطرته على الطبيعة** من خلال فهمه وسيطرته عليها ، أي أن العقل المطلق يستعيد الطبيعة من خلال فهم العقل المتناهي (الإنسان) لها والسيطرة عليها ، وليس التاريخ سوى محاولة الإنسان الدائبة أن يتعرف على الطبيعة ومن ثم تنمية وعيه بالمطلق ، ومن ناحية أخرى فإن المطلق من خلال محاولة الإنسان التعرف على نفسه والسيطرة على الطبيعة يتعرف هو على ذاته ويعيها . وإذا كان العقل المطلق بمجرد خلقه للطبيعة والإنسان قد انفرق عنهما وتفجرت الغربة بينه وبين ما قد خلق ، فإن العقل المتناهي ينفرق كذلك عمَّا يخلق ويبدع ويخترع من سلع مادية ومؤسَّسات اجتماعية ومنتجات ثقافية ، وتتفجر الغربة بينه وبينها .

ورفض « فيورباخ » فكرة هيجل أن الطبيعة شكل من اغتراب المطلق عن ذاته ، ورفض فكرة أن الإنسان مطلق يحاول أن يرفع الغربة عن المطلق في الطبيعة وفيه هو نفسه ، وأنكر أن يكون الإنسان إلهاً مغترباً عن ذاته ، فالعكس هو الصحيح ، **أن الإله هو الإنسان مغترباً عن ذاته** ، بمعنى أنه قد خلق فكرة الإله وجردها، ونصبه مكاناً أعلى منه ثم انحنى له إجلالاً وركع يترضاه ، وكأن الله هو الذي خلقه وليس العكس . وقال فيورباخ **إن الإنسان لكي يفك غربته وإسارها الذي ضربه حول نفسه ، لا بد أن يطمس صورة إلهه ويزيلها** . وجاء « ماركس » ليوافق فيورباخ على نقده لهيجل ، وقوله بغربة الإنسان الدينية ، وأضاف أن الغربة الدينية ليست إلا أحد أشكال غربة الإنسان عن ذاته ، فالإنسان لا يخلق فقط الله من نفسه ، وإنَّما **هو يخلق من نفسه كذلك قوانين ومبادىء ومؤسسات وفلسفات وسلعاً ورؤوس أموال وينفرق عنها مغترباً وكأنها لم تكن له وليس هو مصدرها** ، ويبث فيها من روحه حتى تدب فيها الحياة وتستحيل مخلوقات مستقلة ، يشتد عودها وتقوى ، ثم يحرق لها البخور ويترضاها ويخدمها كالرقيق ، وإذا تعارضت مع مصلحته آثرها على نفسه وجعلها تتحكم في حياته ومصيره ، وفي روابطه الأسرية والاجتماعية ، وفي نشاطه الذي يبدع به ما ينتج ، وفي عالمه الذي يحيا فيه ، وفي حياة الناس الذين يحبهم ، ويتعامل معهم . وكل هذه الألوان من الغربة ليست إلا أوجهاً متباينة لغربة الانسان وانفراقه عن ذاته ، وابتعاده عن جوهره أو طبيعته الإنسانية ، فالإنسان المغترب عن ذاته ليس في الحقيقة إنساناً ، فهو لم يعرف نفسه ولم يع تاريخه وإمكانياته ، والإنسان غير المغترب هو الإنسان الحقيقي ، سيد مصيره وما ينتجه ، الذي يحقق لنفسه الحرية .

وما يزال الاغتراب مصطلحاً مختلف المعاني ، فبعض الفلاسفة يدعي أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكن أن تلحقه الغربة ، ويتوسع البعض في معنى الاغتراب وفيمن يمكن أن يشمله حتى إنهم ليسلكون الله والطبيعة والمجتمع والعالم مع الإنسان في مفهوم الغربة ، ويعرفه البعض كمصطلح سيكولوجي فلسفي بحت أو انطولوجي أو كمصطلح اجتماعي أنثروبولوجي ، ويجعل البعض أنواعه أو أشكاله ثلاثة ، أو أربعة ، أو خمسة ، وقد يزيدونها إلى ستة ، فهناك الاغتراب عن الطبيعة ، والاغتراب عن الناس ، وعن المنتج اليدوي أو العقلي ، وعن النفس ، وعن المجتمع الطبقي ، وعن المجتمع التنافسي ، وعن المجتمع الصناعي ، وعن المجتمع ككل ، وعن الجنس (السلالة) وعن الأجيال . وتحدث البعض عن اغتراب إبليس ، واختلفوا حول ما إذا كان الاغتراب فطرياً في الإنسان ومقدوراً عليه ، أو أنه مرهون لمرحلة تاريخية يمكن أن يتجاوزها ، والأولون هم الوجوديون ، والآخرون هم الماركسيون ، فإذا كان التاريخ كله هو تاريخ اغتراب الإنسان ، فهل التاريخ يسير إلى التقليل من الاغتراب ، أم أنه يتجه إلى تأصيله وترسيخه وتعميقه . ويعتقد المؤمنون بالتقدم أن الاحساس بالاغتراب يتناقص ، لكن أغلبية الفلاسفة يرون أنه يزداد باستمرار ، أو أنه زاد في نواح وتناقض من نواح أخرى . فهل بوسع الإنسان تجاوز الاغتراب والتغلب عليه ؟ لا

يعلق القائلون بأن الاغتراب واقعة ميكولوجية لها أهمية كبيرة على استحداث تغيير في بيئة الإنسان لكي ينجو بنفسه من هذه الحالة المرضية ، وينصحونه بالاتجاه إلى داخله بدلاً من الاتجاه إلى الخارج أي البيئة ، وأن يلوذ بقلبه ، وأن يوجه جهوده إلى نفسه ، وأن يفجر الثورة من داخله . أما من يرى في الاغتراب حالة عصابية فالعلاج عندهم في التحليل النفسي وإيجاد علاقة صحية دافئة قوامها الثقة بين المريض وطبيبه النفسي . غير أن من الماديين من ينظر إلى الإنسان كمنتج سلبي للتنظيم الاجتماعي ، وأنه لكي ينصلح حال الإنسان ينبغي إصلاح المجتمع وإعادة تنظيمه ، ولا ينصلح التنظيم الاجتماعي إلا برد ما ينتجه الإنسان إليه باعتباره خالقه ومبدعه ، أي بإلغاء الملكية الرأسمالية لأدوات الإنتاج ، وامتلاك الإنسان لمنتجه ، أي بأن تكون ملكية أدوات الإنتاج ملكية جماعية أو اجتماعية ، ولكن ماركس ينتقد هذا الضرب من التفكير الحتمي الاقتصادي الذي يجعل الناس منتجات لظروفهم ونشأتهم ،ويعلن أن الناس هم الذين يغيرون ظروفهم ، وأنهم يمارسون نشاطهم ويغيرون ظروفهم في نفس الوقت ، وأن هذه هي الممارسة الثورية ، وأن استعادة الإنسان لوعيه بذاته ، وتجاوزه لاغترابه ، يسير جنباً إلى جنب مع تحريه للمجتمع من اغترابه .

أغريبا Agrippa

لا نعرف عنه شيئاً سوى أنه إغريقي من الشكاك ، وأنه عاشَ في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي ، واشتهر بحججه الخمس التي تبرهن على عدم إمكان اليقين ونسبية الأحكام وتناقض الفلاسفة فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين عامة الناس . والفرق بينه وبين أستاذه إينيسيديموس أن الأخير شكَّ في المعرفة الحسّية بينما شكَّ أغريبا في المعرفة الحسّية والعقلية ، وكانت شكيته أقرب إلى شكية الأكاديميين ولو أنها أعنف منها .

أغريبا فون نيتسايم Agrippa Von Nettesheim

هنريكوس كورنيليوس أغريبا فون نيتسايم (١٤٨٦ - ١٥٣٥) ، مفكر مشاغب ، ومصلح ، ومحام ، وعسكري ، ومغامر ، ودبلوماسي ، وطبيب ، ولد من أسرة متوسطة بالقرب من كولونيا بألمانيا ، وشغل منصب سكرتير الامبراطور الروماني ، وأرسل إلى باريس (١٥٠٦) فانضمَّ إلى جماعة سرية من الثيوصوفيين ، وتورَّط في مؤامرة ثورية في كتالونيا ، وأعطى محاضرات بالجامعة ، ودرس العبرية ، وانهمك في قراءة كتب الغنوصية والقبلية العبرية والتفسير ، وأنتج ذلك كله ثلاثة مجلدات في التنجيم والسحر وفلسفتهما (١٥٠٩) وتقلبت به الأحوال ، وماتت زوجته ، وفقد عطف البلاط عليه ، وعانى الفقر ، وفي هذه الظروف كتبَ كتابه الرئيسي « **غرور الفن والعلم** - **De Incertitudine et Vanitate de Scientiarum et Artium** » (١٥٣٠) هاجم فيه الفن والعلم والرهبان والأمراء ورجال البلاط والسحر والتنجيم . وماتت زوجته الثانية ، واتّهم بالكفر ، وفشلَ زواجه الثالث ، وحُكم عليه بالنفي وأُودع السجن ، ثم توفي في جرينوبل ، وكان كتابه « غرور الفن والعلم » من أهم المحاولات لإحياء الشكية في عصر النهضة .

أفغاني Afgani

الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧م) السيد محمد بن صفور، وشهرته جمال الدين الأفغاني ، من أبرز علماء الإسلام في القرن التاسع عشر ، ولد بأسعد أباد من أعمال كابل بأفغانستان ، ويتصل نسبه بالحسين بن علي من جهة علي الترمذي المحدّث المشهور ، ولذلك لقّب بالسيد ، وتوفي بنشان كاش بتركيا ، وقيل إنه مات مسموماً بتحريض من السلطان عبد الحميد . ولم يعرف التاريخ مفكراً إسلامياً ارتحل مطوفاً في الشرق والغرب كالأفغاني ، فقد أقامَ بطهران واستنبول والقاهرة ولندن وباريس وحيدر أباد لمدد طويلة ، وفي كل مكان حلَّ به كان يلفت نظر السلطان إليه ، ويهيج الخواطر ، ويحثّ على الإصلاح ، ويدعو لبعث الأمة الإسلامية على أسس عقلية لم تدفع به كما فعلت مع بعض المفكرين المسلمين إلى إنكار الدين لتعارضه مع العقل في

زعمهم . وذهب الأفغاني في دعوته إلى الأخذ بالبرهان في أصول الدين والحضارة معاً حداً لم يتطاول إليه المعتزلة أنفسهم وهم عقليو الإسلام الأول ، ورأى الأفغاني الخطورة على المسلمين والعالم المتحضّر جميعه في الفلسفات الطبيعية التي يسميها « النتشرية » ، وله فيها مقال في الرد على الدهريين ، وآخر في البابية ، والثالث في الرد على رينان وزعمه بأن الإسلام لا يشجع على البحث العلمي ، ويدلّل الأفغاني على دور الدين في بناء الاجتماع والترقّي بالإنسانية بمقاومة الإغريق، الشعب الصغير ، عندما كان ملتزماً أصول دينه ، للامبراطورية الفارسية حتى أمكنه تقويضها ، لكن المذهب الدهري الذي دعا إليه أبيقور ، وفلسفة اللذة التي قالَ بها ، أفسدت على الناس أخلاقهم وقضت على أساس اجتماعهم وتفوقهم ، وانتهى الأمر بهم إلى الوقوع تحت حكم الرومان . وكذلك فإن الأمة الإسلامية ، عندما تفشّت فيها تعاليم دهرية الباطنية ، انهارت وخضعت للاستعمار . وفي أوروبا أحيا فولتير وروسو المذهب الدهري باسم التنوير والعدالة الاجتماعية، وأنكروا المعتقدات الدينية ، فاندلعت الثورة الفرنسية وانهارَ كل شيء ، ورافق هذا التفسّخ كوارث أشد أدّت إلى استفحال خطر الدهرية التي تمثّلت في تفشّي الأفكار العدمية والاشتراكية والشيوعية ، وخاصة في روسيا ، ولو قيض لها الانتصار فعلى الدنيا السلام . ومن أجل ذلك أصدر الأفغاني في باريس جريدة « العروة الوثقىٰ » بمساعدة تلميذه ومحرّرها الأول الشيخ محمد عبده ، وكان على تلميذه أن يواصل من بعده التأكيد على فكرتيّ « عقلية الإسلام » و « بعده الحضاري » اللتين حمل لواءهما الأفغاني ، ليصبحا من المطالب الرئيسية في تأويل الإسلام تأويلاً جديداً في القرن العشرين .

أفلاطون Plato

(نحو ٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق. م) ولد بأثينا وعاشَ بها معظم سنوات حياته التي تجاوزت الثمانين ، ولم يغادرها إلَّا لفترات بلغت في مجموعها نحواً من ست سنوات ، قضىٰ منها ثلاثاً في فيغارا بعد موت سقراط ، حيث نزل في ضيافة إقليدس الميغاري أكبر تلاميذ سقراط سناً ، وكان قد افتتح ما يشبه المدرسة وتجمّع السقراطيون حوله ، وغادرهم أفلاطون مطوفاً في البلاد ، ورحلَ إلى سراقوصة وكان قد اعتلى عرشها الملك ديونيسيوس الكبير ، وكان من أهل الفكر إلَّا أنه كان طاغية مستبداً ، وكان له صهر يُقال له ديون ، ربطت الصداقة بينه وبين أفلاطون ، وكان أفلاطون يطرق باب الملوك لعله يجد أذناً صاغية لأفكاره في الحكومة العادلة ، ويبدو أن الوشاة أوقعوا بين الملك وصهره فنقمَ عليه ، وتدخّل أفلاطون فاستوجب عليه الغضب ، ونفىٰ الملك ديون ، وطلب أفلاطون الإذن بالرحيل ، وشكَّ الملك في أمره وإخلاصه ، فأرسله إلى من باعوه رقيقاً في أجينا لولا أن افتداه أحد معارفه ، وكادت السياسة توّرده حتفه ، ولعلَّه ورثَ الاهتمام بها من أسرته العريقة ، وكانت أسرة أرستوقراطية ، راهنت على الحزب الارستوقراطي فلمَّا آلَ إليه الحكم وبغىٰ واستبدَّ بالشعب ، ساءت علاقاتهم بالحكومة الديموقراطية التي تولَّت بعده ، ونال أفلاطون بعض الأذى ، ثم كل الأذى عندما قضت بإعدام معلمه سقراط ، ومن ثمَّ اتَّجه تفكيره إلى الشروط التي ينبغي توافرها لإقامة حكومة عادلة ، وتجمَّعت شروطه في شكل نظرية تجعل قيامها ممكناً ، بتوجيه التعليم الوجهة التي تمهّد لها ، بتربية الأفراد التربية الاجتماعية والسياسية والعسكرية والعلمية التي تجعل منهم مواطنين صالحين في الحكومة العادلة ، واضطرّ أن ينشىء مدرسته الشهيرة لهذا السبب ، ومن أجل ذلك توجَّه إلى سراقوصة مرتين بعد المرة الأولى ، في عهد ديونيسيوس الأصغر الذي خلف أباه ، وكان قد أرسل يستدعي كبار الشعراء والمفكرين إلى بلاطه ، وأبدى اهتماماً بتطبيق نظريته في الدولة ، ولكن حاشيته عادت تؤلب الابن على ديون كما كان شأنها مع أبيه ، ونفىٰ الملك ديون ورفض السماح لأفلاطون بالرحيل واستبقاه رهينة مدة ستة شهور ، ثم عاد إلى دعوته وقبول وساطته بشأن ديون، إلَّا أن الأمور استفحلت واضطرّ أفلاطون إلى الرحيل إلى الأبد .

ويبدو أن ديون لطول اضطهاده واتهامه بالتآمر قد عملَ آخر الأمر على قلب نظام الحكم وغزو المدينة وطردَ الملك ، وتولى هو العرش ، وكانت لطمة قاسية لأفلاطون أن يعلم بكل ذلك ، واستمرَّ ديون في الحكم مدة أربعة أعوام ، ثم اغتيلَ . وكانت اللطمة الثانية لأفلاطون أن يعلم أن القاتل من تلاميذه ، ومن ثمَّ انصرف عن التأثير في الملوك بغية إقامة الحكومة العادلة ، إلى التعليم والتربية لعله ينشىء جيلاً يكون في مقدوره تحقيق ما يصبو إليه . وأولى مدرسته التي كان قد افتتحها نحو ٣٧٠ ق . م كل رعايته ، وكانت المدرسة تطل على بستان البطل أكاديموس ، وسمّيت لذلك الأكاديمية ، وتبرَّع لها بالأرض والأبنية ، واختلفَ إليها المريدون في شكل جمعية من الأصدقاء ، كانوا قليلي العدد ، وقيلَ إن أفلاطون لم يكن يتقاضاهم أجراً وكان يحصل على مقابل من غير الأثينيين ، وانضمَّ إليها أرسطو في السابعة عشرة من عمره ، وظلَّ بها نحواً من عشرين سنة ، وكان ذلك بعد افتتاحها بأربع سنوات ، وكانت الدراسة تمتد لعشرين سنة أو لمدى الحياة . وتفرَّغ لها أفلاطون ولم يتزوج ، وظلَّ يدرس بها أربعين سنة حتى وافته المنيّة فخلفه عليها سبيوسيبوس ابن أخيه .

وتنقسم مؤلَّفات أفلاطون بحسب ترتيب مراحل عمره ، فهناك مؤلَّفات الشباب وكلها سقراطية ، لواء البطولة فيها معقود لسقراط ، وتقوم على الحوار الدرامي وتصوير الشخصيات تصويراً واضحاً ، وتتوسل بالتهكّم ، وبالقصة الرمزية ، ورغم أن صورة سقراط أفلاطونية خالصة وتبلغ حد الإعجاز في العمق والإبداع الفني ، إلاَّ أنها مع ذلك مصدر من أهم مصادر سيرة سقراط الحقيقي . ويبلغ عددها ثلاث عشرة محاورة هي « **ليسيز Lysis** »، و « **لاخيس Laches** » ، و « **يوثيفرو Euthyphro** » ، و « **خارميدس Charmides** » ، و « **هيبياس الأكبر Hippias Major** » ، و « **هيبياس الأصغر Hippias Minor** » ، و « **أيون Ion** » ، و « **بروتاغوراس Protagoras** » ، و « **يوثيديموس Euthydemus** » ، و « **غورغياس Gorgias** » ، و « **مينو Meno** » ، و « **القبيادس Alcibiades** » ، و « **ثراسيماخوس Thrasymachus** » (**الجزء الأول من الجمهورية**) . وحوارها جدلي استفهامي ، يستدرج به سقراط المتحدث وهو في العادة أحد السوفسطائيين ، وينتقل به من أقواله إلى أقوال تلزم عنها وتتناقض معها ، ولا يملك المتحدّث إلاَّ أن يسلم بالخاتمة والإقرار بالجهل . وكان بروتاغوراس أول من أدخل هذا الحوار في أثينا ، وعلم شبابها مناهجه ، وربما كان هو نفسه مخترعه ، ولكن السوفسطائيين استخدموه للتدريب على فن النقاش والمعارضة بقصد الانتصار على الخصم وإظهار البراعة والبلاغة ، ولذلك كان الحوار جدالياً ، وأما أفلاطون فقد استخدمه لجلاء معاني العبارات واختبار إتساقها مع نفسها وغيرها ، بهدف بلوغ الحقيقة ، ولذلك أسماه حواراً جدلياً وليس جدالياً Eristic ، لأنه يقوم على مناقشة الفروض ونقائضها ، ويتدرّج بها من الإحساس إلى الظن إلى العلم الاستدلالي إلى التعقّل المحض ، أو قد يتدرّج بها من المركب إلى البسيط ، ومن العارض إلى الجوهري حتى يتعيَّن المعنى ويتحدَّد التعريف .

وتنتمي « **تيماوس Timaeus** » ، و « **فيدو Phaedo** » وبقية الجمهورية و « **المأدبة أو النادي Symposium** » ، و « **فيليبوس Philebus** » ، و « **فيدروس Phaedrus** » ، و « **قريتياس Critias** » ، و « **القوانين Laws** » إلى المرحلة المتوسطة من عمره ، وفيها يتخفف من اللجوء إلى المحاورة ، ويتَّسم أسلوبه بالجفاف ، ويفقد حيوية الدراما ، ولم يعد يهتم بدحض أقوال الخصم بالحجة الدامغة Elenchus ، وابتعدَ عن أسلوب بروتاغوراس الداحض Elenctic . وفي هذه المرحلة كان أفلاطون مدرساً بالأكاديمية ، ولم يكن من رأيه تدريس الجدل للشباب حتى سن الثلاثين ، ولذلك فقد توقَّف عن التأليف بهذه الطريقة .

وعالجت مؤلَّفات المرحلة الثالثة ، أو مرحلة الشيخوخة ، قضايا متخصصة في المنطق والمنهج والمعاني والوجود ، أثيرت في الأكاديمية ، وفيها يرتفع الحظر على استخدام الجدل وتدريسه لطلبتها . وتنتمي

« السوفسطائي Sophist » ، و « السياسي Politicus » ، و « بارمنيدس Parmenides » لهذه الفترة .

ولعلّ أشهر ما يمكن تناوله من أفلاطون نظريته في المثل Theory of Forms ، وهو يبدأ بطرحها في إيجاز في « المأدبة » ويناقشها بإسهاب في « فيدو » ويستغلّها في « الجمهورية » ويدافع عنها في « تيماوس » .

ويُرجع أفلاطون المعرفة إلى مصادر أربعة ، أولها الإحساس ، والمعرفة الحسّية نسبية وجزئية ومتغيرة ، وثانيها الحكم وهو ظني وتخميني ، والمعرفة الظنية قد تكون صادقة أو كاذبة ، وثالثها الاستدلال ، وهو علم يستخدم الصور المحسوسة لكن ليس كموضوع له بل بصفتها وسيلة لبلوغ المعاني الكلية المقابلة التي يتّخذها موضوعه ، ومجاله علوم الحساب والهندسة والفلك والموسيقىٰ ، ورابعها التعقّل ، وهو إدراك الماهيّات الخالصة .

والخلاف في المحاورات يدور حول معانٍ كلية ، كالعدالة والفضيلة . والمعاني الكلية معانٍ ثابتة لا تتغير ، أبدية لا تتعلق بظواهر مؤقّتة ، واحدة . فمن بين الكثرة والتنوّع في الأفعال والمواقف والأشخاص هناك عدل واحد فقط يجمع بين كل الأفعال والمواقف العادلة ، وإنسان واحد فقط يجمع بين كل آحاد الناس ، وسقراط حكيم جملة تمثل فيها كلمة سقراط شخصاً متعيناً نعرفه وهو الفيلسوف الذي توفي نحو ٣٩٩ ق . م ، وكان ربعة معقوف الأنف ، لكن كلمة حكيم تمثل صفة قد يمتلكها شخص أو لا يمتلكها ، والحكمة أو ما تمثله كلمة حكيم شيء أبدي غير مؤقت شارك في صنع سقراط وكان سقراط نموذجاً مؤقتاً له ، ومن ثمّ فهو موجود في كل شخص يتّصف بالحكمة ، لكنه منفصل عن هؤلاء الأشخاص جميعاً ، غير متعلق بمادة ، مفارق لكل الأجسام ، فهو ماهية أو صورة أو مثال الحكمة ، وهو يجب أن يوجد وإلّا ما كنّا نستطيع أن نصف أي شخص بالحكمة ، لكنه ليس موجوداً في هذا العالم ، فالذي يوجد في عالم المحسوسات محسوسات ، والمثال غير محسوس ، وعالمه غير مرئي ، لكنه عالم مفهوم لا يدركه إلّا العقل ، والمثال هو الشيء الواحد ، في ذاته كامل وخالد ، والعلم بالمثل هو الفلسفة لأنه العلم بالثابت ، والفلاسفة بهذا العلم ، وخاصة بعلمهم بمثال أو بصورة الخير ، أقدر الناس على حكم العالم وتوجيهه نحو الخير ، فالذي يعرف ، حتى وإن كانت معرفته ظنية ، أفضل من الذي لا يعرف . والحكومة التي ينهض عليها فلاسفة يعرفون ستكون هي الحكومة الفاضلة ، وهي الحكومة التي يتم فرز الأفراد فيها طبقاً لذكائهم ، وتُناط بهم الأعمال طبقاً لقدراتهم ، ولا يسأل فيها الفلاسفة عن تصرفاتهم طالما أنهم وحدهم المطّلعون على عالم المثل ، ومعرفتهم يتناقلونها فيما بينهم ، بينما تقتصر معرفة العامة على المعرفة الحسّية ، ومعرفة الطبقة التي تليها على المعرفة الظنية . وهذه الطبقات الثلاث هي الجند والشعب والحكام ، وهم يتلقّون جميعاً تربية واحدة حتى الثامنة عشرة ، ثم يميز من بينهم أصحاب الأجسام القوية والاستعداد الحربي ليزاولوا التمرينات العسكرية والرياضة البدنية ، فإذا ما بلغوا العشرين يميز الأذكى منهم لدراسة الحساب والهندسة والفلك والموسيقىٰ ، ومهمة الحراس الإدارة والدفاع ، وهم ذكور وإناث ، يعيشون ويأكلون معاً ، ولا يحتاجون لذهب ولا فضة ، ويحظر عليهم التملّك ، ولا تكون لهم أسرة ، والزواج على المشاع ، والأطفال ملك الدولة . أما الإنتاج فهو عمل المزارعين والتجار والصنّاع ، وهم يمتلكون ولهم أسرهم ، لكن الملكية محدودة ، وتفرض عليهم الضرائب حتى تقلّ الفوارق الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء . وإذا ما بلغَ الحراس الثلاثين تميّز من بينهم محبّو الحق والشرف وضعاف الشهوة ، ليدرسوا الفلسفة ويتمرّسوا بالإدارة ، فإذا بلغوا الخمسين يرقىٰ أفضلهم إلى مرتبة الحراس الكاملين ، وهم الفلاسفة الذين يتفوقون في النظر العقلي ، ولهم القدرة على تصور القوانين العادلة تصوراً علمياً ، ويتناوبون الحكم فيما بينهم .

ولقد راجعَ أفلاطون صورة مدينته الفاضلة في « القوانين » ، وجاءت « القوانين » تعديلًا وتنقيحاً

للجمهورية ، فالصفوة يمكن أن تقتني وتمتلك وتكون لها أسراتها ، والطبقات الدنيا لها بعض النفوذ السياسي وتمارس بعض الحقوق ، وإن كان ذلك لا يرقىٰ بها إلى حد بلوغ سدة الحكم ، ولم يعد مطلوباً من الحكام أن يكونوا فلاسفة ، ولا النساء أن يكنَّ من الحراس . ويبدو أنه وضع « القوانين » مراعاة لطاقات البشر ومقتضيات الحياة ، ولكي يهتدي بها ديونيسيوس الأصغر وهو يصنع دولته الجديدة في سراقوصه . وكان تقسيم المدينة إلى طبقات ثلاث مسايراً لتقسيم النفس إلى قوىٰ ثلاث هي الناطقة والغضبية والشهوية ، وتتألف الطبقات الثلاث في وحدة تشبه وحدة النفس .

ويعتقد أفلاطون أن النفس بسيطة وثابتة ، وأنها توجد من قبل الولادة وتبقىٰ بعد الموت ، وهي روحية ولا يتحقق خلاصها من المادة إلاَّ في عالم روحي ، والفضائل ثلاث تقابل قوىٰ النفس الثلاث ، فالحكمة فضيلة العقل ، والشجاعة فضيلة الغضب ، والعفة فضيلة الشهوة ، وبها يتحقق في النفس التوازن ، والتوازن عدالة ، والعدالة ليست فضيلة بل هي حالة الصلاح المترتبة على التوازن الذي يحدثه اجتماع الحكمة والشجاعة والعفّة في الفرد ، والإنسان الصالح هو الإنسان العادل بهذا المعنىٰ ، وينعكس صلاحه أو عدله على الآخرين في تعامله معهم ، وبالعدالة تتحصل السعادة .

ولقد عرف الإسلاميون أفلاطون ، ولقّبوه بالإلٓهي ، وكان ممَّن تأثروا به مدرسة الرازي ومدرسة المعتزلة ومدرسة الفقهاء الظاهرية والمفكرين السلفيين من الحنابلة ، وابن تيمية وابن القيّم والصوفية ، وعرفت نظرياته في الحب طريقها إلى كتابي الزهرة لابن داود وطوق اليمامة لابن حزم .

أفلاطونيو كيمبردج Cambridge Platonists

جماعة من علماء الأخلاق والدين والفلسفة ، درسوا وعلموا بجامعة كيمبردج ، وعاشوا خلال القرن السابع عشر ، يجمعهم معاً تحمّسهم لأفلاطون وعداؤهم للتعصّب وثقتهم في العقل ، تأثروا كلهم تقريباً بتعاليم بنيامين ويتشكوت ، وبرزَ منهم رالف كدويرث وهنري مور ، وكانا أغزر أعضاء الجماعة إنتاجاً . ولم يدوّن ويتشكوت فلسفته ، لكن موهبته قامت على القدرة على التأثير أكثر منها على العرض . واشتملت الجماعة على جون سميث وجلبرت بيرنت وجورج رست وجون ويرثنجتون وسيمون باتريك وناثانيال كلفرويل وريتشارد كمبرلاند وبيتر سيري ، ويقال إن سيري كان أول من أعلن بجامعة كيمبردج ولاءه للأفلاطونية . وتعارض الجماعة الكالفنية لقيامها على القطعية واللّاعقلية . وترى الجماعة أن التدين تعقل ، وأن العقل صوت الله ، وأن طاعة أوامر الله ليست لأنها أوامر الله بل لأن ما يأمرنا به هو الخير ، وأن مخالفة العقل مخالفة لله ، وطالبوا بكنيسة مفتوحة للجميع لا تقوم على الكهانة أو البابوية ، الناس فيها أحرار لا جماعة دينية ، والمسيحية عندهم طريقة في العيش ، ولذلك أسماهم البعض « المتحررين من رسمية الدين Latitudinarians أو Latitude Men » ولقّبوهم بالأفلاطونيين ، لأن ويتشكوت ألزم تلاميذه بقراءة أفلاطون ، وكان يرجع اهتمامه بالأفلاطونية لترفّعها عن الماديات ، وحبها للحقيقة والعدل ، والطمأنينة التي تشيعها في النفس ، والجو الخلقي الخاص بها . ومع أنهم قرأوا أفلاطون بتمعّن إلاّ أنهم قرأوه من خلال الأفلاطونية المحدثة ، حتى أن كوليردج أوجب إعادة تسميتهم أفلوطينيي كيمبردج Cambridge Platonists . وعارض ويتشكوت تمييز فرانسيس بيكون بين العقيدة والعقل ، وقال إن العقيدة ما لم تكن تقوم على العقل فهي خرافة . وعارضَ كدويرث ومور هوبز لأنه يسلب الإنسان الإرادة ويقصرها على الحاكم ، وديكارت لأنه يفسر الكون تفسيراً ميكانيكياً . وكانت الجماعة تعتقد في السحر وتصف نفسها بأنها فكر مفتوح لكل شيء ولكل الناس .

أفلاطونية Platonism

أقامَ أفلاطون أكاديميته نحو سنة ٣٨٧ ق. م كمركز للفكر الفلسفي والرياضي ، وظلَّت تمارس عملها حتى

أغلقها الامبراطور جستنيان سنة ٥٢٩ م . وبعد وفاة أفلاطون تعهَّدها سبيوسيبوس ابن أخيه ، ثم إكسانوقراطيس (٣٣٩ ق. م) واتّجها بها وجهة رياضية . ومع أن أرسطو كان من تلاميذ أفلاطون إلاَّ أنه اختلفَ معه في حياته وبعد مماته ، وأنشأَ مدرسته الخاصة في اللوقيون ، وكان اهتمامها بالعلم الطبيعي . وقلَّ شأن الأكاديمية بقيام مدرستين جديدتين هما الرواقية والأبيقورية . وشهدَ القرن الأول الميلادي بداية اتجاه جديد يؤلّف بين الأفلاطونية والأرسطية والرواقية . واستمرَّ الاتجاه التأليفي في القرن الثاني واختلطت الأفلاطونية الوسطىٰ بالفيثاغورية المحدثة والتفكير الديني السائد ، غير أن انحسار الرواقية وتزايد التأثيرات الدينية ترك المجال مفتوحاً أمام الأفلاطونية المحدثة التي أسَّسها أفلوطين المولود في مصر نحو سنة ٢٠٥ م والذي درسَ بالإسكندرية وجعل مقر مدرسته في روما . وفلسفته جماع للأفلاطونية والأرسطية والرواقية والفيثاغورية ، وتدعو إلى إلّه واحد ، تشتق منه كل الموجودات ، أو تفيض منه وتهفو إليه ، وهو فوق الوجود ، يتجاوز الفكر ، ولا سبيل إليه إلاَّ بالوجد الصوفي والتأمّل الذي يستغرق في الواحد .

وكان فورفوريوس أفلاطونياً محدّثاً ، كتب سيرة أفلوطين ومقدمة لمقولات أرسطو ، وكان له تأثيره الضخم في العصور الوسطى ، واشتهر بعدائه الشديد للمسيحية وكتابه « ضد المسيحيين » يمتاز بالنظر العميق والعلم الغزير .

واشتهرَ من الأفلاطونيين المحدثين يامبليخوس وأبرقلس ورمسقيوس الدمشقي الذي كان مديراً للأكاديمية وقت أن أغلقها جستنيان .

وتحتل مدرسة الإسكندرية مكانة خاصة في تاريخ الأفلاطونية ، فقد مالت إلى المسيحية بينما ظلّت الأكاديمية معقلاً للشرك ، واشتهرَ من بين مفكريها اليهودي فيلون الذي فسَّر العهد القديم في ضوء نظرية المثل ، وكان لتفسيره تأثير على فلاسفة المسيحية وأخصّهم كليمنت الإسكندري (نحو ١٥٠ ـ ٢١١ م) وأوديجين . ونهل القديس أوغسطين من الأفلاطونية المحدّثة وخاصة أفلوطين وفورفوريوس ، وخلطَ الكندي الأفلاطونية المحدّثة بعناصر أرسطية . وتبدو تأثيرات الأفلاطونية في كتابات الرازي . وأخذ الفارابي نظريته السياسية من أفلاطون . وحاولَ ابن سينا التأليف بين الأفلاطونية والأرسطية والتوفيق بين التفلسف والتديّن . وفي العصور الوسطىٰ اشتهر بونافنتورا ونيقولا القوساوي . وفي عصر النهضة أقامَ قوسيمو دي ميديتشي أكاديمية فلورنسا على غرار أكاديمية أثينا ، وألهمت تعاليمها الحركة المعروفة باسم مصلحي أكسفورد . وجاء كتاب « الطوبى » لتوماس مور ، و « مدينة الشمس » لتوماس كامبانيلا على منوال الجمهورية لأفلاطون ، وكان لتفكير كبلر وجاليليو الرياضي جذوره في الفيثاغورية والأفلاطونية ، وتأثَّر بها أفلاطونيو كيمبردج في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وحركة الكواكر ، والفلسفة الحدسية عند جورج مور في كتابه « مبادىء الأخلاق » وفتجنشتاين في كتابه « الرسالة المنطقية الفلسفية » ، والفلسفة التحليلية عند جيلبرت رايل في كتابه « مناقشات فلسفية » .

أفلاطونية محدّثة .... Neoplatonism

فلسفة أفلوطين ومن شايعه من الأفلاطونيين الذين تأثّروا به ، وكانوا يقولون عن أنفسهم أنهم أفلاطونيون وكفى ، إلاَّ أن الأفلاطونية المحدّثة لم تكن في الواقع إحياء للفكر الأفلاطوني بقدر ما كانت محاولة لدمج الفكر القديم كله بما في ذلك أرسطو والمشائيين والرواقيين والفيثاغوريين والأفلاطونيين ، وُصفت بأنها محاولة اسكندرانية سورية أثينية ، وقيلَ إنها آخر محاولات العصور الوسطىٰ لإخراج فلسفة متكاملة يمكن أن ترضي الطموح الفكري والديني للإنسان في ذاك الوقت ، ويمكن تعريفها بأنها فلسفة دينية أو دين مفلسف ذهب إلى احتواء المعتقدات السائدة والأساطير والطقوس وعبارات الشرق والسحر والكيمياء القديمة ، ولكنها رغم الصور الشرقية فيها ظلّت مع ذلك إغريقية الطابع أولاً ـ كآخر محاولة فلسفية إغريقية وبعدها انتهت الفلسفة الإغريقية تماماً ، وظلّت إغريقية الطابع .

ثانياً بسبب العقلية العلمية التي كانت لها واحتفظت بها دائما ، ولذلك عارضت اليهودية والمسيحية ، وكان فورفوريوس ، وهو واحد من كبار فلاسفة هذه المدرسة ، من ألدّ أعداء المسيحية ، ونقلَ عداءه لها إلى المدارس الأفلاطونية في سوريا وبرجاموم وأثينا ، وكان من أنصار العرافة والسحر ، والامتناع عن اللحوم كالفيثاغوريين ، وأول من حاول تأسيس الأفلاطونية على أرسطو ، ومن ثمَّ سادَ الاعتقاد من بعد لدى الأفلاطونيين أن دراسة أفلاطون ينبغي أن تسبقها دراسة أرسطو . وكان يامبليخوس أظهر الأفلاطونيين في المدرسة السورية ، واعتبرَ نفسه وأفلاطون وأرسطو فيثاغوريين ، وكان يمزج الدين بالفلسفة بالرياضيات واشتهر أبروقلوس في المدرسة الأثينية ، وعرف بشروحه المستفيضة للأفلاطونية بكتابيه « مبادىء الإلّهيات » و « الإلّهيات الأفلاطونية » ، ومع أنه كان من أعداء المسيحية إلاّ أن كتبه كانت مصدراً من مصادر الفكر المسيحي في العصور الوسطى . أما مدرسة برجاموم فكانت فرعاً لمدرسة يامبليخوس ، غير أنها تميّزت بالتركيز على العرافة والسحر والأساطير ، ونشأت أصلاً لمساعدة جوليان المرتد في نضاله ضد المسيحية ودعوته للوثنية ومطالبته بالحد من التبشير المسيحي . أما مدرسة الإسكندرية فاتَّجهت غالباً وجهة مسيحية مدافعة عنها ، واشتهرَ أمونيوس وفليبينوس بدفاعاتهم عن المسيحية ، ونقد الأخير يامبليخوس وأبروقلوس .

وانقسمت الأفلاطونية المحدّثة في الغرب اللاتيني بين معارض للمسيحية ومؤيّد لها ، وكان أبرز المؤيّدين بويثيوس تلميذ أمونيوس . وينبغي أن نذكر أن أوغسطين كان من بين المتأثرين بالأفلاطونية المحدّثة رغم أنه أشار إلى الاختلاف بينها وبين المسيحية . وكذلك تأثّر بها أريجينا وإكهارات ونيقولاوس القوسي ومارسيليو فيشينو ، ورالف كدورث وغيره ممَّن يتسمون بأفلاطونيي كمبردج .

وكانت الأفلاطونية المحدّثة من أكثر المذاهب الفلسفية الأجنبية تأثيراً في الفكر الإسلامي ، وانتشرت الكتابات المعروفة باسم المجموعات الهرمسية في العالم الإسلامي ، وكان تأثيرها واضحاً في سلامان وأبسال لابن سينا وحي بن يقظان لابن طفيل والغربة الغربية للسهروردي ، وعرف الإسلاميون أفلوطين باسم فلوطينس ولقبوه بالشيخ اليوناني ، وتبيّنوا في الأفلاطونية نزعتها الروحية التي جعلتهم يميلون إليها أكثر من ميلهم للأرسطية الجافة ، ونفذت غنوصيتها في الحضارة الإسلامية وتسلَّلت إلى علم الحديث . ويذكر علماء الأحاديث ثلاثة أحاديث موضوعة اصطبغت بالصبغة الأفلاطونية المحدثة ، الأول « أول ما خلق الله العقل ، فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك ، بك آخذ ، وبك أعطي ، وبك أثيب ، وبك أعاقب » ، والثاني « كنت نبياً وآدم بين الطين والماء » ، والثالث « كنت كنزاً مخفياً ، فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فعرفتهم بي فعرفوني » .

أفلوطين .... Plotinus

(٢٠٥ - ٢٧٠ م) ترجمه ابن النديم فلوطينس ، وذكره القفطي باسم فلوطين ، ولقبه الشهرستاني باسم الشيخ اليوناني ، وجرت العادة على النظر إليه باعتباره مؤسّس الأفلاطونية المحدّثة ، وإن يكن البعض يجعل نومينوس زعيم المذهب ويرجع الأفلاطونية المحدّثة إلى جهود كثيرة بدأت بشيشرون .

وأفلوطين مصري ، ولد ببلدة ليقو بوليس بمصر العليا ، وانصرف إلى دراسة الفلسفة وهو بعد في الثامنة والعشرين ، وقصدَ لذلك الإسكندرية ، واختلف إلى أساتذتها ، ولم يعجبه سوى أمونيوس ساكاس فلزمه إحدى عشرة سنة ، ولم يغادره إلاّ عندما تهيَّأ للارتحال ضمن حملة غورديانوس ضد الفرس ، عملاً بنصيحة أستاذه ، ليتعرَّف بنفسه على الفلسفتين الفارسية والهندية ، لكن غورديانوس قتل بتحريض من فيليب العربي الذي خلفه ، ففرَّ أفلوطين ، الأمر الذي يثير الشك في اشتراكه في المؤامرة ، وشدَّ رحاله إلى روما ، وأخذَ يعلم ، وبدأ يكتب في الخمسين ، وكان يملي فلسفته في شكل مذكرات ، واشتهرَ حتى صارَ الإمبراطور غالينوس وزوجته من تلاميذه ، وربما وجدَ

فيه الإمبراطور عوناً له على إحياء الوثنية ، وربما كان لأفلوطين نشاط سياسي أوغر صدور رجال البلاط عليه ، فلما ماتَ غالينوس اختفىٰ أفلوطين وتشتّت حواريّوه وقد أزعجتهم الحملة المضادة ضد غالينوس ، ويُقال إنه توفي بعد مقتل غالينوس بسنتين متأثراً بمرض الجذام بضيعة أحد أصدقائه من أصل عربي . وبعد وفاته انصرفَ تلميذه فورفوريوس إلى تجميع رسائله وتصنيفها في ستة أجزاء ، أطلقَ على كل منها تساعية لأنها تضم تسع رسائل . ويطوّر أفلوطين مفهومه عن الخير أو الواحد عند أفلاطون ، ويصفه بأنه المبدأ أو العلّة الأولى ، لأنه مبدأ كل شيء ، مفارق لكل شيء ، لكن كل شيء يفيض عنه ، وهو واحد بمعنى أنه بسيط متجانس وجوهر ، وهو فوق الوجود ولذلك لا يقبل أن يحمل شيء عليه ، لأن كل محمول يحمل على موجود ، والله يتجاوز ويعلو على كل وجود ، وفيوضه أزلية ، تصدر عنه أو تشرق منه فتتشتت وتتكثر في سلم تنازلي للوجود ، تبدأ بالعقل غير المحسوس وتتقدم إلى المحسوس في الزمان والمكان ، وكلّما تقدمت تبددت كالضوء الذي ينتشر ويتّسع حتى يتلاشىٰ ويتبدد وهذا هو العدم ، والعدم هو آفة المحسوس . لكن هذه الحركة للأمام تقابلها حركة نكوصية ترتد بها الكائنات والإنسان إلى المبدأ الأسمىٰ الذي فاضت عنه ، وتعلم الأخلاق الإنسان كيف يشبع في نفسه هذا الشوق إلى المصدر ، وتتطلب نوعاً من المعرفة يعلو على المعرفة العادية ليتناسب مع الغاية منها ويسترد بها الإنسان وحدته بعد التشتت ، ليستطيع بوحدته أن يواجه الضرورة ، لأن الانقياد لها هو الشر ، وأن يعرف نفسه ، فبمعرفته لنفسه تتوحد أجزاؤه ويعلو على نفسه فيتصل بالواحد الأحد ، ولأنه واحد غير معين فليس موضوع إدراك ، وإنّما يتصل به القلة بفقدان الشعور في اللاشعور الإلّهي ، أو بالوجد الصوفي .

وبعد وفاة أفلوطين كان لكتبه تأثيرها الضخم في الأفلاطونية كما أذاعها ، وطبع الأفلاطونية المحدّثة بطابعه ، وترجمت « التاسوعات » إلى اللاتينية ، فكانت مصدراً رئيسياً من مصادر التفكير الديني ابتداءً من القرن الرابع ، وانتهاءً بالجماعة التي أطلقت على نفسها اسم أفلاطونيي كيمبردج . وكانت لفلسفته أصالتها رغم أنه كان يزعم أنها محاولة للتوفيق بين أفلاطون ، وخاصة في المحاورات ، وأرسطو والفيثاغوريين والأفلاطونيين والأرسطيين اللاحقين ، وكان يصف هذه المحاولة بأنها جهده المتواضع (كان أفلوطين شديد التواضع ويستحي من نفسه والناس ويبدي الخجل كلما أطراه أحد) لهداية الناس إلى الله الذي منحهم الوجود ووضع فيهم الدافع للعودة إليه والاتحاد به .

أفيناربوس .... Avenarius

(١٨٤٣ ـ ١٨٩٧) ريتشارد أفيناريوس ، سويسري ، مؤسس الفلسفة النقدية التجريبية ، ولد في باريس ، وتعلم بليبزج ، وعلم في زيورخ . كتابه الرئيسي « **نقد التجربة الخالصة Kritik der reinen Erfahrung** » (١٨٨٨ ـ ١٨٩٠) . وغاية الفلسفة عنده تكوين مفهوم طبيعي عن العالم يقوم على التجربة الخالصة ، ويعرفها بأنها التجربة التي يدخلها الفرد مع البيئة ، فلا يستدمجها ، ولكنه يعاملها على قدم المساواة ، ويتعرف عليها وكأنه يتعرف على نفسه ، وتتكون لديه صورتها التي تماثل الواقع ، ويستخدم في ذلك ما يسميه « مبدأ الاقتصاد في الفكر » فيستبعد كل عناصر الصورة التي ليست موجودة في الواقع ، حتى يستطيع ان يفكر فيما يعرض له في التجربة ، باذلاً أقل الجهد كما يقضي بذلك مبدأ الجهد الأقل ، وبذلك تخلص له تجربته من كل الشوائب ، وتكون مكونات التجربة متماثلة تماماً مع مكونات البيئة .

إقبال .... Ikbal

(١٨٧٧ ـ ١٩٣٨) محمد إقبال ، إسلامي محدث ، ولد في سيالكوت بالبنجاب ، وتعلم في كيمبردج على ماكتجادت وورد ، وحصل على الدكتوراه من زيورخ . أهم كتبه « **إعادة تركيب الفكر الديني في الإسلام** » (١٩٥١) ، وعنده أن الدين تجربة مركبة عقلية وروحية وخلقية ، وأنه لا يعارض الفلسفة ، وإنما

هو جانب من الحقيقة موضوع الفلسفة ، ومن الناحية التاريخية كان المتكلمون الأشاعرة هم الـذين استغلوا أسـاليب الجـدل الإغـريقيـة للدفـاع عن العقيـدة الصحيحة ، وغالى المعتزلة وابن رشد في الاعتماد على العقـل حتى انفصلوا عن التجربـة الحية في الـدين ، وأخطأ الغزالي عندما أقام الإيمان على أساس من الشك الفلسفي ، برغم أن الفكر المتنـاهي يعجز عن إدراك اللامتناهي . وينطوي القرآن ، عند إقبال ، على مفهوم للعالم يندمج فيه الواقع والمثال ، وليس الإنسان فيـه مخلوقاً قد انتهى الله من صنعه ، ولكنه مشروع يحقق نفسه باستمرار . ويدرك الإنسان هذه الحقيقة عن نفسه من خلال تجربته الحية التي لها جانبان ، الظاهر منهما عملي اختباري ، والباطن روحي صوفي ، أي أن أصالة تجربته تقوم على شكلها التطبيقي ومحتواها الفلسفي . ويحـاول إقبال لـذلك أن يجـد للـنظريـات الفلسفيـة المعاصرة نظيرها في الفلسفة الإسلامية ، ومن خـلال ذلك يعيد التأكيد على الحـس القرآني بواقعية الوجود في شكليها الحسـي والروحي .

أقريسيبوس .... **Chrysippus**

(نحو ٢٧٩ ـ ٢٠٦ق.م) رواقي ، ولد في سـولي من أعمال كليكية ، وكان ثالث رؤساء المدرسة الرواقية بأثينا ، واشتهر بدفاعه عن الرواقية ضـد أرقاسيـلاوس والأكاديمية الشكية حتى لقد قيل إن الرواقية ما كـانت لتستمر لولا أقريسيبوس، ويقال إنه كتب ٧٠٥ كتاباً عالج نصفها المنطق واللغة ، ولم يتبق منها سوى شذرات ، ولذلك استحقَّ عن جدارة لقب المؤسِّس الثاني للرواقية ، خـاصـة أنهـا كـانت قـد تـدهـورت في عهـد أستـاذه أقلينتوس .

أقراطيلوس .... **Cratylus**

أثيني ، عاصر سقراط ، لكنه فيما يبدو كان أصغر منه سناً ، وكان فيما يقول أرسـطو من أتباع هـرقليطس ، وارتبط به أفلاطون في شبابه ، ويقول أرسـطو إن هذا حدث قبل أن يتتلمـذ على سقراط ، ولكن المصـادر الأخـرى تؤكد أن تـأثره بـأقـراطيلوس كـان بعـد وفـاة سقراط . وتبدأ فلسفته بدعوى ان العالم الـطبيعي في صيرورة دائمة ، وقال كما قال هرقليطس إنك لا تستطيع أن تضع قدمك في النهر مرتين ، ولكنه أضاف ولا حتى مرة واحدة ، على رغم أن ماء النهر يتغيـر حتى وأنت تضـع قدمـك فيه ، وانتهى بـه الأمـر بـرفض الكـلام والاكتفاء بالإشارة بالأصابع طالما أنه ما من سبيل إلى التعبير عن شيء أنت تعرف أنه لن يكون هو نفسه بعد حـديثك عنـه . ويقول أرسـطو إن أفلاطـون أخذ عن أقراطيلوس مبدأ الصيرورة ، وقد صوره أفلاطـون في محاورة « أقراطيلوس » وهو يطرح فلسفته في الأسماء بدعوى أن كل شيء له اسم ، وأن الطبيعة قد أضفت هـذه الأسماء على الأشيـاء ، وأنها تصف طبيعـة هذه الأشياء ، ويقول بعض النقاد إن دعوى امتلاك الأشياء لأسماء تصور طبيعتها تتناقض مع دعوى الصيرورة في الـطبيعة ، ويبـدو أن أقراطيلوس لم يتبين التنـاقض ، ولذلك فقد امتنع عن الكلام في مرحلة لاحقة عندمـا أدرك أن الكلمـات تصف أشياء ثـابتـة بينمـا الأشيـاء متغيرة .

إقليدس الميغاري .... **Euclides of Megaria**

(نحو ٤٣٠ ـ ٣٦٠ ق.م) من أصحاب سقـراط ، ومؤسس المدرسة الميغارية Megarian School . عاد إلى وطنه ميغارا بعد وفاة سقراط ، واستضاف أفلاطون لبعض الـوقت ، وجمـع في فلسفتـه بين الإيليـة والسقراطية ، وقال إن الخير واحد لا يتغير وإن تغيرت أسماؤه ، فهو قد يكون الحكمُة أو الله أو الوجـود أو العقل ، فالخير والوجود متساويان ، وما ليس خيراً فلا وجود له . واشتهر إقليدس بالجدل ، ويقوم جدله على برهان الخلق بهدم النتيجة دون التعرض للمقدمات ، وقيل إنه كان يقلد زينون ، بعكس سقراط الذي كـان يعتمـد على الاستقـراء بـالأمثلة ويهـاجم مقـدمـات الخصم .

أقلينتوس .... **Cleanthes**

(نحـو ٣٣١ ـ ٢٣٢ق.م) رواقي ، وثاني رؤسـاء المدرسة الرواقية بعد زينون الكيتومي ، ولد في أسوس

وقدم إلى أثينا واستمع إلى زينون وصار رواقياً متعصباً ، وكان شديد التواضع والصبر ، ولكنه كان ضئيل الشأن فكرياً حتى لقبوه « الحمار » ، ولذلك اضمحلت الرواقية بزعامته ، لكنها استعادت مجدها عندما خلفه عليها تلميذه أقريسيبوس المؤسس الثاني للرواقية وثالث زعمائها . ويقال إنه كتب خمسين مخطوطة لم تتبق منها غير شذرات ، غير أنه لا يعرف إلا بترنيمته للإله زيوس التي يجمع فيها كل تعاليم الرواقية .

أكاديمية إغريقية .... Greek Academy

مدرسة أو جمعية فلسفية أنشأها أفلاطون بعد سنة ٣٨٧ق.م ، واتخذ مقرها ببيت له اشتراه بالقرب من الحديقة العامة التي كانت تسمى أكاديميكا Academeca على بعد نحو ميل من بوابة ديبلون في مدينة أثينا القديمة . واشتهرت المدرسة باسم الحديقة ، وظلت مفتوحة تمارس تدريس الفلسفة حتى أغلقها جستنيان مع ما أغلق من مدارس التفكير الوثني سنة ٥٢٩ق.م .

وينقسم تاريخ الأكاديمية إلى مراحل ثلاث ، هي الأكاديمية القديمة التي علم بها أفلاطون وأرسطو وثياطيقوس وإيودوكسوس وفيليبوس وهيراقليدس وسبيوسيبوس وإكسينوقراطس وبوليمون وكرانتور ، وعالجت المسائل التي طرحها أفلاطون . ورأس الأكاديمية بعد ذلك أرخلاوس (٣١٦ - ٢٤١ق.م) وتسمى هذه الفترة الأكاديمية المتوسطة ، واشتهر بنقضه للنظرية الرواقية في المعرفة وباتباعه لضرب من الشك السقراطي المغالى فيه ، ثم خلفه أقريسيبوس وتلميذه قرنادس (٢١٤ - ١٢٩ ق . م) وتسمى أكاديميته بالأكاديمية الجديدة ، وتميز تعليمه بالهجوم الشديد على كل المذاهب القطعية واعتماد المذهب الشكي . وجاء رد الفعل في الأكاديمية الرابعة بتولي فيلون اللاديساوي (١٦٠ / ١٥٩ - ٨٠ق. م) مدرس شيشرون الذي حاول إحياء التراث الأفلاطوني مع استبقاء الشك حيال الإبستمولوجيا الرواقية ، وخلفه تلميذه وخصمه أنتيوخوس (١٣٠ - ٦٨ق.م) الذي تولى الأكاديمية الخامسة وزعم أن فلاسفة الأكاديمية الجديدة قد حرفوا تعاليم الأكاديمية القديمة بادعاء أن الحقيقة مستحيلة ، وانتهى إلى فلسفة انتقائية تجمع بين الرواقية والمشائية .

أكاديمية فلورنسا Florentine Academy

الاسم الذي أطلق على حلقة الفلاسفة والعلماء الذين تجمعوا حول مارسيليو فيشينو بين سنتي ١٤٦٢ و ١٤٩٤ تحت رعاية أسرة مديتشي ، وتوجهوا بدراساتهم لكتب أفلاطون وتابعيه ، واتخذوا لأنفسهم إسم الأكاديمية تذكيراً بأكاديمية أفلاطون ، وكانوا يقيمون المآدب في ذكرى ميلاده في السابع من نوفمبر من كل عام . ولم يكن بينهم وبين الأكاديمية الأخرى في فلورنسا في ذلك الوقت أو فيما بعد أية صلة ، ولذلك سميت أكاديميتهم في فلورنسا بأنها الأكاديمية الأفلاطونية تمييزاً لها عن غيرها من أكاديميات فلورنسا . ويرجع فضل تأسيسها إلى كوسيمو دي مديتشي ، فقد تحمس لأفلاطون نتيجة لمحاضرات جيمستوس بلثيو عنه ، ومن ثمَّ خصَّص لفيشينو إحدى فيلاته في كاريجي ، وعهد إليه بترجمة أعمال أفلاطون كاملة ودراستها والتعليق عليها والمحاضرة فيها . وضمَّت الحلقة فلاسفة من أمثال جيوفاني بيكوديلا ميراندولا وفرانسيسكو كاتاني دادياكيتو ، وعلماء وشعراء من أمثال كريستوفرو لانديو ولورينزو دي مديتشي وأنجلو بوليزيانو وجيرولامو بينيفيني . واشتهرت الأكاديمية بما كانت تبعث به من رسائل إلى كل من إيطاليا وأنحاء أوروبا ، ومن ثم صارت أبرز مراكز الأفلاطونية في عصر النهضة . وكان تأسيسها على نمط الأكاديميات اليونانية القديمة ، فهي مجتمع من الأصدقاء المتحابين ، وهم تحقيق لنظرية فيشينو في الصداقة أو نظرية أفلاطون في الحب الأفلاطوني . ومع أنها استمرت لأربعة أجيال من حكام أسرة مديتشي إلا أننا لا نستطيع أن نقول إنهم استخدموها لأية أغراض سياسية ، وبعد طرد أسرة مديتشي سنة ١٤٩٤ لم نعد نسمع من أمرها شيئاً يذكر .

إكسانوفون .... Xenophon

(نحو ٤٣٠ ـ ٣٥٠ق.م) أثيني ، لم يكن فيلسوفاً ولكنه كان كاتباً ممتازاً ، تصدى لحياة سقراط ودافع عنه ضد ما اتهم به ، وكتب ذكرياته الشخصية وما نُمي إليه من قصص عن سقراط في كتابه الذي اشتهر به « ذكريات عن سقراط Memorabilia » وصفه فيه كإنسان وصديق ومعلم ، وتحدث عن أثره الطيب في المحيطين به . وجاءت الصورة التي رسمها له صورة لعلم الأخلاق الثوري ، ولكن أسلوبه لم يرق أبداً إلى أسلوب أفلاطون ، ولم يفهم فلسفته وأبعادها كما فهمها أفلاطون .

إكسانوفان القولوفوني
Xenophanes of Colophon

(نحو ٥٧٠ ـ ٤٨٠ق.م) يسميه الإسلاميون إكسنوفانس ، إغريقي ، أيوني ، ولد بقولوفون من أعمال أيونيا ، لكنه هجرها بعد سقوطها في يد الفرس عام ٥٤٦ق.م ، وراح يجول في أنحاء اليونان وصقلية ، واستقر في إيليا جنوبي إيطاليا على ساحلها الغربي ، وكان شاعراً ناقداً ، هاجم بشدة معتقدات اليونان السائدة وتعدد الآلهة وتصويرها في صورة البشر ، وقال في ذلك ساخراً إن الحيوانات لو استطاعت لصورت الآلهة على صورتها طالما أن الإنسان نفسه فعل ذلك ، وقال بإله واحد ، ثابت ، لا يشبهه أحد ، ولا يشبه أحداً ، يحرك كل الأشياء بقوة تفكيره . وقال إن الأرض والماء ضروريان للأحياء ، وأنه ما من سبيل لليقين، وانه لا وجود للمعرفة ، وإنما الموجود منها اجتهادات ووجهات نظر ، وأما المعرفة الحقة فهي لله وحده .

أكوستا .... Acosta

جبريل أكوستا (أنظر كوستا) .

أكويني .... Aquinas

(١٢٢٤ ـ ١٢٧٤) القديس توما الأكويني ، ولد في روكاسيكا بالقرب من أكوينو على الحدود الشمالية لمملكة صقلية القديمة بإيطاليا ، وكان أصغر إخوته ، درسَ بكلية الآداب بجامعة نابولي ، ثم التحقَ بجامعة باريس ، وتتلمذ على ألبرت الكبير بكولونيا ، وعادَ إلى باريس لمزيد من الدراسة وظلَّ يحاضر بها إلى أن حصل على الدكتوراه في اللاهوت (١٢٥٦) ، وعارضَ بعض أساتذة الجامعة تعيينه أستاذاً متفرغاً لصغر سنه ، ولكن البابا أعفاه من شرط السن ، وظلَّ بها حتى عادَ إلى روما (١٢٥٩) محاضراً ودارساً وإدارياً ، إلَّا أنه عادَ إلى باريس أستاذاً بجامعتها لمدة أربع سنوات أخرى ، ودخل في ثلاثة صراعات ، أولاً مع الأوغسطينيين ويمثلهم تقريباً كل أساتذة اللاهوت بالجامعة بسبب اتجاهاته الأرسطية ، ومع الأرسطيين ثانياً والرشديين اللاتين لتأويلاته لأرسطو ، وثالثاً مع المعارضين لحق الدومينكيين والفرنسيسكيين في التدريس بالجامعة . وفي تلك الفترة دوَّن الكثير من مؤلفاته ، وكان بسبيله إلى الانتهاء من بعضها . وتبلغ مصنفاته ثمانية وتسعين كتاباً ، يصل بعضها إلى ثلاثة آلاف صحيفة ، ومن المظنون أنه كان له عدد من السكرتيرين لمساعدته ، وخاصة أن خطه لم يكن مقروءاً . وفي سنة ١٢٧٢ استُدعي إلى روما ، ودرسَ نحو عام بجامعة نابولي ، وتجهَّز للسفر إلى ليون بفرنسا عام ١٢٧٤ ولكن المرض أقعده ثم توفي في مارس من ذلك العام . وعقبَ موته ظهرت حركة تناوىء تعاليمه وتسمي فلسفته بالتوماوية وتتهمه صراحة ، إلَّا أن التوماوية زادَ مشايعوها ، وفي سنة ١٣١٨ أعلن البابا أن التوماوية منحة إلَهية وأن الأكويني قديس ، ووجد الكاثوليك في التوماوية أسلحة فلسفية يحاربون بها الفلسفات الحديثة الإلحادية واللاأدرية ، وخاصة كتابيّ الأكويني الكبيرين « المجموعة الفلسفية أو الرد على الأمم » و « المجموعة اللاهوتية » ، وشروحه على « الأسماء الإلَهية » لديونيسيوس المجهول ، وشروحه على كتب أرسطو ، ويُقال إن الأكويني طلب إلى وليام الموربيكي مراجعة ترجمات أرسطو المتداولة ، وأن يزوده بترجمات جديدة لها متميزة عن إضافات كبار

المفكرين العرب كابن سينا وابن رشد ، ولقد حذا الأكويني من شرحها حذو ابن رشد إلاّ أنه نصر أرسطو أو كما يقول البعض عمده .

والواقع أن الأكويني كان انتقائياً ، ألّف بين الأرسطية والرواقية والأفلاطونية المحدّثة والأوغسطينية ، وتأثّر بما كتب شيشرون وابن سينا وابن رشد وابن جبرول والميموني من شروح لأرسطو . ولعلَّ من أبرز خصائصه أنه كانت له اجتهاداته الخاصة بين عديد الاجتهادات والتفسيرات والتأويلات ، ويتمثَّل ذلك جلياً فيما ارتضاه من حل لمشكلة الكليات ، فلقد ظلَّ الفلاسفة لقرون يتجادلون حول ما إذا كانت الأنواع والأجناس حقائق في ذواتها (أفلاطون وبويس ووليام شامبو) أو أنها مجرد تراكيب عقلية (روسلين وبطرس أبيلار) ، ويسمى موقف الأكويني من هذه المسألة ، الآن ، واقعية معتدلة ، فهو يرفض أن يقول إنها حقائق موجودة ، وينتقد أفلاطون لذلك ، ولكنه يصرّ في نفس الوقت على أن المفاهيم الكلية للبشر لها بعض ما يساندها في الواقع الخارجي ، فأساس الكليات مثل الإنسانية والعدالة إلخ أن الناس يتشابه وصفهم بها ، وليس معنىٰ ذلك أن لكل الناس طبيعة واحدة ، فهذه واقعية متطرفة لم يعرفها الأكويني ، لكنه قال : إن آحاد الناس يوجدون ، وآحاد النوع الواحد يتشابهون ، وتشابههم هذا أو اشتراكهم في صفات واحدة هو أساس هذه الكلية المختلف حولها .

والأكويني ينسب الإيمان للإرادة ويصفه بأنه نعمة من الله يختصّ بها عباده المؤمنين ، ويجعل الاستدلال الحسّي للعلوم الطبيعية ويقصر التفكير الديني على مسائل الدين التي تستلزم الإيمان ، ويفرّق بين الاستدلال التأمّلي والاستدلال العملي ، ويجعل الأول بهدف تحصيل المعرفة والثاني يخص السلوك . واللاهوت عنده فلسفي يجعل من الإلٰهيات مبادىء يفسّر بها كل شي ، ولاهوت الكتب السماوية الذي مناطة الإلٰهيات في ذاتها . ويقول الأكويني إن الفلسفة ضرب من المعرفة متاح لكل الناس الراغبين في تفهّم معاني خبراتهم اليومية ، والتفلسف الحق هو الذهاب بعيداً إلى العلل الأعم ، وتختلف الفلسفة عن العلوم الجزئية بأنها لا تقنع بالعلل القريبة ، ويقسمها إلى نظرية وعملية ، والنظرية تعزل العام والثابت من الوقائع المتغيرة ، وهي طبيعية أو رياضية أو ميتافيزيقية ، والعملية ميدانها الفلسفة الأخلاقية ، وتشتمل على الأخلاق الفردية والاقتصاد والسياسة ، ويتخلل المنطق كل العلوم الفلسفية . ويتمسك الأكويني بمنطق أرسطو ، ويبدأ بالاستقراء ، ويتقدم على نهج استنباطي بعدي كشفي ، أو استنباطي قبلي تقويمي . والأشياء وقائع في الزمان والمكان ، وهي جواهر وأعراض ، والجواهر قادرة على الوجود بذاتها ، والأعراض تتّصف بها الجواهر فهي ذات كمية وكيفية معينة . وتجري العمليات المادية بتأثير العلل الأربع الغائية والفاعلية والمادية والصورية . والجوهر المادي للشيء أو الهيولى هو مادته المجردة ، بمعنى أن الخنزير حينما يأكل تفاحة فلن يتمثلها ويتبقى فيه جزء منها يصير من مادة جسمه ، وهذا الجزء هو المادة المجردة للتفاحة ، ولكن التفاحة نفسها لها شكل أو صورة ما وكل كائن يتكوّن من الجوهر المادي أو الهيولى والصورة ، والإنسان هيولى وصورة ، ونفسه هي الهيولى ، وتؤلّف مع الجسد أو الصورة موجوداً يتوسط الملائكة والعجماوات ويشترك على نحو معيّن في خصائص المرتبة العليا والمرتبة الدنيا . وللنفس قوى منها ما يمارس عمله دون آلة جسمية كالتعقل والإرادة ، وهذه هي النفس العاقلة أو الناطقة ، ومنها ما يمارس عمله بآلة جسمية وهذه هي أفعال الحياتين النامية والحاسة وهي النفس النامية التي تشتمل على قوى العناصر الطبيعية ، والنفس الحاسة الخاصة بالعمليات الحسية . وبعد الموت يبقى من قوى النفس العقل والإرادة ، ولا تبقى القوى الأخرى بالفعل ولكن بالقوة . ويتحرك الإنسان باختياره إلى الفعل ، ولكن فعل الإرادة لا يصدر عن حرية أصلاً ، فالله هو المحرك الأول الذي يدفع كل قوة إلى فعلها بحسب طبيعتها . والله هو خالق كل الموجودات ، ولا يوجد ما هو عين وجوده سوى الله ، ويستنتج وجود الله بحجج ثلاث وخمسة أدلّة ، والحجة الأولى أن الإنسان يتشوّق إلى

السعادة بطبعه ، والله سعادته ، وما يكون التشوّق له طبعاً لا بد أن تكون معرفته طبعية ، والثانية حجة أسلم أن الإنسان لا يتصور في عقله من هو أعظم من الله ، وما يوجد في الواقع أعظم مما يوجد في العقل ، والحجة الثالثة حجة أوغسطين أن وجود الله بيِّن بذاته ، ومن ينظر إلى السماء والأرض بنظاميهما وإبداعهما لا يمكن أن ينكر وجود الله . ويسمي الأكويني أدلته الخمسة طرقاً يحصر بها المعلولات أو الإمكانات في العالم ، فمن جهة الحركة ليس يمكن أن يكون الشيء محركاً لنفسه وأن يكون بالقوة وبالفعل معاً ، وكل متحرك متحرك من آخر ولا يجوز التسلسل إلى ما لانهاية ولا بد من الانتهاء إلى محرك أول غير متحرك ؛ ومن جهة الوجود ليس يمكن أن يكون الموجود علة فاعلية لنفسه ، ولا يجوز التسلسل إلى ما لانهاية فلا بد من علة فاعلية أولى ؛ ومن جهة الممكن والواجب ليس يمكن للموجودات أن توجد ولا توجد ، فلو كان عدم الوجود ممكناً لما كان العالم ، فلا بد أن يكون هناك موجود واجباً لذاته ؛ ومن جهة تفاوت الموجودات في الصفات المعنوية ليس يمكن أن توجد هذه الصفات على إطلاقها ، فلا بد أن يكون هناك موجود هو غاية هذه الصفات ، ومن جهة الطبيعة فإن الموجودات التي لا معرفة لها تفعل لغاية وتتجه في فعلها للأحسن ، وتنتظم مع بعضها البعض ، وكل ذلك عن قصد وليس مصادفة ، وليس يمكن أن تفعل ذلك إلَّا بتوجيه من موجود عارف منظم .

ويتناول الأكويني ماهية الله فينفي عنه التركيب والنقص ويخلص إلى صفاته الثبوتية ، فحيث إن الله هو عين وجوده فهو الكامل وهو الخير الأعظم والخير بالذات أو هو فوق الخير .

وموضوع الأخلاق عند الأكويني الأفعال الإنسانية الإرادية الاختيارية ، فلا بد لحياة البشر من غاية ، وغاية الإنسان إشباع رغباته واستيفاء كماله ، وكمال الإنسان في عقله ، وسعادة العقل المعرفة ، ، وأكمل المعارف ما اشتركت فيه العقول جميعاً ، وهي معرفة الله الذي هو الخير المطلق والحق المطلق ، والسعادة الحقة تكون أولاً بمعرفة الله وثانياً بممارسة الفضيلة ، وثالثاً بامتلاك كل ما ييسر الحياة الفاضلة من مال وخلافه .

والإنسان مفطور على الاجتماع بقصد أن يستكمل كل فرد طبيعته ويحقق غايته ، والمجتمع والدولة يعينانه على ذلك بما لا يقدر عليه وحده ، والدولة الأمثل هي الدولة الموناركية أو حكومة الفرد الفاضل ، لأنه تطابق الطبيعة التي يسودها مبدأ واحد ، فالجسم تسوده النفس ، والأسرة يسودها الأب ، والعالم فوقه الله . وهي موناركية انتخابية ، سنَّها الله لموسىٰ فكان موسىٰ وخلفاؤه يحكمون بواسطة ٧٢ حكيماً يختارهم الشعب ، بينما يختار الله الخليفة . ومهمة المجلس المختار سن القوانين الوضعية ، ولا خيرَ فيها ما لم تكن متفقة مع العقل والطبيعة ولخير الناس كافة ، أي متفقة مع القوانين الإلّهية ، والطاعة واجبة على المواطنين إلَّا إذا جارَ القانون بأن يكون مناقضاً للقانون الطبيعي والقانون الإلّهي . والملكية الفردية من القانون الطبيعي ، وخير الملكيات الملكية المشتركة كما يحدث في الرهبنات ، والإنجيل يأمر بالفقر الإرادي .

ألبرت السكسوني .... Albert of Sexony

(١٣١٦ - ١٣٩٠) فرنسي ، من أتباع الإسمية ، تعلَّم بجامعة باريس ، وتتلمذَ على بوريدان ، وصارَ معلماً بها ، ثم مديراً عليها (١٣٥٧) ، ثم مديراً لجامعة فيينا عند إنشائها (١٣٦٥) . وكان يعد من كبار المفكّرين العلميين الذين يتَّسم فكرهم بالأصالة . وكان له أثره الضخم في الفكر العلمي في العصور الوسطى ، ولم يكتشف إلَّا حديثاً أنه أخذ أغلب أفكاره من مدرسة حنَّا بوريدان ومن نيقولا أوريسم . ويرتبط اسم ألبرت بشكل خاص بنظرية الزخم Theory of Impetus ، وعرف الزخم بأنه خاصية الحركة الفطرية ، وقال : إن الكتلة الأكبر تولد زخماً أكبر وعجلة متزايدة (ولهذا ينطلق الحجر أسرع من الريشة) ، وحاول ألبرت أن يحدد النسبة بين سرعة الحركة ومدتها ومسافتها ، وقال إن الأرض متحركة والسماء ثابتة .

ألبرت الكبير
Albertus Magnus ; Albert the Great

(١٢٠٦ - ١٢٨٠) كان القرن الثالث عشر أوج الفلسفة المدرسية ، وشغل ألبرت الكبير منه أربعين سنة حافلة بالإنتاج الفلسفي ، وكان الشخصية التي سادت هذا القرن وطبعته بطابعها . ويكفي أن لجنة ألفت لتحقيق كتب أرسطو فلم تنته من مهمتها واضّطلع ألبرت بها وحده .

ولد ببافاريا فيما بين ١١٩٣ و١٢٠٦ ، وتعلّم بجامعات بولونيا وبادوفا وباريس وعيّن معلماً بالأخيرة بعد حصوله على الدكتوراه منها ، فكان مرجعاً وخبيراً في أرسطو ، وكان تدريسه لأرسطو عملاً جريئاً لأن كتبه كانت لا تزال محرمة ، واشتهرت تأويلاته في كل أوروبا ، وعندما مات صارت كتبه مراجع يستشهد بها إلى جانب كتب أرسطو وابن سينا وابن رشد والفارابي . وكان الوحيد من بين مثقّفي هذا العصر الذي أطلق عليه وصف الكبير ، وهو يشرح أرسطو ويفسره سطراً سطراً ، ويعلق عليه فيقول مثلاً لقد جربت ذلك أو ولقد جربنا ذلك أنا ورفاقي ، أو لم أجرب هذا ، وهو كفيلسوف أقرب إلى العلماء منه إلى المفكرين . وانحصرت مهمته كغيره من فلاسفة عصره في محاولة تطويع الفكرين الإغريقي والعربي للمسيحية وخدمتها . وكان في تأويلاته يتابع الفارابي وابن سينا وابن ميمون ، ويعارض ابن رشد وابن جبرول . ومذهبه انتقائي ، ويفرّق بين اللاهوت والفلسفة ، وعنده أن اللاهوت يقوم على الوحي ، وأن الفلسفة تنهض على العقل ، ولكنه يدفع عن الفلسفة تهجّم الجهال فالعبرة فيها الدليل والمرجع إلى العقل ، ويردد قول سنيكا « لا من يقول ، بل ما يقول » أي إن الأهم هو ما يقول الشخص وليست العبرة بأنه كذا أو كيت ، وكان يكثر من ترديد قول ابن رشد « إن المشائين لم يتبعوا أرسطو إلاّ لأنهم لم يستعص عليهم أبداً فهم أقواله » .

ألثوسياس .... Althusius

(١٥٥٧ - ١٦٣٨) يوحنا ألثوسياس ، ألماني ، عرف بميوله الديموقراطية وسعة علمه وشدة تدينه ، واشتهر بكتابه « **السياسة مرتبة ومصورة منهجياً بأمثلة مقدسة ودنيوية** » ، وفي رأيه أن السياسة هي العلم الذي يربط الناس إلى بعضهم البعض ليصنعوا معاً حياة اجتماعية ،وأن الناس يعيشون في مجتمعات تعاونية طبيعية ، وأنهم يقيمون معاً تعاونيات مدنية وخاصة ، وأن كل فرد ينضم إلى هذه التعاونيات بمحض اختياره تدفعه إلى ذلك عواطفه واهتماماته الخاصة . وهو يشبه هنا جروتيوس وروسو ، ولكنه رفض الحكم الملكي المطلق ، وقال إن السيادة والحكم للشعب وليس للملك ، وأن الشعب خلال ممثليه مسؤول عن علاج وحل مشاكله وقضاياه ، وأن الحاكم ليس إلا مندوب الشعب ، وأنه يجوز عزله إذا تصرف عكس ما يراه الشعب ، وأن على ممثلي الشعب في جمعياته الوطنية الامتثال لوصايا الله والقوانين الطبيعية ، وأن ضرورات الطبيعة الإنسانية مصدر من مصادر التنظيم الاجتماعي ، مثلها مثل إرادة الله .

إلحاد .... Atheism

هو الكفر بالله ، والملحد هو الذي يحكم على عبارة « الله موجود » بأنها قضية كاذبة ، والفرق بين الملحد واللاأدرى أن الملحد منكر لله ، قاطع في إنكاره ، ومتعصب لهذا الإنكار ، بينما اللاأدرى يعلق الحكم على وجوده أو عدمه ، فهو لا يعرف ، وغير واثق ، ويفضل ألا يقضي في الأمر برأي .

والملاحدة فرقة من المعاندين ، قد يكون عنادهم من موقف سلبي أصيل ، وعندئذ قد يجوز أن يجتمع الإلحاد في عقولهم والاعتقاد بالأخلاق والمواثيق والالتزام بها ، وإن كان لوك لا يعتقد بأن في الإمكان التعديل على الملحد ، لأن إنكار وجود الله يعني أن كل إنسان يمكن أن يفعل ما يراه دون حسيب ولا رقيب .

والملاحدة يسمون أحياناً بالدهريين ، وأحياناً بالطبيعيين ، والأولون ذهبوا إلى قدم الدهر واستناد الحوادث إليه ، والآخرون قالوا بقدم المادة ، فهي لم تزل على كميتها، لا تزيد ولا تنقص، ولو كان علم الفيزياء

يقول بأنها تزيد لكان معنى ذلك أنها كانت عدماً في يوم من الأيام ، وأن الله هو الذي خلقها من العدم ، ولكن المادة لم تزل ، والطبيعة تعمل وفق قوانينها ، ولذلك ففيها الإسراف ، وتسير وفق التطور ، ومنهجها هو المحاولة والخطأ ، والنقص والشر والآلام في العالم لا يمكن أن تتفق مع القول بوجود إله ، عالم ، قادر ، كامل ، خير ، ثم لو كان هناك إله حقاً فلماذا لم يزود عقول الناس بالدليل المباشر على وجوده،ولذلك ذهب الملحدون إلى ترك العبادات رأساً لأنها لا تفيد ، وإنما الطبيعة أو الدهر مجبول من حيث الفطرة على ما هو الواقع فيه ، فما ثم إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وسماء تقلع ، والعالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه وبلا صانع .

وقد يطلق الإلحاد على إنكار وجود الله ، كما قد يطلق على إنكار صفة من صفاته ، ويكفي أن ينكر المرء أصلاً من أصول الدين ، أو اعتقاداً من الاعتقادات المألوفة حتى يتهم بالإلحاد . وقد اتهم علماء بالإلحاد رغم أنهم قالوا بإله واحد ، ولكنهم لم يسلموا من تهمة الإلحاد لمخالفتهم الإجماع .

ألقميون الأقروطوني .... Alcmaeon of Croton

عاش في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلادي ، وقارن أرسطو بين نظريته في الأضداد ونظرية فيثاغوراس ، وعده المؤرخون فيثاغورياً ، وكان ألقميون طبيباً بارعاً ، ولكن الطب كان مختلطاً بالفلسفة ، وكان الأطباء يتساءلون : ما هي الصحة ، وكيف تعمل الأحاسيس ؟ وبنى ألقميون تصوره للطب على أنه تناسب الأضداد ، الحار والبارد والشهيق والزفير ، واختلال النسب يحدث المرض ، وزيادة الاختلال تحدث الموت ، فالحياة والصحة توازن أو تناسب ، والمرض والموت اختلال في التناسب ، والطب علم حفظ التناسب واستعادته . واشتهرت مدرسة أقروطونا بالطب ، وكان ألقميون زعيمها ، وقال إن الإحساس مصدره أعضاء الحس ، والعقل ينظمه ، وأن الدم يختزن عند النوم ، وأن اليقظة تحدث بعودته إلى العروق . وتأثر أفلاطون وأرسطو بأفكاره ؛ وبألقميون كانت بداية انفصال الطب عن الفلسفة .

أليوتا .. Aliotta

(١٨٨١ - ١٩٦٤) أنطونيو أليوتا ، إيطالي ، اشتغل بتدريس الفلسفة بجامعتي بادوا ونابولي ، وعارض الهيجلية المحدثة التي راجت بتأثير كروتشه وجنتيله ، بالدعوة إلى التجريب العلمي البراجماتي ، وتشابهت طرقه التجريبية مع طرق جيمس وميد،وزعم أن التجريب هو محك صدق المعرفة،وليس التجريب مجرد تطبيق المناهج المعملية ، ولكنه يعني المحاولة والخطأ في كل مجال من مجالات النشاط الإنساني ، وليس التاريخ نفسه إلا معملاً كبيراً يحفل بالصراع وتحقيق درجة معينة من التناغم . وليس السعي إلى الحقيقة إلا السعي نحو تناغم أعلى للقوى البشرية وغير البشرية التي تمارس نشاطها داخل عالم تجاربنا ، والتي تلتقي وتتصارع وتلغي بعضها البعض على مراحل ، وتحاول أن تتناسق فيما بينها . وينكر أليوتا أن تكون الحقيقة مطلقة ، ويؤكد على الجانب الاجتماعي للمعرفة ، ويدعو إلى نسبية فلسفية .

إمامية .... Emamya

هم القائلون بإمامة علي بعد النبي (ﷺ) ، وكفروا الصحابة ووقعوا فيهم ، واختلفوا في الأصول ، وتشيعوا إلى معتزلة ، إما وعيدية أو تفضيلية ، وإلى إخبارية يعتقدون ظاهر ما وردت به الأخبار المتشابهة ، وهؤلاء ينقسمون إلى مشبهة يجرون المتشابهات على أن المراد بها ظواهرها ، وسلفية يعتقدون أن ما أراد الله بها حق بلا شبهة كما عليه السلف ، وإلى ملتحقة بالفرق الضالة .

أمبادوقليس ...... Empedocles

(نحو ٤٩٠ - ٤٣٠ق.م) ولد بأغريغنتا من أعمال جزيرة صقلية ، وحكم عليه بالنفي لدفاعه عن الديموقراطية ، والمستضعفين ، وكان صاحب دعوة دينية مثل فيثاغوراس،فأخذ يطوف بأرجاء إيطاليا

الجنوبية ، يتسابق إليه الناس طالبين النصح ، وأن يكشف لهم الغيب ، وليمنحهم « الكلمة الشافية » من الأسقام ، وقالوا عنه إنه كان يحيي الموتى ، وادعى الألوهية ، وقيل إنه قضى بأن ألقى بنفسه في فوهة بركان . ووضع قصيدتين ضمنهما فلسفته ، هما « **في طبيعة الأشياء** » و « **الطهارات** » تأثر فيهما بالمدرستين الإيلية والفيثاغورية ، وقال بالعناصر الثلاثة : الماء والهواء والنار ، وزاد عليها لأول مرة عنصراً رابعاً هو التراب ، ولم يفاضل بينها وجعل لكل كيفيته ، وقال إن الأشياء تتألف بالاتحاد بين هذه العناصر بنسب متفاوتة ، وأن الطبيعة ، عملياً ، هي اتحاد وانفصال واتحاد من جديد ، فالأشياء لا تفنى ولا تولد ، ولكنها تنفصل وتتحد بفعل قوتين كبيرتين هما المحبة أو أفروديت Aphrodite والشقاق Strife ، والمحبة تشد وتجذب الشبيه إلى شبيهه ، فمثلاً التراب إلى التراب ، والنار إلى النار ، وتؤلف كذلك بين غير المتشابه ،والمتشابهة ، بأن تجعل غير المتشابه متشابهاً وتؤلف بينهما في مركب متجانس جديد ، ومن ثم فالمحبة تمثل قوة الاتحاد العضوي والائتلاف الخلاق . والشقاق ينفر ويفصل . والعالم يمر بأدوار Cycles، ففي دور تسود المحبة والوئام بين العناصر في وحدة ساكنة، أويتغلب الشقاق فيحدث النفور والانفصال والاضطراب .

ويعتقد أمبادوقليس في خلود الروح أو مبدأ الحياة ، ويقول إن من يعتقد أن الوجود يعني الحياة الدنيا وحدها ، وأننا قبل أن نوجد لم نكن شيئاً ، وبعد أن نموت لن نكون شيئاً ، لهو مأمون . ويسمي العناصر الأربعة آلهة Daimones خالدة ، ويضفي الألوهية على نفسه ، ويسمي نفسه إلهاً Daimon قضت الآلهة بنفيه لجرم قبل ولادي ، وأنه مر بأحوال من التجسد في شكل نبات وحيوان وإنسان ، وأنه بلغ في النهاية مرتبة الحياة الطاهرة التي للأنبياء والشعراء والأطباء والزعماء ، وآن له أن ينزع عن نفسه ثوب الإنسان ليعود إلى رفقة الآلهة المباركة ، ولكي يطهر يتوجب عليه الامتناع عن تناول اللحوم والبقول .

وكان الإسلاميون يعتقدون أن أمبادوقليس قد عاش في زمن النبي داود ، وأنه تلقى عنه ، ويقول القفطي أنه أخذ الحكمة عن لقمان الحكيم بالشام ثم عاد إلى اليونان وأفاء ، ويقول السهروردي إن الحكمة الإشراقية هي التي قررها جملة الحكماء الأولين ومنهم أمبادوقليس .

أمبير ... Ampère

(١٧٧٥ - ١٨٣٦) أندريه ماري أمبير ، فرنسي ، اشتهر بتأسيسه لعلم الديناميكا الكهربائية ، وكان تفسيره للمغنطيسية بوصفها تيارات كهربية جزئية عملاً رائداً قدم لنظرية الإلكترون من بعد . وبعد وفاته بوقت قصير نشر كتابه « **مقال في فلسفة العلوم** » مع مقدمة لسيرة حياته بقلم سانت بيف ، وتقريظ بقلم إميل ليتريه ، وأوضح العنوان الفرعي « **عرض تحليلي لكل المعارف الإنسانية** » أن الهدف الأساسي من الكتاب تصنيف العلوم ، وتشابه في ذلك مع معاصره أوجست كونت ، وكذلك كان الشبه بينه وبين ديكارت قوياً عندما قسم العلوم إلى علوم كوزمولوجية وعلوم نوولوجية ، ونشر سان هيلار بعد ذلك بعض أوراقه الفلسفية التي لم يسبق نشرها ، وقدم لها ابنه جان جاك أمبير ، ولهذا السبب أطلق على الكتاب « **فلسفة أمبيرين La Philosophie des deux Ampères** » (**مثنى أمبير ويقصد بهما أمبير الأب وأمبير الابن**) ، ويفرق أمبير بين الارتباط الاقتراني الذي لا تتأثر فيه الأفكار بالاقتران ، والارتباط الاقتراني الذي تندمج فيه الأفكار بالاقتران ، ويؤكد اعتقاده بصواب فلسفة نيوتن حول حقيقة المكان والزمان المطلقين ، ويقول إنهما صفتان من صفات الله .

أمناء ... Omana'a

هم الملامتية الذين لم يظهروا مما في بواطنهم أثراً على ظواهرهم ، وتلامذتهم يتقلبون في مقامات أهل الفتوة .

أمونيوس ساكاس Ammonius Saccas

(نحو ١٧٥ - ٢٥٠م) أمونيوس الحمال ، وربما كان حمالاً كما تعني كلمة ساكاس ، ولا نكاد نعرف عنه

شيئاً إلا أنه نشأ من أبوين مسيحيين ثم ارتد عن المسيحية ، وأنه علم بالإسكندرية وكان له تلاميذ كثيرون منهم أفلوطين وأوريجين المسيحي وأوريجين الوثني ولونجينوس، وأنه أفلاطونياً حاول تأويل أفلاطون والتوفيق بينه وبين أرسطو .

أنانية ... Solipsism

اللفظة الانجليزية تشتق من الكلمتين اللاتينيتين Solus بمعنى وحدية و Ipse بمعنى أنا ، فتكون هي « **الأنا وحدية** » ، وتعني من وجهة النظر الأخلاقية والنفسية ما يمكن تسميته بالأنانية Egoism ، وكان هذا هو اسمها حتى سنة ١٨٧٠ . ومن وجهة النظر الميتافيزيقية هي الذاتية باعتبارها جماع الوجود ، وباعتبارها الوجود من تمثلي أو من صنع تفكيري ، ويعبر عنها ديكارت بجملته المشهورة « أنا أفكر فأنا موجود » ، وديكارت هو المسؤول عن هذا المعنى للأنانية الميتافيزيقية، لأنه كان أول من قال إن كل ما في الوجود من سماء وهواء وأرض وألوان وأشكال وأصوات وغير ذلك هي « اختراعات من عقلي » ، ومن ثم كانت تسمية هذا النوع من الأنانية **بأنانية الواقع Reality Solipsism**، باعتبار أنها الأنانية التي تلخصها الجملة «أنا وحدي الموجود»، أو أن «ذاتي هي كل الواقع » . والأنانية من وجهة النظر الإبستمولوجية هي الذاتية باعتبار الذات هي موضوع المعرفة الوحيد ، وهي أصل كل معرفة بالواقع ، ومن ثم يمكن تسميتها **بأنانية المعرفة Knowledge Solipsism** . وتشترك وجهات النظر الثلاث ، الأخلاقية والميتافيزيقية والإبستمولوجية في أنها تدور حول الضمير « أنا » . وكان أول من استخدم اصطلاح الأنانية الراهب الجزويتي جيوليوكليمنتي سكوتي Giulio Clemente Scotti في مؤلف له بعنوان « مملكة الأنانيين Monar-chie des Solipses » (١٦٥٢) سخر فيه من جماعة الجزويت ، واشتهر الاسم « الأنانيين Solipses » حتى صار علماً عليهم في فرنسا لبعض الوقت .

أنانية وغيرية Egoism and Altruism

تقوم الأنانية على حب الذات وإيثار المصلحة الشخصية ، وتنهض الغيرية على حب الناس وتفضيل مصلحتهم على المصلحة الشخصية . ولا تبدو الغيرية فضيلة ضمن الفضائل عند أفلاطون وأرسطو ، وإن كنا نستخلص من رد سقراط على ثرازيماخوس في « الجمهورية » أن موقفيهما مختلفان ، وأن أحدهما أناني والآخر غيري ، حيث يقرر سقراط أن متابعة الخير لذاته ومتابعته بوصفه خيري أنا لا يتناقضان . وإلى مثل هذا الرأي ذهب فلاسفة العصور الوسطى وخاصة الأكويني . وكان هوبز هو أول الفلاسفة الذين فصلوا بين الاثنين وقدم صورة للطبيعة البشرية تقوم على غلبة دوافع التسلّط والعدوان والتنافس ، وتفسّر الإيثار بأنه أنانية مغلفة ، فالأنانية تدفع إلى الحرب ولكن الخوف من نتائج الحرب يدفع إلى محاولة التوفيق بين المصالح الذاتية ومصالح الغير ، ولذلك كانت دوافع الإيثار أنانية بحتة . وكان تاريخ الفكر بصدد هذه المسألة بين مؤيّد ومعارض لهوبز ، إلَّا أن فريقاً ثالثاً ، بالأخص بتلر ، ذهب إلى أن الأنانية والغيرية مبدءان من المبادىء التي تنتظم السلم الخلقي ، غير أن الأنانية في أدنى السلم بينما الغيرية في قمته . وجعل هيوم الغيرية ألزم للإنسان ، فلكي يحترم الآخرون ملكيتي لا بد أن أحترم ملكيتهم . وقال بنتام والنفعيون إن الإنسان برغم طلبه اللذة وتجنّبه الألم ، إلَّا أنه سرعان ما يجد أن تحقيق السعادة لأكبر عدد من الناس أضمن لتتاح له فرصة تحصيل السعادة لنفسه من الناس .

ومن الجدير أن علم النفس ، وخاصة عند فرويد ، قد جعل من السعي لتحصيل اللذة واجتناب الألم المبدأ الأول الذي يسيطر على الحياة النفسية ، وإن كان يفسح المجال فيما بعد لمبدأ الواقع الذي يهدي السلوك إلى التوفيق بين مصالح الفرد ومصالح الآخرين بحكم اضطرار الفرد إلى التعايش مع الناس في المجتمع . وإذا كان فرويد يشرط تحقيق اللذة بظروف الأفراد ومواقفهم وتكوينهم الانفعالي والمزاجي وتربيتهم ، فإن

سقراط في الجمهورية يجعل المفاضلة بين العدل والظلم مسألة تتوقف على ما إذا كان الإنسان من النمط المحب للعدالة أو للظلم . ويقيم بعض الفلاسفة ، مثل شترنر ، من الأنانية مبدأ أعلى ، وحاول أن يبررها علمياً ، بينما أبدى آخرون ، مثل أوجست كونت ، الكثير من التفاؤل إلى حد أن ارتأوا أن الغيرية معقود لها لواء الغلبة في نهاية الأمر ، وأنها ستسود مع تقدّم الإنسانية ، وعبَّر عن ذلك الماركسيون بطريقة أخرى فقالوا إن الأنانية نتيجة طبيعية للمجتمع الرأسمالي الذي يقوم على التنافس وتضارب المصالح ، وأن المجتمع والتربية الاشتراكيين يتلافيان ذلك ، وينشئان الفرد على التعاون وتبادل المنافع بتسامح بحيث تنهض الغيرية كأصل من الأصول التي بدونها لا يكون الاجتماع الإنساني ، وهي في المجتمع الاشتراكي الفضيلة الأولى وأرقى القيم جميعها .

إنتروبيا .... Entropy

كلمة من أصل إغريقي وتعني الطاقة ، قدمها رودلف كلوسيوس (١٨٥٤) وربطها بنظرية الحرارة ، فهي الطاقة أو الحرارة التي يفقدها الجسم بأي شكل من الأشكال . وانتظام الحرارة أو الطاقة في الجسم يعني توازنه ، ولا يكون الجسم متوازناً أو في حالة موت حراري إلا إذا عزل عن بقية الأجسام الأخرى وتوقفت فيه كل العمليات الطبيعية . وتزايد الإنتروبيا أو فقد الجسم لحرارته يعني اضطراب توازنه وتخلخل نظامه . وقد نقل لودفيج بولتسمان (١٨٤٤ ـ ١٩٠٦) تطبيق هذا المفهوم من مجال الديناميكا الحرارية الى مجال الاحتمال الإحصائي حيث صارت زيادة الإنتروبيا تعني إمكانية انتقال النسق من حالة أقل احتمالاً الى حالات أكثر احتمالاً . ونقل كلود شانون (١٩٤٨) مجال تطبيقها للمرة الثانية الى نظرية الاعلام ، فطالما أن زيادة الانتروبيا تعني اختلال النسق فإن هذه الزيادة تعني كذلك استحالة الحصول على معلومات عن النظام والتعامل معه على هذا الأساس ، وطبق إروين شرودنجر مفهوم الإنتروبيا على علم الأحياء ، حيث يؤخر الكائن الحي عملية فنائه ببلوغ التوازن أو الموت الحراري بأن يعمل على استبقاء نفسه في مستوى عال من النظام (أي في مستوى منخفض معقول من الإنتروبيا) باستمرار امتصاصه واستيعابه للإنتروبيا السالبة من بيئته .

أنتيستانس .... Antisthenes

(نحو ٤٤٣ ـ ٣٦٨ ق .م) أثيني ، من صغار السقراطيين minor Socratics ، تتلمذ على غورغياس ، وتنسب إليه الكلبية ، ربما لأن الكلبيين كانوا تاريخياً ينسبون أنفسهم له ، وربما للتشابه بين بعض أفكارهم وأفكاره ، ويقال إنه بعد وفاة المعلم سقراط كان أنتيستانس يجمع تلاميذه ليعلمهم بمكان يقال له « الكلب السريع » . وعلى أي حال فقد غالى أنتيستانس في محاكاة سقراط في تواضعه وصراحته وبساطة عيشه . وقال إن السعادة تقوم على الفضيلة الخلقية ، وأن الفضيلة الخلقية يمليها الذكاء العملي ، وأنها لذلك قابلة للتعلم ، وأن تعلم الفضيلة يلزمه العقل الراجح وقوة الشخصية ، ويتطلب دراسة أسماء الأشياء وماهياتها . وقال إن السعادة حسية وروحية ، وأنه لا وجه للمقارنة بينهما ، وأن ضبط النفس يقتضي الزهد في الترف ومغالبة الهوى ومجاهدة النوازع . وتقوم الكلبية أساساً على الزهد وتستعير منه لفظة مجاهدة Toiling . وأنتيستانس يقول إن الماهية فردية والتعبير عنها بلفظ مفرد، ولذلك فلا مجال للجدل أو الحكم أو الخطأ ، لأن تصور الأشياء لا يكون باستيعابها هي نفسها ، ولا يكون تعريفها إلا بأسمائها ، أي بأسماء تتطابق مع واقعها المباشر .

إنج . Inge

(١٨٦٠ ـ ١٩٥٤) وليام رالف إنج ، إنجليزي ، تعلم في كيمبردج ، وعلم في أكسفورد وكيمبردج . وعين أسقفاً لكاتدرائية سانت بول . وكان أهم كتبه « **التصوف المسيحي Christian Mysticism** » (١٨٩٩) ، و « **فلسفة أفلوطين The Philosophy of Plotinus**» (١٩١٨) يتوجه بهما بالنقد لمادية الثقافة

المعاصرة وفصلها بين الواقع والقيمة . وفلسفته بعث للأفلاطونية المحدثة ، وهو يحق أفلاطون في دعوته لتجاوز الواقع إلى عالم قيم الحق والخير والجمال ، ويدعو إلى حياة دينية نموذجها الصوفي الذي يتغلغل بنظره الثاقب داخل ظواهر العالم المحسوس الى مملكة القيم ، والذي يشرئب بنفسه الى حيث الاتحاد بالله . وليست دعوة التصوف هروباً من الواقع أو إنكاراً له ، فقد كان إنج يعتبر نفسه واقعياً أكثر منه مثالياً بدعوته إلى الأخذ بنتائج العلوم الطبيعية ، وهو يعد التصوف فلسفة لاهوتية تقوم على العقل وليس على الوجد .

إنجلز Engels

(١٨٢٠ ـ ١٨٩٥) فريدريك إنجلز ، ألماني ، ولد ببارمن من أسرة رأسمالية ، ومع ذلك تزعم الحركة البروليتارية ، وصاغ وماركس الفلسفة الماركسية والنظرية الاشتراكية العلمية ونظرية المادية الجدلية والتاريخية ، واتجه منذ شبابه الى النضال من أجل تغيير العلاقات الاجتماعية القائمة ، وانضم الى الجناح اليساري من حركة الهيجليين الشبان ، وتنبه الى صراع الطبقة العاملة بوصفها طبقة المستقبل ، وتحول الى الاشتراكية ، والتقى بكارل ماركس عام ١٨٤٤ بباريس ، وكونا معاً أشهر ثنائي عرفه تاريخ الفكر ، وتكفل إنجلز بالانفاق على ماركس في حياته ، وعلى أسرته لمدة ١٢ سنة بعد وفاة صديقه ، واشتركا معاً في كتابة « **العائلة المقدسة** » ، و « **المثالية الألمانية** » ، و « **البيان الشيوعي** (١٨٤٨) » . وكان إنجلز قد صاغ وحده «**مبادىء الشيوعية** » ، وهو الذي أكمل المجلدين الثاني والثالث من « **رأس المال** » بعد وفاة ماركس ، ثم كتب مستقلاً « **لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية** » و « **الرد على دورنج** » و « **أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة** » ، وكانت كل كتاباته تأصيلاً للماركسية وإذاعة لمبادئها ، ويزعم البعض أنه لولا إنجلز لما أصبحت الماركسية حركة دولية ، وأنه كان يؤمن بأنها فلسفة علمية محورية تزيد في أهميتها عن نظرية دارون ، ويزعم آخرون أن اتجاهات إنجلز العلمية أضفت على مثالية ماركس شكلاً علمياً وضعياً ، وأن إنجلز اعطاها اسمها العلمي بكتابه « **الاشتراكية الطوباوية والعلمية** » ، وصاغ قوانين حركة التاريخ المعروفة باسم قوانين الجدل المادي ، ونقلها من مجال الفلسفة والتاريخ الى مجال العلم الطبيعي في « **جدل الطبيعة** » ، وأنه أنكر أن تكون الفلسفة علم العلوم ونبه الى قيمتها كمنهج وإلى سمتها الطبقية .

إنسان كامل Complete Man

فكرة إيرانية قديمة تمثل نزوعاً نحو العدالة بالمخلص المنتظر **سأويشنت** ، أو **مترا** ، أو **بهرام** ، أو **سروش** ، وترجع إليها الفكرة اليهودية عن البشير أو المسيح ، وربما كان الأقدم **بروصا في البندهشن** الهندية ، واسمه في الأبستاق **جايا مارتيان أو جايا فقط** ، ويترجمه العرب اسم **جيومرث** أو **كيومرث** في المزدكية ، ومعناه **الإنسان الأول** ، وهو **آدم قدمون** في كتب القبالة اليهودية ، **والأنثروبوس** أو **النموذج الأول للإنسانية** وأصلها ، والإنسان الكوني الذي هبطَ خلال أفلاك الكواكب السبعة وتلقّى من كل مهيمن على فلك حظاً من طبيعته ، وعن طريق هذا تفسر طبيعة الإنسان المزدوجة ، فهي ذات أصل إلّهي وبطبيعتها حرة ، ومع ذلك فإنها مغلولة إلى العالم السفلي . وهو في الهرمسية « **الطباع التام** » ، ويتصل بآدم العهد القديم ، ثم المسيح الذي تجدَّدت فيه فكرة الإنسان الأول الذي أتى من الطهارة . وهو عبد يهوا أو الإنسان الكامل في السامية المرتبط بفكرة العادل المبتلي بالآلام والذي يكشف عن سر اختيار الإنسان لحمل الأمانة الذي أخفاه الله عن الملائكة . وهو في الغنوص الإسلامي النبي الصادق الذي يظهر في كل زمان حتى النبي محمد خاتم الأنبياء . وكان ماني يحسب نفسه خاتم الأنبياء السبعة . وهو عند الشيعة الإمام الممتلىء بالحكمة التي رمزها النور . وتجعله الفلسفة اليونانية المتأخرة مركب الإنسان الأول أو الصورة الكونية الخلاصية للأنثروبوس في الغنوص ، ونظرية اللوغوس والنوس ، وتساويه بالنوس في الماهية ، وكان لكتاب « أثولوجيا أرسطاطاليس » ،

الذي ترجمه حوالي ٨٤٠ م عبد المسيح بن عبد الله ناعمة الحمصي على أساس ترجمة سريانية لأجزاء من تساعات أفلوطين ألَّف بينها أحد السريان ونسبها إلى أرسطو ، أكبر الأثر في تطوير فكرة الإنسان الكامل لدى الإسلاميين ، ويتحدث عنه بوصفه النور الساطع الذي تتجلى فيه كل الحالات الإنسانية بشكل أفضل وأشرف وأقوى . وترسمت رسائل إخوان الصفا كتاب الأثولوجيا عندما ذكرت أن الإنسان هو المرتبة الثامنة النازلة من الواحد الأول الإلهي ، ويُسمي ناصر خسرو العقل الكلي بآدم المعنوي ، والنفس الكلية بحواء المعنوية . وعندما انتقل الغنوص العربي إلى أسبانيا وجد كماله في ابن عربي (المتوفي ٦٣٨ م) ، وإنسانه الكامل ماهيته كلية ، تنطوي في وعيها على كل ما هو إلّهي قديم وكل ما هو مخلوق محدّث ، ومن ثمَّ كان كماله من الناحيتين اللاهوتية والناسوتية ، فليس الله والإنسان والعالم إلَّا مظاهر لمعنى واحد ، والإنسان هو حلقة التوسط بين الله والعالم ، وهو خليفة الله ، وفيه تتجلىٰ الألوهية خلال العصور ، أولاً في النبي ثم في الولي . وللأولياء طبقات أعلاها القطب ، وهو الإمام المستور عند الشيعة ، ويعني الإنسان الذي تمَّ له الفناء في الله ، ويسميه البسطامي « الكامل التام » . ويرد ذكر الإنسان الكامل باسمه في كتاب « الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل » لعبد الكريم الجيلاني (المتوفي ١٤١٠ م) ويعرض فيه فكرة ابن عربي بشكل أوجز وأعم بوصفه المبدأ المفسر للعالم ، وهو نفس ما ذهب إليه الحلاج في كتابه « طواسين » . ويقول الجيلاني إن الإنسان الكامل هو مجلي الله ، وأنه يرتقي إليه في تجليات متعاقبة حتى يفنى في ذاته ، وأن أول هذه المقامات هو مقام التجلّي في أسماء الله بحيث إذا دعوت الله باسم من أسمائه أجابكَ العبد لوقوع ذلك الاسم عليه . والمقام الثاني هو مقام التجلّي بالصفات . وأعلى المقامات هو مقام التجلي بالذات ، ويكون فيه العبد خليفة الله في الأرض ، وصورته « إن الله خلق آدم على صورته » . لكن ابن عربي يبقى أبرز فلاسفة الإسلام الذين تناولوا فكرة الإنسان الكامل ، وجعل من الممكن أن يتنزَّل الله في وعي العاشق المفتون فتحل ذاته المطلقة مؤقتاً مكان الذات الإنسانية الفردية .

أنسلم .... St. Anselm

(١٠٣٣ - ١١٠٩) القديس أنسلم ، إيطالي ، اشتهرَ بدليله الأنطولوجي على وجود الله ، واسمه من أكبر الأسماء في القرن الحادي عشر ، عيّن رئيساً لأساقفة كنتربري (١٠٩٣) ، وذاعَ صيته مناطحاً ملك إنجلترا عن حقوق الكنيسة ، وجمعَ في كتبه بين الإيمان بالأناجيل والتصديق بفلسفة أوغسطين ، ومنهجه تعقّل الإيمان ، أو كما يقول هو نفسه « **إني أؤمن كي أفهم Credo Ut Intelligam** » التي أخذها من النبي إشعيا « **إن لم تؤمنوا فلن تفهموا** » والتي صاغها أبيلار بطريقته حيث قال « لا أريد أن أكون فيلسوفاً إذا كان ذلك يعني إنكار بولس ، ولا أريد أن أكون أرسطو إذا كان في ذلك الانفصال عن المسيح » ، فالذي لا يؤمن لا يشعر بموضوع الإيمان ، ومن لا يشعر لا يفهم .

ويشتهر أنسلم بكتابيه « **المناجاة Monologion** » و « **العظة Proslogion** » ، وهو يقدم دليله على وجود الله في العظة ، ويطوّره ويشرحه في المناجاة ، وهو ثلاثة أدلة وليس دليلاً واحداً ، يتناول بها ما تتشابه به الأشياء وتتفاوت في اشتراكها فيه ، ويؤدّي بنا كل منها إلى علة أولى ، الأول الصفات ، والثاني الماهيات ، والثالث الوجود . والصفات كالخير والجمال والحق ، وتفاوتها ظاهر حيث تقول هذا جميل ، لكن ذلك أجمل منه ، وذاك هو الأجمل . وفي الماهيات نرى أن الفرس أرقىٰ من الشجرة ، وأن الإنسان أرقىٰ من الفرس . وفي الوجود نرى أن وجود الإنسان أرقىٰ من وجود الفرس . ومهما تعددت المقارنات فسنصل حتماً إلى نهاية ، ولا يتبقّىٰ إلَّا أن يكون الكمال ، قلَّ أو كثر ، مستمداً في آخر المطاف من مطلق ذلك الكمال ، وأن يكون علة هذا الكمال كاملاً ، فلو لم يكن مطلق الكمال موجوداً لما وجدت الأشياء الكاملة بوصفها كاملة ، وأن يكون ما يجعل الأشياء الأخرى كاملة كاملاً في ذاته ، فما دامت

الأشياء الأخرى كاملة به أو بالمقارنة إليه ، بينما هو نفسه كامل في ذاته وبالمقارنة إلى نفسه ، فلا شيء يضاهيه أو يبزه في الكمال . وبالمثل فإن كل ما يوجد إما يوجد بذاته وعندئذٍ تشترك الموجودات في الوجود بالذات وتكون الصفة المشتركة بينها هي الموجود المطلق ، وإمَّا أنها تستمد وجودها من بعضها البعض ، ويمتنع التسلسل إلى ما لانهاية لامتناع وجود عدد من الموجودات لا متناه ، ومن ثم يرجع وجودها في النهاية إلى علة أولى موجودة بذاتها . ومن جهة الماهية فإن كانت العلل المفروضة متساوية بما تشترك فيه ، فإذا كان ما تشترك فيه هو ماهيتها عادت كلها إلى ماهية واحدة ، وإذا كان ما تشترك فيه شيئاً غير ماهيتها كان هذا الشيء ماهية أخرى أسمىٰ منها ، ومن ثمَّ كان أسمىٰ الموجودات ، وفي الحالين ننتهي إلى موجود هو الأكمل . ولأنسلم دليل بسيط على وجود الله عرف باسمه لا يستمده من الوجود بل من مجرد نظر المرء إلى أعماقه ، فكل منا يوجد الله في عقله ، وكل منا لا يتصور ما هو أعظم من الله ، فلا يمكن أن يقتصر وجوده على العقل وحده ، فالله موجود في العقل وفي الواقع ، لكن الأحمق يدرك أن الله موجود في عقله ، ويلفظ في قلبه اسمه ، لكنه ينكر وجوده في الواقع .

إنسية .... Humanism

الأيديولوجية التي راجت في إيطاليا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، وامتدَّت منها إلى بقية بلدان أوروبا الغربية ، وكانت من أهم عوامل إرساء العلم والثقافة المحدثين . وهي بالإضافة إلى هذا البعد التاريخي كل دعوة موضوعها الإنسان ، تؤكِّد فيه كرامته ، وتجعله مقياس كل قيمة . وهي عند كونت ديانة تزعم أن الإنسانية وليس الله هي الأولى بالعبادة . وهي فلسفة عصر النهضة وإسهام مفكريه في تثبيت أقدام الإنسانية بالأرض وتحويل أنظاره إليها ودمجه بالطبيعة وإثارة إحساسه بدوره التاريخي . وهي اشتقاق من Humanitas اللاتينية بمعنىٰ تعهّد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها يكون جلاء حقيقته كإنسان متميز عن سائر الحيوانات . وكان الإنسيون يعتقدون أن إنسان العصور الوسطىٰ قد ضلَّ طريقه وتاهت عنه حقيقته ، ومن ثمَّ كان تردّيه من حمأة التخلف ، ولكنه بالعودة إلى تراثه الثقافي الإنساني والفلسفات العظيمة التي كانت له في الماضي يمكن أن يستعيد الروح التي كانت لإنسان العصر الكلاسي والتي أوحت له بكل هذا التاريخ التليد . ولا يعني الإحياء التاريخي التقاليد ، ولكنه يعني تمثّل الإنسان لنفسه والتفكير في الأرض وحياته عليها . وهو بالتربية الكلاسية يثري روحه بالأمثلة العظيمة التي تفجر طاقاته لتغيير عالمه ، ولكنه في إثرائه لروحه لا ينسىٰ بدنه ، فالبدن جزء من الطبيعة والأرض ، ولذلك أنف الإنسيون من الزهد وأنكروه على الدين ، واستهدفوا اللذة وكان فيلسوفهم أبيقور ، ومع ذلك لم يكونوا ضد الدين أو فردبين ، لكن دعوتهم للاندماج في الطبيعة والتاريخ تعني أن يعيش الإنسان حياته وأن يشارك في مجتمعه بحيث يصنع منه جنته الأرضية ، وبذلك يؤكّد قيمته التي أنكرها عليه إبليس يوم رفض أن يسجد له مترفعاً على أصله الأرضي .

إنفعال وشعور Emotion and Feeling

ينعقد الإجماع على أن الانفعال يكون بشيء نرغب فيه أو ننفر منه ، وأنه يتضمَّن مشاعر من نوع معيَّن ، وتصاحبها أحاسيس وعمليات فسيولوجية لاإرادية وتعبيرات مكشوفة وميول للتصرف بشكل معين ، واضطرابات ذهنية أو بدنية معينة . وتختلف النظريات في الانفعالات باختلاف تأكيدها على أحد هذه العناصر السابقة بوصفه سبب الانفعال أو نتيجته أو أنه مجرد ظواهر تصاحبه . وتتميز ثلاث نظريات تخص كل منها أحد هذه الجوانب عنايتها وتفسّر به الانفعالات ، فنظرية الشعور Feeling Theory تعتبر الانفعال شعوراً واعياً ، وكان القائلون بعلم نفس الملكات ، مثل كنط ووليام هاملتون ، يعتبرون الانفعالات أنماطاً من المشاعر ، ويعرفون الشعور بأنه إحدى ملكات العقل ، وأنه ملكة التأثر بالإيجاب أو بالسلب بالأشياء المدركة . وكان أصحاب علم النفس العناصري ، مثل وليام فنت

وإدوارد تتشنر يعتبرون الانفعالات مركبات من المشاعر ، ويعرفون المشاعر بأنها عناصر عقلية كالأحاسيس ، غير أنه لا مكان محدداً لها بالجسم كالأحاسيس ، ولا تعتمد على المستقبلات الحسية ، وتتصف بصفات معينة كالسرور أو الألم . ونظرية الدافعية Motivatinal theory ترى أن الانفعالات تحدث عندما ندرك شيئاً مرغوباً أو غير مرغوب فيه ، ثم نحاول الاستحواز عليه أو نتجنبه ، أو على الأقل نظهر من الميول ما يفهم منه ذلك . وكان الرواقيون ، ضمن إطار هذه النظرية ، يرون الانفعال دافعاً غلاباً ، ويراه الأكويني دافعاً تصاحبه تغيرات جسمية تماثله في طبيعته ، واعتبره هوبز شكلاً من الاشتهاء أو النفور ، وقال عنه السلوكيون إنه دافع أو ميل لنمط معين من النتائج السلوكية . أما أصحاب النظرية الثالثة ، وهي نظرية الاضطرابات الجسمية - Bodily Upset Theory فيركزون على ما يصاحب الانفعالات من اضطرابات مثل زيادة إفراز الأدرينالين ونبضات القلب وإعادة توزيع الدم على أجزاء الجسم وتغير نمط التنفس وتوقف نشاط الهدم وزيادة الكرات الحمراء في الدم واحمرار الوجه أو اصفراره والرعشة وتصبّب العرق إلخ .

أنكساغوراس .... Anaxagoras

(نحو ٥٠٠ ـ ٤٢٨ ق. م) ولد بأقلازومين باليونان الأيونية ، وهاجرَ إلى أثينا ، وكان بركليز قد جعلها مركزاً للفكر في كل اليونان ، وظلّ أنكساغوراس بها نحو ثلاثين سنة ، فلما أفل نجم بركليز تكالب عليه أعداؤه ، واتّهموه بالإلحاد ، واستشهدوا بقوله إن الشمس والكواكب أجرام صخرية ملتهبة من ذات طبيعة الأرض كما يظهر من عيّنات صخور الشهب التي تتساقط على الأرض ، وقضوا بنفيه ، ومات في المنفىٰ .

ولم يضع أنكساغوراس إلّا كتيّباً في الطبيعة الكونية ، ردَّ فيه العالم إلى مزيج أولي قديم توجد فيه كل الأشياء متناهية الصغر ، تتكون من بذور فيها كل الطبائع ، تجتمع في كل جسم بمقادير متفاوتة ، ويتعيَّن لكل جسم نوعه بالطبيعة الغالبة فيه ، فكل جسم عالم لامتناه من كل الطبائع بمقادير مختلفة ، فالشعر مثلاً به طبائع عظمية ولحمية ودموية ، لكن الطبيعة الغالبة فيه هي طبيعة الشعر . ويسمي أنكساغوراس المتشابهات ، من قبيل الشعر ، بالمتجانسات ، وهي التي تعطي للشيء طبيعته الغالبة ، فاللون الأبيض مثلاً لا يوجد أبيض خالصاً ، لكن المتجانسات البيضاء هي التي تغلب عليه وتعطيه طبيعتها . والصيرورة هي امتزاج المتشابهات وظهورها على ما عداها . والفساد هو ظهور طبائع كانت كامنة على طبائع كانت ظاهرة .

وكان لأنكساغوراس تأثير على فلسفة ابراهيم النظام ، وعرفه الإسلاميون عن طريق ترجمة فلوطرخس ، ونقلوا اسمه أنقساغورس .

أنكسمانس .... Anaximenes

(نحو ٥٨٨ ـ ٥٢٤ ق. م) ثالث وآخر فلاسفة مدرسة ملطية ، وهي ثغر إغريقي أيوني في آسيا الوسطىٰ ، بدأها طاليس وواصلها تلميذه أنكسمندر ، واختتمها أنكسمانس . ورغم أنه تتلمذ على أنكسمندر إلّا أنه عاد إلى رأي طاليس ، وردَّ العالم إلى مادة أولى هي الهواء ، ووصفه بأنه متجانس لامتناه ، يحيط بالعالم ، ويحمل الأرض ، وتتولَّد منه الأشياء بفعل التكاثف والتخلخل . ويبدو أنه اختار الهواء لأنه بدونه تموت الأحياء ، فهو للعالم نفس كالنفس للجسم ، وربما لهذا السبب تضمنت كلمة Psyche المعنيين : النفس (بفتح الفاء) والنفس (بسكونها) .

ومدرسة ملطية طبيعية ، اهتمّت بأصل العالم المحسوس ، وتطوّر الحياة ، وقالت بأحادية مادية ، وردَّت العالم إلى مبدأ أول أو مادة أولى تولَّدت منها الأشياء بكميات متفاوتة ، فتفاوت في الكيف .

أنكسمندر .... Anaximander

(نحو ٦١٠ ـ ٥٤٧ ق. م) ولد بملطية (بكسر الميم وفتح اللام) إحدى ثغور اليونان الأيونية بآسيا الصغرىٰ ، وتتلمذ على طاليس ، لكن طاليس لم يعرف

عن حياته الكثير ، وكان أنكسمندر أول فيلسوف إغريقي تتأكد المعرفة بحياته ، ويقال إنه وضع أول خريطة للعالم ، وأول خريطة للنجوم والسماء ، وأنه اخترع المزولة ، وصنع كرة فلكية . ويتضمَّن كتابه « **حول طبيعة الأشياء** » نظريته في العالم ، ويرده إلى مبدأ أول يسميه **اللامتناهي** ، وهو المادة الأولى التي تجمع كل الأضداد ، الحار والبارد ، واليابس والرطب ، وغيرهما . وبفعل حركة المادة انفصلت الأضداد ، وما تزال الحركة تفصل وتجمع بينها بكميات متفاوتة تألفت منها الأجسام الطبيعية ، والأرض جسم أسطواني من هذه الأجسام ، نسبة ارتفاعه إلى عرضه كنسبة واحد إلى ثلاثة ، والأحياء تخلقت من الرطوبة ، وكانت في البدء كلها مائية ، ثم انتقلَ بعضها إلى اليابسة فيما بعد ، والإنسان انحدرَ من مخلوقات أخرى ، وما يزال قانون الكون هو خروج الأشياء من هذه المادة الأولى اللّامتناهية ، وتعاقب على خروجها بأن تتعارض مع بعضها ، ويقضى عليها بفعل بعضها البعض فتعود إلى اللّانهائي ، ويتكرر الدور .

أهل الأهواء ....

أهل القبلة الذين لا يكون معتقدهم معتقد أهل السنّة ، وهم **الجبرية والقدرية والروافض والخوارج والمعطلة والمشبهة** ، وكل منهم اثنا عشر فرقة ، فصاروا اثنين وسبعين .

أهل البيان ....

(انظر البابية) .

أهل التوحيد

(انظر المعتزلة والإسماعيلية والدروز) .

أهل الحق ....

القوم الذين أضافوا أنفسهم إلى ما هو الحق عند ربهم بالحجج والبراهين ، يعني أهل السنة والجماعة .

أهل الحل والعقد .....

جماعة المسلمين من الذكور ، الأحرار العدول ، الذين ينوبون عن الأمة في مبايعة الحكام وخلعهم ، ويشاركهم العلماء والأعيان ، ولذلك يذهب البعض إلى أنهم كل الجماعة .

أهل الصفة ...

أصحاب الصفة أو الظلة ، وهم فقراء مسلمي مكة من صحابة الرسول ، الذين هاجروا معه ولم يحملوا معهم إلاَّ ما يقيم أودهم ، فكان الذين ليس لهم مأوى منهم يلجأون إلى الصفة التي هي الجزء الشمالي المسقوف من مسجد المدينة ، ومن ثمَّ كان لقبهم ضيوف الإسلام ، وكان منهم أبو ذرّ الغفاري وعمّار وبلال وسلمان وصهيب وأبو هريرة . ومن المؤرخين من يجعلهم أساس التصوّف ويشتقّ التصوف من الصفة .

أهل العدل

المعتزلة ، وهم **العدلية** أيضاً ، قالوا إن الله تعالىٰ عدل في أفعاله ، ولا يفعل إلاَّ الصلاح والخير ، ويتوجَّب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد .

أهل العقل ....

المعتزلة ، لقبوا بذلك لأنهم يقيمون منهجهم على تأويل تعاليم الدين تأويلاً يتفق مع العقل ويخضع للمنطق .

أهل الكتاب

هم اليهود والنصارىٰ باعتبار أنهما الأمتان اللتان تنزل عليهما كتابان سماويان . وهؤلاء لهم حرية العبادة في ديار المسلمين وتحميهم الدولة الإسلامية ويسمون المعاهدين أو أهل الذمة . واتَّسع مفهوم أهل الكتاب فشمل المجوس باعتبارهم الصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن .

أورتيجا جاسيت .... **Ortega Y Gasset**

(١٨٨٣ - ١٩٥٥) خوسيه أورتيجا إي جاسيت ، وجودي أسباني ، ولد في مدريد من أسرة أرستقراطية تمتهن الكتابة والصحافة والنشر ، وتعلم بجامعة مدريد ، وتنقل بين جامعات برلين ولايبتسك وماربورج ، وعين بجامعة مدريد ، وأنشأ مجلة الغرب Revista de Occidente (١٩٢٣) فكانت نافذة أسبانيا التي

تطل منها على الثقافة الأوروبية وتتنسم من خلالها عبير الفكر الألماني ، واشترك في مقاومة حكومة بريمو دي ريفيرا الديكتاتورية ، وأسهم في قلب نظام الحكم الملكي وإعلان الجمهورية ، وكون جماعة « في خدمة الجمهورية Al Servicio de Republica » ، واختار النفي الطوعي عند اندلاع الحرب الأهلية (١٩٣٦) فغادر أسبانيا إلى الأرجنتين وأوروبا الغربية ، واستقر في البرتغال (١٩٤٥) ، وعاد إلى اسبانيا (١٩٤٨) وافتتح بمدريد معهد الإنسانيات ، وتوفي بالسرطان .

ويعد أورتيجا أعظم رجالات الفكر الإسباني في فترة القرون الثلاثة الماضية ، ومن أعلام البعث الروحي المعاصر ، واشتهر بأهم كتبه « **تأملات كيخوتة Meditaciones del Quijote** » (١٩١٤) و « **تمرد الجماهير La Rebelion de las Masas** » (١٩٣٠) ، وبدأ ثائراً على المثالية والعقلية وقريباً من المذهب الحيوي حتى اسمى فلسفته باسم **ميتافيزيقا العقل الحيوي Metaphysics of Vital Reason** أو **النزعة الحيوية العقلية Ratio - Vitalism** ، وعرفها بأنها السعي لحقيقة جذرية أو كلية تحتوي غيرها من الحقائق ، وأعلن أنه وجدها في « الحياة » وهي كلمة استخدمها في أول الأمر بمعنى بيولوجي ، لكنه سرعان ما تحول عن هذا المعنى إلى معنى وجودي ، فصار يعني حياتي أو حياتك ، بمعنى مهنة ومكانة الفرد في مجتمعه في لحظة تاريخية معينة ، وحاول أن يتجاوز التعارض بين المثالية والواقعية ، وتؤكد الأولى على الذات أو العقل ، وتؤكد الثانية على الأشياء التي تعرفها الذات أو يدركها العقل ، وقال ان الذات والأشياء كلاهما يكون الآخر ويحتاج للآخر كي يوجد ، وأن الحقيقة هي الذات ـ مع ـ الأشياء : أنا هو أنا وظروفي Yo Soy yo y mi Circumstancia » ، وأن الأشياء من حوله « هي النصف الآخر من شخصيته » ، وأن الأشياء والذات لا يوجدان متعايشين ، فالذات تفعل في الأشياء وتحقق نفسها بفعلها ، وأن هذا النشاط والتفاعل الدينامي بين الذات والأشياء هو « الحياة » ، وأطلق على نظريته في المعرفة اسم المنظورية Perspectivism أي التي تقول بالمنظور أو وجهة النظر ، وترفض القول بوجهة نظر مفردة ، كما تفعل المثالية والعقلية ، وتقول بوجهات نظر متعددة بقدر ما يوجد من أفراد ، وأن كلاً منها ضرورية وصادقة ، وأن وجهة النظر الخاطئة هي التي تزعم بأنها وحدها التي على صواب . وربط أورتيجا بين فكرته في المنظور وفكرته في الحياة قائلاً : « إن كل حياة هي وجهة نظر » ، ثم عدل عن القول بأن رسالة الذات هي ما ينبغي أن تفعله بالأشياء ، إلى القول بأن رسالة الذات هي تحقيق نفسها ، ولذلك كان على الإنسان أن يختار نفسه بأن يصنع شخصيته وهو يسير في الحياة ، فكل إنسان هو مؤلف لحياته ، وسواء اختار أن يكون مؤلفاً أصيلاً أو مقلداً فإن عليه أن يختار ، واختياره يعني أنه حر ، وحريته هي قدره ، وتعني الحرية أنك تستطيع أن تختار خلاف ما أنت عليه ، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يوجد وليست له ماهية تسبق وجوده ، وكل إنسان له رسالة عليه أن يختارها ، ورسالته أن يعي ذاته ، ومن ثمَّ عليه أن يستنفر كل قواه ، ولأن ماهيته لم تعط له بل عليه أن يصنعها فالناس ليسوا سواء ، بعكس ما يزعم الداعون إلى المساواة . وفرق أورتيجا بين العلاقات البين أفرادية والعلاقات الاجتماعية ، وقال إن الأولى أساسها الحب والتفهم ، والأفراد يتصرفون داخلها بوصفهم مسؤولين ، بينما الثانية أساسها التنافس والتناحر ، ومن ثم يقابل أورتيجا بين الإنسان كفرد والشعب كمجموع ، ويرفض القول بالروح الجماعية ، فالمجتمعات لا روح لها لأنها مصطنعة ، ومع ذلك فالمجتمعات لها فوائدها لأنها تنقل التراث وتمكّن جزءاً من حياتنا فتحرر إبداعنا ونشاطنا البين أفرادي ، ومن ثم يتوجب حماية المكاسب الاجتماعية والدفاع عن المجتمعات ، وإعادة صياغتها لبث الحيوية فيها ، وهذا هو عمل الأقلية التي تحكم وتوجه ، ولكن العامة تثور وتطالب بحكم نفسها وبالديموقراطية فتنهار القيم ويتحلل المجتمع وتسقط الحضارة ، ويحدث هذا في ظل كل الديموقراطيات

سواء الشعبية أو البرلمانية . وقال إن الأفكار هي الإبداع الشخصي للأقلية ، وأن العامة تقبل بكسل على البدهيات السهلة وتعتنقها كمعتقدات ، وهي في الحقيقة آراء سوقية ، وأن منطق الأرستوقراطية هو ممارسة التفكير ، ومنطق العامة هو ممارسة الحواس ، والحسية هي التجريبية ، والفلسفة منذ بارمنيدس هي رد فعل للانحياز السوقي للأحاسيس . وهاجم أورتيجا الاعتقاد بأن المبادىء يمكن أن تقوم على الحدس الحسي ، واتهم أرسطو ، أول ممثل للاعتقاد الحسي ، بالغوغائية . وقال إن فضل أفلاطون وديكارت أنهما خالفا هذا التيار الحسي الجارف وكانوا بمثابة أقلية مفكرة وسط دهماء من الفلاسفة الحسيين أو التجريبيين أو العلميين .

أوريجين Origen

(نحو ١٨٥ - ٢٥٣م) أكبر فلاسفة الآباء المسيحيين السابقين على أوغسطين ، ومن علماء مدرسة الإسكندرية ، ولد من أبوين مسيحيين ، وتعلم على كليمنت الإسكندري ، وبدأ يعلم في الثامنة عشرة ، وتتلمذ على أمونيوس ، وكان مصنفه « المبادىء » أهم ما كتب ، ويقصد بالمبادىء مسائل الدين الجوهرية كالألوهية وخلق العالم وحرية الإنسان والثواب والعقاب ، ويقصر شرحها وتأويلها على الغنوصيين ، ويقصد بهم الروحانيين الحاصلين على المعرفة السنية Gnosis أو الحقة الخالية من البدع والزيغ ، ويستنكر الثنوية الغنوصية ، مؤكداً وحدانية الله ، ويعتبر الفلسفة ضرورية تمهد اللاهوت مثلما أن العلوم الأخرى ضرورية وتقدم للفلسفة ، ويقول بقدم العالم وأزلية الأرواح وحرية الاختيار ، ونفى الجسمية عن الله ، وكتابه أقرب إلى كتب الفلسفة منه إلى كتب الدين ، وتأثير الأفلاطونية والرواقية واضح فيما يقدم من حجج يغلب عليها العقل على النقل .

أوستفالد Ostwald

(١٨٥٣ - ١٩٣٢) وليام أوستفالد ، ألماني ، منح جائزة نوبل في الكيمياء لعام ١٩٠٩ واشتهر بنظريته الطاقية Energetism التي أطلق عليها اسم الأحدية الطاقية Energetic Monism باعتبار أن الطاقة وحدها هي علة كل التغيرات في الطبيعة . وبني نظريته على أساس أن القانونين الأول والثاني من قوانين الديناميكا الحرارية ، وهما قانون حفظ الطاقة وقانون الإنتروبيا ، واعتبر كل ما نشاهده من ظواهر إنما هو تحولات من شكل من أشكال الطاقة إلى شكل آخر ، وأن إدراك المادة لا يكون إلا كطاقة أو كاختلافات في الطاقة ، وعرف المادة بأنها مجموعة من طاقات مختلفة قد انتظمت مكانياً ، وأن الكتلة طاقة حركية ، والحجم طاقة تشغل حيزاً ، والجاذبية طاقة مسافية ، وفسر قانون العلية بحفظ الطاقة ، وارتباط النتيجة بالعلة بأنه تحول من شكل من أشكال الطاقة إلى شكل آخر مع بقاء الحجم الكلي للطاقة في الكون ثابتاً ، وقال بأن قانون حفظ الطاقة يضمن أن يساوي كمياً بين الأسباب والنتائج ، وأن قانون الإنتروبيا يضمن تحويل كل أشكال الطاقة تدريجياً وفي النهاية إلى حرارة ، وحاول أن يطبّق هذا القانون بنتائجه على الحضارة فقال بأن الكون يتقدم لذلك نحو الموت الحراري حيث تكون كل الطاقة قد تحوّلت إلى حرارة ، ومن ثم تموت الحضارة نهائياً وينتهي الإنسان ، وعلل الرفض الذي قوبلت به نظريته في تطبيقاتها الأخيرة بأنه رفض عاطفي لفكرة موت البشرية . وحاول تطبيق قانون الإنتروبيا على القيم ، فقال بالتزام خلقي بأن لا نبدد طاقتنا هباء ، وفسر ذلك بوجود آمر طاقوي Energetic Imperative جعله محل آمر كنط المطلق ، يأمرنا بأن ننفق طاقاتنا الإنفاق الأمثل الذي يحقق المزيد من التنظيم داخل الفرد نفسه ، وبين أفراد المجتمع الواحد ، وبين المجتمعات الدولية المختلفة . واعتبر الحرب تبديداً لاخلقياً للطاقة .

أوغسطين St. Augustine

(٣٥٤ - ٤٣٠م) القديس أوريليوس أوغسطينوس ، ولد طاجستا من أعمال نوميديا (الجزائر الآن) ، وعاش نحو ثمانين سنة من التحول الاجتماعي والقلاقل السياسية والكوارث العسكرية التي رافقت

انحلال الامبراطورية الرومانية ، وعاصر أهم مراحل التحول من الوثنية الرومانية إلى المسيحية . وفي صباه ارتد عن المسيحية . وكانت ثقافة أوغسطين لاتينية غايتها اتقان البلاغة وتعقب أثر السلف ولم يبدأ سعيه وراء الحقيقة وحبه للحكمة إلا وهو في الثامنة عشرة من عمره ، عندما انتهى من قراءة محاورات ضاعت فيما ضاع من التراث، اسمها « هورطانسيوس Hortensius » لشيشرون ، ويروي أوغسطين في اعترافاته التي كتبها وعمره أربعون سنة ، أن هذا الكتاب كان له أبلغ الأثر على حياته ، وغير مجراها وأهدافها تماماً . وكان شيشرون في كتابه يصور الفلسفة ، بما عرف عنه من بلاغة ، مدرسة علم وفضيلة ، ووسيلة الحياة السعيدة ، فاندفع أوغسطين يطلب الحقيقة من أي مصدر يدعيها ، واعتنق المانوية ، واتجه صوب روما ثم إلى ميلانو ، واختلف إلى محاضرات الأسقف أمبروز وحلقات الأفلاطونيين المحدثين ، ووجد عند الطائفة الكاثوليكية كثيراً من الإجابات التي كانت تؤرقه أثناء تلقيه تعاليم الديانة المسيحية على يدي أمه مونيكا واعتناقه للمانوية . ولم تكن الهوة واسعة بين مسيحية هؤلاء الناس وبين الأفلاطونية المحدثة ، ولم يميز أوغسطين بين تعاليم كل ، وكتب في اعترافاته سنة ٤٠٠ أن التعاليم الأفلاطونية مهدت لاعتناقه المسيحية ، وأن الأفلاطونية فلسفة بها كل المبادىء المسيحية ، ولم ير الفارق بين الاثنين إلا بعد اعتناقه للمسيحية بزمن طويل . وبامتلائه بالمسيحية في ميلانو وعثوره على الحقيقة التي كان يطلبها ، رأى أن يعود إلى مسقط رأسه طاجستا ، وعاش عيشة الرهبنة ، وبإلحاح من الناس قبل أن يرسم قسيساً يساعد أسقف ايبونا العجوز ، ثم عين أسقفاً لها بعد أربع سنوات . وابتداء من سنة ٣٩٠ دخل خدمة الكنيسة واعظاً ومحاضراً وإدارياً ، وعاش راهباً ، كثير التنقل ، يكتب ويراسل ويدخل في صراعات مع المانوية ويرد على المبتدعين ، وعالج مسألة اليقين لأنه اعتبرها مقدمة على غيرها من المسائل ، وكتب « **الرد على الأكاديميين** » أكد فيه أن الشك المسرف يتناقض مع نفسه ، لأن الاحتجاج بأن ما قد نراه يقيناً ربما كان أضغاث أحلام ، يمكن أن يدحضه حكم العقل ، لأن لليقين شروطاً في المحسوسات ، وتعيينها طلبه العقل . والذي يشك يطرح ما قد يظنه صادقاً ، ولا يستقيم الشك مع فطنة الصدق . ومع ذلك فهناك حقائق لا يمكن أن يتطرق إليها الشك مهما غالينا فيه ، حقائق منطقية مثل القضية الصادقة ليست كاذبة ، وحقائق رياضية مثل ٣ × ٣ = ٩ ، وحقائق فلسفية مثل طلب الحكمة واجب ، وحقائق خلقية مثل وجوب إعطاء كل ذي حق حقه . وكل هذه أمور لا يرقى إليها الشك ، مثلما لا يمكن أن نشك في وجودنا ، فالشك المطلق مستحيل . ويعلن أوغسطين في اعترافاته أنه لم يشك أبداً في وجود الله بالرغم من كل الضباب الذي ران على بصره ، وأنه يراه بالمنطق والبديهة، وأن الوجود كله يعلن عنه،وأنه الثابت والوجود متغير، وأنه غير المخلوق والوجود مخلوق، وإن إنكاره ضرب من الجنون المطبق، فإن كان ثمَّة حقائق لا يمكن أن يرقى إليها الشك ، فهي حقائق يستكشفها العقل ولا يؤلّفها ، وهي ثابتة ضرورية لأنها حقائق ، وليس يفهم هذا الثبات والضرورة إلا بحقيقة قائمة بذاتها ، وليس العقل الإنساني هذه الحقيقة ، لأنه ناقص ، وهي جوهر أسمى من العقل ، فهي الله الذي يجمع في ذاته كل الحقائق ، والذي يوجد الأشياء على مثال معقولاتها ، ولا يمكن أن يشاهدها خارجاً عنه وإلا كان أدنى منها ، فلا بد أن يشاهدها في ذاته ، والنفس الإنسانية صورة الله ، روحانيتها تجعلها واحدة كما أن الله واحد ، غير أنها متغيرة تغير المخلوقات ، وموضوع التغير المادة ، فهل للنفس مادة روحية ؟ لا يجيب أوغسطين على هذا السؤال ،يحدد لنا أصل النفس ، ويقول إن الله خلق نفس آدم ، فهل نفوس الناس صدرت عنها بالتوالد ، أو أن الله خلق كل نفس وأحلها في جسد المولود ، والنفس جوهر روحي مغاير للجسم ، لكنها تمنحه صورته وحياته ، وتؤلف مع

الجسم الإنساني الواحد . والنفس جوهر مفكر تام في ذاته ، والجسم يتغير ، والنفس تدرك التغيرات الجسمية ، فالإدراك فعل النفس وحدها . والنفس تدرك الروحيات إدراكها للماديات ، لكنها تدرك المدركات المعنوية بإشراق من الله ، فالله هو المعلم الباطن ، وهذه هي نظرية الإشراق عند أوغسطين ، مثلما نرى الماديات في ضوء الشمس ، ترى النفس المعقولات في ضوء لامادي يشرق عليها ، والله هو شمس النفس . لكن لا ينبغي أن نفهم من ذلك أن هناك قيداً على حرية الإنسان وإرادته ، فبدون حرية لا يكون هناك تكليف ولا تبعة ، ولا يكون هناك معنى لأوامر الله . وللإرادة قانون يجب اتباعه ، ولكل موجود ماهية وغاية ، والموجود العاقل يتجه إلى غايته بإدراك وحرية ، والشريعة تأمر باحترام طبائع الأشياء ونظامها ليتحقق النظام العام ، ومن ثم فالخير خير لأنه يطابق النظام ، والشر شر لأنه يعارضه ، والأفعال أفعال الإنسان ولكنها خاضعة لله ، فالله يريد الفعل حراً ، والفعل سيكون حراً ، والله خير ، ويريد الإنسان للخير ، ولهذا أنعم علينا بالعقل ، وعمر قلوبنا بالمحبة ، فالعقل مبدأ الحرية ، مثلما المحبة مبدأ الحرية ، ونحن إذ نسير على هدى العقل تثرى الإرادة بالحرية . والفضيلة خير للإنسان ، وخير في ذاته ، فعلاوة على أنها واجب، فالإنسان مندوب لها مدعو إليها. وفضيلة الفضائل محبة الله، حيث تلتقي إرادة الإنسان وإرادة الله . والأبيقوري يجعل النفس أمة للجسد ، لكن التجربة تدل على أن اللذة لا تشبعنا أبداً ، وأن الحواس لا تقنع بما تحصله ، والرواقي يحتقر الجسد واللذة ، لكنها تتمادى وتعنت الإنسانية بتكليفها المحال ، فإذا كانت خيرات النفس وخيرات الجسد لا ترضي نزوعنا الطبيعي إلى السعادة ، فلا يبقى إلا أن نقر بموجود أعلى هو الخير الأعظم ، ونزوعنا إلى الخير هو نزوع إلى الله ، ومهما نفعل فنحن نفعل ما يريده الله ، وواجبنا هو المطابقة بين إرادتنا وإرادة الله . وفي الإنسان محبتان ، محبة الذات إلى حد الإساءة إلى الله ، ومحبة الله إلى حد الإساءة إلى الذات . والمجتمع جماعة من الناس يجمعها حب موضوع مشترك ، فإن كان هو محبة الذات ، كان المجتمع مجتمع او مدينة الشيطان ، أو المدينة الأرضية ، وإن كان هو محبة الله كان المجتمع مجتمع أو مدينة الله، أو المدينة السماوية ، والأولى تقوم على الظلم ، والثانية تقوم على العدالة ، والحرب بين المدينتين سجال حتى تنتصر مدينة الله في آخر الزمان وتفنى مدينة الشيطان .

أوغسطينية .... **Augustinianism**

فلسفة القديس أوغسطين ، وكان لها تأثير ضخم على من جاءَ بعده من الفلاسفة ، فهؤلاء إمَّا أعادوا صياغتها ، وإمَّا عدلوها بما أضفوه عليها من تأويلات ، متأثرين في ذلك بفلسفتيّ ابن سينا وأرسطو . وظلَّت فلسفة أوغسطين تسود الفكر الغربي والكنسي ، وخاصة عند الفرنسيسكان ، حتى مجيء توماس الأكويني ، فبدأت مرحلة الاضمحلال بتأثير التوماوية وانبعاث الأرسطية حتى انتهى أمرها تماماً .

أوكامي .... **William of Ockham**

وليام الأوكامي (١٢٨٥ ـ ١٣٤٩) أكبر فلاسفة القرن الرابع عشر ، من الفرنسيسكيين ، ولد بقرية أوكام بالقرب من لندن ، وتعلّم بأكسفورد ، وقيلَ إنه تعلم على دنس سكوت ، والحقيقة أن سكوت كان قد ماتَ وقت أن دخل الجامعة . وكان أوكام خصماً ناقداً للإسكوتية ، وتحرَّر من فلسفة الفرنسيسكان ومن كل فلسفة ، وطالب بفصل الدين عن الفلسفة ، وفصل الدولة عن الدين ، وهاجمَ العلم القديم ، وأثار نقد أساتذته وزملائه ، فمنعَ مدير الجامعة عنه ترخيص التدريس، وأحاله إلى التحقيق بتهمة الكفر والإلحاد، واستدعاه البابا إلى أفنيون ، واستمرَّ التحقيق معه أربع سنوات ، تورَّط أثناءها في خلاف بين رئيس رهبنته والبابا وانحازَ فيه إلى رئيس رهبنته ، وتأكَّد لديه أنه سيصدر حكم ضده ففرَّ إلى بلاط الامبراطور لويس البافاري ، وكان الأخير على خلاف مع البابا ، وأقامَ في ميونخ يكتب في السياسة مناضلاً ضد سلطة الكنيسة

والبابا الدنيوية ، إلى أن مات بالطاعون الأسود الذي اجتاح أوروبا وقضى على معظم مفكّريها ، وكان سبباً في النكسة الثقافية التي دامت لأكثر من قرن من الزمان .

وتنقسم كتاباته إلى كتابات سياسية وكتابات فلسفية ، والسياسية دونها أثناء إقامته في ميونخ وصراعه مع البابا ، والفلسفية وضعها أثناء إقامته بأكسفورد وأفنيون ، ومعظمها شروح لكتب أرسطو ، وأهمها شرح الأحكام لبطرس اللومباردي ، والمجموعة المنطقية ، والعرض الذهبي ومائة قضية لاهوتية .

وأوكام من الأيديولوجيين الذين انحازوا لأمراء الإقطاع ضد الكنيسة ، وهو مدرسي ، واشتهر بأنه مبدع الاسمية Inceptor Scholae Nominalium ، ويكتسب أهميته في الفلسفة من موقفه المتشكك الناقد للفلسفة ، وللعقل ومعانيه ، وعنده أن المعرفة حدسية ، وأن المعاني لا توجد إلاَّ في العقل ، وأنها تقوم مقام كثرة الأفراد (إنسان مثلاً) ، وهي ليست كلية بذاتها بل بما تحمل عليه ، بمعنى أن الاسم الذي يدل على المعنى يطلق على الأفراد باعتباره إشارة أو رمزاً للجزئيات لا للمعنى نفسه ، ومن ثمَّ فالمفاهيم العامة التي تنشئها أفكارنا عن الأشياء الموجودة لا تنفصل عنها ، بل إنها لا تعبِّر عن كل خصائصها وصفاتها ، وإذن يكون المذهب الاسمي مادي الاتجاه يقول بأولوية الأشياء وثانوية المفاهيم ، ويكون المذهب الاسمي أول تعبير عن المادية في القرون الوسطى .

ويلجأ أوكام إلى منهج التوفير ، فالتعدد لا ينبغي افتراضه من غير ضرورة ، والشيء الذي يمكن شرحه بفروض أقل لا ينبغي شرحه بفروض كثيرة ، والافتراضات التي لا تؤيِّدها التجربة والاستدلال لا داعي لها ، لذلك أطلق على منهجه التوفيري اسم موسى أوكام Ockham's Razor . ويجري أوكام موسيه على قضايا الفلسفة ، وينقد العلة الغائية ، وينفي وجود دليل على أنها المحرك الفاعل ، أو أن الموجودات تتحرك بعلة غائية ، ويشكك في برهان المحرك الأول المثبت لوجود الله ، اعتماداً على وجود موجودات تحرك نفسها كالملائكة والبشر والأجسام الثقيلة الساقطة على الأرض . ويشكك في وحدانية الله اعتماداً على جواز تفسير العالم بعدد من العلل الأولى ، ويقول إن الوحدانية قضية إيمان لا يعارضها العقل ولكنه لا يستطيع إثباتها إلَّا بأدلّة احتمالية . وهكذا الحال في النفس الإنسانية وفي الأخلاق ، كلها تأليفات معانٍ ، وليس هناك خير وشر بالذات ، ولكنها مسائل علمناها بالوحي ، وكان من الممكن أن يفرض الله علينا عكسها . وربما كان إنكار أوكام لهيولى أرسطو ، واستبداله به فكرة المادة ، وتفسيره لتغيراتها باجتماع أجزائها وتفرقها ، هو ما حدا بكارل ماركس أن يؤرِّخ للمادية بالإسمية ، وأن يؤرِّخ للإسمية بأوكام . وما كان من الممكن أن تستغرق منه كتاباته السياسية أربعة عشر عاماً ، وأن تدخله في صراع مع الكنيسة والبابا دون أن تكون على جانب كبير من الأهمية . وهو في كتابه « **حول سلطة الأباطرة والباباوات** » يصر على أن قانون الله هو قانون الحرية وليس الاضطهاد ، وأن المسيح لم يحدث أن أعطى أحداً من حوارييه سلطات مطلقة ، ولم يخول بطرس الحق أن يسلب أحداً ما ملك أو أن يحرمه حقاً من حقوقه أو يصادر حرياته ، فإذا كان المسيح لم يفعل ذلك فمن باب أولى أن لا يفعله البابا خادم المسيح .

أونامونو .... **Unamuno**

(١٨٦٤ - ١٩٣٦) ميجيل إيخوجو أونامونو ، وجودي أسباني من الباسك ، ولد في بلباو وتعلَّم بمُدريد ، وعيِّن أستاذاً للّغة الإغريقية في جامعة سلامنكا ثم مديرها . وكان شاعراً وناثراً وروائياً ، وكانت روايته « **السلم والحرب Paz en la Guerra** » (١٨٩٧) أول رواية وجودية في العالم ، ولكن أعظم مؤلّفاته كان **المعنى المأساوي للحياة Del Sentimiento Tragico de la Vida** » (١٩١٣) . وكانت حياته جهاداً فكرياً ضد الاستبداد في أسبانيا ، ولذلك نفته السلطات الأسبانية إلى جزر الكناري (١٩٢٤) وحاول الهرب إلى أسبانيا ، ولم يطلق سراحه إلَّا بعد سقوط

حكم دي ريفيرا (١٩٣٠) وأعيد تعيينه مديراً لجامعة سلامنكا ، إلَّا أنه لم يتعاطف مع الحكم الجديد ، ففصل من الجامعة (١٩٣٦) ، وحددت إقامته في بيته .

وتقوم فلسفة أونامونو على الإيمان بالفرد كحقيقة أكثر من إيمانه بالمجتمع . وهو لا يحفل إلَّا بعذابات الفرد واهتماماته ، ويؤكّد على التكامل في الشخصية الفردية والصدق مع النفس ، وكان يرى أن وظيفته كفيلسوف هي إزعاج الناس على طريقة سقراط ليستيقظوا على حقيقتهم ويواجهوا مشاكلهم . وقضىٰ أونامونو أغلب سني حياته في عذاب وتوتر وصراع بين العقل والإيمان ، ولكنه كان يرى أن الدين عاصم من اليأس ، ولازم للاستمرار في حياة غير مفهومة ، تسير بين طرفين من العدمية ، الميلاد من ناحية والموت من الناحية الأخرى ، وهي حياة يحفّ بها الشرّ من كل جانب ويملؤها الأسىٰ ، وتطامن معاناة اليأس من سطوة الإنسان فيجرّب أن يؤاخي الناس . وليس الشر والمرض والعوز في الحياة إلَّا تحديات تستثير الإنسان لتجاوزها ، والفلسفة هي معينه وملاذه ، وبها يوطّن نفسه على الرضا بالحياة ، ويتوسّل بها لفهم غاياتها أو إيجاد غايات لها ، أو هو يصرف أحزانه في التفلسف ، وربما كان الإنسان يتلهّى ويسمر بالفلسفة ، وعلى أي وضع فالإنسان يتفلسف ليعيش Vivere, Deinde Philosophari Primum .

ويرى أونامونو أن الأمل في وجود حياة أخرى خالدة وأبدية ، الإنسان فيها كل شيء ، هو أجمل ما يمكن أن يكون حلاً لمشاكل الإنسان في الحياة ، ولما في هذه الحياة من معنىً أسيان ، والإنسان لا يمكن أن يكون شيئاً إن لم يكن هو كل شيء ، فإن يوجد الإنسان يعني أن يتوجَّد كي يبلغ كل مكان وكل زمان وكل الوجود ، أي أن يكون إلَهاً .

وكان شعار أونامونو « إمَّا كل شيء أو لا شيء » ، وأن التوتر هو جوهر الحياة ، ولا ينفعل الإنسان بالوجود إلَّا من خلاله ، وبفعل ما فيه من عذاب . أما مجرد الوعي بالوجود فلا يستحق إلَّا الانتحار . والحياة كي ننفعل بها وتستحق أن نعيشها لا بد أن تكون حياة واحدة ، وهو ما لا يمكن إلَّا في الحب ومفارقاته ، ففي الحب يعيش الإنسان ثراء الوجود وامتلاءه .

إيبكتيتس .... **Epictetus**

(نحو ٥٠ ـ ١٣٠ م) رواقي ، من مواليد هيرابوليس بفريجيا بآسيا الوسطىٰ ، مات منفياً عن روما ، وكان ابن أمة وعبداً هو نفسه لمدة أربعة أعوام لكاتم سر نيرون الذي عهدَ بتربيته إلى موسونيوس روفوس أشهر مدرّسي الرواقية وقتذاك . ونفاهُ دوميتان إلى إيبيروس (نحو ٩٠ م) ، واشتهر تعليمه فاجتمع إليه الناس يحاضرهم في المنطق والطبيعيات والأخلاق الرواقية . وجمع تلميذه فلافيوس أريانوس أفكاره ونشرها في كتابين « **المحاضرات** » و « **الموجز** » رغم أن إيبكتيتس كان كسقراط ضد فكرة المذهب والنشر . ويبدو أن تلاميذه كانوا من جنسيات مختلفة ، ولم يكونوا من الصفوة ، فكان أول رواقي بروليتاري أو شعبياً . وكان يعتقد أن الإنسان وطنه العالم ، مثل الكلبيين ، وركّز على الأخلاق ، وشعاره التحمّل والاستسلام لإرادة الله والرضوخ للقانون طالما أنه ينشد السلام الرواقي ، لكن مثله الأعلى كان الفضيلة والحكمة ، ومنهجه محاسبة النفس ومسؤوليتها ، ومبدأه حرية الاختيار والرفض ، وغايته تكوين الشخصية على وجهها الصحيح . وكان يرى أن الفشل عنصر إنساني لا ينبغي أن يعوقه عن نشدان المثل الأعلى ، ولم يكن يستنكر إلَّا الأدعياء والزيف .

آير .... **Ayer**

ألفريد جولز آير ، بريطاني من مواليد (١٩١٠) تخرج من أكسفورد ، ودرس لبعض الوقت بجامعة فينا ليزداد معرفة بالحركة الوضعية المنطقية ، وعيِّن أستاذاً بأكسفورد ولندن للمنطق ، واشتهرَ في سن السادسة والعشرين بوصفه مؤلّف كتاب « **اللغة والصدق والمنطق Language, Truth and Logic** » (١٩٣٦) ، وتميّز فيه بالوضوح الشديد والأصالة

الجلية ، وكان من أكثر الكتب رواجاً في العالم الناطق بالإنجليزية وأشدّها تأثيراً في الفكر الفلسفي البريطاني ، سارَ فيه على خطىٰ رسل وفتجنشتاين وجماعة فيينا التي كانت تحمل لواء الفلسفة الوضعية المنطقية ، ولكنه خرج على الشكل العام لذلك المذهب ، وأدخلَ عليه بعض عناصر التراث التجريبي البريطاني عن طريق باركلي وهيوم ، وهو يقبل تقسيم هيوم للقضايا إلى منطقة وتجريبية ، ومبدأ القابلية للتحقق Principle of Verification ، فكل قضية تجريبية لا يمكن أن يكون لها معنىٰ ما لم يقم على صدقها أو كذبها بعض الوقائع الملاحظة ، ومن ثمَّ فالقضايا الميتافيزيقية لا يمكن النظر إليها باعتبارها قضايا ذات معنى ، طالما أنها لا تعبّر عن حقائق منطقية أو وقائع تجريبية ، وهي ليست سوى أشباه قضايا Pseudo Statements لأنها لا تحتمل الصدق ولا الكذب ، وتتناول أشياء أو أحداثاً تتجاوز نطاق الملاحظة الحسية ، وهي ليست سوى رغبات انفعالية لإصحابها للامتداد بعواطفهم إلى ما وراء حدودها ، والتعبير في صيغ عقلية عن انفعالات تترجم عن نفسها في الأعمال الأدبية والفنية . وليست أحكام القيمة والقضايا الأخلاقية والأحكام الجمالية قضايا حقيقية تحتمل الصدق أو الكذب ، لكنها مجرد تعبيرات عن عواطف المتكلم وانفعالاته ، فقولي إن السرقة خطأ ليست إلاَّ تعبيراً عن استهجان للسرقة ، وليست الصفات الأخلاقية أو الجمالية التي نضيفها على الأشياء أو الأفعال ذات مضمون واقعي لأنها ليست من سمات الشيء الملتحمة فيه ، وليست قرائن طبيعية أو علامات واقعية لا تنفصم عنه . وعلى العكس فإن الحكم الأخلاقي لا يظهرنا على الشيء ، وإنَّما يظهرنا على الشخص الذي يصدر الحكم ، لأنه تعبير عن اتجاه الشخص ، ومن ثمَّ فمن الخطأ أن نتحدث عن موضوعية القيم ، أو أن ننسب للفلسفة الأخلاقية أي تأثير على السلوك ، لأن العبارات الأخلاقية عبارات لا تقوم على وصف الواقع ، والتفلسف بها هو من قبيل « ما وراء الأخلاق Metaethics » أو الكلام في الأخلاق ولكنه ليس الأخلاق نفسها . وليست قضايا المنطق والرياضيات القبلية إلاَّ قضايا خالية من أي مضمون واقعي ، ولكنها مع ذلك قضايا نافعة لأنها تكشف عمَّا تتضمنه عباراتنا من معانٍ وتساعد على تحصيل المعرفة التجريبية ومن ثمَّ لا يتبقَّى للفلسفة بعد أن تنسحب من مجالاتها التقليدية إلاَّ أن تقتصر على دراسة الطرق التي نتحدث بها بحيث يصير ما نتحدث به عن الواقع صادقاً ، ومن ثمَّ تكون قضايا الفلسفة قضايا لغوية وليست قضايا واقعية ، وأن يكون نشاطها هو التحليل ، ومن ثم تتماثل الفلسفة والمنطق العلمي .

ومن أهم كتبه الأخرى « **أسس المعرفة التجريبية The Foundations of Empirical Knowledge** » (١٩٤٠) و « **التفكير والمعنى Thinking and Meaning** » (١٩٤٧) و « **المقالات الفلسفية Philosophical Essays** » (١٩٥٤) و « **مشكلة المعرفة The Problem of Knowledge** » (١٩٥٦) و « **مفهوم الشخص The Concept of a Person** » (١٩٦٣) .

إيكارت .... Eckhart

(١٢٦٠ ـ ١٣٢٧ / ١٣٢٨) السيد إيكارت ، صوفي ألماني ، إسمه الحقيقي يوهانز إيكارت ، انضمَّ إلى الدومينيكان في سن مبكرة ، وتابع دراسته في كولونيا وباريس ، وتولَّى عدة مناصب كان آخرها الرئيس الأعلى للأخوية لكل ألمانيا (١٣١٢) . وقبل وفاته وجهت إليه عدة اتهامات بالكفر ، وبعد وفاته بسنة أو سنتين أدانه البابا في ٢٨ قضية مخالفة للدين ووصفت اثنتان منها بالتهود ، والباقيات بالكفر والزندقة ، ومع ذلك ظلَّت لإيكارت آثار لا تنكر فقد كان من أوائل الذين استخدموا اللغة الألمانية في الوعظ والكتابة بالإضافة إلى اللاتينية ، فلقَّبوه بمنشىء النثر الألماني وبأبي الفلسفة الألمانية .

ومن كتبه اللاتينية « **الكتاب الثلاثي** » ويضم أقساماً ثلاثة ، أولها « كتاب القضايا » يثبت فيه أن الله هو الوجود ، والثاني « كتاب المسائل » يدور حول وجود الله ، والثالث « كتاب التفسيرات » يفسر فيه الكتاب

المقدس بالعقل الطبيعي ابتداءً من القضية الأولى التي يقول إنه إذا أحكم الاستدلال فيها فإن كل ما عداها من قضايا يتابع حله بسهولة . وهو يتوسل إلى معرفة الله بالتأمل الميتافيزيقي والتجربة الصوفية وباللاهوت ، ويميز بين الله Deus كما هو موجود في الأقانيم ، وبين الألوهية Deitas باعتبارها الله بصرف النظر عن أقانيمه ، ويوضح تمايزها بتمييزه بين الروح كما تبدو في نشاطها أو ملكاتها كالتذكر ، والروح في أصلها بصرف النظر عن نشاطاتها التي تميز الحياة الشعورية . وهو يلح على واحدية الله أكثر من إلحاحه على أقانيمه ، ولا يقبل نظرية المشاركة لأنها تفترض موجودات متمايزة عن الموجود الأوحد، أما هو فيقول بأن ما ليس عين الوجود فهو لا وجود ، واعتبر كلامه كفراً ، لأن معناه أن المسيح تاريخي ورمزي وقيمة نموذجية ، وأن الله لا يمكن أن يشاركه ابن على الحقيقة وليس على المجاز . ولم يقبل إيكارت القول بحدوث العالم ، وفسّر كلامه على أنه إشارة إلى أن العالم أزلي ، وأوّلوا قوله بأن المخلوقات ليست إلاّ لا شيء على أنه ضرب من الاعتقاد في الأحدية Monism، وكلها أقوال أخذت عليه ، ومن أجلها أدانه البابا ، إلاّ أن ذلك لم يحجبها عن الناس ، وتأثّر بها كثيرون ، وكانت جماعة جوهانز تولور وهاينريش سوسو وجان فان رويزبروك ، والجماعة المعروفة باسم أصدقاء الله ، من بين من قدروه وشايعوه على فكره ودعوا إليه .

إيمانية .... Fideism

وجهة النظر التي تبني الاعتقاد في الدين على الإيمان وليس على الدليل والبرهان ، إمّا بدعوى أن مسائل الدين تتجاوز العقل بحيث يكون الاعتقاد بصحتها ضرباً من اللاّمعقول ، وفي ذلك يقول ترتوليان « إن ما أؤمن به هو اللاّمعقول Credo Quia Absurdum » ، وإمّا لأنها من طبيعة غير طبيعة المسائل التي يصلح لها العقل بحيث يكون من الخطأ إدراجها ضمن مسائله أو تأسيسها عليه ، ومن ثمّ يرفض هؤلاء وأولئك العقل كلية في قضايا الاعتقاد . غير أنه بين هذين يوجد اتجاه متوسط ديني وفلسفي ، الأول يرتب للعقل مكاناً بعد القلب ، فالإنسان يؤمن أولاً ثم يتفكّر ثانياً ، وشعاره قول أوغسطين « إني أؤمن ومن ثمّ أعرف Credo Ut Intelligam » ؛ والثاني يذهب إلى أن الإيمان فطرة الإنسان ، وفي ذلك يقول هيوم إنه وجد أن أغلب الناس إيمانيون ، ويقول رسل إن بدهيات التفكير العلمي مسائل إيمانية لا يمكن تبريرها بالعقل ، فالإيمان أساس المعرفة وأصل العلم ، ولهذا سمّاه سانتايانا إيماناً حيوانياً ، وجعله المادة الأولى للفكر ، والمبرر لقبولنا مسائل الحياة التي تستعصي على العقل ولا يمكن الرجوع إليه فيها . (انظر التقليدية) .

إيمرسون .... Emerson

(١٨٠٣ - ١٨٨٢) رالف والدو إيمرسون ، الداعية الأول للفلسفة المتعالية في أمريكا ، ولد ببوسطن لأب قسيس موحّد ، وتعلّم بهارفارد ، وتخرّج قسيساً ، إلاّ أنه لم يجد نفسه في الدين ، واستغرقته الفلسفة الألمانية ، وخاصة شيلنج وهيجل ، ومشكلة الفلسفة عنده هي علاقة الروح بالمادة ، ويجد حلّها كمثالي موضوعي ، بأن يجعل الطبيعة رمزاً للروح ، والروح العلوي هو المبدأ التركيبي ، والطريق للمعرفة هو التأمّل والحدس ، والانجذاب هو أفضل الوسائل للتغلغل إلى ماهية الأشياء . والجمال في كل مكان من العالم ، ويتبدّى في التناغم والكمال والروحانية ، وليس إبداع الجمال إلاّ في الفن ، وعظماء الناس هم الذين يلعبون الدور الحاسم في التاريخ ، وهم يعزّزون التقدم الاجتماعي الذي ينهض على الكمال الخلقي للأفراد . وكان إيمرسون يقول إن ما يثيره في الكون هو الإنسان ، وما يثيره في الإنسان هو عظمته ، والأصل في الكون هو الروح الفوقي ولكنه انقسم بفعل التاريخ إلى طبيعة وعقل ، وحقيقة ووهم ، ودين وعلم ، وقانون أخلاقي وقانون فيزيائي ، وسرمدي وزمني ، ومثالي متعالي وواقعي مبتذل ، وهو انقسام مرضي كما في الفصام ، ولكن الإنسان بثقافته المبدعة سيرأب الصدع ويوصل ما انقطع . وكان يقول إن هدف الحياة هو تعريف الإنسان

بنفسه ، وأن أسمى ما يمكن أن يوحىٰ به إلى الإنسان هو في الإنسان نفسه ، وفي احترامه لذاته .

وتقوم فلسفة إيمرسون على التماثل والتعويض ، والتماثل يكون بين روح الإنسان وكل ما يوجد في العالم ، والتعويض هو أن كل ما يكون سلبياً فيه لا يمكن إلاَّ أن يكون هناك ما يعوّضه عن هذا السلب .

ولم يكن إيمرسون راضياً عن الحضارة وقيمها لأنها كانت تقوم على الملكية وعلى الامتيازات . وكان يرى الصراع بين الفقراء والأغنياء أبدياً ، وكان مع الفقراء بشكل رومانسي . وانتهى إيمرسون متصوفاً ، واشتهر بكتابه عن الترنسندنتالية المعنون « الطبيعة » (١٨٣٦) ، وبتأثيره على نيتشه وبرجسون ، ولم يكن قوله بالقوة الحيوية Vital Force إلاَّ نفس ما دعا إليه برجسون بعد ذلك بما أسماه الطفرة الحيوية Élan Vital .

إينشتاين .. Einstein

(١٨٧٩ ـ ١٩٥٥) ألبرت إينشتاين ، يهودي ألماني ، واضع نظرية النسبية الخاصة والعامة ، تعلَّم في زيورخ ، وعلَّم فيها وفي براغ وبرلين وكاليفورنيا ، وحصل على الجنسية السويسرية عندما كان يدرس في زيورخ ، ثم على الجنسية الأمريكية (١٩٤١) بعد أن هاجرَ إلى الولايات المتحدة عقب تولِّي النازي حكومة ألمانيا . ورغم أنه كان داعية سلام ، وعارضَ في آرائه السياسية القهر الاجتماعي والنزعة العسكرية ، وندَّد بشدة باستخدام الطاقة الذرية في غير الأغراض السلمية ، إلاَّ أنه كان أيضاً من المؤمنين بالوطن القومي لليهود ، ودعا لإسرائيل ، وشاركَ في الضغط على الحكومة الأمريكية للاعتراف بها ومساعدتها ، وأشرف على حملة جمع التبرعات عبر كل الولايات المتحدة ، وقد رفض رئاسة الدولة الإسرائيلية حال قيامها عندما عرضت عليه .

ويبدو أن إينشتاين كان من الممكن أن يظل مغموراً ، فقد رسب في امتحان القبول لمعهد التكنولوجيا السويسري ، ولولا التحاقه من بعد بوظيفة في مكتب منح براءات الاختراعات ببرن لما كان من الممكن أن يتفرَّغ لبحوثه وتأملاته ، وأن يكتب بحثه الذي لم يتجاوز الأربع ورقات ، والذي نشره سنة ١٩٠٥ وعرف فيما بعد باسم النظرية الخاصة في النسبية ، فكان أهم حدث علمي منذ أن وضع نيوتن نظريته الفيزيائية ، وبسببه توالت عليه الدعوات والمناصب الجامعية ، واستطاعَ سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ أن ينشر نظريته العامة في النسبية ، ثم بعد جهد شاق وضع نظريته في الحقل الموحَّد (١٩١٧) وهي النظرية التي ربطت الحقائق الكبرى للكون التي أظهرتها النظرية النسبية ، بحقائقه الدقيقة التي أظهرتها النظرية الكمية . واستبعد إينشتاين فرضية الأثير التي قالت بها النظرية الكلاسيكية في الفيزياء ، واستنتج من تجربة ميكلسن ومورلي أن سرعة الضوء ثابتة بالنسبة لحركة الأرض ، وأنها لا بد أن تكون ثابتة بالنسبة لحركات الكواكب أو أي جسم متحرك في الكون ، وقال بثبوت سرعة الضوء في الفضاء ، وأن جميع الظواهر الطبيعية ، وكل قوانين الطبيعة واحدة لكل الأجسام التي تتحرك بسرعة منتظمة بالنسبة إلى بعضها البعض ، واستخدم سرعة الضوء كمرجع لقياس حركة الأجسام ، على أساس من سرعته الثابتة ، وهكذا اختلف مفهوم التواقت الزمني ، وبين أن هذا التواقت الذي يسجله شخص داخل القطار ويتحرك معه . وقال إن ترتيب الحوادث أو غياب بعضها من مدونة التسجيل يختلف تبعاً لحركة الأشخاص المراقبين ، وأنه لا يوجد تواقت زمني مطلق في الكون ، ومن ثم يتوجب استبدال فرضية الزمان المطلق الميتافيزيقية بحقيقة التواقت النسبي . وعرف الزمان بأنه تسلسل حوادث بالنسبة إلى مرجع ، وأن تسلسل الحوادث هذا لا يكون واحداً ، كما ذكرنا من قبل ، بالنسبة لجميع المراقبين ، وهذا معناه أن فكرة وجود زمان واحد ينساب في الكون كله ، وتترتب بموجبه الحوادث في الكون ، هو فرض ميتافيزيقي لا تؤيّده التجربة . وناقش إينشتاين مسألة المكان المطلق الذي قالت به فيزياء نيوتن ، ورفضه بدعوى أن المكان ليس إلاَّ نظام العلاقات بين الأجسام ، ولا يمكن تصوره مطلقاً خالياً من الأجسام .

وإذا رفض إينشتاين فكرتي الزمان والمكان المطلقين فإنه في نفس الوقت لم ينظر إلى الزمان والمكان باعتبارهما حقيقتين منفصلتين ، وقال بارتباطهما ، فإذا كان الإنسان يميل إلى فصلهما ، وتصور المكان على طريقة هندسة إقليدس بأنه يتألف من ثلاثة متعامدات ، طول وعرض وارتفاع ، دون اعتبار للزمان ، فهذا لا يعني أن هذا التصور شيء حقيقي ، فالحقيقة أن الكون كله عبارة عن متصل زماني مكاني ، وأن جميع الحوادث في الطبيعة تقاس بالنسبة إلى هذا المرجع ، فلا يوجد مكان من دون زمان ، ولا يوجد زمان من دون مكان ، بمعنى أنه لا يكفي لتحديد موضع جسم أن نحدد ذلك الموضع بالمتعامدات الثلاثة ، الطول والعرض والارتفاع ، فلا بد من تعيين وقت تحديد المكان ، ويرتبط تحديد الوقت بتحديد المكان ، فكلاهما شرط للآخر ، وهكذا تكون لدينا أربعة متعامدات بدلاً من ثلاثة ، وهو ما يعنيه متصل الزمان ـ المكان الذي قال به مينكوفسكي ، والذي استعانَ به إينشتاين في نظريته ، مبيناً أن الكون الذي نعيش فيه تصفه هندسة لاإقليدية ، هي هندسة المنحنيات لا المستقيمات ، وأنه كون لامحدود ولا نهاية له ، لأنه ينحني على نفسه . وفسر إينشتاين الجاذبية بطريقة جديدة تعتمد على الخصائص القياسية لمتصل الزمان ـ المكان ، فلم يوافق على أن الكون ميكانيكي تتجاذب فيه الأجسام ، وقال إنه يراه كوناً هندسياً يؤلف مجاله ممرات تسير فيها الأجرام السماوية ، بما يعني أن المسالك لحركة الكواكب والأجرام السماوية تحددها الخواص القياسية لمتصل الزمان ـ المكان .

ولقد تأثَّر إينشتاين في الفلسفة باسبينوزا ، وهو مثله يهودي ومادي ، وتجمع بينهما الروح العامة اليهودية ، وهي روح يهودية في صميمها ، ولذلك هو ينكر وجود الله ، وينكر وجود أي جوهر غير مادي ، وينكر قبلية كنط ، ولا يؤمن إلاَّ بموضوعية وإمكان معرفة العالم ، وبالتداخل السببي لكل عمليات الطبيعة .

إينيسيديموس Aenesidemus

إمام الشكاك الجدليين ، ربما ولد في كنوسوس من أعمال كريت ، ويجمع أغلب المؤرّخين على أنه عاشَ في القرن الأول الميلادي ، ومن المعروف أنه علَّم بالإسكندرية ، ولسنا نعرف شيئاً من كتاباته ولكننا نعرف الكثير من فلسفته ، بل ربما كان ما نعرفه عنها أكثر مما نعرفه عن فلسفة أي من الشكاك الإغريق ، ونعرف أنه عارض الشكاك الأكاديميين ، لأنهم من ناحية هاجموا القطعية ، ومن ناحية أخرى كانوا قطعيين في تمييزهم بين المحتمل وغير المحتمل . وكان يعلن أنه من أتباع بيرون ، لكن بيرون كان شكاكاً أخلاقياً وإينيسيديموس كان شكاكاً جدلياً . ولعلَّ إسهامه الأكبر في الشك الإغريقي قوله بالحجج العشر التي تثبت نسبية الإدراك الحسي باعتبار أن الشخص المدرِك (بكسر الراء) والشيء المدرَك (بفتح الراء) كلاهما يتواجدان في ظروف محيطة خارجية وداخلية . ونقده للعلم على أساس أنه معرفة العلل بالظواهر ، وليس معرفة الحقيقة ، وأنه لا صلة مؤكّدة بين الحقيقة والظواهر ، وبين الظواهر والعلل الخفية ، لأن الظواهر تظهر واحدة للجميع ، لكن لكل تفسيره لها ، ولذلك يمتنع العلم وينبغي تعليق الحكم .

حرف الباء

بابية .... **Babism**

فرقة إسلامية تنسب إلى السيد علي محمد الشيرازي (١٨١٩ ـ ١٨٥٠) مؤسسها ، ولقبه باب الحقيقة ، وهو إيراني ، ولد بشيراز ، وكان مسلماً شيعياً ، وأهم مصنفاته « **البيان** » وهو بالنسبة للبابيين في مكانة القرآن للمسلمين ، ومن ثم كانت تسميتهم لأنفسهم **بأهل البيان** .

وتقوم البابية على إلغاء الشريعة الإسلامية ، بحجة أن لكل نبي دورة نبوة ، وأن دورة النبي محمد قد انتهت سنة ١٢٦١هـ (١٨٤٤م) ، ومن ثم يسقط العمل بالقرآن ويبدأ العمل بالبيان . وتزعم البابية أن الله يغني العالم في نهاية كل دورة نبوة ، ويعيد خلقه بكلمة من النبي التالي ، وأن لكل دورة نبوة تقويماً . ويقسم التقويم البابي السنة ٢٩ شهراً، ويجعل الشهر ١٩ يوماً، وتقصر البابية الصيام على الشهر التاسع عشر . وللعدد ١٩ مكانة خاصة فيها ، فالبابي يحرم عليه اقتناء أكثر من ١٩ كتاب، وله أن يستضيف ١٩ ضيفاً ، ويعاقب على قتل النفس بالحرمان الجنسي ١٩ عاماً . ولما تفشت البابية واستفحل أمرها أثارت الشيعة الحكومة عليها ، فقبض على الباب وحوكم وأعدم بالرصاص ، ولكن الملا حسين البشرويهي ، ويسمونه **باب الباب** لأنه مكتشف الشيرازي ومحرضه على الاعتقاد بأنه المهدي المنتظر ، استطاع أن يجند أتباعه ويهاجم بعض القلاع ، وادعى كل من الأخوين غير الشقيقين ميرزا يحيى نوري الملقب **بصبح الأزل** ، وميرزا حسين علي الملقب **ببهاء الله** ، أنه خليفة الباب ، وانقسمت البابية من ثم إلى فرقتين « **الأزلية** » و « **البهائية** » ، لكن بينما تعد الأولى استمرار للبابية ، فإن الثانية لا تعتبر الباب إلا سلفاً لبهاء الله . وقد تضاءل أتباع الأولى ، بينما تنتشر الثانية في كثير من البلاد الإسلامية والآسيوية والأوروبية ، ومركزها عكا في إسرائيل حيث أمر بهاء الله بنقل رفات الباب ودفنها في ضريح كبير على منحدرات جبل الكرمل .

باركلي .... **Berkeley**

(١٦٨٥ ـ ١٧٥٣) جورج باركلي ، أيرلندي من أصل إنجليزي ، ولد بكيلكني بأيرلندة ، وتعلم بترينيتي ، وتدرج في مناصب الكنيسة حتى عين أسقفاً لكلوين . أهم كتبه « **محاولة نحو نظرية جديدة في الرؤية An Essay Towards a New Theory of Vision** » (١٧٠٩) ، و « **بحث في أصول المعرفة الإنسانية A Treatise Concerning the Principles of Human Knowledge** » (١٧١٠) ، و « **السيفرون Alciphron** » (يعني به الفيلسوف الصغير الذي يزعم

أنه مفكر حر) (١٧٣٢) ، و « المحلل The Analyst » (١٧٣٤) يرد به على عالم ملحد ، و « سايريس Siris » (١٧٤٤) يرد فيه أسباب الظواهر المادية إلى الله ، و « أحكام فلسفية Philosophical Commentaries » (نشر بعد وفاته سنة ١٨٧١) .

ويشتهر باركلي بأنه فيلسوف المثالية ومبدعها في القرن الثامن عشر ، وهو يطرحها تحت اسم اللامادية ، ويعني بذلك أن المادة لا توجد إلا لأن هناك العقل الذي يدركها ، وأن المادة عاطلة غير عاقلة توجد سالبة كمدركات ، وأن العقل أو العقول التي تدركها فاعلة ، ويسمي باركلي المدركات أشياء أو صفات محسوسة ، وأن العقل يحسها كأفكار ، ويقول إن المحسوسات أو الأفكار لا توجد إلا بوصفها موضوعات للعقول الفاعلة التي تدرك والنفوس الفاعلة التي تريد ، أو بمعنى آخر أن الوجود هو وجود لكي يدرك (بفتح الراء) أو لكي يدرك (بكسر الراء) أو يريد ، أي ليكون فاعلاً ، ومن ثم فتصور وجود المادة مستقلة عن العقل هراء ، وكذلك لا يمكن أن نتصور أن الأفكار صور مماثلة للعالم الخارجي طالما أنه لا يوجد عالم خارجي يمكن أن تشبهه إلاهذا العالم العقلي الذي خرجت منه .

وباركلي موسوعي وعالم ، ولكنه يفرق بين لغة العلم ولغة الفلسفة ، ويقول إن العلم وضعي يتعرض للعلاقات المتبادلة ، ويخطىء العلماء عندما تضللهم لغة العلم عن حقيقتها فيظنون أنهم يفسرون العالم وأنهم يعرفون علله ، ومن ثم يقيمونه على الآلية ويظنونه آلة ضخمة . ويهاجم باركلي ميكنة لوك وجاذبية نيوتن باعتبارهما نظريتين ماديتين تجعلان المادة قادرة على الحركة بنفسها ، وهو يرد الحركة إلى الله ويقول إنه ما كان من الممكن أن تكون الأشياء على غير ما هي عليه لو لم يردها الله على هذه الصورة . ويرد باركلي الأفكار نفسها إلى الله ، ويفرق بين الأفكار التي نكونها بأنفسنا بفعل الخيال ، والأفكار التي تتكون لدينا عن طريق الحواس ، والتي تأتينا رغم إرادتنا ، فهذه مصدرها الله ، فطالما أنها تأتينا على غير إرادتنا فلا بد أنها كانت موجودة في العقل ونبهتها المدركات الحسية ، وطالما أنها موجودة في العقل فلا بد من وجود عقل يزودنا بها ، نعرفه من أفعاله وأقواله كما نعرف الناس من حولنا ، فنحن لا نعرف الناس الذين حولنا مباشرة ، لكننا نكون أفكارنا عنهم من أفعالهم وأقوالهم ، ونحن نعرف الله من الطبيعة ، وهي فعل الله ، وهي في نفس الوقت رموز لغة نقرأ فيها إرادة الله وندركه بها ، ومن ثم فأفكارنا وإدراكنا يتم بالوحي أو بالفطرة . وهكذا يجمع باركلي بين المثالية والتجريبية ، وبين اللامادية والفطرة ، وبين المثالية والواقعية ، وهو يسبق الظاهراتية ، ويسبق إرنست ماخ عندما يقول إن العلل لا توجد في الطبيعة ، وأن العلم يساعدنا فقط على التنبؤ بالمستقبل ولا يزودنا بنظرية تفسر الوجود .

بارمنيدس الإيلي ..... Parmenides of Elea

يعرفه الإسلاميون بفارمنيدس ، وهو أبرز فلاسفة اليونان قبل سقراط ، ولد نحو سنة ٥١٥ق.م بإيليا جنوبي إيطاليا على الساحل الغربي ، وكانت ثغراً أيونياً إغريقياً . وهو مؤسس المدرسة الإيلية ، رغم أن أفلاطون ذكر أن أكسانوفان هو رائدها الأول ، وتختلف عن المدرسة الملطية ، فالملطية طبيعية ترد العالم إلى أصل طبيعي هو الماء أو الهواء أو النار ، وتستخرج منه الكثرة بالحركة والتكاثف والتخلخل ، والإيلية مدرسة ميتافيزيقية لا تعول على العلم الطبيعي ، وتقول بعالم موجود واحد تجعله الموضوع الأول للعقل ، وتصفه بالسكون وتنكر عليه الحركة والكثرة .

ويطرح بارمنيدس فلسفته في قصيدة لم يبق منها إلا شذرات ، وربما كان اسمها « في الطبيعة » ، وتصف رحلته عبر الظلام إلى النور ، أو من الجهل إلى المعرفة ، في محاولة لبلوغ الحقيقة . والبحث عن الحقيقة لا يمكن أن يكون إلا في البحث فيما هو موجود ، أي في البحث في الوجود . وأنت لا يمكن أن تبحث فيما هو ليس بموجود ، لأنك لا تعرف ما ليس بموجود ، وما ليس بموجود لا يدرك لأنه مستحيل ولا

يمكن أن يتحقق ، ولا يمكنك أن تعبر عنه بالقول أو تفكر فيه ، بينما الموجود موجود موضوع للتفكير والتعبير . وطالما أن الوجود موجود فهو قديم لم يتغير ، لأن التغير يعني أنه كان شيئاً ولم يعد هذا الشيء ، وأنه صار شيئاً لم يكنه ، ولكن الوجود كامل لا ينقصه شيء ، تام الاستدارة كالكرة بمعنى أنه متوازن في كل نقاطه لا درجات متفاوتة فيه ، لكن هذا الوجود الواحد بالنسبة للعقل ، كثير بالنسبة للحس ، يجتمع فيه الأضداد فهو وجود ولا وجود ، وحار وبارد ، ونور وظلام ، وخفيف وثقيل ، وهش وصلب . والمعرفة العقلية معرفة فلسفية بالوجود معرفة فلسفية يقينية ، ومعرفة بالحقيقة ، والمعرفة الحسية بالوجود معرفة بطبيعة الأشياء ، أو معرفة ظاهرية ظنية .

باسكال .... Pascal

(١٦٢٣ ـ ١٦٦٢) بليز باسكال ، ولد بكليرمون في فرنسا ، وتوفيت أمه وعمره ثلاث سنوات ، وكان أبوه مثقفاً ومتمكناً في الرياضيات وأشرف بنفسه على تعليم ابنه ، ولم يدخله مدرسة ، وبدأ باللغات ، ولقنه الفرنسية واللاتينية واليونانية ، ولم يشأ أن يعلمه الرياضيات في سن مبكرة حتى لا تبلبله ، ولكنه تبين أن ابنه وهو في الثانية عشرة قد اكتشف بنفسه النظريات الهندسية حتى النظرية الثانية والثلاثين ، وبكى الأب وأهداه كتاب إقليدس في الهندسة . وتقول أخته ، مؤرخته ، أنه قرأه في ساعات . ولم يكن باسكال قد تجاوز السادسة عشرة عندما ألف « رسالة في المخروطيات » ، وتصف أخته استقبال الناس لها فتقول إنهم اعتبروها أعظم عمل فكري ظهر في عصره ، وأقوى ما كتب منذ أرخميدس . وفي سن التاسعة عشرة اخترع الآلة الحاسبة ليساعد أباه في حساباته . وفي سن الثالثة والعشرين علم أن توريتشلي أجرى تجارب على البارومتر ، وقام باسكال بتكرار تجاربه على الزئبق والماء والزيت والنبيذ ، وعلى المواسير والرشاشات والسيفونات ، وعند سفح الجبل ، وعلى قمته ، وفي برج الكنيسة ، ونشر « تجارب جديدة تخص الخلاء » استمد منها أدلة على وجود الخلاء المطلق ضد رأي أرسطو وديكارت ، واعترض عميد كلية دي كليرمون بباريس على ما قال ، مؤكداً أن الطبيعة ضد الخلاء وأنها لا يمكن أن تسمح به حتى في التجارب ، وأن خلاء باسكال مزعوم وليس إلا نتيجة خطأ في تجاربه ، وأنه لا بد أن تكون هناك مادة تشغله . وجاء رد باسكال في شروط المعرفة العلمية والحكم على الفروض من أقوى وأوضح الصياغات العلمية في القرن السابع عشر ، وسخر من قولهم بوجود مادة لطيفة لا نبصرها ولا يمكن أن نلمسها ، تملأ الخلاء ، وكان منهجه في كل ذلك التقدم من التجربة إلى النظرية بخلاف ديكارت . ولعبت نظريته في الخلاء وفي الضغط الجوي دوراً بارزاً في تطوير النظرية الميكانيكية للطبيعة ، وأعلن في « رسالة في الخلاء » أن احترام آراء السلف لا ينبغي أن يتقدم الاستدلال أو التجربة ، وقال إن أسرار الطبيعة نجهلها ، ولكننا بمرور الزمن ، وبالتجربة والفهم يزيد ما نعلمه منها وتتعدل آراؤنا . وهو لا يعتقد بمنهج واحد يطبق على كل الموضوعات مثلما كان يعتقد ديكارت ، ولا يرى خلافاً لديكارت أن هناك أفكاراً فطرية ، فالطبيعة تتغير باستمرار ، وما من شيء مألوف إلا ويمكن رده إلى الأثر الخاطىء للتعليم أو للحواس ، وليست المبادىء التي نصفها بأنها مبادىء طبيعية إلا مبادىء مألوفة بالعادة ، وليست العادة نفسها إلا طبيعة ثانية تمحو الطبيعة الأولى . ودون باسكال أخطر آرائه في أربعة كتب لم يقيض لها النشر في حياته ، الأول « **الروح الهندسي L'Esprit Geometrique** » ، والثاني « **فن الإقناع L'Art de Persuader** » ، والثالث « **دفاع عن الديانة المسيحية Apologie de la Religion Chrétienne** » ، والرابع « **خواطر Penseés** » . وهو يقول في الروح الهندسي أن المنهج العلمي المثالي هو المنهج الذي يعرف كل الحدود المستخدمة ويحصرها ويرجعها إلى مبادئها الأولى الواضحة التي لا يوجد ما هو أوضح منها ليساعد

على التدليل عليها . والإنسان أعجز من أن يفعل أكثر من ذلك ، ومن ثم يستحيل أن نتعامل مع أي علم من العلوم بطريقة أكثر كمالاً ، وليس أفضل من المنهج الهندسي حيث الأشياء الواضحة والمعروفة للكل تبدو بديهية ولا تحتاج إلى المزيد من التوضيح ، ويعني بذلك أن المنهج الهندسي يوفر أكبر ما يمكن تحصيله من اليقين باستخدام إمكانياتنا المحدودة ، وأنه منهج بديهي يقوم على مبادىء وبديهيات أولى يمكن أن نستخلص منها بالمنطق مجموعة من القضايا التي تصدق إذا صدقت البديهيات المؤسسة عليها . ويطور باسكال فكرته في « خواطر » ويجيب على ما يطرحه قوله بالمبادىء الأولى من مشاكل تعوق نظريته في المعرفة ، فطالما أن العقل لا يستطيع إثبات هذه المبادىء الأولى فإنه سيظل يشك في صدقها مهما بدا من يقينها في بعض الأوقات ، ولا سبيل إلى التغلب على هذا الميل الدائم إلى الشك إلا بالإقرار بأن ما نحصله من مبادىء إنما يتم بالغريزة والوحي ، ويستتبع ذلك الإقرار بما للمشاعر من أهمية ، والتسليم بدور الله في البحث عن الحقيقة ، والإنسان بما فطر عليه من عظمة وضعف ، ومن رأي وعجز ، ليس أمامه إلا الإقرار بأن سبيله إلى الحقيقة هو القلب قبل العقل ، والقلب هو الطريق إلى معرفة المبادىء الأولى ، ومهما يحاول العقل فهو لن يتنكب الشك ولن يتغلب عليه وسيميل إلى كل جانب ، أما القلب فهو الذي يحس الله ويعرف مبادىء الهندسة بالغريزة ، بينما العقل قوة استدلالية ، يستنبط النتائج من المقدمات التي يحسها القلب . وللعقل والقلب نتائجهما اليقينية ، ولكل أيضاً طرقه المتباينة ، ومن السخف أن نطلب الأدلة في حدس القلب وفي فطرته ، أو أن نطلب المعرفة الحدسية فيما يستنبطه العقل . وعجز العقل عن إقامة مبادىء أولى يلحق الإهانة به لكنه لا يقوض اليقين ، وإدراكنا لحدوده يساعدنا على تبين ما في موقف الإنسان من حقارة ، وإدراكه لموقفه الحقير هو ما يضفي على الإنسان عظمته . ويرد باسكال كل تناقض في الإنسان إلى تناقض العظمة والحقارة هاتين ، ويجعل مشكلة المعرفة مشكلة دينية ، ويعلن أن لا يقين إلا بالإيمان ، ولا سبيل إلا الشك في كل إنجازات العلم والرياضيات ، وأن الشك يعري موقف الإنسان كاملاً ويعصف به ، فلا يتبقى أمامه إلا حصن الدين يعصمه . ويقول باسكال في « خواطر » إن الإنسان يحاول الإفلات من مأزقه فيتفلسف ، والفلسفة تبلغ به إلى الشك ، ويجهد ليجد السعادة فلا يعثر عليها إلا في الإيمان ، فهل الإيمان بالله ضد العقل ؟ ويجيب باسكال بأنه لا يمكن أن يحيط العقل البشري بالله ، لأن الله مطلق والعقل البشري متناه ، ومع ذلك فالله إما موجود ، وإما غير موجود ، ونحن أعجز من أن ننفي أو نثبت وجوده ، وعلى اختيارنا الإيمان أو الإنكار تتوقف حياتنا الحاضرة والمستقبلة ، وإذن فنحن أمام مغامرة ، فلو راهنا على وجود الله ضمنا الدنيا والآخرة ، ولن نفقد شيئاً لو كنا مخطئين ، لكننا لو راهنا على عدم وجوده نعرض أنفسنا لعذاب أبدي إذا ظهر من بعد أنه موجود ، واختيارنا لعدم وجوده اختيار لما يتنافى مع العقل لأنه لم يثبت أنه غير موجود ولا نستطيع أن نثبت ذلك ، وإذن فهي مقامرة ، وعلى العاقل أن يختار الجهة الأقل خطورة ، وعليه أن يقارن وسيجد المؤمن في وضع أفضل من الكافر في كل من الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا هو المتحلي بالفضائل ، وفي الآخرة له النعيم الأبدي ، والذي يختار الإيمان يكسب كل شيء ، والذي يختار الكفر يخسر كل شيء . وبسبب قول باسكال أن العقيدة قضية إيمان ، ولموقفه المضاد من الفلسفة ، ولتعريته الموقف الإنساني ، وتصويره الرائع لأزمته ، مال إليه الوجوديون وشبهوه بكيركجورد ، وأعيدت قراءة « خواطر » ، ورغم أنها عبارة عن مقتطفات غير مترابطة ، وتبدو مهلهلة إلا أنها كتبت بلغة عالية ، وتعتبر من عيون أدب النثر الفرنسي ، ونشرت منها عدة طبعات اختلف فيها ترتيب المقتطفات ، كان آخرها وأسلمها طبعة لافوما سنة ١٩٥٢ .

باسنوية Basnism

فرقة هندية من عبدة البقر والنار ، زعموا أن نبيهم نهاهم عن القتل والذبح إلا ما كان للنار ، ونهاهم أيضاً عن الكذب وشرب الخمر ، وأن لا يأكلوا من أطعمة غير ملتهم ولا من ذبائحهم ، وأباح لهم الزنا لئلا ينقطع النسل .

باطنية Mysticism

هي المذاهب والطوائف التي تنحو إلى تأويل النصوص الظاهرة في التوراة والإنجيل والقرآن بمعان باطنة ، وتعتبر النصوص والشعائر الدينية رموزاً لحقائق خفية . وكان فيلون اليهودي الإسكندري رائد النزعة التأويلية ، واضطره إلى ذلك النقد الشديد الذي تعرضت له قصص التوراة من جانب الفلاسفة اليونانيين ، وتابعه المسيحيون في التأويل وغالوا فيه ، واشتهر منهم أوريجانس وهيرونيموس ، وانتقلت النزعة التأويلية إلى الإسلاميين ، وكان رائد التأويل الإسلامي عبد الله بن سبأ مؤسس السبئية ، وكان يهودياً من صنعاء من قبيلة همدان العربية وأمه سوداء ، وكان يلقب أحياناً بابن السوداء ، وكانت بداية تأويله سماعه بوفاة الرسول وإنكاره له ، وقال إنه رفع إلى السماء كابن مريم وأنه سيرجع إلى الأرض ليملأها عدلاً ، وانضم إلى علي ضد عثمان ، وقال إن لكل نبي وصياً مثلما كان يوشع بن نون وصي موسى ، وأن علياً وصي محمد ، وأنه في غياب النبي لا بد أن يتولى أمر المسلمين وصيه ، فلما قتل علي استنكر ذلك وقال برفعه وبرجعته ، وأنه المهدي المنتظر . وانقسم التشيع طوائف ومذاهب ، كانت أبرزها الخطابية (أصحاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي الكوفي أبي الخطاب) واسمها المخمسة (لأنهم زعموا أن الله ظهر في خمس صور هي محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) ، وانقسمت إلى المعمرية (نسبة إلى معمر) والبزيغية (نسبة إلى بزيغ بن موسى) ، والعميرية (نسبة إلى عمير بن بيان العجيلي) ، والمفضلية (نسبة إلى المفضل) ، والجناحية (نسبة إلى جعفر ذي الجناحين عم الرسول) واسمها كذلك الحربية (نسبة إلى عبد الله بن حرب أحد رؤسائها) ، والعلبائية (أصحاب العلبا بن ذراع السدوسي) والميمية والمحمدية والغرابية (لأن جبريل التبس عليه تشابه محمد وعلي كتشابه الغراب بالغراب) ، والكيسانية (القائلة بألوهية محمد بن الحنفية بن علي) ، والكربية (نسبة إلى أبي كرب الضرير) ، والقرامطة (نسبة إلى ميمون بن القداح) ، والاسماعيلية (نسبة إلى إسماعيل ابن جعفر الصادق)، والمباركية (نسبة إلى المبارك مولى اسماعيل بن جعفر) ، والنصيرية (نسبة إلى نصير الدين الطوسي) وطوائفها الحيدرية (نسبة إلى حيدر لقب علي بن أبي طالب) ، والشمالية لأنهم في الشمال ، والغيبية (نسبة إلى الاعتقاد بأن الله أو علياً غائب بعد تجل ، والقبلية ، (لأنهم في الجنوب) ، والدروز أو الموحدين (نسبة إلى محمد بن إسماعيل الدرزي) ، وكلها فرق شيعية تتفق فيما بينها على تأليه علي والأئمة والتناسخ وفكرة المهدي المنتظر وإسقاط التكاليف . وكان مركز التشيع البصرة والكوفة ، ولعبت هاتان المدينتان أخطر الأدوار في التاريخ العقائدي الإسلامي .

ومن الباطنيين من يجعل التأويل في منزلة التنزيل ، ومنهم من يذهب في التأويل إلى حد طرح التنزيل ، وفي رأي هؤلاء أن التأويل أحق من التنزيل ، وأن الوصي أرفع مكانة من النبي ، ويتسم التفسير الباطني بأنه رمزي مجازي في منهجه ، وفرقي في أغراضه . وتأثرت الصوفية باصطلاحات التأويل لدى الباطنية ، لكن مواقف غلاتهم وشطحاتهم جعلت أهل السنة يتشككون في كل اجتهادات التأويل ويرفضونها ، واستخدموا مصطلح الباطنية للنيل من خصومهم حتى ولو لم يكونوا من الشيعة .

باقلاني .... Bakil'ani

أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد المعروف بابن الباقلاني (المتوفي ١٠١٣م) ، وشهرته القاضي لأنه تولى القضاء لفترة ، وكان مالكي المذهب في الفقه ، وميلاده بالبصرة ، وانتقل إلى بغداد حيث كان مجلسه . ومن أهم أحداث حياته سفارته من قبل عضد الدولة البويهي إلى إمبراطور الروم باسيليوس الثاني ومناظرته له وقطعه إياه ومن جمعهم لمجادلته .

وتربو كتب الباقلاني على الخمسين ، وأوهم ما وصلنا منها « **التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة** » ، وتبويبه صار هو التبويب التقليدي لمتون علم الكلام عند الأشاعرة ، وعنده أن الموجودات جميعها محدثة تحتاج إلى محدث بالضرورة هو الله ، وصانعها لا يشبهها ، وهو واحد حي ، وصفات ذاته غير صفات أفعاله ، ويقرر الباقلاني جواز رؤية الله بالأبصار ، وأن إرادته شاملة ، وأن الإنسان مستطيع للكسب ، ولكنه يكتسب ذلك بقدرة تحدث له ، ولا يجوز أن يقدر عليه قبل ذلك .

باكونين .... Bakunin

(١٨١٤ - ١٨٧٦) ميخائيل باكونين ، فوضوي وثوري روسي ، من أسرة من النبلاء ، درس الفلسفة بموسكو ، وتزعم حركة الهيجليين بها ، ووقع تحت تأثير أرنولد روج فاتجه نحو الاشتراكية ، ومن باريس انضم إلى برودون وماركس ، وصار أكبر دعاة برودون ، وحارب في عدد من المواقع ، وحكم عليه بالسجن وبالإعدام مرتين ، ونفي إلى سيبيريا ، وهرب مرة أخرى إلى أوروبا ، وأسس الأخوة الدولية ، وعصبة السلم والحرية ، ورابطة العمال الدوليين ، والتحالف الدولي للديموقراطية الاشتراكية .

وتختلف فوضوية باكونين عن فوضوية برودون من حيث مطالبته بتأميم وسائل الإنتاج بينما يصر برودون على احتفاظ العمال بأدواتهم والفلاحين بأراضيهم حتى يكون لديهم الإحساس باستقلالهم . وتختلف اشتراكيته عن اشتراكية ماركس في رفضه لحكومة البروليتاريا الديكتاتورية التي كان يطالب بها ماركس عقب قلب الحكومة البورجوازية . وكان يصف قيام الحكومة الشيوعية بأنها بتركيز الحكم في يد العمال تجمع كل الشرور التي يمكن أن تكون لكل الحكومات غير الشيوعية . ولعل أهم كتبه « **نداء إلى السلاف** » و « **الاعتراف** » و « **التعاليم الثورية** » و « **الفيدرالية والاشتراكية والضدلاهوتية** » . وبعد وفاته حلت الشيوعية الفوضوية بزعامة كروبوتكين محل فوضويته الجماعية ، فيما عدا اسبانيا حيث ظلت الحركة الفوضوية باكونينية خالصة حتى سنة ١٩٣٩ .

بالفور .... Balfour

أرثر جيمس بالفور (١٨٤٨ - ١٩٣٠) اسكتلندي ، ولد في ويتنجهام من أعمال هارنجتون ، من أسرة أرستقراطية ، وتعلم في كيمبردج ، ووصل إلى مناصب وزير الخارجية البريطانية ، وزعيم حزب المحافظين ، ورئيس الوزراء ، وحصل على لقب إيرل ، وهو صاحب وعد بالفور المشهور الذي تسبب في قيام دولة إسرائيل .

وفلسفة بالفور مذهب في الألوهية Theism ، ويعالج الفلسفة بهواية وفي وقت فراغه ، وكتابه « **دفاع عن الشك الفلسفي A Defence of Philosophic Doubt** » (١٨٧٩) تقليد لهيوم ، لكنه ليس دفاعاً عن الشك بقدر ما هو دفاع عن الإيمان ، ويهاجم الأسس العقلية والعلمية للمذاهب الطبيعية واللاأدرية والمادية والوضعية والداروينية ، مستخدماً الشك المنهجي . وخلق عنوان الكتاب وطريقته فيه سوء تفاهم لدى القراء فظنوه من الشكاك . وكان عليه أن يقوم بجهد آخر إيجابي يتجاوز النقد ويطرح تصوره بطريقة أوضح ، وهذا ما فعله في كتابه « **أسس الإيمان Foundations of Belief** » (١٨٩٥) فطالما أن هذه المذاهب تقوم على مسلمات وفروض تقتضي نوعاً من الإيمان يماثل الإيمان

الديني ، فلماذا لا نفضل التفسير الديني على تفسيراتها الطبيعية ؟ ويؤكد بالفور أن العلم والفلسفة مستحيلان بدون أساس ديني هو نفسه أساس عقلي يقول بعقل أسمى أو علة نهائية للعالم .

بالمر .... Palmer

إليهو بالمر (١٧٦٤ - ١٨٠٦) المتحدث باسم عصر الثورة والعقل في أمريكا ، وكان قسيساً ولكنهم أرغموه على خلع رداء الكهنوت بسبب آرائه الثورية المتطرّفة ، وكان مع توماس بين وإيثان ألن المعبرين بحق عن المثل الجمهورية والإيمانية الجديدة . وقد رفض بالمر فكرة الخطيئة الأولى ، ونما رفضه ليصبح اتجاهاً معادياً للمسيحية ، واتهم الكنيسة بالشرك ، وأنكر ألوهية المسيح ، ودعا إلى دين طبيعي لا يقوم على كتب سماوية أو رسالة نبي ، ويؤمن بإله واحد أحد خالق مبدع . ورد الشر إلى فساد المجتمعات والجهل ، وأبدى إيمانه المطلق بقدرة العقل والعلم والتربية . وقال بأخلاق إنسية ، ونسب كل معرفة إلى الحس ، وامتدح الفلسفة المادية والعلمية .

بانيتيوس الروديسي .... Panaetius of Rhodes

(١٩٠ / ١٨٠ - نحو ١٠٩ق.م) مؤسس الرواق الروماني أو الأوسط ، درس في أثينا ، وهاجر إلى روما حيث تحلق حوله وصديقه سكيبيو أبرز المفكرين الرومان ، ومنهم بوليبيوس المؤرخ الإغريقي ، وكانت إقامته محددة في روما . وبعد وفاة سكيبيو (١٢٩ق.م) صار بانيتيوس رأس المدرسة الرواقية بأثينا مدة عشرين سنة حتى وفاته . وكان بانيتيوس شديد التأثر بقادنيادس الشكاك فشايعه في مسائل الفيزياء ، وتوقف عن الحكم في مسألة الألوهية مخالفاً الرواقيين ، ولكنه دعا بدعوتهم في مسائل الأخلاق فقال إن الفضيلة هي المعرفة ، ولم يكن مثلهم من الزاهدين فقال إن الصحة والمال والشهرة أشياء تطلب لأنها خيرات ، ولأنها أيضاً تساعد على تحصيل الفضيلة . وليست المعرفة عنده هي الإحاطة بالعالم ولكنها معرفة بالذات ، ما لها وما عليها . وكان الرواقيون يقولون إن العقل وسيلتهم للتوغل في أعماق الحقيقة ، أما العقل عند بانيتيوس فهو وسيلة المرء لمعرفة نفسه وسبر أغوارها والتنسيق بين جزئياتها .

باهودية .... Pahodism

فرقة هندية ، أصحاب باهود ، حرم عليهم الذبائح والنكاح وجمع الأموال ، وأمرهم برفض الدنيا ، وأن لا يكون معاشها إلا من الصدقة ، وأن لا يعافوا شيئاً فكل الأشياء سواء لأنها جميعاً من صنع الله ، وأن يمسحوا أجسادهم ورؤوسهم بالرماد .

باور .... Bauer

(١٨٠٩ - ١٨٨٢) برونو باور ، مثالي ألماني ، بدأ بدراسة اللاهوت وتحول عنه إلى الهيجلية ، وهاجم المسيحية ، ووصف الأناجيل بالانتحال ، وفصل لذلك من جامعة بون ، وأنكر المسيح كلية ، وقال إن المسيحية مركب من الأفكار الرواقية والغنوصية في ثياب يهودية ، وتنبأ بأفول نجم الحضارة الأوروبية وتهاوي الفلسفة الغربية ، ورفض البرامج الثورية التي قدمها الهيجليون لقيامها على وجهة النظر الواحدة ، ولم يخف احتقاره للعمل الجماهيري ، وكان شديد الإيمان بحركة التاريخ ، وبقدرة النقد على إحداث التحولات في الأفكار والتمهيد لاستحداث التاريخ للتحولات في الواقع ، وانتقد مطالبة اليهود بالتحرير عن طريق المطالبة بالحقوق السياسية ، بدعوى أن اليهودي مضطهد لأنه يمايز نفسه عن مجتمعه بتمسكه بيهوديته ، فإذا أراد من ثمة أن يغير نظرة المجتمع له فعليه أن يغير هو نفسه من يهوديته ويكف عن تدينه . وهاجمه ماركس مطلقاً عليه القديس برونو بحجة أن المشكلة ليست في يهودية اليهودي بقدر ما هي في سلوكه الطبقي الاقتصادي ؛ فالسلوك الديني ليس سوى إسقاط ديني للسلوك الطبقي الاقتصادي ، وأن الزعم بأن تغيير

الظروف الاجتماعية بتغيير أفكار الناس خطأ يتردى فيه المثاليون ورجال الدين .

بايل .... **Bayle**

(١٦٤٧ ـ ١٧٠٦) بطرس بايل ، أبرز وأهم الشكاك في أواخر القرن السابع عشر ، وكان لكتابه « قاموس تاريخي ونقدي **Dictionnaire Historique et Critique** » (١٦٩٥ ـ ١٦٩٧) شأن كبير في القرن الثامن عشر ، واعتبره جيفرسون من أعظم مائة كتاب ينبغي أن يكونوا بمكتبة الكونجرس الأمريكي ، ولم يخف فولتير وهيوم وجيبون وديديرو إعجابهم به ، وقلدوه . وكان بايل فرنسياً كاثوليكياً ، لكنه اعتنق الكالفينية ثم عاد إلى الكاثوليكية ، ثم ارتد إلى الكالفينية ، وهو أمر يعرضه للمساءلة ويستوجب عليه عقاب المرتد ، ولذلك هرب إلى جنيف ، وعاد متنكراً ولم يستطع أن يستمر بباريس في جو التعصب فرحل إلى روتردام ليعيش في جو التسامح الديني ، وينادي به لكل الملل والنحل . وكان أسلوبه تالمودياً ، ولم يبق على شيء إلا وهاجمه ونقده ، وقارن بين المسيحية والثنوية وفضل الأخيرة على المسيحية فقد أعجبته فكرة الإلهين للشر والخير ووجدها أكثر إقناعاً من التبريرات التي تسوقها المسيحية للشر في العالم . وقال بإمكان قيام الأخلاق مستقلة عن الدين ، واحتج بأن الإغريق كانوا أخلاقيين رغم أنهم مشركون . ووصف النبي داود بالفسق رغم أنه كان نبياً . ويقوم منهجه الشكي على مناقشة وجهة نظر الخصم وتشريحها وبيان أوجه القصور فيها ونواحي ضعفها والتناقضات التي تتردى فيها ، متابعاً في ذلك طريقة رودريجو أدياجا آخر المدرسين الأسبان (المتوفي ١٦٦٧) والتي صهر عليها في مدارس الجيزويت التي كان يتعلم بها في تولوز .

بتاني .... **Batani**

(٨٥٤ ـ ٩٠٩م) أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحراني الرقي المعروف بالبتاني ، ولد في بتان من حران ، وهو أحد المشهورين برصد الكواكب ، المتقدمين في علم الهندسة وعلم الهيئة وحساب النجوم . ولم يعلم أحد في الإسلام بلغ مبلغه في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها ، وله من الكتب « **مطالع البروج** » في ما بين أرباع الفلك ، و « **تحقيق أقدار الاتصالات** » ، و « **شرح المقالات الأربع لبطليموس** » ، و « **الزيج الكبير** » .

بترية .... **Batriya**

فرقة من الزيدية ، أصحاب كثير النوى الأبتر ، وقيل هو بتير التومي ، ويرون رأي المعتزلة في الأصول ، ورأي أبي حنيفة في الفروع إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي والشيعة .

بتلر .... **Butler**

(١٦٩٢ ـ ١٧٥٢) يوسف بتلر ، إنجليزي . تعلم بأكسفورد ، ووصل إلى منصب أسقف ديرهام . أهم كتاباته « **خمس عشرة موعظة Fifteen Sermons** » (١٧٢٦) . قال إن الإنسان نفسه مصدر من مصادر الأخلاق بما له من طبيعة عامرة بالانفعالات التي قد تتعارض ولكنها في عمومها يغلبها الميل لفعل الخير ، ويقول كمعاصريه إن فعل الخير وحب الذات عاطفتان بارزتان في الإنسان ، ولا تتفوق إحداهما على الأخرى ، ولا تتناقضان ، بل إنهما لتتكاملان ، فالمحب لذاته يفعل الخير لما يعود على شخصه من منافع وتقدير إجتماعيين ، واستحسان المجتمع يزيد من إقباله على فعل الخير . ويشبه بتلر طبيعة الإنسان الفاضلة بالساعة المعقدة المتشابهة التي تتعاون أجزاؤها بفعل مبدأ أعلى تخضع لناموسه هو الضمير ، وهو مبدأ مفكر عاقل يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات وينقذه من الخضوع لسيطرة الشهوات ، وهو الذي يجعله مخلوقاً أخلاقياً ، قانونه نابع من نفسه ، ويلزمه بطاعته لأنه قانون طبيعته ، ولكن بتلر يجعل الضمير يعمل تلقائياً وفطرياً من غير أن يسأله أو يستشيره أو ينبهه أحد ،

ومن ثم يجعله آلة ضمن نظرية آلية عن الطبيعة البشرية .

بدائية .... **Mutability**

من البداء ، وهو تغاير الإرادة الإلهية . والبدائية أتباع مذهب هشام بن الحكم ، المتكلم الشيعي ، الذي يقول إن عالم الله يتعلق بالموجودات ، ويعني أن الله يجعل الشيء قبل أن يكون ، ومن ثم فعلمه محدث ويتأثر بحدوث الأشياء . ويقال إن المختار بن أبي عبيد هو أول من قال بالبداء ، وصار قوله عقيدة الشيعة الكيسانية ، ويقال كذلك إن عبد الله بن نوف هو أول من قال به ، وسواء كان هذا أو ذاك ، فالرواية تقول إن واحداً منهما قد تهيأ للقتال وزعم أن الله وعده بالنصر ، فلما هزم وتبين كذب وحيه قال بأن الله قد وعده لكنه بدا له واستشهد بالآية ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ (سورة الرعد الآية ٣٩) ، فصار قوله حجة يتعلل بها الشيعة كلما خابت آمالهم ، وبها تعللوا بالتغير الذي لحق التتابع الشرعي للأئمة المنصوص عليهم منذ الأزل في دعواهم ، وذلك عندما تولى الإمامة موسى الكاظم بدلاً من أخيه إسماعيل بعد وفاة جعفر الصادق . ويدلل البدائيون على صحة البداء بقصة إبراهيم وإعفاء الله له من أمره السابق بذبح ابنه (سورة الصافات الآيات من ١٠١ إلى ١٠٧) وإطالة وعد الله لموسى من ثلاثين ليلة إلى أربعين (سورة الأعراف الآية ١٤٢) ، والنسخ عموماً في القرآن ، ويعللون ذلك بأن الله يفعل الأصلح . ولما كان قولهم بالحدوث في علم الله يتنافى مع قولهم بقدم علمه فإنهم افترضوا وجود لوحين بدلاً من لوح محفوظ واحد ، برغم أن الأول كتب فيه القضاء المحتوم ، وهو اللوح المحفوظ الذي تحدث عنه القرآن ، وأن الثاني هو لوح المحو والإثبات ويشتمل على القضاء الذي يجوز فيه التعديل ، ولاقى رأيهم استحساناً من أهل السنة قالوا بوجود علمين لله ، علم محتوم يضم وحيه إلى أنبيائه وملائكته ، وعلم مخزون يشمل الأمور الموقوفة عند الله . ويحتج الشيعة أخيراً في إثبات البداء بأنه ليس ثمة معنى لتوبة العبد وتعبده وخضوعه إلا إذا سلمنا بصحة البداء .

بددة .... **Badada**

من البد ، وهو الاسم الذي اشتهر به بوذا عند العرب ، والبددة هم أصحابه أو أتباعه ، وقيل البد شخص من هذا العالم ، لا يولد ، ولا ينكح ، ولا يطعم ، ولا يشرب ، ولا يهرم ، ولا يموت . واختص ظهور البددة بأرض الهند لمن فيها من أهل الرياضة والاجتهاد ، وليس يشبه البد على ما وصفوه إلا بالخضر الذي يثبته أهل الإسلام (الشهرستاني ، الملل والنحل) (انظر **البوذية وبوذا**) .

بدوي .... **Badwi**

عبد الرحمن بدوي ، وجودي ملحد ، أهم كتبه « **الزمان الوجودي** » (١٩٤٣) تأثر فيه بوجودية هايدجر ، وعنده أن غاية كل موجود أن يجد ذاته وسط الوجود ، والوجود الفعلي هو دائماً حاصل زمني في الآن ، وكل وجود يتصور خارج الزمان هو وجود موهوم ، وليس قول الإنسان إلا محاولة منه للقضاء على الجزع من الزمان ، وهو يؤدي بالزمان إلى تضليله وتعليله بالأماني الكاذبة ، وأولى بالإنسان أن يسلم بواقعه الزمني ويواجهه ككائن حر . والوجود الحقيقي هو الوجود الفردي الحر ، ومعنى الحرية الإمكان ، وليس ثمة إلا وجودان ، وجود الذات ووجود الموضوع ، والوجود الفردي الحر هو وجود الأنا المريد ، أو الوجود الذي يتضمن معنى الاختيار . أما الوجود الموضوعي فهو وجود زائف ، تملك الإنسان فيه الأشياء ولا يملكها . والآنية هي تحقيق الذات للممكن بإرادتها واختيارها . والشعور بالوجود لا يكون بالفكر ، لكنه بالوجدان ، وذروة هذا الشعور في التوتر ، والتوتر وحدة بين الأصل والمقابل ، فالتألم أصل ، والسرور مقابل ، والوحدة المتوترة هي التألم السار . وكذلك فالخطر أصل ، والإيمان مقابل ، والوحدة المتوترة هي

الخطر الآمن . ومنطق بدوي يقوم على مبدأ التوتر ، وطابع الوجود الذاتي هو التوتر الناشيء عن اتحاد الوجود واللاوجود ، واللاوجود عدم ، وهو الأصل في الفردية وفي الحرية ، والزمان هو العلة الفاعلة لاتحاد الوجود بالعدم ، ولا وجود إلا بالزمان ، ومع الزمان ، ولا حاجة إلى القول بوجود خارج هذا الزمان ، أي لا حاجة إلى القول بوجود مطلق .

براجماتية .... Pragmatism

أهم إسهام فكري أمريكي ، وكان رواجها في الربع الأول من القرن العشرين ، وتأثر بها الكثيرون في أوروبا وغيرها ، ومن هؤلاء جورج سيمل ووليام أوستفالد وإدموند هوسرل وهانز فايهنجر وريتشارد موللر فرينفيلز وهانز هان وجيوفاني بابيني (زعيم النادي البراجماتي في فلورنسا) وجيلوفاني فيلاتي وهنري برجسون وإدوارد لورري . والبراجماتية صاغها واخترع اسمها لأول مرة تشارلز بيرس (١٨٣٩ - ١٩١٤) كمنهج للتفكير أو كنظرية في المعنى ، وأعاد وليام جيمس (١٨٤٢ - ١٩١٠) صياغتها كنظرية في الصدق ، وطورها جون ديوي (١٨٥٩ - ١٩٥٢) وأذاعها كنظرية في القيمة ، وفرديناند شيلر (١٨٦٤ - ١٩٣٧) كمذهب في الإرادة .

وكان بيرس وجيمس وآخرون قد كونوا « **النادي الميتافيزيقي The Metaphysical Club** » ببلدة كيمبردج بولاية ماساشوستس ، وكانت البراجماتية حصيلة النشاط الفلسفي للنادي ، وكان بيرس هو المتحدث الرسمي باسم النادي ومؤسسه ، وأرادها أن تكون قاعدة منطقية يعبر عنها قوله المشهور « **تدبر الآثار التي يجوز أن يكون لها نتائج فعلية على الموضوع الذي نفكر فيه ، وعندئذ تكون فكرتنا عن هذه الآثار هي كل فكرتنا عن الموضوع** »، ويزيد الأمر توضيحاً فيقول بأن فكرتنا عن آثاره المباشرة وغير المباشرة على حواسنا ، أي هي فكرتنا عن آثاره المحسوسة ، وبأن هذه الفكرة لا تعني شيئاً طالما أنها لا تؤثر على سلوكنا العملي الذي يمكن أن تنظمه وتؤدي إليه ، بمعنى أن الفكرة هي التي تعطي لسلوكنا معناه ، ولكن جيمس قلب هذه القاعدة في المعنى عند بيرس إلى قاعدة في الصدق ، فطالما أن الفكرة هي ما تفعله بها ، أي مضمون سلوكنا ، فإنها تصدق بما يكون لها من نتائج طيبة ، أو بمقدار ما تساعدنا في الوصول إلى علاقات مرضية مع أجزاء الخبرة الماضية والمستقبلة . ولقد ضايق بيرس تحريف جيمس لنظريته ، وآثر أن يطلق عليها في نهاية الأمر اسم **البراجماتيكية Pragmaticism** ، يأساً مما فعله بها جيمس وأتباعه ، وتنفيراً لخاطفي الأسماء من خطف الاسم الجديد القبيح . وصارت نظرية الصدق التي انتهت إليها البراجماتية عند جيمس هي جوهر هذه الفلسفة العملية ، إلا أن جيمس اشتط في تعريف الصدق ، وأباح لنا أن تكون لنا معتقدات تجاوز التجربة والبينة كي نحفظ على حياتنا تكاملها كما يقول ، وجعل مجرد الاعتقاد فيها مبرراً لصدقها ، ولذلك أطلق جيمس على براجماتيته أنها تجريبية متطرفة . وتأثر ديوي بكتابات جيمس ، ولكنه بدلاً من أن يحض على البحث عن النتيجة الصادقة ، دعا إلى البحث عن النتيجة التي ينبغي أن تكون ، ووصف الصادق بأنه المفيد . وكان شيلر صديقاً لجيمس ، ووصف الصادق بأنه الشيء الذي يحسن الاعتقاد في صوابه . وتابع كلارينس إفنج لويس براجماتية جيمس ، وقال ببراجماتية تصورية Conceptualistic Pragmatism (١٩٢٠) ، وقال بمبادىء للتفسير ومقولات قبلية يزودنا بها العقل ، وننسق ونأول بها التجربة الحسية ، غير أن الاختيار بينها يتم على أساس براجماتي ، أي أن قراراتنا لقبول أو رفض هذه المبادىء التصورية ، بل ووظيفة هذه المبادىء نفسها ، تقوم على الحاجات والأهداف الاجتماعية المشتركة ، وعلى اهتماماتنا بزيادة فهم تجاربنا والسيطرة عليها . وكانت نتيجة براجماتية لويس نظرية في المعنى التصوري والتجريبي ، وفي تحليل الأحكام التجريبية بوصفها أنماطاً محتملة وتقويمية ذات

تـأثير على تجـاربنـا المـاضيـة والمستقبلة . واتجهت البراجماتية بتأثير ديوي ولويس وكارناب وتشارلز موريس وإرنست ناجل وكواين وآخرين إلى أن تكون النظرية التي تقول بأن كل ألوان الخبرة ، بما فيها الفكر الفلسفي والنظريات العلمية والعقائد ، لا بد أن تفهم في ضوء الغرض الإنساني ، فالأفكار أدوات لتحقيق ما يصبو إليه الإنسـان من غايـات ، والحكم عليها يكـون بمقـدار كفـايتها في خـدمة هـذه الغـايـات ، ومن ثم صـارت البراجماتية اسماً للموقف الذي يؤكـد أهمية النتـائج كـاختبار لصـلاحية الأفكـار . وما يـزال هناك اهتمـام بـالبـراجمـاتيـة ، ولكنـه اهتمـام تـاريخي حيث أن البراجماتية كحركة حية لم يعد لها التأثير الذي كان لها في أول هذا القرن .

برادلي .... Bradley

(١٨٤٦ ـ ١٩٢٤) فـرانسيس هيربـرت بـرادلي ، إنجليزي ، ولد في كلابهام ، وتعلم بأكسفورد ، وعين استاذاً بها . ولم يتزوج وتفرغ كلية للفلسفة .

أهم كتبه « دراسات أخـلاقية Ethical Studies » (١٨٧٦) ، و « مبـادىء المـنـطق Principles of Logic » (١٨٨٣) ، و « الظاهر والحقيقة Appear- ance and Reality » (١٨٩٣) .

وكان برادلي هيجلياً وقف ضد الليبـرالية والنفعية والتجريبية والوضعية التي راجت في زمانه ، وعـارض برتراند رسل ووليام جيمس وجورج إدوارد مور، واشتهر في العقد الأول من القرن العشـرين ، وتميز بـأسلوبه الرائع ، وخاصة في كتـابه « مبادىء المنطق » . ولم يحدث أن تناول فيلسوف المنطق بمثـل هذه الحيـوية والبلاغة والوضوح ، واستهوى أسلوبه الشاعر إليوت .

ومن رأي برادلي أنه ليس على الفيلسـوف أن يشير على الناس بما يفعلونه ، لكن رسالته هي تبديد آرائهم الفاسدة في طبيعة الأخلاق ، وأن يحللها لهم وينقدها . وفي مقاله « مركزي وما يفرضه من واجبات My Sta- tion and its Duties » يذهب إلى ضرب من الخلقية الاجتماعية تتحدد فيها واجبات الفرد بمكانته ووظائفه في المجتمع . ويذهب برادلي أكثرَ من ذلـك إلى أن الأفراد يكونون على ما هم عليـه لأن المجتمع الـذي ولدوا وتربوا فيه له ما له من تكوين . ووصف بـرادلي الخلقية بأنها « تحقيق الذات » ، والذات التي يقصدها هي الذات الاجتماعية التي تعبر عن نفسها وتطور نفسها فيما تقدمه للجماعة ، ومع ذلك فالنـاس في مجالات العلوم والفن لا يسعـون إلى مـا يسعــون إليـه بحكم مـا يفـرضـه عليهم مـركـزهم الاجتمـاعي وواجبـات وظائفهم ، وإنما يضعون نصب أعينهم مثلاً عليا تتجاوز ما تفرضه عليهم واجباتهم .

وهـاجم برادلي المنـطق الصوري القيـاسي القائم على صورة الموضوع المحمول التقليـدية ، والمنـطق الاستقرائي الذي أضيف إليه منذ ظهور كتاب المنطق لمل ، وعدم التمييز الذي لمسه في المنطق التجريبي في زمانه بين المسائل التي تخص المنطق والمسائـل التي تخص علم النفس . واتهم المنـطق التقليـدي بالقصور والنقص عندما لا يتعامل مع الأحكام العلاقية ويحبس نفسه على صورة الموضوع المحمول ، ونفى أن يكون تقدم المعرفة من التفاصيل إلى الكليات أو من التفاصيل إلى التفـاصيـل كمـا قال مـل ، ومن ثم نفى الاستقراء كما فهمه مل ، ونفى أن يكون تقدم المعرفة بتـداعي الأفكار كمـا يقول التجـريبيـون ، وادعى أن اهتمام المناطقة بالأفكار ليس بوصفها وقائع نفسية لكن بوصفها معان ، ولا يكون للأفكار تواريخ وسيرة حياة بـوصفها معـان ، ولكنها محتـويات صـوريـة ومن ثم مجردة ، والتمييز الحقيقي بين الموضوع والمحمول لا يوجد في العلاقة بين محتوى صوري وآخـر ولكنه في العلاقة بين محتوى صوري مركب والواقع الذي يحيل إليه .

وهو يثبت ان مقولات الكيف والنسبة والجوهر والعلية والمكان والزمان والذات والموضوع تتناقض في ذاتها ، ولا يوجد ما يقابلها في الخارج ، لكنها تساعد في تعيين الظواهر والتعبير عما بينها من علاقات ، فإذا أردنا أن

نعبر عن حقيقة الأشياء جرتنا إلى تسلسل لا نهاية له من العلاقات وعلاقات العلاقات ، ومن ثم كانت هذه المعاني معاني عمل، دلالتها تقنية وليست نظرية، فإذا كان التناقض الذاتي هو ما يعيب الظواهر فإن الحقيقة لا يمكن على الأقل أن تتصف بالتناقض الذاتي ، ولا يمكن إلا أن تكون متناسقة ومتسقة ، ولا بد أن تكون لها طبيعة التجربة ، لأن ما ليس له طبيعة التجارب لا يمكن أن ندركه بلا تناقض ذاتي ، ولا بد أن تكون شاملة وتتضمن كل ما يوجد ، ولا يمكن أن تكون تكثراً من وقائع مستقلة ، لأن ما يتعلق بآخر لا بد أن يعتمد عليه في وجوده بطريقة ما ، ولا يمكن أن تكون الكثرة والعلاقية إلا سمتين من سمات الوحدة التي لا بد أن يتصف بها الوجود الحقيقي . ومن الجلي أن التناقض والنقص والشر مقولات متناقضة ولا تمت للوجود الحقيقي لكنها ليست في الوقت نفسه لا شيء لأنها سمات الموجود المحدود ، ووجودها رافع له إلى رفعها ، والنزوع إلى الصعود لا يكون إلا باتجاه رفعها نحو الموجود اللامتناهي المتسق ، ومن التناقض الكامل إلى الانسجام الكامل سلم تتدرج فيه الموجودات ، أدناه المادة التي لا حياة فيها ، تتلوها المادة العضوية ، وكلما كان الموجود روحياً كلما كبر ما فيه من الحقيقة ، والفلسفة والدين تعبيران عن المطلق الذي نتجه إليه ، تعلو الفلسفة على العلم وتتجاوز جزئيته ، فهي أرفع من العلم ، والدين يعلو على الفلسفة لأن الفلسفة نظر والدين جهد يتجه إلى الحقيقة بجميع طبيعة الإنسان .

براسلس .... Paracelsus

(١٤٩٣ - ١٥٤١) فيليب هوهنهيم ، المعروف ببراسلس ومعناه أحسن من الحسن أو ربما أحسن من هوهنهيم ، وربما كان الاسم لمزاً لأصله ، حيث كان جده ابناً غير شرعي . ولا ندري هل هو الذي أطلق اسم الشهرة هذا على نفسه بالمعنى الأول ، أو أطلقه عليه آخرون بالمعنى الثاني ، وعلى أي الأحوال لم يكن براسلس بالحسن على الحقيقة بل كان الصلف الجبار ، وكان يدعي معرفة الطب والصيدلة والكيمياء والسحر ، ويتكسب بالفلسفة والكتابة ، وكان يزعم أنه خير الأطباء ، العارف بالدواء الجامع المانع ، الحائز على حجر الفلاسفة .

وكان براسلس ألمانياً ، ولد في سويسرا ، وعاش حياته متنقلاً بين النمسا وألمانيا وإيطاليا . واشتغل جراحاً ، ومارس العلاج بالتنويم المغناطيسي ، واشترك في ثورة الفلاحين بسالزبورج وكاديشنق ، وحاضر في جامعة بازل ، واشتهر بمعارضته لأرسطو ، وكتابته بالألمانية ، وإحراقه لكتب ابن سينا ، وحبه المقبالة اليهودية ، وقوله بأن الفساد بداية الميلاد ، وأن الطبيعة تتخارج بالمفارقة ، وأن كل الموجودات مركبة من عين المواد ، ويرفض قسمة أرسطو للعالم إلى سفلي وعلوي ، ويقول إن السماء هي الإنسان ، والإنسان هو السماء ، ويسمي الإنسان العالم الأصغر ، والطبيعة العالم الأكبر ، ويقول بزمنين : الزمن الباطن والزمن النامي ، وأن الأخلاط خواص ، وهي المالح والحلو والمر والحامض ، وقال بالعناصر الأربعة وبعنصر خامس هو الحياة .

براون .... Brown

(١٧٧٨ - ١٨٢٠) توماس براون ، ولد في كيركمابريك، وتعلم وعلم بإدنبرة، ويعد من فلاسفة المدرسة الاسكتلندية في الإدراك الفطري التي أسسها توماس ريد، وإن كان قد رفض بعض مبادئها، ويمثل موقفه نوعاً من التوفيق بين الاتجاهات الترابطية في المذهب التجريبي وبين آراء ريد الحدسية، والفلسفة عنده «تحليل» ، وهو لا يغتفر لريد أنه ضد التحليل، وتجريبيته يستمدها من التجريبية الفرنسية وخاصة عند كونديلاك ، وبالرغم من افتراضه بوجود مبادىء اعتقادية حدسية إلا إنه يقول مع هيوم بالعلية ودافع عنها في كتابه « **بحث في العلاقة بين العلة والمعلول** » (١٨٠٤)

ويقترب كثيراً من الحسيين فيما يتعلق بمشكلة الإدراك الحسي .

برايس .... Price

(١٧٢٣ - ١٧٩١) ريتشارد برايس ، أخلاقي ، أيرلندي ، قسيس ، له اهتمامات سياسية واقتصادية ، وقيل إن مقالاته كان لها تأثير على سياسة بلده الداخلية ، وكان لتأييده للثورة الأمريكية أثر على إعلان أمريكا استقلالها ، وأنه كتب مؤيداً الثورة الفرنسية ومطالباً بالإصلاح في أيرلندة .

أهم كتبه « **مراجعة للمسائل الأساسية في الأخلاق** » (١٧٥٨) يرد فيه الصواب والخطأ إلى الفهم وليس الحس ، ويرجع الخطأ في اعتبارهما أحاسيس إلى اختلاطهما كأفكار بأحاسيس اللذة والألم ، لكن الأفعال لها طبيعة وسمات تميزها ، وإدراكها منوط بالفهم ، والصواب والخطأ سمات في طبيعة الأفعال وليس في عقل الشخص الذي يحكم لها أو عليها . أما أحكام الجمال والقبح فهي من تأثير الأفعال علينا وبفعل حاسة في عقولنا تجعلنا ما نكاد ندرك أن الفعل صواب حتى نحبذه ، ولقد خلقنا الله بحيث نحبذ ما نجده صواباً ، ونستحسن الفضيلة ، ونحب الفاضل . ويميز برايس بين الفضيلة المجردة وهي ما يجب أن تكون عليه الأفعال ، وبين الفضيلة العملية أو ما عليه الأفعال في مواقف معينة ، ويرد لهذا التناقض الصراع الأخلاقي لدى بعض الناس ، ولكن الفضيلتين قد تطابقان عند من يقدر على ممارسة الفضيلة ، أي عند الإنسان الحر الذي بوسعه عقلياً وبدنياً واجتماعياً التخطيط لحياته .

برجسون .... Bergson

(١٨٥٩ - ١٩٤١) هنري برجسون ، يهودي فرنسي ، نزحت أسرته من انجلترا ، وتخرج من مدرسة المعلمين العليا ، وعين مدرساً بالمدارس الثانوية ، ثم استاذاً للفلسفة بالكوليج دي فرانس (١٩٠٠) بعد حصوله على الدكتوراه ، وظل بها حتى أقعده المرض (١٩٢١) وذاع صيته فانتخب عضواً بالأكاديمية الفرنسية ، ونال جائزة نوبل للآداب (١٩٢٧) . أهم كتبه « **فكرة المكان عند أرسطو L'Idée de Lieu Chez Aristote** » (١٨٨٩) ، و « **مقال في المعطيات المباشرة للشعور Essai sur les Donnés Immediates de la Conscience** » ، و « **المادة والذاكرة Matière et Memoire** » (١٨٩٦) ، و « **الضحك Le Rire** » (١٩٠٠) ، و « **التطور الخلاق L'Evolution Créatrice** » (١٩٠٧) ، و **الطاقة الروحية L'Energie Spirituelle** » (١٩١٩) ، و « **الديمومة والتقارن Durée et Simultaneité** » (١٩٢٢) ، و « **ينبوعا الأخلاق والدين Les Deux Sources de la Morale et de la Religion** » (١٩٣٢) ، و « **الفكر والمتحرك La Pensée et le Mouvant** » (١٩٣٤) .

ولعل أهم أفكاره تمييزه بين الزمن الذي تتحدث عنه النظريات العلمية والزمن الذي نخبره مباشرة ، فالزمن العلمي مفهوم رياضي ترمز إليه النظرية الفيزيقية بالرمز « ز » وتقيسه الساعات والكرونومترات . ولأنها آلات مكانية ، فإنها تصور الزمن العلمي في صورة الوسط الممتد المتجانس الذي يتكون من وحدات متماثلة (سنوات او ساعات أو ثوان) ، وهي وحدات تتحكم في الحياة العملية للإنسان في المجتمع ، لكن الزمن بهذا المفهوم لا يتدفق وغير فعال ، ووجوده سلبي ، كالخط الذي نرسمه على سطح شيء ، لكن خبرتنا تقول شيئاً مختلفاً عن الزمن ، فهو حالات متعاقبة سيالة لا تنكص للوراء ، وتذوب في بعضها البعض لتكون صيرورة لا تتجزأ ، غير متجانسة لكنها متغايرة ، وغير مجردة لكنها عينية ، زمناً خالصاً أو ديمومة حقيقية نخبرها مباشرة كشيء فعال ومستمر . وهذه الديمومة نفسها هي التي تسند القول بحرية الاختيار وتدلل على فساد الجبرية ، فالجبري يقول إن الإنسان ، عند الاختيار ، يبلغ نقطة على خط يتشعب بعدها ، ويدعي الجبري أن الاختيار ليس اختياراً ، وأنه تم لأنه كان لا بد أن يتم بهذه الصورة وليس بغيرها ، وأن العلم باختيارات

الشخص السابقة يجعلنا نتنبأ بما سيكون عليه اختياره اللاحق . وبرجسون يصف الجبري بأن الأمر ملتبس عليه لأنه يجعل مفهوم الاختيار مكانياً ، والحقيقة أن التروي والاختيار فعلان زمانيان وليسا مكانيين ، وهو يرتكب خطأ الترابطيين فيظن أن عقل الإنسان يتركب من حالات ذرية متعاقبة ، والحقيقة أن عالم النفس ليس فيه جبرية أو آلية لأن الديمومة كيف محض . وحرية الفعل عند برجسون شيء نخبره مباشرة ، والإنسان يشعر أنه حر وهو يفعل ، حتى لو لم يكن بوسعه أن يشرح طبيعة هذه الحرية . ونحن أحرار عندما نتصرف بتلقائية ، بتأثير الشخصية كلها ، وإذا احتجبت التلقائية فمعنى ذلك أن تصرفاتنا كانت استجابات آلية أو نمطية . والواقع أن الفعل الحر شيء لا يعرفه معظم الناس ، فهو استثناء أكثر منه قاعدة ، وإذن فالخبرة المباشرة تؤسس واقعية الزمن والحرية ، وتشهد أن الإنسان جسد ، وأن قوانين المادة تسري عليه ، وأن إدراكنا لهذا الجسد إدراك مكاني ، وأن صورة هذا الجسم في العقل صورة للجسم من الخارج بالإدراك ، وصورة للجسم من الداخل بالإحساس أو الوجدان ، وهذا هو جسدي الذي أعلم أنه أيضاً مركز نشاط ، فما هي علاقة الجسم بالعقل ؟ تدعي المادية أن العقل أو الشعور يماثل النشاط الذهني أو يعتمد عليه ، لكن برجسون يرفض الفكرتين لأن الشعور بشيء فيه أكثر بكثير مما في الحالة الذهنية المماثلة . ويقدم برجسون تفسيراً للعلاقة بين الاثنين فيزعم أن الكائنات الحية لها خاصية اختزان الماضي في الحاضر ، وهي خاصية تميزها عن الأشياء غير الحية ، وتتمثل في نوعين من الذاكرة ، الأولى عبارة عن ميكانيزمات حسية حركية أو عادات ثابتة للجسم تضمن للكائن التلاؤم مع المواقف الحاضرة . والذاكرة الأخرى هي خاصية الإنسان وحده ، تسجل في شكل صور ذاكرية كل أحداث الحياة اليومية كما تقع في الزمان ، ويستدعيها الإنسان كلما سنحت الفرصة ، وهذه هي الذاكرة الخالصة التي تحفظ كل الذكريات والماضي كله ، فالذاكرة هي الروح نفسها ، بمعنى أنها الحياة والديمومة ، وليس الشعور إلا الذاكرة . ولا يعني ذلك أن الذاكرة مخزن أحداث ، أو أن الذكريات تحفر آثارها في المخ . وإنما المخ مرشح ، لا يسمح إلا للذكريات التي لها صلة بالموقف أن تظهر للشعور تلقائياً ، لأننا لا يمكن أن نستدعي كل الذكريات مرة واحدة ، بمعنى أن المخ ميكانيزم مهمته تقنية وتوجيه الانتباه لما سيحدث بهدف مساعدة نشاطنا ، ومعنى ذلك أن الذكريات لاشعورية ، وأنها بالاستدعاء تصير شعورية ، وأن الجسم مركز النشاط بمعنى أنه ممر الحركات الصادرة والواردة ، ولذلك فإنه في حالة فقدان الذاكرة لا يكون العطب في الشعور لكنه في الجسم ، ويتحد الجسم والعقل معاً في فعل الإدراك الاختياري ، فالجسم يقدم المراكز الإدراكية التي تستجيب لمؤثرات البيئة ، والعقل يقدم صور الذاكرة التي تلائم الموقف وتعطي للشيء المدرك شكله الكامل ومعناه ، ولا يولد الإدراك الصور ولكنه يختار من الصور أنسبها للموضوع وما له صلة بالنشاط . ولما كانت الصيرورة هي صميم الوجود ، فالثبات ظاهري أو نسبي ، والوجود ليس جواهر بل أفعالاً ، والأشياء والأحوال مشاهد يجتزئها العقل من الصيرورة ، ويثبتها ليفهمها ، ويترجم الزمان والكيف بلغة المكان والكم ليقيسهما ، وهذا هو الجزء الذاتي في الإدراك ، وهو يجعل الإدراك الخالص مستحيلاً . ولقد تطور العقل بالممارسة الاجتماعية والتفكير العملي واختراع الأدوات واستخدامها وتطويع اللغة بهدف التواصل وترقية النشاط ، ومن ثم كان العقل عملياً في نشأته ووظيفته ، ومعرفته عملية تقنية ، غايتها التنبؤ بالأحداث والسيطرة عليها ، ولذلك فهو يعامل كل ما يتصدى له بمقاييس مكانية ، كما لو كان جسماً أبعاده ثلاثية ، ويحلله إلى وحدات متجانسة .

ولقد تطورت الغريزة كذلك في الإنسان إلى ما يسميه الحدس ، فالنشاط الغريزي الذي نشاهده في الحشرات الاجتماعية يقبع تحته شعور في حالة خمود ، والتطور أيقظ هذا الشعور في الإنسان ، والحدس عند

برجسون هو الغريزة وقد تطورت فلم تعد تهتم لمقتضيات الحياة الاجتماعية ، وصارت تعي ذاتها ، وصارت لها القدرة على التفكير في موضوعاتها وتكبيرها إلى ما لا نهاية ، وصارت تشبه قدرة المصور على رؤية العالم في ذاته بقوة الإدراك الخالص ، لولا أن قدرة المصور تعمل في مجال الخبرة الجمالية ، بينما الحدس مجاله المعرفة ، ومن ثم كان للحدس أهمية كبرى للفيلسوف ، فهو مرة نشاط ينتقل به المرء إلى داخل الأشياء ليلتقي بما تنفرد به ، ولا يمكن التعبير عنه ، وهو مرة أخرى انغماس في الدفق السيال للشعور ، والإمساك بالصيرورة الخالصة والديمومة الحقيقية ، والنتيجة « معرفة » مطلقة وليست معرفة من الخارج .

وكانت ولادة برجسون في نفس السنة التي ظهر فيها كتاب «أصل الأنواع » لداروين . ولقد قبل برجسون مبدأ التطور ولكنه رفض تفسيره على أسس ميكانيكية أو مادية ، واعترض على مبدأ الانتخاب الطبيعي ، زاعماً أن الكائن الحي عبارة عن أعضاء تعمل في تناسق ، وما دام التطور يعمل عمله فلا بد أنه يشمل الكائن كله ، ومن ثم رفض مبدأ حدوث التغيرات في جسم الكائن بالصدفة ، وقال بمبدأ مغاير للانتخاب الطبيعي يستبقي على الكائن استمرار الوظيفة رغم تعاقب ما يجري لشكله من تغيرات . وانتقد عجز داروين عن تفسير سبب تكاثر الكائنات إلى أعداد أكبر وأكثر تعقيداً . ولا يمكن أن يكون الانتخاب الطبيعي سبباً كافياً لارتقاء صور الحياة المستمر . ولكي نفهم عملية التطور فهماً صحيحاً ينبغي أن نستبدل التفسيرات البيولوجية بتفسيرات ميتافيزيقية ، ونلجأ إلى الحدس لا العقل ، والحدس يقول إننا نموذج للكون ، وان ما يجري بداخلنا يجري مثله في كل شيء ، وإن الحدس ليكشف أن ما بداخلنا صيرورة مستمرة وديمومة حقيقية ، وكذلك شعور بدافع حيوي Elan Vital . ويصف الدافع الحيوي بأنه تيار من الشعور نفذ إلى المادة وكان السبب في ظهور أجسام حية ، ووجه تطورها ، وانتقل من جيل إلى جيل بالتكاثر ، مسبباً تغييرات تتراكم وتنتج أنواعاً جديدة ، وتنسق بين التغييرات حتى تستبقي استمرار عملها في التركيبات المتطورة ، وتجري بالحياة إلى أشكال أكثر تعقيداً ، لكنها لا تولد طاقة جديدة خلاف الموجودة ، وإنما هي تقذف في الأشكال الجديد أكبر قدر من اللاحتمية ، وهو ما يظهرنا عليه تاريخ الحياة ونعرفه باسم الصدفة والتنوع المبدع . ولكن المادة الحرون تقيد الدافع الحيوي وتكبله في قوانينها وتسيطر عليه بالتكرار وتوزع الطاقة ، ومن ثم يحاول أن يتجاوز المرحلة التي بلغها ، ولكنه دائماً يعجز عن تحقيق كل ما يحاول أن يحققه . ولقد بدأت الحياة أول ما بدأت في أشكال فيزيائية كيميائية ، تطورت إلى أشكال نباتية وحشرية وفقارية ، تصور على التوالي غلبة الثبات والغريزة والذكاء ، ولم تكن هناك غاية ، لكنها تقدمت باستمرار نحو المزيد من الشعور ، ولم يتحقق الشعور أو الوعي الكامل إلا للإنسان ، واكتسب العقل أقوى وسائل التعبير عن الدافع الحيوي ، ونال الحرية بتطويعه للمادة ، وكانت هناك طفرة Leap مفاجئة من الحيوان للإنسان ، وربما كان الإنسان هو العلة فعلاً خلف كل هذا التنظيم للحياة فوق كوكبنا ، وربما كان الدافع الحيوي هو الله ، لكنه ليس إله الديانات التقليدية ، فهو كدافع حيوي فعل خالص يحده العالم المادي الذي يجاهد أن يتجلى فيه ، وهو دائم الصيرورة ، هدفه أن يخلق باستمرار مخلوقات تكون جديرة بحبه . ولن يتيسر لنا معرفته بالعقل لكن بمطالعته بالحدس في التجارب الصوفية ، لأنه لا يتجلى في كماله إلا للخاصة من المتصوفين الذين يشاركونه حبه للبشر ويساعدون على اكتمال تطورهم . والإنسان ، ذلك الحيوان الاجتماعي ، يسرع تطوره أو يبطىء بنوع الجماعة التي يعيش بينها ، ويميز برجسون بين نوعين من المجتمعات ، المفتوحة والمغلقة ، ويتميز كل منها بأخلاقية وديانة مختلفة ، ويسيطر على المغلقة الروتين والآلية ومقاومة التغير والمحافظة والاستبدادية ، ولا تهتم إلا بمصالحها

وتتورط كثيراً في الحروب للمحافظة على نفسها ، وتحقق تماسكها الداخلي بأخلاقية ودين مغلقين ، والأخلاقية المغلقة أخلاقية جامدة مطلقة ، والديانة المغلقة ديانة طقوسية وجزمية ، وكلاهما تضغط على الفرد ليطيع باعتبار الطاعة والامتثال يشكلان الواجب الأول للمواطن ، وتتشابه المجتمعات المغلقة من حيث فترات تدهور الحياة التي يتردى الدافع الحيوي إليها بتأثير طغيان المادة ، وبالسلوك النمطي لأفرادها الذي يهدي إليه التفكير النمطي للعقل ، ويصف برجسون وجود هذه المجتمعات بأنه معرقل لتطور الإنسانية ويقول إن المجتمعات المفتوحة غير محدودة وتضم كل الناس والبشرية ، وغير جامدة ، وتقدمية ، ولا تطلب من مواطنيها الامتثال ، وتسعى إلى التنوع ، وديانتها وأخلاقياتها مرنة ونامية .

وكان لبرجسون تأثير ملحوظ على الفكر والأدب ، وكان لأسلوبه البليغ أشد الأثر في رواج كتبه ، لكنه كان كثير الغموض ولم يوف مناقشاته حقها ، وكان يلجأ للإنشاء في الوقت الذي يتطلب الأمر التحليل والمنطق ، وكان يبدو واضح النقل من غيره ، فالصيرورة منقولة من هرقليط وهيجل ، والتلقائية من شلنج ومين دي بيران ورافيسون ، والدافع الحيوي شبيه بالنفس الكلية عند أفلوطين ، وآراؤه في الدين يهودية بالرغم من محاولاته إخفاء أصولها .

برنتانو .... Brentano

(١٨٣٨ ـ ١٩١٧) فرانز برنتانو ، ألماني ، كان قسيساً لمدة تسع سنوات ، فلما لم يعجبه إعلان أن البابا معصوم ترك الكنيسة (١٨٧٣) وامتهن التدريس الجامعي ، وكان إدموند هوسرل من تلاميذه . وعندما مات ترك عدداً كبيراً من الكتب التي لم تنشر ، والأوراق التي كان يمليها (أصيب بالعمى في سنواته الأخيرة) في كل فروع الفلسفة تقريباً . أهم كتبه « **علم النفس من الوجهة التجريبية** » (١٨٧٤) ، و « **مصدر معرفتنا بالصواب والخطأ** » (١٨٨٩) ، و « **بحث في طبيعة المعرفة** » (١٩٢٥) ، و « **أساس وبناء الأخلاق** » (١٩٥٢) .

ويتناول برنتانو الظواهر العقلية ويميز بينها وبين الظواهر الفيزيائية بما يسميه القصدية Intentionality ، فعندما يتواجد شيئان أ و ب تكون بينهما علاقة فيزيائية ، لكن عندما يوجد إنسان يفكر فإن العلاقة التي توجد بينه وبين ما يفكر فيه هي ظاهرة عقلية لها مضمون وتتجه إلى موضوع . والعلاقة بين أ و ب لا يمكن أن توجد إلا إذا تواجد الشيئان أ و ب ، لكن المفكر قد يفكر في الحصان مثلاً دون أن يوجد فعلاً حصان .

ويصنف برنتانو الظواهر العقلية على أساس ١ ـ أن العقل يفكر في الشيء بوصفه شيئاً حاضراً أمام العقل أو الشعور ٢ ـ وقد يقف منه موقفاً فكرياً فيقبله أو يرفضه ٣ ـ وقد يقف منه موقفاً عاطفياً فيحبه أو يكرهه . والنوع الأول من الظواهر العقلية هو الأفكار والصور الذهنية . والنوع الثاني هو الأحكام ، والثالث هو الظواهر العاطفية أو الوجدانية كالحب والكراهية . والنوع الأول أساس النوعين الثاني والثالث ، فلكي نحكم أو نحب أو نكره لا بد أن يوجد أولاً ما نحكم عليه أو نحبه ، لكننا لا نحكم بالصواب أو الخطأ إلا على النوعين الثاني والثالث . وهو يقصد بقوله إن النوع الأول أساس النوعين الثاني والثالث أنه لا وجود لأشياء متعينة Concrete ، والمتعين هو النقيض للمجرد ولا يرادف المادي ، ومن ثم فالروح والله شيئان متعينان لكنهما ليسا ماديين . وتتضمن اللغة الكثير من التغيرات التي لا تشير إلى أشياء متعينة ، لكن مصوغات أفكارنا لا يمكن أن تكون إلا أشياء متعينة ، ولذلك فكل جملة صادقة لكنها تتضمن ذكر شيء غير متعين يمكن أن نصوغها من جديد ونضع مكان الموضوع والمحمول ما يشير إلى شيء متعين ، فعندما نقول مثلاً « هناك نقص في الذهب » تصبح « لا يوجد ذهب » وبدلاً من أن نقول « هو يعتقد أنه توجد خيل » نقول « هو يقبل الخيل » ، ذلك لأننا بإصدارنا للحكم أنه يوجد أ إنما نعلن قبولنا

لألف ، وبإصدارنا للحكم لا يوجد أ نعلن رفضنا لألف . وعندما نقول إن أ موجود فنحن لا نؤكد أو نقبل الوجود نفسه ، لكننا نؤكد أو نقبل أ . ويسمي برنتانو هذه المبادىء علم نفس وصفي ، ويقول عنه إنه أساس كل تفلسف لأنه يخطط للنفس أي يخطط للمدركات العقلية تخطيطاً منطقياً يمكن أن يكون تمهيداً لا يستغني عنه علم النفس التجريبي ، وتوجد علاقة قوية بينه وبين ما يسميه هوسرل علم الظواهر ، وكان هوسرل تلميذاً لبرنتانو عندما استعمل الأخير تعبير علم ظواهر وصفي كبديل لعلم النفس الوصفي ، ويقول هوسرل إنه لولا فكرة القصدية التي قال بها برنتانو ما كان من الممكن أن توجد الفينومينولوجية إطلاقاً .

وتقوم فلسفة برنتانو الأخلاقية على فكرة أن الظواهر العقلية من النوع الثالث العاطفي يمكن أن توصف كظواهر النوع الثاني بالصواب والخطأ ، فإن نقول أن الشيء أ حسن يعني أن نقول إن من المستحيل أن نحب أ بطريقة خاطئة ، ومن ثم نرفض قطعياً الذين يحبون أ حباً خاطئاً ، وبالمثل عندما نقول إن ب شيء سيء يعني أننا ننكر على رافضي ب أن يكرهوه بشكل خاطىء . ويعتقد برنتانو أن أفضل طريقة لإدراك الانفعالات السليمة هو أن نقارنها بالانفعالات التي نصفها بأنها غير سليمة أو خاطئة ، تماماً مثلما نقارن بين اللون الأحمر وغيره من الألوان ، وبذلك تتكون لدينا المعرفة بالأشياء الحسنة فنعرف أن حب الخير خير ، وزيادة المعرفة خير ، وحب الشر شر ، وأن الهدف النهائي في الحياة هو أن نختار أفضل الأشياء الممكنة ، ومن ثم يكون صواب ما نحب أو نكره شيئاً موضوعياً طالما أنه من المستحيل أن نحب بطريقة صحيحة ما يكرهه غيرنا بطريقة صحيحة ، أو نحب بطريقة غير صحيحة ما يكرهه غيرنا بطريقة غير صحيحة . وينبغي أن نأخذ الأخلاق بمعيار الشيء الأفضل ، فإذا قلنا إن أ أفضل من ب يعني أن الصواب أن نختار أ على ب في نهاية الأمر . ويفرق برنتانو بين أن نحكم على الأمور بالبينة وأن نحكم عليها على العمياني . والحكم بالبينة يكون إما بالادراك الباطن مثلما أقول اعتقد أن كذا أو يبدو لي أن كذا وكذا ، وإما بالعقل مثلما أقول إن ٢ + ٢ = ٤ . وكل حكم يقوم على البينة صادق ، لكن ليست كل الأحكام الصادقة تقوم على البينة ، وهذا النوع الأخير هو الذي نقصده بالأحكام العمياني ، ومعظم أحكامنا عن العالم الخارجي من هذا النوع الأخير . ويقول برنتانو إن الفلسفة تزدهر في مرحلة من التاريخ ، لكن هذه المرحلة تعقبها ثلاث مراحل أخرى من الركود والاضمحلال ، في الأول يتطور الاهتمام بالنظري إلى العملي ، وفي الثانية يميل التفلسف إلى الشك وفي الثالثة يتحول إلى الباطنية ، فعقب الفلسفة اليونانية قامت مرحلة لوك وديكارت ولايبنتز ، ثم عصر التنوير ، ثم شكية هيوم ، ثم إبهام كنط والمثاليين .

برنجار .... Beringer

برنجار التوري (مات ١٠٨٨م) راهب من المنتمين إلى المذهب العقلي ، فقد ذهب إلى أن العقل فوق النقل ، وأنكر تحول القربان إلى دم المسيح ولحمه ، وأجبر مرتين على نقض ما قرر من قبل ، ونهض لانفرانك يحارب زندقته في كتاب له عنوانه « جسد المسيح ودمه » .

برنشفيك .... Brunschvicg

(١٨٦٩ - ١٩٤٤) ليون برنشفيك ، فرنسي ، حصل على إجازة المعلمين العليا (١٨٩١) والدكتوراه من السوربون (١٨٩٧) وعين استاذاً للفلسفة بها ، وكان عضواً مؤسساً بمجلة الميتافيزيقا والأخلاق وبالجمعية الفرنسية للفلسفة ، ورئيساً لأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية . وتذكرنا مثاليته النقدية بتحليل كنط لشروط المعرفة ، لكن منهجه كان تاريخاً أكثر منه استدلالياً ،ويعتبر برنشفيك وريث تيارين من تيارات الفلسفة الفرنسية في القرن التاسع عشر : المثالية الإبستمولوجية التي نقلها رينوفييه عن كنط وكورنو ، والمثالية الميتافيزيقية التي أقام دعائمها دي بيران

ورافيسون ولاشلييه ولاجنو . والتاريخ عنده هو تقدم الوعي وتحقيق المعرفة بالذات والاستقلال الخلقي ، والتقدم العلمي هو انتصار العقل وتنامي فهم البشرية لذاتها ، ومن ثم فللعلم رسالة خلقية أو روحية . وهو يقول إن النشاط العقلي كله في جوهره حكم ، والحكم إثبات لوجود علاقة ، ومن ثم فهو تقرير للوجود واستخلاص لقوانينه ، وصميم الفلسفة هو الإدراك الواعي للعلم ، والنظر بمقتضى كشوفه ، وتجاوز الوعي الحسي . . والعقل العلمي تحليلي ، والرياضيات أعلى صور الذكاء التحليلي . وبرنشفيك يتعلق بالعلم لأنه يمده باليقين ، واليقين الرياضي أعلى صور اليقين ، لأنه قمة التفكير البشري في الإبداع والنقد ، فليست قيمة العلم فيما يكشفه من علاقات خارجية ، ولكنه في نشاطه الحر واستيعابه للوجود ووعيه به ، وتحريره العقل من عبودية الحواس ، ودعم استقلاله ، وليس الخلاص إلا بإدراك الحقيقة ، وليست الحقيقة إلا الحقيقة العلمية ، وليس العقل إلا مظهر روحانية الإنسان ، بل إن الروح هي العقل ، وليس العلم إلا مظهر حرية الفكر ، وهو الضامن لحرية الإنسان وسلامة قصده واستقامة إرادته . أما أهم كتب برنشفيك فهي : رسالته للدكتوراه « **جهة الحكم La Modalité du Jugement** » (١٨٩٧) ، و « **مراحل الفلسفة الرياضية Les Etapes de la Philosophie Mathématique** » (١٩١٢) ، و « **الخبرة الإنسانية والعلية الفيزيائية L'Expérience Humaine de la Causalité Physique** » (١٩٢٢) ، و « **تقدم الوعي في الفلسفة الغربية Le Progrès de la Conscience dans la Philosophie Occidentale** » (١٩٢٧) .

بروتاغوراس .... Protagoras

(نحو ٤٩٠ ـ ٤٢٠ق.م) من مواليد أبديرا باليونان ، وأشهر السوفسطائيين ، وأول سوفسطائي محترف . كان يطوف المدن ويقوم بالتعليم لقاء أجر ، وعهد إليه بركليز بتنظير الديموقراطية اليونانية ووضع الدستور ، وكان كثير التأليف ، وهو القائل « لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أو غير موجودين » ، واتهم لذلك بالإلحاد ، وحكم عليه بالإعدام ، ولكنه هرب ومات غرقاً أثناء فراره . ورغم ذلك ، وما قاله عنه أفلاطون في محاورته « تياتيتوس Theaetetus » فإن العالم القديم كان يجله حتى استحق أن يقام له ، مع أفلاطون وأرسطو ، تمثالاً في السيرابيوم بمنفيس مصر . واشتهر عنه مبدأه أن الإنسان مقياس كل شيء Man- Measure Doctrine ، وهو القائل « الإنسان مقياس أن الأشياء الموجودة موجودة ، وأن الأشياء غير الموجودة غير موجودة » . ويفهم البعض الإنسان بأنه النوع ، لكن أفلاطون فسره بأنه س أو ص من الناس ، وأن العبارة السابقة تعني أن الشيء الواحد قد يكون بارداً بالنسبة للشخص س ، وساخناً بالنسبة للشخص ص ، أي أن الحقيقة نسبية ومتعددة بتعدد الأشخاص وحالات الشخص الواحد ، لكن بروتاغوراس في موضع آخر يحدد ما يعنيه بالإنسان ، هل هو الشخص المفرد أم المجموع ، عندما يقول إن ما يبدو عدلاً لمدينة من المدن هو عدل بالنسبة لها طالما هو يبدو لها كذلك ، وهو معنى يتناقض مع ما يفهمه أفلاطون من لفظة الإنسان . ومع ذلك يبدو بروتاغوراس واضحاً على الأقل فيما يتعلق بمصدر المعرفة عندما ينفي أن يكون للمعرفة مصدر آخر خلاف الإحساس ، وهو يعد كل التصورات صادقة بمعنى من المعاني ، لكن بعضها يرجح البعض ويفضله ، فتصورات الطبيب أفضل من تصورات المريض ، ومهمة الطبيب إحداث التغيير بالمريض الذي تصبح به تصوراته صحيحة ، ومهمة السوفسطائي أو المعلم تغيير مفاهيم الناس نحو الأفضل .

واشتهر بروتاغوراس بمبدأ وجهي الحقيقة Two-Logoi Principle ، فلكل حقيقة وجهان ، والانسان هو المقياس لكل شيء ، وعلى المرء أن ينقب في

الشيء عن نقيضه Antilogic ليحيط بالجانب الآخر للموضوع .

بروتستنتية Protestantism

مذهب المحتجّين أتباع مارتن لوثر الذي انشقّ على الكنيسة الكاثوليكية ، وعلّق احتجاجه المشهور على بابها ، وأعلن أن المسيحي لا يخضع إلاّ للأناجيل وحدها ، ولا يعترف بسلطان لغير الكتاب المقدّس ، وأنه يرفض رياسة البابا وغيره ، وأن الكنيسة أو القساوسة لا سلطان لهم في محو الذنوب ، وأن الإنسان يدان بعمله وحده ، ورفض لذلك الصلاة بلغة غير مفهومة ، فالصلاة دعاء من القلوب يتوجه بها العابد إلى الله ، وأنكرَ استحالة الخبز إلى جسد المسيح ، والخمر إلى دمه ، وقال إن العشاء الرباني ليس سوى تذكير بالماضي ، وأنكرَ لزوم الرهبنة ، ومنع اتّخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها .

برود Broad

تشارلي دنبار برود ، إنجليزي ، ولد بضواحي لندن (١٨٨٧) ودرس بكيمبردج ، وعلّم بها ، بدأ عالماً ولكنه اتّجه إلى الفلسفة ، وتدور كتاباته في أغلبها داخل نطاق نظرية المعرفة وفلسفة العلم ، ويقوم منهجه على عرض النظريات وتحليلها ونقدها ، لا يلتزم بنتائج معينة ، ولا يهمه أن يصل إلى نتائج يقينية ، وليست له فلسفة خاصة به ، وهو عالم محقق ، يتناول مسائل الفلسفة كما يجدها ، ويتركها وقد صنّفها وشرحها ، ولكنه لا يضيف إليها ، ولذلك جاءت كتبه من باب « **العقل ومكانه في الطبيعة** » يعرض سبع عشرة نظرية في العلاقة بين العقل والمادة ، و « **تأملات في نظريات الحس الخلقي** » و « **خمسة أنماط من النظريات الأخلاقية** » .

برودون Proudhon

بطرس برودون (١٨٠٩ - ١٨٦٥) أبو الفوضوية ، وأول من تلقّب بالفوضوي (١٨٤٠) ، ولد ببيزانسون من أعمال فرنسا ، من أسرة ريفية فقيرة ، واشتغل منذ صباه عامل طباعة ، وثقّف نفسه بنفسه بقراءاته التي يتيحها له عمله كطباع ، وتعلّم اليونانية والعبرية ، واستطاعَ أن يحصل على منحة دراسية مكّنته من الإقامة في باريس لمدة عام ، وواصل فيها قراءاته ومراجعة أفكاره وتدوين كتابه الأول « **ما هي الملكية Qu'est - ce que la Proprieté** » (١٩٤٠) . وكان يتمتع بأسلوب جزل أعجب بودلير وفلوبير وهوجو ، وحيا ماركس الكتاب بوصفه أول مناقشة علمية جريئة للملكية ، وأثار الكتاب الكثير من السخط لأنه وصف الملكية بأنها سرقة ، وهاجمَ فيه الملكية الخاصة المستقلة ، لكنه كان مع الملكية الزراعية التي تسمح لصاحبها بفلاحتها ، وكان مع حق المنتج في التصرف في إنتاجه Jus in re ، أما ملكية وسائل الإنتاج فهي حق مشاع Jus ad rem ، لأنها ميراث اجتماعي ، ومع ذلك فلكل عامل الحق في أدواته وأرضه ، مع توظيفهما توظيفاً اجتماعياً ، فالملكية بلا قيود اجتماعية تحطم المساواة بين الناس ، وهذه هي القضية بديالكتيك هيجل ، لكن نقيض القضية هو الشيوعية التي تلغي الحرية وتسلب العامل الاستقلال ، ومركب القضية والنقيض هو الفوضوية أو المجتمع القائم على المنتجين الأحرار المتعاقدين اجتماعياً ، فالملكية والشيوعية قائمتان على السلطة ، ولكن الفوضوية تلغي السلطة وتؤسّس الحرية على حاجة الناس إلى تبادل المصالح ، وتحل التبادلية محل السلطة كأصل للاجتماع ، وتدعو إلى تنظيم العمال في وحدات اقتصادية وليس على أساس سياسي . واستقطبت آراؤه أنبياء الاشتراكية في القرن العشرين ، وتلاميذهم ، من أمثال ماركس وباكونين وهيرزن ، لكن الخلاف دبَّ بين ماركس وبرودون ، وبه قام الصراع بين دعوة التحرريين التي تطالب بتقويض سلطة الحكومات وإقامة مجتمع المنتجين الأحرار ، ودعوة الاستبداديين التي تحل محل الحكومة البورجوازية دكتاتورية البروليتاريا . وهاجمَ ماركس كتاب برودون « **المتناقضات الاقتصادية Système des**

Contradictions Economiques » (١٩٤٦) بأن نشر « بؤس الفلسفة » (١٨٤٧) ، وانضمَّ باكونين وهيرزن إلى برودون . وكان برودون كثير الاقتباس من هيجل وفيورباخ وكنط وكونت والطوباويين الفرنسيين ، وكان يقول بالعدالة ، وتتمثل في الطبيعة بتوازن قواها المتعارضة ، وفي المجتمع بتبادل المصالح بين الناس المتساويين ، وكان ينكر كل المطلقات والحلول الدائمة ، وفي كتابه « فلسفة التقدم Philosophie du Progrès » (١٨٥٣) يعرف التقدم بأنه سلب كل الأشكال والصيغ والمذاهب التي تدعي لنفسها الديمومة والتي يظن الداعون إليها أنها غير قابلة للتغيير ، وإسقاط كل الأصنام التي يظن بها العلمة والأزلية سواء كانت دنيوية أو روحية أو مفارقة . وكان برودون فيلسوفاً يعادي التمذهب على أي صورة من الصور ، فكأنه كان ناقداً مستقلاً ، ومن ثمَّ صار المتحدث باسم الثورة ، وأصدر لذلك صحيفته « ممثل الشعب Le Representant du Peuple » (١٨٤٨) ، وكانت أول صحيفة فوضوية تصدر بانتظام لأكثر من سنتين بالرغم من الغرامات وأحكام السجن التي وقعت عليه بسبب هجومه على لويس نابليون رئيس الجمهورية وخرقه لقانون الصحافة ، وصدر ضده حكمان بالسجن لمدة ثلاث سنوات لكل ، قضى الأول يكتب « اعترافات ثوري Les Confessions d'un Révolutionaire » (١٨٥٠) ، وهو تحليل لأحداث ١٨٤٨ التي يخلص منها إلى تقرير هدف الثورية الفوضوية بأنه القضاء على حكم الإنسان للإنسان بواسطة تراكم رأس المال ، و « الفكرة العامة للثورة في القرن التاسع عشر Idée Générale de la Révolution au XIX Siécle » (١٨٥١) يشرح فيه المجتمع التحرري الأمثل القائم على التعاقدات وليس القوانين ، والموزعة فيه السلطة على الكومونات والرابطات الصناعية . ولم ينفذ الحكم الثاني (١٨٥٨) وهرب إلى بلجيكا وظلَّ بها حتى ١٨٦٢ ، وقبل أن يموت علم أن أتباعه قاموا بدور قيادي في الاجتماعات التي أدَّت إلى قيام « اتحاد العمال الدولي » ، وكان لبرودون تأثير كبير على الحركة الفوضوية والنقابية ، وكان كما وصفه باكونين « أستاذنا جميعاً » .

برونو .... Bruno

جيوردانو برونو (١٥٤٨ ـ ١٦٠٠) أشهر فلاسفة إيطاليا إبان عصر النهضة ، كان راهباً لكنه اعتقد في الديانة المصرية المسماة بالهرمسية Hermetism ، ومارسَ السحر ، فاتُّهم بالزندقة ، وفرَّ إلى العواصم الأوروبية يلقي المحاضرات ويثير الخلافات ، وكانت الهرمسية ديانة أرواحية ، وقلَّدها فقال بأن العالم لانهائي ، وبوجود نفس كلية تتخلل العالم فتبعث فيه الحركة ، وأن الشمس هي مركز الكون ، ولذلك اعتقد في نظرية كوبرنيق في مركزية الشمس ، ولكنه جرَّدها من الأساس الرياضي ، ولم يقل مثله بعالم ثابت مغلق ، ورد الكثرة في العالم إلى هذا المبدأ الواحد ، وقال عن الديانة المصرية أنها أشرف من المسيحية ، وأنها أمل العالم في علاج الحروب وأشكال البؤس والاضطهاد ، لأنها تضفي على كل شيء قداسة ، وتعبد الله في الأشياء ، وتجعل الإنسان جزءاً من الطبيعة . وقال برونو بنظرية في تدريب الذاكرة حتى تصفو فتكون مرآة صادقة للعالم .

بروير ..... Brouwer

لوتسن إجبرتوس يوحنّا بروير ، مؤسّس الحدسية الرياضية ، هولندي ، ولد بالقرب من روتردام سنة ١٨٨١ ، وتعلّم بأمستردام وعلَّم بها ، وعرف بإضافاته في مجال الطبولوجيا ، وردَّه المنطق إلى الرياضيات ، وقال بحس داخلي أطلق عليه الإدراك الزمني ، ووصفه بأنه رياضي ، وهو فعل تقوم به الذات بإرادتها الحرة بغاية أن تحافظ على نفسها ، وربط به ما أسماه بالانتباه السببي ، يربط بين الظواهر ، ويفترض لها الأسباب ويردُّها إلى مبادىء . وتشبه العلاقة بين الإدراك الزمني والانتباه السببي العلاقة بين مقولات كنط الرياضية

ومقولاته الدينامية ، ويذهب بروير إلى تفسير الاجتماع بأنه مبني على التواصل ، وهو شكل من الفعل الرياضي .

بريثويت .... **Braithwaite**

ريتشارد بيغانا بريثويت، انجليزي،ولد في بانبوري سنة ١٩٠٠ ،وتعلم وعلم بكيمبردج،وبدأ كعالم طبيعة ورياضيات ، لكنه تحول إلى الفلسفة الأخلاقية ، وأسهم في تفسير الكثير من النظريات العلمية ، واشتهر بكتابيه « التفسير العلمي **Scientific Explanation** » (١٩٥٣) و « **نظرية الألعاب كأداة للفيلسوف الأخلاقي Theory of Games as a tool for the Moral Philosoper** » (١٩٥٥) وضع فيهما تخطيطاً لسياسة متعقلة Prudential Policy يختار بمقتضاها بين احتمالات وفروض متعددة ، ويستعين في اختياره بالنظريه الرياضية في الألعاب ، برفض بعض الفروض التي لا تتفق مع الخبرة ، وبذلك نخضع عملية الاختيار لمراجعة لها صبغة تجريبية ، ونستطيع أن نخضع الحلول الأخلاقية لسياسة أخلاقية بنفس الطريقة الاستدلالية التي أخضعنا بها الفروض العلمية للسياسة الاستدلالية ، فنرجع مثلاً سبب إصرارنا على إعادة شيء لصاحبه بأن ذلك ما تقضي به السياسة الأخلاقية التي تتمثل في الأمانة أو الوفاء بالوعود . ويمكننا أن نبرر لجوءنا إلى السياسيين بالغايات التي تخدمها .

بريدجمان .... **Bridgman**

(١٨٨٢ - ١٩٦٢) برسي وليام بريدجمان ، مؤسس الإجرائية ، أمريكي ، تعلم بهارفارد ، وحصل على جائزة نوبل في الفيزياء (١٩٤٦) ، يعرض فلسفته في كتب أربعة أهمها « **منطق الفيزياء الحديثة The Logic of Modern Physics** » (١٩٣٦) ، ومن رأيه أن المفاهيم العلمية ينبغي أن ترتبط بإجراءات تجريبية ، بمعنى أن تكون هذه المفاهيم قابلة لأن تخضع للتحليل ، وما لا يمكن تعريفه منها إجرائياً ينبغي التخلص منه ، وهويقول إن معظم اكتشافاتنا العلمية لا تقدم أشياء جديدة حقيقة ولكن الجديد فيها هو طريقتنا الإجرائية الجديدة في تحليلها وجلائها .

بستالوتزي .... **Pestalozzi**

(١٧٤٦ - ١٨٢٧) حنا هنري بستالوتزي ، سويسري ، من أبرز فلاسفة التربية ، وتعرف فلسفته باسم البستالوتزية ، وتقوم على تربية القلب واليدين والعقل ، وربط المواد الدراسية بالحياة ، وتأسيسها على الممارسة والخبرة والتجربة ، وتأكيد الفروق الفردية ، واستنهاض الفاعلية والتلقائية والمبادرة لدى الطفل ، وتربيته تربية طبيعية لا افتعال فيها ، وحثه على ارتياد نفسه ، واستكشاف ما يريد ، ومعرفة إمكانياته ، وتطوير قدراته ، وتنمية شخصيته على مراحل عمره بحيث ينضج النضوج السليم الصحي فيصبح نفسه ، ويتربى لديه الإحساس بالالتزام ، ويكتشف بنفسه الرابطة الشخصية التي تربطه بالله ، والتي بدونها تصبح كل الروابط بين الإنسان والإنسان ، وبين الإنسان والطبيعة ، وبين الإنسان والمعرفة ، روابط لا معنى لها ولا خير فيها .

بسطامي .... **Bastami**

أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان (المتوفى ٢٦١هـ) ، من أشهر الصوفية ، وينسب إلى بلدة بسطام من أعمال قومس بإيران ، وفيها قضى حياته ومات ، فيما عدا الفترة التي اضطر فيها إلى تركها لعداوة المتكلمين من أهل السنة له ، بسبب شطحاته من قبيل « سبحاني ، ما أعظم شأني » . وكان جده « زرادشتيا ، وهو الذي أدخل فكرة وحدة الوجود في التصوف ، وكان من غلاة القائلين بها ، والداعين إلى رفع التكاليف ، وكان بذلك من المبشرين بمذهب الحلاج . ولم يكتب البسطامي شيئاً ولكنه ترك أقوالاً ، بعضها أكاذيب انتحلت باسمه مثل قوله « صعدت إلى السماء وضربت قبتي بإزاء العرش » ، وهو القول الذي بنوا عليه قصة معراج أبي يزيد البسطامي التي يقصها فريد الدين العطار في تذكرة الأولياء .

بشرية .... **Bishriya**

فرقة من المعتزلة ، أتباع بشر بن المعتمر ، كان من أفاضل علماء المعتزلة ، وهو الذي أحدث القول بالتوليد ، وقال الأعراض يجوز أن تحصل متولدة في الجسم من فعل الغير ، وكما لو كانت أسبابها من فعله . وقال القدرة والاستطاعة هما سلامة البنية والجوارح عن الآفات . وقال إن إرادة الله تعالى فعل من أفعاله ، وهي على وجهين : صفة ذات ، وصفة فعل ، فأما صفة الذات فهي أن الله تعالى لم يزل مريداً لجميع أفعاله ، وأما صفة الفعل ، فإن أراد بها فعل نفسه في حال إحداثه فهي خلقة له ، وإن أراد بها فعل عبادة فهي الأمر به ، وقال إن الله قادر على هداية كل الناس لكنه لم يفعل لأنه إنما عليه أن يمكن العبد بالقدر والاستطاعة ويزيح العلل بالدعوة والرسالة .

بصري .... **Basry**

الحسن البصري (نحو ٦٤٣ ـ ٧٢٨م) أبرز الشخصيات الإسلامية في الزهد ، وكان فقيهاً من أنبل الشخصيات الدينية في تاريخ الإسلام . ولد في المدينة من أصل فارسي ، واستقر في البصرة ، وتولى القضاء بغير أجر ، وتجنب الخلفاء والولاة ، وكان يقول فيهم « إن سيوفهم لتسبق ألسنتنا » فلم يكن يجد جدوى من نصحهم ، إلا عمر بن عبد العزيز ، أعدل الخلفاء بعد الراشدين . ومن أقواله في ذم الدنيا : ياابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً . احذر هذه الدار ، الصارعة الخاتلة ، التي قد تزينت بخدعها ، وغرت بغرورها ، وقتلت أهلها بأهلها ، وتشوقت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلوة ، دافعة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقي بالماضي معتبر ، ولا الآخر بما رأى من الأول مزدجر ، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع ، ولا العارف بالله والمصدق له حين أخبر عنها مذكر» .

بطرس الأسباني
Peter of Spain ; Petrus Hispanus

ويقال له أيضاً بطرس جولياني ، ولد في لشبونة (نحو ١٢١٠) وتعلم بجامعة باريس على ألبرت الكبير ووليام الشيروودي ، وانتخب بابا باسم يوحنا الحادي والعشرين (١٢٧٦) ومات متأثراً بجروحه (١٢٧٧) عندما انهار سقف حجرة مكتبه عليه . اشتهر بكتابه « المجموعة المنطقية Summulae Logicales » ، وظل يدرس بالجامعات لثلاثة قرون كمقدمة لدراسة المنطق الحديث .

بطرس دميان .... **Peter Damian**

(١٠٠٧ ـ ١٠٧٢م) من أبرز رجال الدين في القرن الحادي عشر ، مؤلفه الرئيسي « **في قدرة الله التي لا تحدها الحدود** » ذهب فيه إلى أن الله في استطاعته أن يفعل أشياء تضاد قانون التناقض ، وأن يلغي الماضي ، وهي نظرة رفضها القديس توما ، وأصبحت تعد منذ عهده مخالفة لأصول الدين . وعارض الطريقة الديالكتيكية ، ولم يوافق المسيحيين الآخذين بالمنطق للمدافعة عن الدين ، وقال عن الفلسفة إنها خادمة اللاهوت .

بغدادي .... **Bagdadi**

عبد القادر البغدادي (المتوفي ٤٢٩هـ) من أئمة المذهب الأشعري ، عاش بخراسان ، ونشأ في نيسابور ، وتتلمذ على أبي إسحاق الاسفراييني ، ورحل إلى إسفرايين بعد فتنة التركمانية ، ومات فيها ، وقيل إن كتبه تسعة عشر ، وصلنا منها سبعة ، أهمها « **أصول الدين** » و « **الفرق بين الفرق** » ، ويقوم منهجه على عرض آراء المخالفين ومناقشتها وتفنيدها لبيان أن الفرقة الناجية هي أهل السنة والجماعة .

بغدادي .... **Bagdadi**

موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف

البغدادي (المتوفي ١٢٣٢م) وشهرته عبد اللطيف البغدادي ، ويعرف بابن اللباد ، وكان شديد الإعجاب بابن سينا ، وفضله على الفارابي واليونانيين ، وكان يزدري شهاب الدين السهروردي ، ويرى أن شهرته دليل جهل أهل زمانه ، وله من الكتب « **شرح كتاب الفصول لأبقراط** » و « **اختصار كتاب الحيوان لأرسطو** » وكتاب « **في آلات التنفس وأفعالها** » وكتاب « **الحكمة العلائية** » ألفه في العلم الإلهي لعلاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان ، ومقالتان « في المدينة الفاضلة » ، ومقالة « **في الرد على ابن الهيثم** » في المكان ، والكتاب « **الجامع الكبير** » في المنطق والعلم الطبيعي والعلم الإلهي ، ويقع في نحو عشرين مجلداً .

بغدادي .... **Bagdadi**

هبة الله علي بن ملقي ، وشهرته أبو البركات البغدادي ، المتوفي نحو عام ١١٧٤م ، وكان يهودياً ثم أسلم متأخراً ، ويسميه اليهود نثنايل بالعبرية ، أي هبة الله بالعربية ، وكانوا يلقبونه في عصره باسم أوحد الزمان لمكانته وعلمه ، ويزعم أن فلسفته لا تدين بشيء للسلف ، وأنها تأملات شخصية خالصة ، ويشتمل مؤلفه الكبير « **كتاب الاعتبار** » (في ثلاثة أجزاء) على المنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة ، ويختلف في كثير من المسائل مع أرسطو ، لكنه يتقبل نظرية العقل الفعال عند ابن سينا ، بيد أنه يجعل لكل فرد عقلاً فعالاً وإن كان عقلاً مفارقاً وليس مجرد ملكة فردية ، ومن ثم يضفي على الفردية بعداً متعالياً يسمو على كل المبادىء .

بكتاشية .... **Bektaschia**

فرقة إسلامية ، تنسب إلى بكتاش أو حاج بكتاش (المتوفي نحو ١٣٣٧م - ٧٣٨هـ) ، قامت في تركيا أصلاً ، وانتشرت في أجزاء متفرقة من العالم الإسلامي ، وإن كانت قد انتهى أمرها الآن . وكان يوجد لها تكية مشهورة في جبل المقطم بالقاهرة . ويقال إنه بفضل بكتاش دخلت الانكشارية الإسلام ، وكان لأئمة البكتاشية نفوذ كبير على الانكشارية ، واشتركوا من خلالهم في كثير من الفتن ، وتنسب طريقة الدراويش إلى البكتاشية وإلى بكتاش نفسه .

والبكتاشية والدراويش من غلاة الشيعة ، ويؤلهون علياً ، ويسبون أبا بكر وعمر وعثمان ، ويعترفون بالأئمة الأثني عشر ، ولجعفر الصادق عندهم مكانة خاصة ، وبشعائرهم كثير من العناصر النصرانية ، الأمر الذي حدا بالبعض أن يرجح أنهم كانوا في الأصل نصارى ، ويقولون بالتثليث (الله ، محمد ، علي) ويضعون علياً مكان المسيح ، ويحتفلون بالعشاء الرباني ويوزعون النبيذ والخبز . ويميل البكتاشية إلى التقشف ويتزينون بالأبيض من الثياب ، ويرأسهم الشيخ الأعظم ، ويفضلون العزوبة ، ويسمون الدرويش مريداً ، والملتحق بالتكية منتسباً .

بكاءون ... **Weepers**

جماعة من الزهاد عرفوا ببكائهم ، شعوراً منهم بالذنب ، وأملاً وتضرعاً وتذللاً لله وخشوعاً . والقرآن يقول ﴿ وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾ (سورة مريم الآية ٥٨) و ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾ (سورة الإسراء الآية ١٠٩) . ولقد بكى النبي وأبو بكر وعمر . ومن البكائين حسن البصري وابن سيرين وابن دينار والنخعي والداراني وابن عياض وسفيان الثوري وذو النون المصري ، وأبو الدرداء ومصنفه مشهور باسم « **كتاب الرقة والبكاء** » ويقول إن أمور ثلاثة تبكيه هي هول المطلع ، وانقطاع العمل وموقفه بين يدي الله لا يدري أيأمر به إلى الجنة أم إلى النار .

ويروي أبو نعيم أحمد الأصبهاني في حلية الأولياء أن البكاء كان لقب بعض البكائين مثل يحيى البكاء وأبي سعيد أحمد بن محمد البكاء ومحمد بن واسع البكاء ويقال إن النبي دعا الله أن يرزقه « عينين هاطلتين

تشفيان القلب بذرف الدفع» وفي حديث التباكي « فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا » ، ويروى أن أبا بكر قال لدى رؤيته لبعض أهل اليمن يبكون عند قراءة القرآن « هكذا كنا حتى قست القلوب » ، ويرى الداراني أن العجز عن البكاء شاهد على تخلي الله عن العبد . وعرف البكاء في المسيحية عن طريق الرهبان الأقباط والسريان (شنودة وإفرايم ويوحنا الأفسوسي وإسحاق النينوي إلخ) . وكان البكاء في اليهودية ، ويقال إن اسم النبي نوح مشتق من ناح بمعنى بكى ،وتقدم التوراة آدم ويعقوب وداود وسليمان ويحيى من البكائين .

بكل .... Buckle

هنري توماس بكل (١٨٢١ ـ ١٨٦٢) مؤرخ انجليزي ، لم يتلق تعليماً جامعياً ، لكنه ألزم نفسه بمنهج دراسي ضخم ككثير من مفكري العصر الفيكتوري ، حتى قيل إنه كان يقرأ بثماني عشرة لغة ويتحدث بست ، واشتهر بكتابه « تاريخ المدنية في انجلترا **History of Civilization in England**»(في جزءين ١٨٥٧ ـ ١٨٦١) ، وكان من المفروض أن يشتمل على أربعة عشر مجلداً لم يظهر منها إلا اثنان بوصفهما المقدمة ، ويهدف إلى بيان القوانين التي تحكم تطور التاريخ ، وإلى جعل التاريخ علماً كعلوم الحياة يمكن استنباط مبادئه،وهي نفسها المبادىء العلية التي يخضع لها عالم الطبيعة ، ويحتل الإحصاء فيه نفس المكانة التي تحتلها الرياضيات في العلوم الطبيعية ، وهو يحدد هذه القوانين بشكل عام بأنها « الحالة العامة التي عليها المجتمع » ويسميها قوانين مادية أو فيزيائية ، ويحددها بشكل خاص بالمناخ والطعام والتربة ، وينفي أن تكون العوامل الأجناسية عوامل حاسمة ، أو يرجعها هي نفسها إلى عوامله السابقة التي يصفها بأنها أساسية ، ويرجع الدرجة من الحضارة التي عليها الأمة إلى حجم ثرواتها وطريقة توزيعها وعدد السكان ، فإذا توفر الغذاء زاد عدد السكان وكثرت البطالة وتركزت الثروة في أيدي القلة وزاد الفقر وتدهور المجتمع كما هو حادث في مصر وبيرو والهند . وإذا تناسب حجم الغذاء مع حجم السكان واعتدل المناخ وصلح لكافة النشاطات . نمت المعارف ، وخاصة العلمية ، وهو ما حدث في أوروبا . ومن الخطأ أن ننسب التقدم للدين والأدب والحكومات ، فليس الدين إلا مظهراً لما عليه المجتمع ، ويعكس الأدب شكل العلاقات الاجتماعية فيه ، ويقدم صورة لما بلغه المجتمع من حضارة . وليس الدين والأدب وحكام الدولة إلا أدوات يصنعها العصر ولا تصنعه . وليست التشريعات المستنيرة إلا النتاج الحتمي للتغيرات التي يستحدثها المفكرون في مناخ الرأي ، وهؤلاء المفكرون يتميزون بالجرأة والقدرة ولا ينتمون إلى الطبقة الحاكمة ، لكنهم ينتمون إلى أهل الرأي والفكر ، ثم إنها لن تكون تشريعات فعالة إلا إذا تهيأت لها التربة ونضج من أجلها العصر .

بلاك .... Black

ماكس بلاك،ولد في باكو بروسيا سنة ١٩٠٩ ، وتعلم بكيمبردج ، وعلم بجامعات لندن وإلينوا وكورنل ، وحصل على الجنسية الأمريكية (١٩٤٨) ، وهو علم فلسفة أكثر منه فيلسوف ، واهتماماته علمية ، وللفطرة عنده مكانة خاصة ، تأثر ببرود ورامزي من ناحية ومور من ناحية أخرى ، غير أن تأثير فتجنشتاين عليه كان أكبر ، ويرتبط اسمه بالمنهج اللغوي في التحليل الفلسفي المرتبط بالأخير ، وكتبه إما شروح على فتجنشتاين أو تعليقات عليها مثل كتابه الكبير « دليل لرسالة فتجنشتاين **A Companion to Wittgen-stein's Tractatus** » (١٩٦٤) . وتشتمل مؤلفاته حول فلسفة اللغة على عروض لكثير من الفلاسفة التحليليين واللغويين المعاصرين مثل فريجه ورسل وديوي وكورزبسكي وكارناب وهورف وتارسكي .

بلانشارد .... Blanshard

براند بلانشارد ، أمريكي ، من مواليد ١٨٩٢ ، تعلم

بميتشجان وعلم بها وبييل ، واتجاهه مثالي ، وأشهر كتبه « طبيعة الفكر The Nature of Thought » (١٩٣٩) في أربعة أجزاء ، يصف فيه تصوره للفكر الإنساني ، ويقيمه على أساس نفسي منطقي ، ويبحث في الجزء الأول عن نظرية في الإدراك لا تفهم هذا الفكر على أساس نفسي يرضي عالم النفس ، ويبحث في الجزء الثاني عن نظرية في الأفكار تفهمه على أساس منطقي يرضي الفيلسوف ، ويناقش النظريات المختلفة وينتهي إلى نظرية يمزج فيها بين برادلي وبوزانكيت ورويس ، ويرى أننا لن نفهم تطور هذا الفكر إلا إذا نظرنا إليه في ضوء نظرية تشبه نظرية الاتساق في الصدق ، واعتبرنا للفكر غاية مفارقة بمقتضاها وفق هذا النسق المنطقي وترتبط فيه الأفكار بالضرورة .

بلانك .... Planck

ماكس بلانك (١٨٥٨ ـ ١٩٤٧) ألماني ، مؤسس نظرية الكم (١٩٠٠) ، قال إن الطاقة المشعة تنبعث على هيئة وحدات متقطعة أطلق عليها اسم الكمات (جمع كم) Quants ، وعلى هذا الأساس تكون الطاقة عبارة عن مقادير منفصلة وليست سيلاً متصلاً لا ينقطع . وفي سنة ١٩٠٥ قام إينشتاين باستخدام نظرية الكم بتطبيقها على الضوء ، وأظهرت بحوثه أن الضوء والحرارة والأشعة السينية تنتشر في الفضاء بنفس الطريقة التي تنبعث بها الطاقة المشعة في تجربة ماكس بلانك .

ويرى بلانك أن الفيزياء تتناول بالدراسة الأشياء والحوادث في الطبيعة بينما تقوم الفلسفة بدراسة النواحي الطبيعية والعقلية والمسائل التي لها علاقة بالمشكلات الأخلاقية ، ومن ثم تكون الفلسفة أوسع في إطارها من حقل الفيزياء ، ولكن هذا الإطار لا يمكن أن يبقى بمعزل عن النتائج التي يحققها علم الفيزياء ، وعلى الفيلسوف أن يأخذ في اعتباره قوانين الطبيعة وتفسيرها للظواهر المختلفة إن أراد أن تكون فلسفته متماسكة لا تقع في التناقض مع النتائج العلمية . ومن ناحية أخرى لا يمكن إنكار دور القيم والأهداف العقلية والخلقية في البحث العلمي ، فالباحث لا يستطيع أن يفصل ذاته نهائياً عن بحثه ، أولاً لأن الباحث يقوم بتصنيف معطياته طبقاً لنظرته للحوادث والأشياء ، وثانياً لأن الحقائق التجريبية مليئة بالفجوات ولا يتم شغلها وربطها إلا بالأفكار التي يتخيلها الباحث ، ويسميها بلانك الفعالية أو الإيمان . وفي مقالته « العلم والإيمان » يعرف الإيمان بأنه عقيدة الباحث ودليله في جمع المعطيات التجريبية وتنظيمها لاكتشاف القانون ، وهو إيمان يختلف عن إيمان رجل الدين أو العامة من الناس . ويفرق بلانك بين التجربة الفعلية والتجربة الواقعية ، والأولى تتجاوز حدود أخطاء الأقيسة المباشرة ، وتساعدنا على بناء الفرضيات وصياغة الأسئلة التي يكون التثبت منها عن طريق التجارب الواقعية ، والثانية تقوم بالقياس وإثبات الفرضية والجواب على الأسئلة التي يطرحها الباحث . وفي مقالته « السببية في الطبيعة » يرى أن العلماء المؤمنين باللاحتمية في الطبيعة رفضوا السببية في مفهومها القديم ، واعتبروا القوانين الطبيعية خاضعة لاعتبارات إحصائية ، وأنه بناء على ذلك لا توجد سببية حقيقية في الطبيعة . ويفرق بلانك بين العالم وصورته الطبيعية أو الرمزية ، بمعنى أن العالم الطبيعي يتكون من أشياء لها طول وقياس، وعالم الرموز مؤلف من مفاهيم وصور أو رموز ، وهذا معناه أن كل كتلة لها معنيات ، الأول يرتبط بالنتيجة المباشرة للقياس ، والثاني على أساس أنها تطبيق لنموذج ينتمي إلى عالم الرموز ، وفي الحالة الأولى لا يمكن أن تعرف بدقة ولا أن يعبر عنها برقم مضبوط ، وفي الحالة الثانية تعتبر دلالات لرموز رياضية نستطيع بموجبها العمل بقواعد مضبوطة ، ومن ثم يقر بلانك القوانين الاحتمالية في الميكانيكا الموجبة ، ولكنه في نفس الوقت يقر قانون السببية .

بلخي .... Balkhy

شقيق البلخي (توفي نحو ١٩٤هـ) ، من مشاهير

الصوفية في كور خراسان ، كان في البدء غنياً جداً ، وصحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه ، واجتمع حوله عدد كبير من المريدين،وكان أشهرهم حاتم الأصم. ويفرق البلخي بين الزهد والتزهد ، فالزهد هو بداية الطريق ، والتزهد نفاق المتشبه بالزهاد ، الذي يفضحه حبه للدنيا . والزاهد والراغب كرجلين يريد أحدهما المشرق ، ويريد الآخر المغرب ، فدعاء الراغب اللهم ارزقني مالاً وولداً وخيراً ، وانصرني على أعدائي وادفع عني شرورهم وحسدهم وبغيهم وبلاءهم وفتنتهم ، ودعاء الزاهد اللهم ارزقني علم الخائفين ، وخوف العاملين ، ويقين المتوكلين ، وتوكل الموقنين ، وشكر الصابرين ، وصبر الشاكرين ، وزهد الصادقين ، وألحقني بالشهداء والأحياء المرزوقين .

بلوطارخ .... **Plutarch**

(نحو ٤٦ ـ ١٢٠) إغريقي ، ولد في فيرونيا ، ودرس في أكاديمية أثينا ، ثم أسس مدرسته الفلسفية الخاصة في مسقط رأسه ، وكانت تعلم الأفلاطونية . وتربو مؤلفات بلوطارخ على المائة والعشرين ، يرد فيها على الأبيقوريين والرواقيين والكلبيين ، وكثيراً ما يلجأ إلى الحوار ، ومن ذلك ست عشرة محاورة . غير أن أشهر ما كتب سيرته الذاتية وقصصه ذات المغزى .

بلوندل .... **Blondel**

(١٨٦١ ـ ١٩٤٩) موريس بلوندل ، من أبرز الفلاسفة الفرنسيين في القرن العشرين ، تعلَّم بمدرسة المعلِّمين العليا ، وفلسفته فلسفة عمل طرحها في كتابه «L'Action» (١٨٩٣) ويرى أن الاعتقاد مسألة إرادة ، وأن الطريق إلى الحقيقة هو الخبرة بكل أبعادها وليس التفكير وحده ، وأن الفلسفة يجب أن تبدأ من العمل لا من التفكير ، ويعني العمل عنده كل حياتنا وتفكيرنا وانفعالاتنا وإراداتنا ، وهو وجودي عندما يقول إننا قد اخترنا أن نعيش برغم أننا لا نعرف من أين جئنا ومن نكون ، وأننا نعمل باستمرار وننشغل بما نختار ، ولكن الإنسان لا يحقق لنفسه ما يصبو إليه فيما ينجز ، ومن ثم توجد دائماً فجوة بين إنجازه، وما يريد ، ويدفعه ذلك ليسدها إلى مزيد من العمل الذي يبلغ قمته في العمل الأخلاقي الذي يهدف إلى خير كل البشرية . وهو يقول إن الله حاضر في الإنسان ، بمعنى أن العمل البشري يتوجه دائماً إلى ما يتجاوز الظاهر ، وطالما أن الأفعال متعينة ، فإن العقائد التي تقوم على العمل لا يمكن أن تكون صيغاً مجرَّدة ، ففي العمل ندرك الله ، ولكننا لو حاولنا أن نصوغه في عبارات أو نبرهن على وجوده بتدليلات منطقية فإنه يفلت منا .

بليثو .... **Pletho**

(نحو ١٣٥٥ ـ ١٤٥٢) جورجيوس جيمستوس بليثو ، أبرز علماء وفلاسفة بيزنطة في القرن الخامس عشر ، ولد في القسطنطينية ، وعرف بدعوته للوثنية الإغريقية ، وبريادته للحركة الإنسية الإيطالية ، وقيلَ إنه تعلَّم على شراح أرسطو بين المعلمين المسلمبن في البلاط التركي ، وأنه درَّس عليهم الفلك الكلداني والتنجيم والزردشتية ، وأنه درَّس الفلسفة الإغريقية على المعلم إليزايوس اليهودي ، ولما أحرق الأتراك إليزايوس لهرطقته ، عاد بليثو ، وارتدَّ عن المسيحية ، وألَّف كتابه « القوانين » على نهج قوانين أفلاطون ، وكان من الضروري ، في رأيه ، أن يعود للديانة الإغريقية التي ألهمت هذه الفلسفة ، وتأثَّر به كل الإنسيين في زمانه ، وخاصة تلميذه بيساريون .

بليخانوف .... **Plekhanov**

(١٨٥٦ ـ ١٩١٨) جورجي فالينتينوفتش بليخانوف ، أبو الحركة الديموقراطية الاشتراكية الروسية ، وأبو الماركسية الروسية ، وأول مؤسِّس لخلية شيوعية ، ومنظر الحزب الشيوعي في بواكير تكوينه بلندن (١٩٠٢) ، هاجر إلى فرنسا (١٨٨٠) ، واستقرَّ في سويسرا ، وشارك في المؤتمر التأسيسي للدولية الثانية ، وانضمَّ إلى لينين ، ثمَّ انشقَّ عليه عندما لم يعجبه تكتيك البلاشفة ، واعتبر الدعوة إلى الثورة في

روسيا سابقة لأوانها ، ولكنه لم ينضم إلى أعدائها ، وكان أول من انتقدَ تحريفية برنشتاين ، وكان شديد المدافعة عن أفكار ماركس وإنجلز ، رغم أنه كان يؤمن بضرورة تطويرها ، وقال عن الفلسفة الماركسية إنها نسق فكري ، وأطلق عليها اسم المادية الجدلية ، وقال إنها المقابل للمثالية . وفي مؤلفاته الرئيسية « **تطور النظرة الواحدية للتاريخ** » (١٨٩٥) ، و « **مقالات في تاريخ المادية** » (١٨٩٦) ، و « **دور الفرد في التاريخ** » (١٨٩٨) عارض بليخانوف فكرة أن العامل الاقتصادي هو العامل الرئيسي في تشكيل التاريخ ، بل وعارض فكرة العوامل الحاسمة برمّتها ، وقال إن الإنسان ليس هو الإنسان الاقتصادي ولكنه الإنسان الاجتماعي ، وأن علم الاجتماع لا يعني علم الاقتصاد وحده ، ولكنه يضم إلى جانب ذلك الأخلاق والسياسة والتشريع ، وارتياد أي من هذه المجالات هو كشف عن « الإنسان الاجتماعي » في ميدان من ميادينه . وقال عن التجربة الجمالية إنها شعورية فكرية ، وأن العمل الفني تواصل بالآخرين ، وأنه بمقدار ما يقول للناس بمقدار ما تكون له قيمة .

بنا .... Al - Banna

(١٩٠٦ ـ ١٩٤٩) الإمام الشهيد حسن البنا ، داعية الإخوان المسلمين ، ومؤسس جمعيتهم (١٩٢٨) ، نشأ في بيئة إسلامية خالصة حتى ليقول « أبي الإسلام ، لا أبا لي سواه » ، وتعلَّم في دار العلوم (١٩٢٧) ، واغتيل بسبب دعوته التربوية الإسلامية التي وصفها بأنها دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية وثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية ، وفسَّر ذلك بأن شمول معنى الإسلام قد جعلَ دعوته شاملة لكل نواحي الإصلاح ، فالإسلام عقيدة وعبادة ووطن وجنسية ودين ودولة وروحانية ومصحف وسيف . وغاية التربية عند حسن البنا إنشاء النفوس ، وبناء صرح الأخلاق ، وتثبيت العقائد الصادقة التي تدفع إلى جلائل الأعمال . ومهمة الجماعة الإسلامية وغايتها الأولى ينبغي أن تهدف إلى تكوين النفوس على مبادىء الإسلام الصحيح ، ومنهج الجماعة الإسلامية إلى ذلك هو المنهج الإلَهي ، أي القرآن ، وميزته أنه منهج سهل ومحدود ، وواضح المرامي والغايات ، وعملي لا يعتمد على الخيال ، ويعالج النفوس والمشاكل بالعمل لا بالقول ، وبالتكاليف لا بالأحلام ، وفلسفة حسن البنّا التي تقوم عليها تربيته أن الإنسان ليس عنصراً واحداً ، ولكنه طين نفخ فيه من روح الله ، وهو كائن علوي بين الكائنات ، وله مكان الخلافة في هذه الدنيا ليعمّر الأرض لا ليخربها . ونسبة الإنسان إلى الإنسان « بعضكم من بعض » « لتعارفوا » ، ونسبة الإنسان إلى الله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلَّا ليعبدون﴾ ، ومهمة التربية عند حسن البنا لذلك ، أولاً صياغة الأفراد صياغة إنسانية جديدة ، أساسها الصلة بالله ، وإبراز خصائص الإنسان العليا ، واستكمال معاني القوة والجمال ، والسمو ببدنه وعقله ووجدانه ليكون في أحسن تقويم ، وثانياً صياغة المجتمعات البشرية صياغة عالمية جديدة ، بتأليف بناء متماسك قائم ، ومجتمع موحَّد فاضل من هذه اللبنات الصالحة . وتبدأ التربية بالجماعة الممتازة ، وتتطور إلى الأمة حتى تشمل العالم كله ، ولهذا يعتبر حسن البنا الجنسية هي جنسية الأخوة في الله ، وجنسية الروح ، كما يعتبر دعوته الإسلامية دعوة ربانية إنسانية عالمية .

بنانية .... Bananiya

فرقة من غلاة الشيعة ، أتباع بنان بن سمعان ، قال إن الله على صورة إنسان ، ويهلك كله إلَّا وجهه ، لقوله تعالىٰ ﴿لا يبقى إلَّا وجه ربك ذي الجلال والإكرام﴾ ، وأن روح الله حلَّت في علي ، ثم في ابنه محمد بن الحنفية ، ثم في ابنه أبي هاشم ، ثم في بنان .

بنتام .... Bentham

جيريمي بنتام (١٧٤٨ ـ ١٨٣٢) زعيم القائلين

بمذهب المنفعة ، ولد في لندن ، ودرس القانون مهنة أبيه ، لكنه لم يمتهن القانون ، بل كرَّس حياته لإصلاح قانون العقوبات والقانون الدستوري ، ولإقامة التشريع والقضاء على أساس علمي ، ودوَّن عدة آلاف من الصفحات ، وكان يبدأ كتاب وينتقل إلى آخر قبل أن يتم الأول ، وترك الكثير من الكتب دون إتمام ، ولم يحفل بنشر ما تمَّ ، ولم يعرف العالم به إلَّا من خلال الترجمات الفرنسية التي توفر عليها تلميذه السويسري إتيان ريمون .

وكان بنتام قد قرأ هلفتيوس ، وتأثَّر بمبدأ السعادة القصوى The greatest happiness principle ، واعتنق المذهب النفعي وطبقه في أهم كتبه « **مدخل إلى مبادىء الأخلاق والتشريع Introduction to the Principles of Morals and Legislation** » (١٧٨٩) ، و « **علم الأخلاق Deontology** » (١٨٣٤) ، وأنشأ مجلة ويستمنستر رفيو للدعوة إلى الإصلاح القانوني ، وكوَّن حزباً لهذا الغرض ، وصارَ أتباعه ، الذين لقبوا باسم البنتاميين Benthamites ، قوة سياسية مؤثرة ، ضموا إليهم رجالاً لهم وزنهم من أمثال جيمس مل وابنه جون ستيوارت مل ، ونجحت حركتهم في تأسيس « الكلية الجامعية » التابعة لجامعة لندن ، وصارَ تلميذه جون أوستن أول أستاذ للتشريع بها .

وكان بنتام ضد الحدسية في التقنين ، بمعنى أن تكون هناك أفعال يعاقب عليها القانون دون أن يكون في ارتكابها إيذاء لأحد ، لأن المشرع بحدسه الشخصي للحقيقة الخلقية يرى العقاب عليها . ويرفض بنتام التقاليد والسلطة الدينية كمصدرين للقانون ، ويرى أن هناك أفعالاً يعاقب عليها القانون لأن المشرع أخذها في اعتباره كقضية مسلَّم بها أن يعاقب عليها طالما أن الناس والدين تواترا على العقاب عليها . ويضرب كمثل لذلك الأفعال الجنسية ، في الوقت الذي يمهل فيه التشريع المعاقبة على أفعال تسبب للناس الكثير من العنت ، أو يعاقب عليها عقاباً لا يتناسب مع ما تسببه من آلام . ويدعو بنتام إلى الأخذ بقواعد القانون ، وإخضاعها لاختبار حساب المنفعة Hedonic Calculus ، بهدف زيادة سعادة الناس وإنقاص ما يعانونه . ويقيم مذهبه في المنفعة على مبدأ نفسي : أن الطبيعة أخضعت الإنسان لحكم سيدين مطاعين هما الألم واللذة ، وأنهما يتحكَّمان في كل ما يفعله أو يقوله أو يفكر فيه ، وأنه يستوي في ذلك مع بقية المخلوقات ، لكن الإنسان يتميز بتطبيقه لمبدأ المنفعة ، بمعنى أن ما يعود عليه باللذة المستمرة ، أو تزيد به لذته على الألم الذي يستحدثه ، فهو خير ، وأن ما يترتَّب عليه ألم مستمر ، أو ما زادَ فيه الألم على اللذة ، فهو شر ، ولكن التقاليد والدين قد يمنعان الإنسان من الأخذ بهذا المبدأ في كل الأحوال ، ومع ذلك فالأخذ بالمبدأ النفعي يترتب عليه الأخذ بمبدأ أخلاقي هو استحسان الأفعال التي تتَّجه إلى زيادة أو إنقاص ما يعود على أصحابها من سعادة أو نفع أو لذة أو خير . والحكم الخلقي على الفعل يكون بقياس الآلام واللذات التي تلحق كل من يتأثَّر بهذا الفعل ، والموازنة بينها . وتقاس اللذة بشدتها ومدتها ودرجة ثباتها وسهولة منالها وقدرتها على إنتاج لذات أخرى وخلوصها من النتائج المؤلمة . ويدعو بنتام إلى إطراح القواعد العامة في الاختيار بين ما ينبغي على الإنسان أن يفعله ، وإلى تحقيق الفعل الذي يعود على صاحبه بأقصى سعادة . لكن كيف نوفق بين ما يحقق للفرد السعادة وبين الصالح العام ، وكيف نقنع الناس بالتصرف بما يؤدِّي إلى السعادة العامة ؟ إن القانون بما يفرض من قصاص ، والرأي العام بما يضع من جراءات يحول بين الفرد وبين التصرف بما يعارض الصالح العام . ويقضي الإدراك السليم بأن منفعة المجتمع شاملة لمنفعة الفرد ، ومن ثمَّ مقدمة عليها ، ولهذا ينبغي أن يكون شعارنا في المقارنة بين اللذات ، والمفاضلة بين ما تحققه للفرد وما تحققه للجماعة ، تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس . لكن الفرد قد ينزلق بسهولة وراء اجتناء اللذة حالاً ، وحينئذٍ يكون لزاماً على القانون أن يتدخَّل لاستحداث نوع من الانسجامَ المصطنع بين صالح الفرد والصالح العام ،

بحيث يتبيَّن للفرد رجحان كفة الشقاء باقتران الجرم بالقصاص ، كما تتدخل التربية فتكشف للأفراد التوافق الذي لا شكَّ فيه بين الصالح الشخصي والصالح العام . وإذا كان السؤال التقليدي في الفلسفة السياسية هو : لماذا يتحتَّم على الفرد إطاعة الدولة ؟ فإن بنتام يجيب بأن الطاعة تسهم أكثر من العصيان في تحقيق السعادة العامة، وليست الدولة كياناً فوقياً لها أهدافها وإرادتها المستقلة ، لكنها اختراع إنساني يمكن الناس من تحقيق أكبر قدر من الرغبات ، ومن ثمَّ تتعارض نظرية بنتام السياسية مع النظريات التي تقيم الدولة على أساس العقد الاجتماعي أو الحقوق الطبيعية . وهو يعتقد أن الكثير مما نتحدث به لا معنى له في الواقع ؛ ونظريته في المعنى تفترض أن تأمل الواقع بتحديده يحيله إلى أوهام ، وكمثال لذلك الواجب والحق والسلطة واللقب ، وهي كلمات غير مفهومة ما لم نرجعها إلى الواقع ، وهكذا يسبق بنتام نظرية التعريف بالرجوع إلى الاستخدام الذي قال به الذريون من المناطقة .

بنزفانجر .... Binswagner

لودفيج بنزفانجر ، طبيب نفساني ، تعد مدرسته في التحليل الوجودي Existential analysis أبرز محاولات ربط الفلسفة الظاهرية عند هوسرل والفلسفة الوجودية عند هايدجر بالتحليل النفسي . ولد في سويسرا (١٨٨١) ، وتعلَّم في زيورخ ، وخلف أباه على إدارة مصح بيلفي . أهم كتبه « **شرود الأفكار** » (١٩٣٣) و « **الصور الرئيسية وإدراك الوجود الإنساني** » (١٩٤٢) و « **ثلاث صور لوجود غير ناجح** » (١٩٥٦) . وهو كفيلسوف ظاهري يقصر تحليله على الخبرات الماثلة بالفعل في وعي المريض ، وكفيلسوف وجودي يرى فيما يكشف عنه التحليل محددات لإطار عام تتشكل في داخله ذات المريض وعالمه ، وتطبيب نفسي يرى من هذا الإطار العام سياقاً له معنى يفسِّر المحتوى الظاهر لأحلام المريض ولتعبيراته اللفظية ولتصرفاته الحاضرة ، ويصل هذا الحاضر بماضيه . غير أن اقتصاد بنزفانجر على التحليل لنمط وجود المريض وهو ما يسميه Daseinanalyse جعل بعض المحللين الوجوديين مثل فيكتور فرانكل يقولون بتحليل وجودي يقوم على التحليل والتطبيب معاً ، بتنبيه وعي المريض إلى الخواء الوجودي في حياته ، أي إلى خلو حياته من المعاني ، ومن ثمَّ إشعاره بالمسؤولية والحرية إزاء ملء هذا الفراغ ، وحثّه على الارتفاع بحياته من الواقع إلى ما هو أسمى وأرفع ، ومن ثمَّ يميز فرانكل تحليله باسم Existenzanalyse ويقول إنه ليس تحليلاً أنطولوجياً Ontoanalysis مثلما هو عند بنزفانجر ، ولكنه تطبيب بالمعنى Logotherapy ، بمقطع Onto بمعنى « وجود » ، مقطع Logo أي « معنى » .

بهائية .... Bahaism

فرقة مقرُّها الأساسي ايران ، تنسب إلى بهاء الله ، لقب ميرزا حسين علي نوري (١٨١٧ - ١٨٩٢ م) ، المولود في نور من أعمال مازندران بإيران ، والمتوفي بعكا بفلسطين ، وكان مسلماً شيعياً ، لكنه اعتنق المذهب البابي ، ثم بعد مقتل الشيرازي الملقَّب بباب الحقيقة مؤسس البابية (انظر البابية) ، زعم أنه تنبَّأ به الباب ، ودعا إلى مذهب يوحد بين الديانات جميعها ، وأبطل العبادات ، وأسقطَ التكاليف ، ووضع قرآناً أسماه « **الكتاب الأقدس** » ، واعتقلته السلطات الإيرانية ، لكنه فرَّ إلى بغداد ، ثم انتقل إلى تركيا فاعتقلته السلطات التركية في أدرنة ثم عكا . وبعد وفاته آل أمر الدعوة إلى إبنه الأكبر عباس أفندي (١٨٤٤ - ١٩٢٠) الملقب بعبد البهاء ، والذي ولد بطهران ومات بحيفا بفلسطين ، وهو الحجة الأكبر في البهائية وناشرها في أمريكا وأوروبا . وخلفه حفيده من ابنته ويدعى شوقي أفندي الذي نقل المقرّ الإداري للطائفة من عكا إلى حيفا ، وكان قد درس بأكسفورد وتزوّج أمريكية .

وتنكر البهائية العقيدة اليقينية ، وتقول بأن الطريق

إلى الله محجوب، ولكن ذاته تتجلى في الأنبياء وفي العالم ، وتعتبرهما مظاهر إلّهية ، ومن ثمَّ كانت البهائية مذهباً في وحدة الوجود وفي الحلول ، وتزعم أن لكل نبي دورة نبوة ، وأن دورة البهائية مستمرة ٥٠٠,٠٠٠ سنة على الأقل . ومعرفة النبي أولى واجبات البهائي ، والجنة رمز لرحلة المؤمن إلى الله ، والنار رمز للطريق العقيم نحو الفناء المنكر للعقيدة والمرتكب للآثام . وتدَّعي البهائية أنها ديانة علمية عقلية ، وتقول بالتطوّر ، لكنه التطوّر الذي فيه الإنسان هو دائماً الإنسان في تطوّره ، وتقوم مبادئها الخلقية على أن ما كان من شأن الإنسان فهو من الإنسان ، وما كان من شأن الله فهو من الله ، ومن ثم تصرّ على التعليم والعناية بالصحة والإصلاح الإداري ، وتدعو إلى وحدة الجنس البشري والسلام العالمي ، وتحرم لذلك الانتماء للأحزاب أو أداء الخدمة العسكرية .

بهادونية .... Bahadonism

فرقة هندية ، عبدة بهادون ، أمرهم أن لا يشربوا الخمر ، وإذا رأوا امرأة هربوا منها ، وحجهم قرابين إلى الله ، فإذا أتمّوه لم يدخلوا العمران ، ولم ينظروا إلى محرم ، ولم يلحق أحد منهم السوء .

بهشمية .... Bahshmiya

فرقة من المعتزلة ، أصحاب أبي هاشم عبد السلام ، قال بإمكان استحقاق الذم والعقاب بلا معصية ، ولذا يطلق عليهم كذلك اسم الذمية ، وقال بأنه لا توبة عن كبيرة مع الإصرار على غيرها عالماً بقبحها ، ولا توبة مع عدم القدرة ، ولا يتعلق علم واحد بمعلومين على التفصيل ، ولله تعالىٰ أحوال لا معلولة ولا مجهولة ولا قديمة ولا حادثة .

بوانكاريه .... Poincaré

(١٨٥٤ ـ ١٩١٢) جول هنري بوانكاريه ، فرنسي ، ولد لأسرة مرموقة ، وأظهر بوانكاريه نبوغاً مبكراً في الرياضيات ، وكتب عدداً ضخماً من المؤلّفات ، أهمها « **خواطر أخيرة** » (١٩١٢) تناول فيه العلاقة بين الرياضيات والفيزياء ، وفلسفة العلم والرياضيات . وتقوم أبرز إسهاماته في مجال المعادلات التفاضلية ، ونظرية العدد ، والجبر ، وتوصل في وقت واحد تقريباً (١٩٠٥) مع إينشتاين إلى فهم نظرية النسبية الخاصة . وفي سنة ١٩٠٦ اختير رئيساً لأكاديمية العلوم الفرنسية ، وانتخب سنة ١٩٠٨ عضواً بالأكاديمية الفرنسية .

وتسير فلسفة بوانكاريه العلمية على نفس نهج «لسفة ماخ وهيرتز ، ويقر بدينه لكنط ، ومن الواضح أنه متأثر بالمنهج الرياضي ، وأن اهتمامه في الأغلب منوجه للنواحي الصورية والنسقية للنظريات في العلوم الطبيعية ، وكثيراً ما يُقال إنه من أتباع الوضعية المنطقية . وهو في الرياضيات حدسي ، يؤكد أن الأعداد الصحيحة لا تعرف ، وأن مبدأ الاستقراء الرياضي الذي تقوم عليه كل الرياضيات ، من أهم المبادىء القبلية التي ينهض الاعتقاد بصحتها على الحدس . وانتقد المنطق عند بيانو ورسل ، وخاصة محاولة رد الرياضيات إلى المنطق ، وقال باستحالة استخلاص كل الحقائق الرياضية من المبادىء المنطقية دون الاستعانة في آخر المطاف بالحدس .

بوبر .... Popper

كارل رايموند بوبر ، نمسوي ، ولد بفيينا (١٩٠٢) ، وتعلّم بجامعتها ، واشتغل أستاذاً للمنطق والمنهج العلمي بجامعة لندن ومدرسة لندن لعلم الاقتصاد ، وارتبط اسمه بجماعة فيينا من الوضعيين المنطقيين رغم أنه لم يكن عضواً بها واختلف مع الكثيرين من أعضائها ، إلاّ أنه شارك الجماعة في اهتماماتها ، وتوثّقت صلاته بأغلب أعضائها ، ونشرَ كتابه الأول « **منطق الاستكشاف العلمي The Logic of Scientific Discovery** » (١٩٣٥) ضمن السلسلة التي كانت تصدرها ، وكان له تأثير كبير على كارناب .

وتقوم شهرة بوبر على تعريفه للعبارة العلمية بأنها العبارة التي يمكن إخضاعها باستمرار لمعيار الدحض Falsibiability Criterion . وكان الوضعيون يعرفونها بأنها العبارة التي يمكن التثبت من صحتها من المشاهدات التجريبية ، وانتقدَ بوبر هذا المبدأ باعتبار أن تفسير المشاهدات يقع في النهاية على عاتق المشاهد ويخضع لميوله وثقافته العلمية والنظرية التي كان يجري تجاربه في ضوئها ، وعلى ذلك فمهما كان عدد المشاهدات ، ومهما كان التزامن بالاستقراء فلن يكفي ذلك لتأييد الفروض العلمية الصحيحة ، لكننا على العكس لو أخضعنا الفروض العلمية للدحض المستمر يزيد احتمالها ومحتواها التجريبي وما تخبرنا به عن العالم ، فإذا ثبت الفرض أمام محاولات الدحض فقد برهن على صحته ومن ثمَّ يمكن قبوله مؤقتاً ، لكننا لن نتوقف عن محاولة دحضه ، ولهذا يقول بوبر إن العلم ليس مجموعة من العبارات التي استقرَّ العمل والاعتراف بها ، ولا يمكن أن يدَّعي أنه قد توصل إلى الحقيقة أو حتى ما يشبهها ، كأن يكون احتمالاً ، فنحن لا نعلم لكننا نخمّن فقط .

واشتهرَ بوبر بكتابيه « **المجتمع المفتوح وأعداؤه** » (١٩٤٥) و « **فقر التفسير التاريخي** » (١٩٥٧) انتقد فيهما محاولة تفسير التاريخ بواسطة قوانين التطور ، لأن التطور لا يخضع لقوانين صارمة ، والمجتمعات وإن كانت تقوم في تطورها على قوانين فهي كقوانين الوراثة لا يمكن التنبّؤ بها ، واستخلاصها لدراستها ، يخضع لنفس معيار الدحض .

بوبر .... Buber

مارتن بوبر ، نمسوي ، من مواليد ١٨٧٨ ، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٨ ، عقب تولّي النازي حكم ألمانيا ، وصار أبرز فلاسفة إسرائيل ، ولأنه متعصّب لليهودية وأحد مؤسّسي الحركة الصهيونية فهو أقرب إلى علماء الكلام منه إلى الفلاسفة ، غير أنهم يدرجونه ضمن فلاسفة الوجودية المؤمنة لفلسفته التي طرحها في كتابه « **الأنا والأنت Ich und Du** » (١٩٢٢) والتي تقوم على التفرقة بين العلاقة التي تنهض بين الأنا والشيء حتى وإن كان إنساناً طالما أننا نعامله كشيء ، ويسميها العلاقة بين الأنا والهو ، وبين العلاقة التي تتأصّل بين الأنداد باعتبارها حواراً ديموقراطياً يعترف فيه كل منهم بالآخر ، وينصت له إنصاتاً حقيقياً ، وينصرف إليه بكليته ، ولذلك يسميها علاقة أنا أنت . ولو حاولت انتزاع جزء من نفسي من العلاقة الثانية لتحولت إلى علاقة أنا هو . وكذلك يتحول الأنت إلى هو إذا كان الإنصات معيباً أو محاذراً أو محسوباً أو متعمداً ، ولكن الأنا في الإنصات الحقيقي تتورط مع الأنت في علاقة حقيقية تؤخذ كل منهما بالأخرى ، ويجري الحوار بينهما وفيه جدة دائماً وتلقائية وحضور لا تأثير فيه للماضي سواء كان على هيئة معارف أو معرفة بالشخص الآخر . وليست العلاقة بين الله والإنسان إلَّا من هذا النوع . وكل علاقة أنا وأنت يمكن أن تتراجع إلى علاقة أنا هو إلَّا العلاقة بالله لأنه مهما كفر الإنسان بالله فلا يمكن أن يعده شيئاً . ويقوم الاجتماع السليم والطب النفسي الصحيح على علاقات من نمط أنا أنت .

بوترو .... Boutroux

إميل بوترو (١٨٤٥ - ١٩٢١) فرنسي ، تخرَّج من مدرسة المعلمين العليا ، وتتلمذ على لاشلييه وتأثَّر بالحركة الروحية ، وفي رسالته للدكتوراه « **في إمكان قوانين الطبيعة** » (١٨٧٤) وفي محاضرته التي نشرها بعد ذلك تحت عنوان « **في فكرة القانون الطبيعي في العلم وفي الفلسفة المعاصرة** » (١٨٩٥) يبيّن أن المذهب الآلي الذي يفسّر الوجود بعلل آلية ، يفترض مادة الوجود وحدة ، وأن القوى المادية متعادلة ، وأن درجات الوجود هي درجات في تركيب هذه المادة وقواها ، لكن الواقع يكشف أن للوجود درجات متمايزة ومنفصلة ، وأن لكل قوانينها ، وأنها تنتظم من الأدنى إلى الأرقىٰ ، وأن الضرورة هي التي تحكم المادة ، لكن الإمكان هو الذي يحكم الحياة ، ففي مجال المادة

أ = أ ، ولكن في مجال الحياة فإن الكائن الحي لا يعادل ما يؤلّفه من عناصر ، ثم إن المادة سمتها المعادلة كما رأينا وكذلك السكون ، ، أما الحياة فسمتها الحركة والاتجاه إلى القوة ، وتتّسم المادة بالكم بينما الحياة يستأثر بانتباهنا منها الكيف ، وبينما تتصف المادة بالثبات ، فإن الكائن الحي يتغير فينمو أو يذوي ، ويرقىٰ أو ينحط ، أي يكون له تاريخ وليس للمادة تاريخ . وكلما ارتقينا في سلّم الكائنات ارتقىٰ الفعل الممكن الصادر منها ، وغلبت الحرية على الآلية ونمت ، فإذا بلغنا مرتبة الإنسان كانت الحرية في أرقىٰ صورها هي شرط الفعل الممكن ، وكان الفعل الممكن الحق هو الذي ينزع إلى الخير والحياة الخلقية ، بل إن القوانين الطبيعية ، هي إبداعات للإنسان أوجدها ليلائم بها بين الأشياء وبين عقله ليتصرف في الأشياء بما يوافق رغباته .

بوجدانوف .... Bogdanov

الإسكندر الكسندروفتش بوجدانوف (١٨٧٣ - ١٩٢٨) ، روسي ، كان ماركسياً ولكنه اتّجه إلى المثالية ، وكما يقول لينين كان أقرب إلى مثالية باركلي منه إلى مادية إنجلز . ولم يكن اسم بوجدانوف إلاّ الاسم الحركي ، وكان اسمه الحقيقي مالينوفسكي ، وقد أسهم في تأسيس معهد نقل الدم بموسكو ، ومات وهو يجري تجربة نقل دم على نفسه .

وكان انحياز بوجدانوف إلى ماخ وأفيناريوس ضد بليخانوف ولينين ، وميز بين الخبرة الفردية والخبرة الجماعية ، وقال عن الأول إنها نفسية ، وعن الثانية إنها فيزيائية ، وفصل الثانية على الأولى . وقال إن العالم الفيزيائي الموضوعي أكثر واقعية من العالم النفسي الذاتي ، وفضّل أن يقول بالتوتر الذي يخل بالتوازن على أن يقول مع الماركسية بالتناقض الجدلي الموضوعي ، ورفض أن يقول مع الماركسية بإلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وقلب نظام الحكم بالقوة ، وطالب بدلاً من ذلك بإعادة تثقيف الجماهير إدارياً بعلم أطلق عليه اسم التكتولوجيا Tectology يوحد بين كل العلوم ويبحث في أشكال الخبرة المنظمة ، وكان يعتقد أن العالم عبارة عن خبرات منظمة ، ومن ثمّ فإن تثقيف الجماهير بهذا العلم ، الذي هو علم تنظيمي ، يسلّحها بالوعي ضد الاستغلال ويرفعها إلى الحكم طالما أن الحكم لا يؤول إلاّ لطبقة المنظمين والمديرين .

بوخنر .... Buchner

لودفيج بوخنر (١٨٢٤ - ١٨٩٩) ألماني ، اشتهر بكتابه « القوة والمادة **Kraft und Stoff** » (١٨٥٥) ونظريته الواحدية التي ترد القوة للمادة وتجعل منهما شيئاً واحداً . ويعرف القوة بأنها نشاط أو حركة المادة ، وأنها لا يمكن أن توجد مستقلة عنها مثلما لا يوجد إبصار بدون جهاز الإبصار . ويقول عن المادة إنها قديمة وليست مخلوقة ، وأن الحركة جوهرها ، وهي النمط التي توجد عليه المادة ، ورغم دفاعه عن الماديين ضد المثاليين فهو ينكر أن تكون المادية المقابل للمثالية ، لأنه لا يمكن أن توجد المادة بدون القوة ، ولا العقل بدون المادة ، ولا التنظيم بدون الطبيعة ، ولا الأرض بدون السماء ، ولا الزمان بدون السرمدية . وهو يقول عن القوانين الطبيعية إن الناس تخطىء فتساوي بينها وبين القوانين الوضعية ، فتحسب أنه مثلما لا بد للقوانين الوضعية من مشرّع فكذلك القوانين الطبيعية لا بد لها من خالق ، لكن هناك فرقاً بين الاثنين ، لأن القوانين الطبيعية ليست قوانين مفروضة على المادة أو الطبيعة ، وإنّما هي تعبير عن و قع الطبيعة ، ولذلك فهي ميكانيكية ودائمة . وقال عن العقل والروح والفكر والإرادة والحياة أنها ألفاظ ليست لها موجودات تقابلها ، لكنها خواص أو قدرات ، فالعقل اسم جمع يشير إلى كل النشاطات التي يقوم بها المخ . وقال عن التفكير إنه ليس إفرازاً كإفرازات الغدد يختصّ به المخ كما يقول كابانيس ، لكنه نوع من الحركة عضوها المختص هو المخ والأعصاب ، وردّ كل النشاط الفكري للأحاسيس

واستجاباتها ، وشرط السلوك الفكري بحجم ووزن المخ بالإضافة إلى عوامل البيئة والوارثة والتربية ، ولذلك اعتبر الجنس الأسود أحط الأجناس . وهو حتمي في مجال الأخلاق يشرط ماهية الإنسان وما يفكر فيه ويريده ويشعر به على ضرورات الطبيعة . ويقول إن الاعتقاد في الحتمية يغير الكثير من اتجاهاتنا ، منها مثلاً اعتباراتنا للمجرمين حيث يمكن أن نعدّهم ضحايا لظروفهم وتكوينهم . ويعرّف الأخلاق بأنها الاحترام المتبادل للحقوق العامة والخاصة ، ويعرف الخير بأنه ما يمنح أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس ، والشر ما يقوضها أو يفسدها ، والمجتمع الصالح هو المجتمع الذي يدرك أن صالح الفرد لا يتعارض مع صالح الجماعة ، ويقول إن الشواهد العلمية تنكر وجود قوة خارج نظام الطبيعة ، ويرفض لذلك الغائية لأنه لا يعتبر للغاية تفسيراً سوى القوانين العلمية .

بوذية .... **Buddhism**

إحدى الديانات الكبرى التي تتقاسم سكان العالم وتنتشر في آسيا بشكل خاص ، وتقوم عليها ثلاث مدارس فكرية تفرعت إلى فرق لا عدَّ لها ولا حصر . وهذه المدارس الثلاث هي الثيرافادا **Theravada** أو مذهب الشيوخ أو المذهب السني الذي تطوَّر عن الهينايانا **Hinayana** وتعني لفظاً المركبة الأصغر ، والماهايانا **Mahayana** وتعني لفظاً المركبة الأكبر ، والفاجرايانا **Vagrayana** أو المركبة الماسية ، والأولى تنتشر في سيلان وبورما وجنوب شرقي آسيا ، والثانية في الصين وكوريا واليابان ، والثالثة في التيبت وما حولها ، ومن الصعب تحديد عدد معتنقي البوذية ، إلاَّ أنهم بالتقريب مائة وخمسون مليوناً بخلاف معتنقيها في الصين ، وتنتسب البوذية إلى بوذا (نحو ٥٦٣ - ٤٨٣ ق . م) بمعنى الفرد المستنير ، وإسمه الحقيقي سيد هارتا Sidharta ، ويسمونه الساكيا موني Sakyamuni أي حكيم عشيرة الساكيا ، واسمه العائلي جوتاما Gautama ، وكان ميلاده في قابيلا فستو من أعمال نيبال ، وكان أبوه شيخ عشيرة أوملكا ، ويُقال إنه في التاسعة والعشرين من عمره زهد حياته ، وهجر زوجته وابنه ، وتنسَّك ينشد الخلاص ، فلما لم يجده هام على وجهه ورافق الرهبان والمعلّمين ، وبعد ست سنوات أشرقت عليه الحقيقة فتفوّه بعبارته المشهورة « لم يعد لدي ما أفعله في هذه الدنيا » ، وجاءت هذه الفكرة - الدارما Dharma - بمثابة الاستنارة Bodhi ، وكان جالساً تحت شجرة البو التي أطلق عليها أتباعه من بعد شجرة الاستنارة ، وقام لتوّه يبشّر ويعظ بالدارما ، تلخصها الحقائق الأربع النبيلة : ١ - أن الحياة كئيبة غير مقنعة . ٢ - والطمع سر بلائها . ٣ - والقضاء على كآبتها ممكن بالقضاء على الطمع فيها . ٤ - والسبيل إلى ذلك هو الطريق الثماني النبيل الذي يتكوّن الرأي السديد والطموح السديد والقول السديد والسلوك السديد والتكسّب السديد والجهد السديد والعقل السديد والتفكير السديد ، وبذلك يتحقّق لنا الصفاء النفسي والفكري ، فنبلغ النيرفانا Nirvana ، وتعني الانطفاء ، وهي المرحلة التي يعود الفرد فيها يحس بنفسه كفرد أو ذات ، وإنّما يذوب ويتلاشىٰ في الوجود أو الحقيقة الكامنة وراء الوجود الظاهري ، وهو ما يسمىٰ بالاستنارة ، ويتم له ذلك بمقاومة عملية الكارما Karma ويعني الاعتقاد في الكارما أن الإنسان يولد من جديد بعد الممات ليواصل الحياة ، ولا ينجح في قطع هذا الاتصال والامتزاج بالمطلق إلاَّ البوذي ، والمطلق هو الخواء الذي يشيع في الوجود والذي يكمن خلف الظواهر . وتقوم الأخلاق البوذية على المحاذير الخمسة التي تنهي عن القتل (بما في ذلك قتل الحيوان) والسرقة والزنا والكذب والخمر . وكان من جرّاء اهتمام البوذي بخلاص نفسه أن اتهمت البوذية بأنها فردية ، ولذلك اتّجه بعض حكمائها إلى التبشير بمرتبة أدنى من مرتبة الاستنارة ينالها المؤمن بالبوذية الذي يؤجّل خلاص نفسه في حياة أخرى لاحقة من دورة حياته ، ويوجه حياته الحاضرة نحو مساعدة الآخرين على بلوغ الخلاص ، ولذلك يسمىٰ بالبوذي مستقبلاً Bodhisattva .وتفرعت عن البوذية في القرنين الثاني

والثالث قبل الميلاد مدرستان في الفلسفة وليس في الميتافيزيقا ، هما المادياميكا Madhyamika واليوجارسارا ، وتقوم الأولى على رد الكثرة إلى الوحدة ، وتقول بالمطلق . وتقوم الثانية على رد الكثرة إلى العقل وتنكر الوجود المادي ، وتنول إلى بلوغ النيرفان اليوجا وبالتأمل معاً .

وفي القرن الثالث قبل الميلادي اعتنق امبراطور الهند أشوكا البوذية ولكنها امتزجت بالأفكار الهندوسية ، وقضى عليها في القرن الثاني عشر دخول الإسلام الهند وبعث الهندوسية ، فانتقلت إلى سيلان ، ومنها إلى بورما وتايلند ولاوس وكمبوديا وفيتنام وإندونيسيا . واعتنقت الصين البوذية في عهد الامبراطور مينج (حكم من ٥٨ ـ ٧٥ ق . م) ، وزاحمت الكونفوشية وامتزجت بالتاوية ، وقامت عليها مدرسة التشان Ch'an (الزن Zen باليابانية) ، والتأمل في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، ومدرسة اللوتس أو التيناي (التينواي في اليابان) في القرن التاسع . وامتزجت البوذية بالشينتو Shinto في اليابان ، وقامت عليها عدة مدارس منها مدرسة شينجون Shingon ومدرسة الأرض الطاهرة Pure land School ومدرسة الهوكيز Hokkes . وفي التيبت امتزجت بديانة البون Bon وقامت عليها مدرسة أصحاب القبعات الحمراء ومدرسة أصحاب القبعات الصفراء . ولعلّ أهم كتب هذه المدرسة الأخيرة كتاب الموت الذي يشرح ما يطرأ على الذات من تغيرات من لحظة الموت حتى لحظة الولادة الجديدة ، ومدتها ٤٩ يوماً .

وقضت الماركسية على البوذية في الصين والتيبت، ولكن ظهرت حركة بعث جديدة رفعت إليها الحركات الوطنية في جنوب شرقي آسيا، وحركة الترجمة إلى اللغة الأوروبية ، وقامت مراكز بوذية في بلاد أوروبا كإنجلترا (١٩٠٦) وفرنسا (١٩٢٩) .

ولقد تحدث ابن النديم عن ديانات الهند وذكر منها البددة ، جمع بد وهو تحريف لاسم بوذا ، وكانت للبوذية تأثير كبير على ابن سبعين حين كتب كتابه المشهور تحت اسم « بد العارف » .

بوذية الزن .... Zen Buddhism

تفرعت عن بوذية الماهايانا ، ودعا إليها بوذيدارما Bodhidarma ، وكان قدومه من الهند إلى الصين نحو عام ٥٢٠ ، ولكن حركته لم يصلب عودها إلا في القرن السابع بفضل تعليم هيوننج (٦٣٧ ـ ٧١٣) ، ولم تنتقل إلى اليابان إلا في القرن الثاني عشر ، وهي مزيج من بوذية الهند وتاوية الصين، وتعتمد على طقوس من شأنها أن تحقق لممارسها الاستنارة المفاجئة بالمعنى البوذي الذي هو ميلاد جديد بوعي جديد ، يتحصل به الخلاص من البيئة والسيطرة على النفس وشهواتها والعقل وأفكاره، والاتصال بالطبيعة على طريق التأمل . وانشعبت الزن إلى الرينزاي Rinzai التي دعا إليها إساي Eisai (١١٩١) والسوتو Soto التي أقامها روجين (١٢٢٥) ولكن الرينزاي هي التي قدر لتعاليمها أن تروج وتجد لها أصداء في أوروبا الغربية وأمريكا بوجه خاص في السنوات الأخيرة .

بوريدان Buridan

(نحو ١٢٩٥ ـ ١٣٥٦) يوحنا بوريدان ، فرنسي ، درس في باريس مع أوكام ، وعلم فيها ، واشتهر بكتابه المسمى « **النتائج** » (١٤٩٣) ، ويعتبر من أفضل كتب المنطق في العصر الوسطي ، وأول محاولة في تاريخ المنطق لتمييز الاستنتاج من حيث هو فعل ذهني عن صورة القياس . وينسب إلى بوريدان الدليل المسمى بدليل بوريدان ، وهو قوله : لو وضعنا حماراً على مسافة واحدة من الماء والعلف ، وكان عطشه مساوياً لجوعه ، لما استطاع أن يرجح جانباً على آخر . وهو قول شبيه بقول الغزالي في حدوث العالم في « تهافت الفلاسفة » ، « فحدوث العالم يقتضي حدوث مرجح ، لأنه لو كان بين يدي العطشان قدحان من الماء متساويان من كل وجه بالإضافة إلى غرضه ، لم يمكنه أن يأخذ

أحدهما ، بل إنما يأخذ ما يراه أحسن وأخف وأقرب إلى جانب يمينه . إن كانت عادته تحريك اليمين ، أو سبب من هذه الأسباب إما خفي وإما جلي ، وإلا فلا يتصور تمييز الشيء عن مثله بحال » . ويفترض الغزالي أيضاً « ثمرتين متساويتين بين يدي المتشوق إليهما ، العاجز عن تناولهما جميعاً ، فإنه يأخذ إحداهما لا محالة بصفة شأنها تخصيص الشيء عن مثله » .

بوزانكيت .... **Bosanque**

(١٨٤٨ - ١٩٢٣) برنارد بوزانكيت ، إنجليزي ، تعلم بأكسفورد وعين استاذاً بها ، وانتقل إلى لندن ومات بها . أهم كتبه « **المنطق أو مورفولوجيا المعرفة Logic or the Morphology of Knowledge** » (١٨٨٨) ، و « **مبدأ الفردية والقيمة The Principle of Individuality and Value** » (١٩١٢) ، و « **قيمة ومصير الفرد The Value and Destiny of the Individual** » (١٩١٣) . وكان بوزانكيت يصغر برادلي بسنتين ، وصار مثالياً مثله ، بتأثير جرين وهيجل وبرادلي نفسه الذي تأثر ببوزانكيت بدوره وخاصة كتابه في المنطق ، ومع أن الاثنين كانا مثاليين إلا أنهما كانا أحاديين مطلقين Absolutists ، وكان بوزانكيت أكثر هيجلية وأقل تشككاً من برادلي ، ومع أن كتابه المنطق ظهر في نفس السنة التي ظهر فيها كتاب المنطق لبرادلي إلا أنه يبدو غير متأثر به ، ويرى أن الحقيقة لا تدرك إلا إذا أخضعناها لمقاييس المعرفة ، والبحث فيها كالبحث في الوقائع التي تخضعها للتجربة والتي لا يمكن أن نصدر بشأنها الأحكام ،إلا إذا نظمناها في شكل معرفة . ولا يتميز الحكم عن الاستدلال ، فالحكم استدلال لم يصبح صريحاً بعد ، والاستدلال حكم صريح . وإذن فليس هناك فكر خالص ذو منطق خالص ، وإنما الوجود مركب من الكلية والتشخص ، والمنطق هو العلم الذي يجعل الأشياء قابلة للمعرفة بالاعتماد على التجربة ، والوجود موجود فردي معقول مستوعب لكل شيء ، وما سواه جزئي . ويفرق بوزانكيت بين الكلي المجرد كاللون الأحمر ، والكلي المتعين مثل يوليوس قيصر ، والكلي المجرد تكرار لخاصية واحدة في حالات متعددة ، بينما الكلي المتعين تحقق هذا الضرر ، فيما يصدر عنه من أفكار أو تصرفات متباينة . وتظهرنا التجربة الدينية والتأمل الفني والأفعال الخلقية على أن تحقيق أنفسنا لا يكون إلا بتسليم أنفسنا لشيء أكبر من الأنا هو المطلق الذي يجاوز الكليات المتعينة الجزئية ويوجد بينها . والمجتمعات كالأفراد كليات متعينة ، ولكنها كليات أكبر ، فالفرد عالم مصغر والمجتمع عالم مكبر ، وكلاهما مترابط ؛ بحيث أن ما يوجد من عناصر في الواحد لا بد أن يوجد في الآخر . ويؤكد بوزانكيت الأثر الحضاري للدولة على الفرد ، ويقول إن الذات العامة أو الشخصية الخلقية تتجمع لتبدو ألصق بالحقيقة من ذات الفرد . وهو ضد القسر إلاّ أنه يؤيّد العقاب الذي يترك أثره على الذات الدنيا ويلهب الذات العليا أيضاً ويكون لها كالصدمة ينبهها إلى المطالب الاجتماعية . ويقول إن الدول كائنات مسؤولة خلقياً لكنها لا تفعل الخطأ كما يفعله الأفراد ، فالدول تقصر لكنها لا تخطىء ، وعندما ننقد الدولة لأنها أعدمت معارضاً ، لا نفعل ذلك لأنها ارتكبت جريمة قتل لكن لأنها فشلت أن تضطلع بمهامها وواجباتها كدولة .

بوفيندورف .... **Pafendraf**

(١٦٣٢ - ١٦٩٤) صامويل بوفيندورف ، أبرز الفلاسفة الاجتماعيين في أوروبا في القرن السابع عشر ، وأول فيلسوف للثقافة في ألمانيا ، ورائد حركة القانون الطبيعي العلمي في ألمانيا في القرن السابع عشر . ولد في دور فيشمنتز بساكسونيا ، وأهم كتبه « **انقانون الطبيعي والقانون الدولي** » (١٦٧٢) ، وبسببه اتهم بالكفر ، لكن ملك السويد انبرى للدفاع عنه وحمايته ، وعينه مؤرخاً للبلاط . وفلسفته جماع تجريبية بيكون ومنطقية ديكارت ، ولقد حاول أن يوحد مذهب هوبز الذي يقضي بوجوب سيادة القانون والذي ينهض على القانون الطبيعي بالمعنى التجريبي (حرب

الكل ضد الكل) بمذهب جروتيوس الذي يقيم القانون الدولي على القانون الطبيعي بالمعنى الوجداني (ميل المجتمع Ordo Amoris) ، ولهذا أطلقوا على بوفيندورف أنه رائد عقلانية القرن الثامن عشر . وهو يرى أن أي مجتمع لا بد أن يقوم على عناصر أربعة هي السيادة ونوع الحكومة وقوة الدولة وعدد السكان ، ويصف هذه العناصر بأنها أسس أنطولوجية أو مبادىء خلقية لأية حياة اجتماعية .

بول .... Boole

(١٨١٥ - ١٨٦٤) جورج بول ، واضع المنطق الرياضي ، فإذا كان لايبنتس هو المكتشف الأول لهذا المنطق ، فلا شك أن بول هو ثاني مكتشفيه ، وهو الذي أقامه غير متأثر في شيء بالمنطق القديم ، لأنه لم يكن يعرف عنه شيئاً كثيراً ، فاستطاع في حرية أن يضع المنطق الرياضي . وبول انجليزي ، لم يتلق تعليماً جامعياً ، ولكن بحثه « منهج عام في التحليل » الذي نشره وهو في الثالثة والعشرين ، فاز بميدالية الجمعية الملكية ، ثم كان بحثه « التحليل الرياضي للمنطق » (١٨٤٧) أول تطبيق ناجح لمناهج الجبر على المنطق ، وكان أساس كل التطورات اللاحقة في هذا المجال ، ولذلك أصدرت كلية الملكة في كورك قراراً بتعيينه أول استاذ للرياضيات بها (١٨٤٩) رغم أنه لم يكن جامعياً .

ويعد بول أول من أدخل المعادلات والقوانين الجبرية والعمليات الحسابية في المنطق ، فقد وضع حساباً كاملاً ، واستعمل نظاماً ثابتاً من الرموز الصالحة لأن تستخدم وتهذب فيما بعد ، وكانت عنايته متجهة بوجه خاص ، كما قلنا ، إلى استعمال الجبر وقوانينه في المنطق ، وبهذا كان الواضع الحقيقي لما يسمى منطق الجبر ، حتى ليسمى باسمه ، جبر بول ، وهذا الفرع من المنطق الرياضي الذي بلغ أعلى درجات تطوره عند شرويدر . وامتدت تطبيقات بول إلى نظرية الاحتمالات ، ونشر نحواً من خمسين مؤلفاً ، منها « قوانين الفكر » (١٨٥٤) و « دراسات في المنطق والرياضيات » الذي نشره أتباعه (١٩٥٢) الذين توفروا على بحوثه وواصلوها من بعده : جيفونز وفن وبيرس وشرودر .

بولس الرسول .... Saint Paul

يهودي روماني ، من طرسوس ، تربى في أورشليم ، وكان يدعى شاول ، من الفريسيين ، وكان شديد العداء للمسيحيين ، بالغ الإنكار لدينهم ، ثم فجأة تحول إليه (٣٣م) ، وأخذ يبشر باسم المسيح ، وهو أمر ليس له مشابه في تاريخ الديانات كلها ، أن ينتقل شخص من الكفر المطلق إلى الرسالة في الدين ، من غير استعداد لتلقي الوحي ، وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام ، ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته ، فإذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها ، فلا ينبغي على الأقل أن يكون قبلها ما ينافيها ويناقضها (محاضرات في النصرانية - الشيخ محمد أبو زهرة) .

وشاول أو بولس الرسول هو ناشر المسيحية ومفسرها ، وتأويلاته الواسعة هي التي أخذت بها الكنيسة وقامت عليها المسيحية كعقيدة ، وهي التفسيرات والتأويلات التي اعتبرها الكثيرون من المصلحين المسيحيين من بعد أصولاً رواقية وثنية للمسيحية ، وأنكروها عليها .

ويبدو أن لشاول في المسيحية نفس الدور الذي لعبه عبد الله بن سبأ في الإسلام ، وما كان أحرى أن تنسب المسيحية إلى شاول بدلاً من المسيح لأن الموجود منها حالياً هو رؤيا شاول للمسيحية حتى لكان من الأولى تسميتها الشاولية أو البولسية ، فشاول هو الذي نقل فكرة الحلول ، وأعاد عبادة الإلهة الأم الكبرى ، وأدخل التناول الطوطمي من حيث يتناول المؤمن لحم ودم المخلص فيتوحد به ، مكرراً نفس محتوى العيد الطوطمي الذي كان رائجاً لدى الكثير من الشعوب ، وبذلك أصبحت المسيحية ، في النواحي الرئيسية منها عبارة عن نكوص ثقافي بالمقارنة بالديانة اليهودية التي

سبقتها (فرويد ـ موسى والتوحيد) . ولقد حبس شاول في القدس مرتين ، وسيق إلى روما حيث قطعوا رأسه سنة ٦٧م .

بومبوناتزي Pomponazzi

(١٤٦٢ ـ ١٥٢٥) بطرس بومبو ناتزي ، أشهر أساتذة الفلسفة الأرسطيين في عصره ، إيطالي ، ولد في مانتوا ، ودرس في بادوا ، وصار استاذاً للفلسفة بها ، ثم في جامعة بولونيا ، وتزوج ثلاث مرات . أشهر كتبه « خلود النفس **De Immortalitae Animae** » (١٥١٦) ، أثار جدلاً شديداً ، وأمرت محكمة التفتيش بحرقه ، وكتب بعده كتاب « **القدر** » ، وله محاضرات في أرسطو أثارت الباحثين عليه حيث أنه كان دائم التغيير والتعديل من آرائه من سنة إلى سنة ومن نسخة إلى نسخة ، إلا أنه بشكل عام ظل وفياً للخط الاسكولائي الذي اشتهرت به بادوا من القرن الثالث عشر حتى القرن السابع عشر ، والذي كانت به جامعتها أرسطية ، تدرس أرسطو بتأويل ابن رشد ، ولذلك لم تتجه إلى الدراسات اللاهوتية كالجامعات في شمال إيطاليا ، بل اتجهت إلى الدراسات العلمانية ، وبرعت في الطب والعلوم العقلية والطبيعيات . وفي تدريسها لأرسطو كانت تركز على المنطق والفلسفة الطبيعية أكثر من الأخلاق والميتافيزيقا . وكتابه « القدر » أطول كتبه وأصعبها ، ويناقش مسائل الحتمية والإرادة الحرة ، ويقرر أن ما دفعه إلى كتابه « خلود النفس » آراء الأكويني ، ويختلف معه حول لزوم الخلود من مبادىء أرسطو ، وينحرف عن قول ابن رشد أن النفس العامة لكل البشر خالدة ، وأن النفس الشخصية لكل فرد فانية ، وكان الرشديون يزعمون أن العقل يفعل بدون الجسم ، وأنه بناء على ذلك مفارق وخالد . ويرد بومبوناتزي بأن العقل لا يستطيع أن يفعل في استقلال تام عن الجسد ، ومن ثم فلا دليل على أنه مفارق . وينكر قول أفلاطون بوجود نفس خالدة وأخرى فانية ، ويرفض أن يكون للنفس الإنسانية طبيعتان مستقلتان ، لكنه يقرر مع الإسكندر الهاليي ان العقل الإنساني يحتاج الجسم كموضوع له ، ولا يستطيع أن يفعل دون مساعدة من صور الحس والخيال ، ولكنه يختلف عن النفس الحيوانية ، فهو يتخذ ذاته موضوعاً له ، ويفهم الكليات ، ومن ثم يشارك ، بشكل ما ، في الخلود . ويقسم بومبوناتزي العقل إلى ثلاثة عقول ، العقل المتأمل وتحظى به القلة ، والعقل التقني وتتمتع به بعض الحيوانات ، والعقل العملي يشترك فيه كل البشر ، وهو خاصتهم . والتفكير الفلسفي صنعة العقل المتأمل ، ويفترق الفلاسفة عن بعضهم بقدر ما يكون لهم من نصيب من هذا العقل ، والتفكير الفني صنعة العقل التقني ، وبعض الحيوانات والبشر يتشابهون كالنحل والمهندسين ، ويكون المهندس مهندساً بما له من نصيب من هذا العقل ، ولا فضل للإنسان في أن يكون فيلسوفاً أو مهندساً ، فهذا شيء راجع إلى نصيبه من العقل المتأمل أو التقني . لكن العقل العملي هو التفكير الذي يهدي الإنسان لعمل الخير أو يدفعه لارتكاب الشر ، وهو تفكير ذاتي نابع من الأفراد وغير مدفوع إليه ، فأنت حر أن تكون خيراً أو شريراً . ولا يهم الإنسان إن كان مهندساً أو فيلسوفاً موفقاً ، لكنه يغتم إن ألحق الشر بالناس ، أو وصف بالشر ، ومن ثم فإن الغايات النهائية للبشر مصدرها هذا العقل ، والإنسان مدعو أن يتصف بالفضيلة ما أمكنه . والناس غير مطالبين أن يكونوا جميعاً فلاسفة ومهندسين ، وليس في مقدورهم أن يكونوا جميعاً كذلك ، ولكنهم جميعاً مطالبون أن يمارسوا الفضيلة ، وأن يتصفوا بها ، وهو شيء في استطاعتهم ، يستوي فيه الفيلسوف والمهندس والفلاح والعامل والغني والفقير ، فإن تحقق له ذلك كان راضياً بنصيبه ، قانعاً بما قسم له طالما أنه يعيش حياة فاضلة ، ولا يهم بعد ذلك إن كان مهندساً أو فيلسوفاً أو عاملاً . وبومبوناتزي ينحرف عن أرسطو عندما يجعل غاية ما يصبو إليه الإنسان الفضيلة وليس التأمل ، والغاية الطبيعية للإنسان هي طبيعته الإنسانية ، ولذلك يسفه بومبوناتزي حجة القائلين بضرورة الثواب والعقاب في

الحياة الآخرة ، وينسب النقص لهذا المفهوم لخطأ التصور القائم عليه ، ويقول إن الفضيلة التي تصنع تحصيلاً لثواب مغاير لها ، ليست فضيلة ، وأن الثواب الصحيح هو الفضيلة نفسها ، وما يكون عليه الفاضل من اغتباط بصنعها ، والأجر المغاير للفضيلة ثواب عارض لا صلة له بها ، وكذلك الرذيلة فعقابها فيها ، حتى لو لم يترتب عليها ألم خارجي . والفاضل الذي يفعل الفضيلة ولا يبتغي من ورائها أجراً أسمى من الفاضل الذي يرجو الأجر ، والرذيل الذي لا يناله عقاب من الخارج ، قسطه من العقاب أوفى من الرذيل الذي يلحقه العقاب ، لأن العقاب المنطوي في الذنب نفسه أسوأ من أي عقاب في شكل أذى يحل بالمذنب . وفي كرامة الفضيلة وعار الرذيلة ما يكفي لمحبة الأولى والترفع عن الثانية . وما ينبغي للإنسان ، سواء كان فانياً أم خالداً ، أن ينحرف عن الخير .

بومجارتن .... **Baumgarten**

(١٧١٤ ـ ١٧٦٢) ألكسندر جوتليب بومجارتن ، صاحب مصطلح « علم الجمال » ، اعتبره كنط من أبرز الميتافيزيقيين في زمانه ، وقرَّر كتابيه « **الميتافيزيقا** » (١٧٣٩) و « **الفلسفة الخلقية** » (١٧٤٠) كمرجعين لمحاضراته في كونيجزبرج .

وفلسفة بومجارتن في معظمها يدين بها لفولف ولايبنتس ، إلاَّ أن إضافاته في علم الجمال الذي يتحدَّث عنه في كتابيه « **تأملات فلسفية** » (١٧٣٥) و « **علم الجمال** » (١٧٥٠) يقصد بها المعرفة الحسية ، وعلم الجمال هو العلم الذي قوامه هذه المعرفة كنقيض للمعرفة العقلية التي ينهض عليها علم المنطق ، وعلى العلمين معاً : علم الجمال ، وعلم المنطق ، تقوم نظرية المعرفة . ويعرف العمل الجميل بأنه الحس الذي يلهب المشاعر ، ويقول إن الفنان مقلّد للطبيعة ، بمعنى أنه يستوحي انفعالاته منها ويخاطب بها انفعالات الآخرين ، وبذلك يبدع كالطبيعة ، أي يقلّدها في الإبداع .

بونافنتورا .... **Bonaventura**

(١٢١٧ ـ ١٢٧٤) اسكولائي إيطالي ، تتلمذ على ألكسندر الهاليي وحنَّا لاروشيل ، وصارَ أستاذاً للاهوت بجامعة باريس ، ثم انتخبَ رئيساً عاماً لرهبان الفرنسيسكان سنة ١٢٥٧ . وتبلغ كتبه الفلسفية واللاهوتية عشرة ، أهمَّها « عن معرفة المسيح » و « عن سر الثالوث الأقدس » و « عن إرجاع الآداب إلى اللاهوت » و « رحلة العقل إلى الله » ويشتهر بونافنتورا كلاهوتي أكثر منه كفيلسوف ، ويصوّره دانتي في « الجنة » وأفاييل في « المناظرة » نداًلأكويني ، وهويقول بصدور العالم عن الله ، ويأخذ نظريته في الصدور أو الفيض من الفارابي وابن سينا وابن رشد ، ومؤدّاها أن كل المخلوقات ، بعملية أزلية حتمية ، تخرج من العقل الخلاق لله ، تدفعها سلسلة من الأسباب الوسيطة ، وتجتزىء من الكمال المطلق اجتزاء دائم التناقص ، وكان المسلمون قد طرحوا نظرية الفيض لتؤلّف بين نظرية أرسطو في أزلية العالم ومفهوم القرآن في خلقه ، ويأخذ بونافنتورا بها لكنه يرفض الإقرار بأن العالم أزلي ، وأن المادة أزلية ، وبوجود مبدأين للخير والشر وأسباب وسيطة . والصدور يعني الفيلسوف والميتافيزيقي ، والإآله ، كعلة أخيرة وغاية أخيرة تسعي الإنسان إلى السعادة ، يعني الفيلسوف والميتافيزيقي ، لكن الميتافيزيقي وحده هو الذي يستطيع أن يفهم أن الله هو السبب الأمثل وبتحليل هذه الناحية من علم الأسباب والمبادىء الأولية يمكن أن يكون الإنسان ميتافيزقياً حقيقياً . وهو يبدأ هذه الرحلة الميتافيزقية مستعيناً بالعقل ، لكن لا يتمها إلاَّ الإنسان المؤمن . ويفضل بونافنتورا أفلاطون على أرسطو ، ويصف الأول بأنه حكيم ، وينعت الثاني بأنه عالم ، لكنه يفضل عليهما أوغسطين ، لأن أفلاطون يتطلَّع إلى أعلى ، إلى عالم القيم الأزلية ، بينما ينظر أرسطو في اتجاه الأرض ، إلى العالم المحسوس الذي أهمله أفلاطون ، ولكن أرسطو يخطىء خطأً بالغاً برفضه لأفلاطون برمّته ، كما أن أفلاطون يخطىء أيضاً لأنه لا يحاول تفسير العالم

بالرجوع إلى أسبابه ، أما أوغسطين فيجمع بين عالم أرسطو وحكمة أفلاطون ، ويمثل الحكمة المثلى ، وهي حكمة لاهوتية صوفية ، فمهمة الفلسفة معاونة اللاهوت والتكمل به ، ومهمة اللاهوت التوجّه إلى التصوف ، لكن الاجتزاء بالفلسفة يشوه الحقيقة ، في حين أن الفيلسوف اللاهوتي يرى امتناع تعقل العالم بدون إرجاعه إلى الله علته الفاعلية والنموذجية والغائية . وللنفس عند بونافنتورا عقلان ، عقل أدنى يتجه إلى المحسوسات ، وعقل أعلى يتجه إلى الله ويتصل دائماً بالحقيقة الدائمة ، فالإيمان بوجود الله فطري ، وليس التدليل على وجوده إلاَّ من قبيل التفسير لهذا الإيمان ، وهو يصطنع في ذلك دليل أنسلم المشهور ، أو دليله البسيط الذي يقول بصدده أن الإنسان الذي يقول بعدم وجود الله يناقض نفسه ، لأن الله موجود في عقله ، وهو لا يتصور من هو أعظم منه ، ومن لا نتصور أعظم منه لا يوجد في العقل فقط ، لكنه يوجد أيضاً في الواقع ، لكن الأحمق وحده هو الذي يقرّ بوجوده في عقله لكنه لا يقر بوجوده في الواقع .

بونالد .... **Bonald**

(١٧٥٤ - ١٨٤٠) لويس دي بونالد ، فرنسي ، هاجر خلال الثورة الفرنسية إلى هايدلبرج وكوستانس ، وانضمّ لحلقة الكتاب الملكيين الذين نشروا سنة ١٧٩٦ مجموعة من الكتب المعارضة للحزب الثوري ، وهو من أصحاب المذهب الفلسفي الذي يعارض المذهب الفردي ، ومن أكبر الناقدين لفلسفة القرن الثامن عشر الفردية ، الحاملين على الثورة الفرنسية بوصفها وليدة هذه الفلسفة ، وينكر على المذهب الفردي إعلاءه للفردية ، وتأسيسه للاجتماع على الاتفاق لا على الضرورة ، وتأكيده بإمكان بلوغ الحقيقة بقوة العقل الذاتية ، ولكن بونالد يقول إن الإنسان لم يبلغ ما بلغَ من العلم إلاَّ لأن الله قد أوحىٰ له به ، وأنزلَ على الإنسان الألفاظ التي تقابل المعاني ، وأهم كتبه في ذلك « **نظرية السلطة السياسية والدينية** » (١٧٧٦) ، أتبعه بعدد من الكتب أهمها «تحليل القوانين الطبيعية للنظام الاجتماعي » و « **الشريعة الأولى** » . وهو يقول إن الإنسان يتميَّز بالعقل حقيقة ، لكن به حقائق كلية يشترك فيها الناس أجمعين . وهو وإن تميَّز بالعقل إلاَّ أن المجتمع هو الذي يعلّمه الألفاظ فيدرك بها المعاني . وهو لا يصل إلى علمه بنفسه ، لكن الله هو الذي يوحي إليه بكل العلم ، وباللغة نفسها ، باللغة كامنة في العقل تمون الفكر ، وليست من اختراع الإنسان كما يدعي فلاسفة الفردية ، وإدراك المعاني ممتنع دون النطق الباطن باللفظ الدال على المعنى ، ومن ثمَّ تكون اللغة من نعم الله على الإنسان ، ويكون تشابه اللغات وإن بدا أنها متباينة ، وينقل المجتمع المعاني واللغة إلى الفرد ، ولا يكتشفها الفرد بنفسه . وهذه المعاني واللغة هي التراث الموصول ، والذي قد تنقطع حباله في فترة من الفترات ، هي الفترة التي تقوم فيها الثورات ، لكن الإنسانية تعود إلى التراث بعودة الصحة الاجتماعية إليها ، فيعود الناس إلى نشاطاتهم السياسية وعقيدتهم الدينية الموصولة بالماضي وبتراثهم ، ومثلما أن الكون لم يخلقه ولا يحكمه إلاَّ إلٓه واحد ، فكذلك المجتمعات والديانات لا ينبغي أن تكون إلاَّ صوراً للملكية الرشيدة التي يحكمها الملك مطلق السلطة ، وأن تكون الكنيسة هي الكنيسة الكاثوليكية التي يقضي فيها البابا ، وأن تكون هي الوسيط بين الله والمجتمع ، وأن يناط بها أمور الأخلاق . ولم تسقط الملكية إلاَّ لأن الكنيسة الكاثوليكية المطلقة قد تقوّضت بالبروتستنتية التي نقلت سلطتها على الأخلاق إلى الأفراد أنفسهم . وعارضَ بونالد حقوق المرأة والطلاق وحرية الصحافة ، وكان رجعياً بالمعنى الكامل للمصطلح ، وتأثَّر بآرائه بطريقة غير مباشرة الشاعر الإنجليزي إليوت .

بوهرة .... **Bohoras**

فرقة من الشيعة الإسماعيلية ، تعيش في الهند وباكستان ، وتؤيّد دعاوى المستعلي (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ) على خلافة مصر الفاطمية ضد أخيه نزار

الذي يؤيّده الحشاشون . والبوهرة ، كما يدل على ذلك اسمها من اللغة الكجراتية ، طبقة من التجار ، وينسبون أنفسهم إلى أصول يمنية ، وكانوا حتى سنة ١٥٣٩ يحجّون إلى اليمن حيث كان يوجد زعيمهم ، حتى رحل إليهم يوسف بن سليمان ، غير أنهم انقسموا إلى داودية تؤيّد دعوة داود بن عجب ، وهؤلاء هم الغالبية ، وسليمانية تؤيّد رجلاً يمنياً يدعى سليمان ، وعلوية تؤيّد علياً حفيد الشيخ آدم الملا الأكبر ، وناكوشية خرجت على العلوية وتحرم اللحم .

والبوهرة لا تطبع من كتبها إلاَّ النزر اليسير الذي لا يلقي ضوءاً على المذهب ، ومعظم كتبها مخطوطات يستبقونها سراً ويتداولونها بينهم شخصياً .

بويس .... **Boethius**

أنيسيوس مانليوس سفيرينيوس بويس (٤٨٠ - ٥٢٤ م) من كبار صنّاع الفكر في العصور الوسطى ، وتوصف الفترة الباكرة من المرحلة الإسكولائية (من ١٠٠٠ إلى ١١٥٠) بأنها العصر البويسي ، كما توصف الفترة التالية بأنها أرسطية ، ويقال عنه إنه آخر الرومانيين الذين قرؤوا أرسطو وأفلاطون بالإغريقية ، وكان لترجماته وشروحه أثرها البالغ على الذين بعثوا الديالكتيك في القرن الحادي عشر وطبعوه بالطابع الأرسطي .

ولقد ولد بويس لأسرة عريقة ، وكان أبوه قنصلاً لروما وحاكماً للمدينة ، علَّم ابنه الآداب والفلسفة ، وربما كان قد أرسله إلى أثينا ، ودخل ابنه الحياة العامة في سن باكرة وسرعان ما صارَ هو نفسه قنصلاً للملك ثيودويك الاستروجوني (٥١٠ م) ، وشغل منصب رئيس وزرائه عدة سنوات ، وصارَ ابنان له قنصلين ، ولكن الملك قبض عليه واتَّهمه بالخيانة العظمىٰ ، ولا نعلم شيئاً عن موضوع تهمته ، وسجنه لمدة عام ثم أعدمه (٥٢٤ م) ، وأعدمَ حماه من بعده بعام ، ثم أعدم البابا جون الثاني (٥٢٦ م) .

وكان بويس يأمل أن ينقل كل مصنَّفات أرسطو وأفلاطون ، وأن يشرحها ، ولكنه لم ينجز منها سوى ترجمة مقدمة فورفوريوس (إيساغوجي) والمقولات (المنطق القديم) والتحليلات الأولى والثانية ، والمغالطات ، والجدل (المنطق الجديد) . وكتب بويس بالإضافة إلى ذلك شرحين لمقدمة فورفوريوس ، واحدة للمبتدئين والأخرى مصنفه الأكبر ، وشروحاً للمقولات ولترجمة فكتورينوس للمقدمة ولكتاب الجدل لشثرون ، ولكن تحفته كان كتاب « عزاء الفلسفة » الذي خطَّه في سجنه في بافيا ، وهو حوار ، بالنثر والنظم ، بينه وبين الفلسفة ، يزعم فيه أن السعادة معاناة ، وأدلَّته رواقية أحياناً ، وأفلاطونية محدّثة أحياناً أخرى ، والنغمة السائدة فيه دينية ، لكنها ليست مسيحية .

وفي كتبه المنطقية يرى بويس أن موضوع المنطق هو دلالة الألفاظ ، وأن الكليات مجرد أسماء ، وهو في شرحه على « إيساغوجي » يرد على تساؤلات فوزفوريوس الشهيرة « هل للأجناس والأنواع وجود في الخارج ، أو أنها مجرَّد تصورات في الذهن ؟ وإن كانت موجودة في الخارج ، فهل هي مادية أو لامادية ؟ وإن كانت لامادية ، فهل هي مفارقة للمحسوسات أو لا وجود لها إلاَّ في المحسوسات ؟ ويجيب بويس أن الأجناس جواهر ، والأنواع جواهر ومعانٍ في نفس الوقت ، وهي لامادية بالتجريد لا بالذات ، وهي موجودة في المحسوسات وخارجها أي في العقل .

بيانو .... **Peano**

(١٨٥٨ - ١٩٣٢) جيوزيبي بيانو ، إيطالي ، اشتهر بتطويره للمنطق الرياضي وبكتابه « مدونة المعادلات الرياضية » (١٨٩٥) ، قال فيه إن الرياضيات البحتة تشتمل على مصادرات تتضمن بعض النظريات ، ومنطقها هو صدقها ، ولا نوعاً آخر من الصدق مطلوب في الرياضيات البحتة . وقد رأى أن المنطق على يد بيرس وشرويدر قد أصبحَ قادراً على التعبير عن كل الإضافات التي توجد بين الكميات في

الرياضيات بأنواعها ، والتي بفضلها تصبح المصادرات نظريات بطريقة استدلالية صرفة ، فكان ذلك دافعاً له إلى أن يخطو خطوة جديدة بتطبيق التعبير المنطقي الرياضي عن هذه الإضافات في الرياضيات نفسها ، ثم الاستدلالات المستخدمة في الرياضيات دون أن تكون مصوّغة من رموز منطقية رياضية . وتبيّن من هذا التزاوج بين الرياضيات والمنطق الرياضي أن هذا المنطق هو الأساس في البرهنة الرياضية وطبيعة الرياضيات نفسها . ولهذا نتائج أهمها اثنتان : فإنه بتطبيق الرموز المنطقية الرياضية الدالّة على الإضافات المنطقية والعمليات الذهنية في الرياضيات استخرج بيانو أنواعاً جديدة من الإضافات المنطقية ، ووضع تفرقات لم تلاحظ من قبل ، فهو مثلاً فرّق بين الإضافات الموجودة بين فرد في صنف ، وبين الصنف نفسه ، وبين الإضافة الموجودة بين صنف داخل تحت صنف وبين هذا الصنف نفسه ، وهي الإضافة التي بين أ و ب حينما تكون كل أ هي ب . والنتيجة الثانية هي النظر إلى الرياضة البحتة على أنها علم مجرَّد مستقل عن أي مادة أو موضوع تنطبق عليه ، فإنه إذا كان المبدأ الأصلي في الرياضيات هو أن بعض المصادرات تتضمن بعض النظريات ، وإذا كان كل تضمن في الرياضيات مثالاً تطبيقياً لمبدأ استدلال صادق صدقاً كلياً (مبدأ المنطق) ، فإنه لا يمكن أن تكون ثمّة خطوة في برهان رياضي تتوقف على طبيعة فراغنا الخاصة أو الخواص التجريبية للمجاميع المعدودة .

بيانية Bianiya

أتباع بيان بن سمعان التميمي ، وهو من الغلاة القائلين بإلهية علي ، قال حل في علي جزء إلهي ، واتحد بجسده ، فبه كان يعلم الغيب ويحارب الكفار ، وزعم أن معبوده على صورة إنسان عضواً فعضو ، وقال يهلك كله إلا وجهه .

بيرتالانفي Bertalanffy

لودفيج بيرتالانفي ، من أبرز دعاة العضوانية Organicism ، ولد في النمسا (١٩٠١) وتعلم بجامعة فيينا ، وعلم بها ، وهاجر إلى كندا وعين استاذاً للبيولوجيا النظرية بجامعة ألبرتا . أهم كتبه « **النظريات الحديثة في التطور** » (١٩٢٨) ، ويسمي فلسفته « نظرية النسق العامة General System Theory ، ويصفها بأنها ثورة فكرية من الثورات الكبرى في تاريخ الفكر ، غير أن النقاد لم يجدوا فيها جديداً على مستوى الثورات ، وهو يرى أن الكائنات الحية ، وكل الطبيعة ، عبارة عن بناءات هندسية عظيمة يسميها نسقات ، ويصفها بأنها فريدة في تكوينها وقوانينها ، وأن هذه النسقات قد آلت إليها بفعل استمرار وتدفق العمليات الحيوية التي تتضافر على استحداث هذه الأنماط المعقدة وتملأها بالنشاط ، وأنها تكتسب استقلالاً ذاتياً عالياً . وتتدرج في سلم الترقي من الكائنات الوحيدة الخلية إلى الأفراد المتعددي الخلايا ثم تجمعات الأفراد التي تعلو على الأفراد .

بيرديائيف Berdyaev

(١٨٧٤ ـ ١٩٤٨) نيقولا بيرديائيف ، روسي ، من طبقة النبلاء ، ولد بالقرب من كييف ، وبدأ ماركسياً ونفي لمدة ثلاث سنوات ، ولما انتصرت الثورة البلشفية عينته استاذاً للفلسفة بجامعة موسكو ، لكنه اتجه بتعليمه وجهة مسيحية تتعارض مع الماركسية فأخرج من الجامعة ، وارتحل منفياً إلى برلين حيث انشأ مدرسة لتعليم الفلسفة والدين (١٩٢٢) ، نقلها إلى باريس (١٩٢٤) ، وأصدر مجلة « الطريق » وأكثر من عشرين كتاباً ، أهمها « **معنى التاريخ** » (١٩٢٣) و « **قدر الإنسان** » (١٩٣١) و « **العزلة والمجتمع** » (١٩٣٤)و « **البداية والنهاية** » (١٩٤٧)و « **الحلم والواقع** » (١٩٤٩) . وفلسفته مزيج من الوجودية والماركسية والمثالية تصطبغ بصبغة دينية . وهو يقول إن الوجود تفاعل رباني مستمر **Theogonic Process** ، وإمكانية خالصة تتحول إلى واقع بفعل إلهي هادف تتولد به قيمة جديدة . وعملية الخلق تولد مستمر للقيمة تشارك فيها كل الموجودات ، وكلها بما فيها الله

والانسان تسعى لإبداع أقصى ما تستطيع من قيمة . وعملية الخلق تجل مستمر لله . ويطلق بيرديائيف على نظريته التعددية الواحدية **Monopluralism** ، والإنسان نواة هذه النظرية ، وهو فرد فريد يحقق إمكانياته بالتفاعل والتواصل باستمرار بالآخرين ، وبالله ، وبذا يستحيل إلى شخصية **Personality** ، ويعني بها أنه يملك مصيره ويشكله في اتجاه هدف ، ويمارس نشاطه الإبداعي بالدخول في التجارب باستمرار . وأكمل شخصية هي الله ، وعبادته ليست الغاية الموضوعية للناس ، لكنها المشاركة الذاتية منهم في كل فعل خلاق . والإنسان ذات ، لكن ليست كل ذات شخصية ، والذات لا تكون شخصية إلا عندما تفعل في حرية لتحقق نفسها وليس لتحقيق أهداف مجردة أو مفروضة عليها . والمجتمع الأصيل هو المجتمع الذي يهيء للذوات فرص تحقيق نفسها لتصبح شخصيات ، وهو مجتمع تقوم بين أفراده علاقة تواصل **Communality** ، والتواصل ضد انسحاب الفرد من الجماعة وانكفائه على نفسه **Individualization** ، وضد ذوبان الفرد في الجماعة **Socialization** ، والذات في الحالة الأولى تعتزل الآخرين ، وفي الحالة الثانية تضحي بطبيعتها الأصلية من أجل أهداف اجتماعية مجردة ، وتستحيل إلى ذات مسرحية **Theatrical Ego** تؤدي دوراً مصطنعاً . ومجتمع التواصل مجتمع أحرار يمارسون فيه طبيعتهم كما هي ويطورونها في انسجام مع بعضهم . ويسمي بيرديائيف نظريته « **الاشتراكية الشخصانية Personalist Socialism** » ، وهي غير الاشتراكية الجماعية (الماركسية) ، لأن الأخيرة تفرض أهدافها على الفرد وتجبره على العيش وفق غاياتها ، ومضمونها العلاقات الاقتصادية ، لكن الاشتراكية الشخصانية تهيء للفرد إمكانيات تطوير نفسه في مجتمع يتواصل فيه أفراده ، مضمون علاقاتهم الحب ، لأن الحب وحده هو القادر على تحويل الذات إلى شخصية . ومع ذلك فطالما أن هدف مجتمع التواصل **Communal Society** تحقيق التطور الأكمل للذات أو تحقيق الشخصية المثلى وهي الله وهذا مستحيل ، فإن تاريخ الإنسانية تكون سعياً وراء مستحيل ، وهذا هو الجانب المأساوي فيه ، لكنه برغم هذه المأساوية يظل له معنى ، ويظل نضال الإنسان فيه رغم فشله المحتوم أنبل نضال لأنه جهاد دائب نحو الإلهية .

بيرس Pierce

تشارلز ساندرز بيرس (١٨٣٩ - ١٩١٤) أمريكي ، ولد في كيمبردج بالولايات المتحدة ، وكان أبوه أكبر علماء أمريكا في الرياضيات ومعلمها بجامعة هارفارد ، وبها تعلم بيرس ، وتخصص في الرياضيات والفلك ، ودرس الكيمياء ، ثم انصرف إلى الفلسفة والمنطق (١٨٦٦) وعين محاضراً في المنطق بجامعة جون هوبكنز (١٨٧٩) ، وكان اتجاهه إلى الفلسفة بتأثير كنط ، ولم ينشر كتباً فيها لكنه طرح فلسفته في مقالات وبحوث نشرت من بعد في ثمانية مجلدات « **مجموعة بحوث تشارلز ساندرز بيرس The Collected Papers of Charles Sanders Pierce** » ، ومن خطل الرأي التحدث عن فلسفة واحدة لبيرس فقد تعاقبت عليه أربع مراحل كان في كل منها يتناول نفس الموضوعات بطريقة تجعل له أربع فلسفات يسلكها جميعاً في فلسفة واحدة أطلق عليها البراجماتية **Pragmatism** ، ثم دعاها البراجماطيقية **Pragmaticism** (١٩٠٥) تمييزاً لها عن براجماتية وليام جيمس ومستعيراً تعبير كنط عن الفكرة البراجماتية عن الشيء ، ويقصد بها الفكرة أو المعتقد Belief الذي يرسخ في أذهاننا عن الشيء والذي بمقتضاه نسلك حيال هذا الشيء سلوكاً خاصاً يجعل من الممكن الاستفادة منه لتحقيق ما نصبو إليه من غايات ، وليس هذا المعتقد الذي يستقر في الذهن عن الشيء هو فكرتنا عن آثاره المحسوسة فقط ، ذلك لأن المعتقد لا يكون معتقداً إلا إذا كان له تأثير على سلوكنا بحيث ينظم هذا السلوك ويؤدي إليه ، وهو ما نسميه بالعادة ، فالمعتقد هو عادة سلوكية يطورها كل كائن لنفسه ويحقق

بها حاجاته . وهذه العادات هي قواعد السلوك التي تحدد لنا ما يمكن أن نفعله في ظروف معينة لتحقيق نتائج معينة ، وامتلاك هذه العادات يعني العلم بطرائق إشباع الحاجات ، والمرء الممتلىء بهذه المعتقدات أو الأفكار أو العادات هو الذي يكون باستمرار على دراية واستعداد لما ينبغي عمله في المواقف المختلفة ، ومن ثم يكون واثقاً بنفسه راضياً بحاله.، ويعني إجدابه من الأفكار أو المعتقدات أو العادات أنه لن يكون مستعداً للمواقف ولن يكون على يقين من سلامة تصرفاته وما يجب عمله ، ومن ثم لن يكون واثقاً من نفسه ولا سعيداً بحاله ، ولذلك يلجأ هذا الشخص إلى محاولة الهرب من حالة الشك إلى حالة اليقين بالبحث عن أنجع الوسائل لتكوين الأفكار وترسيخها في ذهنه لتكون معتقدات ومرشدات للسلوك ، وبيرس يجعل بنظريته في الشك المؤدي إلى الاعتقاد ، التي يقول بها كنظرية في البحث **The Doubt- Belief Theory of Inquiry** (١٨٧٣) ، الأفكار ، أو المعتقدات في مستوى الفروض العلمية ، ويجعل من طبيعة العقل البشري القدرة على التعرف على الفروض الصحيحة ويسمي هذه القدرة الفطرة السليمة ، ولكنه يشترط لتصديق أحكام الفطرة أن تخضع للتحليل النقدي . وبمقتضى هذه النظرية يصنف بيرس المعرفة إلى مقولات ثلاث أولى **Firstness** وثانية **Secondness** وثالثة **Thirdness** ، وتتمثل الأولى في المظهر المباشر التي تتبدى عليه الأشياء والذي نستشعره منها تلقائياً ، وهو مظهر واحد **Monadic** لا تتمايز اجزاؤه ، وكان العالم في بدايته متصلاً **Continuum** غير متمايز من الشعور الخالص ، أو عماء كامل بلا نظام ، لكن العالم يمر من التجانس إلى التغاير بتكوين الأفكار عن الأشياء وترسيخها في عادات سلوكية ، وعندئذ تأتي مقولة المرتبة الثانية حيث تتغاير الأشياء وتتفاعل تفاعلاً دينامياً ثنائياً **Dyadic** ، ويسمي بيرس هذا التغاير **Haeccity** ويستعير الاسم من دنس سكوتس ، وهذا التغاير هو مبدأ تكوين الفردية حيث لا يكون للشيء وجود إلا إذا كان هناك ما يعارضه ، وبهذا المعنى لا يكون الوجود محمولاً لكنه شيء يختبر بالإرادة **Volition** . ثم تأتي مقولة المرتبة الثالثة حيث لا يزال العالم برغم تكوين الأفكار وترسيخ العادات في حاجة إلى المزيد من النظام والتعقل ، وحيث يبدو أن غاية عملية التطور هو تحقيق التعقل الكامل ، ونكتشف أن العالم يتسم باستمرارية يشرحها بيرس في نظريته في الاطراد **Synechism** ، ويعتبرها إسهامه الحقيقي في الفلسفة ، وكان يفضل أن يطلق على فلسفته اسم الاطرادية ، ويعني بها أن الفكرة الواحدة تنطبق على أشياء كثيرة في العالم ، ويسمي بيرس الاطراد قانون العالم ، ويشبه الاطراد الكوني الاستمرارية التي تتصف بها العادات والتي بها تترسخ الأفكار ، ولا يخرق هذا الاطراد إلا بمبدأ الصدفة **Tychism** ، وتعني الصدفة انقطاع في الاستمرارية وتوقف في الاطراد ، والعالم عندما يخضع لمبدأ الصدفة فإنه يكون شعوراً خالصاً ، لكن الارتقاء يقلل من عمل مبدأ الصدفة بأن يزيد الاطراد ويرسخ الاستمرارية فتتكون المبادىء العامة وتترسخ كعادات ، لكن الصدفة مع ذلك لا تنتهي من العالم ، ويظل مبدأ الصدفة فعالاً وإن انحسرت سيادته ، وإخضاع الشعور والفعل للمعتقدات - العادات هو تكريس لسيادة الفكر والتعقل ، ولا ينعقد لواء هذه السيادة للفكر إلا باكتشاف القوانين الضرورية لتنظيم السلوك ومساعدة عملية التطور والارتقاء ، ومن ثم ينبغي أن تكون وسائل البحث عن هذه القوانين على مستوى هذا الهدف ، وأن يتماثل منطق البحث ومنطق التطور ، فطالما أن الطبيعة كلها تقوم بعملية مشتركة وتسعى لهدف واحد فواجب الإنسان أن يساعد هذه العملية بأن يسلك السلوك المناسب لهذه الغاية وأن ينصرف إلى البحث العلمي الدؤوب .

بيرسون .. Pearson

(١٨٥٧ - ١٩٣٦) كارل بيرسون ، بريطاني ، ولد في لندن ، وتعلم بكيمبردج وهايدلبرج وبرلين ، وعلم

في لندن ، وأصدر مع جولتن وويلدون مجلة البيولوجيا الإحصائية (١٩٠١) ، وأهم كتبه « أجرومية العلم The Grammar of Science » ، (١٨٩٢) « أخلاق الفكر الحر The Ethic of Free Thought » (١٨٩٢) ، وفلسفته علمية ، ومجال العلم كل شيء ، لكنه يصطنع لغة رمزية وصيغاً علمية وقوانين يصف بها الواقع وصفاً مختزلاً ، ويحاول بها أن يجيب على السؤال « كيف تكون الأشياء» لا عن السؤال، « لماذا تكون الأشياء» ولا يستنكف أن يتصدى لأي شيء طالما أنه في متناول التجربة ، لذلك ينكر الميتافيزيقا واللاهوت لأنهما لا يقومان على أشياء من الواقع ، وطالما أن الفلسفة غايتها العلم بأمور الواقع فإنها تنحل إلى العلم ولا يصبح لها مجال إلا بقدر ما ينظر إليها تاريخياً بوصفها مرحلة من مراحل نمو العقل البشري ، وعلى العلم أن يطهرها أو يطهر نفسه مما علق به منها من أفكار كالعلية والقوة المادية والمادة ، وكلها صور فكرية وأصنام مختبئة في زوايا العلم لا أساس لها من الواقع . ويبدو تأثير ماخ وفلسفته الحسية لدى بيرسون ، حيث وقائع العلم ليست أشياء في ذاتها لكنها ظواهر للوعي أو إحساسات ، وليست الأشياء الخارجية إلا تركيبات ذهنية ، وحتى الفروض العلمية ليست سوى تركيبات تصورية ، قائمة على الإحساسات . وبيرسون مثل كونت يجعل من العلم ديانته والعلماء كهنة ، والفضيلة هي التقدم في المعرفة ، والأخلاق مصدرها المعرفة وليس الشعور ، والعارف ، كما كان يقول سقراط ، هو وحده الذي يمكن أن يكون فاضلاً ، وليست الاشتراكية هي التفكير المرتبط باسم ماركس والذي يقتضي تغيير النظام السياسي القائم ، لكنها الفكر الذي يسير بصاحبه نحو إخضاع سلوكه لصالح المجتمع ككل .

بيرون Pyrrhon

(نحو ٣٦٠ - ٢٧٠ق.م) يسميه القفطي فورون ، وهو إمام الشكاكين ، وصاحب المذهب اللاأدري ، والبعض يسميه المذهب البيروني نسبة إليه . ولد ومات في إيليس ، وتتلمذ على إنكزارخوس أحد أتباع ديموقريطس ، وكان من القائلين بمذهب السعادة Eudaemonism ، وهو مذهب يلتمس السعادة كأساس للسلوك الأخلاقي ، واشتغل لبعض الوقت فيلسوفاً ببلاط الإسكندر ، وارتحل معه غازياً إلى الهند ، واطلع على متصوفتها وشاهد فقراءها . وتقوم البيرونية أو مذهب بيرون على إنكار العلم واليقين ، لأن المعرفة لا يمكن أن تنهض إلا على ما تزودنا به الأحاسيس . فهي العلم بالظواهر ، ولا سبيل إلى بلوغ حقيقة الأشياء أو الأشياء في ذاتها ، وليس بوسع الإنسان أن يتأكد مما يبدو له ويعرف أنه حقيقة الشيء ، ومن ثم فكل قضية تحتمل السلب والإيجاب ، وليس من سبيل إلى الحكم على حجة ما بأنها أكثر يقيناً من نقيضها ، وتقتضي الحكمة أن نعدل عن الإيجاب والسلب ، وأن نعلق الحكم على الأشياء ، وأن نمتنع عن الجدل . وإذا كان بلوغ اليقين مستحيلاً فلا مندوحة أن نقابل هذا الوضع باللامبالاة ، وأن نقنع بالعرف ونخضع لما اصطلح عليه الناس ، ونسترشد بما جرت عليه العادة ونطبق ما ارتضاه الناس من قوانين ، وبذلك وحده يتحقق لنا الرضا وننعم بالطمأنينة والسعادة ، ولعل هذا هو ما حدا بالبعض إلى أن يطلق على فلسفة بيرون أنها مذهب خلقي في الشك يتميز عن مذاهب الشك الأخرى .

بيروني Bairouni

(٩٧٧ - ١٠٣٠م) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، ولد بالقرب من خوارزم ، ومات بغزنة ، ورافق حملة محمود الغزنوي على الهند ، وظل بها أربعين سنة يدرس لغات أهلها ومللهم ، وألف عدداً من الكتب طوع بها حكمة الهند للّغة العربية ، وبين أوجه التوافق بين الفلسفة الفيثاغورية الأفلاطونية وحكمة الهند وبعض نواحي التصوف الإسلامي وتشهد رسائله إلى ابن سينا على أنه مؤسس علم المساحات الأرضية ، وتميل به نزعته الطبيعية إلى الملاحظة والاستقراء ومعارضة الكثير من

النواحي الفلسفية الأرسطية ، وموافقة الرازي على بعض آرائه في فلسفة الطبيعة وإن عارضه في أمور الدين ، وله فلسفة في التاريخ تقوم على تقسيمه إلى عهود تجزم بها النباتات القديمة المطمورة وطبيعة بعض الأراضي الرسوبية والصخرية ، وتدل على حدوث تصدعات أصابت القشرة الأرضية في عهود سابقة مخلفة بحاراً وبحيرات ، وتسير الإنسانية في كل عهد منها في اتجاه المادية التي تنتهي إلى سقوط حضارة ذلك العهد وقيام حضارة أخرى محلها .

بيكون ... Bacon

(١٢١٤/ ١٢٢٠ - ١٢٩٢) روجر بيكون ، إنجليزي ، درس الآداب بأكسفورد ثم باريس ، وحاضر هناك حول كتب أرسطو التي كانت محظورة ، وكشفت محاضراته عن قدرة عظيمة على التفلسف ، واطّلاع واسع بكتب أرسطو وشراحه وخاصة الكتب العربية حوله ، وكان بيكون يمثل الأرسطيين الخلص من معلّمي باريس الجدد ، وأعرف معاصريه بحياة ابن سينا والحسن بن الهيثم وابن رشد وكتبهم ، ويقدم ابن سينا على ابن رشد ويصفه في مرتبة بعد أرسطو ويعتبره أهم شراحه وزعيم الفلسفة ، وأخذ عليه القول بأزلية العالم وبصدور الموجودات عن بعضها البعض ، وظلّ بيكون يحاضر في باريس حتى سنة ١٢٤٧ ، ولم ينتقل منها إلى أكسفورد إلّا طلباً لتعلّم السحر والتنجيم ، واستمرّ مدة عشرين سنة يتعلم اللغات ويجري التجارب ويدرّب المساعدين ويقرأ كتب السحر إلى أن أنفق على شرائها أكثر من ألفيّ جنيه استرليني ، ويبدو أنه انضمّ إلى الفرنسيسكان ولكنهم لم يزودوه بما كان يحتاجه من أدوات علمية ، وفضلوا عليه غيره من غير الموهوبين ، وشكوا من آرائه فأوجعهم بلسانه ولم يسلم من أذاه حتى النخبة من أهل زمانه ، واضّطر إلى الرحيل إلى باريس ، ومنعوا تداول كتاباته ، لكن البابا كليمنت الرابع عطف على قضيته ، وكان يعرفه قبل توليه البابوية ، وكان البابا يحلم بأن تكون للغرب الزعامة السياسية لو أخذ بالعلم وارتقىٰ فيه ، فطلب إليه تدوين آرائه وإرسال نسخة منها إليه سراً ، ولم يكن يعلم أن بيكون كان بسبيل تدوينها فعلاً ، ولم يستغرق منه ذلك إلّا ثمانية عشر شهراً ، وجاءت موسوعة علمية أطلق عليها اسم « الكتاب الأكبر **Opus Maius** » أردفه بتلخيص ضمَّنه بعض موضوعات الكتاب الكبير ، وبحث في الكيمياء أسماه « **الكتاب الأصغر Opus Minus** » ، وأعقبهما بكتاب ثالث أطلقَ عليه « **الكتاب الثالث Opus Tertium** » ردَّد فيه بعض ما دوَّنه في الكتابين السابقين ، ولكن كليمنت توفي . وتبدَّد أمل بيكون فرحل عن باريس إلى أكسفورد ، وكان من سوء طالعه أنه اقتنع بأهمية الدراسات الوضعية العلمية في مجال التطبيق قبل أن تصبح هذه الدراسات ممكنة بزمن طويل ، وسجنه رئيس أخوية الفرنسيسكان (البابا نيقولا الرابع فيما بعد) بسبب البدع المشبوهة التي استحدثها ، ولكن سجنه لم يستمر طويلاً ، أو أنه لم يكن بحيث يكمم فمه للأبد ، فسرعان ما بدأ كتابه « موجز دراسة اللاهوت **Compendium Studü Theologiae** » (١٢٩٢) ولكنه توفي قبل أن يتمه .

وبيكون أوغسطيني يقدم اللاهوت على سائر المعارف ، ثم يضع بعده الرياضيات ، فالعلوم الطبيعية ، فالفلسفة ، فالأخلاق . وهو يجعل اللاهوت جماع كل المعارف أو الحكمة الكلية ، ويؤكّد على التجربة وضرورتها ، ويعين لها وظيفتين هما تحقيق النتائج التي تصل إليها العلوم بالاستدلال واستكشاف حقائق جديدة تؤدّي إلى تكوين علم لا يرجع إلى غيره هو العلم التجريبي .

بيكون ... Bacon

(١٥٦١ - ١٦٢٦) فرانسيس بيكون ، إنجليزي ، متعدد المواهب ، موسوعي Uomo Universali ، برز في ميادين السياسة والقانون والأدب والفلسفة والعلم ، وحقّق لنفسه أرفع المناصب في بلده . وكان أبوه السير نيقولا بيكون حامل الخاتم الأكبر للملكة إليزابيت ،

وأمه لادي بيكون سيدة عرفت بالتقوى والعلم . ودخل فرانسيس كلية ترينيتي بجامعة كيمبردج في سن الثانية عشرة ، وخرج منها بعد ثلاث سنوات دون أن يكمل دراسته ، وقد نفر ممَّا يدرس على طريقة أرسطو والمدرسيين . وفي سن الثامنة عشرة مات أبوه ولم يورثه شيئاً فتحول إلى دراسة القانون لعله يصل عن طريقه إلى منصب ما . وفي سن الثالثة والعشرين صار عضواً بالبرلمان ، وكاد يعين في منصب النائب العام لولا أنه انتقد سياسة الضرائب في البرلمان فأضاعَ على نفسه المنصب ، وتعلَّم أن الإخلاص في السياسة غير مجز . واستفادَ بيكون من أصدقائه أكثر مما أفاد من أقاربه المرموقين ، وحاول إيرل إسكس أن يصادقه مع الملكة لكنه فشل فوهبه إحدى ضياعه ، عندما وقع إسكس من بعد مع الملكة واتهمته بالخيانة ندبت بيكون ليحقق معه وليصوغ قرار اتهامه ، وقبل بيكون فوراً مدعياً أن واجبه قبل الملكة أسمى من واجبه قبل صديقه ، وبذلك عضَّ اليد التي أحسنت إليه . وعندما تولَّى جيمس الأول العرش عيَّنه محامٍ عاماً ، ثم نائباً عاماً ، فحامل الخاتم الأكبر ، وأخيراً وزيراً أول في سن السابعة والخمسين ، ومنح لقب بارون ثم فيكونت ، لكنه في الستين أُدين بالرشوة وجرِّد من ألقابه ووظائفه ، ومنع من تقلّد الوظائف العامة ، وأسقطت عنه عضوية البرلمان ، وحُكم عليه بالسجن ولكنه لم يقض فيه سوى أيام بسبب شيخوخته ، وشغل نفسه بقية عمره بتدوين الكتب وخدمة العلم . وكانت أمنيته أن تقوم في بلاده دولة ملكية قوية ، وكان ضد الإقطاع وتوزيع السلطة ، ويعارض سيادة القانون ، ويصف المشرعين بأنهم فلاسفة أو محامون لا يرون أبعد من النصوص القانونية ، ويقول إن العالم محتاج لرؤية السياسي ، وأنه كسياسي يرى أن يكون الملك فوق القانون ، ولهذا قرَّبه جيمس الأول . وكان يطلب الحكومة القوية لأنها السبيل الوحيد لترقي العلم ، ولم يكن ما يريد من علم هو زيادة معلومات الإنسان عن الطبيعة ، وإنَّما هو العلم الذي يسيطر به الإنسان على الطبيعة ويغير به نوع حياته على الأرض . والحق أنه نفذ إلى ماهية العلم الاستقرائي ، وحاول أن يرسم بناءه ، ووضع تصنيفاً له ، وأفاضَ في شرح طرقه التجريبية ، وجاء ذلك أولاً في « تقدم العلم **Advancement of Learning** » (١٦٠٥) وفي « فكر وانظر **Cogitata et Visa** » (١٦٠٧) و « حكمة القدماء **De Sapienta Veterum** » و « الأورغانون الجديد **Novum Organum** » و « تنمية العلوم **De Augmentis Scientiarum** » (١٦٢٣) ، وأطلقَ على منهجه اسم الإصلاح الكبير Great Instauration لأنه كان يرى أن الفلسفة لم تتقدم منذ أيام الإغريق ، وأن فلاسفة زمنه كانوا يعرفون أقل ممَّا كان الإغريق يعرفون ، وأن الإنسان بمنهجه يمكن أن يستعيد سيطرته على الطبيعة . وكان بيكون ضد المدرسيين والإنسانيين ، وانتقدَ الأولين لحبهم للنقاش وعدم توصلهم لشيء ، وهاجمَ الآخرين لولعهم بالبلاغة وهوسهم بالكلام كشكل دون المحتوى . وانتقدَ الاعتماد على العقل ، وقال إنه أداة تجريد وتصنيف ومساواة ومماثلة . وإذا تركناه على سجيّته انصرفَ إلى الجدل العقيم وانقادَ لأوهام طبعية فيه سماها بيكون أصنام العقل ، وميَّز منها أربعة أصناف ، الأول أصنام القبيلة Idols of the Tribe وتُنسب للقبيلة لأنها في طبعه أو جنسه ، فمثلاً ينسى الإنسان أن ما يدركه بحواسه نسبي ، لأن الحواس مرايا زائفة تشوِّه ما ندركه بها من العالم الخارجي ، ويفرض عقلنا على العالم الخارجي نظاماً وانتظاماً نحن مصدرهما ، ولا يمتّان بصلة للواقع نفسه ، كما أن عواطفنا تلون أحكامنا ، وتؤمن بما نريد أن نؤمن به ، فلو رأينا حلماً وصدق أسرعنا إلى القول بأن أحلامنا تصدق دائماً ، وأن بنا شيئاً إلّهياً ، ناسين أن أغلب أحلامنا لا تصدق . وإذا كانت أصنام القبيلة شيئاً مشاعاً يتّصف به كل الناس ، فهناك أصنام أخرى ينفرد بها كل واحد ويطلق عليها بيكون اسم أصنام الكهف Idols of the Den نسبة إلى كهف أفلاطون حيث يخطىء سكان الكهف فيظنون ما يبصرون من أشباح حقائق وكل إنسان

له كهفه الذي يغلّف الواقع ويزيفه ، ويفسّر كل منا الأحداث تبعاً لميوله وتكوينه وتعليمه ، ويميل إلى أن يبصر الواقع في ضوء الجزئية التي يعرفها هو بحكم تجاربه أو ثقافته . ثم يأتي دور أصنام السوق Idols of the Market Place ، فالناس تتفاهم باللغة ، وقد نستخدم نفس الكلمات ولكن تجربة كل منا تعطينا للكلمات معانٍ مختلفة ، وهذه هي مخاطر اللغة ، فما أعنيه أنا بكلمة قد لا تقصده أنت ، ونتحدث بنفس الكلمات ولكننا لا نقصد إلى نفس المعاني . وأخيراً يأتي دور أصنام المسرح Idols of the Theatre وهي الأوهام أو الأخطاء التي تنحدر إلينا من النظريات والفلسفات والمعتقدات التي يعلمونها لنا بتقديس وإكبار ، والواقع أنها أشياء متخيلة كقصص المسرح ، حظها من الواقع ليس أكثر من حظ القصص المسرحية ، وهي مجرد تلفيقات ضارة لأنها تزيف التجارب .

ويعارض بيكون البحث في العلل النهائية لعقمه ، ويقسم الفلسفة إلى لاهوت طبيعي وفلسفة طبيعية ، ويقسم الفلسفة الطبيعية إلى ما بعد الطبيعة أو علم العلل الصورية والغائية ، والطبيعة أو علم العلل الفاعلية والمادية . وقسّم المعرفة إلى معرفة بالوحي ، ومعرفة بالتحصيل ، ونسب للإنسان روحية قال إن به روحاً يختص بها وحده ، وروحاً يشارك بها الحيوان ، والروح الثانية مجال العلم ، والأولى لامادية ليس بالوسع الإحاطة بطبيعتها بما نعرف من تقنيات . وقال إن بالإمكان أن ندخل ملكوت الطبيعة كما ندخل ملكوت السماء ، كأطفال ، بمعنى أن نتحلّى بالتواضع ونتخلى عن أوهام العقل .

وبدأ بيكون منهجه العلمي بما أسماه جداول البحث الثلاثة ، الأول جدول الإيجاب أو الحضور Table of of Affirmation or Presence نجمع فيه كل الأمثلة المعروفة للظاهرة التي يتفق أن تكون لها نفس السمات ، فإذا كان موضوع البحث الحرارة مثلاً ، درسنا كل حالات الأجسام الحادة والشمس واللهب والدم الحار إلخ . والجدول الثاني هر جدول السلب أو الغياب Table of Negation or Absence وهو في حالة الحرارة مثلاً الحالات التي تنتفي فيها الحرارة ، كدراسة أشعة القمر والحال التي يكون عليها دم الحيوانات الميتة . وهذان الجدولان السابقان يدمجهما من بعد جون ستيوارت مل في منهجه المشترك من الاتفاق والاختلاف . والجدول الثالث هو جدول المقارنة أو الدرجات المتفاوتة ويشتمل على دراسة التفاوت في الظواهر المختلفة لمعرفة الارتباط بين التغيرات المختلفة التي نلاحظها . ويضيف بيكون إلى ما سبق حالات أخرى يصفها بأنها حالات صارخة أو شديدة التميّز تفرض نفسها على الانتباه . ورغم أن منهج بيكون العلمي أغنى من أي تلخيص إلاَّ أنه كان منهجاً معيباً عفىٰ عليه الزمن ، لكن من الخطأ أن نجسه قيمته أو أصالته ، ورغم أننا يمكن أن نعثر على آثار لاستقرائيته في الفلسفة الإغريقية ، خاصة قبل سقراط ، إلاَّ أن بيكون يقدم لنا نظرية متكاملة حتى إن جون ستيوارت مل في القرن التاسع عشر لم يجد ما يضيفه إليه . وتظل بعض أجزاء هذا المنهج على حال من الغموض حتى ليصعب على كثيرين تفسيرها ، منها نظريته في الصور ، وكان العلم القديم يرتّب الموجودات في أنواع وأجناس ، أما العلم الجديد فيرد الظواهر المعقدة إلى عناصرها البسيطة بغية التعرّف إلى قوانين تركيبها ، ومن ثمَّ إيجادها بالإرادة ، أي أن يؤلّف فنوناً عملية . وكان العلم القديم يحاول استكناه الصورة أي ماهيتها ، أما العلم الجديد فيحاول أن يبحث في صورة كيفيتها ، من حرارة أو برودة ، وثقل أو خفة ، وكثافة أو تخلخل إلخ . ومع ذلك كان بيكون يدرك أنه وحده لن يستطيع أن يفعل شيئاً مذكوراً في تقدّم العلوم ، وفي مجتمعه الخيالي « **أطلانطس الجديدة** » يتخيل كلية للعلوم يسميها « بيت سليمان » قد تخصص في دراسة أعمال ومخلوقات الله ، ويعمل فيه أناس قد وهبوا أنفسهم لهذا العمل ، لكنهم يعملون كمجموعة واحدة .

بيلاجيوس Pelaguis

(نحو ٣٦٠ - ٤٣١ م) اشتهر بما عرف في التاريخ المسيحي باسم بدعة بيلاجيوس ، وكان من الكنسيين المحبين والمعروف عنهم الثقافة الواسعة والاهتمام بالفلسفة ، واسمه الحقيقي مورجان ومعناه رجل البحر ، وهو نفسه معنى لفظة بيلاجيوس اليونانية ، وقيل إنه أصلاً بريطاني من ويلز . ولم يذهب في إيمانه إلى ما ذهب إليه المسيحيون في زمانه ، وكتب مقالته « الرد على القديس بولس » فقد اعتقد في الإرادة الحرة ، وقال بمسؤولية الإنسان عن أفعاله ، وأنه يدخل الجنة أو النار بناء على أفعاله ، ورفض مبدأ الرحمة الإلّهية الذي زعمَ به بولس أن الإنسان مهما فعل من خير فلا يمكن أن يذهب إلى الجنة إلاَّ بلطف ورحمة من الله ، لأننا جميعاً ، أخياراً وأشراراً ، في النار بسبب خطيئة أبينا آدم ، فقد عصىٰ آدم ربه وأكل هو وحواء التفاحة فدخلهما الفساد وانتقل إلى ذريتهما وحقَّت عليهم جميعاً اللعنة الأبدية ، فمهما فعل الأخيار فمصيرهم النار لولا أن يتداركهم الله برحمته . وقد شكَّ بيلاجيوس في مبدأ الخطيئة الأولى وقال إن الناس أخيار وليسوا أشراراً ، وأن الخطيئة لا تورث ، وأن للإنسان ما سعىٰ ، وأن الناس حينما يتصرفون بمقتضىٰ الفضيلة فإنما يفعلون ذلك بفضل ما يبذلون من جهد أخلاقي شخصي . وتصدَّى القديس أوغسطين لدعوة بيلاجيوس ورأى فيها ملامح زندقة ، وذهب يؤلب الكنيسة ويستعديها على بيلاجيوس وأتباعه ، وانصرف في جزء كبير من أقوى جوانب لاهوته أثراً إلى مناهضتهم ، وتناولَ حجج بولس وبسَّطها واستخلصَ منها معانٍ لم تكن فيها ولكنه لم يستطع في النهاية أن ينكر أن بولس أثار مشكلة ولم يحلّها ، لأنه إذا كان الإنسان قد ورثَ الخطيئة فلا بد أن يكون انتقالها إليه عبر الروح والجسد ، لأن الروح مثل الجسد وليدة الأبوين ، فهل الروح أيضاً فاسدة ؟ ذلك ما أنكره بيلاجيوس ولم يحر له أوغسطين جواباً .

بيلنسكي Belinsky

(١٨١١ - ١٨٤٨) فيساريون جريجوريفتش بيلنسكي ، من أوائل زعماء المثقفين الروس ، ومن أكبر دعاة الاسترشاد الثقافي بغرب أوروبا ومن أكبر أنصار المثالية الألمانية ثم من ألدّ خصومها من بعد . ولد في سفيبورج من أعمال فنلندا الآن ، وكان أبوه من أطبّاء الأرياف ، وتعلَّم بجامعة موسكو وطُرد منها بعد ثلاث سنوات لآرائه التي جاهرَ بها معادياً لنظام الرقيق الروسي ، واحترف الصحافة ، وعشق شيللنج وشيللر ومجد الفن بوصفه ارتفاعاً بالواقع جمالياً وخلقياً ، ثم تحوّل إلى هيجل واعتنق مبدأه « أن كل ما هو واقع فهو معقول » ، ومن ثمَّ اعتبر الدولة مقدسة ، والمجتمع أهم من الفرد ، ومجَّد دور الأوتوقراطية ، وقال إن الفن صورة عقلية للمجتمع ، ولكنه قرأ في الاشتراكية الفرنسية ، وتعرَّف إلى كتابات سان سيمون ، فاتَّجه إلى الطبقة البورجوازية يدعوها إلى تحمل مسؤولياتها التاريخية في عملية تحويل المجتمع إلى الديموقراطية ، وقال بوظيفة أخلاقية وسياسية للفن ، ولهذا اعتبروه مؤسِّس النقد الاشتراكي الروسي .

بين Bain

(١٨١٨ - ١٩٠٣) ألكسندر بين ، اسكتلندي ، كان أبوه نساجاً ، واعتمدَ في تعليمه على نفسه ، وكان راديكالياً ومن القائلين بالنفعية ، وتتلمذ على ستيوارت مل ، واشتغل بالصحافة ، واختير مدرساً للمنطق والبلاغة بجامعة أبردين . أهم كتبه « **الحواس والعقل The Senses and The Intellect** » (١٨٥٥) ، و « **الانفعالات والإرادة Emotions and the Will** » (١٨٥٩) . وقد انتقدَ اقتصار التداعي على الاستبطان ، وشدَّ انتباهه منهج علم النفس القائم على الملاحظة ، ومنهج المنظّرين للمعرفة لإقامة علم أساسه الخبرات وليس الاختبارات . وكان مطّلعاً في مجال علم الفسيولوجيا ، وهو ما لم يتح لمل ، ولذلك فقد خرجَ على نظريات مل . غير أن إسهامه الحقيقي

ينحصر في نظرياته في الإرادة والاعتقاد والوعي . وهو يتناول الإرادة من زاوية قدرة العقل على التحكّم في العقل الإرادي ، وقال بأن الأعصاب والأطراف بها تلقائية باطنة تجعلها لا تنتظر حتى يجمع العقل البيانات ويصدر أوامره إليها بالتحرّك ، ولكنها تجعلها تتوقع ما يحدث وتستعدّ له ، بمعنى أن ما يحدث في العقل من تفكير يرافقه ممارسة في بقية الجسم ، أو أن النظرية والممارسة شيء واحد .

وهو بالمثل لا يفصل الاعتقاد من الاستعداد للتصدّي لاختباره والتحقّق من صدقه أو زيفه ، فالاعتقاد والفعل يخرج الواحد منها من الآخر ويتتابعان ويسعيان في دائرة حتى ليصعب أن تعرف أيّهما يولد الآخر ، وحتى ليمكن القول أن معتقدات الإنسان تتولّد فيها دون سند من العقل ، وأن أفعالنا تصدر عنا ونحن لا نعرف ما يتولّد فيها من نتائج .

ويستخدم بين تحليله البراجماتي للاعتقاد كأساس لنظرية في الوعي ، ويجعل للوعي قطبين ، أحدهما انفعالي حيث يمنع الاستغراق في اللذة والألم الإنسان من تقييم موقفه بشكل موضوعي ، والآخر معرفي يستغرق المرء في التخطيط لمستقبله وأحواله وينسى لذلك كل لذة وألم ، لكن ، الوعي مع ذلك يتراوح بين القطبين فيكون انفعالياً ثم ينقلب معرفياً أو العكس ، كما يحدث له عندما يعتقد ثم ينتقد ما اعتقد وهكذا دواليك .

بين .... **Paine**

(١٧٣٧ ـ ١٨٠٩) توماس بين ، ثوري أمريكي ، ولد في إنجلترا ، وهاجر إلى أمريكا في السابعة والثلاثين ، ومنذ الوهلة الأولى أدلى بدلوه في المناقشات المحتدمة التي كانت تمهّد للثورة ، وأصدرَ سنة ١٧٧٦ كتابه « **الفطرة السليمة** » فكان أول نداء أمريكي يطالب بالاستقلال ويهاجم الأرستوقراطية ويطرح نظرية أن الحكومة والمجتمع شخصيتان معنويتان ، كلاهما مستقل عن الأخر ، وطوّرها روسو ووليام جودوين بعد ذلك . ويتضمَّن كتابه « **حقوق الإنسان** » (١٧٩١ ـ ١٧٩٢) دعوة للحكومات أن تقوم على العقل ، وأن ينهض الحكم على الديموقراطية ، فتكون لكل الناس نفس الحقوق ، ولا تنعقد الرياسة إلاّ لحكمائهم والموهوبين منهم . وأثارته موجة الإلحاد التي أخذ قادة الثورة الفرنسية يشيعونها فكتب « **عصر العقل** » (١٧٩٤ ـ ١٧٩٥) دفاعاً عن الإيمان ، ولكنه هاجم المسيحية لأنه اعتبرها ديانة مشركة تقوم على الخرافة والتجديف .

حـــرف التـــاء

تاوية... Taoism

المدرسة الثانية بعد الكونفوشية في الفكـر الصيني القديم ، أسسها **لاو تزو Lao Tzu** أو المعلم العجوز حيث **لاو** تعني العجوز **وتزو** المعلم ، ويقال إن اسمه الحقيقي **إرخ Erh** وشهرته تان ، ولذلك تشير إليه بعض المصـادر باسم **لاوتـان** ، ويقال إنـه عاش في القـرن السادس قبل الميلادي ، وكان يعمل أمين المحفوظات التاريخية في عاصمة التشو ، وأن كونفوشيوس التقى به مستفسراً عما يمكن أن يكـون لديـه من وثائق تتعلق بالطقوس والشعائر العينية ، وأن عمله هيأ له أن يكون مرجعاً في أحوال بلاده وأخلاق شعبه ، الأمر الذي مكنه من وضع مؤلفه الكبير « **مصنف لاو تزو** » أو «**التاوتي تشنـــج Tao- te- Ching** » ، والتـاو هـــو المنهـــج أو السبيـل ، ويقصد بـه السير على منـوال الطبيعـة وفق قوانينها ، **والتي te** هو مردود الأخذ بتلك القوانين ، وهو فضيلة البساطة ، ويعرفها بأنها الاستكانة التي هي أهم خصائص الطفل والأنثى والماء ، ويقول إن الاستكانة قوة ، ويضرب المثل بالماء الذي قوته في رقته ، ومع أنه لا يكون إلا في الأماكن الواطئة إلا أنه أصل كل الأحياء وأقوى عناصر الطبيعـة . والإنسان القـوي هو الحكيم المستكين الذي يرد الإساءة بالإحسان ويقنع من الغنيمة بالسلامة ويتواضع فيسود .

وطور التاوية **تشوانج تزو Chuang Tzu** (المولود في نحو ٣٦٩ق . م) وقال إن التاو هو مبدأ الحياة وأصل الوجود واللاوجود ، ولعب هنا المفهوم دوراً كبيراً في الفكر الصيني وخاصة في الكونفوشية المحدثة ، واعتبر التاو مصدر كل الكائنات وبه تتحول إلى أضدادها وفق التاو أو المبدأ الخاص بها . ورغم أن التاوية تتعرض بـالنقد للكـونفـوشيـة إلا أنهـا في الـواقـع تكملهـا ، فـالكونفـوشية مـذهـب أخـلاقي دينـوي بمـا يلقى من مسؤوليات عائلية واجتماعية تمثل الحياة الخارجية التي ينبغي أن تكون للفرد ، بينما التاويـة مذهـب أخـلاقي أجدر بالزاهدين بمـا يدعـو من فضائـل تمثل الحيـاة الخـاصة التي ينبغي أن تكـون للفرد كي يخلص إلى السماء ، واضطرت التاوية إلى اصطناع الكثير من آراء الكـونفوشية حتى تستـطيـع أن تـزاحمهـا إلى عقـول المثقفين ، ومن هنا نشأ اصطلاح **التاوية المحدثة Neo-Taoism** ، وبـرز من فلاسفـة هذا الاتجـاه **وانـج بي Wang Pi** (٢٢٦ - ٢٤٩م) ، وبه صار اللاوجود مقولة التاوية الكبرى ، ويعني الوجود الخالص الـذي يسمو على كل الأشكال والأوصاف ، والـذي يعمل وفق مبدأ العقل الكلي ، ولكن **كوهسيانج** (المتوفي سنة ٣١٢م) لم يـر رأي وانـج بي ، ورفض فكـرة المبـدأ الكلي الشامل ، وقال إن الكائنات قد وجدت ذاتياً ولم يوجدها

شيء خارج عنها ، وأن كل كائن يعمل وفق مبدئه ، وأنه لذلك مستكف بذاته ، ولم تخلف التاوية المحدثة أثراً بارزاً في الفلسفة ولكنها كانت همزة الوصل بين الكونفوشية والبوذية بتفسيرها الجديد لمفهومي الوجود واللاوجود التاويين .

تجريبية Empiricism

الفلسفة التي تزعم أن الخبرة مصدر المعرفة وليس العقل ، والتجريبية بهذا المعنى نقيض الفلسفة العقلية ، وتشتق من كلمة **Empeiria** الإغريقية وترجمتها باللاتينية **Experientia** أي التجربة . وعندما نقول إننا قد عرفنا شيئاً بطريق التجربة نعني أننا قد عرفناه باستخدام ما نملك من حواس ، إلا أن الفلسفة العقلية تعترض بأن هناك أفكاراً لا يمكن أن تزودنا بها الحواس ، وأن العقل ينشئها بمعزل عن الخبرة ، ويطلق عليها العقليون اسم المعرفة القبلية أو الفطرية ، كالقضايا الرياضية ، إلا أن التجريبيين ، مثل جون ستيوارت مل ، أنكروا أن تكون هناك معرفة قبلية ، وقالوا إن قضايا الرياضيات تعميمات مستمدة من الخبرة ، وأن كل القضايا إما انعكاس لخبرة وإما تعميمات مستمدة من الخبرة ، أي أنها جميعاً بعدية ، وأن كل المعرفة تقوم أساساً على الخبرة الحسية ، وعلى العموم فالتناقض الأساسي بين التجريبيين والعقليين لم ينشأ من اختلافهم حول أصل أو مصدر المعرفة ، فقد كان بعض العقليين مثل توماس الأكويني يوافق على أنه لا يوجد في العقل شيء لم يكن قبل ذلك في الحس ، أو أن هذا على الأكثر هو ما فهمه من أقوال أرسطو ، ولكن نقطة الخلاف الأساسية هي أن التجريبية لا تستنبط الطابع العام والضروري للمعرفة من العقل وإنما من التجربة إلا أن بعضهم ، مثل هوبز وهيوم ، توصل إلى أن التجربة لا يمكن أن تعطي المعرفة أي معنى ضروري وعام . وقد استدرك لوك فقال إن بعض المعرفة تأمل لأفكار مصدرها الحس ، أي أنه نفى أن تكون كل معرفة حسية . وكذلك نجد بين العقليين ، مثل كنط ، من ينكر رد المعرفة إلى العقل وحده ويقول بارتباط العقل بالتجربة . وعموماً فإن البعض ينسب التجريبية إلى أرسطو مع أنه كان عقلياً ، غير أنه لا خلاف على أن أبيقور كان أول التجريبيين من الفلاسفة ، ولذلك يميل البعض إلى التمييز بين التجريبية المتزمتة التي أسسها أبيقور وبين التجريبية المتخففة التي ينسبونها إلى أرسطو . ولقد اعتبر أبيقور الأحاسيس وحدها فقط مصدر المعرفة . وبرزت في تاريخ التجريبية ما يسمى **بالتجريبية البريطانية** ، وكان رواجها في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وأبطالها لوك وباركلي وهيوم ومل ، كما برزت في **تجريبية** القرن العشرين **الوضعية المنطقية والظاهراتية** . وانتهت التجريبية البريطانية بإثارة الشك في كثير من المسائل التي كانت البشرية تدعي الإلمام بها . وإن كان هناك فضل لتجريبية القرن العشرين فهو تمييزها بين الحقائق الضرورية كما نجدها في المنطق والرياضيات والحقائق التجريبية التي نجدها في غير ذلك والتي وصفتها بأنها عرضية ، وفصلها فصلاً قاطعاً بين المسائل التي تخص المنطق والمسائل التي تخص علم النفس وهو ما كان يستغلق فهمه على التجريبية البريطانية. ونستطيع بشكل عام أن نميز بين هذين النوعين من التجريبية فنقول عن البريطانية إنها مادية تقوم على فكرة أن العالم الخارجي الموجود موضوعياً هو أصل التجربة الحسية ، بينما تقصر المنطقية الخبرة على المجموع الكلي للإحساسات أو الأفكار ، وتنكر أنها تقوم على أساس من العالم الموضوعي ، فرسل يرد كل اللغة عن العالم إلى عبارات عن معطيات حسية ، والظاهراتية تتوجه بالتحليل إلى هذه العبارات ومن ثم تقول إن الأشياء المادية تركيبات منطقية عن معطيات حسية ، وهي منطقية لأنها تهتم بالتحليل المنطقي السليم للعبارات ولا تهتم بكيفية تشييدنا للأفكار من الناحية النفسية . وعموماً فإن ما يعيب التجريبية ، سواء البريطانية او الحديثة ، هو مبالغتها في دور الخبرة وتقليلها من أهمية التجريدات والدور الإيجابي للفكر واستقلاله النسبي .

تجريبية منطقية .... **Positive Empiricism**

فلسفة **جماعة فيينا** ، قصدت بها بناء المعرفة على أسس تجريبية ومنطقية وتوحيد العلم وإنشاء لغة رمزية تكون نموذجاً علمياً . ولقد قام **رودلف كارناب** في حقل الرياضيات ، والرياضيات المنطقية ، ببناء لغتين رمزيتين ، الأولى تتضمن بديهيات حساب القضايا والذاتية وعلم الحساب ، والثانية تتضمن بديهيات أكثر في حساب القضايا والرياضيات وغيرها ، بحيث أصبحت اللغة الأولى جزءاً من الثانية . وفي مجال العلوم التجريبية اهتمت التجريبية المنطقية بالتحليل المنطقي للفيزياء ، أو بعبارة أدق لغة الفيزياء ، كما اهتمت بالطريقة التجريبية الاستقرائية والاحتمالية ، وبذلك تكون التجريبية المنطقية قد أولت اهتمامها بالعلوم الرياضية والمنطقية والعلوم التجريبية أو الوضعية ، أي أنها اعتمدت في أصولها على التحليل المنطقي للرياضيات والفيزياء .

تجسد .... **Incarnation**

عقيدة بدائية نجدها في كثير من الديانات البدائية وفي المذاهب الهندية والديانات المصرية القديمة . والتجسد إما مؤقت وإما دائم ، والمؤقت هو أن يحل الإله في شخص لفترة زمنية أو بين الفينة والفينة . وقد تتولد هذه الحالة إثر تناول مشروب كأن يكون دم أضحية . وكان الإغريق في أرجوس يضحون بحمل مرة في الشهر ، وتتناول دمه إمرأة طاهرة فيحل فيها الإله وتتنبأ . وكان كهنة إيجيرا يضحون بثور تشرب المتنبئة دمه قبل أن تستطيع التنبؤ . وهكذا فعل المصريون القدامى . وما يزال الهنود يؤمنون بأن الإله كريشنا يحل في جسد المهاراجا . ويؤمن المسيحيون بأن الله قد حل بجسد المسيح ، وأنه بالتناول يحل المسيح في جسد كل مسيحي . وكانت تلك فرصة اهتبلها دعاة آخرون وعبدهم اتباعهم مثل القديس كولمب في القرن الثاني في قرطاجة ، وأليفندس الكليكي الذي ادعى أن كل المسيحيين آلهة من ثم طالما أنهم قد تناولوا جسد المسيح ودمه . وانتشرت فكرة التجسد بين الألبجانيين في جنوبي فرنسا ، والبوليسيين في أرمينيا ، والبوحوميليين في روسيا . وعرفت فرق الشيعة الإسلامية التجسد وقالت به السبئية والحربية والخطابية والاسماعيلية والدروز وغيرهم ، وهؤلاء ادّعوا أن الله يحل في صور خلقه وهؤلاء هم الرسل والأئمة .

تحليل فلسفي .... **Philosophical Analysis**

لم يستخدم في الفلسفة إلا على يد **برتراند رسل** . وكان **مور وفتنجشتاين وبرود ودايل ووزدوم وسوزان ستيبنج وكارناب وآير** على رأس من مارس **وأوضح** ودافع عن التحليل كمنهج صالح للتفلسف . ولا نغالي إذا قلنا إن كل المذاهب الكبرى في التحليل المعاصر توجد في كتابات رسل أو أنها مقتبسة منها . وتقوم نظرية رسل في التحليلِ على ثنائية الواقع أو ثنائية العقل والمادة أو الكلياتَ والأحاديات ، بمعنى أن الواقع شيء واحد ومركب ضخم يمكن تحليله إلى مكونات عقلية ومادية ، كلية وأحادية . والتحليل هو اكتشاف مكونات الكل المعقد والعلاقات بينها حتى ليمكن تسميته **بتفكير في شكل علاقات Relational Thinking** . وطرح رسل نظريته في كتابه **مشاكل الفلسفة Problems of Philosophy** (١٩١٢) وطورها في كتابه برنكيبيا ماثماتيكا (١٩١٠ - ١٩١٣) تحت عنوان **فلسفة الذرية المنطقية** ووصف هذه الفلسفة بأنها مذهب يرى أن العالم بعد تحليله تحليلاً نهائياً يتألف من وقائع ذرية تتميز بأنها تقابل قضايا أولية تقابلاً فوتوغرافياً ، والقضايا الأولية هي التي يعبر عنها بربط الحد الأدنى من المحمول بواحد أو أكثر مما يعد أسماء أعلام من الناحية المنطقية . ويستخدم رسل التحليل كشكل من أشكال التعريف اللغوي أو غير اللغوي . واستخدم مور في كتابه « **فلسفة مور** » (١٩٤٢) التحليل كشكل من أشكال التعريف ، ليس تعريف الكلمات لكنه تعريف المفاهيم والقضايا . ويحدد فتنجشتاين في كتابه « **رسالة منطقية فلسفية** » وظيفة التحليل بأنه اختزال أو

رد كل القضايا المركبة الوصفية إلى قضايا أولية ، ثم رد هذه إلى وحداتها الأساسية من الأسماء القابلة للتحليل ومركباتها التي تمثل وتعني أبسط ما في الحياة . ومهمة التحليل أن يجعل كل تعبير صورة من الواقع . وميز ويزدوم بين ثلاثة أنواع من التحليل ، المادي والصوري والفلسفي ، وقال إن التعاريف العادية للعلوم الطبيعية نماذج للتحليل المادي ، وأن نظرية رسل في الأوصاف نموذج للتحليل الصوري ، وأن التحليلين المادي والصوري على مستوى واحد لكن التحليل الفلسفي مستوى جديد تحل فيه الأطراف الأساسية محل الأطراف العامة ، فالأفراد أساسية أكثر من الأجناس ، ومعطيات الحس والحالات العقلية أساسية أكثر من الأفراد ، ومن ثم فالتحليل يهدف إلى اختزال ما يقال تعبيراً عن العقل إلى تعبير عن الحالات العقلية ، وما يقال تعبيراً عن الموضوعات المادية إلى تعبير عن معطيات حسية . ورأى جيلبرت رايل أن وظيفة الفلسفة هي تحليل بعض التعبيرات التي تدفع الفلاسفة خطأ أنها تعني حقيقة معينة في حين أنها تعني شيئاً آخر ، ولا سبيل إلى تصحيح هذا الخطأ إلا بإعادة صياغة هذه الجمل صياغة منطقية بصرف النظر عن صياغتها النحوية ، ووصف كارناب الفلسفة بأنها منطق العلم أو التحليل المنطقي لجمله وأطرافه ومفاهيمه ونظرياته . وهذا التحليل هو البناء المنطقي للعلم ، وأن البناء المنطقي للّغة ليس إلا نظرية صورية بحتة للّغة ، ومن ثم لا يتجه اهتمام الفلسفة أو التحليل إلى معاني كلمات وجمل اللغة لكن إلى العلاقات بين اللغة والعالم كما ترد في دلالات الألفاظ . ومع ذلك فإن التحليل الفلسفي الذي بدأ برسل انتهى بالوضعية المنطقية ، وما أضافه كارناب وآير عاد الاثنان إلى سحبه في كتبهما اللاحقة ، كارناب في كتابه « **الحقيقة والإثبات** » (١٩٣٥) ، وآير في مقدمته للطبعة الثانية من كتابه « **اللغة والحقيقة والمنطق** » (١٩٤٦) . ونلاحظ أن التحليل قام معارضاً حدسية برادلي ثم برجسون ، وانتهى إلى معارضة مفهوم الفلسفة بوصفها أداة إيضاح المفاهيم الصعبة الأساسية . وكان فتنجشتاين عندما قال في الثلاثينات « **لا تسألوا عن المعنى بل اسألوا عن الفائدة** » يعلن أفول التحليل الذي قام أساساً بحثاً عن المعنى ، وانقضاء أثره الذي سجله في الفلسفة المعاصرة .

ترتوليان Tertullian

كوينتس سبيتيموس فلورينس ترتوليان (١٦٠ - ٢٢٠) ولد بقرطاجة واعتنق المسيحية ورسم كاهناً ، وكان متمرساً بالقانون واللغتين اليونانية واللاتينية ، واشتهر بكتبه الثلاثة « **إلى الأمم Ad Nationes** » و « **الدفاع Apologeticum** » و « **النفس De Anima** » . ويبدو أن « إلى الأمم » كان مسودة لكتابه « الدفاع » ، وكان ترتوليان أول كاتب مسيحي يكتب باللاتينية متأثراً بكتابات فارو ، وهو يتوجه بما يكتب لمهاجمة الثقافة اليونانية الرومانية والإلحاد المسيحي برغم الصبغة الرواقية التي تصبغ كتاباته . وهو قاس في نقده ومحب للعبادات الموحية بالتناقض ، كأن يقول إن تجسد المسيح حقيقي لأنه مستحيل ، ويذكرنا بقول أرسطو في كتابه البلاغة حين يقول من المحتمل أن تحدث أشياء غير محتملة ، وهو يرى أن الفلسفة والدين على نقيض ، ويتساءل ما لأورشليم بأثينا ، وأحياناً يراهما على وفاق فيقول قد يبدو أحياناً أن سنيكا واحد منا . ويرفض ترتوليان أن يكون الله قد خلق العالم من ذاته أو من العدم ، ومن ثم فلا بد أنه خلقه من المادة ، والنقص فيه سبب النقص في المادة ، والله دائماً يخلق ، فاعلاً في المادة مثلما يفعل المغنطيس في الحديد . والله يخلق بإرادته الحرة وليس بالضرورة ، ومن ثم فالمادة لا تحده ، وينقد أفلاطون في كتابه « النفس » ويرى أن الروح جسم لطيف ، تخرج من بذرة وقت الإخصاب ، ولم توجد من قبل ، ولا تنتقل من جسم إلى جسم ، ناقضاً أفلاطون والفنوسيين ، مقتبساً آراءه ضد أفلاطون والرواقيين وأرسطو وهيراقليطس وديموقريطس من الطبيب الإغريقي

سورانوس الذي كان يكتب في روما في أوائل القَرن الثاني .

تسيجلر .... **Zegler** ....

ليوبولد تسيجلر (١٨٨١ ـ ١٩٥٨) مثالي ألماني ، من الناعين على النزعة العقلية التي نأت بالإنسان منذ أرسطو إلى عالم قد تردى في الإثم والإلحاد . وهو يدين مثل نيتشه هذا العصر ويصفه بأنه عصر مأزوم قد قتل فيه المنطق الله ، ولكن الإنسان بطبيعته مفطور على الإيمان ، ومن ثم راح يستعيض عن الله بآلهة من صنعه ، ورأى تسيجلر رسالته في تذكير الإنسان المعاصر بتراثه الديني ، وإنقاذه من الإيمان المطلق بالعقل . وهو يحاول مثل هيجل أن يستعيض عن منطق أرسطو بمنطق إيماني يوفق به بين الأضداد ويسير بالإنسان في اتجاه الله ، ويسميه **منطق توافق الأضداد** **Coincidentia Oppositorum** .

تسين .. **Ziehen** ..

تيودور تسين (١٨٦٢ ـ ١٩٥٠) وضعي ألماني ، ولد في فرانكفورت وتعلم وعلم بها وبيينا وأوترخت وهال وبرلين ، والمعرفة عنده تبدأ بالمعطيات التجريبية ، وغاية الفلسفة الإحاطة بالقوانين التي تحكم هذه المعطيات ، وينكر أن تكون هناك معرفة ميتافيزيقية بدعوى أنه لا معنى للإحاطة بشيء غير معطى ، ويرفض تقسيم العالم إلى ذاتي وموضوعي لأن المعطى محايد نفسياً وفيزيائياً ، ولكنه يميز بين **القوانين النفسية** والتي يسميها **القوانين المتوازية** Parallel Laws **والقوانين الفيزيائية** ، ويقول إن المعطى له مكوناته المتوازية وهي الجانب النفسي أو الذاتي من التجربة التي تتحكم فيها القوانين المتوازية ، ومكوناته المختزلة Reducts التي تتحكم فيها قوانين العلية ، وعلى ذلك يجعل تسين علم النفس نقيض العلوم الطبيعية .

تشمبرلين .... **Chamberlain**

هوستون ستيوارت تشمبرلين (١٨٥٥ ـ ١٩٢٧) المنظر الأجناسي القائل بتفوّق الجنس الجرماني الآري والمنادي باضطهاد اليهود ، والذي أسهمت أفكاره في إشعال حربين عالميتين ، وكانت أساس الدعوة النازية . ومن الغريب أنه إنجليزي المولد والأصل ، فرنسي التربية ، ولكنه أولع بالشعب والثقافة الألمانيين ، وتزوّج ابنة ريتشارد فاجنر ، واستلهمَ جوته نظريته في الحياة : وجنح ضد العقلانية والمادية وقال إنهما تخصص اليهود ، ولذلك فالروح اليهودية لا تقدر على الميتافيزيقا والفلسفة ، واستنكرَ أن يكون المسيح يهودياً ، وقال في كتابه الرئيسي « **أسس القرن التاسع عشر** **Die Grundlagen des 19. Jahrhuderts** » (١٨٩٩) أن رسالته إنقاذ الحضارة من وهدة المادية وخطر اليهود ، وأن التاريخ محصلة الصراع بين الأجناس ، والجنس يمثل فلسفة حياة ، وطرفا النقيض هما الجنس الجرماني الآري ، ومنحته الحضارة ، والجنس اليهودي وينسب إليه كل انحطاط وتدهور حضاريين .

شو توني .... **Chou Tuni**

(انظر الكونفوشية) .

شينج هاو **Ching Hao**

(انظر الكونفوشية) .

شينج يي .... **Ch'eng Yi**

(انظر الكونفوشية) .

تصورية ..... **Conceptualism**

المذهب التصوري الذي يرى أن موضوعات الفكر ومدلولات الأسماء الكلية تصورات أو مدركات عقلية Concepts لا توجد إلاَّ في العقل ، والعقل هو الذي يتصورها ، وتتكون المعرفة من هذه التصورات ، ولا يوجد بها ما يدل على نسبتها إلى موجودات خارجة عليها ، وليس فيها ما يدل على الموضوعية ، لأن كل معرفة لا بد لها من عارف ، وهي لذلك ظاهرة نفسية ،

ويمتنع على العارف أن يعرف غير ذاته ، ومن التناقض أن تكون المعرفة ذاتية وتدرك شيئاً خارجياً ، ومن التناقض أن يدرك الفكر شيئاً مادياً مغايراً في طبيعته للأفكار ، ولا يدرك العقل إلاّ انفعالات الحواس بالأجسام وليس الأجسام نفسها ، ولا سبيل بالعقل بالأجسام وخصائصها إلاّ بالاستنتاج العقلي المبني على مبدأ العلية .

تصوف Sufism

من الصفاء بمعنى أن الصوفي قد صفى قلبه لذكر الله ، أو من الصف بمعنى أن الصوفي في الصف الأول من الواصلين ، أو من الصفة بضم الصاد نسبة إلى أهل الصفة من فقراء المسلمين الذين بنى لهم الرسول صفة خارج مسجد المدينة ليبيتوا فيها ، وربما من كلمة فيلوسوفوس بمعنى حب الحكمة ، والأغلب أنها مشتقة من الصوف لباس الصوفية حيث كانت عادتهم أن يلبسوا جبة أو مدرعة من الصوف ، فأطلقوا على الزاهد منهم اسم الصوفي أو المسوحي نسبة إلى المسح (بكسر الميم وتسكين السين) أي اللباس من الشعر ، وتدريجياً حلّت المرقعة محل لباس الصوف .

وكان التصوف وليد نزعات الزهد القوية التي ظهرت بوادرها في صدر الإسلام ، تساندها آيات القرآن التي تحضّ على النسك ، وحياة النبي نفسه ، واشتدّت مع الفتوحات وإقبال الخلفاء على الدنيا ، فكان الزهد حركة احتجاج ضد التحلل الأخلاقي ، لكن الزهد لم يتحول إلى تصوف إلاّ مع ارتداء الزهّاد للباس الصوف ، فكأن ارتداء لباس الصوف أو المرقعة فيما بعد كان الحد الفاصل بين الزهاد ممّن ساروا سيرة السلف مثل بلال بن رباح وسلمان الفارسي والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز ، وبين المتصوفة . وكان **أبو هاشم الكوفي** (المتوفي ٧٦٦ م) أول من تسمّى بالصوفي ، ويقال إن أول تكية أو خانقاه بنيت للصوفية كانت بالرملة بفلسطين ، ويروى عن تأثير المسيحية في التصوف أن الذي أسسها أمير مسيحي . وحاول عديد من المؤرخين ردّ التصوف إلى المسيحية أو الغنوصية أو الأفلاطونية المحدثة أو الفيدانتا الهندية أو البوذية أو الديانات السرية كالصابئية أو الهرمسية أو القبالة اليهودية ، وعلى أي الأحوال فإن الصوفية تعتمد على تأويل آيات القرآن والحديث ، وتزعم أن التصوّف هو علم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب عن النبي ، وعلم خاصة المسلمين الذين لا تنكشف كلمات القرآن ودلالاتها ومعانيها إلاّ لهم ، ومن مبادئهم أنه لا بد **للمريد** من **شيخ** يأخذ عنه ، ويسمون الزمن الذي يقضيه المريد في صحبة الشيخ **زمن الارتضاع** ، والشيخ وحده هو الذي يعلم وقت فطام المريد . والأحوال تسري من باطن الشيخ إلى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج . ولكل شيخ **طريقة** ، والطريقة هي مجموعة القواعد التي يرسمونها للمريدين . وللطريقة **رباط** يضم الشيوخ والشبان ، ويلزم الشيوخ فيه زوايا الخلوة بينما يأوي الشبان إلى **بيت الجماعة** ، وتناط الخدمة بالمبتدئين ويأتيهم الطعام من الصدقة أو الأحباس أو السؤال ، ولا يسمح لأحد أن يتناول أكل الرباط إلاّ إذا شغلته العبادة أو أقعدته السن ، **والخلوة** أربعون يوماً وتسمى **الأربعينية** ، وشيخ الطريقة هو **قطبها** ، يليه النقباء فالأوتاد فالأبرار فالأبدال . وللتصوف **مقامات وأحوال** ، والمقامات مراتب يترقىٰ فيها صعوداً إلى الله ، وهي التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا . والأحوال انفعالات تلم بالصوفي وتناسب المقامات كحال الخوف والرجاء والأنس والسكر والصحو والطمأنينة واليقين . وغاية الصوفي مجاهدة نفسه ، ويتوسل **بالذكر** أهم أركان التصوّف ، ويتراوح بين مجرد ترديد اسم الله وقراءة بعض الأوراد ، وبين تعذيبه لبدنه وحبس التنفس والغشية . وتستعين الصوفية بالموسيقى والشعر والغناء لتحريك وجداناتهم ، وشعرهم يكثر فيه الحب والخمر ، وإنسانهم الكامل هو النبي ، ولغتهم فيها الفيض والإشراق والجذب والوجد والسكر والغناء والنشوة والوصول ، وقد يطرق الصوفي باب الله فلا يفتح له . والوصول اتحاد بالله ، واتحاده بالله فيه الفناء

وفيه الصحو ، والصحو بقاء بالله بعد الفناء .

وأقدم مدارس التصوف كانت مدارس زهد وورع لا مدارس فلسفة ونظر ، وأقدم أنواعه تصوف الخوف من العقاب والعذاب ، لكنه تحول إلى نزعة حب . ويعتبر **ذو النون بن إبراهيم الأخميمي المصري** (المتوفي ٨٥٩ م) المؤسّس الفعلي للتصوف ورأس هذه الفرقة ، وعنه أخذ الجميع وإليه انتسبوا . ويروي ابن خلّكان أنه كان فريداً في علمه وأدبه وتعبده ، وأول من شرح إشارات الصوفية وتكلّم في المقامات والأحوال وشرح الوجد والتوحيد . وكان قبطياً ولد بأخميم من صعيد مصر وعاشَ بها ، وتتلمذ على الإمام مالك ، وانتحلَ الكيمياء ، وبرع في علم الباطن وقراءة الطلاسم وأتقن سحرها ، وهو يقسم المعرفة إلى عامة خاصة بالعوام ، وخاصة تخصّ الفلاسفة والعلماء ، وخاصة الخاصة هي معرفة الأولياء . ويقسم التوبة إلى توبة العوام وتوبة الخواص ، وتوبة العوام تكون من الذنوب ، وتوبة الخواص تكون من الغفلة .

ومن أشهر الصوفية **معروف الكرخي** (المتوفي ٨٢١ م) من أصل مسيحي أو صابئي فارسي ، كان عبداً للإمام علي بن موسىٰ الرضا ، وعاشَ في بغداد في حي الكرخ ، وهو القائل إن **محبة الله لا تكتسب بالتعلّم لكنها هبة من الله وفضل** ، وكان تصوفه وسيلة للمعرفة ، ويصف التصوف بأنه **الأخذ بالحقائق** .

ومنهم **أبو سليمان الداراني** (المتوفي ٨١٠ م) **والحارث المحاسبي** (المتوفي ٨٥٧ م) ويُقال إن أول من حاضر الناس في التصوف **يحيىٰ بن معاذ الرازي** ، وأن **الجنيد البغدادي** كان أول من صاغَ المعاني الصوفية كتابة ، وأن **أبا اليزيد البسطامي** كان أول من استعمل كلمة الفناء ، وأن **الحسين بن منصور الحلاج الفارسي** (قتل ٩٢٢ م) أول من قال بنظرية الحلول ، حلول الله أو اللاهوت في الإنسان أو الناسوت كما في المسيح عند المسيحيين ، وهو أول من قال بوحدة الأديان ، وأن **محي الدين بن عربي** (نحو ١١٦٤ ـ ١٢٤٠ م) كان أول من لقّب بالشيخ الأكبر ، وأول من قال بنظرية الإنسان الكامل ، ويقصد به النبي أو الحقيقة المحمدية أو روح النبوة التي تنتقل في الأنبياء والأولياء والصالحين ، أو هو العقل الكلي الذي يصل ما بين الله والطبيعة . والنبي أو الإنسان الكامل بالنسبة إلى الله كمثال المرآة التي لا يرىٰ الشخص صورته إلاّ فيها . وكان ابن عربي أول من دوَّن تعاليم الصوفية في عشرين مجلداً هي كتابه **الفتوحات المكية** .

ومن أشهر الصوفية كذلك **ابن الفارض** (المتوفي ١٢٣٥ م) المصري المولود بالقاهرة والمعروف بتائيته الكبرى ، **وفريد الدين العطار** (المتوفي نحو ١٢٣٠) **وجلال الدين الرومي** (المتوفي ١٢٧٣) ، والثلاثة من القائلين بوحدة الوجود ، **وأبو سعيد بن أبي الخير** (المتوفي ١٠٤٩ م) أول من استحدث الطرق الصوفية وجعل لها نظامها الهرمي ، **والسهروردي المقتول** (١٢٣٤ م) أول من قال بوحدة الوجود ، **وأبو حامد الغزالي** (١١١١ م) مؤسس التصوف العملي ، **ورابعة العدوية** أول من استعمل اصطلاح الحب الإلّهي .

تطور ... Evolution

(انظر **الداروينية والتطوّر الطارىء**) .

تفتازاني ... Taftazani

سعد الدين مسعود بن عمر (٧٢٢ ـ نحو ٧٩٢ هـ) وِلد بتفتازان من أعمال خراسان ، وتوفي في سمرقند ، وكان حجة في المنطق وما وراء الطبيعة والكلام والبلاغة والفقه ، وأهم كتبه « **شرح الرسالة الشمسية** » أو « **شرح الشمسية** » وهو شرح لرسالة الكاتبي ، و « **تهذيب المنطق والكلام** » وهو رسالة في المنطق والكلام ، و « **المقاصد** » موجز فيما وراء الطبيعة والكلام . ويغلب على كتبه الطابع المدرسي ، ولذلك فإنها ظلّت ضمن مناهج الدراسة في العديد من المدارس والجامعات الإسلامية .

تفسير ... Exegesis ; Explanation

بمعنى الكشف أو الشرح ، ويطلق على شروح

المصنّفات العلمية والفلسفية ، واشتهر منه التفسيرات اليونانية والعربية على مؤلّفات أرسطو ، ومنها تفسير الرازي لكتاب فلوطرخس في تفسير كتاب تيماوس لأفلاطون ويعرف بكتاب « تفسير التفسير » .

وكان **حنين بن إسحق** من أبرز المفسّرين في هذا المجال . ويرتبط التفسير في الإسلام بعلم التفسير . وكانت الحاجة إلى التفسير لبيان معاني القرآن وجلاء أسباب نزول الآيات . ولا شك أن الإمام مالك بن أنس هو واضع التفسير بمعنى أنه جامعه ومدونه . وقيلَ إن **ابن عباس** كان حجة صدر الإسلام في التفسير . وكانت نشأة التفسير نقلية ، ويذهب النقليون إلى عدم جواز تفسير القرآن إلاَّ مروياً عن الرسول وصحابته الذين شهدوا معه التنزيل ، غير أن التطوّر العلمي والعقلي الذي أحاطَ بالمسلمين من كل جوانب حياتهم أنشأَ التفسير العقلي أو الاجتهادي ، وغالىٰ أصحاب التفسيرين فنجد **ابن المسيب** إذا سئل عن تفسير آية من القرآن يقول « إنا لا نقول في القرآن شيئاً» ، بينما نرى **الغزالي** نقيضه حيث يقول « إن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً ، وإن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهىٰ الإدراك فيه » . وهكذا يجيز العقليون التفسير لكل من يسعه ويتزوّد له بأسبابه العلمية . ومن أشهر التفاسير النقلية « **جامع البيان في تفسير القرآن** » **للطبري** ، و « **الدر المنثور في التفسير** » **للسيوطي** . ونشأت من التفسير العقلي تفاسير نحوية وأدبية وفقهية وتاريخية وصوفية وتشيعية وعلمية ونفسية واجتماعية .

تفكير .... **Thinking ; Reasoning**

نشاط إنساني خالص يأخذ شكلين أساسيين ، فإما أننا نفكر لنعرف الحقيقة أو ما يمكن أن يكون الحقيقة ، وإمَّا أننا نفكر لنستقر على رأي حول ما ينبغي عمله إزاء موضوع معين . ويصف أرسطو هذين الشكلين من التفكير بأنهما **التأمل Contemplation والتروّي Deliberation** ، وكلاهما يمكن أن نؤدّيه بنجاح أو بفشل وبذكاء أو بغباء . والتأمّل الناجح ينتهي إلى نتيجة ، كما ينتهي التروّي الناجح إلى قرار . ويصف أرسطو التفكير التأملي بأنه **تفكير نظري** ، بينما يصف التفكير المتروي بأنه **تفكير عملي** . والتفكير الإنساني اليومي خليط من الشكلين .

والتفكير في أغلبه نشاط غير ظاهر يتم باطنياً Foro Interno ، وهو قصدي بمعنى أنه يتوجه إلى موضوع قد يكون مجرداً أو يمينياً . والتفكير في الموضوع يعني التفكير فيه تحت اسم أو وصف معين ، وإضفاء صفات معينة عليه بطريقة تجعل من الممكن التعبير عنها بكلمات معينة بحيث أن التعبير عنها بكلمات أخرى لا يتساوى في دقة التعبير عنها بالكلمات الأصلية . وتتّسم بعض الأفكار بشكل منطقي معين ليس لغيرها .

وكانت نظريات التفكير دائماً إحدى نظريات ست ، فهي إما أفلاطونية أو أرسطية أو تصورية أو صورية Imagist أو إسمية نفسية أو سلوكية . والتفكير في النظرية الأفلاطونية عبارة عن حوار داخلي بكلمات تشير إلى صور Forms وربما لأشخاص ، أو أنه نشاط عقلي يفتش عن الصور أو الكليات ويتذكرها ويستكنه طبيعتها وعلاقاتها الباطنة . والتفكير في النظرية الأرسطية فعل عقلي تثري ماهية الشيء أو صورته المدركة العقل حيث إن التفكير في الشيء هو مشاركة في ماهيته بتحصيل المزيد من المعرفة به . والتفكير عند التصوريين (العقلانيين وكنط) نشاط يبرز الأفكار التي تكون موجودة أصلاً في العقل ، أي الفطرية فيه بفعل الله (ديكارت ولايبنتس) أو التي تكون قد تكوّنت فيه بالتجريد من الخبرات الحسّية (لوك وكنط) . والتفكير عند الصوريين (باركلي وهيوم) تتابع لأحداث تشتمل على صور ترتبط بعادات معينة ويميل فيها العقل إلى التحرك من صورة إلى أخرى . والتفكير عند الإسميين النفسيين (هوبز) حوار نفسي يدور في الرأس ويستخدم صوراً لفظية أو كلمات عقلية تدل على أشياء أو فئات من الأشياء . وفي السلوكية هو كلام مترابط يدور في الذهن لكن صاحبه على استعداد لإعلانه كتفسير لسلوكه . ولكل نظرية من النظريات السابقة عيوبها ومحاسنها ،

ولم توجد بعد النظرية المتكاملة في التفكير والتي يرضىٰ بها الجميع .

تقليدية .... Traditionalism

فلسفة تاريخ قالت بها جماعة من المناهضين لمبادىء الثورة الفرنسية ، تؤيّد سلطة البابا المطلقة ، وتعارض الفردية في الأخلاق والإبستمولوجيا ، واشتهرَ من مفكريها جوزيف دي ميستر (١٧٥٣ ـ ١٨٢١) والفيكونت دي بونالد (١٧٥٤ ـ ١٨٤٠) وبطرس سيمون بالانش (١٧٧٦ ـ ١٨٤٧) وفيليسيتيه روبرت دي لامينيه (١٧٨٢ ـ ١٨٥٤) وتقوم فلسفتهم على أن العقل الوحيد الذي يمكن الركون إليه هو العقل الجماعي الذي يتمثل في التقاليد والمؤسسة الدينية ، وأن الإنسان جزء من الكل الذي هو المجتمع ، وأن التقاليد تصنع من المجتمع وحدة ، ووحدة المجتمع تصنع حضارته ، والمجتمع هو المجتمع الإنساني ، وحدود الدولة من ثم مصطنعة يجب إلغاؤ ها ، والبابا هو السيد الأمر الذي لا راد لحكمه لأنه صوت الله ويجب أن يعلو على كل الأصوات ، وأن تكون كلمته هي الفصل . لكن التقليدية بالغت وانتهت إلى **الإيمانية Fidéisme** ، بمعنى أن تسليمها بالسلطة الدينية تحول إلى استسلام يتجاوز المعقول ، طالما أن الإيمان يرجح على العقل وأسبق عليه ، وهو ما كانت تعارضه الكنيسة وانتهت إلى إدانته فعلاً في شخص القسيس **أبيه بوتان** (١٧٩٦ ـ ١٨٦٧) وكانت دعوته إيمانية خالصة (١٨٤٠) وصدر حكم الكنيسة ضد الإيمانية في المؤتمر الثالث لمجلس الفاتيكان (١٨٧٠) .

والتقليدية في الدين بشكل عام هي قبول قول الغير في مسائله بلا دليل ، والتقليد بهذا المعنى ضد الاجتهاد ، ويُقال إن أهل السنة تقليديون بمعنى أنهم اتباعيون أو سلفيون لأنهم يلزمون المسلم باتباع ما قرَّره السلف مسنداً ، ولأنهم قصروا الاجتهاد على فقهاء القرون الأولى للإسلام فهم وحدهم الذين رزقوا النظر والدراية وهما مؤهلات استنباط الفقه من أصوله .

وينعقد الإجماع على أن العامي ملزم بالتقليد كالفقيه ، لكن الفقيه ملتزم بتبيين صحة اجتهاد المجتهد بدليله ، فإذا تعدَّد المجتهدون فللمقلد أن يقلّد من يختار طالما لم يخرج عن الإجماع . وعموماً كان التقليد مثار خلاف بين المذاهب ، وقد رأىٰ بعض الأئمة أن الاجتهاد حق له مطلق مثل الجويني ، وذم بعضهم التقليد مثل ابن حزم ، وتشدَّد الحنابلة في التقليد ، وأنكره الوهابية ، ورفضته الأباضية والشيعة .

تليزيو Telesio

برناردينو تليزيو (١٥٠٩ ـ ١٥٨٨) إيطالي قال عنه فرنسيس بيكون إنه أول المحدثين ، وأنه كان أول من رفع راية العصيان ضد أرسطو ، وكان كتابه « **عن طبيعة الأشياء طبقاً لمبادئها** » (١٥٨٦) عملاً رائداً له قيمته التي لا شك فيها ، عارضَ به العلم الطبيعي الأرسطي ، فكان إسهامه العظيم أنه طالب بدراسة الطبيعة اعتماداً على التجربة الحسية ، وبذلك مهَّد لجاليليو جاليلي ومنهجه العلمي ، وفتحَ في الفلسفة طريقاً سرعان ما سارَ على دربه توماسو كامبانيللا وفرانسيس بيكون نفسه وتوماس هوبز ، وكان يرى أن العالم كله يضجّ بالحياة ، وأن الحياة تشيع فيه بفعل مبدأ الحرارة ، وأن الحرارة التي تمثلها السماء ، والبرودة التي تمثلها الأرض ، هما المبدآن الفاعلان في الطبيعة ، وأن الطبيعة مادة تتكيف وتتشكل بفعلهما ، وأن الروح فيض حراري يشيع في الإنسان ويتمركز في المخ ويتلقّى ويتوقع الانطباعات الحسية . ولكن تليزيو لم يكن فيلسوفاً طبيعياً ولا مادياً ، ولم يرم إلى معارضة الأناجيل ولا الكنيسة ، مع أن بعض المؤرخين اعتبر ذلك منه خروجاً على الكاثوليكية .

تناسخ Transmigration; Palingenesis

عقيدة ، كالتجسيد ، قديمة ، نجدها في **قوانين مانو** أقدم الكتب الهندية حيث يصف بعث مرتكب الذنب بعد الوفاة في صورة أدنىٰ تبعاً لنوع الذنب ، فقد يولد كلباً أو حماراً أو دودة . والبوذية من أكثر المذاهب توسعاً

في مبدأ التناسخ ، ولا نجد ذكراً له قبل عهد الأوبانيشيدات . وكان الهدف من التناسخ أخلاقياً في أول الأمر تحقيقاً لفكرة الجزاء . وفي اليونان كان فيثاغوراس وأنباذوقليس من القائلين بالتناسخ ، وحرما قتل الحيوان لأنهما اعتقدا أن الأرواح الإنسانية يمكن أن تتناسخ في الحيوانات والنباتات ، وكان أنباذوقليس يقول إنه كان في حيواته السابقة نبتة وشجرة وطائراً وسمكة ، وكان الاثنان يعتبران قتل الحيوان وأكله جريمة لأنه من الجائز أن يكون هذا الحيوان قريباً لنا فنأكل أقاربنا . وكان الدافع لهذا القول أخلاقياً كذلك حتى ينفر الناس من ممارسة العنف وارتكابه . وكان مصدر أفكار التناسخ لدى الإسلاميين الهنود وليس اليونان ، لأن البصرة والكوفة مركزي الحركات القائلة بالتناسخ كانت ملتقى القادمين والذاهبين إلى الهند . ويذكر الشهرستاني أن فرقة **التناسخية** من مذاهب **الثنوية** الإيرانية تقول بتناسخ الأرواح في الأحياء والانتقال من شخص لآخر ، وتعتقد أن الإنسان دائماً في أحد أمرين ، إمَّا في فعل وإمَّا في جزاء ، وما فيه فإنه مكافأة على عمل قدمه وإمَّا عمل ينتظر المكافأة عليه . وكانت المانوية ، كما يرى عبد القادر البغدادي ، تقول بالتناسخ ، وهو يذهب إلى أن الهنود القائلين بالتناسخ هم فرقة **السمنية** . وكانت فرق الشيعة وخاصة **الخطابية** تقول بالتناسخ فأرواح الصديقين ترتقي مدارج الكمال في أجساد الأولياء والأنبياء إلى النور الأعلى ، وأرواح أهل الضلالة تتدنَّى وتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تغرق في الظلمة .

تندال Tyndall

يوحنا تندال (١٨٢٠ ـ ١٨٩٣) بريطاني ولد بإيرلندة وتعلَّم بجامعة ماربورج بألمانيا ، وهو من الماديين القائلين بالتطور ، ولكنه في محاضرته الشهيرة المسماة **محاضرة بلفاست** تحدَّث عن المادة وكأنَّها إله ، وقال إن الحياة والعقل كامنان في المادة ويشيعان في الكون ، وأن الشعور قديم قدم العقل ، ولم يقل بارتقاء داروين لأنه ينكر فكرة القوة الخالقة ، وآثر عليه نظرية سبنسر في تطور الحواس والعقل من خلال تفاعل الكائن مع البيئة ، وأيَّد نظرية وراثة التجربة . وكان تندال من المهتمّين بمسائل الدين ، ولم ينكر العاطفة الدينية ، لكنه أعلن أن تدخلها في مسائل العلم يفسد العلم إفساداً شديداً ، لكنها لازمة في مجال الشعر ، والأخذ بها والاعتقاد فيها يضفي الكرامة على الإنسان .

تنوير Enlightenment

اتجاه ثقافي ساد أوروبا الغربية في القرن الثامن عشر بتأثير طبقة من المثقفين عرفوا باسم **المتفلسفين Philosophes** ، وكانوا صحفيين وكتاباً ونقاداً وروّاد صالونات أدبية ، من أمثال **فولتير وديدرو وكوندورسيه وهولباخ وبيكاريا** ، ولم يكونوا أصحاب فكر بقدر ما كانوا **مروجين Popularizers** لأفكار عصرهم ، ولو أنه من الظلم أن ندرج معهم فولتير وديدرو فقد كانا فلاسفة من الصف الأول ، ولكن هؤلاء المتفلسفين أخذوا عن الفلاسفة العقليين ديكارت وسبينوزا ولايبنتس ولوك الذين طبعوا القرنين السابع عشر والثامن عشر بطابعهم الثقافي حتى أطلق على هذه الفترة اسم **عصر العقل Age of Reason** ، وكان التنوير نتاجه .

ولو شئنا اختيار شخصية نموذجية تدل على التنوير لكانت هذه الشخصية هي شخصية جيفرسون ، أو لكانت مزيجاً من شخصية جيفرسون وفرانكلين وتوماس بين ، ويمكن بشكل عام تقسيم أفكار التنوير في ثلاث مجموعات تحمل عناوين **العقل والطبيعة والتقدم** ، وتكون في مجموعها الفلسفة الطبيعية والأخلاق الطبيعية ، وأساسها العلم ، وكان الإيمان به مطلقاً كالإيمان بالعقل ، فالعلم طريق العقل ليس لبلوغ الحقيقة ولكن لتنظيم حياة الإنسان بحيث يمكن أن يجعل منها مدينة الله على الأرض بعد أن يئس الإنسان من بلوغ مدينة الله في السماء . وكان شعار التنوير **العلم للجميع** . وكانت روح التنوير إلحادية بل وشديدة العداء للكنيسة وللسلطة

متمثلة في الدولة ، وللخرافة والجهل والفقر ، وغالى التنويريون في دعوتهم للعودة بالإنسان إلى الطبيعة حتى كان بعضهم من دعاة البدائية **Primivists** ، وكانوا شديدي الثقة في إمكان تخطيط المجتمع المدني تخطيطاً يقوم على العلم ويدفع إلى التقدم . واحتدم الجدل في ذلك العصر بين **أنصار القديم Ancients** وبين **العصريين Moderns** ، وكان جدلاً فكرياً عالياً وتراشقاً بالثقافة والكتب حتى اطلقوا في انجلترا على تلك الظاهرة اسم **معركة الكتب Battle of Books** . واتسمت النظرة التنويرية بالتفاؤل المسرف وإن كانت هناك لحظات من اليأس المرير . ولعبت الأفكار التقدمية دوراً كبيراً في الإعداد عقلياً ونفسياً للثورات البورجوازية المقبلة .

توحيد Monotheism

الاعتقاد بوحدانية الله وأنه لا شريك له ، وهو نوعان ، فهو إما بأدلة النقل والعقل ، وإما بالذوق والمشاهدة ، وسواء كان هذا أو ذاك فهو العلم الذي يبحث في الله وصفاته وأفعاله ويسمى **علم أصول الدين والفقه الأكبر وعلم الكلام** . والفرق بين علم الكلام وبين الفلسفة الإلهية أن الأخيرة تبحث في الإلهيات بالعقل ، ولكن علم الكلام يبحث فيها استناداً إلى ما جاء عنها في الشرع ثم يلتمس الحجج التي تؤيد هذه العقائد ، فالفيلسوف يستدل ثم يعتقد ، ولكن المتكلم يعتقد ثم يستدل . وكانت نشأة التوحيد أو علم الكلام بسبب دخول الأمم المختلفة عقلياً وثقافياً واجتماعياً في الإسلام ، وما اتصل بذلك من نقل الفلسفات والمعتقدات اليونانية وغير اليونانية إلى العربية ، وما ترتب على ذلك من احتدام الجدل وانقسام المسلمين إلى فرق ونحل ، مما أضر بالعقيدة حتى كره الكثيرون علم الكلام وحذروا منه ، وقال فيه ابن حنبل مثلاً **علماء الكلام زنادقة** .

توحيدي Tawhidi

أبو حيان علي بن محمد بن العباس (نحو ٣٢٠ - ٤١٤هـ) الملقب بالتوحيدي ، إما لأن جده كان يبيع تمر « التوحيد » أو لأنه هو نفسه كان يقول بالتوحيد . ويسلكه كتابه **الإشارات الإلهية** ضمن الصوفية إلا أن كتبه الأخرى وخاصة **المقابسات** تضمه ضمن زنادقة الإسلام المشهورين كابن الراوندي وأبي العلاء المعري .

والمقابسات عبارة عن مجادلات فلسفية بين شخصيات عصره وأولهم أبو سليمان المنطقي . ويجمع في كتابه **الإمتاع والمؤانسة** سبعاً وثلاثين مجلساً من مجالس هذه الشخصيات . ويروى عنه أنه كان شكس الخلق مترفعاً ، فعاش في فقر حتى أنه أقدم على حرق كتبه من شدة غيظه من أحواله ، ومات منسياً .

تولاند Toland

يوحنا تولاند (١٦٧٠ - ١٧٢٢) أيرلندي أقام شهرته على عدائه للمسيحية ونقده الشديد لنظامها الكنسي واتهامه للأناجيل بأنها مزورة ومنحولة للحواريين ، وكتابه المشهور « **المسيحية ليست فوق العقل ، ولا يوجد في الإنجيل ما يخالف العقل** » (١٦٩٦) ألفه في الخامسة والعشرين ، وحظره البرلمان الأيرلندي وأمر بحرقه والقبض على مؤلفه . ولعن تولاند من فوق المنابر في انجلترا . واشتهر بأنه مفكر حر ضد الخرافة والتعصب ، وداعية إلى العقل ، وكان طبيعياً يؤمن بإله ولكنه في كتابه **وحدة الوجود** (١٧١٠) وصفه بأنه العالم .

توماوية Thomism

مذهب توماس الأكويني ، مر بمراحل تاريخية ثلاث ، من وفاته سنة ١٢٧٤ حتى أوائل القرن الخامس عشر ، مع ازدهار الاسكولائية ، وكانت تعني مذهباً يؤلف بين الماهية والوجود ويعارض الإسمية والأفلاطونية ؛ والمرحلة الثانية من القرن السادس عشر

حتى القرن الثامن عشر وفيها ازدهرت التوماوية في إسبانيا بازدهار الإسكولائية ، وتوسعت في استخدام البرهان الإني الذي يمضي من الموجودات المتقدمة في معرفتنا إلى علتها الأولى ، والمرحلة الثالثة تبدأ من منتصف القرن التاسع عشر حيث أشرفت الكنيسة الكاثوليكية على بعثها والترويج لها رسمياً ، ومن يومها صارت التوماوية فلسفة الغرب الدائمة Philosophia Perennis التي لا تعلوها فلسفة أخرى ، ووجد فيها المفكرون الأسلحة التي لم يجدوها في غيرها من الفلسفات والتي بها يستطيعون مجادلة الإلحاد واللاأدرية وغيرها من الفلسفات والنظريات السياسية والاجتماعية ، واتسمت هذه **التوماوية المحدثة Neo-Thomism** باستعدادها لاستيعاب المؤثرات من خارج تراثها . ولا يوجد اليوم أسماء أكبر من اسمي جاك ماريتان وإيتان جيلسون يؤرخ بهما للتوماوية المعاصرة . وكان رائد هذا الإحياء التوماوي **فنشنزو بوزيتي** (١٧٧٧ - ١٨٢٤) محاضراً مغموراً ، ألهم الأخوين سيرافينو ودومينيكو سوردي اللذين تحولا فيما بعد إلى الجزويتية ، وجيوزيبي بيكي شقيق البابا ليو الثالث عشر .

ونقلت جامعة لوفان والدومينيكيون الفرنسيون الاهتمام بالتوماوية إلى المجالات الدولية ، وتكفل المعهد العالي بلوفان ، الذي تأسس سنة ١٨٨٩ ، بسد الثغرة بين العلم والفلسفة ، وتوفر رهبان الدومينيكان على دراسة تاريخها وتقويمها والدعاية لها . وانتقل الاهتمام إلى جامعتي ميونخ ومونستر ، وبرز من أساتذتها مارتن جرابمان وأوتو جيير ، وفي روما برز ريجينالد جاريجو لارانج ، وفي جامعة فريبورج ويلتي وبوشنسكي ، وأخرجت المراكز التوماوية في معهد العصور الوسطى بتورنتو ، وفي واشنطن وسان لويس ومونتريال وسيدني آثاراً لها قيمتها ، واتصلت الحركة أخيراً بفلاسفة علم الظواهر من أتباع هوسرل ، وبالتطور الحديث في المنطق الصوري .

تومنية ... Tomniya

أصحاب أبي معاذ التومني ، زعم أن الإيمان هو ما عصم من الكفر ، وهو اسم لخصال إذا تركها التارك كفر ، وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها كفر ، ولا يقال للواحدة إيمان ولا بعض إيمان . وكل معصية ليست كفراً لا يقال لصاحبها فسق ولكنْ فسق وعصى . وتلك الخصال هي المعرفة والتصديق والمحبة والإخلاص والإقرار .

تونج شونج شي ... Tung Chung She

(انظر الكونفوشية) .

توينبي ... Toynbee

أرنولد يوسف توينبي (١٨٨٩ -) مثالي إنجليزي ، يعد أبرز ممثلي فلسفة التاريخ التأملية . أهم كتبه **دراسة في التاريخ A Study of History** (١٩٣٤ - ١٩٦١) في اثني عشر مجلداً ، يقول إنه خلال قراءاته في التاريخ الإغريقي الروماني انبهر بفكرة أن التاريخ عبارة عن عينات من المجتمعات البشرية مما اصطلحنا على تسميته بالحضارات Civilizations ، وتصادف أن قرأ في نفس الوقت كتاب شبنجلر **أفول الغرب** وعثر على فكرة دورة حياة الحضارات ، وكانت قريبة من فكرته عن التاريخ ، لكن ما قدمه شبنجلر من أمثلة بلغت ثمانية لم تكن تكفي لتعميم ما استخلصه منها من نتائج ، ومن ثم انبرى توينبي لكتابة التاريخ بمنهج علمي استقرائي ، واستطاع أن يسوق واحداً وعشرين مثلاً على ما ذهب إليه . وهو يقول إن التاريخ يسير في دورات كبرى من الارتفاعات والانخفاضات ، وأنه محصلة الحضارات المختلفة التي تمر بنفس المراحل من الميلاد إلى النمو فالتفكك والأفول والسقوط ، وأن الحضارات في نموها تتجاوب مع التحديات التي تواجهها ، وأنها في أفولها تعجز عن ابتهال الفرص التي تعن لها ، وعن التصدي لما يعترض طريقها من مصاعب ، وأن النمو والتحلل لا يكونا

بالضرورة بشكل مستمر أو غير متقطع ، فقد تعقب الهزيمة لحظات تستجمع فيها الأمة طاقاتها استجماعاً مؤقتاً سرعان ما ينتهي بنكسة أخطر . ويربط توينبي في معالجته للقوى المحركة للتاريخ بين الإيمان **بالكشف الإلهي** باعتباره معنى التاريخ ، **والأمل في الاتحاد بالله** ، وبين عبادة الأفراد الخلاقين أو الأقليات الخلاقة . ويختلف توينبي عن شبنجلر في زعمه بإمكان إنقاذ الحضارة الغربية عن طريق الدين .

تيلر .... **Taylor**

ألفريد إدوارد تيلر (١٨٦٩ ـ ١٩٤٥) بريطاني ، ولد في أوندل من مقاطعة نورثامبتون وتعلم بأكسفورد ومانشستر ومونتريال وسانت أندروز وإدنبرا ، وكان حجة في الفلسفة الإغريقية ، وكتابه **أفلاطون الإنسان وعمله Plato: The Man and his Work** (١٩٢٦) من أهم المراجع في الفكر الأفلاطوني ، وكذلك دراسته المطولة **تعقيب على تيماوس أفلاطون Commentary on Plato's Timaeus** (١٩٢٨) ، وهو يحاول أن يقلل الفجوة بين الإنجيل وأفلاطون . وكان تيلر من الهيجليين المحدثين ، وظل من الملتزمين بالتفسير الديني والروحي للواقع .

تين .... **Taine**

إيبوليت أدولف تين (١٨٢٨ ـ ١٨٩٣) فرنسي ، كان وزميله إرنست رينان أشهر مفكري الوضعية الفرنسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اضطهد بسبب آرائه المعادية للكنيسة وللبونابرتيين والليبراليين . وأشهر مؤلفاته « **في العقل De L'Intelligence** » (١٨٧٠) يعارض علم نفس الملكات الذي يجزىء الحياة العقلية ولا يعكس تشابكها وتعقيداتها ، ويدفع بدلاً منه نظريته التي تربط الحياة الباطنة بالأحداث المادية ، وتجعل من العقل والبدن وجهين لعملة واحدة . وهو يفسر الظواهر الاجتماعية بالحالة السيكولوجية للمجتمع ، ويقول إنها نتائج للعرق والبيئة والعصر ، ويفسر بنظريته الأدب والفن في كتابيه « **تاريخ الأدب الإنجليزي** » (١٨٥٣) و « **فلسفة الفن** » (١٨٦٧) .

حرف الثاء

ثعالبة Tha'aliba

فرقة من الخوارج ، أصحاب ثعلب بن عامر ، قالوا بولاية الأطفال صغاراً أو كباراً حتى يظهر منهم إنكار الحق بعد البلوغ ، ونقل عنهم أن الأطفال لا حكم لهم بولاية أو عداوة إلى أن يدركوا . وتفرق الثعالبة إلى أربع فرق هي الأخنسية والمعبدية والشيبانية والمكرمية .

ثقافة Culture

يختلط مفهومها بمفهوم الحضارة والمدنية . والثقافة من ثقف بمعنى حذق وفطن ، ومن Cultura اللاتينية بمعنى الفلاحة والتهذيب . ويروى أن أقدم تعريف علمي لها هو تعريف تايلور في كتابه « الثقافة البدائية » (١٨٧١) وإن كان مفهوم الثقافة قد عرف من قبل ذلك بكثير . واستخدم تايلور الثقافة كمرادف للحضارة لأنه كان في مجال تعريف الثقافة البدائية ، وفي هذا المجال تتطابق الثقافة والحضارة . وكان نص تعريفه « **الثقافة أو الحضارة ، هذا المجمل المتشابك المشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والممارسات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في جماعة** » ، وبهذا المعنى تكون لكل مجتمع ثقافة وحضارة ، ولكننا إذا اعتبرنا أن الثقافة منها البدائي كما فعل تايلور ، بمعنى أن للثقافة تاريخاً ومراحل ، أو تطوراً ، يكون من المعقول أن نستبقي مفهوم الحضارة للمراحل المتأخرة من هذا التطور ، وعلى ذلك يكون لكل المجتمعات ثقافاتها لكن بعضاً منها دون الآخر هو الذي يبلغ مرحلة الحضارة . والحضارة من الحضر والتحضر وتفيد التمدين ، ويميز ماركس بين الثقافة المادية والثقافة الروحية ، أو بين نظام الحياة المادية في المجتمع وبين نظام المعاني والقيم فيه ، ويجعل النظام الأول أساساً للنظام الثاني ، على خلاف النظريات المثالية التي تنكر الأساس المادي للثقافة وتعتبرها النتاج الروحي للصفوة . غير أن الماركسية برغم أنها تعلق الثقافة الروحية في المجتمع على نسق العلاقات الإنتاجية وترفع فوق أساسه البناء الفوقي السياسي والقانوني والاجتماعي والفكري ، فإنها لا تجعل الثقافة الروحية تتبع تلقائياً التغيرات التي تغذي هذا الأساس المادي . وبهذا المعنى يمكن أن نقص الثقافة على ما تعارفنا عليه باسم الثقافة الروحية ، وأن نطلق اسم المدنية على الثقافة المادية ، وأن نسلك الاثنين معاً ضمن الحضارة ككل . لكن اللغة العربية وإن أسعفتنا بلفظ المدنية إلا أن اللغات الأوروبية لا تعطينا لفظاً مشابهاً ، ومن ثم يكون اللبس والتخبط في استخدام لفظ الثقافة الإفرنجي بحيث نضطر إلى ترجمته أحياناً باسم الثقافة وأحياناً باسم الحضارة تبعاً للمعنى المستخدم فيه . ولقد رفض الكثيرون فكرة الأولوية الاقتصادية في الثقافة بحجة تفاوت ثقافات

الشعوب التي تشابهت ظروفها المادية . ورفضوا فكرة تطور الثقافة وارتقائها ، وبرغم أنهم صادقوا على تعريف الثقافة بأنها المجمل المتشابك ، إلا أنهم جعلوا العامل الاقتصادي عاملاً ضمن العوامل الأخرى . وقصر ماكس فيبر مفهوم الثقافة على مجال المعاني والقيم ، واستخدم الحضارة في مجال جانبها التنظيمي المادي ، واعتبر الحضارة نتاجاً للتقدم العلمي والتكنولوجي ، وقال عنها إنها علمية وتراكمية لأن انتسابها أساساً للطبيعة أكثر من انتسابها للإنسان ، بينما الثقافة على عكس ذلك هي المعاني والقيم التي يضفيها الإنسان عليها ، أو أنها التأويل الإنساني في صورة معان وقيم - في الفلسفة والدين والفن - لأغراض الحياة والمجتمع . وبهذا المعنى يمكن أن نترجم Culture بأنها الثقافة أو الحضارة بينما نترجم Civilization بأنها المدنية . ونحن نترجم Civil Law بأنه القانون المدني ولا نقول القانون الحضاري ، وذلك لأنه الانعكاس القانوني للعلاقات المادية في المجتمع . ويذهب إلى مثل هذا الرأي ماكيفر حيث يربط بين الثقافة أو الحضارة والغايات ، بينما يجعل المدنية خاصة بالوسائل ، ويجعل النظام التقني ضمن إطار النظام الثقافي للمعاني والقيم . ومع ذلك لن نعدم الكتب والمؤلفين الذين يكتبون Culture بمعنى ثقافة فقط ، أو بمعنى حضارة ، و Civilization بمعنى مدنية فقط ، أو حضارة بشكل عام .

ثمامية ..... **Thomamiya**

فرقة من المعتزلة ، أتباع ثمامة بن أشرس النمري ، قالوا الأفعال المتولدة لا فاعل لها ، والمعرفة متولدة من النظر ، واجبة قبل الشرع ، والاستطاعة سلامة الآلة وهي قبل الفعل ، والمعارف كلها ضرورية ، ولا فعل للإنسان غير الإرادة ، وما عداه حادث بلا محدث ، والعالم فعل الله تعالى بطبعه ، أي صدر عنه بالإيجاب ، فلزمهم قدم العالم .

ثنوية ..... **Dualism**

القول بأن النور والظلمة مبدآن أو أصلان للعالم ، متضادان وأزليان ، وهما **يزدان وأهرمن** ، وهو مذهب الزرادشتية والديصانية والمانوية أو المانئية والمزدكية والمرقونية والباطنية .

والمرقونية فرقة نصرانية لكنها قالت بأصلين للعالم ، النور والظلام ، وجعلت المسيح « المعدل » أو المتسبب في امتزاجهما . **والباطنية** فرقة إسلامية كان جل أتباعها من أهل فارس من المجوس والثنوية ، وفدوا على الإسلام وأدخلوا فيه معتقداتهم . وكان من دعاتها الأوائل **ميمون بن ديصان** أو **ميمون القداح** ، و **حمدان قرمط** . وكان ابن المقفع وأبو حفص الحداد وابن ذر الصيرفي وأبو عيسى الوراق وبشار بن برد وأبو يحيى الرئيس وأبو علي سعيد وناصر خسرو وابن طالوت وصالح بن عبد القدوس من الثنوية ، واستحالت الثنوية تهمة يتبادلها أصحاب الملل والنحل ، وردها الثنوية على خصومهم فاتهم بها الراوندي المعتزلة لقولهم بأن الله لم يخلق الشر ، والنظام لقوله بالتضاد بين الخير والشر كالتضاد بين الخفيف والثقيل ، والجاحظ لقوله بأن الله غير قادر على إفناء الأجسام . وقد دعا تلاميذ النظام إلى ثنوية صريحة ، وأبرز هؤلاء ابن حائط أو خابط صاحب فرقة الحائطية الذي قال بإلهين أحدهما قديم هو الله والآخر مخلوق هو عيسى ، ابن الله بالتبني وليس بالولادة . وكان دخول الثنوية في مذاهب الفلاسفة الإسلاميين عن طريق الفلسفة المشائية . ولم يكن قول إخوان الصفا بعلة متوسطة إلى جانب العلة الأولى إلا إثباتاً لمذهب الصدور الأفلاطوني المحدث .

ثيوفراسطوس ..... **Theophrastus**

(نحو ٣٧١ - ٢٨٦ق . م) تلميذ أرسطو وخليفته على رئاسة اللوقيون أو المدرسة المشائية ، ولد في إريسوس إحدى مدن ليسبوس ، ويقال إنه كتب أكثر من مائتي كتاب ، وكان المسؤول عن حفظ أعمال أرسطو ونقلها إلى الخلف ، ولا ندري إذا كان قد قام بنشرها فقط أم

أنه راجعها كذلك . ولم يبدأ المؤرخون في النظر إليه كمفكر مستقل عن أرسطو إلا مؤخراً . وهو ينتقد أرسطو أحياناً ولكنه لا يطور نقده التطوير الذي يفصح عما يريده ، ويبدو أنه كان أكثر اشتغالاً بالعلوم الطبيعية والتأريخ لها ، ونعرف ذلك من عناوين كتبه « آراء **الطبيعيين** » و « **تاريخ النبات** » وبحوثه في النار والحجارة والتعب وعلامات الجو والروائح والعرق والرياح والدوار والإغماء والشلل . ومعظم إضافاته في المنطق في القضايا الموجهة والأقيسة الشرطية ، وله كتاب مشهور في الأخلاق يصف ثلاثين نمطاً يصنفها على طراز كتاب أرسطو الأخلاق النيقوماخية .

ثيمسطيوس ... **Themesteus**

أفلاطوني محدث من شراح أرسطو ، تعلم بالقسطنطينية وعلم بها ، ونال حظوة عند الامبراطور جوليان ، وبقيت من شروحه التحليلات الثانية والسماع الطبيعي والنفس والسماء ومقالة اللام من كتاب ما بعد الطبيعة ، حاول فيها التوفيق بين أفلاطون وأرسطو .

حرف الجيم

جاحظية .... Jahiziya

فرقة من المعتزلة ، أصحاب عمرو بن الجاحظ ، قالوا المعارف كلها ضرورية ، ولا إرادة في الشاهد ، أي في الواحد منا ، إنما هي إرادته لفعله عدم السهو ، أي كونه غير ساه عنه ، وإرادته لفعل الغير هي ميل النفس إليه . وقالوا إن الأجسام ذوات طبائع مختلفة لها آثار مخصوصة ، كما هو مذهب الطبيعيين من الفلاسفة ، ويمتنع انعدام الجواهر ، وإنما تتبدل الأعراض والجواهر باقية على حالها ، كما قيل في الهيولى ، والنار تجذب إلى نفسها أهلها ، لا أن الله يدخلهم فيها ، والخير والشر من فعل العبد .

جارودية Jaroudiya

فرقة من الشيعة الزيدية ، أصحاب أبي الجارود زياد ابن أبي زياد ، زعموا أن النبي ﷺ نص على علي رضي الله عنه بالوصف دون التسمية ، وهو الإمام بعده ، والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ، ولم يطلبوا الموصوف فكفروا . وقالوا إن علم آل البيت كعلم الرسول ، فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة . ويزعم بعضهم أن العلم مشترك فيهم وفي غيرهم ، وجائز أن يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة .

جاسندي .... Gassendi

بطرس جاسندي (١٥٩٢ ـ ١٦٥٥) فرنسي ، تقلد عدداً من المناصب الكنسية ، واشتغل بعلمي الفلك والطبيعة ، واستاذاً جامعياً للبلاغة والرياضيات ، ويعتبره البعض مؤسس المادية الحديثة ، واعتبرته الكنيسة صاحب طريق وسط يوفق بين العلم والعقيدة ، ورغم أن فلسفته كانت لها آثار بعيدة إلا أن آراءه لم تجد طريقها بين الناس من خلال كتبه بل من خلال فلسفات بايل ولوك وفولتير وغيرهم . وحاول جاسندي أن يوفق بين الشك والقطعية وصاغ لنفسه فلسفة شكية خفيفة ، وأقام المعرفة بالأمور الواضحة على الخبرة الحسية ، وبالأمور غير الواضحة على ما أطلق عليه العلامات الموحية أو الدلالية ، وضرب مثلاً بالعلامات الدلالية الدخان فمنه نستدل على وجود النار وإن لم نكن نراها . وقال بالنظرية الذرية ، استعارها من الفلسفة الأبيقورية ، ويعني بها أن العالم مكون من ذرات نستطيع بالتجربة الإلمام بصفاتها المحسوسة ، وبالعلامات الدلالية الإلمام بتأثيراتها ، ونفى أن تكون الذرات أرقاماً رياضية ، ونسب لها أشكالاً مختلفة . وكانت نظريته إحدى النظريات الكبرى التي صبغت الحركة العلمية والفلسفية في القرن السابع عشر ، ونافست الديكارتية كبديل للإسكولائية .

جاليليو جاليلي .... Galileo Galilee

ولد بمدينة بيزا في إيطاليا (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) ودخل

جامعتها لدراسة الطب ، ولكن ميوله كانت رياضية ، فترك الجامعة دون أن يحصل على إجازتها ، وتوفر وحده على دراسته ، وأعطى دروساً في الرياضيات ، وبعد أربع سنوات من ترك الجامعة صار استاذاً بها ، لكنه اصطدم بأساتذتها لآرائه في أرسطو وإدخاله الرياضيات في الطبيعة ، فغادر جامعة بيزا إلى جامعة بادوا ، وسمع باختراع التلسكوب في هولندة فانصرف إليه واستطاع أن يجري فيه بعض التعديلات ، وبواسطته استطاع أن يدون كتابه **رسول من النجوم Sidereus Nuncius** وصف فيه الطبيعة الجبلية للقمر ، واكتشف عدداً لا يحصى من النجوم التي لم يسبقه إليها أحد ، واكتشف أربعة أقمار تابعة للمشتري ، وأثار كتابه جدلاً شديداً بين الفلكيين والفلاسفة ، فاستقال من منصبه في الجامعة وغادر إلى فلورنسا ليعمل كبير رياضيي وفلاسفة غراندوق توسكانيا ، واكتشف كلف الشمس ، ونشر « **مقالة في الأجسام داخل الماء** » و « **خطابات في كلف الشمس** » سخر فيهما من نظرية أرسطو في العناصر ، وأصر على أن الملاحظة والتجربة هما معيار الحقيقة الطبيعية ، وأيد آراء ديموقريطس ونظرية كوبرنيق ، وأعلن أن الإنجيل ليس كتاب علم ، وأن نصوصه ينبغي تأويلها لتساير الكشوف العلمية ، وهوجم على منابر الكنائس ، ووسع جاليليو دائرة الجدل وأغرق السوق بمزيد من نسخه من الخطابات ، وسافر بنفسه إلى روما ليخرس الألسنة المعارضة لكوبرنيق ، ثم نشر « **المحاول Il Saggiatore** » أي المحاول في المنهج التجريبي ، حمل فيه على الفلك القديم ، ثم أذاع كتابه المشهور « **حوار يناقش أكبر نظريتين في العالم** » عرض فيه النظريتين القديمة والحديثة في الفلك في شكل حوار ، وظهرت ميوله واضحة مع المدرسة الحديثة ، فاستدعاه مجلس التفتيش ، وأدين الكتاب ، وحكم على جاليليو بالسجن مدى الحياة ، وظل حبيس فيلاته بالقرب من فلورنسا ، وانتهى فيها من أهم كتبه « **مقالات في علمين جديدين** » طبعه في هولندا ، ومات بعده بأربع سنوات .

وكان جاليليو واسع الاطلاع بأرسطو ، ولكنه هاجمه أول مرة في دراسته للحركة ، وأنكر أن تتناسب سرعة سقوط الجسم طردياً مع وزنه ، وعكسياً مع كثافة الوسط ، وأن تعتمد حركة المقذوفات على حركة الوسط ، وأن الحركة مستحيلة في الخواء ، وسفه تمييزه بين المادة الأرضية والمادة السماوية ، واتهم منطق أرسطو الصوري بالقصور ، وأكد أن البرهان الدقيق لا يوجد إلا في الضروريات ، وربما كانت أخطاء أرسطو الطبيعية هي التي دفعت جاليليو إلى الشك في الاستقراء المنطقي كأساس لعلم الطبيعة ، وإلى فصله الطبيعة عن الفلسفة ، ولقد استبدلت الفلسفة من يومها عن الطبيعة ، كفرع لها ، بنظرية المعرفة ، وما كان من الممكن أن يحدث هذا التطور لولا جاليليو . وما كان جاليليو ليسكت على آراء أرسطو في طبيعة الأجسام السماوية ومخالفتها للأجسام الأرضية ، وقد رأى بنفسه نقض أقوال أرسطو في الطبيعة النجمية للأجسام السماوية . ونقض كشفه لكلف الشمس رأي أرسطو الذي يقول إن الأجسام السماوية كاملة ولا يصيبها الفساد ، ومن ثم أعلن أن للاجسام السماوية خواصاً أرضية . وكان عصر جاليليو عصر السلطات المستقرة التي لا تناقش في الفكر والسياسة والدين ، وكان أرسطو قد تربع نحو ألفي سنة على الفلسفة ، وسخف جاليليو آراءه وناقشها ورفضها باسم التجريب والاستدلال ، فالحقيقية الطبيعية لا يصنعها أرسطو ، لكن الملاحظة والتجربة والاستدلال وحدها هي السبيل لاكتشافها وقراءة كتاب الطبيعة ، وتنكب الخطأ الذي تردى فيه تليسيو وبيكون عندما اعتمدا على الإدراك الحسي وحده ، وكان يدرك احتمال التردي في التوهم أو إساءة التأويل ، واستخلص أن مجال الرياضيات وحده هو المجال الوحيد لليقين ، ويبدو أنه كان معنياً بالعلاقات دون الجواهر ، وهو بهذا المعنى يبني هذا التصور الرياضي للعالم ، وأثار معياره الجديد عدداً من القضايا التي لم تثر قط في نظرية المعرفة ، كان رائدها شعاره « **ينبغي أن يكون تعاملنا مع**

واقع العالم لا مع عالم على ورق » . ولكنه هو نفسه لم يحاول أن يطبق نتائج كشوفه على أكثر من الطبيعة ، وميز لذلك بين استخدامين للّغة ، أحدهما للعلم والآخر للدين ، وأعلن أن تفسير الإنجيل دينياً من اختصاص الكنيسة ، وأن تأويله علمياً تحكمه الكشوف العلمية ، فالعلم لا علاقة له بخوارق الظواهر ، والكنيسة لا علم لها بالطبيعة إلا ما يوفره التأمل والتجربة والاستدلال . وميز جاليليو بين الخواص الأولية والثانوية ، ونسب إلى المادة الحجم والشكل والعدد والحركة ، وقال إنها خواص أولية موضوعية ، وقال إن للمادة خواصاً أخرى ثانوية ذاتية هي اللون والصوت والرائحة وما أشبه ، ولما كان منطقه الرياضي هو سبيله إلى اليقين رفض أن يبحث في غير الموضوعات ، ومن ثم لم يكتب في العقل ولم يبحث في الروح ولم يتفلسف في الإنسان . وأحيا جاليليو بعض التقاليد الشكية ، وقال إنه لأشرف له أن ينعت بالجهل على أن ينحاز إلى الخطأ ويدافع عنه . وكان ينصح تلاميذه أن يقروا بأنهم لا يعرفون ومن ثم لا ينبغي لهم أن يتحدثوا فيما لا يعلمون ، ولهذا أقاموا أول جمعية علمية أطلقوا عليها اسم أكاديمية سيمنتو وجعلوا لها شعاراً « **اختبر ثم اختبر** » . وكان كتابه عن الأجسام الطافية أول كتاب في التجريب العلمي ، وكتابه في كلف الشمس أول كتاب في تطبيق الاستدلال الرياضي . وأعلن في كتابه « **الحوار** » أن الحقائق الطبيعية يبلغها العالم بالتدريج والتقريب .

جاينية Jainism

ديانة أو طائفة هندية غير مؤلّهة ، قامت كنقيض للهندوسية وإن أخذت بالكثير من أفكارها . وكان قيامها من طبقة الكاشترية المنافسة لطبقة البراهمة والتي عانت مَن ظلمها أكثر من غيرها من الطبقات ، ولذلك فإنها لم تعترف بالآلهة حتى تقضي على الكهنة أو البراهمة ، ولكنها قالت بأن لكل كائن نفساً ، ومن ثم نبذت العنف وقاومت القتل لأنه إزهاق للنفس ، والنفس أو الجيفا هي مبدأ الوعي ، والأجيفا هي المادة التي ليست نفساً ، وتقوم الجينية مثل الهندوسية على الكارما ، ولكنها تختلف عن الهندوسية في القول بأن الكارما هي المبدأ الذي يمزج الجسم بالنفس ، وأن السبيل إلى إبطال مفعوله ومن ثم تحرير النفس من ربقة الجسد هو الزهد والتجرّد من الدنيا حتى العري ، وهذا الجانب من جوانبها هو الذي استمالَ المتصوفة المسلمين إليها ، واستهوىٰ فيها الامبراطور أكبر الذين ارتدَّ عن الإسلام في محاولة لتأليف ديانة جامعة تقوم على الجينية وتحرم ذبح الحيوان . وغاية الجيني النجاة بنفسه من تكرار المولد أو التناسخ ، والنجاة طور من أطوار الحياة ولكنه يمتاز بأنه الطور الذي لا يحس فيه الناجي بالألم والحزن والهموم ، لأنها جميعاً أحوال للجسد ، والنجاة خلاص من الجسد ، ولذلك كان الانتحار غاية أو جائزة لا يحصلها إلَّا خاصة الجينيين .

ونبي الجينية هو مهافيرا (نحو ٥٩٩ ـ ٥٢٧ ق. م) ولكن الجينيين يعتقدون أن الجينية مذهب قديم ، وأن أنبياءها أربع وعشرون ، وأن جينا الرابع والعشرين هو مهافيرا الذي اشتهرت الطريقة باسمه ، وبعده انقسمت إلى فرقتين ، الأولى ديجامبرا أو أصحاب الزي السماوي ، أي العراة النساك الذين اتخذوا السماء ثوباً لهم ، والسفيتامبادا أو أصحاب الزي الأبيض ، وهي فرقة معتدلة لا ترى أن يترك الولد والديه ليتنسّك في حياتهما ، وأن من الممكن أن تنجو النساء ، وأن يرتدي الجيني الملابس ويأكل الطعام ولا ينتف شعره ويعيش كالبشر ولكن بالفضائل .

جبائي Jaba'i

أبو علي محمد بن عبد الوهاب (٢٣٥ ـ ٣٠٣ هـ) الملقب بالجبائي نسبة إلى جبا بخوزستان ، روي أن له كتباً كثيرة ، منها « **اللطيف** » و « **الرد على الأشعري في الرواية** » غير أنها لم تصلنا ، وكان الأشعري من تلاميذه ، ويقال إنه لزمه أربعين سنة ، وكان الجبائي يرى أن الله لم يزل عالماً بالأشياء ، الجواهر والأعراض ، وأن الأشياء لا يمكن أن تكون أشياء قبل

كونها ، وأن إرادة الله بتكوين الشيء هي غيره وليست بخلق له ، وأن الله قديم ، وقدمه أخصّ وصفه ، ولو ثبتت عليه صفة قديمة لشاركته في أخص وصفه ، والاشتراك في الأخص يوجب الاشتراك في سائر الأوصاف ، وأن اسم اللغة مشتقّ من الفعل وينقضي بانقضائه ، لكن اسم الدين يسمى به الإنسان في حال فعله وانقضائه ، ومن ثمَّ فالمؤمن الذي يرتكب معصية لا تسقط عنه صفة الإيمان ولكنه يظل مؤمناً بما سبق له من أعمال الإيمان ، وأن اليهودي يسمى مؤمناً بحسب أسماء اللغة ، ولكنه ليس بمؤمن بحسب أسماء الدين لأن الغالب على فعله ليس الإيمان . ويرى الجبائي أن اجتماع الصغائر قد يولد كبيرة .

جبائي

أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي (٢٧٧ ـ ٣٢١ هـ) ولد بالبصرة ، وكان أبوه من كبار المتكلمين ، وعنه أخذ الكلام . ومؤلّفاته كثيرة منها « **الجامع الكبير** » و « **الجامع الصغير** » و « **البغداديات** » ولكن لم يصلنا منها شيء . وكان المعتزلة على مذهبه في القرن الرابع والربع الأول من القرن الخامس ، وكان تلاميذه كثيرين أشهرهم أبو عبد الله الحسين بن علي البصري وأبو بكر البخاري . ومن أهم ما اشتهرَ به مسألة الأحوال فكان أبوه يقول في صفات الله أنه عالم لذاته ، أي لا يقتضي كونه عالماً صفة هي حال علم أو حال يوجب كونه عالماً ، أما أبو هاشم فيقول إنه عالم لذاته بمعنى أنه ذو حالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتاً ، وإنَّما تعلَّم الصفة على الذات لا بانفرادها .

جبائية Jaba'iya

أصحاب أبي محمد بن عبد الوهاب الجبائي وابنه أبي هاشم عبد السلام ، وهما من معتزلة البصرة ، لكنهما انفردا عنهم بمسائل ، وانفرد أحدهما عن صاحبه بمسائل . من ذلك أنهما أثبتا أن الله لا في محل ، على طريقة الفلاسفة الذين أثبتوا عقلاً هو جوهر لا في محل ولا في مكان ، وحكما بكونه تعالىٰ متكلماً بكلام يخلقه في محل ، واتَّفقا على نفي رؤية الله بالأبصار في دار القرار ، وعلى القول بإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً ، وإضافة الخير والشر والطاعة والمعصية إليه استقلالاً واستبداداً ، وأن الاستطاعة قبل الفعل ، واتَّفقا أن الله لم يدخر عن عباده شيئاً مما علم أنه إذا فعل بهم أتوا بالطاعة والتوبة من الصلاح والأصلح واللطف . وممَّا اختلفا فيه أن الجبائي الأب قال الباري عالم لذاته ، أي لا يقتضي كونه عالماً صفة هي علم ، وقال ابنه لذاته بمعنى أنه ذو حالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتاً موجوداً ، وإنَّما تعلَّم الصفة على الذات لا بانفرادها . واختلفا في كونه سميعاً بصيراً ، فقال الجبائي بمعنى أنه حي لا آفة به ، وقال ابنه كونه سميعاً حالة ، وبصيراً حالة ، سوى كونه عالماً لاختلاف القضيتين والمفهومين والمتعلقين والأثرين .

جبرية Determinists

الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالىٰ . والجبرية أو المجبرة هم أصحاب مذهب **الجبر Determinism** . والجبرية أصناف ، **فالجبرية الخالصة** هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً . **والجبرية المتوسطة** هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً ، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً في الفعل وسمىٰ ذلك كسباً فليس بجبري .

ويعرف المعتزلة الجبري بأنه من لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في الإبداع والإحداث استقلالاً . وكان الجهم بن صفوان شيخ الجبرية ، ويلخصها في قوله « **لا فعل لأحد في الحقيقة إلَّا الله** » . ومن فرق الجبرية النجادية والضرارية والكلابية والبكرية .

جدل Dialectic

هو علم القوانين الأكثر عمومية التي تحكم الطبيعة والمجتمع والفكر . وربما كانت نشأة الجدل في القرن الخامس قبل الميلادي على يد زينون الإيلي الذي كانت أغاليطه نماذج من الجدل الجاد استثارت فلاسفة عصره

للردّ عليها . ولكن هذا الجدل الذي كان فناً للتحاور بغية الوصول إلى الحقيقة ، بطرح الفكرة والفكرة المضادة لها عن طريق السؤال والجواب ، تحول مع السوفسطائيين إلى وسيلة لعب بالألفاظ لإخفاء الحقيقة ، ولذلك أطلقَ عليه أفلاطون اسم **الجدال** أو **اللجاج Eristic** وليس الجدل . وكان **تهكّم Elenchus** سقراط صورة متقدمة لجدل زينون ، يقوم على توجيه الأسئلة للخصم وتوليد الإجابات عليها بقصد جلاء الحقيقة التي يزعم الخصم وحده أنه العارف بها دون غيره ، وبدعوىٰ أنه يهدف إلى إثبات وجهة نظر الخصم لا دحضها ، ولكن سقراط في الحقيقة كان يوقع محدثه في التناقض بطريقته التهكمية التي تقوم على طرح معنى ينفي المعنى الأول ، وأطلقَ أرسطو على طريقة سقراط اسم **القياس المقسم Epagoge** بمعنى أنه استدراج للخصم للإقرار بتعميم من خلال التسليم بصحة جزئياته . ومع أن أفلاطون سارَ على نهج سقراط إلاَّ أن الجدل صارَ بالنسبة له علم تصنيف المفاهيم وتقسيم الأشياء إلى أجناس وأنواع بالإضافة إلى أنه فن إلقاء الأسئلة والأجوبة ، أي إنه تحول إلى منهج وعلم ، فهو المنهج الذي يرتفع بالعقل من المحسوس إلى المعقول ، وهو العلم بالمبادىء الأولى التي يبلغها الفيلسوف بدراسة العلوم الجزئية ، ثم ينزل إلى هذه العلوم الجزئية يربطها بمبادىء ، وإلى المحسوسات يفسرها على ضوئها ، ولذلك فقد قسّمه أفلاطون إلى **جدل صاعد Ascending Dialectic** يتدرّج بالتفكير من الإحساس إلى الظن إلى العلم الاستدلالي إلى التعقّل الخالص ، **وجدل نازل Descending dialectic** ينزل بالتفكير من أرفع المثل إلى أدناها بتحليلها وترتيبها في أجناس وأنواع ، وهو ما أطلق عليه اسم القسمة Division ، واستخلص أرسطو **قياسه Syllogism** من قسمة أفلاطون ، وبنىٰ منطقه الصوري على فهمه للجدل ، وعرف الاستدلال بأنه جدلي إذا كانت مقدماته آراء محتملة مقبولة من الكافة أو الغالبية من الناس أو الفلاسفة ، فإذا كانت المقدمات تبدو فقط محتملة ، أو إذا كان الاستدلال غير صحيح فهو جدال أو لجاج وليس جدلاً . ولذلك أطلق على الجدل الأرسطي اسم **منطق الاحتمال Logic of Probability** لأن موضوعه الاستدلالات التي تقوم على مقدمات محتملة بمعنى أنها آراء متواترة ، ومن ثمَّ لم يعتبر أرسطو الجدل وسيلة كافية لتحصيل المعرفة الصحيحة أو العلم ، ولكي يتحقق لنا ذلك رأى ضرورة التوسل بالبرهان وهو الاستدلال الصحيح الذي يقوم على مقدمات صادقة واضحة بذاتها . وتتمثل قيمة الجدل عند أرسطو في فائدته كوسيلة للتدريب على التفكير وطرائقه ، ولمجادلة الآخرين على أساس ما يطرحونه من مقدمات ، ولاختبار صدق المبادىء الأولى غير المبرهنة للعلوم .

وكان للجدل مكانة عليا عند الرواقيين حتى قيلَ إنه لو كان للآلهة علم بالجدل فإنه العلم بجدل أقريسيبوس . وكان الجدل عندهم يعني المنطق الصوري ، وطوّره سينيكا ليشمل أشكالاً من الاستدلال ندرجها اليوم ضمن ما نسميه حساب القضايا . واستخدم الجدل في العصور الوسطىٰ كذلك بمعنى المنطق ، فمرة يقولون Dialectica ومرة يقولون Logica ، ولذلك فكَّر كنط أن الأقدمين استخدموا الجدل بوصفه **منطق وهم Logic of Illusion** بمعنى أنه كان وسيلتهم إلى أقيستهم الوهمية التي أساسها إما أغاليط منطقية كالمصادرة على المطلوب الأول ، وإمَّا تجريبية كتضخّم القمر عند الأفق ، وإمَّا ترنسندنتالية أي نابعة من طبيعة العقل الخالص الذي يزعم أنه قادر على تخطّي نطاق التجربة والتدليل على وجود النفس والعالم والله . وقال كنط إنه يستخدم المنطق لينقد هذا الوهم الجدلي ، وعنونَ القسم الثاني من منطقه الترنسندنتالي باسم **الجدل الترنسندنتالي Transcendental Logic** . ويختصّ هذا الطراز الجديد من الجدل بكشف وهم الأحكام الترنسندنتالية ، أي الأحكام التي تتَّخذ موضوعات لها تتجاوز حدود التجربة . ومع أنه رتَّب التناقضات التي يتردَّى فيها العقل الخالص في أربع مجموعات من

القضايا ونقائضها ؛ إلاَّ أنه لم يسم حلّه للتناقضات بأنه مركب القضية والنقيض . وكان خلفه فخته هو الذي قدم لأول مرة ثلاثيته المشهورة : القضية Thesis والنقيض Antithesis ومركب القضية والنقيض Synthesis ، وتابعه عليها شيلنج ، ولكن فختـه لم يكن يعتقد أن المركب يمكن استنباطه من القضية ، ولم يكن يرى فيه إلَّا أنه وحدة القضية والنقيض . إلَّا أن هيجل طوَّر الجدل إلى ذروته واعتبره قانون الوجود الذي يشمل الحياة كلها والطبيعة والمجتمع وقانون الفكر ، واعتبر الجميع في حالة صيرورة وتغيّر وتحول وتطور باستمرار ، ولم ينظر إلى التناقضات في الفكر والطبيعة والمجتمع على أنها تناقضات في المنطق الصوري ، ولكنه رآها تؤدّي بالضرورة إلى مرحلة أخرى من التطور . ورأى أتباعه أن هذا المفهوم للجدل يبعث الثورة في الحياة والفكر ، ومن ثمَّ تطوّر عن الجدل الهيجلي أهم رافدين له وهما **الجدل الوجودي** عند كيركجورد **والجدل المادي** عند كارل ماركس ، وينتقد الأول الجدل الهيجلي لقيامه على مبدأ التناقض بين الذات والموضوع وتقسيمه العالم إلى موضوعي وذاتي ، واعتباره العالم بما فيه الإنسان موضوعاً أي شيئاً غريباً عن الإنسان ، لكن الجدل الوجودي ينطلق من وحدة الذات والموضوع ، ومن وعي الإنسان بذاته باعتباره « وجوداً » أي ذاتاً في مواقف يختار فيها بين عدد من الممكنات في حرية ، ويفعل فيها الإنسان بوعيه بمعزل عن الضرورة الموضوعية أي بمعزل عن القوانين (انظر الجدل الماركسي في باب **المادية الجدلية**) .

جرامسكي Gramsci

أنطون جرامسكي (١٨٩١ ـ ١٩٣٧) اشتراكي إيطالي ، ولد في سردينيا ، وأسس الحزب الشيوعي الإيطالي (١٩٢١) ، وحكم عليه موسوليني بالسجن إحدى عشرة سنة ، قضاها في تدوين كراسات فلسفية بطريقة كروتشه وسوريل ، وإن كان قد هاجمهما لارتدادهما عن الشيوعية ، وكان يدافع عن الماركسية اللينينية ويدعو إلى فلسفة ثورية جماهيرية تجد صدى سياسياً كالصدى الذي كان لحركة الإصلاح البروتستنتي أو الاستنارة الفرنسية .

جراي Gray

جراي (١٨١٠ ـ ١٨٨٨) أمريكي ، اشتهر ببحوثه في علم النبات ، وكان صديقا لداروين ، وقال عن نظريته في أصل الأنواع والتطور أنها تحتمل التأويلين الإلحادي والإيماني ، وأنه يفضلها كنظرية تقول بغائية الحياة وتثبت وجود الله .

جرجاني Jorjani

علي بن محمد (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م ـ ٨١٦/ ١٤١٣) الملقب بالسيد الشريف ، ولد في جرجان (استراباز الآن) من فارس ، متكلم وفيلسوف ، درس على قطب الدين محمد الرازي في هراة ، ومباركشاه في مصر ، وكتب باللغتين العربية والفارسية شروحاً على كتب المنطق والفلسفة في عصر اشتهر بكتابة الشروح ، وأهمها شرحه على شرح قطب الدين الرازي على الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية للكاتبي ، وشرح على كتاب المواقف في علم الكلام للإيجي ، والتعريفات .

جروت Grote

حنا جروت (١٨١٣ ـ ١٨٦٦) بريطاني ، تعلم وعلم بكيمبردج ، وقيل عنه إنه أول فلاسفة كيمبردج التحليليين بما تميّز من احترامه للّغة والفكر العاديين ومحاولاته الدائبة لرفع كل خلط منطقي وتأكيده لأهمية الوضوح .

جروتيوس Grotius

هوجو جروتيوس (١٥٨٣ ـ ١٦٤٥) هولندي ، ولد في ديلفت من أسرة كبيرة ، ودخل جامعة ليدن في الحادية عشرة ، وتخرج بامتياز في الرابعة عشرة ، وحصل على الدكتوراه في القانون من جامعة أورليانز بفرنسا في السادسة عشرة . أهم كتبه « **حرية البحار**

Mare Liberum » (١٦٠٩) و « **عن قانون الحرب والسلام De Jure Belli ac Pacis** » (١٦٢٥) ، وكان جروتيوس أرسطياً يؤمن بالعقل ، وأدت به نزعته العقلية إلى الانحياز إلى جانب البرلمان الهولندي ضد الكنيسة التي كان يناصرها الأمير موريس ، واتهم بالتآمر وحكم عليه بالسجن المؤبد ، واستطاع الفرار إلى فرنسا بمساعدة زوجته ، وهناك كتب رائعته عن قانون الحرب والسلام ، وما يزال كتابه مرجعاً في القانون الدولي ، استند فيه على القانون الطبيعي والعقد الاجتماعي ، واستمد قواعده من مبادىء العقل ، وقال باحترام التعهدات الدولية وملكية الغير والتعويض عنها ، وجعل العقود أعلى مبادىء القانون إلزاماً ، وأطلق على مجموع الاتفاقيات والمعاهدات الدولية اسم القانون الدولي ، وقسم الحرب المشروعة ثلاثة أنواع ، فهي إما للدفاع وإما لاستعادة حق مغتصب ، وإما لتوقيع جزاء على ضرر .

جروستيست Grosseteste

روبرت جروستيست (١١٦٨ - ١٢٥٣) إنجليزي ، من أسرة متواضعة ، لكنه تعلم في أكسفورد وباريس ، وصار مديراً لجامعة أكسفورد ثم أسقفاً للنكولن ، وهو من واضعي أسس العلم الحديث ، وأول ممثل للعلم التجريبي في العصور الوسطى ، وكان مترجماً وشارحاً ومؤلفاً ، ومع أنه كان من رواد تقديم أرسطو إلى الغرب ، إلا أنه نبّ إلى خطورته وأخذ عليه اعتماده وأتباعه على العقل الاستدلالي ، فمع أنهم استطاعوا أن يدللوا به على وجود الله ، إلا أنهم لم يفهموا الجوهر الإلهي ، ومثال ذلك أنهم عرفوا بالاستدلال أن السرمدية بسيطة ولكنهم لم يدركوها إلا في صور خيالية هي الامتداد الزماني أدت بهم إلى كثير من الضلالات كأزلية الزمان والحركة ، ومن ثمة أزلية العالم ، فيجب القول بقوة أخرى في الإنسان تدرك الروحيات ، وما لم يتخلص النظر العقلي من الأغاليط فإن العقل لن يستطيع أن يتسامىٰ إلى استبصار الأزلي والحق وأن يتغلب على أوهام التصورات المادية . والغريب أن جروستيست استخدم منهجاً علمياً لفت إليه انتباه العلماء في القرن العشرين ، يعتمد على التحليل والتركيب والتجريب ، ولكنه أخذ منهجه عن الحسن بن الهيثم ، وكان كتاب المناظر لابن الهيثم مثالاً لما ينبغي أن يكون عليه التدليل العلمي ، فما دام الضوء هو علة الحركة المحلية ووسيلة الأجسام العلوية للتأثير على الأجسام الدنيا ، وما دام الضوء يعمل طبقاً لقواعد هندسية ، فإن كل حركة يمكن وصفها رياضياً ، وبهذا المنهج الرياضي تصير العلوم الطبيعية علوماً برهانية ، بمعنى أنها تفسر الظواهر بالعلل الفاعلة دون العلل الصورية والغائية . وتقوم نظريته في الطبيعة على نظرية النور عند الأفلاطونيين المحدثين والأوغسطينيين ، فالله نور ، والموجودات أنوار بالمشاركة ، خلقها الله في البدء من الهيولى والصورة الجسمية . والنور خصائصه أنه يتولد بذاته وينتشر في الهيولى في كل اتجاه ، فيمدها في الأبعاد الثلاثة ويولد الكم ، وانتشاره يتكاثف حول المركز ويتخلخل عند المحيط ، سواء في العالم أو في كل جسم ، ويرتد النور من المحيط إلى المركز ، ومن النور المنعكس تكونت الأفلاك والعناصر ، ولم يعد في إمكان الهيولى أن يقوم بمزيد من التشكل في المحيط ، ولكنه عند المركز ما يزال قادراً على التشكل .

جرين Green

توماس هل جرين (١٨٣٦ - ١٨٨٢) إنجليزي ، ابن قسيس ، وأول فيلسوف محترف بالمعنى الحديث ، تعلم بأكسفورد وعين بها استاذاً للفلسفة الخلقية ، ويعتبر زعيم الحركة الهيجلية الإنجليزية ، أهم مؤلفاته « **مقدمة للأخلاق Prolegomena to Ethics** » (١٨٨٣) يعارض فيه شدة ما يسميه « **الفلسفة الرائجة Popular Philosophy** » ويصفها بأنها الفلسفة التي يروج لها مفكرون يشبهون السوفسطائيين ، يتسمون مثلهم بَالوضوح السطحي والبلاغة التي تستهوي عقل القارىء ، لكن نظرياتهم لا تثبت أمام الواقع ولا صلة

بينها وبين الحياة كما يعكسها الفن أو الدين أو الأخلاق العملية ، ويقصد بها المذهب الحسي ، ومذهب اللذة ، والإلحاد ، ويتحدث عن الحاجة إلى نظرية تفي بالمراد **Adequate Theory** تكون فلسفة هيجل مدخلاً إليها ، تستشرف الحياة استشراف الشعراء لها ، فليس إلى القلب يلوذ الشاعر وإنما إلى الوجود الرحب ، وانتقد لذلك فلسفة هيوم ، ودعواه بأنه لا وجود حقيقياً إلا للوجدان ، فأن نقول إن شيئاً موجود يعني أننا ننسبه إلى أشياء أخرى ، والنسبة لا تكون في الوجدان ولكنها من عمل العقل . ولقد أخفق هيوم عندما حاول أن ينشىء علاقات فلسفية « على العلاقات الطبيعية » أي على علاقات قوامها الحس ، وكذلك عندما جعل الذات محصلة المدركات الحسية . وأعلن جرين أن وعينا بالطبيعة ، والطبيعة نفسها ، تفترض موجوداً أبدياً هو مصدر كل الارتباطات في الفكر ومادة الفكر نفسها . ورفض أن تكون اللذة مصدر وغاية السلوك ، وقال إن السلوك توجهه الدوافع ، ووصفها بأنها أفكار لغايات يستهدفها الإنسان الواعي بذاته ويسعى إلى تحقيقها ، وهي غايات لخيره الذي هو من خير الكل ، لأن الأنا الإنساني مشارك في الأنا الكلي ، ولا تتحقق الغايات بإرضاء الجزء بل بإرضاء طبيعتنا كلها . والدولة عنده نتاج الإرادة وليس العنف ، وأساسها أخلاقي وليس طبيعياً ، وخير الفرد في العمل معها لأنها الكل الذي يندرج فيه .

جعفرية Ja'afriya

فرقة من المعتزلة ، أتباع جعفرين ، أحدهما جعفر ابن حرب ، والآخر جعفر بن مبشر ، والأول زعم أن الممنوع من الفعل قادر على الفعل ، وليس يقدر على شيء ، ولزمه أن يجيز كون العالم بشيء ليس غير عالم به ، والثاني قال إن الفاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر ، وأن الصغائر تستوي والكبائر ، وأن تأييد المذنبين في النار من موجبات العقول وخالف بذلك القائلين إنه معلوم بالشرع لا بالعقل .

والجعفرية الواقفة أتباع جعفر بن الصادق ، سموا بالواقفة لأنهم توقفوا عليه ، وكان ذا علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وهو القائل في المشيئة إن الله أراد بنا شيئاً وأراد منا شيئاً ، وما أراده بنا طواه ، وما أراده منا أظهر لنا ، ولكننا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا . وقال في القدر إنه أمر بين أمرين ، لا جبر ولا تفويض .

جماعة التكفير والهجرة
Group of Excommunication and Migration

فرقة إسلامية من الخوارج المحدثين ، مؤسسها شكري أحمد مصطفى ، مهندس زراعة مصري ، قالت بالخروج على الحاكم الجائر ، وبتكفير مخالفيهم من أمة الإسلام ، واستباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، وأطلقوا على دار مخالفيهم دار الكفر فوجبت الهجرة منها . وقالوا إن من يرجع عن ملتهم من دار هجرته ومن الجهاد إلى حال القعود برئوا منه وتولوه لأنه رجع إلى أمر كان مباحاً له قبل هجرته إليهم .

جماعة فيينا Vienna Circle

رابطة فكرية تحلقت حول موريس شليك استاذ الفلسفة بجامعة فيينا في الثلاثينات ، وضمت فلاسفة وعلماء ورياضيين من أمثال كارناب وهان نيوراث ومينجر وجودل ووايزمن وفايجل وكرافت . وكان لكتابات فتجنشتاين وكارناب أكبر الأثر في توطيد أفكارها واتجاهاتها الفلسفية، كما كانت سنة ١٩٢٩ حاسمة في تاريخها حيث نشرت فيها ميثاقها المعروف باسم « الفهم العلمي للعالم » وقد صاغه كارناب ونيوراث وهان ، وتضمن أهداف الجماعة وبرنامجها العلمي في مجالات المنطق والرياضيات والعلوم التجريبية ، وتلخصت في وضع أسس مضمونة للعلوم وبناء وحدتها والبرهنة على أن جميع قضايا الفلسفة الميتافيزيقية لا معنى لها ، ولكن فلسفتهم التجريبية المنطقية ، وهذا هو اسمها ، قوبلت بالاستهجان فقد

تركز هجومها على الميتافيزيقا وبدا كما لو كانت حركة مقصوداً بها الدين ، وإنه لأمر يثير الانتباه والشك أن تكون الحلقة تجمعاً يهودياً خالصاً ، ولذلك فقد لاحقتها الحكومة النمسوية ، واعتدى طالب على موريس شليك زعيمها فأصابه في مقتل ، وقيل يومها إنه مجنون قد أثاره رفض شليك لرسالته الجامعية ، ومن ثم آلت الجماعة على نفسها الخروج إلى العالم ، ولذلك اتصلت بجماعة مماثلة من اليهود أيضاً تسمى جماعة برلين تدعو إلى التجريبية المنطقية ويتزعمها رايشنباخ وهيزر بروك ودوبسلاف ، وأثمرت الاتصالات عدداً من المؤتمرات الفلسفية الدولية لمناقشة وحدة العلم في باريس (١٩٣٥) وكوبنهاجن (١٩٣٦) وباريس (١٩٣٧) وكيمبردج (١٩٣٨) وكيمبردج بأمريكا (١٩٣٩) ، وقامت بالتعريف بنفسها في شكل منشورات جماعة إرنست ماخ ، وبإصدار مجلة فلسفية باسم « أخبار الفلسفة » وعرفت من بعد باسم « المعرفة » وطبعت أبحاثها في سلسلة منشورات وحدة العلم ، ولكن حركة التطهير التي قامت بها الحكومة لكل دعاتها في الجامعة وغيرها دفعتهم إلى الهجرة جميعاً ، وكادت الجماعة تنتهي تماماً لولا بعض المشايعين لها من اليهود أيضاً في بريطانيا والولايات المتحدة بالذات .

جمال **Beauty**

الجمال والقبح مدار بحث علم الجمال أو **الاستطيقا Aesthetics** أو أنهما كانا كذلك حتى القرن الثامن عشر ، فقبل ذلك ومنذ الإغريق احتلَّ البحث في ماهية **الجميل Beautiful** جانباً من تفكير الفلاسفة خلال بحثهم فيما ينفع الناس ، ولم يتحدث **سقراط** عن الجمال إلا في معرض المقارنة بين المعرفة واللذة وأيهما أفضل لخير الإنسان ، وفرق سقراط بين اللذات الخالصة واللذات المشوبة ، وصنف لذة مشاهدة الأشياء الجميلة لذاتها ضمن اللذات الخالصة ، ولذلك جعل **أفلاطون** الجمال من مكونات الشيء الجميل وقال عنه إنه الخاصة الباطنة لهذا الشيء الجميل ، وأنها خاصة لا تعتمد على ما سواها ولا يعتمد عليها سواها ، ولهذا ظنه **أرسطو** ميزة الشيء الجميل ككل ، وأنه من ثم خاصة صورية وصفها بأنها الوحدة التي يتبدى عليها الشيء الجميل على كثرة ما يحتويه من تفاصيل وعناصر ، فهي وحدة تجمع في داخلها كل ضروب التنوع والاختلاف وتؤلف بينها في كل منسجم ، والجمال هو هذا الانسجام الحاصل . ومال **أفلوطين** لوجهة نظر أفلاطون على وجهة نظر أرسطو ، فطالما أن الروح تشرئب للجمال الذي تتبدى عليه روح الله في مخلوقاته فإنه لا يكون خاصة صورية ولكنه تلك الحياة التي وهبها الله مخلوقاته ونفخها فيهم من روحه ، ومن ثم فالشيء الجميل هو الذي يشع بالحياة . وقارن أفلوطين بين الوجه المشرق الحي والوجه المنطفىء الميت ، فكلاهما تبرز به خاصية الانسجام بين التفاصيل ، لكن الوجه الحي هو الذي يحركنا جماله ، والجمال من ثم لا يكون إلا في الشيء الجميل وهو التناسق الذي يشع منه وليس التناسق ذاته كما قال أرسطو . وكان القرن الثامن عشر بمثابة ثورة كوبرنيقية في تقدير معنى الجمال والإحاطة بشروط التجربة الجمالية وأبعاد الإدراك الجمالي والفرق بين الجمال والفن . وكانت أهم أفكار ذلك القرن تمييز **إدموند بيرك** (١٧٥٧) بين الجميل **والجليل Sublime** ، ووصفه للجميل بأنه ما يحرك الشهوة أو يمنح الشعور بالرضا والسعادة ، ولكن الجليل يشيع فينا إحساساً بالرهبة ، وإن مجرد التفكير في أن من الممكن أن نرى الله ليملأنا خشية وخوفاً . والجميل سهل واضح ملموس يدرك بالحس ، والجليل معقد غامض لامتناه ندركه بالحدس . ومهد بيرك لفكرة التعبير ، وأدخل القبح نقيض الجمال ضمن التذوق الجمالي ، فالجميل هو المعبر وإن كان قبيحاً طالما أنه قد أحسن التعبير عما قصد إليه . وقال **هتشسون** (١٧٢٥) إن الجمال فكرة إنسانية والجميل هو الشيء الذي يملك من الإمكانيات ما يثير فينا فكرة الجمال . وفي القرن التاسع عشر حاول فخنر والسيكولوجيون تحديد قوانين التذوق بقياس

استجابات الاستحسان والاستهجان معملياً . وشهد الربع الأخير من ذلك القرن قيام ما يسمى بعلوم الفن **Sciences of art** و **Kunstwissenschaft** تبحث في نواحيه الانثروبولوجية والتاريخية وفي كل ما يميزه كمنتج ثقافي . وازدهرت هذه العلوم في القرن العشرين كفرع من علم الجمال ، ولم تعد فكرة علمية وفضلوا عليها فكرة الفن باعتبارها أوسع وتسمح بإدخال الفنون البدائية ضمن مجال ما تبحث الدراسات الاستطيقية .

والقبح Ugliness قيمة جمالية سالبة مثلما الجمال قيمة جمالية موجبة ، ومن ثم فالجمال والقبح قطبا قيمة كالصواب والخطأ في الأخلاق ، والحق والباطل في الابستمولوجيا . وكما توجد في الأخلاق أفعال إنسانية مسؤولة ، بعضها شرير يستوجب الجزاء ، فإن لبعض الموضوعات المدركة قيمة جمالية سالبة ، ومعنى ذلك أن لهذه الموضوعات صفات هي نقيض الصفات التي للموضوعات الجميلة . وكان أفلاطون يعتبر الجميل هو المنتج للأحاسيس اللذيذة ، وشايعه أرسطو ، إلا أنه وجد أن التراجيديا ، وهي عمل فني رفيع ، تخلق آثاراً صادقة مؤلمة ، في حين أن الكوميديا التي تصور من المواقف والشخصيات أسخفها وأكثرها كشفاً لوضاعة الإنسان ، بلغة هي نقيض لغة التراجيديا ، تخلف آثاراً سارة . وظلت مشكلة التضارب في التراجيديا كما طرحها أرسطو وحتى اليوم ، وفسر البعض هذا التناقض بأن أهدافها ونبل شخصياتها ، والحكمة والشجاعة اللتين تنتقل عدواهما إلى المتفرجين ، أمر يتجاوز مشاهد الألم وآثارها . وتناول القديس أوغسطين القبح في الوجود ولكنه لم يعتبره عنصراً أساسياً فيه ، ورد القبح في الأشياء إلى نقص في شكلها عن الشكل الذي لجنسها ، ومن ثم فالقبح في الوجود هو الاستثناء وليس القاعدة . وبرزت مشكلة الشكل مرة أخرى في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، واستخدم الشكل للتمييز بين القبيح والجميل ، فالقبيح هو الناقص شكلاً ، والجميل في الدراما هو الملتزم للوحدات الثلاث (**كورني**) وفي الفنون المرئية هو الملتزم للنسب (**دورير**) . وفي القرن الثامن عشر حل التمييز بين القبيح والجميل على أساس قوة الأثر الذي يخلفانه محل التمييز بينهما على أساس ما يستحدثانه من لذة أو ما لهما من شكل . وتطورت هذه النظرة إلى نظرية القبيح (عند **شليجل**) ، وطبقاً لهذه النظرية فإن القبيح هو الشيء الخالي من المحتوى أو المعنى الانفعالي أو الفكري . واقترح بعضهم (**ستاس**) أن يسمى الشيء العاطل عن الجمال **لا جميلاً Un Beautiful** بخلاف القبيح الذي قبحه إحدى درجات الجمال . واعتبر البعض (**بوزانكويت**) أن الشيء يكون قبيحاً عندما لا يستسيغه المشاهد ، ورد عدم الاستساغة إلى ضعف في الذوق الفني لدى المشاهد يحرمه من إدراك الجمال في الأشياء والانفعال به . وأطلق بوزانكويت على جمال أمثال هذه الأشياء اسم **الجمال المستعصي Difficult Beauty** وطبقاً لهذه النظرية فإن الأشياء تكون جميلة عندما تكون معبرة ، وأنها تتمايز بمقدار قدراتها على التعبير ، وأنه لذلك لا توجد أشياء قبيحة لأنها جميعاً معبرة ، ومن ثم فهي جميلة .

جنتيله Gentile

جيوفاني جنتيله (١٨٧٥ - ١٩٤٤) مثالي إيطالي ، وباعث الهيجلية في إيطاليا حيث سيطرت فلسفته على الفكر الجامعي فيها منذ الثلاثينات حتى الآن ، وانقسمَ أتباعه مثل أتباع هيجل إلى يمين ويسار ، وتزعم اليمين **أرماندو كارليني** الذي أكّد على الأصل المسيحي والطابع الأوغسطيني لفلسفة جنتيله ، وقال إن أناه المتعالي هو الرب في اللاهوتِ الكاثوليكي . وشكل هذا الجناح حركة الوجوديين المؤمنين المعروفة باسم **المذهب الروحاني المسيحي** . وتزعَّم اليسار **أوجو سبريتو** ، وتوجَّه باهتمامه إلى الجانب السياسي والاقتصادي في نظرية الدولة عند جنتيله ، وارتبط بروابط قوية بالحركة الشيوعية .

ولفهم جنتيله ينبغي أن نفهم أنه مدرِّس أولاً ووطني ثانياً ، ولهذا كان ولعه بالنظرية التربوية وله فيها موسوعة

من جزءين هي « **موجز النظرية التربوية** » (١٩١٣ - ١٩١٤) ، ومن أجل ذلك عينه موسوليني وزيراً للتربية في أول وزارة فاشية . وتوجّه بدافع من وطنيته إلى الماركسية من وجهة نظر هيجلية بحتة (« **فلسفة ماركس** » ١٨٩٩) ، وأدَّت مناقشاته إلى بلورة فلسفة إيطالية وجدت السند لها في الفاشية بحيث أصبح جنتيله منظرها ، ورأس معهدها القومي الثقافي ، وأدَّى ارتباطه بها إلى مصرعه من قبل الشيوعيين في حركة تحرير إيطاليا من الفاشية التي أعقبت سقوط موسوليني وغزو الحلفاء .

ويسمي جنتيله فلسفته **بالمثالية الواقعية أو الحقيقية Actual Idealism** بمعنى أنها مثالية ولكنها محدودة في حدود الخبرة بالواقع وليست شطحات ميتافيزيقية . والفلسفة المثالية وإن كانت خاتمة التراث الفلسفي ونتيجته المنطقية إلاَّ أنها علم المعرفة بالواقع حيث التفلسف هو كشف البناء المنطقي للخبرة ، حيث لا يكون هناك تميز بين الذات والموضوع ، ويكون فعل الوعي هو نشاط الذات التلقائي على الواقع لتثبت به وجودها وتؤكّد به نفسها . وبهذا نفهم معنى الوحدة التي يقول بها جنتيله والتي تجمع بين الفكر والعمل ، فكلاهما جزء من النشاط الذي تغزو به الذات العالم إذا كان ثمَّة انفصال حقيقي بين الذات وغير الذات وبين الذات الغازية والطبيعة أو العالم المغزو . وإحساس الذات بالواقع تشييد لنفسها تحتفظ فيه الذات بماضيها وتربطه بإحساسها الحالي ، وتستعين باللغة لتجسد بها أفكارها وتتواصل بها مع الآخرين ، ولكن اللغة عالمية ومن ثمَّ فإن الذات التي تعبّر عن أفكارنا بلغتنا المشتركة هي عالم كامل روحي أو هي نسق من المعاني تشارك فيه كل الموجودات المفكرة الأخرى . وهذه الذات المطلقة خلاف الذات الشخصية ويسميها جنتيله **الأنا المتعالي** الذي وجوده فعل خالص مثل إلّه أرسطو . ومع أنها متعالية إلاَّ أنها موجودة في العالم . وتأكيد الذات الشخصية لنفسها تأسيس للأنا المتعالي من جهة ، وتأسيس لمجتمع مثالي يسميه جنتيله ، مثل هيجل ، **الدولة** . ووحدة النظرية والتطبيق يعني أن الفكر النظري أو المنطق لا يتميز عن الأخلاق ، وأن الفلسفة هي الوعي الناقد للذات بالحياة السياسية .

جنيد Jonaid

الجنيد أبو القاسم بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري (المتوفي ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م) ابن أخت السري السقطي ، زاهد بغدادي ، عرف **بسيد الطائفة** وطاؤوس العلماء ، وكان يفضل الصحو على السكر الصوفي ، ويقول بأن الطريق إلى الله بالنظر العقلي ، ويعرف مريدوه باسم **الجنيدية** .

جهمية Jahmiya

أصحاب **جهم بن صفوان** ، وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سالم بن أجوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية . وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ، وزاد عليهم بأشياء ، منها قوله لا يجوز أن يوصف الباري بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيهاً . ومنها إثباته علوماً حادثة للباري تعالىٰ لا في محل ، قال لا يجوز أن يعلم الله الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق لم يبق له علم ، وإن بقي فهو جهل . ومنها قوله في القدرة الحادثة إن الإنسان لا يقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنَّما هو مجبور في أفعاله ، لا قدرة له ، ولا إرادة ولا اختيار ، وإنَّما يخلق الله تعالىٰ الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، كما أن الأفعال كلها جبر ، وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً . ومنها قوله من أتىٰ بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده ، لأن العلم والمعرفة لا يزاولان بالجحد ، فهو مؤمن والإيمان لا يتبعض ، أي لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل ، ولا يتفاضل أهله فيه ، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد ، إذ المعارف لا تتفاضل . ووافق جهم المعتزلة في نفي الرؤية ، وإثبات خلق الكلام ، وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود السمع .

جوانية Internalism

مذهب الدكتور عثمان أمين الذي يقوم على اعتبار القوة الحقيقية هي قوة الروح ، وأن سيادة الإنسان لا تكون بسيطرته على ما يحيط به من مادة ، بل تكون بسيطرته على نفسه ، بمعنى تعاليه على البواعث المادية وسيطرته على شهواته ، فالجوانية تنشد للإنسان الحرية ، وليست الحرية في الأشياء الخارجية كالانطلاق وإشباع النزوات ، ولكنها قدرة الإنسان على القبول والرفض أو التوقف عن الحكم ، ومقومات هذه القدرة هي تزكية الوعي ، وتحرّي الأصالة ، ومجاوزة المظهر إلى المخبر ، واستعمال الخارج لاستجلاء الداخل ، والتماس القصد والكيف والقيمة من وراء الواقعة والكمّ والوسيلة .

جوبينو Gobineau

كونت يوسف آرثر دي جوبينو (١٨١٦ - ١٨٨٢) ديبلوماسي ومؤرّخ وروائي وفيلسوف فرنسي ، اشتهر بكتابه « بحث في اللامساواة بين الأجناس البشرية « Essai sur l'inegalité des races humaines (١٨٥٣ - ١٨٥٥) في أربعة أجزاء ، يقارن فيه بين الأجناس الزنجية والصفراء والبيضاء ، ويقول إن الجنس الزنجي يتميز بالطاقة دون الذكاء ، وأنه ينفق طاقته على الملذات والشهوات وينصرف عن التأمل ، بينما يتميز الجنس الأصفر بالذكاء دون الطاقة وذكاؤه من النوع الذي يحسن استغلال نتاج الآخرين وليس له نتاجه الأصيل ، وأما الجنس الأبيض فهو الجنس الذي تجتمع فيه الطاقة والذكاء ، والذي يستطيع لذلك أن يخلق الحضارات ويطوّرها ، ولكن جوبينو يتنبأ للحضارة الغربية بالأفول لتورّط الجنس الأبيض في الغزو والتوسّع والامتزاج بالأجناس الأخرى ، وهو امتزاج يرى فيه على خلاف داروين انحطاطاً لقوى الجنس الأبيض . ويرى جوبينو أن استنفاد طاقة الطبقة الأرستوقراطية البيضاء في التوسع الإمبريالي زعزعَ سيطرتها على الطبقات الدنيا ، وأتاحَ الفرصة لانتشار الأفكار الليبرالية والاشتراكية ، الأمر الذي جعل سقوط الأرستوقراطية محتوماً ، وبالتبعية سقوط الحضارة الغربية ، والعودة بالمجتمعات إلى حالة من البربرية على عكس فكرة التقدم التي كانت رائجة في عصره .

جوجارتن Gogarten

فريدريك جوجارتن (١٨٨٧ -) ألماني ولد في دورتموند ، وصارَ أستاذاً للاهوت بجامعتيّ يينا وجوتنجن ، وارتبط اسمه بالفلسفة الوجودية المؤمنة وحركة الإحياء اللوثري واللاهوت الجدلي ، ويعتقد بفضل مارتن لوثر على التفكير المسيحي حيث إنه قد خلصه من الاتجاه الميتافيزيقي ، وهو إنجاز لم يفهم في وقته ، ولكن هذا العصر هو أوان إحياء التفكير اللوثري اللاميتافيزيقي ، بصياغة وجودية معاصرة . ويرى جوجارتن أن التفكير المسيحي قد صيغَ منذ البداية على أساس أن التاريخ عملية تدفع إليها عناصر ميتافيزيقية ، وأنه يجري في إطار ميتافيزيقي ثابت ، ولكن بتحرير الدين من الميتافيزيقا يصبح التاريخ مسؤولية الإنسان وتاريخ قراراته ، وأن الدين في إطار هذا المفهوم هو دعوة ليتولى الإنسان مسؤوليته التاريخية بوصفه خليفة الله في الأرض .

جودمان Goodman

نلسون جودمان (١٩٠٦ -) أمريكي ، تعلّم بهارفارد ، وعلَّم الفلسفة ببنسلفانيا وبرانديز ، واشتهرَ بمعالجاته لمسائل الإبستمولوجيا وفلسفة العلم ، وربط مشكلة التمييز بين الجمل الشرطية المضادة للواقع Counterfactual Conditionals الصحيحة والباطلة بمشكلة التعريف الصحيح للقوانين العلمية ، وطرح في كتابه الحقيقة والخيال والتنبؤ Fact, Fiction and Forecast (١٩٥٥) بعض المعالجات لنظرية التصديق Confirmation Theory واقترح كحل للتمييز بين العبارات التي تعبّر عن قوانين والعبارات التي تعبّر عن التعميمات العارضة أن تكون الأولى عبارة يمكن المصادقة عليها في كل مرة يمكن التجريب عليها ، أي

تكون عبارة يمكن تحويلها من عبارة Projectible إلى عبارة Projected ، والعبارة التي تتأكد صحتها تسمىٰ عبارة مرسخة Entrenched ، وكلما صدقت العبارة كلما زادت ترسيخاً . وفي كتابه **تركيب الظاهر The Structure of Appearance** (١٩٥١) يحدد مهمة الفلسفة بأنها وصف العالم لبيان طريقة تركيبه ، بصياغة تعريفات للأشياء باعتبارها مركبات من المقومات الأولية للخبرة ، ويطرح نظرية في البساطة ، سواء البساطة في التركيب البنائي للأشياء أو التركيب المنطقي للعبارات ، ويقول إن البساطة مبدأ أولي يوجه الاختيار بين بدائل النظريات العلمية أو نسقات الفروض ، وهو يخضع نسقات الفروض لمعيار التحليل والمقارنة بين الفرض في حالة إخضاعه للتحليل Analysandum وبين هذا الفرض بوصفه نتاج التحليل Analysans ، ويسمىٰ هذا المعيار التماثل الامتدادي Extentional Isomorphism . وجودمان من أنصار المذهب الأسمىٰ ولذلك رفض القول بفكرة الفئات بوصفها كيانات مجرّدة .

جودوين Godwin

وليام جودوين (١٧٥٦ - ١٨٣٦) إنجليزي ، لم يتلق تعليماً جامعياً رسمياً ، وانصرفَ عن الدين بتأثير هلفتيوس ، وهولباخ ، واحترفَ الكتابة الروائية والسياسية ، وتزوّج من إحدى المناضلات من أجل حقوق المرأة ، وأنجبت له زوجة شيللي ، غير أن أشهر كتبه إطلاقاً هو **بحث في العدالة السياسية An Inquiry Concerning Political Justice** (١٧٩٣) يقوم على فلسفة فوضوية نفعية تنتقد أنماط الحكومات الاستبدادية والملكية والجمهورية ، وإن كان جودوين يميل قليلاً نحو الجمهورية لدعوتها للمساواة ، لكنه كان يعتقد أن كل المؤسسات الاجتماعية فاسدة مفسدة ، لأنها منحازة مسبقاً ، وتحول بين أفرادها وبين رؤية الحقائق بموضوعية ، بحكم أنها تسلك الإنسان ضمن فئات ومجتمعات وطبقات ، وتعلمه أن لا يرى إلاّ ما تسمح له برؤيته ، وأن لا يفهم إلاّ من خلال مصالحها وقيمها ، وتقيم العوائق بينه وبين الناس باللاّمساواة الاجتماعية ، وتشجّع على فعل الأشياء الصحيحة بدعاوى باطلة ، فالوطنية مثلاً سبب فاسد للدعوة إلى معاملة أبناء البلد الواحد معاملة تختلف عن معاملتهم للأجانب ، والعقاب يفرض احترام الناس للقانون على أساس الخوف وليس لأنهم يفهمون الأسباب التي ينبغي من أجلها الاستمساك بالقانون ، والحكومات تحارب الرأي المستقل وتحضّ على الرضوخ لرأي الآخرين سواء كانوا أقلية حاكمة أو الأغلبية ، وتاريخ الإنسانية هو سجل للجرائم التي كان سببها عجز الإنسان المطبق عن فهم حقيقة الأمور والتفكير الواضح ، والمجتمع المثالي ليس المجتمع الكبير ، والإنسان فيه ليس ترساً في الآلة الاجتماعية ، مجتمع غير طبقي لا يلتزم بقواعد ، وليس فيه عقاب لأنه لا يقوم على الجبر . والفضيلة هي المعرفة ، والعمل فاضل بقدر ما يحقق من سعادة لأكبر عدد من الناس .

جورجياس الليونتيني Gorgias of Leontini

سوفسطائي ، ولد بقرية ليونتيني بصقلية نحو سنة ٤٨٠ ق . م ، وكان حيا حتى سنة ٣٩٩ ق . م ، وقدم إلى أثينا في مهمة ديبلوماسية تتعلق بقريته سنة ٤٢٧ ق . م ، وطوف كثيراً ، وكان يحاضر ويعلّم في مدن اليونان ، وكان من تلاميذه إيزوقراط وربما ثيوكيديدس ، ووصفه أفلاطون في محاورته التي أعطاها اسم جورجيلس بأنه مدرس بلاغة . ومن أشهر أعماله كتابه **عن الطبيعة** وهو ثلاثة أجزاء ، يقول في الأول إنه لا وجود لشيء ، وفي الثاني إنه حتى مع افتراض وجود الأشياء فإن الإنسان يستحيل أن يفهمها ، وفي الثالث أنه حتى مع افتراض إمكانه فهمها فإنه يستحيل عليه أن ينقل ما يفهم إلى الآخرين . ومن الفلاسفة من يعتبر موقفه شكي عدمي ، ومنهم من يعتقد أنه كان يسخر من الفكر اليوناني السائد في عصره كمحاولة للتمرين على التحدّث ببلاغة وإقناع .

جونسون .... Johnson

وليام إرنست جونسون (١٨٥٨ - ١٩٣١) إنجليزي ، كان أبوه ناظر مدرسة ، وعيّن محاضراً في علم النفس بكلية التربية للبنات ، ثم محاضراً في العلوم الأخلاقية بكيمبردج ، وكان له تأثير كبير على مدرسة كاملة من مناطقة كيمبردج ، منهم برود وكينز ، واهتمامه بما يسمىٰ المنطق الفلسفي أكثر من المنطق الصوري ، ولم تكن له أية ارتباطات بأية مدرسة فلسفية ، وكتابه **المنطق** (١٩٢١ - ١٩٢٤) لم ينشره إلاّ تحت الإلحاح الشديد ، ويتألف من أربعة أجزاء لم ينشر منها إلاّ ثلاثة فقط . ويعرف المنطق بأنه تحليل الفكر ونقده لا من حيث مضمون الفكر ، بل من حيث موقف المفكر ، وأدّى به هذا التمييز إلى معالجة المنطق من خلال وجهتيّ النظر الذاتية والموضوعية ، والأولى يسميها وجهة النظر الإبستمولوجية ، والثانية التكوينية . وكان جونسون مولعاً باستخدام التعبيرات المنطقية المحددة بدلاً من الألفاظ الشائعة ، ويستعمل مثلاً المعرفي Epistemic بدلاً من الذاتي ، والتكويني Constitutive بدلاً من الموضوعي ، ويميّز بين القضايا الشكلية التي تصدق بالفكر الخالص ، والقضايا التجريبية التي تصدقها التجربة ، ويقسم المنطق تبعاً لذلك إلى صوري ومادي ، ويقيم الاستدلال الاستنباطي على مبدأين يسمىٰ الأول التطبيقي Applicative والثاني التضمني Implicative ، وميّز بين ما هو قابل للتحدد Determinables والمتحددات Determinants ، ويميز بين أربعة أنواع من الاستقراء هي الحدسي والتلخيصي والبرهاني والاحتمالي .

جويني . Jowaini

إمام الحرمين أبو المعالي الجويني النيسابوري (١٠٢٨ - ١٠٨٥ م) نسبة إلى مولده بالقرب من جوين من أعمال نيسابور ، وفيها تعلّم على والده أبي محمد عبد الله الجويني ، الملقّب بركن الإسلام ، وكان عالماً فقهياً شافعياً ، وتوفي وابنه في التاسعة عشرة فجلس مكانه للتدريس ، ولم يترك نيسابور إلاّ لاضطهاد الوزير الكندري ، ومن ثم ذهب إلى مكة والمدينة وجاورَ فيهما لأربع سنوات ، كان يدرس ويفتي ويشرح مذهب الأشاعرة ، وخاصة عند الأشعري والباقلاني وأبي إسحٰق الإسفراييني ، وبسبب ذلك اكتسب لقب إمام الحرمين ، ولم يعد إلى نيسابور إلاّ بعد أن خلع الكندري وتولى نظام الملك وأنشأ المدرسة النظامية ، وفيها جلس الجويني للتدريس نحو عشرين سنة .

أهم كتبه « **الشامل** » و « **لمع الأدلة** » و « **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية** » وفيها عرض لآراء الأشاعرة .

جويو ...... Guyau

ماري حنا جويد (١٨٥٤ - ١٨٨٨) فرنسي ، تلميذ ألفريد فوييه ، أهم كتبه **مخطط لأخلاق بلا إلزام ولا جزاء Esquisse d'une Morale sans Obligation ni Sanction** (١٨٨٥) يدعو فيه إلى أخلاق تستمد من التجربة والواقع ، ليس فيها إلزام لأن الإلزام قد يدفع إلى إتيان الفعل الخلقي والفعل اللاّأخلقي ، مثال ذلك الإلزام في أفعال الثأر ، ومن ثمّ تتولد الحاجة إلى مبدأ يبرر الواجب بخيرية المقصد والفعل معاً ، وهو يجد هذا المبدأ في الأخلاق الطبيعية ، أو في الحياة ونمائها ووفرتها ونشاطها ، فالحياة تحافظ على طاقتها وتجود بنفسها ، ومبدأها البذل في سبيل الخلق ، والبذل هو الوجود الحق ، وهو النشاط والعطاء ، أما الأنانية فتضييق للنشاط ينتهي إلى إقفار النشاط نفسه وإفساده . والإنسان يجد في المجتمع والارتباط به والتضحية مصادر مشاعر نبيلة ، ولا يستغني عنها من ذاق حلاوتها . والإنسان المتدفّق حيوية هو الذي يطلب هذا النمط الرفيع من الحياة ، ويخاطر في سبيله ، ولا جزاء له عليه ، ولا إلزام من خارج ، وإنّما هو الشعور الباطن بالخصوبة والقدرة على العمل ، وجويو يقول « إني قادر على العمل ، ومن ثمّ فيلزم أن أعمل » والإنسان الذي لا يبذل ولا يعطي متهم بخيانة نفسه ،

وحياته أكذوبة ، وهو الغشاش الذي لا تتفق حياته مع وجوده ، وهو لكي يخلق يبذل ويغامر ويخاطر ، وهو يخلق الجمال الذي يضيف ويثري ، وينفعل بالحياة ويعانق الوجود ، ولكن جويو يعلن أنه لا أدري ، ومع ذلك يؤكد أن العاطفة الدينية تظل قائمة بعد الإلحاد ، والعاطفة الدينية هي الشعور بتبعيتنا مادياً وخلقياً واجتماعياً للكون ولنبع الحياة المتدفقة فيه .

جيبون.. Gibbon

إدوارد جيبون ، مؤرّخ إنجليزي ، صاحب كتاب « **تاريخ أفول وسقوط الدولة الرومانية** » (ستة أجزاء ١٧٧٦ ـ ١٧٨٨) ، ويعد من أهم وأعظم المراجع في موضوعه ، وتقوم أهميته الفلسفية في الفصلين الخامس عشر والسادس عشر من الجزء الأول ، اللذين أثارا الجدل وما يزالان ، وفيهما يرجع جيبون سقوط روما إلى هجمات البرابرة وتفشّي المسيحية وما تمثله ، ويرجع كذلك أسباب انتصار المسيحية وغلبة قيمها إلى مسائل نفسية وفلسفية ، ويطالبنا بأن نسقط السبب الغيبي الذي يقول إن انتصار المسيحية كان لأن الله أراد لدينه النصرة على الوثنية ، فالباحث المدقق لا يسعه إلاَّ أن يرفض هذا الزعم ، ذلك لأن المسيحية التي انتصرت كانت تشويهاً لفكر مبدعها وتحريفاً لتعاليمه ، ولقد أرادها بصورة وأرادتها الكنيسة بصورة أخرى ، ومن ثمَّ لا يتبقى أمام الباحث النزيه إلاَّ أن يتحرَّى الأسباب الموضوعية لهذه الغلبة ، وهي في رأي جيبون أسباب نفسية وفلسفية أهمها وجود الفكرة ، والتعصب لها ، والاستعلاء بها ، وقيام هذه الفكرة على الإيمان بالخلود ، الأمر الذي ساعد المسيحيين على تجاوز الاضطهادات والصمود المعنوي ، ثم كانت الأخلاق المسيحية بمثابة إعلان العصيان المدني ، الأمر الذي سارعَ إلى تقويض الدولة ، ومن ناحية أخرى أقام المسيحيون دولة الكنيسة ودعموا سلطتها ، فلما ضعفت الحكومة المدنية أحكموا سيطرة دولة الكنيسة عليها . ومما يطرحه جيبون من ملحوظات أن ضحايا الاضطهاد الروماني للمسيحيين لم يتجاوز في أحلك الفترات الرقم ٢٠٠٠ في حين أن عدد المسيحيين البروتستانت الذين استشهدوا كنتيجة لاضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لهم تجاوز مئات الألوف ، مع مراعاة أن فترة الاضطهاد الكاثوليكي للبروتستانت كانت أقصر نسبياً من فترة الاضطهاد الروماني للمسيحيين الأوائل ، ومن ثمَّ تجاوز عدد ضحايا المسيحيين البروتستانت في هذه الفترة القصيرة كل عدد الضحايا المسيحيين الأوائل خلال قرون الاضطهاد الروماني .

جيفنز.. Jevons

وليام ستانلي جيفنز (١٨٣٥ ـ ١٨٨٢) بريطاني ولد في ليفربول ، وتعلَّم بجامعة لندن وعلَّم بها ، وكانت اهتماماته منطقية ، وأهم كتبه **المنطق الخالص** (١٨٦٤) ، وهو كتاب صغير يطفح بتأثير بول Boole عليه ، و « **دروس أولية في المنطق** » (١٨٧٠) وهو كتاب مدرسي يمهّد لكتاب مل ، و « **مبادىء العلم** » (١٨٧٤) وهو أهم إسهام له في الميثودولوجيا العلمية ويعرض فيه نظريته المنطقية ، و « **دراسات وتمرينات في المنطق الاستنباطي** » (١٨٨٠) . ونظرية جيفنز تبسيط لنظرية بول وليست هناك قيمة كبيرة لما يعتقد أنه قد استحدثه فيها .

جيلسن.. Gilson

إيتيين هنري جيلسن ، ولد بباريس سنة ١٨٨٤ وتعلَّم بجامعتها وحصل على الدكتوراه عن ديكارت ، ونصحه لوسيان ليفي بريل بدراسة العلاقة بين ديكارت والإسكولائيين ، واستغرقته دراسة فلسفة العصور الوسطى ، وتعلَّم أن يقرأ توماس الأكويني وأن يفهم ميتافيزيقا ديكارت على أرضية من ميتافيزيقا الأكويني ، واعتنق التوماوية بوصفها فلسفة وجودية مسيحية تضع فعل الوجود في قلب الواقع . وهو يعتقد فيما يسميه الفلسفة المسيحية ويمزجها باللاهوت ، وينكر على الفلاسفة ابتداء من القرن السادس عشر الفصل بينهما ،

ويرى أن فلسفة العصور الوسطى تتمثل بأجلى معانيها في الأكويني ولا يمكن أن ينفصل عنها اللاهوت ، وأنه لا تعارض في أن تكون فلسفة ومع ذلك مسيحية . ومن أهم كتبه « **روح العصور الوسطى** » ، و « **العقل والوحي في العصور الوسطى** » ؛ و « **الله والفلسفة** » ، و « **دراسات في فلسفة العصور الوسطى** » ، واشتغل جيلسن أستاذاً لفلسفة العصور الوسطى بالسوربون ، وأسهمَ في إقامة معهد دراسات العصور الوسطى ورأس تحرير مجلته .

جيمس James

وليام جيمس (١٨٤٢ ـ ١٩١٠) أمريكي من أصل أيرلندي ، شقيق الروائي الكبير هنري جيمس ، رباه أبوه على حرية التفكير ولم يلزمه شيء ، وأتاح له الفرصة أن يتلقّى العلم والفلسفة في معاهد وجامعات أمريكية وإنجليزية وفرنسية وسويسرية وألمانية حتى حصل على الدكتوراه في الطب من جامعة هارفارد (١٨٦٩) وعيّن بها أستاذاً للتشريح والفسيولوجيا (١٨٧٣) ثم أستاذاً لعلم النفس (١٨٧٥) فأسّس أول معمل لعلم النفس في أمريكا ، ثم أستاذاً للفلسفة (١٨٧٩) حتى استقالته في ١٩٠٧ . ورغم اهتماماته العلمية إلّا أن اتجاهاته الحقيقية كانت فلسفية دائماً . وكان جيمس قد تعرض لأزمة حادة من النورستينيا (١٨٧٠) مصدرها إحساس حاد بالعجز النفسي لم يخلصه منها سوى كتاب رينوفييه « مقال في النقد العام » فاعتنق فكرة أن للإنسان إرادة حرة كفيلة بتغيير مصيره ؛ ومن ثم نستطيع أن نقول إن جيمس كان الفيلسوف دائماً ، وأن المادية التي سيطرت على الفكر الفلسفي في عصره دفعته إلى دراسة الطب ، ولكنها لم تسيطر عليه لغلبة مشاعره الدينية ، وتأدّت به إلى علم النفس ، وفي هذه المرحلة كتب مؤلفه الضخم « **مبادىء علم النفس** **Principles of Psychology** » (١٨٩٠) ويعد من الكتب الكلاسيكية في هذا الميدان ، واستطاعَ به أن يقيم من السيكولوجيا علماً ، غير أن علم النفس أسلمه من جديد إلى الفلسفة ، وفيها وجد نفسه ودون أعظم كتبه ومحاضراته « **إرادة الاعتقاد** » (١٨٩٧) ؛ و « **الفلسفة العملية** **Pragmatism** » (١٩٠٧) ، و « **معنى الحقيقة** **The Meaning of Truth** » (١٩٠٩) ، و « **كون متكثر** **A Pluralistic Universe** » (١٩٠٩) . ونشرت له بعد وفاته « **بعض مسائل الفلسفة** **Some Problems of Philosophy** » (١٩١١) ، و « **مقالات في التجريبية البحتة** **Essays in Radical Empiricism** » (١٩١٢) . ومن ثمَّ نستطيع أن نقول إن تطوره الفكري مرَّ بمراحل ثلاث ، في الأولى اهتمَّ بعلم النفس ، وفي الوسطى كان اهتمامه بشرح فلسفته العملية ، وفي الأخيرة شغل بنوع من الواقعية عرف باسم **الواحدية المحايدة** **Neutral Monism** .

ويرجع فضله في علم النفس إلى محاولته إقامته على أساس من المقتضيات التجريبية البحتة ، واتّباعه المنهج الأدائي في تناول الظواهر العقلية ، وتأكيده على الاستبطان كوسيلة لمعرفة وظائف العقل معرفة تجريبية لا يمكن أن تتحصل إلّا بالنظر إلى الباطن . والفصول التي كتبها في **تيار الفكر** و**وعي الذات** لا يبزها شيء مما كتب في علم النفس الاستبطاني . وهو ينكر على الترابطيين تأليفهم الوجدان من ظواهر منفصلة ، ويجري الظواهر الوجدانية في تيار متصل ولا يردها إلى ظواهر فسيولوجية . ولعلَّ أشهر ما يطرح من قضايا ما يعرف باسم **نظرية جيمس لانج في الانفعالات** حيث يعتبر الانفعال النفسي كالخوف والغضب مجرد الإحساس بالحالة الفسيولوجية المترتبة على إدراك الموضوع ، ومعنى ذلك أنني إذ أرى الذئب أهرب فأخاف بدلاً من القول إننا إذ نرى الذئب نخاف فنهرب ، فالانفعال يأتي كنتيجة للحالة الجسدية وليس العكس ، ومع ذلك فالحالة الانفعالية ظاهرة مستقلة بذاتها .

ويدخل جيمس في التجريبية البحتة بمقالة « هل الشعور موجود ؟ » (١٩٠٤) ومن رأيه أنه لا يوجد

باعتباره كائناً A Thing ، ولا ينكر أن المعرفة وظيفة الأفكار ، وأنها عملية الشعور بالموضوعات ، ومع ذلك فلا وجود لشيء اسمه الشعور وإنَّما توجد الخبرة الخالصة ، وأن العارف وموضوع المعرفة جزآن من أجزائها قد يظهر أحدهما على الآخر ولكنهما لا يعدوان جزءين من الخبرة التي هي مادة ومن التفكير اللاحق . وهذه المادة إذن ليست هي العقل وليست هي المادة بالمعنى المقابل في الثنائية القديمة « العقل ـ المادة » ولكنها شيء أسبق عليهما هو الهيولى ، وهو ليس مادياً وليس عقلياً ولكنه شيء خاص به ، شيء واحد محايد وهذا معنى نظريته الواحدية المحايدة ، وليس الاختلاف بين العقل والمادة إلَّا اختلافاً في التنظيم ، وهو زعم يجعل للعلاقات بين الخبرات أهمية كأهمية الأطراف التي تقوم بينها تلك العلاقات .

والفلسفة العملية أو البراجماتية مذهب يجعل من العمل مبدأ مطلق . والكلمة قديمة وردت بمعناها الحديث في مقال الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرز بيرس (١٨٧٨) « كيف نوضح أفكارنا ؟ » . ولم يتبين أحد أهمية المقال حتى كشف عنه جيمس في محاضرته عن البراجماتية (١٨٩٨) « المفاهيم الفلسفية والنتائج العملية » ، وبها يؤرّخ لبداية البراجماتية كحركة واضحة المعالم ، وإن كانت إرهاصاتها سبقت في « مبادىء علم النفس » . وهو يلخصها في قوله « إن تصورنا لموضوع هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر » . وفلسفته تجريبية متطرفة ضد النزعات المثالية . وفي رأيه أن الكون متكثر لا يفسره مذهب واحد ، والعالم مرن غير مكتمل يتميز بالحركة والصيرورة ، والمستقبل مفتوح والعالم في دور التكوين ، وما دام أنه كثير ومتعدد وإلى صيرورة فالحقيقة جزئية وزمانية ، والبحث يكون في الجزئي وليس الكلي . والفلسفة العملية تدرس الواقع لا المجرد . والفيلسوف العملي يهتم بالمدرك Percept وليس المتصور Concept ، أي أنه يهتم بالأشياء ولا يحلق في الفضاء . والفلسفة العملية اسمية طالما أنها لا ترى إلَّا الجزئي . وطالما أن الأشياء في صيرورة فعلاقاتها متغيرة . والمزاج العملي هو الذي يعنى بما يحدث في الواقع بدلاً من النظر إلى المبادىء والمقولات ، وينظر إلى الأجزاء ويحللها بدلاً من النظر إلى الكلي ، ومن ثمَّ فالفلسفة العملية فلسفة تحليلية . وليست هناك وجهة نظر واحدة عن الواقع بل مذاهب متعددة . ونحن لا يمكن أن نفرض على الحقيقة مفهوماتنا ، ولا يمكن التعبير عن المدركات بلغة التصورات . والمنهج العملي هو المنهج الذي يفسر أي معنى بتعقب نتائجه العملية . والاختلاف بين معنيين هو اختلاف في النتائج ، فإن لم يكن ثمَّة نتائج مختلفة فلا اختلاف في المعنى . والمذهب العملي بذلك ليس إجابة على المشكلة ، لكنه مذهب في البحث ، ومن ثمَّ يصلح لعدة فلسفات ، وهو ضد فكرة وجود حقيقة واحدة أو عقل مطلق . والفكرة الصادقة ليست الفكرة المطابقة للواقع ولكنها التي تؤدّي بنا مباشرة أمام الموضوع المراد معرفته . والحقيقة هي ما يؤدّي بنا إلى نتائج مرضية ترضي حاجات الفرد . والخطأ أو الزيف هو الذي يؤدّي إلى الخسارة أو الفشل . والحق لا يكون حقاً إلَّا إذا كان في خدمة الخير ، ومن ثمَّ تكون الحقيقة ضرباً من التحقق أو الامتحان يتوقف صدقها على اختبارها ونتائجها ، وتكون الحقيقة هي القادرة على العمل أو على أداء وظيفة ، وتكون الحقيقة عند جيمس اختراعاً نقيمه لأداء عمل وليس اكتشافاً كما يدعي السابقون . وتصبح الفكرة حقيقة عندما تثبت التجربة أنها صالحة ومفيدة ، ويصير الحق هو الملائم في مجال التفكير ، والخير هو الملائم في مجال السلوك . وليست المنفعة الفردية هي معيار صدق الفكرة ، لكن الفكرة الصادقة هي التي تتلاءم مع غيرها من الأفكار التي ثبتت صحتها عملياً .

ولكن هناك مواقف يستحيل فيها الحكم على الأفكار بأنها صحيحة أو كاذبة ، وعندئذٍ لا بد من اللجوء إلى إرادة الاعتقاد ، حيث يكون الاعتقاد في أمانة شخص مثلاً باعثاً له على السلوك بأمانة ، فالاعتقاد قد يخلق

وسائل تحققه ، كما أن الفكرة قد تحقق الواقعة . وما دام العالم مرناً ، وما دامت الإرادة هي التي تخلف العالم الذي نعيش فيه ، فإن العالم يكون خيراً بمقدار ما نجعل منه خيراً ، ويكون شراً بمقدار ما نجعل منه شراً . وما دام العالم مرناً وفي صيرورة دائمة فلا معنى للحتمية فيه ، وهو عالم متكثر حافل بالممكنات ، والحرية هي الاختيار بين الممكنات ، وهي فعل الإرادة .

ولا يحاول جيمس إثبات وجود الله ، ولكنه يناقش الواقع مباشرة ، والتجربة الدينية واقع ، ولا توجد تجربة واحدة فالتجارب الدينية توجد بقدر ما يوجد في العالم من أفراد . وهو يجد أن الدين تجربة فردية ، وأن جوهرها العاطفة الدينية وليس الطقوس ، وأن الشعور الديني شعور باطني بالمشاركة في موجود أعظم ، وهو شعور بالانسجام والسلام ، وأن التجربة الدينية أكثر واقعية من التجربة العلمية لأنها تبدأ بالمجسم أي العاطفة والإحساس والفكر ، والتجربة العلمية تبدأ بالمجرد . والعلم تجربة ولكن الدين واقعة حية نعيشها . والله موجود لأن فرض وجوده نافع ، ولكن المشكلة هي مشكلة التوفيق بين فكرة وجود الله وبين غيرها من الأفكار ذات التأثير . والله في التجربة الدينية هو أنت ، فهو متناهٍ ومن ثمَّ لا يحيط بكل شيء . والله هو باطن الأشياء ، فهو المثال ، ومن ثمَّ لا يحوي كل الأشياء ، وإذن فالله ليس مسؤولاً عن الشر ، بل بالعكس فهو شريكنا الأعظم في محاربة الشر ، ولذلك يتدخل الله لتغيير مجرى الأحداث ، وتحدث المعجزات ، والمعجزات دليل وجود الحرية في صميم العالم . لكن إذا كان العالم متكثراً فما الذي يمنع من وجود آلهة بدلاً من إله واحد ، يسودها الانسجام ، مختلفة الوظائف ؟ وهو نزوع واضح إلى الشرك .

جينز Jeans

جيمس هوبوود جينز (١٨٧٧ ـ ١٩٤٦) عالم رياضي وفلكي إنجليزي ، تعلَّم في كيمبردج وكان أستاذ الرياضيات التطبيقية بها ، وأستاذ الفلك بالمعهد الملكي ، وكانت شهرته ذائعة حتى انتخب زميلاً بالجمعية الملكية في الثامنة والعشرين . ويتضمن كتابه **الفيزياء والفلسفة** (١٩٤٢) عرضاً لفلسفته المثالية التي تفسر العالم تفسيراً رياضياً وتقترب كثيراً من نظرية المثل عند أفلاطون ، ومعنى قوله بالتفسير الرياضي أن قوام العالم هو الفكر المحض ، وأن طابعه رياضي في أساسه ، وكما يعتقد أفلاطون أننا نعيش في كهف لا تظهر منه غير أشباح الحقيقة ، وأننا رغم ذلك باستطاعتنا أن نرتفع فوق الظواهر إلى عالم أكمل وأكثر تجريداً ، وأن العقل هو وسيلتنا إلى ذلك ، فكذلك يرى جينز أننا بالعقل يمكن أن نتوصل إلى القضايا والمفاهيم الرياضية والاستدلالية بعد أن نكون قد جاوزنا مرحلة المحسوسات . ويقول جينز إن ما يقصده بالمظهر الرياضي أن الكون فكر خالص ، وأن أبجديته رياضية ، وأن منشئه مفكر خالص وعبقري رياضي ، وأن الرياضة لم تهبط على الكون من أعلى ، ولم تجئه من أسفل ، ولكنها تخللته ، نازلة من هذا العقل الرياضي الكلي ، لتحيل الطبيعة إلى صورة رياضية .

حرف الحاء

حابطية Habitiya

فرقة من المعتزلة ، أتباع أحمد بن حابط ، وهو من أصحاب النظام ، قالوا للعالم إلهان ، قديم هو الله تعالىٰ ، ومحدّث هو المسيح ، والمسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة ، وهو المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ وجاءَ ربك والملك صفاً صفاً ﴾ ، وهو الذي يأتي في ظلل من الغمام ، وهو المعني بقوله عليه السلام خلق الله آدم على صورته ، وبقوله يضع الجبار قدمه في النار ، وإنَّما سمَّى المسيح لأنه ذرع الأجسام وأحدثها .

حارثية Harithiya

أصحاب الحارث الأباضي ، خالف الأباضية في قوله بالقدر على مذهب المعتزلة ، وفي الاستطاعة قبل الفعل ، وفي إثبات طاعة لا يراد بها الله تعالىٰ .

حافي Hafi

بشر الحافي (توفي ٢٢٧ هـ) صوفي عاش ببغداد ، وسمي الحافي لأن أحد نعليه انقطعت فحملها إلى إسكاف يطلب منه شعساً يربطها به ، فقال له الإسكاف « ما أكثر كلفتكم (أيها الصوفية) على الناس ! » فألقىٰ بشر تلك النعل من يده ، وخلعَ الأخرى من رجله ، وحلف ألَّا يلبس بعدها نعلاً أبداً .

حتمية Determinists

فرقة تقول بأن لكل حدث جملة شروط ، فإذا توافرت فلا يمكن إلَّا أن يقع الحدث ولا شيء غيره . غير أن صور هذا المضمون تعددت بتعدد تطبيقاته والاعتبارات التي دفعت إليها ، ويمكن إجمالها في ست نظريات في الحتمية ، فأصحاب الحتمية الأخلاقية يقولون بأن الإنسان ما كان له أن يختار إلَّا ما يبدو له أنه الأفضل ، وأنه لا يمكن أن يختار بمحض إرادته أن يفعل ما يضر به نفسه ، ومن ثمَّ كان من رأي سقراط وأفلاطون أن الإنسان لا يفعل الشر إلَّا مضطراً أو عن جهل ، ويعني ذلك أن الإنسان مفطور على فعل الخير ، وهي النتيجة التي يخلص إليها ديكارت والأكويني ولايبنتس . وأصحاب الحتمية المنطقية ديودووس كرونوس وأقريسيبوس وبوسيدونيوس والميغاريون والرواقيون ، وتقوم دعواهم على أن الناس يعتقدون أن كل شيء مقدور على الإنسان ، ومن ثمَّ يكون من غير المنطقي أن نتحدث إليهم فيما ينبغي أن تكون عليهم أخلاقهم ، وفي مسؤوليتهم عن أفعالهم . وتطوّرت هذه النظرة في مجال الدين فيما يسمىٰ بالحتمية اللاهوتية ، ويقول أصحابها أنه طالما أن الله عالم وقادر ومطلق الخير ، فهذا العالم الذي صنعه هو أحسن العوالم الممكنة ، ولا مجال للتحدث عن حرية

الإرادة ضد الله ، لأن الله تعالىٰ لا يختار بين الخير والشر . وتتفق هذه الفلسفة مع القائلين بالخير ، أو المجبرة ، الذين يزعمون أن الإنسان مسيّر وليس مخيراً ، والذي يلخصه شيخ الجبرية جهم بن صفوان : لا فعل لأحد في الحقيقة إلاّ لله ، وفي القرن السابع عشر والثامن عشر قامت الحتمية الفيزيائية كنتيجة للتطور العلمي ، وإحلال الملاحظة والتجريب محل التأمل الفلسفي الخالص ، وخلص هذان إلى أن كل ما في الطبيعة ، بما في ذلك الإنسان نفسه ، يسير وفق نواميس وقوانين لا يحيد عنها ولا تحيد ، ولا شك أن فلسفة هوبز هي نموذج كل الفلسفات المادية التي ذهبت إلى هذا الرأي ، وهو يرجع الكون وما حوىٰ إلى المادة ، ويقول مع لوقيبوس وديموقريطس إن الأفكار والأحاسيس تغيرات في جزئيات المادة التي يتركب منها الإنسان ، ومن ثمَّ فإن السلوك يخضع للقوانين التي تخضع لها المادة ، ولم يجد غضاضة مع ذلك أن يميز أفعال الإنسان بأنها أفعال إرادية أو أفعال حرة ، طالما أنه يأتيها بوازع من طبيعته ووفقاً لقوانينها ، واستنكر أن تكون هناك أفعال إرادية ليست لها أسباب تمتد بجذورها إلى طبيعة الإنسان ، وقال إن السلوك مترتّب على احترام الرغبات ، ومرتبط بالرغبة الفائزة التي تنعقد لها السيادة على الباقيات . وقيّض لهذا المفهوم الفعل الإرادي الذي قال به هوبز أن يكون عقيدة الماديين الذين خلفوه وإن كانوا قد خالفوه في نواحٍ أخرى من مذهبه المادي . ونخصّ من هؤلاء شوبنهاور وموريتس شليك وآير .

ولم تكن الحتمية الفيزيائية على أيّة حال إلاّ صورة من صور الحتمية العلمية Scientific Determinism التي شملت مجال علم النفس والعلوم الاجتماعية ، فقالت الحتمية النفسية Psychological Determinism مقالة هوبز وعرفت السلوك الإرادي الحر بأنه السلوك غير المفيد وغير المعوق الصادر عن الدوافع الداخلية ، أي إن للسلوك مسبباته ، وذهب إلى هذا الرأي لوك وهيوم . وأضاف الطب النفسي إلى الدوافع الشعورية دوافع أخرى لاشعورية قال عنها إنها محددات السلوك الأصلية . ووجد هذا الرأي لدى الفلاسفة من يدافع عنه ، خاصة جون هوسبرز ، وإن كان هنري مانسل قد انتقده بشدة بدعوى أنه صورة علمية للجبرية التي قال بها القدماء . أما الذين قالوا بالحتمية التاريخية فإنهم استخدموا تعبيراً أخف فقالوا Historical Inevitability بمعنى أنها شيء لا يمكن تجنّبه ، واستخلصوه من قراءتهم للتاريخ القديم ، فقد وجدوا أنه يسير وفق قوانين وله أنماط ، وأن للأمم والحضارات دورات حياة تشبه دورة حياة الكائنات الحية . ومن هؤلاء فيكو وهيجل وشبنجلر وتوينبي . واستخلص تشمبرلين وجوبينو أن الجنس الآري هو الجنس المتقدم ، وعرف مونتسكيو وبودان وبكل أن للمناخ وللتضاريس تأثيرها على بنية الشعوب العاطفية والفكرية ، وقال كارل ماركس بحتمية اقتصادية فسَّر بها حركة التاريخ بأنها صراع الطبقات وانعكاس لنمط الحياة الاقتصادية وعلاقات الإنتاج عند الشعوب . ولقد رأى وليام جيمس في الذين غالوا في القول بالحتمية وانتصروا لمقولة القوانين حتى جاءت صنو تعاريف القدر أن حتميتهم جامدة Hard Determinism بعكس الحتمية المعتدلة Soft Determinism التي أضفت على الإنسان بعضاً من الحرية في حدود ما وفرته له من طبائع . وكانت هذه التفرقة سبب ما ذهب إليه توماس ريد من تمييز بين أفعال الإنسان وحركاته ، فالأفعال Actions هي ما يكون بسبب دوافعه الداخلية ، والحركات Movements هي ما يقسر عليه ولا شأن لهذه الدوافع فيه ، وكان أرسطو يفرّق بين الفعل الإنساني والحركة الحيوانية ، كما كان كنط يميز بين السببية البشرية والسببية العادية .

حجج على وجود الله
Arguments for the Existence of God

بدأت البرهنة على وجود الله في صورتها المنطقية عند أرسطو في برهانه على المحرّك الأول ، واتّخذت

هذه المسألة شكلاً جدلياً عنيفاً في العصور الوسطى عند الفلاسفة المسيحيين والإسلاميين . وأشهر هذه الحجج ثلاث ، هي الحجة الوجودية Ontological Argument والحجة الكونية .Cosmological A والحجة الغائية .Teleological A ، وواضع الحجة الأولى هو القديس أنسلم (١٠٣٣ - ١١٠٩ م) وعنه أخذها بونافنتورا وديكارت ولايبنتس وهيجل ، ومؤدّاها أن ما لا يمكن تصور ما هو أكمل منه لا بد أن يوجد في الواقع وليس في الذهن وحده ، وإلاّ فلو كان موجوداً في الذهن وحده لأمكن تصوره موجوداً في الواقع أيضاً ، فلا يكون التصور الأول صحيحاً لوجود تصور أكمل منه ، وإذن فلا بد أن « ما لا يمكن تصور ما هو أكمل منه » أن يكون موجوداً في الذهن والواقع معاً . أما الحجة الثانية فتقوم على فكرة أرسطو أن الأشياء المتحركة إنَّما تتحرك بفعل غيرها ، ومن الضروري أن نصل إلى محرك أول وإلاّ نقع في دور ، وهذا المحرك الأول هو الله . أما الحجة الغائية فهي أقدم الحجج ، وتقول إن العالم به نظام وانسجام وغائية ، وهو ما يفترض علة عاقلة قامت بكل هذا التدبير ، لأن المادة تعجز عن تدبير نفسها بنفسها . وقد رفض كنط الحجج الثلاث ولم يأخذ إلاّ بالحجة الأخلاقية .**Moral A** فمن الضروري أن يجازى الخير ويعاقب الشر ، ومن ثم يكون من الضروري أن يوجد فوق الطبيعة موجود عادل يقوم بهذا العمل .

حدبية **Hadbiya**

فرقة من المعتزلة ، أتباع الحدبي ، ومذهبهم مذهب الحابطية ، إلاّ أنهم زادوا التناسخ ، وقالوا إن كل حيوان مكلّف ، وأن الله خلقهم فبعضهم أطاعه وبعضهم عصاه ، ولذلك فقد أخرجهم الله إلى دار الدنيا وكساهم هذه الأجساد الكثيفة على صور مختلفة كصورة الإنسان وسائر الحيوانات ، وابتلاهم بالبأساء والضراء والآلام واللذات على مقادير ذنوبهم ، فمن كانت معاصيه أقل وطاعته أكثر ، كانت صورته أحسن وآلامه أقل ، ولا يزال الحيوان يكون في الدنيا صورة بعد صورة ما دامت ذنوبه معه .

حركة جالاراتي **Gallarate Movement**

منظمة جامعية تسمَّى « مركز الدراسات الفلسفية للأساتذة الجامعيين » ، أسَّسها في جالاراتي بإيطاليا فيليبي باتاجيا من جامعة بولونيا ، وكارلو جياكون من بادوا ، وأوجستو جوزو من تورين ، وشكياجا من جنوا ، ولويجي ستيفانيني من بادوا سنة ١٩٤٥ ، وانضمَّ إليهم من الدول الأخرى رومانو جوارديني وهيلموت كوهن من ألمانيا ، وجان فال وريجي جوليفيه من فرنسا ، وأدولفو مونوز ألونصو من أسبانيا ، وروبرت كابو نيجري من الولايات المتحدة .

وتقبل الحركة المسيحية بمضمونها دون شكلها ، وفلسفتها هي فلسفة المسيحي من موقع وجودي ، وهدفها تشجيع الحوار بين كل وجهات النظر لإعادة الإيمان بالله من منطلق مسيحي . وتعقد الحركة مؤتمرات سنوية ، منها المؤتمر الذي عقدته سنة ١٩٤٥ عن الفلسفة المسيحية المعاصرة ، ومؤتمر سنة ١٩٤٧ عن موريس بلوندل ونقطة الانطلاق في الفلسفة ، ومؤتمر ١٩٥٦ عن مشكلة القيمة .

وتقوم الحركة بإصدار الكتب الفلسفية ، منها « ثبت بالمراجع الفلسفية الإيطالية » (أربعة مجلدات ١٩٥٠ - ١٩٥٦) والموسوعة الفلسفية (أربعة مجلدات ١٩٥٦ - ١٩٦٠) .

حشوية **Hashwiya**

قوم تمسكوا بالظواهر ، فذهبوا إلى التجسيم وغيره ، وأجروا تفسير القرآن على ظاهره ، وسموا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري ، فوجدهم يتكلمون كلاماً ، فقال ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة ، فهم الحشوية بفتح الشين . وقيل سموا بذلك لأن منهم المجسمة ، أو هم أنفسهم المجسمة ، والجسم حشو ، وعلى هذا جاء قياس الحشوية نسبة إلى الحشو . وقيل المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث

في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها ، بل يؤمنون بما أراده الله ، مع حزمهم بأن الظاهر غير مراد ، ويفوضون التأويل إلى الله ، وعلى هذا إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن ، لأن مذهبهم هو مذهب السلف . وقيل الحشوية طائفة يجوزون أن يخاطبنا الله بالمهمل ، ويطلقون الحشو على الدين ، فإن الدين يتلقىٰ من الكتاب والسنة ، وهما حشو أي واسطة بين الله ورسوله وبين الناس .

حفصية Hafsiya

إحدى الفرق التي تطرقت إليها الإباضية ، وهم أصحاب حفص بن أبي المقدام ، تميز عنهم بأن قال إن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة ، وهي معرفة الله تعالىٰ وحده ، فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب أو قيامه أو جنة أو نار ، أو ارتكب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر ، فهو كافر لكنه بريء من الشرك .

حكمة Wisdom

تقليب الأمور على كافة أوجهها ، وإعمال النظر فيما ينبغي ، والرأي السديد الذي يسلك بصاحبه المسلك الصائب . وقد تصدر الحكمة عن معرفة واسعة ، ودربة محنكة ، وحصافة بالغة ، وبصيرة نافذة . وهي أسبق من علم الفلسفة ، لأنها الدراية بأمور الدنيا . وتحفل بها آداب الأمم القديمة ، وأقدم ألوانها المعروفة في الصين في كتابات كونفوشيوس (القرن السادس ق . م) ومينشيوس (القرن الرابع ق . م) ، وفي الهند في الباجافادفيتا والداماباد ، وفي مصر الفرعونية في حكمة بتاح حوتب (نحو ٢٥٠٠ق . م) ، وفي العهد القديم عند العبرانيين وخاصة أسفار أيوب والأمثال والمزامير وكتابهم المسمى حكمة سليمان . وكانت للإغريق حكمة قبل أن تكون لهم فلسفة ، صورها هزيود (القرن الثامن ق . م) وثيوجنيس (القرن السادس ق . م) شعراً ، وطرح فيثاغوراس مفهومه عنها في كتابات وصفها بأنها الهادي إلى النجاح . وكان سقراط (٤٧٠ ـ ٣٩٩ق . م) أول من صاغ تصوراً كاملاً لحكمة الإغريق فقرن بين المعرفة والفضيلة ، وأرجع الفشل في الحياة إلى الجهل بمعنى الفضيلة . ووصف خلفه أفلاطون الحكمة بأنها العيش بمقتضىٰ العقل . وأكبر الرواقيون العقل حتى قال حكيمهم ماركوس أوريليوس إن الحكمة تقتضي أن ينأى الإنسان بنفسه عن الانفعالات لأنها لا تقوم بنفس صاحبها إلا عن جهل . ولعل هناك من فلاسفة العصر الحديث من يصدق عليه أن نصفه بالحكمة ، ولعل أبرز هؤلاء مونتاني وإمرسون ولوك وبتلر وستيوارت مل وسدجويك ، وإن كان سبينوزا يظهر عليهم جميعاً .

حكومة Government

نظام الحكم في الدولة ، أو مجموع الهيئات الحاكمة . ويقسم أرسطو الحكومات إلى ملكية تخضع لحكم الملك ، وارستوقراطية تخضع لحكم الأعيان ، وجمهورية تشرك أعداداً كبيرة من الناس في الحكم . وكان أرسطو مظاهراً لأفلاطون في تقسيمه ، لكن منتسكيو قسمها إلى استبدادية لا يخضع فيها الحاكم للقانون ، وملكية فردية يحكمها الملك وحده وإن كان مقيداً بالقانون ، وجمهورية تخضع فيها الحكومة لإرادة الشعب . وقسمها روسو إلى ملكية وارستوقراطية وديموقراطية . لكن التقسيم الحديث للحكومات يتناولها من حيث الخضوع للقانون وباعتبار الرئيس الأعلى ومصدر السيادة . وتنقسم الحكومات من حيث خضوعها للقانون إلى استبدادية ، الحاكم فيها صاحب السلطة المطلقة ، وقانونية لا يجوز للحاكم أن يتصرف إلا وفق القانون . وتنقسم الحكومة القانونية إلى مطلقة يركز فيها القانون جميع الصلاحيات بيد الحاكم ، وتختلف عن الاستبدادية في أنها تخضع للقانون ، ومقيدة يوزع دستورها الصلاحيات بين الحاكم والسلطات الأخرى . وتنقسم الحكومات من حيث الرئيس الأعلى للدولة إلى ملكية تؤول فيها السلطة إلى

الحاكم بالوراثة ، وجمهورية يتم فيها اختيار الحاكم بالانتخاب ولمدة محدودة . وتنقسم الحكومات من حيث مصدر السيادة إلى فردية يتولى فيها الحكم شخص واحد (وتدخل ضمنها الحكومات الملكية الاستبدادية التي لا يخضع فيها الحاكم لأي قانون أو نظام ، والملكية المطلقة التي يخضع فيها الحاكم للقانون ولكنه يملك تغييره ، والدكتاتورية التي يستمد فيها الحاكم سلطاته من شخصيته وما له من قوى ذاتية) ، وحكومة أقلية تتجمع السلطة فيها في يد فئة قليلة تنتمي لطبقة معينة ، قيل هي أصلح الطبقات للحكم وتسمى لذلك بالأرستوقراطية وتعني بالإغريقية حكم الخيرة أو الأصلح ، وحكومة شعبية أو ديموقراطية يباشر فيها السلطة كل الشعب ، والديموقراطية هي المبدأ الذي أصبح هدفاً من أهداف التنظيمات السياسية ومطلباً شعبياً .

حكيم .... Hakiem

توفيق الحكيم ، مصري ، درس القانون بفرنسا ، واشتهر بكتاباته المسرحية يفسر بها الإنسان في وضعه العام من الكون بزمانه ومكانه ، وفي وضعه الخاص من المجتمع بأجياله وبيئاته ، وقدم لذلك مذهباً في الفلسفة يسميه « التعادلية » يقرب من المذهب الذي يحمل نفس الاسم عند جان باتيست روبينيه (١٧٣٥ - ١٨٢٠) ، ويعرف التعادلية بأنها فلسفة الحركة المقابلة والمناهضة لحركة أخرى ، ويقول إن قانون التعادل يحكم الكون كله ، فالشهيق يعادله الزفير ، والفكر يعادله الشعور ، والعرض يعادله الطلب ، وقوة الحاكم تعادلها قوة المحكوم . والتعادلية في الأدب هي التوازن بين قوة التعبير وقوة التفسير ، وليس القلق والاضطراب والتوتر والمرض إلا بسبب اختلال هذا التعادل أو التوازن . والإنسان مركب من إرادة حرة تقيدها الإرادة الإلهية ، والوعي بهذه الحقيقة يحمل الإنسان على اكتشاف نفسه وارتياد منابع قواه الذهنية والروحية وتنميتها ، وهو في هذا الكشف والارتياد والتنمية يتغير ويتطور ويسمو على ذاته طبقة بعد طبقة ، فرداً ومجتمعاً ، وكأنه محكوم بجدل صاعد ، والخير والشر يتعادلان فيه ، وقد يكون الشر في أصله متصل بوعيه الأساسي الذي هو شعوره بذاته وحبه لهذه الذات ، فحب الذات غريزي فيه يدفعه إلى إرضائها ولو بإيذاء الغير ، ولكن المجتمع في تطوره يوازن هذا الإيذاء بالدعوة إلى نفع الغير ، وكلما ارتقى المجتمع اتخذ الغير وضعاً هاماً من أوضاع السلوك العام ، ولذلك فإن الشر إذا كان وليد الغريزة والطبع ، فإن الخير وليد الروح والتهذيب ، والإنسان تتناوبه أحوال من الخير والشر ، فهو ليس خيراً خالصاً ولا شراً محضاً ، وإنما هو موضوع تتعادل فيه وتتوازن هذه الأحوال . والتعادلية هي إذن الفلسفة التي تفسر الحياة الإيجابية بأنها ضرورة وجود جملة قوى تتقابل وتتوازن مناهضة بعضها بعضاً في الكون والمجتمع ، ولا يبدأ العدم إلا بابتلاع هذه القوى لبعضها البعض ، والتعادلية هي الفلسفة التي تقاوم هذا الابتلاع ، فواجبنا أن نحتفظ بقوانا الخاصة مستقلة نعادل بها ونقابل القوى الأخرى التي تريد ابتلاعنا ، وبذلك نقاوم ونتحرك ونحيا ، فإذا كان لدينا ضعف ونقص فلنبحث جيداً في انحاء أنفسنا وسنجد فيها قوى خفية وزيادة كاملة مقابلة .

حلاجية .... Hallajiya

الحلاجية : المنسوبون إلى أبي المغيث الحسين بن منصور ، المعروف بالحلاج ، أصله من فارس من مدينة يقال لها البيضاء ، وكان في بدء أمره مشغولاً بكلام الصوفية ، وكانت عباراته حينئذ من الجنس الذي تسميه الصوفية الشطح ، وهو الذي يحتمل معنيين أحدهما حسن محمود ، والآخر قبيح مذموم ، واختلف بشأنه المتكلمون والفقهاء والصوفية ، ونسبوه إلى دين الحلولية ، وحكوا عنه أنه قال : من هذب نفسه في الطاعة ، وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ، ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية ، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى ابن

مريم ، ولم يرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد ، وكان جميع فعله فعل الله تعالى .

حلمانية .... Halmaniya

الحلمانية : المنسوبون إلى أبي حلمان الدمشقي ، فارسي منشؤه حلب وأظهر دعوته بدمشق ، وكان يقول بحلول الإله في الأشخاص الحسنة ، ويزعم أن الإله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم لأنه كان قد حل في آدم ، وإنما حل فيه لأن خلقه في أحسن تقويم ؛ وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها يوهمون أن الإله قد حل فيها .

حلولية ....

الحلولية : بلغوا عشر فرق ، يرجع تفرقها في الأصل إلى غلاة الروافض ، واجتمعوا على القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع ، فالسبئية والجناحية والخطابية والشريعية والنميرية أرادوا روح الإله في علي وأولاده ، والأبو مسلمية والمقنعية أو المبيضية والحلمانية والحلاجية والعذافرة قالوا بحلول روح الإله في أشخاص دعاتها أو في الأشخاص الحسنة .

حمزية

الحمزية : فرقة من الخوارج ، أصحاب حمزة النيسابوري القدري كان من العجاردة الخازمية ثم خالفهم وقال في باب القدر والاستطاعة بقول القدرية فأكفرته الخازمية ، ثم زعم أن أطفال المشركين في النار فأكفرته القدرية ، ووالي القعدة من الخوارج مع قوله بتكفير من لا يوافقه على قتال مخالفيه من فرقتهم مع قوله بأنهم مشركون .

حنيفية ....

مذهب المتعبدين على غير دين النصارى واليهود في شبه الجزيرة العربية قبل بعثة محمد ، وقيل إنها دين ، وقيل هي ملة إبراهيم ، وأساسها القول بإله واحد . وكان الحنيفية يعتزلون عبادة الأوثان ، ويمتنعون عن أكل ما ذبح باسمها ، وينكرون على قريش ذبحها على غير اسم الله ، ويقولون بالجنة والنار والحساب ، ويقيمون تدينهم على تقوى الله . وأشهر الحنيفية زيد ابن عمرو الذي قال عنه الرسول « يأتي يوم القيامة أمة وحده » وقيل عنه إنه كان نبياً أوحي إليه ، بما يكمل نفسه ، وأمية بن أبي الصلت إلا أنه في بعثة الرسول عاداه حتى قال فيه الرسول « آمن شعره وكفر قلبه » ، وأبو قيس بن أبي أنس وكان له بيت اتخذه مسجداً لا يدخله طامث ولا جنب ، وقال أعبد رب إبراهيم ، وخالد بن سنان ويروى أن الرسول قال فيه ذلك نبي أضاعه قومه ، وأتت ابنته رسول الله فسمعته يقرأ قل هو الله أحد ، فقالت كان أبي يقولها .

حـرف الخـاء

خابطية

أصحاب أحمد بن خابط (المتوفي ٢٣٢هـ) ، كانوا من أصحاب النظام ، وضموا إلى مذهبه إثباتهم حكماً من أحكام الإلهية في المسيح عليه السلام ، موافقة للنصارى على اعتقادهم أن المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، وهو المراد بقوله تعالى ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾، وقولهم بالتناسخ زعماً أن الله تعالى أبدع خلقه أصحاء سالمين ، عقلاء بالغين ، في دار سوى هذه الدار التي هم فيها اليوم ، وخلق فيهم معرفته والعلم به ، وابتدأهم بتكليف شكره ، فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم ، فمن أطاعه في الكل أقره في دار النعيم ، ومن عصاه في الكل أخرجه إلى دار العذاب ، ومن أطاعه في البعض وعصاه في البعض أخرجه إلى دار الدنيا فألبسه هذه الأجسام الكثيفة ، فمن كانت معصيته أقل كانت صورته أحسن ، ومن كانت ذنوبه اكثر كانت صورته أقبح ، ثم لا يزال يكون الحيوان في الدنيا كرة بعد كرة .

الخرمية

فرقة من غلاة الشيعة ، قيل هي السبعية ، سموا بالخرمية لإباحتهم المحرّمات والمحارم ليحدثوا بذلك اختلافاً في الإسلام ويعودوا بالناس إلى قواعد أسلافهم ، فقد كان أصحاب الخرمية من الغبارية وهم طائفة من المجوس ورئيسهم حمدان قرمط ، وقيل عبد الله بن ميمون القداح .

الخطابية

أصحاب أبي الخطاب الأسدي مولي بني أسد ، عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، وقال بإلّهية جعفر وإلّهية آبائه ، فلما وقف جعفر على غلوه في حقه تبرّأ منه ولعنه ، فلما اعتزلَ عنه ادَّعى الإمامة لنفسه ، ولما وقف عيسىٰ بن موسىٰ صاحب المنصور على خبث دعوته قتله ، وافترقت الخطابية بعده فرقاً ، فزعمت إحداها أن الدنيا لا تفنىٰ ، وأن الجنة هي نعيمها ، والنار هي شرورها ، واستحلّوا الخمر والزنا وسائر المحرّمات ، ودانوا بترك الصلاة والفرائض ، وتسمَّى فرقتهم بالمعمرية . وزعمت طائفة أن الإلّه ظهر بصورته للخلق ، وأن كل مؤمن يوحىٰ إليه من الله ، وأن منهم من هو أفضل من جبريل ، وزعموا أن المؤمن إذا مات لا يُقال له إنه قد مات ولكن يقال رجع إلى الملكوت ، وتسمَّى هذه الطائفة البزيغية . واجتمعت طائفة على عبادة الصادق وتسمَّى فرقتهم بالعجيلية والعميرية نسبة إلى زعيمهم عمير بن العجلي الذي صلبوه في الكوفة . وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب هو مفضل الصيرفي ، وقالوا بربوبية جعفر دون

نبوته ، وتسمّى هذه الفرقة المفضلية . وتبرّأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق ولعنهم .

خلفية

الخلفية : فرقة من الخوارج العجاردة ، أصحاب خلف الخارجي ، وهم خوارج كرامان ومكران ، أضافوا القدر خيره وشره إلى الله ، وحكموا بأن أطفال المشركين في النار بلا عمل وشرك .

خطأ Error

كانَ بارمنيدس يعتقد أن ما هو كائن هو الموجود فقط ، ومن ثم استخلص أننا لا يمكن أن نفكر ولا أن نعرف ولا أن نعبر عن شيء ليس موجوداً . واستنتج السوفسطائيون أن الخطأ هو الاعتقاد أو التفكير أو التحدث في شيء ليس موجوداً ، ومن ثمَّ حكموا على التفكير الخاطىء بأنه ليس تفكيراً ، ولكن أفلاطون ذهب مذهباً آخر فقال إن التفكير الخاطىء هو تفكير في شيء بالرغم من أنه تفكير خاطىء ، وعرف الصدق بأنه التقابل بين ما نقرر وبين ما هو موجود حتى وإن كان وجوده في مخيلتنا دون الواقع (نظرية التقابل **Correspondence Theory**) . لكن مور وصف الاعتقاد بأنه حكم ، وزاوج بين الصدق والواقع (نظرية المزاوجة **Dyadic Theory**) ، وعرَّف الخطأ بأنه إقرار بوجود ما لا يقابله شيء في العالم . ويبدو أن رسل ذهب مذهب أفلاطون (نظرية العلاقة المتعددة **Multiple Relation Theory**) فقال إن هناك من العبارات والتفكير ما يتناول أشياء ليس لها وجود في الواقع . واتّجه ديكارت وجهة أخرى بخلاف هؤلاء جميعاً ، فاعتبر الخطأ فعل الإرادة وليس العقل ، وعرَّفه بأنه تأليف بين أفكار لا ارتباط بينها في الحقيقة والواقع ، وأنه لا يكون في الفعل الذي يرى به العقل ولكنه في الفعل الذي يكون به الحكم ، بمعنى أن العقل لا يخطىء ، ولكن الإرادة تميل بالناس إلى الإقرار بقضايا لا يعرفون أنها صادقة ، أي إن الإرادة تميل بهم إلى أفكار غير واضحة ، ولا يُلام الله على هذا التنافر بين قدرتنا المحدودة على تحصيل المعرفة وطاقتنا غير المحدودة على التصديق .

خواء وخلاء Vacuum and Void

رغم أن هذه المسألة من مسائل الفلسفة البحتة ؛ إلاَّ أنه ابتداءً من القرن التاسع عشر لم يعد البحث يجري فيها حول إمكان حسم وجود الخلاء أو عدم وجوده ، ولكنه يدور حول طبيعة مجالات القوى الموجودة فيما يسمَّى بالخلاء ، وفي علاقاتها بالمادة . ولقد بدأت المشكلة تاريخياً عند ديموقريطس وتلميذه لوقيبوس كرد فعل لفلسفة بارمنيدس من حيث أنه اعتبر الطبيعة كلاً واحداً ساكناً، وقال إن كل ما خلا الوجود فهو لا وجود ولم يعترف بالخلاء ، غير أن ديموقرايطس أقرَّ بأن الوجود كله ملاء Plenum ، وأنه في حركة ، والحركة ممتنعة بدون خلاء ، والموجودات تآليف من ذرات تملأ الكون وتلتقي وتفترق ، ومن تلاقيها وافتراقها يحدث الكون والفساد ، وأنها تختلف في الشكل والمقدار ، وكذلك يتميز الخلاء بالشكل والمقدار ، فهو ليس عدماً ، ولكنه امتداد متصل متجانس ، يفترق عن الملاء نجلوه من الأجسام والمقاومة ، وأطلق ديموقريطس ولوقيبوس على الخلاء اللاّوجود . وأنكرَ أرسطو فكَرة الخلاء ، بحجة أن القائلين به يعتبرونه نوعاً من المكان ، أي امتداداً يخلو من كل جسم حتى من الهواء ، وأنه يصير ملاء حين يحلّ فيه جسم ، وعلى هذا يكون الخلاء والملاء والمكان شيئاً واحداً يختلف بالتصور . وقال إن القائلين بالخلاء والملاء يقولون إن الملاء لا يقبل شيئاً وإلاَّ لأمكن أن يحل جسمان في مكان واحد ، ومن ثمَّ يجب التسليم بضرورة الخلاء للحركة ، وكذلك يجب التسليم بتكاثف الجسم الطبيعي ونمو الجسم الحي ، فالحركة هي حلول المتحرك في أمكنة متعاقبة ، والتكاثف امتلاء الخلاء المتخلل الجسم ، ويحصل النمو بحلول الغذاء في الخلاء . وقال إن الزاعمين بالخلاء يؤيّدون حجتهم

بالإناء الذي يقبل من الماء وهو ممتلىء رماداً بقدر ما يقبل وهو خاوٍ ، ولو لم يكن في الرماد خلاء ، لكان ذلك ممتنعاً . وقال أرسطو إن كل هذه الأقاويل ليست ملزمة ، فالخلاء غير ضروري للحركة لأن الأجسام تستطيع أن تحل محل بعضها دون افتراض الخلاء ، كما يدفع الماء بعضه بعضاً عندما يلقىٰ به حجر . أما التكاثف فلا يحدث بالانضغاط في الخلاء بل بطرد الهواء أو أي جسم آخر يتخلل الجسم المتكاثف كما حدث في حالة الإناء المملوء رماداً فإن الماء المسكوب فيه يطرد الهواء المتخلل الرماد ويحل محله . والتكاثف والتخلل انقباض للمادة نفسها او انبساطها بما لها من قوة باطنة لا دخلَ للخلاء فيهما . وأما النمو فإن احتجاجهم به يرتدّ عليهم ، إذ إن الجسم ينمو في جميع أجزائه فإمّا أن يكون في المكان الذي يدخل فيه الغذاء جسم وحينئذٍ يتداخل الجسمان ، وهذا باطل ، وإمّا أن لا يكون هناك جسم بل خلاء فيكون الكائن الحي كله خلاء ، وهذا باطل كذلك .

وفي القرن الأول الميلادي قال هيرو الإسكندري ، إن الكون يتخلله فراغات خاوية ، وأن التمدد والانكماش في الأجسام يزيد أو ينقص من هذه الفراغات بين أجزاء المادة ، وفسَّر نظريته في الفراغات الخاوية امتصاص الأجسام بالضخ لتملأ الخواء فلا تكون هناك فراغات . وعادت نظرية هيرو للظهور في القرن السابع عشر ، لكن تورشيللي تلميذ جاليليو فسر امتصاص الأجسام أو انجذابها للفراغات في البارومتر بالضغط الجوي وليس بقوة جذب باطنة .

وقد رفض الفلاسفة من بعد فكرة الخلاء ، فقال ديكارت إن الكون كله ملاء لا يتخلله خلاء ، طالما أنه مادة ممتدة ويستحيل وضع حد لامتدادها ، ولأن الخلاء امتداد ، والامتداد مادة ، بحيث نفسر كل حركة بأن الجسم المتحرك يطرد الجسم المجاور له من مكانه . وقال لاينبتس إنه لا وجود للخلاء لأن كمال الوجود لا يتم إلَّا بتواجد مادة كافية ، ولأن مبدأ الخلاء من مبدأ العلة الكافية الذي يتطلب أن توجد المادة باستمرار وأن تقبل القسمة بلا حدود .

خوارج

والخارجية أيضاً ، فرقة من كبار الفرق الإسلامية وهم سبع : المحكمية والبيهشية والأزارقة والنجدات والصفرية والأباضية والعجاردة ، وقالوا إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومواراتهم ، وقتالهم ، وغنيمة أموالهم حلال ، وقالوا إن الإمام إذا كفر كفرت الرعية ، الغائب منهم والشاهد ، وأوجبوا قتاله ، وتوقيع الحد عليه ، وعلى من رضي بحكمه ، أو طعنَ في دين الخوارج ، أو صارَ دليلاً للسلطان . وجوزوا التقية في القول والعمل ، والتوقف في دار التقية فلا يقاتل أهلها حتى يدعوا إلى دين الخوارج ، فإن امتنعوا قوتلوا . وقالوا إن الخروج من ديار أهل القبلة هجرة ، وأنها فرض وفضيلة ، وتبرّأوا ممَّن يرجع من دار الهجرة إلى القعود ، وجوزوا قتل القاعدين عن حرب الذين كفروهم .

خوارزمي

(توفي نحو ٨٤٦ م) أبو عبد الله محمد بن موسىٰ الخوارزمي ، نسبة إلى مسقط رأسه خوارزم أوخوي في الترلستان ، وكان يعيش في بغداد أيام المأمون ، وكان عالماً بارعاً في الرياضيات والفلك والجغرافية والتاريخ ، وجمع بين العلم الهندي والعلم اليوناني ، وكان أول من ألَّف في علم الجبر ، وهو الذي وضع كلمة « جبر » لهذا العلم ، ووسع نطاقه حتى أصبح يُنسب إليه ، فهو أحد مؤسّسي علم الجبر مستقلاً عن الحساب والهندسة ، وينسب إليه اللوغارتيم ، وهو تحريف لاتيني لإسمه ، وأهم كتبه « الجبر والمقابلة » ويبدو أنه مختصر لكتاب أوسع . وقد تنبَّه الخوارزمي للحالة التي يستحيل فيها إيجاد قيمة حقيقية للمجهول فقال إن المسألة تكون في هذه الحالة مستحيلة ، وبقي

هذا اسمها بين علماء الرياضيات حتى أواخر القرن الثامن عشر ، حتى بدأ البحث في الكميات المتخيلة .

خياطية

أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط (المتوفي ٣٠٠ هـ) من معتزلة بغداد ، غالىٰ في إثبات المعدوم شيئاً ، وقال الشيء ما يعلم ويخبر عنه ، والجوهر جوهر في العدم ، والعرض عرض في العدم ، وأطلق جميع الأجناس والأصناف حتى قال السواد سواد في العدم ، فلم يبق إلاّ صفة الوجود أو الصفات التي تلزم الوجود والحدوث ، وأطلق على المعدوم لفظ الثبوت ، وقال في نفي الصفات عن الباري أنه ليست صفة قائمة بذاته .

خير وشر The Good and The Evil

يميز الفلاسفة بين الخيرات التي تطلب لذاتها Intrinsic Goods والخيرات التي لا تطلب لذاتها Nonintrinsic Goods وتتّخذ وسائل لطلب الأولى Instrumental Goods . وقد يصفون الخير بأنه المطلق Ultimate Good أو الأسمىٰ Highest Good (باللاتينية Summum Bonum) وهو الذي تتوجه إليه كل الأفعال والذي له قيمة بذاته . وقد يصفون الخير بأنه المفيد أو النافع ، أو الممدوح ، أو المؤثر لذاته أو لغيره ، أو واهب السعادة أو المؤدّي إليها ، أو ما يكون به كمال الإنسان ورفعته ، وما يفر بنا إلى الله ، وقد يمتنعون عن وصفه ويشيرون إليه بأنه نسبي .

والشر من المسائل التي يختصّ بها علم الربوبية Theodicy (من Theos بمعنى الرب و Dike بمعنى العدالة) ، وهو العلم الذي يحاول التوفيق بين الاعتقاد الديني بخيرية الله وقدرته المطلقة وبين واقع الشر في العالم الذي ينفي هذه القدرة أو يحدها . وقد اعتبرت بعض الديانات (الهندوسية) الشر وهما (مايا) ، واعتبرته ديانات أخرى (الزردشتية) مطلقاً يقابل الخير المطلق ، ووصفته بأنه كلام في مقابل النور . غير أن الديانات الكبرى الثلاث تعتبره عرضاً ، وأنه لا ذات له ، وقال عنه ابن سينا إنه عدم جوهر أو عدم صلاح حال الجوهر ، أو أنه عدم مقتضىٰ طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته ، أو المعدم الحابس للكمال عن مستحقه ، وقال عنه أوغسطين إنه يتطفل على الكائنات ويفسدها وينتهي بانتهائها ، وأنه قد نفذَ إلى الوجود من خلال الإرادة ، بانصرافها بحريتها عن الخير الأسمىٰ إلى الخيرات الأدنىٰ . وجعله أوغسطين جزءاً من الصورة الجمالية للعالم ، حيث لا يتصور بدونه بوصف أحسن العوالم الممكنة وطالما أن الجزاء يوازن الشر بحيث يحتفظ العالم بتناسقه الخلقي . وقسّم لايبنتس الشر إلى شر خلقي يختص بالأفعال المذمومة والخطايا ، وشر فيزيائي هو مصدر أوصاب البدن وأرزاء النفس والعقل ، وشر طبيعي تستحدثه الكوارث والنوائب الطبيعية كالزلازل ، وشر ميتافيزيقي بسبب نقص في تكوين الكائنات يحول بينها وبين كمالاتها ويصيبها بالفناء .

حرف الدال

داروين .... **Darwin**

(١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) تشارلز روبرت داروين ، عالم أحياء إنجليزي ، لكنه أصبح صاحب أبعد النظريات الفلسفية أثراً في القرن التاسع عشر . ولد بشروزبري ، وتعلم الطب بأدنبرة ، واللاهوت بكيمبردج ، إلا أنه اتجه إلى دراسة الأحياء بتأثير صداقته بعالم النبات هنسلو ، وقراءاته لهمبولت وهرشل ، واستطاع هنسلو أن يحصل له على وظيفة باحث أحياء بدون أجر على سفينة أبحاث تدعى بيجل خرجت في رحلة حول الأرض مدتها خمس سنوات (١٨٣١ ـ ١٨٣٦) ، جمع داروين خلالها من الملحوظات والمعلومات ما كان الأساس الأول للنظرية في الارتقاء الأحيائي ، ثم قضى نحو ربع قرن آخر يدعمها ويجادل عنها ويتناول في ضوئها مسائل من صميم الفلسفة والدين ، ضمنها في كتابين من أهم كتبه هما « أصل الأنواع The Origin of Species » (١٨٥٩) ، و « تسلسل الإنسان The Descent of Man » (١٨٧١) .

وأساس أصل الأنواع هو الانتخاب الطبيعي ، وهو مبدأ اكتشفه داروين وألفريد رسل والاس في وقت واحد ، لكن نظرية والاس كانت محافظة ، فهي تزعم أن الكائنات الحية في تكاثرها تنزع إلى الابتعاد في سماتها عن أصولها ، لكنها كلما تواجدت في ظروف تبطل قانون الانتخاب الطبيعي أو الصناعي ، ترجع إلى سمات أصولها . واعتبر علماء الأحياء ذلك دليلاً على وجود نزعة محافظة كامنة في الطبيعة ، وأن الانتخاب الطبيعي بهذه الصفة عامل استمرار وليس عامل تغيير .

أما داروين فقد رأى في تماثل الكائنات الحية ، وخاصة الحيوانية ، تماثلاً كبيراً في بنية الجسم ، وفي انفراقها أنواعاً عديدة يتميز كل منها بسمات تلائم بينه وبين بيئته كل الملاءمة ، أنها قد تطورت عن أصل واحد أو عدة أصول خلال زمن مديد . وكان داروين قد قرأ مالتس « مقال في السكان » وذهب إلى تطبيق نظرية مالتس في السكان على الحيوان والنبات قائلاً بتنازع الكائنات الحية على القوت وبالصراع في سبيل البقاء . وتعلم داروين من تجارب مربي الحيوانات أن المزاوجة بين الفصائل الجيدة تنتج أصنافاً لها خصائص تكون بها اكثر تلاؤماً مع البيئة وأقدر على البقاء والتنازع ، وخلص من ذلك كله إلى أن الحياة يحكمها قانون الانتخاب الطبيعي ، وأنه يشبه الانتخاب الصناعي ، إلا أنه يحدث بالصدفة ويتأكد بالوراثة وليس فيه قصد ولا نظام ، ولا يدل على علة تحدثه ، ويشير إلى أن الأنواع الحية الموجودة هي الأنواع الأعلى التي تسلسلت من أنواع أدنى .

ولقد رفض داروين في كتاب «أصل الأنواع» أن

يناقش أصل الانسان في ضوء قانون التطور ، لكن أتباعه كفوه مؤونة ذلك، فانبرى تشارلز ليل يطرح التساؤل، ونشر والاس ، أصل الأجناس البشرية وقدم الإنسان كما تدل عليه نظرية الانتخاب الطبيعي ، وكتب هكسلي وإرنست هكل وغيرهما سلسلة من الدراسات تلقي الضوء على التشابه بين الإنسان والقدرة العليا ، وأخيراً أدلى داروين بدلوه، ونشر « تسلسل الإنسان »، وكان من الفطنة بحيث رفض أن يقر بأي أصل غير إنساني ، لكنه أقر بأن المسافة بين القوى الفكرية في أدنى الفطريات والقوى الفكرية للقدرة العليا أكبر من المسافة بين القوى الفكرية في القدرة العليا وبينها في الانسان وقال بأن وراثة الصفات المكتسبة والانتخاب الجنسي القائم على الصراع بين الذكور من أجل الإناث يلعب دوراً أكبر في حالة الإنسان منه في حالة الكائنات الأخرى .

وكان لنظرية الارتقاء الأحيائي ردود فعل عنيفة في كل المجالات فقد كانت تعني أن الارتقاء يتم تدريجياً ، أو كما قال داروين إن الطبيعة لا تقوم بطفرات ولا يوجد فيها ثغرات ، وترتب على ذلك القول بأن أنماط السلوك تخضع للبيئة والزمن ، وأن تشكيلها مسألة تاريخية ، وأن الإنسان خاضع للقانون الطبيعي ، لكن الأهم من ذلك أن النظرية ووراثة الامتياز وحرية التجارةوانتفاء الأخلاق طالما أن البقاء للأصلح ، لكن اليسار حمل الدعوة للداروينية الاجتماعية بدعوى تقدميتها وقولها بالصيرورة والتطور من الأدنى إلى الأعلى حتى أن ماركس أراد أن يهدي المجلد الأول من كتابه « رأس المال » إلى داروين ، وكان من الطبيعي أن يبين داروين أن تنازع البقاء لا يتناقض مع القول بالأخلاقية ، ذلك لأن الصفات التي توجه الانتخاب الطبيعي ليست هي الصفات التي يفيد منها الفرد وحده ولكنها الصفات التي تعم فائدتها النوع كله ، طالما ان الاجتماع هو العامل الفعال في بقاء النوع ، وضرب لذلك المثل بحب الوالدين للابناء وما نشاهده من تعريض بعض الحيوانات نفسها للخطر والموت لإنقاذ غيرها ، ومن ثم نلمس في الإنسان صفات لا تفيد الفرد ولكنها تنفع النوع وتتوارثها الأجيال ، وهي ما نسميه الفضائل ، غير أنه رفض المسيحية ، والأناجيل ولم يتصور أن بالإمكان أن يزعم أحد بصدقها ، وقال ان العالم مليء بالشقاء والآلام مما يتنافى مع وجود عناية إلهية ، أو وجود تخطيط مسبق للكون ، ولكنه في نفس الوقت قال باستحالة أن يكون العالم جاء بمحض الصدفة فهو أكبر وأروع من أن يكون كذلك ، وصرح بأن المسألة كلها تتجاوز نطاق عقل الإنسان ، وان الإنسان عاجز عن أن يحل لغز بداية الأشياء ، وأنه لذلك لا أدرياً وراض أن يظل لا أدرياً .

دافنشي Leonardo da Vinci

(١٤٥٢ ـ ١٥١٩) ليوناردو دافنشي ، فنان عصر النهضة الأعظم ، جمع في فلسفته « **مقالة في التصوير** » (١٦٥١) بين الفنان والعالم ، وقال إن الفن كالعلم يصور الطبيعة ، لكن الفن يقدمها للحواس ، والعلم يعبر عنها بالقوانين . وقال إن العلم يقوم على دعامتين : التجربة والاحصاء الرياضي ، ووصف الحكمة بأنها بنت التجربة ، وقال إن الحكم المبني على التجربة قد يخطىء ، ولنتجنب الخطأ ينبغي إخضاع كل حكم للإحصاء الرياضي ، فالرياضيات هي أساس اليقين ، وعناصر الأجسام الطبيعية أشكال هندسية ، وعلى من يريد أن يقرأ لغة الطبيعة الرياضية أن يتعلم أن يفك طلاسمها . والطبيعة بسيطة لأنها تتبع الطريق الأقصر والأبسط لتحقيق عملياتها ، وهذه حقيقة رياضية أخرى ، فإذا كان نظام الطبيعة رياضي ، فهو ضروري ، والضرورة والبساطة يستبعدان القوى الخارقة أو السحرية ، وكل تفسير من ثم يقوم على الغيبيات أو الخوارق تفسير مستبعد .

دالمبير D'Alembert

(٧١٧ ـ ١٨٧٣) حنا لوروند دالمبير ، رياضي وموسوعي فرنسي ، الابن غير الشرعي لمدام تينسان والجنرال دستو شركانو ، تركته أمه على أعتاب دير القديس جان لورون بباريس ، والذي تسمى باسمه ، وعاد الأب ليطالب بابنه ، وليعهد به إلى زوجة زجاج ،

حتى مرض الابن مرضاً خطيراً ، فنقلته أسرة دستوش إلى كلية ينسنيه ، وأعطته اسم داريمبرج ، لكنه غيره إلى دالمبير ، وحاول أن يكون ينسنياً ، ولكنه أصيب بالتقزز والقرف من مناقشاتهم الميتافيزيقية حتى كره الميتافيزيقا ، ودرس الطب ، ثم انصرف عنه إلى الرياضيات ، وتأثر بديكارت ، وكانت أربعينات القرن السابع عشر أزهى سنين عمره ، قدم فيها أغلب وأهم مؤلفاته في الديناميكا والأوتار والرياح وحركة السوائل ومقاومتها ودائرة المعارف . وكان موسوعياً ، رد الأخلاق إلى الحاجات الاجتماعية ، ولكنه لم يكن وضعياً بالمعنى الذي كان عليه أوجست كونت ، ورد كل شيء إلى مبدأ واحد ، أو حقيقة واحدة كبرى ، واشترك في كتابة الموسوعة التي شن الجزويت حملة شعواء على ناشريها لاتجاهاتها اللادينية ، وكتب مقدمة المجلد الثالث ، وكان فطين ، مثل نيوتن ، أن الوجود كالساعة ، وأنه لا بدّ له من ساعاتي ، ولكنه قال ، مثلما قال فونتان ، ماذا أعرف عنه ، وظل متمسكاً بشكيته ، ولكن يبدو أنه في أواخر الستينات ، استطاع ديدرو أن يكسبه إلى ماديته .

دالي Pierre D'Aly

(١٣٥٠ - ١٤٢١) بطرس دالي ، رجل دين وفيلسوف فرنسي ، من المتأثرين بأوكام وميركورت ، عالج التصوف والتنسك والمنطق والفلك والجغرافيا ، وقال إن الله مطلق الإرادة ، وأنه فوق قوانين الطبيعة ، وأن إرادة الله المطلقة لها عالمها ، وأن الدنيا مكان إرادته المقننة ، وأن البارد بارد والحار حار لأن الله يريد ذلك ، وأنه لا شيء خير أو شر إلا لأن الله أحبه كذلك ، وأن الإنسان عادل ، لا لأنه يملك في ذاته خاصية العدل ، بل لأن الله أراده كذلك .

دريش Driesch

(١٨٦٧ - ١٩٤١) حنا أدولف إدوارد دريش ، أبرز فلاسفة المذهب الحيوي المحدث ، ألماني ، درس الأحياء على إرنست هيكل ، ولكنه طرح تفسيره الآلي للحياة العضوية ، فقد رأى أن الحياة المتخلفة أكبر من مجموعة العمليات التي تستحدثها ، وأن هذه العمليات تتم بخطة مسبقة وتستهدف غاية قد رصدت لها قبلاً ، ومن ثم رد الحياة إلى ما نسميه الروح ، وأطلق عليها اسم « الكمال الأول » (انتلخيا) ، ووصفها بأنها قوة حيوية تسيطر على العمليات الحيوية وتوجهها وجهة غائية ، وانصرف دريش عن الأحياء إلى الفلسفة نهائياً ، وذهب دريش في تأريخها عمّا يدعم مذهبه الحيوي فكتب « تاريخ النظرية الحيوية » (١٩٠٥) و « العلم والفلسفة العضوية » (١٩٠٨) ، غير أن أهم كتبه « نظرية النظام » (١٩١٢) ، و « نظرية الواقع » (١٩١٧) . ولم يعجب قوله بالمطلق التام النازي ، وانتقد دريش القومية بوصفها عقبة في سبيل تحقيق مملكة الله الواحدة ، ومن ثم أخرج من الجامعة (١٩٣٣) .

دروز Druze

الموحدون كما يفضلون أن يسموا أنفسهم ، وينسبون إلى محمد بن اسماعيل الدرزي ، مع أنه أقل المؤسسين للمذهب إسهاماً ، غير أنه كان أول المؤسسين حيث بدأ يبشر بمذهبه سنة ٤٠٧هـ ، لكن المؤسس الأكبر كان حمزة بن علي بن أحمد ، الملقب بالإمام ، والذي بدأ يبشر بالمذهب الدرزي سنة ٤٠٨هـ ، وبها يبدأ التقويم الدرزي المسمى بتقويم حمزة . ويذكر المؤرخون مؤسساً ثالثاً هو الحسن الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع . والدرزية فرقة إسلامية تفرعت عن الشيعة السبعية وانشقت عليها ، وظهرت بمصر أيام الفاطميين ، وتقول بألوهية المنصور ابن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي الملقب بالحاكم بأمر الله ، والذي تولى الخلافة الفاطمية في مصر من ٣٨٦ إلى ٤١١هـ . ولم يلق المذهب الدرزي استحساناً من أهل مصر فتصدوا له وقتلوا الأخرم في شوارع القاهرة (٤٠٨هـ) ، وثاروا على محمد الدرزي أمام قصر الحاكم وقتلوا عدداً من أعوانه ، وفر بنصيحة

الحاكم إلى الشام، واستقر في وادي التيم بلبنان ودعا الأهالي الى مذهبه، ومن ثم تسموا باسمه . أما حمزة فهو ركن المذهب،وبوفاة الأخرم ورحيل الدرزي آل أمر الدعوة إليه ، فلقب نفسه بهادي المستجيبين وقائم الزمان ، وقال بالتوحيد ، وأن الله يظهر من آن لآخر في صورة إنسية ، وأنه قد ظهر في صورة الحاكم بأمر الله ، وأن الحاكم بشر في العين المجردة ، ويعيش كالبشر عند الذين لا يعرفونه ، لكنه في الواقع الإله المعبود اتخذ لنفسه صورة إنسية أطلق الناس عليها اسم الحاكم بأمر الله ، وأن الله قد فعل ذلك عشر مرات ، وأنه يفعل ذلك لأن الناس تعجز عن إدراكه في صورته التوحيدية ، ومن ثم أوجبت الحكمة والعدل أن يظهر في صورة إنسية حتى يدرك الناس بعض حقائقه ، كما أوجبت الحكمة أن يخلق الله العقل ، وهو إرادة الله ، وهو الإمام الأعظم حمزة بن علي ، وأبطل حمزة فرائض الدين الظاهرة والعبادة العملية ، وركن إلى التأويلات الباطنة ، وأطلق عليها اسم الفرائض التوحيدية ، فليس على الدرزي أن يقوم بالفروض ، لكن عليه أن يوحد الباري وينزهه عن كل الصفات ، ويعرف الإمام حمزة ونوابه ، وأن يطيعهم طاعة عمياء . وتقع كتب الدروز المقدسة في أربعة مجلدات تضم ١١١ رسالة ، وتسمى أحياناً باسم رسائل الحكمة ، ويرجع الفضل في تبويبها وترتيبها إلى المقتني بهاء الدين الوزير الخامس الذي وكل إليه حمزة شؤون الجماعة في غيبته . ولعل أكبر شخصية منذ المقتني هي شخصية الأمير السيد جمال الدين التنوخي (٨٢٠هـ / ١٤١٧م - ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م) ، ويعده الدروز قطباً من أقطاب مذهب التوحيد أو المذهب الدرزي ، ويستمد هذه المكانة من شروحه على بعض رسائل الحكمة . وتنتشر الدرزية في سوريا حيث يسكن جبل الدروز أو جبل حوران قبائل العوامرة وبنو الأطرش والخناوية والقلاعنة والحلبية والهنيدية وبنو عساف ، وفي لبنان آل أرسلان وتلحوق والنكدي وعبد الملك وعمار وعيد وجنبلاط ، وفي اسرائيل في جبل الكرمل وصفد ، وكلها قبائل يزعمون أن أصولها عربية خالصة كما يبين من اسمائها ، وتدعي الإسلام ، وتقول إن الدرزية أشبه بفرقة صوفية ، وتعتز بعروبتها حتى أنهم غيروا اسم جبل الدروز إلى جبل العرب .

دستويفسكي Dostoyevsky

(١٨٢١ - ١٨٨١) تيودور ميخايلوفتش دستويفسكي ، روائي روسي من أبرز رواد الوجودية ، ورواياته « **مذكرات سرية** » (١٨٦٤) و « **الجريمة والعقاب** » (١٨٦٦) و« **الإخوة كرامازوف** » (١٨٨٠) **علامات في أدب التمرد** . ولقد دفعه إحساسه المبكر بالظلم الاجتماعي إلى الاشتراك في جماعة بتراشفسكي السرية من الاشتراكيين الخياليين ، وحكم عليه بالإعدام ، ولكن الحكم استبدل بالأشغال الشاقة والسجن عشر سنوات اقتطعت من عمره وأثّرت على اتجاهاته فخرج ثائراً على الظلم بعامة وليس الظلم الاجتماعي فحسب ، وهو الظلم كمقولة أنطولوجية وليس كمقولة اجتماعية . ورغم أن بعض شهرته تقوم على عظمته ككاتب من أبرز كتّاب الواقعية النقدية ، إلاّ أن عظمته كمفكر تنهض على تمرده ودعوته للحرية ، وكل رواياته محاولات لاختبار معاني المباح والمحظور واكتشاف حدود الحرية ومجاهلها وممارسة التمرد ، وهو يتجاوز بهذا كله حدود مجتمعه وقوانينه وظروفه الاقتصادية ومعتقداته ، بل وحدود كل مكان وزمان والعقل والفكر ، ولا يرى في التمرد والحرية إلاّ أخص خصائص الإنسان وكل هويته ، وبهما يكون الإنسان إنساناً ، وبدونهما يفقد جوهره ، فالإنسان ليس عقلاً ولا أفكاراً وأفعالاً ، لكن الإنسان بما هو صاحب العقل والأفكار والأفعال ، فالفكرة والفعل يعنيان عند دستويفسكي المفكر والفاعل ، والإنسان هو قانون وغاية نفسه ، وحقيقته أسبق على كل حقيقة ، وإلاّ لما كان هناك معنى للاختيار ، والحقيقة ليست هناك ، لكنها في الإنسان نفسه وهي حقيقته وخاصته ، فهي ليست هذا الخير أو ذاك الحق أو ذلك الجميل الذي يتوجب طلبه أو

فعله ، ولكن الحقيقة هي ما تنشده إرادته الحرة ، فالحقيقة ليست موضوعية ولكنها ذاتية ، والعالم ليس عالم حقائق ولكنه عالم ذوات ، والتمرّد والحرية وجهان لذات الإنسان ، والتمرّد تدمير وتخريب وسلب ، والحرية إحياء وإثراء وإيجاب ، والمتمرد عدمي إن لم يتجاوز عدميته، والحر خالق وطريقه هو طريق الله ، ولذلك لا يجد الحر في حرية الله حداً لحريته ، ولكنه يجد فيها مجالاً لممارسة حريته ، ولعلّ هذا هو ما لا يعجب فيه نقاده الماركسيون فيطمسون فيه نواحيه المتصوفة والشخصانية والوجودية ولا يبرزون منه إلاّ قدرته الفائقة على رصد ونقد الحياة الروسية ومأساة الطبقات الدنيا فيها .

دلتاي .... Dilthey

(١٨٣٣ - ١٩١١) وليام دلتاي ، مثالي ، ألماني ، ولد في بيبريش في أسرة دينية ، وتعلّم بهايدلبرج وبرلين ، وخلف لوتسه بجامعة برلين ، وتأثّر بكنط وفلسفات هيجل وشيلنج وشليرماخر الرومانسية ، وبالتجريبية البريطانية ، وأطلقَ على فلسفته اسم « فلسفة الحياة **Philosophie des Lebens** » فالحياة عنده ليست هذه الواقعة البيولوجية التي يتشارك فيها الإنسان والحيوانات ، ولكن الحياة الإنسانية هي التي نجدها بكل تعقيداتها المعروفة ، وهي مركب من هذا العدد الذي لا حدّ له من الحيوات الفردية التي يتكوّن منها الواقع الاجتماعي والتاريخي لحياة الناس ، والتي تدخل فيها آمال الأفراد ومخاوفهم وأفكارهم وأفعالهم والمؤسسات التي يقيمونها ، والقوانين التي يسترشدون بها ، والديانات التي يعتنقونها ، وكل الفن والأدب والفلسفة والعلم . وليست الحياة موضوعاً من الموضوعات التي يناسب الفلسفة أن تبحثها ، ولكنها موضوع الفلسفة الوحيد . ودلتاي تجريبي متزمّت ولا يؤمن بوجود أي شكل متعال أو محايد للحياة ، ولا يعتقد بوجود حياة خارج هذه الحياة ، ولا بوجود شيء في ذاته ، أو مثل أفلاطونية ميتافيزيقية مطلقة ، الحياة مظهرها أو محاكاة لها ، ومن ثم فالذات العارفة ، والفيلسوف من باب أولي ، جزء من الحياة ولا يمكن أن يعرف الحياة إلاّ من داخلها . ولا بداية مطلقة للفكر ، ولا معايير مطلقة خارج التجربة يمكن بلوغها بالتأمل الخالص . وكل الأفكار من الحياة . وليست المبادىء الخلقية والتقييمات نتاج عقول خالصة عارفة ولكنها نتاج أفراد بعينهم يعيشون في زمن معين وفي مكان معين ، وتحكمهم ظروف معينة ، ويتأثرون بالآراء من حولهم ، وتقيدهم حدود آفاق أعمارهم ، ومن ثم كانت كل الأفكار والتقييمات نسبية . ويدخل الإنسان تجارب الحياة بثرائها وتنوّعها ككل ثم يبدأ في تحليلها إلى مكوّناتها ، ولذلك يعارض دلتاي النظرة الوضعية التي تزعم بأننا لا نخبر إلاّ الأحاسيس والانطباعات ، وهو يحاول تكوين رؤيا شاملة للواقع ، ويقول إن الحياة ليست أجزاء متناثرة لا رابطَ بينها ، ولكنها كل منظم له معناه ، والفيلسوف يبدأ بالمعاني التي يعطيها الناس للحياة ، ويشاركهم المبادىء التي يستخدمونها في تنظيم خبراتهم ويسميها دلتاي مقولات الحياة Cate-gories of Life على طريقة مقولات كنط ، غير أن كنط يقصر مقولاته على خبراتنا بالواقع الفيزيائي ، بينما يمد دلتاي مقولاته إلى خبراتنا بالحياة بوصفها خبرات لها معانٍ ، ويرفض الاستنباط الترنسندنتالي ويعتبر المقولات تعميمات تجريبية ، ويقدم قائمة بها يقول عنها إنها قائمة مفتوحة طالما أن هذه المقولات تعميمات للخبرات التي لا تنتهي . والقوة ، مثلاً ، مقولة حياة ، وبها نخبر تأثيرنا على الأشياء والناس وتأثرنا بهم بما يفيدنا في تحقيق مخططاتنا أو يعمل على إحباط أمانينا ، ومن ثمَّ كانت مقولة القوة مماثلة لمقولة العلية عند كنط التي تساعدنا على فهم العالم الفيزيائي . ويقول دلتاي إن مقولات الحياة تمارس تأثيرها تحت المستوى الشعوري ، فنحن لا نرى الوردة ثم نستدل على جمالها من شكلها ورائحتها ، ولكننا نرى « الوردة الجميلة » ثم نحلل هذا الإحساس إلى مكوناته ، وليس ذلك فقط ولكننا نضفي على الخبرة معنى مستخدمين المقولة التي

يتحقق بها ذلك فننظم ونأوّل الحياة شعورياً وبتأنٍ . وليست الديانات والأساطير والأمثال والأعمال الفنية والأدبية إلاَّ تأويلات ، وليست المبادىء الخلقية والمؤسسات والقوانين إلاَّ صياغات لتقسيماتنا وللغايات التي نتوخّاها .

ويقول دلتاي إن الإنسان به ميل دؤوب أن تكون له رؤية أو فلسفة شاملة Weltanchauung يستطيع بها تأويل الواقع وربط صورته بمبادئه هو نفسه ومعانيه وقيمه التي يصدر بها أفعاله . وتبدأ فلسفة الحياة بتحليل مختلف المعاني التي تبدو عليها الحياة العادية ، ثم بتحليل تأويلات تلك المعاني كما تبدّى في الآداب والديانات وغيرهما من النشاطات ، تم بتحليل الفلسفة التي تقوم عليها النسقات الفلسفية المختلفة ، وهو يقسم التأويلات الشاملة التي كانت للإنسانية حتى زمانه ثلاث فئات ، هي الوضعية (كما هي عند هوبز مثلاً) ، ومثالية الحرية (كما عند كنط مثلاً) والمثالية الموضوعية (كما عند هيجل مثلاً) ، وأخيراً يحاول فيلسوف الحياة أن تكون له من كل ذلك نظرته التركيبية . ويحذر دلتاي الفيلسوف من اقتصار تأملاته على الحياة داخله ومن حوله ، ففلسفة الحياة الحقة هي التي تقوم على أوسع معرفة ممكنة بالحياة ، وهي المعرفة التي تتيحها الدراسات الإنسانية التي يسميها دلتاي الدراسات الروحية Geisteswissenschaften ، وهي علم النفس والتاريخ والاقتصاد وفقه اللغة والنقد الأدبي والدين المقارن وفلسفة التشريع ، وكلها دراسات موضوعها الإنسان وأفعاله ومبتكراته ، ويميز دلتاي بين الدراسات التي تتجه إلى صياغة القوانين العامة والدراسات التي تتجه إلى التاريخ والأحداث الفردية في تعاقبها الزمني ، وكلها دراسات متداخلة . وكان الرصد التاريخي أو نقد الفهم التاريخي هو الموضوع القريب من قلب دلتاي ، وقال بثلاثة مبادىء لما أسماه بالتاريخية **Historicity** ، الأول أن كل ما هو إنساني جزء من العملية التاريخية وينبغي تفسيره تاريخياً ، فالإنسان تاريخي في جوهره ، والدولة والأسرة والإنسان تتحدد معانيهم بأحوال وظروف تختلف باختلاف العصور ، والثاني أن المؤرّخ لا يمكن أن يفهم هذه العصور إلاَّ بتصوّر وجهات نظر الناس الذين عاشوا فيها وآمنوا بها ، والثالث أن المؤرخ في فهمه لهذه العصور محدود وأنه بثقافة عصره ، وأنه يُخضع تفسيراته لها بما يثير اهتمامه من أحداثها وتكون له انعكاسات على عصره ، ومن ثمَّ يفيض عليها من معاني عصره ما يصبح جوانب مشروعة من معاني ذلك الماضي . وبرغم أن الدراسات الإنسانية تستعين بنفس مناهج العلوم ، إلاَّ أنها تتفرد بمنهجها الذي يميزها ، وهو منهج الفهم **Das Verstehen** ، ويقوم على أساس أن الناس تخبر الحياة بوصفها ذات معنى ، وأنهم يميلون إلى التعبير عن ذلك المعنى ، وأن تعبيراتهم يمكن فهمها ، وأن تطبيق ذلك المنهج يترتّب عليه أن فهم الحركات الاجتماعية ، والمذاهب الفلسفية مشروط بدراسة الظروف الاجتماعية لعصرها ، ففلسفة سبينوزا مثلاً يمكن فهمها بطريقة أفضل لو أنها تمَّت على ظهارة موضوعها قيام العلم والصراع بين الطوائف الدينية في القرنين السادس عشر والسابع عشر .

ولقد اعترف هايدجر بمديونيته لتحليل دلتاي للزمانية ، وكان لفلسفة دلتاي تأثيرها البعيد في ياسبرز وأورتيجا وإدوارد سبرانجر وماكس فيبر .

دنس سكوتس ...... Duns Scotus

(نحو ١٢٦٦ ـ ١٣٠٨) حنا دنس سكوتس أو حنا دنس الاسكتلندي ، ولد في اسكتلنده ، ودخل الرهبنة الفرنسيسكية ، وتعلّم في أكسفورد وباريس . كتبه الفلسفية « **شرح على أحكام بطرس اللومباردي** » ، و « **المؤلف الأكسفوردي** » و « **المذكرات الباريسية** » ، و « **مسائل في ميتافيزيقا أرسطو** » و « **رسالة في النفس** » .

ويبرهن سكوت على أن موضوع الفلسفة الصحيح هو الوجود المطلق ، وأنه لا يقتصر على الماهية المجرّدة من المحسوس ، وأن أرسطو لم يجعله الماهية إلاَّ لأنه وصف الأمر الواقع ، أما الحقيقة فالله قد خلقنا

بحيث نستطيع إدراك وجوده المطلق ، وهذا ما حدث في الوجود قبل خطيئة آدم ، أما بعد سقطته فقد اقتصر الإدراك على الماهية دون مطلق الوجود . والعقل البشري يتطلّع أبداً إلى إقامة ميتافيزيقا ، لكنه مضطر أن يستمدّ معرفته من المحسوسات ، والفيزيقي يبلغ إلى العلة بمعلول هو ظاهرة مادية حادثة ، لكن الميتافيزيقي لا يبدأ من الظاهرة الحادثة ، بل من فكرة واضحة عن العلة ، هي حدس لها أو فكرة معادلة للحدس ، ويستخرج منها نتيجتها بالقياس ، والنتيجة موجودة بالضرورة في ذات العلة ، بمعنى أنه يبدأ من فكرة مطلق الإمكان إلى علة أولى ممكنة موجودة بالضرورة ، ويستعيض عن الممكن الجزئي بمطلق الإمكان . وهو يقول إن أسماء الله موضع اعتقاد لا يرقىٰ العقل إلى التدليل عليها ، وما يسوقه من براهين عليها لا يعدو أن يكون حججاً محتملة . فإذا كان الله روحاً غير متصل بأي مادة ولا متعيّن بماهية ، فهو لا متناهي بالضرورة ، وهذه سمته الفريدة . أما النفس الإنسانية فهي تدرك ذاتها بمعرفة المحسوس ، فهي روح عاقل ومعقول . أما خلودها فأمر لا يقوم عليه برهان بالنفي أو الإثبات ، لأنه لم يقم الدليل على أن النفس جوهر قادر على أن يوجد من غير الجسم ، وإذا كانت روحاً فليس ما يدلل على خلودها وإلّا لانتفت قدرة الله على إعادتها للعدم . وإنّما مرجع المسألة للإيمان ، وهو وحده الذي يعطينا يقين الخلود . وسكوت يأخذ دائماً من العقل ليعطي الإيمان ، ويجعل الإرادة أعلى من العقل ، وغاية الإنسان أن يحب الله ، ومحبة الله أكمل من معرفته ، والمحبة في الإرادة .

دهرية ....

والزروانية أيضاً ، نسبة إلى الدهر أو زرفان أو زروان بالفارسية ، وهو الزمان المطلق الذي يهلك ولا يهلك . والدهرية طائفة من الأقدمين يجحدون الصانع المدبر ، العالم ، القادر ، ويزعمون أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان وكذلك يكون أبداً ، وهؤلاء هم الزنادقة (الغزالي ـ المنقذ من الضلال) . والدهرية ينكرون الخالق والنبوّة والبعث والحساب ، ويردّون كل شيء إلى فعل الأفلاك ، ولا يعرفون الخير ولا الشر ، وإنّما اللذة والمنفعة (الجاحظ ـ الحيوان) . والطبيعيون الدهريون بخلاف فلاسفة الدهريين ، والأولون يقولون بالمحسوس وينكرون المعقول ، بينما يقول الأخرون بالمحسوس والمعقول معاً ، وينكرون الحدود والأحكام . وصارت الدهرية ديناً صريحاً في عهد يزدجرد الثاني في الدولة الساسانية (٤٣٨ ـ ٤٥٧ م) ، ويصفهم القرآن في الآية ٢٣ من سورة الجاثية فيقول ﴿ وقالوا ما هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر ﴾ .

دوركايم .... **Durkheim**

(١٨٥٨ ـ ١٩١٧) اميل دوركايم يهودي فرنسي ، من أسرة متدينة ، تخرَّج من مدرسة المعلمين العليا ، واشتغل أستاذاً للفلسفة ولعلم الاجتماع والتربية ، وهو وإن كان يعتبر كونت أبا علم الاجتماع وواضع لفظة علم الاجتماع ، إلّا أن دوركايم يعد بحق واضع علم الاجتماع المعاصر ، الذي أرسىٰ قواعد منهجه ، وطبعه على السلوك الإنساني المذهب العقلي العلمي . وأهم كتبه « **تقسيم العمل الاجتماعي** » (١٨٩٣) ، و « **قواعد المنهج الاجتماعي** » (١٨٩٥) ، و « **الانتحار** » (١٨٧٩) ، و « **الصور الأولية للحياة الدينية** » (١٩١٢) و « **التربية وعلم الاجتماع** » (١٩٢٢) ، و « **علم الاجتماع والفلسفة** » (١٩٢٤) و « **التربية الخلقية** » (١٩٢٥) .

ولقد حرص دوركايم على أن يجعل من الاجتماع علماً باستخدام المنهج العلمي الذي يقوم على الملاحظة والاستقراء ، بهدف اكتشاف القوانين التي تربط الظواهر الجماعية بعضها ، مثلما ترتبط ظاهرة ازدياد الانتحار بظاهرة ازدياد عدد السكان ، وكان عليه أن يعدل في المنهج العلمي تعديلاً يلائم علم

الاجتماع ، فجعل الملاحظة تمتد من ملاحظة الحاضر إلى ملاحظة الماضي ، والاستقراء إحصائياً . والظواهر الاجتماعية فكرية وانفعالية وعملية ، ونحن لا ندرسها من خلال أفكار وانفعالات الأفراد ، لكننا ندرسها مباشرة من خلال الأنظمة السياسية والقوانين والتقاليد القومية والأخلاق والأديان والآداب والفنون ونحو ذلك من مظاهر الحياة في المجتمعات الإنسانية ، ويتمثل فيها جميعاً الضمير الجماعي الذي يفعل فعله في الأفراد ويضغط عليهم إلى حد قسرهم على اتخاذ مواقف قد تختلف مع آرائهم الخاصة . ومعنى أن الاستقراء إحصائي هو أن دراسة الانتحار مثلاً كواقعة اجتماعية يعني دراسة المعدل الإحصائي للانتحار في المجتمع . والضمير أو الشعور أو الوجدان الجماعي الذي يقصده هو مجموع ضمائر الأفراد ، ومع ذلك فهو كل مغاير لها مثلما يغاير التركيب الكيميائي العناصر الداخلة فيه . وتتطوّر الحياة الاجتماعية في الأفراد ومعهم ، لكنها ليست من نتاج الأفراد ، ولذلك فهو يقول إن الظواهر أو التصورات أو المقولات ذات أصل اجتماعي وتتوقف على الطريقة التي تتكون بها الجماعة ، وعلى تنظيمها وتركيبها ودياناتها وأخلاقها واقتصادها إلخ . وعندما يقول إن التصورات أو الظواهر تعبر عن الكيفية التي يتمثل بها المجتمع الأشياء ؛ فإنه يعني أن الفكر التصوري فكر عصري . وعندما يوافق كنط على أن العقلين النظري والعملي فوق الفرد ، فهو لا يقصد أنهما كليان أو قبليان A Priori ، بل يقصد أنهما فكر الجماعة ، وبهذا المعنى فهما عقل لاشخصي . والواقعة الاجتماعية Social Fact التي يقصدها لا يعني بها أنها واقعة كوقائع علم الفيزياء ، لكنها طريقة العمل التي تمارس على الفرد ضغطاً خارجياً ، أو هي الشيء العام في المجتمع الذي له وجوده الخاص مستقلاً عن تحققاته الفردية ، والواقعة الاجتماعية تعرف بسلطانها القاهر على الأفراد ، وتنتج عن تركيبات موجودة خارجهم وليس لديهم عنها حتى الإدراك الغامض . والوقائع الاجتماعية معتقدات وممارسات تؤثر في الأفراد من خارج ، وتفرضها الجماعة عليهم ، وهي نظم ، ومن ثمَّ يكون علم الاجتماع هو علم النظم أو علم الحقيقة الموضوعية للوقائع الاجتماعية .

ولم يقتصر إسهام دوركايم على تأسيس المنهج الاجتماعي ، بل جعله منهجاً تطبيقياً عينياً ، بأن حاول تطبيقه على ظواهر نذكر منها الانتحار والطلاق وتحريم الزواج من المحارم . والانتحار عنده ظاهرة اجتماعية بمعنى أن ارتباط حدوثه بين الرجال أكثر من النساء والشيوخ والأطفال ، وفي شهور الربيع أكثر من بقية السنة ، حيث الرجال أكثر اندماجاً في مجتمعاتهم ، وشهور الربيع أكثر الشهور اقتراناً بالنشاط الاجتماعي ، ومن ثمَّ لا يكون هناك تفسير لزيادة معدل الانتحار إلاَّ التفسير الاجتماعي ، ويكون الانتحار هو التعبير الخارجي للتركيب الاجتماعي الداخلي ، وبناء عليه فلكي نعالج الانتحار ينبغي أن نعمل على تغيير أحوال الوسط الاجتماعي وخاصة المستوى الأخلاقي ، ومن هنا يرتبط علم الاجتماع بعلم التربية ، وهو يرى أن كل مجتمع له نظامه التربوي الذي يفرض نفسه بقوة على أفراده ، وهو في أغلبه من عمل الأجيال السابقة ، ومن ثم فالتربية هي تأثير الأجيال البالغة على الأجيال التي لم تنضج بعد للحياة التي يتطلَّبها المجتمع السياسي ككل والطبقة المفروض أن ينتسب إليها بشكل خاص ، والتربية في الطور الوضعي الذي نعين فتربية علمائية عقلية ، حيث إن الأخلاق في المجتمعات الدنيا دينية لكنها في الطور الوضعي اجتماعية تستهدف مصلحة الجماعة .

دورنج .... Duhring

(١٨٣٣ - ١٩٢١) يوجين كارل دورنج ، ألماني ، عرف برد إنجلز عليه في كتاب الأخير المعنون « الرد على دورنج » حيث كان دورنج قد ذهب إلى إمكان التوفيق بين مصالح كل من الرأسمالي والعمالي ، ودعا إلى قومية الاقتصاد وحماية الصناعات الوطنية ، وكان عنصرياً إلى أبعد الحدود ، وأبدى امتعاضاً

شديداً من جونه لنزعات الأخير الإنسانية العالمية . ومع أنه هاجم الميتافيزيقا إلَّا أنه وضع نسقاً ميتافيزيقياً، وطالب بأن تكون الفلسفة صورة للواقع مواكبة للعلم ، ومع ذلك فقد رد العالم إلى كائن بدائي خرجت منه الكثرة المتنوعة بالتطور والترقي ، وأنكر لانهائية الكون بدعوى قانون العدد المحدد الذي يقرر أن العدد لا يمكن إلا أن يكون معدوداً أي محدوداً ، ومن ثم ففكرة العدد النهائي من الأحداث فكرة متناقضة منطقياً، وإذن يكون العالم متناه ، ومع ذلك فقد ذهب إلى أن الزمان والمكان يمتدان إلى ما لا نهاية .

دوكاس Ducasse

كيرت حنا دوكاس ، أمريكي ولد في أنجوليم (١٨٨١م) بفرنسا ، وتعلم بجامعتي واشنطن وهارفارد ، وعلم بجامعتي واشنطن وبراون ، وأسهم في تأسيس جمعية المنطق الرمزي ورأسها ، وهو تحليلي ، يرى أن الفلسفة علم موضوعه تحليل ألفاظ القيمة ودلالاتها ، وهدف « العلية وأنماط الضرورة » (١٩٢٤) يطبق منهجه على مفهوم العلية ويعتبرها مقولة ويصفها بأنها علاقة ثلاثية بيد الأحداث ، ويصف منهجه بأنه منهج لا يكتشف العلاقات العلية بقدر ما يصف العلاقة العلية نفسها . وفي كتابه « الطبيعة والعقل والموت » (١٩٥١) يصف الطبيعة بأنها العالم المادي الذي يضم الأشياء والأحداث والعلاقات المدركة مباشرة ، أما العقلي الذي ندركه من خلال الاستيطان المباشر فليس جزءاً من الطبيعة ، ويطرح نظرية في المدرك الحسي يقول إنه ليس موضوع الإدراك الحسي لكنه مضمون هذا الإدراك ، وفي كتاب « فلسفة الفن » (١٩٢٩) يطرح نظرية وجدانية في الخبرة الجمالية ، ويقول إن الفن نشاط مدرب وأنه تجسيد للمشاعر وأن الحكم على العمل الفني لا يكون بمقدار ما فيه من جمال لكنه بمقدار الصدق الذي يعكس به مشاعر الفنان التي طرحها في عمله، وأن أحكام القيمة الجمالية أحكام نسبية . كتابه محض فلسفي للدين (١٩٥٣) يصف الدين بأنه مجموعة عقائد ومشاعر مترابطة لها وظيفة اجتماعية تهدف إلى ترشيح حب الناس في الفرد ، ووظيفة شخصية حيث تفيض على المتدين سلاماً داخلياً وضرباً من اليقين ، ومن ثم فلا يهم في الدين إذا كان الإيمان بإله واحد أو أكثر من إله . ويعتقد دوكاس ان الظواهر الخارقة من أمثال التخاطر والاستبصار لو أمكن تقنينها بحيث تتحول إلى علم كما حدث بالنسبة لتحويل المسمرية إلى علم التقويم المغنطيسي فإنه ستحدث ثورة حقيقية في الفلسفة في كل مفاهيمها .

دولة State

تنظيم سياسي يكفل حماية القانون وتأمين النظام لجماعة من الناس تعيش على أرض معينة بصفة دائمة ، ويفسر البعض نشأة الدولة بنشأة الأسرة ، ويربطون تطورها بتطور الأسرة ، ويرد جان بوران سلطة الدولة إلى سلطة الأب القبلي ، ويعتبر الدولة اتحاداً من عدد من الأسرات تحت سلطة حاكم ذي سيادة . ويبرر البعض سلطة الحكام في مواجهة المحكومين بأنها سلطة مستمدة من الله ، حيث ان الحكام هم خلفاء الله في الأرض ، ولا يسألون من ثم أمام شعوبهم لأن سلطاتهم مطلقة ، وإنما يكون سؤالهم أمام الله وحده الذي منحهم هذه السلطات . وتعتبر النظريات الثيوقراطية أقدم النظريات التي استمد منها الملوك أسباب تبرير استبدادهم ، فمن ناحية قامت هذه النظريات على اعتقاد بأن الحكام آلهة يعبدون ، وكان الفرعون في مصر ، وملوك الهند وفارس والصين تقدم لهم القرابين . ومن ناحية قلصت الأديان الكتابية سلطات الملوك بقضائها على فكرة أنهم آلهة ، ومن ثم لجأوا إلى نظرية الحق الإلهي غير المباشر وبمقتضاها تكون السلطة للحكام عن طريق الشعب بتوجيه من الإرادة الإلهية غير المباشرة التي دفعت الشعب لاختيار حكامه . وابتداء من القرن السابع عشر ظهرت دعوات هوبز وروسو وغيرهما تدعو للحرية ، وبرزت نظرية

العقد الاجتماعي التي تقوم على فكرة أن السلطة السياسية يجب أن تعبر عن إرادة الشعب ، وأن هذه الإرادة هي التي أعطت السلطة السياسية التفويض للتعبير عن الشعب نتيجة اتفاق الأفراد . وقال هوبز إن الجماعة السياسية ليست ظاهرة طبيعية ، ولكنها تمت باتفاق الأفراد بعد انتقالهم من حال الفطرة إلى حال الاجتماع المنظم ، وتنازلوا عن حقوقهم بمقتضى هذا الاتفاق لشخص الحاكم ، لكنهم أعطوه سلطات مطلقة حتى يتسنى له أن يفرض القانون على الجميع . ووافق لوك هوبز من حيث الأساس ، لكنه اختلف معه بشأن سلطات الحاكم المطلقة ، فقيدها بالتزامات تفيد المجتمع وتحفظ على الناس حقوقهم الطبيعية ، فإذا خرج الحاكم على مقتضى الاتفاق يعتبر ناقضاً له وبالتالي يحق للشعب مقاومته وخلعه . وكانت وجهة نظر روسو مختلفة عنها عند لوك وهوبز ، لأنه اعتبر الاتفاق بين الأفراد لصالح الجماعة ودعم سيادتها ، وأن ما تنازلوا عنه من حقوق إنما يرتب لهم حقوقاً أخرى تعويضية تقررها الجماعة - وعموماً فإن نظريات العقد الاجتماعي بالرغم مما قوبلت به من النقد إلاّ أنها كانت خطوات على طريق الديموقراطية وتأصيل أفكارها . ويذكر بلوتارك أن الأساس الذي قامت عليه السلطة كان مبدأ القوة ، وأن أقدم القوانين هو قانون حكم الأقوى ، وظاهره ديجي على رأيه وقال إن السلطة تكون دائماً في يد الفئة التي تملك القوة سواء كانت مادية أو فكرية أو أدبية ، لكنه من ناحية أخرى قال بنظرية التطور التاريخي ، بمعنى أن الدولة ظاهرة سياسية ، ولكنها كانت نتيجة تفاعل عوامل كثيرة أدت إلى ظهور الفئة التي استطاعت أن تفرض نفسها كحكام على الجماعة كمحكومين . وتعتبر وظيفة الحاكم في الاسلام محدودة بحدود الشرع حتى انها تقتصر على الصلاحيات التنفيذية ، فالولاية أمانة ، وسلطات رئيس الدولة واجبات ، وأهم شروط الخليفة العدل بين الناس ، فإذا قام بحقهم وجبت له الطاعة والنصرة وإلا حق عليه العزل . وكان هذا الأساس الإسلامي نفسه ، وهو خضوع الحاكم للقانون ، هو أقصى ما ذهب إليه الفكر السياسي الغربي نتيجة للثورات والانتفاضات الفكرية والاجتماعية وللتطور الطويل ، إلا أن المنظرين ذهبوا مذاهب شتى في تبريرهم لمبدأ خضوع الدولة للقانون ، فقال بعضهم بنظرية الحقوق الفردية ، بمعنى أن الفرد لم يقبل بالخضوع لسلطة الدولة إلا لتقوم الدولة بحماية حقوقه الأساسية . وقال آخرون بنظرية التحديد الذاتي ، بمعنى أن ما تلزم به الدولة نفسها من قوانين إنما تصنعه بنفسها طالما أنها صاحبة السيادة . وقال ديجي بنظرية التضامن الاجتماعي ، بمعنى أن ما يكسب القانون قوته الإلزامية ليس صدوره عن السلطة العامة ، لكنه اتفاقه مع مستلزمات التضامن الاجتماعي . وعلى أي الأحوال فإن الإدارة في الدولة القانونية ليس لها أن تتصرف بأي شكل إلا بموجب نص قانوني ، ولا لخضوعها للقانون من ضمانات حددها الفكر السياسي في الدستور والفصل بين السلطات وتدرج القواعد القانونية ووجود الرقابة القضائية .

دوهيم ... **Duhem**

(١٨٦١ - ١٩١٦) بطرس موريس ماري دوهيم ، فرنسي ، اشتهر ببحوثه الأصلية في الفيزياء النظرية ، وخاصة في مجال الديناميكا الحرارية ، وبكتاباته في تاريخ وفلسفة العلم ، وخاصة كتابه « **النظرية الفيزيائية ، موضوعها وتركيبها** » (١٩١٦) ، واهتم ببيان حدود العلم ونقد المعرفة العلمية ، وزعم في كتابه « **نظام العالم** » أن تاريخ العلم يتألف من مجموعة من النظريات المختلفة التي يطرد بعضها بعضاً والتي لا تتصل ببعضها اتصالاً داخلياً ، ولا يمكن التحدث فيها بدقة رياضية ، وقوانينها لا تتطابق مع الواقع بل هي من خلق العقل ، وهي رمزية ، والرموز في الواقع غير صحيحة ، وتقوم على وقائع معملية بخلاف وقائع الطبيعة ، والقوانين دائماً تقريبية وقابلة لعدد لانهائي من التجمعات الرمزية المتمايزة ، والعالم يختار من بينها ، واختياره ذاتي مهما ادعى من الموضوعية . وقد أدى به

ذلك إلى القول بنسبية المعرفة ووافق بوانكاريه على مذهبه الاصطلاحي .

ديانة طبيعية Naturalistic Religion

بخلاف الديانات الكتابية والكهنوتية لا تؤمن بالبعث والحساب ، ولكنها لا تجحد فكرة الألوهية كلية . وإن كان تفسيرها لها تفسيراً يقوم على إحلال الإله الطبيعي محل الإله فوق الطبيعي ، غير أنها تختلف فيما بينها حول مصدر الخير ، فبينما تجعل الديانات الكبرى الله هو مصدر كل خير ، فإن الديانات الطبيعية ترده إلى المواهب البشرية والتراث الثقافي للإنسانية أو إلى الثراء العريض المتنوع للطبيعة التي تعتمد عليها حياة الإنسان ، ومن ثم تتوجه بالعبارة إلى أي من السببين أو إليهما معاً ، فأما الذين يتعبدون الإنسانية فهؤلاء هم الإنسانيون المتدينون ، ومنهم لودفيج فيورباخ وأوجست كونت في القرن التاسع عشر ، وجون ريوي وإريك فروم في القرن العشرين . وكان كونت أهمهم ، وهو القائل بأن الإنسان الفرد مدين بكل شيء للإنسانية ، من وجوده إلى حياته ، سواء من استمرارها البيولوجي أو من ناحية ثقافية ، وأن البشرية تحتاجه بعكس الإله في الديانات الكبرى حيث هو الغني عن عباده ، ولذلك فإن كونت يتصور ديانة إنسية كاملة بطقوسها وتقويمها وصلواتها ، ويعمد فيها الأطفال لخدمة البشرية . وعموماً فإن الإنسيين يقدسون الجوانب المثالية في الإنسان الطامحة أبداً إلى الحق والخير والجمال . إلا أن ديوي لم يحرص على تشكيل ديانة طبيعية منظمة تنظيم ديانة كونت ، لارتباط الطقوس والتنظيمات في ذهنه بالطقوس والتنظيمات فوق الطبيعية التي كان يرفضها ، ووصف تعبئة الانسان لقدراته بهدف تحقيق غاية مثالية سواء كانت علمية أو اجتماعية أو فنية بأنها تجربة لها طبيعتها الدينية التي تختلف عن التجارب الدينية الأخرى في الكيف وليس في النوع ، وتتميز عنها بأساسها العقلي ، وأن الإنسان فيها مشغول بما هو أجدى على البشرية . ويرى هكسلي أن الدين تعبير عن انشغال الإنسان بمصيره ، ومصدر للعالم بما يحقق تعبئة الانسان لانفعالاته للتآلف مع العالم كما يتصوره والدين بهذه الصفات لازم للإنسان ، لكن الديانات فوق الطبيعية لا تصلح للإنسان الحديث في ضوء التقدم العلمي ، ومن ثم يتصور هكسلي ديانة يقيمها على أساس مما يسميه الطبيعية التطويرية **Evolutionary Naturalism** وهي فلسفة تقول بالصيرورة الخلاقة وبتطور الحياة نحو مستويات أعلى ، وتنيط بالإنسان الدور الأكبر من خلال تطبيقه لذاته على مشاكل الحياة بهدف بناء مجتمع متجانس مستقر .

دي تراسي De Tracy

دستو دي تراسي ، فرنسي ، واضع لفظة أيديولوجية Ideology ، ارستوقراطي لكنه إصلاحي ، ومع ذلك لم تعجبه أساليب الثوريين فانسحب من الحياة السياسية ، وانضم لجماعة الفلاسفة العلماء الذين اتخذوا لهم نادياً منزل مدام هلفتيوس ، وكان من بينهم كابانيس وكوندورسيه وفولني ، واعتقل لمدة عام ، وقرأ كونديلاك ولوك ، فكون له رأياً أطلق عليه اسم الايديولوجية ، وتسمت الجماعة كلها باسم الايديولوجيين Idéologues ، وبرز نفوذهم في مؤسستين هما كلية المعلمين والمعهد الوطني (١٧٩٥) .

وتعني الإيديولوجية تحليل الأفكار إلى عناصرها الحسية التي يظن أنها تتألف منها ، وبالتمرين يستطيع المرء أن يعرف أي أفكاره ينهض على أسس من الواقع والتجربة ، وأيها يخلو منهما ، ويستطيع بهذه الطريقة التحليلية أن يستغني بالإيديولوجية عن المنطق التقليدي . ويقول دستو عن الإيديولوجية إنها فرع من علم الحيوان ، طالما أن فسيولوجيا الجسم هي التي تحدد طريقة تفكيره ونوعية هذه الأفكار ، وهو يعرف التفكير بأنه العمليات الشعورية ، وكل إدراك يسميه شعوراً سواء كان حسياً أو عاطفياً أو فكرياً ، وحتى إدراك العلاقات والتذكر هو شعور ، والشعور هو الوعي

بالمحتوى ، ويسمي المحتوى أفكاراً ، ويصنفها إلى أحاسيس وذكريات وأحكام ورغبات . وليس كل الشعور سلبياً ، لأننا عندما نضغط على شيء فإنه يقاوم الضغط ، وهذه المقاومة إيجاب ، وبذلك أجاب دستو على سؤال كان له شأنه في زمنه ، وكان يعني لو كانت إجابته بالسلب ان الوجود الخارجي أمر مشكوك فيه ، ولكن دستو أدخل بالشعور الإيجابي عنصراً في نظرية المعرفة سيكون النواة المنطقية لنظريات مين دي بيران ولاورميجيير. وكان دستو يهدف من تحليل الأفكار إلى عناصرها الأولية كشف عدم واقعية الأفكار الدينية ، وتصادم هذا الهدف مع هدف نابليون من دعم الدين حتى يتخذ منه ذريعة لحروبه الاستعمارية ، ثم إن مذهب دستو يجعل كل فرد هو معيار الصواب والخطأ دون الحاجة إلى اللجوء إلى سلطة الدولة أو الدين لطلب النصح ، طالما أن باستطاعة كل فرد أن يحلل أفكاره ويؤسسها على الواقع ، ومن ثم فمذهب دستو يعارض الدولة ، ولذلك هاجم نابليون الايديولوجيين وصادر الايديولوجية ، غير أن لدستو أربعة كتب اشتهرت وضمنها أهم أفكاره ، هي « مبادىء الايديولوجية » (١٨٠١) و « المنطق » (١٨٠٥) و « الإرادة وآثارها » (١٨٠٥) ، و « تعليق على روح القوانين لمونتسكيو » (١٨١٧) .

ديدرو .... Diderot

(١٧١٣ ـ ١٧٨٤) دنيس ديدرو ، فرنسي متعدد المواهب ، كان فيلسوفاً وموسوعياً وكاتب مسرح ، وروائياً وشاعراً وناقداً فنياً ، طبع القرن الثامن عشر بطابعه ، ووصفه روسو بعبقري القرن ، وتزعَّم هو وفولتير وروسو حركة التنوير الفرنسية . ولد في لانجرز من أسـ ة متوسطة ، وتعلَّم بباريس وحصل على الماجستير في التاسعة عشرة ، لكنه كان يكره الوظائف ، وبدأ حياته مترجماً من الإنجليزية ، وترجم قاموس روبرت جيمس الطبي ، وعاش مملقاً وتزوج سراً ومات كل أولاده إلَّا ابنته أنجليك التي عاشت لتخلِّد ذكرى أبيها العظيم . وكان يميل إلى المعرفة الموسوعية ، وفي ١٧٤٦ بدأ وحده يكتب أهم إنجازاته : « الموسوعة **Encyclopèdie** » في سبعة عشر مجلداً ، واشترك فيها العالم دالمبير بالجزء الرياضي ، وانتهى منها ١٧٧٢ ، وأهم كتبه الفلسفية « **أفكار فلسفية Pensées Philosophiques** » (١٧٤٦) ، و « **خطاب عن العميان Lettre sur les Aveugles** » (١٧٤٩) ، و « **خطاب عن الصم والبكم Lettre sur les Sourds et les Muets** » (١٧٥١) . وتقوم فلسفته على الشك ، وهو عنده بداية الحكمة ، وهو يقول إن ما نتمسك به من أفكار هو ما لا شكَّ فيه ثم نعود إليه المرة بعد الأخرى ، وهو مادي متحمس ، وفلسفته علمية تنهض على المذهب الحسي ، ودراسته عن العميان والصم والبكم يثبت بها أن فقدان حاسة من الحواس هو فقدان لمصدر من مصادر المعرفة ، والأعمىٰ أعجز من أن يتصور جمال الطبيعة وقدرة الله ، وبسبب هذه العبارة قبضت الشرطة عليه وأودع السجن لبضعة شهور . وهو يعلن أنه من أنصار التجريب ، ويعتقد بكفاية المنهج العلمي ، ويربط التحليل العلمي بالخيال الشعري ، ويقوم منهجه في الرواية على مبدأ الترابطيين حيث يسترسل في وصف الأحداث ويربط بينها ويستطرد في الذكريات . وماديته دينامية تقوم على الصيرورة وعلى فكرة أن الحركة باطنة في المادة ، وأن كل الأجسام تحتوي على نقيضها ، وترد التغير إلى تفاعل الجزئيات ، ويصف المادة العضوية وغير العضوية بالحساسية ، وأنها تتخمر أو تتفاعل بفعل الحرارة ، ويصبح البسيط مركباً وتزداد تعقيداً مع الزمن ويحدث التخصّص ، والعقل عضو مادي من أعضاء الجسم شديد التعقيد والتخصص ، ويقوم الوعي على التذكّر ، وهو يعتقد بانتقال الوراثة لكنه يقول بإمكان تعديل الإنسان ، وأنه كائن اجتماعي أخلاقي ، يقتضيه العقل أن يغير القوانين التي لا تناسبه ككائن اجتماعي ، لكنه ينبغي أن يعيش وفق قوانين الطبيعة وإلَّا أدَّى به الكبت إلى الانحراف ، ويعتقد ديدرو أن الأمة مصدر السلطان

والسيادة للشعب ، ولقد رفض ديكتاتورية كاترين قيصرة روسيا رغم أنها أسمتها ديكتاتورية مستنيرة ، ورفض رقابة رجال الدين على مؤسسات الدولة ، ولذلك امتدحه إنجلز وترجمه الشيوعيون إلى كثير من اللغات .

ديصانية .... Disania

نسبة إلى ديصان أو ابن ديصان (١٥٤ - ٢٢٢ م) ، وكان سريانياً قدم من فارس إلى الرهاء ، وأخذ اسمه من نهر ديصان الذي يروي الرهاء ، واعتنق المسيحية إلاّ أنه قال بإلٓهية للنور والظلمة ، النور مختار يفعل باختياره ، وهو عالم قادر حساس ، ومنه تكون الحركة والحياة ، والظلام ميت جاهل عاجز جماد لا فعل له ولا تمييز ولكن النور خالط الظلام ، وانقسمت الديصانية فرقتين ، إحداهما تقول إن ذلك كان باختيار النور لكي يعيد الظلام نوراً ، ولكنه لما خالطه لم يستطع الخروج منه فصار يفعل الشر اضطراراً ؛ والأخرى تقول بل إن الظلام هو الذي احتالَ على النور وتشبث به ، ولن يتمكن النور من الخلاص إلاّ بعد زمان . وأضاف هرمونيوس بن ديصان بعض تعاليم الأفلاطونية والرواقية إلى مذهب أبيه ، ومهَّدت الديصانية لظهور المانوية وهي أكبر غنوص حارب الإسلام، وتغلغلت بعض أفكارها إلى تعاليم بعض شيوخ الإمامية كما عند هشام ابن الحكم، وبعض شيوخ المعتزلة كما عند النظام .

ديكارت .... Descartes

(١٥٩٦ - ١٦٥٠) رينيه ديكارت ، فرنسي ، ولد بمقاطعة تورين ، وتعلَّم بكلية لافليش اليسوعية ، وكانت من أشهر مدارس أوروبا ، ونالَ إجازة الحقوق من بواتيني (١٦١٦) ، وتطوّع للخدمة في الجيش الهولندي (١٦١٨) ، وفيه التقىٰ شخصية كان لها أثرها على حياته الفكرية ، فقد تعرَّف إلى عالم رياضي يدعى إسحٰق بكمان ، صرفه إلى الرياضيات والطبيعة ، وكان قد ملَّ الدراسات الفلسفية ولم يعثر فيها على اليقين الذي يطمح إليه ، وأعجب بدقة الرياضيات وإحكام براهينها ، وتمنى لو يتوصل إلى معالجة المسائل الطبيعية بالطريقة الرياضية ، وفي عام ١٦١٩ ، رحل إلى ألمانيا ، وكان التفكير في مشكلته تلك تقض مضجعه ، ولجأ إلى قرية بالقرب من مدينة « أولم » ، وقد شملته نشوة علمية غريبة فحلم حلماً عجيباً ، لم يشك لحظة أنه الوحي قد تنزّل عليه ، ورأى فيه نفسه وقد استكشف أسس علم يرد العلوم كلها إليه ، ويؤلف بينها ، ويقيمها على الرياضيات لكنه لم يشرع في كتابته ، بل كان ما يزال في دور الانبهار ، وكان عليه أن يفكر في كل نواحيه ، واستغرقه ذلك تسع سنوات ، جابَ فيها بلاداً كثيرة ، وعجم عود منهجه ، وجربه على كثير من المسائل ، وقوّم معوجه ، وهبط باريس في نوفمبر عام ١٦٢٨ ، وشرع يؤلِّف « قواعد لهداية العقل » ، وعنت له فرصة عرضه ، وجسَّ نبض من حوله بشأنه ، وكان ذلك في مجلس خاص ضمَّ نخبة من رجال الفكر والكنيسة ، واجه فيه الرأي الذي يبني العلم على الاحتمالات ، ورفض أن يكون للعلم أساس سوى اليقين المطلق ، وقد شكَّ الحاضرون في إمكان التوصّل إلى منهج يبلغ بهم هذه الغاية ، لكن ديكارت ، في انفعال شديد ، أعلن امتلاكه لهذا المنهج ، وكان من بين الجالسين الكردينال الأوغسطيني بيرول ، فباركه وشجعه ، فقد كان عصره في حاجة إلى فلسفة توفق بين الإيمان وبين منجزات العلم ، وربما كان احتفاء بيرول به لما لمسه من فلسفته من اطلاع على أوغسطين وانسلم ودونس سكوت وأوكام من الأفلاطونيين المسيحيين ، وربما كانت هذه الإشارة من جانب بيرول هي التي دفعته إلى الاعتكاف لينتهي من منهجه ؛ وكان أن دوَّن « العالم » (١٦٣٤) ، لكنه تراجع عن نشره عندما سمع بإدانة محاكم التفتيش لجاليليو ، وكان جاليليو يدعو إلى مذهب كوبرنيق ، ويقول بدوران الأرض ، وكان ديكارت في كتابه « العالم » يذهب إلى شيء من هذا القبيل ، ومن ثم طوى كتابه ، وآثر السلامة ، وفضَّل أن يحرر كتاباً جديداً بصياغة جديدة ، كان عبارة عن « مقالات » ثلاث في

الرياضيات والطبيعة ، لكنه قدم لها بمقدمة شهيرة ، شدت إليها الانتباه وأثارت حولها الجدل ، وأطلق عليها « مقال في المنهج » (١٦٣٧) وكانت مقدمة رائعة عرضت بإيجاز لمذهبه ، وأرخت لصاحبه ، وجاء تدبيج الكتاب بالفرنسية موفياً بالغرض ، فقد أرادَ أن يتجاوز رجال الكنيسة ويسمع صوته لعامة المثقفين ، وكان جاليليو قد سبقه إلى ذلك ، وكتب بالإيطالية بعد أن يئس من صلافة وعناد اللاهوتيين وإصرارهم على التعاليم القديمة . ونجح ديكارت ، فتشجَّع أن يتوجه هذه المرة لرجال الكنيسة ، وأن يزيد آراءه شرحاً ، ودوَّن باللغة اللاتينية « تأملات في الفلسفة الأولى » ودفعها إلى نفر من مشاهير المفكرين ليكتبوا عليها ما يعنّ لهم من اعتراضات ، وكان من بينهم توماس هوبز وأنطوان أرنولد ، وبيير جاسندي ، وعندما توفر له منها ست مجموعات قام بالرد عليها ، ونشر الجميع عام ١٦٤١ . ولكن ديكارت كان شديد الثقة في نفسه ، طموحاً ، وكان يريد أن يحل محل أرسطو ، فبعد أن خاطب عامة المثقفين وخاصتهم ، رأى أن يؤلِّف كتاباً مدرسياً ، يبسِّط فيه مبادئه ، ويسعىٰ لتقريره على الجامعات ، ونشر بالفعل « مبادىء الفلسفة » (١٦٤٤) باللاتينية فقد كانت لغة التعليم ، وأهداه إلى السوربون ، فلما لم يستجب له أساتذتها ، عاد فنشره بالفرنسية وأهداه إلى إحدى الأميرات من المعجبات بفلسفته . وفي عام ١٦٤٩ توجَّه إلى السويد بدعوة من ملكتها كرستين ، وكانت سيدة نابهة جمعت حولها نخبة من أهل الفكر ، وفي نفس العام نشر « انفعالات النفس » ولكن صحته ساءت بتأثير البرد وقضىٰ في السنة التالية .

ولقد كان ديكارت فيلسوفاً وعالماً رياضياً ، ونحن ما نزال نستخدم الإحداثيات الديكارتية في الهندسة التحليلية ، تخليداً لذكرى اكتشافه لهذا العلم ، وكان يرى أن العلم الطبيعي في صميمه هو الكشف عن العلاقات التي يمكن التعبير عنها رياضياً ، وأن الرياضة تقدم لنا نموذجاً للمعرفة اليقينية ومنهج تحصيلها ، وآل على نفسه أن يستكشف قوام هذا اليقين، وأن يختبر كل المعتقدات بمعياره ، وعبَّر عن هذا المعيار بقواعد أربع ، الأولى أن لا يصدق شيئاً ما لم يعلم ذلك بوضوح ، والثانية أن يقسم كل مشكلة تصادفه ما وسعه التقسيم ، وما يتطلبه حلَّها على خير وجه ، والثالثة أن يسير بأفكاره في نظام ، بادئاً بالموضوعات الأبسط والأسهل على الفهم ، لكي يرتقي تدريجياً إلى معرفة أكثر الموضوعات تعقيداً ، مفترضاً فيها نوعاً من النظام ، حتى ولو لم يكن فيها أصلاً . والقاعدة الرابعة أن يستكمل كل الإحصاءات والمقابلات بحيث لا يغفل شيئاً . والواقع أن قواعده كانت عامة ، وبعضها كان غامضاً ، حتى إن ليبنتز لخَّصها متهكماً فقال « خذ ما تحتاجه ، وافعل ما ينبغي عليك فعله ، وستحصل على ما تريد » فإذا صرفنا النظر عن مشاكل تفسير هذه القواعد ، سنجد لمنهج ديكارت سمتين تغلبان على غيرهما ، الأولى أنه منهج تحليلي ، والثانية أنه لم يقصد به أن يكون وسيلة بحث في مجال العلم وحده ، أو في مجال الفلسفة فقط ، ولكن في كل مجال أداته العقل ، طالما أن طاقة العقل واحدة في كل حين ، وشجرة المعرفة واحدة ، جذورها الميتافيزيقا ، وجذعها الفيزيقا ، وفروعها مختلف العلوم . وهو لا يكون منهجاً فلسفياً بشكل خاص إلَّا بتطبيقه على مسائل المعرفة ، وعندها تكون الحاجة إلى القاعدة الأولى ، أن لا أسلم بصحة شيء ما لم أعلم أنه حق ، فينتفي كل شك ، ويبرز المنهج بوصفه منهج الشك المشهور . وهو يعلن أنه ينوي الشك ما استطاع إلى الشك سبيلاً ، حتى يرى ما الذي يمكن أن يصمد للشك ، فما بقى فهو اليقين الذي لا يرقىٰ إليه الشك ، ومنه يمكن التقدم إلى المزيد من اليقين . وهو يشبِّه نفسه بإنسان قد ملك كوماً من التفاح ، أخذ يقلبه ويتناوله واحدة واحدة ليستبعد العاطب منه . وشكه ليس مقصوداً لذاته ، بل لامتحان معارفنا . وقد قيلَ إنه يطبق منهجه على ما يعرف سلفاً أنه يقين ، وهذا نفسه هو المنهج الرياضي ، فهو يختبر من القضايا ما يعرف أنه صادق ، فإذا جاءت النتيجة موافقة لما يعرف كان المنهج صحيحاً . وهو يبدأ

شكه بتعليق إيمانه بكل شيء يمكن أن يتخيل أو يجد فيه مبرراً للشك ، وينجح في توقيف إيمانه بكل العالم المادي ، بما فيه جسمه هو نفسه ، والله ، والماضي ، وقضايا الرياضيات البسيطة . ، ويشك في حواسه وعقله ، ويتذكر الأحكام الخاطئة التي أسَّسها على أوهام الحس وأغاليط الأحلام ، ويفترض أن هناك روحاً خبيثاً يخدعه بقدرة ومهارة ، حتى ليخطىء في أبسط الأمور . وهو قد يستطيع أن يشك في كل شيء ما عدا شكه هو نفسه ، والشك تفكير ، والتفكير وجود ، ومن ثمَّ « أنا أفكر وإذن أنا موجود Cogito Ergo Sum » ، وتلك حقيقة مؤكدة تضم الوجود والفكر معاً ، ولا سبيل للروح الخبيث أن يخدعه عنها ، وهو يتّخذها مبدأ أولاً للفلسفة ومعياراً لكل حقيقة ، فكل فكرة تعرض بمثل هذا الوضوح هي حقيقة ، وهو يدرج تحت هذا الكوجيتو كل ما يحدث فينا بحيث ندركه حالاً بأنفسنا ، ويعني به أنا أحب وأنا أكره وأنا أريد وأنا أرفض ، بالإضافة إلى أنا أشك ، وما دام أنه يتعرض لكل تلك الخبرات فهو موجود . ولعلَّ أوغسطين استخدم الفكر استخدام ديكارت ، ليدلل به على الوجود الذاتي ، لكن منطلق أوغسطين يختلف عن منطلق ديكارت . وأوغسطين يرد على الشكاك ليشعرهم بيقين الوجود والفكر ، فيقول إنه إذا كان يشك فهو يحيا ، ولكنه يستدرك بأن هناك أموراً لا يمكن أن يتطرَّق إليها الشك ، وبدونها لا يمكن الشك ، فالشك المطلق مستحيل . وديكارت يشك حتى في جسمه ، وإذن فهو نفس وجسم ، والنفس جوهر مفكر ، والجسم جوهر ممتد ، والنفس جوهر بسيط والحس جوهر قابل للقسمة . ويستطيع العلم الطبيعي تفسير ما يحدث في الجسم من تغيرات ميكانيكية ، لكن النفس تظل بمنأى عن تناوله . وتوجد الجواهر المفكرة أو النفوس بقدر عدد ما يوجد من أفراد الجنس البشري ، لكن لا يوجد إلاَّ جوهر ممتد واحد تشتمل عليه الطبيعة كلها ، ويملأها كلها ، بحيث لا يوجد منها جزء يخلو منه ، وهو ممتد بمعنى أنه لا يوجد في شكل أجزاء منفصلة ، وإنّما تختلف كثافته من جسم لجسم ، فليست الأجسام إلاَّ كثافات متباينة منه . والأجسام لا تفكر بنفسها، ولكنها شرط للتفكير ، وإذا كان ديكارت يقول إن النفس لا تحل بالجسم حلول النوتي في السفينة ، بمعنى أنها لا تكون منفصلة عنه محركة له ، وأنها تنفعل للألم والأذى اللذين يحيقان بالجسم بسبب اتحادها به ، فإنه في مواضع أخرى يقول إن النفس تحل به حلول النوتي في السفينة ، ويحدد مكانها في الغدة الصنوبرية في الدماغ ، حيث تستطيع ممارسة وظائفها من هذا المكان الممتاز والانتشار منه إلى كل أجزاء الجسم ، طالما أن الجسم عبارة عن أجزاء متصلة ، والنفس تبعث الحركة ، وتنتقل الحركة عبر أجزاء الدم البالغة الدقة ، التي يسميها الأرواح الحيوانية ، وتنتشر في الأعصاب والجسم الحي وتتحرك بسرعة ، وكل جزء يدفع الجزء المجاور له ليحل محله ، وكل جسم يزيح الجسم التالي عليه ، وتدور الحركة ويتصل إلى ما لانهاية ، والأجسام آلات دقيقة معقدة تضج بالحركة ، والعالم كله آلة كبرى أو علم ميكانيكا . وقوانين الحركة ثابتة طالما أن الله خالقها ثابت ، وطالما أن الله ثابت فلا تغيير لقوانينه ، وإذا كانت لا تتغير فمقدار الحركة ثابت منذ خلقها الله . والأجسام المتحركة تتصل حركتها يحكمها قانون القصور الذاتي ، وإذا كانت الأجسام المفكرة وراء حركة الأجسام ، فالله وراء حركة الأجسام المفكرة ، والله وراء كل الحركة وقوانينها ، وهو الذي أرادها كذلك . أما الجسم فيؤثر في النفس بأن يبلغها بما يقع عليه ويعنّ له ، وتترجمه النفس إلى ألم ولذة وأصوات وألوان وروائح ومذاقات ، وكلها صفات ممكنة للأجسام وانفعالات ذاتية ، تراجعها الحواس على بعضها البعض . وليست كل أفكار الإنسان مكتسبة ، فبعضها فطري فيه يجده العقل في ذاته ولا يستمده من الخبرة ، كفكرة الله ، فالإنسان بما أنه يشك فهو ناقص ، والله موجود كامل ، والناقص لا يستحدث فكرة الكامل ، ولا يستنبطها من العالم الخارجي

الناقص ، ولا يمكن أن تكون قد جاءته الفكرة إلاَّ بأن قاس نفسه إلى شيء فيه ، هو فكرة فطرية أو معنى قبلي لموجود كامل لامتناه ، فعرف أنه ناقص . ثم إن وجود الله لازم من ذات فكرة الله ، أي من مجرد تعريفه ، لأن فكرة الكامل تتضمن الوجود بالضرورة ، ولو كان الكامل غير موجود لكان ناقصاً يفتقر إلى موجد . وكمال الله شيء يفوق تصوري ، ولا يمكن أن أكون أنا علة الفكرة ، ولا بد أن تكون صادرة عن علة كفاء لها ، أي عن موجود حاصل فعلاً على الكمال التي تمثله . ولو كنت أنا خالق نفسي لطلبت لها الكمال ، لكنني ناقص ومتناه ، ومن ثمَّ لا بد لي من علة ، فإمَّا أن تكون قد أوجدت نفسها على الكمال فتكون الله ، وأما أن تكون صادرة عن علة أخرى تنتهي في النهاية إلى علة أولى هي الله . وواضح أن ديكارت يأخذ عن أنسلم دليله الأنطولوجي ، ويستعير الدليل الكوزمولوجي ، ويقتبس من دونس سكوت وأوغسطين ، ويصل في النهاية إلى القول بأن فكرة الله مخلوقة معي ، وإني فطرت عليها ، وأنها بمثابة علامة الصانع التي يطبعها على ما يصنع .

ديكارتية Dicartesianism

فلسفة ديكارت وتابعيه عليها ، أثناء حياته وبعد مماته ، وكانت دائماً مثار نزاع وجدل بين المؤيدين والمعارضين ، بل وبين المؤيدين أنفسهم بحسب مفهوم كل نصوص ديكارت . ولقد فصلوا منذ البداية ، وفي حياة ديكارت ، بين أقواله في الفيزياء ومذهبه في الميتافيزيقا ، وكان ديكارت في محاولته إقامة نسق علمي متكامل قد أبدى رغبته في حياته أن يساعده الآخرون في ميادينهم لعجزه أن يستوفي جهده كل ميادين العلوم ، وقبل دعوته مجموعة من العلماء من مختلف البلدان ، وشرعوا في العمل ضمن إطار نظريته ، وبمنهجه ، وتميزوا كديكارتيين إلى صفة خلال فترة اغترابه في هولندة ، وشايعه ريجيوس على أفكاره العلمية ، وحدها ، واختلف معه حول الأفكار الميتافيزيقية، وذهب في تفسيراته العلمية مذاهب تنصّل منها ديكارت ، وتصدى له يحاول أن يدافع عن أفكاره الميتافيزيقية التي هاجمها ريجيوس . ونقل يوحنا كلوبرج فلسفة ديكارت من هولندة إلى ألمانيا ، وسار في الدفاع عن ديكارت ضد ريجيوس إلى وجهة نظر في مسألة العلاقة بين جوهر النفس وجوهر الجسم أو العقل والمادة تختلف عن وجهة نظر ديكارت ، وتدرجه ضمن الاتفاقين . وفي فرنسا ذاعت الديكارتية خارج نطاق الجامعة بعد قرار حظر تدريسها سنة ١٦٧١ ، وتولى أمر الدعاية لها كلود كلير سيليه (١٦١٤ - ١٦٨٤) بينما آل أمر تطويرها العلمي إلى جاك روهولت ، وخلفه بطرس سيلفين ريجيس على رئاسة المدرسة الديكارتية ، وبه بلغت الفيزياء الديكارتية أوج تطورها ، إلا أن الكشوف التالية في مجال الضوء والحركة برهنت بما لا يدع مجالاً للشك على خطأ نظريات ديكارت العلمية ، وأصبح الإصرار على هذه النظريات من قبل الديكارتيين ، والدفاع عنها ، وإثارة مناقشتها ، مسألة معوقة للتقدم العلمي ، شأنها شأن أفكار أرسطو العلمية التي سادت العالم لفترة ، وعاقت دون التقدم العلمي في ذلك الزمان . أما نظرية ديكارت في « الفكرة » فكان الشأن معها كنظرياته العلمية ، انقسم الفلاسفة إزاءها بين مؤيد ومعارض ، وحتى المؤيدين فهموها على غير ما قصد بها ديكارت ، وجاء معظم نقدها من مالبرانش ، مع أنه من الديكارتيين ، وفي كتابيه « البحث عن الحقيقة » و« الإيضاحات» دلل على تهافت القول بالأفكار الفطرية ، وذهب سيمون فوشيه إلى أبعد من ذلك وإن كان عن سوء فهم ، إلا أن أنطوان أرنولد ولايبنتس دافعا عن « فكرة » ديكارت ضد مالبرانش ويوحنا لوك ، وهذا ما كان من شأن الديكارتية في جانبين من جوانبها ، وهي نظريتها أطلقت عليهم أسماء الاتفاقيين والواحديين والكثريين . أما الاتفاقيون فهؤلاء اعتمدوا على قول ديكارت أن الحركة ليست في الأجسام نفسها ، وذهبوا إلى أن الحركة ليست سوى تغيير في المحل ، وأن

مبدأها ليس في الأجسام ، فالعلة المباشرة لحركة الأجسام هي علة اتفاقية ، ولكن المحرك الأول أو الأصلي هو الله . وتوفر على هذه الفلسفة لويس دي لافورج وجيرود دي كوردوموي وأرنولد جيلينكس . أما الثنائية والواحدية فكان سببهما قول ديكارت مرة أن النفس تحل في الجسم حلول النوتي في السفينة ، وقوله مرة أخرى أنها لا تحل فيه حلول النوتي في السفينة ، فهو مرة يجعلهما متحدين ، ومرة يفصل بينهما ويقول بمادة وروح ، وجسم وعقل ، وجوهر مخلوق وغير مخلوق ، وجواهر فردية ، فمن أوّله على الفصل ذهب مذهب الثنائيين ، ومن أوله على الوحدة كان على رأي الواحديين ، وكان سبينوزا واحدياً ، وقيل إن مذهبه أقرب المذاهب إلى ديكارت ، ووصف بأنه الشكل النقي للديكارتية ، كما كان لايبنتس كثرياً ، والمذهبان ، واحدية سبينوزا وكثرية لايبنتس ، هي أقصى ما يمكن أن تفترق إليه فلسفة تحتمل نصوصها كل التفسيرات .

دي مورجان .... De Morgan

(١٨٠٦ - ١٨٧١) أوغسطس دي مورجان ،رياضي ومنطقي انجليزي ، ولد في الهند ، وتعلم بكيمبردج ، وعلم في لندن . أبرز مؤلفاته « نظرية الاحتمالات » (١٨٣٧) و « المنطق الصوري » (١٨٤٧) و « في القياس » (١٨٦٠) . غير أنه اشتهر بقانونيه المعروفين باسم قانوني دي مورجان ، الأول أن الفئة المكملة لحاصل جمع فئتين هي نفسها الفئة الناتجة عن حاصل جمع الفئتين المكملتين للفئتين الأصليتين ، ولذلك فإن الفئة المكملة لحاصل جمع فئتين تكون هي نفسها الفئة الناتجة عن حاصل ضرب الفئتين المكملتين للفئتين الأصليتين ، والثاني أن نفي القضية العطفية - يكافيء القضية الفصلية - التي تتكون من نفي القضيتين المعطوفتين في القضية العطفية . وكذلك فإن نفي القضية الفصلية - يكافيء القضية العطفية التي تتكون من نفي القضيتين المفصولتين في القضية الفصلية .

ولأن دي مورجان كان في الأساس رياضياً فقد استطاع إدخال القوانين والرموز الرياضية في المنطق ، ولو أنه ظل مع ذلك في نطاق المنطق الأرسطي إلى حد كبير ، مما جعل الكثير من بحوثه يرفضها المناطقة التالون ، ولكنه استطاع على أي حال أن يكشف صوراً جديدة للقياس وأنواعاً جديدة من القضايا ، وقام بتحليل عميق للرابطة « هو » ، فكشف بذلك عما في استعمالها المنطقي من نقص ، وفصل أنواع الدلالات للرابطة ، ثم عبر عن كل دلالة برمز خاص ، وهنا كان فضله الأكبر ، فهو يميز مثلاً بين الإضافات المتعدية ، والمنعكسة والمتضايفة المشتركة ، وهو تمييز تبين فيما بعد أثره الضخم ، وبهذا استطاع أن يضع أساس منطق الإضافات الذي توسع فيه رسل من بعد .

ديموقراطية Democracy

من Demos الإغريقية بمعنى الشعب ، أو على الأصح من لا يملكون ، ومن ثم فالديموقراطية نظام يعني حكم الشعب لنفسه ، أو على الأصح حكم الفقراء ، وبذلك يتميز نظام الحكم الديموقراطي على النظام الديكتاتوري أو الثيوقراطي (الحكومة الدينية) بأنه حكم الأغلبية . وليس حكم الصفوة أو الأقلية العسكرية أو الدينية أو الأغنياء . وما يزال هذا المعنى قائماً عند من يرون في الفقراء أنهم البروليتاريا ، وفي الديموقراطية أنها حكم الطبقة العاملة . وكانت الديموقراطية اليونانية القديمة تقوم على المناقشة التي يشترك فيها كل المواطنون الأحرار ، والاقتراع المباشر ، ولكن ما يصلح للعدد المحدود من السكان الأثينيين لا يمكن أن يصلح للأعداد الهائلة من سكان الدولة المعاصرة ، ومن ثم قامت أشكال متعددة من الديموقراطية تشترك جميعها في صفات وتختلف في صفات ، فيقال إن الديموقراطية هي حكومة الشعب ، ويعني ذلك أن الشعب يختار من يمثله في الجمعيات التشريعية ، ويعطيه من الصلاحيات ما يستطيع به أن ينوب عنه في تقديم المقترحات ومناقشتها وإصدار

القوانين أو رفضها وخلاف ذلك مما تختلف في التوسع فيه أو تضييقه أشكال الديموقراطيات. ويمثل الناخب المصلحة المشتركة للناخبين سواء كانوا أهل الدائرة الانتخابية أم الشعب كله. وقد يحدث في الملمات الوطنية والمهمات التي تتعلق بالأمة كلها أن تجتمع كلمة الممثلين جميعاً على رأي واحد، وإن كانوا يختلفون في غير ذلك من المناسبات، ويؤلفون من بينهم جماعات متعارضة تأخذ برأي الأغلبية. ويرتبط بمبدأ الانتخاب أو الاقتراع مبدأ مسؤولية النواب على فترات أمام ناخبيهم في حالة طرح الثقة فيهم وفي مناسبة إبداء الرأي لمعاودة انتخابهم. ويلتزم النائب في هذه المسألة الدورية بتقديم التفسيرات والشروح لما أنجز من مطالب دائرية ولمواقفه من الجماعة الحاكمة أو المعارضة. وفي ما يقال إن السيادة للشعب، فإن ذلك يعني أن ما صدر من قوانين وما اتخذ من قرارات كان بموافقة الأغلبية، سواء في الحزب الحاكم أو في الجمعية التشريعية، أو في غير ذلك مما يمكن أن يكون شكل السلطة التشريعية أو مؤسساتها الدستورية، ويعني ذلك هزيمة الأقلية أو أنه يعني أن ما صدر من تشريعات ضد مصالحها، ويزعم جيمس ماديسون أن دستور الولايات المتحدة قد وزع السلطة بحيث وازن بين كل الفئات والمصالح حتى لا تكون لإحداها الغلبة فتخرق في مصالحها مصالح الأقلية، ومن ثم فقد أطلق البعض على هذا الشكل المتميز من الديموقراطية اسم النظام التعددي **Polygarchy** وهو النظام الذي يأخذ بكافة الآراء ويرضي كافة المصالح ويستشير كافة جماعات الضغط صانعة الآراء والقرارات، على أساس أن المشاركة الجماعية ليست وقفاً على مناسبة الاقتراع وحدها، ومن ثم كانت الديموقراطية لأصحاب هذا الشكل توزيعاً للسلطة وليس تركيزاً لها، فلكل ناخب وزنه ولا ينبغي إغفاله من قبل الحاكمين، ولا يوجد الشعب المتجانس، ولكنه دائماً مركب شديد التنوع من الجماعات ذات المصالح، ولا يمكن أن يغفل الحزب الحاكم الأقلية بدعوى أنه لا يعتمد عليها في انتخابه، ويذهب إلى مثل هذا الرأي أليكسيس دي توكفيل وجون ستيوارت مل ووالتر ليبمان، أما القائلون بأن الديموقراطية هي حكم الأغلبية، من أمثال فيلفريدو باريتو وجيتانوموسكا وروبرت مايكلز، فإنهم يزعمون بأن الواجهة الديموقراطية تخفي وراءها دائماً أوليجاركية أو أقلية من الصفوة بيدها مفاتيح اللعبة السياسية وتمثل الزعامة التي يخضع لها التابعون، ورغم ذلك فإن حاجة الزعماء للتجاوب مع مصالح من يتزعمونهم وللاستماع إليهم ومواجهة انتقاداتهم، يميز الديموقراطية عن الأوليجاركية الحقيقية. وترى الماركسية في الديموقراطية البورجوازية أنها ليست سوى شكل زائف من الديموقراطية طالما أن المساواة في الحقوق السياسية التي تؤكد عليها لا تسايرها بالمثل مساواة اقتصادية، ولا يعني ذلك أن الماركسية ترفض الديموقراطية، ولكنها ترى أنها لا يمكن أن تتحقق ما لم نقمها على المساواة الاقتصادية وإلغاء الفوارق الطبقية. ويرى البعض في الحكومة الشعبية خرافة لأن الحكم لا ينهض إلا على اكتاف أهل الخبرة وهم القلة، وأن الشعب لا يشارك في الحكم إلا بمقدار إسهامه في اختيار نوابه والحزب الحاكم، ولكن الواقع أن الحزب الحاكم والنواب قد يكونون من التلاحم مع الشعب بحيث أنهم يعبرون فعلاً عن اتجاهاته الجذرية وتراثه، أي يعبرون عن روحه.

وتستمد الديموقراطية المبرر لقيامها من الالتزام الأدبي الذي يفرض على كل إنسان عاقل أن يشارك في قرارات الحكومة التي تظله طالما أنه قد قبل أن يعيش عضواً في جماعة، وأن يسهم في التعبير عن الإرادة العامة من أجل الصالح العام للجماعة. ويزعم دعاة النظرية النفعية أن محك صلاحية النظام السياسي هو مقدار ما يسهم به في تحقيق مصالح المحكومين وحمايتها من سوء استخدام السلطة، ويقولون لذلك أن الديموقراطية هي أفضل أشكال الحكم التي تحقق ذلك. وكان جيمس ستيوارت مل يريد أن يقصر حق الانتخاب على الذكور فوق الأربعين ويحجبه عن النساء والأطفال بحجة أن الأولين أقدر على صيانة مصالح الآخرين

بحكم أنهم أزواج للنساء وآباء للأطفال ، ومن ثم يكون تعميم حق الانتخاب إسرافاً لا مبرر له . ويذهب الكثير من المفكرين إلى أن ممارسة السياسة نشاط ثانوي للأغلبية ومن ثم فلا داعي لأن يطلب منهم القيام به علاوة على أعبائهم الأخرى ، والأفضل أن يترك لمن يجعلونه علماً ومهنة .

ديموقريطس .. Democritus ..

(نحو ٤٦٠ - ٣٦١ق.م) ولد في أبديرا من أعمال تراقية باليونان ، ومن المحتمل أنه عاش ما بين ٩٠ إلى ١٠٩ سنة ، واشتهر بأنه « الفيلسوف الضاحك » ، ووصف نفسه بأن أحداً من معاصريه لم يقم بمثل ما قام به من رحلات ، ولم يستمع إلى ما استمع إليه من أقوال العلماء ، ولم يتفوق عليه أحد في الهندسة حتى ولا المهندسين المصريين وقيل إنه توفي عندما أقدم على الإمتناع عن الطعام طوعاً ، وأنه تتلمذ على لوقيبوس الذي كان يكبره قليلاً ، ويؤكد سقراط أن ديموقريطس أخذ نظريته الذرية عن لوقيبوس ، وأن ديموقريطس طور النظرية ووسع من تطبيقاتها . وقيل إن ديموقريطس كان أغزر الفلاسفة إنتاجاً حتى بلغت كتبه نحواً من ستين كتاباً تناولت الفلك والطبيعة والحواس والألوان والنبات والفواكه والحيوان والأخلاق ، ولم يتبق منها إلا شذرات ، وتفصيل النظرية الذرية أن العصور تحفل بوحدات متجانسة غير محسوسة متناهية الدقة هي الذرات ، والذرة لا تتجزأ ، وهي قديمة لأن العصور لا تخرج من اللاوجود ، متحركة بذاتها ، وتختلف الذرات في الشكل لا في الطبيعة ، وتتركب الأشياء من ذرات ، ويرجع اختلافها إلى اختلاف مقدار الذرات الداخلة فيها وشكلها وطريقة ترتيبها ، ثم تكتسب كيفياتها من لون ورائحة وحرارة . وتتخلق الأشياء عندما تتصادم الذرات المتحركة في خلاء الكون اللانهائي ، فتتنافر وتتباعد بفعل اختلافها ، أو تتجاذب وتتآلف بفعل تماثلها .

ويرجع أصل الكون إلى تجمع الذرات بشكل ضخم والتحامها بحيث تصنع رواحة تشد إليها الذرات المشابهة في الشكل والحجم ، وتقذف الرواحة الذرات الأصغر إلى الخارج ، لكن الباقي يتجه إلى المركز ويصنع كتلة كروية ، تتراكم عليها الذرات ، ويشتعل بعضها بسبب سرعة الدوران ، وتتكون الأجرام السماوية ، وتتكون الأرض من الذرات التي تلتصق بمركز الكتلة . وطالما ان الخلاء والذرات لانهائيان ، فالأرجح أن هناك أكوان أخرى خلاف هذا الكون ، لا تشبهه . والنفس مادية تتألف من ذرات كروية ، ولأنها كروية فإنها أقدر على النفاذ إلى الأشياء والتحرك ، والنار كذلك تتألف من ذرات كروية ، لذلك فإن النفس نارية ، ويدفع الهواء المحيط بالجسم تلك الذرات من الجسم إلى خارجه ومن الخارج إلى الداخل مع التنفس . وتخرج من الأجسام في كل آن بخارات تحتفظ بخصائص الجسم وصورته وتطبع الهواء وتنتقل إلى مسام الحواس المدركة ، والمعرفة المتحصلة مادية ، وسعادة الانسان وطمأنينته في حياة تخلو من الخرافة والمخاوف ، وتتحقق بالعلم بقوانين العصور والعمل بمقتضاها ، والتمييز بين اللذات ، فما وافق الجسم كان خيراً ، واللذات الروحية أسمى وأدوم من اللذات الحسية ، والاعتدال أقوم في الرغبات والطموح ، والمعالي أدعى إلى بذل الجهد .

وكانت معرفة الإسلاميين لديموقريطس من خلال الترجمات العربية لكتاب الأراء الطبيعية لفلوطرخس ، وكتاب الميتافيزيقا والنفس لأرسطو ، وترجموه أومقراط ، وكان لنظريته أثر كبير في تكوين نظرية الجزء الذي لا يتجزأ عند المتكلمين .

دين وأخلاق . Religion and Morality

يتلازم الدين والأخلاق تلازماً جعل الأغلبية تقول بأن الأخلاق تقوم على الدين ، وأن من لا دين له لا أخلاق له ، وكان لوك يقول إن الملحد لا أمان له لأنه بلا أخلاق . ومع أن هذه الصورة المتطرفة لم تعد موجودة إلا أن الغالبية أيضاً ما تزال تكرر أن الأخلاق تبدأ بالدين ، وأنه سواء قلنا أن الأخلاق ملزمة ذاتياً أو نظرنا

إليها من وجهة نظر غائية ، فإننا في الحالتين لا بد أن نقتنع بأن وراءها مشرعاً أخلاقياً نمطي ، أو غاية عظيمة لا بد لها من متمثل عظيم . ويميل معظم الأنثروبولوجيين إلى نسبة الأخلاق إلى الدين أو إلى الآلهة التي تفرضها وتحافظ عليها وتعاقب على انتهاكها . وربما كان الدافع إلى الأخلاق أن الإنسان اجتماعي عدواني في نفس الوقت ، وأنه يضطر إلى الأخلاق لحاجته إلى تنظيم علاقاته بالآخرين ليعيش معهم في أمان . ونحن نعمل بالواجب إما لأن مصلحتنا تقتضي ذلك ، وإما لأننا ابناء العادة ونطيع ما تدربنا على طاعته ، وإما لأننا نحترم حقوق الآخرين لأننا نحبهم أو نعطف عليهم . ويذهب المدافعون عن استقلالية الأخلاق إلى إثبات ان القواعد الأخلاقية تتشابه في المجتمعات المختلفة التي تختلف فيما بينها المعتقدات الدينية ، وكان من الأحرى أن تتشابه لو كان مصدرها واحداً ، ويفسرون هذا الاختلاف بأن الأخلاق نتيجة التفكير في الخبرات اليومية ، وهي خبرات بشرية وتتشابه في كل مكان ، بينما مسائل الدين ليست من شؤون الحياة اليومية . ومع ذلك يؤكد البعض أن الأخلاق قد تأثرت بالدين سيكولوجياً واجتماعياً ، ويذهب هؤلاء إلى القول بأن الحضارة الأوروبية حضارة مسيحية وأن الحضارة العربية إسلامية ، أي أن الدين قد صبغ الحضارة أو أن الحضارة هي نتاج الدين . غير أن المناهضين لهذا الرأي يرون في قيام حضارات كالإغريقية والرومانية والصينية على أسس تتباعد فيها تأثيرات الدين على الأخلاق دليلاً على أن الأخلاق يمكن أن تقوم بمعزل عن الدين ، طالما أن الأخلاق لم تكن في هذه الحضارات السابقة أقل شأناً منها في الحضارة الأوروبية المسيحية . ويذهب هؤلاء إلى تأكيد تأثر الدين بالأخلاق وليس العكس ، فالدين اليهودي قام على ما سبقه من أخلاق ، وبدلاً من القول بأن الأخلاق انبثقت عن الدين فإنه يبدو أن الدين اصطبغ بالأخلاق ونسب الصفات الخلقية كالرحمة والعدل والحب إلى الله .

دين وعلم **Religion and Science**

لم تظهر مشكلة التعارض بين الدين والعلم إلاّ في القرن التاسع عشر ، وإن كانت إرهاصات هذا التعارض قد بدأت قبل ذلك في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وعانى منها علماء من أمثال كوبرنيق وجاليليو . وإذا كان الصراع بين رجال الدين والعلماء قد أصبحَ الآن في خبر كان ، حيث يقال إن العلم قد أصبح أقل مادية ، وأن الدين قد اتّجه أكثر إلى التفلسف ، ولم يعد سهلاً على العلم أن ينال من الدين ، فقد حاولَ علماء ، من أمثال آرثر إرنجتون وجيمس هوبوود جينز ، أن يستخدموا نظريات الفيزياء الحديثة للبرهنة على الأصل الروحي للعالم . وأثار رجال الدين في القرنين السابع عشر والثامن عشر أنه ينبري العلماء لتقديم صورة للكون والحياة والإنسان تختلف اختلافاً كلياً عن الصورة التي لها في التوراة ، وأزعجهم كثيراً أن يحاول بعض العلماء أن يتصدّوا بالتأويل للنصوص الدينية في محاولة للتوفيق بينها وبين الكشوف العلمية ، وكانت أفكار علوم الفلك والطبيعة والجيولوجيا والأحياء والطب هي أخطر ما يهدد مكانة الدين ، ويهزّ صورته لدى المثقفين وعامة الناس على السواء . وإذا كان اللاهوتيون قد اتّخذوا من الدفاع عن الدين حجة لتبرير اضطهاد العلماء ، فإن تاريخ العلم يروي أن الأفكار العلمية التي نعتبرها الآن بديهيات ويسلم بصحتها أهل الدين أنفسهم ، قد راجت رغم الحرب العشواء التي شنّتها الكنيسة عليهم ، وتجاوز العلماء في القرن التاسع عشر تأويل النصوص الدينية لتتفق مع النظريات العلمية إلى مناقشة ظاهرة الدين نفسها ، واعتبروها كسواها من الظواهر الاجتماعية لها أسبابها في التكوين الاجتماعي والثقافي للجماعات الإنسانية ، أو في التكوين النفسي لأفراد النوع البشري . وقد تبلورت هذه المحاولات عن ثلاثة تفسيرات رئيسية ، هي التفسير الماركسي الذي وضعه كارل ماركس وردَّ به كل الإيديولوجيات بما فيها الدين إلى أسباب اقتصادية ، واعتبرَ علاقات الإنتاج أو طريقة حصول المجتمعات على وسائل عيشها هي البناء

التحتي أو القاعدة التي ينهض عليها البناء الفوقي ذو الأفكار السياسية والقانونية والدينية والأخلاقية والجمالية التي تعد أشكالاً للوعي الاجتماعي . والتفسير الثاني هو التفسير الاجتماعي الذي قدمه إميل دوركايم وفسَّر به ظاهرة تعدد الديانات وتطوّر الأفكار الدينية بتعدد المجتمعات وتطوّرها ، وربط بين الهيكل الديني والهيكل الاجتماعي ، وقال إن المجتمع يؤلّه نفسه في الدين . والتفسير الثالث هو التفسير الفرويدي نسبة إلى سيجموندفرويد ، يبرر به الاعتقاد في الدين إلى ميل طفولي في الإنسانية إلى النكوص إلى صورة الأب في الطفولة المختزنة في اللاشعور ، كلما واجهت الفرد مشاكل التكيف مع البيئة . وهو ينسب إلى الإنسانية أباً بدائياً وعقدة أوديب كاللذين ينسبهما إلى الفرد ، ويقول إن الإنسانية والأفراد تسقط على الإله نفس المشاعر التي كانت لها عن الأب ، وأن هذا الإسقاط للخارج للصراعات الداخلية يخفف من حدتها لأنه يزيح المشاعر العدوانية الداخلية إلى موضوع الإله الخارجي ، ومن ثمَّ يقلل من التمرد الداخلي طالما أن هذا الإله أقوى ومن غير المعقول منازلته ، ومن ثم تتجه الإنسانية والأفراد إلى التخفف من عبء الإحساس بخطيئة اشتهاء الأم وعدائها للأب بالاعتراف والتكفير وغير ذلك من الوسائل الدينية . وتوصف كل هذه التفسيرات الاجتماعية والسيكولوجية لظاهرة الدين بأنها تفسيرات علمية ذلك لأنها لا تفسر الدين بأسباب فوق طبيعية ، وتعتبره ظاهرة يمكن فحصها وملاحظتها كغيرها من الظواهر .

ويتجه الرأي بين العلماء واللاهوتيين إلى الفصل بين العلم والدين ، ويحتجّ البعض بأن الفن والأخلاق لا يتعارضان مع العلم ، ذلك لأن العلم ميدان بحث في وقائع وتحصيل معارف بينما الفن والأخلاق ليسا كذلك . واتّجه البعض من أمثال بريثويث ومايلز إلى اعتبار الدين كالفن والأخلاق ، وأنه مجموعة من القصص والأمثال تهدف إلى استمالة الناس إلى الأخذ بأسلوب معين في الحياة وتبني تشريعات معينة ، أو إلى أن تسلك في الحياة سلوكاً أخوياً Agapeistic Behaviour كما يسميه بريثويث ، فإذا كان الدين كذلك فإنه لا يمكن أن يتعارض مع العلم . غير أن من العلماء مثل أرنجتون من يعتبر النظريات العلمية زمانية وأنها قابلة للتغيير والتطوير ، وأن ما ترفضه اليوم من أفكار الدين قد تقبله غداً ، وشبه إرنجتون العالم بالصائد الذي أتقن صنع شبكة غاية في الدقة ليصيد بها أصغر السمك حجماً ، ويتساءل إرنجتون فما يدري هذا الصائد أن ما صاده هو فعلاً أصغر السمك وليس أصغر ما تقوى حيلته وشبكته على صيده ، وكذلك فإن العالم لا يجوز له أن يدعي أن ما لاحظه وفهمه هو غاية المستطاع وكل ما يفسر به الكون .

ديوجينس الأبولوني Diogenes of Apollonia

فيلسوف طبيعي ، عاش في أثينا في النصف الثاني من القرن الخامس ، قال بالهواء كمبدأ للحياة ، ونسب إليه كل تغير ، ويُقال إنه دوّن آراءه في أربعة كتب هي « **عن الطبيعة** » و « **علم المعادن** » و « **ضد السوفسطائيين** » و « **طبيعة الإنسان** » .

ديوجينس الكلبي Diogenes of Sinope

(نحو ٤١٣ ـ ٣٢٧ ق. م) قيل سمي الكلبي ربما لأنه أشهر الفلاسفة الكلبيين وشيخهم ، وربما لأنه كان كثير اللجوء لضرب الأمثال بالحيوانات وأخصّهم الكلب ، كمثال للتحرر من الترف والعبودية للعرف وللعيش وفق الطبيعة . وتروى عنه حكايات كثيرة ، منها أنه كان يسير متسولاً وينام في أي مكان ويحتضن التماثيل البرونزية في الشتاء القارص ليروض جسمه على تحمّل المشاق وليستأصل من نفسه شهواتها ، وكان لاذع اللسان لم يسلم منه كبير أو خطير ، وكان غير هياب ولا وجل يسير في الأسواق في الظهيرة يحمل مصباحاً يبحث عن إنسانه ، لكن الأرجح أن ديوجينس كان معلماً حاداً ينشد الفضيلة ، ويدعو إلى الاكتفاء الذاتي كوسيلة لبلوغ السعادة ، بالزهد والتقشف ورياضة البدن والنفس معاً لتدريب الإرادة ، وبالعيش

وفق الطبيعة ولذلك احتقر العرف ، وقال قولته الشهيرة أن العالم موطنه ، لا يقصد أنه دولي بل يذهب إلى أنه يتجاوز القومية وينشد الفرد الإنسان وليس الجماعة أو الدولة ، يريد أن ينصّبه ملكاً ، ليس على الآخرين لكن على نفسه وحياته ، بأن يحرر نفسه من شهواتها ويحرّر حياته من قيود الأسرة والمجتمع والوطن ، فيملك نفسه وحياته . ولذلك لم يكن عجيباً أن يقول أفلاطون عن ديوجينس إنه كان سقراط مجنوناً .

ديوجينس لايرتيوس ...... Diogenes Laertius

ويسمّىٰ أحياناً لايرتيوس ديوجينس ، عاش ربما في بواكير القرن الثالث ، واشتهر بكتابه الذي يسمّى أحياناً « **حياة الفلاسفة** » ، وأحيانــاً « **تاريخ الفلسفة** » ، وأحياناً « **حياة وآراء مشاهير الفلاسفة** » ، جمع فيه الكثير عن حياة الفلاسفة والشعراء القدماء وشذرات من أعمالهم ، ويعتبر مرجعاً لكثير مما لم يصلنا من كتبهم .

ديونيسيوس المجهول .. Pseudo - Dionysius

أثارت كتب ديونيسيوس الانتباه لأول مرة في بداية القرن السادس لأنهم ظنوا خطأ أن كاتبها هو ديونيسيوس الأريوباغي ، أي عضو المحكمة العليا بأثينا (أريوس باغوس) الذي نصره القديس بولس ، وأظهرت دراستها أن مؤلفها على علم بأفلاطونية الآباء الأوائل للكنيسة ، وعلى اتصال وثيق بآخر أشكال الأفلاطونية المحدثة كما يمثلهـا أبـروقلوس ، ولـم يحـدث أن تـأثـر فيلسـوف بفيلسوف آخر مثلما تأثّر ديونيسيوس بأبروقلوس ، وكان تأثير ديونيسيوس على الفلاسفة واللاهوتيين والمتصوفين والشعراء اللاحقين كبيراً ، وكان حنا الدمشقي وتـوما الأكويني من بين الذين طبعهم ديـونيسيوس بـطابعه ، واعترفَ بفضله بطرس اللومباردي وروبرت جروستيست وألبرت الكبير ، ونسج دانتي وميلتون تصورهما لمراتب الملائكة على تصوره ، وما يزال أهل العلم يحـاولون إماطة اللثام على شخص ديونيسيوس المجهول ، الذي يقدم نفسه بأنه تلميذ بولس الرسول ، والذي لا نعرف عنه إلاّ أنه صاحب المصنفات الأربعة التي ذاعت عنه وتصدَّت لها الكنيسة بالنقل والشرح ، وهي « المراتب السماوية » و« المراتب الكنسية » و « الأسماء الإلّهية » و « اللاهوت الصوفي » . وهو يقول إن الكتب المقدسة تحدثنا عن السماوات بصور مجازية لتقربها من أفهامنا ، ومن ذلك صور الملائكة ، وترتبها في مـراتب بعضها فوق بعض بحسب كمالها ومكانها من السدة الإلّهية ، وأقــرب مـراتب المــلائكـة إلى الله الســروفيـون ، فالكروبيون فالأعراس ، فالسيادات فالقوات فالسلاطين فالرياسات فرؤساء الملائكة فالملائكـة ، خلقهم الله مبـاشرة أرواحـاً صرفـة ، وعلمهم منه بـوحيه للمـرتبة الأعلى ، وتوحــي به هــذه للثانيـة فالثـالثة وهكـذا . وتحتذي الكنيسة حذو المراتب السماوية ، فالبابا قمة الكنيسة والرهبان والكافـة والمتلقّون أدنـاها . وكتـابه الأسماء الإلّهية يتناول أسماء الله الحسنىٰ ،وهي أسماء تصف مخلوقــات الله ونـدركهــا كمحســوســات ، والمحســوســات تؤدّي بنـا إلى معـرفـة نـاقصـة عن الروحيات ، ومعرفة أنقص عن الله ، وإدراكنا لله ليس إلاّ إدراكاً غامضاً لآثـاره ، وآثاره صادرة عنه بالخلق ، وبالخلق تشارك الأشياء المتناهية في الله اللاّمتناهي ، ومن ثمَّ فأسماء المخلوقات تناسب الله ، لكن الله يعلو على مخلوقاته ، ومن ثمَّ لا تلائمه أسماؤها ، فأسماء الله يمكن إيجابها له ويمكن سلبها عنه ، ولا تعارض بين السلب والإيجـاب ، بــل إن السلب خيــر مـن الإيجاب ، لأن الله فوق كل شيء ويتجاوز كل سلب وإيجـاب . لكن كيف يكون الله فـوق العـالم والشـر يملأه ؟ إن أولى صفات الله الخيرية ، والأشياء صادرة عن الله لخيريته ، وكل موجود فهو خير بما هو موجود ، والشر ليس إلاّ غياب الخير ، فهو ليس جوهراً ووجوداً ، بمعنى أنـه ليس موجـوداً في الله ، وليس صـادراً عن الله ، وليس من المخلوقات ، ولا يوجد إنسان شرير ، وإنّما يتوجه الإنسان إلى الشر باختياره وهو قـادر على الخير ، والشر هو الخير الظاهر ، وهو يتوجه إليه ويترك الخير الحق ، والخير الحق هو الله ، والخير الظاهر هو العرض الزائل . وخير الطرق إلى معرفة الله هو المنهج

السالب ، بإطراح الحواس والأفعال العقلية ، والتوجه بقوة الانجذاب إلى الله ، الموجود خلف كل فكر وكل ماهية ، والتصوف هو العلم بالله علماً ذوقياً ، أي شعورياً ممنوحاً من الله ، والتأمل الصوفي مران للعبد على الاتحاد بالله والنفاذ إلى ما وراء كل علم ومعرفة ، إلى عالم يطبق عليه ظلام الجهل بالمحسوسات ، أو عالم من الجهل المطبق ، وهو ليس الجهل الذي نعرفه ، ولكنه الجهل المقدس الذي يطرح المحسوسات .

ديوي .... **Dewey**

(١٨٥٩ ـ ١٩٥٢) حنا ديوي ، أمريكي ، ولد ببرلنجتون ، وكان أحد ثلاثة طوروا الفلسفة البراجماتية ، ولم يؤثر فيلسوف في الحياة الأمريكية تأثيره فيها ، ومع ذلك لم يكن تلميذاً نابهاً ، ولم يكن في تاريخه المدرسي ما يشير إطلاقاً إلى أنه سيكون رائد الفلسفة الأمريكية وممثلها الأكبر . بدأ هيجلياً ، لكنه لم يقتنع بدور الفلسفة التأملي ، ورأى أن تكون الفلسفة في خدمة الحياة اليومية للناس ، وظهرت عليه اتجاهات اشتراكية ، وفكّر في إصدار مجلة أسبوعية اشتراكية أطلق عليها اسم « أخبار الفكر » ، لكنها لم تظهر ، وانخرط في بحوث تربوية فقد رأى أن المدرسة تمثل المجتمع بشكل مصغر ، وأن أية إصلاحات اجتماعية لا بد أن تبدأ من المدرسة . وافتتح لذلك مدرسة تجريبية Laboratory School اشتهرت باسم مدرسة ديوي Dewey Shcool ، وغطّت اهتماماته العلمية وخاصة في مجال علم النفس على اهتماماته الفلسفية التأملية ، ونشر نحواً من سبعة عشر كتاباً كان أهمها « **علم النفس** » (١٨٨٧) و « **علم النفس التطبيقي Applied Psychology** » (١٨٨٩)و « **المدرسة والمجتمع The School and Society** » (١٩٠٠) و « **الطفل والمنهج The Child and The Curriculum** » (١٩٠٢) و « **دراسات في النظرية المنطقية** » (١٩٠٣) و « **كيف نفكر** » (١٩١٠) و « **مقالات في المنطق التجريبي Essays an Experimental Logic** » (١٩١٦) و « **الديموقراطية والتربية Democracy and Education** » (١٩١٦) و « **إعادة بناء الفلسفة Re-construction in Philosophy** » (١٩٢٠) و « **الطبيعة البشرية والسلوك** » (١٩٢٢) و « **الخبرة والطبيعة** » (١٩٢٥) و « **الفن والخبرة** » (١٩٣٤) و « **المنطق نظرية البحث Logic: The Theory of Inquiry** » (١٩٣٨) .

ولعلّ من أشهر إسهاماته ترأسه للجنة التحقيق في التهم الموجهة إلى الثوري الماركسي ليون تروتسكي أثناء محاكمات موسكو الشهيرة ، وأصدرت اللجنة قرارها « ليس مذنباً » (١٩٣٧) .

ومفتاح فلسفة ديوي هو مفهومه عن الخبرة ، ونزعته التجريبية ، وتعلقه بالعيني أو المجسم ، ومعارضته لكل الثنائيات في الفلسفة ، فالشيء المهم في الفلسفة ليس الحديث عن ذات عارفة وموضوع معروف ، لكن المهم ربط الوعي بالطبيعة ، والخبرة هي خبرة بالطبيعة وتفاعل حيوي بين الكائن والبيئة . والخبرة شاملة بمعنى أن الإنسان يدخل في معاملات متصلة مع كل الطبيعة ، والتعبير الفني الذي يستعمله ديوي هو « المعاملات Transactions » . وبالبحث المنهجي يستطيع الإنسان أن يفهم خصائص الطبيعة . وليست المعرفة مجرَّد تأمل الجواهر والتفكر في الكليات التي ابتليت بها الفلسفة من عهد الإغريق ، وهي لا تنجزىء هذا الانجزاء المفتعل إلى علوم نظرية وصنائع عملية الذي قال به أرسطو . ويهزأ ديوي بنظرية المتفرج في المعرفة Spec-tator Theory of Knowledge . ووصف ديوي الخبرة بأنها نشاط يتّسم بالمباشرة والجمال ، بمعنى أن خصائص الخبرة شيء لا يتوقف على الشعور الذاتي لصاحب الخبرة ، ولكنها خصائص تتخلل وتعم الخبرة أو الموقف ككل . والخبرة أو الموقف هي كل بالنسبة لخصائصها المباشرة ، وكل واقعة من هذه الخصائص مفردة . ويضرب ديوي مثلاً بالابتهاج أو الابتئاس اللذين يسودان بعض المواقف ، فهما خاصتان متميزتان في

حدوثهما ، ولا يمكن التعبير عنهما بالكلمات لكن يمكن معاناتهما مباشرة ، ولذلك فعندما يخبر الواحد منا موقفاً مخيفاً يكون الموقف ككل هو المخيف وليس الواقعة في حد ذاتها . ويسمي ديوي هذه الخصائص جمالية ، لأنها خصائص نشعر بها ، وقد نضفي عليها معانٍ ونترجمها إلى أفكار ونثريها بالانفعالات ونحاول أن نفك غموضها وإبهامها ونجعل منها شيئاً مفهوماً محدداً متحققاً . ويسمي ديوي هذه العملية « التحقق Consummation»، ويتم التحقق باستخدام المرء لذكائه استخداماً من شأنه أن يعيد بناء الموقف المشكل الذي يتطلب الحل ، بتحديد أوجه أشكاله ، والقيام بنشاط كل الإشكال . والإنسان الجمالي هو الإنسان ذو الهمة المرن ، ونقيضه المتواني من ناحية والجامد من ناحية أخرى . والخبرة الجمالية هي الخبرة التي تتسم بالتحقق الشديد والثراء الجم . وليست الحياة إلّا حركة دائبة من خبرات مبهمة تتسم بالشك والصراع في اتجاه خبرات تتسم بالتكامل والتناغم والثراء والتحقق الشديدين . ويتم هذا الانتقال باستخدام المنطق التجريبي أو الأداتي ، ووظيفته دراسة وسائل تحصيل المعرفة بنجاح وضمان صحتها ، وخطوات ذلك أن يعي صاحب الخبرة أنه في مواجهة إحدى الصعاب ، فيبدأ بصياغة المشكلة ، ثم بافتراض الحلول لها ، ولا بأس أن يستخدم الاستدلال العقلي ليصقل به فروضه ويتيقّن من نتائجها ، أخيراً يحاول تجريبها . ويسمي ديوي هذه العملية « البحث Inquiry » ، فإذا كان البحث ناجحاً تحول الموقف المبهم غير المحدد إلى موقف محدد يثري صاحب الخبرة بالمعلومات التي تعدل من معلوماته السابقة وتضيف إليها وتمنحه في النهاية اليقين وتنقله إلى مرحلة الاعتقاد . ولكل موضوع الشواهد والإجراءات والوسائل التي تصلح لبحوثه دون غيرها ، ولكن بحوث كل موضوع تتواصل بغيرها من بحوث الموضوعات الأخرى ولا تنعزل عن سياقها . وتجري كل البحوث داخل إطار أو سياق اجتماعي بحيث أن البحث بشكل عام ينتظم كل أفراد الجماعة ويجمع بينهم حتى ليمكن أن نقول إنهم مجتمع من الباحثين ، فالبحث يتطلّب مجتمعاً يقوم عليه ويتوفر له ، ومن شأنه أن يعمل على تطوير المجتمع . ولا شك أن البحث عملية دائبة من التصحيح الذاتي ، فلا وجود للمطلقات والحقائق الأزلية ، وإنّما المعرفة نسبية موضوعية معقولة ، ومن ثم تخضع المعارف والنتائج للاختبار الدائم من قبل مجتمع الباحثين .

وترتبط أفكار ديوي بنظريته في الديموقراطية والتربية . وهو يهاجم النظرية التربوية التي تجعل من المتعلم إنساناً سلبياً مهمته تلقي المعلومات واختزانها . والتربية عنده إعادة بناء مستمرة للخبرة ، تطور فيها الخبرة غير الناضجة إلى خبرة توظف فيها المهارات والعادات الفكرية ، ويطبق من خلالها شعار « التعلم بالممارسة Learn by Doing » . والتربية المخططة تخطيطاً صحيحاً هي التربية الواعية بهذا الجانب الفعّال من جوانب الحياة ، وهي التي ترشد الطفل بحيث تزدهر قدراته الإبداعية وتتأكد استقلاليته من خلال المشاركة في كل ضروب الخبرات ، بخلق الظروف البيئية المؤاتية التي تغذي عاداته الفكرية وتنمّي ميوله وتطوّر أخلاقياته . وليس تعليمه الفضيلة بقسره على اعتناق شعاراتها ، لكن بتدريبه على أن يكون موضوعياً ، وأن ينفتح فكرياً للخبرات الجديدة، وأن ينمّي خياله ويوطّن نفسه على تفهّم الآخرين ، وأن تغرس فيه الشجاعة التي تمكنه من تغيير أفكاره في ضوء المزيد من الخبرات . والمدرسة مجتمع مصغر لا يعكس المجتمع الكبير ، لكنها تمثل مؤسساته الكبرى ، وهي مجتمع مثالي ، ووسيلة المجتمع لإحداث الإصلاحات المطلوبة ، وفي بيئتها الموجهة من الممكن تشجيع تطوير الأفراد النابهين ليكونوا أدواتها للحد من الشرور القائمة وبثّ معاني الخير .

والإنسان عند ديوي مخلوق له قيمة ، وهي لا تظهر إلّا في المواقف التي تتصارع فيها رغباته أو أخلاقياته ، وفي المواقف المشكلة تظهر ميوله الحقيقية ، ويتبدّى الطريق الصحيح الذي عليه أن يتبعه . وهو لا يلجأ

لمجموعة قيمه ليحل الإشكال ، لكنه يقوم الموقف ويقارن بين مختلف الطرق المتاحة ، ويسمي ديوي هذه العملية التقويم Valuation . وما نختاره من غايات أو خيرات Goods بعد تفكير وتمحيص هو خيرات مرغوبة أو معقولة . واختياراتنا معقولة طالما أنها تعكس عاداتنا الفكرية المتطورة ، أو أنها اختيارات منحرفة أو غير منطقية طالما أنها تصدر عن جهل وتقوم على الهوى . وينبغي أن يدرّب الفرد على تصور أهداف جديدة والسعي إليها ، وطالما هناك حياة ستكون هناك مواقف جديدة دائماً ، متفجرة بالصراع وتتطلب قرارات وأحكاماً وأفعالاً . وبهذا المعنى لا تكتمل أبداً الحياة الخلقية للإنسان ، وتتحول الغايات أبداً إلى وسائل لبلوغ أهداف جديدة . ويظهر واضحاً دور العقل ، ويعلن ديوي إيمانه بقدرة العقل على تصوّر المستقبل الذي هو إسقاط لما يتمناه المرء في الحاضر ، وعلى اختراع الوسائل لتحقيقه . وهذا الفهم للتقويم ، مثل بقية البحوث ، يقوم على مفهوم اجتماعي ويفترض مجتمعاً يتشارك أفراده الخبرات ، ولهم معاييرهم ووسائلهم المشتركة . ويلعب التقويم الذكي دوره في جعل هذا المجتمع واقعاً مجسماً . وهنا أيضاً يتم اختيار وتوضيح وتعديل المعايير والغايات في ضوء الخبرات المتراكمة للمجتمع .

والروح العامة التي تتخلل فلسفة ديوي الاجتماعية هي روح المصلح وليست روح الثوري . ويتشكّك ديوي من الدواء الذي يشفي كل داء والحلول النهائية التي تقضي نهائياً على كل الشرور والمظالم ، ويعتقد أنه بالمعرفة العلمية الواقعية بالظروف القائمة ، وبالخيال المهذب يمكن للبشر تحسين الوضع الإنساني . والقول بإمكان التحسن عنده يعني أن الأوضاع يمكن تعديلها وإدخال التحسين عليها دون أن يكون العالم بالضرورة هو أحسن العوالم الممكنة . ويعني التفاؤل الدعوة إلى العمل والثقة في الإنسان وفي ذكائه وقدرته على استطلاع الواقع ، وهو ما يعنيه قولنا إن فلسفة ديوي فلسفة متفائلة واقعية . ويرتبط ذلك بتصوره لدور الفلسفة في الحضارة ، فهي ترتبط بالثقافة التي تخرج منها وتعتمد عليها ، لكنها ينبغي أن تحاول تجاوزها ، وأن تكون همزة الوصل بين القديم والجديد ، وأن تكون أداة التعبير عن المبادىء والقيم الأساسية في الثقافة ، وأن تعيد بناءها برؤى خيالية متماسكة ، ومن ثمَّ تكون الفلسفة دائماً فلسفة نقدية .

حرف الذال

ذرائعية .... **Instrumentalism**

الذريعة هي الوسيلة ، وجمعها ذرائع ، والذرائعية هي مذهب حنا ديوي الذي يقرر أن الأفكار والنظريات والمعارف والنتائج والغايات وسائل وذرائع دائمة لبلوغ غايات جديدة وتعديل وتوضيح المعايير والمعارف دوماً في ضوء الخبرات المتراكمة ، أي أنها ذرائع لمزيد من العمل . والعلة الذرائعية هي العلة الأداة لإحداث النتيجة ، والمنطق الذرائعي هو الذي يبني أحكامه على التجربة وإن كان من المسوغ له أن يلجأ إلى الاستدلال ، لكنه في كل الأحوال وسيلة العقل لتحصيل المعرفة وإثرائها بالخبرة التي تعدل من المعلومات السابقة وتضيف إليها ، وتمنحه في النهاية اليقين وتنقله إلى مرحلة الاعتقاد .

ذرية .... **Atomism**

النظرية الذرية أو نظرية الجوهر الفرد في فلسفات لوقيبوس وديموقريطس وأبيقور ولوكريتيوس وجاليليو ونيوتن ودالتون ومندلييف وبويل وأفوجاردو (انظر كلاً في موضعه) .

ذرية منطقية .... **Logical Atomism**

(انظر رسل وفتجنشتاين) .

ذمية ....

بالفتح ، فرقة من الشيعة الحلولية ، لقبوا بذلك لأنهم ذمّوا محمداً (ﷺ) لأن علياً هو الإلّه ، وقد بعثه ليدعو الناس إليه فدعا إلى نفسه . وقال بعضهم بإلّهية محمد وعلي ، ولهم في التقديم خلاف ، فبعضهم يقدم علياً في أحكام الإلّهية ، وبعضهم يقدم محمداً . وقال بعضهم بإلّهية خمسة أشخاص : محمد وعلي وفاطمة والحسنان ، وزعموا أن هذه الخمسة شيء واحد ، وأن الروح حالة فيهم بالسوية ، لا لمزية لواحد منهم على آخر ، ولا يقولون بفاطمة تحاشياً عن وسمة التأنيث .

حـــرف الـــراء

راداكريشنان .. Radhakrishnan

سارفيبالي راداكريشنان ، هندي ، اشتغل بتدريس الفلسفة بجامعات ميسوري وكلكتا وبانراس وأكسفورد ، وعمل رئيساً لجمهورية الهند ، واتّجه باهتماماته إلى الدين ، وكان أبرز المتحدثين باسم الهندوسية الحديثة ، وكتابه الأكبر « **الفلسفة الهندية Indian Philosophy** » تبرز فيه الفلسفة المثالية المطلقة بوصفها المعبر الأساسي للفكر الهندي ، وتقوم هندوسيته المحدثة على التوفيق بين تعاليم الديانات المختلفة ، زاعماً أن هذا هو اتجاه الفيدانتا ، وأن الدين ميدان الفلسفة وليس اللاهوت ، وتقوم فكرته على نظريته في المعرفة حيث يعتقد أن الحدس والإرادة والاستدلال وسائل كشف الحقيقة ، ويعني بالحدس الخبرة التأملية والاستبصار العلمي والخلقي ، ويصف الله بأنه المطلق من ناحية توحده وصمديته ، وهو الخالق الباري من ناحية علاقاته ، ويقول إن هذا التمييز منطقي وليس أونطولوجي ، ويفسِّر المايا بأنه ليس السراب كما كان يفسره السابقون ولكنه زمانية العالم بوصفها نقيض سرمدية الله . ويعتقد بأن الخلاص عالمي لأن الحرية تعني التناغم داخل الذات وفي البيئة ، ومن ثمَّ فإن من يبغي طريق الأبدية عليه أن يعمل على خلاص الآخرين حتى يتحقق التحرر النهائي لكل الموجودات .

راديشيف . Radishchev

(١٧٤٩ - ١٨٠٢) اسكندر نيقولا راديشيف ، زعيم النقاد الاجتماعيين ، وفيلسوف التنوير الروسي ، ولد في موسكو وعلّم ببطرسبرج ولايبزج ، والتحق بعدد من الوظائف المدنية والعسكرية - حتى نشر « الرحلة من سان بطرسبرج إلى موسكو » (١٧٩٠) فأثار حنق القيصرة كاترين وقضت بنفيه إلى سيبيريا حتى ١٧٩٦ ، وعينه الكسندر الأول عضواً باللجنة التشريعية الخاصة ، ولما وجد أن مقترحاته لم يأخذ بها أحد انتحر (١٨٠٢) . ولقد توجَّه بالنقد الشديد في كتابه « الرحلة » للمؤسسات الاجتماعية الروسية على طريقة المفكرين الفرنسيين ، واستنكر الرق ، وعاب الاستبداد وهاجم الرقابة وكل ما يمكن أن يكون فيه انتهاك للحقوق الطبيعية للناس ، ووصف بعض الإصلاحات العاطلة لتجنب الثورة وطالب بالتنوير والأخذ بالطبيعية في التنظيمات الاجتماعية والأخلاق . وفي سيبيريا كتب مؤلّفه الرئيسي « عن الإنسان وفنائه وخلوده » (نشر ١٨٠٩ بعد موته) عارض آراء الماديين بآراء المثاليين ، ووصف براهين الأولين بأنها تقوم على الخبرة والحجة ، ودفوع الآخرين بأنها ضرب من التأمل الخيالي ، وقال إن الخبرة وحدها هي الأساس الوحيد للمعرفة ولكنه أضاف للخبرة الحسية الخبرة العقلية بالعلاقات بين الأشياء ، وانتهى إلى أن الإنسان

« يحس » بوجود موجود علوي ، وأن الأشياء في ذاتها غير قابلة للمعرفة ، وأن الفكر كالخبرة اللفظية التي يستخدمها ليس إلّا ترميزاً للواقع . وكان كتابه هذا أول كتاب أصيل في الفلسفة الروسية ، وترك أبلغ الأثر على بوشكين والديسمبريين والإصلاحيين والثوريين التالين عليهم ، الأمر الذي أدَّى إلى اعتباره أبا الراديكالية الاجتماعية الروسية .

رازي

(٢٥١ ـ ٣١١ هـ) طبيب الإسلام غير المنازع ، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، ولد بالري أو راغيس ، ومنها اشتقَّ اسمه ، وكانت كتبه أهم المراجع الطبية حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وأهمها جميعاً كتابه « الحاوي » المعروف باسم « الجامع لصناعة الطب» ، والذي ترجم إلى اللاتينية بعنوان Continens (١٢٧٩ م) . وكان يؤثر تجارب وحكمة السلف على التجارب الفردية ، ويرى أن النفس تتحكم في البدن ، وأن ما يجري في النفس يظهر على البدن ، ولذلك يتوجب على الطبيب المعالج للبدن أن يعرف من ضروب العلاج النفسي ما يساعده على علاج البدن . ويقوم مذهب الرازي فيما بعد الطبيعة على النظريات التي كان معاصروه ينسبونها إلى أنكساغوراس وأنباذوقليس وغيرهما ، وينهض على مبادىء خمسة قديمة ، هي الله والنفس الكلية والهيولى والمكان المطلق والزمان المطلق ، وهي مبادىء لا بد منها لوجود العالم ، فالإحساسات الجزئية تدل على الهيولىٰ بالمعنى المطلق ، والجمع بين المحسوسات المختلفة يستلزم المكان ، وإدراك ما ينتاب المادة دليل على وجود النفس ، ووجود العقل في بعض الكائنات الحية دليل على وجود خالق . ولم يمنعه القول بالمبادىء الخمسة القديمة من القول بوجود خالق يفيض منه نور روحاني بسيط ، وهو الهيولى أو النور الفائض من نور الله ، وعنه تفيض النفوس الناطقة ، ويتبعه ظل خلقت منه النفوس الحيوانية . غير أنه قد وجد دائماً منذ وجود النور الروحاني البسيط موجود مركب تكونت من ظله الطبائع الأربع ، وهي الحار والبارد واليابس والرطب . وكل الأجسام العلوية والسفلية تتألف من هذه العناصر الأربعة . ويعتقد الرازي ، تبعاً لما ظنه أفلاطون ، أن الخلاء ممكن ، وبناء على ذلك يعتبر الحركة خاصة جوهرية من خواص الجسم ، وهي حالة في الجسم وليست خاصة من خواص الطبيعة من حيث أنها مبدأ التغير فيها . ومن أغرب ما دعا إليه الرازي قوله بالتناسخ ، فبقدر ما يتوفر للنفس من تحصيل الفلسفة ، بقدر ما تكون قدرتها على بلوغ خلاصها والعودة إلى العالم العقلي ، وبذلك تتحرر ، كما يقول الفيثاغوريون ، من عجلة الولادة . أما النفوس التي لم يتم لها أن تتطهر بالفلسفة ، فإنها تستمر في العالم حتى تكتشف سر الفلسفة الشافي فتتحول من ثم إلى العالم العقلي ، فإذا تحقق لها ذلك وعادت النفوس إلى موطنها الأصلي ، عندئذٍ يبطل هذا العالم الأدنى ، وترجع الهيولىٰ ، التي أرغمت على الاتحاد بالصورة ، إلى حالتها الأولى من الطهارة .

راسكين...... Ruskin

(١٨١٩ ـ ١٩٠٠) حنا راسكين ، إنجليزي ، كان بحق رائد النقد الجمالي للرأسمالية الصناعية في القرن التاسع عشر ، وشارك نقده بطريقة مباشرة في تشكيل الفكر العقائدي للطبقة العاملة في بريطانيا وتأصيل الاشتراكية من خلال تأثيره على وليام موريس . وكان أبوه تاجر خمور ، وبدأ راسكين الكتابة وهو بعد طالب في جامعة أكسفورد . وأبرز كتبه « **أحجار البندقية The Stones of Venice** » (ثلاث مجلدات ١٨٥١ ـ ١٨٥٣) و « **الاقتصاد السياسي للفن The Political Economy of Art** » (١٨٥٧) .

وفلسفة راسكين فيها الكثير من كارلايل ، ويعتقد أن وظيفة الفنان هي الكشف عن الجمال بوصفه حقيقة عالمية ، وأن أي إفساد للطبيعة الخلقية للفنان هو إفساد بالتبعية لهذا الكشف ، والفنان لا يمكن بدوره أن يكون

خيراً إذا كان المجتمع فاسداً ، وفي أي مجتمع هو مرآة فضائله الاجتماعية والسياسية ، وعندما لا يكون الفن استجابة كاملة عميقة للحياة العضوية في العالم ، فذلك لأن المجتمع الذي يعيش فيه يفتقد أصلاً هذه الاستجابة ، ولكي نصحح الواحد لا بد من تصحيح الآخر ، وكما أن الفن تعبير عن جوهر طبيعة العالم ، أو ما يسميه راسكين الجمال النموذجي ، فإن وظيفة الإنسان أن يمارس حياته كاملة بشكل يتكامل مع وظائف الكائنات الأخرى بما يحقق التصميم الرائع الذي بني عليه العالم . لكن الرأسمالية الصناعية غرست الفردية ، وأساءت إلى مفهوم العمل ، وجعلت المنافسة منهجاً للمجتمع ، وأحلت القيمة التبادلية محل القيمة الأخلاقية أو القيمة الجوهرية ، وجعلت قوام المجتمع قوانين العرض والطلب ، فوضعت الاقتصاد فوق الإنسان ، وأحالته إلى مجرد عامل ، وحالت بين العمل والسعي نحو تحقيق كمال الانسان ، وعزلت بين الانسان وعمله : ولا سبيل لإصلاح كل ذلك إلا بنظام اجتماعي يتيح لكل إنسان أن يمارس دوره في البناء العالمي ، وأن يفهم الثروة بمعنى أنها امتلاك وإنتاج ما يفيد ، إذ أن ما تنتجه الرأسمالية ليست له إلا قيمة تبادلية ، ومن ثم فهو مفسدة للصانع والمستهلك معاً .

راشدال Rashdall

(١٨٥٨ - ١٩٢٤) هاستنجز راشدال، إنجليزي ، ولد في لندن ، وتعلم بأكسفورد ، وعلم بهرتفورد وباليول ونيوكوليردج ، وعين أسقفاً لكارلايل . وفلسفته مثالية شخصية Personal Idealism ، بمعنى أنها تؤكد على الطابع الفردي والفريد للشخصية سواء كانت إنساناً أم إلهاً ، وتقول باستحالة تواجد المادة بلا ذهن أو بلا علاقة بذهن ،ويقصد بالذهن الشخصية ، وهذه الأذهان فردية مستقلة استقلالاً تاماً بحيث يستبعد الواحد منها الآخر ، ولا يمكن أن ينفذ وعي في وعي ، أو أن تستوعب شخصية شخصية أخرى ، بما في ذلك الله ، فالله هو الذهن اللامتناهي ، والأشخاص هي الأذهان المتناهية ، والعالم يتألف من الاثنين ، ويستحيل فيه أن تذوب شخصية الصوفي في شخصية الله ، كما تستحيل معرفة الله بالإدراك الحدسي ، لأن في الاثنين قضاء على الشخصية وحدودها سواء بالنسبة لله أو بالنسبة للصوفي العارف ، وإدراك الله لا يكون إلا بالبرهان العقلي . ويقول راشدال في كتابه « نظرية الخير والشر The Theory of Good and Evil » (١٩٠٧) ، الذي هو أهم كتبه ، بمذهب في الأخلاق لا يقوم على اللذة ، ويسميه المنفعة المثالية **Ideal Utilatarianism** تقوم فيها الأفعال الخلقية بما فيها من أكبر نفع لأكبر عدد من الناس ، ولكنها تحكم على تلك الأفعال بنوعيتها وبنتائجها ولا تفصل بين الميل الشخصي لفعل ما فيه خير الناس عن الفعل نفسه .

رافيسون Ravaisson

(١٨١٣ - ١٩٠٠) حنا جاسبارد فيلكس موليان رافيسون ، وشهرته فيلكس رافيسون ، فرنسي ، تلقى تعليمه الفلسفي على شيلنج وفيكتور كوزان ، وكان في العشرين من عمره عندما نال جائزة عن مقال له بعنوان **« رسالة في ميتافيزيقا أرسطو »** . أهم كتبه **« تقرير عن الفلسفة في فرنسا في القرن التاسع عشر »** (١٨٦٧) ، وبه تأكدت زعامته للمذهب الروحي **Spiritualism** في فرنسا ، وفيه يذهب إلى أن الفكر الفرنسي كان يتجه دائماً إلى الروحية ، وأن التراث الفلسفي الفرنسي تراوح بين الحسية والظاهراتية والمادية من جهة ، وبين المثالية من جهة أخرى ، وأن الروحية بدأت في القرن التاسع عشر مع مين دي بيران الذي جعل الإرادة نقطة البداية في فلسفته ، وفصلها عن الأحاسيس والأفكار ، وهي بداية سليمة في رأيه ، وبها يمكن التوفيق بين التجريبية والمثالية كاتجاهين متعارضين ، الأولى تحلل الأشياء إلى أجزاء وتزعم أن الأشياء مجموع هذه الأجزاء الجامدة ، فتفسر الحي بالميت ، وترد الأعلى إلى الأسفل ، والثانية تعني بما بين الأجزاء من تركيب يتجه إلى وجهة مشتركة وتفسر الأسفل بالأعلى . وتاريخ

الفلسفة هو تاريخ اعتناق أي من المذهبين أو المبدأين ، وتتجه الفلسفة الفرنسية نحو المدرسة الثانية ، إلا أن المثالية الفرنسية لها أيضاً مضمونها الخاص الذي ينحو بها إلى الروحية ، والروحية الفرنسية تجعل الغائية أصل الحياة وتوظف الآلية في خدمتها وتقول بالفكرة الموجهة الخالقة كعلة للأجسام الحية .

رامانوجا Ramanuja

براهماني هندي جنوبي ، مؤسس مدرسة الفيدانتا الهندوسية المعروفة باسم فيسيستادفاتيا أو اللاثنائية التي قامت كرد فعل لوحدانية سانكارا . ويعني بالثنائية أن الأتمان متمايزة عن البراهمان ، والأتمان هي الذات أو الروح الأزلية ، والبراهمان هي الحقيقة الكلية ، لأن العابد لا يمكن أن يكون هو نفسه معبوده .

رامزي Ramsey

(١٩٠٣ - ١٩٣٠) فرانك بلمبتن رامزي ، من رياضيي كيمبردج البارزين ، عاجلته المنية مبكراً ، وكان شديد التأثر بفتجنشتاين ، وشديد النقد لرسل وهوايتهد ، وحاول أن يعيد كتابة نظام « المبادىء الرياضية » مع إلغاء مبدأ القابلية للرد ، وبذلك يقيم نظاماً استنباطياً متكاملاً يشمل كل الرياضيات ويكشف تماثلها مع المنطق بوصفه علم الصورة الخالصة . وبعد وفاته جمع بريثويت مقالاته المتفرقة ونشرها (١٩٣١) بعنوان « **أسس الرياضيات وبحوث منطقية أخرى** » .

راموس Ramus

(١٥١٥ - ١٥٧٢) بطرس راموس ، فرنسي ، من أهم أعماله « **هيكل الجدل Dialecticae Particiones** » و « **ملاحظات على أرسطو Aristotelicae Animadversiones** » هاجم فيهما أرسطو بشدة ، ومنهج جامعة باريس ، الأمر الذي جعل الجامعة تستصدر قراراً بحظر بيع كتبه وتداولها ، ومنع مؤلفهما من الكتابة في الفلسفة ومحاضرة الناس ، ولم يرفع هذا الحظر إلا هنري الثامن ، وعين راموس عميداً للكوليج دي فرانس ، ولكن أحد الأساتذة الجامعيين ويدعى جاك شاربتيير قتله .

رايت Wright

(١٨٣٠ - ١٨٧٥) تشونسي رايت ، أمريكي ، علم بهارفارد ، وعمل سكرتير أكاديمية الفنون والعلوم الأمريكية ، وزار داروين في انجلترا سنة ١٨٧٢ ، فكانت تلك الزيارة أهم أحداث حياته ، وكان أمين سر النادي الميتافيزيقي بكيمبردج بالولايات المتحدة الذي كان تشارلز بيرس ووليام جيمس وأوليفر هولمز أعضاءه ، ويصفه البعض بأنه أول فيلسوف أمريكي في العلوم . ولقد وجه النقد الشديد لهيربرت سبنسر بدعوى جهله بالاستدلال العلمي . ويشير البعض إلى تشابه فكرة الفرضية التشغيلية Working Hypothesis عنده مع فكرة الأداتية Instrumentalism عند ديوي حيث أن الأفكار عند ديوي فرضيات يمكن تبنيها وتجربتها ، وكل تفكير تجريبي ، وليس التفكير العلمي إلا طريقة مقننة غاية التقنين من طرائق التفكير ، بينما المفاهيم العلمية عند رايت لها طبيعة الفرضيات التي يمكن تبنيها كذلك وتجربتها .

رايل Ryle

جيلبرت رايل ، انجليزي ، ولد في برايتون (١٩٠٠) وتعلم بأكسفورد ، وصار أستاذ الميتافيزيقا بها ، وأسهم في إصدار مجلة Mind ورأس تحريرها . أهم كتاباته « **التعبيرات المضللة منهجياً Systematically Misleading Expressions** » و « **إشكالات Dilemmas** » و « **مناقشات فلسفية Philosophical Arguments** » و « **فكرة العقل The Concept of Mind** » .

ولقد بدأ رايل ظاهراتياً ، متأثراً بهوسرل ، وكون نظرية أشبه بنظرية فتجنشتاين ، والفلسفة عنده نشاط هدمه رفع الخلط وسوء الفهم في التصورات التي نستخدمها في تعبيراتنا اللغوية ، وهو يعتقد ان المشاكل الفلسفية ليست مشاكل بقدر ما هي إشكالات سببها هذا

الخلط في التصورات ، وأن النهج السليم لرفع هذا الخلط لا يكون إلا بتحليل عباراتنا اللغوية لتوضيح التصورات المستخدمة والتخلص من أخطاء التصور وبيان الصواب من الخطأ ، ويسمّي الخطأ في التصور خطأ المقولة **Category Mistake** ، ويحدث هذا الخطأ عندما نلصق بمقولة معينة شيئاً ينتمي إلى مقولة أخرى ، ويقول إن ديكارت يساوي بين العقل والجسم والنشاطات العقلية والجسمية ، وهو خطأ يرتكبه مثلما نخطىء لو ساوينا بين جامعة أوكسفورد وكلياتها ودعونا أحد الناس إلى زيارة الجامعة وكأنها شيء يمكن أن نزوره بالإضافة إلى كلياتها ، بمعنى أننا نخطىء لو عاملنا العقل كشيء منفصل عن الجسم ، أو كشبح في آلة **A Ghost in a Machine** ، ويقصد أن العقل خفي كالشبح ، وهو يفكر مستتراً فيتحرك الجسم الآلة ، وهي صورة مضللة ، وكان أفضل لو اعتبرنا السلوك مظهراً للنشاطات العقلية والانفعالية ، وأنه سلوك يمكن مشاهدته وتوصيفه ، وهو ما ظنه البعض اتجاهاً سلوكياً في فلسفة رايل ، ولكنه نفاه مقدماً . ولرايل نظرية في المعنى باعتبار الكلمات وليست الجمل هي حاملة المعاني ، ومن ثم ينبغي تعلم الكلمات وتدريسها وليس الجمل ، وتعلم اللغة هو تعلم مفرداتها وإعرابها ، غير أن اللغة تستخدم في التخاطب وهو نشاط نمارسه عن طريق اللغة ، والجملة هي وحدة التخاطب وليست وحدة اللغة ، وتدور نظرية المعنى عند رايل على الكلمات أساساً وليس الجمل ، ويرى أن نظريته يفسرها كثيراً ما يسميه هو بنظرية فايدو ـ فايدو **Fido- Fido Theory** ، وهي النظرية التي تحاول أن تجد لكل معنى كلمة شيئاً يقابل الكلمة كما يقابل الطلب فايدو اسمه فايدو .

رايش **Reich**

(١٩٠٧ ـ ١٩٥٧) وليام رايش ، يهودي نمسوي وطبيب نفسي ، اشتهر بنظريته في تحليل الشخصية ووظيفة الهزة الجنسية والوظيفة الاجتماعية لكبت الجنس والعصاب ، وقال بثورة ثقافية وطريقة في العلاج النفسي أطلق عليها اسم العلاج النامي **Vegeto- Therapy** . واعتنق الماركسية لإيمانه بأن العلاج الفردي لن يستأصل الأسباب الاجتماعية التي تهيىء لانحراف الفرد سيكولوجياً ومن ثم انضم للحزب الشيوعي ليمارس العلاج بطريقة جماهيرية نفسياً واجتماعياً ، وأنشأ لذلك عدداً من العيادات النفسية للعمال في مناطق تجمعاتهم الصناعية ، إلا أنه اكتشف أن الشيوعية تتبع نفس المناهج الفاشية ، ومن ثم فقد فصله الحزب الشيوعي لنشره كتابه « **التحليل النفسي الجماهيري للفاشية** » (١٩٣٣) . ولقد أبعدته الماركسية عن التحليل النفسي بطريقة فرويد وكانت سبباً في تطويره منهجاً للعلاج النفسي يقوم على تحرير الانفعالات المكبوتة وكسر الدروع التي تحتمي خلفها الشخصية المريضة وتكوين دروع صحية تزيد من كفاءة المرء للحياة في عالم يستلزم الكفاح والجهاد مع النفس والآخرين ، ولا يمكن أن يخلو من التجارب المؤلمة ، ويسمي رايش هذا الإنسان الصحيح باسم الإنسان التناسلي ، وهو الإنسان القادر على تهيئة نوع من الوجود السعيد لنفسه ، وقد ينجح في ذلك طالما أنه يعيش في مجتمع معوق ، لكنه على الأقل لن تعوقه انفعالات لامعقولة ومخربة مصدرها نفسه ، ولن يحترم المؤسسات الاجتماعية احتراماً يلغي شخصيته ويتبعه لهذه المؤسسات ، وينكر عليه حقه في الحياة الكريمة . وهو يقول إنه في فلسفته وفي علاجه يهدف إلى إقامة عالم يستطيع المرء أن يتكيف معه ويحقق لنفسه فيه الإشباع الانفعالي وممارسة ملكاته ؛ وهو لا يفصل بين البدن والعقل ، ويصف الانفعالات بأنها عمليات فسيولوجية ، وأن كبتها يجبر الجسم على استحداث الطرق البديلة لتصريف طاقاتها ، ومن ثم فالأعراض البدنية للأمراض النفسية هي الجانب البدني لهذه الأمراض وليس مجرد أعراضها ، وأنه لعلاج هذه الأمراض لا بد من تصريف طاقات الانفعالات المكبوتة التصريف السوي ، وأنه ليس أكثر

لتخريب شخصية الأطفال من تربيتهم في بيئات ومدارس متسلطة معادية للحب ، تذوي في ظلها كل دوافع الطفل الحيوية ، ولا يمكن علاج المرضى فردياً بطريقة مجدية ، لكن تغيير الأطر الاحتمالية يجعل من الممكن تغيير الهياكل النفسية على نطاق جماهيري ، ويسمي الثورة التي ستستحدث ذلك الثورة الثقافية ، ويصفها بأنها ليست بروليتارية لأنها ليست فاشية ولا تعتمد على الشعارات والموسيقى العسكرية وطوابير الشباب ، ولكنها ثورة اجتماعية بدأت مؤخراً وأيقظت غرائز الانسان الحيوان التي ظلت نائمة لآلاف السنين ، وكانت إرهاصاتها التعليم والعمل المختلطين ، والإحاطة بالقيم الخلقية التقليدية ، وتقويض النظام السياسي الأبوي ، وبالطبع ستتولد في أول الأمر فوضى اجتماعية ، لكن الأمور ستتبلور أكثر في اتجاه ديموقراطية حقيقية تقوم على الحرية والإشباع الانفعالي الحقيقي .

رايشنباخ .... Reichenbach ....

(١٨٩١ ـ ١٩٥٣) حنا رايشنباخ ، يهودي ألماني ولد في هامبورج ، وتعلّم بالمدرسة العليا للتكنولوجيا بشتوتجارت وحصل على الدكتوراه في الاحتمال ، وعلَّم ببرلين واستانبول وهاجر إلى أمريكا قبل الحرب العالمية الثانية وعلَّم بجامعتيّ كولومبيا والسوربون ، وكان أحد الذين ارتبطَ اسمهم بالوضعية المنطقية ولو أنه يتحدث عن نفسه كتجريبي منطقي ، ورغم ذلك فقد اشترك مع كارناب في إصدار مجلة العلم الموحّد الناطقة باسم الوضعيين المنطقيين ، إلاَّ أنه قد اختلف معهم في نظرية المعرفة فعندهم أن القضيتين المباشرة وغير المباشرة يكون لهما نفس المعنى إذا كان ما يمكن أن يحقق بهما صدقهما واحداً ، وعنده أن العلاقة بينهما ليست علاقة استقرائية ولكنها احتمالية ، ولذلك يرفض رايشنباخ نظرية صدق المعنى عندهم ويفضل عليها نظرية في احتمالية المعنى ، فالقضية تكون ذات معنى إذا كان من الممكن التحقق منها بدرجة من الاحتمال ، وتكون القضيتان لهما نفس المعنى إذا كانت لهما نفس الدرجة من احتمالية التحقق ، ومن ثم يقول رايشنباخ بأن العبارات العلمية عن العالم لا تتساوى في المعنى بالعبارات الحسية التي تصفه ولكنها ترتبط بها برباط احتمالي ، وهو يبني على ذلك بإمكان استنباط وجود حالات فيزيقية للعالم مستقلة بدرجة من الاحتمال عند انطباعاتنا عن العالم ولكنها في الوقت نفسه مسئولة عن هذه الانطباعات . ولقد عرف رايشنباخ بإسهاماته في دراسة الاحتمال والاستقراء والمكان والزمان والهندسة والنسبية وميكانيكا الكم والقوانين العلمية .

رزامية

أتباع رزام بن رزم ، فرقة من الشيعة ، قالوا الدين معرفة الإمام فقط ، ومنهم من قال الدين أمران ، معرفة الإمام وأداء الأمانة ، ومن حصل له الأمران فقد وصل إلى الكمال وارتفعت عنه التكاليف .

رسل .... Russell ..

(١٨٧٢ ـ ١٩٧٠) برتراند آرثر وليام رسل ، بريطاني من أسرة عريقة ، كان جده رئيس وزراء الملكة فيكتوريا ، وأبوه في العماد الفيلسوف جون ستيوارت مل ، ومات أبواه وهو بعد في الثالثة ، وكفلته جدته وكانت من الموحدات المنكرة للتثليث وألوهية المسيح ، ودخل جامعة كيمبردج في الثامنة عشرة ، وكان السابع من طلاب الامتياز في الرياضيات ، وكانت له تجربة شبه دينية (١٩٠١) فقد انغمس في السياسة وهو لم يزل حدثاً ، وكان عضواً بالجمعية الفابية ، وأحسَّ فجأة أن الناس تعيش في بؤس شديد من الوحدة والعزلة ، وأنهم في أمس الحاجة إلى ما يقلل من شعورهم ذاك المضني ، واتجه بكليته إلى معارضة الحرب والقسوة في التربية وعقوبات القانون الجنائي والجفوة في العلاقات الشخصية والعنف في الحياة العامة ، وانكبَّ لذلك على كتابة المقالات الصحفية وتنظيم المظاهرات ، وعيِّن لمدة ست سنوات أستاذاً للفلسفة بجامعته ، لكنه فصل منها لنشاطه السياسي

المعارض ، وحاول تطبيق نظرياته في التربية في المدرسة التجريبية التي افتتحها مع زوجته الثانية ، وبعد الحرب زار الاتحاد السوفييتي ، وكان كاشتراكي قد رحَّب بالثورة البلشفية ، لكنه أراد أن يشهد تجربة تطبيقها ، لكنه عاد من زيارته والخيبة بادية عليه ، وتعلل أصدقاؤه بأنه لو نشر أي نقد للتجربة فسيكسب الرجعيون من النقد ويستغلونه لمحاولة إعادة النظام القديم ، لكنه بعد تردد قرر نشر الحقيقة كما رآها ، وكان يعتقد أن ما رآه ليس إلاَّ سجناً رهيباً سجانوه من المدعين ، وعندما رأى أصدقاءه يصفقون لجلاديه ويحيونهم كمخلصين ويسمون ما يجري فيه محاولة لخلق جنة ، لم يدر ما إذا كان هو المجنون أم أصدقاؤه . وكان كتابه . . النظرية والتطبيق في البلشفية The Theory and Practice of Bolshevism » (١٩٢٠) مثيراً لما ورد فيه من تنبؤات ، فقد تكهَّن ، قبل أن يسمع أي واحد في أوروبا الغربية باسم ستالين ، بما يمكن أن يؤدّي إليه الوضع القائم ، حرفياً ، من اتجاهات نحو التعصب القومي والعسكرية والعداء للفن والعلم وتسلّط البيروقراطية وتسلق الانتهازيين والمتشدّقين والمنافقين واستبعاد الاشتراكيين والمنظرين الحقيقيين . وزادت عزلة رسل السياسية والاجتماعية فالوطنيون لم ينسوا له دعوته إلى السلام التي سموها دعوة انهزامية ، والاشتراكيون لم يغفروا له معارضته للاتحاد السوفييتي ، وكان يردد قول الإنجيل معزياً نفسه « إنك لن تأتي الشر لأن الناس تأتيه » . وكان يرى أن أعظم الشر هو الخوف ، وأن التربية السائدة تغرسه في قلوب النشء ، وأنه يتعين مراجعة أساليبها ، وأن العالم كي يتجنّب الحروب والشقاء عليه أن يقوم بثورة تربوية ، وأن تسعة من كل عشرة أشخاص تلقوا تعليماً تقليدياً فاشلون في حياتهم العامة والزوجية ، وأن التربية التقليدية تتلف الملكات الإبداعية وتثبط همة البحث الحر ، وأن الطفل الذي يتعلّم بالقسر يتجاوب بالكراهية ، فإذا لم يتيسَّر له أن ينفث عمَّا في نفسه منها كبتها وأخفاها في لاشعوره ، وجرت الويلات عليه وعلى المجتمع بقية حياته ، وكانت دعوته التربوية دعوة تحررية Libertarian لكنها لم تكن إباحية ، ولم يكن يمانع في قيام علاقات جنسية سليمة قبل الزواج ، وبين طلبة الجامعة ، وكان يعارض الزواج عن غير حب ، واستمراره عندما ينتهي منه الحب ، وجرت عليه آراؤه المشاكل وأوقعته في تجربة مريرة (١٩٤٠) فقد عيَّنته جامعة نيويورك أستاذاً بها لكن أسقف المدينة أرسل خطابات إلى كل الصحف يشجب تعيين رسل بوصفه داعية إلى الزنا وملحداً يتباهى بإلحاده ، ويعيب تنصيبه أستاذاً يدعو الشباب إلى ما يدعو إليه ، وانضمَّ الحزب الديموقراطي للحملة ، ورفعت إحدى دافعات الضرائب قضية تطالب بإلغاء قرار التعيين ، وطالب محاميها بمحاكمته لمناهضته للقوانين التي تدين اللواطة ، وتصل عقوبتها في نيويورك إلى أكثر من عشرين سنة ، وأصدر القاضي حكمه بإلغاء التعيين . وبعد ذلك بعشر سنوات (١٩٥٠) عندما حصل على جائزة نوبل للآداب ، عادَ إلى نيويورك بدعوة من جامعة كولومبيا واستقبل استقبال الفاتحين ، ولم يشبهه إلاَّ استقبال فولتير بباريس (١٧٨٤) ، المدينة التي سجنته من قبل وقضت بنفيه . وكان رسل شبيهاً بفولتير من عدة وجوه ، فلم يحدث أن صار لمفكر كل هذا العدد الذي كان لهما من القراء وكانا يتمتعان بأسلوب فذ وبديهة حاضرة ، وقضيا طفولة مملة ، ولم يمنع رسل من الانتحار سأماً إلاَّ حبه للرياضيات ورغبته في الاستزادة منها وانخراطه في الحركات الاجتماعية ، وجرَّ على نفسه السجن مرتين بمعارضته الحروب ، الأولى (١٩١٨) لأنه هاجم وجود الجيش الأمريكي في إنجلترا وفرنسا بمقال في التريبونال ووصفه بأنه جيش لكبت الحريات وتخويف المعارضين ، يشهد بذلك تاريخه في أمريكا نفسها ، ووصف القاضي رسل بأنه قد فقد كل معنى للاحترام ، وقضى بسجنه ستة شهور وتغريمة مائة جنيه ، ولم يدفع رسل الغرامة فباعت الحكومة جزءاً من مكتبته منها كتب نادرة في الرياضيات لم يستطع تعويضها أبداً . وكانت المرة الثانية (١٩٦١) لمدة أسبوع لإثارته الرأي العام والتظاهر ضد

التسلح النووي ، وكان وقتها في التاسعة والثمانين . ورشّح نفسه في الانتخابات مرتين ، الأولى عن الاتحادات النسائية ليستخلص حقوق المرأة ، والثانية عن حزب العمال ، وفشل في المرتين . وكان يعيش أفكاره ولم يمنعه الفشل أن يتزوج أربع مرات ، وكانت نظرته للزواج نظرة مثالية ، فالزواج أهم وأسمىٰ علاقة يمكن أن تربط بين اثنين ، ولكنه كان شجاعاً يرفض أن يستمر في علاقة نقد مضمونها ، ووصفته لجنة نوبل بأنه يستحق الجائزة لشجاعته التي جعلت منه بطلاً غير هياب منْ أبطال حرية القول والفكر ، ووصفه جورج سنتيانا بأنه فرنسيس بيكون القرن العشرين لشجاعته العلمية التي جعلته أكبر دعاة الفلسفة العلمية وإمام التحليل المنطقي . وكان من أغزر المفكرين إنتاجاً ، وفي مرحلته الأخيرة كان ينشر كتاباً كل عام ، حتى أربت كتبه على الخمسة وثلاثين ، كان أهمها « عرض نقدي لفلسفة لاينتس A Critical Exposition of The Philosophy of Leibniz » (١٩٠٠) ، و« مبادىء الرياضيات Principles of Mathematics » (١٩٠٣) ، و« الأصول الرياضية Principia Mathematica » (١٩١٠ - ١٩١٣) بالاشتراك مع هـ وايتهد ؛ و« مقالات فلسفية Philosophical Essays » (١٩١٠) ، و« مسائل الفلسفة Problems of Philosophy » (١٩١٢) ، و« معرفتنا بالعالم الخارجي Our Knowledge of the External World » (١٩١٤) و« الصوفية والمنطق Mysticism and Logic » (١٩١٨) ، و« المدخل إلى الفلسفة الرياضية Introduction to Mathematical Philosophy » (١٩١٩) و« تحليل العقل The Analysis of Mind » (١٩٢١) و« تحليل المادة The Analysis of Matter» (١٩٢٧)، و« الدين والعلم Religion and Science» (١٩٣٥) و«بحث في المعنى والصدق An Inquiry into Meaning and Truth » (١٩٤٠) ، و« تاريخ الفلسفة الغربية A History of Western Philosophy » (١٩٤٦) ، « والمنطق والمعرفة Logic and Knowledge » (١٩٥٦) و « لماذا أنا لست مسيحياً Why I Am Not A Christian » (١٩٥٧)و « حكمة الغرب The Wisdom of the West » (١٩٥٩) و « برتراند رسل يكشف عمّا في فكره Bertrand Russel Speaks His Mind » (١٩٦٠) . وكان تطور رسل الروحي من خلال ميوله الرياضية ، وكان قد قرأ إقليدس في الحادية عشرة من عمره فعشق الرياضيات ولم يعجبه منه استناده الكثير للبديهيات دون برهان ، وأخذ عن مل منهجه في العلوم التجريبية ، وتحول إلى الفلسفة ليجد بها ما يبرر اعتقاده بصدق الرياضيات ، وكانت الاتجاهات السائدة في جامعته هيجلية فصار هيجلياً ، لكنه قرأ منطق هيجل الكبير وأذهلته أحكامه الساذجة ، فانصرف عن هيجل إلى جورج مور والواقعية ، والتقى بجيوزيبي بيانو العالم الرياضي والمنطيق الإيطالي (١٩٠٠) فكان حدثاً في حياته ، انكبَّ بعده على كتابة مبادىء الرياضيات ، والأصول الرياضية بمساعدة ألفريد نورث هوايتهد ، يرد بهما الرياضيات إلى المنطق يريد أن يجعل من الفلسفة أداة لفهم العالم لحل مشكلاته ، فليست مهمة الفلسفة بناء نسق فلسفي على طريقة الفلاسفة التقليديين ، لكنها تدرس الكون لتتعرف عليه وتتناول منه مسائل جزئية بمنهج علمي ، ولأنها فلسفة علمية تستبعد من مجالها مسألة الوجود ككل والخير والشر ، فهدفها ليس تحسين العالم ولكن فهمه ، وما من سبيل إلى فهم العالم إلاَّ باصطناع اللغة التي تيسّر لنا ذلك ، ووجد رسل هذه اللغة بتطبيق المنطق الرياضي أو الرمزي على اللغات الطبيعية ، وباصطناع نظرية الصورة المنطقية Logical Form ، وبذلك يقضي على العبارة المنطقية التقليدية ، التي تنقسم إلى موضوع ومحمول والتي كانت السبب في إخفاء البناء المنطقي للعبارة وفي تخبّط الفلاسفة في متاهات الميتافيزيقا . وليست مهمة المنطيق الرياضي إلاَّ تحويل العبارات من لغتها الطبيعية إلى صورة منطقية تجعلها واضحة مفهومة لا تحتمل اللبس فالمنطق هو صميم الفلسفة ، والمشكلة إن لم

تكن منطقية فهي ليست فلسفية ، ومهمة المنطق خلق اللغة المثالية التي تطرح القضية طرحاً كأوضح ما يكون ، وكانت أكبر إسهامات رسل أصالة في مجال المنطق الرمزي نظريته في الأنماط Theory of Types حيث يقول إن فئة الأشياء ليست أعضاء ضمن هذه الأشياء ، فلفظة إنسان مثلاً اسم لفئة مجموع البشر ، لكن لفظة إنسان ليست واحداً من البشر ، وكذلك فإن فئة الأعداد ليست عدداً ضمن الأعداد ، ومن ثم فلفظة فرد تشير إلى نمط يختلف عن النمط الذي تشير إليه لفظة فئة . وما يكون صحيحاً أو باطلاً عن أشياء في نمط معين ، لا يجوز أن يكون صحيحاً أو باطلاً عن أشياء من نمط آخر إذا كان لكل منهما معنى ، وخاصة إذا كانت إحدى الفئات هي ما صدق لمحمول معين ، فإن من غير المعقول أن نطبق ذلك المحمول على تلك الفئة ، ومن ثمَّ فإننا عندما نقول عن فئة الإنسان أنها إنسان ، لا يكون ما نقوله باطلاً فقط بل وبغير معنى . ومهمتنا بإزاء أيّة عبارة لا تنحصر في الاستيثاق من بطلانها أو صدقها ، ولكنها تتعدّى ذلك إلى التيقن من أنها عبارة ذات معنى . ولقد كان لنظرية الأنماط تأثيرها التاريخي القوي لأنها لفتت النظر إلى أن العبارة قد تكون سليمة نحوياً ولكنها لا تعني شيئاً ، مثلما أقول « إن ما أقوله الآن كاذب » ، وهي عبارة تشير إلى نفسها وتصف نفسها بالكذب ، فإذا كانت عبارة كاذبة فعلاً فإن ما أقوله فيها كاذب ، وإذاً تكون العبارة ليست كاذبة ، وحيث أنها إما أن تكون كاذبة أو صادقة ، فإنها لا بد أن تكون صادقة طالما أنها ليست كاذبة ، لكنها تقول عن نفسها إنها كاذبة ، ولا بد إذاً أن تكون كاذبة ، فإذا كانت كاذبة فعلاً فإنها تكون صادقة وهكذا إلى ما لانهاية . وهذا التناقض تناقض في الدلالة Semantic Paradox ، يضطرنا إلى ترتيب الأشياء وأجزاء الكلام في سلم من الأنماط ، بل والتفريق بين اللغة التي تشير إلى واقعة معينة باعتبارها اللغة الأساسية Basic Language ، واللغة التي تتحدث عن اللغة (مثل عبارة « إن عبارة السماء تمطر عبارة عربية ») باعتبارها لغة وراء اللغة A Metalanguage ، واللغة التي تتحدث عن اللغة التي وراء اللغة Metametalanguage وهكذا . ويفرق رسل بين المعرفة بالوصف والمعرفة بالاتصال المباشر ، والأخيرة تجريبية تقوم على ما يتصل به الفرد اتصالاً مباشراً ، ومعنى الاتصال المباشر بالشيء أنه موجود وجوداً حقيقياً ، وأن له الخواص التي أدركها المدرك فيه . أما وجود الأشياء وخواصها التي نعرفها عن طريق الوصف وحده ، فهو موجود مشكوك فيه . ويسمي العوالم المدركة بالحس المنظورات Perspectives ، لكن بالإضافة إليها توجد أعداد لانهائية من المنظورات غير المدركة بالحس كان يمكن أن ندركها إذا كنا في الموضع والحالة المتلائمين ، وطبقاً للمبدأ الذي يقضي بإمكان الاستدلال بالكائنات المعلومة على وجود كائنات مجهولة ، ولا تقوم هذه على معطيات الحس المباشرة ولكن على معطياته الممكنة وإذا استطاعَ الفيلسوف أن يحدد كلماته ، وأن يصوغ ما عنده من معرفة أولية في شكل علاقات بين أبسط وقائع يمكن أن يبلغها الفهم ولا ينكرها العقل ، فإنه يكون قد قام بمجهود فلسفي حقيقي ، وأحالَ الشيء المشكل إلى شيء غير مشكل ، والغامض إلى شيء واضح ، وغير المؤكد إلى شيء مؤكد . ويطلق رسل على هذا المنهج التركيبية المنطقية Logical Constructionism ، حيث تكون الوقائع المركبة عبارة عن بنايات من الوقائع الأبسط منها تنهض على معطيات الحس المباشر لتجربة الملاحظ ولتجارب غيره ولتجارب من يمكن أن يتواجدوا في نفس ظروفهم ، فإذا كان هذا هو الأمر مع الواقع الخارجي فماذا بشأن العقل ؟

كان رسل حتى ١٩٢٠ من القائلين بالثنائية Dualism ، أي بوجود العقل والمادة ، فالأشياء المادية تركيبات أو بنايات من معطيات من النوع المتداول في الإدراك الحسي ، والعقل نفسه يتألف من معطيات حسية داخلية . هي موضوعات للوعي المتأمل الباطن ، كالصور والانفعالات ، وفي كل نشاط واعٍ موجه للعالم الداخلي أو الخارجي ، فبالإضافة إلى المعطيات

التي نعيها ، يوجد الشخص أو الذات الذي يمارس الوعي والتجربة . لكن رسل عندما تملكته فكرة التركيبية المنطقية ، وسيطرت عليه فكرة الاختزال أو الرد ، لم يجد ما يبرر القول بوجود عقل ومادة ، واقتفى خطى وليام جيمس وقال مثله بمذهب الأحادية المحايدة وذهب إلى أن العقل والمادة بمثابة تركيبات منطقية استمدت من معطيات لا هي بالعقلية ولا هي بالمادية ، ولكنها محايدة ، هي مادة التجربة تتجمع في تركيب معين وتترابط تبعاً لقوانين السيكولوجيا وتساعد على تكوين العقول ، ولكنها عندما تترابط تبعاً لقوانين الفيزياء تكون الأشياء . وهذا الاختزال الذي يستخدم لإتمامه مبدأ أو نصل أوكام Ockham's Razor ، والذي يقضي بالتقليل ما أمكن من عدد الموجودات ، والذي يقضي بمقتضاه على ثنائية العقل المادة ، يسير وفقاً لروح المنهج التجريبي وكشوف الطبيعة النووية ، فمثلما ترد الفيزياء العالم إلى الالكترونات ، فإن مذهب الأحادية المحايدة يرده إلى أبسط الموجودات التي نلتقي بها في الخبرة المباشرة ؛ وليس هذا الضرب من التفكير من قبل رسل من باب الولع بالاقتصاد الذهني ، ولكن يبرره بسبب إبستمولوجي هو اعتقاده أنه كلما قلّ عدد الموجودات التي يفترضها الفيلسوف كلما قلّ احتمال تردّيه في الخطأ . ثم هناك الناحية الميتافيزيقية للنظرية والتي يبسطها فيما يسميه **الفلسفة الذرية المنطقية The Philosophy of Logical Atomism** ، حيث يرى أن هناك تماثلاً بين بنية الواقع وبنية اللغة المثلى التي تعبّر عنه ، فمما لا شكَّ فيه أننا نستطيع التعبير عن الواقع بعدة طرق ، كل منها بديل عن الآخر ، لكن واحدة فقط هي التي يمكن أن تعبر عن التعبير الأمثل . ويفرض الأخذ بهذا الجانب الميتافيزيقي من النظرية التزاماً ميتافيزيقياً يقضي بأن نماثل بين اللغة والواقع ، ويفرض علينا ذلك بالتبعية أن نأخذ بمبدأ الأطلاع Principle of Acquaintance الذي يقضي بأن تكون كل قضية مطلوب طرحها أو فهمها مؤلفة من عناصر يلم بها صاحبها ، ومن ثمَّ فإن أي تعبير لغوي يكون مفهوماً لو أنه كان يشير إلى أشياء قد خبرناها ، أو يمكن أن تفسره تعبيرات لغوية أخرى تشير إلى أشياء خبرناها ، ومعنى ذلك أن الموضوعات المادية التي لا يتسنّى التعبير عنها بهذه الطريقة لن يتيسر لنا أن نعرف عنها شيئاً ، وأهم من ذلك لن نفهم أي كلام يُقال عنها ، ومن ثمَّ يكون لزاماً علينا ونحن نعبر عن الواقع بأقل عدد من الجمل وأوجزها أن يرتبط معنى هذه الجمل الذرية ارتباطاً مباشراً بالخبرة نفسها ، بأن يكون قوامها أسماء وصفات لمعطيات حسية وعلاقات بين هذه المعطيات وأن لا يكون بها أي التباس أو غموض ، فإذا توافر كل ذلك للجملة ، وكانت تعبيراً عن موجودات لا يمكن تحليلها إلى أبسط منها ، **سميت جملة ذرية Atomic Sentence** ، وبديهي أن جملة بهذه الأوصاف لن تكون تعبيراً إلَّا عن واقعة ذرية محتواها جزء دقيق جداً خاطف من الخبرة الحسية . والذرية المنطقية هي النظرية التي تقول إن كل معرفة يمكن التعبير عنها بجمل ذرية وبمركباتها الدالة على صدقها . والمركب الدال على الصدق Truth - Functional Compound لجملتين هو المركب الذي يدل صدقه أو بطلانه على صدق أو بطلان عناصره ، فجملة ـ « أنا راحل وأنت باق » مثلاً هي مركب دال على الصدق لجملتي « أنا راحل » و « أنت باق » ، لأن المركب صادق طالما الجزآن صادقان ، بمعنى أن لهما ما يقابلهما في الخبرة والواقع الخارجي . وما من شك أن منهج رسل في البنايات المنطقية ونظريته في الأوصاف هما محاولتان لتطبيق التحليل المنطقي على بعض مسائل الفلسفة . ونظريته في الأوصاف Descriptions Theory تميز بين التسمية باسم العلم مثل قول سكوت ، والتسمية بعبارة وصفية مثل قول مؤلف ويفرلي ، وقد يقيم البعض مقالاً بين العبارتين ، لكننا بتطبيق التحليل المنطقي على عبارة « سكوت هو مؤلف ويفرلي » نستطيع تحليلها إلى ثلاث عبارات : « هناك شخص س كتب ويفرلي » و «وإذا كان ثمة من كتب ويفرلي فإن من هو نفسه س» و « ليس صواباً أن شخصاً كتب ويفرلي وليس هو

سكوت » . ومعنى ذلك أن شخصاً واحداً هو الذي ألف ويفرلي ، وأن العبارات الوصفية كمؤلف ويفرلي ليست أسماء أعلام ، والفارق بين الاثنين أن اسم العلم يشير إلى مسمى هو معناه ، أما العبارة الوصفية فليس لها معنى إلَّا في جملة ولا تعني شيئاً وحدها . فإذا سلَّمنا بأن لأمثال هذه العبارات مسميات في عالم الواقع لكانَ علينا أن نسلم بوجود كائنات واقعية لكل ما يخترعه خيالنا من عبارات وصفية .

وكان رسل أخلاقياً متحمساً ، لكن اهتمامه كان بما يسمى الآن القضايا وراء الخلقية Metamoral or Metaethical Issues ، كوضع المبادىء الخلقية ومعناها ونوع الخلافات بصددها ، وكان يرى أن العبارات الأخلاقية ليس لها صدق موضوعي ، وأن الخلاف حول مسائل الأخلاق مسألة تذوق ، ويفسر التذوق بأنه اتجاه أو وضع سيكولوجي أو رغبة Desire ، ويقول إن ما ينبغي فعله هو في الحقيقة ما يريدنا الآخرون أن نفعله ، وأطلق على نظريته مبدأ ذاتية القيم Subjectivity of Values ، ويقول إن الحكم الأخلاقي تعبير عن الرغبة ، والحكم الأخلاقي الذي له قيمة في ذاته هو الحكم الذي يبدي رغبة تنقل رغبة الناس ، مثلما أقول الكراهية شر فإني أعبر عن تمنياتي لو أن أحداً لم يكره أحداً . ويميز رسل بين الرغبة الشخصية التي تعبر عمَّا يفيد صاحبها ، والرغبة غير الشخصية التي تعبر عمَّا لا يفيد صاحبها كالرغبة في إلغاء الرق . والأحكام الخلقية تعبر عن رغبات لاشخصية ، ولقد كان الخلاف دائماً حول الأحكام الخلقية في الواقع خلافا حول الوسائل وليس الغايات ، ولم يكن المختلفون على علم بحقيقة خلافهم .

ورسل في مسائل الدين يسمي نفسه لاأدرياً أحياناً ، ومنكراً Atheist أحياناً أخرى ، واللّاأدرى هو الذي لا يستطيع أن يبرهن على عدم وجود الله ، والمنكر هو الذي على يقين من عدم وجوده ، وهو حائر بين الموقفين ، لكنه على يقين من أن الدين مآله للانقراض ، وأنه ينتسب إلى مرحلة الطفولة من تاريخ تطور الفكر البشري ، وأن الرحلة الحالية قد تجاوزته ، لكن طالما أن البشرية تعيش في عوز وصراع وحروب واضطهادات ،وتحيى في شقاء ، ستستمر في حاجة إلى الدين ، لكنها عندما تحل مشاكلها سيفنىٰ الدين مع مشاكلها . ولم ينكر رسل أن فلسفته غير المؤمنة تبدو كئيبة ، وأن قوله بعدم وجود إلّه يجعل الإنسان يقف وحيداً في العالم ، وأنه حالما يدرك أنه وحده ، وأن العالم ليس أفظع منه ، وحالما يحس بفظاعة العالم في صدره ، ويقف ليواجه فظاعته بشجاعة ، ويتحداها ويعيش برغمها ، ويكفّ عن الشكوى وعن الرثاء لنفسه ، عندئذٍ يبدأ يعيش ويعرف معنى السعادة . ويبدي رسل دهشته من إعجاب الناس بكل ضروب الشجاعة إلَّا بشجاعة الفكر الحر والرأي المستقل ، فالحرية تخيف الناس ، ومسؤوليتها تدير رؤوسهم ، ومن يجرؤ على التفكير لنفسه دون خوف لأن يتهم بالمادية ، ولكن الإنسانية لا يمكن أن تتقدم إلَّا بالتزود بالشجاعة التي لا تلين لمواصلة الطريق سعياً وراء الحقيقة .

روافض ......

فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، وتسمَّى بالشيعة أيضاً ، وهم الذين شايعوا علياً وأولاده على إمامة المسلمين بعد النبي (ﷺ)، ورفضوا سواه ، وقالوا إن الإمامة إن خرجت عنهم فبظلم أو تقية، وقيل إنهم إثنان وعشرون فرقة ، وأصولهم ثلاث فرق : **الغلاة والزيدية والإمامية** .

رواقية .... **Stoicism** .

نسبة إلى رواق Stoa بوليجنوس المزدان ، والمسمَّى لذلك بالرواق المصور Stoa Poikile ، بأثينا ، الذي اتَّخذه زينون Zeno مقراً له يجتمع فيه ، فدُعي أصحابه بالرواقيين ، وأطلقَ عليهم الإسلاميون اسم أصحاب المظلة ، وحكماء المظال ، وأصحاب الأصطوان ، والروحانيين ، وعرفهم عن طريق

فلوطرخس وكتاب لغز قابس ، وأثرت الأخلاق الرواقية في صوفية الإسلام .

والرواقية فلسفة أخلاقية ، كان نشوؤها في وقت كان نجم أثينا في طريقه للأفول ، ومن ثمّ كانت الرواقية فلسفة عالمية وفدت على أثينا مع الأجانب من غير اليونانيين ، وكان مؤسسها وخلفاؤه حتى ظهور المسيح من الآسيويين ، وإن كانوا قد تلقّوا تعليماً يونانياً ، وتأثروا بالفكر اليوناني ، فأخذوا عن هرقليطس قوله بالنار الحية ، واللوغوس أو العقل أو الله المنبثّ في الكون ، ولم يعنوا كالميغاريين بغير القياس الاستثنائي وأقبلوا على المفارقة ، وتجاوزوا إلى الكلبيين الخصائص القومية إلى ما يميّز الإنسان عالمياً ، أي بوصفه كائناً طبيعياً وظيفته أن يستكشف في نفسه العقل الطبيعي ، وأن يحيى وفق الطبيعة والعقل . واستقبلوا سقراط في قوله إن الفضيلة علم والجهل رذيلة ، وكان نموذجهم الخلقي في حياته ومماته ، ومثلاً لضبط النفس العاقل ، فقالوا إن الانفعال سلوك يصدر عن قوة غير عاقلة ، أو أنه العقل قد صارَ غير عاقل بسيطرة الشهوة وتأثير الأحكام الكاذبة .

وازدهرت الرواقية الأولى في القرن الثالث قبل الميلادي التي دعا إليها زينون من سيتيوم Citium بقبرص، وخلفه عليها إقليتوس (٣٣١ - ٢٣٢ ق.م) من أسوس بآسيا الصغرى، وأرسى دعائمها أقريسيبوس Chrysppus (٢٨٠ - ٢٠٦ ق. م) من سولي Soli بجنوب شرقي آسيا الصغرى ، ويترجمه القفطي بكريزيب . واشتهر من فلاسفة الرواقية المتوسطة في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد ديوجين السليوسي ، وبانيتيس الروديسي ، وبوسونيوس الملقب بأقريسيبوس الرواقية المتوسطة . وكان أفول الرواقية المتأخرة في القرنين الأول والثاني الميلاديين ، وبرز من فلاسفتها سنيكا وإيبكتيتوس ، وكان آخر فلاسفتها الامبراطور ماكيوس أوريليوس . والفلسفة في الرواقية هي محبة الحكمة وممارستها، والحكمة هي العلم بالأشياء الإلهية والإنسانية ، وتنقسم إلى العلم الطبيعي والمنطق والأخلاق ، وهي تشبه الحقل الخصيب ، أشجاره العلم الطبيعي ، وثماره الأخلاق ، وسياجه المنطق . والمنطق هو علم الجدل والكلام ، ويبحث في الكلمة من نواحٍ ثلاث ، الصوتية والمعني والشيء المعني . والمعني قد يكون إثباتاً أو استفهاماً أو أمراً ، وما شابه . ويعالج المنطق الرواقي الإثبات أساساً ، وخاصة القضايا الشرطية المركبة ، التي تتضمن نسبة بين شيئين أو قضيتين ، تربطهما صيغة « إذا . . إذن » ، مثل إذا كان النهار طالعاً فالشمس ساطعة ، والنهار طالع ، إذن فالشمس ساطعة . واكتشف الرواقيون القضية الشرطية المادية ، وهي القضية التي تضم مقدمتها الكبرى تقابلاً بالتضاد أو بالتناقض ، مثل ليس صحيحاً أن يكون أفلاطون قد مات وأن يكون حياً ، ولكن أفلاطون قد مات ، إذن ليس أفلاطون حياً ، أو ولكن أفلاطون حي ، إذن ليس صحيحاً أن أفلاطون قد مات . وكان اهتمامهم بالقياس الاستثنائي Rigorous Inference الذي يستخرج النتيجة من القضية المركبة ، وقالوا إن القضايا المركبة خمس ، والأقيسة خمسة . وكان اهتمامهم بترابط القضايا انعكاساً لإيمانهم بترابط جزئيات العالم وتفاعلها . والمعرفة عندهم حسية، فالشيء يطبع صورته في العقل، وتتكون له صورة عقلية يصدقها العقل ويفهمها ، ويستقرّ به معناها ، ومن الإدراكات الجزئية والمعاني الكلية يقوم العلم . ويشبه زينون درجات المعرفة باليد ، فالمعرفة الحسية يد مبسوطة وأصابع ممدودة ، فإذا صدقها العقل قبض عليها كاليد المقبوضة قبضاً خفيفاً ، فإذا فهمها كان كقبضة اليد ، فإذا ربط بين أجزائها ونظمها في نسق علمي كان كاليد المقبوضة بشدة ومضغوطاً عليها باليد الأخرى .

ويتماثل علمهم الطبيعي مع اعتقادهم الديني ، فالله هو خالق كل الأشياء ، والمنسّق بينها جميعاً ، وله الأسماء كلها ، فهو زيوس ، والنار الحية ، والأثير ، واللوغوس ، والعقل ، والروح ، وقانون الطبيعة ، والعناية ، والقدر ، والنظام . والرواقيون موحدون ؛

وهم لا يقولون إن الأشياء تحدث في الزمان ، ولكن الزمان عندهم بعد للأشياء ، وحركة التاريخ دورية وليست للأمام أو الخلف. والأخلاق الأبيقورية تنشد السلام الروحي ، وتتوسل إلى ذلك بالفضيلة ، ولا تمايز لفضيلة على أخرى ، والشجاعة هي العلم بما يخيف ، والذكاء هو العلم بالخير ، والعدالة هي العلم بطريقة إعطاء كل ما يخصّه ، والحكمة هي أن يطابق الحكيم بين إرادته والإرادة الكلية ، والإنسان الحكيم مثل يُرتجى وليس حقيقة واقعة ، ولكن الإنسان الفاضل يحاول أن يتشبه بالحكماء ويحذو حذوهم ، وأن يخدم الإنسانية بصرف النظر عن الجنس أو الوطنية ، أو الطبقة الاجتماعية ، والرواقي في ذلك عكس الأبيقوري ، وهو أقرب إلى المواطن العالمي ، ويريد أن يجعل المجتمع صورة من الكون في نظامه وتعقله .

روبينيه ...... Robinet

(١٧٣٥ ـ ١٨٢٠) حنا بابتيست روبينيه ، فرنسي ، كتابه الرئيسي « في الطبيعة **De la Nature** » (أربعة أجزاء ١٧٦١ ـ ١٧٦٨) ، تميز بسعة الاطلاع حتى ظنه النقاد من مؤلفات ديدرو أو هلفتيوس أو توسان ، وطرح فيه نظرية تقرب من نظرية الارتقاء حيث قال بأن الكائنات بما فيها الأحجار والنجوم كلها من أصل جرثومي واحد ، ولكنها تنوعت واختلفت في مدارج الارتقاء ، والإنسان أعلاها جميعاً بحكم التعقيد الهائل الذي بلغه تكوينه ، وكل الكائنات تدخل في صراع بيولوجي من أجل البقاء ، ولكن وجودها جميعاً متوازن بمعنى أن أحدها لا يلغي الآخر ، والتعادلية هي سمة الوجود ، فالشر والخير متعادلان ولا يمكن أن يتدخل الله ليحسم التناقض بينهما لصالح الخير . وكان روبينيه لهذا السبب من المناهضين للاسترقاق ، فزعم أنه شر إلَّا أن فيه كذلك جوانب من الخير ، وهو لازم للدولة ، وكل شيء في الوجود مزيج من الشر والخير ، وكل شيء تشيع فيه الحياة طالما الأشياء جميعاً من أصل واحد ، حتى الأحجار والكواكب ، ومن ثم فكل شيء قادر على التكاثر . وكان لروبينيه تأثير كبير على هيرورهيجل ، وتعتبره الموسوعة الفلسفية السوفييتية من الفلاسفة الماديين .

روديجر ..... Rudiger

(١٦٧٣ ـ ١٧٣١) أندرياس روديجر ، ألماني ، تعلَّم في هال ، وحصل على الدكتوراه في الطب . أهم كتبه « **الفلسفة التركيبية** » (١٧٠٦ ـ ١٧٠٧) من ثلاثة أقسام : الحكمة والعدالة والتدبر . ويضم القسم الخاص بالحكمة المنطق والفلسفة الطبيعية ، والقسم الخاص بالعدالة الميتافيزيقا والقانون الطبيعي ، والقسم الخاص بالتدبر الأخلاق والسياسة . ويقوم منطقه على دراسة أصل وتطوّر الأفكار التي يقول إن مصدرها الحواس مع وجود بعض العناصر العقلية الفطرية . وروديجر من أتباع معلمه كريستيان توماسيوس ، وفلسفته تقوم على نفس الأساس : الواقع الذي ينهض على الأحاسيس والخبرة. وفي فلسفته الطبيعية حاول أن يربط الفيزياء التوماسيوسية والتقوية الأرواحية أو الروحية بالمذهب الآلي ، لكنه كان يغلب العنصر الروحي . وينصب اهتمامه بالقانون الطبيعي على الواجبات نحو الناس ، والميتافيزيقا عنده هي علم الواقع ، ولذلك فهو يناقشها تحت عنوان العدالة . أما التدبر فيضم الأخلاق لأنها العلم الموصل إلى السعادة الأرضية ، ويضم السياسة لأنهما علم الحكم . وكان لروديجر تأثيره على تطور فلسفة كروسيوس من خلال تلميذه هوفمان ، ومن ثمَّ كان له تأثيره على كل الفلسفة الألمانية .

روزنتسفايك ...... Rosenzweig

(١٨٨٦ ـ ١٩٢٩) فرانز روزنتسفايك ، ألماني ، وجودي ، متدين ، تخصَّص في هيجل ، ولكنه مرَّ بأزمة روحية (١٩١٣) تحوّل على أثرها إلى الدين ، وانصرف بكليته إلى دراسة اليهودية وأسَّس مركزاً للدراسات اليهودية بفرانكفورت (١٩٢٠) . أهم كتبه

« نجمة الخلاص » (١٩٢١) ، ينقد التراث الفلسفي الأوروبي ويدين محاولة هيجل اختزال عناصر الواقع الثلاثة ، وهي الله والعالم والإنسان ، إلى عنصر أساسي واحد ، حيث تستنبط المثالية الألمانية الله والعالم من الوعي الإنساني ، وحتى هذا الوعي تجعله وعياً عاماً يحيل الإنسان الفرد والوعي الفردي إلى لامعنى ، لكن روزنتسفايج يرى أن الفكر ليس إلاّ أحد مركبات الوجود ، وهو لا يسبق الوجود ، والإنسان له معنى لأنه حي ، وهذا أكثر من كونه جزءاً من الطبيعة والعالم ، ولكن الأساطير القديمة جعلت الإنسان بمعزل عن الآلهة والعالم ، وهو يقف وحده في أساطير اليونان ، لكن الديانات الكتابية مازجت بينهم ، وجعلت الله خالق العالم والإنسان ، وجعلته يوحي للإنسان بفعل حبه له ، وأيقظَ هذا الحب الإنسان على وعيه بذاته وبالعالم المحيط به ، ومن ثمَّ تغلَّب على عزلته ، واستجاب لحب الله بحبه لجاره والمشاركة في الأخذ بيد العالم إلى الخلاص . ويقول روزنتسفايج بأن ممثل التقليد الجديد هو الفيلسوف اللاهوتي .

روس Ross

وليام دافيد روس ، بريطاني ، ولد في اسكتلنده سنة ١٨٧٧ ، وتعلَّم بإدنبرة وباليول بأكسفورد ، وعيِّن عميداً لكلية أوريل ، ومحاضراً للفلسفة بأكسفورد ، وكان تخصصه في أرسطو وأشرف على نشر عدد من مؤلّفاته ، غير أنه أسهم في طرح مفهوم أخلاقيي أكسفورد ، وكتابه «**الحق والخير** The Right and The Good» (١٩٣٠) يناقش معاني الصواب والخير والباعث والواجب والرغبة، ويبدو فيه متأثراً بريتشارد تلميذ جون كوك ويلسون الواقعي ، وبويلسون نفسه ومور ، وينتقد بشدة المذهب الذاتي في الأخلاق والنفعية المثالية .

روسلان Roscelin

(نحو ١٠٥٠ ـ نحو ١١٢٠) فرنسي أولع بالخطابة والجدل ، وكان أسبق القائلين بالمذهب الإسمي ، قام بالتدريس في عدد من المدن ، وكان له مريدون وخصوم في كل منها ، لكن خصومه زادوا على مريديه ، وضاعت كتاباته بين الاثنين ولم يصلنا منها إلاَّ ما كتبه معارضوه ، وأخصهم ثلاثة : القديس أنسلم وأبيلار وجون أوف سالسبوري . وهو يدخل التاريخ لأول مرة سنة ١٠٩٠ مجادلاً القديس أنسلم ، وقد يلخص إسهامه الفلسفي قوله بأن الجزئي هو الموجود ، وأن وجوده غير متجزىء ، وتحليله يعني إعدامه طالما أنه جزئي ، وليس تمييزنا للجنس والنوع والجوهر والعرض إلاَّ تمييزاً لفظياً يقتضيه الكلام ، وما الكليات إلاَّ أصوات خارجة مع النفس Flatus Vocis أو مؤثرات صوتية أو مجرد أسماء ، فعندما نفصل إنسان عن سقراط ، نفعل ذلك بالكلام فقط ، لكن الواقع أن الإنسان الذي نتحدث عنه هو سقراط . فإذا كان الأفراد هي الأشياء الوحيدة الحقيقية ، والأنواع مجرد كلمات ، فإن الأقانيم التي تقول بها لغة اللاهوت حقيقة بالنسبة لجوهر الله ، بحيث يمكن القول بثلاثة آلهة بدلاً من إلّه واحد ، لكن هذا القول مرفوض ، ومن ثمَّ يجعل روسلان للأقانيم الثلاثة قدرة واحدة وإرادة واحدة ، لكن خصومه لم يقبلوا استدراكه واتَّهموه بالقول بآلهة ثلاث ، ويبدو أنه توصل إلى إسميته عن طريق بويثيوس أو بويس الذي يقصر المقولات على الألفاظ لا على الأشياء .

روسو Rousseau

(١٧١٢ ـ ١٧٧٨) جان جاك روسو ، ولد في جنيف ، ومات في باريس ، وعانى في طفولته كثيراً ، ولم يتلق إلاَّ تعليماً بسيطاً ، ولكنه ابتداءً من السادسة عشرة ترك جنيف ، وارتدَّ عن البروتستنتية إلى الكاثوليكية ، وجابَ المدن والأقطار ، وساكن نساء أكبر منه سناً ، وعلَّم نفسه ، وتعرَّف إلى فلاسفة وعلماء عصره ، وكتب كثيراً ، ويبدو أن حياته القاسية أصابته بعقدة اضطهاد فكان سيء الظن بالناس دائم التشهير بهم وبنفسه ، شديد الكبرياء ، ومع ذلك فقد ربطَ نفسه لفترة من الزمن بخادمة (١٧٧٤) أنجبت منه خمسة

أطفال دخلوا جميعاً ملجأ للّقطاء . وكانت أخصب سني حياته الفترة التي عرف فيها مدام ديبناي d'Epinay ، وفيها كتب « خطاب إلى دالمبير » (١٧٥٨) و « إلواز الجديدة Le Nouveau Héloise » (١٧٦١) و « إميل Emile » (١٧٦٢) ، و « العقد الاجتماعي Le Contrat Social » (١٧٦٢) . غير أنه كتب غير ذلك « مقال في العلوم والفنون » (١٧٥٠) ، و « مقال في أصل اللّامساواة » (١٧٥٥) ، و « نظرات في حكومة بولندا » (١٧٧١) . وتقوم فلسفته فيها جميعاً على نقد شديد للمدنية الأوروبية بما تفرضه على الإنسان من حاجات وأهداف مزيفة تنسيه واجباته كإنسان وحاجاته الطبيعية ، وتجعله ضحية تناقضاته الداخلية واللّامساواة التي تمثل في تاريخه السقوط من حال السعادة في المجتمعات الطبيعية إلى حال البؤس في المجتمع الحضاري . ويصف روسو الفنون بأنها وسائل لهو لا تعبر عن حاجات الإنسان وعلاقاته الحقيقية ، مبعثها الفراغ الذي يعيش فيه والغرور الذي أفسد عليه طبيعته . وهو يقترح كعلاج نظرية في التربية تقوم على تربية الأطفال في الريف بعيداً عن التأثيرات الحضارية الزائفة ، وتنقسم إلى مرحلتين الأولى سلبية يترك فيها الأطفال على سجيتهم مع عالم الأشياء يكتشفونها بأنفسهم وينمّون قدراتهم بالاحتكاك المباشر بها والاعتماد على الحواس والتعلّم بالمحاولة والخطأ ، فإذا بدأ الطفل يعي الآخرين ويطأ عالم الناس بعد عالم الأشياء بدأت تربيته إيجابياً ؛ وبدأ إدراكه الضرورة ، وانتقاله من حال الطبيعة إلى حال الاجتماع ، ومن الغريزية والتلقائية إلى التعقل والأخلاق . والطفل عندما يعيش وفق طبيعته يعيش المعنى الخير المطبوع عليه ، لكنه عندما يعيش في مجتمع يطلب الفضيلة . ولذلك لا تتحقق الأخلاق إلّا من خلال الاجتماع ، والمجتمع الصالح هو الذي يهيىء ظروف التربية ليعيش الطفل وفق طبيعته الخيرة ، ثم لينمو إلى إنسان اجتماعي فاضل ، ولذلك تتلازم الأخلاق مع السياسة ، فلكي يكون الإنسان أخلاقياً ينبغي أن يكون اجتماعياً ، ولكي يكون اجتماعياً ينبغي أن يكون سياسياً ، ولا يبلغ الإنسان نضج الشخصية إلّا عندما يسهم مع الآخرين في النفع العام . والناس في المجتمع الصالح متساوون ، لكن بعضهم سيحاول دائماً الافتئات على حقوق غيره والاستبداد بالسلطة والثروة ، والإنسان لا بمكن أن يكون إنساناً إلّا في الحرية ، ونزع الحرية عن الإنسان هو إلغاء مسؤوليته عن أفعاله ، ولنتجنب اللّامساواة والظلم ينبغي أن يدخل الجميع في عقد يلتزمون بطاعته ويمارسون حرياتهم في ظله ، ولا تكون الطاعة بمقتضاه للحاكم ، لكنها للإرادة العامة التي تعلو على كل إرادات الأفراد ، وليست الإرادة العامة سلطة خارجية لكنها التجسيد الموضوعي للطبيعة الأخلاقية للإنسان ، لأنه إذ يطيع القانون يجسد انتماءه الأخلاقي للمجموع ويحقق لنفسه حريتها بإطاعة القانون الذي ارتضاه لنفسه ، ومن خلال القانون يتحرر كمخلوق عاقل من إسار الشهوات ويسير على درب العقل ومنهج الضمير ، ولكي يعطي روسو لهذا الولاء للعقد الاجتماعي معنى مقدساً قال بما أسماه الدين المدني ، ومبادؤه بسيطة هي الإيمان بالله وبالآخرة وبالحساب وطرح التعصّب . وهو يؤكد على الإيمان بالله لكنه لا يؤمن بوجود وساطة بابوية أو كنسية بين الإنسان والله . وكل من يتنكّر لهذه المبادىء خائن يهدد الدولة بالفوضىٰ والانحلال . وحاول البعض أن يتّخذ من دعوة روسو هذه ذريعة لاعتباره من أنصار الدكتاتورية الكليانية Totalitarianism ، لكن ينقض هذا الرأي أن نقطة البداية عند روسو هي الحرية ، ومع ذلك فلم يكن ليبرالياً ، وانتهى نهاية لا تتمشّى مع مضمون فلسفته السياسية .

رومانسية .... **Romanticism**

مرحلة في الأدب والفن خاصة ، في تاريخ الثقافة الأوروبية الغربية ، بدأت في أواخر القرن الثامن عشر حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر . والمزاج الرومانسي مزاج أساسي لا دخل للثقافة فيه ، فالناس تولد إمّا كلاسيكيين أو رومانسيين . والشخصية الرومانسية

نمط من أنماط الشخصية ، حساسة وانفعالية ، تفضل اللون على الشكل ، والغريب على المألوف ، شغوفة بالتجديد والمغامرة ، تحب الفوضىٰ ، وتعشق أن تعيش في قلق وخطر ، وتولع بالفريد لدرجة الغرابة ، ولا ترضىٰ بالنمطي ، وتهوىٰ الكلمات والأحاسيس ، وقد تزهد في الدنيا وتتجه إلى التصوف وتغالي فيه . ويؤثر الألمان أن يقولوا عن الرومانسي أنه ديونيسي ، نسبة إلى ديونيسيوس إلّه الخمر والعربدة عند الإغريق ، وعن الكلاسيكي أنه أبولوني ، نسبة إلى أبوللو إلّه الشعر والموسيقىٰ والجمال . وقد يغلب الطابع الرومانسي أو الديونيسي على عصر من العصور ، وعندئذٍ يخفت الطابع الأبولوني أو يصمت تماماً . وفي العصور الأبوللونية قد يتمرد الديونيسي ، وهكذا كان فيكوف صدر القرن الثامن عشر . ويميل المزاج الرومانسي في التصوير إلى الألوان الزاهية والمناظر الشرقية والرسوم المزدحمة ، وفي الهندسة إلى الطراز الغوطي ، وفي الموسيقىٰ إلى الأنغام العاصفة وموسيقىٰ البرنامج ، وفي الرواية إلى التمرد على الروتينية والعقلانية ، والانطلاق نحو اللاّنهائي (رواية فاوست لجوته) ، وفي الشعر بايرون وحياته العاصفة وثورته الأبدية ، وفي التاريخ سكوت وتيبري وماكولي والاعتقاد في التقدم والسعي نحو التحرر والمساواة والإخاء والمجتمع المفتوح ، وفي الفلسفة رفض العقلانية . وكان شوبنهاور نموذج الرومانسي المتطرّف الذي يرفض عالم الظواهر والإدراك الحسي ، ويقول بالإرادة العمياء التي تحرك العالم ، ويصفها بأنها الحقيقة ، وأنها قوة غير عاقلة وشريرة ، ويقول عن الحياة أنها مؤلمة ومتعبة ورحلة غير سارة . لكن التشاؤم لم يكن وحده هو النغمة المفردة في الفلسفة ، فكان يقابله تفاؤل هيجل . وكان معظم الفلاسفة الرومانسيين من الألمان ، واستلهموا جميعهم كنط ، وهو الذي يميز بين الأشياء كما هي في العقل ، وكما هي في الظاهر ، ويحل التناقض بينهما بملكة تكاد تكون هي الحدس أو الإيمان . وطوّر فخته وشليرماخر هذا الاعتماد الرومانسي على الحاسة التي تفوق المنطق الحساس العادي . وقال هيجل بالروح والمادة ، أو بالواقع واللاّواقع ، واستخلص منطقية الجدل القائم على الأطروحة ونقيضها ، وحل التناقض بينهما بمركب الأطروحة والنقيض الذي يتجاوزهما معاً في صيرورة تاريخية أبدية هي الغاية في حد ذاتها ، وبينما لا يضع هيجل للعالم نهاية نجد شوبنهاور يجعل العالم في صيرورته يتجه إلى الزوال ، وصارت الفلسفة الرومانسية عند كارلايد وإمرسون وراسكن وألكوت فلسفة متعالية تقول بالحدس والروح والإحساس والخيال والإيمان واللاّنهائية ، وكانت هروباً من العقلانية ، ومادية العلم ، وصرامة التكنولوجيا ، وآلية الصناعة ، إلى المغامرة ورحابة التعبير .

رومي .....

(٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م - ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م)

جلال الدين الرومي ، أكبر شعراء الصوفية ، فارسي ، ولد في بلخ ، وتوفي بقونية ، وتأثر تأثراً شديداً بشمس الدين تبريزي ، وأقام الطريقة المولوية التي تقوم على الذكر بالرقص ، وأهم كتبه المثنوي في ستة مجلدات ، عبارة عن أشعار يلقيها إلقاء بلا إعداد ، تعبر عن عشقه لله على نحو شعري متحرر ، يبدو فكره فيها متأثراً بالغزالي وابن عربي والعطار ، والله عنده قيمة مطلقة ، والخير والشر منتسبان إليه ، والحقيقة موكلة بالعدم والوجود ، والعدم مكان صنع الله ، وهو يخلق بأن يهمس في الأشياء بكلمات ساحرة وهي نائمة في العدم ، وهو يهلك الكل في آنات الزمان ، وكل مخلوق رمز لتحرر الروح من المادة ، وكان الإنسان في الأصل حجراً ، وصار نبتة ، فحيواناً ، فإنسان ، وسيشرف الإنسان على الهلاك ويغدو شيئاً لم تره عين إنسان . والإنسان جسم وروح أعمق ، وعقل أكثر عمقاً ، وروح وحي أعمق الجميع لا يكون إلاَّ للأولياء ، ومن خلاله يتحدث الله . وبيت أسرار الله هو الإنسان وليس الكعبة ، والقلب الصادق أرفع من الشعائر ، وإن كانت الشعائر نافعة كالهدايا التي يقدمها الحبيب لحبيبه ،

وعلى الإنسان أن يحب صنع الله لا مصنوعه كما يفعل عبدة الأصنام ، وأن يتبين حريته التي هي التحرر من المادة والحاجة ، وأن تمام الحرية هي مرتبة الأولياء ، وأن الموت ليس فناء القطرة في البحر ، لكنه القرب من الله ، كقرب الحديد من النار ، فيتخذ الحديد خصائص النار ولكنه لا يفقد خصائصه .

رويس Royce

(١٨٥٥ - ١٩١٦) جوزيا رويس ، أمريكي ، تعلّم بجامعات كاليفورنيا وهو بكنز ولينبرج وجوتنجن ، وتتلمذ على بيرس ووليام جيمس وهيرمان لوتز . فلسفته مزيج من الواقعية التي تدور حول الخبرة والممارسة ، والمثالية ، ويعد خير من يتحدث عن المثالية المطلقة من الأمريكيين ، وبسبب الدور الذي يضفيه على الإرادة ، وخاصة في عملية المعرفة ، يطلق هو نفسه على فلسفته مذهب الإرادة المطلقة Aboslute Voluntarism أو المذهب العملي المطلق أو البراجماتية المطلقة Absolute Pragmatism ، ووجهة نظره دينية بسطها في أهم كتبه « **الجانب الديني للفلسفة The Religious Aspect of Philosophy** » (١٨٨٥) و « **العالم والفرد The World and the Individual** » (١٩٠١ - ١٩٠٢) و **مسألة الولاء Philosophy of Loyalty** » (١٩٠٨) و « **فلسفة المسيحية The Problem of Christianity** » (١٩١٣) .

ويرى رويس أن الحكم هو الفعل الأساسي للفكر ، ولا قيمة للحكم إلّا إذا افترضنا فكراً أكمل حاصلاً على موضوع الحكم لا يأتيه الباطل ولا يستدعي الشك الذي يدفعنا إلى الحكم . ومن جهة أخرى فإن الفكرة لكي تكون عملية ينبغي أن تتشخص ، وتشخصها نقص ، ومن ثم فهي كلية وناقصة في آنٍ واحد ، والمطلق كلي وناقص يتكامل من خلال الأفراد الذين يصنعون مصائرهم بحرية ، والإنسان باكتشافه النقص الذي لم يصنعه هو يعرف الفكر المطلق ، وبدون افتراض هذا الفكر لن يفهم النقص ولا الزيف ولن يأتيهما ، وهو لن يعرف المطلق كموجود حقيقي ، والذي تهدف المعرفة إلى معرفته ، إلّا عند انتهاء عملية المعرفة . ويعرف رويس الوجود بأنه وجود فردي أو تحقق محدد لهدف ، ويفرق بين المعنى الداخلي والمعنى الخارجي للفكرة ، ويعرف الفكرة بأنها هدف (المعنى الداخلي) يبحث عن موضوع (المعنى الخارجي) . والفكرة تزيد ومن ثم تختار موضوعها . والموضوع بوصفه التحقق الكامل للفكرة لا بد أن يكون الفرد المحدد الذي لا يسمح لأحد أن يشبهه في شيء بما أنه يريد أن يكون التحقق الكامل لهدف الفكرة . فلو قلنا إن سقراط أفطس الأنف ، فإن فكرتنا (المعنى الداخلي) نقصد الشخص الوحيد الذي نعنيه بها وهو سقراط (المعنى الخارجي) . وفكرتنا لا نقصد بها أي شخص سوى سقراط فقط ، والمعنى الداخلي يختار الموضوع (المعنى الخارجي) الذي نقيس إليه صدق أو زيف الفكرة . ويعني مذهب الإرادة أن الموضوع الذي تهدف إليه الفكرة هو تعبير عن الإرادة المطلقة . ويرى رويس أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نفسر بها كيف يمكن أن تتطابق فكرة مع موضوع يغايرها بينما يظل هذا الموضوع رغم ذلك هو نفسه الذي تقصد إليه الفكرة . ومعنى ذلك أن الفكرة جزئية وناقصة ولكنها تتطابق مع موضوع تجد فيه معناها الحقيقي وتتحقق به . وموضوعها يتجاوز جزئيتها التي بدأنا بها ، ولا سبيل إلى أن نفهم طبيعة الموضوع وصدق أو زيف فكرتنا إلّا عندما نبلغ الواقع الفردي الكامل الذي يحقق هدفنا - وبهذه الطريقة نفهم ونستطيع كذلك أن نستوعب فكرة الإنسان أو الطبيعة أو الله .

ويقول رويس إن الولاء للولاء هو القانون الخلقي الأساسي ، واعتبر ما يدعو إليه خيراً من واجب كنط الأمر ومبدأ مل في النفعية ، ويقصد بالولاء الوفاء لقضية عن اختيار حر ، وهي قضية تتجاوز الصراعات وليس فيها خداع ، وتعصب ، ومن أجل ذلك كان الولاء الذي يدعو إليه هو الوفاء للوفاء نفسه ، الذي يتجاوز المصالح ، والأهواء الذاتية ، بالاختيار الحر والإرادة

المستقلة ، فكأنَّ الخير هو تحقق الذات .

ريد .... Read

(١٧١٠ ـ ١٧٩٦) توماس ريد ، اسكتلندي ، اشتهر بأنه واضع فلسفة الإدراك الفطري الإسكتلندية ، ولد في أبردين ، وتعلَّم بجامعتها ، وعلَّم بجامعتي أبردين وجلاسجو . أهم كتبه « **بحث في العقل البشري وفقاً لمبادىء الإدراك الفطري An Inquiry into the Human Mind on The Principles of Common Sense** » (١٧٦٤) و « **مقالات في قوى الإنسان الفكرية Essays on the Intellectual Powers of Man** » (١٧٨٨) . وتقوم فلسفته على نقد ما أسماه بنظرية الأفكار Theory of Ideas عند هيوم وباركلي ، ومؤدّاها أن الإنسان لا يمكن أن يعرف شيئاً عند أي شيء خارج العقل إلَّا عن طريق البديل الذي يمثل هذا الشيء في العقل ، والذي اصطلح الكثير من الفلاسفة خاصة هيوم وباركلي ولوك على تسميته بالأفكار ، وهي تمثل كل ما ندركه أو نفكر فيه أو نتذكره من العالم الخارجي . وطالما أن العقل لا يحتوي إلَّا على أفكار فإن موضوع تفكيره لا يمكن إلَّا أن يكون أفكاراً ، ولا تشبه أفكار العقل الأشياء ، ولا توجد الأشياء مستقلة عن تفكيرنا فيها . وأعادَ ريد صياغة نظرية الأفكار فقال بالأفكار لكنه أرجعها إلى انطباعاتنا أو أفكارنا عن الأشياء ، ورد هذه إلى انطباعات وأفكار سبقتها وهكذا ، مصدرها جميعاً الخبرة الحسية ، فجعل الأفكار واقعاً مسلماً به وليست اختراعاً فلسفياً ، وجعل أساسها مادياً حسياً ، وعرف الإدراك بأنه جماع الأحاسيس والتصورات والاعتقادات ، وقال بأننا نحس الكيفيات ثم نتصور الأشياء ونعتقد بوجودها ، وأطلق على الأحاسيس التي تؤدّي إلى الإدراك اسم الرموز الطبيعية ، وشبه وظيفتها بوظيفة الكلمات ، لكن الكلمات رموز تقليدية Conventional Signsيتحتم أن نتعلم معانيها ، لكننا لا نتعلم ما تعنيه الأحاسيس وإنَّما نترجمها تلقائياً ، وهي ليست كالكلمات لكنها كلمات مألوفة ، والكلمة المألوفة تنقلنا مباشرة إلى معناها دون أن تفرض نفسها على انتباهنا ، وأطلق ريد على هذا الإدراك اسم الإدراك الأصلي Original Perception أو الفطرة Common Sense ، ومبادىء الفطرة مبادىء لا سبيل إلى إثباتها بالبينة وإنَّما يتضمنها سلوكنا وتشتمل عليها بطبيعتنا فهكذا خلقنا ، وليس لنا إلَّا أن ننبه إلى هذه المبادىء ونقر بأن الله خلقنا بها ، وحتى إدراكنا لوجود الله هو إدراك فطري كإدراكنا لوجود الآخرين ، ونحن لا نحتاج إلى أن نسوق الأدلة على أن الآخرين موجودون فيكفي أنهم موجودون وأنهم موضوع أحاسيسنا وتفكيرنا ، ونحن لا نحتاج كذلك إلى التدليل على أن الأخلاق فطرية ، فإن كنا لا نصل إلى أحكامها إلَّا بالعقل والاستدلال ، إلَّا أنها تقوم دائماً على مقدمات أخلاقية واضحة بذاتها ، فإذا بدت الأخلاق انفعالية أساسها المشاعر إلَّا أن وظيفة العقل هي تنظيم اعتقادنا وسلوكنا وتحقيق السعادة والواجب معاً ، ولذلك كان لا بد أن يسيطر العقل على عواطفنا .

وكانت لفلسفة ريد الفطرية آثار بعيدة على توماس براون ووليام هاملتون في إنجلترا ، وطبعت الفكر الاسكتلندي لأجيال وكانت بمثابة الاعتراف الفلسفي بفكر العامة الاسكتلندي ، وتأثَّر بها فيكتور كوزان وحاربَ بها التجريبية ، ورغم أنها انتهت تقريباً في نهاية القرن التاسع عشر ، إلَّا أن مور بعث الاهتمام بريد عندما جعل الفطرة موضوعاً رئيسياً من موضوعات الفلسفة الحديثة .

ريكرت ..... Rickert

(١٨٦٣ ـ ١٩٣٦) هنري هاينرش ريكرت ، ألماني ، ينتمي إلى المدرسة الجنوبية الغربية من الكنطية المحدثة . ولد بدانزج ، وتعلَّم بستراسبورج ، وعلم بفرايبورج وهايدلبرج ، وفلسفته نقدية تاريخية ، ويرى أن التاريخ هو العلم الذي يجمع بين الواقع والقيم ، وأن منهجه منهج تخصيصي يعكس منهج العلوم الطبيعية التعميمي ، وأنه لذلك أقدر على تفسير ما تتَّصف به المجتمعات والتاريخ من صفات تعددية

دينامية وعقلية ، وأنه المنهج الذي لا يزيف التاريخ ويصنع منه ظاهرة كلية ، بل يدرس العلاقات التي تربط الظاهرة التاريخية بالبيئة فإذا تناولنا التاريخ كما نتناول الظواهر الطبيعية من ناحية عموميتها ، فإن الظواهر التاريخية تصبح ظواهر طبيعية . والمنهج التاريخي منهج انتقائي ، ومن ثم فهو منهج تعمل فيه أحكام القيمة من البداية ، بعكس المنهج التعميمي الذي يحرر موضوعاته من علاقاتها بالقيم . ومع أن التاريخ هو علم القيمة فإن المؤرخ الذي يعتسف النتائج يتردَّى حتما في الدعاية، ولكي يكون التاريخ موضوعياً لا بد لقيمه من أن تكون عامة أساسها ابستمولوجي ، وعلاقاتها بالظواهر الاجتماعية علاقات تجريبية . ولأنه يكتب للمثقفين فلا بد أن تكون مادته النشاط الاجتماعي ، ولا بد أن يكون معيار المؤرخ هو الثقافة ، لأن القيم والنشاط الاجتماعي لا يجتمعان إلَّا في الثقافة ، فهدف الثقافة تحقيق القيم العامة ، ومن ثمَّ يسمّي ريكرت العلوم التاريخية بالعلم الثقافي بالمقارنة إلى تسمية دلتاي بها بالعلم الروحي أو العقلي .

رينان Renan

(١٨٢٣ - ١٨٩٢) يوسف إرنست رينان ، فرنسي ، كاتب ومؤرخ ومستشرق ، كان يعد نفسه ليكون قسيساً ، لكنه انصرف عن اندين بسبب شكوكه التي أولدتها دراساته الفيلولوجية . أشهر مؤلفاته « **مستقبل العلم L'Avenir de la Science** » ، كتبه سنة ١٨٤٨ ، ولم ينشره إلا سنة ١٨٩٠ . ويقصد رينان من مستقبل العلم أن يحل محل الدين ، والعلم الذي يتحدث عنه هو المعرفة ، ويؤمن بتطور العقل البشري ، وليس تطور اللغات والديانات إلا شواهد على تطور العقل الذي هو مفتاح العالم . وهذه الشواهد والعالم نفسه أشياء واقعية نكتشفها بالملاحظة والتجربة والنقد والخيال المنظم ، وهي قابلة للاكتشاف لأنها نتائج متداخلة لأسباب طبيعية تعمل وفق قوانين دائمة ، ولا يوجد شيء في العالم يستقصى على الاكتشاف ، وما يبدو لغزاً من الألغاز الآن سيتكشف يوماً أمام التقدم العلمي ، تستوي في ذلك العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية ، وكل العلوم تاريخية بمعنى أنها تلقي ضوءاً بدرجة أو بأخرى على التاريخ القديم ، لذلك فإن لواء الإمارة في مجال العلوم ينبغي أن يعقد للتاريخ وليس للفلسفة ، والتاريخ هو الشكل الضروري لعلم المستقبل . ودين الإنسانية الحقيقي هو العلم ، أي المعرفة ، فالعالم يتغير وفق قوانين التقدم ، والعقل البشري يزداد وعيه بذاته ، ويزداد تبعاً لذلك تحقق المثالي ويبرز وسط الواقع ، وفي النهاية سيتحقق الله ، لا بوصفه عناية مبدعة ، لكن كمثل حال في الإنسان ، بالتطور الكامل للوعي ، ولبلوغه غاية الكمال في الجمال والخلقية ، ومن ثم فالعلم أقصى غايات البشرية ، وينبغي أن تتناوله لا من باب الاستطلاع أو الانتفاع بأفضاله ، لكن بروح دينية حقيقية .

رينوفييه Renouvier

(١٨١٥ - ١٩٠٣) شارل برنارد رينوفييه ، فرنسي ، تعلم بمدرسة الهندسة بباريس ، وقت أن كانت تعج بشيعة سان سيمون ، واعتنق الاشتراكية ، شهرية « العام الفلسفي L'Année Philosophique » (١٨٦٧) يروج بها لمذهبه الذي بسطه في سلسلة من الكتب بعنوان « **محاولات في النقد العام Essays de Critique Générale** » تعد أطول سلسلة من الكتب الفلسفية في التاريخ الفرنسي . وكان آخر كتبه « **الشخصانية Le Personnalisme** » (١٩٠٣) .

ويقيم رينوفييه مذهبه على فكرة التناهي في الأعداد ، ويخضع العالم لقانون الأعداد ، ويترتب على ذلك انه متناه ، ولما كان كل موجود متناه بالضرورة ، فليس يمكن القول بموجود لامتناه . ولما كان لكل عدد شخصيته المستقلة ، فأيضاً لكل إنسان شخصيته التي تميزه عن غيره ، والتي لا يشبه فيها غَيْره ، والتي بها لا يمكن إدراجه في وعي جمعي أو إذابته في عقل كلي . والمعرفة هي خاصية كل فرد

عارف ، وما يعرفه هو ما يعتقده ، وليس ثمة فارق بين المعرفة والعقيدة . والمعرفة نسبية لأنها تقع على نسب وعلاقات ، وهي معرفة بالظواهر ، ولكنه ينعي على الظواهر قصور اسمها ، فليست توجد ظواهر وبواطن للأشياء ، والأشياء هي ما تظهر عليه . والأعداد مرتبة ، وترتيبها يعني نوعاً من العلاقة . وكل المقولات أشكال من العلاقة ، ولكنها العلاقة التي نكتشفها داخل إطار وعي الفرد . والإنسان يجاهد ليحقق هدفه ، فهو يحتوي على القصدية والعلية معاً ، ولا بد أن العالم يحتويهما معاً ، حيث تحدد العلة المسار الذي سيتخذه الحدث ، لكن وجهته يحددها الشخص الذي يخصه ، وحيث تخرج النتائج من مسبباتها طبقاً للقوانين والمبادىء ، لكن الظاهرة ، المادية أو الإنسانية ، تحدث حدثاً فيما تكون جزءاً منه ، ولا يمكن التنبؤ بما تحدثه في طبيعة الأشياء ، هذه هي العلاقة بين الحرية والجبر . إن الإنسان يدرك ، لكن إدراكه ينتظم في مقولاته ، وحريته فقط في الاختيار بين المقولات وتقديم بعضها على بعض . إن الحرية لا يمكن إثباتها ، لكنها تتوقف على نوعية الشخص نفسه ، ونوعية إرادته ، وكلما تميز الفرد كلما اتسعت حريته وصارت من صنعه ، وكلما تطابق مع الآخرين انتظم سلوكه وتضاءلت حريته ، فالفردية والحرية مترادفان ، والحرية مبدأ التفرد . والفرد يضع مبادئه بفعل ذاتي تتدخل فيه إرادته ، ولا تستحيل المبادىء على الشك ، وليس هناك يقين مطلق ، لكن هناك أناس موقنون . وليس هناك قانون مطلق للتاريخ ، وإنما هناك قوانين متعددة لكل مرحلة دون سواها ، وأي فعل حر كان يمكن أن يكون خلاف ما كان ، وإنما البدايات الجديدة هي عظماء الرجال الذين يتخذون القرارات التي تحدد الطريقة التي يعيش بها الناس ، ويصدرون الأحكام الخلقية ويتصرفون ليحققوا ما يعتقدونه الصواب ، وإذن فالأخلاق ليست نتاج التاريخ ، لكنها مصدر التغييرات التاريخية . والشر هو ما يحدد حرية الآخرين ، وهو الصراع بين الأفراد والجماعات ، والحرب وسيلة يعوق بها فرد أو أفراد إرادة الآخرين ، وليست الدكتاتورية والعبودية والغزو إلا منابت للشر ، وليس الخير إلا إقرار حرية الآخرين والعيش في سلام .

حـرف الـزاي

زاباريللا Zabarella

(١٥٣٢ ـ ١٥٨٩) يعقـوب زاباريللا ، من كبـار المتخصصين في فلسفـة أرسـطو في القـرن السـادس عشر ، علم بجامعة بادوا ، وقامت شهرته على كتاباته في المنـطق ، وخـاصـة كتـابـه « في المنـاهـج De Methodis » الذي تحدى به مدارس الفكر في عصره . وظلت كتبه تدرس بجامعات ألمانيا وإيطاليا لعدة أجيال بعد موته ، وما تزال تحظى باحترام شراح أرسطو . وهو لا يهتم بالمسائل التي تخص اللاهوت ، ومن رأيه أن المنطق ليس فرعاً من فروع الفلسفة ، ولكنه أداة بحث كل العلوم .

زافيشني Savigny

(١٧٧٩ ـ ١٨٦١) فريدريـك فون زافيشني ، أبـو المدرسة التاريخية في القانون ، وهي المـدرسة التي بظهورها قضت على فلسفة القانون الطبيعي التي سادت لفترة وكانت تعتبر العقل الخالص هو المصدر الوحيد للقانون ، ومهدت لظهـور المدرسـة الاجتماعيـة في الفكر القانوني . وكان ميلاده بفرانكفورت بألمانيا من أبوين هاجرا من اللورين ، وتيتم في الثالثة عشرة فكفله صديق تعهده بنوع من التربية على نمط التربية التي نشأ عليها جون ستيـوارت مل . ولقـد ربط القانـون بروح الأمة ، واعتبره تعبيراً عنها وعن إرادتها ، وأنكر أن يكون منحة الحاكم ، وشبهه باللغة والأخلاق ، فهي جميعاً عادات ومعتقدات في وعي الأمة ، ثم تنفصل وتصبح علوماً بتعقد الحياة الإجتماعية ، وظهور القـانون مثـل ظهور النحو في اللغة ، وظهور فئة المشرعين كظهور فئة النحويين ، وكلها أمور تجري وتنمو مع حركة المجتمع ، وتتجه معها لغة القانون وجهة علمية ، وتنتقل القوانين من مجال العادات ووعي الأمة إلى مجال الصيـاغات التقنية ووعي المشرعين ، ويصبح المشرعون هم ممثلو الأمة والمعبرون عن روحها الجماعيـة ، ومن ثم نرى القانون وقد اصبح لـه وجهان ، الأول سيـاسي يرتبط بالوجود العام للشعب ، والثاني تقني للقانون بمقتضاه وجود مجرد علمي ، وبناء عليه يصبح من الضروري أن يتوفر المشرع على القانون بروح تتميز من ناحية بحس تاريخي عال يدرك به الخصائص القانونية لكل عصر ، ومن ناحية أخرى بحس نسقي يربط بين كل فكرة وقاعدة والنظام القانوني كله . وبهذه الـروح يسيطر المشـرع على القانون ، ويستطيع أن يضع له أساسه التاريخي ، ويكشف عن المبـدأ العام الـذي يربط بين أجـزائه ، ويفصل بين ما يزال ينبض منه بـالحياة وما عفا عليـه الزمن ، ومن ثم يصبح في استطاعته أن يضع قانوناً قومياً يعبر عن روح الأمة تعبيراً صادقـاً ، الأمر الـذي جعل البعض يستنكر بعد ذلك جواز وضـع قانـون تام لكـل البشرية ولا يقول إلا بالقومية وحدها أساساً للقانون .

زرارية

بالراء المهملة ، فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب زرار بن أعين ، قالوا بحدوث صفات الله تعالى ، وقبل حدوثها له لا حيرة فلا يكون حينئذ حياً ولا عالماً ولا قادراً ولا سميعاً ولا بصيراً .

زرامية

فرقة من غلاة الشيعة ، من الحلوليين، قالوا إن الإله حل في أبي مسلم صاحب دولة بني عباس ، وأنه لم يقتل بل شبه لهم ، وأنه حي وهم على انتظاره .

زردشتية Zoroastrianism

ديانة فارسية قديمة ، تنسب إلى **زرداشت** ، ويقال إن ظهوره كان في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلادي في بعض الآراء وفي القرن السادس أو الخامس قبل الميلادي في بعض الآراء الأخرى ، وأنه ولد في أذربيجان ثم انتقل إلى فلسطين ، واستمع إلى بعض انبياء بني إسرائيل من تلاميذ النبي إرميا ، ثم رجع إلى أذربيجان ، ولما تطمئن نفسه إلى اليهودية ، فارتد إلى الأديان الفارسية . وتشبه ولادته ونشأته ولادة ونشأة المسيح ، فالله قد مازج روحه بلبن بقرة شربه أبو زرادشت فصار نطفة في رحم أمه ، فقصدها الشيطان ليفسدها ، لكن أمه سمعت منادياً من السماء يخلصها ، وعندما ولد تكلم في المهد وسمعه الحاضرون ، ولما بلغ الثلاثين بعثه الله نبياً ورسولاً ، ونسبت إليه خوارق فهو يحيي الموتى ويبرىء الأعمى ، وله كتاب هو «الأمينستا» وشرحه «الزندافستا» يقسم العالم قسمين ، الروحي والجسمي ، والخلق إلى التقدير والفعل ، والوجود إلى النور والظلمة ، والموجودات من النور والظلمة معاً ، أو من الخير والشر ، والعالم صراع بين القوتين سينتهي بانتصار إله النور أهورامازدا في آخر الزمان ، ولذلك تسمّى الزردشتية أحياناً باسم المازدية Mazdaism، وأطلق عليها الإسلاميون اسم المجوسية، والمجوسية اسم ديانة عبدة النار ، وكان زرادشت قد اعتنق عبادة النار أيضاً ، وانتشرت بيوت النار في كل أنحاء الامبراطورية الفارسية ، ومن ثم أصبحت المجوسية اسماً لكل الديانات الفارسية ومنها الزردشتية . وعندما تحدث الإسلاميون عن الزردشتية صوروها في صورة الملة التي تدعو إلى التوحيد ، كدأبهم حتى عندما تحدثوا عن الفلسفة اليونانية ، ومن ثم ظن المستشرقون أن هناك تشابهاً بينها وبين الإسلام ، والحقيقة أن الزردشتية أشبه بالمسيحية ، وكلاهما واضح فيهما الغنوص ، ولقد قضى عليها الإسلام ، في القرن السابع الميلادي ، لولا بقايا من الزردشتيين فروا من فارس إلى الهند ، ويعيشون في قسمها الشرقي وحول بومباي ، ويدعون البارسيين ، وهو تحريف لاسمهم الأصلي الفارسيين . وكان للزردشتية تأثير كبير في الطوائف الباطنية من قرامطة وحشاشين وغيرهم ، واعترفت بها البهائية وادعت أنها عثرت في الزاندافستا على بشارات بظهور الباب والبهاء . ويقال إن زرادشت مات مقتولاً في السابعة والسبعين من عمره .

زروانية

فرقة من المجوس تعبد زروان ، وهو الإله عندهم ، ومنه خرج أهرمن (إبليس) وهرمز (جبريل) ، والأول كان عندما شك زروان في علمه واهتم لذلك ، فكان أهرمن من الهم وجاء خبيثاً ، والثاني حدث من علمه فجاء خيراً ، واتخذه بعض الناس إلهاً وعبدوه ، وتقاتل إله الشر وإله الخير ثم تصالحا على أن تكون السلطة لإبليس على الأرض مدة ستة آلاف سنة ، ولذلك فالناس في البلايا والفتن والخزايا والمحن إلى انقضاء المدة ، ثم يعودون إلى النعيم الأول ، وصارت الزروانية ديناً صريحاً في عهد يزدجر الثاني في الدولة الساسانية (٤٣٨ ـ ٤٥٧م) .

زعفرانية

أتباع الزعفران الذي كان بالري ، وهم جماعة من البخارية ، أكثرهم من المعتزلة . وقيل عن هذا الزعفران إنه اكترى رجلاً على أن يخرج إلى مكة يسبه

ويلعنه في مواسم الحج ليشتهر ذكره . وكان الزعفران يناقض بآخر كلامه أوله ، فيقول إن كلام الله تعالى غيره ، وكل ما هو غير الله تعالى مخلوق ، ثم يقول مع ذلك فهذا القول خير ممن يقول كلام الله مخلوق .

زهد .... Asceticism

أسلوب في الحياة يوجب على الآخذ به التنكّر للدنيا والإعراض عن الشهوات . والزهد منه الجزئي حيث يعزف الزاهد عن الملذّات ويتعهّد نفسه بالفضائل ، ومنه الكامل الذي يتجرد فيه الزاهد من كل العروض ويعصم نفسه عن كل افتتان ، ومنه المتخفف الذي يستكفي فيه الزاهد من متاع الدنيا بالضروري ، ومنه المتزمّت الذي يزهق فيه الزاهد في نفسه كل رغبة ويتجرّد عن كل أهل ومال .

وتُنسب أقدم الأخبار الزهد لأهل الهند والصين . وكان الفيثاغوريون والكلبيون والرواقيون الإغريق من الزهّاد ، ونبّه أفلوطين إلى الجانب الزاهد من فلسفة أفلاطون ، ووضع القديسون أثاناسيوس وجريجوري النيساوي وأمبروز وأوغسطين قواعد الزهد المسيحي في القرون الوسطى . ولا يوجد في الفلسفة الحديثة زاهد إلّا شوبنهاور . وفي الإسلام كان النبي ﷺ إمام الزاهدين ، فعن ابي هريرة أنه « كان يمر بآل رسول الله ﷺ هلال ثم هلال لا يوقد في شيء من بيوته نار ، لا لخبز ولا لطبيخ . قالوا : وبأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : بالأسودين : التمر والماء » .

وكانت أقدم حركات الزهد في الإسلام ما روي عن أهل الصفة ، وكانوا جماعة من فقراء المسلمين يمضون أوقاتهم في تفهّم القرآن ، ويعيشون على ما يقدمه إليهم الميسورون من طعام ، ولهذا أطلق عليهم اسم « أضياف الإسلام » ، وفيهم نزل القرآن ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ٥٢) ، وكان منهم أبو ذرّ الغفاري وسلمان الفارسي وبلال بن رباح وعمّار بن ياسر وصهيب الرومي وخباب بن الأرت . وكان من أوائل الزهاد من الصحابة أبو الدرداء (المتوفي سنة ٣٢ هـ) وهو القائل « لوتعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة ، ولا شربتم شراباً على شهوة ، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه ، ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ، ولوددت أي شجرة تعضد ثم تؤكل » ؛ وعمران بن الحصين الخزاعي (المتوفي سنة ٥٢ هـ) ، وكان من أشد المسلمين صبراً على الآلام ؛ وأويس القرني (المتوفي سنة ٣٧ هـ) أعتى الزهاد في الدنيا حتى كان يعيش على ما يلتقط من النوى ويتصدَّق بثيابه حتى لكان يجلس عرياناً ، والحسن البصري (المتوفي سنة ١١٠ هـ) وهو الذي عرف الزهد فقال « إن رأس ما هو مصلحك ومصلح به على يدك : الزهد في الدنيا . وإنّما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكر ، والتفكر بالاعتبار ، فإذا أنت تفكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً أن تبيع بها نفسك، ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا ، فإنّما الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة » .

زوبيري .... Zubiri

خابير زوبيري ، أونطولوجي مسيحي ، ولد في سان سباستيان (١٨٩٨) وتعلّم بروما ومدريد وفرايبورج ، وعلّم بمدريد وبرشلونة ، وترجمَ هايدجر إلى الإسبانية ، وتتلمذ على أورتيجا ، ووصف بأنه وجودي مسيحي ، وهو يقول إن العلوم الطبيعية غير مشبعة ، والفلسفة هي الوحيدة القادرة على إعطاء الإنسان نظرية في الوجود ، وأنه من خلال هذه النظرية التي لا يمكن للعلماء الوضعيين أن يقيموها من الوقائع الوصفية ، يستطيع هؤلاء العلماء أن يحلوا المشاكل التي يواجهونها الآن . وهو يضيف على فلسفة هايدجر مبدأ الارتباط Religation من الفعل اللاتيني Religare بمعنى يربط ، وربما كان هو الأصل الذي اشتقّت منه كلمة دين Religion ، والإنسان لم يلق به في العصور كما يقول ملاحدة الوجوديين ، ولكنه مدفوع بشيء يحسه دائماً كالالتزام ، يفرض عليه أن يختار وأن يحقق ذاته . وهذا الشيء هو الله الذي نرتبط به ، وهذا الارتباط هو أصل

الوجود وهو البناء الأنطولوجي للشخصية .

زيدية .....

فرقة من الشيعة ، أتباع زيد بن علي بن الحسين ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ، وصاروا من المعتزلة لما تتلمذ زيد على واصل بن عطاء رأس المعتزلة ورئيسهم ، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، وقد خرج عليه شيعة الكوفة عندما سمعوا هذه المقالة منه ، وعرفوا أنه لا يتبرَّأ من الشيخين ، وسميت لذلك رافضة ، وقتلوا زيداً وصلبوه ، وانقسمت الزيدية إلى ثلاث طوائف هي الجارودية والسليمانية والتبرية .

زينون الكتيومي .... **Zeno of Citium**

(نحو ٣٣٦ ـ ٢٦٤ ق. م) ويسمى زينون الرواقي لأنه مؤسّس الرواقية ، وكانت تسمَّى الزينونية ، ثم سميت الرواقية لأنه كان يحاضر تلاميذه في أحد الأروقة ، فسموا الرواقيين ، ويسميهم الإسلاميون أصحاب المظلة أو أصحاب الاصطوان .

ولد زينون بمدينة كتيوم ، من أعمال قبرص، وكان أبوه تاجراً يؤم أثينا ويشتري الكتب ليقرأها ابنه . وفي سن الثانية والعشرين قدم إلى أثينا واستمع إلى معلميها ، ويقال إن قدومه تصادف مع قدوم أبيقور والدعوة إلى فلسفة اللذة ، فانبرى زينون يعارضها بالدعوة إلى الفضيلة بوصفها الخير الأوحد ، وإلى قانون الطبيعة أو اللوغوس بوصفه القوة الفعالة في الكون ، وكان زينون عكس أبيقور خشن الطبع والخلقة ، يأكل الطعام نيئاً ولا يشرب إلاَّ الماء القراح ولا يبالي بالحر أو البرد أو المطر . ومن الصعب أن نميز إسهام زينون من إسهام تلميذه إقلينتوس أو خليفته على الرواقية إقريسبوس ، ويقال إنه كتب «جمهورية» يصور بها دولة مثالية عالمية ليس فيها قانون لأنها لا تعرف الجريمة ، ولا تعرف الطبقات ولا الدعة ولا الكراهية ، يسودها الحب ، سكانها من الناس العاديين .

زينون الإيلي ... **Zeno of Elea** ....

(نحو ٤٩٠ ـ ٤٣٠ ق. م) تلميذ بارمنيدس ولد بإيليا جنوبي إيطاليا على ساحلها الغربي ، وكانت ثغراً أيونياً إغريقياً ، ولا نعرف عنه سوى ما أورده أفلاطون من أنه وضع كتاباً واحداً يدافع به عن معلمه ضد الفيثاغوريين ، وأنه كان أول من استخدم الجدل ، وساقَ حججه المشهورة ضد الكثرة والحركة،مؤداها ١ ـ أن الكثرة إذا كانت حقيقية ، توجب أن تكون كما هي لا تزيد ولا تنقص ، لكنها إذا بقيت بدون زيادة ولا نقصان فإنها تكون محدودة وليست كثرة . ٢ ـ وإذا كانت الكثرة موجودة حقيقة فإنها تكون لامتناهية ، بمعنى أنها كثرة آحاد ، والآحاد تفصل بينها أوساط ، والأوساط تفصل بينها أوساط وهكذا إلى ما لانهاية . واشتهر زينون بحججه الأربع ضد الحركة ، عرفت الأولى باسم حجة المضمار أو حلبة السباق The Race Course Argument ، مؤدّاها أن العدّاء لا يمكنه أن يصل إلى غايته إلاَّ بقطع نصف المسافة إليها ، ونصف النصف وهكذا إلى ما لانهاية ، واللاّنهاية ممتنعة ، ومن ثم فالحركة ممتنعة . والحجة الثانية تعرف باسم حجة أخيل The Achilles Argument ، تفترض أخيل أمهر العدائين يسابق سلحفاة،وأن السلحفاة متقدمة عليه قليلاً ، فإذا أراد أخيل أن يلحق بالسلحفاة فإن عليه أن يقطع المسافة أولاً إليها ، وهو لن يفعل أبداً ، لأن عليه أولاً أن يعبر هذه المسافة إلى منتصفها ، وأن يعبر قبل ذلك ربع هذه المسافة ، وهكذا إلى ما لانهاية ، تماماً كما حدث في حجة المضمار . والحجة الثالثة تعرف باسم حجة السهم The Arrow Argument ، ومؤدّاها ان السهم لا يتحرك في مكان ليس فيه ، ولا يتحرك كذلك في المكان الذي هو فيه ، لأنه موجود في مكان مساو له ، وكل شيء يبقى ساكناً عندما يوجد في مكان مساو لنفسه ، والسهم الطائر يوجد دائماً في المكان الذي يتواجد فيه ، ولذلك فهو ساكن دائماً . وتعرف الحجة الرابعة باسم المجاميع المتحركة The Moving Bloks Argument وتسمى أحياناً حجة الملعب The

Stadium Argument ، وتفترض ثلاث مجاميع ، كل مجموعة مؤلفة من وحدات أو نقط أربع ، تصطف في تواز في ملعب ، الأولى ساكنة في المنتصف ، والثانية والثالثة متحركتان وتتجهان بسرعة واحدة في اتجاه بعضهما عبر الساكنة ، فإن النقطة الطرفية في أي من المجموعتين المتحركتين تقطع المسافات بين النقاط المؤلفة لها في زمن هو نصف الزمن الذي تقطع فيه المسافات بين نقاط المجموعة الساكنة ، فمع تساوي المسافة بين وحدات المتحركة ووحدات الساكنة إلا أن الحركة تقطع الأولى في نصف الزمن الذي تقطع فيه الثانية ، أي أن المسافة المتساوية تقطعها في زمن (في حالة المتحركة) وفي ضعف هذا الزمن (في حالة الساكنة) ، فيكون نصف الزمن مساو لضعفه وهذا خلف ، وإذاً فالحركة وهم كما أن الكثرة وهم كما سبق .

وحجج زينون أغاليط ، وكانت شهرتها لسخافتها ، لكنها استثارت الفلاسفة في ذاك الوقت للرد عليها ، وانبروا من ثم يحللون معاني الامتداد والزمان والمكان والحركة .

أما الإسلاميون فعرفوا زينون ، وقدم لنا مبشر بن فاتك وصفاً طبيعياً لحياته ، واعتبره مؤسس المدرسة الميغارية ، وذكره الشهرستاني باسم زينون الأكبر ، وكان زينون الإيلي فعلاً زينون الأكبر ، ولكنه نُسبت إليه أقوالٌ لم يقلها .

حـرف السـين

سـاباتير Sabatier

(١٨٣٩ ـ ١٩٠١) أوجـت سـابـاتيـر ، أكبـر اللاهوتيين البروتستانت تأثيراً في الفكر الديني في أوائل القرن العشرين ، وشهدَ له البـروتستانت والكـاثوليـك بـالنجاح في التـوفيق بين مـبادىء الـدين ومقتضيـات العلم . وكان معلماً للعقائد في ستراسبورج ، وعميداً لكلية اللاهوت بباريس . أهم كتبـه « **معالم الفلسـفـة الـديـنـيـة Esquisse d'une Philosophie de la Religion** » (١٨٩٧) ، و « **نحـو نظريـة نقـديـة في المعرفة الدينية Essai d'une Théorie Critique de la Connaissance Religieuse** » (١٨٩٩) . وأطـلـق على فلسـفته اسم الرمزية النقدية لأنه اعتبر الـديانـات والمعتقـدات والمذاهـب والنحـل والأساطيـر الـدينيـة محاولات رمزية للتعبير عن التجربة الدينية بإظهار باطنها والتعبير عن الأبدي فيها بالزماني ، وعن وقائعها الروحية بالصور الحسية ، وهو تعبير تحكمه المستويات العلمية والفلسفية للعصر ولدى المتصدّين له ، ومن ثمَّ نجد من ناحية أن الرمزية الدينية القديمة تقصر عن إرضاء أهل العلم والفلسفة حالياً لأنها لم تعد مواكبة للتقدم العلمي والفلسفي ، ومن ناحية أخرى فإن العلم والفلسفة مهما تقدما فإنهما لن يبلغا الحقيقة المطلقة ، ولكن يطمئننا أن الله يعيش في وعي الإنسـان وليس في المـذاهـب والأديان ، وأن حاجة الإنسان إليه وتجربته الدينية هي خير برهـان على وجوده ، وأمـا العلم والفلسفة فهمـا وسيلتان صالحتان في مجالهما ، كما أن الأديان تعابير رمزية نسبية .

سارتر Sartre

جان بول سارتر ، أبرز المتحدثين باسم الوجـودية الفرنسية في الفلسفة والأدب والمسرح والرواية . ولد بباريس في الواحد والعشرين من يونيو ، أبوه مهندس بحري مات في الهنـد الصينية وسـارتر في الثـانية من عمره ، وتزوجت أمه وهو في الحادية عشـرة ، وكفله جده لأمه وكان معلماً مشهوراً للّغة الألمانية ، وكانت مربيته ألمانية ، وتخرَّج من مدرسـة المعلمين العليا ، ولم يكن مبـرزاً في الفلسفة وأعـاد السنة النهـائيـة ، واشتغل مدرساً ثانوياً للفلسـفة بالأقاليم ، وكانت سيمون دي بوفوار زميلته في الدراسة ، وقرأ هوسرل فسافر إلى برلين وفرايبـورج يتتلمذ عليـه لمدة عـامين (١٩٣٣ ـ ١٩٣٥) ، وعاد مدرساً ثانوياً ، واستـدعي للتجنيد ، ولم يكن نظره ولا صحته تساعدانه على الجندية ، ووقع في الأسر ونقل إلى معسكرات الاعتقال في ألمـانيا ، وعاد إلى باريس بعد توقيع الاستسلام ، لكنه انضمَّ إلى المقاومة السرية ، وشاركَ ألبير كـامي وميرلـو بونتي ، وكان يكتب المنشورات السرية والمقـالات والروايـة

والمسرحية برؤيا جديدة أذاعت الوجودية حتى أصبحت مودة باريس ، واتخذت طابعاً سياسياً التزامياً ، وكانت علماً على أدب المقاومة والمواقف ، أشهرها في الرواية « الغثيان **La Nausée** » ورباعية « **دروب الحرية Les Chemins de la Liberté** » وفي القصة « **الحائط Le Mur** » و « **الحجرة La Chambre** » ، وفي المسرحية « **الذباب Les Mouches** » ، و « **جلسة سرية Huis Clos** » ، و « **المومس المحترمة La Putain Respectueuse** »، و « **الأيدي القذرة Les Mains Sales** » ، و « **الشيطان والرّحمن Le Diable et le Bon Dieu** » ، و « **سجناء الطونا Les Sequestrés d'Altona** » ، برز بها كداعية للحرية وخصم لدود للحزب الشيوعي ، ومنحوه جائزة نوبل للآداب ، لكنه رفضها لأنه اشتمَّ منها استغلال موقفه ضد الشيوعية ، وأصدر مجلة « **العصور الحديثة Les Temps Modernes** » ، وحاول إيجاد حركة سياسية يسارية جديدة تكون نواة لحزب يساري بديل عن الحزب الشيوعي ، يستقطب به المثقفين والعمال ، وأصدر صحيفة « **اليسار La Gauche** » كل أسبوعين ، كانت منبراً للحرية وملاذاً للمضطهدين ، ووقف من الإرهاب الفكري والتصفيات الجسدية في الاتحاد السوفييتي والمجر مواقف لا تنسىٰ ، ورغم أنه كان ضد بعض المواقف العينية للحزب الشيوعي ، وضد بعض المفاهيم في الماركسية ، إلاَّ أنه كان يعتبرها فلسفة العصر لأنها رؤيا الطبقة العاملة التي تتطور بسرعة وتسير نحو فرض نفسها . وأخذ سارتر على الماركسية أنها تلغي الذاتية الإنسانية باسم النظرة الموضوعية ، مع أن الموضوعية قيمة مطلقة يضيفها الماركسي على نظرته الذاتية . وأنكرَ عليها أن تجزم بوجود حركة جدلية في الطبيعة ، بها يصير الجديد إلى ضده ليندمج في مركب آخر ، مع أن المادة عاطلة وتعجز أن تخلق شيئاً بذاتها . واستنكر أن يكون الجدل المادي قانوناً عاماً يحكم الطبيعة والتاريخ والفكر ، لأن ذلك يعني أن التاريخ يتحقق خارجاً عنا ودون حاجة إلينا . ويعتمد سارتر بشدة على النقد ، ويستمد معظم أفكاره من الفلاسفة الذين يتعرض لأعمالهم بالنقد ، ويكاد يقتصر تراثه الفلسفي على فلاسفة العقلانية والمثالية من ديكارت حتى كنط ، ومن هيجل حتى هوسرل وهايدجر ، ويبدو واضحاً تأثره العميق في مراحل حياته بهوسرل أولاً ثم بهايدجر وهيجل ، وأخيراً بكارل ماركس .

ولقد بسطَ أفكاره في كتب كانت معالم لتطورات ثلاثة في حياته ، ففي الطور الأول كان سيكولوجياً ظاهرياً ، نشر « **تعالىٰ الأنا La Transcendence de l'égo** » (١٩٣٦) ، و « **نحو نظرية في الانفعالات Esquisse d'une Théorie des Èmotions** » (١٩٣٩) و « **الخيالي** : السيكولوجية الظاهرية للخيال **L'Imaginaire: Psychologie Phénoménologique de L'imagination** » (١٩٤٠) ، وفي الطور الثاني كان أونطولوجياً ، نشر « **الوجود والعدم** : **بحث في الأونطولوجيا الظاهرية L'Etre et le Néant: Essai d'ontologie Phénoménologique** » (١٩٤٣) ، و « **الوجودية مذهب إنساني L'Existentialisme est un Humanisme** » (١٩٤٦) ، وفي الثالث كان وجودياً له ميول ماركسية ، نشر « **نقد العقل الجدلي Critique de la Raison Dialectique** » (١٩٦٠) .

وتقوم سيكولوجية سارتر الظاهرية في الخيال والانفعال على اعتبار الانفعال ضرباً من الوجود الإنساني ، وأنه ليس حالة شعورية داخلية ، وليس شيئاً عارضاً كما يدَّعي الفرويديون ، لكنه حالة شعورية مرتبطة بموضوع خارجي . ويتناول علم النفس الوجودي الإنسان في علاقته بالعالم الخارجي ، كما هو في عدد من المواقف ، في البيت والعمل والنادي والمقهىٰ والمدرسة والحرب إلخ . وهو مثلاً في الحرب يعادي شيئاً ، ويقتضي منه انفعاله تجاه هذا الشيء ضرباً معيناً من السلوك يستهدف به تغيير حالة الموضوع محل عدائه . وهو يقتل ويدمّر لأن ما يقتله ويدمره مشكلة بالنسبة له قد استعصىٰ حلها ، ولم يجد لها الحل إلاّ بالتنحية والتدمير والإزالة . وسلوكه ضرب من السلوك

المتخيل ، لا يريد به حل المشكلة كما تحل المشاكل ، لكنه يمارس به تجاهها سلوكاً كالسحر يفترض أنه يحلها ، يمليه عليه خياله ، والخيال إنكار للواقع يتخيل به صاحبه أن المشكلة غير موجودة ، والخيال ليس إدراكاً للواقع ، ومع ذلك فهو شعور بشيء ، لكنه ليس شيئاً داخل الشعور ، وإنّما هو شعور بشيء غائب أتوهم أنه حاضر وموجود .

والوجودية ليست في الأصل مذهباً ، بل إنها تتمرد على المذهب لأنه لا يمكن أن يكون ثمَّة مذهب للوجود ، فالوجود ، بما هو ، حياة وليس موضوعاً للتفكير ، وقضايا الإنسان لا يمكن أن تكون معانٍ مطلقة ، بل هي مشاكل عينية ، وفارق بين الموت مثلاً كموضوع وبين « أني أموت » ، والأولى قضية عامة والثانية مشكلة فردية ، والفرد يقف مواجهاً للمعنى العام ، والفرد ذات ، والذات يقابلها العالم الخارجي والغير ، والوجود في أصله هو وجود الذات المفردة وليس الوجود على إطلاقه ، والإنسان يوجد أولاً ثم تتحدد ماهيته من بعد ، فالوجود يسبق الماهية ، وهو حر في اختيار ماهيته داخل حدود النوع الإنساني فهو لا يستطيع أن يختار أن يكون زهرة أو حصاناً . والاختيار هو اختيار لموقفه ، أن يكون جباناً أو شجاعاً ، عاملاً أو ثورياً . والحرية تشعره بالمسؤولية ، ولأنها حرية كاملة فالمسؤولية فيها كاملة . وتشمل الحرية الأفعال والعواطف . والاختيار فيه إعلاء لقيم ونبذ لقيم . وإعلاؤه لبعض القيم دون سواها دعوة للغير إلى أن يختاروا ما أختاره ، فهو عندما يختار يشرع ويقنن ، والقرار الذي يتخذه دعوة للغير كي يتخذوا مثله ، وهو يختار الصالح والخير لنفسه ، وصورة الخير في ذاته دعوة للغير أن يتخذوها صورة للخير من ذواتهم ، ومن ثمَّ لا تكون مسؤولية تجاه ذاته وحدها ، وإنّما هو مسؤول كذلك عن الآخرين ، لأن مسؤوليته تلزم الآخرين ، وشعوره بهذه المسؤولية يفجر فيه الإحساس بالقلق والهم ، وإزاء ذلك يجد الإنسان نفسه أمام حلين ، فإما أن يلقي عن نفسه المسؤولية ، ويتنازل طوعاً عن حريته ، ويختار ما يختاره أغلب الناس ، ويخضع لعرفهم ويتآلف مع قيمهم وتقاليدهم . وإمَّا أن يقبل المسؤولية ، ويتقبل حريته ، ويختار لنفسه وللآخرين ، ويكون مسؤولاً عن نفسه والآخرين . وصاحب الاختيار الأول هو « النذل » ، وصاحب الاختيار الثاني هو « الغشاش » . ووجود الغشاش ممتلىء خصب ، وهو يحس حيال امتلائه بالغثيان ، لأن وجوده رغم امتلائه زلق غير محدد ، وهو قد يهرب من غثيانه إلى العلم يريد به أن يثبت الوجود ويحدده ، أو إلى السحر حيلة من يعجز على تثبيت غير المستقر ، ويفترض المطلق بعينه على غير المحدود بحدود ، أو إلى الجنون يلغي العقل الذي يرفض إلَّا الحدود والمعايير . ولكن الغشاش يرفض العلم ويسخر من السحر ويتأبَّى على الجنون ، ويواجه الوجود يقابله بذات ، ويثير الناس بنبذ قيمهم وتقاليدهم ، فلا قيمة إلَّا ما تصدره ذاته ، ولا أفكر إلَّا ما يفكر فيه أناه ، ولذلك يحس القلق والغثيان اللذين لا يمكن أن يعانيهما النذل الخاضع . والأشياء في الغثيان تكبر أو تصغر ، تتفلطح أو تتكور ، وهكذا الوجود ، الإثبات فيه ، والثبات هو ما نفتعله له ، أو ما يفترضه الأنذال . أما الوجود فهو بلا شكل ولا حدود ولا رائحة ولا طعم ، والزمان بلا ماضٍ ولا مستقبل ، والحاضر زلق يفر من بين أيدينا ولا تمسكه عقولنا .

الإنسان موجود ، وكذلك الطاولة التي يكتب عليها . لكن وجود الإنسان يختاره ويسوّيه ، فهو وجود له أو وجود لذاته Being For Itself . والطاولة لا تختار وجودها ، فالإنسان يختاره لها ، ووجودها لذلك وجود ليس لذاته ، ولكنه وجود في ذاته Being In Itself . ووجود الطاولة لا يخلق قيمة ، فالمنضدة لا تخلق قيمة ، بل الإنسان يخلقها لها ، والإنسان خالق القيم ، والوجود لذاته يخلق ويضيف ويهب ويمنح .

وعندما يعي الإنسان ذاته ووجوده يحس بالنقصان ، وقبل أن يعي لم يكن هناك نقصان ، وهو نقصان لأنه يريد أن يكون ما ليس هو الآن . والأشياء لا تعي النقصان ، ووجودها كامل . والإنسان يريد أن يكون

وجوده كامل كوجود الأشياء ، أن يكون وجوداً في ذاته ، وهذا مستحيل ، لأنه لا يمكن أن يكون شيئاً وأنه يعي في نفس الوقت الأشياء ، ومع ذلك يتوق الإنسان أن يكون موجوداً في ذاته ولا يحقق ذلك أبداً ، لأن ذاته دائمة الفرار منه ، ويعدها عنه لازمة الوجود ، بل نقيصة الوجود ، ومرض الإنسان . والإنسان يحاول أن يلحق بذاته الهاربة ، ويقضي على مرضه ونقصه ، وفي محاولته يختار بين الحلول ، يؤثر وينبذ ، والنبذ عدم ، والعدم لازمة أخرى للوجود ، لكن حتى ما نختار مآله العدم ، وإذاً فالإيثار والنبذ مآلهما العدم ، والحرية هي اختيار العدم ، والوجود وجود للعدم . لكن رغم أن ما تختار مآله العدم ، فحرية اختيارك تجعلك مسؤولاً عمّا اخترت . والمسؤولية ترفع إلى العمل ، فالعمل هو الإنسان ، والإنسان هو أفعاله ، والإنسان يفعل ليستكمل النقص في الوجود ، لأن الوجود الخارجي وجود في ذاته لا يعي وجوده ، والإنسان يريده وجوداً لذاته يعي وجوده ، ومحاولته غرور الغرور وعبث .

والإنسان موجود لذاته ، ولكنه موجود مع الآخرين ، وعندما يراه الآخرون يحس الخجل ، وخجله مصدره نظرة الآخرين التي تجعله محرد شيء بالنسبة لهم ، وتحيله موضوعاً لنظرهم ، ومن ثم فالوجود مع الآخرين Being Together وجود صراع ، يصارعهم ويصارعونه حتى لا يستحيل أحدهما موضوعاً للآخر ، ويسلب الأخر وجوده ، ويتبادل الاثنان النظرات ، وبذلك يستحيل الاثنان ذاتاً وموضوعاً ، وبين وجودي كما أعيه ، ووجودي كما يعيه الغير فاصل هو حرية الغير ، وهو يمارس حريته تجاهي بأن يعلو علي ، وعلوه يسلبني إمكانياتي ويميتها، ويجعله سيد موقفي . ومع ذلك فوجود الغير لازم لوجودي ، لأنه يرى ذاتي موضوعاً له ، وأنا أرفض ذاتي موضوع الغير ،ورفضي لها رفض لوجود الغير ، ولكن ذاتي موضوع الغير هي صلتي بالغير ، وهي حريتي لأن عدم انصهارها في وجود الغير دليل على استقلالي ووجودي ، وهي وجودي الخارجي ، وأنا لذلك أرفضها وأريدها في نفس الوقت ، كما أرفض الغير وأريده في نفس الوقت ، فالغير هو الجنة والجحيم معاً .

ووجود الأشياء أو الوجود في ذاته ، وجود هو مجموع ظواهره ، فوجود الطاولة لا يحيل إلى جوهر آخر ، ولكنه نفسه وليس له داخل وخارج ، بل هو كتلة فيها الداخل والخارج ، والعدم لا ينفذ إليه .

ووجود الإنسان ، أو الوجود لذاته ، وجود له داخل وخارج ، فالإنسان له ذات ، وهو قد يتحول إلى ذاته يأخذ منها أو يضيف إليها ويثريها ، فهو سلب وإضافة لهذه الذات . والوجود لذاته هو الوعي ، وهو وجود يمكن ألّا يكون ، فهو كالحادثة سواء ، يوجد بلا سبب ويعيش الحياة عن ضعف حيال الحياة ويموت بالصدفة .

ولقد حاول سارتر في المرحلة الثالثة من تطوره أن يوفّق بين الوجودية كما أعلنها في « الوجود والعدم » والماركسية بوصفها فلسفة ثورية أو فلسفة فعل ، ورفض ديالكتيك الطبيعة أو الجدل المادي الذي قال به إنجلز ، وربط سارتر الجدل بالإنسان ، وجعله جدلاً إنسانياً ، فرغم أن الإنسان موجود مادي يعيش في وسط مادي ، إلّا أنه موجود يريد باستمرار أن يؤثر في المادة بالمادة ، ليستحدث تعديلات في النظام الكوني ، ويفجّر مواقف جديدة يحرّك بها التاريخ ، بحيث يرتبط الاثنان ، الإنسان والمادة ، أو الفكر والوجود ، في واحدية مادية تميز الإنسان نشاطه الإنتاجي أو المادي في العالم ، وتحيل التاريخ إلى تاريخ علاقة الإنسان الحية بالمادة . ومع افتراض أن حركة الطبيعة جدلية ، إلّا أن الإنسان هو الذي يطليها بطابعه ، ومن ثم فالمادية التي تقول بها الوجودية ليست سوى المادية التاريخية ، وليس الجدل الذي تقرّه سوى الجدل التاريخي ، حيث تسعى الوجودية لفهم الإنسان في كل مواقفه ولا تتوقف عند مجرد مواقفه الاقتصادية ، وتتجاوز حاضره إلى المستقبل ، وتصف الإنسان بأنه مشروع دائم ، وأنه لا يحقق ذاته أبداً ، وأنه دائم الخروج من ذاته ، ليسجلها على المادة ويطبعها بطابعه الإنساني ، وليحيلها إلى

أشياء وأدوات إنسانية . وهذا البعد الإنساني تسقطه الماركسية ، وتقتصر على التعامل مع الإنسان كموضوع علمي ، ومن ثمَّ تستحيل إلى أنثروبولوجيا لاإنسانية . لكن الوجودية بإدراكها للبعد التاريخي للوجود الإنساني تهيىء الفرصة أمام إقامة أنثروبولوجيا فلسفية أساسها عقل جدلي يحاول أن يلمّ بحقيقة الإنسان ، ويدرك أنها حقيقة متغيرة لا تتوقف عن الصيرورة ، تحاول أن تتجمع باستمرار في صورة حقيقة تاريخية ، وأن الإنسان هو الذي يصنع تاريخه ، وأنه دائم التجاوز لمواقفه ، وأنه لا وجود لأي قانون خارجي أو قوة علوية تفرض إرادتها على التاريخ الإنساني ، ومن ثمَّ يرفض سارتر الحتمية الاقتصادية الماركسية ، ولا يقر بأن الناس مجبرون اقتصادياً وحضارياً ببعض الظروف المادية ، ويرفض الجبرية الماركسية التي لا تدع مجالاً للوعي الفردي ، لكنه يعترف بأن الوجودية لن تهزم الماركسية ولن تخرجها من الساحة ، ولا أمل للوجودية أن تفرض نفسها كمذهب عصري ، لأن الماركسية هي الفلسفة العصرية الوحيدة التي تلبّي حاجة الطبقات المضطهدة ، والعمال بصفة خاصة ، ولأنها فلسفة ثورية تستحدث تغييرات جذرية في نظم الملكية والانتاج والتوزيع ، ولأنها تدعو للعمل وتجعل من العمل والفكر شيئاً واحداً ، لكن الوجودية يمكن أن تساعدها ، بأن تخرجها من حصار المادية والحتمية ، بأن تفسح الوجودية مكاناً داخل الماركسية للحرية الفردية ، وأن تكون مع الماركسية فلسفة واحدية للطبقة العاملة .

سامرة

فرقة يهودية ، تتقشف في الطهارة أكثر من تقشف اليهود ، أثبتوا نبوَّة موسى ، وأنكروا من بعده من الأنبياء ، وتفترق إلى دوستانية وكوستانية ، والأولى تؤمن بالثواب والعقاب في الدنيا ، والثانية تؤمن بالآخرة والثواب والعقاب فيها . وقبلة السامرة جبل جريزيم بين القدس ونابلس ، قالوا إن الله أمر داود ببناء بيته بهذا الجبل ، وهو الطور الذي كلَّم الله موسىٰ عليه ، ولكن داود تحول إلى إيلياء وبنى البيت فوقه فظلم . والسامرة تتوجه إلى تلك القبلة دون سائر اليهود ، ولغتهم غير لغة اليهود ، ويزعمون أن التوراة كانت بلسانهم ، وأنها قريبة من العبرانية ونقلت إلى السريانية .

سانتايانا .... Santayana

(١٨٦٣ - ١٩٥٢) جورج سانتايانا ، أمريكي من أصل أسباني ، ولد بمدريد وتعلم ببوسطن وهارفارد ، وبعد تخرجه درس لمدة سنتين بألمانيا وحصل على الدكتوراه من هارفارد في لوتسه ، وعاش لفترة في انجلترا وفرنسا ، واستقر أخيراً في روما (١٩٢٥) ولجأ إلى أحد الأديرة خلال الحرب العالمية وظل به حتى وفاته . أهم كتبه « **معنى الجمال The Sense of Beauty** » (١٨٩٦) ، و « **حياة العقل The Life of Reason** » الذي أعطاه عنوان أطوار التقدم الإنساني **The Phases of Human Progress** (في خمسة مجلدات ١٩٠٥ - ١٩٠٦) ، و « **المذهب الشكي والإيمان الحيواني Scepticism and Animal Faith** » (١٩٢٣) و « **عوالم الوجود Realsms of Being** » (في أربعة مجلدات ١٩٢٧ - ١٩٤٠) . وفلسفته مزيج من الشك والواقعية والمثالية والطبيعية ، فهو شاك لأنه يعتقد بأنه ما من شيء يمكن البرهنة على وجوده ، وأن كل ما لدينا من معتقدات عن الوجود إنما هو نوع من الإيمان لا أساس له يسميه سانتايانا بالإيمان الحيواني ، ومع ذلك فقد اقتضت الحكمة أن نعول عليه ونأخذ به . وهو واقعي لأنه يعترف بالوجود المادي للعالم ، وهو وجود موضوعي أي في الزمان والمكان ، لكن إدراك الإنسان لا يكون إلا لصفات الأشياء الظاهرة والممكنة ، وهذه الصفات يسميها « الماهيات » لأنها موجودة في العقل ، ومن ثم فهو مثالي ، ومثاليته تذهب إلى أن للماهيات وجوداً مستقلاً عن وجود المادة ولا يرتهن بها ، وأن جماع الماهيات يكون ماهية واحدة هي « **الموجود الخالص Pure Being** » . ويصف الحقيقة

بأنها الحقيقة عن المادة أو عما هو موجود ، إلا أنها مستقلة عن المادة لأنها جماع ما نستطيع وما لا نستطيع الإلمام به من الواقع ، فالحقيقة لازمانية ومستقلة عن كل إيمان ، ولا توجد حقائق ضرورية ، وحتى حقائق الرياضيات بالروح ، ويصفها بأنها الوعي المتعالي ، ووظيفتها حدسية خالصة ، ووحدات الحدس هي الماهيات المفردة ، والحدس وحده ليس وسيلة لتحصيل المعرفة ولكنه مجموعة معان . وفلسفته في الجمال طبيعية ، فالجمال عنده هو التحقق الموضوعي للّذة ، ومعيار الجميل ما يعطيه من لذة أو استمتاع ، ويصف القيم الجمالية بأنها إيجابية بمعنى أنها تعطي لذة ، بينما قيمة الأخلاق سلبية بمعنى أنها تقوم على استبعاد الألم والمعاناة ، ويجعل العلاقة بين الجمال والأخلاق كالعلاقة بين اللعب والعمل ، كما يجعل المفاضلة بين اللذات مجال الأخلاق التي تستند إلى العقل Rational Morality ، وهو يقول إنها لا تنهض حقيقة على مبررات عقلية . ولكنها في الواقع تقوم على الميول أو التكوين الذاتي للشخص . ويفرق بين الأخلاق قبل العقلانية Postrational وهي التي تكون عن اندفاع وتلقائية ولا تفاضل بين اللذات الممكنة ، وبين الأخلاق بعد العقلانية Prerational وهي التي تتنكر لكل اللذات وتستهدي غاية غير دنيوية . والدين عنده ضرورة أخلاقية . والاجتماع أصله غريزة التكاثر . والمجتمع الحر هو الذي يرتبط فيه الأفراد بروابط مثالية كالوطنية ، والمجتمع الإنساني الطبيعي هو المجتمع الارستوقراطي الهرمي ، وهو يعتقد أن الليبرالية والبروتستنتية مفسدة للحكم وللدين لأنهما تزيفان الحياة الطبيعية وتقومان على خداع الانسان لذاته .

سان سيمون .... Saint Simon

(١٧٦٠ ـ ١٨٢٥) الكونت دي سان سيمون ، مؤسس الاشتراكية الفرنسية ، من أسرة نبيلة خنى عليها الدهر ، تعلم على معلمين خصوصيين ، أشهرهم الموسوعي ديلامبير ، واشترك في الثورة الأمريكية ، وفي الثورة الفرنسية ، وتخلى عن لقب كونت ، لكنه اعتقل لمدة عام ، وقيل إن القبض عليه كان غلطة ، وكانت له صداقات بكبار العلماء والمفكرين ، إلا أن علاقته بأوجست كونت كانت أوثقها ودامت سبع سنوات ، وأخذ عن كونت الكثير من أفكاره ، زاد عليها وصاغها وأقام عليها مذهبه الواقعي .

قرأ سان سيمون التاريخ ، واستخلص لنفسه منهجاً ، قوامه أن التاريخ مراحل ، وأن النظم السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية والأخلاق تتلاءم مع الظروف الموضوعية التي تنتجها ، لكن يحدث أن تستمر بعض النظم القديمة في المراحل التالية ولا يكون استمرار وجودها منسجماً مع الظروف والنظم الجديدة . وتتوالى مراحل التاريخ بفعل صراع الطبقات الاجتماعية ، وظهور طبقات جديدة . وتنظيمات سياسية وايديولوجية تنسجم اجتماعياً واقتصادياً مع مصالح الطبقة السائدة . وطبقاً لهذا التحليل فإن المؤسسات الاجتماعية والمعتقدات التي سادت العصور الوسيطة كانت متناسبة وضرورية مع ظروفها ، وكانت تؤدي دورها من وجهة نظر المرحلة التي بلغها المجتمع من التطور . لكن هذه النظم التي كانت منسجمة مع حاجات المجتمع وقتها ، كانت سبباً في ظهور قوى جديدة تتناقض معها وتعوق تطور هذه القوى ، ومن ثم شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر تطورين أساسيين ، فأولاً بدأ العامة يهاجمون امتيازات الطبقة الإقطاعية ومؤسساتها التي شاخت ولم تعد تفي بحاجة المجتمع النامية . وبدأت القيم التي قامت عليها الكنيسة في العصور الوسطى تتصادم مع الكشوف العلمية ، وجعلتها هذه الكشوف مسائل عفى عليها الزمن وعرضها ذلك للنقد الشديد ، وترتب على هذا النقد انهيار النظام القديم برمته ، ومن ثم تدهور المجتمع ، فكان يجب أن يعاد تنظيمه ، وهو لا ينظم إلا بسلطة روحية توحِّد بين العقول ، ولكن هذه السلطة ليست الكنيسة هذه المرة ، بل هي العلم الذي يضع حداً لفوضى الأفكار ويهيىء اسباب التنظيم

والتعمير . وخاطب سان سيمون الطبقة الجديدة من الصناعيين والعلماء ، زاعماً أن الوقت قد حان ليأخذوا مقاليد المجتمع بأيديهم ، وليكملوا حلقة التغيير القائم والثورة الناشبة ، وأدرج معهم العمال والتجار وأصحاب المصارف ، وعهد اليهم بالتخطيط لصالح الأغلبية في المجتمع ، خصوصاً الفقراء والمعوزين ، وقال ان حق العمل ينبغي أن يكون للجميع ، وأن يعمل الجميع طبقاً لقدراتهم ، وتنبأ بأن تكون مهمة مجتمع الغد ليست الحكم ولكنها إدارة الإنتاج . ومع أن هذه الأفكار كلها أخذها ماركس إلا أنه انتقده لأنه لم يفهم الدور التاريخي لطبقة البروليتاريا بوصفها في زعم ماركس الطبقة التي ستبني المجتمع الجديد ، والتي ستجعل من الثورة وسيلة تغيير المجتمع القديم ، بدلاً من الاعتقاد الساذج بإمكان المجتمع وتأسيسه على العلم بالدعوة إلى التغيير وحدها .

ويقسم سان سيمون تاريخ العقل ثلاث مراحل ، في الأولى كان العقل تخمينياً وتراوح بين الاعتقاد بآلهة إلى الاعتقاد بإله واحد ، وفي الثانية توسّط بين التخمين والواقعية وتراوح بين تصوّر علة غير منظورة للعالم إلى تصور القوانين المنظمة له ، وفي الثالثة كان العقل واقعياً يريد أن يخلص إلى فلسفة واقعية هي العلم الكلي ، أو الدين الوضعي الواقعي الذي يقوم على تصوّر جديد للعالم على أسس علمية بحتة ، قساوسته هم العلماء ورجال الصناعة ، وهذه هي المسيحية الجديدة التي بشَّر بها والتي تنهض على محبة الناس واعتبار الحياة الدنيا غاية لا وسيلة للحياة الآخرة .

وكتب سيمون عدة كتب أهمها « **خطابات مواطن من سكان جنيف إلى معاصريه** » (١٨٠٣) ، و« **مذكرة في علم الإنسان** » (١٨١٣ ـ ١٨١٦) و« **عقيدة الصناعيين** » (١٨٢١) ، و« **المسيحية الجديدة** » (١٨٢٥) .

سانشيز Sanches

(نحو ١٥٥٠ ـ ١٦٢٣) فرانسيسكو سانشيز ، يهودي أسباني ، ولد بالبرتغال من أبوين أجبرا على اعتناق المسيحية ، وتعلَّم في تولوز ، وعلَّم بها ومات ، وكان أبرع الشكاكين عرضاً للمذهب الشكي في القرن السادس عشر ، وكتابه الرئيسي « **لماذا تستحيل المعرفة Quod Nihil Scitur** » (١٥٨١) ينكر فيه إمكان المعرفة بسبب طبيعة الأشياء نفسها والحواس ، بعكس الشك البيروني الذي يؤثر تعليق الحكم . ويتبع سانشيز منهجاً يخالف به كل الشكاك ، لأنه يبنيه على نقد نظرية أرسطو في المعرفة ، ويقدم مذهباً في الشك البناء يرد به على كل الأسئلة بالبحث التجريبي الدؤوب حتى وإن علم مسبقاً أن بلوغ الحقيقة مستحيل ، ولذلك قيل إنه سبق ديكارت في منهج الشك ، وبيكون في الدعوة إلى الاعتماد على التجربة كمصدر للمعرفة .

سانكره Sankara

(نحو ٧٨٨ ـ ٨٢٠ م) لعله أبرز رجال الدين تأثيراً في التراث الميتافيزيقي الهندوسي ، وهو مؤسّس طائفة من الزهّاد تلقب بالسمرتيين أو السلفيين ، وما تزال مدرسته تمارس تعاليمها حتى الآن في دير شريبنجري ، ويطلقون على تعاليمه اسم الأدفاتيا فيدانتا أو الفيدانتا اللامزدوجة حيث إنه رفع التمايز بين الذات والله ، ومن ثم جعل الكثرة وهماً حيث إن الحقيقة واحدة وهي الله .

سبأية

أصحاب عبد الله بن سبأ ، زعموا أنه كان يهودياً وأسلم ليفسد في الدين ، وزعم هو أن علياً حي لم يمت ، ففيه الجزء الإلّهي ، وهو أول من أظهرَ القول بالنص بإمامة علي ، ومنه أنشعبت أصناف الغلاة ، واجتمعت عليه جماعة ، وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة ، وقالت بتناسخ الجزء الإلّهي في الأئمة .

سبخي

فرقد السبخي ، المتوفي بالبصرة سنة ١٣١ هـ ، من

الزاهدين ، ومن أقواله « أمهات الخطايا ثلاث ، أول ذنب عصىٰ الله به الكبر والحسد والحرص ، فاستلّ من هؤلاء الثلاث ست فصاروا تسعاً ، الشبع والنوم والراحة وحب المال وحب الجماع وحب الرياسة » و « ويل لذي البطن من بطنه ، إن أضاعه ضعف وإن أشبعه ثقل » و « من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه ، ومن جالس غنياً فتضعضع له ذهب ثلثا دينه ، ومن أصابته مصيبة فشكاها إلى الناس فكأنّما يشكو ربه عزَّ وجلّ » .

سبرانية .... **Cybernetics**

والسبرنطيقا كذلك ، هي علم توجيه الآلات سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو عصبية أو اقتصادية . واللفظة مشتقّة من لفظة إغريقية بمعنى موجه الدفة ، ومن ثمَّ فإن السبرانية هي علم التوجيه . ويذكر أن العالم الأمريكي نوربرت فينر (١٨٩٤ ـ ١٩٦٤) هو واضع أساس هذا العلم بكتابه « السبرانية أو التحكم والاتصال في الحيوان والآلة » (١٩٤٨) ، وإن كانت اللفظة قد استخدمها قبله ولأول مرة العالم الفرنسي أمبير فيُ كتابه « مقال في فلسفة العلوم » (١٨٣٤) ، وتناول فلاسفة وعلماء من قبل ذلك بكثير إمكانية التخطيط لآلات تعمل ذاتياً وتشبه الإنسان في عملياته العقلية . وكان ديكارت في القرن السابع عشر لَأول من زعم أن الحيوانات آلات عاطلة عن التفكير والشعور . وذهب لامتيري إلى أبعد ممَّا ذهب إليه ديكارت وادَّعى في كتابه « الإنسان الآلة » (١٧٤٧) أن الإنسان نفسه ليس سوى آلة وإن كان يتميز بالشعور والإدراك . وأمن هكسلي وكليفورد ومورتون برنس وغيرهم من فلاسفة القرن التاسع عشر على فكرة الأوتوماتون (أو الإنسان الذي أتىٰ الحركة) الواعي . وهاجم وليام جيمس ووليام مكدوجل علم النفس الآلي القائم على الدراسات في الفعل المنعكس ، وكانت الحجة التي قدماها أن الآلات لا تقدر على الحركة الغرضية . وتزعم أصحاب النزعة الحيوية أمثال درايش ويوجينو رينيانو الرد على الميكانيكيين في القرن العشرين . ووجد على الأثر أدب من الأقوال المتعارضة يتناول معنى السلوك الغرضي والذكاء والتوازن والتكيّف ، وقال السبرانيون أن الآلة الإنسان واعية ولها مشاعر ، وادَّعى المنطيق والرياضي البريطاني أن الآلات الحاسبة يمكن أن تفكر لنفسها ، ولكن المعارضين قالوا بأن الآلات الذاتية Robots لا يمكن أن تكون كالبشر ، فهناك فروق دائماً بين الاثنين حتى وإن قيلَ مجازاً إنها نوع من الكائنات الحية ، لأنها لا تفعل إلَّا ما تبرمج به . وعلى أي الأحوال فإن السبرانية علم له مفاهيمه وتعريفاته العديدة ، وهناك الجديد فيه كل يوم ، وترتبط فيه الهندسة بالفسيولوجيا حتى ليقال إنه العلم الذي يشرح فيه الفسيولوجيون للمهندسين كيف يبنون الآلات ، ويشرح فيه المهندسون للفسيولوجيين كيف تسير الحياة ، أو إنه العلم الذي يدرس النظريات العامة للتحكم في الأنساق المختلفة سواء كانت بيولوجية أو تقنية ، أو العلم الذي يفسر عمل النظم المختلفة التي تعتمد في عملها على الإشارات والمعلومات التي تصل إليها بصرف النظر عن كون هذه النظم فيزيائية أو فسيولوجية أو سيكولوجية .

سبعية ......

فرقة من غلاة الشيعة ، قالوا بالحلول وألوهية علي ، وأولوا الشريعة على وجه يعود إلى قوة عند أسلافهم ليوجب ذلك اختلافاً في الإسلام ، وذهبوا في تأويلاتهم مذاهب غنوصية ويهودية ومسيحية ، وتأثروا بالأفلاطونية المحدثة والصابئية والبارسية ، ولقبوا بالسبعية لأنهم زعموا أن النطقاء بالشريعة ، أي الرسل ، سبع : آدم ونوح وابراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ومحمد المهدي سابع النطقاء ، وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون الشريعة ، ولا بد في كل شريعة من سبعة يقتدى بهم هم الدعاة ، وفسروا نظامهم القائم على العدد سبعة بأن السموات ، والأرضين ، والبحار ، وأيام الأسبوع ، والكواكب السيارة ، وهي المدبرات أمراً ، كل منها سبعة كما هو مشهور . ورئيسهم في ذلك حمدان

قرمط ، وقيلَ عبد الله بن ميمون القداح ، ولهم في الدعوة واستدراج الضعفاء مراتب ليبلغوا مرتبة سلخه عن معتقداته ، وحينئذٍ يأخذون في الإباحة والحثّ على استعمال اللذات وتأويل الشرائع كقولهم الكعبة هي النبي والباب علي ، والطواف بالبيت سبعاً موالاة الأئمة السبعة ، والجنة راحة الأبدان عن التكاليف ، والنار مشقتها بمزاولة التكاليف .

سبنسر ...... Spencer

(١٨٢٠ - ١٩٠٣) هيربرت سبنسر ، إنجليزي ، ابن معلم ابتدائي ، لم يتلق تعليماً جامعياً ، ولم يقسره أبوه على قراءة كتب معينة وإنَّما تركه لميوله الخاصة ، وعندما أوفده أبوه إلى عمه ليلحقه المدرسة لأول مرة في الثالثة عشرة من عمره ، هرب منها وعاد إلى بلدته قاطعاً مسافة ١١٥ ميلاً على قدميه في ثلاثة أيام دون نوم أو طعام ، وعلى أي حال فقد نفض يده من التعليم المدرسي في سن السادسة عشرة ، وبدا حياته العملية مساعد مهندس ثم مساعد رئيس تحرير لعدد من المجلات كان آخرها مجلة « الإيكونومست » ، وعن طريقها تعرف على عدد من رجالات الفكر ، ونشر أول كتاب له «الاستاطيقا الاجتماعية » (١٨٥٠) ، قبل أن ينشر داروين كتابه «أصل الأنواع» بتسع سنوات، ومع ذلك فقد كان الكتاب دعوة إلى نظرية في الارتقاء تماثل نظرية داروين رغم أنها كانت تنحو بشدة منحىٰ لامارك. ورغم أنه لم يتلقَّ تعليماً جامعياً نشر كتاباً في علم النفس « مبادىء علم النفس » (١٨٥٥) . وعندما نشر داروين كتابه تحمس له سبنسر وانبرى يؤلف سلسلة من الكتب تشرح كل العلوم المعروفة في ضوء التطور في محاولة لوضع نظرية فلسفية شاملة ، أو فلسفة تركيبية كما كان يسميها ، وتوالت كتبه من ١٨٦٠ إلى ١٨٩٣ : **المبادىء الأولى** (١٨٦٢) ، و « **مبادىء البيولوجيا** » و « **مبادىء علم النفس** » و « **مبادىء علم الاجتماع** » و « **مبادىء الأخلاق** » ، وله أيضاً « **مقالات في التربية** » (١٨٦١) و « **الإنسان في مقابل الدولة** » (١٨٨٤) و « **السيرة الذاتية** » (١٩٠٤ نشر بعد وفاته) . وبعض هذه الكتب في مجلدين أو ثلاثة ، رغم اعتلال صحته وضيق ذات يده ، ومع ذلك كانت طموحة ونالت إقبالاً شديداً .

ويتفق سبنسر مع كنط على وجود مجالين ، مجال ما نسميه التجربة ، ومجال ما نسميه اصطلاحاً الواقع . والتجربة التي نخوضها هي نتاج التفاعل بين الواقع والإنسان بوصفه كائناً حياً متعيناً . وما نحصله من معرفة هو معرفة بالظواهر ، وينحصر موضوع المعرفة في مجموع العلوم الواقعية ، وكل ما يتجاوز إدراكنا ونطاقِ العلوم الواقعية يؤلف مجال المجهول ويؤدّي بنا إلى الاعتقاد بوجود ما لا يمكن معرفته Unknowable ، لكن لا يلزم من ذلك أن نسمّيه الله ، فاعتمادنا الكامل على المعطيات الحسّية للحصول على المعرفة يجعل من المستحيل علينا أن نجزم بأن هذا المجهول يشبه بأي حال من الأحوال ما نعرفه عن الله ، وليس العقل الذي نعتمد عليه في النظر إلَّا وسيلة نواجه بها متطلبات البيئة ولا يسعه أن يناقش مفاهيم تخرج عن نطاق الواقع والتجربة ، ولا يعني ذلك أن المجهول لا يوجد ، لكن كل ما نستطيع أن نجزم بصدده هو أن نقول إننا لا نعرف ما إذا كان الله موجوداً أو غير موجود ، وما من سبيل أمامنا إلَّا أن نعتنق اللّاأدرية بوصفها الاختيار الوحيد الممكن بين اختيارين كلاهما لا يمكن الجزم به موقفاً. ويترتّب على ذلك أيضاً أننا لسنا ضد الدين عندما لا يدعي لنفسه القدرة على تعيين ماهية المجهول مع أنه مجهول ، وعلى العكس يمكن الاستفادة من الدين طالما أن له أصلاً عميقاً في طبيعة الإنسان ، بأن نجعله وسيلة محبة وتعاون بين الناس واحترام لتراث الأجيال ، ودافعاً للاستزادة من المعرفة العلمية التي هي دراسة دلائل المجهول في الظواهر .

والتطور عنده من الأبسط إلى الأعقد ، وليست الطبيعة إلَّا مادة وحركة تتركب باستمرار إلى الأعقد ، وليس الشعور إلَّا شكلاً من المادة والحركة أكثر تعقيداً ، وكل صور الحياة بداية ووسط ونهاية ، بمعنى أن الحركة

وكل صور الطاقة تتبدد باستمرار ، من داخلها أو بفعل عوامل خارجية ، ونستطيع أن نلمس في كل ما يحيط بنا فعل قانون التطور والانحلال . والحياة كما يعرفها سبنسر ، هي الموائمة المستمرة بين البيئة الداخلية للكائن الحي والبيئة الخارجية ، ولأن يحيا الكائن يعني أن يكون قادراً على تكييف طبيعته بحيث يكون أقدر في التعامل مع بيئته ، وهذا هو ما يعنيه بالذكاء والتطوّر والتقدّم ، وكلها مترادفات تعني أنها جميعاً ضرورات وسنن تسير عليها الحياة وليست أغراضاً يتوجه إليها الإنسان . والسلوك الذي يحفظ الحياة وينميها هو السلوك الأخلاقي ، وتقسيم العمل من ضرورات الحياة والتعاون من شروطه ، ويترتب على ذلك تبعية المنفعة الفردية للمنفعة الجماعية وليس العكس . وليست اللذة إلاّ طلب الغاية الطبيعية ، والحياة الخلقية هي التي تتوافق أفعالها مع قوانين الحياة الإنسانية . لكن هذه الموائمة لم تحدث ، ولا تحدث ، باستمرار إلاّ جزئياً . ولقد مرَّ الإنسان من الأنانية إلى مرحلة تختلط فيها الأنانية بالغيرية حيث أدرك أنه لكي يحصل على ما يريد وما يعطيه اللذة ، ينبغي أن يساعد غيره لأنهم بدورهم سيساعدونه ، وليس الواجب إلاّ هذا الذي ينبغي فعله ، لكن الحياة تسير بفعل التطوّر إلى مرحلة تتحد فيها المنفعتان الذاتية والغيرية وتسود الغيرية وتمحي فكرة الواجب وتصبح الفضيلة في طبيعة الإنسان . والتربية هي تعليم الفرد العلوم التي تساعده على تطويع البيئة وحلّ مشاكل أسرته وإثراء عقله إثراءً يفجّر فيه الوعي بقوانين الحياة والتطوّر ، وبالفعل الذي يثري الحياة ويسرع بالتطوّر .

سبينوزا Spinoza

(١٦٣٢ - ١٦٧٧) بنيدكت أو باروخ سبينوزا ، يهودي هولندي ، أبواه من أصل أسباني ، عاشا في البرتغال ، وفرّا إلى هولنده هرباً من الاضطهاد ، وولد سبينوزا في أمستردام ، وتربّى ليتحدث الأسبانية والبرتغالية والعبرية ، وليكون حاخاما ، لكنه صار فيلسوفاً وكتب باللاتينية . وكان عليه كيهودي أن يتعلم حرفة يدوية ، فاختار صقل العدسات ، وورث عن أبيه ميراثاً كبيراً لكنه تخلّى عنه لأخته ، ولم يأخذ منه إلاّ سريراً مريحاً له ملاءة جيدة ، كما وصفه ، وفضل أن يعيش بكد يده ، وتحوّل عن دراسة اللاهوت ، بعد أن شكَّ في الدين ، إلى دراسة العلوم الإنسانية ، وكانت هولندا ملاذاً للمضطهدين بسبب معتقداتهم الدينية أو الفكرية ، وبوصفه يهودياً من الأقلية ، تعرف على أوساط الأقلية البروتستنتية والتقى فيها بطبيب شاب يدعى فان دن إندج من الداعين إلى وحدة الوجود ، وكان المفروض أن يتعلم منه اللاتينية ، لكن تلقى عليه مبدأ وحدة الوجود ، وقرأ عليه العلم الحديث ، وثارث عليه الطائفة اليهودية وطلبوا إليه التخلي عن الطبيب ودعوة وحدة الوجود ، لكنه رفض ، وطعنَ أحد اليهود بخنجر ، وقضوا بإبعاده عن المدينة ، وغير اسمه العبري باروخ إلى ما يقابله باللاتينية وهو بندكت ، وأقام لدى صديقه في إحدى ضواحي أمستردام ، يعمل في صقل العدسات بالنهار ، ويدرس في الليل ، وشرع يكتب ويناقش ، وانتقل إلى راينسبورج ثم إلى فوربورج ، وذاعَ صيته ، وعجّت حجرته بالمفكرين والسياسيين ، وعرض عليه البعض معاشاً وإقامة في فرنسا ، ورغبَ إليه آخرون منصب أستاذ الفلسفة في جامعة هيدلبرج ، لكنه كان يؤثر أن يعيش في هدوء ، ويفضل أن يكسب قوته ، ويخشىٰ على حريته وتفكيره أن يتأثرا بالسلطان والمنصب ، وكان ميالاً للحياة البسيطة ، بطبعه وبتأثير فلسفته ، حتى لقبوه بالقديس المدني . ومات صغيراً ، في الخامسة والأربعين ، بمرض السل الذي ورثه عن أبيه ، واستشرىٰ في صدره بفعل تراب العدسات .

وكانت أولى محاولاته الفلسفية . « **رسالة موجزة في الله والإنسان وسعادته** » كتبها لأصدقائه من المسيحيين من أعضاء جماعة فان دن ، ولم تنشر إلاّ لترجمة الهولندية سنة ١٨٥٢ ، بعد ذلك جرّب أولى محاولاته في المنهج بكتاب « **المبادىء الفلسفية لديكارت Renaté De-**

Philosophiae Principiorum scartes » (١٦٦٠) ، قرأه على أعضاء جماعة تحلقت حوله في فريبورج ، وألحّت عليه في نشره وترجمته إلى الهولندية (١٦٦٣) ، وكان الكتاب سبباً في ذيوع صيته . ثم أراد أن يكتب شيئاً يقدم به منهجه من طراز المنطق الجديد لبيكون ، ومقال في المنهج لديكارت ، والبحث عن الحقيقة لمالبرانش ، فجرَّب أن يستكمل أفكاره في «رسالة في إصلاح العقل Emendatione Tractatus de Intellectus » ولكنه لم يكملها ونشرت ناقصة بعد وفاته ، ووصفها بأنها بحث عن ضرب من الخير الأسمى يملأ العقل ويمحو الشك ، وقال إنه وجده في فهم طبيعة الناس والكون ، ونعتَ هذا النوع من المعرفة بأنها متعة متصلة وسامية وأطلق عليها « الحب العقلي لله » ، ولكن الأحداث السياسية لاحقته فانصرف عنه مؤقتاً ، وكان من بين مريديه في حلقته هوجنز وجان دي ويت ، والأول ظلَّ يراسله خمس عشرة سنة وألقت مراسلاتهما الكثير من الضوء على مذهبه وأنارت غموضه ، وأما الثاني فكانت لأسرته زعامة فكرية ليبرالية ، فلما هزم الأسطول الهولندي أمام الإنجليز ، راحت الجماهير تتلمس سبباً لتخلي الله عنها ولما حلَّ بالوطن من كوارث ، وصبت جام غضبها على أسرة دي ويت ، وتصدَّى سبينوزا للحملة الضارية بكتاب « الرسالة اللاهوتية السياسية Politicus Tractatus Theologico » ، أعلنَ فيه رأيه في الدين والاجتماع ، ونصحه أصدقاؤه بعدم نشره ، فنشره غفلاً من اسمه (١٦٧٠) ، غير أن جماع كتبه كان « الأخلاق Ethics » ، (١٦٧٥ - ١٦٧٧) ، واستغرقت كتابته حقبة من الزمن طالت ، كان يطلع أصدقاءه على جذاذات منه ، وينقح فيه ويعدله ، وهم يطبعه غير أن أحدهم وشىٰ به إلى السلطة فامتنع ، ولم يقيض له النشر إلاَّ بعد وفاته ، وقد سارَ فيه على منوال هندسي يليق بمذهب وحدة الوجود ، وينزل فيه من الواحد إلى الكثرة ، ومن الكل إلى الأجزاء ، ومع أن الجزء الذي يتناول الأخلاق لا يعدو خمس الكتاب ، إلاَّ أنه أطلق اسم الأخلاق على الكتاب كله ليدل به على اتجاهه الأخلاقي ، وليرمز بالاسم إلى العمل كغاية لكل نظر . وهو يستخدم المنهج الاستدلالي الهندسي ، مثلما يفعل ديكارت وهوبز ولاينبتس ، لا من باب الإعجاب والتفضيل ، لكن لأن فلسفته تتطلب هذا المنهج بكل ما في كلمة تتطلب من معانٍ ، بمعنى أن معيار الصدق واليقين الذي تطرحه فلسفته ، ما كان من الممكن أن تنهض على أمره فلسفته ما لم يستخدم هذا المنهج الاستدلالي . وفي رأيه أن القضية لا يظهر صدقها ويقينها إلاَّ إذا عرضت بوصفها جزءاً من نظام استدلالي عام ، كل قضية فيه تتصل بالقضايا الأخرى وتترابط بها . أما من جهة كونه منهجاً هندسياً ، ذلك لأنه اتَّخذ ، شأنه في ذلك شأن معاصريه ، الهندسة الإقليدية نموذجاً يحتذى في التفكير ، وتنهض الهندسة على ضرب من المعرفة العقلية الحدسية تدرك الشيء بماهيته أو بعلته القريبة ، مثل معرفتي خصائص شكل هندسي لمعرفتي تعريفه ، وهي ضرب كامل من المعرفة لأن موضوعاتها معانٍ واضحة يكونها العقل بذاته ويرتّب منها سلسلة من الحقائق ، إمَّا تكون علم الرياضيات ، وإمَّا تكون العلم الطبيعي ، وفيهما تفهم الحقيقة الجزئية من خلال القانون الكلي . وربما كان اختياره للّغة اللاتينية ليكتب بها ، انحياز لهذا المنهج الرياضي ، من حيث أنها لغة قد بلغت ألفاظها درجة عالية من الدقة والوضوح ، وخلت من كل غموض ، حتى لتبدو في دقتها كأنها فرع من فروع الرياضيات ، وهنا ندرك الترابط والتناغم بين الشكل والمحتوىٰ عند سبينوزا ، فلقد انتقى لفلسفته ما يناسبها من أدوات ، وما يجعل فلسفته بينة القصد جلية الغاية . ومعاني الرياضيات معانٍ واضحة يأتيها الخطأ أو التخيل ، لأن المعاني الكاذبة لا تطابق الواقع أو تنقص عن الواقع . والمعنى الواضح بسيط ، والبساطة تضفي عليه الصدق ، لأن البسيط لا يكون معلوماً ومجهولاً في نفس الوقت ، ولا يتعلق صدقه بغيره ، وإنَّما هو يقيني في ذاته ، والذهن العارف به يعلم بالضرورة أنه صادق ،

وهو لهذا ذهن يتطابق مع الوجود . والعقل المتطابق مع الوجود هو العقل الذي يطلب المعنى الذي هو أصل المعاني ، وينشد العلم الذي يتجه من العلة إلى المعلول ، ويهدف إلى استنباط الماهيات والقوانين ، ويصدف عن الخواص العارضة والمعلومات الجزئية ، ويغوص إلى المعاني الدائمة ، ويستكشف المعنى الأول الذي تلزم عنه كل المعاني ، أو المبدأ الأول الذي تصدر عنه كل الموجودات : معنى اللاّمتناهي أو الجوهر المطلق أو الله . والجوهر المطلق علة ذاته ، بمعنى أنه لم يوجد بغيره ، وأن ماهيته تنطوي على وجوده ، وهذا هو دليل ديكارت الأنطولوجي ، ولكنه لا يكتفي بإيراد دليل ديكارت ، فهو يضيف إليه أدلة أخرى ، وهو يقول إن الشيء كلما تحققت له حقائق أعظم كان أقدر على الوجود ، وقدرة الله على الوجود لامتناهية ، ومن ثمَّ فهو موجود بالضرورة . وإذاً فهو لامتناه وضروري ، فلو كان متناهياً لاتصل بجواهر أخرى متناهية تحده ، وإذا تحدد انقلب متناهياً ولم يعد حراً أو متصوراً بذاته ؛ أو موجوداً بالضرورة ، أي لم تعد له القدرة اللاّمتناهية على الوجود ، وكلها استنتاجات متهافتة ، لأن الإلّه الذي يكون متناهياً ، أو غير حر ، أو تابعاً لآلهة أخرى متصوراً بها ، لا يمكن أن يكون إلّهاً ، ومن ثمَّ يكون الله هو الجوهر الموجود بالضرورة ، السرمدي ، فإذا وجد شيء سواه ، لم يكن هذا الشيء إلاّ صفة أو وجهاً له ، ويخالف سبينوزا نيوتن بأن الله هو علة العالم وحركته ، لكن العالم استمرَّ طبقاً لقوانين الله الميكانيكية ، فالعالم مختص بقوانين الحركة وليس أكثر من ذلك ، لكن رجل الدين ينظر أبعد إلى خالق القوانين ، وبذلك ينفصل الدين عن العلم ، لكن سبينوزا يجمعهما في مذهب واحد ، فالجوهر أو الله هو الطبيعة الخالقة ، حيث أنه مصدر الصفات والوجوه ، وهو أيضاً الطبيعة المخلوقة ، حيث أنه هذه الصفات والوجوه . فإذا كان الله مطلق ، فهو لا يشاء ولا يريد ، لأن المشيئة والإرادة تكون لما لم يوجد ، وتفترض أن هناك أشياء تنقص الله في الحاضر ، وأنه يريدها وأنه بصدد أن يأمرها بأن تكون فتكون ، وهو شيء غير معقول ومتناقص ، لأن الله لا يمكن أن ينقصه شيء ، أو أن يريد شيئاً ، أو أن يشاء شيئاً ، فالله حر ، وحريته ضرورية ، وأفعاله ضرورية لم تفرضها إرادته لأن الله ليست له إرادة ، وليس شخصاً معيناً كإلّه الديانات ، لأن كل تعيين سلب ، وليس له عقل لأنه لا يفعل لقصد ، وإنّما يفعل لضرورة ، ولو كان له عقل لكان شخصاً ، والتشخص تعيين والتعيين سلب كما قلنا . وسبينوزا يرفض ازدواجية العقل والجسم والله والطبيعة ، فإذا كنا نعرف الجوهر من صفاته ، والصفة هي ما ندركه من الجوهر مكوناً لماهيته ، فإن صفات الله ترد إلى اثنتين ، الامتداد والفكر ، والأجسام في الطبيعة أجزاء من الامتداد ، تمايزت عن بعضها تمايزاً ليس حقيقياً ، وكان تمايزها في الامتداد بفعل الحركة التي تفصل فصلاً غير حقيقي أجزاءاً عن أجزاء ، وليس الامتداد تجريد للأجسام نستمده منها ، لكن الأجسام أجزاء من الامتداد نتصورها به ، وليست الحركة إلاّ وجهاً من وجوه الامتداد ، أزلية كالامتداد ، لأنها ثابتة والطبيعة متغيرة . وكذلك الفكر ، فالمعاني فيه مرتبة ترتيب الأجسام في الامتداد ، والمعاني أحوال له . وعندما سأل أحد المريدين سبينوزا عمَّا إذا كان من غير الممكن أن لا نعرف من صفات الله سوى اثنتين ، أجابَ أننا لا نستطيع بالتفكير أن ندرك سوى ماهية العقل ، وماهية العقل هي فكرة الجسم ، ولا تنطوي الفكرة أو تفصح إلاّ عن صفتين من صفات الله هي الامتداد والفكر . ومثلما يندرج كل ما في الطبيعة في سلك الامتداد في نظام متسلسل ، كذلك تندرج كل المعاني في سلك الفكر في نظام متسلسل . وكل جسم له معنى أو فكرة هي نفسه Anima ، وفكرة الجسم الإنساني هي وحدها التي تستحق أن تسمَّى عقلاً Mens . وبمعنى آخر لكل فكرة الشيء الذي تكون هي فكرته Ideatum ، أي لكل فكرة جسمها ، والعقل الإنساني فكرة الجسم الإنساني . ما معنى ذلك ؟ إن عقلي يحوي أفكاراً أخرى خلاف جسمي ، فإذا احتوى

عقلي على فكرة كافية لشيء خلاف جسمي ، فلن تكون هذه الفكرة مجرد شيء يحتويه عقلي ، وإنَّما يكون عقلي أكثر من مجرد عقلي أنا وحدي ، وإنَّما يكون الشيء الذي يعمل في عقلي هو صفة الفكر السرمدية بما عليه من ترتيب المعاني . والنفس عموماً في كل الكائنات ، والعقل في الإنسان ، يبدآن وينتهيان مع الجسم . وأحوال العقل فكرية ، وأحوال الجسم حسية ، وهما متماثلان من حيث أن العقل يكون ما عليه الجسم ، والإدراك هو تصوّر العقل لما يحس الجسم ، وقوانين العقل هي التداعي والترابط تماثل قوانين الحركة في الجسم . وفي المرحلة الأولى من التجربة يكون الإدراك مجملاً غامضاً ، وما يتكون لدينا سوى أفكاراً في الحقيقة ، ولكنها صور Imaginationes ، وتكون سالبة أكثر منها فاعلة . ومن الاحتكاك المستمر بالأجسام الأخرى تأتي المرحلة الثانية وتتكون الأفكار ، وبتوالي التجارب تتجرد الأفكار وتتكون الفكرة العامة . وتتشابه التجارب لدى الأجسام المختلفة ، وتتشابه أفكارها العامة ، ويتقاسمها الناس ، بمعنى أن كل أفراد نمط الامتداد يكون لهم نمط الفكر الواحد . وبقدر ما تكون للإنسان من تجارب ، ويحصل من أفكار ، بقدر ما يقترب من الله ، لأن نظام الأفكار كله هو الفكرة المطلقة لله Infinita Idea Dei ، بمعنى أنه يقترب من حالة الله ، أو يصبح إلّهاً بمعنى من المعاني . وتأتي المرحلة الثالثة والأخيرة ، وهي أسمىٰ مدارج المعرفة ، وهي الحالة التي عليها عقل الله ، ويسميها سبينوزا المعرفة الحدسية Scientia Intuitiva ، وللنفس كذلك مراحلها الثلاث ، والمرحلة الأولى منها الإنسان كائن تحركه الرغبة في الحفاظ على حياته ، فما يزيد قدرتنا على البقاء نشتهيه لأنه يعطينا المتعة Laetitia ، وما ينقصها نكرهه لأنه يمنحنا الألم Tristitia ، والمتعة ليست هي الإحساس اللذيذ Titillatia ، والألم هو الحزن وليس الألم البدني . والاشتهاء Conatus هو الرغبة في شيء ، وانفعالات الإنسان خليط من الاشتهاء والمتعة والألم . وفي هذه المرحلة نطلب الأشياء أو نكرهها لمحض الاشتهاء أو الكراهية ، وليس لأنها خير أو شر ، ومن ثمَّ لا حياة خلقية في هذه المرحلة ، وإنَّما الإنسان فيها عبد لشهواته . وفي المرحلة الثانية نطلب الأشياء لأنها تساعدنا على البقاء وتصدر أفعالنا عن طبيعتنا وطبقاً للقوانين الكلية ، ونتحرر من عبودية الشهوات إلى حرية ممارسة طبيعتنا ، ونستمتع بالحياة لأن الإنسان الحر يطلب الحياة ولا يرتجي الموت . وعندما نتحرر من تشوش الأفكار الذي كان لنا في المرحلة الأولى ، وتصلب أعواد أفكارنا ، وعندما لا يحركنا شيء من خارجنا ، وعندما نندفع بما هو فينا وداخلنا ، نصبح أحراراً . والإنسان الحر لا يشعر بالألم ، لأنه يتحرك بأسباب نابعة من داخله ، والألم يأتينا من الخارج ، عندما تفرض أشياء علينا تحد من قدرتنا وتقلّص حيويتنا ، فالألم يتعارض مع الحرية . فإذا تجاوزنا هذه المرحلة إلى المرحلة التالية، لم نعد نشعر أننا جزء من الطبيعة ، أو ان علينا أن نتبع طبيعتنا طالما أننا جزء من الطبيعة ، بل نسمو فوق ذلك ، وندرك ذاتنا صادرة عن طبيعة الله ، لأن الطبيعة أو الاقتداء صنعة من صفات الله ، ونحن نعلم الله بصفاته ، فإذا كنا جزءاً من الطبيعة ، فنحن جزء من الله ، وبإدراكنا لذاتنا بهذه الصفة ، نمتلىء بفكرة الله وبمحبته ، وهي محبة لا تقابلها محبة من الله ، لأن الله لا ينفعل ، وهذه المحبة ، والامتلاء بالله ، واللذة المتحصلة ، هي النعيم الذي يخرج بالإنسان عن إطار الزمان ، وهي الحياة الأخرى الأبدية التي ليست كهذه الحياة ، لأن الحياة الأخرى ليست بقاء النفس بعد فناء الجسم ، فالنفس فكرة الجسم ، وبفناء الجسم تفنى النفس الشخصية ، وتبقى النفس السرمدية بفعل حصولها على الحقائق السرمدية ، وكلما زادت حصيلتها من هذه الحقائق زاد حظها من الخلود ، وما الخير إلا ما ندركه وما أثرى عقولنا ، وليس الشر إلا ما نجهله وما أفسد إدراكنا ، وسرور النفس بكمالها وعلمها . أما أفعالنا التي تصدر عن رجاء الجنة وخوف

النار فليست فاضلة ، لأن الفضيلة الحقة هي التي تجعل الإنسان حراً مستقلاً ، وهذا هو الدين الحق النابع من أنفسنا ، الدين الطبيعي أو دين الخاصة . وليس للإنسان الحر ما هو أنفع من الحياة في مجتمع الأحرار ، وسيحاول الإنسان الخير أن يعمل على أن يكون الآخرون أحراراً ، والحرية تكون بالمعرفة ، والمعرفة تعطي الحكمة ، والإنسان الحر يفعل ما يشاء ، لكنه لن يفعل ما يؤذي الآخرين أو يحد من حريتهم ، وهو متسامح مع الآخرين لا يتدخل في معتقداتهم طالما أنها لا تؤذي ، وطالما أنها طريق للحياة الفاضلة ، وهو متعاون مع الآخرين ، لأن الإنسان بدون ذلك لن تستقيم له حياة ، والإنسان الحر يتنازل عن بعض حقه على الأشياء للسلطة ، وتصير الطاعة واجبة عليه بحكم الميثاق والعقل ، لكن الطاعة لا تكون إلا للقانون النافع ، ومن حقه أن ينقد السلطة وأن يثور عليها ، ولا يكون له ذلك إلا في جو من الحرية وباحتكاك الآراء ، بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى صدام الأجسام بعد صدام الأقوال .

ولا شك أن سبينوزا كان يهودياً حتى النخاع ، وأن مذهبه كان رؤيا فلسفية للتلمود ، وجاء على خطى التراث اليهودي ، وهناك الكثير من المقابلات بين أفكاره وأفكار القبلانيين كموسى القرطبي وموسى الميموني ، وصدمت أقواله المسيحيين ، واعتبروها كفراً وإلحاداً ، وعندما قدمه بايلي Bayle للعالم المسيحي (١٦٩٧) ، بدهته حياته المتصوفة الفاضلة وأنكر منه أفكاره غير المسيحية ، وجهّله فولتير في الفيزيقا واستنكر استخدامه للميتافيزيقا ، وجاء أول إعجاب به على لسان ديدرو ، وفهم أن سبينوزا ينكر وجود كائن متمايز عن العالم المادي ، لكن نوفاليس قال ، على العكس ، ان سبينوزا ممتلىء بالله حتى الثمالة ، ولم يكن يقوم سبينوزا إلا اليهود ، وفي ألمانيا جرت مشادة ، ربما كانت تمثيلية يهودية ، بين المفكرين اليهود ، روجت لها وسائل الإعلام اليهودية ، صارت بين هيرود وجوته ، وانفعل جوته لمذهب وحدة الوجود ، وأعلن هيرود أنه سبينوزي . إزاء شدة الدعاية اليهودية في فرنسا ، وتغلغلها في الفكر والجامعات الفرنسية ، كان البعض يرفض سبينوزا لا على أساس فكري لكن بحجة أن العقل الفرنسي ، أو بمعنى أصح العقل المسيحي ، لا يلائمه تفكيره ، حتى أن بول جانيه أعلن أنه يوافق على أن سبينوزا عبقري ، ولكن عبقريته لا تناسب العقلية الفرنسية . وظهر الطابع اليهودي في فلسفته بشكل جلي في روسيا القيصرية ، حيث كان يشرف على ترجمته وطبعه دور نشر يهودية ، وكان شباب اليهود في المنظمات التقدمية والثورية يعرضون فكر سبينوزا بتفسيرات مادية ، وإنه لأمر يدعو إلى الشك أن تجد المذهب الفلسفي يحتمل كل التفسيرات ، وينفذ إلى كل البلاد والفلسفات من خلال اليهود وحدهم ، وإنه لأمر يدعو إلى الشك أكثر أن تكون دراسة سبينوزا في مجتمعات خاصة مغلقة ، تشبه الجمعيات اليهودية القبلانية السرية ، وأن يطلقوا عليه اسم « ماركس بدون اللحية » ، أضف إلى ذلك امتلاء المذهب بالألفاظ التي توهم بالدلالات وهي لا تدل على شيء ، وانطماس الغائية فيه حتى انتهى إلى الآلية المطلقة ، وتناقضه بين نفيه العقل عن الجوهر وصدور العقل عنه مع ذلك ، وترديه إلى القول بأن الشر فكرة ناقصة يحسبها الشرير كاملة ، فأقام مذهباً لا أخلاقياً بالرغم من دعواه بغير ذلك ، كل هذه مثالب وأمور نأخذها عليه وتجعلنا نتريث كثيراً ونتحسس طريقنا على مهل ونحن نقرأ سبينوزا .

ستاوت . Stout

(١٨٦٠ ـ ١٩٢٤) جورج فريدريك ستاوت ، انجليزي ، تعلم في كيمبردج وعلم بجامعات أبردين وأوكسفورد وسانت أندروز ، وأسهم في الأخيرة في إنشاء معمل نفسي ، ويعتبر آخر الفلاسفة الذين شاركوا في وضع الإطار الفلسفي لعلم النفس ، وكان تلميذاً لوورد غير أنه غير في فلسفته وزاد عليها ، وكان يفاخر بأنه تمثل في فلسفته أغلب المدارس الفلسفية والفلاسفة من سبينوزا إلى هوبز ، ويعترف بدينه الفلسفي لكثيرين ، ومن

مؤلفاته « علم النفس التحليلي Analytic Psychology » (١٨٩٦) ، و « المجمل في علم النفس A Manual of Psychology » (١٨٩٩) ، وهو يذهب إلى إبراز غائية كل النشاطات الشخصية ، وغرضية كل الاهتمامات العقلية ، مثلما فعل برنتانو ، وينبه ، مثل وورد ، إلى أهمية الانتباه في الإدراك الحسي ، ويتوسل لذلك بمنهج تحليل وصفي يقترب كثيراً من منهج هوسرل الظاهراتي ويتفق معه في فكرة القصدية ، ويفرق بين الموضوعات المحسوسة والفيزيائية ، والمحسوسة هي ما ندركها كمعطيات حسية إدراكاً مباشراً ونتكون لها ماثلات Presentations في العقل ، ولا يعني هذا أنها كيانات ذهنية ، ولكنها موضوعات مادية ، غير أن الفرق بينها وبين الموضوعات الفيزيائية أن الأخيرة لم تدخل في التجربة المباشرة ، ولا تعرف إلا ظاهرياً ، فالمجداف مثلاً يبدو في الماء للرائي صاحب التجربة المباشرة مكسوراً ، لكنه في الواقع وبالتحليل غير مكسور ؛ ويبني ستاوت على هذه التفرقة نظرية في الخطأ Theory of Error ، يفسر بها الخطأ بأنه الاعتقاد بأن المظهر هو الحقيقة ، وأنه إدراك المعطيات مشروطة بشيء آخر خلافها ، ويبني عليها كذلك نظرية في المعرفة تقوم على التفرقة بين المعرفة المباشرة وغير المباشرة ، وتكون المباشرة في حالة المعطيات الحسية والقضايا الواضحة البسيطة ، وغير المباشرة في حالة بلوغها بالاستدلال المنطقي وما يشابهه ، ويجعل الأول أساس الثانية ، ويصفها بأنها التيار المتدفق أبداً إلى الوعي المعرفي ، والذي يندمج في غير المباشرة ليصفا معاً وحدة النسق المعرفي Noetic Synthesis . وهذه الوحدة التي يتحدث عنها يعود إليها في نظريته في الذات المتجسدة Embodied Self يحل بها مشكلة ثنائية العقل والجسد ، والمشكلة النفسية الفيزيائية ، ويلخصها في تجربة الفرد بجسمه ، فأنا أدرك جسمي كموضوع ، لكني أعي جسمي وعقلي بوصفهما عاملين لا انفصام بينهما ، وأني موجود بهما وجوداً غير منقسم ، لأن كل إنسان يعي نفسه كوحدة لا يتميز فيها العقل عن الجسم ، وخطأ الفلسفة الديكارتية والفلسفات الروحية والمادية هي أنها مزقت هذه الوحدة وقابلت بين الجسم والعقل .

ستروسن ... ... Strawson

بطرس فريدريك ستروسن ، بريطاني ، ولد عام ١٩١٩ ، وتعلم بجامعة أكسفورد وعلم بها ، واشتهر كعضو بارز ضمن جماعة الفلاسفة الذين صاغوا لأكسفورد فلسفة وصفت بأنها « **فلسفة اكسفورد Oxford Philosophy** »وجعلت للّغة العادية فلسفة أطلقوا عليها فلسفة اللغة العادية Ordinary Language Philosophy . ومن أهم كتاباته مقال « **الصدق Truth** » (١٩٤٩) نقد فيه نظرية الصدق السيمية وطرح وجهة نظر بديلة تزعم أن قولنا عن جملة أنها صادقة لا يؤدي مهمة تقريرية ولا وصفية ، لكنه تعبير مثبت أو مؤيد للجملة ، ومقال « **في الإشارة On Referring** » (١٩٥٠) نقد فيه النواحي الفلسفية لنظرية رسل في العبارات الوصفية ، زاعماً أن عبارة « ملك فرنسا أصلع » تفترض مسبقاً وجود ملك لفرنسا لكنها لا تثبت وجود هذا الملك ، وهناك فرق بين الجملة والجملة التي تشير إلى وجود شيء والجملة التي تقطع بوجوده ؛ وكتاب « **مدخل إلى النظرية المنطقية Introduction to Logical Theory** » (١٩٥٢) ناقش فيه السمات المنطقية للّغة العادية والعلاقة بين هذه اللغة والمنطق الصوري وقال بوجود هوة بين الاثنين أوسع مما يظن ، وكتاب « **الأفراد Individuels** » (١٩٥٩) واصل فيه بحثه في اللغة العادية ، وطرح فيه ما أسماه **ميتافيزيقا وصفية Descriptive Metaphysics** ، شرحها بأنها تختلف عن **الميتافيزيقا التنقيحية Revisionary Metaphysics** ، ميدانها وصف التركيب القائم لفكرنا عن العالم وليس اقتراح تركيب أفضل له ، والكتاب دراسة لوسائل تمييز الأشياء المفردة عن الكليات ، والأشياء المفردة هي الأشياء المادية ، ويخلص إلى تمييزها على أساس ما

يمكن مشاهدته منها لمدة طويلة وهو موقعها المكاني والزماني .

ستيفن .... Stephen

(١٨٣٢ ـ ١٩٠٤) ليزلي ستيفن ، إنجليزي ، كان كاتباً متعدد المواهب ، من أسرة متدينة ، تعلم بكيمبردج ورسم قسيساً ، لكنه عكف على دراسة الفلسفة ووقع تحت تأثير مل وداروين وسبنسر وهيوم ، وساورته الشكوك الدينية ، وأخيراً تخلى عن منصبه الديني ، واحترف الكتابة في الصحف ، وتزوج ابنة الروائي ثاكاري ، وأنجب من زواجه الثاني الروائية فيرجينيا وولف . وأدى به إلحاده إلى القول باللاأدرية ، وأن يصف نظرته بأنها نظرة مفكر حر ، وأن يعادي كل تأمل ميتافيزيقي ، ويمجد العلم بوصفه النموذج الصحيح لكل تفلسف والأساس السليم لكل تقدم بشري ، وأن يبحث للأخلاق عن أساس واقعي يحررها من الجزاء الديني ويقيمها على منهج علمي يصف الوقائع ويحللها ويخلص منها إلى ما يمكن أن يكون السمات العامة للطبيعة البشرية وللسلوك الإنساني ، وما ينبغي أن تكون عليه الإنسانية في العملية التطورية التي تشمل الكون كله . ويعد كتابه « **علم الأخلاق The Science of Ethics** » (١٨٨٢) أهم مؤلفاته الفلسفية ، ويذهب فيه إلى تأكيد العلاقة البيولوجية بين صحة الفرد النفسية وكفاءة المجتمع وسلامته ، ويعتبر الفرد خلية ، وباجتماع الخلايا يكون نسيج المجتمع ، وبقدر قوة وحيوية الخلايا بقدر قوة وحيوية النسيج في عملية الصراع من أجل البقاء . ويصف الخير الأخلاقي بأنه الذي يدعم الصحة النفسية للفرد ويؤدي إلى تقدم ونهوض حقيقي في حياة أفراد المجتمع ، وهدف الأخلاق هو تربية الفرد ليحافظ على سلامة هذا النسيج الاجتماعي Social Tissue ويزيده قوة وكفاءة .

ستيوارت .... Stewart

(١٧٥٣ ـ ١٨٢٨) دوجالد ستيوارت ، إسكتلندي ولد بإدنبرة ، وتعلم وعلم بجامعتها ، وانتقلت إليه زعامة مدرسة الإدراك الفطري الاسكتلندية التي أسسها توماس ريد ، وكان أقدر تلاميذه ، واقتفى أثر ريد في النقاط الأساسية من مذهبه ، وانحصر إسهامه في محاولته وضع تعاليم أستاذه في صورة مذهبية أكثر دقة . أهم كتبه « **عناصر فلسفة العقل البشري** » (ثلاثة أجزاء ، الأول في ١٧٩٢ ، والثاني ١٨١٤ ، والثالث ١٨٢٧) ، « **مقالات فلسفية** » (١٨١٠) و « **فلسفة القوى الفاعلة والأخلاقية في الإنسان** » (١٨٢٨) .

سدجويك Sidgwick

(١٨٣٨ ـ ١٩٠٠) هنري سدجويك ، إنجليزي ، ولد في يوركشاير ، وتعلم بكيمبردج وعلم بها الفلسفة الأخلاقية ، وكان عضواً بارزاً في جماعة الفلاسفة الذين كانوا يتحلقون حول جون جروت لمناقشة قضايا الفلسفة ، وشارك بالمال والوقت في إنشاء كلية نيونهام النسائية ، وأسهم في تأسيس جمعية البحث الروحي ورأسها مرتين . أهم كتبه « **مناهج علم الأخلاق The Methods of Ethics** » (١٨٧٤) الذي اعتبره البعض أهم كتب علم الأخلاق في اللغة الإنجليزية إن لم يكن في كل اللغات . وهو من أتباع المذهب النفعي القائلين بالواجب ، وكان الشك الديني قد عصف به لفترة وانتهى إلى أنه من خلال الفلسفة وحدها يمكن أن يعثر على إجابات شافية لأسئلته الدينية ، وعلى ذلك انهمك في القراءة وتعلم العبرية والعربية آملاً أن يستقر على وضع من خلال البحث التاريخي . ولقد رأى أن الفلسفة لا تهدف إلى الاستزادة من المعارف ولكنها تحاول أن تنسق بينها وتنظمها وتصنع منها ومن مناهجها كلاً واحداً ، وأن الغاية من التفلسف أن يجيب الإنسان على القضايا التي تؤرقه ، وأهم سؤال يطرح نفسه عليه بشدة هو : لماذا نعيش ؟ ويرى سدجويك أن الإنسان يسعى إلى السعادة وتحصيل اللذة ، وأن السعادة هي الخير الأسمى ، وأن كل المعارف الأخلاقية الأخرى تبحث في توزيع اللذة توزيعاً أمثل ، وأنها تنصرف منصرفات ثلاث ، الأول حدسي يؤسس الأخلاقية على

مبادىء واضحة بذاتها قبلية قد فطر الإنسان بها على التمييز بين ما ينبغي وما لا ينبغي عمله ، والثاني نقص أناني يقصر الإنسان الخير بمقتضاه على نفسه دون الناس، والثالث نقص عام يؤثر بمقتضاه الناس على نفسه ، واختار سدجويك أن يقول بالثلاثة معاً ، فيؤسس الأخلاقية على الفطرة السليمة ومبدأ الخيرية ، وتقر بمبدأ الأثرة العقلي ، ولأنه يعترف بأن من الصعب على الإنسان أن يحل التعارض بين فطرته المدفوعة إلى فعل الخير وبين الأثرة المجبول عليها يختار طريقاً وسطاً هو النفعية التي توفق بين الصالحين الخاص والعام ، ولكنه يقر كذلك أن هذا التوفيق يستحيل أحياناً ما لم يشعر الإنسان ، أن هناك سلطة عليا ستثيبه على تضحيته بذاته وستعاقبه على أنانيته ، وأن الإنسان قد اعتاد أن تكون هذه السلطة هي الله ، ويرى سدجويك أن النظرة الإلهية مسألة طبيعية في الإنسان ، لكنه لم يعثر من البراهين على إثبات أن الله موجود ولذلك فقد رفض أن يستخدمها في تفلسفه .

سرخسي

أحمد بن الطيب السرخسي (المتوفي ٨٩٩م) كان معلماً للخليفة العباسي المعتضد ، وتتلمذ على الكندي ، وأولع مثله بالمنطق والكلام ، إلا أنه تزندق وجاهر بإلحاده .

سرهندي .... Serhindi

(١٥٦٤ ـ ١٦٢٤م) أحمد سرهندي ، صوفي من الهند ، له أكبر الأثر في رد المسلمين بالهند عن الزندقة التي تفشت خلال حكم الإمبراطور أكبر ، وأهم مصنفاته « مكتوبات » التي وجهها لمريديه يشرح فيها مسائل العقيدة ، ويرد الطرق الصوفية عن القول بوحدة الوجود إلى اعتناق وحدة الشهود ، وكان نقشبندياً ، عارض الشيعة فأوغروا صدر الإمبراطور جهانكير ضده ، واستدعاه ، ولكنه اقتنع به وأكرمه ، وتوفي ودفن بسرهند حيث قبره مزار حتى اليوم .

سعاديا .... Saadia

(انظر ابن يوسف) .

سقراط .... Socrates

(نحو ٤٧٠ ـ ٣٨٩ق.م) أعمق فلاسفة اليونان تأثيراً في الفكر اليوناني ، به ينقسم تاريخ الفلسفة إلى ما قبل سقراط وما بعده ، تتسم شخصيته بالغموض،وتتضارب الروايات بشأنها ، لكن الإجماع ينعقد على أنه إنسان حقيقي عاش ومات في أثينا ، وأنه كان من الطراز السوفسطائي المعلم ، وأنه كان يعلم شباب أثينا حكمة التمايز عن الآخرين Arete ، وأنه دخل في مجادلات ومحاورات مع السوفسطائيين اشتهرت عنه ، وجعلت لفلسفته أو لشخصيته طابعها الإنساني العميق . ولعل أشهر الروايات أو الشهادات التي تثبت حياته ، ثلاث هي مسرحية « السحب » لأرستوفان ، و « المذكرات » لأكسينوفون ، والمحاورات لأفلاطون . وينتمي سقراط للطبقات الشعبية ، فأبوه نحات صناعته تشكيل حجارة المباني ، وأمه قابلة ، وبدأ سقراط حياته كأبيه ، وكان يشبه نفسه بالقابلة صناعته توليد نفوس الرجال واستخلاص الأفكار من القول والحق من الصدور ، وكان ربعة الحسم دميم الخلقة جاحظ العينين عبل الصوت ، لكنه كان دمث الخلق إلى حد التواضع وكأنه الطفل ، إذا تحدث بهر محدثه ببلاغته وبساطة حديثه وقوة عارضته ، ولقد انصرف عن مهنة أبيه ، وأهمل أسرته ، وتفرغ للتأمل وارتياد الأوساط الفكرية ، واتخذ شعاره « إعرف نفسك Know Thyself » الذي قرأه على معبد دلف ، وكان سوفسطائياً على طريقته ، ومعلماً كالسوفسطائيين يعلم شباب أثينا فن البراعة Sophia والتفوق Arete ، واتهم مثلهم بإفساد الشباب ، وحكم عليه بالإعدام كبعضهم ، وكانت طريقته فريدة حقاً تقوم على الجدل وتتوسل بتصنع الجهل ، ويقال إن أحد تلاميذه سأل كاهنة معبد دلف إن كان هناك رجل أحكم من سقراط ، فأجابت بالنفي ، وأن سقراط خرج إلى الأسواق والطرقات يعرك الناس

ويمتحن نفسه إن كان أحكم منهم ، وكان محدثوه من أدعياء العلم ، وكان سقراط يبدأ فيسألهم عما يعنونه بالخير والشر ، أو الشجاعة والجبن ، أو العدل والظلم ، وكان يطلب من محدثه إجابة جامعة ، وتعريفاً مانعاً ، وكان ينأى عن الطبيعيات والرياضيات ، ويؤثر الإنسان بنظره ، وشغل بالأخلاق باعتبارها ماهية الإنسان ، وهذا ما قصد إليه شيشرون عندما قال إن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ، أي أنزل الفلسفة من البحث في الأفلاك والعناصر إلى البحث في النفس وفيما يؤدي إلى خيرها ، وكانت أصالته الحقيقية في مفهومه الجديد للنفس ، فبالتأمل والاستبطان يدرك الإنسان أبعاد شخصيته ويحقق لذاته التفوق ، بسيطرة النفس على شهوة البدن واتجاهات العقل ، ولا تقوم سعادة النفس على الجاه والسلطان ، لكنها تقوم بالعلم بما ينبغي عمله ، والحكمة هي كمال العمل القائم على كمال العلم ، والفضيلة علم ، والرذيلة جهل ، بمعنى إن من يعلم نفسه يعلم خيرها ويعمل بمقتضاه ، والشرير جاهل بنفسه وبالناس لا يعرف خيرهما . وميزة سقراط هي ارتباط العلم عنده بالعمل ، ولم يكن ذلك إلا لقوة شخصيته، وهذه الشخصية القوية هي التي جعلت من قضايا العقل عنده قضايا وجود ، وجعلته ينفر من صراعات الآلهة وشهوانيتهم لاعتقاده ان الألوهية مثل أعلى وضمير نقي ، ودفعته إلى نبذ القرابين والصلوات في المعابد لإيمانه أن الدين عقيدة وعمل ، وأنه لا معنى لطقوس تؤدي مع تلطيخ النفس بالإثم ، وأثارته إلى الاشتباك مع الناس وتسفيه أحلامهم بجدله السقراطي الذي كان يوقع محدثه في التناقض ، ويبرهن على أنه ما كان يعرف شيئاً عن الموضوع الذي تصدى له . وكان سقراط يفكر أنه كان يعلم جهل خصمه ، أو أنه يقصد إلى اتهامه بالجهل ، ويدعي أن ما يطرحه على خصمه من اسئلة هدفها توليدي أي جلاء الحقيقة التي يعرفها الخصم وحده دون غيره ، أي أنه كان يهدف إلى إثبات وجهة نظر الخصم لا دحضها ، ومن أجل ذلك لقبوه بالماكر ، والمكر باليونانية تعني التهكم ، والتهكم Elenchus هو طرح معنى ينفي المعنى الأول ويناقضه ، وهو أسلوب في الجدل أثار عليه حفيظة الجميع ، فلما اتهموه بالإلحاد وبأنه يسخر من آلهتهم ، أمعن في تحديهم بنفس طريقته الجدلية بمرحلتيها التهكم والتوليد ، وطرح عليهم مفهومه لرسالته من وصف كاهنة دلف له بأنه أحكم الرجال ، وكأنما كانت تشير عليه بواجبه في الحياة ، بأن يعطي قومه ويبين لهم أن التقوى هي العمل لخير النفس والناس بما يقتضيه العقل والحكمة . وروى لهم أن كثيراً ما كان يسمع صوتاً إلهياً من داخله يحدثه وينهاه كلما هم بفعل ضار ، فأدانوه لكنه رفض التهمة ، ورفض أن يتوسل إليهم أن يرحموه ، ورفض أن يدفع الغرامة ، وكان ذلك إمعاناً في تحديهم ، فأصدر القضاة حكمهم بالإعدام ، وهيأ له تلاميذه فرصة الهرب ، لكنه رفض لأنه كان يؤمن برسالته ، وأنه أينما حل سيعظ ويذكر ويقض مضاجع الناس ويثير عليهم ضمائرهم ، ولن يكون حاله بأحسن منه في بلده ، ولأنه أحب أثينا وعاش فيها طيلة عمره ولا يفضل عليها مكاناً آخر ، ولن يستقيم وعظه لو أنه هرب من القوانين التي كان يدعو لاحترامها . وتناول سقراط سم الشوكران من سجانه ، وشرب كأسه حتى الثمالة دون أن تطرف له عين ، بينما تلاميذه يجهشون بالبكاء وهو ينهرهم ويذكرهم بأن الموت حق وخير ، ثم غلبه الموت ، فاضطجع حتى أسلم الروح .

سكوت ...... Scot

ميخائيل سكوت أو ميخائيل الاسكتلندي ، ولد باسكتلندة (أواخر القرن الثاني عشر) وعاش رجولته في طليطلة بأسبانيا ، وكانت مركزاً من أهم مراكز ترجمة الفكر العربي إلى اللاتينية ، وترجم كتابي « علم الهيئة » للبطروجي و « الحيوان » لأرسطو بشروح ابن رشد عليه ، وذاعت ترجماته لأهمية شروح ابن رشد ، وكان لها أثرها الكبير على مدرسي الفلسفة لعدة أجيال ، واستدعاه فردريك الثاني ملك صقلية ، وكان بلاطه من أهم مراكز ترجمة الفكر العربي ، واختصه سكوت

بكتب خمسة من تأليفه ، تلخص جماع العلم البشري في التنجيم والفسيولوجيا والكيمياء وكتاب ابن سينا « الحيوان » ، ذاع أمرها وأشهرته ، وجعلت منه علماً من أعلام الترجمة في القرن الثالث عشر ، لكن دانتي يجعله من سكان النار لممارسته السحر .

سلسس **Celsus**

أفلاطوني ، صاحب كتاب « **الدين الحقيقي** » (١٧٨م) الذي تصدى له أوريجين بالرد « **ضد سلسس Contra Celsus** » بعد ذلك بسبعين سنة . والكتاب يهاجم المسيحية ، ويسفه الحلول والتثليث ، ويصف المسيحيين بأنهم لا أخلاقيون ، لأنهم يعتقدون في أشياء غير معقولة ، ويدعوهم إلى التنكر لدينهم ، وإلى الأخذ بدين الآباء الذين ورثوه عن الأجداد ، لأنه الدين الحقيقي الذي يدعو إلى عبادة الله الواحد وإن تعددت أسماؤه في اللغات المختلفة .

سلفية

فرقة من الشيعة الإمامية ، قالوا المتشابهات حق بلا شبهة ، كما عليه السلف .

سلمانية

فرقة إسلامية من غلاة الشيعة ، قالت بنبوة سلمان الفارسي ، وأعطته اسماً غنوصياً هو « سلسل » ، ولذلك يطلق عليهم أحياناً اسم السينية ، وإن كان يشترك معهم في الاسم الشيعة الخطابية والدروز طالما أنهم يطلقون لذلك على سلمان اسم سلسل .

سلوكية **Behaviourism**

من السلوك Behaviour ، وهو الاستجابة الكلية الحركية والغددية التي يقوم بها الكائن الحي كنتيجة للموقف الذي يواجهه . والسلوكية نظرية في علم النفس أساساً راجت بين الحربين العالميتين كرد فعل للمنهج الاستيطاني ، وخاصة في الولايات المتحدة ، وتدرس الاستجابات الواقعية التي يمكن ملاحظتها وتجربتها ، ولا تقول باللاشعور كدافع من دوافع السلوك ، ومن أقطابها وطسون وجوثري وسكينر وثورندايك وتولمان وهل ، ويصفونها بأنها علم موضوعي تجريبي محض ، هدفه التنبؤ بالسلوك والسيطرة عليه ، ويقولون بإمكان تحليل كل سلوك إنساني أو حيواني إلى مثير واستجابة Stimulus - Response ، وأنه لا فرق بين الإنسان والحيوان في ذلك إلا في درجة تعقيد السلوك ، ويقسمون الاستجابة إلى فلقات Segments أو وحدات ويردون إليها النمط السلوكي أو الفعل المركب ، ومن ثم يصفونها بأنها علم كتلي Molar Science يكتشف التغيرات الجزئية Molecular Changes ويربط بينها في شكل استجابات كلية ، ويربط بين هذه الاستجابات وظروف الكائن البيئية ، الماضية والحاضرة ، ويسمي هذه الظروف محددات السلوك Behaviour Determinants ، ويضيف إليها المحددات الداخلية للكائن وهي رغباته أو دوافعه باللغة العادية ، ومن ثم يسمي السلوكيون نظريتهم باسم نظرية م ـ س S- R Theory (أي نظرية المثير ـ الاستجابة) . والسلوكية نظرية مادية ميكانيكية ، ولعل توماس هوبز (١٥٨٨ ـ ١٦٧٩) أقدم من بحث في الظواهر النفسية باعتبارها ظواهر مادية مرئية يمكن ملاحظتها وردها للظروف المحيطة .

سليمانية

السليمانية : فرقة من الشيعة ، أصحاب سليمان بن جرير ، قالوا الإمامة شورى فيما بين الخلق ، وإنما تنعقد برجلين من خيار المسلمين ، وجوزوا إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، وأخذوا على الرافضة قولهم بالبداء والتقية .

سمبليقوس **Simplicius**

أفلاطوني محدث من القرن السادس ، ومن شارحي أرسطو ، درس بالاسكندرية على أمونيوس ، وبأثينا على دمسقيوس ، ولما أغلقت مدرسة أثينا (٥٢٩م) رحل إلى فارس حيث كان كسرى أنوشروان يرحب

بالفلاسفة ، ولما عاد منعته وثنيته من أن يحاضر ، وبقيت من شروحه على أرسطو المقولات والسماع الطبيعي والسماء والنفس ، تدل على مبلغ علمه وتمكنه ، وربما كانت أهميته في تاريخ الفلسفة أنه أورد فيها الكثير من أقوال الفلاسفة السابقين على سقراط ، وأنه من المسلمين بأفلاطونية أثينا المحدثة ، وأنه حاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو ولا يرى اختلافاً بينهما إلا في نقاط لا تبدو جوهرية ، فمثلاً إذا تحدث كلاهما عن الحركة فإن أفلاطون يقصد بها الحركة الأولية بينما يقصد أرسطو الحركة الثانوية أو السائرة .

سمطس .... **Smuts**

(١٨٧٠ ـ ١٩٥٠) جان كرستيان سمطس ، جنوب أفريقيا ، ولد بالقرب من ريبيك ويست بمقاطعة رأس الرجاء الصالح ، وتعلم القانون بكيمبردج ، واشترك في حرب البوير ضد الانجليز برتبة جنرال ، وانضم للحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، وعين رئيساً للوزارة في بلده ، وطرح في كتابه « **النظرة الكلية ـ والتطور Holism and Evolution** » (١٩٢٦) تفسيراً للعالم يقوم على مقولة الكلية بوصفها المقولة الأساسية في الكون ، ويشتق لفظتها من كلمة Holos الإغريقية بمعنى الكل ، ويقول إن التطور يعني التخلق الدائم والتشكل المستمر لكائنات جديدة تماماً يطلق عليها اسم الكليات Wholes ، ويعني بكلمة الكل أنه الذي يتجاوز الأجزاء الداخلة فيه ويذيبها بحيث تنمحي فيه . ويدل التطور على أن الكون كله يحكمه مبدأ خالق ، ويدل تاريخ التطور على أن هذا المبدأ الخالق هو المسؤول عن مجرى التطور العضوي وغير العضوي ، ففي البدء كان المبدأ الكلي Holistic Principle يستولد كليات بدائية من النوع المادي الخالص ، ثم من خلال سلسلة من الطفرات الخلاقة استولد مركبات بيولوجية وعقولاً واشخاصاً ، ثم تجسد المبدأ الكلي بأوضح ما يكون في القيم الروحية ، وفي هذه المرحلة أو المرتبة من التطور تشكل الحب والجمال والخير والحق ، وكانت الشخصية الإنسانية أسمى تجسيد لمقولة الكلية .

سمنية

بضم السين وفتح الميم ، المنسوب إلى سومنات ، وهم قوم من عبدة الأوثان ، قائلون بالتناسخ ، وبأنه لا طريق للعلم سوى الحس .

سنيكا .... **Seneca**

لوسيوس أنيوس سنيكا ، ولد في قرطبة بأسبانيا في أوائل التاريخ المسيحي ، من أسرة متوسطة ريفية تشتغل بالفكر ، وكان أبوه من الفصحاء فأحب سنيكا البلاغة وورث عنه القدرة عليها ، ومزجها بدراسة الفلسفة ، وكانت مركباً من كل المذاهب التي سادت عصره وأخصها الرواقية ، واشتهر سنيكا بالخطابة ، واحترف السياسة ، وأصبح من الشخصيات الضاغطة في مجتمعه ، والخطرة على الامبراطور كاليجولا ، ومن ثم قبض عليه وصدر حكم الامبراطور بإعدامه ، لكن تهافت صحته أنقذه من إعدام مؤكد ، وفي عهد الامبراطور كلوديوس اتهموه بالتغرير بابنة اخت الامبراطور وصدر قرار بنفيه إلى كورسيكا ، فظل بها ثماني سنوات يتجرع الوحدة والألم ، لكنهم استدعوه إلى روما ليكون مؤدب الشاب نيرون ، فلما ارتقى نيرون العرش ، صار ناصحه الأول والمستشار الذي يرجع إليه ، لكنه سرعان ما أفل نجمه وعاد بعد ثلاث سنوات ، بازغاً من جديد ، متهماً بالتآمر على نيرون بقصد قلب نظام الحكم وتولي العرش ، وصدر ضده حكم الامبراطور ، بالانتحار ، تنفيذاً لفلسفته ، وخلاصاً من حياته ، ولعلها كانت أغرب حياة تأرجح فيها بين أقصى النجاح وأقصى الفشل ، وتمرس بالحياة في البلاط ، وخبر أخلاق الحكام والارستوقراطية ، فكان خير من يتحدث في الأخلاق . كتب المقالات الأخلاقية ، شارحاً ومراجعاً للنظرية الأخلاقية ، ونشر مجموعة « الخطابات الأخلاقية » ، عددها ١٢٤ رسالة وجهها إلى تلميذه الذي يتلقى عنه الرواقية ، يعالج فيها

معاني التفكير والتصرف السليمين ، وفلسفته رواقية ، وكثيراً ما يقتبس من أبيقور ، ويجمع فيها آراء من مذاهب أخرى ، يؤلف بينها على الطريقة التي سادت زمنه ، حتى ليصعب أن نميز بين ما كان منها عند أصول كلبية ، وما كان منها رواقياً ، للتشابه بين المذهبين ، وهو يدعو الناس إلى الفضيلة ، ليكونوا فضلاء كما يريدهم الله ، وليكونوا حكماء ، فالحكمة مفتاح الخير ، والحكمة والخير يطابقان إرادة الفرد بإرادة الله ، فيصبح ما يريده الله هو ما يريده الفرد ، ويحصنانه ضد ضربات القدر . وليس فيما يدعو إليه سنيكا جديد على الفكر الرواقي ، وإنما الجديد قدرته على صياغة هذا الفكر ، والدفاع عنه ، والحض عليه ، والمقارنة بين الفضيلة . والرذيلة ، والمكاسب والخسائر التي تعود على الفرد منهما ، ويثري ذلك بالأمثلة ، ولكن ما يسوقه يخرج عن كونه فلسفة متماسكة ، وسنيكا فيه لا يعدو المدرس أو « طبيب الروح » .

سهروردي ... Suhrawardi

(١١٥٥ - ١١٩١ م) شهاب الدين السهروردي ، ولد بسهرورد بإيران ، ومات مشنوقاً في حلب بعد محاكمة بتهمة الكفر بأمر صلاح الدين الأيوبي ، ويسميه كتاب السير بالشيخ المقتول ، ويدعوه تلاميذه بالشيخ الشهيد ، وتسمّى فلسفته بالفلسفة الإشراقية Illumination Philosophy ، ويشرحها في كتابه الرئيسي « حكمة الإشراق » ، وقد تأثّر فيها بما يسميه ابن سينا في قصته الرمزية « حي بن يقظان » بالفلسفة المشرقية Oriental Philosophy ، ويعني بها حكمة المشرق ، وينسج السهروردي قصة رمزية على منوالها يسميها « الغربة الغربية » ، تبتدىء حيث تنتهي قصة ابن سينا ، وهو يعني بالإشراق إشراق الشمس عند طلوعها Aurora Consurgens ، أو الظهور الصباحي للأنوار المعقولة الذي يتبدّى للصوفية ، ويصف فلسفته بأنها أفلاطونية ، ويصفه أتباعه بأنه شيخ الإشراقيين الذين رئيسهم أفلاطون ، في مقابل الفارابي شيخ المشائيين الذي رئيسهم أرسطو ، والأولون علمهم كشفي أو حضوري Presential ، ومعرفتهم مشرقية أي لدنية تنتمي إلى المشرق وتقوم على الكشف والمشاهدة الباطنية ، والآخرون علمهم صوري - Re Presentative ، ومعرفتهم مغربية أي تنتمي إلى الغرب وتقوم على التفكير الاستدلالي والاحتجاج المنطقي . والعلم المشرقي نور وظهور وإشراق حضوري تشرق به النفس وكل الكائنات على الموضوع فتستحضره أمامها بأن تستحضر نفسها ، وهذا هو الحضور الإشراقي . واستحضار النفس لنفسها يكون بانتزاعها من برزخ منفاها المغربي أي عالم المادة الأرضي . ووظيفة الحكمة اللدنية المشرقية هي إرشاد الحكيم الإشراقي ليعي غربته الغربية وحقيقة عالم البرزخ بصفته غرباً يقابل مشرق الأنوار . وهي لا تفصل بين البحث الفلسفي والتحقق الروحي ، ولذلك فهي أحرى بالفلاسفة المتألّهين وليس بالفلاسفة .

سورلي ... Sorley

(١٨٥٥ - ١٩٣٥) وليام ريتشي سورلي ، بريطاني ، ولد في سيلكيرك باستكتلندة ، وكان أستاذاً للفلسفة الأخلاقية بجامعة كيمبردج ، وفلسفته مثالية أقرب إلى كنطية فندلبنت Windelband المحدثة ومدرسة بارن منها إلى المثالية البريطانية ، بحكم بحثه في مشكلات فلسفة القيمة ولاهتمامه بتاريخ الفلسفة . وهو ينقد كافة صور الأخلاق الطبيعية في كتبه التي أهمها « **أخلاق المذهب الطبيعي Ethics of Naturalism** » (١٨٨٥) ، و « **القيم الخلقية وفكرة الله Moral Values and The Idea of God** » (١٩١٨) ، ويستعين في فلسفته بلوتسه وكنط وريكرت وهيجل ، ويقسم الوجود إلى عالم الأشياء وعالم القيم ، والعلوم إلى طبيعية وتاريخية ، ويجعل اختصاص العلوم الطبيعية دراسة عالم الأشياء والعلاقات السببية العامة ، واختصاص العلوم التاريخية دراسة تواريخ الأشخاص ،

والفردانية هي ما يميز الأشخاص ، وتعني امتلاك القيم حتى ليمكن تسمية الأشخاص بأنهم حملة القيم ؛ وهو يفرّق بين القيمة الأداتية للأشياء Instrumental Value والقيمة الحقيقية للأشخاص Intrinsic Value ، ويقول مثل لوتسه بعدم جواز الانتقال من عالم الواقع وما هو كائن إلى عالم القيمة وما ينبغي أن يكون ، لأنه لا يوجد طريق يوصل بينهما ، وبعدم جواز تفسير المراحل العليا بالمراحل الدنيا ، وهو يجعل عالم القيم في مكانة ميتافيزيقية أعلى من مكانة عالم الأشياء والطبيعة ، ويعقد للأشخاص مكان الصدارة في عالم القيم بوصفهم حملتها ، ومن ثمَّ كانت مثاليته مثالية أشخاص ينضوون تحت لواء إلّه يتصوره هو نفسه شخصاً ، أو هي على الأصح مذهب في الربوبية يؤكّد على الأخلاق Ethical Deism .

سوفسطائيون ..... Sophists

مدرسون متنقلون ، وجدوا في القرن الخامس وأوائل الرابع قبل الميلادي في اليونان ، وكان مركزهم أثينا ، ويُقال إن بروتا غوراس وجورجياس بروديقوس وهبياس وأنتيفون وثراثيماخوس وليقافرون وإيزوقراطس كانوا الرعيل الأول للحركة السوفسطائية القديمة ، بينما كانت الحركة السوفسطائية الثانية أو المحدثة أوسع انتشاراً وشملت كل العالم المتحدث باليونانية ، وبدأت في القرن الثاني الميلادي بهدف إحياء الأمجاد الأدبية للعهد الكلاسي ، وكان السوفسطائي هو مدرس البلاغة ، أما في القرن الخامس قبل الميلادي فالسوفسطائي الحكيم السياسي ، البارع في أحد الفنون ، وعملياً كان السوفيسطوس Sophistes من الحكماء هم المكشوف عنهم الغيب أصحاب الرؤى والدعاوي ، مثل أورفيوس وفيثاغوراس والحكماء السبعة . لكن أفلاطون وأرسطو شنّا حرباً دعائية ضد السوفسطائية ، وأصبح السوفسطائي عنواناً على المغالطة والجدل العقيم واللعب بالألفاظ وإخفاء الحقيقة . والواقع أن التعليم قبل السوفسطائية كان قاصراً على الموسيقى والدراما ، والفنون السبعة عموماً ، والرياضة ، وفي القرن الخامس قبل الميلادي ظهرت الحاجة لنوع آخر من التعليم مساوٍ للتعليم الثانوي والجامعي لدينا ، وكان بديهياً أن يضطلع به معلمون من طراز خاص يتقاضون عليه أجوراً ، وكانت الحياة المدنية قد زادت تعقيداً وكثرت مشاكلها ، وذاعَ نوع من الجدل القضائي والسياسي أمام المحاكم والمجالس الشعبية اقتضى التضلّع في الخطابة والبلاغة وأساليب الجدل ، وكان السوفسطائي هو المعلم ، أو الأستاذ كما نقول الآن ، الذي يمكن أن يتلقّى الشباب عليه هذه الفنون ، واتُّهم بإفساد الشباب لأنه كان يعلمهم الاعتماد على العقل ويحضّهم على مناقشة كل شيء ، حتى الأخلاق والدين ، وهي نفس التهمة التي وُجّهت إلى سقراط ، ويقول المؤرخ جورج جروت أن السوفسطائيين كانوا يعلمون الشباب أخلاق زمانهم ، لا أقل ولا أكثر ، وقال عنهم هيجل إنهم مثاليون ذاتيون ، كانوا نقيض الفلاسفة قبل السقراطيين الذين تجاهلوا العامل الذاتي في تناول الواقع ، ووصف ادوارد زيللر دعوتهم بأنها دعوة نسبية شكية وتمرد ضد العلوم الطبيعية . وكانت السوفسطائية في صميمها دعوة إلى الاقتصار في تفسير الكون على الظواهر وحدها دون الاستعانة بأية مبادىء خارجية أو عوالم أخرى خلاف الظواهر ، وكانت دعوة ضد المدرسة الإيلية التي كانت تبحث عن الحقيقة خارج عالم الظواهر وترفض عالم الظواهر باعتباره عالماً وهمياً ، ولنفس السبب عاداها أفلاطون لأن عالم الظواهر يتصادم مع عالم المثل الذي قال به . وكان الحق عندهم هو الحق كما يرونه ، وكان بروتاغوراس يرى تاريخ العالم تاريخ تطوّر الفنون والصنائع التي تساعد الإنسان وتمده بما يحتاجه ، وتاريخ تطور المجتمع الذي يعيش فيه والنظام السياسي الذي يحكمه ، وأن الإنسان لم يترك الهمجية إلّا عندما طوَّر مفهوم الحكومة ووضع قانون العقوبات واخترع الآلهة والدين ليثير الفزع في نفس الخاطىء . وكان مضمون تعاليمهم ديموقراطياً ، لأنه إذا كان التعلّم متاحاً ،

وإتقان هذه الفنون ممكناً ، فإن الارتقاء اجتماعياً ميسّر بصرف النظر عن الجاه والنسب . وكان السوفسطائيون ينتقدون القيود المفروضة على مناقشة الدين والأخلاق ، فطالما أنهما لا ينافيان العقل فلماذا الإصرار على عدم مناقشتهما ووصفهما فوق كل نقاش ؟ وكان اعتراض أفلاطون أن طريقتهم جدالية ، أي تهدف إلى تحقيق النصر على الخصم لا استخلاص الحقيقة ، وأنها تعتمد على إظهار التناقض الكامن في المعتقدات محل البحث . وكانوا يفضلون العدالة الطبيعية على العرف ، والمساواة على الامتياز ، وكانوا دعاة تمرد ضد النظام العام عندما يتخلّف عن العصر ، وأن يتبع كل إنسان ، ما في صالحه ، طالما أن الخضوع للقانون معناه أن يتبع ما في صالح الغير ، وهو الأقوى الحائز على السيادة والذي يفرض عليه هذه التبعية والخضوع ، ومعنى ذلك أن الالتزام يكون من الداخل بمعنى من المعاني التي سيطرحها كنط من بعد في مذهبه في استقلال الإرادة .

ويحلو لبعض المستشرقين أن يربط بين المنهج الجدلي عند المعتزلة ، وخاصة عند الجاحظ ، ومنهج السوفسطائيين ، ولكن المعتزلة لم يقولوا بالحقائق النسبية ، وإن كان الجاحظ قد استخدم منهجاً يقرب من المنهج السوفسطائي في عرضه لبعض المسائل الأدبية .

سويدينبورج .... Swedenborg

(١٦٨٨ - ١٧٧٢) عمانوئيل سويدينبورج ، سويدي ، كان له أتباع يعدون بالألوف ظنوه نبياً كشف عنه الحجاب ، وكان له تأثير بالغ في كثير من مجالات الفكر ، وخاصة في الأدبين الرومانسي والرمزي ، واعتبر بودلير وسترندبرج معلماً كبيراً لجيل من الرواد ، ولكن فلسفته الدينية لم تحظَ بقبول النقاد المعاصرين ، ووصفوها بأنها دليل مرضه الشديد بالانفصام ، ومع ذلك كان كتابه « المبادىء الأولى للأشياء الطبيعية » (١٧٣٤) محاولة ناجحة للربط بين لوك ولايبنتس وديكارت ونيوتن ، وللتوفيق بين الحكمة القديمة والفلسفة العقلية والعلم التجريبي ، وقال بنظرية التماثل بين الحياتين الأخرى والدنيا ، وبالفيض من الجواهر الأولى ، وبتسلسل الوجود في ممالك ، وبدرجات لكل مملكة ، وافترض نقطة رياضية عندها يأتلف اللاّنهائي والنهائي ، وقال بنظرية في الوجود تنسب الائتلاف إلى الأضداد ، بين الأرض والسماء ، والمطلق والمحسوس ، والروح والجسد ، ولكنه لم يكن مفكراً من الطراز الأول ، ورغم ذلك ففلسفته تعتبر تمثيلاً صادقاً للاتجاه الديني الذي صبغ الفكر في القرن الثامن عشر .

سيجر البرابانتي .... Siger of Brabant; Siger de Brabant; Sigerius de Brabantia

من فلاسفة القرن السادس عشر المدرسيين ، لا نعرف الكثير عنه سوى أنه كان يعلم بكلية الآداب بباريس ، في وقت أخذت فيه الكتب الإغريقية في الفلسفة والعلوم تترجم إلى اللاتينية ، مرفقة بشروحها العربية ، ابتداءً من سنة ١٢٥٥ ، وأدخلت فيها دراسة كتب أرسطو ضمن المنهج الجامعي ابتداءً من سنة ١٢٥٥ ، وكان أساتذة جامعة باريس من الإكليريكيين المرشحين للكهنوت ، لكن بعضهم أسقط تعاليم الدين وأعلن اشتغاله بالفلسفة ، وجاهر بأنه لا شأن له في التوفيق بين الدين والفلسفة . وابتداء من سنة ١٢٥٠ ظهرت حركة تزعمها عدد من أساتذة كلية الآداب بباريس ، سميت الرشدية اللاتينية ، وأثارت الاضطراب بين أساتذة وطلاب الجامعة ، وفي سنة ١٢٦٦ وصف المندوب البابوي سيجر البرابانتي بأنه واحد من المهيجين الرئيسيين على الشغب الفكري والجامعة ، وفي سنة ١٢٧٠ أدان أسقف باريس الرشدية في ١٣ قضية ، وبعض هذه القضايا تضمنته كتابات سيجر ، لكن الغريب في الأمر أنها كانت ضمن كتابات توما الأكويني رغم أنه عارض الرشديين ورد

عليهم ، وهو ما يشير إلى مدى تغلغل الفكر العربي في الفكر المسيحي ، في المؤيدين والمعارضين . ولقد انضمَّ الأساتذة إلى سيجر وطالبوا به عميداً للكلية ، واتّهمه الأسقف مرة أخرى بمخالفة الدين في ٢١٩ مسألة وطلب مثوله أمام محكمة التفتيش الفرنسية ، هو وزميل له يدعى برنبير دي نيفيل ، وهرب الاثنان ، إلى إيطاليا ، ويُقال إنه اغتيل في أورفيتو سنة ١٢٨٥ . ويناقض سيجر الديانة المسيحية ، ويقول بوحدة العقل ، بمعنى أن الله خلق العقل الأول ، فعن الواحد لا يصدر إلاَّ واحد ، ويقول بأزلية العالم ، بمعنى أنه لا تمايز بين الماهية والوجود ، وأن دوران الأجرام السماوية يعيد نفس ظواهر العالم ، ونفس الآراء والقوانين والديانات ، وأن العالم يخضع لذلك للجبرية ، وأنه خارج عن العناية الإلَهية ما دامَ أنه غير صادر عن الله مباشرة ، وأن الإنسان عقل مفارق وصورة مادية ، وأن الصورة المادية تتكثر بتكثر الأفراد ، أما العقل فواحد بالنسبة للنوع الإنساني كله ، وأنه لذلك خالد ، أما الأفراد ففانون ، ومن ثمَّ فلا عذاب في الآخرة ، إنَّما تلقىٰ الأخلاق جزاءها في الدنيا . ومع ذلك فقد وضع دانتي سيجر بين أهل الجنة ، وقيل إنه بسبب ما عثر من كتب نسبت إليه خطأ تخلى فيها عن أفكاره السابقة ، وقيل ربما لأن دانتي كان رشدياً .

سيكستوس إمبريقوس ... Sextus Empericus

نكاد لا نعرف عنه شيئاً سوى أنه عاش في النصف الثاني من القرن الثاني والربع الأول من القرن الثالث الميلاديين ، وأنه بحكم لغته كان إغريقياً تنقل بين روما وأثينا والإسكندرية ، وأنه رأس إحدى المدارس الشكية في إحدى المدن الكبرى ، ولا ندري إن كان اسمه اللاتيني إمبريقوس ، اسم علم أم صفة علية بمعنى التجريبي ، فقد كان سيكستوس طبيباً ، عارض المدرسة المنهجية في الطب بمدرسته التجريبية ، وأقام مذهبه في الشك التجريبي ، واعتنقه طائفة من الشكاك كانوا أطباء ، وكانوا آخر الشكاك ، وكان سيكستوس واسع الإطلاق كتب عدداً من المؤلّفات تعتبر موسوعة المذهب الشكي ، وصلنا منها كتابان « موجز المذهب البيروني » و « الرد على القطعيين » ، يشرح في الكتاب الأول حجج الشكاك ، ويستخدمها في الكتاب الثاني للرد على القطعيين سواء كانوا فلاسفة أو مناطقة أو طبيعيين أو أخلاقيين أو علماء ، ويشرح معنى الشاك Skeptikos أنه الباحث المستقصي ، وأن الشكية تختلف عن القطعية (مذهب أفلاطون وأرسطو وزينون وإبيقور) لأن الشاك لا يدعي العلم بخبايا الأشياء مثلما يدعي القطعي ، وتختلف عن الفلسفة الأكاديمية لأن الأكاديميين يحكمون باستحالة المعرفة ويقولون بالاحتمال والانحياز ، لكن الشاك يعلق الحكم على أي من هذه الأمور ، ويناقش القضايا بتقديم الحجج المؤيّدة والمعارضة ، والتفسيرات المحتملة وغير المحتملة ، ولا ينحاز إلى أي منها ، فهو باحث مفتوح العقل ، تدفعه إلى ذلك الرغبة في بلوغ الطمأنينة وتحصيل السكينة . ومما يذكر أن آسين بلاسيوس يزعم أن تهافت الغزالي ليس في معظمه إلاَّ ترديداً لكتب سيكستوس .

سيمون ... Simon

(١٦٣٨ - ١٧١٢) ريتشارد سيمون ، تخصصه الإنجيل والديانات الكتابية ، وأهم كتبه « **التاريخ النقدي للعهد القديم** » الذي حظره الأسقف بوسويه ، فهربت بعض نسخه إلى إنجلترا ، وفي رأيه أن النسخة الأصلية للإنجيل قد ضاعت ، وأن التحريف تناوله ، وأن الواجب يقضي أن نخضع النسخة الحالية للفحص والتدقيق والدراسات اللغوية والتاريخية ، وقد كره البروتستنت منه ذلك لأنه بتشكيكه في أصالة الإنجيل يقوض دعوتهم بتحكيم الإنجيل فيما يختلفون فيه من شؤون الحياة والحقيقة ، وكرهه الكاثوليك لأنه يقوض أساس الديانة المسيحية ، بالتشكيك في أهم وثائقها التاريخية والتشريعية والفكرية .

حـرف الشــين

شادايف Chaadaev

(١٧٩٤ - ١٨٥٦) بيوتر ياكوفلوفتش شـادايف ، روسي بالمعنى التقني ، كان أبـوه إقطاعيـاً ، والتحق بجامعة موسكو ، لكنـه قطع تعليمـه بها وانخـرط في الجيش ليحارب ضد نابليون ، غير انه استقال وسافـر إلى الخارج واتصل بشيلنج ، وفي سنة ١٨٢٩ بدأ نشر « الـرسـائـل الفلسفيـة **Lettres philosophiques** » بصحيفة تليسكوب ، وكان لنشر الـرسالـة الأولى وقع الصـاعقة في الأوسـاط الأدبيـة والسيـاسيـة ، وأوقفت الصحيفة ومنع الرقيب نشر أي شيء من بعد له أو عنه ، وحددت سلطات البوليس إقامته وأعلنت أنه مجنون وفي سنة ١٨٣٧ نشر في باريس بالفـرنسية « **دفـاع مجنون L'Apologie d'un Fou** ». وهو يجمع في فلسفته بين وجهتي النـظر الغربيـة التي مثلها من بعـد المتغربـون Westernizers أي الذين يتجهون في فكـرهم صوب أوروبـا الغربيـة ، والسـلافيـة التي قـال بهـا الـروس المحافظون Slavophiles . ونظرته كلية تقول بـوحدة العالم الأخلاقي والتـاريخ والبشـر والدول ، وتشبهها بوحدة الطبيعة ، وتصفها بالدينامية ، وتقول بأنها تتجه وجهة واحدة هي تأسيس مملكة اللّه على الأرض من خلال الدين ، ومن ثم فالتاريخ هو تاريخ الأفكار ، ولا يمكن فهمـه بـدون الـدين ، واللّه نفسـه يتكشف في التاريخ ، ولكن وحدة التاريخ تكسرها الأنانية ولا سبيل الى الخلاص على الأرض وبلوغ الحقيقة الا بالغيرية ، والقدرة على الخلاص في متناول الانسان بوصفه كائناً اجتماعياً ، والمجتمع هو الذي يوقظ فينا طاقاتنا الروحية ويحافظ عليها وينقلها .

شافتسبري Shaftesbury

(١٦٧١ - ١٧١٣) إيـرل شافتسبـري الثالث ، أو أنطوني أشلي كوبر ، انجليزي ، ولد في لندن ، ولم يتعلم في جامعة ، وكان أول من استخدم تعبير الحس الخلقي Moral Sense ، وأول من شبهـه بـالـحس الموسيقي أو الحس الفني الخ ، معارضاً لوك الذي كان يعتقـد أن الإنسـان مخلوق أنـاني ، وذاهبـاً إلى أن الفضيلة ، طبيعة في الإنسان ، وأن الأنانية جانب من جوانبه ولكنها ليست كل جوانبه كما يقول لـوك ، وان الإنسان يفيض على العكس بالشعور الاجتماعي ، وأن هذا الشعور بالتضامن مع بقية الناس حس طبيعي فيه ، ولو لم يكن هذا الشعور الاجتماعي طبيعياً فيه لما قامت المجتمعات ، فوجودها دليل على الوجود المسبق لهذا الشعور ، وبناء على ذلك لا يمكن الزعم أيضاً بأن الدين أصل الاجتماع ، لأن الدين تال في الضرورة على وجود هذا الحس الاجتماعي الطبيعي . ويعرف شـافتسبري الفضيلة ، بـأنهـا العمـل بمـا تقضي بـه المصلحـة

الاجتماعية ، وأنها مشروطة بمعرفة الخير العام . ولا يعني قوله أن الفضيلة طبيعية أن كل الناس أفاضل ؛ ويعتقد أن القدوة والمكافأة والعقاب قد تدعم الفضيلة . ولقد جمع مقالاته في كتاب واحد من ثلاثة مجلدات بعنوان « **سمات الناس والأخلاق والآراء والأزمان** **Characteristics of Men, Manners, Opinions and Times** » (١٦٧٧) .

شامبو **Champeaux**

(نحو ١٠٧٠ - ١١٢١) وليام شامبو ، فرنسي ، تعلم على أنسلم ، وتعلم عليه بطرس أبيلار ، وأسس مدرسة في سان فكتور لتعليم المنطق والبلاغة ، واصل فيها رسالة مدرسة أنسلم ، ونعرف من خلال نقد أبيلار له أنه كان واقعياً منطقياً .

شبنجلر **Spengler**

(١٨٨٠ - ١٩٣٦) أوزفالد شبنجلر ، مثالي ألماني ، ولد في بلاكنبرج ، وتعلم في ميونخ وبرلين وهال ، واشتهر بكتابه « **أفول الغرب** **Der Untergang des Abendlandes** » (١٩١٨ - ١٩٢٢ في مجلدين) وسجل فيه فلسفته في التاريخ إثر هزيمة المانيا في الحرب العالمية الأولى ، ولقي الكتاب رواجاً كبيراً لأن نهايته توافقت مع المزاج السائد عقب الحرب. وفلسفته جبرية فهو يعتقد ان التاريخ عبارة عن حضارات لا رابط بينها ولا أسباب لقيامها ، وإنما تخضع كل حضارة بمجرد قيامها لدورة حياة بيولوجية كأنها الكائن الحي، لها ربيع وصيف وخريف وشتاء، وأن شتاء الحضارة قد لا يعني اندثارها، وان ذلك قد يكون بتواجدها لصق حضارة أكبر، وأن أفول الحضارة قبل الأوان قد يكون سبب ظروف خارجية تقضي عليها من الخارج . ومهمة فلسفة التاريخ هي فهم البناء المورفولوجي أو الشطر الخارجي للحضارة . وكل حضارة لها روح . وربيع الحضارة هو زمن بطولاتها وملاحمها ودينها عندما تكون الحياة ريفية زراعية إقطاعية ، ويأتي صيفها بقيام المدن إلى جانب الريف، والارستوقراطية حول الزعامات القديمة، وفنانون أفراد ينالون الشهرة بعد أن كان أسلافهم مغمورين . ويشهد الخريف ، التدفق الكامل لينابيع الحضارة الروحية وإرهاصات استنفادها المحتمل ، وهو عصر نمو المدن وازدهار التجارة وتوسع الدول وتحدي الفلسفة للدين . ويتصف الانتقال الى الشتاء بظهور المدن العالمية وطبقة البروليتاريا وقيام الدول الرأسمالية وحكومات الأثرياء ومنه الخاصة وتزايد الشك ، وهو عصر الامبريالية والاستبداد السياسي المتزايد والحروب المستمرة . وبالاختصار فإن الحضارة في شتائها تفقد روحها ، وتجف إلى مجرد مدنية ، أعظم إنجازاتها إدارية وفي مجال تطبيق العلم في الأغراض الصناعية . ويعتقد شبنجلر أن دورة حياة الحضارة تستغرق نحو ألف سنة .

شترنر **Stirner**

(١٨٠٦ - ١٨٥٦) ماكس شترنر ، الاسم الأدبي ليوهان كاسبار شميت ، مؤسس النزعة الفردية ، ولد في بايرويت من أعمال ألمانيا ، ودرس ببرلين ، وتتلمذ على هيجل ، لكنه تمرد عليه ، وانضم للشباب الهيجلي المعارض ، الذين تزعمهم الأخوان برونو وإدجار باور ، وأطلقوا على أنفسهم اسم الأحرار ، وكان منهم ماركس وإنجلز . وعرف بكتابه « **الأنا وما يخصه** **Der Einzige Und Sein Eigentum** » (١٨٤٥) يدافع فيه عن الفردية ضد المذاهب الجماعية والدولة ، فكل فرد له خصيصته التي تميزه ، أو تفرده ، وهو ما يجب أن ينميه ليضفي به معنى على حياته ، والأنا هو نواة الفرد ، وهو قانون نفسه ، وليست للأنا من التزامات خارج نفسه ، وليس من مبرر لأفعال الأنا إلا الأنا نفسه . وليس شترنر فوضوياً لأنه لا ينشد العدالة الطبيعية التي يزعم الفوضويون أن كل عدالة وصفية قيد عليها ، ولا يطلب الحرية الطبيعية التي يطلبونها لأنه يرى أن كل حرية لا بد أن تحدها ضرورات الحياة ، ولكن شترنر يطلب للفرد أن يكون فريداً ، وأن

يكون نفسه ، ومن ثم فهو لا يؤلب الفرد الى الثورة ، لأن الثورة طريق الفوضويين والملتزمين ، فهي قلب نظام قائم لإحلال نظام مكانه ، وهي عمل اجتماعي تقوم به جماعات أو أحزاب، ولكنه يدعو الفرد إلى التمرد، لأن التمرد عمل فردي تظهر فيه فرديته وتفرده ، ولأنه استنفار الفرد لإمكانياته الخاصة ، ولأن نتيجة التمرد الدائم للفرد أن لا يكون هناك خضوع من أحد لأحد ، ولأن المجتمع الناتج هو مجتمع من الفرديين الأصلاء الذين لا يفتئتون على أحد ، ولا يملكون إلا ما يفي بحاجاتهم ، وغايتهم إلغاء الخضوع وليس تأصيل السيطرة ، ولأن المتفرد مستكف بتفرده لا يوجد الشيء المشترك بينه وبين الناس الذي يغريه بالدخول معهم في عراك من أجله، والاختلاف عليه، ومن ثم يقوم على هذا النوع من الأنانية اجتماع حقيقي .

شخصانية .... Personalism

تيار مثالي ، انتشرَ في الفلسفتين الأمريكية والفرنسية في بداية القرن العشرين ، يرى أن الحقيقة شخصية ، وأنه لا يوجد إلاَّ الأشخاص وما يخلقونه ، وأن الشخصية واعية وموجهة لذاتها ، وأن الشخص هو ماهية الديمقراطية وعدو النظم الجماعية ، وتطالب الشخصانية بالعناية بالشخص وشؤونة الجسمية والعقلية والروحية ، وتعارض الفروض الميكانيكية والسلوكية بنظريتها في الحرية ، فالشخص في نظرها خلاف ، وهي حقيقة لا تفسرها أيّة نظرية ميكانيكية . ولا يمكن للشخص أن يعبر عن ذاته التعبير السليم إلاَّ إذا توفر الانسجام بينه وبين طبيعة الأشياء . ولا يتأتّى إدراكه لذاته بشكل كامل إلاَّ سيطرته على نفسه ، وبالتسامي بنفسه وبمصالحه إلى القيم العليا في الحياة . ويتحدث كثير من الشخصانيين عن المطلق كما لو كان شخصاً ، ويردون ذلك إلى ميل فطري في الإنسان لتشخيص كل شيء وإحالته إلى الإنسان . وكان المشبهة في الإسلام (المقاتلية والبربهارية والحلمانية والسالمية وغيرها من المدارس) يشبهون الله بالإنسان ، ويقولون بحلوله في الأشخاص . ورغم أن الشخصانية استخدمها رينوفييه حديثاً (١٩٠٣) ليطلقها على فلسفته ، إلاَّ أن التعبير سبقه إليه الشاعر الأمريكي والت ويتمان (١٨٦٧) ، وكان هرقليطس (٥٣٦ - ٤٧٠ ق . م) أقدم من ذهب إلى اعتبار الشخصية هي الواقع النهائي ، والعقل الواقع الأساسي ، واللوغوس المبدأ الخالد في عالم متغير . وركز انكساغوراس على العقل كأساس للوجود، وقال بروتاغوراس «الإنسان مقياس كل الأشياء والسبب في وجود ما هو موجود ، وعدم وجود ما لم يوجد » . وكان سقراط شخصانياً بمعنى أنه كان يرى أن من الواجب أن يصل كل شخص إلى الحقيقة بنفسه دون وساطة . وعرف أوغسطين الحقيقة بأنها الصدق العقلي الذي لا يشوبه الشك ، والذي يتجلى لكل شخص ، وفي داخل كل شخص . وقال ديكارت « أنا أفكر إذن فأنا موجود » فجعل الحقيقة في التجربة الشخصية ، وأقام الابستمولوجيا وعلم النفس على أسس شخصانية . ويعتبر الشخصانيون مالبرانش ولايبنتس وباركلي وفولف وكنط وهيوم وهيجل وشترنر ولوتسه ورويس وإقبال فلاسفة شخصانيين . ويعتبر مين دي بيران (١٧٦٦ - ١٨٢٤) أول فيلسوف شخصاني خالص ، وتعرف فلسفته باسم فلسفة الجهد الإرادي ، وهو الذي عدل كوجيتو ديكارت إلى « أنا أريد إذن فأنا موجود » ، وأعقبه كورنو (١٨٠١ - ١٨٧٧) فنشر كتابه « فلسفة الاحتمالات»، وقال باستحالة الاستمرار الميكانيكي وبأن الاستمرار الوحيد شخصي وغائي . وناهضَ رافيسون (١٨١٣ - ١٩٠٠) الميكانيكية على أساس أنها لا تستطيع أن تفسر الكائن الحي ، وأنها ترد كل شيء إلى تجانس لا يفرّق بين الأشياء ، وبذلك لا تحفل بالكيف ، وتتجاهل التنوّع والتلقائية والقلق . وقال إن الشخصية توجد بين كل الأشتات ، وهي الواقع ، واعتقد أن الطبيعة شخصية ، والحياة قيام من الموت في كل لحظة ، والعلية حركة مدفوعة بالنشاط الروحي ، والتلقائية والحرية تشكلان الواقع . وكان برجسون ولاشلييه وتبرو من تلاميذ رامنسيون . واقتنع

رينوفييه بالشخصانية عن طريق هيجل ، وكان له تأثير خاص على الفلسفة الأمريكية وخاصة عن طريق تلميذه وليم جيمس . وكان للوتسه تأثيره كذلك على نحو الشخصانية الأمريكية ، ووجد كثير من رجال الكنيسة حلولاً لمشاكلهم اللاهوتية عند لوتسه ، كما أن اقتصار المادية العلمية جعل المذهب الشخصاني فلسفة إنقاذ لأنه رفض أن يعتبر الواقع شيئاً « خارجاً هناك » لا شأن للشخص به ، فهذا الخارج هناك متشابك بالشخص هنا ولا يمكن فهمه إلَّا عن طريقه ، والواقع نشاط يستهدف غايات واحتياجات وليس بالحجار الأصم الذي لا علاقة له بالتجربة الإنسانية .

شليجل .... **Schlegel**

(١٧٧٢ - ١٨٢٩) فريدريك فون شليجل ، رائد الحركة الرومانسية الألمانية ، ولد في هانوفر بألمانيا ، ودرس القانون ولكنه انصرف عنه إلى الأدب . أهم كتبه « محاضرات في تاريخ الأدب القديم والحديث » (مجلدان سنة ١٨١٥) ، و « فلسفة الحياة » (١٨٢٨) و « فلسفة التاريخ » (١٨٣٩) . وفلسفته مزيج من كنط وفخته وشليرماخر وسبينوزا وهيردر وجوته وشيلر ، وهو يقول بأن الوعي الجمالي إما كلاسي وإمَّا رومانسي ، والشاعر الكلاسي يستعبد نفسه لمادته ، بينما الشاعر الرومانسي يخضع مادته الشخصية ؛ ويضع التأمل في مرتبة أرفع من التفكّر ، ومن ثمَّ يعطي الأولوية للتخيل المبدع الذي يمارس نفسه على العالم ، ويصف السخرية بأنها أعظم تعبير عن الحرية وأخصب مجال لممارسة الإبداع ، لأنها تربط الهزل بالجد ، والشعور الغني بالحياة ، بالروح العلمية . ويقول عن الإبداع الفني بأن الفنان يزيد من خلال وعيه بنفسه ، وفي نفس الوقت يكتشف بوصفه مبدعاً العنصر الإلّهي في نفسه ، وتقوم نظريته في التاريخ على أنه عملية يسعىٰ من خلالها الإنسان لتحقيق علاقته بالله ، والطبيعة هي الأرضية التي يتم عليها للإنسان الاتصال بالله من خلال التاريخ ، وهي عالم من الرموز الحسية ولا يمكن إدراكها إلَّا بشكل رمزي ، ووظيفة العلم هي العمل على التوحيد بين العالم والحياة الإنسانية ، وعندما ينفصل العلم عن الحياة ، كما في الفلسفة الإغريقية في القرن الرابع قبل الميلادي ، ينتج التدهور التاريخي ، وعندما يتحدان يكون النمو التاريخي كما حدث في المرحلة المتوسطة بين العالم القديم والعالم الحديث .

شوبنهاور **Shcopenhawer**

(١٧٨٨ - ١٨٦٠) آرثر شوبنهاور ، فيلسوف التشاؤم الذي جعل للإرادة مكاناً علياً في الميتافيزيقا . ولد بدانزج من أعمال ألمانيا ، وكان أبوه رجل أعمال ناجح ، ويُقال إن أسرة أبيه وأمه كانت بها حالات أمراض عقلية ، ويُقال إن أباه ماتَ منتحراً ، وكان شوبنهاور في السابعة عشرة من عمره ، وكانت أمه روائية أقامت صالوناً أدبياً في فيمار أمّه كثير من المفكرين ، وكان جوته منهم ، واجتمع شوبنهاور بهم واستمع إليهم ، ولكن أمه كانت متسلطة فكرهها ، وربما انعكست آثار هذه العلاقة على مقته الذي صبه على النساء ، وقطع علاقته بها من بعد للأبد . ولم يتلقّ شوبنهاور تعليماً تقليدياً ، والواقع أنه كان تعليماً عالمياً ، فلقد قضىٰ سنتين بفرنسا وتعلَّم بها ، ثم انتقل إلى لندن والتحق بمدارسها ، ثم رحل إلى سويسرة فالنمسا وأقامَ بهما فترة ، وبعد وفاة أبيه التحق بجامعة جوتنجن يدرس الطب ، فقرأ أفلاطون وكنط وتأثَّر بهما ، وقرَّر أن تكون الفلسفة تخصصه ، فارتحل إلى برلين ، وأمَّ محاضرات فخته ولم يتذوقه ، وكتب رسالة الدكتوراه « **في الأصول الأربعة لمبدأ السبب الكافي** » (١٨١٣) ، ويعد مدخلاً لمذهبه في أساس المعرفة ، وعكفَ على تفصيل المذهب فأخرج المجلد الأول من كتابه الرئيسي « **العالم إرادة وفكرة** » (١٨١٨) ، ومن اللحظة الأولى كان شوبنهاور ممتلئاً بأهمية الكتاب ، ، وأنه الوريث الحقيقي لكنط ، وأنه أول فيلسوف حقيقي بعده ، ومن ثمَّ تضاعفت خيبة أمله عندما استقبله النقاد بفتور ، ولم

يبع منه إلاَّ بضعة نسخ ، لكن نشره ساعده على الحصول على وظيفة محاضر بجامعة برلين ، ولم يكن يحب هيجل ، وكان رأيه فيه أنه سوفسطائي سفَّه أحلام عصره بكلام همجي لا معنىٰ له أساءَ إلى الفلسفة ، وأعلن أنه جاء إلى الجامعة ليصلح ما أفسده هيجل ، ومن ثمَّ اختارَ لمحاضراته نفس وقت محاضرات هيجل ليجذب إليه مستمعيه ، لكن نفوذ هيجل كان راسخاً ، وسرعان ما انفضَّ المستمعون من حول شوبنهاور وتناقصوا وفشلت محاضراته ، وعزا فشله إلى ائتمار هيجل وأساتذة الجامعة عليه ، وكتب مقالاً شديد اللهجة «في فلسفة الجامعات» يهجوهم فيه ، ويطعن في هيجل وشيلنج وفخته ، ووصفهم بالثرثرة والدجل ، وانقطع عن التعليم بالجامعة ، وتفرَّغ للكتابة ، لكن كتبه اللاحقة لم تكن إلاَّ تطويراً لأفكار سبق أن طرحها في كتابه الأكبر ؛ ونشر « **الإرادة في الطبيعة** » (١٨٣٦) ، و« **المشكلتان الأساسيتان في فلسفة الأخلاق** » (١٨٤١) ، والطبعة الثانية من « العالم إرادة وفكرة » (١٨٤٤) منقحة ومزيدة بخمسين فصلاً جديداً ، وفكر في ترجمة « نقد العقل النظري » لكنط إلى الإنجليزية ، وترجمة « محاورات في الدين الطبيعي » لهيوم إلى الألمانية ، ولو كان قد فعل لجاءت ترجمته لكنط رائعة لإتقانه اللغة الإنجليزية ، وكان آخر كتبه مجموعة من المقالات والأقوال المأثورة ، وبه بدأت شهرته ومناقشة أفكاره في الدوريات الألمانية الأجنبية والجامعات الأوروبية ، وكان له قرب وفاته بفرانكفورت مجموعة من المعجبين في إنجلترا وروسيا وأمريكا ، بينما بدأت تعاليمه تؤتى ثمارها في ألمانيا نفسها في أفكار نيتشه ويعقوب بوركارت .

وكان شوبنهاور متشائماً ومعقداً ، وواثقاً من نفسه إلى حد الغرور ، ممتلئاً بالمخاوف والقلق ، ينام ومسدسه المحشو تحت وسادته ، يخشىٰ المرض ويتحرز منه ، فإذا كان سليماً معافىٰ شكَّ أنه ربما كان مريضاً بشيء لا يعيه ، ومع ذلك كان محدّثاً لبقاً ، ومحباً للحياة من الطراز الأول ، يتلذّذبالطعام والخمر ، ويعشق النساء رغم ما كان يدعيه من مقته لهنَّ .

وربما لو بدأنا بإيضاح مديونية شوبنهاور لكنط ، لفهمنا مذهبه بطريقة أفضل ، وكان شوبنهاور يعتقد أن كنط هو أكبر فلاسفة العصور الحديثة بلا منازع ، وهذا ما جعله يهاجم شيلنج وفخته وهيجل بدعوىٰ أن الثلاثة بإسم تطوير مذهب كنط ، تفلسفوا بطريقة صادرها كنط ، لأن كنط أبان بطريقة واضحة عدم جدوى أي تفكير ميتافيزيقي بالمعنى « المفارق » (خارج نطاق الخبرة الإنسانية) ، وكشف عن بطلان أي معرفة ميتافيزيقية من هذا النوع ، ومن ثمَّ كان تصدي أي فيلسوف لمسائل وجود الله وخلود الروح ، مهما كان المنهج الذي يتبعونه ، مقضياً عليه بالفشل . ومع ذلك فقد تمنى بالنجاح لبعض محاولات اتباعه المخلصين ، لفتح طاقات صغيرة يطلون منها على عالم آخر ، لأنه مهما كانت الأسباب التي يؤسّس عليها كنط مذهبه في رفض الميتافيزيقا ، فإن الإنسان لا يملك أحياناً إلاَّ أن تتمالكه الدهشة أمام الوجود ، وإلاَّ أن يتساءل عن مغزاه وأن يحاول استكناه أسراره ، طارحاً أسئلة ليست في نطاق العلم التجريبي ، وذلك لأن الإنسان ، كما يصفه شوبنهاور ، حيوان ميتافيزيقي Animal Metaphisicum . والحق أن الدين يحاول بطريقة أن يجيب على هذه الأسئلة ، لكن إجاباته تتنافىٰ مع العقل ، وهي لا تعدو أن تكون قصصاً رمزية وشطحات خيال ، لكنها تقدم للإنسان بطريقة جادة لا يملك إلاَّ أن يصدقها حرفياً ويظنها حقائق لعالم آخر ، ولكن العين الفاحصة المدربة سرعان ما تتبين فيها التناقض والاستحالة . وتتصدَّى الفلسفة للغز الوجود ، ومن ثمَّ لا ينبغي أن تتجاوز حلولها حدود العقل ونطاق المعرفة البشرية ، وإلاَّ ارتكبت نفس أخطاء الدين .

نحن ندرك العالم بأعضاء الحس والعقل ، ومن ثمَّ فالعالم ، مدركاً بهذه الطريقة ، فكرة Idea أو تصور Representation ، بمعنى أن دور العقل ليس مجرد تلقي ما ترسله أعضاء الحس ، لكنه يشكل وينظم المادة المحسوسة ، ويفتح على عالم الظواهر الخارجية ،

يرتبها في الزمان والمكان ، ويداخلها مع بعضها البعض ومعنا في علاقات علية محددة ، ومن ثمَّ فإن الزمان والمكان كوعائين للإحساس ، والعلية بوصفها إحدى صور الفهم ، ذاتية الأصل ، وفي نفس الوقت شروط ضرورية لمعرفتنا بالعالم كفكرة ، ولا يجوز استخدامها إلَّا في هذا المجال ، أو تطبيقها على أي شيء لا يخضع لإدراكنا الحسّي . غير أن هناك نوعاً آخر من الأفكار ، هي أفكار التأمّل أو الأفكار التي تكونها عن الأفكار ، وبها نفكر في محتوى خبراتنا ونصنف الظواهر ، وتكون مع بعضها نظاماً من المفاهيم يعكس العالم التجريبي ، مهمته تعميم ملحوظاتنا واختزان خبراتنا لحين استدعائها في الوقت المناسب ، واستخدامها في فهم الظواهر والمواقف المختلفة والتعامل معها . ولا يمكن فصل هذا النظام عن واقع العالم التجريبي الذي قامت على أساسه ، ومن ثم فإن أية مفاهيم أو أفكار مجردة لا علاقة لها بعالم الظواهر تشبه أوراق العملة التي يصدرها بيت تجاري لا يملك إلَّا أوراق عملة يغطي بها أوراق العملة الأولى ، وإذاً فإن النظريات الميتافيزيقية التي تقدم تفسيرات غيبية للعالم لا أساس لها من الواقع التجريبي ، يخلو محتواها من المعرفة الحقيقية ، وتتحرك في الهواء دون سند من الواقع، وليست إلَّا بناء من الاستنباطات المفتعلة . وهكذا يضع شوبنهاور حدوداً للبحث الفلسفي ، بحيث لا يتجاوز الواقع ، ولا يجوز أن يقوم على الاستدلال وحده دون الواقع ، ومن ثم يدين شوبنهاور كنط فيما يسميه الأخير الشيء في ذاته Noumena والذي يقول هو نفسه عنه أنه شيء بحكم تعريفه لا يمكن أن يخبره الإنسان ، وكان كنط قد ميّز بينه وبين الظواهر وهي الأشياء كما تبدو للعقل المدرك . لكن لشوبنهاور تعريفاً مخالفاً للشيء في الذات ، وهو يدعي أنه ممكن التعريف لأنه في نطاق الخبرة والتجربة ، حيث إن الإنسان ليس ذاتاً عارفة فحسب يتخذ العالم موضوعاً له ، لكنه هو نفسه موضوع لنفسه ، لذلك فهو يعرف العالم كفكرة ، ويعرف نفسه أيضاً كفكرة ، ويعرف أنه جسم يشغل حيزاً ، ويعيش في الزمان ، ويتجاوب مع المثيرات علياً ، ولكنه أيضاً ليس مجرد موضوع ضمن الموضوعات ، لأنه يدرك بالتجربة الباطنة أنه مخلوق يتحرك ويقوم بأفعال واضحة تعبر عن إرادته . وهذا الوعي الداخلي أو الباطني الذي لدى كل واحد عن نفسه كإرادة ، هو وعي أولي لا يمكن رده إلى علة أخرى ، ومن ثمَّ فالإرادة تبين عن نفسها مباشرة لكل واحد بوصفها « الشيء في ذاته » لوجوده الظاهري . وهذا الوعي بأنفسنا كإرادة يختلف كلية عن الوعي بأنفسنا كجسم ، ولكن عمليات وحركات الإرادة هي التي تنتج عمليات وحركات الجسم ، ولا ينبغي النظر إليهما كشيئين منفصلين كما فعل ديكارت ، وهي النظرة التي سببت الكثير من الأذى للفلسفة ، بل ينبغي اعتبار الجسم تموضعاً للإرادة ، فما أريده وما أفعله بدنياً هما في الواقع شيء واحد ، لكننا ننظر إليهما من زاويتين مختلفتين . وليس ذلك فحسب ، وإنّما الكون كله ، بكل ظواهره ، الإنسانية وغير الإنسانية ، الحية والجامدة ، ليمكن تفسيره بنفس الطريقة وإعطاؤه معنى جديداً بعيداً كل البعد عن التفسيرات الغيبية لكل الفلسفات السابقة ، ورده إلى إرادة كلية . وليس الواقع عنده هو الشيء المعقول ، بل العكس هو الصحيح ، فالإرادة عنده هي الاسم الذي يطلقه على القوة غير المعقولة ، العمياء ، التي لا هدف ولا تخطيط لعملياتها ، والنتيجة أن الطبيعة وهذه هي صورتها ، تتّخذ شكل الصراع الذي لا نهاية ولا معنى له ، في كل مجالاتها ، ابتداءً من أبسط الكائنات وأدقّها إلى أكثرها تعقيداً وتطوراً . والإرادة هي التي تحكم العقل وليس العكس كما يقول ديكارت ، لأن العقل يطلعنا على العالم ، والعالم كما يبدو لنا بناء تحكمه العلية ، والنظر إلى العالم بوصفه عللاً ومعلولات يعني أننا نفهمه طبقاً لما يحويه من إمكانات قابلة للاستخدام ، أي باعتباره وسائل ممكنة لإشباع الإرادة . وإذاً فعلاقة العلية إرادة ، والمعرفة نفسها وسيلة للإرادة تتوسل بها لبلوغ صور أرفع وأقوى للحياة تقوم على الإفادة من بعض

الأشياء واجتناب ضرر البعض عن وعي وتوقّع . وليست الإرادة كما قلنا هي وسيلة العقل ، لكن العقل نفسه أعلى تجليات الإرادة . وإذا كانت الطبيعة تبدأ بالفعل الآلي المحصن، وتترقّىٰ في عمليات الكهرباء والمغناطيسية وغيرها ، حتى تبلغ الكائنات الحية فتتجلّىٰ فيها الإرادة بشكل سافر ، فإذا وصلنا لمرتبة الإنسان كان العقل فيه آلة للإرادة أكثر إحكاماً مما لدى الحيوانات من آلات . ويظن الناس أنهم يختارون غاياتهم اختياراً ، والحقيقة أنهم مدفوعون من حيث لا يشعرون ، وليس عمل العقل إلاَّ أن يعرض أمام الإرادة الإمكانيات المختلفة المتاحة أمام الفرد ، وأن يقدر النتائج التي يمكن أن تترتب على تحقيقها . ويصف شوبنهاور الشعور بأنه سطح العقل ، وأن العقل مثل الأرض ، فنحن ندري بسطحها دون أعماقها ، ومهمة الشعور إخفاء حقيقة الرغبات والدوافع والأفكار ، التي إن عرفناها ، لأثارت فينا مشاعر الخجل والضعة ، وأربكتنا، ومن ثمَّ فنحن كثيراً ما نبني أحكاماً على دوافع متوهمة يزيفها الشعور مخفياً الدوافع الحقيقية . وحتى عندما ننسىٰ نظن أننا نسينا بالصدفة ، والواقع أننا ننسىٰ لأن هناك أسباباً قوية للنسيان ، فالأحداث والتجارب يمكن كبتها تماماً كما لو كانت لم تقع أبداً ، وما ذلك إلاَّ لأننا لاشعورياً نحسّ أنها تتهدد وجودنا الواعي ، وفي بعض الحالات تحل الهذاءات والتهيؤات محل ما يستعصي من الشعور، وهذه هي حالات الجنون. وتعد هذه الأفكار إرهاصات للنظريات السيكولوجية المقبلة ، وأقرَّ فرويد نفسه بالتشابه بينها وبين بعض مفاهيم التحليل النفسي ، ولعلَّ هذا التشابه أوضح ما يمكن بين ما يقوله شوبنهاور في الغريزة الجنسية ووصف فرويد للّبيدو ، حيث يعتبر شوبنهاور أن الدافع الجنسي يمثل بؤرة الإرادة ، وأنه أقوى الدوافع كلها باستثناء غريزة البقاء ، وأن بصماته بينة في كل مجالات حياة الإنسان ، ومع ذلك فالجنس لم ينل من انتباه الفلاسفة إلاَّ القليل ، ويبدو كما لو كانوا قد أسقطوا عليه عن عمد نقاباً لكي يبقى مخفياً عن العيون ، ومع ذلك فهو شيطان يعربد ويعيث فساداً ولا يشبع أبداً ، وما الغاية التي يحققها المحب إلاَّ وهم زائف ، شأنها شأن كل ما نصادفه في الحياة من خيرات زائفة ، فإذا كنا نحرص على الحب ونتصور الحياة خيراً ، ونسعىٰ إلى الاستزادة منهما ، فهذا راجع إلى ما تبهرنا به الإرادة الكلية من سعادة وخيرات مظنونة ، وإلى ما تثيره فينا من آمال كاذبة لتستطيع البقاء في النوع بالتناسل . لكن الحياة شر ويشهد بذلك الصراع من أجل البقاء ، والألم الذي يحف بالرغبات ويملأ الحاجات ، وتفوق الألم على اللذة ، وديمومة الألم بديمومة الرغبات ، وعرضية اللذة بإرضائها المؤقّت للحاجات . وإن ألم الإنسان لأمضى من ألم الحيوان . غير أن الإنسان يتحرر من خدمة الإرادة ، ويتخلص من الألم ، ومن شره الحياة ، بالفن . وإذا كانت الإرادة تسيطر على أنماط معارفنا وفهمنا والنشاط الذي ينخرط فيه الإنسان ، وإذا كان البحث العلمي هو النموذج الأمثل لمثل هذا النشاط طالما أنه يمدنا من خلال كشوفه بالوسائل العملية لإشباع حاجاتنا ورغباتنا ، فإن الفن نشاط من نوع مختلف لأن الفنان لا يقوم فيه بأي فعل من نمط الأفعال السابقة ، لكنه يتأمل ويدرك إدراكاً لا يخضع للإرادة الكلية ، لأن إدراك الفن ليس كالإدراك السابق حيث ينظر الإنسان إلى الأشياء من زاوية فائدتها ، ولكنه إدراك تتجرد فيه الأشياء من الأهداف والغايات والرغبات والقلق ، ممَّا يصحب إدراكنا العادي للأشياء ، الأمر الذي يترتب عليه أن الفنان يرى الأشياء في ضوء مختلف تماماً . ويتطلب هذا الوعي الجمالي من الفنان أن يكون صاحب مزاج متميز ، وله قدرة خاصة على التنبه يلحظ بها ما لا نلحظه نحن في الأشياء ، ومن ثم يختلف محتوى تجربته تماماً عن محتوى إدراكنا ، وهذا التغير في الرائي يتطلب بالتبعية تغيراً في الشيء المرئي ، ولم يعد مطلوباً منا بوصفنا فنانين أن نرى الكثرة في الأشياء والأحداث التي تترابط ترابطاً علياً في الزمان والمكان ، ولكننا أصبحنا نرى الوحدة في الكثرة ، ونتلمس الجوهر الأزلي في كل الظواهر ، وهو ما يسميه شوبنهاور

« الأفكار » ، مقتبساً المفهوم من أفلاطون ، وهو ما يفسّر لنا أنه كان لا يرى في الفن ضرباً من المعرفة ، ولكنه معرفة أسمىٰ من سواها ، وإذا كان مجال كل الفنون هو الجوهر أو الفكرة الكامنة خلف الظواهر ، فإن الموسيقىٰ هي الاستثناء الوحيد ، فمجالها هو الإرادة نفسها . وبينما نجد فن العمارة تعبير عن الثقل والتماسك والمقاومة في الطبيعة ، والفنون الشكلية إظهار لصورة الإنسان في حال الحركة ، والتصوير تمثيل للأخلاق بإبراز الملامح والحركة ، والنحت والتصوير إظهار للمعاني بعلاماتها في الطبيعة ، والشعر إيحاء بالمعاني بالألفاظ ، فإن الموسيقىٰ تستغني عن كل الصور المكانية ، وتتخذ صورة الزمان ، وتعبر عن الأفعال اللذة والسرور مجردين من دواعيهما ، فليست الموسيقىٰ صورة لظاهرة من الظواهر ، لكنها صورة الإرادة نفسها ، فهي ألصق الفنون بالحقيقة الكلية التي نحملها في باطننا ، ولغتها هي لغة القلب العالمية التي لا يكون فيها التعبير بالصور . ولقد تأثّر فاجنر بأقوال شوبنهاور أيما تأثر ، وحاول أن يقولب في أوبرا تريستان وإيزولد أفكار شوبنهاور ، رغم أن شوبنهاور لم تعجبه موسيقىٰ فاجنر . والحقيقة أنه ما من فيلسوف سبق شوبنهاور إلى إضفاء هذه الاعتبارات على الفن ، وجعله ركناً أصيلاً من أركان فلسفته .

غير أن التجربة الفنية لا يتمتع بها إلا العباقرة ، ولا يتبقى لعامة الناس إلا أن يطلبوا الخلاص من الإرادة الكلية برفض ما تفرضه علينا رفضاً باتاً ، وتقاس قيمة الأفراد خلقياً بقدرتهم على تحرير أنفسهم من ضغوط وإلحاحات الإرادة . ولكن شوبنهاور كان قد قال إن ما يفعله الشخص رهن تكوينه ، وأن هذا التكوين وما يترتب عليه ليس من سبيل إلى تغييرهما ، وأن صورة جوهر الشخص هو ما يتكرر صدوره منه في المواقف المتشابهة ، أي أنماط سلوكه ، وأنها شخصيته التي لا تتغير ، فكيف يمكن أن يغير الإنسان هذا الشيء الأصيل فيه وفق ما يشتهي ؟ يفرق شوبنهاور بين الأشرار والأخيار طبقاً لتكوينهم ، ويصف الأشرار بأنهم الأنانيون الذين يضعون أنفسهم ومصالحهم فوق الناس أجمعين ، ويكتفون بأنفسهم ، ويعتبرون كل ما عداهم أغراباً عنهم . أما الأخيار فلا يعزلون أنفسهم عن الناس ، ولا يرون في الدنيا وبهرجها إلا الزيف والخداع ، ولا ينظرون إلى الناس كأغيار ، لكنهم يعتبرونهم امتداداً لأنفسهم ، ويتوحدون بهم ، فمحبة الناس هي الفضيلة الحقة ، والأثرة ومحبة النفس هي الرذيلة بعينها . ويقتبس شوبنهاور من الأوبانيشاد ومن النصوص البوذية ، ويعتبر الوجود شراً وشقاء ، ويستخدم لفظة المايا ليصف عالم الظواهر الزائفة ، ويقول كالأوبانيشاد ان الخلاص من استعباد الإرادة يكون مرحلياً بأن يتعين المرء بالآخرين وهو ما يفعله الأخيار ، ولكنه يكون كلياً بأن يقطع الفرد كل ارتباط له بالأشياء الأرضية ، وتتوقف عنده كل رغبة في المشاركة في الدنيا ، وهو ما لا يمكن أن يتحقق إلا لدى الزهاد والمتصوفة ، فهو ليس شيئاً متاحاً لكل الناس ، وهو لا يتم إلا بطفرة لأنه ملاشاة للشخصية ولكل ما كانت عليه في الماضي ، ولا يتأتى إلا بتأثير بصيرة تتجاوز الإرادة والعالم ، بتأثير من الخارج ، ووصفها مستحيل لأنها تتجاوز نطاق البحث ، فطبيعة الأشياء قبل أو بعد العالم ، أي خارج نطاق الإرادة ، غير قابلة للبحث ، وعندها تصمت الفلسفة .

شلايرماخر Schleiermacher

(١٧٦٨ - ١٨٣٤) فريدريك دانيال إرنست شلايرماخر ، أبرز لاهوتي القرن التاسع عشر البروتستنت أثراً في الفكر الديني والفلسفي . ألماني تعلم بجامعة هال وعلم بها وببرلين . أشهر كتبه « عن الدين : أحاديث إلى المحقرين له من المثقفين » (١٧٩٩) و « المناجيات » (١٨١٠) وذاع صيته كخطيب ديني ، وهو يعتبر نفسه من نفس مدرسة أوغسطين وكالفن ، ويعتقد أن الإنسان كائن ديني ، وأنه يأثم عندما يختلط عليه الأمر فلا يفرق بين ما يعتمد عليه نسبياً من أشياء العالم وما يعتمد عليه كلية وهو الله ، ويعرف الله بأن ليس المفهوم المتعارف عليه بأنه الكائن

الكامل أو ما شابه ، ولكنه هذا المشهور بالاعتماد الكامل لدى الإنسان ، ويقول إن طبيعة الإنسان لها جوانبها العلمية والجمالية والأخلاقية والدينية ، وهو لا ينجح في تهذيب طبيعته إلا بالتواصل بالمجتمع الخاص بكل جانب . ويرتبط كل دين من الديانات الكبرى بمؤسسه ويحمل طابعه ، فالمسيحية ترتبط بالمسيح ، ولكي يكون المرء مسيحياً ينبغي أن يتمثل المسيح في نفسه بحيث يصبح المسيح جزءاً من وعيه أو من تاريخه الباطن ، ولا يكون ثمة اتصال بالله إلا من خلال المسيح ، وهذا المفهوم الذي يفرق شلايرماخر للدين مفهوم جديد صوري خالص لا يوجد به الدين في الواقع . ويرتبط بهذا المفهوم نظريته في الحضارة ، فهي عنده عطاء الوسيط الخلقي Ethical Agent ، وهو الشخصية التاريخية ، سواء كانت فرداً أو مؤسسة معنوية ، التي تستهدي في أفعالها بقانونها الخاص النابع من طبيعتها الفريدة . والتاريخ هو حركة التلقي والتأثير والأخذ والعطاء بين الشخصيات التاريخية . وتبدو هذه العلاقات التي ينسجونها مع بعضهم البعض في شكل الأسرة والأمة والكنيسة والمؤسسات العلمية ، وهو ما يسميه شلايرماخر بالاجتماع الحر Free Sociality ، ولذلك يعرف التفكير بأنه حوار مع آخرين أو مع النفس ، والجدل هو علم إنشاء هذا الحوار ، وبهذا الحوار الذي يتواصل به الإنسان مع الآخرين يدرك خاصته التي هي هويته ، ويتم له وعيه بذاته .

شليك .... Chlick

(١٨٨٢ - ١٩٣٦) موريس شليك ، يهودي ألماني ، ولد في برلين وتعلم بجامعتها ، وعلم بجامعتي روستوك وكيل قبل أن يستدعى ليشغل كرسي الفلسفة بجامعة فيينا (١٩٢٢) ، وواصل بها حتى وفاته ، واشتهر كمؤسس لجامعة أو حلقة فيينا Wiener Kreis ، وكانت بمثابة ندوة كلاسيكية حقيقية ضمت بالإضافة إلى الفلاسفة علماء في الرياضيات والعلوم الطبيعية والاجتماع وعلم النفس ، ونشرت العديد من البحوث التي طبقت بصددها المنهج العلمي بالمفهوم الذي بلورته مناقشات الجماعة ، واستضافت علماء من انحاء العالم ، واتسع صدرها للمعارضات حتى أحدثت مساجلاتها دوياً دولياً وتغييراً جوهرياً في الفكر الفلسفي الأوروبي والأمريكي ، غير أن طالباً ، وصفته دوائر البوليس النمسوي بأنه مجنون ، هاجم شليك في الثاني والعشرين من يونيو عام ١٩٣٦ للمرة الثانية وهو في طريقه إلى مبنى الجامعة ، وطعنه طعنة نجلاء لا يدري أحد دوافعه الحقيقية إليها ، غير أنه قد قيل إن دعوة شليك كانت تهديداً مباشراً للإيديولوجيات السائدة وخاصة الدينية ، وبموته توقفت الجماعة تقريباً ، وأسفرت الحكومة النمسوية عن عدائها لمبادئها ففصلت المعيدين في الجامعة من تلاميذ الجماعة ، ونقلت الأساتذة إلى وظائف ليست ضمن سلك التدريس ، مما اضطر الكثيرين إلى الهجرة إلى انجلترا وأمريكا ، وعينت وزارة التربية النمسوية بدلاً منهم أساتذة من اتجاهات معارضة وخاصة من أصحاب الميول الدينية . وأشهر مؤلفات شليك « **المكان والزمان في علم الطبيعة المعاصر . مدخل لنظرية النسبية والجاذبية** » (١٩١٧) ، و « **النظرية العامة للمعرفة** » (١٩١٨) ، و « **بحوث مجموعة** » (١٩٢٦) ، و « **قضايا علم الأخلاق** » (١٩٣٠) ، و « **مستقبل الفلسفة** » (١٩٣٢) . ويسمي البعض فلسفته قبل فيينا (١٩٢٢) واقعية نقدية تصف الأشياء وصف العلوم الطبيعية لها بعبارات مكانية زمانية ، والمعرفة فيها هي العلم بالأشباه ، فالشيء يعرف بشبيهه كأن نقول عن الحوت مثلاً أنه حيوان ثديي ، ولا تكون الأشباه إلا من المعطيات الحسية أو صور الذاكرة أو الأفكار المتخيلة أو التصورات الرياضية عن الظواهر التجريدية . وتتألف العبارات التي تعبر عنها من كلمات لها ترتيب خاص وقواعد لغوية ومنطقية ، وهو ما تتسم به لغة العلم وتفتقده العبارات الميتافيزيقية ، ذلك لأن العبارة العلمية تصف أشكال الظواهر وأبعادها والعلاقات بينها ، بينما تتوجه العبارة الميتافيزيقية إلى الفحوى دون الشكل .

ويرى شليك أن هيكل الخبرة وأشكال الواقع وتفاصيل الأشياء هو ما يمكن التصدي له بالوصف والفهم ، وهو موضوع المعرفة ، لكن فحوى الخبرة ومضمون الواقع شيء لا سبيل إليه إلا بالحدس ، وهو ما لا يتوفر إلا في الخبرات الانفعالية ، ولذلك تلجأ الميتافيزيقا مضطرة لاستخدام لغة العلم بطريقة توحي بأنها تتحدث عن أشياء واقعية ، والحقيقة أنها تستخدم لغة ليست لها ، مخالفة بذلك قواعد استخدام اللغات ، واللغة العلمية بالذات ، ومن ثم كانت لغتها لها شكل اللغة العلمية ولكنها فارغة من المعنى ، بمعنى أنه لا يوجد في الواقع ما يقابل كلمات هذه اللغة . ولقد توسع شليك في نظريته بعد سنة ١٩٢٢ ، بتأثير فتجنشتاين وكارناب ، ونأى في هذه المرحلة الجديدة بالفلسفة عن البحث في المشكلات التقليدية ، وجعل غايتها توضيح هذه المشكلات المختلف حولها بدراسة المصطلحات التي تلجأ إليها في إطار العبارات المستخدمة فيها ، فوجد مثلاً أن كلمة « مكان » لها معان عدة تختلف باختلاف المجال الذي تستخدم فيه ، فهو في مجال علم الطبيعة مختلف عنه في مجال الهندسة أو علم النفس ، وبما أن لكل علم قواعده اللغوية فإن المعنى يختلف باختلاف القواعد التي تحكم استخدام المصطلح في المناسبات المختلفة . وطور شليك لنفسه منهجاً فلسفياً تحليلياً يقوم أولاً على التثبت من قواعد الاستخدام اللغوي للمصطلح قيد البحث ، ثم على دراسة المعنى المقصود الذي يقصد اليه المصطلح من خلال دراسة العبارات التي يستخدم فيها ، ومن ثم يمكن « تأويل » معنى المصطلح ، فإذا تبين مثلاً أن كلمة « مكان » طبقاً للخطوة الأولى ، لها عدة معان ، فعلى المحلل أن يتجه بتأويله إلى المعنى الذي تنصرف إليه العبارة ، وأن يتيقن من صدق تأويله بقياسه إلى معيار التحقق الذي قال به فتجنشتاين ، والذي بمقتضاه لا يكون التأويل صادقاً إلا إذا كان له صدى من الواقع ، وبه لا يكون الشيء واقعاً إلا إذا كان من الممكن اختباره وقياسه ، وطبق شليك منهجه التحليلي على مسائل الأخلاق ، وجعل القيم الأخلاقية نسبية ، وقال بمبدأ جديد يقول بالسعادة كغاية للفعل ، ويفاضل بين الأفعال بمقدار ما تعطينا من المزيد من السعادة ، ووصف السعادة بأنها شعور بالطمأنينة والرضى والمرح يتولد فينا عندما نقوم بنشاط لا يدفعنا إليه أحد وإنما ينبع من ذاتنا ويناسب قدراتنا ، وشبهه بالنشاط الذي يمارسه الأطفال ، وشبه السعادة بسعادة الأطفال وهم يلعبون ، وقال إن مثل هذا النشاط هو سلوك أخلاقي قيمته فيما يمنحنا من الإحساس بالفتوة والشباب ، وقال إن هذه الفتوة هي المعيار الذي نقيس به قيمة الفعل ، فبمقدار ما تزيدها فينا وتحفظها علينا بمقدار قيمة الفعل ، ووصف الشباب بأنه لا يقاس بالعمر الزمني .

شهرستاني ....

(١٠٨٣ - ١١٥٣م) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، نسبة إلى بلدة شهرستان مسقط رأسه ومثوى رفاته ، واشتهر بكتابه « الملل والنحل » ، قيل فيه إنه أقام به مدرسة فلسفية للملل والنحل أو تاريخ الأديان .

شبيت ... **Shept**

(١٨٧٩ - ١٩٣٧) جوستاف جوستافوفتش شبيت، أبرز المتحدثين باسم ظاهراتية هوسرل في روسيا ، تعلم في كييف ، وعلم بجامعة موسكو ، واعتقل في الثلاثينات ومات في أحد المعسكرات بسيبريا . أهم كتبه « الظاهر والمعنى » (١٩١٤) . والفلسفة عنده تقدم جدلي من الحكمة الشعبية إلى الميتافيزيقا فالعلم ، والتجربة التي ينبغي أن يبدأ بها الفيلسوف ينبغي أن تكون تجربة اجتماعية ثقافية ، والوعي منه الفردي ومنه الجماعي ، وأدت به معالجته لهذه الأفكار إلى ولوج مجالات علم النفس الاجتماعي والتجربة الجمالية ووظيفة اللغة كحاملة للمعاني في الاتصال الاجتماعي ، وقربه اهتمامه بالتحليل الفلسفي للوعي من وليام جيمس .

شيرازي ....

(١٥٧١ / ١٥٧٢ - ١٦٤٠م) صدر الدين محمد ابن إبراهيم القوامي ، المعروف باسم صدر الدين الشيرازي ، أو الملا صدري ، ويلقبه تلاميذه باسم صدر المتألهين ، أو المعلم الأول في مدرسة الفلسفة الإسلامية الإلهية ولد في شيراز بفارس ، وتوفي بالبصرة، وكتابه الرئيسي « الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة » وشهرته كتاب الأسفار ، من السفرة (بفتح السين) وهي الرحلة ، فهي أربع أسفار روحية تقابل الأسفار الأربع العقلية التي للعرفاء ، وفلسفته جماع من ابن سينا والسهروردي وابن عربي ،أو هي مزيج من المشائية والإشراقية ، ومنهجه يمزج فيه بين طريقتي المتألهين من الحكماء والمليين من العرفاء كما يقول ، أي بين النظر العقلي والكشف الحدسي ، **ويعتبره البعض آخر الفلاسفة العظماء من فلاسفة الفرس .**

شيرنيشفسكي .... **Chernyshevski**

(١٨٢٨ - ١٨٨٩) نيقولا جافريلوفتش شيرنيشفسكي ، الشخصية الملهمة للقومية الروسية وواحد من أبرز ممثلي المادية الوصفية في الفلسفة الروسية في القرن التاسع عشر . ولد في ساراتوف وتعلم بجامعة بطرسبرج وتخرج مدرساً ثانوياً ، ثم تحول إلى الصحافة وتزعم الدعوة الاشتراكية الراديكالية ، وقبض عليه وحكم عليه بالنفي المؤبد في سيبريا (٢٥سنة) ولم يسمح له بالعودة إلا قبل شهور من موته . وكان تأثر شيرنيشفسكي بالاشتراكية الفرنسية واليسار الهيجلي والنفعية الإنجليزية وخاصة عند جون ستيوارت مل ، ولكن أكبر تأثره كان بفيورباخ ، وأخذ عنه في كتابه « **المبدأ الانثروبولوجي في الفلسفة** » (١٨٦٠) فكرة أن الإنسان كائن حي واحد لا ينقسم إلى روحاني ومادي ، وقال إن الإنسان مركب كيميائي يخضع سلوكه لقانون السببية ، ويسعى في كل تصرفاته لتحصيل اللذة ، وتتحدد شخصيته من خلال البيئة ، ومن ثم فقد دعا شيرنيشيفسكي إلى نظرية في الأخلاق تقوم على الأنانية العاقلة ، ويلزم عنها دعوة أخرى لإعادة تشكيل البيئة الإجتماعية لتفرخ أفراداً منتجين سعداء ، وصور هؤلاء الناس السعداء ومجتمع الغد الاشتراكي في روايته « **ما العمل ؟** » (١٨٦٣) فكانت أول عمل أدبي في القومية ، وكانت لها أصداء بعيدة في الحركة الراديكالية .

شيروودي .... **William of Sherwood**

(من ١٢٠٠ - ١٢١٠ إلى ١٢٦٦ - ١٢٧١) وليام الشيروودي أو الشريذوودي Of Shyreswood ، لا نعرف عنه إلا أنه كان مدرساً بأكسفورد ، وأن ما كتبه في المنطق أطلق عليه فلاسفة القرن الثالث عشر اسم « المنطق الحديث Logica Moderna» تمييزاً له عن كتابات أرسطو في المنطق ، وأنه أثر على بطرس الأسباني ولمبرت الأوكسيري وألبرت الكبير وتوما الأكويني ، وأن باكون اعتبره أكثر حكمة من بطرس الكبير .

شيعة ....

فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، وهم الذين شايعوا علياً ، وقالوا بإمامته وخلافته ، وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين ، لا يجوز إغفاله ولا تفويضه إلى العامة . وهم اثنان وعشرون فرقة، يكفر بعضهم بعضاً ، أصولهم ثلاث فرق ، غلاة وزيدية وإمامية ، والغلاة ثمانية عشر هي السبئية والكاملية والبنانية والمغيرية والخباصية والمنصورية والخطابية والغرابية والذمية والهشامية والزرارية واليونسية والشيكانية والزرامية والمغوصية والبدائية والنصرية والاسماعيلية . أما الزيدية فثلاث فرق : الجارودية والسليمانية والبترية .ويجمعهم جميعاً القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر ،

والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً ، إلا في حالة التقية .

شيلر .... **Sheler**

(١٨٧٤ ـ ١٩٢٨) ماكس شيلر ، ألماني ، ولد بميونخ ، من أب بروتستنتي وأم يهودية ، وانعكسَ الصراع بين الديانتين في كل ما كتب . ويقسم المؤرخون تطوره الروحي إلى مراحل ثلاث ، في الأولى وقع تحت تأثير أستاذه رودلف أويكن Eueken ، وكان ليبراليًا مثاليًا ، والتقىٰ بجامعة ميونخ بفرانز برنتانو والعديد من تلاميذ هوسرل فمالَ بكليته إلى الحركة الظاهراتية . وابتدأت المرحلة الثانية في برلين (١٩١٠) حيث بدأ يتعيّش من كتاباته ، وفي هذه المرحلة أنتجَ أغلب مؤلّفاته : « **الغل وأحكام القيمة الخلقية** » (١٩١٢) و « **مساهمات في فينومينولوجية ونظرية التعاطف والحب والبغض** » (١٩١٣) و « **النزعة الصورية في الأخلاق وأخلاق القيم المادية** » (١٩١٣ ـ ١٩١٦) . وباندلاع الحرب العالمية الأولى تحول إلى مناصرة ألمانيا وتمجيدها ، وألف « **عبقرية الحرب والحرب الألمانية** » (١٩٢٥) ، ولكن هزيمة ألمانيا وما شهده من فظائع الحرب أصابه بخيبة أمل دفعته إلى أحضان الدين ، واعتنق الكاثوليكية ، وكتب « **العنصر الأزلي في الإنسان** » (١٩٢١) ، وعيّن أستاذاً للفلسفة والاجتماع بجامعة كولونيا فكتب « **أشكال المعرفة والمجتمع** » (١٩٢٦) ، وقبل وفاته بأربع سنوات دخل في الطور الثالث من مراحل تطوره (١٩٢٤) فتحول عن الكاثوليكية ، وارتدَّ عن الإيمان بالله ، وراحَ يقدم فلسفة إنسانية تقرب من المذهب الحيوي ومذهب وحدة الوجود ، وانصرف إلى العلوم الطبيعية ، وكانت محصلة ذلك كتابان : « **مركز الإنسان في الكون** » (١٩٢٨) و « **الإنسان في عصر التساوي** » (١٩٢٩) .

ولقد اصطنع شيلر المنهج الظاهراتي كما طوّره هوسرل ، وتبنّى فلسفات نيتشه وديلثي وبرجسون ، وارتبط بالحدسيين والاستبطانيين ، وفضّل منطق القلب Logique du Cœur الذي دعا إليه باسكال، والذي ينهض على وصف الخبرات الأخلاقية والدينية، وعلى وصف التخريجات التجريدية التي مدارها موضوعات أخلاقية أو تبحث في الله ، وكان شديد الانحياز للفلاسفة ذوي الاتجاهات الفينومينولوجية، من القديس أوغسطين ، والقديس فرانسيس ، وفلاسفة المشرق ، حتى سيجمون فرويد ، وكلهم أضافوا لمسات إلى فلسفته ، حتى أن ترولتش أسماه نسخة كاثوليكية من نيتشه ، وكان تأثير كنط المنطقي عليه واضحاً ، وهذا التأثير المزدوج للفينومينولوجيين وكنط عليه هو الذي وجهه إلى مجاليّ الميتافيزيقا والبحوث التجريبية . ولقد دعمَ شيلر تأثير الفينومينولوجية ، ونشرها خارج ألمانيا في فرنسا ، والدول الناطقة بالأسبانية كما يقول أورتيجا جاسيت الذي أحب شيلر .

ولا يرى شيلر أن ثمَّة معرفة خالصة ، فالمعرفة لا توجد لذاتها ، بغرض التأمل ، لكنها ظاهرة وضرب من السلوك يتكيّف به الإنسان تاريخياً واجتماعياً وبيولوجياً مع الوجود . ويخلص شيلر إلى ثلاثة أنماط من المعرفة ، بحكم ما لها من وظيفة ، الأولى المعرفة العلمية ، مجالها العلوم التجريبية والمتخصصة ، وتقوم على الملاحظة والتصنيف والقوانين العامة . ومناطها سيطرة الإنسان على التكنولوجيا ، ومن ثمَّ سيطرته وسيادته على الطبيعة والمجتمع والتاريخ . والنمط الثاني يشبه ما كان أرسطو يطلق عليه « فلسفة أولى » ، وهي معرفة الماهيات . وإذا كانت المعرفة العلمية هي العلم بالمفردات Particulars ، وتقوم على الاستقراء ، فإن المعرفة الماهوية هي العلم بالكليات ومن ثمَّ فهي معرفة قبلية ، تقوم على ملاحظة الواقع وكذلك المتخيل ، وترد الأشياء إلى ماهياتها ، والدافع إليها ليس هو التكيّف والسيطرة ، لكنه الحب ، حيث إن التكيّف والسيطرة يتميز بهما الحيوان والإنسان ، ولكن الحب هو خاصة الإنسان وحده ، وهو الذي يحرك قلبه ويستثير انفعالاته نحو الموضوعات الحسية والروحية .

والنمط الثالث هو المعرفة الميتافيزيقية ، أو المعرفة التي قوامها الخلاص والنجاة ، ولا تتأتى إلا بدمج نتائج العلوم الوضعية بفلسفة الماهية ، وتبدأ بالسؤال : ما هو الإنسان ؟ ولا تنظر إلى الوجود باعتباره موضوعاً ، وإنما تستمد أصولها من الأنثروبولوجيا الفلسفية ، ومن ثمَّ كان هدفها فهم الوجود من حيث هو مقاوم لدوافعنا ، أو من حيث هو النقيض أو الآخر لذواتنا . وفهمه كمظهر لقوة عاقلة وروحاً مطلقة وقوة دافعة عمياء ، هو الله . وكما أن هذه الدنيا أو العالم الصغير صورة طبق الأصل مصغرة من الكون أو العالم الكبير ، فكذلك الإنسان صورة مصغرة من الله Microtheos ، أو إلّه مصغر Miniature God ، أو صورة متناهية حية لله ، ومن ثمَّ فطريق الإنسان إلى الله هو الإنسان نفسه ، وإذاً تكون ميتافيزيقا الخلاص هي ضرب من الميتا انثروبولوجيا Meta - Anthropology ، أي أن فهم الله كأساس للوجود ، لن يتحقق بالتأمل النظري ، بل بالالتزام الفعال ، فالإنسان موجود روحي متدين ، مؤمن مصلي ، باحث عن الله ، وكل الناس تشارك في الطبيعة الإلّهية ، وهم يحسونها في أنفسهم ، في التعاطف مع الآخرين الذي يملأ صدورهم ، وحب الآخرين الذي يعمر قلوبهم ، وشعورهم بأنهم والكون واحد ، والذي يدفعهم إلى درب ديونيسوس إلى الله ، والذي يجعل الإنسان يشارك الله في فعل الخلق .

ويطبق شيلر المنهج الفينومينولوجي أو الظاهري على الأخلاق والقيم ، بأن يصف الحالات الأخلاقية للشعور والوجود ، ويطبق حدس هوسرل للماهيات على الحياة الوجدانية ، ويقول بحدس وجداني ، وأن للوجدان موضوعات قصدية ، هي القيم ، وأنها العنصر الأولي في الحياة الانفعالية وأن القيم معطاة مباشرة للوجدان ، وأنها ماهيات لاعقلية ، مطلقة وليست نسبية ، ثابتة لا تتغير ، فليست القيم هي التي تتغير ، بل الذي يتغير معرفتنا بها والسلوك الذي يعمل بمقتضاها . وهو يميز أربعة مدارج للقيم ، فهناك القيم الحسّية كالمستساغ وغير المستساغ ، وقيم الحياة كالنبيل والمبتذل ، وقيم الروح كالجميل والقبيح ، واللائق وغير اللائق والمعرفة كقيمة في حد ذاتها ؛ والقيم الدينية كالمقدس والمدنّس . ولم يدرج شيلر القيم الأخلاقية في سلم القيم لأن الإنسان الخلوق في رأيه هو الذي يطبق أيّاً من القيم السابقة . وواضح أن القيم الدينية هي أعلاها ، وأن القيم الحسّية هي أدناها ، وأن رتبة القيمة واقعة معطاة تقوم على معيار أن القيم الأعلى هي التي يكون دوامها أطول ، وقابليتها للانقسام واعتمادها على ما عداها أقل ، والإشباع الذي تكفله أعمق ، وهي التي يزيد فيها الجزء الروحي على الجزء الحسي ، أو التي تبعد عن أن تكون إشباعاً لوظائف جسمية ، وهو معيار يذكرنا بحساب المنفعة Hedonic Calculus عند بنتام .

ولم يقتصر تطبيق شيلر للمنهج الفينومينولوجي على الأكسيولوجيا Axiology أو علم القيم، لكنه طبقه على الأنثروبولوجيا الفلسفية ، وهو ما لم يفعله هوسرل صاحب الفينومينولوجية . وتحتلّ مسألة الشخصية أعلى مكان يمكن أن تحتله في فلسفة شيلر ، حتى ليمكن أن تسمّى فينومينولوجيته بأنها فينومينولوجية الشخصية ؛ وهو يقرر أن الشخص ليس هو النفس وليس هو الذات ، ليس له طابع نفساني ، وليس جوهراً أو موضوعاً ، بل هو وحدة من النشاط داخل نسيج الوجود ، مثلما الالكترون حشد من الطاقة Energy Cloud ، يسميها شيلر روحاً ، فما يميز الإنسان عن الحيوان هو قدرته على استخلاص الماهية من الوجود ، ومن ثمَّ كان الإنسان مخلوقاً فريداً ، له استقلاله الذاتي ، ومع ذلك فله جانبه العام ؛ والجانب العام للإنسان هو أساس البنايات الاجتماعية ، وهو قد يحقق الاندماج في مجتمعه بالتطابق معه ، والمشاركة في أحداثه ، والإسهام في تطوير مؤسساته ، وأخصّها الكنيسة ، والدولة . ولقد أبانت العلوم عن الجوانب الواقعية في الإنسان ، وهي إمّا الظروف المادية البيئية التي تدرسها الجغرافيا وعلم المناخ وعلم السلالات والجغرافيا الاقتصادية ، وإما الدوافع الداخلية البيولوجية والسيكولوجية في الإنسان كحفظ الذات والجنس .

ومن الخطأ الظن أن الجوانب الروحية في الإنسان ترجع إلى الجوانب المادية أو الواقعية وحدها ، لكن ممّا لا شك فيه أنها تتأثر بها ، والعلم الذي يدرس تأثيرها هو علم المعرفة ، وهو يصنف نظريات الإنسان إلى خمس نظريات ، أو خمس أنثروبولوجيات فلسفية كما يسميها شيلر، هي التي تبدو بشكل جلي وقد سيطرت على الفكر الاجتماعي الفلسفي المعاصر ، الأولى لا تقوم على الفلسفة أو العلم لكن على الإيمان الديني وتتمثل في الديانات الكبرى ، والنظرية الثانية للإنسان تطالعه باعتباره إنساناً عاقلاً Homo Sapiens برزت مع الحضارة الإغريقية ، والنظرية الثالثة هي النظرية الطبيعية الوضعية البراجماتية التي تعتبر الإنسان إنساناً صانعاً Homa Faber ، وتعده امتداداً للطبيعة . وليس مخلوقاً نسيج وحده Sue Generis ، وتعامله بوصفه حيواناً له مخ أكبر ، قادر على استخدام الرموز والأدوات . والنظرية الرابعة سلبية تأثرت بتشاؤم شوبنهاور، وتعد الإنسان مخلوقاً في طريقة للاندثار والزوال ، قد هجر الحياة ، ونسي رسالته في الكون ، ويعيش مريضاً بتضخيم الذات وجنون العظمة ، وقد نمىٰ ذكاؤه لقلة حيلته بدنياً وضموره فسيولوجياً . والنظرية الخامسة هي فكرة السوبرمان أو الإنسان الأعلى Superman التي روَّج لها نيتشه وهارتمان .

شيلنج ... Schelling

(١٧٧٥ ـ ١٨٥٤) وليم يوسف فون شيلنج ، مثالي ألماني ، ولد لأب قسيس ، وتعلَّم ليكون قسيساً ، وكان زميلاه في الدراسة هيجل وهولدرلن ، وجمعَ بينهم حبهم للثورة الفرنسية وللفلسفة ، خاصة فلسفة سبينوزا وكنط وفخته . وفي سن الثالثة والعشرين عين أستاذاً للفلسفة بجامعة يينا، وصارَ زميلاً وصديقاً لفخته معبوده الفكري ، واشتركَ مع هيجل في إصدار مجلة فلسفية ، وكان هيجل يكبره بخمسة أعوام ولكنه كان يتلقّىٰ عن شيلنج ، وكان أول كتاب لهيجل مقارنة بين فلسفتيّ فخته وشيلنج . وكانت فيمار جوته وشيللر غير بعيدة عن يينا ، والتقىٰ شيلنج بهما وصار من مريدي جوته ، وتحوّلت يينا إلى مركز للرومانسية الألمانية ، وتأثَّر شيلنج بأفكارها وشخصياتها ، وتأثرت به ، وكانت مثاليته التصورية لب الرومانسية الألمانية ، وتعرَّف إلى أوجست شليجل الذي ترجم شكسبير وجعل من مسرحياته حدثاً خالداً في تاريخ الأدب والمسرح الألمانيين ، وأحبَّ ابنة زوجته ، وكانت في السادسة عشرة من عمرها وخطبها لنفسه ، لكنها مرضت وماتت قبل الزواج ، وقيل إن شيلنج كان من أسباب وفاتها لادّعاءاته الطبية ، وكان شيلنج كثير الدعاوي شأن الرومانسيين ، يثق في نفسه إلى حد التهور ، شعاره « الحرية هي بداية ونهاية كل تفلسف » ، لذلك تحوّل من الابنة إلى الأم فأوقعها في غرامه وطلقها من زوجها وتزوجها ، واستمرَّ زواجهما تسع سنوات ألهمته أخصب أعماله ، ثم وافاها أجلها فحزن عليها حزناً ملك عليه نفسه حتى لم يخط من بعدها حرفاً ، لكنه استمرَّ يحاضر ، ولم يمنعه حزنه من الزواج من صديقتها بعد ثلاث سنوات .

وتنقسم فلسفته إلى مرحلتين ، ومن المؤرخين من يقسمها إلى أربع مراحل ، وكل مرحلة تتعارض مع السابقة عليها ، حتى ليبدو شيلنج متناقضاً مع نفسه ، لكنها في الواقع تترابط منطقياً وإن بدا أن عدم الإتساق يعوزها . وهو في المرحلة الأولى كان واقعاً تحت تأثير مثالية فخته الذاتية ، وكان يحاول أن تكون له فلسفته ، وبدأها بمقالات تناول فيها فكرة الأنا ، وقارنَ بين سبينوزا وفخته ، وتميّزت كتاباته بالطابع الرومانسي والبلاغة وطلاوة الأسلوب والتحرّر من ركانة الفلاسفة ، وأبانت عن حبه الجم للجمال . ثم بدأت تتكون له فلسفته الخاصة ، وكتب « **خواطر لإقامة فلسفة طبيعية** » (١٧٩٧) ، و « **في النفس العالمية** » (١٧٩٨) ، و « **فكرة العلم الطبيعي النظري** » (١٧٩٩) ، و « **مذهب التصورية الذاتية** » (١٨٠٠) ، و « **برونو أو في المبدأ الإلّهي والطبيعي للأشياء** » (١٨٠٢) . وكان فخته يقول بوجود أنا لامتناه أو مطلق ينجزىء عنه

الأنا هو الطبيعة ، وهو مجال فعل الأنا اللّامتناه ، ويعارض الأنا المطلق ، ومن ثمّ ينجزىء الأنا المطلق مرة أخرى إلى الأنا المتناهي أو الأنا الذي ندرك به التجارب والذي يعارض اللاّأنا ويحده . وتصدّى شيللنج لتصحيح فخته ، فقال إن الطبيعة لا تقل أهمية عن الأنا المطلق ، وأنها حقيقية مثله ، وقال إن الأنا المدرك والطبيعة واحد ولانهائيان ، غير أن الأنا المدرك هو الذي يحد نفسه ويقدم نفسه لنفسه كنهائي وكمغاير للطبيعة . وقال إن جوهر الأنا هو الروح ، وجوهر الطبيعة هو المادة ، وليس الروح إلّا مادة تتنظم ، وليست المادة إلّا روحاً ناعسة . وجوهر المادة هو القوة أي الجذب والطرد ، وتشترك الطبيعة والأنا في القوة ، عندما تكون القوة جذباً تكون الطبيعة والمادة ، وعندما تكون طرداً تكون الأنا والروح . والطبيعة أو المادة موضوع ، والأنا ذات . وقال أيضاً إن هدف العلوم الطبيعية كان تفسير الطبيعة كوحدة، أو رد الكثرة إلى الوحدة ، ومن ثمّ كانت الدراسة الصحيحة لكل علوم الطبيعة هي دراسة القوة ، وقال إن كل أنواع القوى الميكانيكية .والكيميائية والكهربية والحيوية هي ظواهر لنفس القوة الكامنة ، وصور هذه القوة بأنها « الفاعلية الخالصة » ، ورأى في الطبيعة أنها نشاط لانهائي ذاتي تحقق نفسها في المادة النهائية ، لكنها لا تنفذ أبداً ، وتقصر دائماً عن أن تحقق نفسها تماماً ، وشعر أنه قد وجد في فكرة الفاعلية ، التي تجهد دائماً ولا تحقق مثلها ، فكرة مساوية لفكرة الفاعلية الخلقية عند كنط .

والمعرفة عنده حسية وعقلية ، ففي البدء يكون الوعي بشيء يحد الذات وليس منها ونشعر به كإحساس . ونقطة الشعور بالإحساس هي نقطة لقاء الوعي بالذات وهو يتدافع من إلى الخارج ، بقوة الوعي بالأشياء الخارجية وهي تنفذ إلى داخلي ، لذلك فكل إحساس هو شعور بنفسي محدوداً . وهنا نعي الجاذبية وقوة العالم الموضوعي الحقيقي في المكان ، ونعي الكثافة أيضاً التي هي الوعي المباشر بالذات وفعاليتها في الزمان . ومن إدراك الخارج يتحصل التفكير ، ومن التفكير في العالم الداخلي تصير الإرادة .

ولا تنفصل المعرفة عن موضوعاتها إلّا في التجريد ، ولا وجود للمعاني مستقلة عن موضوعاتها ، والمعرفة هي التقاء الموضوعات المعروفة بالذات العارفة ، فلا وجود لموضوع بدون ذات تتصوره ، ولا وجود لذات بدون موضوع يظهرها لذاتها ، وليست الذات مجرّد موضوع للمعرفة ، لكنها شرط لكل معرفة ، وجوهر الذات الفاعلية ومن ثمّ فإن المعرفة تستمد في النهاية من الإرادة التي هي فعل الذات .

إن إرادتي تحدها إرادات غيري ، ومثلما أعي أن الأشياء تحدني أعي أيضاً وجود ذوات أخرى تحدني وتستطيع التأثير علي ، لكن تأثيرها غير مباشر ، بتصوري لما تفعل ، ففعلها لا يقسرني على شيء ، لكنه يحد فعلي ويتعارض مع حريتي ، وفي هذا التفاعل بين العقول الفاعلة تقوم حياة البشر والتاريخ .

إن إدراكي محدود وضروري ، لكن إرادتي غير محدودة وحرة ، وخيالي محدود وغير محدود بمعنى أن ارتباط الفكرة بموضوع يحدّها ، لكن نشاط الخيال نفسه غير محدود . وعمل الإرادة هو جعل أفكار الخيال مثلاً عليا مطلوبة ، ومن ثمّ يحدث التعارض في الهوية بين الواقع والمثال ، وتقوم رغبة المرء في استعادة هويته المشروخة ، بأن يحاول باستمرار تحقيق المثل ، وبذلك يرأب الصدع في هويته ، ولكن الخيال الجامح يمعن بأفكاره في التحليق ويصرح بصاحبه إلى أبعد ، وتظل المسافة بين الواقع والمثال كما هي وكأنها لم تقترب .

إن العقل النظري يخلق معانيه ومبادئه دون أن يشعر ، ويكتفي بتأمل العالم ، لكن الإرادة تشعر أنها علة ما تحدث ، وأن مهمتها كعقل عملي أن تأمر العالم ، وهذا الشعور هو الشعور بالحرية . ومن تفاعل العقل والإرادة يكون التاريخ ، فالتاريخ هو تاريخ تطور القانون الذي مصدره العقل ، وتاريخ تطور الحرية التي مصدرها الإرادة . والتاريخ كله يتّجه إلى تأليف الدولة المثلى ، أو اتحاد الدول ذات السيادة ، فكل

التاريخ هو تحقيق الحرية من خلال الضرورة . والتماثل تام بين الضرورة والحرية ، وبين العقل والإرادة ، وبين الطبيعة والمطلق ، لكنه لم يكن شعورياً أبداً ولم يكن موضوعاً للمعرفة ، لكنه كان دائماً موضوعاً للإيمان . وليس الإيمان بإله مشخَّص أو إله موضوعي ، ولكنه بالإله الذي يتكشف في الإنسان ، أو بما يتكشف في الإنسان من معاني الألوهية في نفسه ، ولا يتحقق له بصورة كاملة أبداً والإنسان في التاريخ ممثل يؤدّي المناط به ، لكنه أيضاً المؤلف الذي يحدد ويرسم ما يمثله .

إن التاريخ دراما ، لكن الطبيعة فن ، فإذا كان المطلق لا يتحقق أبداً في التاريخ ، فلماذا لا يرتفع الإنسان إلى المطلق بالحدس الفني ؟ إن العقل حين يتفلسف تجريدي ومحدود في تعبيره عن اللاتناهي بالقوة ، لكنه في الفن يتحرر من التجريد ويحقق في الفن طبيعته اللامتناهية ويصبح واعياً بذاته لأول مرة ، لذلك ينظر الفيلسوف إلى الفن كمثل أعلى ، لأنه يرى فيه وحدة الشعور واللاشعور والفكر والطبيعة ، والعارف والمعروف والنظر والعمل والتاريخ والطبيعة ، ومن ثم تتجه كل العقول إلى الفن باعتباره الفلسفة الحقة . لكن لا يفهم من ذلك أن الفنان فيلسوف دائماً ، طالما أن الفهم النظري لما يخلقه ينقصه ، ومع ذلك فالعقل الفني هو أسمى العقول لأنه يخلق العالم ، بينما العقل النظري ، والفلسفي يكتفي بتأمله ، أما العقل العملي فهو يرتب العالم وينظمه .

والمرحلة الثانية من مراحل فلسفة شيلنج مرحلة الهوية أو المرحلة الدينية ، فإذا كانت فلسفة الطبيعة والمعرفة هي نصف الحقيقة ، فالنصف الباقي هو الذي يوحد بين الطبيعة والمعرفة في هوية غير متمايزة . وكان اللّه في المرحلة الطبيعية ـ عن شيلينج ـ مثالاً خالصاً ، وحاول أن يستخرج منه الأشياء بالجدل العقلي ، والآن يراه إرادة تخرج منه الأشياء بالنزوع ، وكان يراه إلهاً غير مشخص ، والآن يراه إلهاً شخصياً أي إرادة ، وكان يرى التاريخ تفاعل العقول الفاعلة والعقل والارادة والضرورة والحرية ، والآن يراه الهوية التي تصدر عن المطلق أو التي تحدثها الإرادة بمقتضى الضرورة . وترتب على انتقاله هذا من الجدل إلى الارادة انتقال مماثل من الفلسفة السلبية إلى الفلسفة الايجابية ، وأنتج في هذه المرحلة « فلسفة الميثولوجيا » و « فلسفة الوحي » ، وحاول فيها أن يشيد فلسفة وضعية تقوم على تطور المبدأ الإلهي وارتقاء فكرة اللّه عبر التاريخ البشري في الأساطير والديانات ، وكان يريد أن يحل في هذه المرحلة مشكلة الوجود ، وأن يجيب على السؤال الذي أصبح يلح عليه اكثر من سواه : لماذا كان الوجود أصلاً ؟ ولماذا لم يكن العدم ؟ وحاول هيدجر من بعده أن يجيب عليه عنه . وكان شيلنج يرى أن الفلسفة قد عجزت عن تفسير خروج الكثرة من الواحد ، ولم يجد مناصاً من أن يقول بإله خالق كحل للإشكال ، فالفلسفة تؤدي إلى الدين ، والدين أعلى من الفلسفة ، وأن اللّه هو الحقيقة ، وأن الأشياء المتناهية هي غير الحقيقية ، وأن وجودها نائية عن الحقيقة هو واقعها ، وأن نأيها عن الحقيقة هو سقوطها ، وأن اللّه لا يستطيع إلا أن يخلق ، وخلقه اغتراب ، وهو دائم الخلق والاغتراب ، واغترابه عما يخلق يجعل سقوط ما يخلقه ممكناً ، واللّه يخلق الحرية ، والحرية هي سبب سقوط ما يخلق ، وآخر ما يعلق من الأشياء من اللّه بعد سقوطها ، ولا يعي عن مخلوقات اللّه السقوط وما يترتب عليه إلا الإنسان ، والإنسان فاعلية خالقة حرة ، وجوهر العالم ، ولم تعد الفلسفة هي معرفة ما يفسر طبيعة العالم ، لكنها فلسفة الوجود كذلك .

شيشرون .... Cicero

(١٠٦ ـ ٤٣ ق.م) ماركوس توليوس شيشرون ، فقيه وسياسي وكاتب روماني ، شغل طوال حياته بالفلسفة ، وكتب عدداً من المصنفات الفلسفية خلال الفترات التي فرضت عليه فيها العزلة السياسية ، وكان مطلعاً على المدارس الفلسفية الأربع التي ذاع صيتها في زمنه ، وكان من أصدقائه ومعلميه ، على سبيل

المثال ، الأبيقوريان فيدروس وزينو ، والرواقي بوسيدونيوس ، والمشائي ستاسياس ، والأكاديميان فيلو وأنتيوخوس ، وكان تعاطفه مع الأكاديمية ، ورفض الأبيقورية ، ولم يكن للرومان فلسفة أصيلة ، وكانوا في ذلك عالة على اليونان ، وكان شيشرون من نقلة الفلسفة اليونانية إلى اللاتينية ، ويحكي شيشرون أن بعض كتبه لم يستغرق منه إلا بعضاً من أسبوع ، وأنه يكتب طول الليل لأنه لا ينام . وليس في كتبه مذهب متماسك ، فقد قصر نفسه على تدوين ما أعجبه مما قرأ وسمع ، وتميز ما كتبه بمزج الفلسفة بالبلاغة ، ولعل في ذلك تقريعاً لسقراط الذي رتق بينهما ، وهو يظن أنه بهذه الطريقة قد توسل بما يمكن أن يحقق الاستخدام الأمثل للمعرفة لخدمة البشرية ، فالفلسفة تقدم المعرفة ، والبلاغة تجعلها ذات أثر ، وكل منهما لا غنى له عن الآخر ، وبدونه يعجز الآخر عن التأثير ، والإنسان العظيم هو الذي تكون له السيادة على الإثنتين ، فإذا تهيأ لمثل هذا الإنسان مجتمع حر ، أي جمهورية دستورية ، أداة يحكم فيها الإقناع وليس العنف ، لحسنت النتيجة وتحقق المأمول . ولقد اختار شيشرون قالباً يخدم غرضه التثقيفي ، فدون أغلب كتبه في شكل حوار ، يستهله بمقدمة ، ويديره بين شخصيات رومانية مرموقة ، وحضوره من الشباب الذي يخطو أولى خطواته نحو الحياة العامة ، وتتصارع الآراء ، لكنها تطول فكأنها الخطب ، وتقل المقاطعة ، وقد يحتد المتحاورون ويتسابون ، وخاصة إذا كانوا من الأبيقوريين . وفي المساجلات التوسكولانية Tusculanae Disputationes ، يدور الحوار في فيلا توسكولان ، بين التلميذ ومربيه ، ولا يتخلى شيشرون عن الحوار إلا في « الواجبات De Officiis » الذي أهداه لابنه ، و « الجدل » الذي توجه به إلى أحد المحامين الشبان . والفضيلة عند شيشرون هي غاية الحياة وليست اللذة ، وهو يقرر وجوب قيام القوانين الوضعية على القانون الأزلي ، ويصف النفس بأنها شيء إلهي ، ويؤيد القول بالخلود . ويستعرض شيشرون في كتبه « طبيعة الآلهة » و « النبوءة » و « القدر » النظريات الأبيقورية والرواقية والأكاديمية في الدين والكون والعناية الإلهية ، ويرفض ما يذهب إليه الرواقيون في القدر ، وفي كتاب « الجمهورية » ، الذي يستعير اسمه عن أفلاطون ، يجمع أهم المذاهب السياسية .

شيلر .... Schiller

(١٨٦٤ - ١٩٣٧) فرديناند كانبج سكوت شيلر ، بريطاني ، براجماتي ، تخرج من أكسفورد وعين بها ، واختير رئيساً لجمعية أرسطو (١٩٢١) ، وعضواً بالأكاديمية البريطانية (١٩٢٦) ، واستاذاً للفلسفة بجامعة جنوب كاليفورنيا (١٩٣٥) حيث أقام بأمريكا إلى أن مات .

ويسمي شيلر فلسفته المذهب الإنساني والمذهب الإرادي أحياناً ، والمذهب الشخصاني وتأثر بوليام جيمس بشدة ولو أنه يزعم أنه توصل إلى أفكاره بطريقة مستقلة ، ومع ذلك فهناك اختلاف هام بين الإثنين ، فجيمس يؤكد على الجانب الهادف للتفكير ، وشيلر يؤكد على الجانب الشخصي ، وجيمس يعتبر المعرفة موضوعية وشيلر يعتبرها ذاتية . وتأثر شيلر وديوي بالهيجلية من مذهب جيمس في علم النفس ، فإن شيلر تابع الجانبين الذاتي والفردي . وكان برنس يعد فلسفة شيلر وسطاً بين فلسفته وفلسفة جيمس ، وكان شيلر ينتقد بشدة الهيجليين البريطانيين لمثاليتهم المطلقة ، وكان برادلي بالذات موضع هجومه العنيف ، واعتبر الأحادية المطلقة والواحدية العقلانية والتعقلية كلها مذاهب خاطئة لأن أصحابها نسوا أن الإنسان هو معيار كل شيء كما قال بروتاجوراس ، وكان شيلر يرى أن كل النشاطات والأفكار منتجات إنسانية ومن ثم ترتبط بحاجات ورغبات وأهداف الإنسان ، وأن ألفاظ الحقيقة والواقع لا تعني شيئاً مطلقاً كاملاً ، ولكنها تلتحم بمقاصد وأفعال البشر ، وأن العقل البشري عقل مبدع

يعيد صنع الواقع، وأن الإنسان يصنع حقيقته صنعة لقيمة ومعاني الخير والجمال، وأن بديهيات الإنسان أشياء من صنعه وليست تنزيلات من السماء، وليست حقائق قبلية لكنها فروض يخضع صدقها أو زيفها للتجربة، وأن المنطق الذي نستخدمه في جمع المعرفة دينامي ووظيفي وليس شيئاً أزلياً، وليست معطياتنا أشياء تمنح لنا لكننا نأخذها، ولذلك فإن نشاط الإنسان أمر مقصود وتابع لأغراضه الحيوية، والحقيقة أمر شخصي، وإذا فالعالم متكثر متطور يتجدد ويستكمل نفسه بفعل أفراد أحرار، ونظرياً لا وجود لحدود لحرية الإنسان. وكانت أهم كتاباته مجموعتين: « **المذهب الانساني: مقالات فلسفية Humanism: Philosophical Essays** » (١٩٠٣) و« **دراسات في المذهب الإنساني Studies in Humanism** » (١٩٠٧) و« **المنطق الصوري: مسألة علمية واجتماعية Formal Logic: A Scientific and Social Problem** » (١٩١٢) و« **المنطق للاستعمال: مدخل للنظرية الإرادية في المعرفة Logic for Use: An Introduction to the Voluntarist Theory of Knowledge** » (١٩٢٩).

شيوعية Communism

نظام اجتماعي لاطبقي، الملكية فيه عامة، والعمل لكل الناس بحسب قدراتهم، ولكل فرد نصيب من الثروة العامة بحسب حاجاته. ومع أن فالياس الكالخيدوني، طبقاً لرواية أرسطو، كان أول الداعين إلى تقسيم الثروة العامة بالتساوي بين الناس، وأن هيبوداموس الملطي تحدث حديثاً يشبه في بعض جوانبه حديث أفلاطون في الجمهورية، إلا أن جمهورية أفلاطون (٣٧٠ ق. م) كانت أولى مصنفات الشيوعية. ولم يطلب أفلاطون المساواة للجميع، لكنه طلبها للنخبة الحاكمة، باعتبار أن الانشغال في تدبير المال لإعالة الأسرة، والانهماك في اقتناء الثروات، لا يساير الفضائل العليا، بالإضافة إلى أن المال والملكية هي جذور كل الشرور، ولم يكن أفلاطون وحده صاحب هذه الدعوة من بين الاغريق، لكن كان هناك انتستانس وريوجينيس وزينون الكتيومي، ولبلوتارخ حديث ممتع عن حياة الاسبرطيين تحت حكم ليكورغوس. وكانت حياة الرسل والرهبان ملهماً لبعض الكتاب الذين أرادوا تحويل العالم كله إلى دير كبير، فتنبأ يواقيم الفيوري (١١٣٥ - ١٢٠٢م) بعصر ثالث يحل فيه السلام في ظل الشيوعية، وواصل الفرانسيسكان دعوته، وفي القرن الرابع عشر قامت جماعة الاخوة الرسوليين بزعامة فرادولشينو شمالي إيطاليا على فكرة شيوعية المال والنساء، وتكونت جماعة المجددين للعماد Anabaptists، وأنصار جون هوس (الهوسيون Hussites)، وتزعم توماس مونتسر حرب الفلاحين الألمان، ولم يقصر توماس موروفي « الطوبي Utopia » (١٥١٦) الشيوعية على النخبة كما فعل أفلاطون، لكنه أدخل الجميع في نظامها وإن كان قد استبقى العبيد لأداء الأعمال الشاقة والكريهة، وتصور توماسو كامبا نيللا مدينة شيوعية يتقاسم فيها الجميع العمل والثروة والنساء واطلق عليها اسم مدينة الشمس، وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر كثرت دعوات الشيوعية، نذكر منها دعوة جابريل بونيه مؤلف « شكوك مقدمة للفلاسفة الاقتصاديين حول النظام الطبيعي والضروري للمجتمعات » (١٧٦٨)، وبريسو دي وارفيل صاحب الشعار المشهور « الملكية سرقة »، وموريلي كاتب « قانون الطبيعة » (١٧٥٥)، وإتيان كابيه في « رحلة في إيكاريوس » (١٨٤٠)، وإدوارد بيلامي مؤلف « التطلع للخلف » (١٨٨٨) وكلها مؤلفات تتفق فيما بينها على أن المنافسة على الملكية هي أصل الخطيئة والجريمة والاضطراب، وأن العالم فيه ما يكفي الجميع من الخيرات، لكن اكتنازها من قبل البعض حجبها عن الآخرين، وإذن فليست المشكلة في الإنتاج لكنها في التوزيع، وتختلف الشيوعية عن الاشتراكية في هذه النقطة فالاشتراكية تركز على الانتاج وتنادي من كل حسب قدراته إلى كل حسب

عمله وإنتاجه ، بينما تؤكد الشيوعية على الاستهلاك ، وشعارها من كل حسب قدراته إلى كل حسب حاجاته . ولم يطلب الشيوعيون إلغاء نظام الأسرة لأنهم يريدون المجتمع في فوضى جنسية ، لكنهم كانوا مدفوعين إليه لأسباب اقتصادية ، فطالما أن الإنسان يتكالب على الامتلاك بقصد إعالة أسرته وتوريث أولاده ضماناً للمستقبل ، فإن الغاء الأسرة يقضي لديه على هذه الميول ، بالإضافة إلى أن مطلب تنظيم الجنس أعطى الفرصة لأفلاطون وكمبانيللا بالمطالبة بتحسين النسل ، فإذا انتظمت المجتمعات على هذا الأساس انتفت فيها بالتالي أسباب التنازع والشقاق ، وزالت الحاجة إلى القوانين ، وهو المطلب الثالث في الشيوعية منذ أفلاطون ، حتى لقد حظر ليكورغوس كتابة القوانين ، وقلل مور من عددها حتى لتعد على أصابع اليد الواحدة ، فطالما لن تكون هناك ملكية فلن تكون بالتالي سرقة وتزول الحاجة للعقاب ، وكذلك فإن الغاء الزواج يمنع الزنا ، وأيضاً يمتنع التحاسد وما يجره من شرور بترسيخ المساواة . وهكذا نعلم أن الشيوعية أقدم من الاشتراكية ، ولم تقم الثانية إلا حديثاً ، وبينما تنظم الأولى الاستهلاك كما قلنا ، فإن الثانية تهدف إلى تنظيم الانتاج بتوجيه من الدولة ، وتبدو الاشتراكية والشيوعية شبيهتين ، لكن تملك الأشياء ، والأشياء التي تطالبان بتملكها ، أمران مختلفان في النظامين ، فأشياء الشيوعية هي السلع الاستهلاكية ، ولم تكن أدوات الانتاج مطروحة للبحث في زمانها لأنها كانت أدوات متخلفة ، بعكس الاشتراكية التي تواجدت في عصر التراكم الرأسمالي والمصانع المتقدمة والانتاج بالجملة ، ومن ثم تطالب بالملكية الجماعية لوسائل الانتاج وتركز على هذا المطلب ، والملكية هنا للدولة المركزية ، والاشتراكية مرحلة للتحول إلى الشيوعية ، ويتضمن التطور التدريجي للاشتراكية إلى الشيوعية سلسلة من التغيرات الكيفية ، تتركز في خلق الأساس المادي والتقني للشيوعية ، وترويج العلاقات الاجتماعية الشيوعية ، والأخذ بالتربية الشيوعية .

والشيوعية كحركة سياسية عمادها الايديولوجي فلسفة المادية الجدلية ، وكل البلاد التي تعتنق الشيوعية تساند المادية الجدلية كفلسفة رسمية للدولة ، وتأخذ بتطبيقها الاجتماعي وهو المادية التاريخية . وتنفرد الشيوعية بتسييسها للفلسفة ، ويعتبر الحزب حامي هذه الفلسفة من انحرافات التفسير والتطبيق ، ويستخدم المادية الجدلية في حربة لتأكيد الخط الشيوعي ، للدفاع عن ديكتاتورية البروليتاريا ضد غير الماركسيين . والاجتهاد في التفسير غير مسموح به إلا للمسؤولين في الحزب . والخوض في مسائل الفلسفة لا ينبغي إلا في نطاق الدعاية للماركسية ، وتربية المواطنين تربية شيوعية ، لتحقيق المبدأ الجدلي بوحدة النظرية والتطبيق . وعندما نجحت الثورة الشيوعية في روسيا جعل البلاشفة الفلسفة الماركسية عقيدة ، وأنزلوا كتب ماركس ، وإنجلز ولينين ، وستالين لفترة من الوقت ، منزلة التبجيل الشديد الذي يوازي التقديس عند أهل الكتب المنزلة ، وأقاموا على الإيديولوجية الماركسية سدنة وكهاناً هم أعضاء الحزب ، وأئمة هم المنظرون والشراح والمعلقون ، ومر الفكر الفلسفي في ظل الشيوعية بمراحل ثلاث ، في الأولى (١٩١٧ - ١٩٣١) كان النقاش ، وفي الثانية (١٩٣١) - ١٩٤٧) تحولت الماركسية إلى عقيدة صارمة في عهد ستالين ، وفي الثالثة (ابتداءً من ١٩٤٧) ، حدد الشيوعيون مناقشاتهم للماركسية ، وتزايد عدد الجامعيين المتخصصين فيها ، وكانت الجامعات الروسية فيما قبل الثورة هيجلية وكنطية محدثة ، وإتجاهاتها دينية ، فلما انتصرت الشيوعية ، لم تبدأ الحكومة تطهير الجامعات من « المثاليين » إلا عام ١٩٢١ ، وقبضت على أكثر من مائة استاذ في أوغسطس ١٩٢٢ ، ونفتهم بعد شهور خارج روسيا ، وكان منهم شخصيات كبيرة مثل بيرديائيف وبولجاكوف وفرانك وإيلين وكاراسافين ولوسكي ولابشين ، ومنذ ذلك الوقت أصبح الفكر المخالف للماركسية بمثابة دعوة لمناهضة الحكم وقلب النظام العام ، يعاقب عليه

القانون ويحظره . وأنشأت الحكومة لذلك مجلة فلسفية ، « تحت راية ماركسية » مهمتها التفسير والتعليق على كتب ماركس وانجلز ولينين ، أما الاجتهادات الخاصة فلم يكن مسموحاً بنشرها على حساب الدولة ، وإنما يقوم أصحابها بنشرها بأنفسهم ، ويكتب على الغلاف « نشر على نفقة المؤلف » ، وزعمت فئة من العلماء بأن عصور التفلسف قد أفلت ، وأن الماركسية نفسها كفلسفة تمهد للشيوعية ، فإذا انتصرت الشيوعية فإن معنى ذلك أن العلم قد حل محل الفلسفة ، ومن هؤلاء مينين وسكوفستوف ـ ستيبانوف وفارياش وتيمير يازيف وتسيتيلين وسارابيانوف ، وبوخارين وأسكيلرود إلى حد ما ، وأطلق على هذا الاتجاه اسم الاتجاه الميكانيكي ، وكان أشد الأعضاء تطرفاً في العداء للفلسفة مينين في مقالة « الاستغناء عن الفلسفة » (١٩٢٢) . وقال ستيبانوف في كتابه « المادية التاريخية والعلم الطبيعي المعاصر » (١٩٢٧) أن الماركسي لا يدعي أن هناك مجالاً خاصاً للفلسفة بخلاف المجال العلمي ، لأن الفلسفة المادية عند الماركسي ليست سوى النظريات التي تستحدثها وتؤكدها آخر الكشوف العلمية ، ولكي نفهم أي ظاهرة حيوية لا بد من دراستها في أصولها الكيميائية والفيزيائية البسيطة ، ولكن المدرسة الميكانيكية ، عارضها مجموعة من الفلاسفة ، منهم ديبورين وميلينوف وبيريلمان وتيميانسكي وكاريف وليبول وستين وديمتريف وماركوفسكي ، وتزعمهم ديبورين ، ولذا أطلقوا عليهم اسم الديبوريين ، وذهبوا إلى تأكيد ضرورة وتكامل فلسفة المادية الجدلية ، واستعانوا في إثبات وجهة نظرهم بأقوال من بليخانوف ، وعقدوا سنة ١٩٢٩ مؤتمراً لكل المعاهد العلمية الماركسية اللينينية، أدانوا فيه الميكانيكية بوصفها فلسفة رجعية، أراد بها أصحابها أن يضربوا الماركسية اللينينية ، ويقوضوا الجدل المادي الذي لم يفهموه ، ويحلوا محله ضرباً من التطورية المبتذلة ، ويقضوا على المادية ليحلوا محلها فلسفة وضعية ، وليحولوا في النهاية دون تغلغل المنهج الجدلي المادي في مجال العلم الطبيعي ، ولكن انتصار الديبوريين لم يدم طويلاً ، ففي ٢٧ سبتمبر ١٩٢٩ توجه ستالين بنقده الشديد إلى الميكانيكية والديبوريين معاً ، ووصف ميتين ويورين ، من معهد موسكو للفلاسفة الحمر ، الأولين بأنهم انحرافيون يمينيون، من أتباع بوخارين ، وعملاء اغنياء الفلاحين ، والآخرين بأنهم انحرافيون يساريون ، من أتباع تروتسكي ، وأطلق ستالين على فلسفتهم اسم مثالية المناشفة ، وقال إنهم سلموا بالجدل الهيجلي دون أن يحولوه إلى جدل مادي ، وفصلوا بين الشكل والمضمون . وأقر ديبورين بخطئه علناً ، وشكر ستالين على تصحيحه في الوقت المناسب ، ولم يعد بعد ذلك إلى المشاركة في النشاط الفلسفي بأي جهد ، وفي ٢٥ يناير ١٩٣١ خطب ستالين مرة أخرى ، ناعياً الفلسفات المثالية ، ومهدداً أصحابها ، ومن ثم انسحبت الآراء المعارضة من الساحة تماماً ، ولم يبق إلا موظفون فلاسفة ينافقون ستالين ، حتى أن ميتين كتب سنة ١٩٣٣ بأنه ليس من أحد له أهلية تطوير النظرية الماركسية اللينينية سوى الرفيق ستالين ، ومع ذلك لم يسلم ميتين من النقد ، واتهموه ورفاقه بالتجريدية والمدرسية والأمية السياسية ، وبدأت من سنة ١٩٣٦ إلى ١٩٣٨ عمليات تطهير واسعة بحيث لم يعد في روسيا أي إنتاج فلسفي له قيمة ، الأمر الذي حدا باللجنة المركزية للحزب سنة ١٩٤٤ أن تشكو من التخلف والعجز والقصور لدى اساتذة الفلسفة السوفييت ، ولذلك قررت المنطق على طلبة الثانوية (١٩٤٦) وسمحت بتدريسه في الجامعات لتخريج مدرسين للمنطق في المدارس الثانوية ، ولكن عندما كتب الكسندروف « تاريخ الفلسفة في أوروبا الغربية » (١٩٤٦) انتقده زادانوف وزير الثقافة بشدة أمام تسعين من المفكرين من أنحاء الاتحاد السوفيتي جمعتهم اللجنة المركزية لهذا الغرض في يونيو سنة ١٩٤٧ ، ووصفت الكتاب بأنه قد فشل في إظهار الماركسية بأنها وثبة ثورية في تاريخ الفلسفة ، وأن الكاتب يزهو بأنه

موضوعي ، ولكنها موضوعية بورجوازية ، ولذلك فقد استبعد الكاتب الفلسفة الروسية من الكتاب ، فقلل من شأنها ، ولم يربط نشأة الأفكار الفلسفية وتطورها بظروف الحياة المادية . ومع ذلك فقد تميزت الفترة من سنة ١٩٤٧ حتى وفاة ستالين سنة ١٩٥٣ ببعض الحرية ، ويبدو أن الفترة التي سبقتها كانت فترة حرب أيديولوجية مع الفلسفات الأخرى ، ولو لم يكن ستالين قد شدد قبضته على المفكرين ، لكانوا قد أطاحوا بالسيطرة الشيوعية ، والثورة نفسها ، ولكنه بعد الحرب العالمية الثانية أراد ستالين أن يلحق بركب الحضارة الأوروبية ، ولذا بدأت مرحلة من بعث النشاط الفلسفي ، وأصدر المعهد الفلسفي التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية مجلة نصف سنوية « مشاكل الفلسفة » (١٩٤٧) ، وأصبحت شهرية سنة ١٩٥٧ ، وبعد وفاة ستالين شهد الفكر في الاتحاد السوفيتي صحوة كبيرة ، فأصدرت وزارة التعليم العالي مجلة « العلوم الفلسفية » (١٩٥٨) ، وانتهى احتكار الأكاديمية السوفيتية للبحوث الفلسفية ، وزادت شهادات الدكتوراه التي منحت لطلبة الفلسفة ، وقامت كليات للفلسفة في كثير من الجامعات . وأكد فيديوسيف (١٩٥٨) ، أبرز الفلاسفة السوفييت في زمنه ، أهمية التحليل الفلسفي وجواز استيراد المناهج الأجنبية للاستعانة بها في النضال ضد الايديولوجيات المعادية . وفي سنة ١٩٥٥ انتهت المناقشات حول العلوم الفلسفية إلى قبول النسبية كنظير للمادية الجدلية ، واعتبرت الهندسة فرعاً من الطبيعة ، وقيل بعدم جواز فصل المكان والزمان من المادة ، وأن المادة لا يمكن أن تكون عاطلة ولكنها يمكن أن تكون طاقة كذلك . وفي السنة التالية قبلت السبرنطيقا بوصفها علم الآلات الحاسبة ، وكانت مرفوضة من قبل ، وساير قبولها تطوير للمنطق الرياضي والعلاقة بين المنطق الصوري والمنطق الجدلي ، وشهدت السنوات التالية انفتاحاً حقيقياً على الفلسفات الأجنبية ، وحركة واسعة في تأليف الموسوعات والقواميس الفلسفية ، واهتماماً بالاتجاهات الحديثة كالتحليلية والوضعية والتطورية والارتقائية وفلسفة اللغة والعلوم والتاريخ والاجتماع والأخلاق والجمال ، ويعتبر شيشكين أبرز فلاسفتهم في الأخلاق ، وتوجارينوف في الجمال . وفي غير الاتحاد السوفيتي كان أبرز الفلاسفة الشيوعيين لوكاش وتاماس في المجر ، الأول في العلاقة بين الماركسية والوجودية ، والثاني في العلاقة بين المنطق الصوري والجدل ، وإرنست بلوخ في ألمانيا الشرقية في علم الاجتماع والأخلاق وعلاقتهما بالماركسية ؛ وفي الصين كان أبرز الفلاسفة في العشرينات والثلاثينات شين توهسيا ولي تاشاو ويه شينج ، وفي الأربعينات ربط ماوتسي تونج المادية الجدلية بالمفاهيم الصينية التقليدية في المعرفة كدليل للسلوك ، وبقبول فونج يولان للماركسية صار أبرز فلاسفتهم .

حـرف الصـاد

صابئة

فرقة قالت بالروحانيات في مقابل البشرية النبوية ، ونسبت إلى الروحانيات قوة تصريف الأجسام وتقليب الأجرام ، وقالوا إنها مبادىء الموجودات ، وإليها المعاد ، وتخصصها بالهياكل العلوية مثل زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، وهذه السيارات كالأبدان والأشخاص بالنسبة إليها ، ولذا قال عنهم المسلمون إنهم عبدة كواكب ، وقال أبو حنيفة ليسوا بعبدة أوثان ، وإنما يعظمون النجوم كتعظيم المسلمين الكعبة ، ويؤمنون بدين نبي ويقرون بكتاب . ويسميهم التهانوي الصبائية ، ويورد أنهم فرقة من النصارى يعظمون الكواكب كتعظيم المسلمين الكعبة . والصابئة الأولى هم الذين قالوا بعاذيموس وهرمس ، ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء .

صالحية

فرقة من المرجئة ، أصحاب صالح بن عمر الصالحي ، قال الإيمان هو المعرفة بالله تعالى على الإطلاق ، وهو أن للعالم صانعاً فقط ، والكفر هو الجهل به على الإطلاق . والصلاة ليست بعبادة الله ، ولكن عبادته هي المعرفة .

والصالحية أيضاً فرقة من الشيعة الزيدية ، أصحاب الحسن بن صالح بن حي ، وهم في الأصول على رأي المعتزلة ، ويعظمون أئمة الاعتزال تعظيمهم لأئمة أهل البيت ، وفي الفروع على مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشيعة .

صدفة واحتمال Chance and Probability

يفسر رسل ، مشايعا لابلاس الحادث الصدفي بأنه الحادث المجهول العلة ، ويعرفه انطوان كورنو ، متابعاً أرسطو ومل ، بأنه تزامن سلسلتين عليتين مستقلتين . ويرى أبيقور وتشارلز بيرس ووليام جيمس أن بعض الأحداث لا تعليل لها ، وتسمى لذلك حوادث صدفية محضة Pure Chance Events ، ويزعم أبيقور أن الذرات المكونة للمادة تتساقط رأسياً عبر الفضاء بسرعات متفاوتة ، لكن بعضها يحيد عن مساره أحياناً بلا سبب ويتصادم بغيره من الذرات فتتجمع وتكون الجسم المادي . أما بيرس فيرى أن الحتمية الكلية فرضية علمية كثيراً ما تخرقها المشاهدات التجريبية وتشذ عليها . وعرف جيمس الصدفة بأنها سلب الضرورة . وحفز تطور ميكانيكا الكم بعض المفكرين على الزعم بناء على مبدأ الريبة Ucertainty Principle عند ليزنبرج ومبرهنة فون نيومان ، بأن بعض الحوادث دون الذرية Events Subatomic هي حوادث لا يمكن التنبؤ بوقوعها بحكم طبيعتها ، ومن ثم فإن مبدأ الحتمية

الكلية لا يصلح للتطبيق على المستوى دون الذري ، ولكن دعاة الحتمية يردون على هؤلاء بأن القول بالصدفة هو إفلاس عن معرفة الأسباب ، أو جهل بها في هذه المرحلة ، ولكن سيأتي يوم يكون بالإمكان إماطة اللثام عنها .

والاحتمال Probability من الأفكار الأساسية التي تقوم عليها معقولية الاعتقاد ، والتي زاد الاهتمام بها ابتداء من النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وتقوم على ثلاث نظريات ، الأولى بدهية ، والثانية رياضية والثالثة منطقية . وتقرن البداهة معنى الاحتمال بمعنى الإمكان ، ويقصد به الإنسان العادي الاحتمال التجريبي وليس المنطقي . ورغم ان الاحتمال بالبداهة قد يعني أن أساس الاحتمال ذاتي ،أو أنه يقوم على الاعتقاد أو الظن الشخصي ، إلا أنه مع ذلك الاحتمال الذي ترجحه الظروف ، ويتدرج بين الاحتمال المشكوك فيه والقوي والذي يرقى إلى درجة اليقين ، ويتزايد أو يقل تبعاً للظروف ، ورغم أنه يتحدد في النهاية بالشخص نفسه إلا أن الظروف هي التي تحدد النتيجة المتوقعة ، ويستفيد الشخص من تكرار الظروف ، ويطبق على الظروف المتماثلة مبدأ النتائج المتماثلة للظروف المتماثلة ، أي أنه يلجأ إلى التعميم . إلا أن الاحتمال في نظرية البداهة يظل من الأفكار المائعة الملتبسة .وكان باسكال أول من شارك بالرياضيات في حساب الاحتمال في لعبة القمار ، وحاول الرياضيون أن يضعوا له أسساً ثابتة اطلقوا عليها اسم حساب المصادفات Calculus of Chances أو نظرية الاحتمالات الرياضية Mathematical Theory of Probability ، وتصف الاحتمال بأنه علاقة بين قضيتين أ وب ، فإما أن أ الصادقة تستلزم ب فتقول إن احتمال ب صادق كذلك ونرمز له بالرقم ١ ويعني اليقين ، وإما أن أ تستبعد ب فنقول إن احتمالها صفر ويعني الإستحالة ، واما ان تتراوح علاقة الاحتمال بين القضيتين بين الصفر والواحد اي الاستحالة واليقين . ويقوم حساب الاحتمال على إحصاء عدد حالات الموقف الواحد التي يمكن أن تقع بالمصادفة والتي تتساوى في قيمتها الاحتمالية كأن تكون أربع حالات ممكنة ، فيكون احتمال وقوع كل حالة هو $\frac{١}{٤}$ واحتمال عدم وقوع كل حالة هو $١ - \frac{١}{٤} = \frac{٣}{٤}$. إلا أن المواقف المركبة تتطلب تطبيق مبدأ الاتصال Con-junctive Axiom أو مبدأ الانفصال Disjunctive Axiom ، ويقيس الأول احتمال أن يوصف الشيء بصفتين في وقت واحد ، ويقيس الثاني احتمال أن يوصف الشيء بصفة واحدة على الأقل من صفتين . ويطبق مبدأ الاتصال في قياس الاحتمال في صدق الروايات التاريخية بضرب نسبة الصدق في كلام الراوي الأول في نسبة الصدق في كلام الراوي الثاني ، وتنخفض نسبة الصدق كلما زاد عدد الرواة بافتراض أن هذه النسبة في كلام كل راو أقل من الواحد الصحيح أي أقل من اليقين .

ولو أننا قذفنا بقطعة نقد وحسبنا درجة احتمال وقوعها على أحد الوجهين ، فإنه يكون بالبديهة واحداً إلى اثنين . وتصوغه النظرية الرياضية في قانون المرات الكثيرة، فإنه مع زيادة التكرار نقسم عدد مرات الحدوث السابقة مضافاً إليها واحد على عدد مرات الحدوث السابقة أيضاً مضافاً إليها ٢ . غير أنه في الحالات الكثيرة جداً أو اللانهائية التي لا يمكن إحصاؤها تزيد نسبة الحدوث مع زيادة محاولة التكرار حتى تصل في النهاية البعيدة إلى ما يقرب ايضاً من الواحد إلى اثنين السابقة . ويشبه الرياضيون النظرية البحتة للمصادفة بالهندسة البحتة ، بمعنى أنها تجريد للواقع بحيث لم تعد الصلة بينها وبينه واضحة تماماً . ويذكرنا ذلك بالتفسير الكلاسي لبيرنوي بأن الاحتمال درجة من درجات اليقين في اعتقاد مثالي اكثر منه واقعي . ويعرفه لابلاس وغيره بأنه درجة من الاعتقاد لها ما يبررها ، وتتقوم قيمته بقياسه لقوة الاعتقاد الذي يدين به مفكر عاقل تماماً يلائم بين توقعاته وبين مشاهداته للواقع . وتذكرنا هذه الملائمة بمبدأ كينز في اللاتحيز Principle of Indifference الذي كان يعرف من قبل باسم مبدأ

السبب غير الكافي ، وطبقاً لتساوي المعرفة أو الجهل بظروف البدائل تكون نسبة الاحتمال أيضاً واحداً إلى اثنين ، لكنه يجعل هذه النسبة بين حالات الوقوع ومجموع الحالات الممكنة وليس عدد مرات المحاولة . ويقوم التفسير المنطقي للاحتمال على استقراء الشواهد وترجيح الاحتمال الصحيح أو المعقول أو المبرر ، والفارق بين التفسير الرياضي وبين التفسير المنطقي أن الأول يقوم على حسابات محاسب مثالي ، والثاني على تقديرات مفكر مثالي . كما أن الفارق بين التفسير المنطقي والتفسير الذاتي أن الأول يقوم على الترابط المنطقي البحت ، بينما يقوم الثاني على التنسيق بين مبررات الترجيح بقوة ثقة صاحب الاحتمال في أحكامه . ويتطلب التبرير المنطقي تحليلاً للوقائع ، كما أن أحكام الاحتمال المنطقي موضوعية ، بينما لا يتطلب الاحتمال الذاتي إلا مصادفة صاحب الإحتمال على ما يختاره ، وهو اختيار يؤثره بطبعه وليس بعقله . وهناك رأي حديث يقول بترجيح الاحتمال الذي يقضي به توقع أعلى قدر محسوب من القيمة Maximum Ex-Pected Utility .

ويزعم أصحاب المنطق الاحتمالي أن منطقهم أصدق مناهج البحث في القضايا العلمية حيث لا وجود للصدق المطلق ولا الكذب المطلق ، وإنما تتفاوت درجات احتمال الصدق والكذب وتتعدد قيم الاحتمالات ، بينما المنطق التقليدي لا يقول إلا بقيمتين أو حدين ، أعلى وأدنى ، فالكلام إما صادق صدقاً مطلقاً أو كاذب كذباً مطلقاً .

صفاتية .... Attributers

السلف أو أهل السنة والجماعة ، وهم المثبتة Affirmers الذين يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والخلود والإنعام والعزة والعظمة ، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ، وكذلك يثبتون له تعالى صفات جسمية مثل اليدين والوجه ولا يؤولونها . ونقيضهم المعتزلة ، وهم المعطلة Negationists ، لأنهم يعطلون الصفات أو ينفونها عن الله .

وأبرز الصفاتية عبد الله بن سعيد بن كلاب (المتوفي ٢٤٣هـ) مؤسس المدرسة الكلابية التي اندمجت فيما بعد في المدرسة الأشعرية لمؤسسها أبي الحسن الأشعري (المتوفي ٣٢٤هـ) ، وأبو العباس القلانسي (المتوفي ٣٥٥هـ) ، والحارث المحاسبي (المتوفي ٢٤٣هـ) .

صفرية ....

فرقة من الخوارج ، أصحاب زياد بن الأصفر ، قالوا يجوز التقية في القول دون العمل ، والمعصية الموجبة للحد لا يسمى صاحبها إلا بها ، ولا يقال كافر إلا لصاحب ما لا حد فيه لعظمته كترك الصلاة والصوم .

صلتية ....

والصلتية أيضاً ، فرقة من الخوارج ، أصحاب عثمان بن الصلت بن الصامت ، وهم كالعجاردة ، لكنهم قالوا إن الأطفال ، سواء كانوا للمؤمنين أو للمشركين ، لا ولاية لهم ولا عداوة بهم ، حتى يبلغوا فيدعون إلى الإيمان ، فيقبلون أو ينكرون .

صن يات سن .... Sun Yat-Sen

(١٨٦٦ - ١٩٢٥) مثالي صيني ، من عائلة ريفية اعتنقت المسيحية ، وتلقى تعليماً ثانوياً في المدارس التبشيرية الأجنبية ، وتخرج طبيباً (١٨٩٢) ، ولكنه كان ديموقراطياً ثورياً من الشباب الصيني المتأجج بالوطنية والمؤمنين بالتراث الصيني ، واستطاع أن يؤلف جمعيته الثورية الأولى باسم « جماعة إحياء الصين » (١٨٩٤) ، وأن يضم إليها لفيفاً من المثقفين من الصين وخارجها ، ثم نجح في إدماج منظمات بلده الثورية في منظمة واحدة باسم « تونج منج يوي Tung Ming Hui » ، وعرفت اختصاراً باسم « الكيومنتانج Kuomintang » ، وقاد أربع عشرة محاولة انقلاب ضد الملكية الصينية حتى نجح في إقامة حكومة جمهورية

في المقاطعات الجنوبية وتقوم فلسفته في الحكم على ثلاث نظريات هي الديموقراطية الموجهة واشتراكية البورجوازية الصغيرة والقومية . ولم يكن من أنصار الشيوعية وسخر منه لينين لقوله بالرأسمالية المقيدة ، وكان يعتبر الشيوعية نظاماً مستورداً غريباً على الصين . وقال بثلاث مراحل للثورة ، تستند الأولى على الحكم العسكري وديكتاتورية الزعامة القوية المستنيرة بهدف خلع الحكومة الفاسدة واستئصال جهازها الإداري ، وتنهض الثانية على ما يسميه القوامة السياسية، ويعني بها تدريب الشعب على الممارسة الديموقراطية من خلال إعادة البناء القومي، وبعد ذلك، وفي المرحلة الثالثة ، تكون البلاد مهيأة لانتخاب جمعية وطنية ورئيس جمهورية . وترتبط بفكرة القوامة السياسية فكرته عن ارتباط النظرية بالتطبيق ، وفي رأيه أن صدق النظرية يقوم على قابليتها للتطبيق ، ويأخذ من التراث الصيني تعبير « معاش الشعب » كبديل للاشتراكية باعتبارها لفظاً مستورداً .

صيامية ....

فرقة من الكينوية ، وهم القائلون بالأصول الثلاثة للعالم : النار والماء والأرض ، بدلاً من الأصلين اللذين قال بهما الثنوية . والنار عندهم نورانية ، والماء ضدها في الطبع ، والأرض تتوسطهما .

والصيامية من هذه الفرقة هم الذين يمسكون عن طيّبات الرزق، ويتوجهون لعبادة الله فيعظمون النار تعظيماً شديداً، ويمسكون أيضاً عن النكاح والذبائح .

حـرف الضـاد

ضرارية ....

أصحاب ضرار بن عمرو الذي وافق الجبرية في أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وإكساب للعباد ، وفي إبطال القول بالتولد ، ووافق المعتزلة في أن الاستطاعة قبل الفعل ، وزاد عليهم بقوله إنها قبل الفعل ، ومع الفعل ، وبعد الفعل ، وأنها بعض المستطيع . ووافق النجار أن الجسم أعراض مجتمعة من لون وطعم ورائحة ونحوها من الأعراض التي لا يخلو الجسم منها .

حرف الطاء

طاغور Tagore

(١٨٦١ - ١٩٤١) بندرانات طاغور ، هندي ، يعتبر في رأي راداكريشنان أعظم الشخصيات في البعث الهندي ، وفي رأي رومان رولان أبرز الذين أسهموا في مزج الشرق بالغرب . ولد في كلكتا ، ودرس بلندن ، وحصل على جائزة نوبل للآداب (١٩١٣) . أهم كتبه « ديانة الإنسان The Religion of Man » (١٩٣١) ، وفلسفته جماع من كل الفلسفات البارزة أوروبية وشرقية ، وهو يقول عن ذلك « إن وجهات النظر كثيرة ولكن الحقيقة واحدة » ، وموقفه موقف المقدر للآراء المتعارضة في الموضوع الواحد ، وفي فلسفته الاجتماعية والميتافيزيقية حاول أن يؤلّف بينها جميعاً ، وهو يؤيّد الإصلاح التدريجي ولا ينتمي تماماً للمحافظين ولا للأحرار .

طاقية Energetism

مذهب الطاقة (انظر أوستفالد) .

طبائعية

فرقة يعبدون الطبائع الأربع ، أي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، لأنها أصل الوجود ، إذ العالم مركّب منها .

طاليس Thales of Miletus

(٦٢٤ - ٥٤٦ ق . م) من ملطية ، أحد ثغور اليونان في آسيا الصغرى ، حكيم Sophos من الحكماء السبعة ، اشتهرَ بأنه منشىء الفلسفة اليونانية لأنه حاول أن يفسّر العالم تفسيراً عقلياً ، بأن ردَّ كل شيء إلى الماء ، وقال إن العالم تولّد منه ويعيش عليه ، بمعنى أن الماء جوهر أصلي يشيع في الطبيعة ، وهو أصل كل الظواهر الطبيعية . وقال إن العالم حافل بالنفوس ، فإذا كان كل فعل مصدره النفس ، وإذا كان العالم يموج بالحركة ، فالنفس إذاً منبثّة في كل العالم ، وأن كل ما فيه له نفس Psyche ، حتى الجماد ، وضرب المثل بحجر المغنطيس لأنه يحرك الحديد ومن ثمَّ تكون له نفس ، فمبدأ الحركة هو النفس ، والحركة كلية ، ومن ثمَّ تكون النفس كلية .

وكان طاليس مهندساً بارعاً ورياضياً ممتازاً وفلكياً نابغة ، جمع علوم البابليين والمصريين ، ونسبوا إليه أنه تنبَّأ بكسوف الشمس الكلي الذي وقع في ٢٨ مايو سنة ٥٨٥ ، وأنه استطاع أن يحل للمصريين مشكلة قياس ارتفاع الأهرام بقياس طول ظله وقت الظهيرة ، وأشياء أخرى كثيرة بولغ في تقديرها فيما بعد .

طوباوية Utopianism

اتجاه مثالي ، بمعنى خيالي أحياناً ، حيث يشتق من Utopia الإغريقية بمعنى المكان المتخيل الذي لا وجود له على أي أرض ، ويرجع الفضل في ذلك المعنى إلى الكتاب الذي وضعه توماس مور بنفس الاسم ١٥١٦ ؛ أو أنها بمعنى الأفضل من Eutopia أي الأرض الطيبة ، أو الطيب ، وهي في القاموس المحيط شجرة في الجنة أو الجنة نفسها ، ويرجعها الفيروزآبادي إلى لغة هندية ، ومن ثمَّ فطوبىٰ لك بمعنى الخير والسعادة لك ، وهي بالمعنيين معاً ، الخيالي والأفضل ، تصف كل المؤلفات السياسية والاقتصادية والأدبية والفلسفية التي تنحو نحو إقامة مدينة فاضلة ، فجمهورية أفلاطون طوباوية وكذلك كتابه القوانين ، والسياسة لأرسطو ، و « حول التعليم الجمالي للإنسان » لشيلر ، و « إيروس والحضارة » لهيربرت ماركوس ، و « الحالة الإنسانية » لهاذ أرنت ، وأسفار جليفر لسويفت ، وأخبار من لا مكان لوليام موريس ، وحي بن يقظان لابن سينا ولابن طفيل ، والغربة الغريبة للسهروردي ، ومدينة الشمس لكامبانيلا ، والطوبىٰ الحديثة لويلز ، وتشريع الطبيعة لموريللي ، وانظر خلفك لبيلامي ، والمنشور الشيوعي لماركس وإنجلز .

طوسي

(١٢٠١ - ١٢٧٤ م) أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي ، ولد في طوس وتوفي ببغداد ، وكان منجماً بارعاً ، لحق بهولاكو لما بدأ غزوه ، ونالَ عنده حظوة ، وبنىٰ له المرمى الكبير في مراغة (٦٥٧ هـ) ، ونصبته شيعة إيران رئيساً لهم لسعة علمه ونفوذه ، وله « تجريد العقائد » و « قواعد العقائد » و « مشاكل الإشارة » و « بقاء النفس بعد بوار البدن » ، وكان أول من فصل المثلثات عن علم الفلك وجعل منها علماً قائماً بذاته ، وفصل الكلام في المثلثات المسطحة والكروية ، واستدركَ على إقليدس عدداً من البراهين في قضية المتوازيات .

طوطمية Totemism

من الطوطم ، وهو الحيوان أو النبات أو سوى ذلك ، مما يكون مقدساً لدى جماعة أو قبيلة أو جنس من الشعوب البدائية ، ويرمز للجماعة ويحميها ، وتعامله بطرق مختلفة طبقاً للعادة والتراث ، وتدور حوله طقوسها الدينية وشرائعها . والطوطمية هي نظام القانون والعادات التي تدور حول الطوطم بوصفها قوانين وشرائع اجتماعية ودينية . وهي أقدم ديانة عرفها تاريخ البشرية ، وهي ليست عبادة الحيوان أو النبات ، وتختلف عن عبادة الحيوانات والنباتات ، لأن القبيلة التي تدين بها تعتقد أنها والطوطم من أصل واحد ، فمثلاً القبيلة التي تجعل طوطمها المقدس هو الذئب ، ترى أنها والذئب تنحدر من أب واحد . ومن أبرز الكتابات في الطوطمية ، ما أسهمَ به دوركايم وفرويد . والاسم ذائع في كل لغات العالم ، وأول من استخدمه مؤلّف إنجليزي مغمور اسمه جون لونج ، وكان يعمل ترجماناً في شركة الهند الشرقية ، في كتاب له بعنوان « أسفار ورحلات ترجمان هندي » (١٧٩١) ، وبعده توالت الكتب التي تستخدم هذا المصطلح . وتنتشر الطوطمية بين القبائل الأصلية في أستراليا وأمريكا الشمالية والجنوبية وملينيزيا وبولينيزيا وإفريقيا . وتوجد آثار لها في الديانات الكبرى ، منها التناول (اقتسام جسد ودم الرب) في المسيحية ، والاعتقاد بنجاسة وطهارة بعض الحيوانات دون سبب معروف ، كالخنزير والكلب ، واحترام علاقة الدم في الأنساب والعرف الاجتماعي .

طه حسين

مصري من دُعاة التغرّب أو الأخذ بالحضارة الغربية ، ولد بقرية مغاغة (١٨٨٩) ، ودرس بالأزهر ، ولكنه فصل منه بسبب آرائه المتطرفة ، فانتسب إلى الجامعة المصرية ، وحصل على أول دكتوراه منها سنة ١٩١٤ ، فأوفد إلى مونبلييه بفرنسا ، وتتلمذ في جامعتها على دوركايم ، وكان إعجابه بحضارة اليونان بالغاً ، وأصدر ثلاثة كتب يلفت بها نظر

المصريين إلى هذه الحضارة كأساس للحضارة الغربية ، ولكن كتابه الذي أثارَ السخط عليه وتسبَّب في طرده من الجامعة كان « في الشعر الجاهلي » (١٩٢٦) وهو يقوم على فكرة واحدة وهي أن الشعر الجاهلي لا يمثل حياة العرب قبل الرسالة لأنه شعر مصطنع ، ولذا لا يعبّر عن حقائقها ، ولكن القرآن أصدق مرآة لهذا العصر ، والتماس هذه الحياة لا يكون إلَّا من خلاله ، فهو انطباع للحياة القائمة في وقت صاحبه، وهو النبي، وهو يمثل لذلك بيئة خاصة: في عقيدتها ولغتها وعاداتها واتجاهها في الحياة . ومنطق هذا كله أن القرآن ليس عالمياً ، وليس وحياً لرسالة ، اذ لو كان وحياً من عند الله لكان للناس جميعاً في كل مكان وزمان . ودافع طَه حسين عن رأيه ذاك مرة أخرى في كتابه « من بعيد » (١٩٣٥) في الفصل الذي عقده بعنوان « بين العلم والدين » ، برَّر فيه التهجّمَ على كتابه بالصراع الأبدي بين العلم والدين ، وقال إن الدين حظ الكثرة والعلم حظ القلة ، وأرجع عنف الصراع بينهما إلى حقد الرعاع على الامتياز ، ووصفه بأنه في حقيقته صراع بين الجمود والتطور ، والقديم والجديد ، والشعور والعقل ، ثم يخلص إلى أن السبيل لإزالة تلك الخصومة بإقامة حكومة لادينية تعتمد فكرة الوطنية ، لأن فكرة الوطنية وما يتصل بها من منافع اقتصادية وسياسية خالصة قامت الآن في تكوين الدول وتدبير سياستها مقام فكرة الدين والنظريات الميتافيزيقية . وفي كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » (١٩٣٦) ذهب إلى تأكيد مصرية مصر وليس عروبتها، وأنها جزء من أوروبا، وأن مستقبلها في الأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية، ويحدد وسائل ذلك بفصل الدين عن السياسة ، وأن يتعلم المصريون كما يتعلّم الأوربيون ، وبذلك يشعرون ويتصرفون كما يفعل الأوروبيون. ومع ذلك فقد كتب طَه حسين عددا من الكتب (على هامش السيرة ١٩٣٣ ، والفتنة الكبرى ـ عثمان ١٩٤٧، علي وبنوه ١٩٥٢ ، ومرآة الإسلام ١٩٥٩ ، والشيخان ١٩٦١ ، والوعد الحق حوالي ١٩٥٠) ، وقد يبدو من ذلك أنه رجع إلى حظيرة الإسلام ، ولكن الواقع أنه تصدَّى لهذه الموضوعات كأديب ، فالأساطير ترضي ميل الناس إلى السذاجة ، وترفّه عنهم حين تشقّ عليهم الحياة ، وهو يضع سيرة الرسول في مصاف الالياذة، ويطلب من الكاتبين أن يفتنوا في الحديث عنها افتتان أوروبا بأساطير اليونان ، ثم ينبري في الفتنة الكبرى فيشكك في فاعلية الضمير الديني وقدرته على الصمود للفتنة ، وفي اكتمال الشريعة وصلاحيتها لإقامة حكومة عصرية ، ويبرر ذلك بمقالة عثمان « ما كنت لأخلع قميصاً قمَّصنيه الله عزَّ وجلّ » ، ويردها إلى مبدأ الحق الإلّهي في الحكم الذي تعلَّل به ملوك أوروبا في العصور الوسطىٰ ، ويصف الخلافة بأنها تجربة وقد فشلت ، وأنها كانت تصلح في المجتمع البدوي ، ولكن المسلمين بعد اتساع الرقعة والاحتكاك بالشعوب والحضارات ، نظروا إلى سابقيهم يرفقون بهم ويرثون لهم لأنهم يمثلون جيلًا قديماً قد انقضت أيامه وأوشكت أن تنقضي ، بما يعني أنه لا عودة إلى التجربة الإسلامية !!

حـرف الظـاء

ظاهرية

المذهب الذي يزعم أصحابه أن الإدراك لا يكون إلاَّ بظاهر الأشياء ، أي بما تبدو عليه لنا ، بمعنىٰ أنه إدراك بما ينطبع منها على الحس ، وما يتخلف عن هذا الانطباع من صور ، وما يترتب عليها من أفكار ، وعلى ذلك فحينما نتحدث عن الشيء فإنَّما نتحدث في الواقع عن انطباعاتنا عنه ، وليس عن الشيء نفسه ، فكأن وجود الأشياء هو وجودها في الوعي وليس وجودها في الواقع ، وتفكيرنا بها وحديثنا عنها هو إيجاد لها ، ويسمَّىٰ هذا القول بالظاهرية اللغوية ، ومن القائلين بها آير ورسل .

والظاهرية هم فقهاء السنّة المنسوبون إلى القول بالظاهر ، أتباع أبي سليمان داوود علي بن خلف الظاهري ، المتوفي ٢٧٠ هـ ، مؤسس المذهب الظاهري ، وأول من استعمل قول الظاهر ، وأخذ بالكتاب والسنّة ، وألغىٰ ما سوى ذلك من الرأي والقياس ، واضطر إلى ذلك عندما صارَ التأويل أسلوباً متبعاً أدَّى إلى مشاكل فكرية كادت تنتهي بالفوضىٰ في العقائد الإسلامية ، وأدَّت كما يقول ابن رشد إلى أن قل تقوىٰ الناس ، وكثُر اختلافهم ، وارتفعت محبتهم ، وتفرقوا فرقاً صيرتهم إلى شنآن وتباغض وحروب ، فخرقوا الشرع وفرقوا الناس كل التفريق .

ظواهرية

(انظر **علم الظواهر**) .

حرف العين

عبادية

فرقة من خوارج الأباضية ، قالوا بطاعة لا يراد بها الله ، وزعموا أن العبد إذا أتىٰ بما أمرَ به الله ، ولم يقصد بعمله وجه الله ، كان ذلك منه طاعة أيضاً .

عبيدية

فرقة من المرجئة ، وهم أصحاب عبيد المكذب ، وقيلَ المكتئب ، زادوا على اليونسية من المرجئة أن علم الله تعالىٰ لم يزل شيئاً غير ذاته ، وكذا باقي الصفات ، وأنه تعالىٰ على صورة الإنسان لما روي أن الله خلق آدم على صورته .

عجاردة

فرقة من الخوارج، أصحاب عبد الكريم بن عجرد، يرون الهجرة من دار أهل القبلة فضيلة لا فريضة ، ويكفرون بالكبائر ، وافترقوا فرقاً : الصلتية قالوا الرجل إذا أسلم تولّيناه وتبرَّأنا من أطفاله حتى يدركوا فيقبلوا الإسلام ، والميمونية أثبتوا القدر خيره وشره للعبد ، وأثبتوا الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً ، وأثبتوا الاستطاعة قبل الفعل ، والقول بأن الله تعالىٰ يريد الخير دون الشر ، وليس له مشيئة في معاصي العباد ؛ والحمزية وافقوا الميمونية في القدر ؛ والخلفية أضافوا القدر خيره وشره إلى الله ، والأطرافية عذروا أهل الأطراف في ترك ما لم يعرفوه من الشريعة إذا أتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل ، وأثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية ، والشعبية قالوا الله خالق أعمال العباد ، والعبد مكتسب لها قدرة وإرادة ، مسؤول عنها خيراً وشراً ، مجازىٰ عليها ثواباً وعقاباً ، والحازمية قالوا بالموافاة ، فالله يتولىٰ العباد على ما علم أنهم صائرون إليه في آخر أمرهم من الإيمان ، ويتبرَّأ منهم على ما علم أنهم صائرون إليه في آخر أمرهم من الكفر .

عذافرة

فرقة من الحلولية ، أتباع محمد بن علي الشلغماني ، المعروف بابن أبي العذافر ، وكان ظهوره ببغداد في زمن الراضي بن المقتدر (٣٢٢ هـ) ادَّعى حلول روح الإلٰه فيه ، وسمى نفسه روح القدس ، ووضع لأتباعه كتاباً سمَّاه « الحاسة السادسة» ، وصرَّح فيه برفع الشريعة ، وأباحَ اللواط ، وزعم أنه إيلاج الفاضل نوره في المفضول ، وأباحَ أتباعه له حريمهم طمعاً في إيلاجه نوره فيهنَّ .

عصرانية **Modernism**

حركة دينية كاثوليكية ، تطوّرت في أواخر القرن التاسع عشر ، واستنفدت نفسها قبل الحرب العالمية الأولى ، وكانت غايتها تحديث الفكر الديني ، والتوفيق

بين التراث والآراء العصرية في الفلسفة والتاريخ والسياسية والاجتماع والعلم ، وحمل لواءها في إنجلترا جورج تيريل وفون هوجل ومودبيتر ، وفي إيطاليا أنطونيو فوجازارو ورومولو موري وسلفاتوري مينوتشي ، وفي ألمانيا فرانزكراوسي وهيرمان شنيل ، وفي فرنسا لويس ولوروي ولابيرثونيير ، وأصدر الأخير حوليات الفلسفة المسيحية قال إن هدفها تفسير الدين تفسيراً عقلياً أو علمياً . وتسببت آراء العصرانيين في كثير من المصادمات مع الكنيسة ، حتى تولى البابا بيوس العاشر ، فأصدر سنة ١٩٠٧ منشوره الذي يحظر الكتب العصرانية وأن تكون للقساوسة اتجاهات من هذا القبيل .

عقاد

(١٨٨٩ - ١٩١٤) عباس محمود العقاد ، مصري ، اشتهر بعبقرياته الإسلامية ، ودفاعه عن الحرية والفردية والديموقراطية ، ومناجزاته للمجترئين على الدين الإسلامي من المستشرقين والماديين . ولد بأسوان ، وحصل من مدارسها على الشهادة الابتدائية فقط ، وأتقن الإنجليزية ، ودفعته مواهبه وعقليته الجبارة ومعرفته الموسوعية إلى الاشتغال بالصحافة ، والانخراط في السياسة . وفلسفته شمولية ، وهي ما تتميز به العقيدة الإسلامية . وغاية التفلسف عنده ، بل وغاية الأديان والتاريخ ، شيء يتعلق بالفرد ، وشيء يتعلق بالإنسانية كلها ، فأما ما يتعلق بالفرد فهو حريته ومسؤوليته ، وأما ما يتعلق بالإنسانية جمعاء فهو اجتماعها وتواصلها وتعاونها . وعنده أن الذاتية هي غاية الرقي ، وأن الرقي هو الانتقال من الوجود المبهم السائب إلى وجود الذات ، أو إلى وجود يعلم ذاته ، وليس الصواب أن يُقال إن تطوّر الإنسان كان من القرد في اتجاه السوبرمان ، ولكن الصواب أن نقول إن الإنسان قنطرة من الأرض إلى السماء . ويقيس العقاد رقي الأفراد والمجتمعات باحتمال التبعات ، واتّجه لذلك إلى كتابة العبقريات ، يطبق في مجالها نظرياته في الفرد ودوره في التاريخ ، وذهب إلى القول مع القائلين بنظرية « العظيم » ، بوصفه الموجه للأحداث وصانع التاريخ . وأخذ عليه البعض أنه كان الأولى به ، وهو المسلم الغيور ، أن يكون من معتنقي نظرية « الفكرة المحركة » وليس « الشخصية المحركة » ، ولذلك كانت كتابته عن هؤلاء العظماء من منطلق استعداداتهم الفطرية ، حيث فصل بين الجوانب المادية فيهم والجوانب الروحية ، ولم يتحدث عن التربية الإسلامية وأثرها في تكوينهم وتوجيههم بقدر ما تحدث عن عوامل التكوين الجسماني والعصبي ، الأمر الذي حدا بالبعض إلى أن يعتبر كتاباته الإسلامية في نطاق دفاعه عن التفرد والعظمة من أخطار ثلاثة برزت في زمنه ، هي الفاشية ، وقد تصدّى لها بكتابه « **هتلر في الميزان** » ، والشيوعية وكان ردّه عليها بكتابيه « **الشيوعية والإنسانية** » و « **أفيون الشعوب المبادىء الهدامة** » ، والبعث الإسلامي وقد تمثّل في حركة « الإخوان المسلمون » ، وهذه تصدّى لها بعبقرياته يؤكّد فيها أولوية الفرد على كل المذاهب والأديان ، وأحقيّته كمحرك للتاريخ ، ليطعن في جدوى التنظيمات الجماعية الإسلامية ، ويشوّه إيمانهم بهذا الجانب الجماعي من الإسلام ، ويشككهم في دور العقائد والتربية في توجيه الأشخاص ، فالعظيم عظيم بفطرته ، والعبقري بنشأته .

عقد اجتماعي Social Contract

نظرية في نشوء الدولة والقانون ترد الاجتماع إلى اتفاق بين الأفراد يدخلونه بمحض إرادتهم ويتنازلون بمقتضاه عن بعض حرياتهم ، ويتعّهدون فيه باحترام حقوق وحريات وملكية الآخرين ، ويعني ذلك أنه قبل قيام هذا العقد كان الناس في « حالة طبيعية » ، ولم تكن هناك حكومات ، كما يعني أن وجود الفرد كان أسبق على وجود الدولة ، فإذا كان الفرد قد تنازل عن بعض حرياته للدولة فإنّما لكي تتكفل له الدولة بقية الحريات والأمن والرخاء ، ومن ثمَّ فقيام الحكومات

واستمرارها مرهون بتحقيقها لهذه الأهداف . ويرفض الفكر الحديث نظرية العقد الاجتماعي على أساس أنها نظرية افتراضية تقدم وجهة نظر مرفوضة في أصل الاجتماع والدولة والقانون ، فلم يحدث أن أبرم عقد كهذا بين الناس ، ولم يثبت أن الناس قد عاشوا في يوم من الأيام في حرية كاملة أو عشوائية كالفوضى ، ومع ذلك فإن نظرية العقد الاجتماعي تصلح من ناحية أخرى كنظرية إصلاحية تتحدد في ضوء تفسيراتها واجبات الحاكمين وما ينبغي أن تكون عليه علاقاتهم بالحاكمين . ولقد كانت كذلك في القرن السادس عشر، ولولاها لما تعايش الكاثوليك والبروتستانت برغم الحروب التي كانت بينهما ، واستعملها الفرنسيون ضد ملوكهم الطغاة ، حتى لقد سمَّى الدعاة التعاقديون باسم « حملة السيف ضد الملوك Monarchomachi » . وكانت نظرية العقد نظرية ثورية في هولندة ، توفر على تقنينها وتطويرها ألثوسيوس وجروتيوس . وكانت الأساس الفكري لفلسفات هوبز وسبينوزا ولوك . ويميز المحدثون بين العقد الاجتماعي Pactum Societatis الذي يجمع بين الأفراد في شكل المجتمع ، والعقد الحكوميPactum Subjectionis أساس قيام الحكومة الرسمية . وسواء أكان العقد واحداً أم متعدد الاشكال فإن البعض يراه ساري المفعول على الفرد والجميع ، وأنه فعل قد تمَّ في الماضي البعيد ولا رجعة فيه ، بينما يراه البعض الآخر أنه عقد شراكة أكثر منه عقد إلزام ، وأن شرطه استمرار التفاهم بين الأفراد والحكومات ، وأنه قابل للتجديد باستمرار .

عقدية .... **Dogmatism**

مذهب اليقين ، أو القطعية ، أو الوثوقية ، أو الجزمية ، الدوجماتية كما يترجمها البعض ، وتشتقّ من عقيدة Dogma وهي حكمة أصلها إغريقي ، وتعني النظرية التي تقرها السلطة ، ويلتزم بها الأفراد الواقعون تحت سلطانها ، أو هي المبدأ الذي يقوم عليه المذهب ، ويسلم معتنقوه بصحته ابتداءً كنوع من الإيمان ، ولذلك فقد ارتبطت الكلمة بالدين ، لتعني ركنه ، كما تقول أركان الإسلام ، وتعني مبادئه الإيمانية الموحىٰ بها التي لا تفسير لها سوى أنها أوامر من الله تعالىٰ ، وبالتسليم بها يقوم الإسلام ولا يقوم بغيرها ، ومن ثمَّ فالعقدية هي مطلب الإيمان ، وهي تقابل مذهب الشك ، وتزعم أن قوى العقل قادرة على بلوغ الحقيقة إذا اعتمد الإنسان عليها بطريقة منهجية . واعتبر كنط الفلسفات العقلية فلسفات عقدية ، لأنها تقدم نظريات عن العالم تقطع بصحتها ، وكأنها حقائق يقينية لا تنازع ، ولذلك اعتبرت العقدية المذهب المقابل للفلسفة النقدية . وتناهض العقدية الاجتهاد ، وترقىٰ أن تكون جموداً مذهبياً ، ولذلك يترجمها البعض بالجمود المذهبي .

علاف .....

(نحو ١٣٥ ـ ٢٣٥ هـ) أبو الهذيل محمد بن الهذيل العبدي ، شيخ البصريين في الاعتزال ، ومقدم الطريقة والمناظر عليها ، ويعتبره البعض أول فيلسوف في الإسلام . ولقبه العلّاف ، لأن داره كانت بالعلافين في رأي ، ولأن المعتزلة كانوا يلقبون بالصنائع التي يقومون عليها في رأي آخر ، وكان تلقيه الاعتزال عن عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء ، واشتهر بمناظراته مع الفرق الأخرى ، وفي ذلك يقول الملطي عدو المعتزلة « أبو الهذيل هذا لم يدرك في أهل الجدل مثله ، وهو أبوهم وأستاذهم » ، وكان يساعده على قطع خصومه قدرته التي لا تجاري في الاستشهاد بالشعر ، ومع أن كتبه لم يصلنا منها شيء إلاّ أن البعض ينسب إليه ما يزيد على الستين كتاباً في الرد على المخالفين في دقيق الكلام وجليله ، منها « ميلاس » وهو اسم لمجوسي أسلم بعد أن استمع إلى مناقشة لأبي الهذيل مع جماعة من الثنوية ، و « الحجج » في الرد على الدهريين ، و « الأعراض والإنسان والجزء الذي لا يتجزأ » . ونستطيع ممَّا وصلنا من أخباره أن نلم بفلسفته المعتزلية ، وأبو الهذيل ينفي أن يكون لله مشابهة في

خلقه ، وينكر على الرافضة قولهم بأن لله هيئة وصورة ، ولم يفرق بين ذات الله وصفاته ، فالله عالم بعلم وعلمه هو ذاته ، وقادر بقدرة هي هو ، ويلزم عن ذلك أن صفات الله ليست وراء ذاته معانٍ قائمة بذاتها ، وليست هي كل الله مع ذلك ، والله هو علمه ، ولكن ليس كل الله هو علم ، ويفسر أن لله علماً وقدرة مع أن العلم والقدرة يتصلان بالمحدثات ، فيقول إن الله يعلم نفسه وليس لعلمه بذاته غاية ولا نهاية ، لكن الله يقول إنه بكل شيء عليم ومحيط وأنه أحصىٰ كل شيء ، ومن ثمّ يكون ما يعلمه وما يقدر عليه ممّا يكون ولا يكون كل وجميع وغاية ونهاية . وبالمثل يحل مشكلة الإرادة فيتصور لله إرادتين ، واحدة قديمة هي ذاته ، والثانية تتعلق بالمحدثات، والإرادة الحادثة لها معنى الخلق أو كلمة التكوين ، وهي لا في محل ، أما الموجود في محل من كلام الله غير كلمة التكوين ، فهي كلمات التأليف من أمر ونهي ، وهي في محل متحققة في أجسام ، وهذا من دقيق الكلام وغامضه ، أرادَ به أبو الهذيل إنكار قدم المسيح كلمة الله حيث أن كلمة الله تحققت عند المسيحيين في محل ، وهو جسد المسيح ، وغايته إنكار المذهب الحلولي . وفي المشكلة الطبيعية يقول أبو الهذيل بالنظرية الذرية ، ويذهب إلى أن العالم يتألف من ذرات لا تتجزأ ، وأن الأشياء تكون باجتماع الذرات وتفسد بانفصالها . وفكرة الجزء الذي لا يتجزأ فرع من فكرته عن الإرادة الإلٓهية اللاّمتناهية من ناحية ، والمتناهية في مخلوقاته من ناحية أخرى حيث لها نهاية وهي الجزء الذي لا يتجزأ . وهي أيضاً جزء من نظريته في علم الله ، حيث علمه بذاته هو ذاته ، ولكن علمه بالأشياء محدود بالأشياء طالما أن لها كلاً وجميعاً وتتألف من موجودات متناهية .

علاقات داخلية أو باطنة وعلاقات خارجية أو ظاهرة
Internal and External Relations

من تحصيل الحاصل أن نقول إن الشيء لا يستحيل هو نفسه بانتزاع صفة من صفاته ، ولكن ذلك لا ينطبق على كل صفاته ، ومن ثم كان ذلك أساس التمييز بين ما يسمىٰ صفات الشيء الجوهرية وصفاته العارضة ، وكذلك التمييز بين العلاقات التي تحيط الصفات الجوهرية ببعضها ، والعلاقات التي تكون للشيء بغيره من الأشياء وتسمَّى بعلاقاته الخارجية . واتّخذ هذا التمييز بين الفلاسفة شكل الخلاف حول الماهية والوجود ، وقيل في الماهية إنها مجموع خصائص الشيء الجوهرية التي ترتبط فيما بينها بعلاقات باطنية ، وقيل إن الأشياء لا توجد إلَّا في علاقات بغيرها ، وأن كل العلاقات خارجية لأنها ظواهر تكشف عن سمات الشيء ، والماهية هي الجوهر والعرض معاً ، أي الشيء في ذاته غير منفصل عن وجوده مع الأشياء الأخرى . ويصف مذهب الظاهريات الماهية بأنها علاقات الشيء الباطنية والخارجية ، بينما يجعل ابن سينا العلاقات الداخلية هي صميم الشيء ، وعلاقاته الخارجية طارئة عليه ، ومن ثمّ يفرق بين الشيء كمعلول لماهيته والشيء كمعلول لوجوده أي في علاقاته بغيره من الأشياء . ويميز الأكويني بين النوعين من العلاقة ويقول بأن كل ما لا ينتسب إلى علاقات الشيء الباطنة فإنه يأتيه من الخارج ، لكنه يجعل ما يأتيه من الخارج هو الكاشف عن حقيقة ما يجري بداخله ، وشبيه بذلك ما يذهب إليه الوجوديون حيث يجعلون العلاقات الخارجية هي الأصل وهي الكاشف عن الداخل والمحددة له ، فالموجودات لا توجد خارج علاقة ، والإنسان موجود تاريخي بمعنى أنه يعيش في المكان ويتحدد بظروف وأحوال معينة ، وأن وجوده عملية زمنية تتحدد بالميلاد والموت ، وتتألف من سلسلة متصلة من الماضي والحاضر والمستقبل ، وأن هذه العلاقة في الزمان تجري في إطار علاقاته بالآخرين

وبالطبيعة ، ومن ثمَّ فالإنسان وجوده وحياته علاقات ، ويفسر هذا الطبيعة الاجتماعية للوعي الإنساني ، كما يبين أهمية دراسة العلاقات الاجتماعية لمعرفة التاريخ .

علبائية

فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي ، زعموا أن علياً إله ، وأنه بعث محمداً ليدعو له فدعىٰ لنفسه ، وكان يقول بذم محمد ﷺ ، ولذلك سموا بالذمية . ومنهم من قال بإلهيتهما ، ويقدمون علياً في أحكام الإلهية ، ويسمونهم العينية ، ومنهم من يفضل محمداً في الإلهية ، ويسمونهم الميمية ؛ ومنهم من قالَ بإلهية محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وبحلول الروح فيهم بالسوية ، وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث فقالوا فاطم بلا هاء .

علم الجمال Aesthetics

الاستطيقا أيضاً ، من اليونانية Aesthesis ومعناها الإدراك الحسي ، وهو العلم الذي يحلّل المفاهيم الجمالية ويعرض للمسائل التي يثيرها تأمل الموضوعات الجمالية ، وطالما أن الموضوعات الجمالية هي نفسها موضوعات التجربة الجمالية فإنه ينبغي أن تتوجه دراساتنا أولاً إلى هذه الموضوعات لكي يتحقق لنا التعرّف على نواحي التجربة الجمالية . ورغم أن البعض قد ينكر وجود ما يسمَّى بالتجربة الجمالية إلاَّ أنه لا ينكر أنه توجد أحكام جمالية ، وأن لديه من الأسباب ما يبرر بها هذه الأحكام ، ومن ثمَّ تكون الموضوعات الجمالية لدى هؤلاء البعض هي نفسها الموضوعات التي يصدرون بصددها تلك الأحكام .

وتدور فلسفة الفن في نطاق أضيق من النطاق الذي تدور فيه فلسفة الجمال ، طالما أنها تقصر نفسها على المفاهيم والمسائل التي ترتبط بالأعمال الفنية وحدها وتستبعد ما عداها كالتجربة الجمالية للطبيعة . وينبغي التمييز بين ما يسمَّىٰ بفلسفة الفن وما يسمَّى بالنقد الفني الذي مناطه التحليل النقدي وتقويم الأعمال الفنية نفسها ، فالناقد الفني مثلاً يمكن أن يصف عملاً فنياً معيناً بأنه عمل معبر أو جميل ، بينما يتساءل الفيلسوف في مجال الفن عمَّا يمكن أن يعنيه عندما يقول إن عملاً معيناً يتَّسم بالجمال أو أنه عمل معبر ، وعمَّا إذا كان من الممكن أن ندلل على ما نزعمه وكيف يتسنَّى لنا ذلك .

ولا شك أن الناقد الفني عندما يتحدث أو يكتب عن الفن فإنه يلجأ إلى استخدام ما وضعه الفيلسوف في مجال الفن من مصطلحات ، ومن ثمَّ فالناقد الذي يعوزه العلم بهذه المصطلحات سيعوز كتاباته الوضوح بالتالي . ولا شك أن من عمل الفيلسوف أن يتساءل عمَّا إذا كانت هناك طريقة جمالية في النظر إلى الأشياء ، وما الذي يميزها عن غيرها من طرق تجربة تلك الأشياء . ومن المعروف أن المنهج الجمالي Aesthetic Attitude أو الطريقة الجمالية في النظر إلى العالم تتناقض مع المنهج العملي Practical Attitude الذي يقوم الأشياء بمقدار ما تقدمه من منافع ، فسمسار الأراضي الذي يطالع الطبيعة بمقدار ما يمكن أن يدره عليه ثمنها من عائد مالي لا يفعل ذلك من وجهة نظر جمالية ، فلكي نطالع المنظر الطبيعي جمالياً ينبغي أن تكون هذه المطالعة لغاية المطالعة ذاتها وليس لأي غرض آخر أبعد من ذلك . ويتميز المنهج الجمالي كذلك عن المنهج المعرفي ، وبوسع طلبة الهندسة الملمين بالتاريخ المعماري أن يميِّزوا بسرعة بين طرز المباني أو الآثار وتواريخها والحضارات التي تنتسب إليها من مجرد مطالعة أسلوبها . وهم إذ يتكبدون المشاق ويعبرون المسافات للفرجة على هذه المباني القديمة يفعلون ذلك للاستزادة من المعلومات وليس بقصد إثراء خبراتهم الجمالية . وقد تكون قدرتهم على التمييز بين مختلف الطرز المعمارية مهمة ومساعدة لهم في اجتياز اختباراتهم ولكنها بالتأكيد لا ترتبط بالضرورة بالقدرة على الاستمتاع بتجربة المطالعة لهذه المباني . وقد تمكن القدرة التحليلية صاحبها على زيادة خبرته الجمالية ولكنها يمكن أيضاً أن تعوقها ، فالناس الذين يبدون اهتماماً بالفن من نواحيه الحرفية أو التقنية قد

يصرفهم هذا الاهتمام عن الطريقة الجمالية في النظر إلى الأشياء إلى الطريقة المعرفية التي غايتها تحصيل العلم بهذه الأشياء . وليس من الطريقة الجمالية في شيء أن يجتر المتأمل للجمال تجارب حياته الشخصية أثناء عملية استمتاعه بالعمل الفني ، كهذا الرجل الذي يتكلّف لمشاهدة مسرحية عطيل ، ولكنه لا يصرف انتباهه إلى الرواية بقدر ما يندمج في شخصية عطيل ويرى نفسه فيه وفي موقفه من زوجته ، ومن ثمَّ يصرفه الاندماج في عطيل عن الاستجابة الجمالية للرواية ، وهو ما يحذرنا منه النقاد عندما يقولون قولتهم المشهورة « لا تتورطوا شخصياً » . ولا يعني ذلك طبعاً أن نباعد بين أنفسنا كلية وبين ما نشاهد أو نسمع ، وإنَّما ينبغي أن تكون هذه المباعدة Detachment بقدر ما نعي أن ما نشاهده ليس مصيرنا وإنَّما هو مصير أوديب الملك مثلاً ، وأنه لا يعدو أن يكون دراما وليس الحياة ، وكان يجب أن يكون انفعالنا بها بطريقة تختلف عن انفعالنا بأحداث الحياة ، وهذا هو معنى المباعدة المطلوبة في الانفعال الجمالي . وقد يُقال إن المطلوب هو الحياد أو عدم الانحياز ، ويعني ذلك أنه لا ينبغي أن يؤثر ما نكرهه وما نحبه وميولنا الشخصية فيما نصدره من أحكام جمالية . وقد يكون من المفهوم أن نطلب أن نكون محايدين أو غير منحازين في أحكامنا الجمالية ، لكننا قد نعجب لأمر من يطالبنا بأن نستمع إلى سيمفونية بحياد وعدم انحياز ، وربما كان المقصود من الحياد في هذه الحالة أن ننصرف إلى الموضوع الجمالي فنتبيَّن علاقاته الداخلية Internal Relations وما يتحلَّى به من صفات ، ولا ننشغل بعلاقاته الخارجية التي تتصل بنا أو بالفنان الذي أبدعه أو الثقافة التي نبت فيها . وتشكّل العلاقات الداخلية أو الباطنة ما يسمَّى بالموضوع الظاهري Phenomenal Object ، بينما تشكل العلاقات الخارجية ما يسمى بالموضوع الطبيعي Physical Object ، ونحن عندما نتوجّه بانتباهنا إلى التكوينات اللونية في الصورة فإننا نراها كموضوع ظاهري ، وعندما نركّز على الطريقة التي مزجت بها الألوان وكيمياء هذه الألوان فإننا نراها كموضوع طبيعي .

وقد يتساءل البعض عن ماهية هذا الفن الذي نتحدث عنه ، وتشرحه الغالبية من الفلاسفة بأنه بمعناه الواسع كل شيء من صنع الإنسان كمقابل للأشياء التي تبدعها الطبيعة ، ولأنها أشياء من صنع الإنسان تسمَّى أعمالاً فنية ، فإذا ما تبين لنا أن ما حسبناه تمثالاً من خشب ليس إلَّا بقايا شجرة قد اتَّخذت هذا الشكل ، فإننا سنظل نعتبرها جميلة ولكننا لن نعدها عملاً فنياً من تلك الأعمال التي يطلق عليها البعض اسم الفنون الجميلة Fine Arts ، وهو هذا الضرب من الفن الذي يتميز عن الفن العادي بأنه قد صيغَ أساساً لنقرأه ونشاهده ونسمعه جمالياً ، وإن قيمة الفن الجميل ليست فيما قصد به ولكن فيما يحققه في تجربتنا به ، فما الذي يمكن أن نصنعه بالسيمفونيات سوى أن نسمعها ونستمتع بها ، وأي نفع آخر يمكن أن نحصله منها ، فوظيفتها هي توليد الاستجابات الجمالية في المستمعين وليست لها وظيفة أخرى ، ومن ثمَّ يمكن أن نعرف العمل الفني بأنه الموضوع المصنوع بشرياً ، والذي ينحصر عمله تماماً أو بشكل أساسي فيما يستولده من استجابات جمالية يثري بها التجربة الإنسانية . ويمكن أن نقابل بين الفن الجميل وما يسمى الفن المفيد Useful Art ، وهو هذا الفن الذي تندرج تحته كل الأعمال التي تخدم غاية في حياة الإنسان غير غاية أن نشاهدها جمالياً ، مع أنها يمكن أن تقوم بهذا الدور لكن بشكل ثانوي . وممَّا لا شك فيه أن هناك حالات يحار في أمرها النقاد ولا يعرفون هل يعتبرونها من الفن الجميل أو من الفن النافع ، ومن هذه الحالات فن المعمار ، فمن الناس من يعتبر المباني موضوعات جمالية أصلاً وتأتي مسألة سكناها أو التعبد فيها في المرتبة الثانية ، ومنهم من يعتبرها موضوعات للاستنفاع بها ، وأن وظيفتها الجمالية مسألة لاحقة ، ولكن عندما يكون العمل الجمالي هو نفسه عمل نافع فإن العلاقة بين وظيفته العملية وسماته الجمالية تصبح علاقة مهمة ، ويدور

معظم النقاش في مسألة الدور الوظيفي للفن Functionalism حول الخلاف على العلاقة بين الوظيفتين العملية والجمالية ، وما إذا كان الشكل ينبغي أن يتبع الوظيفة دائماً أو أن الشكل ينبغي أن يكون تقديمه مستقلاً عمّا يؤدّيه العمل الفني من وظيفة عملية .

وتتعدد طرق تصنيف الفنون الجميلة ، ولكن الاتجاه السائد هو ما يصنفها إلى فنون مسموعة Audi-tory Arts تقوم على الصوت ولها شكل الموسيقىٰ ، وتتكون الموسيقىٰ من أنغام موسيقية ، أي أصوات لها وقع معين تتخللها فترات سكون ، وتتابع في نظام زمني معين ؛ وفنون منظورة Visual Arts تتكون ظاهراتياً من مدركات بصرية ، وتخاطب العين ، ولو أن ذلك ليس دائماً إذ توجد حالات تخاطب فيها حاسة اللمس كذلك . ويندرج تحت الفنون المنظورة فن التصوير Painting والنحت Sculpture والمعمار Architecture وكل الفنون النافعة تقريباً . ومن الصعب أن نصنف الأدب ، فهو بالتأكيد ليس فناً بصرياً ، ولم تؤلف القصيدة أصلاً لتكتب . وليس الأدب فناً سمعياً كذلك ، فممّا يزيد في تأثير القصيدة أن تقرأ بصوت عال ، لكن قيمتها لن تتضاءل لو أنها لم تقرأ بصوتٍ عال ، وليس من الضروري أن تقرأ بصوتٍ عالٍ لتؤدّي دورها كقصيدة . ولو كان الأدب فناً مسموعاً لانتمىٰ إلى فن الموسيقىٰ ، لكن الأثر الذي تحدثه القصيدة لا يتوقف على جرس الكلمات بقدر ما يترتب على ما تتضمنه من معانٍ . وينبّه ريتشاردز إلى أن معاني الكلمات ، وما يرتبط بها من صور في أذهان من يحيط باللغة التي كتبت بها القصيدة ، هي ما يميز الأدب عمّا سواه من الفنون الأخرى ، حتى لقد أطلق على الأدب أنه فن رمزي ، لأن عناصره هي الكلمات ، وهي ليست أصوات ولا علامات قلمية ، لكنها أصوات لها معانٍ لا بد من الإحاطة بها قبل أن نفهم القصيدة أو نستسيغها .

وتشتمل الفنون المختلطة Mixed Arts على الفنون التي تجمع في نفسها أكثر من فن من الفنون السابقة ، فالأوبرا فن مختلط يتضمن الموسيقى والكلمات والتصميمات المرئية ، وإن كانت الموسيقى تغلب عليها ، وتتضمن المسرحيات فنون الأدب والتمثيل والتصميم المرئي . وتغلب التكوينات المرئية على فن الرقص بينما الموسيقى فن مصاحب له . وتستعين السينما بكل الفنون . ويتوقف العمل الذي يمكن أن يؤديه كل فن على طبيعة الوسيلة التي يلجأ إليها للتعبير عن نفسه ، وعلى ذلك فالفنون المرئية بشكل عام فنون مكانية ، يمكن أن تصور المظهر المرئي أو ما تبدو عليه الأشياء أفضل مما يستطيعه أي وصف بالكلمات ، ولكنها على العكس لا تستطيع أن تصور الحركة أو تتابع الأحداث في الزمان ، وإنما يتيسر ذلك للأدب الذي يقوم على ترتيب العناصر زمنياً . ونفس الشيء في التصوير ، ولو أننا في التصوير نستطيع أن نركز على جزء ثم الجزء الآخر من غير ترتيب ، بينما في النحت يتوقف الأثر الذي تتركه مشاهدة التمثال على زاوية الرؤية طالما أنه يستحيل مطالعة الموضوع المنحوت بأبعاده الثلاثة مرة واحدة ، ولذلك فإن الترتيب الزمني أهم في النحت منه في التصوير . وتعتمد الموسيقى على الترتيب الزمني للأنغام مثل اعتماد الأدب على الترتيب الزمني للكلمات . وبسبب هذا الاختلاف في طبيعة الوسيلة فإن لكل فن مواصفاته ، ومن هذه المواصفات الموضوع Subject Matter ، وهو ما يدور حوله الفن . وليس لكل الأعمال الفنية موضوعات معينة ، فالقصيدة والمسرحية والرواية لا بد أن تدور حول شيء ، لكن أغلب الأعمال الموسيقية ليس لها موضوع ، وليست سيمفونية بيتهوفن الخامسة عن القدر أو البطولة أو أي من هذه الأشياء التي ينسبها لها البعض ، وبعض اللوحات عبارة عن ألوان وأشكال لا موضوع لها ، وبعضها له موضوع مثل العشاء الأخير . وكثيراً ما نسمع عن الفكرة Theme في الموسيقى ، ولكن الفكرة في الموسيقى لها معنى مختلف تماماً ، فهي في الموسيقى سلسلة من الأنغام داخل تركيب المعزوفة ، وليست بالفكرة التي نعرفها في

الأدب ، ويمكن أن نقول عن الفن المرئي أنه يتمثل الأشياء في الطبيعة تمثلاً حرفياً ، والمفروض أن يتمثلها التصوير بالألوان والاشكال ، ولكنه لا يفعل ذلك دائماً ، وعموماً فإن التصوير والنحت والفنون المرئية الأخرى يتمثل كل منها الطبيعة بطريقته ، لكن من الصعب أن نقول إن الموسيقى تتمثل الطبيعة ، فالموسيقى أنغام تستحدثها آلات من صنع الإنسان ، بينما لا يوجد في الطبيعة إلا أصوات وضوضاء .

ولعل الأدب هو الفن الوحيد الذي يمكن أن نبحث فيه عن المعنى ، وعموماً فإن القيم التي يمكن أن يقدمها لنا العمل الفني تتنوع ، فقد ينصرف المشاهد للعمل الفني إلى قيمه الحسية **Sensuous Values** فيشغله نسيجه وما فيه من ألوان أو ظلال أو أنغام ، كالزرقة العميقة في السماء ونعومة العاج ولمعة الرخام ورنين الكمان ، بمعنى أنه لا تدخله البهجة من الموضوع الطبيعي في حد ذاته بل من صورته الحسية ، ولكن الإعجاب بالقيم الحسية وبالألوان والظلال والأنغام قد يؤدي به إلى ملاحظة العلاقات بينها وتقدير ما في العمل من قيم صورية Formal Values . ولكلمة صورة Form بالنسبة للأعمال الفنية معنى يختلف عن معناها في السياقات غير الجمالية . وليست الصورة هي الشكل Shape حتى في الفنون المرئية ، فالصورة هي جماع العلاقات المتداخلة بين الأجزاء وانتظامها في بنية عضوية واحدة ، ولكن الشكل حتى في الفنون المرئية ناحية واحدة من نواحي الصورة ، فإذا كان البعض يخلط بين الصورة والشكل في التصوير فيعرف صورة اللوحة بأنها شكلها أو مجموع الأشكال التي فيها فإنه يتناسى الألوان التي يقوم الشكل على تخومها والحدود التي بينها . والواقع أن بعض الأعمال الفنية تشترك في صفات تركيبية معينة فيما بينها ، الأمر الذي يسلكها معاً في شكل واحد يجعلنا نعطيها اسماً واحداً ، فنقول مثلاً شكل السوناتا، ولكننا عندما نتحدث عن الشكل الذي ينفرد به أحد الأعمال الفنية فإننا نقصد صورته المفردة وتنظيمه الخاص وليس شكله الذي يشارك به غيره من الأعمال ، ومن ثم يكون من المفيد أن نميز بين الشكل في عموميته أو الشكل ككل Form-in-The-Large أي البنية Structure ، والشكل في جزئياته أو تفاصيله Form- In- The- Small أي النسيج Texture . وعندما نتحدث عن بنية العمل الفني فإنما نعني البناء العضوي ككل الناتج من العلاقات المتداخلة للعناصر الأساسية التي يتكون منها ، ولذلك فإن اللحن جزء من بناء السيمفونية مع أن اللحن نفسه يتكون من أجزاء مترابطة ، ويكون هو نفسه شكلاً مصغراً ، فما نعتبره عنصراً في البنية هو كل في النسيج ، ويمكن بدوره أن يجزأ ويحلل إلى عناصر . وكان بيتهوفن من الفنانين البارعين في مجال البنية عنه في مجال النسيج والمادة اللحنية ، بينما كان شوبير وشومان من الفنانين الذين يشهد لهم بالبراعة في مجال النسيج والمادة اللحنية وكانا كثيراً ما يفشلان في توحيد هذه العناصر في بنية كلية مرضية جمالياً .

ويكاد ينعقد الاجماع على أن الوحدة العضوية Organic Unity هي المعيار الأساسي الذي يكون به الحكم على الشكل ، أو بمعنى أصح التنوع في الوحدة Variety in Unity ، فالموضوع الموحد ينبغي أن يحتوي داخله على عدد هائل من العناصر المنوعة التي يسهم كل منها في التكامل الكلي للمجموع الموحد بحيث لا يكون هناك فوضى أو اضطراب رغم العناصر المختلفة داخل الموضوع . ومعنى عضوي أن كل عنصر يبادل الآخر الاعتماد عليه ويعمل في ارتباط مع الآخر بحيث أن أي تغيير في أحد العناصر يعتبر تغييراً فيها جميعاً ، وبمعنى آخر فإن الأجزاء تترابط باطنياً وليس ظاهرياً . ولا يعني ذلك أن كل الأجزاء لها نفس الأهمية ، فبعض الأجزاء لا بد أن يكون أكثر أهمية ، والأعمال الفنية في ذلك تشبه تماماً الكائنات الحية ، ومن المستحيل أن نبلغ الوحدة العضوية الكاملة فهي مطلب مثالي ومستحيل ، بل ربما كان مطلباً غير مرغوب فيه . وكذلك فالوحدة العضوية ليست هي المبدأ الوحيد الذي به يكون تقويم الأعمال الفنية ، فهناك الفكرة

التي يبرزها العمل ، والتنوع فيها Thematic Theme Variation ، والتوازن بين الأجزاء المختلفة في نظام جمالي ، وتطور كل جزء والتناسق بين اللاحق والسابق . وإن الرتابة والفوضى لهما أعدى أعداء التجربة الجمالية ، ويكون التخلص من الرتابة بالتنوع ، والوحدة هي التي تجنبنا الفوضى .

ويعكس العمل الفني إلى جانب القيم الصورية أو الحسية قيماً أخرى يستمدها من الحياة من خارجه Life Values ، وتقتضي من كل من الفنان والمتذوق معرفة بالحياة ، فالعمل الفني قد يتضمن مشاعر أو يحتوي أفكاراً أو يقدم مشاهد يرجع فيها جميعاً إلى الحياة من حوله .ويرى أصحاب النزعة الانعزالية Isolationism أننا لكي نتذوق العمل الفني لا نحتاج لأكثر من التطلع إليه والاستماع له أو قراءته ، المرة بعد المرة أحياناً وبتركيز شديد . وليس ثمة حاجة إلى الخروج من إطاره لنقارن بينه وبين حقائق التاريخ والسيرة أو ما شابه ، ولو فعلنا ذلك فلن يكون العمل الفني مستكفياً بذاته ومن ثم يكون معيباً من الناحية الفنية . ويرى السياقيون Contextualism بخلاف الانعزاليين أن العمل الفني ينبغي أن يفهم في سياقه أو في بيئته الشاملة ، وأن الكثير من المعرفة التاريخية وغيرها تدخل في صميم العمل الفني وتثري تجربته أكثر مما لو كانت بدون مثل هذه المعرفة ، ومن ثم ينبغي أن يكون تذوق كل الأعمال الفنية في سياقها ، وحتى الموسيقى الخالصة والتصوير التشكيلي . ويتوقف اعتناق الناقد للانعزالية أو للسياقية على نظرته إلى طبيعة الفن ووظيفته ، فإذا كانت نظرته صورية أي إذا كان شكلياً Formalist فإنه لن يهتم بقيم الحياة Life Values التي سبق أن ألمحنا إليها ، كالأفكار والعواطف وغيرها ، وسيسميها قيماً وسيطة Mediumistic أ و قيماً تمثيلية Representational لا تمت بصلة للتذوق الجمالي ولا علاقة لها بالصورة وهي السمة التي ستخلد على مر العصور بينما القيم التمثيلية تمثل أو تعكس أشياء وقتية تخص عصراً أو مكاناً بعينه . ولحسن الحظ فإن أغلب الفلاسفة والنقاد من معتنقي النظرية الصورية ولكنهم يتبعون نظرية الفن تعبير Expression Theory ، فإلى جانب الصورة أو الشكل توجد قيم أخرى ترتبط بالشكل ولا يمكن فهمها إلا من خلاله ، وإلى جانب إرضاء متطلبات الشكل ينبغي أن يكون العمل الفني معبراً ، وأكثر ما يكون تعبيره عن المشاعر الإنسانية . ويذهب بعض الفلاسفة إلى أكثر من نظرية التعبير ، إلى نظرية أخرى تقول بأن الفن في الواقع يرمز للمشاعر ولا يعبر عنها ، بالمعنى الذي نرمز إليه بعلامات المرور من حيث أنها تشبه بعض الشبه الشيء الذي ترمز إليه ، مثلما تشبه الأيقونة ما ترمز إليه ، وتسمى لذلك رموزاً أيقونية Iconic Signs ، فطبقاً لنظرية المعنى تكون الأعمال الفنية رموزاً أيقونية للعمليات السيكولوجية التي تجري في الإنسان وخاصة لمشاعره ، ولعل الموسيقى أبلغ مثال على ذلك ، فهي فن حركي Kinetic زماني Temporal يتدفق في المكان والزمان فيعلو ويطفو ويتذبذب ويندفع ويئز ويتردد ويتحرك باستمرار . وتماثل الأنماط الإيقاعية في الموسيقى أنماط الحياة الإيقاعية ، أو بمعنى آخر هي أيقونية تشبه إيقاعات الحياة .

ورغم أن العمل الفني به الكثير من الحية ، وخاصة في الأدب ، إلا أننا عندما نصدر أحكاماً جمالية عليه فلن يتوجه حكمنا إلى ما فيه من خير أو شر فنصدر حكماً أخلاقياً ، ولن يتوجه إلى ما فيه من شبه بالحياة فنصدر حكماً حول مدى صدق هذا الشبه ، ولن يقلل أو يزيد من قيمة العمل الفني جمالياً أنه ينهض على وقائع وأحداث من التاريخ ، أو يتضمن أوصافاً جيولوجية أو فلكية صادقة علمياً . وقد يكون أهم من تلك الوقائع والأحداث التي يتضمنها العمل الفني صراحة ، تلك القضايا التي يحتويها ضمنياً Implicitly . ومما لا شك فيه أن النظرة العامة عن الكون Weltanchuung التي يقدمها العمل الفني هي نظرة ضمنية ، وقد يزعم البعض بحق أنه بالإمكان الكشف عن نوايا الكاتب ودوافعه الشعورية واللاشعورية وحالته النفسية العامة

ورغباته وعواطفه من خلال العمل الفني ، وقد يغرينا أن نقول مع أرسطو أن الشخصية في الرواية والقصيدة صادقة بمقدار ما يمكن أن توجد هذه الشخصية في الحياة فعلاً في مثل هذه الظروف، ولكن هذا المعيار نفسه كثيراً ما يخدعنا عن الشخصية وعن أنفسنا . وبالمثل فإن القيم الأخلاقية في الأعمال الفنية قد تكون مهمة نظراً لخطورة الفن اجتماعياً وتربوياً ، حتى ما كان ترفاً عقلياً بقصد إرجاء الوقت . غير أن البعض قد يرى في التجربة الجمالية ، وفيما تتيحه من إثراء عقلي وروحي ، أقصى ما يطمح إليه الفنان ، فإذا كانت هناك جوانب أخلاقية لا يوافق عليها البعض فإن خطورتها لتتضاءل إلى جانب ما يتيحه العمل الفني من متعة جمالية .

ويتوسط بين النزعة الأخلاقية والنزعة الجمالية اتجاه يؤثره البعض ويجمع بين النزعتين Interactionism ويكاملهما ويربط بين الفن والأخلاق ، ويزعم بأنه ما من سبيل لأن ينتج أي منهما أثره مستقلاً عن الآخر . وما من شك أننا نفيد من الأدب الكثير من الدروس ، وأن الأدب العظيم يمكن أحياناً أن يكون واعظاً، وأن من يقولون برسالة الأدب الأخلاقية والتربوية لهم كل الحق فيما يذهبون إليه ، ولكن الأدب العظيم كذلك يخسر خسارة كبيرة لو أنه لهذه الغاية وحدها كان وجوده وكان ما يضفيه عليه الناس من قيمة ، فالأدب يمكن بحق أن يعلم ولكنه يقوم بهذا الدور تلميحاً وليس تصريحاً ، وهو يعلم كما تعلمنا الحياة ، ليس بالمواعظ لكن بتهيئة المواقف والشخصيات والأزمات والصراعات بشكل يخلف آثاره الأخلاقية ويولد في نفس وذهن القارىء الوهج الذي أراده المؤلف ، والذي أراد له أن يكون بمثابة تفجير لوعي القارىء بحيث يستحيل هذا القارىء بعد قراءة هذا العمل إلى شيء مختلف عما كانه قبلها . ومن ثم يذهب البعض إلى أنه ليس من الضروري أن تكون هناك دروس وعظية في العمل الفني ، وإنما يكتفى فيه بشخصيات في مواقف قد رسمت بإتقان ووضوح بطريقة تقنعنا فنتصور أنفسنا فيها ونتبنى دفاعاتها ونظراتها ونعيش تجاربها الثرية، الأمر الذي يرضينا ويمنحنا بعض الراحة . وكان أرسطو يقول بأن عظمة العمل الفني في قدرته على إفراغ ما فينا من قلق ، وهو قول لا يتفق وعلم النفس الحديث ، علاوة على أن الفن العظيم لا يكتفي بأن يكون بمثابة الواحة التي نتفيأها من وقدة الحياة ، أو المخدر الذي ننعم في دواره اللذيذ ببضع ساعات نتلهى فيها عن مشاكلنا ثم نعود إليها من جديد وكأن شيئاً لم يحدث ، وإنما العمل الفني العظيم هو ذلك الذي يرهف مشاعرنا وذكاءنا ويطلق عنان خيالنا ، ونستشرف منه عوالم من الأحداث والأفكار والعواطف والفلسفات تفجر وعينا وتزيد طاقاتنا الفكرية والانفعالية وتلهب قدرتنا على الاستجابة للعالم المحيط بنا .

ويغالي البعض في تقدير الاضرار ا لأخلاقية والاجتماعية التي يمكن أن تخلفها الأعمال الفنية « غير الأخلاقية » ، ولا يوجد من الناحية السيكولوجية ما يجعلنا نعتقد أن من الممكن أن يرتكب قارىء الرواية البوليسية السوي جرائم كالتي يقرأ عنها ، فالجريمة لها دوافعها العميقة وتحتاج إلى دراسة متأنية ومستقصية في نفس المجرم وبيئته الوراثية والاجتماعية ، ومما لا شك فيه أن القراءة في الجريمة تزيد لدى أصحاب الميول الاجرامية ، وأن الاتجاهات الاجرامية لو وجدت تنشط بالإقبال على القراءة في الجريمة، وربما تكون القراءة في الجريمة منصرفاً للنوازع المكبوتة وعاملاً من عوامل العلاج النفسي ، وحتى إذا سلمنا بوجود آثار اجتماعية وأخلاقية ضارة لبعض الأعمال الفنية ، فهل يجيز ذلك حظرها وفرض الرقابة عليها ؟ وهل من الجائز أن يكون لبعض الناس الحق في تحديد ما يقرأ الغالبية وما يشاهدون ؟ ومما لا يقبل الجدل أن الرقيب إنسان يأتيه الخطأ كما يأتي البشر ، ولا يوجد ما يضمن أن تجيء أحكامه أسلم من أحكام من يحدد لهم ما يقرأون ويشاهدون . ثم أليس من الأفضل أن يترك الناس أحراراً يطالعون الآراء ويتعرفون على الأذواق المختلفة ويختارون منها جميعاً ما يعمق معرفتهم ويزيد من ترقي مجتمعاتهم ، فإذا حظر الفيلم أو الكتاب فإن منعه

يحرمهم فرصة المفاضلة والإحاطة بالرأي الآخر والاختيار لأنفسهم .

ويقول بالقيمة الجمالية Aesthetic Value أصحاب النزعة الجمالية Aestheticism ، وهم فرقتان أو نظريتان ، فأتباع النظرية الموضوعية Objectivist Theory يعرفونها بأنها الصفة التي تجعل من الشيء موضوعاً جمالياً ؛ وأتباع النظرية الذاتية Subjectivist Theory يعرفونها بأنها العلاقة التي تربط الشيء بمشاهديه ، كأن يربطهم به حبهم له أو استمتاعهم به ، فكأن الجمال في قاموسهم هو ما نحبه وتتحصل لنا به استجابات ممتعة . لكن عبارات كالسابقة لا تخبرنا بشيء عن العمل الفني بقدر ما تخبرنا بأشياء كثيرة عن المشاهد لهذا العمل واستقباله النفسي له ، وهي أحكام شخصية وليست جمالية . وقد يرغب البعض لذلك أن يتجنب الحكم الشخصي فيحكم على الشيء بأنه جميل إذا اعتبرته أغلبية الناس كذلك ، ورغماً عن هذا فقد تكون الأغلبية على خطأ ، ومن ثم يذهب القائلون بالنظرية الذاتية إلى اعتبار الجميل ما يعتبره النقاد جميلاً ، طالما أنهم صفوة مجتمعاتهم وأعلم بهذا المجال من غيرهم وأكثر حساسية للجمال . ولكن ألم يتفق أغلب النقاد في عصر الجريكو على أن أعماله أقل جمالاً من أعمال معاصريه ، مع أننا اليوم نعلم أن رسومه كانت أجمل من رسوم معاصريه ، مما يعني أن النقاد قد يخطئون كغيرهم . ولهذا يذهب البعض في تعريف الجميل بأنه ما يعتبره أغلب النقاد في كل العصور جميلاً ، ومع ذلك فإننا ما نزال بصدد استجابات النقاد ولم نتعرض للعمل الفني نفسه. ولا جدال في أن النظرية الموضوعية تعالج القيم الجمالية في العمل نفسه ، فإذا كان الناس يقدرون هذا العمل فليس ذلك إلا لما في طبيعته من هذه القيم . ولا يختلف أحد في أن ما يضفي على العمل الفني قيمته الجمالية ليس إلا ما فيه من « جمال » . ولقد تعرض البعض لوصف الجمال فقالوا بأنه يدرك بالحدس وليس بالعقل وأنه لا يعرف ، وقال آخرون بأنه يتحدد بثلاثة عوامل هي الوحدة Unity والتعقيد Complexity والحدة Intensity . ولقد أجملنا من قبل ما يقصدونه بالوحدة والتعقيد أو التنوع . أما الحدة فهي الدرجة التي تكون عليها إحدى الصفات البارزة في العمل الفني ، فمما لا شك فيه أن بكل عمل فني صفة تبرز على ما عداها ، وأن هذه الصفة توجد على درجة من الشدة أو الحدة ، فإذا تناولناها من ناحية انتشارها في العمل أو رهافتها أو ثرائها بالمتناقضات فإننا ننبه إلى ما في العمل من تعقيد ، وإذا تناولنا انتظام عناصرها فإننا ننبه إلى ما فيه من وحدة ، وعلى ذلك يكون الجميل هو ما يتحلى بإمكانيات ذاتية يمكن أن تولد استجابات جمالية لدى أكبر عدد من النقاد والناس . وتتمايز الأعمال الفنية بقدر تمايزها في هذه الصفات والاستجابات .

علم الظواهر .... Phenomenology

مدرسة أعضاؤها الأوائل من الجامعات الألمانية في السنوات قبل الحرب العالمية الأولى ، خاصة جامعتي جوتنجن وميونخ ، وأصدروا بين سنتي ١٩١٣ و ١٩٣٠ مجموعة من الكتب بإشراف إدموند هوسرل ، أبرز وأهم فلاسفة المجموعة الذين ضموا موريتس وجايجر وإلكسندر بفاندر وماكس شيلر وأوسكار بيكر ، وشاركهم مارتن هايدجر وان لم يكن من المعدودين معهم ، وأدولف رايناخ وهيدويج كونراد مارتيوس . غير أن أول من استخدم الاصطلاح يوحنا هنري لامبرت الذي عاصر كنط وتحدث عما أسماه علم الظواهر في كتابه « الأورغانون الجديد » (١٧٦٤) ووصف الظاهرة بأنها ما يبدو للحس من الأشياء ، ومن ثم فعلم الظواهر هو العلم الذي يتخذ موضوعاً له ما تبدو عليه الأشياء . وميز كنط بين الظاهرة بمعنى ما يظهر من الشيء ، وبين الشيء في ذاته أو في حقيقته ، فأوضح بأن للابقاء ظاهراً وباطناً ، وأن علم الظواهر هو العلم الذي يصف الظاهر دون الباطن ، حيث أن الظاهر هو الشيء المتيسر معرفته ، وأن الباطن مستحيل الإلمام به . وذهب الوضعيون إلى إنكار الشيء في ذاته ، أو الباطن ، وقالوا

إن كل شيء قابل للوصف والتحليل ، وأن المسألة لذلك هي في استخدام اللغة الاستخدام الأمثل الذي يحقق تعريف الشيء كما يمثل للوعي ، بوصفه وصفاً عملياً يستقصي الشيء تماماً ، وهنا يختلف علم الظواهر عن الفلسفة الظاهرية ، لأن الأخيرة ترد الشيء إلى ما يبدو منه للأحاسيس، أي ترده إلى الصفات الحسية كالشكل واللون والصوت ، بينما علم الظواهر يصف الشيء وصفاً فينومينولوجياً ، أي وصفاً شاملاً يحيط بالشيء ويكتشفه ، بل ويخلقه بالحدس الذي يتركز عليه ، ويتجاوز به صاحبه هذه الصفات العارضة إلى ماهيته الثانية ، وهو ما يسميه هوسرل وضع هذه الصفات بين قوسين واستبعادها من التأمل ، والانصراف بالوعي ، عن قصد ، إلى الماهية الخالصة . ويطلق هوسرل على هذه العملية اسم الرد الظواهري المتعالي الذي يتجاوز به الأنا العالم المباشر إلى موقف يتجاوز به الأنا خبرات الواقع إلى المجرى الخالص للخبرة المعاشة ، وكان هايدجر تلميذ هوسرل ، واشترك معه في تحرير مجلة« Jahrbuch »ونشر فيها كتابه الرئيسي « الوجود والزمان » ، ولكن هايدجر اختلف عن هوسرل في معنى التعالي ، وعرفه بأنه الوجود ، لكنه ليس الوجود كما توجد الأشياء ، ولكنه الوجود في توقع لإمكانياته ، حيث يوجد الانسان متقدماً على نفسه ، هادفاً أن يكون ما لم يكنه ، متجاوزاً في ذلك العالم الذي أعطي له ، فهو يخرج عن ذاته ، ولكنه يخرج إلى العالم ليوجد في العالم وليس ليعرفه أو لمجرد أن يعيه . (انظر **هوسرل وهايدجر وبرنتانو وهارتمان**) .

عنانية

فرقة من اليهود ، أصحاب عنان بن داوود . رأس الجالوت ، يخالفون سائر اليهود ويصدقون عيسى عليه السلام ، ويقولون إنه من أولياء اللّٰه الصالحين ، وليس الانجيل كتاباً أنزل عليه وحياً ، بل هو عبارة عن أحواله جمعها أربعة من أصحابه .

حرف الغين

غائية .... **Teleology**

النظرية التي تزعم بأن كل ما في الطبيعة وما يجري فيها من عمليات إنما يتوجه لتحقيق غـايـة معينة ، وكان أرسطو أول من طرح تعريفاً للغائية ، وقال إنها المبدأ الذي تتحرك له الأشياء بمقتضاه نحو تمام صورها التي هي وجودها بالفعل ، وأن كل ما في الـطبيعة يخضـع لغاية واحـدة أسمى ، واستخدم الفـلاسفة الـلاحقون تعريف أرسطو للغائية كبـرهان على وجـود الله اشتهر بـاسم البرهـان الغـائي Teleological Argument ، فطالما أن كل الموجودات تفعل لغاية فإنه يلزم أن يكون هناك موجود عاقل يوجههـا نحو تلك الغـاية . ويميـز البعض بين النشاط الفرضي والنشاط الوظيفي ، على أساس أن النشاط الوظيفي ، كنشاط الكبد مثلاً ، نشاط له دوره في الكائنات الحية ، ولكنه ليس نشاطاً يتوجه لهدف ، ويصر عليـه مهما تغيـرت الظروف ، ويتسم بالحساسية للظروف التي تواجهه ويعدل نفسه بمقتضاها ليتكيف معها أو يتغلب عليها ، وهي المواصفات الثلاث التي يتصف بها النشاط الغرضي . وقد جر الخلط بين النشاطين إلى الحديث عن أيهما باعتبـاره حديثاً عن الثـاني ، واحتـدم الجـدل بين الفلاسفـة للتفريق بين النشـاطين ، ويقترح فـلاسفة العلوم كحـل للإشكـال الاستغناء عن اللغة الغائية بالكف عن اللجوء لتعبيرات مثـل « وظيفة » و « غـرض » و « هدف » و « لكي » ، بترجمتها إلى لغة علمية كأن نقول «الكلية جهاز لازم للتخلص من البـول » بـدلاً من « وظيفـة الكليـة هي التخلص من البول » .

غالية ....

هم الشيعــة الــذين غلوا في حق أئـمتـهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية، وحكموا فيهم بأحكـام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهـوا الإله بـالخلق . ونشأت شبهـاتهم من مذاهب الحلوليـة والتناسخيـة ، ومذاهب اليهـود والنصارى ، حيث شبهت اليهود الخالق بالخلق ، وشبهت النصارى الخلق بالخالق ، ومن ثم سرت هذه الشبهات في أذهان الغـلاة حتى حكمت بـأحكـام الإلهيـة في حق بعض الأئمة . وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة ، ثم عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك ، وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول ، وأبعد من التشبيه والحلول . وبدع الغلاة محصورة في أربـع : التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ .

غايات ووسائل .. **Ends and Means**

يرى البعض أن مبدأ الغاية تبرر الوسيلة كان ولا يزال القاعدة الـوحيدة الصحيحـة في الأخلاق السيـاسية ،

باعتبار أن الأفعال لا تقوم إلا بنتائجها ، وهي نظرة غائية Teleological في مقابل النظرة الملزمة خلقياً Deontological التي ترى ضرورة الالتزام الخير في ذاته والإقرار بأن هناك من الأفعال ما هو خير في ذاته بصرف النظر عما يستحدثه من نتائج طيبة وأن الوسائل الشريرة لا تنتج إلا نتائج شريرة من جنسها . ومن ناحية أخرى لا بد من الإقرار بأن الكذب على المريض لإنقاذه معنوياً ، أو الكذب على الجماهير لتبديد مخاوفها ، هو أمر مغتفر إن لم يكن ملزماً . وكذلك قد يكون من الواجب قتل الحاكم المستبد ، والتضحية بفرقة من الجيش لإنقاذ الجيش كله ، وحينئذ يبدو أن مبدأ الغاية تبرر الوسيلة صحيحاً . ولكن الحكم على الأفعال بنتائجها عملية حسابية تخرج الأخلاق من نطاق الأوامر الملزمة إلى نطاق المقارنات والمفاضلات العقلية الرياضية . وقد يحتج البعض على الاستثناءات السابقة بأن الوسائل الشريرة لا يمكن أن تكون لها نتائج خيرة ، وأن ما يبدو لنا منها أنه كذب أو قتل ليس حقيقة بكذب أو قتل ، ولكنه خير في ثياب شر ، لأنها باستحداثها للنتائج الطيبة قد دللت على أنها خير في هذه المناسبة ، فلو قلنا ان الانتحار خطأ باستمرار سنجد أن انتحار كابتن أوتس في رحلة اكتشاف القطب قد استهدفت إراحة زملائه من عبئه وهو مريض ، ليتيح لهم فرصة بلوغ المحطة التالية قبل أن تنفد مؤنهم فيموتوا جميعاً ، لم يكن انتحاراً بالمعنى المعروف ، وعندئذ قد يبدو أن الغايات الواحدة قد تتعدد وسائل تحقيقها ، ولكن ذلك إن كان صحيحاً في كل المجالات فهو ليس بصحيح في مجال الأخلاق ، فالوسائل فيها تؤثر في النتائج المتحققة ، والوسائل المختلفة لا تؤدي إلا إلى نتائج مختلفة . ولا يجوز المقارنة والمفاضلة بين الأفعال بنتائجها في مجال الأخلاق إلا بين قواعد خلقية ثابتة ، وعندئذ تجوز المفاضلة بين فعل خيره محدود وفعل آخر خيره أشمل وأعم . ولكن المؤيد لمبدأ الغاية تبرر الوسيلة يلقي بكل القواعد الخلقية عرض الحائط ، ويجعل منطق النتائج وحده مبدأه الهادي ، ويترتب على ذلك أن يعيش حياته في توتر دائم طالما أن أي حركة يقوم بها قد تكون مسألة حياة أو موت ، وقد يمضي العمر به ويسترجع ماضيه ويجد تقويمه للأفعال بنتائجها قد تغير ، وأن عقله الذي استهدى به كان مجنوناً إذ اختار وقتها ما اختار ، وعندئذ ربما كان صحيحاً أن الإنسان لا يناسبه أن يتحرر من كل القواعد القديمة وأن يرفض الالتزام بالنصوص التي تقول « لا تقتل ولا تسرق ولا تكذب ولا تزنِ » .

غرابية

فرقة من الرافضة ، زعموا أن الله أرسل جبريل إلى علي فغلط وذهب إلى محمد لأنه كان يشبهه . وقالوا كان أشبه به من الغراب بالغراب ، والذباب بالذباب . ولذلك لعنوا جبريل ، وفيهم يصدق قول الله ﴿ من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ (٩٨ سورة البقرة) ، وفي هذا تحقيق اسم الكافر لمبغض بعض الملائكة .

غزالي

(١٠٥٧ - ١١١١م) الإمام أبو حامد محمد بن أحمد الغزالي ، الملقب بحجة الإسلام ، وِلد بقرية طوس من أعمال إقليم خراسان بفارس ، من بيت دين ، ودرس علم الكلام على إمام الحرمين الجويني في نيسابور ، وأتقن المذهب السني الأشعري ، وانخرط في مساجلات سمع بأمرها الوزير السني نظام الملك فاستدعاه إلى بغداد وعهد إليه بتدريس الفقه السني ، وقام بالرد على الشيعة الاسماعيلية ، ودون ملخصاً لعلوم الفلسفة بعنوان « **مقاصد الفلاسفة** » ولكنه لم يتعرض لنقدها ، وعاتبه الأشاعرة لأنه يؤلف في الفلسفة فدون « **تهافت الفلاسفة** » نقداً لعلوم الفلسفة التي تقوم على اليقين الحسي أو العقلي ، وأنكر أن تكون الحواس مصدر معرفة يقينية بدعوى أن الحواس قد تخبرنا بأشياء يكذبها العقل من بعد ، وكذلك أنكر أن يكون العقل مصدر معرفة نهائية بدعوى أن العقل يخبرنا

بأشياء ثم يعود إلى إبطالها وإخبارنا بأشياء أخرى ، وأنه قد يخبرنا بأشياء يكذب فيها كما يحدث في حال النوم والمرض . وأخذ على الفلاسفة عشرين مسألة قال بوجوب تبديعهم في سبع عشرة منها ، وتكفيرهم في ثلاث هي قولهم بقدم العالم ، وأن الله يعلم بالكليات دون الجزئيات ، وأن البعث يكون بالروح دون الجسد . وقد اتهمه ابن رشد بعدم الإخلاص للحق وأنه بينه وبين نفسه لا يؤمن بما بالغ في التعبير عنه في كتابه « تهافت الفلاسفة » ، ورد عليه بكتاب « تهافت التهافت » .

وقد اعترت الغزالي فترة من الشك العنيف ، وخشي أن يكون إيمانه مصدره التقليد أو التربية ، واقتضاه ذلك أن ينظر في أمر التيارات الفكرية في عصره ، وحصر طلاب الحقيقة في أربعة ، فهم إما متكلمون يتوجهون بخطابهم للمسلمين ، لكن حججهم إن أقنعت المؤمنين فهي لا تقنع غير المؤمنين ، وإما باطنية حالهم كحال المتكلمين يدللون على صحة أقوالهم بأقوال ينسبونها إلى إمامهم المعصوم ولا يرجعون فيها إلى العقل والإقناع ؛ وإما فلاسفة سبق أن أوردنا رأيه فيهم ؛ وإما متصوفة وصفهم بأنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال ، طريقهم يتم بعلم وعمل ، وأخص خواصهم لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال ، وفارق بين العلم بحدود الصحة والشبع وبين أن يكون الجسم صحيحاً وشبعان ، وبين العلم بحد السكر وبين أن يكون المرء سكران . ويقول الغزالي إنه لم يبق ما يمكن تحصيله بالعلم إلا وقد حصله ، ولم يبق أمامه إلا ما لا سبيل إليه بالسماع وبالعلم ، بل بالذوق والسلوك . وهكذا انتهى الغزالي صوفياً ، مؤثراً طريق التصوف إلى اليقين على طرق الجماعات الثلاث الأخرى المتكلمين والباطنية والفلاسفة ، ودون « **إحياء علوم الدين** » الذي اشتهر عنه ، و « **المنقذ من الضلال** » الذي عرف بالتشابه الكبير بينه وبين « الاعترافات » للقديس أوغسطين ، وعاش عيشة الصوفية ثلاث وعشرين سنة حتى مات بمسقط رأسه طوس .

غسانية

فرقة من المرجئة ، أصحاب غسان الكوفي الملقب بغسان المرجىء ، زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله ، والإقرار بما أنزل الله ، وبما جاء به الرسول ، في الجملة دون التفصيل ، وأن الإيمان يزيد ولا ينقص ، وأن كل خصلة من الإيمان هي بعض إيمان ، وزعم بأن مذهبه هذا هو مذهب أبي حنيفة ، مع أن أبا حنيفة هو القائل بأن الإيمان هو معرفة وإقرار ، وأنه لا يزيد ولا ينقص .

غنوصية Gnosticism

والغنوسية أيضاً أو الغنوسطية ، فلسفة صوفية ، واسم علم على المذاهب الباطنية، غايتها معرفة الله بالحدس لا بالعقل ، وبالوجد لا بالاستدلال ، فهي المعرفة بالله التي يتناقلها المريدون سراً ، وهي الوحي المتجدد الذي لا يتوقف أبداً، وتقول بإلهين أحدهما كبير ، خير ، مفارق ، لا يدركه العقل ولا يحيط به العلم ، تفيض منه أيونات تتدرج مراتبها وألوهيتها بتدرج بعدها عن مصدرها ، غير أن إحداها واسمها الحكمة (صوفيا) فاض بها الشوق إلى الله ، وامتلأت بالتفكير فيه ، فتجرأت فتجاوزت حدودها ومرتبتها ، فكان خروجها من مملكة السماء ، وسقوطها ، ومن خطيئتها فاض روح الشر أو إلهه الملقب أركون ومنه خرج العالم السفلي ، واستطاع أركون أن يحبس النفوس في أجسامها ، ولهذا تهفو للخلاص ، لكنها مراتب بطبيعتها ، فالإلهي منها أو الغنوصي يصعد للسماء ، والأرضي أو المادي يثبت على الأرض ، ويتوسطها الحيواني ، وهذه تتنازعها السماء والأرض ، وصعودها إلى السماء مشروط بانتصارها على شهواتها . ولقد ظهر الغنوص أول ما ظهر في الأديان الفارسية التي جمعها الإسلاميون تحت اسم المجوسية ، ويبدو أن أول من نسبت إليه الغنوصية في الأساطير الفارسية هو كيومرت ، وقيل إنه اسم آدم ، وأنه أول من قال بأصلين للوجود هما يزدان وأهرمن . ثم ظهرت طائفة

الدهريين أو الزروانية نسبة إلى زروان وهو الدهر ، أو الزمن الذي لا يفنى . والزردشتية من الديانات الغنوصية ، وقالت كذلك بإلهين للنور والظلام أو للخير والشر ، وما تزال موجودة حتى أيامنا هذه فى الديانة البارسية (تحريف من الفارسية) في الهند . والديصانية (نسبة إلى ديصان) من الديانات الغنوصية الثنائية ، وكان ظهور ديصان قبل ماني ومهد له . وتعتبر المانوية (نسبة الى ماني بن فاتك) أهم الفرق الغنوصية ، ورغم أنه ولد في أذربيجان ، إلا أنه نظم المانوية تنظيماً كنسياً ، وجعل مقر البابا بابل ، وانتشرت المانوية من القرن الثالث الميلادي حتى القرن الثالث عشر ، وكانت أقوى البدع المسيحية . وكان مزدك ، الذي تنسب إليه المزدكية ، مانوياً أول الأمر ، زلكنه اختلف مع المانوية وقال بأصول ثلاثة بدلاً من اثنين ، هي الماء والنار والأرض . وقتل مزدك سنة ٥٢٣ م . وعندما توجه المسلمون إلى العراق ، وخاصة في الجنوب وفي الكومة ، كانت المندائية هي أولى الفرق الغنوصية التي واجهتهم ، وكانت تقول بعالم نوراني يتربعه الإله وملائكته ، وأن آدم اشتق من عالم النور ، وأنه هبط وبنوه إلى الأرض . وكانت بالعراق مدرسة الحرنانية الغنوصية ، والصابئة التي ورد ذكرها في القرآن .

وعرفت اليهودية الغنوصية ، وتجلت فيما عرف عند اليهود باسم « القبالة » ، وكانت القبالة أكبر غنوص عرفه تاريخ الأديان ، حيث كانت تنتشر بسرعة من فلسطين إلى الاسكندرية ، واختلطت بالفلسفة اليونانية عن طريق فيلون اليهودي الذي مهد لظهور المسيحية ، وكان له أكبر الأثر في يوحنا الإنجيلي . وكان المسيح نفسه ، وما أحيطت به قصته كما روتها الأناجيل ، غنوصياً ، والمسيحية ، كما طرحها بولس الرسول ، ديناً غنوصياً ، واقتصر الغنوص فيها على المسيح وحده ، فالاتحاد المعرفي والمادي كان بيد الله والمسيح وحده ، بينما كان الغنوص معرفة إلهية تلقى في قلب المريدين بحيث يستحيل ربانياً ، وتنتقل كلمة الله أو روح القدس من مريد إلى آخر من غير توقف ، ولذلك رفض سمعان السامري أن يعترف بالغنوص وحده للمسيح ، وقال إن الكشف الإلهي سيستمر للمريدين ما دامت الدنيا ، ولولا قضاء أباطرة الرومان على السمعانية لاكتسحت المسيحية . وكان ابرز الغنوصيين المسيحيين ثلاثة هم باسيليدس وفالنتينوس ومرقيون ، وكان ظهورهم في القرن الثاني الميلادي ، وقالوا بإلهين، واحد للعهد القديم جبار ، وآخر للعهد الجديد محب . وعرف العرب الغنوصية ، وتزندق منهم كثيرون وقالوا بالثنوية ، وكانت قبيلة كندة كلها من الزنادقة . ولعل أبا سفيان بن حرب هو أعتى الزنادقة العرب ، وكانت زندقته سر عدائه الشديد للإسلام ، وكانت الزندقة سبب حرب مسيلمة الكذاب التي لم تهدأ للإسلام ، وقد أخذها مسيلمة عن أهل الكوفة . ويذكر ابن النديم من الفرق الغنوصية في الإسلام المغتسلة بنواحي البطائح . ويزعمون أن الكونين ذكر وأنثى ، والجنحيين في جوخي على النهروان ، والأزرمقانيين نسبة إلى خسرو الأزرمقان ، ويذكر ابن النديم من الغنوصيين الجعد بن درهم وابن طالوت وابن أبي شاكر وابن الأعدي الحزيري وصالح بن عبد القدوس وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، وبشار بن برد وإسحاق بن خلق وابن سابة وسلم الخاسر وعلي بن الخليل وأبي عيسى الوراق وأبي العباس الناشيء والجبهاني محمد بن أحمد بن عبد الملك الزيات وحماد عجرد ويحيى بن زيادة ومطيع بن إياس وأبي العتاهية ، وكلهم من المتكلمين أو الشعراء أو الحكام ، ونفذت الغنوصية إلى غلاة الشيعة ، وكانت أساس الشيعة الإمامية والإسماعيلية . وكان ابن المقفع مزدكياً، وتوفر على ترجمة كتاب «دبستاو» لمزدك، وكان باب بروزيه في كليلة ودمنة نقداً لأصول الأديان وجلاءلتعارضهاوتأصيلاً لفكرة استحالة اليقين . ولم تمت المزدكية . بوفاة مزدك ، ولكن امرأته « خرمة » واصلت الدعوة ، وأنشأت الفرقة الخرمية أو الخرمدينية ، واتصلت بفرق الإسماعيلية والقرامطة ،

وكان عمار بن بديل أول داعية عربي للمزدكية ، وكان يدعو لها مع دعوته للعباسيين . وانتقلت دعوة مزدك والخرمية إلى الأبي هاشمية والحنفية وبقايا الكيسانية ، وتمكنت من خراسان فظهرت في الأبي مسلمية ، ومع أن أبا مسلم الخراساني حارب الدعوات الغنوصية إلا أن هذه الدعوات استخدمت اسمه وادعت ان الإله قد حل فيه ، وما كان أشبه دعوتهم بدعوة عبد الله بن سبأ للإمام علي . وأعلن الراوندية ألوهية أبي جعفر المنصور ، وادعى فريد بن ماه قروذين وسنباذ المجوسي النبوة ، بينما ادعى المقنع الخراساني الألوهية . وفي عهد المعتصم ادعى بابك الخرمي ومازيا المجوسي الألوهية ، وقاوم المتكلمون كل هذه الطوائف والدعوات الغنوصية ، بل إن علم الكلام قام أساساً للرد على هؤلاء . وما تزال الغنوصية حتى اليوم منتشرة في الهند وباكستان وإيران والعراق وسوريا ولبنان والكويت والخليج العربي حيث الاسماعيلية والقاديانية والعلويين والدروز والبابية والبهائية . ونفذ الغنوص إلى فكر كثير من المفكرين الاسلاميين كالغزالي الذي قيل فيه إنه باع الفقه بالتصوق ، ودخلت فكرة الثنائية الغنوصية في الفلسفة الصوفية حيث قالوا بأن الرسول ﷺ هو العقل الأول ، ومنه خرج النوس أو النفس ثم اللوغوس أو الكلمة ثم الأنتروبوس أو الإنسان الكامل ، ثم الأيونات أو الكائنات الروحية حتى نصل إلى المادة أصل الشر في العالم ، وكان الحلاج والسهروردي وعين القضاة الهمذاني وابن سبعين والتشتري ومحي الدين بن عربي من ضحايا الغنوص ، حتى ادعى ابن عربي والشلمغاني حلول روح الله فيهما . ومن المذاهب الهندية الغنوصية التي عرفها الإسلاميون « البددة» جمع «بد » تحريف بوذا ، حتى ان ابن سبعين كتب كتابه « بد العارف » وكان يقصد البوذية وانقسم الهنود إلى السمنية المعطلة التي تقول بالتناسخ ، والبراهمة الملحدة . وقد نفذت هذه المذاهب الهندية إلى التصوف الإسلامي ، ومن ثم نجد هذا التصوف على أحد أمرين ، إما أنه تصوف فلسفي متلق عن هؤلاء ، وإما تصوف سني نشأ في رحاب القرآن والسنة . ووقف الإسلام من الغنوص الشرقي كما وقف من الغنوص الغربي (الأفلاطونية المحدثة) موقف العداء والحجاج .

غورغياس .... Gorgias

(نحو ٤٨٠ ـ ٣٧٥ق.م) من مواليد ليونتيوم في صقلية ، قدم إلى أثينا سائلاً العون لبلدته ضد أهل سراقوصة فنال إعجاب الأثينيين ببلاغته وحكمته ويعتبره البعض من السوفسطائيين ، ويعده آخرون مجرد مدرس بلاغة ، لكنه اشتهر بكتابه « **في اللاوجود On That Which Is Not** » وينقسم أقساماً ثلاثة ، يقول في الأول أنه لا يوجد شيء ، وفي الثاني أنه حتى لو كان هناك شيء فالإنسان عاجز عن إدراكه ، وفي الثالث انه حتى لو أدركه فليس بوسعه أن يبلغه لغيره .

حرف الفاء

الفارابي ... **Alfarabi**

(نحو ٨٧٣ ـ ٩٥٣ م) أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي ، ولد بقرية فاراب بجنوبي التركستان وشمالي فارس ، وتعلَّم ببغداد ، وكان من أساتذته يوحنَّا بن حيلان من المناطقة البارزين ، وأبو بشر متَّى بن يونس الأرسطاطاليسي المرموق ، ودرس بالإضافة إلى الفلسفة علم الطبيعة . والرياضيات والفلك والموسيقى ، وبرع كعازف للقانون ، وقضى فترة ببلاط سيف الدولة الحمداني في حلب ، لكنه كان في حياته كلها زاهداً ينشد السعادة في القناعة والعزلة والتأمّل ويستغني بالكتب عن الصحاب .

وسمي الفارابي بالمعلم الثاني ، وأرسطو بالمعلم الأول ، بالنظر إلى أن أرسطو هو الذي أرسىٰ قواعد المنطق وجعله فاتحة العلوم الحكيمة ، ثم دوَّن الفارابي ما جمع وترجم من مؤلّفات أرسطو في كتابه « التعليم الثاني » ، ورتبها وهذَّب مصطلحاتها العربية ، وصارت طريقة الفارابي هي الطريقة المتّبعة في شرح منطق أرسطو وتيسير دراسته للراغبين ، واشتهر في أوروبا باسم الفارابيوس Alfarabius وبأبي نصر Avenasar ، وهو من أكبر الفلاسفة المسلمين ، ويعده ابن خلدون فوق ابن سينا وابن رشد ، وإن يكن ابن سينا قد غطَّى عليه في أوروبا ، ثم غطَّى ابن رشد عليهما معاً . وللفارابي كتب كثيرة أشهرها « **التعليم الثاني** » ، و « **المدينة الفاضلة** » ، و « **الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو** » ، و « **تحصيل السعادة** » ، و « **عيون المسائل** » ، و « **إحصاء العلوم** » ، و « **أغراض الحكيم** » ، و«**كتاب الموسيقى الكبير** » ، يجمع فيها بين آراء أفلاطون وأرسطو وأفلوطين ، غير أن له إضافات وإسهامات أشهرها نظريته في النبوّة . والفلسفة عنده هي العالم بالموجودات بما هي موجودة ، وهي العلم الجامع الذي يعطي الإنسان صورة شاملة للكون ، بينما تنصرف العلوم الجزئية إلى تفاصيله . ونظرته الشاملة هي التي جعلته يتجاهل الفوارق بين أفلاطون وأرسطو ، وينبّه إلى أوجه الشبه ، ويؤلّف بين الفلسفات الغربية وبينها وبين الإسلام . وله رأي في المعاني الكلية ، أنها سابقة على الجزئيات ، وأنها موجودة في الجزئيات ويستخرجها العقل بالتجربة فتوجد في الذهن بعد الجزئيات ، فكأنه جمع بين مذاهبها الثلاثة . والوجود من المعاني الكلية ، بمعنى أنه صفة تحمل على موضوع في القضايا المنطقية ، ولكنه في الواقع لا يصدق على شيء بالذات ، لأنه لا معنى أن نقول عن الموجود بأنه موجود ، وليس وجود الشيء إلَّا الشيء نفسه . والوجود عنده ضربان ، والموجودات إمَّا واجبة الوجود وإمَّا ممكنة الوجود . وإذا

فرضنا ممكن الوجود غير موجود لم يلزم عن افتراضنا شيء . وإذا وجد صار واجب الوجود بغيره ، لأن الممكن لكي يخرج إلى الوجود لا بد من علة تخرجه ، والعلل لا تتسلسل إلى ما لانهاية وإلاَّ نقع في دور ، ومن ثم لا بد أن ننتهي إلى موجود واجب الوجود لا علة لوجوده هو الموجود الأول ، وهو السبب الأول لوجود الموجودات ، وهو بلا مادة ومن ثمَّ فهو عقل بالفعل ، ويعقل ذاته فهو عاقل بالفعل ، وذاته تعقله فهو معقول بالفعل ، فهو العقل والعاقل والمعقول بالفعل ، فهو الواحد الكامل ، وهو الله . ونحن نستدل على وجوده بموجوداته ، والأصل في وجودها علم الله لا إرادته ، ويتأتَّى علمه من تعقله لذاته ، وعلمه هو قدرته ، ويكفي أن يعلم الله الشيء ليتحقق علمه في الوجود ، ومن علم الله يفيض منذ الأزل الموجود الثاني بعد الله ، وهو العقل الأول ، وهو يعقل الموجود الأول فيصدر عنه العقل الثاني ، ويعقل ذاته فيصدر عنه جسم الفلك الأول ، وهكذا تصدر العقول والأجسام عن بعضها البعض في ترتيب تنازلي ، وينقسم الوجود إلى عوالم عقلية وعوالم مادية ، والعوالم العقلية عددها عُشرة هي العقل الأول وعقول الأفلاك والعقل الفعال ، والعوالم المادية هي الأجسام هي أجسام الأفلاك فجسم الإنسان فالحيوان فالنبات فالمعادن فالعناصر الأربعة . ويتوسّط العقل العاشر بين العالم العلوي والعالم السفلي ، ويسميه الفارابي العقل العاشر ، ويسميه علماء الكلام جبريل أو الوحي ، وهو الذي يضع الصور في أجسام العالم السفلي أو عالم ما تحت فلك القمر ، وبفعله يتحول العقل بالقوة في الإنسان إلى عقل بالفعل ، وهو مصدر المعرفة التي يفيض بها إشراقاً أو إلهاماً ، أو كشفاً على الفلاسفة والعباقرة والأنبياء والأولياء ، وهو يهب المعرفة للأنبياء وإضرابهم بواسطة المخيلة ، ولكنه يهبها للفلاسفة ومن ينهج منهجهم بواسطة العقل المستفاد في الإنسان ، فكأنَّ الفارابي يضع الفيلسوف في مرتبة أرقى من النبي ، طالما أن العقل أرقى من المخيلة . وهكذا تجعل نظرية العقول العشرة السابقة العالم قديماً أزلياً طالما أنه صادر عن الله صدور المعلول عن العلة . وتصدر النفوس عن العقل العاشر ، ولكل مخلوق نفس ، وهي التي تهب العالم المادي صورته ، والنفس الإنسانية صورة البدن ولا توجد بدونه ، ولا تنتقل النفوس من بدن لبدن كما يقول تناسخ الأرواح عند الهنود .

والعقل في الإنسان يكون بالقوة ، أي يكون استعداداً لإدراك المعقولات مستقبلاً كما هو حاصل عند الأطفال ، فإذا ما أدرك صور المحسوسات صار بالفعل ، وانتقال العقل من القوة إلى الفعل لا يتم له بالإرادة ، لكنه عمل العقل الفعّال الذي يسمَّى فعالاً لأنه يفعل في العقل الإنساني فيتحول من الإدراك الحسي إلى الإدراك العقلي ، كما هو حاصل للراشدين . ويسمي الفارابي العقل بالفعل عقلاً بالملكة . وللإنسان كذلك عقل مستفاد هو أسمىٰ درجات العقل الإنساني ، وهو نمط العقل الذي للفلاسفة والأنبياء والأولياء ، يتأثر بالعقل الفعال فيدرك المعاني الكلية ، ولهذا السبب يجعل الفارابي أصحاب العقول المستفادة على رأس مدينته الفاضلة ، لأنهم أقدر الناس على معرفة الخير وهداية الناس بحكم أنهم المتلقون لفيض العقل الفعال ؛ ولهذا السبب يجعل الفارابي التأمّل العقلي هو طريق المعرفة والأخلاق وتحقيق السعادة ، فالعقل سابق على العمل ، والعمل تابع للعقل .

فاشية Fascism

أيديولوجية الحركة التي استولت على السلطة في إيطاليا سنة ١٩٢٢ بزعامة بنيتو موسوليني ، واستمرَّت في الحكم حتى غزو الحلفاء لإيطاليا خلال الحرب العالمية الثانية . وهي خليط من الأفكار الاشتراكية المتطرفة والنقابية والهيجلية والشوفينية ، ومنظرها الفيلسوف الإيطالي جيوفاني جنتيله ، وكان اشتراكياً حتى سنة ١٩١٥ ، ولكنه انضمَّ إلى موسوليني ووضع ميثاق الحركة الذي نقحه موسوليني ونشره سنة ١٩٣٢ .

وتطلق الفاشية بشكل عام على الحركات المشابهة في أي بلد من بلدان العالم ، ويعرفها جنتيله بأنها حركة روحية بمعنى أنها تهدف إلى بعث روح الشعب وتجميعه حول أهداف عامة ، فبينما تؤكّد الليبرالية والاشتراكية والديموقراطية على حقوق الأفراد ، تقول الفاشية بتكامل الأفراد في شكل أمة لها غايات تتجاوز حاجات وآمال الأفراد . وبينما تعتبر الليبرالية الدولة مؤسسة كبرى هدفها حماية حقوق الإنسان ، فإن الفاشية تنظر إلى الدولة بوصفها التجسيد العملي لآمال الشعب كله . ولذلك تعارض الفاشية الاقتصاد الرأسمالي الحر والأخلاقيات البورجوازية القائمة عليه ، وتناهض الاشتراكية لأنها تقول بالصراع الطبقي الذي يقسم الأمة على نفسها ، وتلغي الأحزاب لأنها تجمع بين أصحاب المصالح الواحدة ليعملوا ضد أصحاب المصالح المتعارضة وبذلك تفتت الوحدة الوطنية ، وتضعف الجبهة الداخلية ، ولكن الفاشية تؤلّف بين كل المصالح المتضاربة بخلق نظام وطني يقرب بين الفوارق ويذيب كل الفئات في أهداف وطنية عامة من أجل خلق أمة قوية ، ومن ثمَّ فالحرية هي حرية الحكومة التي لا تسمح لأية أيديولوجيات دينية أو علمانية أن تزاحمها على ضمائر الأفراد فتحيد بها عن أهدافها العامة . وليست الفاشية حركة عنصرية موجهة ضد أجناس أخرى كالنازية ، ولكنها حركة وطنية شوفينية تتوسل بالحرب للتوسع ، ومن ثمَّ كانت أعلى مراحل الإمبريالية . ويستقي موسوليني أفكاره من جنتيله وهيجل بالإضافة إلى جورج سوريل وشارل بيجي وهوبرت لاجارديل ، ومن هؤلاء وخاصة من سوريل أخذ فكرة أن العمل أهم من الفكر ، ويعني بالعمل العنف كوسيلة لقلب الحكومات والاستيلاء على السلطة والتخلص من الخصوم ، ومن ثمَّ لا تطبق الفاشية الوسائل البرلمانية والديموقراطية . وقد استولى موسوليني على السلطة بمظاهرة عامة سارت فيها جموع الفاشيين من كل إيطاليا إلى روما في حركة لانبعاث الروح الملحمية للشعب كما يقول سوريل .

فالينتينية **Valentinianism**

نسبة إلى فالينتينوس (نحو ١٥٠ م) مؤسّسها وأول رئيس لمدرسة من أكبر المدارس الغنوصية المسيحية . وكانت نشأته بالإسكندرية نشأة مسيحية ، ورحل إلى روما في زمن البابا هيجينوس ، وارتدَّ عن المسيحية بسبب تخطيهم لاسمه ضمن المرشحين لمناصب الأساقفة ، ويقال إنهم آثروا عليه بيوس (البابا بيوس فيما بعد) . وتجيء معظم معلوماتنا عن المذهب الفالينتيني من المكتبة القبطية التي اكتشفت بنجع حمادي من صعيد مصر . وتنقسم الفالينتينية إلى شرقية ويمثلها ثيودوتس ، وغربية ويمثلها هيراقليون وبطليموس ومرقس . ويصفها البعض بأنها الخط الأفلوطيني الصحيح بين الغنوصيين ، ويردّها البعض إلى تأثيرات فيثاغورية ، إلّا أنها في النهاية خليط من المسيحية والشطحات الباطنية .

فاينجر .... **Vaihinger**

(١٨٥٢ ـ ١٩٣٣) حنا فاينجر ، ألماني ، صاحب فلسفة « كأن » ، وكان جم النشاط ولكن بصره الكليل أقعده عن همته وأكرهه على اعتزال التدريس الجامعي (١٩٠٦) ، وعاش لذلك حياة دون قدراته ، وجاءت فلسفته وليدة ظروفه ، وأطلق عليها اسم **الاختلاقية** **Fictionalism** ، وشرحها في كتابه الرئيسي « **فلسفة كأن** **Die Philosophie des Als - Ob** » (١٩١١) ، وقال إن الواقع يقصر دون الوفاء بطموح الإنسان ، ومن ثم كانت حاجته الدائمة إلى اختلاق عالم يستكمل به هذا الواقع ، وهو يعرف أن اختلاقاته Fictions لا أساس لها من هذا الواقع ، ولكنه يتمسك بها لأنها مفيدة عملياً ، ومع ذلك فلا ينبغي الخلط بين الاختلاقية والبراجماتية ، لأن البراجماتية تتناول الوقائع وتقومها بقدر فائدتها العملية وليس من وجهة صحتها وصدقها ، أما الاختلاقية فهي تختلق الأفكار اختلاقاً وتعرف أنها غير صحيحة ولكنها تصر عليها لفائدتها العملية . وليست الاختلاقية فلسفة شكية ، لأنها لا تشك في

صدق اختلاقاتها فهي تعرف أنها كاذبة مقدماً . وتختلف الاختلاقات كذلك عن الفروض ، لأن الأخيرة تخضع لمبدأ التحقق من صدقها ، أما الاختلاقات فهي كاذبة مقدماً . ونحن نختار من بين الفروض أكثرها احتمالاً للصدق ، ولكننا نختار من بين الاختلاقات أكثرها لزوماً . وتتّصف الاختلاقات ببعدها عن الواقع ، وتناقضها أحياناً مع نفسها ، وأنها مؤقتة ، وأن مستخدمها يدرك أنها غير صحيحة ، وأنها وسيلة لغاية . وهو يقول إن فكرة الألوهية فكرة مختلقة ومع ذلك فهي لازمة إنسانياً ، وكذلك فكرة الذرة في العلم الطبيعي ، وفكرة مادية العالم ، والقوة الحيوية في علم الأحياء ، والعقد الاجتماعي في العلوم الاجتماعية .

فتجنشتاين .... Wittgenstein

(١٨٨٩ ـ ١٩٥١) لودفيج يوسف يوحنّا فتجنشتاين ، نمساوي ، جده لأبيه يهودي اعتنقَ البروتستنتية ، وتزوّج أبوه كاثوليكية ، وعمد لودفيج كاثوليكياً ، وكان أبوه شديد الثراء وصاحب أول شركة (كارتل) تحتكر صناعة الصلب في النمسا ، وكانت الأم محبة للموسيقى ، وأولادهما السبعة موهوبين ، والبيت نادياً ثقافياً يؤمّه رجال الأدب والفكر ، ومن زوارهم كان المؤلف الموسيقي الأشهر برامز ، وصار أحد الأبناء عازفاً مشهوراً على البيانو ، وأتقن لودفيج العزف على الكلارنيت ، وأظهر ولعاً بالرياضيات وشغفاً بالأدب والفلسفة ، وكان له أسلوب رفيع وعبارة جزلة ، وسافر إلى إنجلترا يدرس الهندسة ، لكنه قرأ رسل فتحول إلى الرياضيات والفلسفة يدرسهما عليه ، وجلس إلى جورج مور فأذهله بملاحظاته ، وعاشَ كالراهب حياة زهد جرَّب فيها التنويم المغناطيسي ليكتسب صفاء الذهن حتى يستطيع التفرغ كلية لمسائل المنطق ، ورحل إلى النرويج ليعتزل الناس ويعيش لأفكاره ، وتطوّع في سلاح المدفعية خلال الحرب العالمية الأولى وسقط في الأسر ، ومن داخل معسكر الأسر أنهىٰ كتابه الأول الذي نشر بعنوان الرسالة المنطقية الفلسفية (١٩٢١) ، وقرأ تولستوي فاعتنق زهده وتبتله ، وانصرف عن الدنيا إلى قرية صغيرة يعلم فيها الأطفال ، وورث أباه فأرسل إلى المجلة الأدبية Der Bsenner يتبرع بجزء من ميراثه لشعراء النمسا المعوزين ، وكان لريلكه وتراكل نصيب فيما تبرَّع ، ووهب الباقي لأختيه ، وحاول دخول الدير وقنع بالسكنى إلى جوار بستاني ، واشتهرت رسالته فقدم الفلاسفة يسعون إليه في قريته ، منهم فرانك رامزي وشليك وفيزمان ، وأقنعه شليك بحضور اجتماعات جماعة فيينا ، وأسر إليهم ببعض أفكاره ، وعاد إلى كيمبردج (١٩٢٩) وقدم رسالته ليحصل بها على الدكتوراه ، وعيّن بها أستاذ للفلسفة ، وكانت محاضراته حدثاً جليلاً ، وكان رسل ومور يحضرانها، وكان فتجنشتاين يلقيها كرهبان الفكر ، يرتدي قميصاً مفتوحاً وملابس عارية ، وحجرته تكاد تقتصر على بضعة كراسي وطاولة ، وكان كثير الاكتئاب ، عزوفاً عن الاجتماعات والمناقشات ، ولكنه كان رقيق القلب كريماً إلى أقصىٰ حد ، صديقاً صدوقاً ، وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية لم يستطع أن يقف متفرجاً ، وحاول أن يتطوع ليخدم في أي شيء لكنهم لم يقبلوه ، ولم يجد إلاَّ وظيفة بواب بمستشفى أحد الأحياء بلندن ، ثم فراش بمعمل البحوث الإكلينيكي ، وعادَ إلى كمبردج (١٩٤٤) لكنه كان قد زهد التعليم الجامعي وساءه أن لا يفهمه الناس ، وكان يهوى العزلة ويريد التفرغ للكتابة ، فاستقال (١٩٤٧) وعاش في دبلن ، ثم سافر إلى أمريكا لمدة ثلاثة شهور ، وعادَ إلى لندن مريضاً ليكتشف أنه مصاب بالسرطان ، فأخذ يكتب بنهم ويزور الأصدقاء ويسافر كثيراً واشتدَّت وطأة المرض ومع ذلك كان ذهنه أصفى ما يمكن وأفكاره التي دوَّنها شديدة النصوع ، وعندما أخبره طبيبه أن النهاية أوشكت كانت آخر كلماته قبل أن يفقد الوعي : حسن ، قل لهم إن حياتي كانت مترعة ! وكان غريباً أن تكون لكتاباته كل هذا التأثير الذي كانت له على الفكر البريطاني وهو النمساوي ،

ولم يختلف النقاد في تقييمهم لفيلسوف مثلما اختلفوا بصدده ، وتطرفوا بشأنه فهم بين مفرط مؤيّد حتى ليعدونه من أنبياء الفلسفة بل مسيحها المعاصر ، ومسخف مناهض والمسؤول عن الهبوط بها إلى الدرك الأسفل ، والنقيض الأمثل حيث اللاّفلسفة ، وأياً ما كان الرأي فيه فلن يستطيع أحد أن ينكر أصالته وجدته في التحليل المنطقي وفلسفة اللغة .

ولم ينشر فتجنشتاين خلال حياته إلاّ رسالته وبحثاً موجزاً بعنوان « **ملاحظات على الصورة المنطقية Some Remarks on Logical Form** » (١٩٢٩) ، لكن تلاميذه نشروا له بعد وفاته « **مباحث فلسفية Philosophical Investigations** » (١٩٥٣) ، و « **ملاحظات على أسس الرياضيات Remarks on The Foundations of Mathematics** » (١٩٥٦) ، وجمعوا محاضراته تحت عنوان « **الكتابان الأزرق والبني : دراسات تمهيدية للمباحث الفلسفية The Blue and Brown Books: Preliminary Studies for The Philosophical Investigations** » (١٩٥٨) و « **مذكرات** Notebooks » (١٩٦١) .

وتنقسم فلسفته إلى فترتين ، في الأولى كتب رسالته ، وفي الثانية غير الكثير من آرائه ولم ينشرها في حياته . وكتابه الرسالة بحث جامع شديد التركيز لا يعدو الثمانين صفحة ، على شكل ملحوظات مرقمة ، وصفه إريك ستنياس بأنه موسيقي في بنائه ، وللأرقام فيه إيقاع توكيدي يعلو سبع مرات بقضاياه السبع التي يطرحها ، وهو يقصر جهده كفيلسوف على محاولة استكشاف الأسباب التي تجعل لبضعة كلمات تتكون منها جملة مفيدة القدرة على تمثيل واقعة من وقائع عالمنا ، والتي تجعل بمقدورنا ربط بضعة كلمات معاً في نسق خاص أن نقول شيئاً لشخص ما ، ويصف الجملة بأنها صورة Picture بالمعنى الحرفي ، ويروي ما جعله يصفها بأنها صورة ، فقد تصادف أن قرأ في إحدى المجلات عن حادث سيارة وكيف استنارت المحكمة ببيان عملي للحادث بواسطة بضعة دمى أو نماذج لأفراد الحادث وطريقة وقوعه . والجملة عنده نموذج للواقع كما نراه، بمعنى أننا حينما نصوغ جملة فإننا نبني نموذجاً للواقع . ويدلّل على ذلك بأنه برغم أننا نستوضح معاني الألفاظ التي لا نعرفها ، فإننا بمجرد سماعنا الجملة تتكون من ألفاظ مألوفة نفهمها دون حاجة أن يشرحها لنا أحد . وأنا أفهم الجملة دون أن يشرحها لي أحد لأنها تكشف (Shows) عن معناها ، وتصور الأشياء لو كانت جملة صادقة ، وهو ما تفعله الصورة . وكل صورة عبارة عن عناصر تقابل عناصر الواقع الذي تمثله . فإذا كان عنصر من عناصرها يمثل رجلاً ، وعنصر آخر يمثل بقرة ، فإن العلاقة بين عناصر الصورة قد تبيّن أن الرجل يحلب البقرة . والصورة واقعة Fact بمعنى أن عناصرها ترتبط بعلاقات لها شكل معين ، وواقعة الصورة Picture Fact هي التي تبين أن الأشياء التي تمثلها عناصر الصورة تترابط في علاقات بنفس الطريقة التي تترابط بها عناصر الصورة . وطالما أن الجملة صورة فلا بد أن تتضمن نفس العدد من العناصر التي تتضمنها الواقعة التي تصورها، ولا بد أن يكون هناك شيء مشترك بينهما، هو الشكل المنطقي Logical Form ، أو شكل الواقع Form of Reality ، ويفسر فتجنشتاين ذلك بأن الأشياء في العالم تترابط فيما بينها بعلاقات مثلما تترابط عناصر الصورة ، وطالما أن الجمل صور فإن لها نفس الشكل الذي للواقع الذي تصوره . ومن الممكن أن نشرح عناصر الصورة لكننا لا يمكن أن نشرح معناها ، فإذا قلنا إن أ أكبر من ب ، بوسعنا أن نبيّن المقصود من أ وما تمثله ب ، ومعنى أكبر ، أي نفهم عناصر الجملة وكيف تترابط ، لكننا لا يمكن أن نحدد ما تعنيه الجملة ، ومع ذلك فنحن نفهمها ، لأن الجملة تكشف عن معناها ، فكل ما يمكن أن يُقال يمكن أن يُقال بوضوح ، لكن ليس كل ما نفهمه يمكن أن نقوله . وذلك مضمون نظريته في الصور The Picture Theory ، وهو ما يعده جهده الأكبر ، أن يبين أن الجملة صورة ، وأن يلفت النظر إلى ما يمكن أن يُقال بالكلمات ، وما لا يمكن أن يُقال ولكن من

الممكن الإبانة عنه ، وتلك هي مهمة الفلسفة الكبرى .

ونظرية الصور هي نفسها نظرية في طبيعة الأفكار ، لأن الفكرة جملة لها معنى ، ويعني ذلك أن التفكير مستحيل دون لغة ، وطالما ان الفكرة جملة ، والجملة صورة ، فالفكرة صورة ، ومجموع الأفكار الصادقة صورة صادقة للعالم . وعندما نقول الفكرة جملة ، لا ينبغي أن نفهم أن مكونات الجملة هي نفسها مكونات الفكرة ، ذلك لأن مكونات الفكرة سيكولوجية وتختلف في طبيعتها عن مكونات الجملة ، لكن الفكرة صورة مثلما الجملة صورة ، ولها شكلها المنطقي ، ومن ثم فهي بمعنى من المعاني جملة . وكل ما يمكن إدراكه يمكن تصويره ، ويمكن طرح فكرتنا عنه في جملة منطوقة أو مكتوبة ، وما لا يمكن إدراكه لا يمكن التفكير فيه أو تصويره . ولعل إحدى المهام التي تضطلع بها الفلسفة هي الكشف عما لا يمكن التصريح به أو التفكير فيه من خلال تحديدها بشكل واضح لما يمكن التفكير فيه والإعلان عنه ، ومن ثم ندلل لمن يريد أن يتكلم في الميتافيزيقا ان ما يطرحه من علاقات أو رموز لا يمثل الواقع ، وليس هناك ما يقابله في الواقع ، ومن ثم فهو غير قابل للتعقل أو التفكير ولا معنى له . ولا يعني ذلك ان فتجنشتاين يرفض الميتافيزيقا لكنه يرفض إمكانية تقريرها .

وتتكون الجملة من بضعة علامات ، أو أسماء ، والعلاقة البسيطة هي العلاقة التي لا تتكون من علامات أخرى . مثلاً اسم جون علامة بسيطة Simple Sign ، لكن ملك السويد علامة مركبة ، يمكن تحليلها إلى ما هو أبسط . ويمثل الاسم موضوعاً Object هو معنى الاسم ، ولكنه ليس صورة الموضوع الذي يمثله ، لأن الاسم لا يقول شيئاً . وعندما تترابط الاسماء في جملة فإن ترابطها يصور ترتيباً خاصاً للموضوعات Configuration أو وصفاً أو حالة خاصة تكون عليها A State of Affairs .

وهو يقول إن فكرته عن البسيط The Idea of The Simple فكرة قبلية Apriori تحتمها الضرورة المنطقية حتى يكون للجملة معنى ، ولن يكون لها معنى إلا إذا صيغت بنظام منطقي كامل ، ويقوم النظام المنطقي على البسائط أو الوقائع الذرية Atomic Facts أو الثوابت التي لا تتغير ولا يمكن تحليلها لما هو أبسط منها . والجملة أو القضية Proposition التي تتألف من أسماء **هي جملة أو قضية أولية، لا تقبل التحليل إلى قضايا أخرى، وتمثل وضعاً معيناً يكون عليه عدد من الموضوعات** البسيطة ، وتصور الواقع ، وتكشف عن المعنى المراد بها مباشرة ، بعكس القضية غير الأولية Nonelementary أو المركبة Complex التي تتولد عن القضايا الأولية بواسطة الإنكار أو العطف ، ومن ثم فهي دالات صدق Truth- Functions للقضايا الأولية ، وتدين بمعناها وقيمة الصدق فيها إلى معنى وقيمة الصدق Truth- Value في مركباتها الأولية . ومع ذلك فهناك حالتان من القضايا المركبة لا يتوقف صدقها أو كذبها على صدق أو كذب مركباتها الأولية ، الحالة الأولى صادقة دائماً مهما كانت قيمة الصدق التي تشتمل عليها مركباتها الأولية ، ويسميها تحصيل الحاصل Tautology كأن نقول إما أ أو لا أ ، أو إما أن تكون السماء ممطرة أو غير ممطرة ، والحالة الثانية كاذبة دائماً ويسميها التناقض Contradition ، كأن نقول أ و لا أ أو السماء تمطر ولا تمطر . وهاتان الحالتان نوع منحط أو غير أصيل من القضايا المركبة ، وليست صورة للواقع ، ولا تخبرنا بشيء عن العالم طالما ان قضايا تحصيل الحاصل صادقة في كل الأحوال الصادقة والكاذبة ، وقضايا التناقضات كاذبة في كل الأحوال الكاذبة والصادقة ، ويستثني فتجنشتاين قضايا المنطق والحقائق المنطقية ومبادىء المنطق ، فبرغم أنها تحصيلات حاصل ، ولا تصور الواقع ، بل ونستطيع الاستغناء عنها ، إلا أنها ليست لا شيء ، لأنها تعيننا على استحداث القضايا ، بالطرح (لا - ليس) ، والجمع (إما - أو) ، و الضرب (و - +) الخ ، وكلها عمليات لا تؤدي بنا إلى تقرير جديد عن الواقع ، وما تثبته متوقف على القضايا الأولية التي تقوم عليها .

وطالما أن الجمل أو القضايا الأصلية هي التي تقرر ما عليه الأشياء وليس ما ينبغي أن تكون عليه ، وطالما أن فاعلية الأشياء عارض وليس ضرورة ، وطالما أننا لا نستطيع استخلاص وجود وضع معين من وجود وضع آخر مختلف عنه لأن استخلاص قضية من قضية أخرى لا يجوز إلا إذا كان هناك ارتباط بنائي داخلي بين القضيتين ، **فإن الحديث عن الضرورة في العالم لغو ، فكل شيء في العالم اتفاقي وعرضي إلا قضايا المنطق ومعادلات الرياضيات ، وهي تحصيلات حاصل . أما ما عدا ذلك فليس ضرورة ونحن لا نعرف ما إذا كانت الشمس ستشرق غداً .**

وأن أريد شيئاً خلاف أن يحدث ما أريد ، ومن ثم فأي ارتباط بين الارادة وما يجري في العالم محض اتفاق ، فأنا لا أجعل أي شيء يحدث ، ولا حتى حركة جسمي ، والعالم مستقل عن إرادتي ، ويعبر فتجنشتاين عن ذلك تعبيراً دراميا فيقول إني أعجز من أن أكيف مجريات العالم لإرادتي ، فأنا بلا حول ولا قوة .

وطالما أن كل شيء اتفاقي وليس ضرورة ، وطبقاً لنظرية الصور التي تقول ان القضايا صورة للعالم ، لذلك ليس في العالم شيء له قيمة ، لأنه لو كان لأي شيء قيمة فإن هذه الواقعة لا يمكن ان تكون اتفاقية ، ومن ثم فكل ما يوجد في العالم هو كما يوجد ، وكل ما يحدث كما يحدث ، ولا وجود فيه للقيم ، وإذا وجدت قيم ، فلا قيمة لها . وهو إنكار غير مطلق للقيم ولكن لوجودها في العالم طالما ان القضايا لا تقرر إلا ما يوجد في العالم ، أما ما يخص الأخلاق فلا سبيل إلى تقريره ، لأنه يتجاوز العالم Transcendental . وأما العالم وما فيه فليس خيراً ولا شراً . إن الخير والشر لا يوجدان إلا لذات يتجاوز وجودها وجود الأحداث والعالم ، وهو ما يمكن فقط في التجارب الصوفية ، ولكننا لا يمكن ان نتطرق إلى الحديث فيها ، لا لأنها تجارب ميتافيزيقية مستحيلة ، بل لأنها تتجاوز قدرة اللغة ، فاللغة لا تعبر إلا عن الموجود ، وهذا لا يعني عدم وجود ما يتجاوز طاقتها ، غير أنه غير قابل للتعبير عنه والتحدث فيه ، ولذلك كانت كل القضايا الميتافيزيقية التي تناولها الفلاسفة قضايا عديمة المعنى وإن لم تكن كاذبة ، ولذلك ايضاً كان حديث فتجنشتاين نفسه حديثاً خاوياً وإن كان لا يخلو من فائدة ، ولذلك فهو ينهي كتابه بالعبارة المشهورة « حيثما لا نستطيع الكلام ينبغي أن نصمت Whereof one Cannot Speak Thereof one Must Be Silent» .

ولقد صمت فتجنشتاين مدة خمس عشرة سنة ، كان للرسالة أثناءها تأثيرها الضخم على كثير من المفكرين ، خاصة تلك الجماعة التي كانت تسمي نفسها جماعة فيينا من أصحاب الوضعية المنطقية ، حتى أن رئيسها موريتز شليك ، أعلن ان الرسالة نقطة تحول حاسمة في الفلسفة الحديثة .

ولم يعد فتجنشتاين إلى الخوض في الفلسفة إلا سنة ١٩٢٩ ، وكان خلال مدة الصمت قد راجع فلسفته وتوصل إلى أفكار جديدة ينتقد بها ويعارض أفكاره القديمة ، وقد يرى البعض أن الفلسفة الجديدة لم تكن سوى استمرار وتطور للفلسفة القديمة ، إلا أنه لم يحدث في تاريخ الفكر أن توفر فيلسوف على مذهبين وأنتج فلسفتين، كلاهما أصيل بالغ الأصالة ، قد عبر عنه بأسلوب قوي وعبارة جزلة ، وكانت له أصداؤه وآثاره على الفلسفة المعاصرة .

وكان فتجنشتاين قد قال في الرسالة أن المعنى يمثل الموضوع ، إلا أنه عاد فقال إننا عندما نتحدث عن معنى كلمة في لغتنا العادية ، فإننا في الواقع نتحدث عن المعنى الذي نستخدم به تلك الكلمة ، وعندما نقول عن شخص إنه فهم معنى الكلمة نقصد أنه فهم أو تعلم استخدامها ولذلك نقول إنه قد أصبح عضواً في جماعة لغوية معينة . ويشبّه فتجنشتاين الألفاظ واستخداماتها بالألعاب ، فلكل قواعده المرعية واستخداماته ، بحيث يمكن أن نتحدث عن ألعاب لغوية Language Games في نطاقها أو داخل نشاطاتها تكون للكلمات معان تحكمها الاستخدامات والقواعد ، وكل لعبة لغوية هي صورة من الحياة ،

تنـطوي على مـواقف واهتمـامـات وسلوك ، لكن **الاستعمالات المتنوعة للتعبير أو اللفظ الواحد تكون فيما** بينها عائلة بحكم مـا بينها من تشـابه عـائلي Family Resemblance . وليس للكلمة معنى مطلق ، وليست الأسماء معان لموضوعـات بسيطة كمـا كان يقـول في الرسالة ، لكن معاني الكلمات تحددها استخداماتها في الألعاب اللغوية ، والكلمة قد تكون بسيطة في معناها ، وقد تكون مركبة طبقاً لمقتضى استخدامها . ولا ينبغي أن يصـرفنا حسن التعبيـر ، أو غرابـة الاستعمال ، أو الأفكار والفروض عن الغايات التي تهدف إليها الجملة أو التعبير . وهو يتحول من التحليل الذي دعا إليه في الرسالـة ، إلى الوصف الـذي غايتـه معرفـة استخدام الكلمة أو التعبير . وكان فتجنشتاين يقول في الرسالة ان الجملة لها معنى لأنها صورة ، ولكنه في المباحث يقول إن معنى الجملة هو استخدامها أو تطبيقها Use or Employment or Application ، فـالجملة قـد تكـون صحيحة نحوياً ولكنها غير مفهومة لأننا لا نعرف ظروف النطق بها أو كتابتها . واستخدام الجملة هو ظروفها ، وهو اللعبة اللغوية الذي يضطلع فيها بدور . وقد يظن البعض أنه يعني بالاستخدام Use الاستخدام العادي أو الصحيـح ، لكن فتجنشتاين ليس الفيلسـوف اللغوي العـادي ، وإنما هـو يدرس الاستخـدامات الحيـاتيـة والمتخيلة التي يمكن أن تنير طريق الفيلسـوف ، وليست اللعبات اللغوية إلا وجوه مقارنة هدفها إنارة وقائع اللغة بالمشابهـات والمفارقـات . ومجرد إطـلاق اسم على شيء لا يعني أنه الشيء ، وإنما ينبغي لمن يريد أن يتقن لعبة اللغة أن يلم بالظروف التي استخـدم فيها الاسم والعبارة ، والسلوك الذي رافق استخدامهما ، ولا سبيل لفهمهمـا إلا بـالنـظر إليهمـا كـأدوات وإلى المعنى كاستخدام .

فرانكلين Franklin

(١٧٠٦ ـ ١٧٩٠) بنيـامين فرانكلين ، مـوسوعي أمريكي ، ارتبط اسمه بإعلان الاستقـلال الأمريكي ، وبالنضال من أجل الوحدة الوطنية وإلغاء الرق ، واشتهر كـأخـلاقي بكتـابيـه « **تقـويم ريتشـارد** » و «**السيرة الذاتية** » ، وحكمته التي يطرحها فيهما عملية من شأن الآخذ بها ، مهما كان أصله المتـواضع أن ينجـح في الحياة ، ويكون لوجوده فيها معنى ، ولذلك لاقت كتبه رواجاً كبيراً . وهو في مسائل الدين يعتقد بوجود إله ، ولكنـه من أتباع مـذهب المؤلهين الـطبيعيين ، ويؤمن بالوجود الموضوعي للطبيعة وقوانينها ، وهو طارح شعار « لنجرب » كمعيار للصدق الموضوعي لأي فرضيـة ، وصاغ هو نفسه عدداً من القوانين الصحيحة في طبيعة الكهرباء ، وبرهن على أنها قوة أولية من قوى الكون ، كالجاذبية والحرارة والضوء ، وبذلك أضاف بعداً أو كيفاً جديداً إلى أبعاد المادة . وقال فرانكلين إن لـلأخلاق بعداً سياسياً ، وأن المواطن الصالح هو الذي يشارك في إقامة الحكومة العادلة ، والحكومة العادلة هي التي تؤمن الحياة الصالحة للمواطن ، وكان قريبـاً في أفكاره من لوك ومفكري عصر التنوير .

فرقة ناجية

أهـل السنـة والجمـاعـة ، وهـم الـذين قـال فيهم الرسول : « ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل ، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، تزيد عليهم ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة . قالوا : يـا رسـول اللّه ، ومـا الملة التي تتغلب ؟ قال : ما أنـا عليه وأصحـابي » . واتفق جمهـور أهل السنـة والجماعـة على أصول من أركان الدين ، فأثبتوا الحقائق والعلوم ، وقالوا بتضليل نفاة العلم وسائـر الأعراض ، وبتضليـل السوفسـطائية الذين ينفون العلم وحقائق الأشياء كلها ، وكذلك الذين شكوا في وجود الحقائق ، وكذلك الذين قالوا منهم بأن حقائق الأشياء تابعة للاعتقاد . وأجمعوا على أن العالم كل شيء غـير الـلّه عز وجل ، وعلى أن كل ما هو غير اللّه وغيـر صفاتـه الأزلية مخلوق مصنـوع ، وعلى أن صانعه ليس بمخلوق ولا مصنـوع ، ولا هو من جنس

العـالم ، ولا من جنس شيء من أشيـائـه ، وعلى أن الحوادث كلها لا بد لها من محدث صانع ، وأنه خالق الأجسام والأعراض ، وأنه قديم لم يزل موجـوداً على خلاف قول المجوس . وأجمعوا على إحالة وصفه بالصورة والأعضاء على خلاف قول المشبهة والمجسمة، وأنه واحد على خلاف قول الثنوية والنصارى وقالوا في صفات اللّٰه إنها أزلية ، وأن كلامه صفة أزلية . وقالوا في أسمائه إن مأخذها التوقيف عليها إما بالقرآن ، وإما بالسنة الصحيحة ، وإما بإجماع الأمة ، ولا يجوز إطلاق اسم عليه من طريق القياس . وقالوا في عدل اللّٰه إنه تعالى خالق الأجسام والأعراض خيرها وشرها ، وخالق اكساب العباد ، ولا خالق إلا اللّٰه ، والهداية من اللّٰه لجميع المكلفين . وأثبتوا الرسل من اللّٰه تعالى إلى خلقه على خلاف قول الإلهيين المنكرين لهم مع قولهم بتوحيد الصانع . وقالوا الإسلام مبني على خمسة أركان : شهادة أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمداً رسول اللّٰه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام ، وأن من أسقط وجوباً ركناً من هذه الأركان الخمسة أو تأولها كما تأولت غلاة الرافضة فهو كافر . وقالوا أصول أحكام الشريعة الكتاب والسنة وإجماع السلف ، وأكفروا من لم ير إجماع الصحابة حجة . وقالوا إن أفعال المكلفين خمسة أقسام ، واجب ومحظور ومسنون ومكروه ومباح ، وأن الواجب من المكلف من معرفة أو قول أو فعل فإنما وجب عليه بأمر اللّٰه تعالى إياه به ، وكل ما حرم عليه فعله فبنهي اللّٰه تعالى عنه ، وهذا خلاف قول القدرية أن التكليف يتوجه على العاقل بخاطرين يخطران بقلبه ، أحدهما من قبل اللّٰه يدعوه إلى النظر والاستدلال ، والآخر من قبل الشيطان يدعوه إلى العصيان وينهاه عن طاعة الخاطر الأول . وقالوا إن اللّٰه قادر على إفناء جميع العالم جملة ، وعلى إفناء بعض الأجسام مع بقاء بعضها ، خلاف قول من زعم من القدرية أنه يقدر على إفناء كل الأجسام بفناء يخلقه لا من محل ، ولا يقدر على إفناء بعض الأجسام مع بقاء بعضها ، وقالوا إن الخلود في النار لا يكون إلا للكفرة بخلاف قول القدرية والخوارج بتخليد كل من دخل النار فيها . وقالوا بدوام نعيم الجنة على أهلها ، ودوام عذاب النار على المشركين والمنافقين ، خلاف من زعم أنهما يفنيان بفناء مقدورات اللّٰه . وقالوا بخلق الجنة والنار خلاف قول من زعم أنهما غير مخلوقتين . وقالوا الإمامة فرض واجب على الأمة لإقامة الإمام ، وطريق عقدها للإمام في هذه الأمة الاختيار بالاجتهاد ، وليس من النبي نص على إمامة واحد بعينه ، وأن من شرط الإمام العلم والعدالة والسياسة ، وأوجبوا من العلم له مقدار ما يصير به من أهل الاجتهاد في الأحكام ، وأوجبوا من عدالته أن يكون ممن يجوز حكم الحاكم بشهادته ، وليس من شرطه العصمة من الذنوب كلها، خلاف قول من زعم أن الإمام يكون معصوماً من الذنوب كلها ، والإمامة تنعقد بمن يعقدها من أهل الاجتهاد والعدالة الذي يصلح للإمامة هو نفسه . ولا تصح الإمامة إلا لواحد في جميع أرض الإسلام ، إلا أن يكون بين الصقعين حاجز من بحر أو عدو . وقالوا بإمامة أبي بكر بعد النبي ، وبتفضيل أبي بكر وعمر على من بعدهما ، وبموالاة عثمان وتبرأوا ممن أكفره ، وبإمامة علي في وقته . وقالوا أن أصل الإيمان المعرفة والتصديق بالقلب ، خلاف قول الزاعمين أن الإيمان هو الإقرار الفرد ، أو ان اسم المؤمن يزول عن مرتكبي الذنوب ، وان اسم الإيمان لا يزول بذنب دون الكفر ، ومن كان ذنبه دون الكفر فهو مؤمن وإن فسق بمعصية ، وإن قتل المسلم لا يحل إلا من ردة أو زنى بعد إحصان أو قصاص بمقتول هو كفؤه ، وهذا خلاف قول الخوارج وإباحة قتل كل عاصٍ . وقالوا بفضل الأنبياء على الأولياء ، خلاف قول من فضل الأولياء على بعض الأنبياء .

فرويد Freud

(١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) سيجموند فرويد ، مؤسس التحليل النفسي ، يهودي نمساوي، ولد في فرايبورج من أعمال تشيكوسلوفاكيا حالياً ، وتعلم في فيينا

متخصصاً في طب الأعصاب ، ولكنه بتأثير من شاركوه وبروير تحول إلى دراسة الجوانب النفسية فيه ، واستطاع أن يطور كشوف شاركوه وبروير وأن يرسي في بضع سنوات دعائم مدرسة التحليل النفسي التي ما زالت حتى اليوم تمارس تأثيرها في الحياة الثقافية في العالم الغربي والرأسمالي (لا تأثير لها في العالم الشيوعي) ، وأن يعقد أول مؤتمر عالمي للتحليل النفسي في سالزبورج سنة ١٩٠٨ . ورغم أن حوارييه بدأوا في الانفصال عنه والانقلاب عليه ابتداء من سنة ١٩١١ (حيث انفصل أدلر ، وشتيكل سنة ١٩١٢ ، ويونج سنة ١٩١٤ ، ورانك ١٩٢٤) ، إلاَّ أنه اعتبر ذلك منهم ظاهرة طبيعية ومتمشية مع نظريته في التمرد على الأب الذي يعتبره أصل الشعور بالذنب وأساس الحضارة . وظلت شخصيته محورة كشخصية هيجل في الفلسفة حيث صار تاريخ حركة التحليل النفسي هو تاريخ تأييده أو الخروج عليه . وأهم كتبه « تفسير الأحلام » (١٨٩٩) و « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي » (١٩١٦) . وذاعت نظرياته بعد هجرته إلى لندن بعد احتلال النازي للنمسا في الحرب العالمية الأولى ، وكان قد اضطر إلى الفرار بنفسه وأسرته دون أخواته الأربع اللاتي أعدمهن النازي جميعاً . وأهم إنجازاته اكتشافه ووصفه للسلوك غير السوي العصابي والاستحواذي والاكتئابي عند البالغين ، وبدلاً من أن يعتبر هذا السلوك لا معنى له ، فقد اتجه إلى البحث في الظروف المنتجة له ، واعتبره سلوكاً له أهدافه وانه استعارة لمواقف ومخاوف طفولية ، مضمونها جنسي . وكان اكتشاف فرويد للجنسية في الطفولة اسهاماً حقيقياً ، وهو جزء من نظريته في الجنسية التي يفسر في ضوئها اللذة الشرجية والفمية بربطها باللذة التناسلية ، حيث تتوزع اللذة الجنسية على مناطق الجسم المختلفة وتكون مصادر للاستثارة الجنسية تبعاً لمراحل التطور النفسي ، ولكن الوالدين والمجتمع يعملان باستمرار على تقييد مساعي الطفل للإشباع ويوجهانها توجيهاً اجتماعياً ، ومن ثم لا يتم تطور الطفل في يسر وبلا تناقضات ، ولكنه يمر على العكس بسلسلة من الصراعات تلعب فيها أحداث الواقع وخيالات الطفل أدواراً رئيسية . وقد اكتشف فرويد أن هذه الخيالات أو الأوهام سمة من سمات الطفولة ، ولذلك لم يكن فرويد وهو يصف الموقف الأوديبي بأنه موقف يتميز برغبة طفلية في قتل الأب والزواج من الأم ، يقدم صورة أدبية ، ولكنه كان وصفاً مجازياً لأوهام وخيالات طفلية تعبر عن رغبة سيتم في ضوئها فهم أسباب الشعور بالذنب والقلق . وهذا الارتباط بين خيالات الطفولة وحوادثها وظهور سمات معينة في البلوغ هو إحدى السمات الكبرى لفلسفة فرويد ، وفي ضوئه نستطيع فهم ما ذهب إليه من معاني الكبت والتسامي واللاشعور ، فالتجارب المؤلمة جداً تدفعها الذاكرة إلى زوايا النسيان أي يتم كبتها طالما أن الإنسان بطبيعته يسعى للذة ومضطر للتكيف مع الواقع المادي والاجتماعي ، ومن ثم يعاد توجيه الدوافع التي لا تجد لها منصرفاً أي يتم التسامي بها . ولا ينبغي أن نفهم من ذلك أن كل لاشعوري مختزن بالكبت ، لأن اللاشعور له أنماطه الدينامية الخاصة به . كما أن الكبت والتسامي يتمان طبقاً لقوانين اللاشعور نفسه ، ومن ثم فإن اللاشعور ولو أنه افتراضي إلا أنه بدونه لا يمكن فهم الصلة بين الطفولة الباكرة والبلوغ . وقد وضع فرويد مقابل الكبت العصابي كبتاً آخر لدى السوي يدافع به الأنا عن نفسه بحيل خاصة به يوفق بها بين مطالب الهو البيولوجية والغريزية ومطالب الواقع والمجتمع والوالدين التي يتمثلها الأنا الأعلى. وقد يدفع الأنا لدفاعه عن نفسه ثمناً عالياً يتمثل إما في أنماط السلوك العصابية في جوهرها والتي تعبر عن عجز الأنا في التفاعل السليم مع الواقع ، وإما في الانسحاب الذهاني من الواقع . أما الأنا الناضج فهو يتحايل على مطالب كل من الأنا الأعلى والهو ، ويحولها إلى مطالب معقولة ينزع عنها جوانبها المدمرة . وبلوغ هذه المرحلة هو غاية كل طفل نام ومطلب العلاج بالتحليل النفسي . وتتمثل طريقة هذا

العـلاج في تمكين المريض من أن يصبـح على وعي بدوافعه اللاشعورية باستخدام المعالج لمنهج التداعي الحر ، والتدخل من آن لآخر ليفسر للمريض بعض ما يقوله أو يفعله بهدف بعث ذكرياته المنسية التي تكمن فيها دوافعه اللاشعورية ، وبذلـك يعود المـريض إلى المواقف التي غلبه فيها ضعفه أو صراعاته فتمكنت من شخصيته وأصابتها بالعجز أو بالعصـاب . وللأحـلام دورها في التحليل ، ولها محتواها الظاهر الذي يكون رمـزاً لمحتـوى آخـر بـاطن هـو الـدوافـع أو الـرغبـات الـلاشعوريـة ،وهي رغبات قـوية لم يمكن التنكـر لها، ولكن التعبيـر عنها صـراحة يصـادق رقابـة في شكـل النواهي والزواخر المستدمجة ، ومن ثم يقتضي أن تمر هذه الرغبات في أشكال رمزية إذا أريد لها أن تتحقق . وعلى كل فإن الطاقات التي تحجز عن الانفاق في إشباع الغرائز والرغبات إشباعاً مباشراً تنفق في أشكال التسامي من علوم وفنون التي بها نكون الحضارة ، ولـولا هذا التسامي لما كانت الحضـارة ، وكأن فرويد يريد أن يقول إن الحضـارة والعلم والفن بدائل عن الإشباع الغريزي ، وأن الفنان يحول انسحابه إلى اشباع لخيالاته ، ويشق لنفسه طريقاً جديداً يواجه به الـواقع بـأن يضفي على خيالاته أشكال التصوير أو الشعر أو النحت . ورغم أن فرويد ينـظر إلى الدين نفس النـظرة ويعتبره رغبـة في الإشبـاع حيث يحل الإنسـان اللّه أو الأب السمـاوي المطلق القدرة محل الأب الأرضي المحدود والخطاء نتيجـة لذلـك ، ومن ثم سيتبقى البالـغ بهذا الإبـدال نمط سلوكه الطفلي ، إلا أن خطورة الدين أنه يصرف الإنسان عن التعامل مع الواقع إلى أوهـام تفسد عليـه حياته .

فريجه Frege

(١٨٤٨ ـ ١٩٢٥) جـوتلوب فريجـه ، ألمـاني ، قضى حيـاته العلميـة كلها في جـامعـة يينـا ، ويعتبـر المؤسس للمـدرسة المنـطقيـة المعـاصـرة ، وواضـع المنطق الرياضي ، وله فضل تطوير الطريقة التحليلية في المنطق واللغة ، وهي الطريقة التي أصبحت أسلوب العصر في الفلسفة والبحث الفلسفي . وكانت بحوثـه في فلسفة اللغة المعين الذي لا ينضب لاتجاهات في الفلسفة جديدة ، وما تزال الدراسات المنطقية تستمد منها الكثير . وعلى الـرغم من كل هـذه الأهمية التي لبحوثه فإنها ظلت لمدة طويلة غير معروفة ، حتى قيض اللّه لها برتراند رسل ، فذيل كتابه « منطق الرياضيـات » بضميمة يبين فيها أهمية نظريات فريجه ، ونجاحه في تحقيق برنامج لايبنتس في بناء الحساب المنطقي . وفي كتاب « اللغة الرمزية » (١٨٧٩) استهدف فريجه بناء لغة صورية للمنطق والـرياضيـات تصورهـا تقدر على تحقيق جزء من هذا البرنامج ، وكان عليه أن يخلص المنطق من الآثار السيكولوجية والميتافيزيقية ، ويضع الحدود الفاصلة بين علم المنطق وعلم النفس ، ويبين طبيعة القضايا الحسابية ، وجاءت آراؤ ه في كتابه «أسس علم الحساب » (١٨٨٤) رداً على قول جون ستيوارت مل بأن القضايا الحسابية استقرائية ،وناقش فيه قوانين كنط القبلية أو التحليلية ، ووضع تعريفاً للعدد والأعداد الطبيعية مستعيناً بالأفكار والعلاقات المنطقية ، وحقق بذلك إرجاع نظرية الأعداد الطبيعية إلى المنطق . وفي مقاله « الدالة والفكرة » (١٨٩١) ناقش مفهوم الدالة ، وقـدم تعبيره المنـطقي « قيمة الصـدق » ، وفـرق بين الدالات من الدرجة الأولى والثانية ، والأفكار التي تعتبر دالات لها حد واحد ، والأفكار التي تعتبـر دالات لها حدان أو أكثر . وفي مقـال « حول المعنى والـدلالة » (١٨٩٢) ناقش الأسماء والعبارات والقضايا ، ووضع نظريته في اللغة وتحليل المعنى المرتبط بالرموز ، وما تشير إليه من دلالات شيئيـة ، واستفاد منهـا رسل في نظريته في العبارة الوصفيـة ،وفتنجنشتاين في نـظريته اللغـويـة ، وطـورهـا كـارنـاب في كتـابـه « المعنى والضرورة » . وفي مقال « الفكرة والشيء » (١٨٩٢) نبـه إلى التـرابط والمشـابهـة بين « المعنى والفكـرة » و « الدالة والشيء » ، بما يعني أن المعنى هو الفكـرة التي يفرضها باللغة ، وأنهـا تختلف عن الشيء الذي

ينضوي تحتها ، أو عن الدلالة التي يشير إليها المعنى . وقال إن الاسم بالإضافة إلى كونه جزءاً أساسياً في اللغة فهو معنى ودلالة ، فإذا ارتبط المعنى بالاسم فليس من الضروري أن يرتبط الاسم بالدلالة ، فمن الممكن الحصول على أسماء لها معان دون أن يكون لها دلالات ، مثال ذلك قولنا « حورية البحر » وهو اسم نذكره فنفهم معناه ، ولكنا لا نجد في الطبيعة ما يدل عليه ، فالاسم باعتباره رمزاً لغوياً له معنى ، وهذا المعنى هو الفكرة ، وإذا كان للاسم دلالة ، فإن دلالته هما الشيء الذي يشير إليه . والاسم الذي له معنى وليس له دلالة هو اسم فارغ ، وعبارة « رئيس شرطة القمر » لها معنى ، ولكن ليس لها دلالة حقيقية ، وإذن هي عبارة فارغة . والقضية « الامبراطور الروماني الحالي حاكم مستبد » لها معنى ، لكن ليس لها دلالة لأنه لا يوجد امبراطور روماني حالي ، ومن ثم لا يمكن الحكم عليه بأنه مستبد أو عادل ، والقضية لذلك فارغة . ونلاحظ أن فريجه في تحليله لتلك الأفكار استبعد الجوانب التصورية والانفعالية ، ولم يهتم إلا بالجانب المنطقي ، وكان من الطبيعي أن يهتم بالروابط التي تؤلف بين هذه الأفكار المنطقية ، وهو ما يطلق عليه اسم اللغة الرمزية ، وميز بين الأفكار المعرفة ، والأفكار غير المعرفة ، لأنه ليس من المعقول أن نعرف الأفكار بأفكار أخرى إلى ما لانهاية ، فمن الضروري أن تكون لدينا بعض الأفكار الواضحة التي لا تحتاج إلى تعريف ، وهي اللامعرفات . وأطلق على الحروف الأبجدية اسم المتغيرات، والرموز من فئة + و − + اسم الثوابت أي التي لها معنى ثابت ، أما الأولى فهي متغيرة لأننا لم نعين قيمتها العددية ، وقال إن القضية تنقسم إلى جزء ثابت هو الدالة ، وجزء متغير هو حدها ، وأن العدد فئة ، وأن المساواة العددية بين عددين مثلاً تكون في حالة وجود علاقة واحد بواحد بين الأشياء التي تقع في الفئة الأولى والأشياء التي تقع في الفئة الثانية ، وأن الصفر عدد ينتمي إليه المفهوم « لا يساوي ذاته » ، أو بمعنى آخر الصفر عدد ينتمي إليه مفهوم لا يقع تحته شيء . ويظل فريجه يستخدم التعريفات في نظريته المنطقية ، بغية تحويلها إلى صيغ رمزية تمثل جزءاً لا يتجزأ من اللغة الرمزية التي يدين المنطق الرياضي بها لفريجه ، حتى ليعد بحق مؤسس هذا المنطق والفلسفة الرياضية ، ورائداً من رواد الفلسفة التحليلية في القرن العشرين .

فشته .... Fichte

(١٧٦٢ ـ ١٨١٤) يوحنّا جوتليب فشته ، ألماني ، كانت أسرته من فقراء الفلاحين ، ولد برامينو من أعمال لوساتيا ، وماتَ في برلين ، وكان في صباه يرعىٰ الأوز ، لكنه كان يتمتع بذاكرة حادة ، وكان يحب أن يؤمّ الكنيسة ويحسن الاستماع إلى مواعظ الأحد ، وكان يحفظها من مجرد الاستماع إليها ، ويستطيع ترديدها كاملة من بعد ، وفي إحدى المرات تأخر أحد السراة عن صلاة الأحد ، وفاتته الموعظة ، وسأل عن مضمونها فأشاروا عليه أن يعاود الاستماع إليها من فشته الصغير ، وأسمعه الصبي الموعظة بكاملها ، وانبهرَ السري بذكاء الغلام ، وتكفّل بتعليمه على نفقته ، وسرعان ما قطع فشته مراحل التعليم تباعاً حتى وصل إلى الجامعة ، لكن كفيله مات ، وعانىٰ الويلات ليكمل تعليمه ، حتى تخرج من جامعة برلين . وكان يدرس اللاهوت ، لكنه مال إلى الفلسفة بطبعه ، وتأثّر بثلاثة فلاسفة هم ليسنج وسبينوزا وكنط ، وأعجبه من ليسنج دعوته إلى حرية الفكر ، وتحرير التعليم والتربية ، وأخذ بتطلعاته الروحية ، وأدّت دراسته لليسنج إلى قراءة سبينوزا ، وأسلم لدعوته إلى وحدة الوجود ، وظلّ مؤمناً بها طوال حياته ، وقرأ كتاب كنط « نقد العقل العملي » فقلت حياته وغير مجرى تفكيره ، وسافر إلى كونسبرج ليقابل كنط ويستمع إليه ، لكن الفيلسوف العجوز لم يأذن له بلقاء ، وقرّر أن يلفت انتباه كنط إليه ، وبكل تركيز كتب « نقد كل وحي Critique of All Revelation » (١٧٩٢) ، وأهداه « إلى الفيلسوف » ، واستخدمَ فشته في كتابته مبدأ كنط في احترام الواجب ، واتّخذه

لنفسه عماداً لفلسفته الأخلاقية ، ولتفسير الدين ، وعندما قرأ كنط مسودة الكتاب ، سارعَ إلى لقاء تلميذه الشاب ، وأبدىٰ اهتماماً بنشره ، ونشرَ الكتاب غفلاً من اسم فشته، ولا يدري أحد السبب في ذلك ، وظنَّ القراء أنه النسخة الرابعة من سلسلة « النقد » التي يصدرها كنط ، ولاقىٰ رواجاً كبيراً ، وأعلن كنط أن الكتاب ليس له ، لكنه كتب مقرظاً المؤلف ، وأعجب جوته به فأشار بتعيينه أستاذاً للفلسفة في جامعة يينا ، وكان فشته في الثانية والثلاثين ، وهكذا بدأت المرحلة الثانية من حياته ، وكانت الجامعة قد استقبلته مرحبة ، لكن آراءه الجمهورية والديموقراطية والراديكالية سرعان ما أفزعت الكثيرين فانفضوا من حوله . وكان فشته في نقده للديانات السماوية قد جعلَ أساس كل دين سيادة القانون الأخلاقي ، ودفعه ذلك إلى تأويل فكرة الله ، وقال إن الإيمان بالله في الإيمان بالنظام الخلقي ، وأن الله الحقيقي هو النظام الخلقي ، وأن النظام الخلقي مصدر واجبات الإنسان ، ومن ثَمَّ كان الله الحقيقي هو الله الإنسان ، فإذا شخص البعض شعوره بهذا النظام في موجود معين ، فإنَّما لأنه بحاجة إلى تقوية هذا الشعور في ضميره . وكانت آراؤه ، لهذا السبب إلحادية ، ورأىٰ البعض أنها سبينوزية ، وأنه من القائلين بوحدة الوجود ، وطالبوه بالاستقالة أو فصله ، ولم يكن فشته من الذين يرضخون للتهديد أو يقبلون التراجع ، ولم يكن هناك مناص من فصله ، وفصل عام ١٧٩٩ ، وكانت ألمانيا في ذلك الوقت تقاوم قوة نابليون المتزايدة ، وكان فشته صارماً في التزامه تجاه فلسفته وأخلاقياته وبلده ألمانيا ، وأخذ يخطب طالباً من الألمان أن يثبتوا ، وأن يظهروا في هذه المحنة أصالة ثقافتهم ومنعتهم ، واستقرَّ لفترة في برلين ، ورحبت به جماعات الرومانسيين ، ولكنه نفر من ضعفهم العاطفي ، وكان يطالب نفسه وغيره بالالتزام الخلقي الصارم ، وبدأ يحاضر في الجامعات من جديد ، وعيّن عميداً لكلية الفلسفة ببرلين ، ثم مديراً للجامعة ، لكن أعباء الوظيفة أثقلته ، وكان صارماً في تعامله مع الطلبة ، فآثر الاستقالة ، وفضَّل التدريس ، وانضمَّ للمقاومة ضد نابليون خلال الاحتلال الفرنسي ، وتطوّعت زوجته للتمريض ضمن المقاومة وأصيبت بالتيفور وشفيت منه ، لكنها أعدته ومات .

وكانت فلسفته جماع شخصيته ، أو أن شخصيته عكست فلسفته ، وكان يقول إن ما يعتنقه المرء من فلسفة ليتوقف على نوعية شخصيته ، فالمذاهب الفلسفية ليست قطعاً من الأثاث الأصم ، قد يعتنقها المرء أو يستغني عنها كلما تراءى له ذلك ، لكنها بمجرد أن يعتنقها تصبح جزءاً من تكوينه . ويبسّط فشته نظريته في المعرفة في كتابيّ « **المبادىء الأساسية لنظرية المعرفة** » (١٧٧٤) ، و « **مقدمة لنظرية المعرفة** » (١٧٩٧) ، ويعتقد بوجود منهجين ممكنين في الفلسفة ، هما القطعية التي تستنبط الفكرة من الشيء ، والمثالية التي تستنبط الشيء من الفكرة ، وأن المرء يختار أي المنهجين تبعاً لغلبة الشعور بالانفعالية أو الفعالية عليه ، وأنه هو نفسه يؤثر المثالية لأنه يؤمن بالإرادة وبالحرية وبالضمير وبالجهاد لتحقيق الغايات الكبرى ، وبأن الفكر لا يدرك الطبيعة ، لكنه يدرك تصوراته منها ، وبأن مهمة نظرية المعرفة جلاء كيفية صدور صور الأشياء عن الفكر ، وأنه لذلك يعتقد بأنا أكبر من الأنا المدرك المتناهي ، قادر على إحداث الأشياء وهو علتها ، ويسميه فشته الأنا اللاّمتناهي أو الأنا الخالص ، ويصفه فيقول إننا لا ندرك فاعليته مباشرة ، لكننا ندرك آثارها في تصورات الأنا المتناهي (أو الأنا المدرك أو التجريبي) ، وعليه يقوم المبدأ الأول لنظرية المعرفة عند فشته ، وهو لا يعبّر عن ذلك فيقول إن الأنا يفترض وجود نفسه ، ويعني ذلك بلغة المنطق أن أ = أ ، وإذن فالأنا الحقيقي هو هذا الأنا اللاّمتناهي أو الخالص ، الفاعل المحقق لذاته ، ولأنه يريد أن يعمل فهو يخلق الطبيعة وموضوعاتها ، ومثلما أستطيع أن أقول بلغة المنطق أن أ = أ ، أستطيع أن أقول كذلك أن لا أ = لا أ ، أو أن لا أنا = لا أنا ، أو بمعنى آخر أن أنفي الأنا بلا أنا ، أي إن الأنا عندما يخلق الطبيعة (اللاّأنا) فإنه

يحد نفسه بشيء قد انقسم عنه ، وهذا هو مبدأ فشته الثاني ، لكنه لن يطيق هذا التناقض بينه وبين اللاّأنا ، ومن ثمَّ يطرح من نفسه أنا يعارض به اللاّأنا ويحده ، وهذا هو المبدأ الثالث في نظرية المعرفة عنده . والأنا الجديد هو الأنا الذي أدرك به التجربة ، وهو الأنا الفاعل واللاّأنا أو الطبيعة هي الموضوع . وتقوم المعرفة بالأنا المدرك التجريبي وباللاّأنا أو الطبيعة ، لكن أيهما لا يستطيع أن يحقق الوحدة ، لأن كليهما يعارض الآخر ويقاومه ، ولا يتم التوفيق بينهما إلاَّ بفعل جديد من الفكر ، أي تركيب ، ولا يتحقق ذلك إلاَّ في مجال الأخلاق ، لأن الفعل الأخلاقي وهو يقاوم الطبيعة ويشكلها يبدو روحانياً ، والطبيعة تنفعل به فيتبدَّى ما فيها من روحانية ، ومن ثمَّ تتجلَّى أصالتهما الواحدة . وإذا كانت الإرادة في سبيلها إلى المثالي تعبّر عن طبيعتها المحدودة بوصفها الأنا التجريبي ، فإنها في فاعليتها خضوعاً للواجب تعبّر عن توحّدها المتأصّل باللاّمتناهي .

ويبسّط فشته آراءه الأخلاقية في كتابه «نظرية الأخلاق» (١٧٩٨) ، وفي رأيه أن الفاعلية الأخلاقية هي التزام الإرادة الحر بالمثالي ، هذا الالتزام الذي يجعل الواجب يتحدَّى الحاجات التي تفرض نفسها على الإنسان ، ويتحدَّى ظروفه التجريبية . وعنده أن الإرادة الصالحة هي الإرادة التي تصبو للغايات العليا ، فعندما أقر بواجبي وأجهد لتحقيقه ، فإني أقر بذاتي ، لذلك لا ينبغي أن ألين أو أضعف أو أتخلَّى عن واجبي بحجة أنه يتجاوز إمكانياتي ، لأنه إذا كان واجبي يقتضيني أن أفعل ، فإنه لا بد أن بوسعي حقاً أن أفعل . والإنسان وهو يحقق لنفسه المزيد من الحرية ، يعني أنه يستطيع أن يكرّس نفسه أكثر لمثالياته الروحية ، والواجب الذي ارتضيته لنفسي ووهبت له حياتي هو واجبي ، ووجودي الحق هو محاولتي أن أحققه ، وهو مطلبي ، والتزامي وما أصدر عنه من فلسفة هو ضميري ، وهو إقراري بذاتي وتعبيري عنها ، ويكون مبدأي هو أن أفعل دائماً بما يوافق فهمي الأمثل لواجبي ، أو بما يوافق ضميري ، وليس الشر إلاَّ تقاعس الإرادة عن السعي وكسلها عن بلوغ ما تصبو إليه ، والتقاعس والكسل يؤدّيان إلى الجبن ، ويولّد الجبن الزيف ، وهو يقول إنه مدين بالصراحة والحقيقة المطلقين لكل إنسان ، وأي احتجاج بأن الصراحة قد تجر المشاكل ، وأن الحقيقة قد تكون لها نتائج خطيرة ، هو تنازل عن المبدأ رضوخاً للظروف والحاجة والمنفعة ، ولا يوجد إطلاقاً ما يمكن أن يبرر ذلك .

والمرء وهو يفعل لا بد أن يراعي الآخرين وحقوقهم ، وأنا لن أستطيع أن أفعل في الفراغ ، لكن فعلي يؤثر على الآخرين وعلى حقوقهم ، واحترامي لجاري يعني احترامي لملكيته ولاستقلاله الاقتصادي ، ومن ثمَّ تنصرف إرادتي عن الماديات، والمجتمع حينما يكفل ذلك للأفراد يحفظهم من أن تغرقهم المادية . وما يصدق على الفرد يصدق على الدولة . ويبسّط فشته آراءه في الدولة في كتابه « الدولة التجارية المغلقة » (١٨٨٠) ، فالشعب ينبغي أن يوازن طلبه وإمكانياته ووارداته وصادراته ، ولا سبيل إلى ذلك إلاَّ بتوجيه الحكومة للتجارة الخارجية ، وتجنّب الندرة والإنتاج الفائض ، واستخدام عمل الجميع لتلبية حاجات الجميع ، وبذلك تلغي الدولة البطالة وتعالج الفقر وتضمن لكل مواطن حياة كريمة .

فشنر ... Fechner

(١٨٠١ ـ ١٨٨٧) جوستاف تيودور فشنر ، ألماني ، مؤسّس علم النفس الفيزيائي ، ورائد علم النفس التجريبي ، تخرَّج من كلية الطب بجامعة ليبزج ، وعيّن أستاذاً للطبيعة بها ، وكانت له اهتمامات بعلم النفس ، وأخذ يدرس الضوء وإدراك الألوان ، وأصيب بالعمىٰ من طول التحديق في الشمس ، فانسحب من الحياة ، واستقالَ من وظيفته (١٨٣٩) ، ولكنه شفي بعد ثلاث سنوات ، وعاد إلى الجامعة أستاذاً للفلسفة ، ورفض الميتافيزيقا المادية ، وفي كتابه « الحياة الروحية للنباتات » (١٨٤٨) دافع عن

فكرة أن كل الموجودات ذات طبيعة روحية مشابهة لطبيعة النفس الإنسانية ، وواصلَ دراساته السيكولوجية ليؤكّد نظرية « الكل روح Panpsychism » ، وأن عالم الظواهر هو المظهر الخارجي للواقع الروحي ، وأن الشيء في ذاته روحي الطبيعة ، لكنه يتبدّى مادياً للآخرين ، وأن الذرات مراكز للقوة أو الطاقة كما قال ليبنتز ، ولا يعني ذلك أنها مادية أو ممتدة ، لكنها أبسط عناصر سلم الأرواح المؤدّي إلى الله ، وأن كل درجة منه تحتوي كل الدرجات أسفلها ، وأن الله يحتوي كل الأرواح ، وأن الشعور سمة كل موجود ، لكن ذلك لا يعني أن كل موجود له روح ، إنّما الكل العضوي فقط هو الذي له روح ، وأن الأجسام التي لا بالنسبة لنفسه . ووصف وجهة نظره بأنها رؤيا نهارية ووصف وجهة النظر التي تقول بجمود المادة وعطائها بأنها رؤيا ليلية **Night View** ، وقال إن الأفكار التي لا تتناقض مع الكشوف العَلَمية لا ضرر منها طالما أنها مصدر سعادة لمن يعتنقها ، وأن وجهة النظر النهارية اللّامادية من هذا النوع .

وكانت رغبته في إثبات أن المادة والروح وجها عملة واحدة سبباً في بحوثه الرائدة في ميدان علم النفس التجريبي ، والتي نشرها في « مبادىء علم النفس الفيزيائي » (١٨٦٠) ، وحاول أن ينشىء علماً مضبوطاً للعلاقات الوظيفية بين الظواهر المادية والنفسية ، مبيناً أن نفس الظاهرة يمكن أن تتجلّى بطريقتين ، مقسماً علمه الجديد الذي أطلق عليه « علم النفس الفيزيائي » إلى فرعين : علم النفس الفيزيائي الداخلي ويدرس العلاقة بين الإحساس والتهيّج العصبي ، وعلم النفس الفيزيائي الخارجي ، الذي استهوى فشنر ، ويدرس العلاقة بين الإحساس والمثير المادي . وأدّت بحوثه إلى اكتشافه لصيغة رياضية أطلق عليها اسم قانون فيبر للتشابه بينها وبين كشوف إرنست فيبر (١٧٩٥ ـ ١٨٧٨) أستاذ التشريح بجامعة ليبزج الذي سبقه إلى تجربة قياس الإحساسات ، ويقضي بأن الإحساس يعادل لوغاريتم التأثير .

فشينو... Ficino

(١٤٣٣ ـ ١٤٩٩) مارسيليو فشينو ، مؤسّس أكاديمية فلورنسا التي اشتهرت كمركز للأفلاطونية في عصر النهضة ، وقد ظلّ فشينو رئيساً لها لفترة سنوات ، وقدم أول ترجمة بلغة أوروبية لجميع أعمال أفلاطون ، وكان قد بدأها سنة ١٤٦٣ وأتمّها سنة ١٤٦٩ ، وراجعها وعلّق عليها وبدأ طبعها سنة ١٤٨٤ . وترجم بالإضافة إلى ذلك أفلوطين وفورفوريوس ويامبليخوس وأبرقلس . ويعتبر كتابه الرئيسي « **اللاهوت الأفلاطوني** » إضافة حقيقية يتجلّى فيه تأثير الأفلاطونية البيزنطية والوسطى ، كما يعد إرهاصاً بالحركة الإنسية الإيطالية .

فضيلة Virtue

من Virtus اللاتينية المشتقّة من Virus بمعنى الرجل ، ومن ثمّ بالاسم الإفرنجي يعني الرجولة أي القوة والشجاعة . والفضيلة بالعربية كما هي باليونانية تعني الأحسن ، ولهذا توسع اللاتيني في معناها فصارَ الأفضل من الفضل بمعنى القوة ، مثلما نقول بفضل كذا أي بقوة كذا . ويكاد يجمع الفلاسفة على أن الفضيلة هي عادة فعل الخير الراسخة ، ويشترط لها أرسطو العلم والإرادة ، حيث تحدد الإرادة الغاية ، ويحدد العلم الوسائل المؤدّية إلى تحقيق الغاية ، ولكن العلم وحده كما قال سقراط ، بدون الإرادة قد يؤدّي إلى ارتكاب الشر . ويعرف أرسطو الفضيلة بأنها التوسّط بين التفريط والإفراط ، فالشجاعة وسط بين التهوّر والجبن ، والجود وسط بين التبذير والشحّ ، والكرم وسط بين الأبّهة والكزازة ، وعزة النفس وسط بين الكبر والابتذال . ولا تنطبق فكرة الوسط العادل على الأفعال والانفعالات الشريرة كالسرقة وغيرها .

ويكاد يجمع الفلاسفة على أن الفضيلة واحدة وإن تعددت أسماؤها طالما أن مصدرها واحد ، ويرجع البعض هذا المصدر إلى التعقّل أو إلى الإرادة الخيرة أو العقل المكوّن أو القلب الطاهر . ولأنها واحدة فإن

تحصيل إحدى الفضائل يعني تحصيلها جميعاً ، فالشجاعة تستلزم الصراحة والمحبة والعدل والأمانة وهكذا . ومع ذلك فقد حاول البعض تصنيف الفضائل ، وأقدم التقسيمات هو تقسيم أفلاطون الرباعي إلى حكمة وشجاعة وعفة وعدل . ويقسمها اللاهوتيون إلى فضائل ربانية موضوعها الله كالإيمان ، وفضائل عقلية كالحكمة ، وفضائل أخلاقية كالعفة . ويقسمها الفلاسفة إلى فضائل تتعلق بالشخص نفسه كالعفة ، وفضائل تتعلق به مع الناس كالأمانة ، وفضائل اجتماعية مدارها علاقته بالأسرة والمهنة والوطن وهكذا .

وكان سقراط يرى أن الفضيلة تقوم على العلم ومن ثمَّ يمكن تعلمها ، وأن هناك أساتذة لتعليم الفضيلة . وجعلها أفلاطون تقوم على العلم ، ولكنه ميّز بينها بحسب مكانة هذا العلم وتلك المعرفة ، فالمعرفة الحسّية يقابلها الفضيلة العامية أو الشعبية ، وهي ضرورية لتنظيم الغرائز والتحكّم في الطبقات الدنيا من المجتمعات ، وتعلّمها منوط بالتربية . والمعرفة العقلية يقابلها الفضيلة الفلسفية ، وهذه امتياز الحكماء الذين يحصلونه بنعمة من الله ، ودور التربية هو تطوير الطريق أمامها من كل المعوقات . ولكن أرسطو جعل الفضيلة استعداداً فطرياً تصقله الممارسة ، فالإنسان باستمرار العزف يصبح عازفاً ، لكنه لن يكون عازفاً ، ما لم يكن قادراً أولاً على العزف .

فعل الإرادة Volition

نشاط عقلي يبعث في الجسم نشاطاً يقابله ، ويميز الفلاسفة بين أن نقول « أنا أحرك يدي » و « يدي تتحرك » ، حيث تعبر الجملة الأولى عن التحريك Movement وهو فعل إرادة ، بينما تعبر الجملة الثانية عن التحرك Motion وهو استجابة بدنية ، وكانت العلاقة بين النشاط العقلي وحركة الجسم التابعة لهذا النشاط مثار بحوث مستفيضة بين الفلاسفة وعلماء النفس ، فديكارت رأى أن الجسم خلاف العقل رغم أنه لا يمكن تصور أحدهما منفصلاً عن الآخر ، وكان يدرك أن قوله متناقض حيث أنه يفرق ويوجد بينهما في نفس الوقت . ورفع مالبرانش هذا التناقض بأن نسب الاتصال بينهما إلى المشيئة الإلهية وتدخلها في اللحظة التي يريد فيها العقل تحريك الجسم . ولكن سبينوزا اعتقد ان العقل والجسم شيء واحد حيث أن النشاط هنا تتبعه حركة هناك ، لكننا مرة ننظر إلى هذا الشيء الواحد في ضوء خاصته الفكرية ، ومرة في ضوء خاصته المادية . وأضاف لوك أننا ندرك فعل العقل بالاستنباط واستجابة الجسم بالملاحظة . وتطورت النظرية التي تميز بين العقل والجسم Double- Aspect Theory (جورج هنري لويس) إلى نظرية لغتين Two- Language Theory (ماكاي) تعتبر أن للحديث عن النشاط الإنساني لغتين ، إحداهما أعبر بها عن نفسي Subject- Language ، والأخرى يعبر بها آخر عني Object- Language . ومن الفلاسفة من قال بنظرية الفكرة المحركة Ideomotor Theory (كامبل) بمعنى أن فعل الإرادة هو الفكرة ، ولكن الفكرة لا تتمثل أو يكون لها شكل من غير الحركة الجسمية التي تقصد إلى انبعاثها . ويسمي مورجان الفكرة ذكرى للحركة المنتواة تسبقها .

فعل عن بعد Action at a Distance

الفعل عن بعد ، والفعل بالتلامس Action By Contact مفهومان متقابلان يفسر بهما التفاعل بين الأشياء المادية . وكان الإغريق يعتبرون كل تأثير من جسم مادي على جسم مادي آخر إنما يتم بالتلامس ، فاعتقد الذريون أن الفضاء يحفل بالذرات ، وأنها لا تتفاعل إلا إذا تصادمت ، وقال أرسطو إن كل جسم متحرك لا بد له من محرك يلامسه باستمرار ، فكل جسم يدفع غيره وينجذب بغيره . وفي القرن السابع عشر قال ديكارت بنظرية الفعل المستمر Continuous Action Theory ، إما بتلامس الأجسام أو بتفاعلها عن بعد من خلال الوسط الأثيري وضغط الأجسام على بعضها عبر

هذا الوسط . وفسر نيوتن هذا التفاعل بالجاذبية المتبادلة بين الأجسام والتي يمكن اعتبارها صفة من صفاتها الأولية، **واشترط لهذا التفاعل وجود الوسط المادي.** وفي القرن الثامن عشر تطورت نظرية التفاعل بالتلامس إلى نظرية المجال عند ليونارد يولر في نظرية الدفق السائل Fluid Flow Theory ، وعن لارانج ولابلاس في نظرية الجهد Potential Theory ، وعن روجيرو بوسكوفيتش في نظرية القصور الذاتي في جزئيات المادة وتفاعلها بالانجذاب والتنافر الذي يتوقف حجمه على البعد بين الجزئيات . وقال فاراداي (١٨٤٤) إن المادة عبارة عن ذرات يحيطها غلاف من الطاقة ، وأنه حين لا توجد مادة تنتشر هذه الطاقة المنبعثة من الذرات ، وأنها لا تضيع هباء بل تختزن في الفضاء . وقال ماكسويل (١٨٦٤) إن الفضاء الكوني عبارة عن طاقة . وقال أندريه أمبير (١٨٢٠) إن الفضاء عبارة عن قوى كهربية مغنطيسية . وبرزت نظرية النسبية عند إينشتاين ونظرية الكم Quantum Theory بوصفهما نظريتين من نظريات المجال ، وبذلك انتهت تماماً نظرية الفعل عن بعد في العصر الحديث . ومع ذلك فإن الكلام البشري يعتبر فعلاً عن بعد ، وإذا كان الاتصال بواسطة التخاطر Telepathy والاستبصار Clairvoyance والسحر الذي يتوخى التأثير على التفكير والعواطف ، إذا كان كل ذلك صحيحاً فإنه يكون فعلاً عن بعد .

فطرة سليمة ... Common Sense

العادات والآراء التي تكون لدى غالبية الناس والتي يقيمون عليها ممارساتهم اليومية ، ويسميها البعض ملكة الفهم التي يتم بها الإدراك العادي ، أو ملكة الحقائق الأولية ، وهي المعتقدات التي تحظى بالموافقة الضمنية العامة . وترد الفطرة في القرآن بهذا المعنى في سورة الروم ، الآية ٣٠ ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ ، فالإنسان مفطور على عبادة الله ، وإنكار الدين ضد الفطرة ، وهذا هو البرهان الفطري في إثبات وجود الله ، وفي ذلك يقال إن الإسلام دين الفطرة ، بمعنى أن ما جاءَ به يتنافى مع فطرة الإنسان ، أي طبيعته السليمة . ولا شك أن توماس ريد (١٧١٠ - ١٧٩٦) هو فيلسوف ومؤسس المدرسة الاسكتلندية في الفطرة ، ويصف مبادئها بأنها حقائق لا تستنبط ولكنها واضحة بذاتها ومستقرة في عقل الإنسان ، وتفرض نفسها عليه في لغته ، وتحكم سلوكه ولو كان من الشكاك المتصدين لها بالرفض بالكلام . وهي حقائق في متناول الفهم العادي وتصدقها تجارب الناس . وجعلها وليام هاملتون (١٧٨٨ - ١٨٥٦) أساس كل معرفة ، وميز الفطرة بأنها الفطرة الناقدة Critical- Common Sense ، وبتعريفه ذلك يصبح أرسطو أول الفطريين Common- Sensist لأنه القائل بأن الافكار النظرية هي الأفكار الأكثر تسلطاً (الأخلاق إلى نيقوماخوس) ، ويعرفها بيرس (١٨٣٩ - ١٩٠٤) بأنها الأفكار الصالحة لأغلب الناس في كل مكان وزمان ، ويصفها بالغريزية ، وأنها عادات اعتقادية Belief- Habits . ويقول سيدجويك (١٨٣٨ - ١٩٠٠) عن الفطرة إنها مصدر الحقائق الخام التي ينقيها التفلسف ، ويرى ستاوت (١٨٦٠ - ١٩٤٤) أن الأفكار الفطرية تتطور بتطور الحياة نفسها ، ودائمة التعديل لنفسها . وقال برتراند رسل عن الأفكار الفطرية أنها أساس الأفكار العلمية ونقطة الانطلاق التي يبدأ منها العلم .

فقه قانوني تحليلي
Analytic Jurisprudence

مدرسة في الفكر القانوني ، راجت في انجلترا وأمريكا ، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وفي القارة الأوروبية في فترة ما بين الحربين العالميتين ، وكان فيلسوفها بلا منازع جون أوستن (١٧٩٠ - ١٨٥٩) الذي ما يزال كتابه « محاضرات في فقه القانون Lectures on

Jurisprudence » (١٨٦٣) الشاهد التقليدي للمذهب التحليلي في التشريع ، وكان تأثيره على فلسفة التشريع من الضخامة حتى أن المدرسة التحليلية في فقه القانون تسمى المدرسة الأوستنية ، كما تسمى فلسفة التشريع التحليلي بفلسفة التشريع الأوستنية . ومع أن فلاسفة التشريع التحليلي يختلفون فيما بينهم ، إلا أنهم جميعاً يتفقون مع جون أوستن في مسائل معينة ، منها أن مجال الفقه التحليلي هو القانون الوضعي ، وهو علم بالمعنى العام وليس بالمعنى الخاص الذي لعلم الطبيعة مثلاً ، وهو مقارن لأنه يسعى خلف المفاهيم والمبادىء العامة لكل النظم القانونية ؛ وهو تحليلي لأنه يختزل العدد الضخم من المفاهيم القانونية إلى عدد قليل أساسي لا يقبل المزيد من التحليل ، وبها يمكن تعريف المفاهيم الأخرى . والجانب السلبي في المدرسة التحليلية كثيراً ما يطلق عليه اسم الوضعية القانونية Legal Positivism ، ومؤداها أنه لا حاجة لإرجاع القواعد القانونية إلى أسباب أو أصول أخلاقية أو تاريخية ، وبهذا المعنى للوضعية القانونية يكون كل التحليليين وضعيين ، لكن ليس كل الوضعيين تحليليين ، ذلك لأنه من بين الوضعيين من يرى ضرورة رد القواعد القانونية إلى أصولها التاريخية ، وأنه لا يمكن فهم القانون دون فهم ما كان عليه في الماضي ، والطريق الذي سلكه في تطوره ، متأثرين في ذلك بأفكار هنري مين وهولمز . ويتعرض التحليليون لنقد شديد ، لثقتهم الكبيرة في المنهج الاستنباطي الذي به يستنبطون من بضعة مبادىء بناء كاملاً متماسكاً من القوانين . واتهم روسكو باوند المدرسة التحليلية بأنها تستند بقوة إلى مبدأ فصل السلطات ، وفصل القانون عن الأخلاق فصلاً تاماً ، وبادعائها أن المحاكم لها القدرة على استخراج الأحكام بإدراج الوقائع تحت ما يناسبها من قواعد قانونية بطريقة ميكانيكية . وتتعارض المدرسة الهيجلية مع المدرسة التحليلية حيث ترى الأولى أن القانون يماثل العادات الاجتماعية ويتطابق معها ، وأنه يوجد مستقلاً عن التشريع السياسي ، وأنه يتطور بمنطق خاص به ، إلا أن التحليليين ردوا أن الهيجلية في القانون لا يمكن أن تؤدي إلا إلى الفوضى والغموض في القانون ، كما اتهموا المدرسة الأخلاقية أو مدرسة القانون الطبيعي بنفس التهمة على أساس أن ساحة القانون أحوج ما تكون للوضوح واليقين العملي ، ومن ثم ينبغي فصل القانون عن التاريخ والعادات والأخلاق .

فلسفة **Philosophy**

الفيلوصوفيا Philosophia كلمة يونانية من مقطعين هما فيلو بمعنى حب ، وصوفيا بمعنى الحكمة ، فتكون الفلسفة هي حب الحكمة ، ومع ذلك فقد اختلفت الآراء حول مفهوم الحكمة ، فهومر استخدم الحكمة بمعنى البراعة العملية في تشغيل الآلات وإدارة الأعمال ، وهيرودوت استخدمها بمعنى التمرس القائم على التجربة الطويلة ـ والدراية بالمسائل المختلفة . وعلى أي حال فإن فيثاغورس كان أول من وصف نفسه بأنه فيلسوف وعرف الفلاسفة بأنهم الباحثون عن الحقيقة بتأمل الأشياء ، فجعل حب الحكمة هو البحث عن الحقيقة ، وجعل الحكمة هي المعرفة القائمة على التأمل . إلا أن أفلاطون عرف الفلسفة بأنها علم الواقع الكلي أو العلم بأعم علل ومبادىء الأشياء ، فجعل حب الحكمة علماً ، مع أننا نعرف أن العلم مناطه الكشف عن كيفية حدوث الأشياء The how بينما الفلسفة مجالها البحث عن علل الاشياء نفسها The Why ، ففرق بين هدف العلم وهو تحصيل العلل القريبة ، وهدف الفلسفة وهو العلم بالعلل البعيدة أو العلل الأولى ، ولقد حاول فلاسفة مثل فتجنشتاين أن ينبهوا إلى اللغو في عبارات أفلاطون وإلى خلو معانيه من الواقع ومن أي معنى ، الأمر الذي جعل رايل مثلاً يصف الفلسفة القديمة بأنها مجموعة من الحكم الحافلة بالصور الشعرية . ورغم أن أفلاطون ميز بين طبيعة الشعر وطبيعة الفلسفة ، ووصف الشاعر بأنه حكيم وصاحب رؤية لا يمكن التعبير عنها إلا بلغة رمزية

تناسبها ، وقال عن لغة الفلسفة أنها لغة خاصة تتسم بالوضوح الشديد وتعبر عن أفكار يمكن أن يعيها الآخرون ، إلا أنه لم يلتزم بهذا التعريف وراح يعبر بالشعر أو بلغة الحكماء عن المعاني التي توحي إليها عندما تصدى لتعريف الخير فقال إنه شيء يعجز وصفه كل مقال وخيال ، وبذلك خرج أفلاطون عن مجال النقد إلى مجال الحدس الذي هو وسيلة الحكماء والشعراء . ولو شئنا أن نبحث عن نموذج للحكمة فلن نجده في أصفى أشكاله إلا في الفلسفة الصينية القديمة ، كما لن نعثر على نموذج للفلسفة الخالصة إلا في الفلسفة الأوروبية ، ومع ذلك فلسوف نعثر داخل هذه الفلسفة الأخيرة على نمطين رئيسيين أحدهما عقلي نقدي يقوم على التحليل المنطقي ، والآخر يتنكر للتحليل ويسعى لتحصيل النتائج العامة بالحدس المباشر الشخصي ، والنمطان من الفلسفة الخالصة رغم التشابه القوي بين النمط الثاني منها وبين الحكمة الخالصة ، ويسمى النمط الأول الفلسفة النقدية ، والنمط الثاني الفلسفة التأملية ، ويعتبر بعض الفلاسفة النمط الأول هو النمط الوحيد الجدير باسم الفلسفة . ومع ذلك فيندر أن تجيء كتابات الفلاسفة على غرار أحد النمطين دون أن تشوبها بعض شوائب النقد أو التأمل . والفلسفة كالعلم ، ليست تأملاً خالصاً ولا نقداً خالصاً ، ولكنها تأمل يحكمه النقد . ولم تخل الفلسفة الحديثة من التأمل وإن كان تأملها حول مسائل غير المسائل التي تعودناها في الفلسفة التقليدية . وليس التباين بين الفيلسوف والحكيم في جنوح الحكيم إلى الخيال وتشبث الفيلسوف بالواقع ، بل هو في منهج الفيلسوف الذي يخضع به كل تأملاته للنقد الشديد . فإذا كان لكل من العلم والرياضيات منهجه النقدي الواحد ، فإن الفلسفة تتعدد مناهجها ، وتقوم على نقد بعضها البعض ، إلا أنه نقد لا يقضي على أي منها ، فإذا كانت المذاهب الفلسفية تتعدد بتعدد الذين ينظرون إلى الكون ، فإن الواقع المنظور إليه من وجهات نظر متعددة واحد ، ويستحيل أن تدعي كل وجهة نظر أنها وحدها التي تصوره على حقيقته ، ومن ثم فإن هذا الواقع لن يبين على حقيقته إلا منظوراً إليه من زوايا متعددة ، ومن مجموعها تتألف حقيقته . واختلفت مواقف الفلاسفة من قضية وحدة الفلسفة ، فالذين رأوها مجزأة عرفوها بأنها المعرفة بالمعاني أو القيم ، وطالما أن المعاني متباينة فإن الفلسفة ستتفرع بحسبها إلى فلسفة التاريخ وتبحث في معنى التاريخ ، وفلسفة القانون وتبحث في معنى القانون ، وهكذا ، بين رأى القائلون بالوحدة أنها برغم ذلك فإن الفلسفة عموماً تبحث في معنى العالم ككل ، بل ووجد من الفلاسفة (ديوي مثلاً) من يرفض القول بالمعاني أو القيم على أساس التمييز بينها وبين الوقائع ، بل ووجد من الفلاسفة من يرفض أساساً الإقرار بأن للحياة أو للتاريخ أو للعالم ككل معنى من المعاني ، بل ويرفض الإقرار بوجود شيء اسمه العالم ككل أو الحركة العامة للتاريخ الخ . وعلى أي حال فإن الفلاسفة وإن تباينت مذاهبهم ، إلا أنهم جميعــ يصدرون عن رأي واحد ، هو أن الفلسفة شكل من أشكال الوعي ، وأن التفلسف نوع من التبصير ، وكان فلاسفة الإغريق عموماً ، والرواقيون والأبيقوريون والشكاك بنوع خاص ، يزعمون بأن الفلسفة مدارهـ ترشيد الناس ، ولقد أعجب ذلك الرومان فوصف حكيمهم شيشرون الفلسفة بأنها فن الحياة ، فلما جاء عصر النهضة استهواهم قول شيشرون فوصف جون سيلون الفلسفة بأنها ليست سوى الفطنة Prudence ، ورغم أن رسل في العصر الحديث وصف الفلسفة بأنها محايدة إلا أنه كان هو نفسه كفيلسوف أبعد الناس عن الحياد حتى رأيناه وقد غرق إلى قمة رأسه في قضايا عصره ، فدعا إلى المظاهرات ، ونظم المسيرات ، وأنشأ محاكم للضمير ، وسجن مراراً ، وربما كان الفيلسوف دون غيره هو أكثر الناس استعداداً لتولي هذا الدور ، وربما كانت هذه مسؤوليته ، حتى ولو كانت مجرد تنبيه الناس إلى ما في لغاتهم من لغو القول كما تصورها فتجنشتاين - ومع ذلك فإن هذا الجانب العملي من الفلسفة لا يعدو أن يكون أحد جوانبها ،

بعكس الحكمة التي تقوم في أغلبها على التبصير والترشيد والنصيحة .

ورغم أن أفلاطون وصف الفلسفة بأنها علم ، إلا أن مجالها كما طرحه في محاوراته كان ضيقاً ، وما تزال موضوعاتها التي تناولها هي نفسها موضوعات الفلسفة حتى الآن . ولم يعرفها التعريف الموسوعي سوى أرسطو لأنه كان هو نفسه موسوعياً فجعل الفلسفة تشمل كل المعارف العقلية ابتداء من التشريع إلى الميتافيزيقا ، واقتفى الأكويني آثار أرسطو ، وعرف بيكون وهوبز وديكارت ولايبنتس وفولف الفلسفة بأنها علم موسوعي ، وميزوا فيه بين الفلسفة الخلقية - والفلسفة الطبيعية ، وبين الفلسفة السياسية والفلسفة الأولى أو الميتافيزيقا ، واستخدموا مصطلح الفلسفة بالمعنى الذي نستخدم به الآن مصطلح العلم . ولم تنفصل العلوم عن الفلسفة إلا في القرن التاسع عشر ، ومع ذلك ، وكما يقول أوستن ، فإن حدود الفلسفة ما تزال موضع نظر ، وما تزال الفلسفة أبعد من أن توصف بالعقم ، ولقد رأيناها تلد النظرية اللغوية ، ولمسنا أنها قد حوت التراث بوصفه مراحل في تاريخ هذه النظرية ، بعد أن كنا نظن أن بانفصال العلوم عنها فإن موضوعات هذا التراث قد عفى عليها الزمن ولم تصبح من موضوعات الفلسفة ، ولكن مفهوم الفلسفة ما يزال يتطور ، وما زلنا نشهد كل يوم جديداً في مجالها . ولقد كان من شأن انفصال العلوم عنها أن حسبنا أن الفلسفة هي العلم الذي يبحث في الإنسان ، فتوجه من ثم انتباه الفلاسفة إلى طبيعة هذا الإنسان دون سواها ، وقد كان ديكارت يميز بين المادة والروح ، ومن ثم كان واضحاً إنه إذا كان ثمة مجال للفلاسفة بعد انفصال العلوم التي ميدانها المادة ، فليس أمامهم سوى تعمق روح الإنسان أو « العالم الداخلي Inner World » في مقابل « العالم الخارجي Outer World » . ولقد تبلور هذا الاتجاه عند هيوم بتأسيس علم طبيعة الإنسان ، وبه صارت الفلسفة العلم الأول طالما أن كل العلوم الأخرى تقوم عليه . ووصف جون ستيوارت مل ووليام هاملتون الفلسفة بأنها المعرفة العلمية بالإنسان . وأدى هذا الإهتمام بالإنسان إلى قيام علم النفس ، وكما هي العادة استقل علم النفس عن الفلسفة بمجرد قيامه ، وبدا واضحاً أن الفلسفة ، كما يقول وليام جيمس ، هي علم العلوم ، بمعنى أنها العلم الذي يحتضن كل الأسئلة التي لم تجد البشرية لها إجابات بعد ، لكنها عندما تجد لها الإجابات فإن المعرفة تصبح علماً متخصصاً ومتميزاً عن الفلسفة . ومع ذلك تظل هناك مسائل لا يمكن إدراجها ضمن العلوم المتخصصة ، ولقد ضمها أرسطو في علم واحد أطلق عليه اسم العلم الأول والأخير ، فهو الأول لأنه السابق منطقياً على كل العلوم الأخرى التي تقوم على أساسه ، وهو الأخير لأنه العلم الذي لا يمكن استيعابه إلا إذا اتقنا العلوم الأخرى . وقال عنه أرسطو بأنه العلم الذي يبحث في الوجود كوجود وفي صفاته التي تخصه بسبب طبيعته ، وهو ما لا تنهض به العلوم المتخصصة حيث أنها لا تتعامل مع الوجود كوجود، لكنها تقتطع أجزاء منه وتبحث في صفاتها . ولقد وافق هذا التعريف للفلسفة بعض الفلاسفة ، فقال صامويل الكسندر، مثلاً ، إن الفلسفة هي نظرية الوجود ، وقال فرانسيس بيكون إن مهمة « الفلسفة الأولى » هي التأليف بين بدهيات الفروع المختلفة من الفلسفة ، وعرفها هيربرت سبنسر بأنها العلم الموحد ، ووصف سيدجويك مهمة الفيلسوف بأنها التأليف بين أهم الأفكار العامة والمبادىء الأساسية للعلوم المختلفة ، وهو عمل مستحيل بالطبع نظراً للتطور الهائل في العلوم ، ولكنه ممكن فقط بطريقة هيجل وكروتشه بحكم تعريفهما لعمل الفيلسوف بأنه التأليف بين العلوم المختلفة وتنظيمها بوصفها نشاطات متباينة للروح الإنسانية أو أنماطاً تعي من خلالها إمكانياتها ، وهي مهمة تجعل من الفلسفة نظرية في الثقافة ، وكانت لها أصداء واسعة في أوروبا ، وإن كان البعض لم يوافق عليها وألقى بتبعة هذه المهمة على كاهل علم الاجتماع . وفي مقابل هذه الدعوة التي حددت مهمة الفلسفة قامت دعوات وسعت منها وجعلت

الفلسفة شاملة بكل شيء ، ولكن الخلط الذي تردى فيه الفلاسفة بحيث لم يدركوا الفرق بين علم الكون Cosmology والميتافيزيقا الوصفية Descriptive Metaphysics هو الذي جر الفلاسفة إلى البحث في مسائل علمية باعتبارها من مجالات الفلسفة ، وأدى إلى قيام العلم في أحضان الفلسفة . ولأن الفلاسفة ، مثلاً ، لم يدركوا الزاوية التي يمكن أن يتناولوا منها فكرة الحركة من حيث أهميتها الفلسفية، فإنهم ظلوا يعملون في ميادين تخص الفيزياء وليست من الفلسفة في شيء . ولذلك فقد اتجهت الفلسفة من البحث في الأشياء ، أو في العالم ، إلى البحث في اللغة ، وحل التمييز بين اللغة والعالم محل التمييز القديم بين العالم الداخلي والعالم الخارجي أو بين الروح والمادة . وزعم رسل أن معظم الخلافات في مجال الفلسفة منشؤها الصياغات اللغوية غير المنطقية للقضايا المطروحة ، وقال بأن إخضاع العبارات المختلف عليها للتحليل الضروري والتطهير يبين أنها عبارات ليست فلسفية بالمرة ، أو غير منطقية ، وعندئذ تصبح مهمة الفلسفة هي المناقشة النقدية لكل المناقشات النقدية السابقة عليها ، بمعنى أن قيمة الفلسفة ليست فيما تقدمه من حلول نهائية للمسائل التي تطرحها ، إذ ليس من الضروري أن تكون هناك دائماً إجابات نهائية صحيحة ، وإنما قيمة الفلسفة في مناقشاتها المفتوحة والفرصة التي تتيحها لتوسيع أفق تصورنا و لإثراء خيالنا العقلي ، ولتقليل التوكيد الجزمي الذي يغلق كل سبيل أمام التنامي العقلي ، وقبل كل شيء فإن أهمية الفلسفة في تأملها لعظمة الكون ، وبذلك يصير العقل الإنساني عظيماً ويمكنه بذلك الاتحاد مع الكون ، وهو أسمى ما يمكن أن ينشده الإنسان لنفسه من خير .

فلسفة ألمانية German Philosophy

كانت ألمانيا حتى القرن الثالث عشر تعيش في عزلة عن تيار الفكر الأوروبي ، وقيلَ إن التعليم بها كان دينياً ، وكان في معظمه تحت إشراف الكنيسة وعلى أيدي الرهبان ، فلما حاول شرلمان أن يدخل التعليم العلماني لم تثمر مجهوداته كثيراً ، ومع ذلك ، وبفضل هذه المجهودات ظهرت بعض الأسماء ذات الشأن القليل مثل رابانوس ماوروس (المتوفي ٨٥٦ م) أول من دخل في جدل فلسفي حول معنى الفراغ عند أوغسطين ، وكانديدوس (٨٢٢ م) الذي قيل إنه أول مفكّر أوروبي يصوغ برهاناً لوجود الله . إلّا أن أول من تؤرخ باسمه الفلسفة الألمانية كان أوتو فريزنج (نحو ١١١٤ ـ ١١٥٨) ، وقد تولّى التعريف بأرسطو في ألمانيا ، وقدم كتابه « الأورجانون » جميعه ، وكان يظن أن أرسطو منطيق ، وأفلاطون هو الفيلسوف . ولكن الوضع سرعان ما تغير في القرن الثالث عشر بتقديم المزيد من ترجمات أرسطو والتعليق عليها ، واشتهر من المعلقين أرنولد السكسوني (١٢٣٠) وألبرتوس ماجنوس (١١٩٣ ـ ١٢٨٠) الذي حاولَ الدفاع عن الاتجاه الأرسطي ، وعن الرشدية ، والتوماوية ، ولكن أرسطيته كانت مشوبة بأفلاطونية محدثة . وفضل الدومينيكان الألمان أرسطية ألبرتوس على الأرسطية التوماوية الأنقى ، وسمي أتباعه بالألبرتيين ، وأبرزهم ديتريش من فرايبورج (١٢٥٠ ـ نحو ١٣١٠) المشهور ببحوثه في البصريات ، وقوس قزح ، وأولرخ من ستراسبورج (المتوفي نحو ١٢٧٧) ، وهيو من شتراسبورج (١٣٠٠) ، وبرتولد من موسبورج (١٣١٨) . وفي القرن الرابع عشر كانت الفلسفة قد وقفت على قدميها ، بفصلها عن اللاهوت ، وفي إطار الإسكولائية برزت تعاليم دنس سكوتس كمقابل لفلسفتي ألبرت وتوما الأكويني ، لكن الإسكوتية لم تجد مجالاً لها في ألمانيا ، ولم ترج إلّا صنوها : الأوكامية التي بشّر بها زميل سكوتس في الفرانسيسكانية وليام أوكام وكمقابل لكل الفلسفات الإسكولائية ظهرت حركات أخرى شديدة التعارض مع بعضها البعض : باطنية وطبيعية وإنسية . وكانت باطنية أو صوفية القرن الرابع عشر ، وعلى رأسها يوحنا إيكارت (١٢٦٠ ـ نحو ١٣٢٧) ، أساسها الأفلاطونية المحدثة . ولم يكز

نيقولا القوساوي (١٤٠١ - ١٤٦٤) باطنياً فقط ، ولكنه كان كل شيء يتعارض مع الإسكولائية ، فقد كان مشايعاً للإنسية ، وفيلسوفاً طبيعياً ، وأول فيلسوف في عصر النهضة من بلاد الشمال ، وآخر فلاسفة العصور الوسطى المهمين . ولم ترتبط فلسفة بالسياسة ارتباط الإسمية بها ، فقد هرب وليام الأوكامي سنة ١٣٢٩ من باريس وانضمَّ إلى الامبراطور لودفيج الثاني في صراعه ضد البابا يوحنّا الثاني والعشرين ، وصاغ نظرية سياسة تدافع عن حقوق الامبراطور وتحدي سلطة البابا في المسائل السياسية . وكانت للأوكامي مكانة في جامعة باريس لم تكن له مع سلطات الحكم هناك ، فقد كان مذهبه يفصل بين الإيمان والعقل ، والعقيدة والفلسفة ، وكان رشدياً جعل مناط الدين الوحي ، ومناط الفلسفة العقل ، ومن ثمَّ فقد حرَّر الفلسفة ، وكان معنى تحررها آنذاك أن تصبح أرسطية . وعقب الخلاف الكبير الذي نشب بين الألمان والفرنسيين حول تأييد البابا كليمنت السابع أو يوريان السادس ، طردت الحكومة الفرنسية الطلبة والأساتذة الألمان الذين يدرسون في جامعاتها ، وكان من بينهم اسميون كثيرون ، مثل مارسيليوس إنجين (نحو ١٣٣٠ - ١٣٩٦) ويوحنا بوريدان (المتوفي نحو ١٣٥٨) ، وأنشأت ألمانيا جامعاتها الخاصة لتستوعب هؤلاء ، ولتستبعد التأثير الفرنسي على عقول أبنائها ، والتحق هؤلاء بالجامعات الجديدة : براغ (تأسّست ١٣٤٧) ، وفيينا (١٣٦٥) ، وهايدلبرج (١٣٨٥) وإيرفورت (١٣٩٢) ، وعين ألبرت السكسوني مديراً لجامعة فيينا ، ومارسيليوس إنجين أول مدير لجامعة هايدلبرج . وفي سنة ١٤٠٩ خرج أكثر من ألف طالب ألماني من جامعة براغ احتجاجاً على تفضيل البوهيميين وواقعية هوس ، وكان أغلبهم اسميين ، وانتظموا مع إخوانهم الاسميين في بقية الجامعات الألمانية ، وبدأ المناخ الألماني جاهزاً الآن للإسهام في تطوير الفكر الأوروبي . غير أن الأوكاميين لا يمكن اعتبارهم فلاسفة يعتدّ بهم ، وكل ما قدموه يقتصر على تشكيلهم للحياة الجامعية في ألمانيا في زمانهم ، وكان إسهام مارسيليوس والسكسوني في الميكانيكا ، أما جبريل بيل (١٤٣٠ - ١٤٩٥) فكان مجاله اللاهوت ، ويطلقون عليه آخر الإسكولائيين ، وعلى يد أتباعه ، ويطلقون عليهم اسم الجبريليين ، تعلَّم لوثر . وجاءت الإنسية كرد فعل ضد الإسكولائية ، بتأثير من الأفلاطونية الإيطالية ، غير أن الأفلاطونية الإيطالية اتجهت للمصادر الإغريقية ، على حين كانت الإنسية الألمانية مسيحية وبرز من مفكريها إرازموس روتردام(١٤٧٦ - ١٥٣٦) ، ومن فوائدها أنها مهدت للإصلاح . وقامت فلسفة طبيعية في ألمانيا برغم أنه لم يكن هناك علم طبيعي ، ولذلك قيل إنها باطنية طبيعية وليست فلسفة طبيعية ، ومع أن كوبرنيق (١٤٧٣ - ١٥٤٣) وكبلر (١٥٧١ - ١٦٣٠) كانا ألمانيين ، إلاَّ أنهما يقفان وحدهما في الساحة العلمية الألمانية ، وكان تأثيرهما على إيطاليا وفرنسا وإنجلترا قبل أن يصل إلى ألمانيا نفسها ، وقامت الثورة العلمية في أوروبا في القرن السابع عشر ، لكنها لم تنتقل إلى ألمانيا إلاَّ في القرن الثامن عشر عندما انهارت الفلسفة الإسكولائية . وطبع لوثر الإصلاح الألماني (١٥١٥ - ١٦٨٠) وظهرت البروتستنتية كمذهب لوثري من نتاج عصر الإصلاح ، وتأثَّرت الباطنية بتعاليم لوثر ، وصارت لدينا باطنية أو صوفية بروتستنتية ، هاجمها اللوثريون بعنف ، وأبرز مفكريها يعقوب بيمه Böhme (١٥٧٥ - ١٦٢٤) ويوحنّا شيفلر (أو إنجيليوس سيليسيوس) (١٦٢٤ - ١٦٧٧) الذي تحوَّل فيما بعد إلى الكاثوليكية . وقامت الإسكولائية البروتستنتية على جهود ميلانشتون (١٤٩٧ - ١٥٦٠) ، وكانت إنسية أرسطية ، وتأثَّرت بأرسطية النهضة في إيطاليا عند زاباريللا وبيكوليميني وسطاليجر . وكان الكالفينيون أكثر انسياقاً للحركة الإنسية من اللوثريين ، وأسبق في فصل الإيمان عن الفلسفة ، وأكثر انفتاحاً فلم يرفضوا الكتابات المعادية للأرسطية التي كان ينشرها بطرس راموس ، وطوّروا اهتماماتهم الإبستمولوجية قبل اللوثريين ، وخاصة في

النظرية السياسية ، حيث كان يوحنّا ألثوسيوس (١٥٥٧ ـ ١٦٣٨) بجامعة هيربورن يعلم مذهب طبيعية القانون واستقلاليته عن الشريعة . وفي نهاية القرن السابع عشر قامت ردة ضد الإسكولائية البروتستنتية وتعاليمها ، وتزعمها بين اللوثريين أوجست هيرمان فرانكه (١٦٦٣ ـ ١٧٢٧) وفيليب سبنر (١٦٣٥ ـ ١٧٠٥) باسم الباطنية العملية بين التقويين ، ويعقوب توماسيوس (١٦٢٢ ـ ١٦٨٤) بين الكالفينيين باسم توجيه التعليم وجهة عملية والعودة إلى دراسة الطبيعة . وقضىٰ لويس الرابع عشر بمعاهدة وستفاليا (١٦٤٨) على الكالفينية في ألمانيا ، فرحلت نهائياً عن مركزها العتيد في جامعة هايدلبرج إلى هولندة ، وفي الأخيرة احتكَّ الكالفينيون الألمان بالعشرات ، ولأول مرة ، بالديكارتية والفلسفات الأوروبية الأخرى التي كان يحاربها لويس الرابع عشر في فرنسا ، فأتاحها عن غير قصد للألمان ، الذين نقلوها إلى بلدهم . وتعتبر الفترة من ١٦٥٠ إلى ١٧٠٠ هي فترة التغلغل الفكري الغربي في ألمانيا ، وعلى نهاية القرن السابع عشر كانت الديكارتية تدرس وكانوا يخلطونها بالإسكولائية . وعرفوا جاسندي وسبينوزا . وكان أول مفكر ألماني في تلك الفترة بعد يوحنا ستيرم (١٦٣٥ ـ ١٧٠٣) وكريستوفوروس فيتيش (١٦٢٥ ـ ١٦٨٧) ويوحنّا كلوبيرج (١٦٢٢ ـ ١٦٦٥) ودانيال سينرت (١٥٧٢ ـ ١٦٣٧) وفريدريك ستوش (١٦٤٦ ـ نحو ١٧٠٤) وفون تشيرنهاوس (١٦٥١ ـ ١٧٠٨) ـ جوتفريد وليام لايبنتس (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) ، وفيه تجلّت كل تيارات عصره الفكرية ما عدا الباطنية والتقوية ، ومنه فاضَ الخط الرئيسي لفكر التنوير الألماني ، وكان تأثيره واضحاً في المجالات التي طرقها ، والتي تأثَّر فيها بالفكر الفلسفي والعلمي في إنجلترا وفرنسا وهولندة ، ولكنه على خلاف معاصريه في تلك البلاد ـ ديكارت وسبينوزا ولوك وهوبز ونيوتن ـ كان واقعاً كذلك ، وبشكل واضح ، بالإسكولائية ، وكان به شيء من التديّن لا نجده لدى المفكرين الغربيين ، فيما عدا باسكال ومالبرانش . وكان أفول الإسكولائية البروتستنتية في ألمانيا في القرن السابع عشر لنفس الأسباب التي أنهت الإسكولائية الكاثوليكية ، في دول أوروبا في القرن الخامس عشر ، فقد فشلت الفلسفتان في تلبية حاجات العصر الدينية والفكرية والعلمية ، ولم يكن باستطاعتهما استيعاب التقدم العلمي والتكنولوجي ، وتخلَّفت ألمانيا عن أوروبا في التخلّص من نير الإسكولائية بمائة سنة كاملة ، فلما بدأت تفيق ، تميّز التنوير فيها بسمات لم تكن للتنوير الإنجليزي أو الفرنسي ، فالتنوير الألماني الذي استمرَّ من ١٧٠٠ حتى ١٧٨٠ لم يكن له سند علمي ، وكانت ألمانيا تجهل نيوتن ونظرياته تماماً ، ولم تبدأ تتعرف إليه إلاَّ في منتصف القرن السابع عشر . ولم يتوجه التنوير الألماني إلى الإصلاح السياسي بسبب الانقسام بين الإمارات الألمانية ، وضعفها ، وعجز الفكر السياسي أن تكون له نظرية أو اجتهادات سياسية ، حتى حدثت الثورة الفرنسية فهزَّت الألمان هزّاً عنيفاً . وكان طابع هذا التنوير دينياً مثلما كانت الإسمية في ألمانيا دينية ، ولم تكن للألمان جرأة على مناقشة مسائل الدين كالتي كانت لفولتير مثلاً . وقام التنوير الألماني على مفكرين اثنين هما كريستيان توماسيوس وكريستيان فولف ، والأول هو أول أستاذ جامعي يتحلّل من الالتزامات الإسكولائية ويحاضر بالألمانية ، ويصدر جريدة بالألمانية ، وكان رائداً لما يسمَّى بالفلسفة الشعبية التي برزت في منتصف القرن الثامن عشر ، غير أن توماسيوس لم يكن فيلسوفاً بالمعنى الحقيقي ، وكذلك كان فولف (١٦٧٩ ـ ١٧٥٤) ، إلاَّ أن فولف كان يقتدي بلايبنتس ، ولن تنسىٰ له ألمانيا أنه واضع المفردات الفلسفية ـ الألمانية ، وأنه يستحق لذلك لقب المعلم الألماني مثلما استحقه رابانوس ماوروس أو ميلانشتون . وشايعه على مذهبه كثيرون ، منهم بيلفنجر الذي صاغَ عبارة « الفلسفة اللايبنتسية الفولفية » ، وباومجارتن الذي طبَّق فلسفته في مجال الاستطيقا ، ومن ثمَّ صارت بفضله نسقاً مستقلاً ،

وكنوتسن أستاذ كنط . وساعد على نمو التنوير عدة عوامل منها دعم فريدريك الأكبر لأكاديمية برلين ، واستقدامه للعلماء من كافة بلدان أوروبا حتى أن برلين ، من كثرة من قدم إليها من المفكرين الفرنسيين ، قيل إنها قد صارت باريس أخرى ، وتحولت جوتنجن بفضل جامعتها التي أسَّسها جورج الثاني ملك إنجلترا إلى مركز إشعاعي ، انفتحت من خلاله ألمانيا للفكر والترجمات الإنجليزية ، واشتهرَ من مفكري برلين ليسنج (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) ، ومن مفكري جوتنجن فيدر (١٧٤٠ ـ ١٨٢١) وليتنبرج (١٧٤٢ ـ ١٧٩٩) . وكان عصر التنوير عصر صحف ومجلات دورية ، ولذلك قام ضرب من التفلسف أطلق عليه اسم الفلسفة الرائجة ، بسبب ترويج هذه الصحف والمجلات لها . ورغم أن كنط نشر بحثاً بعنوان « ما هو التنوير » إلاَّ أنه في الحقيقة كان ضد التنوير ، وإن فهم خطأ أنه مع التنوير ، وعلى هذا الأساس انتقده هيردر (١٧٤٤ ـ ١٨٠٣) وهامان (١٧٣٠ ـ ١٧٨٨) ، وكان نقد هيردر سبباً من أسباب قيام الحركة الرومانسية . غير أن الفلاسفة العظام ـ كقاعدة ـ تستثير فلسفاتهم نقد النقاد ، وينقسم المفكرون بشأنهم بين مؤيّد مسرف وناقد متطرِّف . أما النقاد من أمثال جارفي وإيبرهارد وبلاتنر فانبعثوا من نقدهم بأسباب إيثارهم للميتافيزيقا والفلسفة الرائجتين ؛ وأما فون بادر وشلايرماخر وبول ريختر فكانوا دعاة ضرب من الحدس والإيمان لا يتفق مع منهج كنط المتعالي التحليلي النقدي . وتولى عدد كبير من التلاميذ شرح فلسفة كنط ، والدعاية لها في الصحف والمجلات ، منهم هيرتز وشميت وميلين وكراوس . واتجهت مجموعة أخرى من المؤيّدين إلى صياغة فلسفاتهم الخاصة ، ولكنها كانت كنطية برغم عدم اتفاقهم مع كنط على بعض تطبيقاته الفلسفية من هؤلاء راينهولت وفريز وبيك وميمون ، وكانوا رواداً للتطورات القادمة في فلسفة كنط : الكنطية المثالية (ميمون وبيك) والكنطية الواقعية (راينهولت) والكنطية السيكولوجية (فريز) . وكانت الفترة من ١٧٩٠ إلى ١٨٣٠ فترة فلسفات كبرى اضطلع بها مشايعو كنط والفلاسفة المثاليون ، وكلهم بدأوا مع كنط ، وكلهم تجاوزه ، ولكنهم جميعاً سلموا ، حتى شوبنهاور ، سلموا بمديونيتهم لكنط ، ومن هذه الفلسفات الحركة الرومانسية التي بدت آثارها في كتابات شليجل (١٧٧٢ ـ ١٨٢٩) ونوفاليس (١٧٧٢ ـ ١٨٠١) وأطلقت الخيال الألماني من إسارة ، فراح يستكشف كل شيء بلا حدود ولا قيود ، وعادت أول الأمر كل ما يمت بصلة للتنوير ، فكانت ضد نابليون مثلاً لأنه نتاج التنوير في فرنسا ، ثم انقلب ذلك إلى تعصّب لكل ما هو ألماني ضد ما هو ليس بألماني ، وقامت على أثر ذلك حركة تستبعد كل التأثيرات الأجنبية في الفكر الألماني ، وتنهض على تجربة ألمانية خالصة ، وهي المثالية الألمانية ، وهي بحق فلسفة تعبر أصدق تعبير عن الروح الألمانية ، ونعني بها فلسفة هيجل وشيلنج وفشته ، ويمكن إضافة فلسفة شلايرماخر وشوبنهاور وكراوزه ، وعموماً فإننا عندما نتحدث عن فلسفة ألمانية عبر التاريخ كله فإنَّما نعني بها الفلسفة المثالية ، فالمثالية لا شك في ذلك هي تخصص ألمانيا . وكان عمانوئيل هيرمان فشته (١٧٩٦ ـ ١٨٧٩) وهيرمان أولريسي (١٨٠٦ ـ ١٨٨٤) وكريستيان فايسه مثاليين ملحدين معارضين لوحدة الوجود عند هيجل . أما فشتر (١٨٠١ ـ ١٨٨٧) فكان كل نفساني تشبه أفكاره الفلسفة الطبيعية عند شيلنج . وكان لوتسه (١٨١٧ ـ ١٨٨١) وفنت (١٨٣٢ ـ ١٩٢٠) ودريش (١٨٦٧ ـ ١٩٤١) ضد المادية . وكان هارتمان (١٨٤٢ ـ ١٩٠٦) مع الإرادة الحرة ضد شوبنهاور رغم تشاؤمه الذي لم يكن طابعاً عاماً لدى المثاليين الألمان . إلاَّ أن المرحلة كلها كان الشخصية الرئيسية فيها هيجل ، وكان شخصية محورية بحق ، وانقسم الفكر من بعده إلى يمين ويسار ، وقال اليمينيون إن الحقيقة الفلسفية والحقيقة الدينية عند هيجل متطابقتان ، واستخدموا فلسفته ضد التقدمية المطالبة بالإصلاح السياسي والاجتماعي ، ولكنهم واصلوا عمله في

مجال تاريخ الفلسفة ، وتحققت أهم إنجازاتهم على يد يوحنا إدوارد إردمان (١٨٠٥ - ١٨٩٢) وكارل روزينكرانتس (١٨٠٥ - ١٨٧٩) وكارل فون برانتل (١٨٢٠ - ١٨٨٨) وكونو فيشر (١٨٢٤ - ١٩٠٧) . ولليسار الهيجلي أو الهيجليين الشبان مكانة أكبر في تاريخ القرن التاسع عشر ، وفي الفلسفة المعاصرة ، فقد رفضوا الجانب المثالي في هيجل ، وقبلوا جانبه الجدلي ، فكانت الفلسفة عندهم وسيلة لتغيير العالم وليس لفهمه ، وكان ذلك يعني ضرورة تحطيم المعتقدات الدينية ليكون هذا التغيير ممكناً ، وهذا ما حاوله لودفيج فيورباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢) وداوود شتراوس (١٨٠٨ - ١٨٧٤) في دراستهما التاريخية والسيكولوجية للدين . وكانت الفوضوية هي النتيجة الطبيعية للفلسفة الأنا وحدية عند ماكس شترنر (١٨٠٦ - ١٨٥٦) . ولذلك فقد استقبلت الحكومة فلسفة اليسار الهيجلي بحذر شديد ، واستبعدت مفكريه من مناصب الجامعة ، ومنهم من عاش جلَّ حياته في المنفى ، مثل هنري هايني (١٧٩٧ - ١٨٥٦) وأرنولد روجي (١٨٠٢ - ١٨٨٠) وكارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) . وكل هؤلاء كانت تأثيراتهم على الحياة السياسية والاجتماعية ، وليس على الجامعة ، واتجهوا إلى المادية الميتافيزيقية ، فيما عدا ماركس الذي قال إن ماديته جدلية ، وكان فرديناند لاسال (١٨٢٥ - ١٨٦٤) مؤسّس الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، ومنذ انقسام ألمانيا إلى شرقية وغربية ، صارت الماركسية بشقيها : المادية الجدلية ، والمادية التاريخية ، الفلسفة أو الأيديولوجية الرسمية لألمانيا الشرقية . وسايرت تلك الاتجاهات المعادية للدين وللمثالية ردود فعل من قبل الجامعات ، تمثلت في بعث الاهتمامات النقدية بالمسائل الابستمولوجية على طريقة كنط وبنيكه ، وكانت بحوث هلمهولتز (١٨٢١ - ١٨٩٤) العلمية أساساً لحركة كنطية محدثة تزعمها لانجي (١٨٢٨ - ١٨٧٥) وهيرمان كوهين (١٨٤٢ - ١٩١٨) . وكذلك كانت هناك محاولات أخرى من فلاسفة وضعيين عالجوا ابستمولوجيا العلوم الدقيقة ، مثل فايهنجر (١٨٥٢ - ١٩٣٣) الذي تشابهت فلسفته الاختلاقية والفلسفة البراجماتية الأمريكية ، وإرنست كاسيرر (١٨٧٤ - ١٩٤٥) الذي يكاد يتماثل فكرة في فلسفة العلوم مع الوصفية المنطقية المتأخرة . أما إرنست لاسي (١٨٣٧ - ١٨٨٥) فكان أول منسق للوضعية دون الميول الكنطية التي كانت لدى هلمهولتز ولانجي ، وطور ريتشارد أفيناريوس (١٨٤٣ - ١٨٩٦) النظرية النقدية التجريبية التي كانت تقرب كثيراً من وضعية إرنست ماخ (١٨٣٨ - ١٩١٦) الحسية ، والأخير أثر مباشرة في تطوير الوضعية المنطقية عند موريتس شليك (١٨٨٢ - ١٩٣٦) وحوارييه . وكانت الواقعية منذ كنط إما ديكارتية تؤكّد الشيء في ذاته كجوهر ، أو أرسطية تؤكد السمات الطبيعية الغائية لعملية الإدراك وغيرها من العمليات العقلية ، أو أفلاطونية تؤكّد على المعاني والقيم وأشباهها . وتطورت الواقعية الديكارتية عند هيربرت (١٧٧٦ - ١٨٤١) والكنطيين المحدثين ريل (١٨٤٤ - ١٩٢٤) وخصومهم كولبي (١٨٦٢ - ١٩١٥) . وقام بالواقعية الأرسطية أدولف ترينديلنبرج ، وبالواقعية التوماوية الفلاسفة الكاثوليكيين الخلص كيوسف كليتجن (١٨١١ - ١٨٩٣) ويوسف جيرز (١٨٦٩ - ١٩٤٨) . واختلطت الواقعية الأرسطية عند غير الكاثوليكيين بأفكار من « فلسفات الحياة » كما عند رودولف أوبكين وهانز دريش . وأدَّت الواقعية الأفلاطونية عند برنارد بولزانو (١٧٨١ - ١٨٤٨) إلى دمج المفاهيم المنطقية والسيكولوجية عند سيجنارت (١٨٣٠ - ١٩٠٤) وإلى علم الظواهر عند هوسرل ، وتشابهت نظريتا هوسرل وبولزانو إلى حد كبير ، كما وضح تأثر هوسرل ببرانتانو (١٨٤٨ - ١٩١٧) . وقامت فلسفات واقعية أخرى مشابهة عند ماينونج (١٨٥٣ - ١٩٢٠) وكريستيان فون إيرتفيلس (١٨٥٩ - ١٩٣٢) وكارل ستمف . ولقد أراد هوسرل أن يتجنب بمنهجه الوصفي أيّة نتائج ميتافيزيقية ، ولكنه اتجه أكثر فأكثر إلى مثالية

ترانسندنتالية ، لم يتابعه عليها من أخذ بمنهجه ، واستمرّوا في رفضهم للميتافيزيقا ، أو كانت لهم مواقف ميتافيزيقية مغايرة لميتافيزيقيته ، رغم أن أغلبهم كانوا واقعيين بمعانٍ مختلفة ، فماكس شيلر (١٨٧٤ - ١٩٢٨) ونيقولا هارتمان (١٨٨٢ - ١٩٥٠) ظلّا واقعيين أفلاطونيين في نظرية القيمة ، وربما كانت أونطولوجية هارتمان الواقعية آخر الأنساق الميتافيزيقية الكبرى التي أنجزتها الفلسفة الألمانية . وتأثّر مارتن هايدجر بهوسرل ، على الأقل ، بداية حياته ، وكارل ياسبرز ، واستمرّت العلاقة وطيدة بين الظاهراتية والوجودية في فرنسا ، ولكنهما في ألمانيا كانا متعارضين ، ورفض هايدجر وياسبرز فكرة هوسرل أن الظاهراتية يمكن أن تجعل من الفلسفة علماً ، ولم تكن لهما طموحات هوسرل الموضوعية ، وذهبا يتفلسفان من منطلقات فردية وجودية ، ولكن ياسبرز لم يحقق لنفسه المكانة التي حققها هايدجر لنفسه في الفكر الألماني ، وكان لذلك أكثر الفلاسفة تأثيراً في ألمانيا في الربع الثاني من هذا القرن ، وربما ما يزال حتى اليوم ، ولقد ساير ركب التقدّم في العلوم الطبيعية تطوّر مماثل في الدراسات الإنسانية ، وكانت الاهتمامات بها قد بدأت مع هيردر وهمبولت (١٧٦٧ - ١٨٣٥) وترايتشكه (١٨٣٤ - ١٨٩٦) وفون رانكه (١٧٩٥ - ١٨٨٦) . وحظيت المناهج المتعارضة للعلوم الطبيعية والاجتماعية باهتمام الكنطيين المحدثين بهايدلبرج : فندلبانت (١٨٤٨ - ١٩١٥) وجورج سيمل (١٨٥٨ - ١٩١٨) ، ووليام دلتاي (١٨٣٣ - ١٩١١) وماكس فيبر (١٨٦٤ - ١٩٢٠) وكارل مانهايم (١٨٩٣ - ١٩٤٧) . ولا شك أن فيلسوف الثقافة في القرن التاسع عشر كان فريدريك نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠) ، وكانت فلسفته رد فعل عنيف لمثل القرن التاسع عشر : الليبرالية والديموقراطية والنفعية والوطنية ، وذهب إلى القول بأن القيم من خلق الإرادة ، ولكن الإرادة كثيراً ما تشوهها وتتحرف بها مختلف الضغوط الاجتماعية . وكان تأثير نيتشه واضحاً في هايدجر وياسبرز ، وألفريد باوملر الذي كان صنيعة نيتشه النازي . ولا شك أن أوزفالد شينجلر (١٨٨٠ - ١٩٣٦) كان الفيلسوف الثقافي الثاني في الفترة من ١٩١٨ إلى ١٩٣٩ ولكنه لم يخلف أثراً ذا بال في الفلسفة الجامعية . وعلى أي حال فإن اصطلاح فلسفة الثقافة لم يكن في الأصل اصطلاحاً جامعياً ، ولكن الذين استخدموه مفكرون من غير أساتذة الجامعات ، بدوافع الترويج للأيديولوجيات العنصرية والوطنية مثل هيرمان فون كيسلرنج وستيفان جورج وهوستون شمبرلين وآرثر موللر بروك وألفريد باوملر وألفريد روزينبرج . ومنذ الحرب العالمية الثانية اتّجهت البحوث الفلسفية إلى المنطق الحديث ، وفلسفة اللغة ومناهج العلوم .

فلسفة أمريكية American Philosophy

تميزت الفلسفة الأمريكية دائماً بأنها فلسفة براجماتية ، رغم أنها كانت باستمرار فلسفة مستقبلة لكل التيارات الفلسفية الأوروبية ، من التطهرية والمثالية إلى الطبيعية والوضعية . ولم تعرف أمريكا البراجماتية بشكلها الصريح إلا في أواخر القرن التاسع عشر ، لكن التاريخ الأمريكي يحفل بالدلالات التي تشير كلها إلى تغلغل المنهج البراجماتي في التجربة الفلسفية الأمريكية ، فما كان من الممكن لأسلوب الحياة الأمريكية وتتابع الهجرة وما كانت تفرضه الحياة الجديدة على السكان إلا أن يفرخ هذا النمط من التفكير . وحتى في عصر الاستعمار البريطاني ، اتجهت أمريكا إلى مذهب المتطهرين لأنه يناسب الفردية الأمريكية ، فالخلق التطهري (البيوريتاني) يدعو إلى النظام والاقتصاد والإقبال على العمل ، وكلها قواعد للسلوك الصناعي العملي لها مزاياها في المجتمع الأمريكي النامي . ومع ذلك قويت به آنذاك نزعتان ، النزعة اللامادية ويمثلها جوناثان إدوارد وصامويل جونسون ، وكانت نزعة كالفينية أو قدرية ، والنزعة المادية ويمثلها كادولودر كولدن وبنيامين فرانكلين ، وكلاهما من المؤمنين بفلسفة نيوتن الطبيعية . والتفسير

الميكانيكي الخالص للعالم . وتفوقت النزعة المادية ، وارتبطت بها نزعة إلى الربوبية تؤمن بالله بغير اعتقاد بالديانات المنزلة ، ويرى الربوبيون أن الإنسان قادر على أن يحقق لنفسه حياة طيبة على الأرض دون انتظار للآخرة . لكن إعلان الاستقلال والثورة الفرنسية أحدثا رد فعل ضد هذه الآراء الليبرالية ، ورفض الجنوب مذهب الحقوق الطبيعية الذي دعا إليه جفرسون ، وعارض كالهون مساواة جفرسون وقال إن عدم المساواة شرط للتقدم . وعرفت تلك الفترة الواقعية المسماة الواقعية الاسكتلندية ، تقول بسيادة العقل وبالمنهج الاستنباطي في التفكير . وواكبتها حركة فلسفية أخرى تعرف بالترانسندنتالية تناهض التشاؤم الكالفيني او القدري وتدعو إلى التفاؤل ، مضمونها مثالي أخلاقي أكثر منه تأملياً ، وود الترانسندنتاليون تحرير الفرد من التقاليد والعادات ، ونادى ثورو مثلاً بتحرير الفرد ليتبع ما يمليه عليه ضميره وبصيرته الشخصية . وكانت نظرية الارتقاء لداروين نقطة تحول في الفلسفة الأمريكية ، أحالت فكرة الطبيعة من نظام ثابت من الحقيقة الأزلية إلى واقع متغير باستمرار تغيراً ديناميا ، وشجعت التفسيرات العلمية في غير العلوم الطبيعية ، وقوضت سيطرة الفلسفة المثالية على الفكر الأمريكي ، ومهدت لإدخال التجريبية في الفلسفة . غير أن العصر الذهبي ، كما يسمونه ، في الفلسفة الأمريكية ، كان الفترة من ١٨٨٠ إلى ١٩٤٠ بسبب ظهور عدد من المفكرين والحركات الأصيلة في الفلسفة . وكانت أهم شخصيات ذاك العصر بيرس وجيمس وديوي ورويس وسانتايانا ووايتهد ، وكانت البراجماتية والواقعية والطبيعية أهم حركاته الفلسفية . وبيرس هو أبو البراجماتية ، وصفها بأنها منهج للتيقن من معاني الكلمات الصعبة والمفاهيم المجردة ، لكن جيمس طور فكرة بيرس ووصف البراجماتية بأنها لا تحدد معاني الكلمات فقط لكنها كذلك نظرية للتيقن من صدق الواقع . لكن ديوي وصف تفسير بيرس بالجمود ، وتفسير جيمس بالذاتية ، وأقام نوعاً من البراجماتية أطلق عليه الذرائعية ووصفها بأنها منهج لاستخلاص النتائج النهائية التي ينبغي أن ننتهي إليها إذا وضعنا في اعتبارنا كل ظروف المشكلة مثار التفكير . ووصف ديوي التفكير الذرائعي بأنه نوع من التكيف لتحديات البيئة . وكانت أهم إسهامات البراجماتية تقويضها لمفاهيم الميتافيزيقا التقليدية، ولذلك تعاطف بيرس وجيمس وديوي مع الواقعية ضد المثالية ، وكانت الواقعية مذهباً جديداً أخذ يروج في أواخر القرن العشرين ، لكنه تطور إلى حركتين ، الواقعية المحدثة والواقعية النقدية ، وكان المحدثون يقولون إن الشيء المعلوم له وجوده المستقل ، لكن النقديين قالوا إن الإدراك لا يكون للشيء نفسه ، لكنه إدراك لمعطيات قد تمد المدرك بالشواهد على وجود الشيء ، لكنها شواهد قد لا تكون أجزاء أو أوصافاً من الشيء . وتزعم المحدثة بيري ومونتاج وهولت وسبولدنج ومارفن، وميزوا أنفسهم كحركة . وتزعم النقدية سانتايانا ولفجوي وسيلارز وسترونج وبرات ودريك وروجرز . لكن الواقعية برافديها توقفت عن أن تكون تياراً مؤثراً بعد ١٩٣٥ ، وغطت عليها الفلسفة الطبيعية التي استمرت من العصر الذهبي حتى وقتنا هذا مع اختلاف في المضمون والشكل ، فالطبيعة القديمة كانت تعني تفسير الظواهر بمسبباتها الطبيعية ، وتطور هذا المعنى بواسطة ديوي واتخذ مفهوماً جديداً هو دراسة الظواهر دراسة منطقية تجريدية تحتوي الظاهرة بأكملها طبيعية كانت أم شعورية أم اجتماعية أم من أي نوع كانت ، دراسة لا تفرق بين ظاهرها وباطنها ولا بين العقل والجسد . ورفض الطبيعيون مطالب الدين التقليدية ، لكنهم لم يكونوا جميعاً ضد الدين ، وفرق ديوي مثلاً بين الدين والصفة الدينية للتجربة ، وقال إن الصفة الدينية وحدها شيء له معنى ، وأننا نعي مثلنا ومطامحنا العليا بالتجربة الدينية ، وأن الله ليس إلا غايات مثالية وقيماً يخلص المرء إخلاصاً كاملاً ، ولذلك كان أغلب الطبيعيين إنسانيين ، بمعنى أن الإنسان وما يحتاجه ويريده هو أساس القيمة . ومن الصعب تحديد تاريخ انتهاء العصر

الذهبي للفلسفة الأمريكية ، ومـا زالـت بعض نظريـاته تطرح للمناقشة حتى الآن ، ومع ذلك فالمشهد الفلسفي الأمريكي المعاصر ما تزال به بعض الاتجاهات الفلسفية البـارزة ، ولا يمكن أن ننكـر أن التحليـل الفلسفي بشقيه ، الوصفية المنطقية والفلسفة اللغوية ، قد صار هو الاتجاه الفلسفي السـائد في أمـريكا اليـوم . ولقد بدأت الوضعيـة المنطقيـة ، الأوروبية المنشـأ ، تعقل فعلها في الفكر الأمريكي منذ الثلاثينات ، وربما كان مرجع ذلك هروب أقطابها اليهود من ألمانيا والنمسا بعد تولي النازي الحكم ، واستقرارهم في أمريكا ، ومنهم كـارنـاب ورايشنبـاخ وفيليب فـرانـك وريتشـارد فـون وهيـربرت فيجـل وكارل هيمبـل وألفريـد تـارسكي ، وغايتهم اصلاح الفلسفة بهدف جعلها وسيلة صالحـة لتحليل المعاني وتوضيحها ، ومن ثم تنقية اللغات الحية وجعلها وسيلة التفاهم المثلي ، ومنهجهم مبـدأ القابلية للتحقيق ، فالجملة لا تكون ذات معنى إلا إذا كـانـت ممكنة التحقيق تجريبياً ، ومن ثم فكل جمل القضايـا الرياضية والمنطقية وجمل الميتافيزيقا كلها لغو لا مبرر له وحشو بلا معنى ، لأنها جميعـاً غير قـابلة للتحـقق منها . واتهم فلاسفة التحليل اللغوي بالغثاثة والتفاهة ، وبـأنهم أحالـوا الفلسفة إلى تمـرينات لغـوية عـديمـة الجدوى . وشمل الاتهام مور وفتجنشتاين ورايل وجون اوستن . ورغم أن اتجاهاتهم كانت صدى للاتجاهات المماثلة في أوروبا ، إلا أن مذاهب أخرى راجت في أوروبا ولم ترج في أمريكا ، مثل الظاهراتية والتوماوية (نسبة إلى توما الأكويني) والماركسية .

فلسفة بريطانية British Philosophy

ربما كانت السـمـة الغالبـة على هذه الفلسفـة أنها إسمية وتجريبيـة منذ بـدايتها ، وربمـا كانت إسميتهـا للمصاعب اللغوية التي تكثر في اللغة الإنجليزية ، على عكس ما يرى البعض مثل بيرس ، وللتطور الهائل الذي كان يحدث لهذه اللغة ، الأمر الذي جعل فلاسفتها غير واثقين دائماً من مصطلحاتهم ، وفي حاجة ماسـة إلى تعـريفها والإحـاطة بمعـاني كلماتهـا . ولعل هـذا هو السبب الأكيد الذي جعل الأوكامي فيلسوفاً لغوياً . غير أننا نستطيع أن نلمس سمة غـالبة أخـرى في الفلسفة البريطانية يسميها مورهيد بحق التراث الأفلاطوني في الفلسفة الانجلوسكسونية، وإننا لنعثر على هذه السمة واضحة في مذاهب إريجينا ودنس سكوتس وويكليف وأفلاطونيي كيمبردج والفلاسفة الاسكتلنديين وأصحاب المذهب المثالي المطلق. ويمكن القول أن الفلسفة البريطانية مرت بشكل عام بثلاثة عصور عظام ، الأول من ١٢٠٠ إلى ١٣٥٠ ، من جروستست إلى أوكام ؛ والثاني من ١٦٠٠ إلى ١٧٥٠ ، من بيكون إلى هيوم ، والثـالث من نحـو ١٨١٠ حتى الآن . ولم تتـخلف الفلسفة إلا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وأما الفترة من ١٧٥٠ إلى ١٨٥٠ فهي فترة رواج الفلسفة الاسكتلندية ، ولـذلك فهي فتـرة بريـطانية أكثـر منها إنجليزية . وتميزت العصور الوسطى بأنها عصر اللغة والثقافة اللاتينية ، ولذلك كان المثقف في أي من البلاد الأوروبية واحداً ، ويمكن أن يحاضر في أي جامعة من الجامعات الأوروبية بيسر وسهولة ، ولم يبرز بريطاني في تلك الفترة إلا يوحنا سكوتس إيجينا (نحو ٨١٠ ـ ٨٧٧) ، ورغم أنه بريطاني الجنسية إلا أن فلسفته لا يمكن أن نسميها بريطانية ، حيث أن طابعها كان أوروبياً أو لاتينياً بمعنى أصح . ويبدأ التأريخ الحقيقي للفلسفة البريطانية بالقرن الحادي عشر ، وربما كان أديلارد باث (نحو ١٠٨٠ ـ ١١٤٥) أول فيلسوف إنجليزي أصيل رغم أنه من دائرة الثقافة العربية ، واشتهر بترجماته عن العرب في العلوم والفلك والرياضيات ، ولكن أصالته كفيلسوف تقوم على محاولته التوفيق بين آراء أفلاطون وأرسطو ، فهو يقول إن الكليات كـامنة في الأشيـاء ، ونحن الذين نستخلصها منها ، ولكنها كذلك أفكار في عقل الله ، وهو رأي ربما يرجعه البعض إلى ما يتصف به البريطانيون من ميل للحلول الوسط ، وربمـا ينسبه البعض إلى قصـور في القـوة التـأملية لـديهم . ومن شخصيـاتهم البارزة كـذلـك في تلك الفتـرة روبـرت

بوللن ، وربما لم يكن إنجليزياً ، وتقوم أهميته على محاضراته التي كان يلقيها في أوكسفورد (١١٣٣) والتي كان يؤمها يوحنا سالسبوري (١١١٥ - ١١٨٠) وهو أبرز فلاسفة بواكير القرن الثاني عشر ، وهو الذي بدأ محاولة التوفيق بين العقيدة المسيحية والعقلانية الأرسطية ، وكانت الفلسفة الأوروبية بتأثير أوغسطين قد اتجهت وجهة أفلاطونية ، ثم بتأثير الأكويني أصبحت أرسطية ، ثم ثار الفلاسفة على الأكويني ومدرسته ، ولم تؤد ثورتهم إلى إحياء الأوغسطينية أو إنهاء الأكوينية ، ولكنها وسعت الشقة بين اللاهوت والفلسفة ، وكان المفهوم أن ابن رشد قد فصل بين الاثنين، ولكن هذا الانفصال لم يصبح حقيقة في الفلسفة البريطانية إلا على يد الأوكامي وأتباعه ، وكان الإسكندر الهاليي (نحو ١١٧٨ - من أنصار الأوغسطينية ، ومن الذين عمقوا مفاهيمها ، بينما كان روبرت جروستيست (١١٦٨ - ١١٧٥ - ١٢٥٣) أرسطيا ، وكان أول من ترجم الأخلاق لأرسطو إلى اللغة اللاتينية ، ونذكر من معاصريه ريتشارد فيشيكر (المتوفي ١٢٤٥) الذي كتب أول تعليق بالإنجليزية على بطرس اللومباردي ، ويوحنا بلند (المتوفي ١٢٢٨) الذي ترجم كتاب النفس لأرسطو مع تعليق ابن سينا عليه ، وآدم مارش (١٢٠٠ - ١٢١٤ / ١٢٢٠ - ١٢٩٢) تلميذاً لجروستيست ، وشاركه في اهتماماته بالفلسفة الطبيعية ، وكان بيكون باحثاً أكثر منه معلماً ، وأكد أهمية الملاحظة والاستنباط الرياضي كطريقين للمعرفة الطبيعية ، ومن ثم كان اتجاهه لتقديم الدليل العلي على وجود الله كمقابل للدليل الجدلي المحض الذي قال به أنسلم . وكان بيكون نسج وحده في زمنه ، وبرز إلى جانبه عدد قليل من الفلاسفة، منهم وليام شيريزوود (المتوفي ١٢٦٧) المنطيق ، وروبرت كيلواردباي (المتوفي ١٢٧٩) الذي عارض بشدة بدع الأكويني الأرسطية ، ويوحنا بيكهام (١٢٢٥ - ١٢٩٢) تلميذ بونافنتورا ، وروجر مارستون (المتوفي ١٣٠٣) تلميذ بيكون . ويمثل كيلواردباي وبيكهام الخط المحافظ ، واستغلا منصبيهما في الكنيسة ضد الأكوينيين ، وكان أبرز هؤلاء توماس ستتون (نحو ١٣١٠) ونيقولا تريفيت (١٢٥٨ - ١٣٢٨) . وكان يوحنا دنس سكوتس (نحو ١٢٦٦ - ١٣٠٨) أول فيلسوف بريطاني كبير ، منذ إريجينا ، وربما كان أقوى ذهنية فلسفية في العصور الوسطى ، يوجه الفلسفة الانجليزية وجهة جديدة تماماً بعيداً عن الصراع بين أرسطو وأوغسطين ، ويضع الحدود الواضحة بين الإيمان والعقل ، وسادت فلسفته جامعات أوروبا مدة المائتي والخمسين سنة التالية ، واعتمد عليه روبرت برادوارداين (نحو ١٢٩٠ - ١٣٤٩) ويوحنا ويكليف (نحو ١٣٢٠ - ١٣٨٤) في دحض أتباع الأوكامي ، ويعد الاثنان أكبر فلاسفة النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، كما يعد ويكليف مؤسس البروتستانتية ، وكان حتى انسحابه للمناضلة من أجل إصلاح الكنيسة آخر الفلاسفة الانجليز في العصور الوسطى ، وبعد انسحابه (١٣٧١) رانت فكرة ركود استمرت قرنين ونصف . أما الاسكوتية فنذكر من فلاسفتها بعد سكوتس نفسه هنري كاركلاي (نحو ١٢٧٠ - ١٣١٧) الذي نحا إلى الإسمية ، ووالتر بارلييه (١٢٧٥ - ١٣٤٣) ألد أعداء منطق أوكام الجديد في أكسفورد ، وفي القرن السادس عشر برز توماس مور (١٤٧٨ - ١٥٣٥) وريتشارد هوكر (١٥٥٣ - ١٦٠٠) ، والأول له « الطوبى » (١٥١٦) يرسم فيها صورة مجتمع مثالي تتحقق فيه العدالة الاجتماعية المفقودة ، والثاني طالب أن يكون القانون السائد هو القانون الطبيعي ، ورده إلى الإرادة الإلهية ، وعارض مذهب الإرادة الحرة ضد الأوكامي وهوبز ، وتأثر به لوك كثيراً في نظريته عن الحكومة . ويعد فرانسيس بيكون أول فيلسوف انجليزي حديث ، وكان أول فيلسوف يؤلف كتاباً له قيمته بالانجليزية (١٦٠٥) ، ولكنه واصل نفس الخط الذي اختطه الأوكامي ، وهو فصل الفلسفة عن اللاهوت ، واتجه إلى دراسة الطبيعة كسلفية جروستيست وروجربيكون . وكان ضمن ما تصوره في مدينته الخيالية أطلانطس

الجديدة معهد للبحوث يموله المجتمع ، اعتقاداً منه بأن البحث العلمي عمل جماعي لا يمكن أن يحمل أعباءه الأفراد ، وقد تحقق له ذلك بعد عشرين سنة من موته ، فقد تأسست جماعة بأوكسفورد كانت نواة الجمعية الملكية للعلوم ، واضطلع بمعظم المجهود في إنشائها عالم فاضل هو روبرت بويل (١٦٢٧ ـ ١٦٩١) ، تابع بيكون على منهجه التجريبي . ولم تتضح خطورة الطريقة العلمية في التفكير على الدين إلا بمجيء توماس هوبز (١٥٨٨ ـ ١٦٧٩) ، ويعد بحق أكبر المنظرين البريطانيين ، ولكنه كان ملحداً ومادياً وحتمياً ، ولم ير ثمة داع للدين أو للكنيسة ، ومع ذلك لم تخلق ماديته إلا أثراً طفيفاً في الفلسفة الانجليزية ، فإذا كان هيوم هو أبو المذهب النفعي فإن هوبز هو جد هذا المذهب . ولقد خرج عليه فلاسفة كيمبردج ، الذين أطلق عليهم اسم أفلاطونيي كيمبردج ، وأبرزهم هنري مور ورالف كدويرت ، وكانت جل غايتهم أن يناهضوا الماديين وخاصة هوبز الذي أسقط الروح كلية من حسابه ، وديكارت الذي استبعدها من العالم الطبيعي ووصفها في إطار خاص بها. وقال هيربرت شيربري (١٥٨٣ ـ ١٦٤٨) بغريزة طبيعية وظيفتها إدراك الحقائق الروحية ، أما كدويرت (١٦١٧ ـ ١٦٨٨) فوصف العقل بأنه شمعة الرب ، كما وصف هنري مور (١٦١٤ ـ ١٦٨٧) المكان بأنه صفة من صفات الرب ، وهذه الفكرة أخذها نيوتن ، وعابها عليه لايبنتس في مراسلاته مع صامويل كلارك . وغير هؤلاء من أفلاطونيي كيمبردج يوجد يوسف جلانفيل (١٦٣٦ ـ ١٦٨٠) وفلسفته تلفيقية وتعتمد على معارضة الاسكولائية الرسمية التي كانت ما تزال قائمة . أما الخط التجريبي في الفلسفة البريطانية فقد تدعم بيوحنا لوك (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) ويعد أبرز من يمثل الفلسفة البريطانية بحق ، وأكثر فلاسفتهم تأثيراً في الفكر الأوروبي ، وكانت أفكاره ، بالإضافة إلى صورة نيوتن للعالم الفيزيائي ، الأساس الفكري للتنوير ، وعلى أفكاره قامت الديانة الطبيعية التي ينكر أصحابها الوحي والنبوة وأفكار الخطيئة والحلول والتناول ، وأبرز هؤلاء يوحنا تولاند (١٦٧٠ ـ ١٧٢٢) صاحب كتاب « مسيحية بلا ألغاز » ، وماثيو تندال (نحو ١٦٥٦ ـ ١٧٣٣) صاحب كتاب « المسيحية قديمة قدم العالم » ، ووليام والوستون (١٦٦٠ ـ ١٧٢٤) صاحب كتاب «ملامح الدين الطبيعي » (١٧٢٢). وكان من الطبيعي أن تقابل هذه الموجة الإلحادية بحركة مضادة ، نجد من أبرز مفكريها ريتشارد بنتلي (١٦٦٢ ـ ١٧٤٢) مؤلف كتاب « المادة والحركة لا يستطيعا التفكير » ، وصامويل كلارك (١٦٧٥ ـ ١٧٢٩) الذي أقام البرهان الديني على أساس استنباطي ، ووليام روبيرتون (١٦٩٢ ـ ١٧٥٢) مؤلف « تشبيه الدين » . واتجه بعض المفكرين إلى نقد لوك باعتباره أساس هذه الموجة ، فعارضه ريتشارد بيرثوج (نحو ١٦٣٨ ـ ١٦٩٤) بأقوال عقلانية أفلاطونية محدثة ، وانتقد بطرس براون (١٦٦٥ ـ ١٧٣٥) إيمان لوك المطلق بالعقل ، وقدرته المطلقة على التجريب واستخلاص النتائج الصحيحة ، وقال إن العقل لا يمكن أن يهتدي إلى الصحيح إلا بلطف من الله ، وقال يوحنا نوريس (١٦٥٧ ـ ١٧١١) ان الأفكار لا تنطبع في العقل كاستجابة للطبيعة الخارجية كما يدعي لوك ، ولكن الأفكار موجودة في العقل بفطرة الله ، وهو شيء نلمسه في كل الكائنات ولا يقتصر على الإنسان وحده . ويناقشه أرثر كولير (١٦٨٠ ـ ١٧٣٢) بطريقة سنجدها من بعد عند كنط ، ويصف القول بأن فكرة العالم الخارجي كأساس لما لدينا من أفكار فكرة سطحية . غير أن أقوى الدفوع ضد لوك وفلسفته جاءت من جورج باركلي (١٦٨٥ ـ ١٧٥٣) ، ووصف باركلي فلسفته بأنها لامادية . غير أن الفلسفة بعد باركلي قد اتجهت وجهة جديدة فابتعدت عن البحث في العالم إلى البحث في الإنسان ، ومن الفلسفة الميتافيزيقية إلى الفلسفة الخلقية، وكان الدافع إلى ذلك هوبز مرة ثانية ، فبعد أن أثار إلحاده ردود فعل صنعت حركة أفلاطونيي كيمبردج ، فإن حديثه عن أنانية الدوافع الإنسانية قد دفع

عدداً من المفكرين إلى الخوض في مسائل الأخلاق، وطبع القرن الثامن عشر بطابع أخلاقي حتى وصفه البعض أنه أكثر القرون أدباً، وأبطاله: لورد شافتسبري (١٦٧١ ـ ١٧١٣) الذي قال في كتابه «سمات الناس والأخلاق والآراء والأزمنة» بوجود حاسة خلقية لدى الإنسان، وفلسف فرانسيس هتشسون (١٦٩٤ ـ ١٧٤٦) قوله في كتابه «نسق فلسفة خلقية»، وعاد إلى النغمة النفعية أكثر الخير لأكبر عدد من الناس، وقال بوجود معتقدات طبيعية أو غريزية لدى الإنسان لا يملك إلا الإيمان بها. ووافق يوسف بتلر شافتسبري وهتشسون على رأيهما أن الفضيلة طبيعية في الإنسان، وقال بالضمير كأعلى سلطة خلقية. ولكننا نجد أن فلسفة هوبز ما تزال تجد لها مؤيدين في برنارد ماندفيل (١٦٧٠ ـ ١٧٣٣) الذي كرر قول هوبز أن صالح المجتمعات يقوم على تفهم الأفراد لمصالحهم الشخصية، وعارضه آدم سميث (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠) فأرجع التآلف الاجتماعي إلى قدرة الإنسان على تجاوز أنانيته، وإلى غريزة فيه أطلق عليها اسم التعاطف، وأطلق عليها ريتشارد برايس (١٧٢٣ ـ ١٧٩١) اسم الحدس الخلقي، وذهب إدموند بيرك إلى أنها مجموعة دوافع أنانية واجتماعية فطرية في الإنسان. أما داوود هيوم فكان نتاج تراث البحث الخلقي، وواصل الخط الإبستمولوجي الذي بدأه لوك وباركلي، ووصف تحفته «مبحث في الطبيعة البشرية» بأنها محاولة لتطبيق المنهج التجريبي في الاستدلال على الموضوعات الأخلاقية، وكان دافعه إلى ذلك طموح عصره أن يقدم للطبيعة البشرية تفسيراً، كالتفسير الذي طرحه نيوتن للعالم الفيزيائي، يتضمنه نسق واحد شامل من القوانين. وقام داوود هارتلي (١٧٠٥ ـ ١٧٥٧) يبحث في العقل أكمل وأشمل في كتابه «ملاحظات في الإنسان»، وقال إن الدوافع الخلقية مكتسبة وليست فطرية. وأكد يوسف بريستلي (١٧٣٣ ـ ١٨٠٤) أن التفكير مادي، وأنه نشاط ذهني صرف، وشاركه إبراهيم تاكر (١٧٠٥ ـ ١٧٧٤) رأيه، وقال إن الغيرية ليست غريزية. وكان وليام جوردوين (١٧٥٦ ـ ١٨٣٦) فوضوياً، فاعتبر كل المؤسسات الاجتماعية فاسدة، وذهب بعيداً بآراء هارتلي، وقال إن كل قدرات وسمات الإنسان مكتسبة. واشتهر في القرن التاسع عشر مدرسة الفطرة الاسكتلندية، فقال توماس ريد (١٧١٠ ـ ١٧٩٦) بوجود مبادىء واضحة بذاتها مثل المبدأ الذي يقول إن كل حادث لا بد له من سبب، وشايعه على ذلك توماس براون (١٧٧٨ ـ ١٨٢٠) في كتابه «بحث في العلاقة بين السبب والنتيجة» على عكس ما قال هيوم. وذهب وليام هاملتون (١٧٨٨ ـ ١٨٥٦) إلى أن المعرفة نسبية ومشروطة بما نعرفه، وأما المطلق أو غير المشروط فهو غير معروف، ولكن بوسعنا تصوره، والإيمان بوجوده، وأن نعرفه معرفة سالبة، وطور مانسل أفكار هاملتون في كتابه «الميتافيزيقا» وطبقها على اللاهوت في محاضراته الشهيرة بعنوان «حدود الفكر الديني» (١٨٥٨)، وإننا لنعثر فيها على أصداء من نظريات الأوكامي عندما يقول إن المعرفة الدينية لا سبيل إليها إلا بالوحي، وأن الله لا يمكن أن يقاس بمعايير الأخلاق الإنسية، وظلت فلسفة هاملتون كما طرحها مانسل المذهب الرسمي في الجامعات في منتصف القرن التاسع عشر، وكانت تعاليم هذه المدرسة التي أطلق عليها مل اسم مدرسة الحدس، هي التي وهب نفسه لدحضها، ومع ذلك ظل أثرها باق في الفلسفات القائلة بالتطور عند سبنسر ولويس، اللذين أدرجا مبدأها اللاأدري عن غير المعروف في فكرهما. أما الفلسفة الأخرى التي ذاعت في أوائل القرن التاسع عشر فهي الفلسفة النفعية، وكانت بدايتها خارج الجامعات، وحمل إرميا بنتام لواءها، وبنى مذهبه على أفكار هيوم التي يمكن التيقن من صدقها، وقال إن الصالح العام هو المقياس المعقول الوحيد للقيمة، وأن اعتبارات الألم واللذة هما الدوافع الحقيقية للسلوك. وأيد جيمس مل فلسفة بنتام الاجتماعية، وأرجع مثل هارتلي وجودوين سمات الشخصية لظروف البيئة، وعبر عن إيمانه، مثل

جوردوين ، بإمكان تغيير ظروف البيئة ، وعبر عن إيمانه ، مثل جودوين ، بإمكان تغيير ظروف البيئة تغييراً من شأنه تحقيق الكمال للإنسان . ووقف جيمس ستيوارت مل (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣) مع أبيه مؤيداً نظريته الإرتباطية وتحليله لظواهر العقل ، ومع بنتام في نظريته النفعية ومردودها الاجتماعي ، وطرح هو نفسه نظرية المعرفة وفي المنطق ، كانت في جوهرها إعادة صياغة لفلسفة بيكون في المنهج العلمي بهدف يماثل هدف هيوم ، أن يحقق بفلسفته تأسيس علم للطبيعة البشرية . ويبرز من تلاميذ مل اثنان : ألكسندر بين (١٨١٨ ـ ١٩٠٣) الذي وسع وضبط النظرية الارتباطية للعقل ، وهنري سدجويك (١٨٣٨ ـ ١٩٠٠) الذي شايع مل على فلسفته الأخلاقية . ولعل الفلسفة الثالثة التي اشتهرت في القرن التاسع عشر هي التطورية ، وكان إعلان داروين أن الإنسان ليس إلا جزءاً من الطبيعة على خلاف ما تذهب إليه الأديان من أنه خليفة الله عليها أهم حدث في التاريخ الفكري البريطاني في القرن التاسع عشر ، وسرعان ما قامت جوقة من الفلاسفة تدعي لنظريته بتطبيقات واسعة في مجالات أخرى ـ ولا شك أن هيربرت سبنسر (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) كان أبرزهم في كتابه « المبادىء الأولى » فقد حاول فيه أن يجعل من التطور فلسفة يفسر به كل الظواهر البيولوجية والعقلية والاجتماعية ، وذهب هكسلي (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) أبعد من ذلك فقال إن العقل نتاج تطور الجسم ، وأن المعرفة هي انطباعات حسية ، وأن غاية الأخلاق هي التعويض عما يلحق الكائنات من مظالم نتيجة النظام الطبيعي للأمور . وقال جورج هنري لويس (١٨١٧ ـ ١٨٧٨) إن العقل إنما هو نتاج التطور الاجتماعي وليس التطور البيولوجي كما قال هكسلي . وقدم ليزلي ستيفن (١٨٣٢ ـ ١٩٠٤) نظرية في الأخلاق التطورية في كتابه « العلم والأخلاق » ، شبه فيه الصحة الخلقية للمجتمع بالصحة البدنية للكائن ، ولقد عبر كليفورد (١٨٤٥ ـ ١٨٧٩) عن الكثير من خصائص العصر الفيكتوري الفلسفية بنظرياته الطبيعية والتطورية ونصف المادية ونصف الشكية ، ووصل إلى نتيجة ظاهرانية تشبه ظاهرانية إرنست ماخ ، وقال إن العقل اجتماعي بطبيعته ، وعارض الدين ، وقال بدلاً من ذلك بديانة إنسانية ، استلهمها من عاطفته الكونية . ولم يكن الفلاسفة الطبيعيون لذاك العصر فلاسفة بالمعنى الصحيح ، ولكنهم صاروا فلاسفة بحكم ما أثير ضدهم من نقد ، وكانت الفلسفة الاسكتلندية هي الرد البريطاني على التجريبية والطبيعية اللتين سادتا لفترة ، وكانت تلك الفلسفة هي السلاح الذي جرده الدين والأخلاق للدفاع عن أنفسهما ضد المادية ، ولكن الفلسفة الاسكتلندية رغم ذلك لم تستطع توجيه الضربة القاضية لتلك المادية التي دفعت إليها فلسفتي لوك وهيوم ، ولم تقم بهذا العمل خير قيام إلا الفلسفة المثالية التي أدى إليها استيراد مثالية كنط وهيجل الألمانية . ولقد بدأ عملية الاستيراد صامويل تايلور كوليردج (١٧٧٢ ـ ١٨٣٤) وبنى على تلك المثالية نظريته السياسية وفلسفته في الدين ، ولكن الواقع أنه ، لا كوليردج ، ولا غيره ، استطاع أن ينفذ إلى قلب المثالية الألمانية مثل توماس هل جرين (١٨٣٦ ـ ١٨٩٢) ، وأن يصوغها صياغة بيانية بحيث بدت فلسفته المثالية كما لو كانت بريطانية المخبر والمظهر . غير أن أول المنشقين على تلك المدارس الطبيعية التطورية كان يوحنا هنري نيومان (١٨٠١ ـ ١٨٩٠) ، وكانت فلسفته رداً على الشك الديني لعصره ، وجيمس مارتينو (١٨٠٥ ـ ١٩٠٠) الذي قدم تحت تأثير كنط فلسفة حدسية أخلاقية تؤكد على الباعث بوصفه العامل الحاسم في تشكيل أخلاقية السلوك ، وذلك في كتابيه «دراسة في الدين» و«أنماط من النظرية الأخلاقية» ومع أن جرين مات صغيراً إلا أنه خلف مدرسة عصرانية في الدين ، ضمت عدداً من الحواريين الذين أشربوا الوعي بمسؤوليتهم في خلق طبقة من الحكام بمثل أفلاطونية . وكان أبرز هؤلاء الحواريين فرانسيس هيربرت برادلي (١٨٤٦ ـ ١٩٢٤) ، وتتلمذ عليه برنارد بوزانكيت (١٨٤٨ ـ ١٩٢٣) فسعى إلى التخفيف من

غلواء آراء أستاذه . غير أن برينجل بايتسون (١٨٥٦ ـ ١٩٣١) لم يعجبه مذهب تلك المدرسة في المطلق غير الشخصي ، ومن ثم أطلقوا علي فلسفته اسم المثالية الشخصية ، غير أن مثاليته الشخصية لم يعبر عنها التعبير الواضح إلا ماكناجارت (١٨٦٦ ـ ١٩٢٥) وقدم في كتابه « طبيعة الوجود » أكمل نسق ميتافيزيقي في الفلسفة البريطانية ، أما جيمس وارد (١٨٤٣ ـ ١٩٢٥) فكان توصله للنتائج المثالية الشخصية عن غير طريق ماكناجارت ، وذلك بنقده للترابطية الذرية للنظرية التجريبية في العقل . وبني هاستنجز راشدال (١٨٥٨ ـ ١٩٢٤) إيمانه بالله على حجج باركلي ، وقدم في كتابه « نظرية الخير والشر » مذهباً في النفعية المثالية يحكم على السلوك بنتائجه الطيبة . وكان « المثالية الشخصية » (١٩٠٢) منشوراً لمجموعة من الفلاسفة ، صنع معظمهم الحركة البراجماتية الإنجليزية ، وكان أشهرهم فرديناندشيللر (١٨٦٤ ـ ١٩٣٧) ، الذي وافق المثاليين قولهم بأن العالم من إنشاء العقل ، ولكنه فسر العقل بأنه الشخصية الإنسانية المتيقنة الفاعلة العملية ، وليس هذا المطلق الشامل . وكان آخر مراحل أطوار الفلسفة البريطانية هو المذهب الواقعي الذي تؤرخ بدايته بظهور كتاب برتراند رسل « مبادىء الرياضيات » وكتابي جورج إدوارد مور (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨) « المبادىء الأخلاقية » و « تفنيد المثالية » سنة ١٩٠٣ ، وصار المذهب الرسمي للفلسفة في بريطانيا بين الحربين ، وواصله برود (المولود ١٨٨٧) وإوينج (المولود ١٨٩٩)في كيمبردج ، وحتى في أوج المثالية في أوكسفورد كان هذا المذهب قائماً بفعل كتابات توماس كيس (١٨٤٤ ـ ١٩٢٥) . ومع أن السيادة عقدت للواقعية إلا أن المثالية لم تحرم المدافعين عنها في فلسفة كولنجوود (١٨٨٩ ١ ـ ١٩٤٣) . وقد يقال إن الفلسفة التحليلية الحديثة معادية للميتافيزيقا ، ولكن الحركة في أولها لم يكن في مبادئها ما يتعارض مع الميتافيزيقا . وقد يكون رسل ومور قد أفلحا في تقديم صورة للعالم بالتضمين وحده ، إلا أن مهمة إقامة هذه الصورة على أساس واقعي تولاها غيرهما ، منهم صامويل ألكسندر (١٨٥٩ ـ ١٩٣٨) وتلميذه يوحنا أندرسن (١٨٩٣ ـ ١٩٦٢) ، وألفريد نورث هوايتهد (١٨٦١ ـ ١٩٤٧) أكثر الميتافيزيقيين الانجليز طموحاً ، ولودفيج فتجنشتاين (١٨٨٩ ـ ١٩٥١) الذي كانت لفلسفته أعمق الآثار حتى الآن في التقليد البريطاني ، وكان كتابه « الرسالة المنطقية الفلسفية » (١٩٢٢) أكمل تعبير عن الذرية المنطقية التي توصل إليها هو ورسل . وحاول عدد من الفلاسفة الانجليز تحقيق الهدف المحدود الذي ترسمته جماعة فيينا ، مدفوعين بفلسفة فتجنشتاين ، وهو تخليص لغة الفلسفة من المبهمات الميتافيزيقية والاعتبارات الأخلاقية ، وأخص هؤلاء آير في كتابه «اللغة والحقيقة والمنطق» (١٩٣٦) وكارل بوبر في كتابه « منطق الكشف العلمي » (١٩٥٩) . وتميز في بريطانيا بين سنتي ١٩٤٥ و ١٩٥٩ نوعان من الفلسفة اللغوية ، الأولى المذهب الخالص الذي طرحه فتجنشتاين في أواخر أيامه في كتابه « مباحث فلسفية» (١٩٥٣) ، والثاني فلسفة أوكسفورد في اللغة العادية التي كان داعيتها الأكبر جيلبرت رايل ويوحنا أوستن .

فلسفة بيزنطية Byzantine Philosophy

كان البيزنطيون، وهم إغريق العصور الوسطى ، من سنة ٢٨٤ إلى سنة ١٤٥٣ م ، علماء في الغالب ، ومفسّرين ، أكثر منهم مفكرين لأنفسهم . ولم يجرؤ واحد منهم ، حتى من كان منهم في مكانة يوحنا الدمشقي (المتوفي نحو ٧٥١) وميخائيل بسيلوس (١٠١٨ ـ نحو ١٠٩٦) ويوحنّا إيتالوس (نحو ١٠٨) وجيوجيوس جيمستيوس بليثو (نحو ١٣٥٥ ـ ١٤٥٢) ، أن تكون له فلسفته الخاصة في مسائل خاضَ فيها الدين ، فكانوا جميعاً تراثيين ، وقنعوا بدورهم في بسط الأفكار التي آلت إليهم عن طريق السلف . ولم يحاولوا أن يتطرّقوا إلى الموضوعات الفلسفية الخالصة بمعزل عن اللاهوت ، باستثناء

الوثنيين الحقيقيين من أمثال الأفلاطونيين المحدثين وبليثو وبعض أصحاب الحواشي على أفلاطون وأرسطو . وفي تناولهم لمسألة أصل العالم مثلاً ، كانت نقطة الانطلاق بالنسبة لهم سفر التكوين ، فكتب باسل سيزاريا (المتوفي ٣٧٩) « ستة أيام الخلق » قصة الخلق من وجهة نظر دينية ولكنه استغلّ ما وصله العلم الوثني في هذا الشأن . وكتب سيفيناريوس كتاباً مشابهاً ولكنه دحض كل الآراء الوثنية المخالفة ، فكان مرجعاً للفروق بين النظرتين . ورغم أنهم لم يكونوا فلاسفة إلاَّ أن ما كتبوه كانت له أهمية كبرى في تاريخ الفلسفة ، ذلك لأنهم حافظوا على التراث اليوناني ، ونقلوه إلينا مخطوطاً ، وأنقذوا نصوصه ، وخاصة في الرياضيات والفلك والطبيعة ، من الدمار ، وكذلك قدموا لنا بأسلوب بيزنطي مثالي ، مجموعة هائلة من الشروح على أفلاطون ، وخاصة شروح أبروقلوس ، وعلى أرسطو ، ومن ثمَّ وضعوا أساس التحليل النقدي للفلسفة اليونانية ولولا الاهتمام الذي أولاه البيزنطيون لهؤلاء الفيلسوفين ما كنا قد عرفناهم ، ولما كانت الفلسفة قد اتّخذت المسار الذي نعرفه عنها اليوم . بل إن الأفلاطونية المحدثة ، وهي إسهام البيزنطيين الأكبر في الفلسفة ، كانت مراجعة لمذهب أفلاطون ، قام بها أفلوطين ، ورغم أنها كانت وثنية الطابع إلاَّ أنها بهرت اللاهوتيين فقبسوا منها جانبها الميتافيزيقي الذي لا يعارض دينهم ، وأخذوا منها أهم أركان المسيحية ومثار الخلاف الأكبر فيها ، وهو التثليث والتجسيد ، وتأثرت بها الحركة الصوفية المسيحية ، وتخللت الأفلاطونية المحدثة في أقوال ديونيسيوس المجهول عن طريق أبروقلوس أعظم الفلاسفة الأثينيين في العصور الوسطىٰ ، وسرت في لاهوت الغرب اللاتيني وفي أعمال توما الأكويني . ولقد ازدهرت أثينا وصارت بفضل أبروقلوس وأتباعه مركزاً للفلسفة الوثنية ، ممَّا دفع الامبراطور جستنيان إلى إغلاق كل مدارس الفلسفة والقانون فيها سنة ٥٢٩ ، وهاجر فلاسفتها إلى بلاد فارس حيث كان ملكها الفيلسوف ، كما قيل لهم ، يعيش للمثل الأفلاطونية ، وأبرز هؤلاء سبعة كانوا أشهر الناس في مجالات تخصصاتهم ، وهم : سمبليقوس سليسيا ، ويولدميوس فريجيا ، وبريسكيان ليديا ، وهرمياس وديوجين فينيقيا ، وإيسيدور غزة ، والأول والثاني والرابع كانوا أصحاب مؤلفات ذائعة الصيت ، ولكن أملهم خابَ فعادوا إلى بيزنطة بوعد من امبراطورها أن تكون لهم حرية الاعتقاد . وكانت الإسكندرية المركز الثاني للثقافة بعد أثينا ، ولم ينطبق عليها قرار جستنيان ، ذلك أن أحد فلاسفتها وهو يوحنّا فيلوبونوس لم يكن وثنياً ، وربما كان إصداره لكتابه ضد أبروقلوس سنة ٥٢٩ ، وهو نفس تاريخ قرار الامبراطور ، هو سبب تسامح السلطات مع مدرسة الإسكندرية ، رغم أن رئيسها كان أمونيوس هرميون الوثني . ومع ذلك فإن قرار الحظر قد فعل فعله فتحوّلت دراسات المدرسة إلى المسيحية ، من بعد ذلك كما نرى من أسماء رؤسائها إيلياس وداوود في القرن السادس ، وستيفان في أول السابع الذي كان فيما يبدو آخر رؤسائها قبل الغزو المصري سنة ٦٤١ م . وإجمالاً فإن الفلسفة البيزنطية عرفت بتشيعها لأفلاطون وأرسطو ، ولقد انحازَ بعض مفكّريها إلى أفلاطون ، وأيّد آخرون أرسطو ، ولم تسلم التأليفات في اللاهوت من هذا الانحياز ، فأبرز اللاهوتيين يوحنا الدمشقي كان أرسطياً في كتابه « نبع المعرفة » ، وكان فوتيوس الذي يعدونه أعظم أساتذة العصور الوسطىٰ بكتابه « المكتبة » فضل أرسطو على أفلاطون ، ومع إعادة فتح جامعة القسطنطينية سنة ١٠٤٥ بعث ميخائيل بسيلوس الأفلاطونية المحدثة ، ولكن معاصريه ميخائيل إفسوس ويوحنا إيتالوس كانا أرسطيين وفضّل الإنسيون في القرن الرابع عشر أفلاطون بتأثير كتابات بليثو وتلميذه بيساريون ، وكانت سبباً في تأسيس أكاديمية أفلاطون في فلورنسا برعاية أسرة المديتشي .

فلسفة التاريخ .... Philosophy of History

للتاريخ فلسفتان ، نقدية وتأملية ، وتتناول النقدية عملية الرصد التاريخي Historiography ، بينما

تحاول التأملية استخلاص نوع من المعنى أو المغزى للتاريخ يتجاوز مجرد رصد الأحداث . وكثيراً ما يُشار إلى الفلسفة النقدية بأنها تحليلية أو صورية ، بينما يشار إلى التأملية بوصفها شمولية Synoptic أو مادية ، وهي تفرقة تشبه التفرقة بين فلسفة العلم وفلسفة الطبيعة . ولم تبدأ دراسة التاريخ دراسة نقدية إلاّ بالمؤرخين النقديين برتولت جورج نيبور وليوبولد فون رانكه والفلاسفة الوضعيين الذين كانوا يسعون لوضع أسس نظرية **لفيزياء اجتماعية Social Physics** جديدة ، وحاول أوجست كونت وجون ستيوارت مل أن يطبّقا قوانين العلوم الطبيعية على العلوم الاجتماعية ، وجاء الاحتجاج على هذا الاتجاه أولاً من ألمانيا حيث بدأت الدراسة النقدية للتاريخ والتفرقة بين الطبيعة والروح ونسبة التاريخ إلى العلوم الروحية أو الإنسانية . وبدأت من سنة ١٨٨٠ مقارنة التاريخ بالعلوم الطبيعية بوصف التاريخ علماً تقييمياً بعكس العلوم الطبيعية التقريرية ، فقال وليام فندلبانت أن التاريخ أنرادي Idiographic ، ووصفه ريكرت بأنه تقييمي بعكس العلوم الطبيعية التقريرية . وكان فلهلم دلتاي أهم نقاد التاريخ في القرن التاسع عشر وحاول أن يقدم نقداً للعقل التاريخي أسوة بكنط الذي قدَّم نقداً للعقل الخالص ، وقال كروتشه إن التاريخ كله هو تاريخ الفكر ، وقال كولنجوود إن التاريخ هو تاريخ أفعال إنسانية وليس مجرد وقائع ، وقال التحليليون إن عملهم هو التحليل التفصيلي للبناء التصوري للتاريخ وقال موريس مندلبوم بالنسبية التاريخية ، وصاغَ كارل هيمبل نظرية منطقية في التفسير التاريخي . وما يزال الأدب التحليلي المعاصر يعكس الصراع بين الوضعيين والمثاليين حول استقلالية التاريخ ، فمن قائل إن التاريخ تحكم تطوره قوانين شأنه في ذلك شأن العلوم الطبيعية ، وهؤلاء هم أصحاب **نظرية القانون المفسّر Covering Law Theory** ، وهي نظرية تذهب إلى بيان أن ما يحدث في التاريخ إنّما هو شيء مقوقع بفعل الظروف التي دفعت إليه ، ومن ثم يمكن التنبّؤ بأحداث المستقبل طالما هناك **قوانين مفسرة Explanans** تصدقها التجربة ويمكن بمقتضاها استخلاص التفسير Explandum المنطقي المناسب . ويدَّعي خصوم هذه النظرية أن الأحداث التاريخية وقائع مفردة لا تتكرر ، وأن النظرية لا تنطبق إلاَّ على أحداث تكون أفراداً في فئات ، وأن الأحداث التاريخية أفعال يقوم بها بشر لهم إرادة ويتوجهون بها إلى غايات ، وأن التصدي لتفسير هذه الأفعال واستكناه الدوافع إليها لا يبرر القول بإمكان التنبؤ بما سيكون عليه الحال في ظروف مشابهة ، ويميل بعض المؤيّدين لنظرية القانون المفسر إلى اعتبار الشروح التي تقوم في ظل هذه النظرية شروحاً احتمالية وليست تفسيرات مؤكدة ، وأن ما يطبقونه لاستخلاصها تعميمات إحصائية أكثر منها قوانين شاملة . ويميل البعض الآخر إلى تفسيرها بأنها ما يحدث عادة ومثل هذه الظروف ، وأن القصد من الدراسة المقننة ليس الإحاطة بكل الظروف وإنّما الضروري منها . ويسمي المفسرون الذين يذهبون إلى القول بأن التاريخ أفعال أفراد **بالأفرادين Individualists** ، غير أن البعض ينتقد هذا الاتجاه بحجة أن المؤثرات التاريخية ليست غالباً أفراداً ، ولكنها مؤسسات ونشاطات اجتماعية لا يمكن تفسيرها إلاّ بالرجوع إلى القوانين الاجتماعية ككل ، ويسمون لذلك **بالكليين Holists** .

ويذهب فريق من الفلاسفة إلى عدم إمكان قيام موضوعية تاريخية Historical Objectivity سواء كانت كلية أو افرادية ، بالمعنى الذي للموضوعية في العلوم الطبيعية ، ذلك لأن المؤرّخ وهو يقدم تفسيراته إنّما يصدر في حقيقة الأمر عن ذاتية ، باختياره لتفاصيل معينة دون سواها ، وبالتبريرات التي يقدمها لتفضيلاته ، والأسباب التي يسوقها للتدليل على ما يذهب إليه ، وهو يفعل ذلك كله داخل إطاره الثقافي وإطار القيم الأخلاقية والجمالية التي يعتنقها ، ويصوّر ذلك بلغته التي هي انعكاس لشخصيته ، ولذلك يسمَّى هؤلاء الفلاسفة بالنسبيين Relativists لأنهم ينكرون الموضوعية ويقولون بنسبية الأحكام التاريخية .

ولقد بدأت الفلسفة التأملية للتاريخ بداية دينية ، وقالت بأهداف للتاريخ تتجاوز أحداث التاريخ وأفعال البشر وغاياتهم إلى أهداف أكبر ترسمها العناية الإلّهية وقد تستغلق على فهم البشر ؛ وكان ظهور فلسفة تأملية علمانية للتاريخ ببداية عصر التنوير ، وكان فولتير أول من صاغَ تعبير فلسفة التاريخ ، وحمل الفلاسفة المثاليون ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر على عاتقهم أن يحيلوا قوة العناية الإلّهية إلى قوة تاريخية محايثة ، وكان أبرز هؤلاء هيردر وكنط وهيجل . ونزع الفلاسفة في القرن العشرين نزعة علمية تستخدم البراهين وتكثر من ضرب الأمثلة لتدلل على صدق تفسيراتها ، مثلما نجد عند اشبنجلر وتوينبي . ومع ذلك ظلّت هناك محاولات لإحياء المعنى الديني للتاريخ في فلسفات نيبور وتيليش ودوسون وبترفيلد . ولقد ترسّم الفلاسفة التأمليون اكتشاف الأنماط العامة التي اتخذها تاريخ البشرية ، وقالوا بثلاثة أنماط أساسية ، فإمّا أن التاريخ يسير في اتجاه معين ، أو أنه يكرر نفسه في شعوب وفترات متعاقبة ، أو أنه فوضىٰ بلا شكل . وقد يجمع النمط الواحد سمات من النمطين الآخرين ، فقد يكون نمط الحضارة فوضوياً ولكنها الفوضىٰ التي تسمح أحياناً ببعض التطورات الدائرية أو الطولية كالتي يقول بها اشبنجلر . ويتميز تفسير الفيلسوف التأملي بأنه تفسير يتناول التاريخ ككل ، **والتاريخ الشامل Universal History** فرع تتزايد أهميته من فروع التاريخ . غير أن البعض يتهم التاريخ الشامل بأنه محاولة فعالي فيها للتبسيط ، فعندما أعلن ماركس أن التاريخ هو تاريخ الطبقة المناضلة فإنه لم يكن يشير إلى سمة عامة تسم كل أحداث التاريخ ولكنه كان يختار ما يرى أنه مهم بشكل خاص ، ومن ثمَّ كان ماركس يطبق على التاريخ ككل سلماً من القيم .

ولا يسعىٰ الفلاسفة المتأملون إلى البحث فقط عن نمط للتاريخ ، ولكنهم يبحثون عن القوانين التي بمقتضاها يسود هذا النمط دون ذاك . وقد تكون هذه القوانين من النوع المحقق ومن ثمَّ لا تكون بحوثهم فلسفية بقدر ما تكون علمية ، وقد تكون قوانين من تأملهم يضعونها مسبقاً ويتركون للأجيال التالية عملية التحقق من صدقها تجريبياً . ويحلو للبعض أن يسمي المؤرخين الذين يشطون أو يغالون في تأملاتهم سعياً وراء أنماط أو قوانين التاريخ **بالمؤرخين الغلاة Metahistorians** . وتتميز الفلسفة التأملية للتاريخ بأنها محاولات للبحث عن غاية أو قيمة للتاريخ ، وكان توينبي يقول إن تكرار الحضارات في دوريات يخدم غاية انبثاق ديانات أسمىٰ ، وكان ماركس يقول إن غاية التاريخ إنهاء غربة الإنسان . وفي تأكيدهم أن التاريخ له معنىٰ لأن له غاية يمكن التدليل عليها ، يتجاوز الفلاسفة التأمليون حدود البحث التاريخي أو العلمي إلى مجالات الميتافيزيقا والأخلاق والدين .

فلسفة روسية Russian Philosophy

كان اعتناق البرابرة الروس ، كما كانوا يسمون ، للمسيحية في القرنين الثامن والتاسع بداية أخذهم بأسباب الحضارة والثقافة الهيلينية . وبعد سقوط القسطنطينية أو روما الثانية (١٤٥٣) ادَّعت روسيا لنفسها زعامة أوروبا الشرقية التي كانت الامبراطورية الرومانية الشرقية ، ثم نصبت كنيستها زعيمة على الكنائس الشرقية (١٥٨٩) ، لكنها مع ذلك ظلَّت متخلفة عن أوروبا الغربية ، فلما تولَّى بطرس الأكبر (١٦٧٢ ـ ١٧٢٥) حذا حذو الدول الأوروبية ، فقد أرادَ أن تكون بلده قطعة من أوروبا ، ولذلك بنى عاصمة ملكه على خليج فنلندة ليفتح لها نافذة على القارة العتيدة ، واستقدمَ المربين والمفكرين الفرنسيين إلى بلاطه ، واحتكَّ الفكر الروسي بالفكر الأوروبي لأول مرة ، وتوسّع هذا الاحتكاك الحضاري في عهد القيصرة كاترين (١٧٢٩ ـ ١٧٩٦) ، وبدأ التفلسف الروسي بالمعنى الدقيق لكلمة فلسفة من ذاك الوقت ، وتميزت الفلسفة الروسية لذلك بأنها فلسفة مستلهمة من أوروبا الغربية ، ففلاسفة الروس ليسوا رواداً وكانوا دائماً تابعين للفلاسفة والمذاهب الأوروبية . وكانت فلسفتهم

دائمة مرتبطة بالأدب ، فالفلاسفة نقاد يعيشون من كتابة المقالات في كل مجالات المعرفة ، والأدباء فلاسفة يكتبون عن مشاكل مجتمعهم برؤيا الفلاسفة . ولقد اضطرتهم ظروف مجتمعهم أن يكونوا فلاسفة وكتاباً ملتزمين بقضايا هذا المجتمع ، وجرّهم هذا الالتزام إلى الصدام مع السلطة ، الأمر الذي باعدَ بينهم وبين مناصب الجامعة، حتى إننا لنجد معظم هؤلاء من خارج الجامعة ، وهي ميزة لا نعثر عليها مطلقاً في الفلسفة الأوروبية حيث كان كل الفلاسفة أساتذة بالجامعات وخاصة الفلاسفة الألمان . وكانت الفلسفة تدرس في مجال ضيق بالجامعات ، وبعد ثورة الديسمبريين (١٨٢٥) اضطرت الحكومة إلى إلغاء دروس الفلسفة من الجامعات كلية ، واستمرَّ ذلك حتى ١٨٦٣ حيث سمحت بتدريس بعض النصوص القديمة التي لم تر بأساً من تدريسها . وحتى سنة ١٨٨٩ لم يجد المفكرون الروس من سبيل إلى تدارس الفلسفة إلّا بتكوين حلقات وتداول الكتب والمؤلّفات في السر ، ولذلك نجد أن الفلسفة قد ارتبطت في روسيا بالأفكار الممنوعة ، واعتبرها الجميع سلاحاً نضالياً له خطره سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية . ولم يكن فلاسفة الروس من المحبين للانخراط في الجدل بحثاً عن الحقيقة ، ولكن التزامهم بقضايا مجتمعهم جعلهم مناضلين من أجل تطبيق العدالة ، بمعنى أنهم إن لم يفضلوا العمل على النظر ، فعلى الأقل قد قرنوا بينهما وربطوا بين فكرة الحق وتطبيق العدل . ولقد ظلّت الفلسفة الروسية هذا دأبها حتى في القرن العشرين ، وهي سمة لا نعثر عليها في الفلسفة الغربية . وظلّت روسيا حتى وقتنا هذا تحور بالأفكار المتضاربة وبتصارع بها أصالتها السلافية مع طموحاتها الغربية ، وحتى في الاشتراكيه كانت هناك دائماً صيحات لأن تكون اشتراكية روسيا اشتراكية سلافية بينما كان الآخرون يريدونها اشتراكية أوروبية . ولقد كانت كييف أقرب المدن الروسية إلى أوروبا ، ولذلك سبقت موسكو كمركز إشعاع حضاري غربي ، ومن ثمَّ لم يكن عجيباً أن يخرج من كييف سكوفوردا (١٧٧٢ ـ ١٧٩٤) أول فيلسوف روسي ، ومن الغريب أن تتشابه حياته مع حياة سقراط أول فلاسفة الغرب ، وكتب كسقراط بطريقة الحوار ، ولم ينشر أعماله وإنَّما تداولها أصدقاؤه ، واتَّخذ شعاره سقراطياً رواقياً « اعرف نفسك لتسيطر عليها » .

ولقد نقل الفرنسيون إلى بلاط بطرس أفكار فولتير والموسوعيين ومذاهب الشكاك والعقلانيين والمؤلهة والنفعيين والطبيعيين ، ولم يستهو الروس من كل ذلك إلّا نظرية القانون الطبيعي ودافع عنها راديشيف (١٧٤٩ ـ ١٨٠٢) لأنها كانت ضد أسس النظام القائم ، وعارضوا المذهب النفعي معارضة شديدة . وعموماً لم يجد الروس أنفسهم فى الفكر الفرنسي ، وابتعدوا عنه كلية بعد غزو نابليون لروسيا ، وكانوا دائماً يحسون بقربهم من الفكر الألماني ، وكان الألمان أقرب في طبيعتهم للروس ، وسيطرت الفلسفة الألمانية على دوائر الفكر الروسي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ومع أن الفكر الألماني سيطر كذلك على المفكرين في إنجلترا وفرنسا ، إلّا أن سيطرته على الفلاسفة الروس كانت تامة . وكان معظم التأثير من فلسفة شيلنج وفختة وكنط ، ولم يكتشفوا هيجل إلّا مؤخراً ، فلما اكتشفوه تحولوا إليه جميعاً . وعموماً نستطيع أن نجمل الفلسفة الروسية في فكرتين ، أنها أولاً سلاح سياسي قد شهره الفلاسفة دفاعاً عن الفرد وحريته وكرامته ، وأنها ثانياً كانت نقداً للنظريات النفعية . ولقد كان إجماع الفلسفة الروسية على أن الفرد الروسي في خطر من الاضطهاد الواقع عليه من السلطة وبسبب النظام الاجتماعي السياسي ، وأنه في خطر كذلك نتيجة لغزو الأفكار المستقدمة من خارج والتي تستهدف الفرد الروسي وتكرّس استعباده للكيانات التاريخية (كالمجتمع والأمة والدولة والقومية والوطنية) . ورغم أن النظريات النفعية أشادَ بها وروّج لها « كتاب الستينات » (شيرنشفسكي ودوبروليوبوف وبيساريف وتكاشيوف) ، إلّا أن الاتجاه

العام كان ضد النفعية . وكان أهم دعاة فلسفة شيلنج الطبيعية فيلانسكي (١٧٧٤ - ١٨٤٧) وفينيفيتينوف (١٨٠٥ - ١٨٦٧) وأوريفسكي (١٨٠٧ - ١٨٦٩) ، والأخير هو القائل بفكرة الكلية ، بمعنى أن الإنسان كل لا يتجزأ ، ويعيش في مجتمع لا يتجزأ ، وفي واقع لا يتجزأ . وسيطرت فكرة الكلية على أصحاب الدعوة السلافية أو دعوة السلافيين ، وهي دعوة إقليمية غايتها المحافظة على الفرد والمجتمع الروسي ككل ، باعتبار أن الحضارة الغربية لا يمكن أن تتجزأ ولا يمكن أن يتناولها الفرد الروسي في جزء منها دون الآخر ، ومن ثمَّ فإن هذه الحضارة يتمثل خطرها في الجزء والكل معاً على الفرد والمجتمع الروسي ككل ، ومن ثمَّ عادى هؤلاء الإقليميون دعاة التغرّب أو الاتجاه إلى الغرب ، ونظروا إلى روسيا باعتبارها الحضارة المؤسسة على العقل والإيمان معاً في حين أن الحضارة الغربية تقدم على العقل وحده . أما دعاة التغرّب فكانوا يعتبرون روسيا دولة أوروبية ولكنها انعزلت عن القارة فتأخرت ، ومن ثمَّ اعتبروا المهمة الأولى لهم هي تحديث اقتصادها وهيكلها الاجتماعي ومؤسساتها السياسية وثقافتها . وكان بيلنسكي وهيرزن وباكونين أهم فلاسفة التغرب ، كما كان باكونين (١٨١٤ - ١٨٧٦) بالذات خالق فلسفة العدمية وهو الاسم الروسي لمذهب الشك الغربي ، وسمَّىٰ عدميته باسم العدمية الجدلية لقيامها على الجدل الهيجلي ، ليبرر به دعوته للثورة الاجتماعية والوسائل التي يمكن أن تلجأ إليها مهما كانت . وكان نيشايف وتشيرنشفسكي وبيساريف ودوبروليوبوف أهم دعاة العدمية ، غير أنهم أطلقوا على أنفسهم أنهم واقعيون ، وكانت غاية العدمية القضاء على النظام القائم .

وإذا كانت كل الدعوات السابقة مثالية في مضمونها فإن أول الفلاسفة الماديين كان تشيرنشفسكي (١٨٢٨ - ١٨٨٩) ودوبروليوبوف (١٨٣٦ - ١٨٦١) . أما بيساريف (١٨٤٠ - ١٨٦٨) فكان طفل الحركة العدمية الشقي وداعيتها لنظرية داروين . غير أننا قبل أن نخوض في الماركسية بوصفها الفلسفة المادية الرسمية لروسيا أو للاتحاد السوفييتي كله ، ينبغي أن نذكر الحركة الشعبية ، وكانت حركة اشتراكية ولكنها سلافية الطابع ، ذلك لأنها كانت تقول إن روسيا ينبغي أن تكون لها طريقها الروسي للاشتراكية . وكانت تتوجه باللوم الشديد للمثقفين لأن روسيا علمتهم ولكنهم لم يمدوا أيديهم بالمساعدة للشعب الروسي الفلاح وللقرية الروسية . وكان لافروف (١٨٢٣ - ١٩٠٠) وميخايلوفسكي (١٨٤٢ - ١٩٠٤) من أبطالها المبرزين ، ورفض هؤلاء الماركسية كفلسفة للتاريخ كما شرحها بليخانوف (١٨٥٦ - ١٩١٨) ولينين (١٨٧٠ - ١٩٢٤) ، على أساس أنها تتناسىٰ الفرد موضوع كل إصلاح ، وتنكر ذاتيته ، ولا تربط بين ملاحظة الظاهرة الاجتماعية وتقويمها خلقياً ، وفسروا التاريخ بأنه أفعال الأفراد أصحاب الإرادة القوية والتفكير الناقد .

وحمل تولستوي (١٨٢٨ - ١٩١٠) وديستويفسكي (١٨٢١ - ١٨٨١) لواء الدعوة الدينية أو الميتافيزيقية ، وتأثّرا بفلسفة كنط ، وأكّدا مثله على النوايا ، وعبّرا عن احتقارهما للنتائج باعتبارها معياراً لخلقية السلوك ، وذهبا مع شوبنهاور إلى أن الإنسان شرير ، واختزل تولتسوي المسيحية إلى مجموعة من القواعد الخلقية ، وردَّها جميعاً إلى مبدأ واحد هو المقاومة غير العنيفة للشر .

ولقد جرَّ النقد الدائم للسلطة ولنظام الحكم نقمة الحكومة على المفكرين ، وألقىٰ بالكثير منهم في سجون سيبيريا ، واختارَ بعضهم النفي بمحض أرادتهم ، مثل هيرزن وباكونين ولا فروف . ولم تجيء ثورة اكتوبر الاشتراكية إلّا بمزيد من الاضطهاد للمفكرين ، فخرجوا بالمئات من الاتحاد السوفييتي إلى ألمانيا وفرنسا بالذات ، وخاصة حول سنة ١٩٢٢ ، وكان أبرز هؤلاء بيرديائيف وبلجاكوف وفرانك وستروف ، وكان هؤلاء في بداية تفلسفهم ماركسيين أو

هيجليين يساريين ولكنهم راجعوا الماركسية ليجعلوها روسية أو سلافية ، وانتهوا كمثاليين .

وكانت الماركسية قد بدأت قوية حول سنة ١٨٩٠ بوصفها نظرية شاملة ، ومن ثمَّ اعتنقوها كأمل في الخلاص ، ولكنهم كانوا حساسين جداً لما فيها من أوجه النقص وسرعان ما اكتشفوه ، فلقد كانت نظرية المعرفة الماركسية بدائية فجة ، ولم تترك الفلسفة الماركسية في التاريخ مكاناً داخلها للقيم الخلقية ، ويكفي هدماً لهذه القيم أن لينين أباح كل ما يمكن أن يخدم قضية الثورة وبناء الاشتراكية . وانبرى هؤلاء المراجعين لسد النقص وتورطوا في نقد الماركسية وجروا على أنفسهم غضب السلطة . وكان نقدهم لإسهامات إنجلز أكثر منه لفلسفة ماركس ، وأنكروا على إنجلز نظريته في المعرفة وماديته الأونطولوجية وتعميمه لقوانين الجدل الهيجلي المستمدة من التاريخ على الطبيعة . ولقد برز من المراجعين اتجاهان ، أحدهما كنطي والآخر نيتشوي ، واتَّجه الكنطيون (ستروف وبلجاكوف وبيرديائيف) إلى كنط يستعينون بنظريته في المعرفة وأخلاقه ، بينما اتجه النيتشويون (فولسكي ولونا شارسكي وبوجدانوف وبازاروف) إلى نيتشه يقتبسون من فلسفته الاجتماعية وأخلاقه ، واستكملوا ما لم يجدوه عنده بأفكار من ماخ وأفيناريوس في نظرية المعرفة . ونلاحظ أن الماركسيين الكنطيين قالوا بأخلاق بروليتارية ، بينما نادى الماركسيون النيتشويون بسوبرمان بروليتاري . ومن الغريب أن لينين قد دمغ الاتجاهين بالمراجعة ، رغم أنه هو نفسه كان مراجعاً فقال بإرادة إنسانية تشكل أحداث التاريخ ، وأبرز الجدل الهيجلي إلاَّ أنه لم يرقيه إلاَّ مبدأ تصارع الأضداد وليس وحدتها .

وبعد الثورة الاشتراكية وإعلان قيام الاتحاد السوفييتي أدَّى الصراع بين عنصريّ الماركسية الروسية : المادية الأونطولوجية والجدل الهيجلي إلى كثير من النقاش ، وانقسم الفلاسفة إزاء هذه القضية إلى آليين بزعامة أكسيلرود وكانوا مع المادية ضد الجدل ، ومثاليين مناشفة بزعامة ديبورين ، وكانوا مع الجدل ضد المادية . وحسمت الدولة المهاترات ببيان رسمي يناصر الجدل على المادية (١٩٣٠) ثم ببيان آخر بعد سنة يندد بالديبورينية ، وحاول فلاسفة الحزب أن يصالحوا الاتجاهين ويوفقوا بين العنصرين وزادت سلطة الحزب وصارت الفلسفة بيانات رسمية وتأخرت الفلسفة في عهد ستالين ، وبعد وفاته وإعلان مبدأ القيادة الجماعية ، بدأ عهد من الانفتاح ضد القطعية (ستيبانيان وتشيزنيكوف) واتَّسع المجال لدراسة الفلسفة الغربية ونقدها والردّ عليها (ديبورين ونارسكي) ، وتناول الفلاسفة بالدراسة من وجهة نظر ماركسية بعض النواحي التي لم تكن الماركسية قد تناولتها من قبل ، كفلسفة الجمال والمذاهب الفنية وخاصة الواقعية الاشتراكية ، (بوريف وأوسيا نيكوف) ، وتطرقت الفلسفة الماركسية إلى المنطق الصوري والمنطق الرياضي والسيمنطيقا والسبرنطيقا (زينوفيف ويانوفسكايا) وإلى علم النفس العام والاجتماعي (ليونتييف وروبنشتاين) ، ودعت الجامعات السوفييتية الكثيرين من مفكّري الغرب ؛ ومع ذلك ظلَّ الطابع العام للفلسفة الروسية طابعاً إقليمياً أو روسياً يهتم أولاً وقبل كل شيء بحل مشاكل المجتمع والتحوّل إلى الاشتراكية أو الشيوعية (انظر أيضاً **الماركسية والشيوعية**) .

فلسفة صورية ...... Transendentalism

(**انظر كنط والكنطية المحدثة**) .

فلسفة صينية Chinese Philosophy

يقسمونها إلى خمس مراحل مرَّ بها تطوّرها خلال رحلة العمر التي بلغت نحو ٢٥٠٠ سنة : المرحلة القديمة حتى سنة ٢٢١ ق . م ، ازدهرت بها وتصارعت ما يسمونه بالمائة مدرسة ؛ والمرحلة المتوسطة ، من ٢٢١ ق . م إلى ٩٦٠ م ، استطاعت فيها أن تتغلب الكونفوشية ولكن السيادة عقدت لها في المجالين الاجتماعي والسياسي ، أما في الفلسفة فقد بزتها التاوية

المحدثة أولاً ، ثم البوذية من بعد ذلك ؛ والمرحلة الحديثة ، من ٩٦٠ م حتى ١٩٠٠ ، وكانت فيها الكونفوشية المحدّثة بلا منافس ؛ والمرحلة الأوروبية ، من ١٩١٢ حتى ١٩٤٩ ضعفت فيها الكونفوشية ، وتحدّتها الفلسفة الغربية ، فاستسلمت لها أول الأمر ، ثم اشرأبّت وبدت كما لو كانت في فترة صحو ، وأخيراً المرحلة المعاصرة ، من أكتوبر ١٩٤٩ حين قامت في الصين السلطة الشيوعية ، وحظرت فيها كل الفلسفات إلّا الماركسية كما طرحها ماوتسي تونج . ولقد ضمت المائة مدرسة مفكرين من كل الفئات في كل الأنشطة ، برز منهم الكونفوشيون والتاويون والموويون والمناطقة والمشترعون والقائلون بالين يانج . وكان الفكر الصيني في فجر الحضارة غيبياً ، وخلال حكم أسرة شانج (١٧٥١ - ١١١٢ ق. م) كان لكل قوى الطبيعة أرواح يترضاها الصين ، لكن عندما انتصرت أسرة شو (١١١٢ ق. م) وبدأت تأسيس الدولة ظهرت فائدة اللجوء إلى العقل عن اللجوء إلى الأرواح ، وبتوحيد الدولة حل الله السماوي محل الله القبلي أو العرقي ، وجرى المثل أن الحكم أولى به من يسير على نهج السماء ، وهو الإنسان الفاضل ، لأن الفضيلة هي منهج السماء . وتطورت هذه النظرة ضد كونفوشيوس (٥٥١ - ٤٧٩ ق. م) إلى ما أسماه السوبرمان أو الإنسان الأعلىٰ الذي نعرفه بأعماله ، ويقتدي الناس به ، وهو الحاكم الذي بصلاحه يكون صلاح المجتمع . وافترق تلميذاه منشيوس (نحو ٣٧٢ - ٢٩٨ ق. م) وهسون تزو (نحو ٣١٣ - ٢٣٨ ق. م) حول مفهوم الإنسان ، فالأول يراه خيراً بطبعه ، وانحرافه بتأثير المجتمع ، فإصلاح الأخلاق هو أولى الواجبات ؛ والثاني يراه شريراً بطبعه ، ولن يقومه لذلك إلّا قانون صارم يعاقب المسيء ، فكأن المدرسة الكونفوشية قد دار بحثها على العلاقة بين الفرد والمجتمع ، وما ينبغي أن تكون عليه لصلاح الفرد والمجتمع معاً ، وهو ما يطرحه تفصيلاً كتاب « التعليم الكبير » المنسوب إلى تسينج تزو (٥٠٥ - ٤٣٦ ق. م) ، ويقوم هذا التعليم على فكرة سيادة القانون ، وتطلق عليه الكونفوشية اسم التاو . ولكن التاو عند المدرسة التاوية التي أسّسها لاو تزو (القرن السادس قبل الميلادي)، هو مبدأ الأشياء وكمالها ، وعندما تكون الأشياء في تمامها وبهائها فإن معنى ذلك أن التاو يحكمها . ويطوّر شوانج تزو مفهوم التاو ، فيقول إنه الصيرورة المستمرة ، وسواء كان التاو بمفهوم الكونفوشيين أو التاويين فإن فلسفته هو صلاح الفرد أيضاً بصلاح الحكومة والمجتمع ، والثلاثة أوجه لشيء واحد ، والتاوية مذهب موحَّد ، ولم يكن نقدها الشديد للكونفوشية إلّا لتمييزها بين الأشياء وتكثيرها . غير أن التاوية لم تشكل خطورة على الكونفوشية ، وإنّما ، جاءت الخطورة من الموية التي أسّسها موتزو (نحو ٤٦٨ - ٣٧٦ ق. م) ، فقد نافستها على قلوب المؤمنين منافسة شديدة ، وكانت في كل مبادئها تقريباً أقصىٰ النقيض لمبادىء الكونفوشية ، فالكونفوشية مثلاً في أهم دعاواها تنادي بالحب بين الناس ، ولكنه الحب الذي يخص البعض بامتيازات دون الآخرين . أما الموية فتدعو إلى الحب المطلق بين الناس كافة دون تمييز ، فنحب مثلاً كل الآباء كأبوينا ، ولكن الكونفوشية ، وخاصة عند منشيوس ، تريد منا أن نحب كل الآباء ونوقرهم ، ونميز أبوينا بحب يخصهما دون سائر الآباء ، وإلّا تقوّضت العلاقات الأسرية . ولم يكن مبدأ الحب يهم مدرسة المناطقة ، فهؤلاء كانت لهم اهتماماتهم المختلفة كلية عن مسار الفكر الصيني الأصيل ، ولذلك لم تترك المدرسة إلّا أقل الأثر ، فعالجت مسائل ميتافيزيقية بحتة مثل النسبية والزمان والمكان والكيف والأسباب ، وكان أبرز فلاسفتها هوي شيه (نحو ٣٨٠ - ٣٠٥) وكونج سون لونج (المولود سنة ٣٨٠ ق. م) وعند الأول الأشياء نسبية ، بينما هي عند الثاني مطلقة ، وأكّد الأول على الصيرورة بينما قال الثاني بالدوام والكلية . واستخدم المناطقة مفاهيم ابستمولوجية وميتافيزيقية لم يستخدمها غيرهم . وبينما كانت كل المدارس السابقة تروج لمبادئها وتكسب

المؤيّدين لها ، كانت هناك مدرسة تعمل وتؤثر على كل المدارس السابقة ، ولا يعرف أحد شيئاً عن حقيقة نشأتها أو أوائل فلاسفتها ، ولكن أفكارها كانت بسيطة وواضحة ، فالعالم يقوم على مبدأين أو قوتين ، الين وهي قوة سالبة وسلبية ، ضعيفة وغير متماسكة ، واليانج وهي قوة موجبة وإيجابية ، وقوية ومتكاملة . وكل الأشياء نتاج تفاعل القوتين . ويرتبط بهذه النظرية الثنائية القول بالعناصر الخمسة ، وهي المعدن والخشب والماء والنار والأرض . وتتكون الأشياء من هذه العناصر ، وتختلف مراتبها باختلاف مكوناتها منها . وكان الين واليانج في الأصل منفصلين ، ولكن من المعتقد أن تسوين (٣٠٥ ـ ٢٤٠ ق . م) هو الذي ربط بينهما في تفاعل قوامه العناصر الخمسة السابقة . أما مدرسة المشترعين فقيمتها الفلسفية ضئيلة ، ولم تضف للفكر شيئاً ذا بال ، ولم تول أي اهتمام بالنواحي الميتافيزيقية والخلقية والمنطقية كغيرها من المدارس السابقة ، ولكنها وجهت كل اهتمامها إلى تركيز السلطة في يد الحاكم ، وانصرف حديثها إلى نواحي الحكم الثلاث : القانون والإدارة ، والسلطة وممارستها . وكانت لمدرسة الفاتشيا ، وهذا هو اسمها بالصينية ، كثير من الممثلين ، بعضهم من رؤساء الوزارات ورجالات الدولة الكبار ، ولكن أبرزهم هان فيه تزو (المتوفي ٢٣٣ ق . م) . وبفضل تعاليم هذه المدرسة استطاعت الصين أن تكون لها دولة قوية سنة ٢٢١ ق . م ، وبهذه السنة انتهت مرحلة التاريخ القديم في الفكر الصيني ، وبدأت مرحلته المتوسطة والتي استمرَّت من سنة ٢٢١ ق . م إلى سنة ٩٦٠ بعد الميلاد . وفي سبيل إقامة الدولة القوية ألغت مدرسة الفاتشيا أو المشترعين كل المدارس الفلسفية الأخرى ، وحظرت قيامها وتعاليمها ، وحرقت كتبها سنة ٢١٣ ق . م ، وبذلك قضت على التنافس الذي ظلَّ سائداً بين المائة مدرسة ، فلما سقطت أسرة الهان سنة ٢٠٦ ق . م عادت بعض هذه المدارس إلى الظهور ، ولكن فلسفاتها اختلطت هذه المرة ، وخرجت منها جميعاً كونفوشية توليفية أعلنتها الدولة إيديولوجية رسمية لها سنة ١٣٦ ق . م . أما مدرسة التاو فإنها في عهد أسرة ويه تشن (٢٢٠ ـ ٤٢٠) تجاوزت المبادىء البسيطة التي كانت لها أيام أسرة الهان ، وصارت تقوم ببحوث عميقة ، ومن ثمَّ صار يطلق عليها اسم مدرسة هسوان هسيو أو الدراسات العميقة ، وعند وانج بي (٢٢٦ ـ ٢٤٩) فيلسوفها الأكبر الوجود الأصيل ، مثلاً ، هو اللّاوجود ، ولا يعني العدم ، ولكنه الوجود الذي يتجاوز هذا الوجود المادي ، ويتأبَّى على كل وصف . وعند كوهسيانج لكل شيء مبدأه ، ولذلك فكل شيء مكتفٍ بذاته ، ومن ثمَّ فلا موجب لوجود مبدأ أعلىٰ يوحد بين الأشياء جميعاً ويحكمها كما قال وانج بي ، فبينما يدعو وانج بي إلى وجود متعالٍ ، هو وجود الواحد أو المبدأ الكلي ، نجد كو هسيانج يدعو إلى وجود متكثّر محايث . ولم تعمر التاوية المحدثة كثيراً ، ولكن تأثيرها على الفلسفات اللاحقة كان كبيراً ، وشكل قولها بالوجود واللّاوجود جسراً ربط بين الفلسفات الصينية والفلسفة البوذية ، فعندما قدمت البوذية إلى الصين في القرن الثالث توجهت بدعوتها إلى المثقفين ، وخاصة التاويين المحدثين ، وتحدثت إليهم بمفاهيم التاوية ، وناقشت ما كانوا يناقشونه ، وخاصة مفهومي الوجود واللّاوجود السابقين ، وانقسمت لذلك في القرن السادس إلى مدرستين ، الأولى مدرسة المبدأ الأوسط أو الشونج لون ، أو الصان لون أو الثلاث رسالات ، والثانية مدرسة الدارما أو الفاهسيانج ، أو مدرسة الوعي وحده أو الوي شيه ، وتزعم الأولى شي تسانج (٥٤٩ ـ ٦٢٣) وتقوم على الكتب الهندية الثلاثة المادهيا ميكا ساسترا والدفاداسا ميكايا ساسترا وفولفهما ناجارجونا ، والساتا ساسترا الأرياريفا . وتعتبر هذه المدرسة الوجود واللاوجود تطرفاً بين نقيضين ، وتأخذ بمبدأ وسط وتقول بأن الأشياء فيها الاثنان ، وأنهما يلغيان بعضهما ، ومن ثمَّ فالحقيقة عدم ، والمدرسة لذلك مدرسة عدمية في تفكيرها ، وتسَّمى لهذا السبب مدرسة اللّاوجود . وتزعم الثانية هسيوان تسانج (٥٩٦ ـ ٦٦٤) ، ويعتبر

عناصر الوجود أو الدارمات وصفاتها واقعة في الوعي ، ولذلك تسمَّى مدرسة الوعي ومدرسة الوجـود . ولكن هذه العناصر عند مدرسة التين تاي التي أسسها شيه يي (٥٣٨ ـ ٥٩٧) لا تقوم بذاتها ، ولا بد لها من أسباب لتكون ووجودها مرهون بغيرها ، وكل عـالم الظواهـر متداخل لذلك ، يعتمـد بعضه على بعضـه ، ويصنع بعضه بعضه ، وفلسفة المدرسة لذلك تسمَّى مدرسـة الكل واحد ، والواحد كل . وتقوم مدرسة الهواين التي أسَّسهـا فاتسـانج (٥٩٦ ـ ٦٦٤) على جـدل تركيبي رباعي تحكمه علية كلية ، فهناك الواقـع ، والمبدأ ، والواقع والمبـدأ متداخـلان ومتفاعـلان ، ثم الواقـع الجديد الذي خلقه تدخل المبدأ في الواقـع الجديـد الذي خلقه تدخل المبدأ في الواقع القديم . وبفضـل مدرستي التين تاي والهواين تأقلمت البوذية في أرض الصين ، ولكنها مع ذلك لم تنافس الكونفوشية إلاَّ من قبل إحدى مدارس البوذية في القرنين الثامن والتاسع المسماة بمدرسة التأمل أو الشان أو الزن كما أطلقـوا عليها في اليابان ، وتؤكد على التركيز والتأمل إلى حد الغيـاب عن النفس بقصـد التخلص من كـل عـلائق الحياة ، وقد تأقلمت تعاليم هذه المدرسة الهندية في الصين بتفسيرات هوي تنج (٦٣٨ ـ ٧١٣) الذي ذهب إلى القول إن التأمل لا يهدف إلى غيـاب النفس لكن على العكس يهدف إلى استعادتها والإحاطة بطبـائعها ومن ثمَّ تحقيق الذات . وكان تحقيق الذات الذي قالت به الشان دافعاً إلى بعث الكونفوشية ، وبدأت المرحلة الحـديثة في الفلسفـة الصينية من سنـة ٩٦٠ إلى سنة ١٩١٢ ، بفضل تعليم شوتوني ، المسمَّى أيضاً بشولين هسي (١٠١٧ ـ ١٠٧٣) ، فكـل الأشيـاء تنصلح طبائعها إذا عادت إلى المبدأ الذي كانت به ، ولذلك تسمَّى هذه المدرسة باسم مدرسة الطبيعة والمبدأ ، أو الكونفوشية المحدثة ، وتطورت في اتجاهين : مدرسة المبدأ العقلانية ، ومدرسـة العقل المثـالية ، والأولى تزعمها شينج إشوان (١٠٣٣ ـ ١١٠٧) ، وشوهسي (١١٣٠ ـ ١٢٠٠) ، المبدأ الذي تعنيـه هو القـانون الذي يحكم الشيء وبمقتضاه كان وجوده ، وهو مصدر الخير ، ومن ثمَّ فطبيعة الإنسان خيِّرة ، ولا تنحرف إلى الشر إلاَّ إذا استثيرت مشاعره وانحـرفت عن المبدأ . وقال شينج هاو أو شينج مينج تاو (١٠٣٢ ـ ١٠٨٥) إن المبدأ أكبر من ذلك لأنه قانون الطبيعة نفسها والحقيقة الكلية نفسها . ووصفه شانج تساي أو شانج هينج شو (١٠٢٠ ـ ١٠٧٧) بـأنه آلـة القوى المـادية التي بهـا تصوغ الأشياء وتخلقها وفق ما تراه ، وعلى الصورة التي تشاء . والقانون في الإنسان هو الذي ينـظم سلوكه ، وشذوذ هذا السلوك يعني أن الإنسان خرج عن طبيعته . أما المدرسة المثالية التي أسَّسها لوهسيانج شان أو لوشو يوان (١١٣٩ ـ ١١٩٣) فتوافق أصحاب المبدأ على القول بأن الكون كله يحكمه المبـدأ ، ولكنها تسميـه العقل ، والعقل يملأ العالم ، وهو نفسه في كل مكان وزمان ، وهو في الأشياء وليس خارج الأشياء ، والبحث في الأشياء هو بحث في العقل . وذهب وانج يانج منج أو وانج شوجن (١٤٧٢ ـ ١٥٢٩) بالمذهب المثالي إلى أقصاه ، فقال إن العقل هو الإرادة ، فـالشيء هو العقل يريد أن يحقق هذا الشيء ، ولا يوجد مثلاً شيء اسمه التقوى إلاَّ إذا وجد التقي الذي يريد أن يحقق في نفسه التقوى . وسارت فلسفة وانج مدة ١٥٠ سنة ، ولم يضمحل تأثيرها إلاَّ في القـرن السـابـع عشر ، وكـان واضحاً من الثورات المتتالية ان الـزمن قد تغير، وأن النـــاس صـاروا يــطلبـون الشيء الـواضـح العملي الملموس،فهاجم وانـج فو شيـه (١٦١٩ ـ ١٦٩٢) فصل الكونفوشية المحدثة للمبدأ عن القوة المـادية ، ووصفها له بأنه متعالٍ كلي . وذهب إلى نفس القول تاي شين أو تاي يونج يوان (١٧٢٣ ـ ١٧٧٧) وانتقد الكونفوشية المحدثة ، وخاصة فلاسفة عهد سـونج ، على أساس حديثهم عن المبدأ وكأنه شيء ، وقال إنه ليس سوى الطريقـة التي ينتظم بهـا الشيء . وعادت الفلسفة في أواخر القرن التاسع عشر إلى المثـالية من جديد ، فقد كانت الصين تمر بأزمة طاحنة ، ورأى كانج يو ويه (١٨٥٨ ـ ١٩٢٧) أن كونفوشيوس في الأصل

كان مصلحاً ، وأن الفلسفة ينبغي أن تتوجه إلى تغيير الأوضاع ، وذهب إلى تفسير منشيوس للجن Jen بأنه العقل الذي لا يتحمل أن يرى الآخرين يعانون ، وأنه لذلك يوحد بين الناس ويدفعهم إلى بعضهم البعض . واشترك كانج في حركة الإصلاح السياسي التي قامت سنة ١٨٩٨ وأجهضت . وتبدأ المرحلة المعاصرة منذ سنة ١٩١٢ ، وتميزت بحركة إحياء واسعة للمثالية البوذية والكونفوشية المحدثة بتأثير الفلسفات الغربية المستوردة ، وبرز ثلاثة من الفلاسفة هم فونج يولان (المولود سنة ١٨٩٥)، الذي تعلَّم بجامعة كولومبيا ، وقال بعقلانية استمدَّها من كونفوشية شينج وشوهسي المحدثة استخدم فيها مفاهيم الكونفوشية بأبعاد منطقية صورية ، وهسيونج شمالي (المولود ١٨٨٥) الذي أطلق على فلسفته اسم المبدأ الجديد للوعي ، وحاول إحياء الاتجاه المثالي في الكونفوشية المحدثة ، وفسَّر العقل بأنه نتاج التطور والصيرورة الدائمين ، وأنه جزء من العقل الأصلي بجوانبه الثلاثة : العقل والإرادة والوعي ؛ وشانج تونج سون (المولود ١٨٨٦) ، ويطلقون على فلسفته اسم الكنطية المنقحة ، والكثرية الإبستمولوجية ، والكل تركيبية ، ويستوحيها من فلسفة كنط بعد أن يجرِّدها من تقسيمه لطبيعة المعرفة إلى ما هو قبلي وبعدي ، وتقسيمه للواقع إلى ظواهر وموضوعات للإدراك . والمعرفة عنده مركب من المعطيات الحسية والشكل والفروض المنهجية ، والإدراك والتصور والعقل والوعي كلها مركبات ، وهي نتاج المجتمع والثقافة . ولكن هذه الفلسفات المحدثة لم يقيض لها الرواج ، وظهرت الماركسية كحل جذاب للمشاكل الطاحنة للمجتمع الصيني ، وحمل لواءها ماوتسي تونج ، واستطاع بفضل التنظيم الجيد للحزب الشيوعي أن يفرضها فلسفة رسمية للصين الجديدة (١٩٤٩) . (انظر كلاً من هذه الفلسفات في مكانها ، **ومدرسة ألين واليانج وصن يات سن**) .

فلسفة قبل سقراطية
Pre - Socratic Philosophy

اصطلاح يطلق على الفلاسفة ، أو بالأحرى محبي الحكمة قبل سقراط ابتداء من طاليس في القرن السادس حتى غورغياس في القرن الرابع ، ويبلغ عددهم نحو أربعة عشر فيلسوفاً هم طاليس وانكسيمندريس وانكسيمانس (مدرسة ملطية) وهرقليطس (مدرسة أيونية) وفيثاغوراس (المدرسة الفيثاغورية) وأكسانوفان وبارمنيدس وزينون ومليسوس (المدرسة الإيلية) وأبنادوقليس وديموقريطس وأنكساغوراس وغورغياس ، وكانوا تلاميذ لبعضهم البعض فكونوا مدارس ، وجاءوا من المراكز اليونانية من شرقي أو غربي العالم اليوناني حيث ملتقى التجارة والثقافات ، وأشهرها ملطية وإفسوس وقولوفون وساموس في الشرق ، وإيليا في الغرب ، وكان الشرقيون أكثر اتجاهاً وميلاً إلى التفسير المادي والعالم المحسوس من الغربيين ، لكنهم جميعاً شرقيين وغربيين استغرقهم العالم الخارجي والبحث في الطبيعة ، وكان على السوفسطائيين وسقراط أن يشقوا للفلسفة مساراً جديداً ينقلها من البحث في العالم الخارجي إلى البحث في العالم الداخلي ، ويوجه الفلسفة من البحث في الطبيعة (الفلسفة الطبيعية) إلى البحث في الأخلاق والجدل (الفلسفة العملية) .

فلسفة ماركسية ...... Marxist Philosophy

جماع ما كتبه المفكرون بعد ماركس تطبيقاً لنظريته في مختلف المجالات . ولم يكن ما كتب ماركس فلسفة ، وكان يعتبر كتاباته كتابات علمية تاريخية اجتماعية ، تتناقض مع الكتابات الفلسفية التي رفضها بوصفها فكر طبقة محكوم عليها بالفناء ، ومظهراً لتفسخها وانحطاطها الفكري ، ومن ثم فأفول هذه المرحلة باندلاع الثورة يعني أفول الفلسفة لأنه لن يتبقى ما يتفلسف الفلاسفة بشأنه ، حيث يكون المجتمع الجديد مجتمعاً علمياً تتحقق فيه المثل العليا التي حلم

بها الفلاسفة ودارت حولها تصوراتهم في المجتمعات التي عاشوها وكانت تشكو الظلم والاضطهاد والغبن ، وباندلاع الثورة يقضى على الفلسفة أو أنها تكون غير ضرورية ، وسيكون شغل الناس دراسة الواقع ، وشتان بين الدراسة والفلسفة ، والفارق بينهما كالفارق بين الحب الجنسي المتكامل والعادة السرية ، كما يقول ماركس ، ومن ثم كان ماركس يرى أن الفلسفة تنتحر ، وأنه لن يكون هو نفسه من أسباب إحيائها أو بعثها بكتابه « **فلسفة ماركسية** » . ومع ذلك بذلت محاولات بعد موت ماركس لقلب الماركسية فلسفة ، بحجة أن الماركسية وهي تناقش أفول الفلسفة تقع في التناقض وتتفلسف ، وبذلك تحولت لافلسفيتها ونظريتها المادية التاريخية إلى مذهب فلسفي أعطاه جورج لوكاش اللمسات الأخيرة . ثم إن الماركسية بعد أن أخذت منها العلوم التجريبية ما يفيدها ، وما أكثر ما أفادت منها ، يتبقى منها جزء هو عبارة عن تعميمات متعجلة ونبوءات رأى البعض عدم إسقاطها وإبقاءها كجزء حي من التراث الماركسي أطلق عليه اسم الفلسفة الماركسية . واتجهت محاولات من أطلق عليها اسم فلسفة إلى تحري أصولها أو ما يماثلها في الفلسفات الأخرى أو ما تعنيه بالنسبة لهم ، وفشلت كل محاولات احتواء الماركسية ، في إحدى الفلسفات السابقة عليها واللاحقة لها ، وكانت أبرز الموازنات تلك التي جمعت بينها وبين الديالكتيك الهيجلي ، والتي قام بعبئها لوكاش ، وتابعه فيها كارل مانهايم وهيربرت ماركوس ولوسيان جولدمان وجان بول سارتر وموريس ميرلوبونتي . وكان انجلز في كتابه « دونج الكاذب » قد توسع في تطبيق قانون الصيرورة لهيجل بأوقاته الثلاثة وهي القضية ونقيضها والمركب منهما ، على الطبيعة والفكر والمجتمع ، وجعله قانوناً أزلياً للتطور الكوني ، فالتقدم مستمر من الأدنى للأعلى بفعل التوترات الموضوعية عندما يلد الشيء نقيضه أو سلبه ، وينحل التوتر عندما تندمج الأضداد في مركب (هو سلب السلب) . ولكن الشيوعيين اللاحقين على إنجلز لم يلجأوا للجدل ، وإن كانوا اعتبروه خاصية المادية الماركسية ، ورفض الفلاسفة منهم والعلماء قانون سلب السلب ، كما أعلن ستالين أن قانون تحول الحكم إلى كيف لا يمكن تطبيقه إلا في مجال الصراع الطبقي . ولم يصمد من قوانين الجدل الثلاثة إلا قانون اتحاد الأضداد الذي يؤلف بين المتناقضات ويبرر التضارب ، وكان لصموده سبب ، ذلك أن الفلسفة الماركسية تقول بأن الأفكار صور للواقع ، وأن نجاحها في التعامل مع الواقع هو معيار صدق تمثيلها له ، وهو ما يسمى في الفكر باسم النظرية التمثيلية للمعرفة في الماركسية . ويترتب على ذلك أن كل المعرفة جزئية ، ووقتية ، ونسبية ، وطبقية ، ومحدودة تاريخياً ، طالما أن الواقع الذي تمثله دائم الصيرورة ومتلاحق التغيير . وإذن ألا يصدق ذلك أيضاً على الفلسفة الماركسية ؟ وكان جواب إنجلز ولينين على هذه المشكلة أن كل شيء نسبي إلا بضع حقائق مطلقة منها المنطق والنظرية الماركسية . ولكن لوكاش أسقط المعرفة المطلقة وصادق على نسبيتها وجزئيتها ، وقال إن العلاقة بين النظرية الماركسية وغيرها من نظريات المعرفة التي تنتظم في التاريخ الثقافي علاقة جدلية ، بمعنى أنه لا توجد نظرية صادقة تماماً أو كاذبة تماماً ، علاوة على أن العلاقة بين الفرد والتاريخ علاقة جدلية أيضاً ، بمعنى أنها علاقة يتبادل فيها الاثنان التأثير والتأثر ، فالفرد نتاج اجتماعي تاريخي من ناحية ، والقوى التاريخية قوى معادية له طالما أنها قوى اقتصادية في الأصل ، وكل المراحل التاريخية يغلب عليها حتى الآن استغلال الفرد واضطهاده . والعلاقات السابقة ، كما رأينا ، علاقات لها طرفان ، التوتر والصراع دائم بينهما ، ولا يرفع هذا الصراع إلا الثورة ، وهي ترفعه بالتأليف بين الطرفين في مركب يمثل انتصار الإنسان العامل ، ويعيد إليه نتاج سلعته الذي كان يوظفه الرأسمالي ضده . وفي ضوء هذه النظرة تبرز العلاقة بين الفكر والتاريخ ، والعلاقة الجدلية بين الفرد الشخصي والقوى المادية اللاشخصية للمجتمع ، وتصبح هي

النقطة الحيوية أو الأساسية في الفلسفة المادية التاريخية . وهي تفضح القوى الاجتماعية وتبين أنها قوى اغتربت عن موجدها وهو العامل ، وأصبحت قوى فاعلة أو شخصية موجهة ضد العامل ، بمعنى أنها سلبت العامل فاعليته أو إنسانيته ، وتسربلت بثياب الفاعلية أو الإنسانية . وهي تتنبأ بانتصار العامل على محاولات القوى فالتاريخ نزع الفاعلية أو الإنسانية عن الإنسان .

هذا هو مفهوم لوكاش للماركسية ، ولا شك أنه يتصادم مع مفهوم الشيوعيين لها ، ولعل هذا هو السبب في التمييز بين الماركسيين والشيوعيين ، حيث يعتبر الشيوعيون أنفسهم بمثابة الرافد السني للتراث الماركسي ، أي أنهم يمثلون الماركسية الارثوذكسية أو الصحيحة ، ويؤكدون في مؤلفاتهم على النواحي الحتمية والتطورية والمادية والاجتماعية ، بينما يمثل الماركسيون الرافد المثالي الذي يطلع إلى تخليص الإنسانية من الحتمية الاقتصادية (أن أفعال المرء والتغيرات الاجتماعية ثمرة عوامل اقتصادية لا سلطان للمرء عليها) ، ويسميه بيرديائيف التيتانية Titanism (نسبة إلى تيتان الجبار) بمعنى أنه تيار قوي في الفكر الماركسي وإن كان موطنه الأصلي اوروبا الغربية .

فلسفة هندية ... Indian Philosophy

الفلسفة الهندية في جوهرها دينية ، وغاية التفلسف عند الهنود تحقيق الخلاص (الموسكا) ، وله عندهم آلاف الطرق ، والطريقة (دارسانا) هما نسق أو مذهب ، والميتافيزيقا هي مجال التفكير الفلسفي عندهم ، وموضوعه التجربة الدينية بمختلف أشكالها ، غير أن للهنود اتجاهات طبيعية ومادية كذلك ، ولكن بسبب غلبة الطابع الديني تصنف فلسفتهم إلى أصولية وغير أصولية ، والأصولية هي التي تستقى من الفيدا ، وأساسها كتب اليوبانيشاد ، وتقوم المدارس الهندية على الاختلاف في فهم النص وتفسيره ، وتتراوح بين التصديق بوجود إله واحد ، وإنكار الألوهية . أما المدارس غير الأصولية ، أي التي لا تأخذ من اليوبانيشاد فهي البوذية والجاينية والمادية ، والأخيرة راجت لبعض الوقت ، لكنها لم تصمد لتصبح من التراث . وكانت نشأة الفيدا بشمالي الهند ، بين الآريين ، سلالة الغزاة الهنود الأوروبيين ، نحو سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ولم تبدأ كتابة النصوص الدينية إلا ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الخامس قبل الميلاد ، وكذلك لم تبدأ كتابة النصوص غير الأصولية إلا ابتداء من أواخر القرن السادس قبل الميلادي ، واستمرت حتى أوائل القرن الخامس قبل الميلادي ، واستلزم ذلك كتابة الشروح عليها أو المأثورات (السوترات) ابتداء من القرن الرابع قبل الميلادي ، واستمرت حتى القرن السادس الميلادي ، وقامت على اختلافها مذاهب شتى . وكذلك تفرقت البوذية إلى فرق متنازعة ، فيها الكثرية اللاأدرية والواحدية المثالية . وكانت الفترة من القرن الثامن حتى السادس عشر الميلادي خصبة للغاية ، وبلغت أوجها في نصفها الأول ، بينما أجدب القرنان السابع عشر والثامن عشر ، وفي أواخر القرن التاسع عشر اتصلت الفلسفة الهندية بالفلسفة الأوروبية ، وخاصة البريطانية في مرحلتها بعد الهيجلية ، ونتج عن ذلك بعث للهندوسية في المائة سنة الأخيرة ، ومن ثم يمكن تقسيم مراحل الفلسفة الهندية إلى أربع مراحل ، امتدت الأولى من ٨٠٠ق.م إلى ٤٠٠ق.م . وكانت فترة تأصيل التراث وكتابته ، والثانية من ٤٠٠ق.م إلى ٦٠٠م وفيها اختلفوا حول فهم النصوص ، وتباينت شروحها ، والثالثة من ٦٠٠م إلى ١٦٠٠ وفيها قامت المذاهب وتطورت على الشروح المتنوعة والرؤى المختلفة ، والرابعة ابتداء من ١٨٥٠ حتى الآن . ويمكن إجمالاً تسمية الفترات الأربع باسم القديمة، والكلاسية ، والوسيطة ، والحديثة . وتصنف المدارس الأصولية في ست ، تجمعها ثلاث مجموعات : اليوجا والسامخيا ، والميماسا والفيدانتا ، والنيايا والفايشيسيكا ، والمدرسة الأولى في كل مجموعة عملية ، والثانية هي أساسها النظري أو

الميتافيزيقي . غير أن هذا التقسيم ليس دقيقاً ، ذلك لأن كل مدرسة عملية لها فلسفتها الخاصة التي تختلف بعض الشيء عن فلسفة المدرسة النظرية . وعلاوة على ذلك هناك مدارس لا تندرج ضمن هذه المجموعات ، مثل الشايفا سيدهانتا التي تقوم على عبادة الإله شيفا . والمدارس السابقة كلها ثنوية تميز بين الروح الشخصي والروح الكلي ، ويقوم تباينها على تباين مفهوم هذه العلاقة ، فالسامخيا والميماسا ملحدتان ، واليوجا والنيايا والفايشيسيكا عقائد مؤمنة . وتذهب السامخيا إلى أن العالم يتكون من الطبيعة (براكتري) والأرواح (بورسوا) . والروح لا فعل لها إلا من خلال أعضاء الحس . والطبيعة فاعلة وغائبة . والعالم يتراوح عليه الكون والفساد ، ولكل فترة ، ويمتليء بقوى ثلاث هي المواد التي تتكون منها الأشياء ، وتطور الكون يحدث بفعل اللاتوازن بينها ، كما يحدث الإدراك بانفعال أعضاء الحس بالحوادث الخارجية ، وما يسمى بالذهن أو الحس المشترك (ماناس) والعقل (بودي) ، ثم يكون فعل الروح على هذه الصور الذهنية ، فيشرق الإدراك . وهذه الغائية التي في الطبيعة هي التي حدت ببعض مفكري السامخيا أن يقولوا فيما بعد بوجود إله ، وأن إشراق الروح على الصور العقلية ليتم الإدراك لا يكون إلا بلطف منه ، وهو ما تسميه إرادته ، وأهم كتب السامخيا هو السامخيا كاريكا أو الاشعار السامخيا الموجزة ، وترجع إلى القرن الثالث ، وكان اتصال اليوجا بها قديماً جداً ، ويرجعه البعض إلى نحو القرن الثاني ، كما يبدو ذلك من كتابها «مأثورات اليوجا » . كما ترجع الفاشيسيكا إلى القرن السادس قبل الميلاد ، أو ربما قبل ذلك ، لكنها لم تتبلور كمذهب إلا في نحو ١٠٠ قبل الميلاد في كتابها « مأثورات الفايشيسيكا » التي وضعها كانادا . واندمجت المدرسة في القرنين الخامس والسادس في مدرسة النيايا ، وصارت من المدارس المؤلهة . وكانت نشأة النيايا نفسها في عهد التفلسف الهندي ، وتعود « مأثورات المنطق » ربما إلى القرن الثاني ، ونقول لأول مرة بالعناصر الذرية ، ثم قامت مدرسة المنطق الجديد أو النافيانيايا نحو سنة ١٢٠٠ بفضل جهود المنطيق حانجيسا . ومن اندماج المدرستين كان الفكر الذري المنطقي ، أي الذي يربط بين المنهج المنطقي مع القول بالأصل الذري للعالم . ولا تعني الذرية أن أصحابها كانوا ماديين ، فالعكس هو الصحيح ! فقد ظهرت مشاكل كثيرة في ثنايا النظرية كان لا بد معها أن يقولوا بوجود إله أو عناية إلهية توجه اتحاد الذرات وتخليق الكائنات . ومع ذلك فقد كان هذا الأصل الذري هو ضرب من التفكير المادي الذي بدأ في الهند منذ القرن السادس واستمر دائماً ، وكان سبباً في كثير من الأدب الفلسفي المثالي الذي تصدى بالرد على هذا الاتجاه . ونشأت الميماسا من محاولات تأويل النصوص الفيدية، مع إبراز الناحية الطقوسية فيها ، وكانت أولى الشروح عليها « مأثورات الميماسا » التي دونها جايميني ، والتي أخذت شكلها الحالي بين سنتي ٢٠٠قبل وبعد الميلاد ، ثم انقسمت إلى مدرستين ، معلم الأولى كوماريللا بهاتا (القرن السابع) ، ومعلم الثانية معاصره برابهاكارا ، وتأثرت بمدرسة المنطق الجديد أو الفافيانايا فيما يبدو في القرن السابع ، ومع أن الفيدانتا تصنف بأنها مدرسة متكاملة ، إلا أنها انقسمت فرقاً ، أهمها الأدفاتيا والفيشيستافايتا والدفاتيا ، والهيدابهيدا وتعني الواحد في التنوع ، بمعنى أن الإله براهمان « هو العالم وليس العالم » التي قال بها « بهاسكارا » . وكتاب الفيدانتا عبارة عن مأثورات براهمية وضعها باداريانا الذي يعرف أحياناً باسم فياسا أي المنظم . ومن فلاسفة الفيدانتا شانكره (٧٨٨ ـ نحو ٨٢٠) وهو يعتبر البراهمان والأتمان أو النفس واحداً ، أي أنهما النفس الكلية التي تسري في العالم ، ورامانوجا (القرن الثاني عشر) الذي قال إنهما شيء واحد ، ولكنهما متغايران كذلك ، ومادهفا (القرن الثالث عشر)الذي مايز بين الواحد المطلق والعالم والنفوس. أما في القرن التاسع عشر ، فباتصال الفلسفة الهندية بالفلسفة البريطانية ، تبين التشابه بين الفيدانتا

والمسيحية ، فانتشرت البعثات التبشيرية ، وتزعمها هنود من أمثال راجا رام موهان روي الذي أسس حركة براهمو ساماج (١٨٢٨) ، وسوامي فيفيكاناندا مؤسس حركة راماكريشنا (١٨٣٤ - ١٨٨٦) ، وتؤكد الحركة الأخيرة على وحدة الأديان والعمل الاجتماعي . واتجهت أخيراً على يد سارفيبالي راداكريشنان إلى إعادة صياغة الأدفاتيا لتكون إيديولوجية . وكان من أبرز فلاسفة هذا الاتجاه بهاتاشارايا (١٨٧٥ - ١٩٤٩) ويدعو إلى التوجه إلى التجربة نفسها ووصفها ظاهرياً ونقدها بدلاً من التوجه إلى التراث الميتافيزيقي ، وفسر ذلك بأنه يحقق الذات كحرية خالصة ؛ وأوروبندو ، وبانير جي (ولد ١٩٠٩) وأسلوبه كنطي محدث ، وفي القرن العشرين اشتهر سوريندرانات راسجوبتا (١٨٨٥ - ١٩٥٢) مؤلف « تاريخ الفلسفة الهندية » (خمسة مجلدات) ، ومورتي فولف «الفلسفة المركزية للبوذية » (١٩٥٥) وجاياتيليكه مؤلف « نظرية المعرفة البوذية في بواكيرها » (١٩٦٣) . (اقرأ تطور الجاينية والبوذية وإقبال والأحمدية والقاديانية وسانكره واليوجا والهندوسية والباسنوية والباهودية والبهادونية والبوهرة) .

فن .... Venn

(١٨٣٤ - ١٩٢٣) يوحنّا فن ، بريطاني ، ولد في هل Hull ، وتعلّم بكيمبردج وعلّم بها ، ولكنه اشتغل لمدة أربع سنوات قسيساً ، ثم استقال تحت تأثير سدجويك ودي مورجان وبول وأوستن ومل ، ونقل اهتمامه من اللاهوت إلى المنطق ، وعاد نهائياً إلى كيمبردج ، واشتهر بثلاثة كتب هي « **منطق المصادفة The Logic of Chance** » (١٨٦٦) و « **المنطق الرمزي Symbolic Logic** » (١٨٨١) و « **مبادىء المنطق التجريبي أو الاستقرائي Principles of Empirical or Inductive Logic** » (١٨٨٩) ودوره فيها دور الناقد والعارض لأفكار قال بها غيره ، وهو من أتباع بول Boole ، ومل إلى حد ما ، ويدافع عن الاثنين ضد انتقادات جيفونز من ناحية والمناطقة المثاليين من ناحية أخرى . وكتابه الأول أهم كتبه لأنه شرح دقيق لنظرية التكرار في الاحتمال ، لكنه رغم أصالته قد استعانَ إلى حد ما ببعض أفكار ليزلي إليس Ellis ، وما تزال نظريته في التكرار صامدة رغم ما يوجه إليها . وربما كان كتاب « المنطق التجريبي » أقل كتبه شأناً لاعتماده الكبير على منهج مل والنتائج التي ينتهي إليها بالرغم من تشككه في قيمة المناهج الاستقرائية ونقده لفكرة السببية . أما كتاب « المنطق الرمزي » فهو استعراض لما كتب في هذا الباب ، وترجع أهميته لدقة معلوماته وشمولها .

فنت .... Wundt

(١٨٣٢ - ١٩٢٠) وليام فنت ، ألماني ، تخرَّج من كلية الطب ببرلين ، ومن المعهد الفسيولوجي بهيدلبرج الذي أقامه هلمهولتز . وفي سن الرابعة والعشرين مرض مرضاً شديداً يئس الأطباء من شفائه ، واستمرَّ لعدة أسابيع بين الموت والحياة ، وخلال أزمته استطاعَ أن يصل إلى مواقف نهائية لكثير من الأسئلة التي طرحت نفسها عليه دينياً وفلسفياً والتي تكون منها مذهبه الفلسفي فيما بعد . ومنذ البداية عني بمسائل الإدراك الحسي وقياس الظواهر النفسية وإقامة دراستها على قوانين مضبوطة ، وأهم كتبه في ذلك « مبادىء علم النفس الفسيولوجي » (١٨٧٤) ، و « علم النفس الشعبي أو علم نفس الشعوب » (١٩٠٤) ، وعين أستاذاً بجامعة ليبزج فأنشأ أول معمل في العالم للاختبارات النفسية (١٨٧٩) أمه الطلاب من كل الدول وعادوا إلى بلادهم لينشئوا فيها معاهد مماثلة . وتجاوز ببحوثه هلمهولتز وفيبر وفخنر ، وأقام ما أسماه علم النفس الفسيولوجي يقيس الظواهر النفسية بمقابلاتها الفسيولوجية . وأصالته في هذا الميدان وحده ، لكن فلسفته أشتات من ليبنتز وشوبنهاور وهيجل ، وهو يعتبر علم النفس أساس كل معرفة علمية وثقافية ، يربط العلوم كلها ، ويعد لذلك مباشرة

للفلسفة . والفلسفة عنده محاولة لتفسير الظواهر التجريبية وتوحيدها . والظاهرة التجريبية ظاهرة شعورية ، والظاهرة الشعورية ظاهرة تجريبية ، ودراستها من الناحية الشعورية ميدان علم النفس ، ومن الناحية التجريبية ميدان سائر العلوم . ويقوم تفسير الظواهر على ملاحظتها في سياقها ، وتحليلها ، وتجريبها ، وتأملها ، وردها على المستوى الشعوري إلى علية نفسية تختلف عن العلية العلمية أو الآلية التي تخصّ المستوى التجريبي . وبذلك يخرج فنت على لمذهبين الحسي والمادي ، وهو يقترب أحياناً من لظاهراتية عندما يقول بدراسة محتوى الظاهرة على طبيعته الفورية ، ويقترب من **علم نفس المجموعات الكلية أو الكليات Psychology of Totalities or Wholes** عندما يبحث عمّا يربط أجزاء المعرفة لتكون كلاًّ بريئاً من التناقض فيجده في مبدأ تركيبي يتجاوز مجموع المثيرات ، وفي وحدة الإطار العقلي ، وفي الانفعال الكلي الذي يتجاوز بعد اللذة أو الألم ضيق الأفق ، ويطلق على هذا النشاط العقلي الأساسي الإدراك بالترابط ، ووظيفته التوحيد بين الظواهر ، وهو نشاط تمارسه الإرادة . وتتوجه الانفعالات في الإدراك بالترابط إلى موضوعاته المتنوعة ، وتكون الموضوعات جملة وحدات مرتبطة فيما بينها . ويبدو الإنسان مرتبطاً بوحدات اجتماعية متباينة هي الأسرة والقبيلة والنقابة والأمة والإنسانية ، ولكن الإنسانية الموحدة لم تتحقق ، وينبغي أن تكون هي غاية الإنسان وقاعدة أفعاله الخلقية ، ولكنها محدودة بحدود الزمان والمكان ، وإرادة الإنسان نزوع غير محدود ، وإدراكها المترابط يتجاوز الإنسانية إلى فكرة الله .

فندلبانت .... Windelband

(١٨٤٨ ـ ١٩١٥) وليام فندلبانت ، ألماني ، ولد في بتسدام ، وتعلَّم في يينا وبرلين وجوتنجن ، وعلم الفلسفة في زيورخ وفرايبورج وستراسبورج وهايدلبرج ، وكان تلميذاً للوتسه وكونو فيشر ، وتزعَّم مدرسة بادن للكنطية المحدثة ، واشتهر بتأريخه للفلسفة ، وطريقته في عرض المشاكل الفلسفية تاريخياً بدلاً من كتابة تاريخ كل فيلسوف على حدة ، وتطبيقه مبادىء النقد الكنطي على العلوم التاريخية .

فنكلمان .... Winckelmann

(١٧١٧ ـ ١٧٦٨) يوحنّا يواقيم فنكلمان ، ألماني ، اشتهر بأنه مؤسّس علم الآثار القديمة ، وتاريخ الفن ، وكان أول من نبّه إلى القيمة الجغرافية والاجتماعية والسياسية والثقافية للأثر الفني بالإضافة إلى قيمته النفسية والجمالية . وتتأثر نظريته الجمالية في عدد من الكتب أهمها « بحث قوة الشعور بالجمال وفن تدريسه » (١٧٦٤) و « تاريخ الفن القديم » (١٧٦٦) . وهو يقول إن الجمال لا يعرف ، وأنه سر من أسرار الطبيعة الكبرى التي لم يستطع الإنسان أن يميط لثامها ، وأنه يعبر عن نفسه في التناسب وإتساق الأضداد ، وتحسه الحواس ويتذوقه العقل ويخلقه ، والفارق بين الجمال المحسوس والجمال المثالي ، أن الأول هو الطبيعة أو محاكاتها ، والثاني جماع أجمل ما في الطبيعة ، كأن نرسم امرأة بحيث نطرح في كل جزء من الصورة أجمل ما نستطيع أن نحسّه من جمال في عدد من النساء . وأروع ألوان الجمال المثالي ، كان تجسيداً لفكرة نبيلة ومضمون أخلاقي . وظلَّ فنكلمان يعمل أميناً لعدد من مكتبات الفنون والآثار حتى اغتيل في أحد فنادق تريستا .

فورفوريوس .... Porphyry

(نحو ٢٣٢ ـ ٣٠٥ م) أحد المؤسّسين للأفلاطونية المحدثة ، ولد في بلدة صور من أبويين سوريين ، ودرس الفلسفة بأثينا ، وارتحل إلى روما وانضمَّ إلى الجماعة التي يرأسها أفلوطين ، وبعد وفاته ترأسها لبعض الوقت ، وإليه يرجع فضل جمع محاضرات أفلوطين ونشرها والدفاع عنها بمؤلفات تخصه ، وجعلها فلسفة قائمة بذاتها امتدَّ تأثيرها فعمَّ الامبراطورية الرومانية كلها ، وإليه كذلك يرجع فضل شرح بعضاً من

فلسفة أرسطو وإدراجه ضمن المنهج الجامعي حتى من قبل أساتذة من التابعين لأفلاطون .

ويعتبر فورفوريوس أول الأفلاطونيين المحدثين هجوماً على المسيحية ، وما يزال كتابه « ضد المسيحيين » مرجعاً في كشف التعارض الزمني وحقيقة مؤلّفي بعض الأجزاء من الأناجيل ، ولكنه اشتهر بشكل خاص بكتاب « **إيساغوجي Isagoge أو المدخل إلى مقولات أرسطو** » يشرح فيه خمسة تصورات هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض التي سميت فيما بعد بالمحمولات .

فوريه ...... **Fourier**

(١٧٧٢ ـ ١٨٣٧) فرانسوا ماري شارل فورييه ، اشتراكي طوباوي ، وناقد اجتماعي فرنسي ، وأحد آباء الشيوعية الحديثة ، من أسرة من التجار ، قطع شوطاً في التعليم العام ولكنه لم يكمله ، واشتغل موظفاً ، لكنه كان دائم الاطلاع وسافر أحياناً ، وتكاد تقتصر قراءاته على الصحف والمجلات الدورية ، وأحياناً كان يكتفي بقراءة نتف من المقالات ، وأحياناً يكتفي بالعناوين ، عاش في شبه عزلة ، لكنه فجأة نشر « نظرية الحركات الأربع والمقادير العامة » (١٨٠٨) ، وأخذ يدعو لآراء معينة ويجمع حوله الأنصار ، ويذيع المقالات والكتيّبات ، كان أهمها « نظرية الوحدة الشاملة » (١٨٢٢) و « العالم الصناعي الجديد » (١٨٢٩) ، وفي اعتقاده أن الكون قوامه النظام الذي أوجدته العناية الإلّهية ، لكن الإنسان فشل في إدراكه فعمّت الفوضى ، ومن ثمّ شاع البؤس ، ولكي يسود العالم نظام كالنظام الكوني ينبغي أن تكون المجتمعات والإنسان على الحال الطبيعية ، بأن تطلق للإنسان نزعاته الثلاث عشرة التي فطره الله عليها ، والتي وقفت في طريقها المدنية وقمعتها ، ولا سبيل إلى ذلك إلّا بتحطيم هذه التجمعات المدنية الكبرى وتوزيعها على قرى صغيرة Phalanxes ، تتألف كل قرية من نحو ألف وثمانمائة رجل وامرأة وطفل ، تتوزع في فرق متنوعة المهن والهوايات ، ينضمّ إليها كل شخص راغب بحيث يؤدّي فيها العمل الذي يحبه وتؤهّله له إمكانياته ونزعاته ؛ فالنزعة في حد ذاتها ليست شريرة ، حتى نزعة التآمر ، لكن المجتمع هو الذي يوظفها التوظيف الشرير ، ومن ثم فلو أوجدنا المجتمع الذي يحسن توظيفها بشكل إبداعي يفيد المجموع لمارس الفرد نزعاته واستراح المجتمع ، ومن ثم كان سعي فورييه الدائب هو أن يبدأ تشكيل فالانج Phalange تجريبية يعيش أفرادها على الشيوعية ، في الإنتاج والتوزيع والملكية . وكان يعتقد أن أعدى أعداء نظامه هو الفلسفة أو المذاهب الفلسفية بمجلداتها الأربعمائة ألف التي لا تحوي غير الزيف . وكان يعتقد أن النجاح سرعان ما يصيب الفالانج ، وسرعان ما تكثر هذه القرى حتى تعم العالم جميعه في سنة أو سنتين ، ومن ثم يعم التآلف والانسجام ، ونبلغ السعادة الفردية والاجتماعية . وكان يعتقد أن العالم وحدة ، وأنه بمثل ما تتكون الفرق الإنتاجية وقرى الفالانج بالمحاكاة والتقليد ، يؤدّي التآلف والانسجام الناتجان إلى تأليفات جديدة وتخلقات مفيدة على الأرض وفي الكون ، وتتردد أصداء الصحة على الأرض في الكون كله فتتكون كواكب جديدة . لكن الأرض في هذه اللحظة متخلفة عن الكواكب الأخرى ، ويرثى لحالها . وكانت اشتراكية فورييه اشتراكية فريدة ، فهي تسمح بنوع من الملكية الخاصة ، وتعتبر عدم المساواة مسألة ضرورية حتى تكون هناك فروق ومجموعات تعلو بعضها البعض ، ولكنها اللّامساواة غير الصارخة التي لا تفجر مشاعر دونية وأفكاراً تخريبية لدى البعض وتكون عنصراً من عناصر تقويض المجتمعات .

فوضوية ...... **Anarchism**

مذهب اجتماعي تشتق لفظته الإفرنجية من An Archos اليونانيتين بمعنى لا حكومة ، فهو المذهب الذي يناهض قيام الحكومات ، ويدعو إلى إنشاء مؤسسات اجتماعية اقتصادية بمحض اختيار الناس

وإرادتهم الحرة . وكانت الفوضوي Anarchist تعني أول الأمر الرافض للقانون ، والمشيع للفوضى ، وبهذا المعنى نعت المساواتية Levelers أو الداعين إلى المساواة السياسية والاجتماعية أيام الحرب الأهلية الإنجليزية والثورة الفرنسية . لكن مضمونها تجاوز هذا المعنى عندما رسم بها برودون نفسه في كتابه « ما هي الملكية ؟ » (١٨٤٠) ، وطالبَ بتقويض السلطة السياسية المفروضة على الشعب من أعلى ، وبقيام تنظيمات اجتماعية واقتصادية أساسها الاتفاقات التعاقدية الإرادية بين جماعات الشعب (انظر برودون) وحول هذين المعنيين ذاعَ مفهوم الفوضوية ، فالتبست مرة بالعدمية Nihilism ، واختلطت مرة بالإرهاب Terrorism ، ويرجعها مُؤرخوها أحياناً إلى المجتمعات البدائية التي كانت تقوم على الملكية المشاعية والسلطة الجماعية ، وأحياناً ينسبونها إلى رسل المسيحية الأوائل ، والمعلمين القدامى من أمثال لاوتسي ، والثائرين من أمثال سبارتاكوس ، والمصلحين من أمثال إتيان ديلابواتييه وتوماس مونزر ورابليه وفينيلون وديديرو وسويفت . ولا شك أن برودون هو أبو الفكر الفوضوي ، رغم أن جيرارد وينستانلي (١٦٠٩ - ١٦٦٠) ووليام جودوين (١٧٥٦ - ١٨٣٦) كانا أسبق عليه ، والأول تزعم حركة الحفارين Diggers أثناء الضائقة الاقتصادية التي أعقبت الحرب الأهلية ، وقادهم إلى ساحات من الأراضي الفضاء في جنوب إنجلترا في محاولة لإقامة مخيمات أساسها العمل اليدوي وزراعة الأرض واقتسام خيراتها ، وفشلت حركته لكن الفلسفة أفادت منها مجموعة من الكتيّبات أهمها « قانون الصلاح الجديد The New Law of Righteousness » (١٦٤٩) . وكانت دعوته ضرباً من المسيحية العقلية . أما جودوين فكان في كتابه « بحث في العدالة الاجتماعية » فوضوياً نفعياً (انظر جودوين) ، بمعنى أنه دعا إلى قيام مجتمع غير طبقي يقوم على العمل ، لكنه العمل الذي يحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس . ولكن دعوة وينستانلي وجودوين لم تثمر خلفاً ، ولم تكن الفوضوية التي ذاعت من بعد إلَّا بسبب برودون (انظر برودون) ، وكانت نتاجاً للمزاوجة بين الفكر الاشتراكي الفرنسي والهيجلية المحدثة الألمانية . وانتشرت الفوضوية في فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وسويسرا وأوكرانيا وأمريكا اللاتينية ، وكان من أعلامها ميخائيل باكونين والأمير بطرس كروبوتكين وأريكو مالاتيستا وسباستيان فور وجوستاف لانداور وإليزيه ريكلوس ورودلف روكر وماكس شترنر وليو تولستوي ودوميلا نويفينهاوس وفيرناند بيلوتييه وجورج سوريل ، وإن كانوا قد اختلفوا فيما بينهم في ثلاثة أمور ، هي اللجوء إلى العنف من عدمه ، ومقدار التعاون المطلوب من الفرد مع المجتمع مع مراعاة أن لا ينتقص ذلك من حرية الفرد بوصف الفوضوية مذهباً في الحرية ، وشكل التنظيم الاقتصادي المناسب مع مجتمع ينشد الحرية . وعلى ذلك كانت هناك فوضوية تقوم على تبادل المنافع Mutualist anarchism وهذه هي فوضوية برودون وأتباعه الداعين إلى إنشاء بنوك لتبادل السلع وقيام تنظيمات فيدرالية تصاعدية تحل محل الحكومات المحلية والدولة ، وهؤلاء يؤمنون بالعمل المشترك وينفرون من العنف ومنه الإضراب . ونقيضهم هم الفوضويون الفرديون ، أو الفوضوية الفردية Individualist anarchism التي قال بها ماكس شترنر ، وترفض كل أشكال التعاون الاجتماعية ، وتؤمن بالفرد ، فإن كان لزاماً عليه أن يتعايش مع الآخرين فذلك في حدود وبشرط أن لا يفقده ذلك هويته وفرديته . وقد ترتّب على هذه الدعوة التي عبرت عن نفسها في عدم الثقة بكافة التنظيمات أن قام بعض الأفراد بعدد من الاغتيالات السياسية ، وارتبطت بذلك في رافد من روافدها الإرهاب ، وتمثل ذلك فيما قام به رافاشول وإميل هنري . ومع ذلك كانت بها روافد أخرى سلمية عند الأمريكي بنيامين تكر Tucker (١٨٥٤ - ١٩٣٩) . وهذا النوع من الفوضوية الفردية الإرهابية عرفناه في بلادنا العربية منذ مقتل عمر بن الخطاب حتى مقتل الملك عبد الله وأحمد ماهر وأمين

عثمان . أما جماعة باكونين ، أو الفوضوية التي ارتبطت باسمه فهي الفوضوية الجماعية Collectivist Anarchism التي اشتهرت بمعارضتها للماركسية في رابطة العمال الدوليين ، فجرت بخلافاتهما المنافسة التاريخية بين الفكرين التحرري والاستبدادي على زعامة الحركة الاشتراكية الدولية . ويتفق الجماعيون مع النفعيين في برامجهم إلاَّ أنهم لا يرون من سبيل إلى تقويض الدولة والنظام القائم إلا بالعنف ، ويطالبون بملكية تجمعات العمال لأدوات الإنتاج بعكس النفعيين الذين جعلوا العامل ، وليس العمال ، هو الأصل . وقد حلَّ محل الفوضوية الجماعية نوع آخر من الفوضوية ارتبط ببطرس كروبوتكين ، هي الفوضوية المشاعية Communist Anarchism ، الذي ربط في كتابه « المساعدة المتبادلة » (١٩٠٢) بين إمكانات العامل وحاجاته ، وأعلن شعار الفوضوية الجديد « من كل حسب وسائله، إلى كل حسب حاجاته » ، واقتراح إقامة مخازن سلعية يسحب منها أي من كان ما يحتاجه دون حساب . وعندما فشلت كومونة باريس في تحقيق أهداف العمال ، اتجهت جموعهم إلى النقابات تستعين بها في كفاحها من أجل مطالبها ، وتتوسل بالأحزاب بوصفه أعلى مراحل العمل المشترك المباشر والوسيلة الأولى لتقويض الدولة ، ومن ثم تستطيع النقابات أن تتحول إلى وحدات أساسية من وحدات المجتمع الحر حيث يتولى العمال إدارة المصانع ؛ ومن هنا اشتقَّ اسمها « النقابية الفوضوية Anarchosyndicalism » . أما الفوضوية المسالمة أو السلمية Pacifist Anarchism » فكان داعيتها ليو تولستوي ، وكانت ثورة خلقية تقوم على احتساب الحاجة كمعيار للتوزيع والإنتاج ، ورفض الطاعة والتعامل بالقانون والتعاون مع الدولة والأخذ بالملكية .

فولتير Voltaire

(١٦٩٤ - ١٧٧٨) فرانسوا ماري أرويه دي فولتير ، فرنسي ، ولد في باريس لأسرة بورجوازية ، وتعلم في الكلية اليسوعية ، وترك دراسة القانون إلى الأدب ، وكان مزاجه فلسفياً فجاءت أغلب كتاباته الأدبية فلسفية المنحى والتناول ، وأوقعته في صدام مع الملكية والإقطاع والكنيسة ، واعتقل بسببها مرتين لمدة سنة قضاها في سجن الباستيل ، وأمضى من حياته خمس عشرة سنة منفياً من باريس ، وثلاثين سنة منفياً من فرنسا ، ولما عاد إليها قبل وفاته بشهور خرجت باريس عن بكرة أبيها تستقبل أعظم من أنجبتهم فرنسا من الأدباء ، وأكبر أنصار الإنسانية في أوروبا كلها . واشتهر من مؤلفاته الفلسفية « **رسائل فلسفية Lettres Philosophiques** » (١٧٣٤) و « **القاموس الفلسفي Dictionnaire Philosophique** » (١٧٦٤) و « **فلسفة التاريخ Philosophie de L'Histoire** » (١٧٦٥) .

وكان فولتير مؤلهاً ، ولكنه لم يؤمن بالوحي ، ولم يؤمن بالله كما وصفته المسيحية واليهودية ، وقال إن إلهه لاشخصي ، وأنه فوق مستوى الإدراك ، ولم يرفض الشر وقبله كعنصر من العناصر المتنوعة التي تؤلف التناسق الكوني ، ولم يعجبه أن يعاقب الخير في كثير من الأحوال ، وأن يثاب الشر ، ولكنه ما كان يملك إلا الإذعان في الغالب والثورة أحياناً . وكان دينه الإنسانية فكان يدعو إلى تناسي الخلافات اللونية والعقائدية ، وقال عن فلسفة نيوتن أنها علمته النظر إلى الكون بإجلال والاعتقاد في جزم بوجود عقل أعلى خالق له . وكان يؤمن بأن الخير والشر لا معنى لهما بمعزل عن المجتمع ، وقال بأخلاق اجتماعية مضمونها إشاعة العدل وإقرار الحرية ، وكان يقول لو لم يكن الله موجوداً لوجب اختراعه ، وطالب بالوقاية من الجريمة قبل العقاب عليها ، وأن تثاب الفضيلة ، وفلسفته في التاريخ أخلاقية إنسانية ، وهو يقول إن التاريخ لا يهدف إلى إشباع الفضول ولا تجميع الوقائع ، ولكنه البحث عن المثل التي تفيد في التحكم في المستقبل ، ومع ذلك كان يرى أن التاريخ وحده لا يكفي كمرشد للسلوك الخلقي ، وأن الأدب له هذه الميزة على التاريخ ،

فـالأدب دروس في الفضيلة والتـاريـخ سلسلة مـن الجرائم ، والأدب يعلمنا ما ينبغي أن نكونه لكن التاريخ يطلعنا على واقع الطبيعة البشرية . وأخذ فولتير احترام الملكيـة الشخصيـة من لـوك ، ودعـا إلى النـظام الديموقراطي في دولة جمهورية ، ولكنه لم يكن يرى إمكان تطبيق الديموقراطية إلا في مجتمعات صغيرة .

فولف .... Wolff

(١٦٧٩ ـ ١٧٥٤) كريستيان فـولف ، ألمـاني ، عقلاني ، ولد في برسلاو ، ودرس في يينـا وليبزج ، وعلم في هال ، وانتخب عضواً في أكاديمية بـرلين ، ولكن شهرته ألبت عليه عداء التقـويين Pietists حتى أفلحوا في إقصائه عن الجامعة ونفيه من بروسيا ، فعلم في ماربورج، وعاد إلى هال في عهد فريدريك الثاني ، وكان فولف أول فيلسوف منهجي ، ويعزي إليه فضل تعميم المصطلحات الفلسفية في ألمانيا وإدخال ألفاظ جـديدة في اللغـة الألمانيـة مثل لفظ Begriff بمعنى مفهوم ، وكان تأثيره ضخماً على معاصريه ، وظل هكذا حتى عصر هيجل ، وأثارت تعاليمه معارضة الكثيرين ، غير أن تفكيره لم يكن أصيلاً ، وكان تجميعاً للمذاهب الفلسفية من قبله،ولقد ظل يراسل ليبنتس مدة أربع عشـرة سنة ، وأفكـاره خليط من ليبنتس وديكـارت ، والفلسفـة عنـده هي علم الأشيـاء الممكنـة بمـا هي كذلك ، بمعنى أنها العلم الذي يـدرس الماهيـات ، والأشياء الموجودة من ناحية ماهيـاتها ، ومـا يجب أن تكون عليه الأشياء كي تكون ممكنة ، بوصفها إما أشياء ضرورية أو عرضية . وأهم كتبه « **Philosophia Prima Sive Ontologia** » (١٧٢٩) يربط فيه نظريات ديكارت وليبنتز الميتافيزيقية بالتراث الأرسطي والاسكولائي في نسق يكشف عن مضمونها الأنطولوجي .

فولسكي . Volski

(١٩٨٠ ـ ١٩٣٦) ستـانسلاف فـولسكي ، الاسم الحـركي لصحفي روسي مـاركسي ، درس بجـامعـة موسكو ، وطرد منها بسبب نشاطه الشيوعي (١٨٩٩) ، وفصله الحزب الشيوعي لاختلافه مـع لينين ، واشتهر بكتابه « **فلسفة الصراع : مقال في الأخلاق الماركسية** » (١٩٠٩) ، فكـان أول كتـاب من نـوعـه في الفكـر الماركسي . وتذكرنا فلسفته بفلسفة نيتشه عندما يقول إن الصراع هو الشيء الذي يضفي على الوجود بهجته ، وكل ما يزيد الصراع فهو خير ، وكل ما يقلل منه فهـو شر ، ولكنه يضيف أن الاشتراكية تزيل كل العوائق التي يمكن أن تقـوم في وجه صـراع حر من أجـل الإبداع الاشتـراكي ، وأن مثل هـذا الصراع يثـري الشخصية الاشتراكية ويجدد قيمها .

فونج يولان .... Fung Yu-Lan

(انظر الكونفوشية) .

فيورباخ .. Feurbach

(١٨٠٤ ـ ١٨٧٢) لودفيج أندرياسي فـيوربـاخ ، ألماني ، اشتهر بنقده للمسيحية وللدين عامة ، وبتأثيره الحـاسم في التـطور الفكـري لمـاركس وإنجلز ، وبتوجيهه للحركة الراديكالية الألمـانية في خمسينـات القرن التاسع عشر ، وكان قد درس اللاهوت ، إلا أنه تحت تـأثير هيجـل انصرف عنـه إلى الفلسفة ، وعين بجامعة إيرلانجتن ، ثم انقلب عليه واتجه وجهة مادية ، وفصل من الجامعة بعد اكتشاف أنه مؤلف « **أفكار حول الموت والخلود**» (١٨٣٠)، واعتزل الحيـاة في قريـة بروكبرج ، وإن ظل يمارس تأثيره على اليسار الهيجلي الذي اتخذ من كتاباته شعارات له ، مثل قوله « الإنسان هو ما يأكل » و« لو أردتم تحسين احوال أمـة فلتعطوا للناس طعاماً أفضل بدلاً من المواعظ » و« قضية الطعام قضية سياسية وخلقية » و« أسـاس الثقافـة والفكر مـا يتقاضاه الإنسان من أجور » . واتهم فـيورباخ هيجـل بالتناقض فقد جعل الفكـر نفياً للمـادة ولكنه قـال بأن الفـكر لا يمكن أن يحقق نفسه إلا بأن يصبح مادة ، وكذلك فإن هيجل جعل الوجود يخرج من الفكر بدلاً من أن يجعـل الفكر نتيجـة للوجود . لكن الـوجـود عنـد

فيورباخ هو الطبيعة ، والوعي الذي ألهه هيجل هو الأنا الإنساني ، ولكن هذا الإله الذي يعبده الإنسان ليس سوى الإنسان نفسه متعالياً على نفسه وقد اسقط هذه الصورة المتعالية خارجه وجعلها موضوعاً لتفكيره ، ثم أحالها إلى ذات وجعل نفسه موضوعاً لها ، بحيث أصبح الانسان لا يفكر في نفسه كموضوع لنفسه ، ولكن كموضوع للموضوع الذي جعله ذاتاً أو للموجود الآخر خلاف نفسه وهو الله ، فالدين إذن حلم إنساني بأن الإنسان قد صار إلهاً ، أو أنه وعي الإنسان بجزئه اللامتناهي ، وهو وسيلته في التفكير في نفسه بطريقة مثالية ، وأطلق فيورباخ على فلسفته تلك في كتابيه « جوهر المسيحية » (١٨٤١) و« جوهر الدين » (١٨٤٣) اسم الفلسفة الجديدة ، لكنه لم يستطع أن يتخلص من المثالية كلية ، فقد قال إن جوهر الإنسان في وعيه الذي يتميز به عن الحيوان ، وأن حقيقة الإنسان في تواصله بالآخرين الذي يقوم على واقع المغايرة بين الأنا والأنت ، وأن الفلسفة على وجهها الصحيح ليست دراسة الانسان في علاقته بالله (علم اللاهوت) ، ولكنها دراسة الإنسان في علاقاته الاجتماعية (علم الانثروبولوجيا) أي دراسته بوصفه قمة التطور في الطبيعة ، ودراسة مجموعة استجاباته التي تتجاوز الاستجابات الحيوانية إلى العواطف التي هي أخص خصائص الإنسان ، وأهمها عاطفة الحب أو الدافع للاتحاد بالآخرين ، وهي أساس الاجتماع وكل أفعال وتفكير الإنسان .

فوييه Fouillée

(١٨٣٨ - ١٩١٢) ألفريد فوييه ، فرنسي ، واستاذ جامعي ، شغل بالتوفيق بين قيم الفلسفة الميتافيزيقية التقليدية وخاصة معاني الحرية وحرية الارادة ، والكشوف اللاميتافيزيقية للبحوث العصرية في مجال العلوم الطبيعية ، أو بالتوفيق بين المذهبين المثالي الفلسفي والطبيعي العلمي . ويذكر فوييه بنظريته التي تقول إن الفكر يمكن أن يؤدي إلى الفعل ، ويصوغها فيما يسميه « الفكرة التي هي قوة Idée- Force أو Thought Force » ، وتتضمن هذه الصياغة منهجه وهدفه ، فهو يأخذ من العلم مفهوم القوة ويطبقه على الشعور ، ويعرف القوة بأنها ميل إلى الحركة يصبح واقعاً يعيه الشعور ، ويقول إن كل فكرة هي قوة لها إمكانية أن تحقق نفسها في الحركة ، ومن ثم فإن الأفكار ، سواء كانت هي نفسها مسببة أو غير مسببة ، تكون أسباباً ، وطالما أنها ظواهر عقلية ، فإن العقل يكون سبباً كافياً للحركة المادية ، وتكون « الأفكار التي هي قوى » وسائط بين الوجود الخاص للشعور والوجود الموضوعي للأشياء . واستطاع فوييه بهذا المفهوم أن يحافظ على القيم الروحية من داخل الشروط التي يضعها العلم الطبيعي ، بأن أوجد ما أسماه « الميتافيزيقا الوضعية » ، أي ميتافيزيقا في إطار النظريات العلمية ، ورفض بذلك دعوى المادية أن الشعور أو العقل ليس إلا ظاهرة ثانوية ، ودعوى نظرية التطور التي تضع القوة في الطبيعة الخارجية وتجعل النفس تابعة لها منفعلة بها ، وضرب المثل بالحرية ، فالموجود الذي يمتلأ بفكرة أنه حر يتصرف بخلاف الموجود الذي يعتقد أنه مجبر ، ويغير من ظروفه ، وهذه سمة الموجود المشارك في الحياة الروحية ، بينما سمة المادة الجحود ومطاوعة القوانين الآلية ، ومن ثم فالإيمان بالحرية يجعل الحرية أمراً واقعاً ، ويدفع إلى فكرات أخرى تدفع إلى العمل والتأثير في العالم الخارجي . ولذلك يطلق فوييه على فلسفته اسم « المثالية الإرادية Voluntaristic Idealism ، طالما أن الوعي إرادة ، وأن « الفكرة التي هي قوة » قصد ، ويطبق فوييه ذلك على المستوى الوجودي فيقول ان العلية حقيقة موضوعية ، لأنها أحد الظروف الموظفة في خدمة الإرادة لتحقيق « الفكرة التي هي قوة » ، ويطبقه في مجال الأخلاق ، فالشعور يعي وجوده ووجود شعور الآخرين ، وتصبح الغيرية ضرورة طالما ان العزلة مستحيلة ، ويتم الاختيار الخلقي بما « للافكار التي هي قوى » من قوة جذب أو طرد ، وشكل مثل عليا ، ويكون

السلوك الخلقي هو السلوك الموافق لخير المجتمع .

فيبر .... **Weber**

(١٨٦٨ ـ ١٩٥٨) ألفريد فيبر ، عالم اجتماع وفيلسوف تاريخ ، ألماني ، درس القانون والاقتصاد ، وتحول إلى علم الاجتماع والتدريس الجامعي مثل أخيه ماكس فيبر ، وعلم بجامعات برلين وبراغ وهايدلبرج ، واستقال بتولي الحزب النازي لسلطة الحكم (١٩٣٣) ، وبفضله صار معهد الدراسات الاجتماعية بهايدلبرج مركزاً من المراكز الكبرى في الدراسات الاجتماعية السياسية . وأهم كتبه « **الثقافة كعلم اجتماع ثقافي** » (١٩٣٥) يحلل فيه العملية التاريخية إلى ثلاثة مكونات ، هي العملية الاجتماعية ، وهي تكرار وقوع أحداث معينة بطريقة متشابهة في مجتمعات مختلفة مما يجمع بينها في شكل ظاهرة سياسية اجتماعية واحدة ، مثل قيام الدولة من التجمعات القبلية في كافة المناطق بطريقة واحدة رغم اختلاف الظروف ، والعملية الحضارية Civilization Process ، وهي تزايد المعرفة بوسائل السيطرة على القانون المادية والطبيعية ، وتقدمها باستمرار بسبب إمكان نقل هذه المعرفة ، الأمر الذي يخلق نوعاً من التجانس وسط الظروف الاجتماعية التاريخية المتغايرة . وينصب اهتمام فيبر على العملية الثقافية Culture Process ، وهي عملية لا يمكن نقلها ، لأن الثقافة تقوم على التلقائية الإبداعية للإنسان ، وهذه بدورها تعبير عن تفوق باطني لا يمكن إخضاعه للمناهج التعميمية في العلوم ، ولذلك يمكن تطبيق القوانين السببية في مجال الثقافة ، ولا يمكن القول فيها بالارتقاء والتقدم ، ومن يقول بذلك يخلط بين العملية الثقافية والعملية الحضارية . وتشكل نظرية فيبر في التفوق الباطني Immanent Transcendentalism آراءه السياسية ، ولذلك فهو يدعو لنوع من الاشتراكية غير البيروقراطية Debureaucratized يسميه الاشتراكية الحرة Free Socialism ، يحل محل اشتراكية الدولة سواء كانت من النمط البسماركي أو الماركسي اللينيني ، ولا يكون فيها دور الإنسان هو دور الموظف الذي يخضع مفهومه للحق والباطل لما تمليه عليه الدولة من مفاهيم ولما تسوقه من البراهين .

فيبر .... **Weber**

(١٨٦٤ ـ ١٩٢٠) ماكس فيبر ، عالم اجتماع ، ألماني ، تعلَّم بهايدلبرج وعلَّم بها ، ويعتبر « **الأخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية** » (١٩٢١) أهم كتبه ، ويقوم منهجه في دراسة الظواهر الاجتماعية على مبدأ الفهم Verstehen ، وهو في ذلك يحذو حذو هيجل ودلتاي وريكرت ، ويقصد فهم المعاني التي يفسِّر بها أصحابها أفعالهم ، ولكن هذا الفهم يعوقه انحياز الباحث لتفسير دون آخر ، وميله لتفسير الحدث في ضوء الحاضر ، واستشعاره لواجب أن يكون محايداً ومن ثمَّ محاولاته المستمرة لاتخاذ مواقف متوسطة ، ومن ثمَّ يلحق فيبر منهج التفسير السببي الذي يميز العلوم الطبيعية ، بمنهج الفهم الذي تتفرد به العلوم الاجتماعية ، وهو يقول أن البحث المتفهم للدوافع النهائية للسلوك البشري قد يكون مقدمة لتفسير سببي مناسب للأحداث التاريخية ، ويضيف فيبر إلى ذلك معياراً آخر افتراضياً يسميه الأنماط الاجتماعية المثالية ، يقيس إليها السلوك ليحدد مقدار انحرافه عن النمط . ونظرية السوق في الاقتصاد مثلاً نمط من هذه الأنماط المعيارية الاجتماعية .

فيتوريا .... **Vitoria**

(نحو ١٤٩٢ ـ ١٥٤٦) فرانسيسكو دي فيتوريا ، ولد في فيتوريا عاصمة إقليم الباسك بأسبانيا ، ولذلك أطلقوا عليه اسم فرانسيسكو من فيتوريا أو الفيتورياوي ، وتعلَّم بكلية سان جاك بباريس ، وحاضرَ بها في اللاهوت ، ثم انتقل نهائياً إلى جامعة شلمنقة Salamanca (١٥٢٦) ، ونشر تلاميذه محاضراته كما دوّنوها ، واشتهر بأنه أبو القانون الدولي ، ومنحت رابطة جروتيوس الهولندية للقانون الدولي ميداليتها الذهبية

(١٩٢٦) لجامعة شلمنقة اعترافاً بفضل فيتوريا ، ويستمد قانونه الدولي من مبادىء القانون الطبيعي والعرف والمعاهدات بين الدول ، ويقرّر حق كل دولة ، صغيرة أو كبيرة ، في الوجود والاستقلال والتشريع لنفسها ، إلاّ إذا كانت لم تنضج لذلك ، وحرية المواصلات والتجارة ، وإنكار هذا الحق يوجب اللجوء إلى الحرب ويقتضي تدخل الدول الأخرى لإنصاف الدول المستضعفة أو لنصرة الشعوب التي يستبد بها الطغاة . والحرب مشروعة وعادلة عندما تفشل كل وسائل الإقناع الأخرى ، وسواء كانت حرب هجومية أو دفاعية فإن انتهاك الحق يبررها ، وكل شيء في الحرب مباح طالما أنها حرب عادلة ، وعلى الدولة المنتصرة أن تعامل الدولة المنهزمة بالعدل والاعتدال والإحسان .

فيثاغورس .... Pythagoras

(نحو ٥٧٠ ـ ٤٩٧ ق. م) إغريقي أيوني ، ولد بساموس ، وتروي الأسطورة أنه خرج منها فاراً من طغيان حاكمها بوليكراتس ، ولجأ إلى قروطونا بإيطاليا ، وأسّس بها فرقة دينية سياسية فلسفية ، سيطرت على المدينة ، ومدَّت نفوذها إلى المدن المجاورة ، وتألب عليها المعارضون ، وقتلوا عدداً من أعضائها البارزين ، وأحرقوا الدار التي يجتمعون بها ، وكان فيثاغورس متغيباً وقتها فنجا بنفسه ، واستطاع من بعد أن يستعيد لفرقته نفوذها ، ولكن الثورة عليها اشتعلت من جديد في منتصف القرن الخامس ، وتفرّق أعضاؤها إلى كل مدن اليونان الكبرى ، ومن ثمَّ تضاءل نفوذها ، وخبت تعاليمها في أواخر القرن الرابع ، ومن الصعب الجزم بحقيقة الفيثاغورية فقد كانت فرقة سرية ، والمعلومات عن فيثاغورس نفسه ضئيلة ، وما نعرفه عنها جاءنا عن طريق المعاصرين ومن خلال كتابات أفلاطون وأرسطو والكتابات المسيحية حولها . ويروى أن فيثاغورس هو الذي وضع لفظة فلسفة وتعني حب الحكمة ، ورفض أن يتسمَّى باسم الحكيم Sophos ، وقال إن الحكمة لا يوصف بها إلاّ الآلهة ، أما هو فليس إلاّ فيلسوفاً أو محباً للحكمة . وقال إن الفلسفة أسلوب في الحياة يهيء للروح الخلاص ، وأنها السير على درب الله أو أبوللو الداعي إلى التوسط في الأمور ، والذي يتجسد في فيثاغورس . وينشد الفيثاغوري الطهارة بالصمت واختبار الذات والامتناع عن اللحوم والبقول . وعنده أن كل المخلوقات أقارب ، وتنتقل أرواحها بالتناسخ ، ولذلك كانت كل اللحوم محرمة . والجماد كذلك أقارب ، طالما أن الكون نفسه مخلوق حي يتنفس . والجسد فانٍ ، والروح خالدة ، وعلى البشر أن يعدوا أرواحهم ويطهروها تمهيداً لعودتها إلى الروح الكلية التي هي جزء منها . وهي تعاليم تشبه تعاليم الأورفية ، وهي فرقة دينية لا يمكن الفصل بينها وبين الفيثاغورية الدينية ، إلاّ أن الأورفية تقول بالخلاص من خلال الطقوس الدينية ، أما الفيثاغورية فتؤثر النظر الفلسفي ، ويعني ذلك استخدام العقل والملاحظة لفهم العالم والتعرّف إلى حقيقته الإلّهية .

ويقول الفيثاغوريون إن الأشياء أعداد ، والعدد عندهم ليس رقماً ولكنه شكل ، فالواحد نقطة ، والاثنان خط ، والثلاثة مثلث ، والأربعة مربع ، وهكذا ، ومن ثمَّ فالأشياء أعداد أي أشكال ، والكون كله أعداد ونغم Harmonia ، والنغم توافق الأضداد ، والحياة مستمرة طالما أن التناغم يحكمها . ويُقال إن فيثاغورس هو الذي وضع لفظة كون Kosmos ، وتعني اكتمال النظام والجمال معاً . والعدد الكامل عنده عشرة ، لأنه العدد الذي يؤلف بين كل الأعداد ويجمع خصائصها . والأجرام السماوية عشرة ، لأن العالم كامل وله خصائص الكامل . وليست الأرض إلاّ جرماً مظلماً ، والنار مركز الكون ، وهي مصدر كل حياة ، والنار هي الشمس .

ولقد تبنّى أفلاطون نظريات الفيثاغوريين في خلود الروح والأصل الرياضي للكون ومعنى الفلسفة ، حتى قيل إن أفلاطون من أتباع فيثاغورس ، فلما بعثت

الفيثاغورية في القرن الأول قبل الميلاد اختلطت بتعاليم أفلاطون والرواقيين والمشائيين ، وكانت الفيثاغورية المحدثة Neo - Pythagoreanism حركة دينية أكثر منها فلسفية ، استمرَّت حتى القرن الثالث الميلادي واندمجت في الأفلاطونية المحدثة ، وأثرت على الفكر اليهودي من خلال فيلون الإسكندري ، والفكر المسيحي بواسطة كليمنت الإسكندري . ووجدت الفيثاغورية لدى كثير من غلاة الشيعة والغنوصيين مجالاً لتعاليمها ، فقد أثرت في الإسماعيلية وسيطرت على كتابات إخوان الصفا ، وخاصة فكرتها عن الأعداد وعلاقة ذلك بالشيعة الاثني عشرية ، اختلطت بالبهائية ، وانبثقت عن الفيثاغورية فكرة الحروفية التي تعتبر الحروف رموزاً لأعداد ، والأعداد رموزاً لحروف ، وأضفت على الحروف خصائص أثرت في أفكار غلاة الشيعة عن مكانة السين والميم والعين . ويرى القفطي أن فلسفة محمد بن زكريا الرازي طابعها فيثاغوري ، ويذكر المسعودي أن مدرسة يحيىٰ بن عدي كانت فيثاغورية ، كما يزعم ابن النديم أن ابن كرنيب ، وهو من جلّة المتكلمين ، أخذ بالمذهب الفيثاغوري .

فيريار .... Ferrier

(١٨٠٨ - ١٨٦٤) جيمس فريدريك فيريار ، اسكتلندي ، ولد في إدنبرة ، وتعلّم بأكسفورد ، وتأثر كثيراً بوليام هاملتون وهيجل وكنط وشيلنج ، وهو مثالي ، وكتابه « **مبادىء الميتافيزيقا** » (١٨٥٤) يقوم على نظرية مثالية في المعرفة ، ويتمرّد على المدرسة الاسكتلندية القائمة على الإدراك الفطري أو السليم ، وفي رأيه أن التفكير الفطري أو الطبيعي أو اليومي لا يمكن أن يكون معياراً للحقيقة الفلسفية ، وهو نفسه يخضع للتفكير العقلي .

فيشيسلافتسيف .... Vysheslavtsev

(١٨٧٧ - ١٩٥٤) بوريس بيتروفتش فيشيسلافتسيف ، مثالي روسي ، تعلّم في ماربورج ، تأثّر كثيراً بفشته ، واشتغل بتدريس الفلسفة بجامعة موسكو ، واستبعده الحزب الشيوعي في حركة التطهير ضد غير الشيوعيين عام ١٩٢٢ ، فهاجر إلى برلين ، وأقام في باريس ، وشارك بيرديائيف في تحرير صحيفة المهاجر بالروسية ، وعيّن أستاذاً بالمعهد اللاهوتي الأرثوذكسي ، وكان أهم كتبه « **أخلاق الأيروس المتسامي The Ethics of Transfigured Eros** » (١٩٣١) و « **الفقر الفلسفي للماركسية The Philosophical Poverty of Marxism** » (١٩٥٢) و « **أزمة الثقافة الصناعية The Crisis of Industrial Culture** » (١٩٥٣) . وكان اهتمامه بفلسفة المطلق ، ويعرف المطلق بأنه اللّانهائي الذي يتجاوز العالم وكل الأضداد ، ويقول بأن جوهر الحياة الخلقية والدينية هو علاقة الإنسان بالمطلق ، وبأن الجوانب اللّاعقلية في الإنسان غالبة ، ومن ثمَّ يستحيل أن تنظم قواعد الأخلاق حياة الإنسان بنجاح ، نظراً لأنها قوانين عقلانية تتوجه بخطابها إلى الإرادة الواعية وتعاديها الدوافع اللّاعقلية الصادرة من اللّاشعور ، فإذا أريد لهذه القواعد أن تؤتي ثمارها وتحدث فعلها في الإنسان فإنه يتوجب أن تسيطر على اللّاشعور نفسه ، ولن يتيسر ذلك إلّا بعمليات تسامي مستمرة للدوافع اللاشعورية ، ولن ينجح هذا التسامي إلّا إذا أراده الله وخلصت نية الإنسان .

فيفيس .... Vives

(١٤٩٢ - ١٥٤٠) حنّا لويس فيفيس ، إنساني ، أسباني ، ولد في فالنسيه ، وتخرّج من جامعة باريس ، وكان أساتذتها من غير الراضين على الحركة الإسمية ، ولم يعجب فيفيس بالجو الجامعي ، وانتقد مدرسي الجدل ، وأطلق عليهم اسم المزيفين في كتابه « **ضد الجدليين المزعومين Adversus Pseudodialecticos** » (١٥٢٠) ، وكره الفلسفة المدرسية ، وكان يحل أرسطو والقدماء مكاناً عالياً من فكره ، لكنه نعى على التابعين أنهم لم تكن لهم مبادرات السلف ، وأسف أن

الفلاسفة نزلوا بلغة الفلسفة حتى جعلوها شيئاً زائفاً ، وكان ينبغي أن يقتدوا بأمثال شيشرون وسنيكا ، وأن يكتبوا باللغة التي يفهمها الناس ، ولا بأس أن تكون لهم تعبيراتهم ، ولكن ينبغي أن تكون واضحة المعنى بينة القصد . وربما كان بالمستطاع نعت فلسفة فيفيس بأنها أوغسطينية الإهاب، وفي ضوء هذا الإجمال يسهل تفسير ما يعنيه بالتجريبية، وعنده أن الروح تتوق إلى المعرفة، وأنها تتوسل إلى ذلك بالملاحظة، وأن الروح المتطلعة متدينة، لكن الرغبة في الولوج إلى أعماق الأشياء واستكناه أسبابها ليس من الدين ، فالاستغراق في الكشف ، واستعماق العناصر وأشكال الحياة ، بمثابة « هتك للحجاب السابع » ، ولا يستحب في مجال البحث العلمي النظري ، طالما أن غاية الإنسان هو تحقيق ما فيه خيره ومصلحته ، فالهدف من التعليم ينبغي أن يتوخى خدمة الناحية العملية ، ومن ثم يجب التأكيد على النواحي التطبيقية في المعارف ، وأن يذكر الطلبة دائماً بالأصول التجريبية للمعرفة النافعة ، وأن يمنع التحليل المنطقي للفنون بوصفه ترفاً لا داعي له ، وأن يستبدل بذلك تقنين العلوم وتقعيدها ، ولكن التاريخ واللاهوت لا يقعدان ، ومن ثمَّ فهما ليسا علمين ولا لزوم لتدريسهما ، وهو يأسف لما وصل إليه حال اللاهوتيين المدرسيين في عصره ، ويصف ما يتجادلون حوله بالغثاثة ، وينعتهم ، سواء كانوا من أتباع سكوت أو الأكويني ، بالتعصب . وفيفيس من المتصرين للفقراء ، وربما كان ذلك لصلته بجمعية إخوة الحياة المشتركة . ويقول إن إثبات وجود الله أمر من أمور البداهة ، وهو لم يعرف مجتمعاً ولاحقبة ، لم تعرف الله بطريقة أو بأخرى ، ولا يتصور أن يتوجه الإنسان بكل أفعاله نحو الدنيا ، ويصف الحياة من هذا القبيل بأنها المسكنة ذاتها والبؤس بعينه ، ويقول إن الصلف هو دافع الإنسان المجنون لتحصيل المعرفة ، ويلعن اللذة ، ويقول إن التقوى وحدها هي التي يمكن أن تعطي الإنسان الري الحقيقي والراحة الأبدية .

فيكو .... Vico

(١٦٦٨ - ١٧٤٤) جيامبا تيستا فيكو ، فيلسوف تاريخ ، ومنظّر اجتماعي ، إيطالي ، ولد في نابولي ، وتعلّم بالكلية اليسوعية ، وعلّم البلاغة بجامعة نابولي ، واشتهرَ بكتابه « **العلم الجديد Scienza Nuova** » (١٧٢٨) وبنظريته في الدورة التاريخية Cyclical Theory of History ، ويقوم منهجه فيها على مبدأين ، الأول أن الحقيقي هو ما نصنعه بأنفسنا Verum Factum ، وأن قانون الحياة هو التقدم والعودة Corsi e Ricorsi ، ومن ثمَّ فهو يرى عكس ديكارت ، أن التاريخ أقرب العلوم إلى الإنسان لأنه من صنعه ونتيجة إرادته وتفكيره ، بعكس العلوم الطبيعية التي موضوعها الطبيعة وهي ليست من صنع الإنسان . ويصف فيكو الإنسان بأنه موجود تاريخي ، ويصف منهجه في البحث بأنه منهج تطوّري Genetic يعتمد على بصيرة المؤرّخ وقدرته التخيلية على تصور أنماط الوعي التي تختلف كلية عمّا تعود عليه في حياته اليومية ، وسبيله إلى ذلك دراسة اللغة والأساطير والخرافات والتقاليد . وتلقي دراسة اللغة وتطوّر كلماتها الضوء على الظروف البيئية التي كان السلف يمارسون في ظلّها نشاطاتهم ، وتكشف عن نوعية استجاباتهم لها . ويصف فيكو الأساطير بأنها التواريخ الأولى للشعوب وتأويلها التأويل الصحيح يتيح الفرصة لجمع معلومات هائلة عمّا كانت عليه ظروف الماضي ، وهو يقول إن كل المجتمعات تمرّ بأطوار محددة من النمو والانحلال ، وتبدأ بالطور الهمجي Bestial ويخرج منه عصر الآلهة Age of Gods ، ووحدته الأساسية الأسرة الأبوية Patriarchal Family ، ويسوده الخوف من القوى الغيبية ، وتبدأ به الإرهاصات الدينية . والطور الثاني هو عصر الأبطال Age of Heroes ويظهر كنتيجة لتحالف الآباء في مواجهة التحديات التي تثيرها المنازعات الداخلية بين الأتباع ، والغارات من الخارج . وتقوم الحكومات الأوليجاركية Oligarchies أو حكومات الأقلية الحاكمة على هذه المخالفات ،

وينقسم المجتمع إلى طبقتين من الأشراف الحاكمين والعامة التابعين ، وتكون القوانين رادعة والحياة قاسية والشعر يصور العنف ويمجّد السطو . ويعقب هذه المرحلة عصر الرجال Age of Men الذي يميزه الصراع الطبقي حيث تطالب طبقة العامة بالحقوق المتساوية مع الأشراف وبنظام قانوني يحترم مصالحهم ، ويحقق العامة ذلك تدريجياً ، وعندئذٍ تتخلخل الروابط التقليدية ، ومع استمرار مناقشة صحة التقاليد والقيم المتعارف عليها ، نتيجة التوسع في تطبيق الديموقراطية وقيام الجمهوريات الديموقراطية ، ينتهي الأمر بالمجتمع إلى الفساد والتحلل ، وتكون خاتمة الدورة إما بالغزو من الخارج ، أو التفكك من الداخل ، والعودة إلى الهمجية الأولى ، وعندئذٍ تبدأ دورة جديدة .

فيل .... **Weyl**

(١٨٨٥ ـ ١٩٥٥) هيرمان فيل ، يهودي ألماني ، تجنّس بالأمريكية (١٩٣٩) ، وكان قد غادر ألمانيا (١٩٣٣) عقب تولي النازي الحكم ، وعلّم بجامعة برنيستون . ويعد كتابه « **المكان والزمان والمادة Space - Time - Matter** » (١٩٢٢) مرجعاً كلاسيكياً في النسبية . وفي كتابه « **نظرية المجاميع وميكانيكا الكم Theory of Groups and Mechanics Quantum** » (١٩٣١) حاول حل مشكلة نظرية المجال الموحد في النسبية . وطرحَ مفهومه الرئيسي في الفلسفة في كتابه « **فلسفة الرياضيات والعلم الطبيعي Philosophy of Mathematics and Natural Science** » (١٩٢٧) وناقش فيه المنطق الرياضي والبديهيات ونظرية العدد والكم والعالم الترانسندنتالي بمفهوم كنط وعلاقة الذات بالموضوع . وفي كتابه « **التناسق Symmetry** » (١٩٥٢) ربط بين التناسق والتناسب والتناغم والجمال ، وناقش مفاهيم أفلاطون والجماليين الإغريق .

فيلون اليهودي .... **Philo Judaeus**

(نحو ٢٠ ق . م ـ ٤٠ م) يهودي هيلليني ، من أسرة غنية بارزة من الإسكندرية ، لا نعرف الكثير عن حياته سوى أن الجالية اليهودية سنة ٤٠ م أرسلته على رأس وفد إلى الإمبراطور كاليجولا يتوسط لديه لرفع الغبن الروماني عن اليهود ، وأنه توفّر على كتابة تأويل وشروح للتوراة في ضوء الفلسفة اليونانية ، فكان يدعم تفسيراته بمختارات من هذه الفلسفة ، وخاصة أفلاطون ، لكنه كان يقف في تأويله للإلّهيات عند حدود الشريعة لا يتعدّاها ، ولذلك أقبل فلاسفة المسيحية والإسلام على كتبه بوصفها تقويماً دينياً للفلسفة اليونانية ، ومحاولة جديدة بالمحاكاة لتأويل الأناجيل والقرآن تأويلاً فلسفياً .

حـرف القـاف

قاديانية

وتسمى الأحمدية أيضاً ، نسبة إلى ميرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩ ـ ١٩٠٨) المولود في قاديان من البنجاب ، والمتوفي في لاهور ، وتنتشر في باكستان والهند وإندونيسيا وإفريقيا الغربية وبعض بلاد أوروبا والأمريكيتين ، وتقول بأن النبي والمسيح قد تجسدا في القادياني ، وأن المسيح لم يصلب ولم يرفع ، ولكنه مات في الظاهر ، وخرج من القبر ، وهاجر إلى الهند ، وقبره في شارع خانيار بسري نكر أو سرنجار بالقرب من كشمير . وزعم القادياني أنه المهدي الموعود الذي ينزل إلى الدنيا في الألف السابع من السنين منذ قيام الدنيا ، وأنه جاء ليهدي الانسانية جمعاء ، وأذاع تعاليمه في كتابه « **براهين أحمدية** » (١٨٩٠) ، واستشهد بشواهد من التوراة والأناجيل والقرآن، وحبب إلى أبنائه السلم ، ونهاهم عن التعصب ، وحثهم على تحصيل العلم والثقافة ، ومات في لاهور ، بعد أن أوصى جماعته أن يحكمها مجلس منتخب ، ينتخب بدوره خلفيته ، وكان أول خليفة بعد مولاي نور الدين .

قاضي عبد الجبار

(نحو ٣٢٠ ـ ٤١٥هـ) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله القاضي أبو الحسين الهذاني الأسد أبادي ، ويلقبه المعتزلة قاضي القضاة ، ولا يلقبون أحداً سواه بهذا اللقب ، وله مؤلفات كثيرة وصلنا بعضها ، من أهمها « **المغني** » و « **شرح الأصول الخمسة** » و « **المجموع من المحيط بالتكليف** » ، وهي ثبت بما ذهب إليه المعتزلة من واصل حتى الجبائيين .

قبالة .... **Cabalism**

التعليم الباطني المتعلق بالله ونزوله وحياً على حكماء بني إسرائيل ، ويسمونها الحكمة المستورة ، ويطلق على دارسيها اسم طلاب النعمة . والقبالة نابعة من التلمود ، وهي مجموعة من الأسرار ادعت الرواية عن الأوائل ، وتقوم على التنجيم ، وتعود بأصلها إلى أيام السبي حيث اختلطت تعاليم التلمود مع الديانات الشرقية وخاصة الزردشتية ، وقامت في فلسطين بعد العودة من السبي ، وانتقلت إلى الإسكندرية ، ومزجها فيلون اليهودي بالفلسفة اليونانية ، ووضع شبتاي لاوي كل تعاليمها في كتاب « الزوهر » أو « الإشراق » ، وصار دستور القبالة السرية ، واختلطت في الأندلس بالفلسفة الإسلامية ، وتسللت إلى أفكار الإسلاميين ، لكنها ما لبثت أن ظهرت علانية فيما يعرف باسم الفرقة العيسوية ، نسبة إلى مؤسسها عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني ، المعروف عند اليهود باسم عوفيد ألوهيم أي عابد الله ، ويرى بعض الباحثين أن العيسوية أصل

القرامطة ، والاسماعيلية خصوصاً ، وأن أولاد القداح مؤسسي الاسماعيلية كانوا يهوداً من الفرقة العيسوية ، وأن الفرقة اليهودية المسماة المقاربة أو اليوذعانية نسبة إلى يوذعان ، كانت أصلاً من أصول الباطنية ، وأنه كان يقول بالظاهر والباطن والتنزيل والتأويل في تفسير التوراة ، وهو نفس ما تذهب إليه الإسماعيلية .

قبلي وبعدي .... A Priori/A Posteriori

من المتقابلات الفلسفية المشهورة ، ورثتهما الفلسفة من الفلسفة المدرسية ، ولكن أصلهما يمتد إلى أرسطو كالعادة ، وإن كان معناهما الحالي مستمد من استخدامات كنط . وعند أرسطو يكون أ سابقاً على ب في الطبيعة إذا كان ب لا يمكن أن يوجد بدون أ . ويكون أ سابقاً على ب في المعرفة إذا لم يكن هناك سبيل لمعرفة ب بدون أن نعرف أ أولاً ، ومن ثم تكون المعرفة القبلية معرفة بأسباب أو علة الشيء ، ويكون الحكم القبلي هو الحكم الذي يصدر عن علم بعلة الشيء طالما أن العلة متقدمة على المعلول . وعند لايبنتس تقوم المعرفة البعدية على التجربة والخبرة بينما تقوم المعرفة القبلية في الوعي منذ البداية ، ومستقلة عن أية خبرة . ويعبر عن ذلك كنط بأن المعرفة البعدية تجريبية والمعرفة القبلية لاتجريبية ، والمعرفة الأولى لذلك هي معرفة بالحادث ويتم التوصل إليها بالإدراك الحسي ، ويقابلها كمعرفة أصيلة الأشكال القبلية للإحساس (المكان والزمان) والعقل (العلة والضرورة الخ) . وقد نفرق بين الحقائق القبلية والبعدية بأن القبلي هو الفطري الذي نولد به ولا لزوم لتعلمه بالتجريب والتحصيل ، أو هو الحقيقة التي تكون لدينا في الوعي مستقلة عن أية خبرة . ولما كانت التفرقة بين المفاهيم هي تفرقة بين الجمل أو القضايا التي تعبر عنها ، فإن الجملة القبلية ، هي الجملة التي تعلم صحتها مستقلة عن الخبرة ، بمعنى أن صدقها ذاتي . ويصف كنط القضية القبلية بأنها تحليلية . أي بسيطة بساطة تامة ويخلق إنكارها تناقضاً، في حين ان القضية أو الجملة البعدية مركبة، ويمكن ردها الى ما هو أبسط منها، ولا يمكن التأكد من صحتها بالمنطق وحده وإنما ينبغي اللجوء في ذلك الى التجربة .

قدرية ....

من القدرة بمعنى الاستطاعة، وأن الإنسان مريد لأفعاله ، قادر عليها ، ومن ثم محسوبة عليه ، وهي بهذا المعنى مرادفه لمذهب حرية الإرادة Voluntarism (أنظر مذهب حرية الإرادة) أو أنها Fatalism من القدر Fate وترادف الجبرية Determinism ، وتقول بالقضاء والقدر . والمعنى الأول اشتهر في الفلسفة الإسلامية ، وكان المعتزلة قدريين ، بينما كانت المجبرة فرقة إسلامية ، وكان الجهم بن صفوان يلخصها في قوله « لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله » (انظر الجبرية) .

قرامطة ....

فرقة من غلاة الشيعة ، نسبة إلى رجل من سواء الكوفة يقال له قرمط (بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم) ، وهم السبعية أيضاً ، والباطنية لأنهم قالوا إن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويلاً (أنظر السبعية والباطنية) .

قفطي ....

(١١٧٢ - ١٢٤٨م) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، ولد بقفط من صعيد مصر ، وتولى القضاء في حلب أيام الناصر الأيوبي ، واشتهر بكتابه « **إخبار العلماء بأخبار الحكماء** » والمطبوع منه مختصر للزوزني ، ومعجم تراجم للمشتغلين بالعلوم الحكمية ، الفلسفية والرياضية والفلكية ، من المسلمين ، مضافاً إليهم نفر من اليونانيين والسريان الذين عملوا بالنقد .

قرنيادس .... Carneades

(نحو ٢١٣ - ١٢٨ق.م) من أئمة الشكاكين

الأكاديميين ، ولد بقورينا (حالياً في ليبيا) ، وترأس أكاديمية أفلاطون من نحو ١٥٦ حتى وفاته ، وكان مجادلاً مغواراً وخطيباً مفوهاً ، أوفده الأثينيون إلى روما ليرفع عنهم الغرامة التي قضى بها عليهم مجلس الشيوخ الروماني ، فألقى خطابين على يومين متتاليين ، امتدح في الأول العدالة ، وأيد في الثاني الظلم ، وكان بذلك من القائلين بنسبية الأخلاق ، ولقد أثار حجاجه إعجاب الحاضرين به وحقد السلطة عليه ، فطلبت منه الرحيل .

ولم يدون قرنيادس فلسفته ، لكنه ألقاها مساجلات جدلية ، وشايع أرقاسيلاوس مؤكداً أنه لا سبيل إلى اليقين وأنه لا حاجة إلى الحقيقة الموضوعية ، قائلاً بالاحتمال وأن غاية ما نحتاج إليه هو ترجيح ما نتصوره ، ووصف الشيء المحتمل بأنه الشيء الذي نتصور صحته ويغرينا بتصديقه ، واضعاً للاحتمال مراتب ثلاثاً ، أدناها أن نصدق ما يبدو صادقاً وإن كنا قد نراه كاذباً فيما بعد ، وأوسطها أن نصدق تصورنا للشيء الذي يوافق وينسجم مع تصوراتنا الأخرى ، وأعلاها أن نصدق تصورنا الذي اختبرنا صحته ووافق واقعه تصوراتنا عنه . والمراتب الثلاث لا تعطينا الحق في الحكم على الأشياء في ذاتها ، لكنها معايير للحكم على تصوراتنا ، ومن ثم يعتبر قرنيادس من أصحاب مذهب الشك الاحتمالي .

حرف الكاف

كابانيس Cabanis

(١٧٥٧ ـ ١٨٠٨) بطرس يوحنّا كابانيس ، فرنسي ، من مؤسّسي جماعة « الإيديولوجيين Ideologues » ، تخصَّص في الطب ، ولكنه امتهن الفلسفة ، وانضمَّ إلى مجموعة منَ الفلاسفة أيّدت نابليون في أول الأمر ثم عارضت تسلطه فسخر منهم وأطلقَ عليهم اسم الإيديولوجيين ، ويقصد بذلك أنها جماعة مهرقة مشغولة بمناقشات عقيمة ، ومنصرفة إلى دراسة المعاني وتحليلها تحليلاً أجوف . وكانت الجماعة تضم فولني وكوندورسيه ولافوازييه ولابلاس ودستو دي تراسي ومين دي بيران ، وشاء حظهم العاثر أن يكون ظهورهم في وقت صعود المثالية الميتافيزيقية والإحياء الديني .

واشتهر كابانيس بكتاب واحد هو « **العلاقات بين الطبيعي والمعنوي في الإنسان Rapports du Phisique et du Moral de L'Homme** » (١٨٠٢) . ويقدم كابانيس ، كرفاقه ، تفسيراً آلياً للكون والطبيعة والسلوك البشري ، ويرى أن المادة هي الحقيقة الوحيدة والأزلية بأشكالها الانتقالية المتعددة ، ويطبق التحليل على الفكر كتطبيقه على الكيمياء ، ويرد الأفكار إلى الاحاسيس ، ويقصر دوافع السلوك على الانانية وتحصيل السعادة والمتعة والحفاظ على الذات ، ويختزل الإنسان إلى عمليات بدنية وفسيولوجية ، ويقول إنه ينبغي تحليل الإنسان كما تحلل المعادن أو الخضروات ، وأن دور الواعظ القديم ينبغي أن يحل محله دور الأخصائي الطبي ، وأن الفسيولوجيا ، وتحليل الأفكار ، والأخلاق ، ثلاثة فروع لعلم واحد يمكن أن نسميه علم الإنسان ، وأن العقل يشبه المعدة ، الثانية تهضم الطعام ، والأول يهضم الأحاسيس بما يفرزه من فكر . وينكر وجود أيّة علل بخلاف ما يؤثّر على حواسنا ، وأيّة حقائق سوى ما تكشفه لنا طبيعتنا البشرية ، ويرد كل الأفعال إلى أعضاء في الإنسان ، ويقول إنه بداخل كل إنسان « إنسان داخلي » في حركة دائمة ، يظهر تأثيره في الأحلام ، ويرجع المزاج إلى البنية الموروثة ، فالقلب والرئتان الكبيرتان ينتجان شخصية نشيطة ، فإذا تضاءلا صارت الشخصية من النمط المفكر . وقال بإمكان تحسين السلالات الإنسانية بانتقاء الصفات الوراثية . وعموماً فقد اصطنع كابانيس منهجاً مادياً فسَّر به كل شيء ، ورفض التفسيرات المطلقة ، وكان رائده العلة والمعلول في مجال الظواهر ، وتأثر ، دون بقية الإيديولوجيين ، بتعاليم لامتري ومدرسة « الإنسان ـ الآلة » ، وعارض منهج كوندياك السيكولوجي الذي يقتصر على البحث في الأحاسيس الخارجية ، وفضَّل عليه المنهج

الفسيولوجي الذي يأخذ بالميول الوراثية ، وحالة أعضاء الجسم ، ويحفل بالأحلام ويولي الدوافع الأوتوماتيكية واللّاشعورية العناية الجديرة بها ، وكانت كل هذه العوامل أهم عنده ، لتفسير السلوك ، من التجربة نفسها ، لأن مبدأ العقل الغفل يتجاهل ما يستحضره الرضيع معه قبل الدخول في التجربة . وكان لواء كابانيس معقوداً على تحسين ظروف الإنسان خلقياً واجتماعياً، ويرى إمكان ذلك إذا استطعنا أن ننفذ إلى فهم الإنسان فسيولوجياً ، وعلى ذلك فكابانيس والإيديولوجيون ، كانوا ينهجون على نهج الأبيقوريين ويقدمون للوضعيين المنطقيين ، وكانوا من نفس الرأي الذي يقول إن الإنسان هو سيد مصيره والمبرر لنفسه ، وكانوا يؤمنون بقدرته التي لا حد لها على التطوّر بما يتوفر لديه من وسائله الخاصة .

كاجيتان .... Cajetan

(١٤٦٨ ـ ١٥٣٤) توماس دي فيو ، أو الكاردينال كاجيتان ، وكاجيتان هي الصفة من جيتا Gaeta حيث ولد بإيطاليا ، أي إنه الكاردينال من جيتا أو الكاردينال الجيتاوي . توفي بروما ، وكان يعلّم الفلسفة واللاهوت ، ودخل في مساجالات مع أتباع سكوتس وابن رشد ، وجادل مارتن لوثر ، وكان توماوياً وله شروح مشهورة على مجموعة الأكويني اللاهوتية ، لكن فلسفته أقرب إلى أرسطو منها إلى الأكويني ، واصطنع بعض مصطلحات الرشديين وسكوتس وكان أقل ثقة من الأكويني في قدرة العقل على تناول المسائل الكلية ، ومنطقه هو المنطق الأرسطي القياسي ، لكنه طوّر لنفسه نظرية في التمثيل يفرّق فيها بين ثلاثة أنواع منه الأول هو تمثيل التباين (تكون للإنسان صفة توجد فيه أكثر ممّا توجد في الحيوان) والثاني تمثيل بالصفة (تكون للحيوان صفة الصحة ثم تنسب للإنسان أو للدواء) والثالث تمثيل بالتناسب (تنسب الرؤية لحاسة البصر كنسبة التبصر لملكة الفهم) ، وتمثيل التناسب فيما يرى هو النمط الأساسي للتمثيل وهو الذي يفي بمستلزمات التفكير الميتافيزيقي .

كارلايل .... Carlyle

(١٧٩٥ ـ ١٨٨١) توماس كارلايل ، استكتلندي ، ابن بناء ، درس ليكون قسيساً ولكنه لم يكمل الجامعة ، وانكبَّ على القراءة الحرة ، ودرس الفلسفة الألمانية والثورة الفرنسية ، وقرأ جيبون فأحبَّ التاريخ وتحوّل إليه ، ثم غادر إلى إدنبرة ليعمل صحفياً بالقطعة ، وعاش ثلاث سنوات مغموطاً وفي عوز ، معلولاً بمعدته ، واغتمَّ إيمانه ، وعانىٰ أزمة روحية خرج منها بإيمان جديد بقيمة العمل المعنوية . « إن الشك من أي نوع كان ، لا يزيله إلاَّ العمل » ، وأن لا قيمة للإيمان ما لم يترجمه صاحبه إلى عمل . « إفعل الواجب الأقرب إليك » . واعمل ما يتوجب عليك عمله اليوم . وعكف على الكتابة والترجمة ، وتزوج من جين ويلش (١٨٢٦) ، وكانت ذكية مفكرة ، وانتهت بها وحدته وشقاؤه ولكن همومه ككاتب كانت صليبه ، وطرحها في مقالاته التي لفتت إليه الأنظار ، وجعلته كتاباته عن الأدب والفلسفة الألمانية من أشهر كتاب عصره ، وكان مثل سابقه كوليردج ، يعتبر ألمانيا المقصد الروحي لأهل زمانه ، لكنه بخلاف كوليردج كان يعد جوته وليس كنط رسول العصر ، وكان يرى أن عصره في محنة ، وأنه عصر شك وتساؤل ، وأي نفع يمكن أن يرجىٰ منه طالما كان أهله يستلهمون الصواب من نتائج الأفعال والحكمة العلمانية ، وقد يستهلمون الصواب من نتائج الأفعال والحكمة العلمانية ، وقد تنكبوا آداب الدين وأنكروا كل سلطان مفارق ، وطالما اعتقدت البورجوازية ، عن خطأ مسرف ، أن المجتمع يمكن أن يترقّىٰ بالتشريعات التي تتناول نواحي الاقتصاد والسياسة ، وكان يرى أن كل تقدم إنساني حقيقي ، أو دينامي ، ليس إلاّ فيض الزخم الخلقي لأفراد من الرجال ، وأن التاريخ تركبه الشعوب طبقاً عن طبق ، وأنه كشف لتراثها الإنساني ، ولم يكن التاريخ عنده إلاّ السيرة الذاتية لعظماء الرجال ، وكان يرى فيهم أبطالاً

معقوداً بلوائهم خلاص البشرية ، وكان يرى أن البطل قد يكون نبياً كالنبي محمد ، أو شاعراً كدانتي ، أو قديساً كلوثر ، أو أديباً كروسو ، أو حاكماً ككرومويل . إن البطل يكون على الصورة التي يحتاجها عصره ، وكل الأبطال كانت لهم بصيرة بما ينقص زمنهم ، وأنهم وجهوه الوجهة الصحيحة ، فالبطل نفحة السماء ، أو قوة من قوى الطبيعة ، له بصيرة إدراك الحقائق ، ولذلك فهو لا يكذب ، وحياته الصدق ، والإخلاص يشع منه ، ويضفي القداسة على كل ما ينطق به ولا يملك أتباعه إلّا التصديق والطاعة ، تهديهم عبارة البطل ، ذلك الهوى عميق الجذور في النفس البشرية . واستخدم كارلايل مفهوم البطل ليقوم في الروح المادية التي تمسك بتلابيب المجتمع الصناعي ، وليهاجم الحرية والديموقراطية ، وليطالب المسؤولين أن يكونوا على مستوى المسؤولية وأن يكفّوا عن التشدق بالديموقراطية ، ويفهموا أن الحرية للقادة هي حق حكم الجماهير ، وأنها للجماهير حق الجاهل أن يأخذ المتعلم بيده . مؤلفاته الرئيسية **«عن التاريخ»** (١٨٣٠) و **«الثورة الفرنسية»** (١٨٣٧) و **«عن الابطال وعبادة البطل والبطولي في التاريخ»** (١٨٤٠).

كارليني .... Carliné

(١٨٧٨ - ١٩٥٩) أرماندو كارليني ، مؤسّس المذهب الروحاني المسيحي الإيطالي ، كتابه الرئيسي **« ملامح تصور واقعي للروح الإنسانية »** (١٩٤٢) يجمع بين فلسفتيّ كروتشه التأريخية وجنتيله الواقعية ، ويقيم الإنسان وسطاً بين متقابلين هما الله والعالم .

كارناب .... Carnap

(١٨٩١ - ١٩٧٠) رودلف كارناب ، يهودي ألماني ، من أبرز فلاسفة المدرسة التجريبية المنطقية Logical Empiricism أو الوضعية المنطقية Logical Positivism ، درس على جوتلوب فريجه ، وكان له ولرسل وفتجنشتاين أعظم الأثر في تكوينه الروحي ، وكذلك لجماعة فيينا Vienna Circle التي أسسها موريتز شليك Schlick وكانت تبشر بفلسفة علمية تهدف إلى توحيد العلوم وتصطنع منهج التحليل المنطقي ، وصارَ من شخصياتها البارزة ، وأصدر مجلة **« المعرفة Erkenntnis »** (١٩٣٠ - ١٩٤٠) لهذا الغرض ، وصار أستاذاً للفلسفة الطبيعية بجامعة براغ الألمانية ، وهاجر على أثر تحول ألمانيا إلى النازية ، إلى الولايات المتحدة (١٩٣٥) حيث عيّن أستاذاً للفلسفة بجامعتيّ شيكاغو وكاليفورنيا ، وأصدر مع آخرين الموسوعة الدولية للعلم الموحد وكان أهم كتبه « البناء المنطقي للعالم The Logical Construction of the World » (١٩٢٨) ، و « التركيب المطقي للغة Logical Syntax of Language » (١٩٣٤) ، و « الفلسفة والتركيب المنطقي Philosophy and Logical Syntax » (١٩٣٥) ، و « المدخل الى السيمانطيقا Introduction to Semantics » (١٩٤٢) ، و « المعنى والضرورة Meaning and Necessity » (١٩٤٧) ، و « الأسس المنطقية للاحتمال Logical Foundation of Probability » (١٩٥٠) ، و « المتصل في المناهج الاستقرائية The Continuum of Inductive Methods » (١٩٥٢) .

وتقوم أصالة كارناب في اتجاهه المنهجي الذي يصوغ به نسقاً تقنياً يطبقه على بعض مسائل الفلسفة بهدف حلها . ويقوم منهجه على نظريته في البناء أو التركيب Constitution or Construction Theory ، ويستعين فيه بالمناهج التي سبقه إليها إرنست ماخ ورسل وفتجنشتاين ، وتدور النظرية على مبدأ قابلية القضايا للرد Principle of Reducibility بتعريف الحدود التي يشتمل عليها بناؤها (التعريف البنائي Constitutional Definition) ، وترتيب التعريفات في نسق بنائي Constitutional System . وهو يفرق بين القضايا التجريبية التي يمكن التحقق من صدقها وتخضع لمبدأ التحقق Principle of Verifiability ،بالإمكان اختبارها Testability أو التثبّت منها Confirmability، وهي

قضايا علمية ، وبين القضايا الميتافيزيقية وما شابهها التي لا يمكن التحقق من معناها تجريبياً ولا تقوم على معطيات حسية ، ويصفها بأنها قضايا فارغة أو أشباه قضايا Pseudo Statements لا معنى لها، ويقصر لغة الواقع والعلم على القضايا العلمية ، ويسميها لغة ظاهرية Phenomenalistic لأنها تقتصر على وصف الظواهر ، ثم يؤثر أن يسميها من بعد لغة فيزيائية Physicalistic لأنه يختار أن تكون لغة كل العلوم هي لغة علم الفيزياء ، وهي لغة وصفية كمية ، أو لغة عباراتها تقريرية Report Sentences ، أو لأنها اللغة المحددة العبارات والمعاني التي تستخدم في المحاضر والوثائق Protocol Sentences ، وهي نفسها اللغة المحددة العبارات والمعاني التي تُصاغ بها الحقائق العلمية التجريبية ، والتي يفضلها على سواها للتعبير عن كل العلوم سواء الطبيعية أو الاجتماعية التي يسلكها كارناب في وحدة علمية ترفع ما بينها من ثنائية . لكنه يفرق بين ما يسميه لغة الموضوع Object Language ، واللغة الشارحة أو لغة ما وراء اللغة Metalanguage ، والأولى تعبّر عن موضوعات العالم ووقائعه ، مثلما تقول « إن الوردة حمراء » ، والثانية صورية تعبر عن اللغة التي نعبر بها عن لغة الموضوع أو تشرحها مثلما نقول « إن عبارة إن الكرة حمراء تتكون من ثلاثة كلمات » . ويرى كارناب أن الخلط في الفلسفة جاء نتيجة خلط الفلاسفة بين الأحكام المصاغة بلغة الموضوع والأحكام المصاغة بعبارات اللغة الشارحة أو لغة ما وراء اللغة ، وأن هذا الخلط هو المسؤول عن الخلافات حول بعض مسائل الفلسفة ، فحين يقول قائل « إن الوردة حمراء » يستخدم عبارة موضوعية حقيقية ، لكنه حينما يقول « إن الوردة شيء » يستخدم عبارة شبه موضوعية Pseudo - Object Sentence غامضة لا تحدثنا بشيء حقيقي عن الوردة ، وتخلط بين العبارة المادية والعبارة الصورية ، وتصطنع الطريقة الصورية في الحديث للتعبير عن الكليات بوصفها أشياء ، لذلك يقترح كارناب ترجمة وتأويل العبارات الفلسفية شبه الموضوعية من شكلها المادي إلى الشكل الصوري بإعادة صياغتها إلى عبارات تركيبية ، ولا يعني ذلك أن كلاً منا ملتزم بعبارات معينة ينبغي أن يلجأ إليها عند التعبير عن نفسه ليكون منطقياً ، ويقدم كارناب مبدأ يطلق عليه مبدأ التسامح Principle of Tolerance ، يكفل به حرية التعبير ، ويؤكّد أن فلاسفة اللغة ليس عملهم وضع زواجر ونواه على الاستعمالات اللغوية ، ولكنهم يهتمون بتحديد الشروط التي بها تصدق العبارات منطقياً وتتحدد بها مدلولاتها ، ومن ثمَّ ينتقل كارناب من التركيب المنطقي للعبارة Syntax إلى معناها وصدقها ، والعبارة صادقة عندما يكون محمولها متوافقاً مع نسقها ، بمعنى أن صدقها لا يُقاس باعتبارات عملية ، ولا يرتبط بأيّة معتقدات قابلة للتحقق ، ولا يحث عن أسبابه خارج نسق العبارة نفسها ، والنسق السيمانطيقي Semantical System هو تلك القواعد التي بها تتحدد شروط صدق العبارة ، والعلم المعني به هو علم السيمانطيقا أو علم دلالات الألفاظ وتطورها Semanticsومهمة الفلسفة هي تحليل اللغة تحليلاً سيميوطيقياً Semiotic ، أي تحليلها من حيث هي رموز لبناء الكلام المعرفي .

كاروس ...... Carus

(١٨٥٢ - ١٩١٩) بول كاروس ، موحد ، ألماني ، ولد في إلزنبورج ، وتعلّم في توبنجن ، واضطُّر إلى الهجرة إلى الولايات المتحدة بسبب اضطهاده من قبل الكنيسة لآرائه التوحيدية . كتابه الرئيسي « التوحيد والتحسنية » (١٨٨٥) ، وفي سنة ١٨٨٨ ، أصدر مجلة « الموحد » وفي رأيه أن « الواحد » هو المبدأ الأول الذي تفيض منه كل المبادىء ، والذي يمسكها ويحفظها وترجع إليه ، فإذا كانت الأشياء في الكون متكثرة إلَّا أنها تخضع لهذه المبادىء ، التي يحكمها ويوجهها المبدأ الأول الذي هو الله ، الواحد الأحد ، الذي لا شريك له ، وليس له

كفؤ . ودور الإنسان في الحياة أن يكتشف هذه المبادىء ، بمعنى أن الأشياء ومبادئها موجودة ، ولا تتوقف على عقل الإنسان ، فهو يكتشفها ولا يصنعها ، ومن ثم فكاروس يعارض الكانطيين . ولا يعني ذلك أنه مادي ، لأنه يقول إن الأشياء مادية بمعنى أنها تعمل وفق المبادىء التي تحكم مادتها ، ولكنها أيضاً روحية لأنها لا تتناقض مع قوانين العقل . وقال إن خاصة العقل أو الروح أنه قادر على أن يعكس العالم كالمرآة ، وقيمة كل فرد في مقدار ما يعرف عن الكل ، أي مقدار ما يعكس من العالم ، ومن ثمَّ فالإنسان بما هو كذلك مخلوق ليعرف ، والمعرفة طريقه إلى المزيد من الخير ، وسبيله إلى الله ، والصلاة وسيلته لتغيير إرادته كإنسان ، بحيث يمكنه أن يعكس القانون الأوحد في أفعاله .

كاسيرر .... Cassirer

(١٨٧٤ - ١٩٤٥) إرنست كاسيرر ، يهودي ألماني ، ولد في برسلاو من أعمال سيليزيا ، وتعلَّم في ماربورج وعلَّم بها ، ورحل عن ألمانيا (١٩٣٣) بعد تولّي النازي إلى إنجلترا ثم السويد واستقر في نيويورك . أهم كتبه « فلسفة الصور الرمزية Philosophy of Symbolic Forms » (١٩٢٣) ، ينحو فيه منحىٰ كنط وإن كان قد زادَ عليه وعدل فيه وادَّعى بأنه هيجلي أكثر منه كنطي ، ويعلّل ذلك بأن العلوم والرياضيات لم تتطور في عصر كنط تطورها في القرن العشرين ، وأن كنط معذور إن كان قد استخلص منها مبادىء استاتيكية ، أما كاسيرر فقد شهد تطور الهندسة اللاإقليدية والمنهج البدهي والنظرية النسبية وميكانيك الكم والمعالجة العلمية للدين والأساطير وعلم اللغة ، ولذلك فإن ما يستخلصه منها مبادىء متطورة دينامية لا يقتصر مجالها على النشاط الذهني العلمي والرياضي ولكنه يمتدّ إلى كل نشاطات الذهن ، أي إنه يجعل نقد كنط للعقل نقداً لكل الثقافة . ويسمي كاسيرر هذه العملية بالترميز Symbolization ، ويقول إنها عملية أكبر من مجرد استخلاص المفاهيم من الخبرة وإدراك العلاقة بينها وبين ما تنطبق عليه في الواقع Conceptualization عند كنط ؛ وبالترميز نعطي رموزاً لما ندرك ، ونربط بين هذه الرموز وما ترمز إليه أو تمثله ؛ وبالرموز العلمية تكون صورة العالم علمية ، وبالرموز الأسطورية تكون الصورة أسطورية ، وبرموز اللغة العادية تكون صورته المألوفة التي نعرفها عنه بشكل عام ؛ فكأن للتمثيل الرمزي وظيفة تناسب كل صورة ، ووظيفته في الترميز الأسطوري تعبيرية ، تدمج الرمز وما يرمز إليه فالرعد الذي يعبر به الإلّه عن غضبه لا يكون مجرد تعبير خارجي عن غضب الإلّه ، لكنه هو نفسه غضب الإلّه . ووظيفته في الترميز العادي حدسية نعبر فيه باللغة العادية عن العالم كما ندركه بالفطرة ، بوصفه موجودات في الزمان والمكان لها خصائص دائمة وأخرى عارضة ، فكأن لغة أرسطو التي يطرح بها تصورات شبيهة بهذه التصورات لغة عادية أو قبل علمية تأتي في مرتبة بعد الرمزية الأسطورية ، وقبل الرمزية العلمية . وأخيراً هناك الوظيفة التصورية في الترميز العلمي وغايتها تنظيم التفاصيل وربط الجزئيات والتعبير عن العلاقات بينها ، فكأنَّ غاية كاسيرر ليس طرح بديل منطقي أو ميتافيزيقي لفلسفة كنط ولكن أن تكون فلسفته فينومينولوجية شعور .

كامو Camus

(١٩١٣ - ١٩٦٠) ألبير كامو ، وجودي فرنسي ، ولد بقرية موندوفي من أعمال قسنطينة بالجزائر ، من أب فرنسي وأم إسبانية ، وتعلم بجامعة الجزائر ، وانخرط في المقاومة الفرنسية أثناء الاحتلال الألماني ، وأصدر مع رفاقه في خلية « الكفاح » نشرة باسمها ما لبثت بعد تحرير باريس أن تحولت إلى صحيفة Combat (الكفاح) اليومية التي تتحدث باسم المقاومة الشعبية ، واشترك في تحريرها جان بول سارتر . ورغم أنه كان روائياً وكاتباً مسرحياً في المقام الأول ، إلا أنه كان فيلسوفاً ، وكانت مسرحياته وروایاته عرضاً أميناً لفلسفته

في الوجود والحب والموت والثورة والمقاومة والحرية ، وكانت فلسفة تعايش عصرها ، وأهلته لجائزة نوبل فكان ثاني أصغر من نالها من الأدباء . وتقوم فلسفته على كتابين هما « أسطورة سيزيف Le Mythe de Sisyphe » (١٩٤٢) و « المتمرد L'Homme Revolté » (١٩٥١) ، أو فكرتين رئيسيتين هما اللامعقول L'Absurde والتمرد La Revolté ، ويتخذ كامو من أسطورة سيزيف رمزاً لوضع الإنسان في الوجود ، وسيزيف هو هذا الفتى الإغريقي الأسطوري الذي قدر عليه أن يصعد بصخرة إلى قمة جبل ، لكنها ما تلبث أن تسقط متدحرجة إلى السفح ، فيضطر إلى إصعادها من جديد ، وهكذا للأبد ، وكامو يرى فيه الإنسان الذي قدر عليه الشقاء بلا جدوى ، وقدرت عليه الحياة بلا طائل ، فيلجأ إلى الفرار إما إلى موقف شوبنهاور : فطالما أن الحياة بلا معنى فلنقض عليها بالموت الإرادي أي بالانتحار ؛ وإما إلى موقف الآخرين الشاخصين بأبصارهم إلى حياة « أعلى » من الحياة ، وهذا هو الانتحار الفلسفي ، ويقصد به الحركة التي ينكر بها الفكر نفسه ويحاول أن يتجاوز نفسه في نطاق ما يؤدي إلى نفيه ؛ وإما إلى موقف التمرد على اللامعقول في الحياة مع بقائنا فيها غائصين في الأعماق ومعانقين للعدم ، فإذا متنا متنا متمردين لا مستسلمين . وهذا التمرد هو الذي يضفي على الحياة قيمتها ، وليس أجمل من منظر الإنسان المعتز بكبريائه ، المرهف الوعي بحياته وحريته وثورته ، والذي يعيش زمانه في هذا الزمان : الزمان يحيي الزمان .

كبلر .... **Kepler**

(١٥٧١ - ١٦٣٠) يوحنا كبلر ، مؤسس علم الفلك الحديث ، ولد بقرية بالقرب من شتوتجارت من اعمال ألمانيا الغربية ، وبدأ حياته بدراسة اللاهوت ، لكنه انصرف عنه إلى الرياضيات ، واشتغل بتدريسها ، وكان يرى فيها أكمل العلوم لأن العقل يدرك النسب الكمية أوضح مما يرى أي شيء آخر ، وأنه لا يصل إلى اليقين إلا باعتبار الوجهة الكمية ، لكنه نشر عام ١٥٩٧ كتابه « **الكوزموغرافيا الملغزة Mysterium Cosmographicum** » نبه فيه إلى كوبرنيق ، وأيد أقواله بأن الشمس مركز الكون ، وأن الأرض تدور حول الشمس ، وكان قد انقضى على وفاته ٥٤ سنة ، ومن ثم أعطى المرحلة التي بدأت بهذا الكتاب ، أو التي بدأت من نشر كوبرنيق لكتابه « في الحركات السماوية » ، اسم الثورة الكوبرنيقية ، وبها صار الفلك علماً قائماً بذاته ، له أصوله العلمية المحضة ، وانفصل عن اللاهوت أو عن الفلسفة ، وتوفر على هذه الثورة ثلاثة هم كبلر وجاليليو ونيوتن ، وكان جاليليو وقت نشر كتاب كبلر في الخامسة عشرة من عمره ، واحتوى الكتاب على قانونه الأول الذي يؤيد به كوبرنيق ويخالفه ، حيث كان كوبرنيق يرى أن الكواكب تدور في أفلاك دائرية ، وعارضه كبلر فذكر أن مساراتها إهليليجية ، وأن الشمس في بؤرتها ، ثم استطاع بعد ذلك بثماني سنوات تحديد فلك المريخ ، وبلورة قانونيه الثاني والثالث ، ورفض نظرية العقول المحركة للكواكب ، وافترض لحركتها عللاً طبيعية ، واستعاض عن العقل المحرك بالقوة ، وتمثلها تربط بين الشمس والسيارات في حركة تطفر فوق مسافات متساوية في أزمان متساوية ، وقال إن مربعات فترات دوران أي كوكبين تكون بنفس نسبة مكعبات متوسط أبعادها عن الشمس ، وكانت هذه القوانين الثلاثة أول قوانين عن الطبيعة بالمعنى الحديث ، قضت على نظرية أرسطو في الحركة المنتظمة في دوائر كاملة ، والتي رانت على الفكر الفلكي مدة الفي سنة . وفي كتابه « **الفلك الجديد Astromia Nova** » هزأ من قول أرسطو ان المادة الأرضية ثقيلة لأن من طبيعتها أن تتجه إلى مركز العالم أي الأرض ، وأن المادة النارية تتجه إلى محيط الكون ولذلك تكون خفيفة ، وقال إنه لا يوجد شيء اسمه الخفة ، وإنما توجد مادة أقل كثافة من مادة ، بحكم طبيعتها ، أو بفعل الحرارة ، ومن ثم تكون أقل انجذاباً

للأرض من المادة الأثقل . وفي كتابه « **حلم القمر Somnium** » ذكر أن للشمس أيضاً جاذبية ، وأن جاذبيتها تمتد حتى الأرض ، وأنها تؤثر على حركة المد والجزر ، تأثير القمر على هذه الحركة ، حيث تصل جاذبية القمر الى الأرض، لكن جاذبية الأرض تتجاوز القمر.

كالفن Calvin

(١٥٠٩ - ١٥٦٤) يوحنا كالفن ، فرنسي ، من أبرز دعاة الإصلاح البروتستنتي ، كتابه الرئيسي « **مؤسسات الديانة المسيحية** » (١٥٣٦) . والحكمة عنده شقاها معرفة الله ومعرفة النفس ، وكلتاهما مرتبطتان ومتداخلتان ، وليس من سبيل إلى بلوغ أحدهما بدون الأخرى . ومعرفة الله هي عبادته والتسليم لقضائه وقدره . والإنسان متدين بطبعه ، له حاسة دينية كبقية الحواس ، والضمير ، كالعقل ، وسيلة للمعرفة ، نجد أن موضوع العقل هو المعرفة عموماً ، وموضوع الضمير هو القانون الخلقي ، وهو القانون الطبيعي أو قانون الله ، وبالضمير يعي الإنسان مسؤوليته ، والله يكشف عن نفسه في مخلوقاته ، والعالم مسرح لأفعال الله ، أو كتاب مفتوح ، أو مرآة ، يرى فيها الإنسان صفات الله ، وأبرزها مجده وعدله وحكمته وقوته وخيريته . والخطيئة هي عصيانه عن جهل أو عن عمد . وأفضل الحكومات هي الارستوقراطية الكفء التي ينتخبها الشعب، والتي تتوزع فيها السلطة . وكان تأثير كالفن عظيماً في زمانه ، فسيطر فكره على الكنيسة المشيخية في انجلترا ، والكنيسة الأريكية ، وشهد القرن العشرون محاولة لإحياء فكر كالفن فيما يسمى اللاهوت السني المحدث على يد كارل بارث وإميل برونر وإبراهام كيبر .

كاملية

فرقة من غلاة الشيعة ، نسبة إلى أبي كامل ، قالوا بالتناسخ في الأرواح بعد الموت ، وأن الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى آخر، وقد تصير نبوة بعد ما كانت في شخص آخر إمامة .

كاوتسكي Kautsky

(١٨٥٤ - ١٩٣٩) كارل كاوتسكي ، منظر الاشتراكية الديموقراطية الألمانية ، وأكبر دعاة الفكر الماركسي السني في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، ولد في براغ ، وتعلم في فيينا ، وعمل مع إنجلز ، وأشرف على نشر بقية أعمال ماركس بعد وفاة إنجلز ، ورأس تحرير جريدة الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، وكان من أبرز المساهمين في الصحافة الاشتراكية في الفترة من ١٨٨٣ إلى ١٩١٧ ، وانضم للجناح اليساري للحزب بزعامة روزا لوكسمبرغ منافحاً ضد تحريفية إدوارد برنشتاين وجماعته ، ولكنه أظهر من بعد عداوة صريحة للماركسية الثورية بزعامة لينين ، واعتبر لينين كتابه « **دكتاتورية البروليتاريا** » (١٩١٨) مثالاً للتشويه البشع للفكر الماركسي ، واتهمه بأنه لم يستطع أن يفهم مهام ديكتاتورية البروليتاريا ، وانتقد كتابه الرئيسي « **طريق السلطة** » (١٩٠٩) لأنه تجنب في مناقشته للمواقف الثورية مسألة القضاء على جهاز الدولة البورجوازية . وكان كاوتسكي في آرائه الفلسفية صاحب نزعة تلفيقية حقيقية ، فكان يربط المادية بعناصر مثالية ، وشوه في كتابه « **المفهوم المادي للتاريخ** » (١٩٢٧ - ١٩٢٩) نظرية المادية الجدلية والتاريخية من وجهة نظر الشيوعيين السنيين ، وقد اضطر كاوتسكي إلى الفرار إلى امستردام خلال حكم النازي ، ومات فيها .

كدويرث Cudworth

(١٦١٧ - ١٦٨٨) رالف كدويرث ، إنجليزي ، ولد في ألير Aller من أعمال سومرست ، وتعلم بكيمبردج وعلم بها ، ويعد أبرز فلاسفتها الذين يطلق عليهم « أفلاطونيو كيمبردج » ، واشتهر بكتابه « **النظام العقلي الحقيقي للعالم The True Intellectual System of The Universe** » (١٦٧٨) ، وهو الجزء الأول من كتاب أكبر من ثلاثة أجزاء كان ينوي إصداره وخطط له بحيث يكون الجزء الأول ، وهو الجزء الوحيد الذي

صدر ، نقداً للإلحاد في شكليه السائدين في زمنه وهما المادية ومذهب حيوية المادة Hylozoism ، والجزء الثاني نقداً للكالفينية ، والثالث يطرح فلسفته وحرية الإرادة . وينصب نقده للإلحاد على فلسفة هوبز ، وفي رأيه أنها إحياء لفلسفة بروتاغوراس ، ومن ثم فالرد عليها يكون بطرح رد أفلاطون على بروتاغوراس في « تيتياتوس » . وهو ينقد الإدراك الحسي كأساس للعلم بالكليات ، ويتهم المعرفة الحسية بالنقص وعدم الثبات ، ويقول مع أفلاطون أن المعرفة الحقة هي المعرفة بالحقائق الأبدية الثابتة ، وهو يطرح فكرته التي يأخذها عن محاورة أفلاطون « أو طيغرون » في كتاب له ظهر (١٧٣١) بعد وفاته «**رسالة في الأخلاق الأبدية الثابتة** » ، ويقول إن العلم بها يفضي إلى العلم بالموجود الأبدي الثابت وهو الله ، ويجعل معيار الموضوع الذي قال به ديكارت معيار الإدراك الصدق في التفكير ، وينقد الإرادة عند هوبز كمبدأ للأخلاق ، فالشيء لا يكون خيراً لأننا نريده كذلك بل لأن الله قد خلقه خيراً ، ونحن لا نتجه للخير بالإرادة بل لأن الله قد فطرنا على حب الخير ، وزودنا بطبيعة تتجه إليه وتستخدم العقل في تحقيق غاياتها . وليست الحرية هي أن نفعل ما بدا لطبائعنا . وربما كان لكدويرث تأثير على لوك وشافتسبري ، لكن تأثيره على ريتشارد برايس كان شديد الوضوح .

كرامية ...

فرقة من المشبهة ، أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام (بكسر الكاف وتخفيف الراء) ، قال إن معبوده جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي العرش ، وهذا شبيه بقول الثنوية أن معبودهم ، الذي سموه النور ، يتناهى من الجهة التي تلاقي الظلام وإن لم يتناه من خمس جهات ، وقال عنه إنه جوهر كما تزعم النصارى أن الله جوهر ، وأنه محل للحوادث الحادثة فيه . وقيل إن طوائف الكرامية بلغت اثنتا عشرة فرقة ، أصولها ست : العابدية والتونية والزرينية والإسحاقية والواحدية والهيصمية ، وقيل أصولها ثلاثة : الحقائقية والطرائقية والإسحاقية .

كرخي ...

الكرخي : (توفي ١٠١٩ / ١٠٢٩م) فخر الدين أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب المعروف بالكرخي ، من كرخ بغداد ، لا نعرف من حياته إلا أنه عاش في بغداد ، وأنه ألف كتابه « الفخري » نسبة إلى الوزير فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف ، وكان يميل إلى طريقة اليونانيين في الرياضيات فكان يثبت الأعداد مكتوبة بالأحرف ، وزاد على الخوارزمي في حلول الجبر والترقي في المعادلات والإكثار من البراهين .

كروبوتكين ... Kropotkin

(١٨٤٢ - ١٩٢١) بطرس كروبوتكين ، أبو الفوضوية الشيوعية ، ولد من أسرة من أمراء الروسيا ، وكان أبوه قائداً عسكرياً ، لكنه اتَّجه بتفكيره إلى الإصلاح والثورة على الأوضاع المتردية في بلده ، وانضمَّ بفضل أفكار برودون وباكونين وفوريبه وهيرزن إلى الجماعات السرية ، فقبض عليه وأودع السجن مدة عامين (١٨٧٤) تمكَّن بعدهما من الفرار إلى أوروبا ، والتحقَ بالحركة الفوضوية الأوروبية ، وأصدر « مجلة المتمرد » (١٨٧٩) ، وشاركَ في المؤتمر الفوضوي الدولي بلندن (١٨٨١) ، وأودع السجن في ليون (١٨٨٢) مدة أربعة أعوام ، أفرج عنه بعدها ورحل إلى إنجلترا وعاشَ فيها حتى قيام الثورة الروسية (١٩١٧) فسافر إلى موسكو ، لكن دكتاتورية البلشفيك أثارته ، فانسحب إلى الريف يكتب حتى وفاته ، أهم كتبه « **مذكرات ثوري** » (١٨٨٥) و « **انتزاع الخبز** » (١٨٩٢) و « **المعونة المتبادلة** » (١٩٠٢) و « **العلم الحديث والفوضوية** » (١٩١٢) و « **الأخلاق** » (١٩٢٢) . وتقوم نظريته ، من الناحية السياسية ، على أساس أن الحكومة أداة قمع في يد المالكين ضد الطبقة العاملة ، ويستعين كروبوتكين بالعلم وبفكرة التطور ، فيقول إن مجتمع المستقبل

عبارة عن اتحاد فيدرالي لجماعات إنتاجية حرة تتشكل نتيجة للثورة الاجتماعية ، ويكون توزيع السلع فيها على حسب حاجة كل وليس على حسب عمله . ولأن الإنسان حيوان اجتماعي متطور ، فاجتماعه يقوم على التعاون وليس على التنافس كما يقول دارون ، والتعاون هو خلق الفوضوي الشيوعي ، ولأنه يؤمن بالعلم فمنهجه علمي ، وهو المنهج الاستقرائي الاستنباطي ، وبناءً عليه فهو يرفض الجدل ، ويقول إن المنهج الاستقرائي الاستنباطي هو المنهج العلمي الوحيد .

كروتشه .... **Croce**

(١٨٦٦ - ١٩٥٢) بنيديتو كروتشه ، إيطالي ، اشتهر بكتابه « **الاستطيقا بوصفها علم التعبير وعلم اللغة العام Estetica Come Scienza Dell'Espressione E Linguistica Generale** » (١٩٠٢) وكان بمثابة إعلان ببعث المثالية التاريخية في إيطاليا في الفترة من ١٩٠٠ إلى ١٩٢٠ ، وكانت حياته عملاً دائباً من الدراسات الفلسفية رفعت ذكره في مجالات النقد الأدبي وعلم الجمال وتاريخ الثقافة وعلم التاريخ . وأسرته من أغنياء المزارعين . اشتغل بالسياسة وكان عضواً بمجلس الشيوخ ، ووزيراً للتعليم بعد الحرب العالمية الأولى ، وأيّد الفاشية عندما بدأت تطبّق إصلاحاتها ، لكنه قاطعها بتحوّل حكومة موسوليني إلى الديكتاتورية السافرة (١٩٢٥) ، ونشر احتجاجاً ضد منشور المفكرين الفاشيين الذي أعلنه صديقه جيوفاني جنتيله ، وقاطع صديقه بعد ٢٥ سنة من الزمالة ، وكانا قد أصدرا معاً مجلة « **النقد Le Critica** » (١٩٠٣) ، وبعد الحرب العالمية الثانية صارَ رئيساً للحزب الليبرالي وعيّن وزيراً في الوزارة الجديدة ، واستقال ليرشح نفسه لرئاسة الجمهورية ، وأسّس معهد الدراسات التاريخية (١٩٤٦) وجعل مقره بيته وأوقف عليه ماله . أهم كتبه « **المنطق Logica** » (١٩٠٥) ، و « **ما هو حي وما هو ميت من فلسفة هيجل Chiò che È Vivo E ciò che È Morto Nella Filosofla Di Hegel** » ، (١٩٠٧) ، و « **فلسفة العمل في الاقتصاد والأخلاق Filosofia Della Pratica, Economia Ed Etica** » ، (١٩٠٩) ، و « **المجمل في علم الجمال Breviario Di Estetica** » (١٩١٣) ، و « **نظرية وتاريخ كتابة التاريخ Teorla E Storia Della Storiografia** » (١٩١٧) ، و « **تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر Storia D'Europa Nel Secolo XIX** » (١٩٣٢) ، و « **التاريخ كفكر وحركة La Storia Come Pensiero et Come Azione** » (١٩٣٨) .

وليست نظرية كروتشه في الجمال التي اشتهر بها ، إلاّ جزءاً من مذهبه العام الذي يدين به لهيجل ، والذي أطلقَ عليه **فلسفة الروح Philosophy of The Spirit** . غير أن الروح عند كروتشه ليست هي الله أو الفكرة ، لكنها الواقع أو الخبرة ، وتاريخها هو تاريخ الخبرة أو تاريخ المعرفة ، والخبرة أو المعرفة درجات ، أولاها الخبرة الإدراكية التي ندرك بها ما هو جزئي حيث تعبر الروح عن نفسها في أمثلة جزئية تتجسم فيها ، والمعرفة التي تقوم عليها معرفة بالفردي أو بالأشياء ، حدسية عيانية ، عن طريق الخيال ، وهي المعرفة الجمالية التي ميدانها علم الجمال ؛ وهناك ثانياً الخبرة الإدراكية التي ندرك بها ما هو كلي ، والمعرفة التي تقوم عليها معرفة بالكلي أو بالعلاقات ، منطقية تصورية ، ميدانها علم المنطق ، وهناك ثالثاً الخبرة العملية التي تهدف إلى غايات فردية ، وميدانها علم الاقتصاد ، ثم هناك أخيراً الخبرة العملية التي تهدف إلى غايات كلية وميدانها علم الأخلاق ومن ثم فللنشاط الروحي مستويات أربعة هي الجمال والحق والمنفعة والخير، ويمثلها علم الجمال، وعلم المنطق ، وعلم الاقتصاد ، وعلم الأخلاق . والتاريخ هو وصف نشاط الروح في هذه المستويات أو المراحل ، أي إنه ينطوي على الفلسفة أو أن الفلسفة لا يمكن أن تتبدَّى إلاّ في التاريخ .

والمعرفة الجمالية هي أولى مستويات المعرفة ، ترتبط بالمستويات الأخرى ، وتستلزمها المستويات

الأخرى، لكنها لا تحيل إلى مستويات أدنى منها. والفن رؤيا أو حدس لموضوع خارجي (شيء أو شخص) أو لموضوع داخلي (عاطفة أو مزاج) ، يعبر عنه الفنان باللغة أو اللون أو النغم أو الحجر ، ولا ينفصل التعبير عن الرؤيا ، حيث يمزج بينهما العمل الفني ، ومن ثمَّ يستوي القول بأن الفن مضمون ، أو أنه شكل ، طالما أن العمل الفني يعني أن المضمون قد اتَّخذ شكلاً أو أن الشكل قد امتلأ بالمضمون . غير أن كروتشه كان يتجه باهتماماته إلى الأدب أكثر من الفنون التشكيلية ، ويبدو أن نظريته قد صاغها مخاطباً نقاد الأدب ، وخاصة في مجال الشعر ، ولذلك فهو عندما يتحدث عن علم الجمال يقول إنه علم اللغة ، ويصف الحدس بأنه غنائي أو حماسي ، وأنه تعبير عن العواطف والأمزجة ، ولا ينبغي أن يفهم ذلك على أنه ضرب من الرومانسية ، لأن الرومانسية تعبير عن الشعور أو العاطفة من أجل الشعور أو العاطفة ، لكن الفن عند كروتشه تعبير عن العاطفة بوصفها معرفة تخيلية ، ذات طابع كوني ، لا تعالج قضايا تجريدية ولكن مضمونها الخبرة الشخصية . وهو عندما يقول الفن للفن لا يعني سوى أن الفن مستقل عن كل الاعتبارات العملية ، فليس الفن هو العمل النفعي الذي نتخذه وسيلة للمتعة ، وليس هو النشاط الخلقي ، ولا ينبغي أن نحكم على الفن من وجهة نظر خلقية ، ولا ينبغي أن نخلط الفن بالمعرفة التصورية ، بمعنىٰ آخر يفصل كروتشه الفن عن الاقتصاد والأخلاق والعلم ، وهي مجالات نشاط الروح ، لكننا نعرف ممَّا سبق أن كل مرحلة منها ترتبط بالمرحلة السابقة عليها إلَّا المرحلة الجمالية التي لا تسبقها مرحلة أخرى ، فهي مرحلة أولية لا تتوقف على غيرها ، في حين أن الفكر لا يقوم بدون الحدس ، والنافع لا يقوم بدون الحدس والفكر ، والأخلاق لا تقوم بدون المراحل الثلاث السابقة . ولذلك يقول كروتشه إن الأدب تشوبه الاعتبارات العملية ، لكن الفن خالص للفن .

كعبية ......

أصحاب أبي القاسم بن محمد البلخي ، المعروف بالكعبي ، من معتزلة بغداد ، وقال إن الله تعالىٰ لا يرى ولا يسمع ولا يريد على الحقيقة ، وتأوَّل وصفه بالسمع والبصر والإرادة بأنه عليم بالمسموعات التي يسمعها غيره ، والمرئيات التي يراها غيره ، وأنه لم يزل مريداً بإرادة أزلية ، ووصفه بالإرادة مجاز .

كلارك ..... **Clarke** ....

(١٦٧٥ ـ ١٧٢٩) صامويل كلارك ، إنجليزي ، ولد في نورويتش ، وتعلَّم بكيمبردج ، وبرز في دراسته كشارح لفيزياء نيوتن ومعارض بها لفيزياء ديكارت ، وصار صديقاً لنيوتن وعندما تسلَّمت الأميرة كارولين رسالة من لايبنتز ، وكانت قد تعرَّفت عليه في ألمانيا ، ينتقد فيها نيوتن ويتهمه بالعمل على تقويض الدين في إنجلترا ، لم تجد الأميرة سوى كلارك ليرد عليه باعتباره أعلم أهل زمانه من الإنجليز ، واستمرَّت مراسلات لايبنتز وكلارك حتى انقطعت بوفاة لايبنتز ، وتضمَّنت خمس رسائل من لايبنتز وخمسة ردود من كلارك ، ذهب فيها إلى أن المكان والزمان كائنان متجانسان لامتناهيان وليسا علاقيين كما ادَّعى لايبنتز . وتقوم شهرة كلارك على مجموعتين من المحاضرات تدعى محاضرات بويل ، نشرت له ضمن أعماله الكاملة تحت عنوان « مقالة في وجود الله وصفاته A Discourse Concerning The Being and Attributes of God » (١٧٠٤ ـ ١٧٠٥) تصدَّى فيها للرد على « هوبز وسبينوزا وغيرهما من مفكري الدين الطبيعي والدين المنزَّل » ، وكان هوبز يقول إن الخير والشر نسبيان ، لكن كلارك أقام الأخلاق على قانون الصواب الأبدي ، ووصفه بأنه قانون الطبيعة ، ويستلزم أن نعامل الناس كما نحب أن يعاملونا في المواقف المشابهة ، وأن نسعىٰ لما فيه خيرهم وسعادتهم ، وأرجع الشر إلى الفهم الخاطىء أو التربية الفاسدة أو الأنانية ، وجعل العقل هو محل الصواب والخطأ ، ولكنه قرنه بالإرادة في مجال

الأخلاق ، فبدون الإرادة قد نعلم الصواب ولكننا لا نفعله . وشبه الأحكام الأخلاقية الفاسدة بالتناقض في الاستدلال الرياضي ، وقد انتقد جوزيف بتلر منه ذلك باعتباره تجريداً مسرفاً لا يجوز في مسائل الأخلاق ، وأنكر عليه هتشسون وهيوم إغفاله لدور الانفعالات والمشاعر في الحكم على المناسب وغير المناسب .

كليانية Totalitarianism

(انظر الفاشية) .

كليفورد Clifford

(١٨٤٥ ـ ١٨٧٩) وليام كنجدن كليفورد ، إنجليزي ، ولد في إكستر وتعلّم بكيمبردج وعلّم بها ، وكان مبرزاً في الرياضيات ظاهر الموهبة في الفلسفة ، لكن الموت بالسل عاجله قبل الأوان ، فلم يترك سوى محاضرات ومقالات جمعت ونشرت بعد وفاته ، أهمها « **محاضرات ومقالات Lectures and Essays** » (١٨٧٩) ، و « **الإدراك السليم في العلوم الدقيقة The Common Sense of The Exact Sciences** » (١٨٨٥) ، واشتملت فلسفته على بحوث في نظرية المعرفة العلمية والميتافيزيقا العلمية . والمعرفة عنده شكل ومضمون ، وهي استجابة بيولوجية للعالم ، وتلاؤم فردي وجماعي معه ، وكل العلوم حتى الهندسة أشكال من الخبرة الحياتية وأحاسيس تتحول إلى قدرات عصبية ، فيكون الشيء مضموناً للخبرة في يوم من الأيام ، ويتحول بعملية بيولوجية إلى شكل يحتوي مضموناً لخبرة جديدة ، فكأنّ ما هو مكتسب اليوم يصبح موروثاً غداً . وليس كل ما في الوجود يمكن إدراكه بالحواس ، ولا يلزم لكل اعتقاد أن يقوم على الشواهد طالما أننا نقبل المبدأ الذي يقول إن الأسباب المتشابهة تتشابه نتائجها ، والأنا من الموضوعات التي لا ندركها بالحواس ولا يقوم الاعتقاد بها على أساس علمي ، والموضوعات الظاهراتية هي التي ندركها بالحواس، وهي المعطيات التي تبدو بوصفها ظواهر في وعيي الخاص ، لكن انطباعاتي التي أسقطها خارج وعيي وأدركها على أنها خارج وعيي هي انبثاقات Ejects ، ومن هذه الانبثاقات أنا الشخص الآخر ، فهو ليس موضوعاً لوعيي ، لكنه انبثاق عن هذا الوعي . غير أن هناك انبثاقات تخصني وأخرى تخصّ غيري ، بمعنى أنه بالإضافة إلى وعيي يوجد وعي آخر ، والموضوع المعطىٰ لوعيي ولوعي الآخر هو موضوع اجتماعي . والانبثاقات هي انطباعات ، والانطباعات أحاسيس ، وطالما أنها يمكن أن تخصني أو لا تخصني ، أي يمكن أن تكون في محتوىٰ وعيي أو خارجه ، فهي يمكن أن تكون هي الشيء في ذاته من حيث أنها مستقلة عن كل وعي ، والشيء لذاته من حيث أنها لا تنتسب لشيء آخر . وتتألف هذه الانبثاقات أو الأحاسيس من « المادة الذهنية Mind - Stuff » أي إنها تتألف من عناصر أو ذرات مادية ونفسية ، بمعنى أن لها شكلاً ومضموناً ، وهي الجوهر الكامن وراء كل الموجودات ، والذي يوحّد بينها ، وعلى ذلك يمكن النظر إلى العالم من وجهة مادية أو من وجهة نفسية ، أو ربما كان تفسير ذلك عند كليفورد أنه يذهب إلى القول بشمول النفس Panpsychism . وهو يبني على هذه الميتافيزيقا العلمية فلسفة أخلاقية ، ويجعل للإنسان ذاتاً فردية وأخرى اجتماعية ، والأولى يحكمها مبدأ اللذة والأنانية ، والثانية غيرية موروثة ، والصراع يدور بينهما للأبد ، والذات الاجتماعية أصلها قبلي ، ومن الصراع وإدانة الذات الاجتماعية للذات الفردية يتولد الضمير ، والخير الأخلاقي هو الخير الاجتماعي الذي يزيد من كفاءة الجماعة وقدراتها على البقاء ، والغاية من الأخلاق تربية الفرد تربية اجتماعية ليصبح المواطن الصالح . ويشبه كليفورد نيتشه في كراهيته للدين المسيحي ، ويُنسب إليه تدمير حضارتين ، ويزعم أن القساوسة أعداء للإنسانية والمجتمعات والأخلاق ، لكنه يقرّ بأن للإنسان عاطفة دينية يسميها عاطفة كونية تنفعل لعظمة النظام الكوني وتهفو إلى الكشف عن أسراره ، والعلم هو وسيلة الإنسان ، وبه يدعم مملكته على الأرض .

كليمنت الإسكندري Clement of Alexandria

(نحو ١٥٠ - ٢١٣ م) من علماء مدرسة الإسكندرية الدينية المسيحية ، ولد من أبوين وثنيين ، ربما في أثينا ، وتنقّل بين عدة مدن قبل أن يحطّ رحاله في الإسكندرية ويستقرّ بها ، يتلقّىٰ الفلسفة على أساتذة المسيحية بها ويكتب ويعلّم حتى اضطرّ إلى الهرب تحت وطأة الاضطهاد الروماني وماتَ في فلسطين ، وله ثلاثة مؤلّفات هي « **الموعظة** » يهاجم فيه الوثنية ومدارسها ويدعو القارىء إلى المسيحية ، و « **المؤدب** » ويقصد به المسيح الذي يجب أن يقتدي المسيحيون به ، و « الكشكول » عبارة عن أشتات من الأراء الفلسفية يسميها ملحوظات غنوسية ، وهو يصرّ على استخدام كلمة غنوسية مع أن الغنوسية بدعة مسيحية ، وكليمنت من أهل السنة الداعين إلى تعاليم الكنيسة الأولى ، ولكنه كان يرى أن الغنوسية تعني المعرفة ، وأن للمسيحية نظامها المعرفي الحق الذي تطوّر عن العقيدة والذي يختلف عن هرطقة وتأليفات الغنوسيين ، وكانت الإسكندرية تموج بالمذاهب الغنوسية ، وأرادَ كليمنت أن يخلص المسيحية من القول بوجود إلٰهين واحد للخير والآخر للشر ، ومن التعاليم الباطنية التي تجعلها مذهباً صوفياً أو سرياً، ومن الحتمية التي تقول بأننا نولد ربانيين أو ماديين ، ويلجأ إلى الفلسفة الحقة يستعين بها على سد الثغرات التي لم تخض فيها العقيدة المسيحية ، والأفلاطونية عنده خير مذاهبها ، ويعتبر أفلاطون ملهماً ، وهو يتحدث عن أفلاطون الذي تتفق آراؤه مع تعاليم التوراة طبقاً لوجهة نظر فيلون اليهودي .

كمبانيللا .... Campanella

(١٥٦٨ - ١٦٣٩) توماس كامبانيللا ، إيطالي ، شيوعي طوباوي ، انضم إلى رهنة الدومينيكان وعمره خمس عشرة سنة ، واعتنق آراء الفيلسوف الطبيعي تيليسيو Teleseo وعارض الاسكولائية ، ولم يعجبه أرسطو ، وانخرط في السياسة ، وتمرد على الاحتلال الاسباني ، وحرض الفلاحين على الثورة ، وتنبأ بالثورة الاشتراكية ، وطالب بإلغاء الملكية ، ولذلك قبض عليه الاسبان ، وسجنوه في نابولي مدة ٢٧ سنة ، واعتبروه شخصاً شديد الخطورة ، وكان يقرأ ويكتب في السجن ، ويهرب أصدقاؤه ما يكتب وينشرونه خارج نابولي ، وعندما أفرجوا عنه ، أعادوا القبض عليه بأمر مجلس التفتيش ، وبتهمة الكفر ، لكنه استطاع الإفلات من مستجوبيه ، وعادوا إلى اتهامه بالتآمر ، وتدخل البابا وساعده على الفرار إلى فرنسا ، فعاش في دير الدومينيكان بقية عمره في شارع سان أونوريه بباريس ، وأكرمه الملك لويس الثالث عشر والكردينال ريشليو .

وكانت عناية كمبانيللا الأولى بمسألة المعرفة ، واضعاً بذلك اللبنات الأولى للاتجاه العام الذي استنه من بعده عدد كبير من الفلاسفة ، وكان أول فيلسوف يطرح قضية الشعب ويقيم على أساسه مذهبه ، ويقول بالوعي الذاتي كأساس للمعرفة ولليقين ، وميز بين المعرفة الباطنة Notitia Innata والمعرفة المكتسبة Notitia Illata ، ووصف المعرفة الباطنة بأنها حس باطن يظهرنا على وجودنا مباشرة بصفة لا تحتمل الشك ، وهي من صميم جوهر النفس ، والمعرفة المكتسبة هي معرفة النفس بالعالم الخارجي . والمعرفة الباطنة أسمى وأكثر يقيناً من المعرفة المكتسبة ، لأن النفس لا يأتيها الخطأ من باب ما يخص طبيعتها . وتأتينا المعرفة المكتسبة من مصدرين الحدس والتجريد ، ويظهرنا الحدس مباشرة على الواقع المادي فلا يفوت العقل المحيط النفاذ منه شيئاً ، بينما لا يعطينا التجريد منه إلا صورة مضطربة مشوهة . وتقوم عملية المعرفة على الاحساس واستيعاب موضوع المعرفة ، ويتم الاستيعاب باتصال العارف بموضوعه ، والعارف وهو يعرف يوجد ،وهو يستوعب موضوعه حتى ليصير موضوعه ؛ والعارف وهو يتعرف على طبيعته يوجد ، مثلما يوجد وهو يتعرف على العالم ، ولكن المعرفة الأولى معرفة بالوجود الأصلي للعارف ، والثانية معرفة

أساسها الاستدلال ولا صلة لها بوجود العارف ، والمعرفة الأولى هي الوجود Esse ، والمعرفة الثانية تصبح ، عن قصد ، الوجود ممتلكاً الواقع خارج العقل . وموضوع الميتافيزيقا هو الوجود ، سواء داخل أو خارج العقل ، وينكر كامبانيللا وجود تمايز بين الماهية والوجود في الكائنات ، لكنه يقر بتمايز الماهية عن الوجود عموماً أو الوجود متمثلاً في الظروف والبيئة التي يحدث أن تتواجد فيها الماهية في العالم المادي . وتتألف كل الأشياء ، مادية كانت أو روحية ، في نهاية الأمر من القدرة والعلم والمحبة ، بدرجات متفاوتة ، وتسمى المبادىء الكلية أو الشروط الأولية للوجود ، وهي توجد في الكائنات وفي الله الذي تأتي المخلوقات صوراً باهتة منه ، لكن الله كائن صاف لانهائي ، والمخلوقات في مركبات من الوجود المتناهي واللاوجود اللامتناهي ، ويشارك الوجود واللاوجود في تركيب الأشياء المتناهية ، ليس باعتبارهما مكونين ماديين ، لكن باعتبارهما مبدأين ميتافيزيقيين . وتحب الكائنات البقاء ، وترمي إلى بقاء أبعد من بقاء الفرد ، والعلم بالذات مفروض في كل علم ، ومحبة الذات مفروضة في محبة أي شيء ، والغرض من المحبة حفظ الوجود ، وأعلى مظهر لحفظ الوجود أن يشارك الموجود مشاركة أبدية في وجود الله ، بأن ينزع للرجوع إلى الله ، والموجود يحمل في نفسه الوجود واللاوجود ، وحبه لذاته ونفوره من العدم يدفعه إلى أن يحب الله أكثر من حبه لنفسه ، وهكذا يصل الإنسان إلى الدين والأخلاق والسياسة ، ويطرح كامبانيللا نظريته في كتابيه « دولة المسيح Monarchia Messiae» و « مدينة الشمس Civitas Solis » ، على منوال يوتوبيا توماس مور وجمهورية أفلاطون ، وهو يحلم بأن تؤلف الإنسانية جميعها امبراطورية واحدة يديرها مجلس الملوك برئاسة البابا ، وتنتظم فيها المجتمعات وفقاً للعلم الطبيعي ، فيتقاسم الناس خيراتها ، ويحكمها الفلاسفة ، وتزول منها سلطة الأشراف ورجال الدين ، وتسقط الملكية الخاصة ، وتنتهي الأسرة وتقوم الحياة الجماعية ، ويكلف كل إنسان بما هو ميسر له من أعمال ، ويعطي من نتاج عمله على قدر حاجته ، فإذا تحقق أن صار الكل يعمل ، خف عبء العمل على الجميع ، وتهيأ لهم من الوقت أن يشبعوا هواياتهم في تحصيل العلوم ومطارحة الأحاديث وممارسة الرياضة .

كنط .... Kant

(١٧٢٤ - ١٨٠٤) عمانوئيل كنط ، ولد بكونجسبرج في بروسيا الشرقية (المانيا الشرقية) ، وكان أبوه سروجيا من أصل اسكتلندي ، تلقى تعليمه بالمدرسة الثانوية بالمدينة ، ثم بجامعتها التي أصبح محاضراً بها ثم استاذاً ثم مديراً لها ، وكانت حياته العقلية هي كل حياته ، فلقد استمر يدرس الفلسفة ٤٢ سنة ، وعاش ٨٠ سنة قضاها كلها في مدينة واحدة لم يبرحها ، وكانت حياته منظمة كالآلة في العمل والنوم والراحة ، ولم تتخللها حوادث ، ولم يتزوج ، وكان أول فيلسوف يقضي حياته مدرساً للفلسفة ، وطبعت حياته الجافة فلسفته ، أو أن فلسفته طبعت حياته ، وجاءت كتاباته مرتبة ومنظمة بشكل أكاديمي ، واختار لها عناوين ضخمة ، ولم يتيسر للكثيرين أن يحيطوا بمضمونها كله ، وكان يذكر بها اسماء مراجع لم يسمع بها أحد ، ويكتبها بأسلوب متحذلق أثر الصنعة فيه واضح ، وكانت أراؤه عن بعض الفلاسفة الكبار مضحكة ، كما كان مبالغاً في آرائه في بعض الفلاسفة من معاصريه ، لكنه بشكل عام أثر في عصره وشطر الفلسفة الحديثة شطرين ، ما قبل كنط وما بعده ، وسيطرت فلسفته على القرن التاسع عشر برمته ، وكانت نتاجاً أصيلاً لما استقاه من سابقيه ؛ ونستطيع أن نميز في فلسفته تأثير تيارين من تيارات الفلسفة الأوروبية ، أحدهما النزعة العقلية التي وصلته عن طريق استاذه Martin Knutzen بالصورة التي صاغها بها لايبنتس وفولف وبومجارتن ، وكان كنط ليبنتزياً على طريقته ، ولم يمنعه من أن يكون ليبنتزياً على طريقة ليبنتز إلا قراءته لنيوتن عن طريق استاذه

أيضاً . والتيار الآخر هو النزعة التجريبية التي قرأها عند هيوم ، وكان تأثيره شديداً عليه حتى وصفه بأنه « أيقظه من سباته الاعتقادي» . وتنقسم حياة كنط الفلسفية إلى مرحلتين ، ما قبل ١٧٧٠ وتسمى قبل النقدية ، وما بعد ١٧٧٠ وتسمى النقدية . وكلمة نقدية وضعها كنط نفسه حيث وصف فلسفته الناضجة بأنها مثالية نقدية ، أي مثالية تقوم على نقد الفلسفة العقلية ، وفيها كتب « **نقد العقل الخالص أو النظري** » (١٧٨١) ، و « **مقدمة لكل ميتافيزيقا مستقلة** » (١٧٨٣) و « **المبادىء الأساسية لميتافيزيقا الأخلاق** » (١٧٨٥) ، و « **المبادىء الميتافيزيقية للعلم الطبيعي** » (١٧٨٦) ، و « **نقد العقل العملي** » (١٧٨٨) ، و « **نقد الحكم** » (١٧٩٠) و « **الدين في حدود العقل الخالص** » (١٧٩٣) ، و « **السلام الدائم** » (١٧٩٥) ، و « **ميتافيزيقا الأخلاق** » (١٧٩٧) في جزءين ، الأول « **المبادىء الميتافيزيقية للحق** » ، والثاني « **المبادىء الميتافيزيقية للفضيلة** » .

ويجمع في كتابه « نقد العقل النظري » بين النزعتين العقلية والتجريبية اللتين أثرتا فيه ، وأراد به أن يحسم السؤال الذي ألح عليه باستمرار في قدرة العقل على التفكير في قضايا ما بعد الطبيعة ، وفي نسبة الحقيقة في هذا التفكير ، وفيما يمكن أن يبحثه العقل وما لا يمكن أن يبحثه . ويقصد بالعقل النظري أو الخالص العقل حينما يعمل منفرداً غير مصاحب لأية ملكة أخرى . والعقل كان دائماً مصدر الحقائق ، كالحقائق الرياضية ، وهي حقائق لا يختلف على ثبوتها أحد ، لكن البعض ينسب للعقل حقائق من نوع آخر ، هي في الواقع مزاعم ميتافيزيقية يصفها أصحابها بأنها حقائق هي الأخرى . ولم يشك كنط في المعرفة الرياضية ، لكنه شك في المعرفة الميتافيزيقية ، وفي قدرة العقل على الحصول على هذه المعرفة ، ولعله شيء له مغزاه أنه بمجرد أن يبدأ العقل في مناقشة مسائل الميتافيزيقا فإنه يضل ويدخل في متاهات ومتناقضات ، ومن ثم كان لا بد أن يحدد العقل المدى الذي يمكن أن يسمح لنفسه بالذهاب إليه عندما يناقش قضايا غير تجريبية أو غير حسية . ولعل خير بداية للإجابة على هذا السؤال تكون بمناقشة الأحكام ، لأن الأحكام أفعال عقلية تتجلى فيها المعرفة الحقة وتحتمل الصدق والكذب ويعتمد عليها العلم ، فإذا استطعنا التعرف على خصائصها والطريقة التي تتألف بها ، استطعنا من ثم أن نجيب على كل هذه الأسئلة وأن نقيم ميتافيزيقا علمية .

وكل الأحكام لا تخرج عن نوعين ، فهي إما تحليلية وإما تركيبية ، والتحليلية مثل « كل الأجسام ممتدة » ، فنلاحظ أن هذا الحكم قد استخرج المحمول من الموضوع، بمعنى أنه قد حلل الموضوع إلى عناصره ، لأننا نعرف عن الأجسام أنها التي تمتد أو التي تشغل حيزاً ؛ ونلاحظ أيضاً أننا لو سلبناه وقلنا « كل الأجسام ليست ممتدة » لاستحال ذلك منطقياً إذ كيف تكون أجساماً ولا تمتد وتشغل حيزاً ؟ ونلاحظ ثالثاً أنه حكم قد استقل عن كل خبرة ولا دخل لانطباعات الحواس فيه ، ومن ثم فهو حكم أولي أو قبلي ؛ وأنه حكم كلي ، أي لا احتمال ولا استثناء فيه ؛ وأنه ضروري ، أي صادق أو كاذب بالضرورة دون حاجة إلى تجربة صدقه أو كذبه ؛ وأنه لكل الأسباب السابقة حكم تفسيري لم يزد معرفتنا بالموضوع ولم يفدنا من الناحية العلمية .

والأحكام التركيبية ، على العكس ، يزيد محمولها على موضوعها ، وتزيد لذلك من معرفتنا بالموضوع ، مثل قولي « الحجر ثقيل » ، فالثقل ليس جزءاً من أجزاء الحجر ، وليس فكرة متضمنة في فكرة الحجر ، وإنما نحن نعرف بالتجربة أنه ثقيل أو خفيف أو متوسط الوزن ، غير أنه حكم تركيبه ذاتي ، بمعنى أنه يعبر عن حالة خاصة بي أحسب معها أن الحجر ثقيل ، في الوقت الذي قد يحس غيري أن الحجر خفيف . فإذا قلت « النحاس موصل للكهرباء » كان حكمي تركيبياً أيضاً ، لكنه موضوعي هذه المرة ، لأنه يعبر عن علاقة ضرورية بين المحمول والموضوع لا تتوقف على أي

شخص ، وهي علاقة كانت موجودة قبل أن أحسها وستظل موجودة للأبد ، ومن ثم فهو حكم أولي أو قبلي كالأحكام التحليلية مع كونه تركيبياً . فكيف يمكن أن يكون الحكم تركيبياً وقبلياً في نفس الوقت ؟ هذا سؤال رئيسي في فلسفة كنط ، وتتطلب الإجابة عليه نقد المعرفة النظرية والأخلاقية ، وفي اعتقاده ان الأحكام التركيبية القبلية تتمثل في الأحكام العلمية مثل « في كل تغيرات العالم المادي تظل كمية المادة بدون تغيير » ، وفي الأحكام الرياضية مثل « الخط المستقيم أقرب مسافة بين نقطتين » ، والتركيب في الأولى يقوم على الإدراك الحسي ، وفي الثانية يقوم على الخيال ؛ وهي أولية لأنها تترابط بمعان فكرية . لكن الأحكام الميتافيزيقية مثل « النفس خالدة » تبدو تركيبية وأولية ، لكن التركيب فيها ظاهري لأنه لا يقوم على الحس ولا على الخيال ، وليست أحكاماً موضوعية ، ولا تستحق أن تسمى علماً .

إن المعرفة العلمية الحقيقية هي المعرفة التي تتقوم بالحس والفهم ، أو التي مصدرها الإدراك الحسي والتفكير ، أو التي يكون موضوعها الوجود الخارجي ، وما يضيفه الفكر من عنده على التجربة . ومهمة النقد معرفة ما يأتينا من الخارج ، وما يضيفه الفكر عليه ، ويسمي كنط إضافات الفكر صوراً أو إضافات صورية ، ويسمي مذهبه بالفلسفة التصورية ، أو الترانسندنتالية ، وينعتها بأنها ذاتية تصورية ، ويميزها عن التصورية المطلقة التي تصف المدركات الحسية بأنها ظواهر وتقصد الحقيقة على ما يوجد في العقل من معان ، وتجعل العقل حدسياً ، بينما الحقيقة عند كنط في التجربة ، ومدركات العقل ظواهر ، والعقل نفسه صوري ووظيفة معانيه توحيد التجربة .

ولقد قلنا إن المدركات العقلية في العلوم الطبيعية تقوم على الإدراكات الحسية ، وقلنا إن المدركات العقلية في الرياضيات تقوم على الخيال ، فكيف يكون هذا ؟ وهل هناك موضوعات أخرى غير الإدراكات الحسية ؟ يقول كنط ان التفكير له قوة الحساسية الصورية ، وهي غير الحساسية التجريبية ، فالحساسية التجريبية تدرك ما يصلها من أحاسيس مصدرها العالم الخارجي ، كاللون والصلابة والطعم والرائحة والحرارة ، وهي كيفيات بحتة ، إلا أننا ندركها في الزمان والمكان ، أي أن الحساسية الصورية تضفي صورتي المكان والزمان على المدركات الحسية الخارجية ، وترتب ما نحسه ترتيباً مكانياً وزمانياً ، فالمكان والزمان مدركان عقليان قبليان نطبقهما في مجال الرياضة وبهما تكون الرياضيات الخالصة ممكنة ، وتكون الرياضيات علوماً أولية ؛ والحساب هو علم الزمان لأن العدد يتكون من آنات الزمان المتعاقبة ، والهندسة هي علم المكان ، فإذا لم يكن المكان والزمان صورتين أوليتين موضوعتين كانت المقادير الرياضية تجريبية ، وكانت قضاياها نسبية وانهارت الرياضيات البحتة .

غير أننا في مجال العلوم الطبيعية نطبق أحكاماً تركيبية قبلية من نوع آخر لا تميز الزمان ولا المكان ، كقولنا ان حادثة جزئية سببت وقوع حادثة أخرى غيرها ، أو أن لكل حادث سبباً ، وهو ما نطلق عليه مبدأ السببية أو العلية ، ويطلق كنط على المدركات العقلية التي لا تميز الزمان ولا المكان اسم المقولات ، ويرتبها في جدول شامل مثلما فعل أرسطو ، يستعين فيه بمفاتيح يميز بها بين الأحكام الذاتية المستندة إلى الإدراك الحسي ، مثل قولي «إني أرى هذا الشيء أخضر» ، وبين الأحكام الموضوعية التجريبية التي لها نفس المضمون الإدراكي السابق ، مثل قولي «هذا هو اللون الأخضر» ، ويميز بها بين الأحكام الموضوعية التجريبية ، مثل قولي « الحرارة تبخر الماء » ، وبين صورتها « س تسبب ص » ، وبها نتبين أن الصور المنطقية للحكم التجريبي الموضوعي هي نفسها المقولات . فإذا طبقناها من بعد على ما ندركه من مجال إدراكنا الحسي ، جردناه من ذاتيته وأحلناه حقيقة موضوعية بالإضافة إلينا ، أي جعلناه شيئاً موجوداً له قيمته المستقلة عن وجودنا الشخصي ، واستحال جوهراً يدخل في علاقات

سببية مع الجواهر الأخرى ويتفاعل معها . وهذا التوحيد للظواهر الذي تقوم به المقولات ، بإيجادعلاقات كلية ضرورية بينها ، هو العقل الجوهري للفكر ، يصحبه شعور عقلي ذاتي خالص من كل موضوع ترجمته أنا أفكر ، وفي قلب الفكر توجد الوحدة الضرورية للإدراك ، وهي الذات الخالصة أو الأنا أفكر التي تفرض المقولات ، وكل وعي تجريبي بالذات يقوم على افتراض سابق بتطبيق المقولات ، ومن ثم فالذات أو الأنا التجريبي الذي يدرك حالاته الخاصة ليس هو الذات أو الأنا أفكر الذي يفرض المقولات ، فإذا كانت المقولات هي التي تؤلف الأشياء فإن الأحكام التركيبية غير الرياضية تكون المبادىء التي بها يتم تطبيق المقولات ، أو تكون الشروط التي تجعل الخبرة الموضوعية ممكنة في مقابل الذات المدركة للموضوع إدراكاً مفككاً ، وهي شروط زمانية لأنها تفترض ان الاشياء والادراكات الحسية تقوم كلها في الزمان وفي مقابل المقولات تقوم مبادىء ، فمقولات الكمية يقوم مقابلها مبدأ « أن كل الحدوس مقادير متصلة » لأنها معروضة في المكان والزمان اللذين هما مقداران متصلان . وفي مقابل مقولات الكيفية يقوم مبدأ « في كل ظاهرة ، الشيء الواقعي موضوع الإحساس حاصل بالضرورة على كمية شدة أو درجة » لأن الأشياء لا بد لها من درجة تأثير على حواسنا لكي تحدث الإحساسات . وفي مقابل مقولات الإضافة يقوم مبدأ شقه الأول ان الجوهر لا تزيد كميته ولا تنقص بتعاقب الظواهر، وشقه الثاني أن الخبرة الموضوعية غير ممكنة إلا بقيام رابطة ضرورية بين المدركات الحسية أو أن التغيرات تقع طبقاً لقانون ترابط العلة والمعلول ، والشق الثالث أن جميع الجواهر من حيث هي مدركة باعتبارها متآنية في المكان متفاعلة تفاعلاً تاماً . ولكل من مقولات الجهة مبدأ ، الأول كل ما يتفق والشروط المادية للتجربة فهو ممكن، والثاني كل ما يتفق والشروط المادية للتجربة فهو موجود في الواقع ، والثالث كل ما يتفق مع الوجود الواقعي تبعاً للشروط العامة للتجربة فهو ضروري . ويترتب على ذلك أن ليس في الطبيعة صدفة او علية عمياء ، وإنما يتوقف كل شيء فيها على شروط ويحدث بضرورة معقولة . ومبادىء الكمية والكيفية رياضية تبرر تطبيق الرياضيات على العلم الطبيعي ، ومبادىء الإضافة والجهة تعني الاشياء بعلاقاتها فيما بينها أو بعلاقاتها بقوتنا المدركة فهي مبادىء دينامية أو مبادىء حركة وتغير تقوم عليها قوانين الطبيعة .

ونخلص من ذلك إلى أن الطبيعة كي تكون معلومة لا بد أن تتطابق مع شروط الفكر ، أو بمعنى آخر ، وهذا هو أصعب جزء في الفلسفة الصورية ، ويسمى الاستنباط الصوري أو الترانسندنتالي ، أن شروط الطبيعة تستنبط من شروط الفكر ، أو أن الاشياء لا تكون أشياء إلا إذا قبلت التشكل بالمقولات . والقول بأننا نستخدم المقولات حين نفكر في موضوعات الواقع ، وأن استخدامها هو الذي يؤلف الواقع الموضوعي هو أهم إسهامات كنط في نظرية المعرفة وفلسفة العلم ، وهو الانقلاب الذي استحدثه والذي شبهه بانقلاب كوبرنيقوس في الفلك ، إذ جعل الأشياء تدور حول الفكر بعد أن كان الفكر هو الذي يدور حول الأشياء .

والميتافيزيقا عند كنط هي العلم الذي يدعي إدراك موضوعات خارجة على نطاق التجربة ، وهو يرى أنه يذهب بغير حق من الأشياء كما تبدو لنا من خلال الصور الفكرية إلى الأشياء كما هي في نفسها ، وهو يرفض قبول الميتافيزيقا كعلم بالشيء بالذات ، ولو كان لنا حدس عقلي لكانت الميتافيزيقا علماً ، لكن حدسنا حسي وليس عقلياً . والاعتقاد بأن العقل الإنساني يستطيع أن يضع هذا العلم وهم منشؤه الاستخدام غير السليم لصور العقل التي نستخلصها من الاستدلال المفارق الذي يمضي من الوجود التجريبي إلى وجود لا يقع في نطاق التجربة بل يجاوزها ويركب أقيسة فاسدة تنتقل به المعاني إلى أشياء خارجة عن متناول الفكر تزودنا بموضوعات مصطنعة لنظام ميتافيزيقي مصطنع يحتوي على معرفة قبلية مزعومة عن الروح والعالم والله ، كلها مغالطات ، يهتم كنط منها جميعاً بالبراهين

المزعومة على وجود الله ، وخاصة البرهان الوجودي الذي يتمثل فكرة الكائن الكامل ما دام عدم الوجود نقصاً ، ومن ثم يكون الكائن الكامل واجب الوجود ، وينقد كنط هذا الدليل باعتبار ان الوجود ليس محمولاً .

ويخلص من كل ما سبق إلى استحالة إقامة ميتافيزيقا نظرية ، فالمعرفة عنده حسية عقلية على السواء ، لأنها الحصيلة المشتركة للإدراك الحسي وللتفكير ، وما لا نستطيع إدراكه حسياً ينبغي أن نجعله موضوعاً لتفكيرنا ، لكننا لا نستطيع أن ندعي معرفته ، وبوسعنا أن نفكر ، بل ينبغي أن نفكر ، أن هناك شيئاً خارج الزمان والمكان والمقولات ، هو الشيء في ذاته ، وهو المعقول أو النومين ، لا ندركه بالحس ، لكن بوسعنا أن نفكر فيه ، ومن أجل ذلك يطلق كنط على مذهبه المثالية الصورية او الترانسندنتالية Transcendental ، مقابل المثالية المفارقة Transcendant التي تزعم معرفة الشيء في ذاته . ولا يرمي الجدل الصوري إلى رفض موضوعات الميتافيزيقا ، لكن إلى إثبات أن ادراك وجودها وماهيتها متجاوز لقدرة العقل البشري .

هذا فيما يختصّ بالعقل النظري ونقده ، أما العقل العملي ونقده، فيختصّ بمناقشة المبادىء التركيبية القبلية خلف معرفتنا بما ينبغي أن نفعله . وعندما نحلل الفعل الإنساني ينكشف لنا القانون الأخلاقي الذي يقوم عليه ، والفعل لا يكون أخلاقياً إلاَّ إذا كنت أراني قادراً على أن أريد له أن يكون قانوناً كلياً ، وبهذا المحك الصوري تنقسم المبادىء إلى أخلاقية ولاأخلاقية ، مثل انقسام الأقيسة بالاختبارات الصورية إلى صحيحة وفاسدة. وكل شيء في الوجود يتم بمقتضىً قانوني ، والإرادة الصالحة هي قانون الخلقية ، وهي إرادة العمل بما يفرضه الواجب ، والأفعال قد تصدر عن الشعور بالواجب ، وقد تصدر مطابقة للواجب ، وسيجد المرء أنه في الأولى يكون في صراع مع رغباته وميوله الطبيعية ، وأنه في الثانية بفعل ما يقصد من ورائه منفعة مادية أو روحية . ولكن الواجب بهذه الصفة معنى عقلي ، فكيف يمكن أن يكون دافعاً نفسياً ؟ عندما أصدر أفعالي احتراماً للواجب ، فإني اجعل الواجب دافعاً نفسياً ، ولا يكون الاحترام لغير الواجب ولغير القانون الخلقي ، فإذا أظهرت احتراماً للأشخاص فلأنهم يمثلون القانون الخلقي بما يكونون عليه من فضيلة ، واحترامي صادر لا عن خشية ولا ابتغاء مرضاة أحد أو تحصيلاً لمنفعة ، بل صادر عن العقل وحده . لكن الدوافع الحسية ستعارض الواجب وتنقص من الإرادة ، ومن ثم يصبح القانون الخلقي ضرورة ، ويستحيل أمراً يقيد الإرادة ويلزمها ، وسيكون أمراً مطلقاً لأنه غير متوقف على شرط ولا يطمح إلى غاية ، ومن ثمَّ سيتصف بالكلية ، بمعنى أني سأعمل طبقاً لما أريد لغيري أن يعمل وفقاً له ، فقانوني سأطلبه قانوناً للآخرين ، أي سيكون قانوناً كلياً ، وسوف أعمل وكأني أمثل الإنسانية والآخرين ، ولن يكون لعملي غاية أو دوافع ، لأن أمثال هذه الدوافع والغايات ذاتية وليست كلية ، وإذا جاز أن يكون لعملي غاية لأن كل عمل لا بد أن تكون له غاية ، فغايتي يضعها عقلي ولا ترتبها الظروف الخارجية ، ولن يرجع العقل إلى شيء خارجه ، وسيشرع العقل لنفسه ، وسأعمل كما لو كنت أنا مشرع القانون ، ولن يكون ما أعمله مفروضاً علي ، ولكنه قانوني استننته لنفسي بوصفي ممثلاً للآخرين وللإنسانية ، ولن يقيد إرادتي ويلزمها لأن إرادتي ستكون إرادة مشرعة ، وستتأكد استقلاليتها ، الإرادة المستقلة صفة الإنسان العاقل ودليل الحرية ، والإرادة والحرية خاصتان متكاملتان للإنسان العاقل ، بحيث يمكن أن نقول إن الإرادة الحرة صفة الإنسان العاقل ، ولا يعمل الإنسان بإرادة إلاَّ في ظل الحرية ، وإذا كان على الإنسان واجب فلا بد أن تكون له القدرة على أدائه ، والقانون علة علمنا بالحرية ، والحرية علة وجود القانون . لكن ماذا يعمل الإنسان ؟ إنه يفعل الخير ، وليس الخير هو الخير الحسي ، ولكنه الخير الخلقي ، أي ممارسة الإرادة الحرة للواجب ، وبهذا تتحقق الفضيلة وتكون للإنسان السعادة ، لكن الفضيلة والسعادة متغايران ، فالفضيلة ترجع إلى القانون

الخلقي ، وهي معنى كلي ، والسعادة معنى حسي ، فكيف يمكن أن يتوافقا ؟ لا سبيل إلى ذلك إلاّ بافتراض موجود مفارق للطبيعة يمكن أن يجتمع فيه المعنيان هو الله ، فإذا كان العقل النظري قد عجزَ عن التدليل على وجوده ، فقد استلزم العقل العملي افتراضه ، والتسليم بما يؤدّي إليه إقرار بتقدم العقل العملي على العقل النظري ، فإذا سلمنا بأن الواجب لا يقتضيه العقل وحده ، بل يأمرنا به الله ، انتهينا إلى الدين ، ونلاحظ أن الدين لم يسبق الأخلاق ولم يحددها ، وأن الأخلاق ، على العكس ، هي التي أدَّت إلى الدين .

كورنو .... **Cournot**

(١٨٠١ - ١٨٧٧) أنطوان أوغسطين كورنو ، فرنسي ، شهرته كرياضي ومؤسّس علم القياس الاقتصادي تفوق شهرته كفيلسوف . تخرّج من مدرسة المعلمين العليا ، وطبَّق نظرية الاحتمال في مجال العلوم الطبيعية والاجتماعية معاً . أهم كتبه « **عرض نظرية الصدف والاحتمالات Exposition de La Théorie des Chances et des Probabilités** » (١٨٤٣) و « **المذهب المادي والمذهب الحيوي والمذهب العقلي Materialisme, Vitalisme, Rationalisme** » (١٨٧٥) .

ويرفض كورنو كل الفلسفات القطعية ويقول بنسبية المعرفة وبالاتفاق أو الصدفة ، بمعنى أن ما يحصله العقل من معارف جزئية من النادر أن يكتمل ويبلغ اليقين ، وهي معارف بما بين الأشياء من نسب وعلاقات موضوعية ، والمعرفة التي تحققها نسبية ومحتملة ، ومن ثمَّ لا يجوز القول بالضرورة المطلقة . ويميز كورنو بين السبب الذي هو الجانب الكلي المجرد ، والقوانين والعلاقات المطردة التي بمقتضاها تكون الأشياء ، ومجالها المعرفة العلمية أو العلم ، وبين العلة التي هي الظروف الخاصة ، من زمان ومكان وغيرهما ، التي لا تطرد ، والتي لا تفسر إلاّ بالرجوع لظواهر سابقة إلى ما لانهاية ، ومن ثمَّ فهي ظروف اتفاقية ، أي تقع مصادفة وتخرج عن نطاق القوانين والعلم . وإذا كان هناك مجال للاتفاق كان هناك أيضاً مجال للحرية .

كوليردج **Coleridge**

(١٧٧٢ - ١٨٣٤) صامويل تايلور كوليردج ، ناقد وشاعر رومانسي وفيلسوف إنجليزي ، أذاع في بلاده أدب وفلسفة الرومانسيين الألمان ، وكان قد بدأ تطوره الفلسفي باعتناق نظرية دافيد هارتلي في التداعي وما تذهب إليه من القول بالجبرية ، وبعد أن انكبَّ على دراسة لوك وجودوين اعتنقَ الاشتراكية وانضمَّ إلى روبرت سوثي ليؤلّف ضمن ١٢ عضواً مع زوجاتهم مجتمعاً صغيراً اشتراكياً مثالياً ، لكن المشروع فشل ولم ينتج عنه إلاّ زواج كوليردج بأخت زوجة سوثي ، زواجاً فاشلاً ، باعد بينه وبين حبه الوحيد من سارة هاتشينسون التي التقى بها عند الشاعر وردزورث، والتي ألهمه صدها أعذب أشعاره . وعندما قرأ باركلي بدأ مرحلة جديدة من تطوره ، وانصرف عن مفهوم هارتلي السلبي للعقل إلى فكرة باركلي في مشاركة العقل المتناهي للعقل اللاّمتناهي في الخلق عندما يقوم بالتصوّر والتخيل . ثم سافر إلى ألمانيا مع أسرة وردزورث والتحق بجامعة جوتنجن ليصقل ألمانيته وهضم كنط وهيردر وهاين وشليجل والرومانسيين الألمان ، واتجه بقوة نحو الإيمان ، وكان الدين بالنسبة له ممارسة على أعلى مستوى لكل الطاقات الروحية في الإنسان ، وكانت الفلسفة تدريباً عقلياً يهيّء الإنسان ليتذوق بشكل أكمل علاقته بالله ، بأن يتعرف على قوانينه التي تحكم العالم (الفلسفة الطبيعية) والتي تحكم الإنسان خاصة (الفلسفة الخلقية) . وما يتبقّى من الفلسفة ، وهو نظرية المعرفة ، يبحث في مدى كفاءة العقل على التوفر على الموضوعين السابقين . وهو يميز بين الفهم وبين العقل ، ويجعل من الفهم قوة استدلالية تركب ما تستقبله الأحاسيس ، وتفكر وتعمم وتحكم ، ومن العقل قوة حدسية تقدم مبادىء التركيب وقواعده

المنطقية ، أو الأفكار والمثل ، ويتجه إلى مجهول يشوقه باستمرار ويكدح إليه كدحاً ، يحدوه وجد ديني لا تعرفه التجربة العلمية .

وينكر كوليردج وجود تناقض بين العقل والطبيعة ، ويرفض الأثنينية، ويقول إن الطبيعة عقل أو روح نائم لا يعي نفسه ، توجد في الزمان والمكان ، وتخضع للعلية ، ولكن العقل يتأصَّل بأفعاله (أي بأفعال الله)، ويوجد في الحرية . ولا تفسير لهذا الاختلاف الكيفي بين الطبيعة والعقل إلَّا بافتراض علة أولى ، لا هي بالعقل ولا بالطبيعة ، لكنها مبدأ ، ليس بالشيء الطبيعي لأنها لم تكن نتيجة شيء ، وليست بالعقل لأن العقل لا يوجد إلَّا بنفي الطبيعة ، ولكنه الله الذي يتحقق في الإثنين . والله هذا الجدل الصوري ، أن الوجود وجود أضداد ، ينسج الفنان حقيقته، بالتوفيق بين الأضداد ، بأن لا يقلد الواقع بل يرمز إليه ، ويضم الفنان في نفسه ، بوصفه خالقاً ، الطبيعة والفكرة ، أو المادة والشكل ، ويرمز إلى الله ، ويعاني مثله الاغتراب كي يخلق ، ويفقد فرديته في نشوة الخلق ، ويبتعد بذاته عن الطبيعة كيما يعود إليها مملوءاً بالحماس ، وابتعاده يكون بالخيال ، وخيالد كخيال سارتر هو العدم ، أو هو الخيال الذي يحلل ويبعثر ويبدد ويلاشي ويعدم كي يخلق .

ويهاجم كوليريدج النفعية على أساس عدم تفريقها بين الطيب واللذيذ ، ويميز بين الطيب لأنه مطلوب ، وبين ما ينبغي أن نطلبه لأنه طيب .

كندي ..... Alkindi ...

(نحو ٨٠٣ - ٨٧٣ م) أبو يوسف يعقوب بن إسحٰق الكندي ، من قبيلة كندة العربية ، ولد بالكوفة وكان أبوه أميراً عليها ، وتلقَّى علومه فيما يبدو بالبصرة وبغداد ، وربما كان هذا ما حدا بالبعض أن يقول إنه ولد بالبصرة ، واشتغل في بدء حياته بالترجمة من اليونانية إلى العربية ، وبمراجعة ما كان يقوم غيره بترجمته منها ، ومن ذلك كتاب أوثولوجيا أرسطاطاليس المنحول على أرسطو ، وكان مثله الأعلى في الفلسفة أرسطو ، ومارس التأليف في علم الكلام على مذهب المعتزلة، فاعتمد مثلهم على العقل وقال بالتوحيد والعدل ، وردَّ على الزنادقة أحمد بن الراوندي ، وحاولَ التوفيق بين العقل كمصدر وحيد للمعرفة وبين الوحي كمصدر لمعرفة الأنبياء والفلاسفة يربط عقل النبي بالعقل الإلٓهي عن طريق الروح الأمين أو العقل الفعال ، وهذا العقل الفعال هو فيض من فيوض الله ، ويتبع الكندي الأفلاطونية المحدثة ويفسر خلق العالم بنظرية الفيوض أو الصدور ، ويتجلى فعل الله في العالم عن طريق الوسائط ، فالأعلى يؤثر فيما دونه وهكذا ، وتترابط الوسائط فيما بينها ترابط العلة بالمعلول ، ويعكس كل موجود سائر الموجودات ، والله الواحد صدر عنه العقل الواحد أو العقل الكلي ، وعن العقل الكلي صدرت النفس الكلية ، وعنها صدرت الكواكب والأرض والبشر والعالم المادي كله يشبه الجسم الحي والنفس هي التي تحركه . والنفس الإنسانية جزء بسيط انفصل عن الأصل وما يزال يحمل ذكرياته ، وهي جوهر خالد لكنها حبيسة الجسم ، وهو أيضاً وسيلتها لأداء أفعالها . وخلاص النفس بإطلاقها من إسار البدن وشهواته ، بالزهد والتقوى والتأمل العقلي . والمعرفة عند الكندي تقوم على الحواس التي يكون بها إدراك الجزئيات ، وعلى العقل الذي يكون به إدراك الكليات . والعقل عنده أربعة عقول ، عقل هو بالفعل دائماً ، وهو الله علة كل المعقولات ، وعقل هيولاني موجود في الإنسان بالقوة لا بالفعل ، موجود لدى الأطفال ، لا يدرك المعقولات لكن لديه الاستعداد لإدراكها مستقبلاً ، وعقل بالملكة ، هو الذي صارَ للراشد بالفعل ، وهو قدرته على إدراك المعقولات واستخلاص المعاني بالتجريد من الجزئيات المادية ، ويتميز به كل فرد عمَّن سواه . والعقول الثلاثة الأول يتابع فيها الكندي الإسكندر الإفرودويسي ولكنه يزيد عليه بالعقل المبين الذي هو فعل الإنسان ذاته وحصيلة عمله في العالم المادي ، في مقابل العقل بالفعل الذي

هو هبة من الله وفيض من فيوضه .

ولكن الكندي تجاوز التفكير الفلسفي واعتقد كالفيثاغوريين بوجود قوى خاصة خفية للأعداد ، واشتغل بالكيمياء الكاذبة ، وبرغم ذلك فقد اعتبره بعض فلاسفة الغرب أحد أعظم اثني عشر فيلسوفاً .

كوبرنيق .... Copernicus

(١٤٧٣ - ١٥٤٣) نيقولا كوبرنيق ، قسيس وطبيب وفلكي ، ولد في تورين أو ثورن من أعمال بروسيا ، لكن بولندا تدعيه ، ودرس الفنون الحرة والشريعة والطب بجامعات كراكو وبولونيا وبادوا ، وحصل على الدكتوراه في الشريعة من جامعة فيرارا ، واشتهر في مطلع حياته كطبيب وإداري واقتصادي ، ولم يعرف كفلكي إلّا سنة ١٥١٤ ، ودعاه الباب لإصلاح التقويم ، ولكنه اعتذر لأنه لم يكن قد انتهى تماماً من تشكيل مذهبه ، واستغرق منه ذلك نحو إحدى وثلاثين سنة ، ابتداءً من ١٥١٢ حتى ١٥٤٣ ، وكان قد انتهى من تأليف كتابه « عن الحركات السماوية **De Revolutionibus Orbium Caelestium** » ، وأقنعه تلميذه ريتكوس بنشره . وتتميز نظرية كوبرنيق بالبساطة ، وجاء تصوره للسماء أبسط من تصور بطليموس ، ومؤداها أن الشمس مركز الكون وليست الأرض كما يدّعي بطليموس وتقول التوراة ، وتتمثل أهميتها بالمقارنة إلى النظريات الفلكية السائدة في العصور الوسطى ، لكن لم ينشئها من الهواء ، فلقد سبقه إلى آراء مماثلة جروستيست وبوريدان وأوريسم وقوسا . وإذاً لم يكن كتاب « في الحركات السماوية » جديداً تماماً ، فإن كوبرنيق كان في غاية الشجاعة عندما كتبه بالتفاصيل التي اشتمل عليها . وجاء مذهبه بسيطاً ، وجمع إلى مبدأ البساطة مبدأ النسبية ، فنحن لا يمكن أن نجزم ، عند حدوث حركة في الفضاء ، إن كان المتحرك هو المدرك المحسوس أو المدرك الحاس ، أو أن الاثنين يتحركان بسرعتين مختلفتين ، أو في اتجاه مختلف . وإذا افترضنا أن الأرض ، التي نشاهد منها الأجرام السماوية ، هي التى تتحرك ، لجاءت الصورة ، التي نكونها عن العالم ، أبسط من الصورة التي تقوم على افتراض أن الأجرام السماوية هي التي تتحرك حول الأرض الثابتة ، ومع ذلك كان كوبرنيق يعتقد أن السيارات تتحرك في دوائر كاملة ، وبلغ عدد أفلاكه التدويرية ٤٨ فلكاً وقرصاً لا متراكزاً ، وكانت نظريته إحياء لفكرة فيثاغورس عن العالم الذي يدور حول الشمس ، والتي طرحها أرسطرخس الساموسي في القرن الثالث قبل الميلاد ، والتي كرّر فيها هو أيضاً أن حركة السيارات دائرية . ولم تلفت نظرية كوبرنيق ، لهذا السبب ، انتباه الكثيرين ، وخاصة أن الناشر قدم للكتاب بأن نظرية كوبرنيق ليست سوى فرض ، حتى إن الكتاب لم يطبع في كل أوروبا إلّا مرة واحدة خلال خمسين سنة ، أي خلال جيلين ، في الوقت الذي أعيد فيه طبع « كتاب الفضاء » ، مثلاً ، لكرستوفر كلافيوس تسع عشرة مرة خلال نفس المدة . لذلك لم تكن الثورة التي جاءت تسميتها من بعد باسم الثورة الكوبرنيقية ، كوبرنيقية حقيقة ، بقدر ما كانت الإسهام الأصيل لكبلر وجاليليو ونيوتن ، وإنّما سميت كذلك لأن كبلر بدأها بالتنبيه إلى فضل كوبرنيق ، وتحت هذا الاسم دخل في جدال ، أوجد العالم دفعة واحدة ، أمام انقلاب علمي وفكري ، أقام به علماً جديداً ، وفصل به للمرة الأخيرة الفلك عن اللاهوت .

كوزان ... Cousin

(١٧٩٢ - ١٨٦٧) فكتور كوزان ، مؤرخ وفيلسوف فرنسي ، تخرج من مدرسة المعلمين ، وعيّن أستاذاً للفلسفة ، ودرس على لاروميجيير ، ورحل إلى ألمانيا حيث تعرف إلى شيلنج وهيجل ، وتأثر بالأول تأثراً ظلّ معه مدى الحياة ، وكان سبباً في اتهامه بأنه هجر الفلسفة الفرنسية إلى الألمانية ، وأبعد عن الجامعة بسبب آرائه المعادية للحكومة ، فرحل مرة ثانية إلى ألمانيا ، وقبض عليه فيها لأسباب مجهولة ، واعتقل لستة أشهر ، وأُعيد إلى الجامعة ، وجعل من نفسه المتحدث باسم الوسط

العادل Juste Milieu ، ويعني بذلك أن تاريخ الفلسفة يتألف من مذاهب يعارض بعضها البعض ، وأنه الوسط بينها جميعاً الذي يسقط عناصرها الباطلة غير المتلائمة من حسابه، ولا يستبقي منها إلاَّ العناصر المتلائمة، ويطلق على فلسفته أنها التخيرية أو الانتقائية، وعيِّن مديراً للمدرسة المعلمين ، ومديراً للجامعة ووزيراً للمعارف ، وصارَ أشهر الفلاسفة الفرنسيين في عصره ، والدكتاتور الذي يسيطر على برامج التعليم الجامعي والعام ، ويحدد من يدرس الفلسفة وما الذي يدرس منها . وكانت أهم كتبه « التاريخ العام للفلسفة » و« في الحق والجمال والخير » .

ويرد كوزان الفلسفة إلى أربعة مذاهب ؛ مذهب كونديلك الحسي الذي يفسّر الوجود تفسيراً حسياً ، والمذهب العقلي الذي يفسر الوجود تفسيراً منطقياً ، ومذهب الشك الذي يرفض الاثنين لتعارضهما ، والمذهب الروحي الذي يحسم الشك بالإيمان . والقول بالمادة حق ، لكن المذهب المادي يخطىء في إنكار المعاني العقلية التي يشترك فيها الناس جميعاً . والقول بالمادية وحدها أدّى إلى الإلحاد وإفلاس الحياة الخلقية للبشر . لكن الجمع بين المذهبين الحسي والعقلي يقطع الشك ، ويغني عن الروحية التي تطلب الحقيقة خارج الإنسان وتقوم على الوحي . ويقوم مذهبه على الجمع بين الحس الذي يتضمن الإقرار بوجود العالم الخارجي ، والإرادة الفاعلة ، التي تستهدي بالحكم والاستدلال . ويقابل هذه الثلاثية تقسيم ثلاثي لمسائل الفلسفة إلى الخير والجمال والحق ، وهو يقول إنها تجتمع في وحدة تستوعب ما هو صحيح في الحس (لوك) وفي العقل (أفلاطون) وفي القلب (لم يرفق اسمه بأحد) . وهذه الأقسام الثلاثة للروح لا توجد منفصلة ، لكنها تتواصل وتتآزر وتقوم على بعضها البعض ، وبالمقارنة فإن الابستمولوجيا والأخلاق والجمال كلها تترابط ولا تنفصل إلاَّ لمجرد المناقشة العلمية .

ويعرض كوزان آراءه السياسية في كتيّب أطلق عليه « العدل والإحسان » ، وتقوم على التداخل بين معاني حق الملكية وخير الحياة الأسرية والحرية والتقدم ، واعتماد بعضها على بعض . وهو يعارض فكرة المساواة والمعونة الحكومية . ويعني العدل حماية الحقوق الطبيعية ، ولكن كل حق يقابله واجب ، والناس أحرار ، لكنها الحرية التي تقتصر على البحث عن الحق وحرية العقيدة وممارستها وحرية التملك . ويقتضي العدل أن تصون الدولة هذه الحقوق وتحترمها . أما الإحسان فهو إحسان العمل والإحسان بمحبة الناس والإحسان في طاعة القانون والحفاظ على ملكية الآخرين ، والإحسان إليهم في عباداتهم وفي كفالة حرياتهم الدينية .

وكان كوزان من المؤمنين بالجمال المطلق ، والفن عنده ليس تقليد الطبيعة (الحسية) ، وليس تهذيب النفوس (الأخلاق) ، ولكنه رؤيا اللاّنهائي . ومع أن الفنون تستخدم المادة ، إلاَّ أنها تنقل إليها شيئاً غامضاً يخاطب الخيال والروح ويحررهما من الواقع ويحملهما محلقاً بخفة أو بعنف إلى أماكن مجهولة . وهذه الأماكن المجهولة هي أرض الله أو عالم المثال .

كونت .... Conte

(١٧٩٨ ـ ١٨٥٧) أوجست كونت ، وضعي فرنسي ولد بمونبليه من أسرة شديدة التعلّق بالكاثوليكية والملكية ، الأم أكبر من الأب باثنتيّ عشرة سنة ، ولم يكن أفرادها أصحاء عقلياً ، وكان كونت عصبي المزاج ، والأب دائم الشكوى من المرض ، وأصيبت أخته بلوثة عقلية ، وأصيب كونت بمرض عقلي استمرَّ زهاء سنتين ، وكان شديد الكراهية لأسرته ، وكفرَ بالله وبالملكية كرد فعل لتعلّق أهله بهما ، وتزوّج من بغي واستمرَّ زواجه منها سبعة عشر عاماً كانت وبالاً عليه ، والتحق بمدرسة الفنون التطبيقية ، وكانت أرقى الكليات الجامعية ومركز إشعاع حضاري وعلمي ، لكنه فصل بعد سنتين لتزعمه حركة عصيان ، ووقع تحت تأثير الإيديولوجيين ، وقرأ كوندورسيه بنهم ،

واتصل بسان سيمون الذي ألحقه سكرتيراً له (١٨١٧) ، وكان من المتشيعين له واستمرَّ لديه سبع سنوات حاسمة ، انطبع فيها بالكثير من أفكاره ، لكنهما اختلفا ، فقد تحول سيمون من الإصلاح العلمي إلى الإصلاح الاجتماعي وأخذ يبشر باشتراكية طوباوية ، لكن كونت كان يرى أن عصره كان عصر شك ، وأن فلسفته فلسفة نقد وهدم ، وكان يريد أن يعيد الإيمان إلى العصر ، وأن يقيم فلسفة إنشائية ، وكان يرى أن شرط النجاح هو إعادة وحدة الاعتقاد إلى العقول كما كان الشأن في العصر الوسيط ، بواسطة العلم هذه المرة وليس بالدين ، وأن سبيل ذلك بوضع مذهب علمي شامل يقوم على مبادىء واقعية ، ومن ثمَّ رأى في دعوة سيمون الاجتماعية خطوة سابقة على أوانها ، وانبرى لتحقيق أمنية سان سيمون في تدوين الموسوعة العلمية ونشر كتابه « **مشروع الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع Prospectus des Travaux Scientifiques Necessaires Pour Réorganiser La Societé** » (١٨٢٢) ، وكانت براهينه التي ساقها للتدليل على تقسيم التاريخ إلى مراحل ثلاث تتجاوز ما ساقه سيمون ، وتضفي على فلسفتيهما تبايناً كيفياً ، وكان كونت يجعل لكل علم منهجه الذي يطوره لنفسه ، بينما كان سيمون يريد أن يسلك العلوم كلها في منهج واحد . ولقد كان للقطيعة بين الفيلسوفين أثرها البالغ على كونت ، وأعقبتها فترة ضياع وعوز مادي اضطرَّ إزاءها أن يعطي دروساً في الرياضيات ، ووجد نفسه مسوقاً إلى الزواج (١٨٢٥) من بغي كان يتعامل معها ، ووقع تحت تأثير مرض عقلي ، ومع ذلك بدأ يلقي محاضرات في الفلسفة الوصفية (١٨٢٦) ، وكان يؤمّها عدد من المفكرين البارزين . ولكنه لم يستمر فقد ازدادت وطأة المرض ، وكانت حياته سلسلة من الإحباطات والعلاقات الفاشلة ، بالإضافة إلى مزاجه العصبي ، وحاول أن ينتحر غرقاً في نهر السين ، ومع ذلك استعادَ توازنه وعاد إلى محاضراته (١٨٢٩) ، وجمعها في كتاب واحد من ستة مجلدات باسم « **دروس في الفلسفة الوضعية Cours de Philosophie Positive** » (١٨٣٢ ـ ١٨٤٢) ، واشتدَّت ضائقته المادية فانفصل عن زوجته نهائياً (١٨٤٢)، ورتَّب له جون ستيوارت مل وإميل ليتريه معاشاً ليستطيع أن يواصل بحوثه ، ووقع في الحب من جديد بالسيدة كلوتيلد دي فو ، ولكنه كان حباً من طرف واحد ، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل تطوره ، وعادت الأزمة العصبية من جديد، وانزلق إلى الصوفية وصارت محبوبته رمزاً للإنسانية ، وكان يصلي إليها ، وصارت شيطانه الذي يوحي إليه كتابه الثاني « **مذهب في السياسة الوضعية Systemé de Politique Positive** » (١٨٥١ ـ ١٨٥٤) ، و « **التعليم الديني الوضعي Catechisme Positiviste** » (١٨٥٢) .

ويقيم كونت فلسفته الوضعية على دراسة تاريخ العقل البشري ، ويقصد به العقل الأوروبي ، وفي رأيه أن الهند والصين لم يسهما في تطوير العقل البشري ، ويعني به العلوم الفلكية والطبيعية والكيميائية والفسيولوجية . والرياضيات عنده أداة من أدوات المنطق وليست علماً ، وكلها علوم تجريبية ، ومن ثمَّة فالمذهب الوضعي لا يرى سوى الظواهر المحسوسة ، ولا يبحث في العلل والغايات ، ولا يهتم بنقد أفعال العقل بل يهتم بتاريخه . وهو يقول أن العقل والعلوم مرَّت بحالات ثلاث : اللاهوتية والميتافيزيقية والوضعية . وفي الحالة الأولى رأى الإنسان كل شيء يمتلأ بإرادة وتدبّ فيه حياة كالإنسان تماماً ، وتدرّج الإنسان درجات ثلاث ، كانت الأولى الأرواحية Animisme أو الفيتيشية Fetichisme تضفي على الكائنات حياة روحية ، والثانية تعدد الآلهة Polytheisme تقصر الإرادة على موجودات علوية تفرض نفسها على الكائنات ، والثالثة التوحيد Monotheisme يوحد الإرادات الإلّهية في إرادة واحدة مفارقة . وفي المرحلة الميتافيزيقية لا يسعىٰ العقل خلف العلل المفارقة ولكنه يبحث في العلل الذاتية ، ولا يقول بالإرادة ولكن بالأسباب ، ولا يناقش الآلهة

ولكن الطبيعة . وأخيراً تكون المرحلة الوضعية حيث يتوقف تماماً عن البحث في العلة الأولى ويقتصر على دراسة قوانين الظواهر وترتيبها من الخاص إلى العام .

وتتميز كل مرحلة عن سواها فكرياً ومادياً ، ففي المرحلة اللاهوتية تسود الحياة العسكرية ، وفي المرحلة الميتافيزيقية يبرز القانون ، وتكون المرحلة الوضعية مرحلة الصناعة ، وبذلك يقول كونت مع هيجل بالتوافق بين الكيف المادي والبنايات الفكرية الفوقية .

ويقوم منهجه على اعتماد العلوم على بعضها البعض ، لكن لكل علم منهجه الخاص به الذي تكشف عنه الدراسة التاريخية للعلم . والوسيلة الأولى للبحث العلمي عنده هي الملاحظة . وما لم تكن الجملة مفيدة بمعنى أن لها أصلاً في الواقع الموضوعي فإنها هراء . وهو لا يعني بالملاحظة مجرد الإحساس المادي بمعنى هيوم ، لكنها الملاحظة التي لها علاقة بقانون من القوانين . وبعد الملاحظة يأتي التجريب والمقارنة ، والتجريب أداة الطبيعة والكيمياء المثلى ، والمقارنة أداة علم الاجتماع ، ويكاد يكون هذا العلم من أبداع كونت خاصة ، وكان كيتيليه يسميه العلم الاجتماعي الطبيعي Physique Sociale ، وأطلق عليه كونت علم الاجتماع وبعلم الاجتماع يحقق الإنسان لنفسه الوعي ويفهم التركيب المنطقي لعقله وينفذ إلى المراحل الثلاث التي مرَّ بها . وأقرَّ بفضل مونتسكيو وكوندورسيه لأنهما كانا يعتقدان مثله أن الظواهر الاجتماعية تسير كذلك وفق قوانين يمكن استكشافها باتّباع المنهج الاستقرائي السليم ، ولكن عملية إنفاذ علم الاجتماع إلى المرحلة الوضعية لم يقم بها إلاّ كونت ، وقسمه إلى جزءين ، الاجتماع الساكن Social Statics مهمته دراسة النظم السياسية والاجتماعية لمعرفة الشروط الدائمة لوجود الأوضاع التي عليها هذه النظم ، والاجتماع الدينامي Social Dynamics ويدرس قوانين نحو المجتمعات وتطور أوضاعها أي يدرس قوانين المراحل التاريخية الثلاث . والفكرة الأساسية في القسم الأول هي فكرة النظام ، وفي القسم الثاني فكرة التقدم ، ولكن القسمين مترابطان لأن النظام والتقدم يترتب الواحد منهما على الآخر . ويتحقق النظام عندما تكون لكل أعضاء المجتمع نفس الآراء . ولا يكون التقدم إلاّ بالوعي بالقوانين التي يقوم عليها الاجتماع في مرحلة من المراحل ، وكانت الثورة الفرنسية ضرورية لأن النظام القديم القائم على أفكار دينية بالية لم يعد يصلح أساساً مقبولاً للأفكار العلمية الرائجة التي قوضته من أساسه ، وظهرت الحاجة إلى دين يرضى به الجميع ويعيد تنظيم الجماعة على أساس من الأفكار المتعارَف عليها ، وكانت هذه العملية مناط النخبة الصناعية العلمية التي أخذت دور القساوسة ، وكان عليها أن تعيد النظام الذي قوضته الثورة وتواجه حاجات المجتمع الصناعي الحديث . وتقدم الإنسانية لا يتجه إلى غاية مطلقة ، فالفلسفة الوضعية لا تعترف بالمطلق ، بل إلى تكامل الحالات المكونة للحياة الاجتماعية . ويقوم الاجتماع على إخضاع الإنسان لأنانيته لحاجات المجتمع ، وقانون التقدم العاطفي يمضي بالإنسان من الأنانية إلى الغيرية ، ولا تزال الغيرية تتقدم حتى تسود سيادة مطلقة ، ويرى كونت أن مهمة الفلسفة الوضعية هي العمل على محو فكرة الحق التي تعود إلى أصل لاهوتي وتفترض سلطة أعلى من الإنسان ، وتعميق فكرة الواجب وإخضاع النزعات الذاتية لصالح النوع الإنساني ، بحيث يكون شعارنا « الحياة لأجل الغير » ، وأرفع المعاني هو معنى الإنسانية ، والفلسفة الوضعية تجعل من الإنسانية دنيا ، وتحل الإنسانية محل الإله طالما أن الدين حالة ملازمة للمجتمع وخاصية النوع الإنساني ، وديانة الإنسانية هي عبادة الإنسانية باعتبارها الموجود الأعظم الذي تشارك فيه الموجودات الماضية والحاضرة والمستقبلة المساهمة في تقدّم الإنسان وسعادته . والعبادة مشتركة وفردية ، وتقوم المشتركة على أعياد عامة احتفالاً بالذين قدموا خدمات للإنسانية ، ووضع كونت تقويماً وضعياً أطلق فيه على كل يوم وكل شهر اسماً من أسماء الذين قدموا خدمات

للإنسانية ، وجعل على رأس هذه الحكومة الوضعية هيئة من الفلاسفة العلماء ، ولكنه كان يتوقع الكثير من البروليتاريا أو طبقة العمال الذين وصفهم بأنهم أعضاء الحركة في جسم المجتمع ، وهاجم الطبقات المالكة ، والملكية عندما لا يكون استخدامها استخداماً اجتماعياً لصالح الجماعة .

كوندورسيه ..... Condorcet

(١٧٤٣ - ١٧٩٤) ماري يوحنّا أنطوان نيقولا كاريتات ماركيز دي كوندورسيه ، فرنسي ، ولد في ريبمون ببيكاردي ، وكان من جماعة الموسوعيين التي تزعّمت حركة التنوير الفرنسية ، وكان أصغرهم سناً والوحيد منهم الذي شاركَ في الثورة الفرنسية وتبوّأ فيها مناصب رفيعة ، لكن اليعقوبيين اتهموه بالخيانة والخروج على مبادىء الثورة ، وهرب كوندورسيه ولزم مخبأ في باريس كتب فيه تحفته « **مجمل صورة تاريخية لتقدم العقل البشري Esquisse d'un Tableau Historique des Progrés de L'esprit Humain** » (نشر عام ١٧٩٥ بعد وفاته) ، وكان ينوي أن يكون مقدمة لكتاب أكبر في تاريخ العلوم وآثارها الاجتماعية ، لكن القدر عاجله وخرج من مخبئه فقبضت الشرطة عليه وأودع أحد السجون القريبة من باريس ، ومات في نفس الليلة ربما من الإرهاق أو مسموماً . ويعتبر كتابه « مقال في تطبيق التحليل على احتمالات رأي الأغلبية » (١٧٨٥) سابقاً لزمنه ، وما تزال آراؤه عصرية ، وكان يريد به أن يجعل لعلم الإنسان يقيناً كيقين العلوم الطبيعية الذي قال به ديكارت ، وذلك بتطبيق حساب الاحتمالات عليه وإنشاء ما أسماه **علم الرياضيات الاجتماعية Mathématique Sociale** » ، أطلق عليه علم السلوك الإنساني، الإنسان بمقتضاه مقامر يزن احتمالات الآراء المتضاربة ونتائجها ، وبذلك يتخلص من سيطرة الغرائز والعواطف على قراراته ويخضعها لحكم العقل والعلم الرياضي وكوندورسيه من المؤمنين بالعلم ويسميه الفن الاجتماعي ، وطالما أن العلم يتقدم فالإنسان يتقدم ، وتاريخ تقدم الإنسان هو تاريخ تقدمه العلمي ، وتسيطر فكرة التقدم عليه ، والتقدم الذي يعنيه هو تقدم تحرر الإنسان من طغيان الطبيعة وسيطرة الظروف والاستعباد السياسي ، وهو اتجاه قد نعثر على نقيضه لدى الأفراد ، لكنه يتجلّى واضحاً في تاريخ الجماعات البشرية ، ويبدو وكأنّ الطبيعة نفسها هي التي تفرضه بما فطرت عليه الإنسان من الاستفادة من التجارب واستنباط القوانين والتعديل في الطبيعة وتوجيهها طبقاً لذلك ، ومن ثم يكون تحرر الإنسان من سيطرة الطبيعة شيئاً طبيعياً ، ويكون تزايد الحرية البشرية قانوناً طبيعياً .

كوندياك .... Condillac

(١٧١٥ - ١٧٨٠) إيتيان بونو دي كوندياك ، فرنسي ، ولد في جرينوبل ، ورغم دراسته اللاهوتية اتجه إلى العلوم بمساعدة دالمبير وديدرو وصداقة روسو ، ويقال إنه لم يؤم قداساً واحداً في حياته رغم أنه كان قسيساً ، وكان من أنصار التجريب على طريقة لوك ، وكتابه الرئيسي « رسالة في الإحساسات Traité des Sensations » (١٧٥٤) أذاعَ اسمه كأكبر منظّر علمي في فرنسا في زمانه ، وفيه نحىٰ منحىٰ لوك فأرجع الأفكار إلى الأحاسيس،وزادَ على لوك فرد قوى العقل نفسه للأحاسيس وإن كانت قد طرأت عليها بعض التحوّرات ، فالذاكرة مثلاً وصفها بأنها إحساس قوي قد ترك أثراً في الإمكان استدعاؤه، والانتباه هو انصراف للوعي بإحساس واحد يعزله عن باقي الأحاسيس ، ولكي يبرهن كوندياك على ما يقول افترض إمكان عمل تمثال من الرخام يكون على هيئة إنسان من الداخل والخارج ، وله عقل إنسان يخلو من أيّة أفكار ، وحواس إنسان مغلقة ، ثم يمنحه كوندياك الحياة ويفتح حواسه الواحدة بعد الأخرى ، ويدرس كل واحدة في علاقاتها بالأخريات ، وقال كوندياك إن حاسة اللمس هي سيدة الحواس ومعلمتها جميعاً ، وبها يدرك الإنسان العالم الخارجي ، وبإدراكه للمكان والمادة وممارسة الانتباه

والحكم والاستدلال يستطيع أن يحول اكتشافاته إلى أفكار مجردة ؛ ثم يمنح كونديالك تمثاله اللغة ، ويقول إن الإنسان باللغة يكمل كإنسان وينتقل من مرحلة الإحساسات البسيطة إلى الجدل الفكري وإقناع الآخرين . وهو ينزل اللغة منزلة خاصة في التفكير ، وفي رأيه أن التفكير الفلسفي لا يقوم إلاَّ بلغة واضحة قد صيغت صياغة جيدة Une Langue Bien Faite ، ولكي تكون لنا لغة واضحة ينبغي أن نتعمّق معانيها إلى أبسط حقائقها بمنهج تحليلي ، ثم نقارن بين المعاني المتشابهة بمنهج رياضي على منوال إذا كانت أ = ب و ب = ج إذن أ = ج .

كونش .... **William of Conches**

وليام من كونش أو وليام الكونشي ، شارتري ، عاشَ في القرن الثاني عشر ، وتعلَّم على برنارد شارتر ، وانتقل إلى باريس ، ولكن النقد الذي لاقته تعاليمه أعاده إلى موطنه . وله شروح على بويس ومكروبيوس وأفلاطون ، وكتابه الرئيسي « **الموسوعة الفلسفية Dragmaticon Philosophiae** » في شكل حوار مع الدوق جيوفري الذي كان يشجعه ، يطرح فيها فلسفته التي يجمع فيها بين نظريات بطليموس في حركة الكواكب وعلي بن العباس في الطب وتفسيره الأفلاطوني للخلق والثالوث المقدس .

كونفوشية .... **Confucianism**

نسبة إلى كونفوشيوس (٥٥١ ـ ٤٧٩ ق. م) وهي المدرسة الأولى في ترتيب المدارس الفكرية الصينية القديمة . واسم كونفوشيوس صيغة لاتينية للاسم الصيني كون فو تزو Kung Fu Tzu ويعني الأستاذ أو المعلم كون فو ، وهو واحد من قلائل الحكماء الذين طبعوا البشرية بطابعهم ، وأثروا في الفكر الإنساني تأثيراً سيظل أبد الدهر . والكونفوشية فلسفة ومذهب تربوي من أكبر المذاهب في العالم . وكان ميلاد كونفوشيوس بالقرب من مدينة تشوفو من أعمال ولاية شانتونج ، لأسرة نبيلة ، ولو أنه نشأ نشأة فقيرة . وتقلَّد كونفوشيوس عدداً من المناصب وهو بعد في نحو العشرين ، ولكنه فشل أن يؤثر عن طريقها في تغيير أحوال الناس وتطبيق آرائه في المجتمع الفاضل ، ومن ثمَّ انصرف إلى تعليم الشباب ، وتوفَّر على ما يعرف في الفلسفة الصينية باسم المراجع الستة ، وهي حوليات الربيع والخريف وكتب التغيرات والتاريخ والأناشيد والطقوس والموسيقىٰ ، وهي جماع الحكمة الصينية وتأمّلات الحكماء في كافة ميادين العلم المعروف والأخلاق والميتافيزيقا ، ووصف نفسه بأنه حامل لتراث سلفه ، ولكنه كان أول صيني يحترف تدريس الناس الأخلاق بدلاً من الصنائع ، ويفتح أبواب المدارس للراغبين في التعلّم ، ويستنّ سنة المدرس الجوال ، ويطلب إلى الناس أن يكفّوا عن التفكير في الموت ، وينتهوا عن الخوف من السماء ، وأن ينفضوا عن أنفسهم الاستكانة ، وقال إن التعاليم مهما كانت جيدة إلاَّ أنها لا تصنع الإنسان العظيم ، ولكن الإنسان العظيم هو الذي يجعل من التعاليم شيئاً يقتدى ودرباً مطروقاً يسير على هديه الآخرون ، وعرف العظيم Superior Manبأنه الماجد ابن الأمجاد ، وهو الفاضل الذي يطلب السعادة لكل الناس ، ووصف المجتمع الفاضل بأنه المجتمع المنظّم في طبقات الذي يعرف كل واحد فيه مكانه ومكانته ، ويراعي فيه الحاكم والوزير ، والأب وابنه ، والأخ وأخوه ، والزوج وزوجته ، والصديق وصديقه التزاماتهم الأخلاقية الواحد قبل الآخر ، ووصف هذا الإطار كله بأنه الطريق أو التاو Tao ، وقال بأنه بمراعاة هذه العلاقات الخمس يتحقق الانسجام ، وهو الحالة المثلىٰ الذي يطلبها الفرد الكامل والدولة الصالحة . ولكن كونفوشيوس لم يتعرض لطبيعة الخير ، وللطريقة التي يمكن أن نتابعها فنصبح من الأخيار ، وكان على تلميذه منشيوس Mencius (نحو ٣٧٢ ـ ٢٩٨ ق. م) أن يكمل ما بدأه أستاذه ، وكان قد بدأ كأستاذه بالتجوال على حكام الصين لعله يجد الحاكم الذي يصغي لآرائه ، ثم انتهى به المطاف كأستاذه مدرساً وكاتباً ، ومنشيوس هو الصيغة اللاتينية من الاسم الصيني منج

تزو أي المعلم منج ، ويأتي ترتيبه في الكونفوشية الثاني بعد كونفوشيوس ، ويسميه الصينيون المعلم الثاني . وكان ميلاده بإقليم شانتونج ، وكان يسمىٰ فيما مضىٰ إمارة تشو ، وتتلمذ على سسو تزو أحد أخفاد كونفوشيوس . ويعتبر كتابه « مصنف منشيوس » كتاباً شاملاً في الحكمة ، ويتألف من سبعة كتب ، وفلسفته إنسانية أخلاقية ، وتذهب إلى أن الإنسان نزاع بطبعه إلى الخير طلاع إلى المعرفة ، وأنه ينطلق من أربع بدايات هي إنسانيته أو تعاطفه، وصلاحه أو استقامته ، واحتشامه أو ما يليق به ، وحكمته أو سداءه ، ثم معرفته الفطرية بالخير وقدرته الفطرية على فعله . ويرجع منشيوس فعل الشر إلى البيئة ونقص التربية وترك الإنسان نفسه على هواها . ويعرف العظيم بأنه ذلك الذي يطوّر عقله إلى آخر ما يستطيع ، ويغذّي طبيعته . ويصف التفكير بأنه ميزة الإنسان ، وأن الإنسان به يكون قوياً ، وبممالأة الحواس والهوى يكون ضعيفاً .

ويلقب هسون تزو Hsun Tzu (نحو ٢٩٨ - ٢١٢ ق . م) بالمعلم الثالث ، وكان يؤمن كأستاذه كونفوشيوس بدور الماجد أو النبيل أو العظيم في ترقية الحياة ، إلَّا أنه خالفَ منشيوس الرأي حول طبيعة الإنسان ، وذهب إلى القول بأن الإنسان شرير بطبعه ، ومادي يسعىٰ للكسب ، وأن الحكماء ما قالوا بالصلاح والاحتشام إلَّا لأنهم وجدوا الإنسان نزاعاً بطبعه للشر ، وقال بأن غاية التربية هي كبح جماح الفطرة الإنسانية ، وأن ما ننعم به من استقرار اجتماعي مردّه تلك القيود على الفطرة الشريرة .

ولقد تضاءَل شأن الكونفوشية في عهد أسرة تشين (٢١٣ ق . م) ، وكانت أسرة مستبدة قامت على الحروب والتوسّع في عهد كان يستلزمها ، ولم تكن الكونفوشية تناسبها بما تذهب إليه في الحكومة الصالحة والقول بالأرستوقراطي النبيل واهب السعادة للناس ، وطريق التاو أو شرعة السماء أو القانون الخلقي ، وقال حكماؤهم أو مشرّعوهم بمعنى أصحّ بشرعة للدولة القوية ، تبرر الحرب والجور ، وتفسّر الفضيلة بأنها طاعة ولي الأمر والقانون ، وصادروا كل كتب التراث ومنعوا تدارس الكونفوشية ، فلما تولّت أسرة هان (٢٠٦ ق . م) أعادت إلى الكونفوشية بهاءها وأعلنتها أيديولوجية رسمية للدولة (١٣٦ ق . م) ، ولكن حكماءها فهموا أنهم لن يجدوا طريقهم إلى عقول الناس التي شغلتها تعاليم المدارس الأخرى إلَّا لو اصطنعوا بعض هذه التعاليم التي لاقت قبولاً لدى الجماهير ، وخاصة التعاليم الدينية التي تقول بمبدأ كلي واحد قطباه قوى السلب والإيجاب أو الين واليانج ، وترد أقدار الناس إلى مقدار ما فيهم من هذا المبدأ ، ومن ثمَّ يطلق على الكونفوشية في ذلك العهد اسم الكونفوشية التوليفية Syncretic Confucianism ، وكان أبرز فلاسفتها تونج شونج شو Tung Chung - Shu (١٧٦ - ١٠٤ ق . م) الذي أقنع الامبراطور « وو Wu » بتبني الكونفوشية أيديولوجية للدولة ، ووانج شونج Wang Ch'ung (٢٧ ق . م - ١٠٠ م) الذي أنكرَ القدر وأن يكون للسماء دخل في مصائر العباد ، وقال بقانون لكل كائن ، وأنه لا شيء بعد الموت لأن الموت نهاية الحياة ، وسعىٰ إلى جمع البينات والشواهد تأييداً للنظريات ، ووجَّه التفكير وجهة علمية ، كانت موجودة في الكونفوشية من قبل . ورغم أن ذلك الاتجاه المستحدث في الكونفوشية كان الدافع إليه تطويرها لتلبي مقتضيات العصر ، إلَّا أنها ظلَّت قاصرة دون الوفاء بمتطلبات الجماهير الكادحة ، وكانت أعجز عن أن تقوم بأي دور نضالي في حياتهم ، ممَّا ترتب عليه عزوفهم عنها واعتناقهم للتاوية والبوذية ، إلَّا أن البوذية كانت أخطر المذهبين ، وتغلغلت في العقول وهيمنت على الشعب الصيني قرابة ٨٠٠ سنة ، منذ سقوط أسرة هان (٢٢٠ م) حتى قيام أسرة سونج (٩٦٠ م) ، وبات هناك اعتقاد بين كل المثقفين والسياسيين بأن التفكير الكونفوشي قد مضىٰ إلى غير رجعة ، ولكن حركة البعث الكونفوشية ، ممَّا يعرف باسم الكونفوشية المحدثة Neo - Confucianism ،

بدأت حركة وطنية ، مع أسرة سونج (٩٦٠ - ١٢٧٩ م) ، ضد البوذية الهندية الدخيلة ، وكان أول فلاسفتها شوتوني Chou - Tuni الملقّب بشو لين هسي Chou - Lien - Hsi (١٠١٧ - ١٠٧٣ م) ، وكان من القائلين بوحدة الين واليانج ، حيث ردَّ الكثرة إلى الواحد ، ووصفه بأنه المبدأ الشامل ، ودارت الكونفوشية المحدثة حول هذا المبدأ الشامل لعدة قرون ، غير أنها سارت في اتجاهين متميزين ، الأول يسمَّى الاتجاه العقلاني أو الكونفوشية المحدثة العقلانية Rationalistic Neo - Confucianism أو مدرسة المبدأ ، والثاني يسمَّى الاتجاه المثالي أو الكونفوشية المحدثة المثالية أو مدرسة العقل School of Mind . وبرز من فلاسفة الاتجاه الأول المعلمون الخمسة شينج يي ، وأخوه الأكبر تشينج هاو Ch'eng Hao (١٠٣٢ - ١٠٨٥) ، وعمهما تشانج تساي Chang Tsai (١٠٢٠ - ١٠٧٧) ، وشاو يونج Shao Yung (١٠١١ - ١٠٧٧) ، وشوهسي ، وكان أبرزهم أثراً شينج يي Ch'eng Yi (١٠٣٣ - ١١٠٧) الذي وضع أركان النظرية ، وشوهسي Chu Hsi (١١٣٠ - ١٢٠٠) الذي أضافَ إليها اللمسات الأخيرة ، وتدور فلسفة المبدأ بشكل خاص حول المبدأ والكلي الأكبر والقوة المادية وطبيعة الإنسان والأشياء ، وتقصيها ، والخلقية التي تتسم بها الإنسانية . وكانت فكرة المبدأ من الأفكار التاوية المحدثة والبوذية ودخلت الكونفوشية عن هذا الطريق ، ولكنها استخدمت لمعارضة التاوية والبوذية حيث هي فكرة مجردة فيهما بينما هي في الكونفوشية الكلي الأكبر الواضح بذاته والمستكفي بذاته ، وهي في الكائنات قانون أو طبيعة كل كائن ، فالمبدأ كلي وواحد كجوهر ولكنه كثير فيما يتبدَّى به من صفات وطبائع تكون عليها الكثرة من الكائنات ، فإذا كانت الأشياء تتمايز باختلاف مادتها أو تشابهها فإنها تنتسب جميعاً إلى المبدأ الأول أو الكلي الذي تصدر عنه ، وطالما أن الكلي أو المبدأ الأول خير فإن طبيعة الإنسان أو قانونه خير ، والشر هو الانحراف عن القانون أو الطبيعة باستثارة المشاعر ، وهنا يكون دور التربية هو ترقيق المشاعر وحثّ التفكير باستقصاء الأشياء بالاستنباط أو بالاستقراء أو بقراءة تجارب الآخرين ، وبهذا يتوحد الإنسان بكل الأشياء في السماء والأرض ، بأن يتجاوب مع قوانينها .

ورغم أن الكونفوشية العقلية قد حاولت أن توازن بين المبدأ والقوة المادية في الميتافيزيقا ، وبين تقصي الأشياء والتربية الخلقية في الاجتماع ، إلّا أنها كانت منحازة للمبدأ على تقصّي الأشياء . وظهر الاتجاه المعارض لها في حياة تشوهسي في شخص صديقه وأكبر نقاده لوهسيانج شان Lu Hsiang Shan أو لو شو يوان Lu Chu - Yuan (١١٣٩ - ١١٩٣) ووصف لو العقل بأنه المبدأ وأنه يعرف بالفطرة الخير ولديه القوة الفطرية على فعله ، وأنه لا فرق بين العقل الخلقي الذي هو الخير والعقل البشري القابل للشر ، وأن العقل يملأ العالم كله ، وأنه أزلي موجود في كل العصور والأماكن ، وهو اتجاه مثالي تتميز به الكونفوشية المحدثة المثالية Idealistic Neo - Confucianism ، ويظهر فيه أثر البوذية ومنشيوس وكان أبرز فلاسفته وانج شوجن Shu - Jen (١٤٧٢ - ١٥٢٩) الذي قال مثل لو بأن المبدأ هو العقل ، وأن الأشياء فيه ، وأنه لا شيء يوجد دون الإرادة ، فمثلاً لا وجود للحب البنوي ما لم نكن نريده ونمارسه . وفي القرن السابع عشر وصف وانج فوشيه Wang Fu - Chih (١٦١٩ - ١٦٩٢) المبدأ بأنه قانون الأشياء وأنه لا يوجد مستقلاً عنها . واشتهر من فلاسفة الصين الحديثة فونج يولان Fung Yu - Lan (المولود ١٨٩٥) والذي تعلّم بجامعة كولومبيا الأمريكية وقال بمثالية منطقية حيث وصف الأفكار الكونفوشية بأنها مفاهيم صورية ، وقال عن المبدأ إنه مفهوم عقلي لا بد له من القوة المادية لكي يوجد في الأشياء ؛ وهسيونج شيه لي Hsiung Shih - Li (المولود ١٨٨٥) ويسمي فلسفته مذهباً في الوعي ، لأن الأشياء إما توجد إلى أفول أي تتجه إلى أن

تكون مادة خالصة ، وإمّا توجد إلى تفتح أي يزيد وعيها حتى يكتمل لها العقل ، وقال عن العقل إنه جزء من العقل الأكبر الذي هو إرادة ووعي .

واضمحلّ شأن الكونفوشية بعد انتصار الماركسية ويبدو واضحاً أن الساحة الصينية قد شغلتها الماركسية تماماً ولم تعد أي فلسفة أخرى قادرة على مواجهتها .

كوهين .... Cohen

(١٨٨٠ - ١٩٤٧) موريس روفائيل كوهين ، يهودي أمريكي ، ولد في منسك بالروسيا ، وهاجر أبواه وهو في الثانية عشرة إلى نيويورك ، وتعلّم بهارفارد وعلّم بها ، وفلسفته طبيعية لاأدرية تقوم على مبادىء العقلانية كمنهج منطقي منظم لموضوعات الفكر ، وكأونطولوجيا تكشف عن التركيبات العلاقية الموضوعية في تيار الوجود ، والثباتية التي تقررها الوقائع الثابتة المطلقة التي تدخل في تركيب الأشياء ، والتقاطب بين العناصر العقلية والتجريبية . واشتهر بكتابه « العقل والطبيعة Reason and Nature » (١٩٣١) نحىٰ فيه منحىً تحليلياً ورفض النزعات العقلية القبلية .

كيالية ....

فرقة من الشيعة الغالية ، أتباع أحمد بن الكيال ، قال العوالم ثلاثة ، العالم الأعلى ، والعالم الأدنىٰ ، والعالم الإنساني ، وكل من يقدر الآفاق على الأنفس ، ويمكنه أن يبيّن مناهج العالمين ، عالم الآفاق أو العالم العلوي ، وعالم الأنفس ، فهو الإمام ، وكل من يقرّر الكل في ذاته ، ويمكنه أن يبيّن كل كلي في شخصه المعين الجزئي ، فهو القائم .

كيرد .... Caird

(١٨٣٥ - ١٩٠٨) إدوارد كيرد ، اسكتلندي ، ولد في جرينوك ، وتعلّم في جلاسجو وكلية باليول بأوكسفورد ، وعيّن أستاذاً للفلسفة الأخلاقية بجلاسجو وعميداً لكلية باليول ، وكان توليه التدريس في جلاسجو أمراً له أثره الضخم حيث جعل منها مركز إشعاع للفلسفة المثالية في اسكتلندة ، وتتلمذ عليه جيل كامل من الفلاسفة الهيجليين ، منهم هنري جونز وميورهين وماكينزي وجون وطسون ، وفي أوكسفورد أعادَ للهيجلية شبابها بتعليمه القوي وشخصيته الفذة . وفلسفته مثالية تأملية ، وكتابه « عرض نقدي لفلسفة كنط » (١٨٧٧) يتوجه فيه بالنقد لكنط لفصله وتمييزه بين عناصر التجربة والفكر ، وكتابه « **هيجل** » (١٨٨٣) هو انتقال من المثالية النقدية إلى المثالية المطلقة يطرح فيه تصور هيجل لفكرة الهوية مع الاختلاف . وتقوم فلسفة كيرد على تجاوز الاختلافات والأضداد إلى الوحدة الأعلى التي هي التعبير عن المبدأ الروحي في كل الأشياء ، والذي يعرفه بأنه المطلق واللاّمتناهي ، والله الكائن الواعي بذاته المتحكم في ذاته . ويعالج كيرد في كتابيه الأخيرين « **تطور الدين** » (١٨٩٣) و « **تطور اللاهوت لدى الفلاسفة اليونانيين** » (١٩٠٤) فكرته عن التطوّر ، ويشرحه بأنه العملية التي تزداد فيها الاختلافات زيادة لا تتعارض مع الوحدة وتزيدها عمقاً ، ويستخدم فيها فكرة التطور عند سبنسر ومنهج الديالكتيك عند هيجل ، ويصبغ ميتافيزيقا هيجل بالصبغة اللاهوتية ، ويقول بتعدد صور الله وتطوّر فكرة الألوهية عبر التاريخ وفي الديانات المختلفة نحو مرحلة الوعي الديني الكامل والتحقق الأعلى للفكرة الدينية في المسيحية .

كيركجارد .... Kierkegaard

(١٨١٣ - ١٨٥٥) سورين كيركجارد ، دنمركي ، أهم كتبه « إما/ أو » (١٨٤٣) و « **الخوف والرعدة** » (١٨٤٣) و « **شذرات فلسفية** » (١٨٤٤) و « **مفهوم الروع** » (١٨٤٤) و « **اختتام حاشية غير علمية** » (١٨٤٦) و « **المرض حتى الموت** » (١٨٤٩) و « **اليوميات** » .

ولا يعترف البعض بكيركجارد فيلسوفاً ، غير أن مفاهيمه شاعت وكانت لها أصداء في الفلسفة الوجودية جعلته أصلاً لهذه الفلسفة . ويتطلّب فهمه أن تقرأه فيما

كتب ، لا أن تقرأ عنه ، لأن تلخيصه أمر صعب ، فأفكاره هي حياته ، وبالرغم من أنه مات في الثانية والأربعين إلاَّ أن إنتاجه الضخم ، والموضوعات التي تطرق إليها ، تجعله من مصاف المفكرين والقلة الذين عاشوا فكرهم . وكانت حياته مجاهدة دائبة ليجد حقيقة نفسه، وليعثر على الفكرة التي من أجلها يحيا ويموت كما يقول . ولم يكن يتصور الحقيقة خارجة عنه ، وكان يراها ذات الحياة التي تعبّر عنها ، أو أنها الحياة في حالة الفعل . وكان يقول إن مؤلَّفاته هي سيرته الذاتية وتربيته لنفسه ، فيها ينصت لأفكاره ويكتب ، فهو مستمع لنفسه وليس مؤلّف كتب ، وفيها يقف واعظاً ، لكنه يعظ نفسه وليس الآخرين ، يريد وجودها صحيحاً أو أصيلاً Authentic ، والوجود يعاش ولا يعبر عنه ، وهو لا يريد حديثه أن يكون نظرية عن الوجود ، لكنه نداء موجَّه إلى الغير ، صادر من وجوده الواقعي ، على أمل أن يقرر الغير بدوره أن يكون ذات نفسه ، وحديثه لذلك ليس فلسفة بقدر ما هو منهج لتحقيق الشخصية وتعميقها ، أو أن فلسفته ليست بحثاً في الوجود بقدر ما هي بحث في الموجود أو الفرد ، ومن ثمَّ فهي فلسفة موجودية Existential وليست وجودية ، تبدأ من وجود الفرد المتعين في امتلائه الأونطولوجي ، فإذا كان لا بد للوجود أن يكون موضوعاً للتفكير ، فينبغي لهذا التفكير أن يرجع إلى التجارب المفردة ، تجاربي وتجاربك لا تجارب كل الناس ، يستمد منها حقيقة الوجود ، فالفكر الحقيقي هو الفكر الوجودي المعاش ، يتحد فيه الوجود والمعرفة ، ولا توجد الحقيقة إلاَّ في هذه الخصوصية والإنسان لا يوجد ليتفلسف بل يتفلسف ليوجد ، والحقيقة لا توجد إلاَّ إذا قبلنا أنا وأنت أن نكون الحقيقة ، وهي تطالبنا أن نعيشها في عاطفة ، والعاطفة هي التي تعطي الحقيقة طابعها الدرامي ، وتضفي عليها اليقين . ولا وجود لحقيقة أو يقين إلاَّ ما اختار ، وأوافق على الالتزام به ، وأخاطر في سبيله ، والوجود هو الاختيار ، والإنسان لا يختار إلاَّ نفسه وماهيته ، ووجوده يسبق ماهيته ، قد يختار مرتبة بين مراتب الوجود الثلاث ، الجمالية أو الخلقية أو الدينية . والجمالية مضمونها اللذة ، والخلقية ـ مناطها الواجب ، لكن الدينية أرفعها ، لأن الأنا فيها يختار أن يوجد أمام الله ، ويرتبط بالمتعالي الذي بدونك يتفكك الإنسان ويصبح مجرد عقل يعيش اللحظة . ولا يكون الأنا نفسه إلاَّ عندما ينكفىء على نفسه في تأمّل باطني يسمح له بامتلاك ذاته وامتلاك حريته وممارستها . واختياره للحرية اختيار لعالم حر الآخرون فيه أحرار ، ولا تقوم بين الأشياء صلات ، إنّما تحتك الأشياء ببعضها ، لكن الصلة تقوم بين موجود وموجود ، وهي صلة بين ذات وذات ، والاتصال بالآخر معناه أن تعتبره موجوداً ، وأن تعتبره موجوداً معناه أنك تعتبر نفسك موجوداً كذلك . والاتصال حوارين صديقين ، وعطاء سيال متبادل بين ندين .

وإذا كان الاختيار معناه المخاطرة ، فالاختيار قلق ، والقلق يفضي إلى اليأس ، لأن الإنسان لا يستطيع أن يختار في حرية مطلقة ، فهو محدود بحدوده الخاصة ، ولا يستطيع تحقيق ذاته ، فالعالم لا يساعده على تحقيق ذاته ، وقد ينغلق الإنسان على نفسه بفعل يأسه ، ويموت موتاً لا ينتهي ، وقد ينتزعه يأسه من نفسه ويعيده إلى ذاته .

كيسانية

أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب ، وقال بعضهم إن المختار كان يُقال له كيسان ، قالوا بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت ، وأن الدين طاعة رجل ، ومن ثمَّ أولوا الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك على رجال ، وحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل .

كينوية

زعموا أن الأصول ثلاثة : النار والأرض والماء ، والموجودات حدثت من هذه الأصول دون الأصلين اللذين أثبتهما الثنوية . وقالوا النار نورانية وخيرة ،

والماء ضدها في الطبع ، فما كان من خير فمن النار ، وما كان من شر فمن الماء ، والأرض متوسطة . وهؤلاء يتعصبون للنار شديداً .

كيومرثية

فرقة من المجوس ، قالوا كيومرث هو آدم عليه السلام ، وتفسير كيومرث هو الحي الناطق ، وكان رجلاً في الدنيا قتله أهرمن إلّه الظلام ، ونبت من مسقطه رجل يُقال له ريباس ، ومن أصل ريباس خرج رجل يسمَّىٰ ميشه ، وامرأة تسمَّىٰ ميشانة ، وهما أبَوا البشر . وزعموا أن الله أو إلّه النور يزدان خير الناس وهم أرواح بلا أجساد ، بين أن يرفعهم عن مواضع أهرمن ، وبين أن يلبسهم الأجساد فيحاربوا أهرمن ، فاختاروا لبس الأجساد ومحاربة أهرمن ، على أن تكون لهم النصرة من عند الله أو إلّه النور يزدان ، والظفر بجنود أهرمن ، وعند الظفر به وبجنوده تكون القيامة والخلاص .

حرف اللام

لاأدرية .... Agnosticism

بمعناها العام وجهة النظر التي تنكر إمكان التأكد من وجود الله ، ومع أن تاريخ اللاأدرية بهذا المعنى يرتبط بالشكية ، ومن ثم تصبح اللاأدرية مذهباً قديماً ، إلا أن العالم الإنجليزي توماس هكسلي (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) كان أول من صاغ اصطلاحها ، ولم يستخدم بشكل واسع كما استخدم في فلسفة القرن التاسع عشر ، وفي المناقشات الحامية التي جرت بين جماعات اللاّأدريين من ناحية وبين المثبتة لوجود الله من ناحية أخرى، واستخدمه البعض بمعنى أن اللاّأدري هو القائل بمحدودية العقل والرافض لاستخدامه في مناقشة مسائل الألوهية والمدرك لتهافت كل الحجج على وجود الله ، ويترتب على ذلك أن اللاأدري يعلق الحكم على وجود الله فلا ينكره ولا يثبته . غير أن طائفة من اللاأدريين وجدوا في محدودية العقل ذريعة لعدم الخوض في مسائل الدين ، والاعتقاد مع ذلك في وجود الله لما في هذا الالتقاء من فوائد خلقية واجتماعية ، وعلى رأس هؤلاء كان كنط في « نقد العقل النظري » . وقد رفع الاختلاف بين نظريات الخلق في التوراة وما انتهت إليه الكشوف العلمية إلى الموقف اللاأدري ، لكن سبنسر رأى أن منطلق الكتب الدينية ومجالها غير منطلق ومجال العلوم ، ولا يجوز مقارنة إخبارات الكتب الدينية وهي معلومات على سبيل المجاز ، بمعلومات العلوم وهي نتائج استدلالية تعتمد على عقل مشكوك في قدراته المطلقة . ولم تكن اللاأدرية عقيدة بقدر ما كانت منهجاً في التفكير ، وينصح هكسلي بمسايرة العقل مهما كانت النتائج النهائية التي يتوصل إليها ، ولكنه مع ذلك يحذر من الركون نهائياً إلى هذه النتائج . وأدانت الوضعية الموقف اللاأدري ، وقال آير في « اللغة والحقيقة والمنطق» (١٩٢٦) إن لغة اللاّأدريين لا تنقص في لغوها عن لغة المؤمنين ، فكلاهما يتحدث عن اشياء يستحيل الاستيثاق من صدقها والتدليل عليها ، فإذا كانت كلمة الله لا معنى لها ، فإن عبارة ربما كان الله موجوداً ليست بأقل منها لغواً .

لابريولا .... Labriola

(١٨٤٣ ـ ١٩٠٤) أنطونيو لابريولا ، أول أستاذ فلسفة جامعي يعتنق الماركسية في الفكر الإيطالي ، وراسل إنجلز حتى وفاة الأخير ، ولم تؤثر عنه إلا مقالات جمعها اثنان من مريديه ، هما سوريل في فرنسا بعنوان « بحث في المفهوم المادي للتاريخ **Eaaais sur la Conception Materialiste de LHistoire** » (١٨٩٧) ، وكروتشه في إيطاليا بعنوان « بحث في الاشتراكية والفلسفة **Discorendo di Socialisma e di Filosofia**» ، (١٨٩٧)، وكانا أول كتابين في

الماركسية من وجهة نظر فلسفية بحتة بقلم فيلسوف أكاديمي ، وبسببهما وصف لابريولا وسوريل وكروتشه بأنهم الثالوث المقدس للماركسية اللاتينية ، ولكن تلاميذ لابريولا أخذوا يبتعدون عنه في تفسيره ، وكانوا يستشهدون بأقواله في تكفير بعضهم البعض ، حتى ان جرامشي Gramsci رفع شعار العودة إلى لابريولا (١٩٥٠) باعتار أن ماركسيته هي الماركسية النقية ، وأعلن لابريولا انشقاقه على سوريل وكروتشه ، ووصف التنقيح الذي توفرا عليه للماركسية بأنه مؤامرة دولية ينظمها « جواسيس الشرطة العلمية » فكان أول تعبير فلسفي من نوعه .

لابروبير La Bruyère

(١٦٤٥ ـ ١٦٩٦) يوحنا دي لابروبير ، فرنسي ، ولد بباريس ، من الطبقة البورجوازية ، لكن عمله كان وسط الطبقة الأرستوقراطية ، واشتهر بكتابه « **شخصيات Caracteres** »(١٨٨٢) ، ويشتمل الفصل الأخير على دفاع عن الدين ضد المفكرين الأحرار ، ويسوق الأدلة على وجود الله .

لابيرثونيير Laberthonnière

(١٨٦٠ ـ ١٩٣٢) لوسيان لابيرثونيير ، فرنسي ، من البارزين في الحركة الكنسية العصرانية ، ولو أن آراءه جرت عليه نقمة الكنيسة فحظرت نشر كتبه سنة ١٩١٣ ، وهو يرى أن الفلسفة الحقة هي التي تعطي الحياة معنى ، وتنير للناس مسالكهم ، ويقول في كتابه الرئيسي « **الواقعية المسيحية والمثالية الإغريقية Le Realisme Chretien et L'Idealisme Grec** » (١٩٠٤) أن الفلسفة الإغريقية مثالية لأنها تدعو إلى نموذج من الحياة طابعه التأمل ، ولا تهتم إلا بالماهيات المجردة ، وتصور الله متباعداً عن خلقه ، ولكن الفكر المسيحي يدعو إلى الحياة الفاعلة ، وإلهه إله مشارك للناس ، ولذلك فهو فكر واقعي . ولا يحاول لابيرثونيير التوفيق بين الإيمان والعقل ، ويدين التوماوية لاتجاهها هذه الوجهة التأليفية ، ويقول إن مهمة الفيلسوف هي المفاضلة والاختيار بين الطريقين ، وإن كان هو نفسه براجماتيا ، ولذلك يعترف بتأثير الفلسفات الفاعلة عليه ، وخاصة عند مين دي بيران وإيتان بوترو وموريس بلونديل ، ويعاف الفلسفات العقلية والتأملية .

لاروميجيير Laromiguière

(١٧٥٦ ـ ١٨٣٧) بطرس لاروميجيير ، مدرس فلسفة فرنسي ، من تلاميذ لونديك ، ومن اصحاب الإيديولوجيين، لكنه انصرف عن تعاليم كل منهما في بعض المواضع ، وكان شديد الحياء فرفض التقدم لزمالة الأكاديمية الفرنسية ، واكتفى بإلقاء المحاضرات في الجامعة ، وكان من تلاميذه فكتور كوزان وتيودور جوفروي . رفض سلبية العقل التي قال بها كونديك ، واحتج بأنه لو كانت كل أفكارنا تعديلات ندخلها على المادة المحسوسة التي تفرضها علينا الأسباب الخارجية ، لكان من المستحيل أن نفسر عمليات الأنتباه والمقارنة والاستدلال ، فهي عمليات فاعلة وليست منفعلة ، وهناك فارق بين أن أرى وأن انظر ، وأن أستمع وأن أنصت ، ولا يمكن أن نفرق بينها إذا كانت النفس منفعلة ومتلقية للمثيرات الحسية ، والفاعلية في الإدراك وفي الإرادة . وتناظر فاعليات الإدراك الثلاث السابقة مع فاعلات الإرادة الثلاث : الرغبة والتفضيل والحرية . ونالت فاعلية النفس استحسان معاصري لاروميجيير لأنها أعادت إليهم الإيمان بقيمة الإنسان ، والتي كان كونديك قد زعزعه ، ولكنه اتفق مع كونديك على أن رسالة الفلسفة هي تحليل الأفكار ، وطبع كتابه «دروس في الفلسفة » ست مرات .

لاس Laas

(١٨٣٧ ـ ١٨٨٥) إرنست لاس ، ألماني ، كان أستاذاً للفلسفة بجامعة ستراسبورج ، وهو متوسط المكانة ، وأهم كتبه « **المثالية والوضعية** » (١٨٨٤) يجمع فيه بين التجريبية المحدثة والكنطية ، ووضعيته لا تشبه في شيء وضعية كونت ، ولا يذكره إلا لماما ،

ويقصر المعرفة على معطيات الخبرة الحسية ، ولكنه يقول بوعي مثالي تتجاوز موضوعاته موضوعات الحس .

لاشلييه ...... Lachelier

(١٨٣٢ ـ ١٩١٨) جول لاشلييه، فرنسي ، تعلم بمدرسة المعلمين العليا ، واشترك مع استاذه رافيسون في تأسيس الحركة الروحية في الفلسفة الفرنسية . وهو يرد الاشياء إلى ظواهر ، والظواهر إلى أحاسيس ، والعالم الخارجي إلى فكر ، لكنه يقول بموضوعية العالم الخارجي ، وهو يرد الظواهر إلى قانون الأسباب الكافية ، لكنه يفسر انتظام الظواهر وتواترها واتجاهها من البسيط إلى المركب والانسجام والاتفاق الذي يميز تركيبها ، انسجاماً واتفاقاً يتجه بالأجزاء إلى فكرة الكل ، ويجعل من الكل فكرة تسيطر على الأجزاء وتحدثها ، يفسر هذا كله بمبدأ العلل الغائية . ويشكل المبدءان أساساً لاستقراء يقول به لاشلييه، مستمداً من تجارب الحياة ويعبر عن غائية في الطبيعة . وتتدرج الكائنات في سلم التطور بالنسبة لارتقاء تركيبها بما يتسم به من تعقيد وانتظام وانسجام ، إعمالاً لقانون العلل الغائية ، والإنسان أرقاها بما له من قدرة على التجريد والتصحيح ، ثم بما له من حرية على اختيار وسائل وغايات نشاطاته ، فالحرية شرط كل فعل ، ومن خلال الإنسان ينفذ مبدأ العلل الغائية ، والحرية التي هي شرطه ، إلى مملكة الحياة النامية ومملكة الظواهر البسيطة التي تحكمها الآلية ، وبدون الحرية لا يمكن فهم الآلية أو الغائية ، ومن ثم فإن مبدأي الأسباب الكافية والعلل الغائية اللذين يقوم عليهما القياس ، يقدمان هما نفسيهما على الحرية ، والحرية هي خاصة الفكر الأولى .

لالاند ...... Lalande

(١٨٦٧ ـ ١٩٦٤) أندريه لالاند ، فرنسي ، تخرج من مدرسة المعلمين العليا ، وكان استاذاً للفلسفة بجامعة باريس ، واستاذاً للفلسفة بالجامعة المصرية ، أهم كتبه « **المعجم الاصطلاحي والنقدي للفلسفة Vocabulaire Technique et Critique de la Philosophie** » (١٩٢٦) و « **نظريات في الاستقراء والتجريب Les Théories de L'Induction et de LExpérimentation** » (١٩٢٩) و « **الأوهام التطورية Les Illusions Evolutionistes** » (١٩٣٠) و « **العقل والمعايير La Raison et les Normes** » (١٩٤٨) . ولالاند عقلاني ، نقض نظرية سبنسر في الارتقاء والتطور التي تقول بأن الكائنات تترقى من التجانس إلى التنوع ، وقال بنظرية عكسية ، أن قانون الحياة ليس التطور Evolution ولكنه الانحلال Dissolution أو التطور العكسي ، أي من التنوع إلى التجانس ، والانحلال هنا ليس بالمعنى السلبي ، ولكنه يفيد الترقي والتطور ، ولذلك استغنى لالاند فيما بعد عن كلمة الانحلال التي يسيء الناس فهمها ، واستخدم كلمة Involution عكس Evolution ، بمعنى التطور إلى الوحدة والتجانس ، أو التطور من الاختلاف إلى التشابه ، فالملاحظ ان الكائنات يحدوها المحافظة على نفسها من تنازع البقاء ومن التغير ، وأن الجماد يخضع لقانون تناقص التفاوت بين الطاقة والكتلة ، وأن الحياة عموماً مآلها للموت ، وأن الموت هو النهاية المحتومة لكل غزو وفتح وتمايز ، وأنه مبدأ يساوي ويوازن بين الجميع . ومع أن هذا النكوص لا ترضى عنه الغريزة الحيوية لأنه يقضي على الحياة ، فإن العقل يرضى عنه ، لأنه لا يدرك الحركة ، ويبحث عن المتشابهات ، ولا يفسر الأشياء إلا إذا ردها إلى نوع من الوحدة وضرب من المساواة ، وإذا كان الانفعال يفرق بين الناس ، فالعقل يؤلف بينهم ويوحد أفكارهم ، ومن ثم سعى العقل دائماً في مدارج التطور سعياً يضاد في اتجاهه لسعي الغريزة الحيوية ، حيث قانون الغريزة الصراع والتنافس والتنازع والتمايز ، وقانون العقل التشابه والتوحيد والقضاء على الفردية والأنانية ، ولذلك يطلق لالاند على ما يذهب إليه دارون وسبنسر من آراء تؤكد إثراء الحياة واتجاهها صوب الأحسن أوهام التطور الشائعة التي يتردى إليها

العصر ، ويصف طريق العقل بأنه طريق مغاير لما يذهب إليه دعاة التطور ، لأنه بدلاً من إقامة العلاقات على القوة والسلطة والغزو والقسر والقهر يقيمها العقل على العدالة والمساواة والمحبة والحرية . ويعارض لالاند القول بأن المعقولات مستفادة من التجربة وأن موضوعها دائم التغير ، ويردها إلى مبدأ ثابت هو العقل المكوِّن Raison Constituante ، أما مجموعة المبادىء أو المعقولات فهي العقل المكوَّن Raison Constituée . والأول ثابت وهو المبدأ الواضع للقيم والمعايير والقواعد ، وإرادته إرادة توحيد وغايته التجانس والتوافق ، والثاني قابل للتغير ، وهذا العقل الثاني هو الذي يقصد إليه التجريبيون حين يتحدثون عن التغير الدائم لمفاهيم المعقولات ومن ثم ينكرون قيمة العقل .

وكان معجمه الفلسفي محاولة منه إلى التوحيد الفعلي بين العقول بإيجاد لغة واحدة يتفاهم بها المفكرون فيتشابه تفكيرهم وتتوحد إراداتهم .

لامارك Lamarck

(١٧٤٤ - ١٨٢٩) شيفالييه دي لامارك ، عالم نبات فرنسي تحول إلى دراسة الحيوان ، وصاغ أول نظرية شاملة في الارتقاء . تعلم ليكون قسيساً ، وانصرف إلى الجندية ، ثم تحول إلى الطب والنبات ، وألف موسوعة علمية في النباتات الفرنسية ، كانت له مدخلاً إلى أكاديمية العلوم ، وعين سنة ١٧٩٤ استاذاً لعلم الحيوانات اللافقرية ، وبدأ ينسج نظريته حتى عام ١٨٠٢ ، وينشرها على أجزاء في كتب « **نظام الحيوانات اللافقرية** » (١٨٠١) و « **بحوث على تنظيم الاجسام الحية** » (١٨٠٢) و « **فلسفة الحيوان** » (١٨٠٩ - ١٨٣٠ جزءان) و « **التاريخ الطبيعي للحيوانات اللافقرية** » (من ١٨١٥ إلى ١٨٢٢ سبعة أجزاء) ، ولم تنل كتبه حظها من الرواج ، ومات في الخامسة والثمانين ، أعمى ، فقيراً ، منسياً ، ودفنت جثته في مقابر الفقراء ، مجهولاً من الجميع .

وفي رأيه ان الكون ، في مجمله ، سر من الأسرار ، وأن له خالقاً يديره بالقوانين ، وأنه يسير إلى غاية ، وأن خالقه وحده أعلم بها ، وأن الخالق خلاف خلقه ، كما ان الساعاتي غير الساعة التي صنعها ، ولذلك أمكن النظر في خلق الله باستجلاء قوانين الطبيعة . وكان لامارك يطمع أن يتناول هذه القوانين بالبحث والكتابة ، واقتصر منها على دراسة الأحياء ، وأطلق على العلم الذي يعنى بها علم البيولوجيا (١٨٠٢) .

وأقنعته دراساته الجيولوجية أن الأرض مرت منذ زمن بعيد بأطوار ، خاصة سطوحها ، وأقنعته كشوف الحفريات أن الحياة الحيوانية بدأت أيضاً منذ أزمان سحيقة ، وأنها مرت بأطوار كذلك ، واستنتج من وجود الكائنات الدقيقة اللافقرية أنها ربما كانت أصل الحياة النباتية والحيوانية ، وأن هذه الكائنات نفسها تخلقت من المادة الغفل بالتوالد الذاتي وبفعل قوى الطبيعة من حرارة وغازات وأبخرة ، وأن الحياة الحيوانية والنباتية توالدت كل من جيل مختلف وتطورت من الأدنى والأبسط إلى الأعلى والأكثر تعقيداً ، وهو الإنسان ، وأن الإنسان صار المعيار الذي يقاس إليه انحطاط أو كمال الحيوان ، وأن الارتقاء يستمر من جيل إلى جيل طالما البيئة ثابتة ، لكنها عندما تتغير تتوالد أجيال تخرج عن خط الارتقاء وتنحرف في شكلها إلى أشكال جديدة تتلاءم بها مع البيئة أو البيئات المتغيرة ، ويرجع لامارك السبب إلى سوائل بدنية في الكائن الحي تسري في اعضائه ، وتتأقلم الكائنات الأولية التي لا تتمتع بملكة شعور مع البيئة بطريقة آلية ، ولكن الكائنات العليا التي تشعر بالرغبة أو الحاجة مع تغير البيئة ، يثيرها الشعور بالحاجة ، ويحرك سوائلها الداخلية في اتجاه العضو الذي به يكون إشباع الحاجة ، فإذا لم يكن هذا العضو موجوداً فإن هذه السوائل تعمل بالتدريج على استيلاده مع استمرار الحاجة وإلحاحها ، فإذا تواجد العضو عملت على تحسينه ، ونقله إلى الأجيال التالية . وهذا هو ما حدث مع الإنسان عندما انفرق عن الحيوانات شبه الفردية بتولد العقل فيه .

ويعيب هذه النظرية القول بالآلية في الحياة النباتية

وبالغائية في الحياة الحيوانية ، فكأن لكل حياة قانون ، والقول بأن الطبيعة لم يحدث أن استغنت عن نوع من الأنواع بالرغم من وجود حفريات تثبت انقراض أنواع كثيرة ، والقول بوجود خط ارتقائي وآخر انحرافي بفعل التأثيرات الجانبية ، والقول بوراثة الصفات المكتسبة . وهو ما تدحضه العلوم العصرية ، ويتبقى أن لامارك كان أول من نبه إلى القوانين التي تحكم الحياة العضوية وتطورها .

لامبرت .... Lambert

(١٧٢٨ ـ ١٧٧٧) يوحنا هنري لامبرت ، ألماني ، ولد في مولهوز بالألزاس ، واشتهر بكتابه « **الأورغانون الجديد Nues Organon** » (١٧٦٤) وهو نظريته في المعرفة الاحتمالية التجريبية ، ويضم قواعد للتمييز بين الظواهر الذاتية والحقيقة الموضوعية ، ونزعته ظاهراتية .

لاموث لوفاييه .... La Mothe Le Vayer

(١٥٨٨ ـ ١٦٧٢) فرانسوا دي لاموث لوفاييه ، شكاك فرنسي ، بنى فلسفته على دفوع سكستوس إمبريقوس ومونتاني ، وكان اكثر فلاسفة القرن السابع عشر تطرفاً في عدائه للنزعة العقلانية .

لاميتري ... La Mettrie

(١٧٠٩ ـ ١٧٥١) جوليان أوفروي دي لاميتري ، فرنسي ، درس الطب بجامعة باريس ، وتحول إلى الفلسفة واعتنق المادية ، وأثار كتابه « **التاريخ الطبيعي للروح L'Histoire Naturelle de L'Ame** » (١٧٤٥) عاصفة من النقد بما تضمن من آراء مادية وإلحادية ، مما اضطره إلى الهجرة إلى هولندا ، واستدعاه فردريك الأكبر وعينه عضواً بأكاديمية العلوم ببرلين وطبيبا وقارئا خصوصيا للملك . وهو يصف الروح بأنها القوة المحركة La Force Motrice في المادة ، ويقول إن أشكال المادة هي عالم الحيوان والنبات . وفي كتابه «**الإنسان الآلة L'Homme Machine**» (١٧٤٧) يقول إن حالات الروح تتماثل وحالات البدن . وفي كتابه « **مقال في السعادة Discours sur le Bonheur** » (١٧٥٠) يصف الخير الأسمى بأنه ما يجعل الإنسان الآلة في أمثل حالاته . ومات لاميتري بالتخمة واستغل أعداؤه ذلك ليسخروا من نتائج المادية .

لانج .... Lange

(١٨٢٨ ـ ١٨٧٥) فريدريك ألبرت لانج ، اشتراكي ألماني ، تعلّم في زيورخ وبون ، وعلّم المنطق الاستقرائي في زيورخ وماربورج ، وفصل من وظيفته لبعض الوقت بسبب ميوله الاشتراكية ، واشتهر بكتابه « **تاريخ المادية ونقد مغزاها الحالي** » (١٨٦٦) الذي كان عوناً لخصوم المادية ، وعاملاً من عوامل بعث الاهتمام بكنط .

لايبنتس .. Leibniz

(١٦٤٦ ـ ١٧١٦) جوتفريد وليام لايبنتس ، ألماني ، ولد بليبنزج ، وكان أبوه أستاذاً بجامعتها ، وأمه إبنة أستاذ بها ، وماتَ أبوه وهو في السادسة ، وكان لايبنتس شغوفاً بالقراءة ، ووجد في مكتبة أبيه ما يرضي تطلعه ، وكان عمره عشرين سنة وقت أن تقدم لنيل الدكتوراه في القانون ، فرفضته الجامعة لصغر سنه ، واضطرَّ إلى الالتحاق بجامعة التدورف ونالَ منها الدكتوراه ، وتقلد عدة وظائف ، وارتحل إلى عدة مدن ، واستقرَّ في بلاط أمير هانوفر إرنست أوجست ، وكانت امرأته ، وابنته صوفي شارلوت ، من مريديه ، وكان دائم التردد على برلين في حياة صوفي شارلوت التي صارت ملكة على بروسيا ، وأسَّس بها الجمعية العلمية التي صارت أكاديمية من بعد ، وانتخبَ رئيساً لها مدى الحياة ، واختير عضواً بالجمعية العلمية بلندن ، وكان شغوفاً بالبحث العلمي ، تواقاً إلى توحيد المذاهب المسيحية ونشر السلام بين الأمم ، واخترع آلة حاسبة محسنة على آلة بسكال ، وزادَ بها على الجمع والطرح استخراج الجذور والضرب والقسمة ، وارتحل إلى باريس ولندن وأمستردام وجنيف وإيطاليا ،

وكان يلتقي بفلاسفتها ورجال الفكر بها ، وعرف مالبرانش وأنطوان أرنولد وسبينوزا ، ودخل في معارك فكرية ، عارضَ فيها ديكارت ومالبرانش ونيوتن ، وجرت عليه معارضاته لنيوتن حقد الكثيرين ، ونسب إلى نفسه اكتشاف حساب الفوارق ، وسفَّه الرأي القائل بأن نيوتن مكتشفه ، ويبدو أن الاثنين اكتشفاه في وقت واحد دون أن يدري أحدهما عن الآخر شيئاً ، ومع ذلك كانت طريقة لايبنتس في تدوين الرموز أيسر ، وما تزال طريقته هي المستعملة حتى اليوم ، ومع ذلك كان المثقفون يميلون إلى اعتبار نيوتن هو المكتشف ، وهو إجحاف بحق لايبنتس شبيه بالإهمال الذي عاش فيه في أواخر أيامه ، فقد فرضوا عليه أن يستمر أميناً لمكتبة هانوفر وأن لا يبرحها إلى مكان آخر ، ودون اكتشافاته في المنطق الرمزي وظلّت مخطوطاته مدفونة في المكتبة حتى اكتشفوها حديثاً ، وكان على المناطقة أن يعيدوا لهذا السبب اكتشاف ما سبق له اكتشافه ، ولم تنشر كثير من كتبه ولاقت الصدود ، وعندما مات لم يمش أحد في جنازته ممَّن عمل معهم في بلاط هانوفر أو المكتبة ، ولم تؤبنه جمعية برلين أو لندن العلمية رغم رئاسته للأولى وعضويته بالثانية ، ولم تذكره بالخير إلَّا أكاديمية باريس . ولم يتم إحصاء مؤلّفاته ومراسلاته حتى اليوم ، وكانت كتاباته بالفرنسية واللاتينية لأن الألمانية لم تكن لغة الفكر بعد ، وكانت أهم كتبه التي يتكامل بها مذهبه « مقال في الميتافيزيقا Discours de Metaphysique » (١٦٨٦) و « محاولات جديدة في الفهم الإنساني Nouveaux Essais sur L'entendement Humain » يرد بها على « محاولة في الفهم الإنساني » لجون لوك ، ولكن وفاة لوك عام ١٧٠٤ منع لايبنتس من نشرها ، ولم تطبع إلَّا عام ١٧٦٥ ؛ و « **محاولات في العدالة الإلّهية تتناول خيرية الله وحرية الإنسان وأصل الشر Essais de Theodicée sur la Bonté de Dieu, La Liberté de L'Homme et L'Origine du Mal** » (١٧١٠) استوحاه من مناقشاته مع صوفي شارلوت حول مسائل حرية الإرادة والشر وتبرير خلق الله ، ومعظمها مسائل أثارها بايلي Bayle ، ووجدها لايبنتس فرصة يستعرض فيها معارفه وقدرته على النقاش ، وكان موهوباً في أسلوبه ولم يكن قد احترفَ الفلسفة بعد ؛ و « **المونادولوجيا Monadologie** » أو علم الجواهر الروحية (١٧١٤) . وكانت له مراسلات كثيرة ، أهمها بالإجماع مراسلاته مع صامويل كلارك حول مسائل الزمان والمكان والمادة ومبدأ السبب الكافي ، وتلقي ضوءاً على خلافه مع نيوتن ؛ ومراسلاته مع القسيس الجزويتي دي بوس ، بدأت حول مشاكل فهم أجزاء من مذهبه وانتهت بشروح في الدين والتجسيد .

وتستوقفنا في فلسفة لايبنتس محاولاتها التوفيقية ونزعتها التأليفية بين مختلف المذاهب والفلسفات والنظريات ، وربما كان التشابه بينه وبين نيوتن من باب اقتباساته التأليفية ، ومع ذلك كانت هذه هي هوايته منذ صغره ، فالأشياء عنده أعداد يردها إلى أصغر منها أو يبني عليها ، كما يفعل في القسمة أو الضرب ، بمعنى أن يستخلص من المعاني المركبة ما هو أبسط منها بعملية تحليلية حتى يصل إلى المعاني الأبسط ، أو أن يبني على المعاني الأبسط ويصل إلى المعنى المركب بعملية تركيبية كعملية ضرب الأعداد ، فالمعاني البسيطة أو المعاني الأولية هي معياره لتبين صدق أي قضية . وهو يفترض قيام علاقة وثيقة بين الوقائع والقضايا التي تعبّر عنها ، وأنه في كل قضية صادقة يحتوي الموضوع المحمول ، فإذا كانت أ ب ج د مفاهيم بسيطة للغاية لا تشترك في موضوع واحد ، فإن القضية أ ب ج هي أ صادقة ، والقضية أ ب ج هي د فاسدة ، والقضية الأولى متطابقة (ضرورية) ، والثانية متناقضة (مستحيلة) وهذا الرأي يرتبط بالبحث الذي أفنىٰ فيه حياته عن رموز ولغة تصلح لتدوين والتعبير عن كل الحقائق ، حتى في مجال الأخلاق والجمال ، وفي لغة كهذه ستبدو القضايا الفاسدة إحالات منطقية واضحة على هذه الصورة أ ب ج ليست أ أو ليست ب ، وبذلك ينمحي الاختلاف بين الناس ويحلّ الحساب محل الاستدلال .

وتنقسم الحقائق عنده إلى حقائق ضرورية وحقائق عرضية ، وحقائق الرياضيات ضرورية ، وصادقة وفقاً لمبدأ عدم التناقض فلا يمكن أن يكون الشيء نفسه وضده في نفس الوقت . والحقائق التجريبية عارضة ، ويأتي صدقها وفقاً لمبدأ العلة الكافية ، أي إن ما يوجد فإنّما يوجد من سبب كافٍ ، والتفرقة التي يريد لايبنتس طرحها بين حقائق المنطق والرياضيات وبين الحقائق العرضية ، هي أن القضايا الأولى تصدق على كل العوالم ، بينما لا تصدق الثانية إلاّ على هذا العالم فقط ، وتعتمد الأولى على عقل الله لا على إرادته ، بينما اقتضت إرادته أن تكون القضايا الثانية صادقة حين اختار أن يخلق هذا العالم . وتؤلّف الجمل الصادقة عن هذا العالم نسقاً أزلياً لا يمكن معه أن يصدق بعضها ويكذب بعضها . وهذا النسق يفرض نفسه فرضاً ، فلو كان من الممكن أن يكون جزء من العالم على خلاف ما هو عليه ، كما كان من الممكن أن تظل بقية الأجزاء على ما هي عليه، فالممكن في حالة ممكنة في كل الحالات الأخرى ،ووضع لايبنتس جدولاً للممكنات شبيهاً بجدول العناصر في الكيمياء ، ومنه قد يمكن أن نشتقّ صيغة صورة ممكنة بتركيب البسائط إلى بعضها ونكتشف كائناً قد ظلّ مجهولاً حتى الآن . ونستطيع بفن التركيب هذا وبممارسته على الأسماء أن نقدم موسوعة لكل المعرفة ، ومنهجاً للاتصال بين كل الشعوب التي تتحدث بكافة اللغات ، وتعرض الموسوعة ما في الوجود من ثراء وتنوّع وتشهد على حكمة الله وقدرته وتلهم التقوى والإخلاص لله ، وينشىء المنهج سلاماً حقيقياً بين الدول والجماعات تستحيل معه الحرب لخير الإنسان وأمنه ورفاهيته وتقدمه .

ويقيم لايبنتس فلسفته على نقد الفلسفات الأخرى، فهو لم يقتنع بالصور الجوهرية التي قال بها أرسطو ، ونسبها إلى العقل وسفهها كمبدأ لتفسير الأشياء . ولم يقتنع بمفاهيم ديكارت وكشف تناقضها وقصورها ، فديكارت يصف الأجسام بأنها منفعلة فقط ، ويتهافت قوله إذا علمنا أن الجسم يقاوم الحركة . وهو يقول إن كمية الحركة لا تنقص في الكون ، مع أنه يذكر أن الحركة تنتقل إلى السكون وبالعكس . ويتساءل لايبنتس عن الشأن في الجسم في نقطة من خط سيره ، هل يكون في هذه النقطة ساكناً أم متحركاً ؟ ديكارت يقول إن الأجسام منفعلة ، وإذاً يكون الجسم عند هذه النقطة ساكناً ، وتكون حركة الجسم عبارة عن سلسلة من السكونات ، وهذا خلف . وأصل الخطأ عند ديكارت أنه قال إن ماهية الأجسام في الامتداد . لكن لايبنتس يقول إن ماهية الأجسام في القوة ، والقوة تجعل الجسم متحركاً حتى في النقطة في خط سيره ، والقوة تظل موجودة بالجسم حتى في حالة سكونه . وينتقد لايبنتس قول ديموقريطس بالجواهر الفردة ، فالجوهر وحدة غير منقسمة ، لكن الجواهر الفردة أجسام ممتدة ، وكل جسم ممتد مهما صغر قابل للقسمة ، ومن ثمّ لا يكون جوهراً ، فالجوهر لا يمكن أن يكون مادياً ، ومن كل ما سبق نستنتج أن الجوهر لا يمكن أن يكون وحدة حقيقية إلاّ إذا كان جوهراً بسيطاً لا أجزاء فيه ، أطلق عليه لايبنتس اسم الموناد Monad أي الجوهر الروحي ، واللفظ يوناني معناه الوحدة استخدمه إقليدس ، وربما أخذه لايبنتس عنه . والموناد ليس مادياً ، ويترتّب على ذلك أنه لا يوجد في مكان أو زمان ، ولا يبيد ولا يتحطم ، ولا يأتي إلى الوجود إلاّ عن طريق الخلق ، ومنه ما يكاد يكون فعالاً فعالية تامة ، ومنه ما يكاد يكون جامداً كالمادة الخالصة . وتتمايز المخلوقات وتتدرّج بحسب موناداتها . والله هو الموناد الفعال فعالية تامة ، وتدرك المونادات العالم كله ، غير أن لكل منها مجال إدراكه المتميز بحيث يدركه بوضوح ويدرك ما عداه إدراكاً والصورة المتحصلة هي صورة العالم كما لو كانت المونادات مرآة للوجود. والحجر والنبات يدرك، كما يدرك الإنسان، فالمغنطيس مثلاً يدرك الحديد وينجذب إليه، وعباد الشمس يدرك الشمس ويغير وجهته إليه، والوجود درجات لامتناهية من الموجودات المتدرجة في الإدراك . والموناد قوة متجهة للفعل بذاتها ، لكنه لا يؤثر في غيره من المونادات ، وإنّما تعمل كلها في توافق مثل

ساعتين تتوافقان دون تفاعل ، أو كجوقتين تنشدان من مدونة موسيقية واحدة ، ولا يفسّر هذا التوافق إلاّ بافتراض خالق منسق ، وما توافق النفس والجسم إلاّ لأن الله زوّد كلاً بقوانينه الخاصة ، وناغم بين فعليهما بتناسق مسبق أزلي . وما يبدو لنا أنه تفاعل ليس إلاّ مظهراً دون أن يحدث التفاعل في الواقع . وليس المكان إلاّ نظام الأوضاع التي ندرك عليها الظواهر المختلفة في نفس الوقت ، وليس الزمان إلاّ نظام المواقف المتعاقبة .وما المكان والزمان إلاّ تجريدات أو حقائق عقلية ، وليسا شيئين متمايزين من المونادات وسابقين عليهما كما يتوهم نيوتن ، وليسا قابلين للقسمة إلى ما لانهاية فحسب ، لكنهما ينقسمان فعلاً إلى ما لانهاية ، لا إلى تجريدات كالنقطة واللحظة ، لكن إلى موجودات حقيقية هما المونادات . ووجود المونادات المتميز يقوم على مجموع استعداداتها للفعل ، أي على شيء باطن ، وليست كل إدراكاتها حسية ، لكن فيها معارف لم تأت عن طريق الحواس ، هي المبادىء الضرورية أو المعاني الأولية ، وإدراكاتها تتدرج من الغموض إلى الوضوح إلى التميز ، ومن ثم تكون التجربة شرطاً لظهور ما كان كامناً فيها ، ويكون فعلها وسطاً بين الحرية التامة والجبر المطلق ، يخضع لمبدأ السبب الكافي الذي يعني أن الفعل المختار هو الأحسن ، ومن بين الممكنات فإن ممكناً واحداً هو المحتوم طالما أن كل شيء سبق تنسيقه ويكون حكمه هو حكم الضروري . ومن سبق التناسق ، ومن ضرورة وجود علة تجعل الممكن متحققاً ، وتختار بين الممكنات ، يأتي الدليل على وجود الله . وفكرة الله ممكنة ولا تناقض فيها ، لأنه إذا كان هو الموجود اللاّمتناهي ، ولا يوجد ما يحد ماهيته ، فهو ممكن ، والممكن يقتضي الوجود ، فهو واجب الوجود ، وهذا هو الدليل الذي يعرف بالدليل الأنطولوجي .

وما الأخلاق ؟ إن الشر نقص ، والخطيئة فعل سببه الإدراك الناقص ، وعلى الإنسان أن لا يفعل بناء على إدراك ناقص ؛ بل على إدراك متميز . والعقل الكامل هو الذي يحصل على الإدراكات المتميزة أي المعاني الكلية ، وبذلك يحقق ماهيته ، ويحصل بالتالي على السعادة العقلية . والإدراك المختلط ، أو الناقص أو ما نسميه الجهل هو سبب الانحراف ، لكننا كلما تدرجنا من الإدراك الغامض إلى الواضح إلى المتميز نرتقي في مدرج الكمال، ونندفع إلى العمل ونرتبط بالخير، ويزداد شعورنا بالآخرين وبالله، فنسعد بسعادة الآخرين، نجد أن كمال السعادة في محبة الله ، وأسمىٰ مراتب الإنسان العارف بالله المتكمل بكماله الناطق بلسانه الفاعل بفعله ، وليس كل إنسان مؤهل لذلك طبقاً لسلسلة المونادات ، وتكون الديانات الكتابية ضرورية ، وإذا لم يكن باستطاعة العامي أن يدرك الفضيلة إدراكاً متمايزاً فلا بأس أن يدرك ظلها .

لكييه .... Lequier

(١٨١٤ - ١٨٦٢) جول لكييه ، فرنسي ، درس الهندسة واشتغل بالفلسفة ، لم ينشر شيئاً في حياته ، ويقارنه جان فال بكيركجارد ، وفلسفته أشتات من صامويل الكسندر وهنري برجسون وبرديائيف وبوترو ووليام جيمس وبيرس وهوايتهد ، له كتاب واحد « البحث عن حقيقة أولى **La Recherche d'une Première Vérité** » (١٨٦٥) نشر بعد وفاته ، والحقيقة الأولى التي وجدها هي الحرية ، فهي شرط المعرفة ، ولن يكون لبحث الباحث جدوى إلاّ إذا كان حراً مسبقاً ، لكن الحرية برهان ذو حدين ولا بد معها من اختيار واحد من بديلين ، إمّا الحرية أو الضرورة ، ولن يستطيع الباحث عن الحقيقة أن ينفي أو يثبت إلاّ بالحرية أو بالضرورة ، وما من سبيل أمامه إلاّ أن يؤكد الضرورة ضرورة ، أو يؤكد الحرية ضرورة ، أو يؤكد الضرورة بحرية ، أو يؤكد الحرية بحرية ، والطريق الأول قيد على الباحث به تنتفي حرية الباحث في البحث عن الحقيقة ولن يصل إلى المعرفة ، والطريقان الثاني والثالث متناقضان ، والطريق الرابع هو الممكن الوحيد الذي يحرره ويفتح درب المعرفة أمامه . والله نفسه

ما سيجري لم يوجد بعد . وإذا عرفه قبل أن يوجد فمعنىٰ ذلك أنه كان مقدوراً ، وأن حرية الاختبار بالنسبة للبشر وهم . ثم إن ما سيكون سيوجد بأسباب وجوده ، فهو لا يعتمد على القدرة الإلّهية ، ولكن عظمة الله أعظم من كل ذلك ، لأنها عظمة الذي يخلق كائنات نصنع قدرها .

لوتسه .... Lotze

(١٨١٧ ـ ١٨٨١) رودلف هارتمان لوتسه ، ألماني ، جمع بين الميل إلى الفلسفة والميل إلى العلم ، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة والدكتوراه في الطب . أهم كتبه « الميتافيزيقا » (١٨٤١) و « المنطق » (١٨٤٣) و « العالم الأصغر **Mikrokosmus** » (١٨٥٦ ـ ١٨٦٤) في ثلاثة مجلدات .

واجه لوتز الانفصال السائد في عصره بين العلم والدين ، وبين التفكير والوجدان ، وبين المعرفة والقيمة ، وكان من المستحيل عليه أن يرفض أيّاً من الثالوث الذي يشكل الثقافة النهائية للإنسان ، وهو العلم والفن والقيمة ، فلكل مكانته في حياة الإنسان وفي الكون ، ولا يمكن إلغاء أيّ منها دون تشويه وتدمير تلك الحياة ، ولكنه كان يرى أن المناهج المتيافيزيقية القديمة قاصرة عن الربط بينها ، وأن الجدل المنطقي الأفلاطوني أو الهيجلي عاجز عن استنباط أي من المقولات والقيم الأساسية للوجود ، وأن معرفة الوجود تقوم على معرفة الواقع بالملاحظة والتجريب ، وأن العلوم التجريبية لذلك هي الوسائل السليمة لاستكناه الوجود ، وأن المطلوب من الميتافيزيقا هو أن تقصر جهدها على تحليل وتوضيح وتنظيم هذه المفاهيم والنظريات التي يكتشفها العلم ، لتصنع منها مذهباً مناسباً ، وليس بوسع الميتافيزيقا أن تتجاوز هذه المهمة بأي معنى من المعاني العلمية ، ومع ذلك فللميتافيزيقا مهمة أكبر ، فالدافع إلى التفكير تفكيراً ميتافيزيقياً لا يوجد في الميتافيزيقا نفسها ، لكنه في مجال الأخلاق ، أي في الرغبة في أن نعرف ونحقق ضرباً من الخير المطلق ، ومن ثمَّ يذهب جزء من التفكير الميتافيزيقي إلى تأمل ما لا يدخل في نطاق العلم لنعرف حقيقة ما يدفع الإنسان إلى أن يفكر تفكيراً ميتافيزيقياً ، وليس هذا التفكير إلاَّ معاناة تجربة الخير المطلق .

لو تشو يوان .... Lu Chu Yuan

(انظر الكونفوشية) .

لوثر .... Luther

(١٤٨٣ ـ ١٥٤٦) مارتن لوثر ، مؤسّس المذهب البروتستنتي ، وأحد أبرز المصلحين الألمان ، فقد طالب بفصل الدين عن الدولة ، وأعلن أن رجال الدين مهما علت مكانتهم لا يمكن أن يكونوا معصومين ، وأنه من واجب الدولة محاكمتهم إذا فسدوا ، وقال إنه لا يمكن أن يتوسط أحد بين العبد والرب ، ولا يمكن أن يكون بمقدور أحد أن يحل آثم من آثامه ، وأن الدين ليس جوهره الطقوس ، ولكنه الإيمان ، وعلق بذلك كله احتجاجه المشهور الذي تسمَّى على أساسه أتباعه بالمحتجين أو البروتستانت . وكان لوثر من أتباع المدرسة الإسمية ، وخاصة عند أوكام ، وكان فصله بين الحب والواجب ، والقانون والأناجيل ، والدين والدولة ، والفلسفة واللاهوت ، والعقل والإيمان ، تطبيقاً لنظرية الحقيقة ذات الوجهين ، ولو أنه لم يعرف هو نفسه هذا التعبير . وكان لوثر مع الحب والإيمان واللاهوت والأناجيل ، واعتبر العقل نعمة إلّهية طالما أنه لا يحاول أن يبحث في مسائل الدين ، فالعقل للتفكير ، والدين مناطه الإيمان وعارض الفلسفة ، وخاصة اليونانية ، واتهم أرسطو بأنه وثني ، ولكنه لم يرفض أن يستفيد المسيحي من الفلسفة الخلقية .

لوسكي .... Lossky

(١٨٧٠ ـ ١٩٦٥) نيقولا أونو فريفتش ، يعتبرونه عميد الفلاسفة الروس المعاصرين ، درس في

بطرسبرج وألمانيا ، ونُفي من الروسيا سنة ١٩٢١ ، فعلم ببلغاريا ثم الولايات المتحدة ، وفلسفته مزيج من ذرية لايبنتس وحدسية برجسون ، وعنده أن كل شيء كامن في كل شيء ، وأن الذرة أساس الكون ، وأن الإنسان حلقة في سلسلة التخارجات التي أساسها الذرة ، وأنه يتَّصف بحرية الإرادة ، ومن خلال هذه الحرية يحاول أن يكون له وجود على مستوى أرفع من سائر الموجودات ، وأن الله يحكم الجميع ويوحّد بينهم ، والتجربة الدينية هي السبيل الوحيد الذي من خلاله يستطيع الإنسان أن يخبر الله ، وغاية هذا الإنسان أن يكون له وجوده المتكامل ، وهو ما يستطيع تحقيقه بعيان صوفي . أهم كتبه « الأسس الحدسية للمعرفة » (١٩٠٦) و « العالم ككل عضوي واحد » (١٩٠٧) و « تاريخ الفلسفة الروسية » (١٩٥١) .

لوسن .... Le Senne

(١٨٨٢ ـ ١٩٥٤) رينيه لوسن ، فرنسي ، كان استاذاً بجامعة باريس ، وعضواً بالأكاديمية العلمية ، قلب كوجيتو ديكارت إلى « أنا أريد أو أجهد فأنا موجود » ، الوجود عنده عملية روحية مستمرة ، فالذات دائماً تريد وتسعى للخلق والإبداع في الواقع ، لكن الواقع يعوقها ويحد من انطلاقها ، فتسمو عليه بأن تخلق قيمة، والذات المريرة مدينة بكينونتها ووعيها للعوائق التي تصادفها ، ونحن نشارك في عالم من القيمة المطلقة ، ومن الواقع الأعجم ، ونخلق أنفسنا باستمرار من خلالهما .

لويسي .... Loisy

(١٨٥٧ ـ ١٩٤٠) ألفريد لويسي ، أشهر ممثلي حركة التحديث في فرنسا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين . كان أستاذاً للعبرية في المعهد الكاثوليكي ، ولكن تجديفه المستمر ، وإنكاره لألوهية المسيح ، وإصراره على تحريف الأناجيل أدى إلى فصله وتكفيره ، وفي ١٩٠٧ عين استاذاً لتاريخ الأديان بالكوليج دي فرانس ، ولكنه استمر في نقده الشديد للمسيحية مواصلاً الخط الذي بدأه رينان وشتراوس قبله ، أبرز كتبه « ميلاد المسيحية » (١٩٣٣) .

لوقيبوس .... Leucippus

يقترن اسمه باسم ديموقريطس تلميذه ، ولا نعرف عنه إلا ما ورد على لسان سقراط ، ومن المرجح أنه ولد في ملطية ، ورحل إلى إيليا ثم أبديرا حيث أنشأ مدرسة ، ومن المرجح كذلك أنه كان استاذاً وصديقاً لديموقرطيس وعنه أخذ الأخير النظرية الذرية وطورها ، كما أن ديوجينيس الأبولوني أخذ منه بعض نظرياته، ووضع لوقيبوس كتابين بعنوان: **«في العقل»** ضد فلسفة أنكساغوراس الذي كان يعاصره ويكبره قليلاً ، و « **نظام العالم الكبير** » .

لوك .... Locke

(١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) يوحنا لوك ، يدعى بحق زعيم المذهب الحسي ، وأحد كبار ممثلي النزعة التجريبية في انجلترا ، ولد في برنجتون من أعمال سومرست ، وكان أبوه محامياً مغموراً ، أبلى بلاء حسناً في الحرب الأهلية دفاعاً عن البرلمان ضد شارل الأول ، ونشأ الابن على حب الحرية والفضيلة ، وفي سن الرابعة عشرة التحق بمدرسة وستمنستر ، ولا يدري أحد لماذا تأخر تعليمه إلى هذا الوقت ، وكانت الدراسة بها قديمة نمطية تعتمد على الحفظ والنظام الصارم ، وتقوم على تدريس الآداب القديمة واللغتين العبرية والعربية ، وتخرج من اكسفورد في الرابعة والعشرين ، وحصل على الماجستير بعد سنتين ، وعين مدرساً بها . وفي هذه الاثناء تعرف على كثيرين ممن كان لهم أثر عميق على حياته ، وتعلم لوك من روبرت بويل العلوم الجديدة ونظرية الجسيمات والمنهج التجريبي ، وكانت اتجاهات لوك علمية أكثر منها أدبية ، وكان طوال حياته يعزي نفسه بأنه يستطيع أن يترك دراسته الأدبية إلى العلوم عندما يعتمد على نفسه مادياً ، وعندما مات أبوه

(١٦٦١) ترك له ميراثاً وضع لوك بين ثلاثة اختيارات ، فإما مواصلة وظيفته بالجامعة ، أو أن يرسم كاهناً ، أو أن يتحول إلى كلية أخرى عملية ، واختار دراسة الطب ، واستطاع أن ينهي دراسته بها بمشقة ، وأن يحصل على رخصة بممارسة الطب . واتصل اثناء ذلك بإيرل شافتسبري الذي كان من كبار السياسيين فكان كاتبه وطبيبه . ولم يتجه للفلسفة مرة أخرى إلا بقراءة ديكارت الذي أعجبه جداً ورأى فيه تغييراً عن الفلسفة المدرسية ، وفي شتاء ١٦٧٠ كان برفقة عدد من الأصدقاء يتحاورون ، وكان من رأيه ، قبل أن تشط بهم المناقشة ، ان يصلوا برأي أولاً في قدرة الانسان ، وفيما يجوز له أن يفكر فيه ، وفيما إذا كان باستطاعته أن يتصدى لما يرى أنه ينبغي التفكير فيه. واستغرقت منه الإجابة على هذه الأسئلة مدة عشرين سنة ، كان يؤلف فيها كتابه « محاولة في الفهم الإنساني **Essay Concerning Human Understanding** » . وخلال ذلك أسهم في كل الحركات الفكرية التي كان يزخم بها زمنه ، وألف فيها كتباً أهمها « **مقالان في الحكومة Two Treatises of Government** » (١٦٩٠) و « **بعض أفكار في التربية Some Thoughts Concerning Education** » (١٦٩٣) و « **معقولية المسيحية Reasonableness of Christianity** » (١٦٩٥) ، وسافر كثيراً إلى فرنسا ، وهرب إلى هولندا ، واتهم بالخيانة ، واشترك في مؤامرة قلب الحكم وتنصيب وليام أورانج على عرش انجلترا ، وعاد من هولندا في صحبة أميرة أورانج التي صارت الملكة ماري ، وتقلد عدداً من المناصب إلى أن وافته المنية في قصر ماشام في أوتس اثناء قراءة لاري ماشام مزامير داود عليه وهو مريض .

ولم يأت كتابه « محاولة في الفهم الإنساني » كما ينبغي لكتب الفلسفة ، رغم ما صرف فيه من وقت ، وأنفق عليه من جهد ، فبعض أفكاره يبدو غامضاً لم يتطور التطور الكافي الذي تتضح منه مقاصده وغاياته ، وبعض الأفكار جاء على وجه غير دقيق فقير في لغته الفلسفية ، وهو يكثر من ضرب الأمثلة حتى الملل ، ويسخر مما لا يعرف ، ويجزم في كل ما يقول .

وينصب اهتمامه على نظرية المعرفة وإمكانية تأسيس معرفة إنسانية على الكشوف العلمية . والعالم ، في رأيه ، هو ما يقوله عالم الطبيعة عنه ، والتجربة مصدر المعرفة ، ولا توجد معرفة غريزية في الإنسان ، ولو كانت المعرفة غريزية لما كان هناك داع للبحث ، ولما اختلف الناس حول مفاهيم الحق والخير والجمال والحرية ، ولكان هناك اجماع عليها بين الأفراد والشعوب . ومن السخف القول بأن معاني هذه المبادىء موجودة في النفس ، ولكن النفس تدركها بتطورها في مدارج الوجود والكمال ، لأن القول بوجودها وأنها غير مدركة خلف ، فوجود المعنى في النفس هو إدراكه . والعقل البشري صفحة بيضاء ، وتنفعل حواسنا بالأجسام فتتكون الأفكار . والتجربة عملية احتكاك جسمنا بأجسام أخرى . وليس كل جسم يؤثر في جسمنا ، لكن الجسم الذي يكون من القوة بحيث يلفت انتباهنا هو الذي نحسه وندركه . وينتقل الإحساس به إلى العقل . والأفكار التي تتكون إما بسيطة أو مركبة ، وعندما نرى او نسمع أو نحس أو نشم تتكون لنا فكرة بسيطة هي بارد أو ساخن أو صلب أو خشن الخ . لكننا عندما نؤلف بين الأفكار ونقارن بينها ونشك ونعتقد ونستدل نكون أفكاراً مركبة ، لكنها مع ذلك تتكون من أفكار بسيطة ، وإذاً فكل الأفكار ، وكل المعرفة قاصرة على ما تمنحنا إياه التجربة ، ولو كانت لدينا حاسة زائدة ، أو لو نقصت مما لدينا حاسة ، لاختلفت تجربتنا ومعرفتنا بالعالم بالزيادة أو بالنقصان . والأفكار التي نكونها ليست صوراً طبق الأصل للأشياء ، وليست أشباهاً لها ، لكنها علامات تدل عليها ، مثلها في ذلك مثل الألفاظ فهي لا تشبه المعاني التي تقوم في النفس عند سماعها ولكنها تدل عليها . لكن كيف تثير فينا الأشياء هذه الأفكار ؟ لا بد ان لها جوهراً ، وأنه خاف علينا ، ولكنها بقوة أو كيفية فيها تثير فينا الأفكار التي هي عبارة عن إنفعالنا بتأثيرنا،

والكيفيات أولية وثانوية. والكيفيات الأولية، هي الصلابة والامتداد والشكل والحركة، وهي صفات ملازمة للأجسام لا تنفصل عنها، وهي أولية لأن العقل يجد أنها لا تنفصم عن أي جزء من المادة، وأفكارنا عنها تشبه هذه الصفات نفسها، وهي صفات موجودة حقاً في الأجسام. والكيفيات الثانوية لا تشبه في شيء الكيفيات الأولية، وهي ليست صفات تلازم الأجسام، ولا توجد فيها حقاً، ولكنها دلالات على وقائع في الأجسام، تستحدثها الأجسام في عقولنا فتولد فيها أفكاراً حسية نسميها اللون والرائحة والصوت والحرارة والمذاق. وإذاً فنحن لا ندرك سوى انفعالاتنا بالأجسام، وليست الأجسام إلا كيفيات مؤتلفة في تجربتنا، على أن هناك كيفيات من نوع ثالث هي قدرة الأجسام على استحداث تغييرات في أجسام أخرى، مثلما تفعل الشمس عندما تذيب الشمع أو الجليد.

والإدراك هو أولى ملكات الذهن، والذهن يستوعب أفكاراً معينة يولدها الإحساس، وتنضم هذه الأفكار لمخزون الأفكار العام للشخص، ويصدر العقل بشأنها أحكاماً، ويؤولها على نظام معين لم يكن لها وقت استقبالها في الحواس. والملكة الثانية هي التأمل، وللعقل القدرة على استبقاء الفكرة لبعض الوقت يعمل فيها النظر، وعلى استعادتها من الذاكرة. وهناك غير ذلك ملكات للتمييز والمقارنة والتركيب والتسمية والتجريد. والحيوانات كالإنسان تمتلك كل هذه الملكات لكن بدرجات أقل.

ويعود لوك إلى مناقشة الأفكار المركبة، ويصنفها إلى أفكار الأعراض وأفكار الجواهر وأفكار العلاقات. وأفكار الأعراض أفكار لأشياء لا تتقوم بأنفسها كالمثلث، وأفكار الجواهر أفكار لأشياء تتقوم بأنفسها كالإنسان؛ والأعراض إما بسيطة تتركب من معنى بسيط واحد مع نفسه كالعدد المركب من تكرار الوحدة والمكان والزمان المركبين من أجزاء متجانسة متكررة، والحركة واللاتناهي واللذة والألم والقوة، وإما مختلطة تتركب من أفكار بسيطة متنوعة متمايزة مثل فكرة الجمال المركبة من فكرتي اللون والشكل البسيطتين. والعلاقات عبارة عن مقارنات بين الأفكار بعضها ببعض، كفكرة العلية التي تتركب من فكرة شيء موجد وفكرة شيء موجد منه، وكفكرة التشابه والتغاير. ويسهب لوك في شرح فكرة القوة، ويصف العمل بأنه إرادي طالما أنه خاضع لأوامر العقل، وأن القوة هي الإرادة، وأن قوة المرء على التصرف دون قبول على فعله هي بما يسمى بالحرية، فإذا فقد الحرية أصبح عبد الضرورة. وتتنازع الإنسان الرغبات، وتتغلب الرغبة الأقوى على الرغبة الأضعف وتوجه الإرادة. ويرافق الرغبة قلق بمصير النفس ويشقيها. واشباع الرغبة سعادة، وكبتها شقاء. والخير هو ما يسعدنا والشر هو ما يصيبنا بالشقاء. والانسان يتوقف عن إشباع الرغبات حتى يحكم عليها وعلى تأثيرها على مستقبله، والخطأ في تقدير العواقب هو المسؤول عن تردي الانسان في الشقاء، والإنسان مسؤول عن تصرفاته وما يترتب عليها من ألم أو لذة أو بمعنى أصح من شر وخير.

ويعتقد لوك بوجود الجوهر، ويقول إننا ندرك بعض الجواهر بالتجربة، ونتحصل على كثير من المعاني البسيطة بالحس. ونلاحظ تلازم بعضها باستمرار، ونخلص إلى أنها تنتمي لشيء واحد، ونستسهل إعطاءها اسماً واحداً، كأن يكون الذهب فنعرفه قائلين إنه أصفر قابل للطرق والانصهار لا تبليه النار، لكن تعريفنا هذا إسمي يتناول كيفيات الذهب، ولوك يتوهم أن هناك أصلاً تقوم فيه الكيفيات يسميه الجوهر، لكن الانسان عاجز عن إدراكه، لأن الجواهر تتجاوز إدراكه طالما أنه إدراك للأفكار والمعاني البسيطة وحدها.

ووظيفة اللغة التواصل بين الناس والإفصاح عما يدور بخلدنا والتعبير عما يعتمل بعقولنا من أفكار ومعان. وتدل الألفاظ على جزئيات مادية، وبالانتباه إلى الخصائص المشتركة بين الجزئيات وفصلها عن الخصائص الذاتية لكل جزئي، نحصل على معان كلية نخصص لكل منها اسماً يغنينا عن الكثير من الألفاظ التي ترمز لكل جزئي. ويطلق لوك على هذه العملية

اسم التجريد. والمعنى الكلي ناقص كما رأينا، يحتوي على بعض خصائص الأشياء ، وكلما زادت كليته كلما زاد نقصه . والمعاني الكلية يصنعها الفكر وليست صوراً للأشياء ولا تشير إلى أصولها أو جواهرها وليست معرفة واقعية لأنها ليست معنية بالوجود بشكل مباشر . والمعرفة الباطنية هي المعرفة التي تقوم بتفكير العقل في أحواله، وهي أعلى ضروب المعرفة، ويقينها أعلى ضروب اليقين ، والانسان يفكر في الجزئيات المادية تأتيه من الحس ، ويتدرج منها إلى الكليات بملاحظة التشابه ، ثم يتدرج إلى الروحيات والجواهر التي لا بد أن يكون لوجودها الحادث سرمدياً كلي القدرة عاقلاً . وإذاً الله موجود ، لكننا نجهل ماهيته ، لأننا بطبيعتنا غير مؤهلين ليقينها ، ولن ندرك من وجوده وماهيته إلا ما يستطيعه عقلنا وتطيقه طبيعتنا .

والإنسان في حال حرية ، وقانون الطبيعة هو قانون الحرية والمساواة ، وحال الطبيعة أسبق على حال المجتمع ، وقوانين الطبيعة أسبق على القانون المدني، والعلاقة بين الناس في الأصل علاقة كائن حر بكائن حر ، لكن بعض الناس مفطورون على سلب الآخرين ، ولكي يحمي الإنسان نفسه من هذا الوضع المخالف لحال الطبيعة ، دخل طرفاً في عقد اجتماعي ، تعهد به على الحفاظ على حرية الآخرين ، وضمن به حرية نفسه ، وليس العقد بين حاكم ومحكوم ، لكنه عقد بين أحرار ، أطرافه على قدم المساواة في الحقوق والواجبات ، فإذا نزا فرد على حقوق ليست له ، يريد أن ينتقص من حقوق غيره ليزيد من حقوق نفسه ، قام المجتمع كله يقتص منه ويعيد حال الطبيعة إلى وضعه ، يساوي بين كل الناس في الحقوق ؛ وإذا اعتدى الحاكم على حقوق المواطنين ، يريد أن يستزيد حقوقه على حساب حقوقهم ، فإن لهم أن يثوروا عليه ويخلعوه ، ليعيدوا حال الطبيعة إلى وضعه ، إحقاقاً لحق الشعب إزاء الحاكم ووضعاً للأمور في نظامها الطبيعي . ولقد خلق الله الحياة لتبقى ، والناس ليعيشوا ، فحق الحياة أولى الحقوق ، ولكي يعيش الناس يلزمهم ما يقيم أودهم ، ويتوجب عليهم أن يكسبوه بعملهم ، وأن يتبادلوا وغيرهم الأعمال ، فالعمل الذي ينسجم مع قانون الطبيعة هو العمل المفيد ، الذي يبذل الفرد فيه من طاقته وتفكيره ، فإذا كسب منه فما يكسبه من حقه وحده ، وليس لأحد غيره حقاً فيه ، والله خلق الناس على سواء ، وخيرات الدنيا من حق الجميع ، لكن لنحصل على هذه الخيرات لا بد من بذل الجهد ، وبدون العمل ليس للأرض وما عليها إلا النزر اليسير من الفائدة ، ومن حق من يعمل أن يحصل على نتاج عمله وأن يحوزه وأن يحتجزه لنفسه ، فالملكية حق العامل وحده ، والعمل هو ذريعة التملك . ولا سيادة طبيعية لأحد على آخر، فالحرية الشخصية حق طبيعي ، ولكن الناس لكي يجتمعوا في أمن ، ويعملوا في سلام ، يتراضون على أن يوكلوا للحكومة نقل القانون الطبيعي من الصدور والقلوب إلى السطور واللوائح ، وتحويله من حال الطبيعة إلى حال الاجتماع ، وذلك هو حق التشريع . وكان للناس الحق في حال الطبيعة أن يقتص كل منهم لنفسه وأن يستخلص حقه بنفسه ، لكن ذلك يتنافى مع حال الاجتماع ويتنافر مع ما يتطلبه من نظام ، ومن ثم يتنازلون عن حق الاقتصاص للسلطة المدنية . لكن هذه السلطة لا تمارس حق التشريع وحق الاقتصاص إلا نيابة عن المجتمع وفي حدود ما يرسمه لها ، ولا يعني أنه قد تنازل لها عن سيادته ، وإنما السيادة في الأول والآخر للشعب ، وهو الذي يخولها أن تحكم باسم الأغلبية ، ويوزع السلطات عليها ، فللحاكم السلطة التنفيذية ، وإذا أساء عزله الشعب ، وللبرلمان السلطة التشريعية ، وإذا أساء حله الشعب .

وحق التعليم مكفول للجميع ، والكل فيه متساوون . وعلى برامج التعليم أن تحسب حساب ميول الطفل وقدراته وخصائصه ، ولا ينبغي أن يخضع الأطفال لبرامج اعتسافية واستظهارية ، ولا يجب أن يكون تعليمهم بالعصي ، وتربية الأجسام الصحيحة والشخصية السليمة يأتي قبل تثقيف العقل وحشوه

بالمعلومات ، وعلى المعلم أن يتوسل باللعب ، وأن يرفع معنوية الطفل ، وأن يشيع جو المرح في الفصل ، وكلها أمور طبيعية تتفق وعمر الطفل . وعليه ان لا يلجأ إلى القسر ، وأن يلجأ ما أمكن إلى اللعب ، وان من اللعب ما يثقف ويربي ، وعليه أن يكون النموذج ، وأن يكون تعليمه ممارسة وليس قواعد ومفاهيم ، والمكافأة خير من العقاب ، وللتحصيل فرحة هي مكافأته، ومعلم الطفل الأول هو أبواه ، وسلطة الأبوين أعطيت لهما كي يربيا طفلهما ويجعلا منه كائناً حراً ، وهي واجب طبيعي أكثر منها سلطة ، وواجبهما تعويده على الفضيلة ، بأن يكونا القدوة ، وبتنمية ملكته الفكرية ، وتعويده إخضاع أحكامه ورغباته للعقل ، والعقاب ضروري حيث العقل لم يتطور التطور الذي يفهم بمقتضاه الأسباب ويقدر النتائج ، ولكنه ليس الضرب، ولا التسفيه والتحقير ، ولا ينبغي أن يقوم الترغيب على ثواب لا يقدره الطفل وليس في حاجة إليه ، وخير من العقاب والثواب أن يكون الطفل بصحبة والديه ما أمكن ، وأن يتفهم أبواه ميوله وييسرا قدراته ، وأن يستغلا ميله الفطري للعب وحبه الطبيعي للانطلاق ليجعلا التعليم ما أمكن استجماماً ، ولا ينبغي أن يكبلا نشاطه الزائد ومرحه المفرط وحب استطلاعه المثير ، بل ينبغي استغلال نشاطه استغلالاً إبداعياً ، وأن يستمعا إلى ما يطرحه من اسئلة وأن يجاب عليها إجابات مبسطة أساسها العقل والعلم لا الخرافة والتسرع والملل .

ولقد كان لأراء لوك في السياسة والدين والتربية والفلسفة آثار تجاوزت انجلترا إلى كل العالم المتحضر ، فقد تخلص من عقلانية ديكارت وسبينوزا المبالغ فيها ، ووضع اسس تجريبية جديدة ، ووجد فولتير ومونتسكيو والموسوعيون الفرنسيون فيه ما أعانهم على تشكيل الأسس والترويج للمبادىء التي الهبت الثورة الفرنسية .

لوكاش .... Lucas

جورج لوكاش أو الأصح لوقا ، ماركسي مجري ، ولد ببودابست (١٨٨٥) ، ودرس على جورج سمل ببرلين وماكس فيبر بهيدلبرج ، وكان في بداية حياته وجودياً ، ثم تحول إلى الشيوعية ، وانضم إلى الحزب الشيوعي المجري (١٩١٨). كتابه الرئيسي « **التاريخ والوعي الطبقي** » (١٩٢٣) إعادة لصياغة الماركسية صياغة هيجلية ، وكان أول الذين اكتشفوا أن بالإمكان تفسير النظرية الماركسية . باستخدام الجدل الهيجلي ، وتأكدت نظريته بنشر كراسات ماركس الاقتصادية والفلسفة سنة ١٩٤٤ ، وقد أظهرت محاولته التشابه العميق بين الفكر الماركسي والفكر الهيجلي ، ولكن تفسيره المثالي لماركس تعارض مع تفسير لينين ، وأساء إليه أكثر من ذلك اعترافه بتأثير جورج سوريل وروزا لوكسمبرج عليه ، وقد منعت الرقابة الكتاب من التداول .

لوكريتيوس.. Lucretius

(نحو ٩٩ - ٥٥ ق. م) تايتوس لوكريتيوس كادوس ، شاعر روماني ، مشهور بقصيدته الفلسفية « **عن طبيعة الأشياء De Rerum Natura** » ، وربما لم يتمها ، وهي تتألف بوضعها الذي هي عليه من ٧٤٠٠ بيتاً ، جعلها في ستة كتب ، ونظمها في فترات صحوه من جنون ألمَّ به وتسبَّب فيه تعاطيه لما يسمَّى شراب المحبة وانتهى به إلى الانتحار ، والراجح أنه كان من الزاهدين ، وكان أبيقورياً ملتزماً ، وتعد قصيدته أكمل عرض للفلسفة الأبيقورية ، ولولاها لما سمع أحد بها ، لكنها تتسم كذلك بأصالة تجعل منه مفكراً له وزنه أكثر ممَّا كان يظن هو نفسه في نفسه ، فهو أولاً قد اصطنع ترجمة لاتينية للمصطلحات الفلسفية الإغريقية جعلت هذه المصطلحات أمراً مألوفاً ولغة شائعة ، وجاء شعره ثانياً حافلاً بالصور المادية مؤكداً دور الإدراك الحسي كأساس للمعرفة ، فكأنه قد عايش الفلسفة الأبيقورية في شعره ، وهو يجمع في شعره ثالثاً بين العاطفة والعقل ولا يفجر صراعاً كالصراع الذي يصارعهما في الأفلاطونية والرواقية، ويتفق في ذلك تماما مع الفلسفة الرواقية.

لو هسيانج شان .... Lu Hsiang Shan

(انظر الكونفوشية) .

ليتريه ..... Littré

(١٨٠١ - ١٨٨١) إميل ليتريه ، وضعي فرنسي ، مشهور بمؤلفه « **معجم اللغة الفرنسية** » في أربعة مجلدات و « **معجم الطب** » ، من أتباع أوجست كونت ، غير أنه تمرَّد عليه ابتداءً من ١٨٥٢ ، مدعياً أن كونت قد خرج بالوضعية عن المنهج الوضعي إلى منهج ذاتي لأسباب شخصية ، وكون ليتريه لذلك جماعة مستقلة ليحافظ على أصالة الوضعية باعتبارها فلسفة تخضع للمنهج وتتبع العلوم الوضعية ، وقيمتها العملية والأخلاقية أنها تتوجه إلى العمل والعدالة الاجتماعية والسلام ، عن طريق الصناعة وانتشار العلوم والفنون وإصلاح الأخلاق بالتدريج .

ليفي برول .... Lévy - Bruhl

(١٨٥٧ - ١٩٣٩) لوسيان ليفي برول ، فرنسي ، تعلَّم في باريس وعلَّم بالسوربون ، وتكوّنت آراؤه في علم الاجتماع تحت تأثير كونت ودوركايم . كتاباه الرئيسيان هما « الوظائف العقلية في المجتمعات المتخلفة » (١٩١٠) و « العقلية البدائية » (١٩٢٢) . ومن رأيه أن علم الأخلاق ينبغي أن يقوم على دراسة الأفكار والاتجاهات الخلقية عند مختلف المجتمعات وكيفية تطبيقها ، وقال إن سلوك الناس في المجتمعات البدائية تدفع إليه أنماط جماعية ، وجدانية وغيبية أكثر منها فكرية ، فعالم البدائي تحكمه القوى الغيبية ، وتفكيره قبل منطقي ، يخضع لقانون المشاركة ، بمعنى أن ما لديه من صور عقلية لدى كل المجتمع الذي يعيش فيه ، ويرتبط بالطوطم الذي يتعبّد له ويعتبر نفسه من سلالته ، ومن ثمَّ فهو يعتبر نفسه جزءاً من الكل وليس فرداً متميزاً . وتفكيره قبل المنطقي لا يعرف السببية ، فهو يقفز من المقدمات إلى النتائج دون أسباب وسيطة .

لينين .... Lenin

(١٨٧٠ - ١٩٢٤) الإسم الحركي لفلاديمير إليتش أوليانوف ، مؤسِّس الحزب الشيوعي السوفييتي ، والمنظر الثالث للفلسفة المادية الجدلية بعد ماركس وإنجلز ، ولد في سيمبرسك (أوليانوفسك الآن) بالروسيا ، وتعلَّم في كازان بالمراسلة ، وسجن (١٨٩٥) ونفي إلى سيبيريا (١٨٩٧) ، وعاشَ في الخارج من ١٩٠٠ إلى ١٩١٧ ، إلَّا الفترة من ١٩٠٥ إلى ١٩٠٧ التي عادَ فيها إلى الروسيا ليشترك في الثورة الروسية ، وتزعّم البولشفيك من وقت انفصالهم عن المنشفيك سنة ١٩٠٣ ، ورأس الحكومة السوفييتية من اندلاع الثورة ١٩١٧ حتى وفاته ١٩٢٤ . كتابه الرئيسي « المادية والتجريبية النقدية » (١٩٠٩) يتوجه فيه بالنقد لمجموعة من المفكرين الروس : بازاروف وبوجدانوف ولونا شارسكي ، حاولوا أن يتبنوا الفلسفة الوضعية الإسمية عند أفيناريوس وماخ بدلاً من الماركسية ، ووصف لينين فلسفتهم بأنها مثالية ذاتية ، ودافع عن المادية الجدلية ، وقال إن المادة أولية وليست مجموعة من الأحاسيس ، وأنها مستقلة عن الوعي ، مثلها مثل الزمان والمكان ، فهما ليسا شكلين ذاتيين من أشكال تنظيم الخبرة ، لكنهما شكلان موضوعيان من أشكال وجود المادة . وقال إن أبرز خواص المادة هي أنها واقع موضوعي . وقال في المعرفة بالنظرية الصورة Copy Theory ، بمعنى أن الأحاسيس تصور أو تعكس العالم ، وأكَّد إمكان تحصيل حقيقة موضوعية ، معيار صدقها هو إمكان اختبارها وتطبيقها . وفي كتابه « كراسات فلسفية » الذي نشر بعد وفاته ، أكَّد أن الجدل والمنطق ونظرية المعرفة شيء واحد ، وعلى خلاف إنجلز لم يؤكِّد على الانتقال من الكمّ إلى الكيف، لكن على صراع الأضداد، ورأى فيه أساس كل تغير ، وأنه لب الجدل ، ووصفه بأنه الحركة الذاتية للمادة ، ومن ثمَّ عرف الجدل بأنه علم دراسة المتناقضات في قلب الأشياء . وفي كتابه « **الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية** » (١٩١٦) قال إن الرأسمالية بلغت أوجها ، وأن قلبها قد حانَ ، ولكن الاشتراكية لن تتحقق في كل البلاد دفعة واحدة لأن

ظروفها الموضوعية متفاوتة . وفي « **الدولة والثورة** » (١٩١٨) طور النظرية الماركسية عن الدولة كأداة للسيطرة الطبقية ، وأضاف أشياء لم يذكرها ماركس وإنجلز ، فقال بضرورة تحطيم جهاز الدولة البورجوازية ، وإقامة دولة البروليتاريا أو ديكتاتورية البروليتاريا ، وميّز بين مرحلة الانتقال إلى الشيوعية التي شعارها إلى كل حسب عمله ، ومرحلة الشيوعية التي شعارها إلى كل حسب حاجته ، وفيها تضمحلّ الدولة .

حرف الميم

ماخ **Mach**

(١٨٣٨ - ١٩١٦) إرنست ماخ ، يهودي نمسوي ، ولد في توراس من أعمال مورافيا (تتبع تشيكوسلوفاكيا حالياً) ، وتعلَّم بفيينا وعلَّم بجراتس وبراغ وفيينا ، ويقرن اسمه عادة بجماعة فيينا من الوضعيين المناطقة ، وقيل إنه الأب الروحي لحركة وحدة العلم ، وأنه المعلم الحقيقي لجماعة فيينا ، وكانت إحدى حلقاتها تسمى « جماعة إرنست ماخ **Ernst Mach Verein** » ؛ واشتهر بكتابه « علم الميكانيكا » (١٨٨٣) ، وهو محاولة لإعادة كتابة تاريخ العلم بطريقة تكشف عن مبادئه ونهجه المنطقي، ونقد شديد للأفكار الميتافيزيقية التي كانت ما تزال تسوده ويتبع ماخ المذهب الحسي المعارض للميتافيزيقا ، ويستند في فلسفته على أفكار من كنط وباركلي وهيوم ، وكنط هو الذي خلص الفلسفة في كتابه « نقد العقل الخالص » من الأوهام الميتافيزيقية القديمة ، وباركلي وهيوم هما اللذان أوحيا له بمفهوم العناصر أو الإحساسات الذي أخذه عن قولها بالأفكار أو الانطباعات ، وبسبب هذا المفهوم نقده لينين نقداً شديداً في كتابه « المادية والنقد التجريبي » . وفلسفة ماخ تجريبية حسية ، تعارض كل معرفة لا تقوم على الخبرة الحسية التي يمكن التحقق منها ، ولذلك يميل إلى التحقق وليس البرهنة كوسيلة علمية ، ويقوم التحقق على الخبرة الشخصية التي تتفق في نتائجها مع الخبرات المماثلة للآخرين ، أما البرهان فهو يستند إلى معرفة قبلية لا تقبل التحقق ولا يمكن إنكارها أو إثباتها ، ويهدف العلم إلى صياغة الظواهر صياغة وصفية موجزة أشد الإيجاز ، من خلال الخبرة الحسية والملاحظة . ويتألف العالم من عناصر مادية ندركها بحواسنا ، والعالم هو إحساساتنا عنه ، بمعنى أن مذهب ماخ يقوم على وصف أحاسيس صاحب التجربة عن موضوع تجربته ، فأنا مثلاً قد أخطىء عندما أجزم بوجود كتاب أحمر على الطاولة التي أمامي ، إلاَّ أني لا يمكن أن أخطىء عندما أقتصر على وصف إحساساتي عن هذا الكتاب ، ويقتصر غيري على وصف إحساساته عنه ، ولإحساساته نفس القيمة التي لإحساساتي ، وهذه هي ديموقراطية العلم التي تساوي في الوزن بين إحساسات الناس كلهم ، ولكن هذه الإحساسات لا تكون علمية إلاَّ عندما يكون هناك اتفاق جماعي بشأنها . وكل ما في العالم يمكن تحليله إلى إحساسات ، وتختلف العلوم باختلاف زاوية الرؤية التي تتناول بها الأشياء ، فقد أدرس الشيء الواحد دراسة فيزيائية ، وقد أدرسه في علاقته بآثاره على أعقاب دراسة فسيولوجية أو سيكولوجية ، لكني في كل الأحوال أدرس الإحساسات ، وأتعامل معه كمادة ، ويجرنا هذا إلى القول بأن العلوم واحدة وإن تنوعت . ويصف ماخ القوانين العلمية بأنها صياغات رياضية عن العالم ، أكثر

تجريداً من الوصف ، ولا تعطي صورة الظواهر لكن غمطها الذي لا بد أن تتضمنه أيّة صورة لها. وتستخدم النظريات العلمية التشابه الجزئي بين ظاهرتين ، فعندما لم يفهم العلماء بعض ظواهر الضوء حاولوا أن يتصوروها بافتراض أن الضوء يتحرك كحركة الموجات في الماء ، وهو تصور لا يمكن نفيه أو إثباته لأنه لا يستند إلى خبرة حسية ، لكن تبقى النظرية مع ذلك أداة مفيدة للتنبّؤ ، ولا يهم في النظرية الصورة التي تطرحها لكن ما تمثله من علاقات كمية ، فإذا قلنا إن الصورة تمثل الواقع الكامن خلف المظهر لكان ما نقول به ميتافيزيقا ، ومن ذلك مثلاً أن ماخ لم يصادق على ما تزعمه النظرية الذرية من وجود ذرات مادية ، لكنه مع ذلك يقبل النظرية لأنها تسهل التنبؤ بظواهر أخرى ، وكان من الممكن أن نفترض صورة أخرى وتظل مفيدة مع ذلك لأنها تؤدّي نفس الغرض التنبؤي ، وهو يولي التنبؤ العلمي اعتباراً خاصاً ، ولا يهتم بتفسير الظاهر بقدر ما يهتم بوصفها ، بل إن تفسيرها هو وصفها ، والوصف هو طرح الظاهرة في لغة مألوفة حسية موجزة .

مادية تاريخية Historical Materialism

فلسفة التاريخ التي تقول بها الماركسية ، وهي الجانب التطبيقي للمادية الجدلية في مجال دراسة المجتمعات ، وترد حركة التاريخ إلى تطور قوى وعلاقات الإنتاج في المجتمع ، وتصف هذه القوى والعلاقات بأنها الأساس التحتي الذي يقوم عليه البناء الفوقي القانوني والسياسي ، والذي يتطابق معه الوعي الاجتماعي ، فليس وعي الناس هو الذي يحدد أسلوب معيشتهم ونوع نظامهم الاجتماعي ، لكن أسلوب معيشتهم هو الذي يحدد نمط وعيهم ، فالناس خلال عملية الإنتاج يؤثرون في الطبيعة وفي بعضهم البعض ، ويدخلون في علاقات وصلات اجتماعية ، ويغيرون باستمرار في أسلوب الإنتاج ، ويترتب على ذلك تغير مماثل في النظام الاجتماعي وفي الأفكار والآراء والمؤسسات السياسية والاجتماعية والدينية ، وينصهر النظام كله انصهاراً جديداً ، ومع كل نمط معيشة جديد يقوم نمط من التفكير يطابقه ، ومعنى هذا أن تاريخ تطور المجتمعات هو تاريخ تطور الإنتاج فيها ، وتاريخ أساليب الإنتاج التي تتعاقب عليها ، وتاريخ تطور القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج ، وبالتالي فإن تاريخ التطور الاجتماعي هو تاريخ منتجي الحوائج المادية وتاريخ الجماهير العاملة التي هي القوى الأساسية في عملية الإنتاج ، وليس هو تاريخ الملوك والفاتحين الذي يزعمه المنهج المثالي في التاريخ . ويقول إنجلز « إن التاريخ منذ انحلال المشاعية البدائية هو تاريخ الصراع بين الطبقات المستغلة (بكسر الغين) والطبقات المستغَلة (بفتحها) في مختلف مراحل تطورها الاجتماعي . وقد بلغَ هذا الصراع حالياً مرحلة أصبحت فيه الطبقة المستغلة (بفتحها) لا تستطيع أن تتحرر من الاستغلال والاضطهاد دون أن تحرر كل المجتمع معها » . ويقول ماركس « عندما تبلغ قوى المجتمع المادية المنتجة درجة معينة في تطورها ، فإنها تدخل في تناقض مع علاقات الإنتاج القائمة » . ومن هذا التناقض تحدث حركة التاريخ ، وبتغيير الأساس الاقتصادي يتزعزع البناء الفوقي كله .

مادية جدلية Dialectical Materialism

النظرية العامة للحزب الماركسي اللينيني ، وتسمّى بالمادية لأن تصورها وتعليلها لحوادث الطبيعة والمجتمع ، وهو ما يسمي فلسفتها ، مادية ، وتوصف بالجدلية لأن أسلوبها في النظر إلى الأحداث ، أو ما يسمي منهجها في البحث والمعرفة ، جدلي . والمادية الجدلية هي منطق وأنطولوجيا وإبستمولوجيا الماركسية اللينينية ، والمادية التاريخية هي أخلاقها وعلمها السياسي وفلسفتها في التاريخ . ويرجع الفضل في صياغة المادية الجدلية إلى ماركس وإنجلز ولينين ، أما ماوتسي تونج فرغم تاريخه النضالي الماركسي إلاَّ أن بضاعته الفلسفية هزيلة للغاية وإسهامه اجتماعي أكثر منه تنظيري . ولقد أخذ ماركس وإنجلز المادية عن فورباخ ، والجدل عن هيجل ، إلاَّ أنهما بتعبير ماركس « اقتبسا النواة العقلية ، وطرحا القشور

المثالية » ، فمع أن فورباخ هو الذي قال « إن الفكر هو الذي خرج من الإنسان وليس الإنسان هو الذي خرج من الفكر » ، إلّا أنه ظلَّ مثالياً من الناحيتين الأخلاقية والدينية . وكذلك فرغم أن هيجل هو الذي اكتشف قوانين الجدل في الطبيعة والمجتمع إلّا أنه ردَّ الواقع إلى « الفكرة » واعتبره شكلها العارض وأنها خالقته وصانعته ، بينما اعتبر ماركس حركة الفكر انعكاساً للواقع وليس العكس . ومع ذلك يدين ماركس لهيجل بأفكاره عن التطور عن طريق التناقض والصراع وتغير الكمّ إلى كيف والطفرة . وطوَّر إنجلز أفكار ماركس ووضع لها الأساس العلمي ، ونقد الفلسفات المثالية والمادية الميكانيكية والاشتراكية - غير العلمية ، وقال إن التفكير الجدلي يرى الوجود كله وحدة متماسكة ترتبط فيه الأشياء والأحداث ارتباطاً عضوياً ، وفي حالة حركة وتجدد دائمين ، فهناك باستمرار شيء يولد ويتطور ، وشيء ينحل ويضمحل ، ومن ثمَّ لا يهم المنهج الجدلي ما تبدو عليه الأشياء من ثبات واستقرار في لحظة معينة ، لأنها في الواقع تكون في طريقها للفناء ، لكن المهم هو الشيء الذي يولد ويتطور ، ولو كان هذا الشيء يبدو في تلك اللحظة غير ثابت ولا مستقر . ولا يعتبر الجدل حركة التطور السابقة حركة نمو بسيطة ولكنه يعتبرها تطوراً من تغيرات كمية بسيطة إلى تغيرات ظاهرة وأساسية ، أي تغيرات كيفية . وهي ليست تغيرات تدريجية بل سريعة وفجائية وتحدث بقفزات من حالة إلى أخرى . وليست جائزة الوقوع ولكنها لازمة ونتيجة لتراكم التغيرات الكمية غير المحسوسة والتدريجية . ولذلك تعتبر الطريقة الجدلية أن فهم حركة التطوّر لا يكون من حيث هي حركة دائرية أو تكرار بسيط للعملية نفسها ، بل من حيث هي حركة تقدمية صاعدة ، وانتقال من الحالة الكيفية القديمة إلى حالة كيفية جديدة ، ومن حيث هي تطور ينتقل من البسيط إلى المركب ومن الأدنى إلى الأعلى . ونقطة الابتداء في الجدل هي وجهة النظر التي تؤكد أن كل الأشياء في الوجود تحتوي على تناقضات داخلية لها جوانبها السلبية والإيجابية ، الماضية والحاضرة ، وأن الصراع بين القديم والجديد هو المحتوى الباطن لحركة التطور ولتحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية . ولذلك تعتبر الطريقة الجدلية المادية أن حركة التطور من الأدنى إلى الأعلى لا تجري بتطور الحوادث تطوراً تدريجياً متناسقاً ، بل بظهور التناقضات الملازمة للأشياء والأحداث ، وبصراع الاتجاهات المتعارضة التي تعمل على أساس هذه التناقضات وتتلخص مبادىء التطور الجدلي إذن في التطور بالانتقال من تغيرات كمية إلى تغيرات كيفية ، والتطور بالطفرة وليس على مراحل ، ونفي اللحظة المبدئية للتطور (حبة القمح تصبح شجرة قمح) ، ثم نفي هذا النفي نفسه (تموت شجرة القمح بعد أن تعطي عشرات من حب القمح الجديد) ، والتكرار في مستوى أعلى لبعض ملامح وجوانب الحياة الأصلية .

ولقد تمثَّل لينين أفكار ماركس وإنجلز وأضاف إليها نظريته في التزام ، فالفلسفة كالإيديولوجية لا يمكن أن تكون غير منحازة في المجتمع الطبقي ، وتعكس وتخدم مصالح الطبقة . والمادية الجدلية ليست مجرد نظرية يكتفى باعتناقها ، لكنها دعوة وبرنامج عمل لتحقيق قيام المجتمع الاشتراكي ، ولذلك فالمادي الجدلي هو بالضرورة اشتراكي ، ولا يمكن فصل نظرته للعالم عن نضاله لنصرة قضية البروليتاريا ، ومن ثمَّ فالتزام المادية الجدلية التزام نضالي صريح يتميز بالوقوف في صلابة في وجه الفلسفات المثالية والغيبية والتحريضية والجمود العقائدي ، وهي نظرة تتفق تماماً مع ما تقول به الماركسية من وحدة النظرية والتطبيق .

مارتينو **Martineau**

(١٨٠٥ - ١٩٠٠) جيمس مارتينو ، إنجليزي ، ولد في نورويتش ، ورسم قسيساً موحداً ، وكان قد تلقى تعليماً تجريبياً حتمياً،لكن نزوعه الديني صرف به عن الفلسفات المادية والطبيعية واللاأدرية التي كانت تسود عصره ، وأدت به دراسته للمثالية الألمانية في برلين لمدة سنتين إلى التحول نهائياً إلى المثالية ، وعاش

مارتينو نحو التسعين سنة ، وكانت كهولته أخصب سني حياته ، وفيها كتب « **أنماط من النظرية الأخلاقية** **Types of Ethical Theory** » (١٨٨٥) ، و « **دراسة للدين A Study of Religion** » (١٨٨٨) . وفلسفته مثالية أخلاقية ، يفترض أن للإنسان ملكة أخلاقية Moral Faculty يكون لنا بها حدس مباشر بالحقائق والصفات الأخلاقية ، ونزوع باطن نحو استحسان بعض الأفعال واستهجان البعض الآخر ، وقدرة على تقويم الأفعال ببواعثها وليس بنتائجها . ويصف الفعل الأخلاقي بأنه الفعل الحر الذي يقوم على الإرادة الحرة والاختيار بين بدائل سلوكية ، والعالم هو مسرح هذه الإرادة الحرة الإنسانية ، كما أن الطبيعة هو مسرح الإرادة الحرة الإلهية ، ويميز بين الأفعال التلقائية والإرادية ، فالتلقائية دافعها واحد، والإرادية شرطها أن يكون هناك أكثر من باعث عليها ، وأن تكون هناك مفاضلة حرة بين البواعث ، والخير هو اختيار الباعث الأسمى نسبياً ، والباعث الأول في سلم الدوافع هو الباعث الأخلاقي ، أما الباعث الثاني فيسميه باعثاً مهماً ، وهو من انصار الحرية المطلقة للإرادة ، لكنه يقول بأن اختيارنا للباعث الأسمى لا يتم إلا بوحي من الله .

مارسيل ... Marcel

جبرييل مارسيل، من أعلام الوجودية الفرنسية ، اقترن اسمه بالوجودية المؤمنة Theistic Existentialism ، وإن كان هو قد رفض أن يدرج اسمه ضمن فلاسفة الوجودية ، وآثر أن تسمى فلسفته « السقراطية المحدثة Neo- Socratism » . تشبيهاً بسقراط اليونان الذي كان يعالج مشكلات الفلسفة في صورة مشكلات يومية ، ونأياً بفلسفته عن أي صياغة في شكل نسق عقلي ، ورفضاً لأن يأخذ تفكيره صورة مذهبية ، ولذلك اتجه إلى كتابة اليوميات والتأملات وإلقاء المحاضرات والأحاديث وتأليف المسرحيات والموسيقى وتحرير المقالات النقدية في الصحف والمجلات، وكان مقاله «الوجود والموضوعية» (١٩٢٥) وكتابه « **اليوميات الميتافيزيقية** » (١٩٢٧) أول كتابات وجودية تظهر في فرنسا . وكان تخرجه من السوربون في العشرين من عمره ، وجاء ترتيبه الثاني على دفعته ، وجان فال الأول ، لكن فال كان معيداً للسنة . ونفر مارسيل من طريقة التآليف المدرسية للدكتوراه فلم يكملها ، وامتهن التدريس ، لكن إمكانياته كانت أكبر منه ، وانصرف إلى الصحافة واشتغل بالنقد المسرحي والأدبي والفني ، واتجه بقوة إلى المسرح ، ورأى فيه المجال الأمثل لعرض مشكلاته الفلسفية ، فقد كان يراها مواقف حية أبطالها بشر من لحم ودم وأن حلها لا يكون بالتفكير المجرد ، وأن الحوار الدرامي هو الأداة المثلى لتقديم الإنسان في إطاره الاجتماعي والعائلي ، ولسبر أغوار النفس البشرية ، وأن المواجهة المسرحية تكشف نسيج الوجود المفجع . ولقد زاد ما كتبه للمسرح عن الثلاثين مسرحية ، كانت أجملها « رجل الله L'Homme de Dieu » ، و « العالم المحطم Le Monde Cassé » ، وكانت مسرحيته « النعمة La Grace » (١٩١١) أول مسرحية يعرفها المسرح الوجودي . وقد واصل مارسيل تأملاته الميتافيزيقية فصدر له « الوجود والتملك Etre et Avoir » ثم « من الرفض إلى الابتهال Du Refus à L'Invocation » (١٩٤٠) ، و « الإنسان السالك Homo Viator » (١٩٤٥) ، و « فلسفة الوجود La Philosophie D'Existence » (١٩٤٩) ، و « سر الوجود Le Mys- Tère de L'ètre » (١٩٥١) ، ترجم الى The Mys- try of Being ، و « البشر ضد الإنساني Les Hom- mes Contre L'Humain » (١٩٥١) ، والإنسان المشكل L'Homme Problématique » (١٩٥٥) ، و « الحضور والخلود Présence et Immortalité » (١٩٥٩) ، و « الخلفية الوجودية للكرامة البشرية The Existential Background of Human Dignity (كمبردج ١٩٦٣) .

ويميز مارسيل بين مستويين أو نمطين من التفكير : التفكير الأولي Réflexion Primaire ، والتفكير

الثانوي Réflexion secondaire ، والأول تفكير تجريدي تحليلي موضوعي كلي يمكن التحقق منه ، والذات المفكرة منفصلة عن موضوع تفكيرها ، وموضوعات تفكيرها مجالها المشاكل ، ومعطياتها في متناول الملاحظ والمؤهل ، وهو يبدأ باستبعاد العناصر ، التي لا ترتبط بحل المشكلة ، من بين معطياتها العينية . وحالما يعثر على الحل أو التفسير فإن الرغبة في المعرفة ، والتوتر الذي تحدثه ، ينطفئان . ويتمثل التفكير الأول في الفكر العلمي والتكنولوجي ، وبه استطعنا أن نسيطر على عالمنا ، وأن نتعامل معه بطريقة أكمل ، ولا غنى لأية ثقافة عنه . ويرتكب المفكر كل الخطأ عندما يطبق هذا النوع من التفكير على مجال آخر لا يجوز تطبيقه عليه ، وعندما يظن أنه التفكير الأوحد والمطلق ، وعندئذ يسيطر التجريد على الفكر كله ، ويتحول استخدام التكنولوجيا إلى تكنوقراطية ، ويتقلص ثراء العالم اللوني الذي لا ينضب إلى مجرد لوني المنطق الأبيض والأسود يفرضهما على العالم اعتسافاً .

والتفكير الثانوي تفكير عيني فردي استفهامي متفتح ، ليس مجاله المشكلة Problème ، لكنه السر Mystère ، وهناك فارق بين المشكلة التي هي شيء موضوعي ، والسر الذي هو ما اندمج فيه ويمتزج بي ، بحيث لا تكون ثمة تفرقة بين الذات والموضوع . والتفكير الثانوي لا تحدوه الرغبة في المعرفة ، أو يدفع إليه الشك ، لكنه تفكير توقظه الدهشة ويحثه إليه التعجب ، ويتفتح بموضوعه تفتح المحب لمحبوبه ، ويتوسل إليه بالحوار ، يبغي كشف حضوره الكامل والالتحام به والمشاركة فيه ، يتوسل إلى ذلك بالوجدان المبهور ، ويعقد بينه وبين محبوبه علاقة انبهار وجدانية بحيث يصبح جزءاً لا يتجزأ من صميم وجوده ، وهذا الارتباط العميق هو النموذج الحي للعلاقة التي تجمع الانسان بسر الوجود .

وموضوع الفلسفة العينية هو سر الوجود ، وموضوع الأونطولوجيا العينية هو سر الكينونة .

ولا تبدأ الفلسفة العينية من منطلق فكري ، أو من الكوجيتو الديكارتي ، لكنها تبدأ بذلك الموجود المتجسد الذي هو الإنسان . وليست عينية العالم شيئاً يمكن استنباطه ، وليست موضع شك ، فالوجود ليس صفة أو محمولاً أو شيئاً يمكن عزله والتنبيه إليه ، لكنه وجود تشارك فيه الذات بالحس وبالشعور ، ولا انفصال للحس والشعور عن الجسد ، ولا انفصال للذات عن الجسد ، وليس إدراك الموضوعات إلا إدراك عن طريق الجسد ، وأنا لا أدرك نفسي باعتباري فكراً محضاً بل باعتباري جسداً يحس ويشعر وينفتح على العالم لا ينفصل عن موقفه أو وسطه أو البيئة التي نشأ فيها وانفعل بها وتربى عليها . وقد يبدو جسدي وكأني أملكه، لكني عندما أتمعن خبرتي أتبين أن علاقتي به ليست علاقة ملك Avoir لكنها علاقة كينونة Être ، وليست علاقة خارجية ، لكنها علاقة باطنية داخلة في صميم وجودي ، وتقوم على المشاركة ؛ لكن ذلك لا ينبغي أن يفهم كدعوة للذاتية ، فمارسيل يقول إن الأنا لا يوجد إلا بقدر ما يوجد مع الآخرين ، وأن وجود الذات لا ينكشف إلا في إطار من التواصل مع الآخرين ، وأن الوعي هو وعي بشيء يقصد إليه ، وأن وعي الأنا يتجه إلى الناس والعالم ، وأن التاريخ لا يبدأ بكوجيتو أنا موجود ، بل نحن موجودون ، وأن الذات التي تعامل الآخرين بصفتهم موضوعات لها تستخدم لغاياتها ، هي ذات محكوم عليها ، لأنهامتمركزة على نفسها ، تعيش في عالم مغلق يعوزه العمق الأونطولوجي ، ومن ثم ينتابها اليأس حالما تذبل نشوة التملك ويوهن شبق السيطرة ، وأن التفكير في الآخر بضمير الغائب يجعله موضوعاً ، ويجعل حضوره نوعاً من الغياب ، لكن عندما اتصل به وأعامله كشخص لا كشيء ، وأتوسل لذلك بالوسائل المجعولة للاتصال بين الناس ، لا بالوسائل المجعولة لمعرفة الأشياء ، فإنه يستحيل إلى أنت أخاطبه بضمير المخاطب ، وأفكر فيه باعتباره حاضراً . والموت غياب للشخص الذي نحبه غياباً مطلقاً . وموته تحد للوحدة التي تجمع بيننا وتحطيم لها ، لكن الوفاء تحد للموت

وتأكيد لهذه الوحدة ، يجعل الحب أقوى من الموت ، ويمنع استحالة المحبوب إلى موضوع أو فكرة ، فيظل المحبوب شخصية حية ، وحضوراً ، وهذا الاستمرار الحي هو الذي يجعل الذات حقيقة أونطولوجية تعلو على كل صيرورة ظاهرية ، ويشهد على إمكان قيام تراسل أو تخاطر روحي بين الأحياء والموتى .

ويتجه مارسيل كما رأينا وجهة عينية في تأملاته ، وينهج منهجاً وصفياً واقعياً ويلتزم حدود الخبرة المعاشة أو الواقع العيني . والتفكير الوجودي هو تفكير الذات المتجسدة التي تحيا دائماً في مواقف ، أو تفكير الموجود الذي لا يركن أبداً إلى السكون والجمود ، لكنه دائماً على الطريق ، مسافر عابر Homo Viator ، ينتقل من موقف عيني إلى موقف عيني آخر . وتتجلى حرية الذات البشرية في عملية خلقها لنفسها ، وفي اتجاهها باستمرار نحو العلو على نفسها ، وفي إدراكها لنفسها بوصفها مشروع وجود وليس بوصفها موجوداً مكتملاً، وفي سعيها الدائب لاكتساب ماهيتها . وليس في استطاعة الذات أن توجد دون أن تعلو على نفسها ، وهذا التعالي هو حركة الذات المستمرة في نزوعها نحو الوجود الحقيقي ، وهذا النزوع إلى الوجود الحقيقي هو حركة الذات إلى الخلاص ، وإنكار الوجود بمثابة إعلان أن كل شيء في الوجود عبث ، وأن لا شيء له قيمة أو معنى ، والإقرار بالوجود هو إقبال على الحياة ، والإقبال على الحياة ضرب من الاختيار الحر وفعل من أفعال الإيمان ، وليس الإيمان والحرية سوى شاهدين على حاجة الإنسان إلى المتعالي Transcendence ، ولا تتحقق خبرة التعالي إلاّ من خلال مشاركة الذات في حياة الموجود المتعالي .

ماركس .... Marx

(١٨١٨ - ١٨٨٣) كارل ماركس ، نبي الشيوعية العلمية ، وصاحب الدعوة المادية الجدلية والتاريخية ، ومؤسّس الاقتصاد السياسي العلمي ، وزعيم ومعلم المعوزين في العالم ، وملهم أغلب التيارات الهامة في الفكر الاشتراكي الحديث . ولد في تريفيز (ترير) من أعمال ألمانيا ، من أبوين يهوديين اعتنقا اللوثرية عندما كان ماركس في السادسة من عمره ، ودرس القانون بجامعة بون والفلسفة والتاريخ بجامعة برلين ، وكان تأثير هيجل ما يزال في عنفوانه ، ولم يكن قد مضت خمس سنوات على وفاته ، وحصل على الدكتوراه من جامعة يينا (١٨٤١) في فلسفتيّ أبيقوروديموقريطس . وكان ماركس قد انضمَّ إلى الجناح اليساري من جماعة الهيجليين الشبان وعرف بالحاده الشديد ورفعه لشعار : إن نقد الدين هو أساس كل نقد ؛ ثم زجَّ بنفسه في العمل الاجتماعي والسياسي فاشتغل بالصحافة والدعوة إلى الثورة ، وأغلقت الصحيفة التي عمل بها بسبب مقالاته (١٨٤٣) فصمَّم على مواصلة النضال ضد الأوتوقراطية الألمانية من باريس ، وبدأت رحلته في المنفىٰ التي استمرت طوال حياته ، وفي باريس تعرَّف بفردريك إنجلز صديق العمر وزميل الكفاح ، واشتركا معاً ربما في أخطر زمالة وأهمّ مقاسمة عرفها تاريخ الكتابات المشتركة في العالم ، ووضع في « مخطوطات ١٨٤٤ الاقتصادية والفلسفية » تصوراً رائعاً للمجتمع الإنساني استخدم في بنائه ثلاثة مكونات هي الاشتراكية الفرنسية وعلم الاقتصاد الإنجليزي والفلسفة الألمانية . وطردته السلطات الفرنسية (١٨٤٥) فرحل إلى بروكسل وواصل دراساته الاقتصادية واتصل بالحركات العمالية التي طلبت إليه إصدار بيان باسمها لعمال العالم ، فدون بالاشتراك مع إنجلز البيان الشيوعي (١٨٤٨) الشهير ، يحلل فيه الرأسمالية والاشتراكية الزائفة ، ويقدم تفسيراً للتاريخ يمهّد به لقيام الاشتراكية الحقيقية ، ويدعو فيه عمال العالم إلى الاتحاد والعمل . وطردته حكومة بروكسل أثناء اضطرابات ١٨٤٨ ، فتوجه إلى باريس ثم كولونيا وأصدر جريدة في الفترة القصيرة التي ازدهرت فيها الديموقراطية ، لكن التجربة الديموقراطية أجهضت فقبض عليه بتهمة إثارة الفتن ، وأطلق سراحه وطردته السلطات (١٨٤٩) . وعاشَ بقية حياته في لندن ،

معوزاً إلاّ من المساعدات المالية التي كان يغدقها عليه إنجلز الميسور الحال ومن بعض الكتابات للصحف الأمريكية ، وكان شديد الاعتداد بنفسه ، وزادت وطأة الحياة عليه بوفاة ثلاثة من أطفاله بسبب الإملاق الشديد ، وكان أبرز نشاطاته السياسية سيطرته على الدولية العمالية الأولى (١٨٦٤) التي قوضها هو نفسه (١٨٧٢) بعد أن مزقتها الانقسامات والتحزبات والصراعات بزعامة باكونين . وكان ماركس يقضي كل وقته تقريباً في مكتبة المتحف البريطاني يجمع مادة أهم كتبه ، بل أهم الكتب في العالم على الإطلاق ، « رأس المال Das Kapital » ، ولم يقيض له أن ينشر إلّا الجزء الأول ، وكان على شريكه في النضال إنجلز أن يجمع أوراقه بعد وفاته وينشر بقية الأجزاء . أما بقية كتاباته فهي تطبيقات للإيديولوجية الشيوعية على الأحداث العالمية ، تتميز بالبلاغة وقوة الحجة واللوذعية ، وعندما مات أبّن نفسه فقال إنه يموت مفترى عليه والعالم يكنّ له كراهية لم يكنّها لأحد في عصره ، ولكن حياته كانت سعياً دائباً لنظرة تركيبية لكل التاريخ والثقافة ، ولإقامة إيديولوجية ورؤيا شاملة للعالم ولحضارة أفضل وأرقىٰ ، وكان نصيب الفلسفة في المركب الماركسي بسيطاً ، ولكنه كان وضعياً تاريخياً اجتماعياً ، أو علمياً كما يصفه إنجلز . ولقد قيلَ إن نظرة عالمية تعميمية هي نظرة فلسفية أو دينية في مغزاها ، وأن ماركس لذلك يعد من التأليفيين الميتافيزيقيين ، شأنه شأن أرسطو والأكويني وهيجل . وتعتبر الماركسية أكمل تعبير عن المذهب الاشتراكي ، وقد أرادَ ماركس أن يكون كتابه « رأس المال » كتاباً اقتصادياً ، لكنه اشتمل على مذهب فلسفي يتألف من المادية التاريخية والجدلية على طريقة هيجل ، ومن الشيوعية الإلحادية المترتبة عليها . ومبدأ المادية التاريخية الجدلية أن المادة هي كل الوجود ، وأن مظاهر الوجود تطور متصل للقوى المادية ، وأن أجلى مظاهرها مظاهر تطور الإنسان ، ولذلك يوجه ماركس عنايته إلى تاريخ هذا التطور ، ومن هنا يجيء وصف ماديته بأنها مادية تاريخية ، فالتاريخ البشري كله ، سواء تاريخ الأفراد أم الجماعات ، يتوقف على الظروف المادية الاقتصادية ، وتُقاس درجة الحضارة بها ، وبها يتحدد نمط الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية ، فليس تفكير الناس هو الذي يحدد نمط وجودهم الاجتماعي ولكن نوعية هذا الوجود هي التي تحدد نمط التفكير ، وتسير الحياة الاقتصادية وفق قانون الصيرورة بمراحله الثلاث التي هي القضية ونقيضها ومركّب القضية والنقيض ، وهذه هي المادية الجدلية ، ومظهرها صراع الطبقات الاجتماعية .

وتتحدد قيمة السلعة بما يقتضيه إنتاجها من عمل . والعمل نفسه كسلعة ليس استثناء من هذه القاعدة . ويتقاضىٰ العامل على عمله أجر الكفاف الذي يبقي عليه حياً ويجدد نشاطه ليطرح قوته على العمل في سوق العمل من جديد ، ولكنه ينتج من السلع ما تفوق قيمته الأجر الذي يتقاضاه ، ويذهب الفرق إلى صاحب العمل ، ويسمي هذا الفرق فائض القيمة ، ويتكدس لدى صاحب العمل فيكون رأس المال ، وإذاً فرأس المال سرقة متصلة وافتئات على العمل ، وبه يسيطر الرأسمالي على العامل ، ومن ثمَّ لا يكون إصلاح هذا الوضع بالمواعظ والخطب حيث إنه محصلة قوانين اقتصادية تتّسم بها المرحلة الحضارية الحالية والتي تسمّى الرأسمالية والتي هي إحدى مراحل التطور التاريخي ، التي سرعان ما تدمرها التناقضات الذاتية ، عندما يزداد العمال فقراً ويكثر عددهم ، ويزداد الرأسماليون ثراءً ويقل عددهم بالمنافسة وقضاء القوي منهم على الضعيف وتأليف الشركات الاحتكارية ، وتتحول البورجوازية إلى عمال يوظفون في خدمة الرأسمالية ، وينقسم المجتمع إلى طبقتين متواجهتين ، ويزداد وعي العمال ويتماسكون طبقياً ، ويعملون على تقويض الرأسمالية وتولّي زمام السلطة ومصادرة الملكية وأدوات الإنتاج ليجعلوها ملكية جماعية ، ولينهض على أنقاض المجتمع القديم مجتمع جديد ليس فيه حكومة ولكنه يعمل وفق التسيير الذاتي

والعلم ، وليس فيه طبقات .

مارونية .... **Maronism**

فرقة مسيحية ، أتباع يوحنّا مارون ، قالوا إن المسيح له طبيعتان ومشيئة واحدة ، وقد قرَّر مجمع القسطنطينية تكفيره (٦٨٠ م) ولجأ أتباعه إلى جبل لبنان يعتصمون به من الاضطهاد ، إلى أن قبلتهم الكنيسة الكاثوليكية (١١٨٢) .

ماریاس .... **Marias**

أشهر فلاسفة أسبانيا في فترة ما بعد الحرب الأهلية ، وكتابه الرئيسي « **مقدمة في الفلسفة Introduction à la Filosofia** » (١٩٤٧) يؤلّف بين تعاليم معلمه جوزيه أورتيجا جاسيت الإلحادية وإيمانه هو بالله ، وأسَّس معه معهد الدراسات الإنسانية في مدريد ، وقال إن حاجة الإنسان إلى المطلق حاجة بيولوجية ، فبالإضافة إلى الطعام والضروريات الإنسانية الأخرى ، يحتاج الإنسان إلى اليقين في حياته وفي مجتمعاته ، وبدون هذا اليقين لن يحس الأمن الاجتماعي ، وسيعوزه المبدأ الذي يوحد بين مختلف اتجاهاته وميوله وآرائه ، والدين وحده هو هذا المبدأ العملي الذي يمكن أن يزوّد الإنسان بمثل أعلى لحياة يمكن أن يصبو إليها . ويقبل ماریاس كل المذاهب الحيوية والبراجماتية والتأريخية ، كما فعل أورتيجا ، ولكن من منطلق ديني ، والاختلاف بينه وبين أورتيجا ، أن الأخير يؤمن بالأنا إيماناً مطلقاً ، ولكن ماریاس يؤمن بالأنا بمعنى أنه الشخص ، وعند الموت يموت الشخص وتتوقف حيويته وعقله ونشاطه النفسي ، ولكن روحه لا تتوقف عند الوجود بالضرورة ، بمعنى أن الموت عند أورتيجا هو النهاية ، ولكنه عند ماریاس مرحلة .

ماريتان .... **Maritan**

جاك ماريتان ، ولد بباريس (١٨٨٢) من أسرة بروتستنتية ، وتعلَّم بالسوربون وبها التقى بزوجته المستقبلة رايسا أومانسوف ، يهودية روسية ، وتعاونا سوياً في عدد من الكتب . وكانت الفلسفة السائدة في السوربون فلسفة علمية ، لكنهما تحوّلا عنها إلى برجسون في الكوليج دي فرانس ، وحرَّر برجسون فيهما معنى المطلق ، وتحوّلا بعد زواجهما إلى الكاثوليكية ، وانصرف ماريتان إلى دراسة توما الأكويني ، وصارَ من أشهر عارضي التوماوية المحدثة . ولماريتان ما يزيد على الخمسين مؤلّفاً ، اشتهر منها « **درجات المعرفة Les Degrés du Savoir** » (١٩٣٢) وفيه يرى أن الواقع المادي من الثراء بحيث لا يمكن أن تكتشفه وتستوعبه نظرة فلسفية واحدة ، وأن المعرفة لذلك مراتب ، فالعالم المتحرك الذي يتّسم بالتغيّر والصيرورة يستلزم معرفة علمية طبيعية تقوم على التحليل التجريبي ، وعالم الكمّ يستلزم المعرفة الرياضية ، وعالم الوجود يستدعي معرفة ميتافيزيقية ، ولكل نوع من هذه المعارف العقل المناسب لها ، فهناك العقل المنطقي ، لكن يسبقه العقل الحدسي . وقبل اللاّشعور الفرويدي الغريزي ، كان هناك اللاّشعور الروحي ، وهو مصدر كل الإنتاج الشعوري الإنساني والمعارف البدهية التي يصنّفها إلى المعرفة الشعرية والمعرفة الفلسفية بالقيم الأخلاقية والمعرفة الصوتية ، وسواء كانت المعارف إدراكية أو بدهية فإنها جميعاً صور للمعرفة تكمل بعضها بعضاً .

ماريشال .... **Maréchal**

(١٨٧٨ - ١٩٤٤) يوسف ماريشال ، بلجيكي جزويتي ، يُعد أبرز فلاسفة المدرسيين المحدثين ، ولد في شارلروا ، ودرّس علم النفس بألمانيا ، وعلَّم في إنجلترا لبعض الوقت . كتابه الرئيسي « **دراسات في سيكولوجية الصوفية Etudes sur La Psychologie des Mystiques** » (١٩٢٤) يبدو فيه واضحاً تأثير الأكويني وكنط وفخته .

مازاريك .... **Masaryk**

(١٨٥٠ - ١٩٣٧) توماس مازاريك ، تشيكي ،

رأس دولة تشيكوسلوفاكيا من ١٩١٨ إلى ١٩٣٥ ، ولد بهودونن ، وتعلَّم في فيينا على فرانز برنتانو ، وزاملَ هوسرل وأفيناريوس بلايبزج ، تلميذاً لفنت . كتابه الرئيسي « أسس المنطق الوضعي » (١٨٨٥) ، صنَّف فيه العلوم ، وربطَ بينها ، وقال إن مهمة الفلسفة هي خلق عالم على أساس علمي ، وغاية الفيلسوف أن يغيِّر العالم ، وطالبَ مازاريك بعصر تنوير ينقذ الإنسان من الفوضىٰ الخلقية والفكرية التي تردَّى فيها ، وتمنى أن يكون على يديه خلاص بلاده من ربقة الروسيا ، التي قالَ عنها إنها سبب كل الأمراض الأوروبية ، وأنها مباءة الرومانسية والمادية .

مازدية Mazdaism

(انظر الزردشتية) .

مأساة Tragedy

تتضارب التعاريف بشأنها ، وكلها وجهات نظر تقبل المناقشة والدحض ، ولا ترقىٰ إلى مستوى التعريف الجامع المانع ، ومن ثمَّ يرفض البعض أن يقول بأن للمأساة نظرية . ورغم ذلك كان التعريف الذي طرحه أرسطو هو أشهر هذه التعاريف جميعها ، وبسببه دارت مساجلات حول ماهية الدراما ونظريتها ، ووسع بعضهم من مفهوم أرسطو ، وتحدّاه الأخرون ، حتى رفض البعض مثل بيكيت ويونسكو أن يقول بشيء ممَّا قاله أرسطو . ويصف أرسطو المأساة أو الفاجعة بأنها محاكاة لفعل ضخم متكامل الأحداث ، بشكل يستثير شفقة المتفرجين ، وينفث عن انفعال الخوف فيهم ، ولكنه لم ينبر لتعريف ما يقصده بالمحاكاة والشفقة والخوف . وقال بأن الفعل أحداث مرتبة بشكل معين هو الحبكة ، وهي أهم عناصر الرواية ، وهي محاكاة للفعل ، ويأتي رسم الشخصيات بعدها في الأهمية .

وكانت أهم التعاريف بعد أرسطو وحتى اليوم تلك التي ذكرها هيجل وشوبنهاور ونيتشه ، ويقدم الثلاثة تعاريف ميتافيزيقية ، فبعكس أرسطو الذي لم يكن يرى المأساة إلَّا في الفن ، قال الفلاسفة الثلاثة أن الفن المأساوي هو ذلك الذي يعكس المأساة في الحياة ، وقال هيجل في كتابه « فلسفة الفن » أن رواية أنتيجون هي أفضل تصوير درامي للصدام في الحياة ثم المصالحة ، وأن المأساة تثيرنا وتطهرنا بأكثر مما تثيرنا وتطهرنا مشاهدتنا لآلام البطل ، لأن خوفنا وشفقتنا يتوجهان في النهاية إلى قوة العدالة المطلقة التي تسود العالم ، والتي بإدراكنا لها يتولَّد فينا الشعور بالمصالحة مع الحياة . غير أن شوبنهاور لم يكن يرى رأي هيجل بشأن هذه المصالحة ، وكان يقر بأن المأساة في الفن هي انعكاس للمأساة في الحياة التي تتمثل في آلام الإنسانية التي تجل عن الحصر ، وفي الجحيم الذي نعيش فيه ويجل عن الوصف ، وفي انتصار الشر على الخير ، وغلبة عنصر الصدفة وكأنَّما تسخر من كل جهود يبذلها الإنسان ليحدث العكس ، وفي السقوط الذي يتردَّى إليه في النهاية كل العادلين والأبرياء ، وإزاء ذلك لم يعد أمام الإنسان من سبيل لتغيير هذا المصير المحتوم إلَّا بتصويره وتمثيله ، فبالفن يكون الخلاص من هذه الحياة المحكوم علينا بها . ولكن نيتشه ، عكس شوبنهاور ، كان يرى أن المأساة أساسية في الحياة ، ولكن التغلب على عنصرها المأساوي لا يكون بالتسليم به واليأس حياله وتصويره كما هو ، لكن بتجاوزه عن طريق تأكيد القوة التي تكمن خلف الحياة ، بفن ينمي فينا الاعتقاد بأنه برغم كل شيء فإن الحياة في أساسها تستحق أن تُعاش ، وهذا التأكيد وتلك الرسالة هي غاية الأسطورة المأساوية .

مالبرانش Malebranche

(١٦٣٨ ـ ١٧١٥) نيقولا مالبرانش ، ولد بباريس ، وتلقَّىٰ العلم بكلية لامارش ، وتخرَّج من السوربون ، وفي السادسة والعشرين رسم قسيساً ، وفي نفس العام وقع على كتاب « الإنسان » لديكارت ، وانكبَّ على قراءته ثم أنهىٰ كتب ديكارت وأتباعه ، وأعجب بالديكارتية والأوغسطينية ، وفي الثلاثين شرع في صياغة فلسفته ، وفي السادسة والثلاثين نشر أول كتبه « البحث عن الحقيقة **De la Recherche de la Verité** » ، وكان تطويراً رائعاً مدعماً لأفكار ديكارت ،

اتَّسم بالأصالة والاستقلالية ، وطرح فيه فكرة أن الله محل الأفكار ، وأننا نحيا ونتحرك في الله ، وأن الله يحدث الأفكار في النفس ، وأننا نعتقد أن العالم الخارجي موجود لأنه قال لنا أنه خلق سماء وأرضاً . وقال مالبرانش أن الله وحده هو الفعّال ، وأن مخلوقاته ليست عللاً ، ولكنها وأفعالها فرص ومناسبات لوجود موجودات وأفعال أخرى بفعل الله ، والأجسام والنفوس لا تتحرك لأن أجساماً ونفوساً أخرى حركتها ، فهذه هي العلة الظاهرة ، ولكن العلة الحقة هي التي يكون بينها وبين معلولها علاقة ضرورية ، ولا تكون العلاقة ضرورية إلَّا بين العلة الأولى ومعلولاتها ، والعلة الأولى هي الله ، فهو الذي يربط بين الموجودات بقوانين ثابتة ويخضعها لها . ولقد أثار « **البحث عن الحقيقة** » ثم « **كتاب الطبيعة والنعمة** » (١٦٨٠) جدلاً عنيفاً حتى أنكرتهما الكنيسة ، الأول عام ١٧٠٩ ، والثاني عام ١٦٩٠ . ولعلَّ خير كتبه إطلاقاً كتابه « **أحاديث في الميتافيزيقا والدين Entretiens Sur La Metaphysique et Sur La Religion** » (١٦٨٨) وبسببه أطلقوا عليه اسم « أفلاطون الفرنسي » ، وهو يرد على منطق الأرسطيين بمنطق أفلاطون ، أن الأشياء لا تطبع صورها في النفس ، فالأدنى لا يؤثر في الأعلى ، ونحن لا ندرك الأشياء الخارجية في ذاتها ، كالشمس مثلاً ، لأن النفس لا تغادر الجسم لتتجول في الفضاء وتتأمل الشمس والنجوم ، وهي لا تتحد بأشياء بعيدة عنها مغايرة لها ، وإنَّما تدرك الحواس الشيء وتنفعل به ، وفي الحال يمثل أمام الذهن شيء متحد بالنفس هو فكرة الشمس ، ومن ثم نحس الشمس سواء كانت موجودة فعلاً ، أو غير موجودة ، مثلما يحدث عندما نصاب بالحمى فنرى أشياء لا توجد في الواقع ، وإنَّما هي آتية من قبل النفس وتمثل في الذهن ، ولا يمكن أن نفسر ورودها من النفس أنها غريزية فيها ، لأن الأفكار لامتناهية والنفس متناهية ، ولا يعود أمامنا إلَّا أن نقر أن الله هو الذي يحدثها في النفس من باب أن الأعلى هو الذي يؤثر في الأدنى ، وأن ما ندركه بحواسنا مباشرة من أفكار ، هي أفكار الأشياء أو صورها في عقل الله .

فالله هو محدث الأفكار ، وهو يقابل أفكار النفس بعضها ببعض ، وأفكار النفس وحركات الجسم ، وعليه عمار الإنسان في حركته وفكره ، وإذاً فما شأن الإرادة ، وكيف تكون حرية الاختيار ؟ إن الإنسان يريد الخير في عمومه Le Bien En Général ، وحب الخير مطبوع فيه ، فهل رأينا إنساناً يحب أن يكون تعيساً ، أو تمنى شيئاً إلَّا وظنَّ أنه الخير ؟ لكن قد يحدث أن تفرض الظروف على الإنسان أشياء ، أو أن تكون قيداً على أحاسيسه ، أو محركاً لأفكاره ، فكيف يتصرف إزاءها ؟ يقول مالبرانش إن الإنسان يملك القوة على الرفض ، وأن لديه الإحساس الداخلي الفوري بأنه يستطيع أن يرفض كل ما يقيد أو يوجه إرادته إلى ما ليس خيراً ، فإذا كان الله هو الفاعل الوحيد ، فإن الإنسان له حرية التوجه إلى الخير بإذن الله ، بما ركب فيه من إرادة الخير ، وكل الكائنات تنتسب إلى الله ، وتتفاضل الموجودات بما فيها من نسب الكمال الإلّهي ، وتتوجه إرادة الخبر إلى الموجودات ، كل بحسب نسبته من الله ودرجته من الكمال ، ولعلَّ هذا الاختلاف هو السبب في اختلاف الأخلاق .

ماكتجارت .... Mc Taggart

(١٨٦٦ - ١٩٢٥) جنا إليس ماكتجارت ، بريطاني ، تعلَّم بكيمبردج وعلَّم بها . فلسفته هيجلية مثالية ، يعتقد أن الواقع عقلي يتكوّن من العقول المفردة ومحتوياتها ، ويقول بلاواقعية المكان والزمان والأشياء المادية ، وأن ما ندركه منها إنما هو سوء إدراك بطريقة منهجية ، وأن سوء الإدراك هذا هو مصدر كل العالم الظاهر ، ويزعم أنه بالرغم من لاواقعية الزمان فإن الأفراد خالدون ، وأنهم يبعثون على التوالي في أجسام ظاهرة ، وأنهم في علاقات إما مباشرة أو غير مباشرة ، أساسها الفهم ، ومن ثمَّ تقوم على الحب في الأولى ، وعلى التعاطف في الثانية ، وأن الحب هو الحالة الوجدانية الأساسية حقيقة ، وأن العالم بلا إلّه ، وأنه لا داعي للاعتقاد في عقل كلي يشمل العقول الفردية ويكون هو نفسه عقلاً مفرداً .

مالثس **Malthus**

(١٧٧٦ ـ ١٨٣٤) توماس روبرت مالثس ، إنجليزي ، لاهوتي ، اقتصادي ، أخلاقي ، اشتهر بكتابه « **بحث في نظرية السكان An Essay On The Principles Of Population** » ، وهي في الحقيقة بحثان أو كتابان ، صدر الأول سنة ١٧٩٨ ، والثاني سنة ١٨٠٣ ، وتشابها في العنوان ، فظهرا كما لو كانا طبعتين مختلفتين لكتاب واحد . وأحدثت النظرية دوياً فكرياً واستنفرت الكثير من الردود ، وكانت لها أصداء بعيدة في الفلسفة وعلم الأحياء ، وتتلخص في قانون صارم زعم مالثس بأنه قانون الوجود ، ومؤداه أن سكان الأرض يتزايدون بمتوالية هندسية في الوقت الذي تتزايد فيه وسائل العيش بمتوالية حسابية ، أي أن معدل الزيادة في السكان يفوق بمراحل معدل الزيادة في وسائل العيش ، ومن ثمَّ فلنا أن نتوقع صراعاً من أجل البقاء ، وهو التعبير نفسه الذي استعاره دارون من بعد ، وليس ثمَّة موجب للتفاؤل ولتوهم التقدم البشري والاجتماعي ، ولأحلام السعادة التي بشَّر بها عصر التنوير . ويقول مالثس إن الطبيعة تصلح هذا الوضع كلما اختلَّ هذا التوازن بالحروب والأوبئة ، غير أن الإنسان يستطيع ذلك أيضاً بإجراءات وقائية تحد من النسل ، ويقترح أن تكون هذه الإجراءات هي الامتناع عن الزواج والحد منه ، ولكنه يصف موانع الحمل بأنها خطيئة .

مالرو **Malreau**

جورج أندريه مالرو ، كاتب وناقد ثوري فرنسي ، ولد بباريس (١٩٠١) ، ودرس بليسيه كوندورسيه ، وكانت حياته غراماً بفكرة الثقافة ، وشغلته مشكلة قيام وسقوط الحضارات ، وخصوصية كل ثقافة ونسبيتها ، وتأثيرها الحاسم في تشكيل عقليات شعوبها ، وغذَّى ذلك كله ونماه فيه إحاطته الواسعة بالفنون ، وتمكّنه من الأدب واطّلاعه الواسع فيه ، وحبه لمحاورة الشخصيات الكبرى في أوروبا والشرق . واشترك مالرو في الحرب ضد النازية ، وفي مقاومة اضطهاد اليهود ، وشارك في الحرب الأهلية الاسبانية مع القوات الجمهورية ، وفي المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألماني بعد سنة ١٩٤٠ ، وعين وزيراً للإعلام ثم للثقافة في وزارة ديجول . وكان مالرو ملتزماً ككاتب ، لأنه رأى أن العلم قد كشف عن الكون ، ولكن العالم نسي أن يصنع للإنسان المكتشف مكاناً في الصورة التي شكلها عن الكون ، ولكي نتفهم هذا الإنسان ونضعه في مكانه المناسب من الكون ، لا بد أن نعيد تشكيل الصورة بحيث يكون صانع الصورة هو نفسه المكتشف ، بمعنى أن الإنسان الفاعل ينبغي أن يحل محل الفيلسوف والعالم ، فليس الإنسان هو ما يقول ، وليس هو المكتشف ، ولكنه الإنسان الفاعل ، بمعنى أن الإنسان نفسه هو ما يفعل ، وهو ما يشارك به في شبكة العلاقات الكبرى التي تصنع هذا العالم . وتدور روايات مالرو حول ماهية هذا الفعل . ما الذي يمكن أن يفعله بحياته ؟ بل ما هو أحسن ما يمكن أن يفعله بها ؟ وفي روايته « أمل الإنسان » يقدم مالرو الجواب : هو أن يقبل على كل تجربة ، ويصنع منها شيئاً خصباً ، ويستوعبها لآخرها ، ويسترجمها في وعيه .

ومالرو نفسه يفعل نفس الشيء ، رواياته «**الفاتحون**» (١٩٢٨) و « **الطريق الملكي** » (١٩٣٠) و « **الوضع الإنساني** » (١٩٣٣) و « زمن الاحتقار » (١٩٣٥) و « **الأمل** » (١٩٣٧) تجارب ريانة من حياته . وفي رأيه أن العالم يستشرف اليوم حضارة عالمية حطمت كل الثقافات ، وهي أول حضارة لا أدرية لا تقوم على الاعتقاد الديني ، وتقدم ظاهرة جديدة هي المتحف الذي يتجمع فيه أعمال فنية فقدت صلتها بما كانت ترمز إليه ، وصارت قيمتها في نفسها ، وهي ظاهرة تفصح عن رغبة عارمة في الإنسان أن يتجاوز واقعه وانقساماته وشعوبيته وعنصريته ، وأن يخلق عالماً مفتوحاً للجميع يتحدَّى الموت والزمن والضرورة العمياء .

مالكولم **Malcolm**

نورمان مالكولم ، من أبرز فلاسفة أمريكا ، ولد في

كنــاس (١٩١١) وتعلَّم بهارفارد ثم التحق بكيمبردج فوقع تحت تأثير مور وفتجنشتاين ، ويعد كتابه الرئيسي « **المعرفة واليقين** » (١٩٦٣) محاولة لفهم فتجنشتاين وشرح فلسفته واستخدام منهجه لمعالجة موضوعات لم يتناولها فتجنشتاين مباشرة .

مانسل .... Mansel

(١٨٢٠ ـ ١٨٧١) هنري لونجفيل مانسل ، إنجليزي ، لاهوتي ، تعلَّم وعلم بأكسفورد ، وكان ظهوره في وقت بدأت فيه الفلسفة تستعيد مكانتها في إنجلترا ، وكان فلاسفتها يتجهون طلباً للوحي إما إلى ألمانيا أو فرنسا ، وقد اتَّجه مانسل إلى اسكوتلندا وفرنسا ، متأثراً بوليام هاملتون وفكتور كوزان وكلاهما من فلاسفة الإدراك الفطري ، ويعد مانسل أبرز تلاميذ هاملتون ، وكتبه ومقالاته التي أهمها « الميتافيزيقا أو فلسفة الوعي » (١٨٥٧) و « حدود الفكر الديني » (١٨٥٨) و « فلسفة المشروط » (١٨٦٦) محاولات لصياغة أفكار هاملتون الرئيسية بشكل أكثر دقة ، غير أن أشهر كتبه هو « حدود الفكر الديني The Limits of Re-Ligious Thought» ، وهو في الأصل محاضرات بامتون Pampton ، يبرز فيه النتائج اللاهوتية المترتبة على مذهب هاملتون القائم على الظاهرية واللاأدرية ، وحاول أن يوضح أن كافة المحاولات لاكتشاف طبيعة الله مآلها الفشل ، فاللّامتناهي ليس موضوع إدراك المتناهي ، وقد أثارَ قوله هذا عاصفة من النقد وخاصة من جون ستيوارت مل .

مانهايم Manneheim

(١٨٩٣ ـ ١٩٤٧) كارل مانهايم ، يهودي ألماني ، ولد في بودابست ، وتوفي بلندن ، ودرس ببرلين وباريس ، وهايدلبرج على ماكس فيبر ، وعلَّم في هايدلبرج وفرانكفورت ولندن . ويشبه في تفكيره كونت وهيجل عندما يقول إن الإنسان كان في الماضي تحكمه العملية التاريخية ، وهو في المستقبل سيتجاوزها . وتأثَّر مانهايم تأثراً كبيراً بكارل ماركس ، ولكنه انحرفَ عن الماركسية عندما أكد أن من الممكن تحقيق التقدم الاجتماعي بوسائل غير ثورية ، وكذَّب أن يكون تطوّر المجتمعات عملية تلقائية ، وقال بأهمية الجهد السياسي الواعي . وكذلك تأثَّر مانهايم بالنزعة التاريخية الألمانية ، والبراجماتية الأنجلو سكسونية . وقال مانهايم في أهم كتبه « **الأيديولوجية والطوبى Ideologie und Utopie** » (١٩٢٩) ، أن الوعي تشكله عوامل المشاركة الاجتماعية ، وأن نظرية المعرفة لذلك عفى عليها الزمن ، وينبغي أن تحلّ محلها نظرية سوسيولوجية المعرفة ، وفي ضوء هذه النظرية الأخيرة يتبيّن أن المعرفة ترتبط بالمواقف ، بمعنى أنها ترتبط بظروف اجتماعية تاريخية ، وأن لكل زمن أسلوبه في التفكير ، وأن المقارنة بين هذه الأساليب محال ، وفي كل زمن هناك عوامل تعمل على إبقاء الأمور كما هي ، وأخرى تدفع إلى التغيير ، والالتزام بالماضي يزيف الأفكار وينتج إيديولوجيات تغالي في تقويم عوامل الاستقرار وتؤلّه الماضي . والإصرار على التغيير يمكن أن ينتج طوبيات تغالي في تقويم المستقبل وعوامل التغيير . وبين الاثنين يتوسط التفكير الواقعي ، ولكن المجتمعات تميل إلى التطرّف ، وليس هناك من أمل في اعتناق التفكير الواقعي إلّا لطبقة المثقفين غير الملتزمين ، فهؤلاء وحدهم يمكن أن يقاربوا الحقيقة ، وأن تكون لهم رؤياهم الشاملة التي تتغلب على انحيازات مجتمعاتهم .

ماني والمانوية .. Manie and Manichaeism

ماني بن فاتك ، مؤسس المانوية ، ولد بجنوبي بابل نحو سنة ٢١٦م ، وربما كان فارسي الأصل ، تربى تربية دينية ، وادعى النبوة في الرابعة والعشرين ، وشرع يبشر بالمانوية وقصد إلى الهند ، ولما ارتقى شابور عرش فارس (٢٤١م) استدعاه ، لكن دعوته لاقت معارضة شديدة من كهنة الزرادشتية ، فلما نصب بهرام ابن شابور ملكاً قضى بإعدامه (٢٧٢م) . والمانوية فرقة غنوسية مسيحية ، كانت أخطر البدع التي تعرضت لها المسيحية ، وأطولها عمراً ذلك لأنها استمرت من القرن الثالث حتى القرن الثالث عشر ، واعتنقها الكثيرون في

سوريا وآسيا الصغرى والهند والصين ومصر وبلاد البلقان وايطاليا وفرنسا وكان القديس أوغسطين نفسه مانوياً لبعض الوقت، وأهم أركانها قولها بالثنائية، أي إله النور وإله الظلام، واختلفت عن الفرق الغنوسية المسيحية الأخرى بقولها إن الإلهين منفصلان تماماً وموجودان منذ الأزل، بعكس الفرق الأخرى التي تقول بأن إله الظلام أو الشر تولد فيما بعد من أيون الحكمة التي تطاولت على الحضرة السنية في محاولة لتعرف السر الإلهي، فكان سقوطها، وميلاد أركون أو سيد الشر من خطيئتها. والمانوية كفلسفة غنوسية مزيج من المسيحية واليهودية والبوذية والزرادشتية. وكانت منظمة في كنيسة على رأسها الإمام في بابل، ويليه اثنا عشر حوارياً، ثم اثنان وسبعون أسقفاً، فالكهنة والشمامسة، وكانت تقول بالمعمودية والقربان، وتأخذ من كل الأديان وتحرم اللحوم، وكان ماني يقول إنه النبي الرابع والأخير، سبقه المسيح وزرادشت وبوذا، لكنه يمتاز عليهم بأنه وعظ وكتب بينما هم اقتصروا على الوعظ فقط، لكن كتبه وكتب المانويين اندثرت ولم نتعرف إليها إلا من خلال ما كتبه الآخرون عنها وأخصهم ابن المقفع وابن النديم والشهرستاني، وكان لها بعض التأثير في الأفلاطونية المحدثة لولا أن المانويين من أصحاب الخيال الجامح، وأفلوطين وتلاميذه من أهل الفكر والفلاسفة.

مابنونج Meinong

(١٨٥٣ ـ ١٩٢٠) أليكسيوس ماينونج، نمسوي درس على برنتانو بجامعة فيينا، وعلم بجامعة جراتس، وأسس بها أول معمل لعلم النفس التجريبي بالنمسا، ولكن معظم مؤلفاته لا تدخل في باب علم النفس التجريبي وإنما تندرج ضمن ما أسماه برنتانو بعلم النفس الوصفي الذي يقوم على افتراض أن التوجه نحو الأشياء هو السمة المميزة لكل الحالات العقلية، ويفرق بينها بحسب الفعل والمضمون، فأما الفعل فهو كالفرق بين التفكير في التنين مثلاً وبين الاعتقاد في وجوده، وأما المضمون فهو كالفرق بين التفكير في الأشباح والتفكير في التنين. ويبني ماينونج فلسفته على تقسيم برنتانو لحالات العقل إلى صور تمثيلية وأحكام ومواقف عاطفية اشتهائية، ولكنه يقسم الصور التمثيلية إلى صور تتطلب إدراكاً حسياً سلبياً وأخرى تتطلب إنتاجاً إيجابياً وتقوم على موضوعات لموضوعات حسية، وأخرى تتطلب إنتاجاً إيجابياً لموضوعيات لا تدرك بالحس، وليس لها وجود فعلي، لكن وجودها افتراضي فهي افتراضات، ويسمى وجودها وجوداً ضمنياً، وتشبه الأحكام لكن ينقصها الاقتناع، ويجوز أن تكون وقائع أو لا تكون، ولا يتوقف كونها موضوعيات او افتراضات على التعبير عنها أو التفكير فيها، ويتناولها ماينونج في كتابه «عن الافتراضات» (١٩٠٢) الذي يعد أفضل كتبه، ويبني نظريته في الموضوعيات على التفرقة بين طبيعة الشيء ووجوده، ويذهب إلى أن كل شيء موضوع للتفكير حتى ولو لم يكن قابلاً للتفكير فيه، فحتى كونه غير قابل للتفكير فيه يصفه على الأقل بأنه غير قابل للتفكير فيه، فالمربع المستدير مثلاً له طبيعة أنه مربع ومستدير رغم أنه في الواقع لا يمكن أن يوجد لأن طبيعته تخرق قانون الثالث المرفوع، وليس قولنا إن وجوده ضمني أن له وجوداً في الواقع من أي نوع، ولكنه يعني أن له طبيعة يمكن وصفها ولا صلة لها بكونه موجوداً في الواقع الخارجي أو غير موجود، وقد نقول إن المربع المستدير هو مربع ومستدير ولكننا لا نقول بوجود مربع مستدير. وتلعب هذه الموضوعيات أو الافتراضات دوراً مهماً في الفنون والألعاب والفروض العلمية والخيال وفي المعرفة بشكل عام. ولا يعني أن بعض هذه الفروض واضح بذاته أنها صحيحة، ويبني ماينونج فكرته في البينة الظنية على فكرة برنتانو في البينة، ويبرر بها الإدراك الحسي والتذكر والاستقراء، ولا يتأكد الافتراض الواضح بذاته إلا إذا أيدته أحكام أخرى من الذاكرة أو تقوم على الإدراك الحسي أو الاستقراء بحسب نوع الافتراض المطلوب التيقن فيه، ويشبهه بورقة اللعب الوحيدة التي لا تتأكد مكانتها إلا بأخريات تساندها. ويبني نظريته في القيمة على فكرة برنتانو في الأحكام الصائبة وغير الصائبة، والتي لها ما

يبررها والتي لا يبررها شيء ، والتي تستحق ما يرتبط بها من انفعالات أو لا تستحق ، ونظريته في القيمة لا تقوم على الرغبة أو المصلحة أو الفائدة ، لكنها تقوم على مفهوم المشاعر المرتبطة بالأحكام حيث تكون مشاعر بالبهجة والسعادة أو مشاعر بالحزن والأسف والشيء خير عندما يرتبط وجوده بالسعادة وعدم وجوده بالأسف ، وشرير عندما يرتبط وجوده بالحزن وعدم وجوده بالسعادة ، وتنقسم الأفعال الخيرة إلى ممدوحة ومجرد مطلوبة ، والأفعال الشريرة تنقسم إلى أفعال يمكن اغتفارها وأخرى لا يمكن اغتفارها .

مبادىء أخلاقية Ethical Principles

(انظر النزعة الموضوعية الأخلاقية) .

مبدأ إمكانية التحقق
Verifiability Principle

أبرز مبادىء الفلسفة الوصفية المنطقية ، ومعيارها الرئيسي الذي يأخذ به الوضعيون المناطقة للتأكد من صدق أية جملة تقال عن العالم ، ويعني ان الجملة لكي تكون ذات معنى ينبغي أن تصف الواقع وتقبل إما التحقق المباشر من صدقها بالتجربة والرجوع إلى شهادة الحواس ، وإما التحقق غير المباشر بإجراء عمليات الرد المنطقي عليها لتحويلها إلى جمل تقبل التحقق المباشر ، وبالاختصار تكون جملة تجريبية Empirical Sentence ، أي تكون جملة تشتمل على محمولات تجريبية فقط علاوة على ما قد يكون فيها من تعبيرات غير وصفية . ويسمي كارناب الجملة اقتراحاً او توصية ، ويعلق إصدار الحكم عليها بالصدق أو بالكذب حتى يمكن التحقق من ذلك تجريبياً . غير أن المبدأ بهذا التفسير يجعل المعرفة شخصية ويؤدي إلى شكل من أشكال الأنانة Solipsism طالما أن معنى الجملة يتوقف على الخبرة الشخصية لمن يتصدى للحكم عليها بالصدق أو بالكذب ، ولذلك فقد حاول الوضعيون المناطقة أن ينقحوا مبدأ إمكانية التحقق ليزيلوا مواضع الطعن فيه ، وفرقوا بين محتوى الخبرة وقوامها ، وأقروا بأن محتوى الخبرة شخصي وغير متماثل عند كل الناس ولا يمكن التعبير عنه ، لكن قوام الخبرة أو شكلها لاشخصي ، فإذا صيغت العبارات بطريقة لا تجعل معناها شخصياً ، فإنها تستوفي ما هي مطالبة به من الناحية العلمية ، ومن ثم تخضع للتجريب العلمي ولاستقصاء الظروف التي تجعل منها قضايا صادقة

مجسمية

المجسمية : فرقة يقولون إن الله جسم حقيقة ، وقالوا إنه مركب من لحم ودم ، كمقاتل بن سليمان وغيره ، وقالوا هو نور يتلألأ كالسبيكة البيضاء ، وطوله سبعة أشبار من شبر نفسه ، ومنهم من يبالغ ويقول إنه على صورة إنسان ، وأنه شاب أمرد جعد قطط ، وقالوا بل هو شيخ أسمط الرأس واللحية . والكرامية قالوا هو جسم ، أي موجود ، وقال قوم منهم أي قائم بنفسه .

مجهولية

فرقة من الخوارج العجاردة ، مذهبهم كمذهب الخازمية ، إلا أنهم قالوا معرفة الله تكفي ببعض أسمائه ، فمن عرفه كذلك فهو عارف به مؤمن ، وفعل العبد مخلوق له .

مجوس Magi

(أنظر الغنوصية) .

محامون عن الدين Apologists

جماعة من المعلمين المسيحيين انبروا للدفاع عن الدين والاحتجاج على الاضطهاد الروماني للمسيحيين ، وتسموا بالمحامين عن الدين أو المحتجين لأنهم دونوا مرافعاتهم أو احتجاجاتهم في شكل كتب رفعوها إلى الأباطرة ، أو في هيئة حوار مع وثنيين ، استخدموا فيه الفلسفة لنقد المعتقدات الوثنية والفلسفات غير المسيحية ، ولشرح الدين وإثباته بالعقل ، وللإشادة بالأخلاق المسيحية . واشتهرت حركتهم ابتداء من القرن الثاني حتى القرن الرابع ، وكان جوستين Justin (نحو ١٠٠ إلى ١٦٥) وتلميذه تاتيان Tatian (ولد نحو ١٢٠) وأثيناغوراس Athenagoras وثيوفيلوس Theophilus

وترتوليان Tertullian ومينوسيوس فيلكس Felix من اشهر المحتجين في القرن الثاني ، وكتبهم احتجاجات حقيقية Apologies خلطوا فيها المسيحية بالأفلاطونية والرواقية ، واستخدموا مصطلحات فلسفية لشرح مصطلحات الانجيل . وفي القرن الثالث اشتهرت كتابات كليمنت الاسكندري وأوريجين ، وانبرى يوسيبوس للدفاع عن المسيحية ضد كتاب فورفوريوس « ضد المسيحيين » وكتاب هيروكليز المشابه . وفي القرن الرابع كتب الامبراطور جوليان « ضد الجليليين » يقصد المسيحيين ، وتصدى للرد عليه ثيودوريت وسيريل الإسكندريان . ولا يفوتنا أن نذكر أرنوبيوس ولاكتانيوس وأوغسطين في كتابه « مدينة الله » ، ونلاحظ أن معظم المحتجين اضطروا إلى القراءة في الفلسفة وإلى استخدام المنهج الجدلي وبذلك ادخلوا الفلسفة إلى اللاهوت ، وكان معظمهم متأثراً بالأفلاطونية، ولكتاب تيماوس لأفلاطون مكانة خاصة لديهم ، وكانوا يجدون فيه إرهاصات للمسيحية ، وكانوا نقاءين أي ينتقون من كل فلسفة ما يخدم دفاعهم عن الدين .

محمد عبده

(١٨٤٩ - ١٩٠٥) تلميذ الأفغاني النابه ، اشترك معه في تحرير العروة الوثقى ، ودعا مثله إلى تأويل الإسلام تأويلاً عقلياً . ولد في محلة نصر من قرى محافظة الغربية في مصر ، ودرس بالأزهر ، وتعتبر « رسالة التوحيد » أهم مصنفاته ، وحلقة مهمة في سلسلة المؤلفات الكلامية التي بدأها علماء المعتزلة في القرن الثامن ، وفيها دلل على أن القرآن قد طرح قضايا الدين طرحاً عقلياً ، مدعماً بالبراهين ومفنداً لآراء الخصوم ، وقد اتخذ المفكرون المسلمون الأوائل هذا المنهج القرآني منهجاً لهم ، غير أنهم من بعد طالعوا الفلسفة اليونانية وقلدوها ، ونقلوا إلى الفكر الإسلامي منازعاتها، فأذكوا روح الشقاق بين المفكرين ، واحتدم الشقاق بين العلم والدين بعد أن كان القرآن قد وحد بينهما . وفي ردوده على جبريل هانوتو أكد محمد عبده على ضرورة الفصل بين وضع المسلمين المتردي ، والأثر الذي يمكن أن يستحدثه الإسلام في معتنقيه ، وقال إن المسلمين الأوائل طبقوا الإسلام فكانت لهم المنعة والعزة ، فلما فارقوه من بعد انحطوا . وقال في الرد على اتهام الإسلام بالجبرية ، بأن الجبرية ليست وقفاً على الإسلام ، ومع ذلك فالقرآن قد أقر حرية الاختيار والكسب في أكثر من ٦٤ آية . ورد على ما زعمه هانوتو بأن فصل السلطتين الزمنية والروحية كان سبباً في تقدم أوروبا المسيحية، ودمجهما كان سبباً في انحطاط المسلمين ، فأكد محمد عبده على الوحدة العضوية في النظرة الإسلامية إلى الكون ، واعتبر هذه الوحدة دليلاً على تفوق الإسلام الذي لم يجعل شعاره إعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، بل إخضاع قيصر لله ومحاسبته على كل ما يأتيه من حسنات أو سيئات . ولكن يؤخذ على محمد عبده مغالاته في تأويل معطيات العقيدة الإسلامية بما يتمشى مع العقل من جهة ومع منجزات الحضارة الغربية من جهة أخرى ، كتأويله للجن بالميكروب ، والطير الأبابيل بالبعوض ، والحجارة من سجيل بجرثوم الجدري أو الحصبة ، وخلق عيسى بالاعتقاد النفسي الذي استولى على مريم ؛ وتضخيمه للعقل ومساواته بالوحي من جهة ، ومحاولة تضييق خبر الغيبيات في العقيدة الإسلامية ، كنفي حقيقة السحر مثلاً ؛ وتبرير تناول الحضارة الغربية دينياً ، مثل الإفتاء بإباحة استثمار الأموال في صندوق التوفير . وقد انزلق الشيخ محمد عبده ، بعد قبوله لمعطيات الحضارة الغربية ، إلى التعاون مع الاستعمار البريطاني ، وقد نقل عن محمد رشيد رضا في تاريخه للشيخ أن لورد كرومر ناصره على الخديوي عباس ، وقال إن محمد عبده يظل مفتياً في مصر ما ظلت بريطانيا العظمى محتلة لها ، وقارنه البعض لذلك بأحمد خان في الهند الذي كان معروفاً بممالأته لسلطة الانجليز في بلده حتى منحوه لقب « سير » وأجروا عليه معاشاً سنوياً . ويؤخذ على محمد عبده انتسابه إلى المحفل الماسوني الشرقي الفرنساوي ، وهو إحدى الحركات الفرعية للصهيونية الدولية ، ولذلك فقد دعا إلى التأليف

بين الأديان السماوية ، وأسس لذلك جمعية سرية في بيروت ، وقد افتضحت دائماً أغراض هذه الجمعيات والدعوات التي كانت آخرها الدعوة البهائية ، فالغاية الكبرى التي تنشدها تمييع الأديان لتكون المحصلة النهائية « لا أديان » . ومع ذلك فكان تأثير محمد عبده عظيماً ، واشتهر من تلاميذه الشيخ محمد رشيد رضا (المتوفي ١٩٣٥) الذي سار على درب أستاذه ، فأصدر مجلة « المنار » ووقفها على الدعوة الإسلامية .

مختارية

أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي ، قال يجوز البداء على الله ، والبداء له معان : البداء في العلم ، وهو أنه يظهر له خلاف ما علم ، والبداء في الإرادة ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف أراد وحكم ، والبداء في الأمر ، وهو أن يأمر بشيء ، ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك .

مدرسة أثينية Athenian School

الاسم الذي عرفت به أكاديمية أفلاطون في الفترة التي تلت وفاة أفلوطين ، وفلسفتها مزيج من فلسفات أفلاطون نفسه وفورفوريوس وإيامبليخوس ، وكان بلوتارخ الأثيني (المتوفي ٤٣١) أول ممثليها ، عارض الاسكندر الأفرودويسي وفسر العقل الفعال عند أرسطو بأنه الجزء الإلهي في الروح الإنسانية وليس الله نفسه ؛ وخلفه سيريانوس الذي نصح بدراسة أرسطو قبل أفلاطون ، ثم دومينوس اليهودي الذي غلبت عليه الاتجاهات الرياضية ، وأبروقلس الذي طور نظرية الفيض عند أفلوطين ولكنه لم يضع الشر في المادة ونسبها للروح ، وكان تأثيره كبيراً على الفلسفات الاسكولائية والباطنية في العصور الوسطى ، مع أن فلسفته وكل فلسفة المدرسة الأثينية كانت وثنية وتقول بتعدد الألهة وتعادي المسيحية ، إلا ان من يدعى بديونيسيوس الأريوباغي ، وكان تلميذاً لبولس الرسول ، فسر المسيحية على طريقة أبروقلس أو أنه دعى إلى الأفلاطونية المحدثة في ثياب مسيحية . وخلف أبروقلس مارينوس اليهودي ، وكان آخر فلاسفة هذه المدرسة دمسقيوس (ولد ٤٨٥) وعاصره بريسيانوس وسمبليقوس ، والأخير كان حلقة الاتصال بين مدرسة أثينا ومدرسة الاسكندرية . ولما حرم جستنيان كل النشاط الفكري الوثني أغلقت مدرسة أثينا وهاجر فلاسفتها إلى فارس في عهد الملك قورش ، ولكنهم سرعان ما عادوا بعد نحو سنتين .

مدرسة اسكتلندية Scottish School

أسَّسها توماس ريد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، ويشتق اسمها من المنطقة الجغرافية التي ظهرت فيها ، ويطلق عليها كذلك اسم مدرسة الإدراك الفطري بحكم ما كانت تدعو إليه وبتأثير معارضتها لمدرسة الفكر التجريبي التي كان يمثلها باركلي وهيوم . وهي أول مدرسة حقيقية للتعليم الفلسفي في التاريخ البريطاني باستثناء مدرسة كيمبردج الأفلاطونية ، واشتهر من أتباعها دوجالد ستيوارت ، ويعد أقدر تلاميذها الأوائل، وتوماس براون خليفة في إدنبره ، والسير جيمس ماكنتوش صاحب كتاب « بحث في تقدم الفلسفة الأخلاقية » ، ووليام هاملتون الذي جدد شعار الفلسفة الاسكتلندية ، وجيمس ماكوش الذي نقلها إلى أمريكا ، وهنري كالدروود وجون فتش وكانا آخر ممثليها . وحلَّت الكنطية والهيجلية المحدثتان محلها ، على أنه من الممكن العثور على بعض آثارها في الواقعية المحدثة عند ولسون وستاوت ومور وليرد وجود Joad وغيرهم .

مدرسة الإسكندرية Alexandrian Shcool

تميزت بهذا الاسم الدراسات الأفلاطونية التي كانت تروج لها مجموعة الفلاسفة الذين عاشوا في الإسكندرية في الفترة من منتصف القرن الرابع حتى سقوط المدينة في أيدي العرب سنة ٦٤٢ م ، وهي دراسات لغتها اليونانية واللاتينية ، وترتبط بتعاليم مدرسة أثينا ، فكان معلموها يتلقون العلم في أثينا ، وقد يصبحون هم أنفسهم معلمين يحاضرون بقاعاتها . ومن الأولين هيروكليس وهيرمياس وأمونيوس هيرميون . ومن الآخرين أمونيوس . ومع ذلك فقد فهمت كل من

مدرستي أثينا والإسكندرية الأفلاطونية بطريقة تختلف عن الأخرى ، فبينما شاعَ الجو الديني في أثينا ، وانتشرت بها الصوفية ، وذاع التأمل والنسك كانت الإسكندرية معقل الاتجاهات الوثنية ، وإذا ارتفعت بها نغمة دينية فلم تكن سوى العبرانية على يد فيلون اليهودي في القرن الأول قبل الميلادي ، وامتزجت فيها الأفلاطونية بالرواقية في تأويل التوراة . وأفادت المسيحية من هذه الأفلاطونية الرواقية ، وتأثّر بها أوريجنيس وكليمنت ، وفسّر فلاسفتها الأفلاطونية تفسيراً أعجب المسيحيين .

مدرسة إيلية The Eleatics

نسبة إلى إيليا Elea ، إحدى مدن أيونيه بجنوبي إيطاليا ، وهي المدرسة التي تزعّمها بارمنيدس الإيلي وزينون الإيلي من مدارس الفكر اليوناني ، وتعلّم بها ميليسوس الساموسي واعتنق مبادئها .

ويعتقد الإيليون أن العالم موجود ، واحد ، له طبيعة واحدة لا تتغير ، ولذلك فهو ثابت ، وساكن ، وهو وإن كان كذلك في العقل إلاَّ أنه كثير في الحس ، ولذلك اعتبر أفلاطون إكسانوفان إيليا للتشابه بين إلّهه الواحد والوجود الإيلي الواحد . وعرف الإسلاميون إكسانوفان تحت اسم إكسنوفانس ، وميليسوس باسم مالسس ، وذكر الشهرستاني اسم زينون الإيلي باسم زينون الأكبر وكان زينون يدعى كذلك ، ومع أن الشهرستاني نسب إلى زينون أقوالاً ليست له ، إلاَّ أن الشهرستاني والمقدسي والشهرزوري والمبشر بن فاتك ويحيىٰ بن عدي تناولوا فلسفة المدرسة الإيلية بالشرح والنقد ، ولكنهم في كثير من الأحوال خلطوها بالفيثاغورية والأفلاطونية المحدثتين .

مدرسة أيونية Ionlan Shcool

هي نفسها مدرسة ملطية (أنظر مدرسة ملطية) ، وتعرف بهذا الاسم بالنظر إلى أن كل فلاسفتها كانوا أيونيين وليسوا اغريقاً ، وليس العرق وحده هو الذي يجمعهم ولكنهم اجتمعوا على نزعة مادية بعكس المدرسة الفيثاغورية الإغريقية التي كانت تجريدية . وأما تسمية المدرسة بمدرسة ملطية فذلك أنهم عاشوا بملطية واختلط فكرهم لذلك بالفكر الآسيوي بالنظر إلى تواجد ملطية في آسيا الصغرى . وكان ازدهار الفكر الأيوني في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ، واشتهر من فلاسفتهم طاليس وهيراقليطس وأنكسمانس وأنكسمندر وانكساغوراس وريوجينيس الأبولوني وأرخلاوس وهيبو . وطاليس هو أول فيلسوف أوروبي على الإطلاق رد الموجودات إلى أصل الماء ، فمن الماء كان كل شيء حي ، ولذلك يجعل للماء نفساً . وأنكسمانس جعل الهواء هو العنصر الأول ونبه إلى ما يعتور الأشياء من تغير لا يجعلها هي نفسها بتأثير الحرارة والبرودة ، وهيراقليطس هو قمة الفكر الأيوني ، وهو القائل بالصيرورة . ورغم أن المدرسة الأيونية كانت أقدم مدرسة فلسفية يونانية إلا أن فلاسفتها قالوا بالتطور وكانوا تجريبيين ووجهوا التفلسف الى العالم المحسوس وجعلوا المبدأ في الوجود المادي الجسمي يقابل اللاوجود ، ولهذا السبب يطلق على هيراقليطس اسم صاحب التأمل الميتافيزيقي والأب الشرعي للتفكير العلمي .

مدرسة سان فكتور Shcool of Saint Victor

مدرسة أوغسطينية ، أنشئت عام ١١٨ م في سان فكتور بباريس ، وأقامها وليام شامبّو اللاهوتي والمنطيق ، واشتهرت في القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر بتعليمها اللاهوتي المحافظ ، واهتمامها في نفس الوقت بتعاليم المدارس الباريسية الأخرى ، وجمعت بين الفلسفة المدرسية والتصوّف ، وكان لها أبعد الأثر في تطور الفلسفة واللاهوت في القرن الثاني عشرة .

مدرسة شارتر Shcool of Chartres

مدرسة كاتدرائية وجدت في شارتر بفرنسا في بواكير القرن السادس ، ولكنها لم تشتهر إلاّ في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، وبلغت أوج شهرتها بتعاليم

الأخوين برنار وثيودوريك التيبري الشارتريين . وكان شارتريو تلك الأيام محبين للإنسانيات وللأدب والفلسفة القديمين ، وكانت المدرسة مركزاً للأفلاطونية اللاتينية في أوائل القرن الحادي عشر ، وعرفوا أفلاطون نفسه من ترجمة خلقيديوس لتيماوس وشرحه ، ومن خلال ماكروبيوس وسنيكا وبويس ، وحاولوا مزاوجة أرسطو وأفلاطون ، والجمع بين الإيمان والتفلسف ، ويتابع برنار أفلاطون في القول بالنفس الكلية ، ويرجع الموجودات إلى الله والمادة خلقها الله والمثل الأزلية ، على مثالها خلق الله صوراً اتّحدت بالمادة . وشرح تيبري سفر التكوين بالمعاني الأفلاطونية الأربعة الصانع والمثل والنفس الكلية والعناصر ، ويرجع كلًا من هذه المعاني إلى علة من العلل الأربع عن أرسطو . لم تكن لشارتر مثال في المعرفة الكلاسيكية والهيومانية والأفلاطونية ، ولم تنافسها إلاّ باريس ، وعندما بدأ نجمها يأفل في منتصف القرن الثاني عشر ، كانت ما تزال لها آثار امتدت حتى القرن الثالث عشر في كتابات الفلسفة الطبيعية ومصنفات نيكولاس أوف كوسا .

مدرسة قورينائية .... Cyrenaics

نسبة إلى بلدة قورينا Cyrene ، حيث أسَّس أرستبوس ، تلميذ سقراط ، مدرسة تعلّم اللذة ، وخلفته ابنته ، ثم ولدها أرستبوس الصغير ، وكنيته « تعليم أمه Mother - Taught » . وكان رواجها في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلادي ، ومن أبرز فلاسفتها هيجيسياس وأنيكيريس وثيودورس . وكان القورينائيون دعاة أخلاق ، ولذلك لم يبحثوا في الطبيعة والرياضيات ، وقالوا إن اللذة وراء سلوك كل الكائنات ، وأن الإنسان ليس استثناء ، وأن المعرفة مصدرها الحواس ، وأن المذاق الحلو أو المر ، والإحساس البارد أو الحار ، حقيقة ، لكن تستحيل معرفة ما إذا كان العسل نفسه حلواً أو أن الثلج بارد ، ومن ثمَّ كان الحكم على الأشياء وتحصيل العلم بها وهماً ، والإحساسات كلها إمّا مؤلمة ومنفرة ، وإمّا لذيذة وجذابة ، واللذة إحساس موجب وليس مجرد غياب الألم ، وإحساس حاضر وليس ذكرى ماضية ولا توقعاً في المستقبل . والقورينائي يعيش للذة اللحظة ، واللذة الجسمية عنده أفضل من العقلية لأنها أقوى ، والإنسان الكيس هو الذي يختار الأفضل ، لكن الثروة والترف ليسا غاية في ذاتهما ، وربما كان من الأفضل النوم على حصير والبال مرتاح على الجاه والسلطان والهموم تأكلك ، والعبرة في الأفعال بنتائجها ، والإنسان سيد الملذّات وليس العكس ، ومن الواضح أن القورينائيين كانوا عكس الكلبيين الزهّاد ، وأن أرستبوس ، على عكس أنتستانس ، فسر ضبط النفس الذي قال به المعلم سقراط ، على أنه التحكم في الأفعال وتوجيهها وفق ما يخدم الفرد ، وليس الزهد في الأشياء . ومع ذلك فقد قال هيجيسياس إن آلام الحياة تفوق لذاتها ، وأن السعادة لذلك مستحيلة ، وطلب اللذة تناقض طالما أنها لا تخلف إلاّ الألم ، والحكمة أثناء الألم ، ولا سبيل لذلك إلاّ بالامتناع عن اللذة ، وحياة بلا لذة هي الموت ، وهو ينصح بالموت تخلصاً من آلام الحياة ، وبالانتحار كسبيل إلى الموت ، وكان كلامه مقنعاً للبعض حتى كثر عدد المنتحرين ، واضطرَّ الملك بطليموس الأول إلى إغلاق المدرسة .

مدرسة كلبية Cynics

نسبة إلى ديوجين السينوبي وكنيته الكلب ، ربما لأنه كان كثيراً ما يضرب المثل بالحيوانات وخاصة الكلب ، وربما لأنه كان حاضر البديهة ، لاذع النكتة ، حار اللسان ، وكان لا يخشى أحداً ، ولا يعرف الذوق ، ولا الأصول المرعية ، فشبهوه بالكلب ، لأن أقواله كانت كالنباح ، ورغم أن ديوجين هو كبير الكلبيين Arch - Cynic ، إلاّ أن الكلبية ، فيما يقال ، رجع إلى تعاليم أنتستانس تلميذ سقراط ، ربما لأن ديوجين تأثّر بأنتستانس ، وربما لأن الكلبيين ينسبون أنفسهم إليه ، وتتشابه على أي حال تعاليم أنتستانس وديوجين وسقراط ، وتجتمع كلها حول فكرة أن السعادة تقوم

على الفضيلة الخلقية ، وأن الفضيلة الخلقية محورها ضبط النفس ، وأن ضبط النفس نقيض الزهد والاكتفاء الذاتي . وكان الكلبيون يحتقرون العملة ، وكثيراً ما لجأ ديوجين إلى تزييفها كي ينخفض قدرها ، ويزهدون في المال حتى ليعيش الكلبي منهم على الفتات ويكاد يسير عرياناً ، وهو مطالب دائماً بتدريب جسمه باستمرار على المشاق ومغالبة الهوى ومجاهدة النفس ، وبذلك يحرر نفسه ويسودها ، ويؤهّلها لوعظ الناس فهو « كشاف الله ورسوله » ، وهو يضرب المثل للناس كي يقتفوا أثره ويفعلوا فعله ، وهو « الكلب الحارس » على الفضيلة ، وهو النباح الذي يطرد الأوهام و « الجراح » الذي يزيل بمبضعه الزيغ من عقول الناس . ولباس الكلبي عباءة فوق الجسد ، وجراب فوق الظهر ، وعصىً في اليد . واشتهرت الكلبية في القرن الثالث قبل الميلادي ، وراجت في القرن الثاني قبل الميلادي ، وكان لها أكبر الأثر على تطوّر الرواقية وخاصة عند زينون وإبيكتوتوس .

مدرسة ميغارية Megarians

أسَّسها إقليدس الميغاري ، وهو من صغار السقراطيين ، ببلدة ميغارا Megara ، على مسيرة يوم من أثينا ، وراجت تعاليمها في أواخر القرن الخامس حتى أوائل الثالث قبل الميلادي ، وتأثّرت بسقراط والإيليين ، وأنجبت نقاداً لأفلاطون وأرسطو ، وكان لها تأثيرها على الرواقية في أوائلها ، واشتهرت بأغاليطها المنطقية ، وخاصة عندأ بوليدس الذي خلف إقليدس ، وأشهر دعاباته « إذا قلت إني أكذب ، فهل أقول الحقيقة ؟ » يقصد معارضة منطق أرسطو وخاصة مبدأ عدم التناقض الذي يقضي بأن المسألة الواحدة تحتمل الإيجاب والسلب في نفس الوقت .

ومن فلاسفتها بريسون وستلبون وديودوروس كرونس وكلينيماخوس وبانتويدس . ولم يبق من مؤلّفات الميغاريين شيء ، وما نعرفه عنهم مبعثر في كتب الأولين .

مدرسة ملطية The Milesian Shcool

من المدارس قبل السقراطية ، وبها يبدأ التفلسف اليوناني تاريخياً ، وقبل فلاسفة ملطية لم يكن يوجد تراث فلسفي ولا فلاسفة يرجع إليهم ، وبهم دخلت الفلسفة اليونانية دور النشوء ، وقبلهم كان الفكر اليوناني خليطاً من المعتقدات والأساطير والمعارف التي يمتزج فيها الفكر اليوناني بالفكر الشرقي وخاصة المصري والبابلي ؛ وتنسب المدرسة إلى ملطية ، وكانت مركزاً للإغريق الأيونيين على الساحل الأسيوي ، وازدهرت في القرن السادس قبل الميلادي ، وفلاسفتها ثلاثة هم طاليس وأنكسيمندريس وأنكسمانس وتبدأ الفلسفة اليونانية بطاليس ، وبفضل الثلاثة توجه التفلسف إلى العالم المحسوس يحاول التعرّف عليه بالملاحظة والاستدلال ، ويضع نظرية لأصل الكون ترد صور الوجود إلى مبدأ واحد مادي ، وتقول بالتطور . (انظر طاليس ، وأنكسيمندريس ، وأنكسمانس) .

مدرسة الين واليانج Yin Yang Shcool

مدرسة صينية قديمة ، تقوم على مبدأين كونيين ، الأول سالب سلبي مستكين ، والثاني إيجابي فعّال قوي ، ومن تفاعل المبدأين تتولد الأشياء ؛ ويقوم إلى جوار المبدأين خمسة عناصر Wu - Hsing هي المعدن والخشب والماء والنار والتراب ، وهي العناصر التي تتحول إلى بعضها البعض . ولا نعرف متى ظهرت هذه المدرسة ، ولا ممثليها الأوائل ، وكان الين واليانج منفصلين ، والمظنون أن تسوين (٣٠٥ ـ ٢٤٠ ق . م) هو الذي طرح فكرة تفاعلهما تفاعلاً تركيبياً يحدث الانسجام الذي مضمونه التوتر ، والاتحاد القائم على التباين ، بحيث يستحيل الوجود إلى عملية دينامية من التغير الذي يسير وفق قوانين وأنماط محددة . وقامت تعاليم مدرسة ين يانج الأخلاقية والاجتماعية على هذا الأساس الكوني ، وكانت لها ردود فعل بارزة على أخص خصائص الحياة الصينية .

مذهب الإرادة Voluntarism

النظرية التي تغلب الإرادة ، أو ما تسميه الفلسفات القديمة الهوى أو العاطفة أو الرغبة أو النزوع الطبيعي ، على العقل . ومذهب الإرادة قد يكون سيكولوجياً أو أخلاقياً أو لاهوتياً أو ميتافيزيقياً . وتصور الإرادية السيكولوجية الناس بوصفها كائنات تريد غايات وأهدافاً معينة ، وتوظف العقل في خدمة الإرادة لتحقيقها . ولعلَّ أبرز ممثلي هذا الاتجاه هوبز وهيوم ، فهوبز مثلاً يعتقد أن كل السلوك البشري الإرادي ما هو إلاَّ استجابة لرغباتنا سواء بالإقبال أو بالنفور ، بعكس المذهب العقلاني الذي يقول بأن الناس ترسم الغايات بعقولها ثم توجه إراداتها للعمل على تحقيقها، كما هو عند أفلاطون . ولكن النظريات الإرادية لا ترى هذا الرأي ، وتذهب إلى أن الغايات لا تصبح كذلك إلاَّ لأننا أردناها ، ويعبر عن ذلك فخته بقوله المشهور « إن الكائن الحر يريد لأنه يريد ، وأن إرادة الشيء هي نفسها المبرر الأخير لنفسها » . ويترتب على ذلك أن الشيء يكون خيراً إذا كان معقد رغباتنا ، كما يقول هوبز ، وأنه يكون شراً بمقدار ما ننفر منه ، وبذلك يكون الخير والشر تابعين لرغباتنا التي تختلف بطبيعة الحال باختلاف الناس ، ومن ثمَّ يكون السلوك الحكيم هو السلوك العملي المتأنّي الذي يحسن اختيار الوسائل المؤدّية لتحقيق الرغبات ، وفي ذلك يقول بروتاغوراس قولته المشهورة « الإنسان مقياس كل شيء » ، ويقول وليام جيمس أن الأشياء خيرة طالما هي مطلوبة ، والفعل الخلقي هو الذي يحقق أكبر قدر من المطالب مهما كانت طبيعتها ، بأقل التكلفة .

ومثلما قامت نظريات تغلب الإرادة البشرية على العقل ، قامت كذلك نظريات تغلب الإرادة الإلّهية على العقل الإلّهي والعقل البشري ، ولعلَّ أكثرها تطرفاً مذهب الإرادة الإلّهية عند بطرس دميان (١٠٠٧ - ١٠٧٢) ، وهو يقول بعدم جدوى العقل والجدل في مسائل الدين لسبب بسيط هو أن قوانين المنطق نفسها ليست صحيحة إلاَّ لأن الله قد أرادها كذلك . ورفض كيركجارد أن يجعل للعقل أي مكان في الحياة الدينية . وبرَّر وليام جيمس أن يريد الإنسان الاعتقاد عندما يعوزه الدليل العقلي . وعبَّر أنسلم عن هذه الفكرة بقوله « Credo Ut Intelligam **إني أعتقد حتى أفهم** » . وقال وليام الأوكامي إن الله قد حرَّم بعض الأشياء وحلَّل البعض ، لا لأنه رآها خيراً أو شراً ، بل لأنه قد حرَّم هذه وحلَّل تلك فصارت هذه حراماً وتلك حلالاً .

غير أن بعض الفلاسفة ، مثل فخته وبرجسون وشوبنهاور ، قالوا إن الإرادة هي العلة الأولى ، وأن عالم الظواهر تعبير عنها ، ووصفها شوبنهاور بأنها قوة عمياء لا حدود لها ، وأنها الخالق الذي لا ينضب معينه ، وقال عن الشهوة الجنسية إنها مظهر لإرادة الحياة بدون هدف ، وقال عن الواعز الديني في كل الثقافات بأنه مظهر لإرادة الحياة وللتواجد للأبد . ولمس شوبنهاور تكشف الإرادة في الطبيعة بظهور مخلوقات وتحولها بطريقة لا تحيد عنها وبرغم كل العقبات طبقاً لما أريد لها بالمعنى الميتافيزيقي ، دون هدف أو غاية عاقلة سوى أن تريد الحياة ، وفسَّر قوله بأن الناس أحرار ، بمعنى أن كل إنسان هو التعبير الحر غير المقيد للإرادة ، ومن ثمَّ فهو يمارس شخصيته ويسلك في الحياة ويسير إلى مصيره بملىء حريته داخل الإطار الذي أُريد له .

وعرف أصحاب مذهب الإرادة الحرة في الإسلام باسم القدريين ، من القدرة ، بمعنى أن أفعال الإنسان منسوبة إليه وليس إلى الله ، بحيث يصير خالقاً لأفعاله بالاستقلال ، ونقيضهم الجبرية . وكان الحسن البصري ينادي بأن الله لم يخلق الناس لأمر ثم يحول بينهم وبينه ، لأنه تعالىٰ ﴿ليس بظلام للعبيد﴾. وتجمع كل كتب العقائد على أن معبد الجهني كان أول من تكلّم في القدر ، بمعنى حرية الإرادة ، عند المسلمين ، وكان معبد تلميذ أبي ذرّ الغفاري ، ونادى بنظريتيّ العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . واشتهر

غيلان بن مسلم الدمشقي برسالته إلى عمر بن عبد العزيز ، وكان غيلان ينادي بأن الإرادة الإنسانية حرة ومن ثمَّ فالإنسان مسؤول عن أعماله ، ولذلك أنكر على ملوك بني أمية ظلمهم للناس باسم العدل الإلّهي . وقد استشهد معبد الجهني وغيلان بن مسلم ، كما استشهد عمرو بن المقصوص وكان معلماً لمعاوية وداعيته إلى مذهب القدرية ، وعاقبه بنو أمية بدفنه حياً .

مذهب إلحادي Atheism

وجهة النظر التي تنكر وجود الله والبعث والحساب والخلود، وتقول بإمكان وجود أخلاق بدون أساس ديني . والملحد Atheist هو الشخص الذي لا يرى في عبارة « اللاموجود » أي معنى ، ويقول إن لفظة الله بلا مدلول ، وهو غير اللاأدري Agnostic الذي يزعم بأن إثبات وجود الله أو إنكاره شيء مستحيل . وكان توماس هنري هكسلي وليزلي ستيفن وكلارينس دارو لاأدريين ، بينما كان هولباخ وبوخز وفيورباخ وماركس وشوبنهاور ونيتشة وسارتر ملحدين، بعكس أوغسطين والأكويني ولوك وباركلي ووليام بيلي ومانسل وجون ستيوارت مل ووليام جيمس الذين كانوا من المذمنين . ويحتج الملاحدة على إنكارهم لوجود الله ، بأن فكرة الله الخالق الكامل تتناقض مع ما أثبته العلم من أن المادة التي خلق منها العالم قديمة ، وأنه لم يحدث أن كان هناك عدم في يوم من الأيام ليخلق الله منه المادة ، وأن المادة كما يقضي بذلك العلم لا تفنى ولا تنقص ولا تزيد . ويصفون العالم بالنقص ، ويقولون إن الطبيعة تقوم على الإسراف في الخلق ، وأن تطورها يقوم على مبدأ المحاولة والخطأ ، وهو ما لا يتفق مع الزعم بأن العالم من فعل الله ، حيث أن الله كامل وأفعاله لذلك لا بد أن تأتي كاملة . وفي ذلك يقول رسل « لو أني منحت قوة مطلقة وملايين السنين لأجرب لما كان لي أن أفاخر بأن هذا الإنسان هو النتيجة النهائية لجهودي »(الدين والعلم ص ٢٢٢) . ويتساءل غيره أفما كان أحرى بالله لو كان موجوداً أن يزودنا بدليل أوضح على وجوده . ويعجب نيتشه أن يكون الله خيراً مطلقاً ، وأن يملك الحقيقة ويضن مع ذلك بها على خلقه ويتركهم يقاسون ويتعذبون من أجل بلوغها . وإذن كما يقول برادلو ، لو كان الله موجوداً أفما كان أيسر عليه أن يقنعنا بوجوده ، وإذن لما اختلف الناس بشأنه وكفروا به . غير أن أقوى الدفوع التي يقدمها الملاحدة هو احتجاجهم بمسألة الشر ، فطالما أن كل شيء ممكن مع الله ، فلماذا لم يخلق العالم خال من الشرور والآفات والآلام والمظالم والجنون . وعلى العموم فإن الملاحدة يعيبهم مزاعمهم العريضة وقطعيتهم واتجاههم ولم يوجد الإلحاد بشكل نسقي وقد ربطه الملاحدة بقضية التطوير الاجتماعي والتحرر السياسي مثلما فعل في الماركسية . وتزعم الماركسية أن الإلحاد كمذهب لعب دوراً تاريخياً ضد الإقطاع وسهل عملية إزالته ، غير أنه كان بورجوازياً وذا طابع تنويري ولم يخاطب الشعب ، ولكنه مع الماركسية يكتسب صورة أكثر تماسكاً ويتخذ أساساً له المادية الجدلية والتاريخية ، وبذلك تصبح له صورة نضالية ويتوجه بالنقد الشامل للدين ، ولكنه يرى استحالة القضاء عليه إلا في ظل التربية الشيوعية التي تزود الأفراد بنظرات علمية وإلحادية عن العالم .

مذهب التطور الفجائي Emergent Evolutionism

قال به لأول مرة لويد مورجان، ويفسر التطور ١ - بالنشوء الفجائي Emergence لتعديلات تطرأ على الكائنات الحية من شأنها ملاءمتها لظروفها ٢ - وبأن الحياة مراتب مرحلية تخرج الواحدة من الأخرى وتعقبها ، فالكائنات الحية مرتبة نشأت من آلاف الملايين من السنين من مرتبة أخرى فسيوكيميائية غير حية ، وكل مرتبة سابقة تحتوي في داخلها على إمكانيات المرتبة اللاحقة عليها ، وتعلو المراتب على بعضها البعض ، وتعتمد الأعلى على الأدنى . ويختلف فلاسفة هذا المذهب حول عدد هذه المراتب فلويد مورجان يجعلها أربع مراتب من الأحداث النفسفيزيائية

يصفها بأنها مقولات ميتافيزيقية ، هي الحياة والعقل والروح والله ؛ وصامويل الكسندر يجعلها خمساً هي المكان والزمان والمادة والحياة والعقل أو الله ؛ وبول أوبنهايم وهيلاري بونتام يجعلها ستاً يصفها بأنها مقولات لاميتافيزيقية ، هي العناصر والذرات والجزئيات والخلايا والكائنات متعددة الخلايا والمجموعات الاجتماعية ٣ ـ وكل نشوء أصيل هو إضافة جديدة للعالم ، بمعنى أنه ليس مجرد إعادة لتنظيم ما كان موجوداً من عناصر ، رغم أن مثل هذه الإعادة قد تكون أحد العناصر الحاسمة في إحداث التجديد ، وأن هذه السمة الجديدة سمة كيفية وليست كمية بمعنى أنها لم تكن شيئاً موجوداً من قبل في التاريخ الكوني ، وأنها سمة لم يكن من الممكن التنبؤ بها . واستخدم بيرس وبيرجسون وشيللر الجديد بمعنى أن حدوثه غير مفهوم ، ولا سبيل إلى تقبله إلا بنوع من التسليم الديني كما يقول لويد مورجان والكسندر صامويل .

مذهب تكاملي **Integrationism**

نظرية الدكتور يوسف مراد حيث يرى أن الوظائف الحيوية في الكائن تعمل في تعاون وتعارض فيما بينها وفق صورة كلية واحدة ، بمعنى أنها وظائف متكاملة رغم تعارضها ، وأن هذا التكامل ليس فقط في الكائن الحي الواحد ، ولكنه قانون المجتمعات ، وأنه تكامل يطور الكائن ويرتقي به نحو صورته المثلى ، ولذلك فالبحث في الحياة يكون من خلال تطورها وحركتها ، وليس هذا التطور مطرداً في خط مستقيم كالحركة الميكانيكية ، ولا هو حركة دائرية تعود بالمتحرك إلى نقطة البداية ،ولكنه حركة دائرية لولبية، تتقدم وترتقي خلال فترات من التراجع والكمون ، مع الازدياد في التعقد والثراء . وسر الوجود كفاح متواصل بين المتناقضات ، وبين الموت والحياة ، وبين الوجود والعدم ، وبين الوحدة والكثرة ، وبين الإيجاب والسلب ، في حركة لولبية .

مذهب حسي **Sensationalism**

يجعل الإحساس مصدراً وحيداً للمعرفة ، وكانت نشأته في القرن التاسع عشر كنتيجة للتطورات الفلسفية التي استحدثها التجريبيون في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وإن كان من الممكن دراسته ابتداء من الفلاسفة قبل سقراط ، إلا أن أبطاله الحقيقيين كانوا هارتلي وجيمس مل وكونديلك . وقد تناول هارتلي المذهب من ناحيته الفسيولوجية ، فرد الأفكار إلى الأحاسيس ، ووصف الأحاسيس بأنها ذبذبات تستحدثها المثيرات الخارجية في المخ ، وقال عن الأفكار البسيطة بأنها نسخ من الأحاسيس ، وأنها تترابط معاً طبقاً لمبادىء معينة فتكون الأفكار المركبة . ويذكرنا تفسيره الميكانيكي بهوبز ونيوتن ، كما يذكرنا قوله بالترابط بين الأفكار بلوك ، وقوله بأن الأفكار البسيطة نسخ من الأحاسيس بهيوم . وكان تناول مل للمذهب من ناحيته النفسية ، فقال عن الأشياء في العالم الخارجي بأنها حزم أو مجموعات من الأحاسيس ، وأن معظم ما نعتقده فيها يتوقف على المشاهدة وأحاسيس اللون التي تترابط بالصفات الأخرى التي تنسبها إليها . وقال كونديلك إن الإنسان تجارب ، وأنه لا يدرك إلا ما يجري في رأسه من أفكار عن هذه التجارب . وفي القرن العشرين وجه ماخ الاهتمام إلى الناحية الفيزيقية للمذهب ، فقال إن العالم هو أحاسيسه ، وأن المعرفة العلمية مصدرها الأول الأحاسيس التي يمكن الاستيثاق منها مباشرة بالتجربة الحسية ، وبذلك جعل مهمة العلم الوصف وليس التفسير .

مذهب الحلول **Immanentism**

أقدم المذاهب الفلسفية ، فهو مضمون الأرواحية والطوطمية والديانات الباطنية والغنوصية والمصرية والهندية ، وهو المذهب القائل بأن الله حال في الكون أو في الانسان ، وكان طاليس أقدم من قال من الفلاسفة بالحلول، وأن العالم حافل بالآلهة، ويقصد أن الله منبث في العالم ، وهدف المادة الحية ، وأطلق

أنكسيمندريس على هذه المادة اسم اللامتناهي ، ووصفها هرقليطس بأنها المبدأ الأول وأصل كل المخلوقات ، وجعل أكسانوفان الأشياء عالماً واحداً دعاه الله ، وقال الرواقيون إن المبدأ الأول أو الله ينفذ في كل العالم . ولم يكن اللامتناهي عند سبينوزا إلهاً متشخصاً ، لكنه الطبيعة الطابعة والمطبوعة ، فهو والوجود واحد . وانتشرت الحلولية لدى المسلمين ، وجاءت من المسيحية والحشوية اليهود والديانات الباطنية وخاصة من الهند ، وكان داعية الحلول الأول الحلاج (المقتول ٣٠٩هـ) ، وهو القائل « أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا ، عند روحان حللنا بدنا ، فإذا أبصرتني أبصرته ، وإذا أبصرته أبصرتنا » ، معتبراً الناسوت صورة اللاهوت ، وهو قول يقرب من قول المسيح « من رآني فقد رأى الأب » . ويفترق الحلاج عن ابن عربي (المتوفي ٦٣٨هـ) . لأن ابن عربي قال بوحدة الوجود ، بمعنى أن الوجود كله واحد ، وأن ذات الله هي كل ما هو موجود ، والله هو عين مخلوقاته وموجود فيها بذاته . أما الحلاج فوحدته بالله وحدة شهود لا وحدة وجود ، وكانت نظريته مثاراً لنظرية الصوفية في النور المحمدي ، وفيها يظهر التأثير المسيحي الحلولي واضحاً ، حيث تزعم النظرية أن في الرسول قد اجتمعت روحان ، روح إلهية قديمة لا يجري عليها أحكام الفناء والتغير ، وروح بشرية حادثة تجري عليها أحكام الكون والفساد . وكانت الحلمانية (نسبة إلى أبي حلمان الدمشقي) تقول بحلول الله في كل انسان حسن السمعة ، وكان اتباعها إذا رأوا شخصاً حسناً سجدوا له متوهمين أن الله حل فيه . وكانوا يستدلون على جواز حلول الله في الأجساد بقوله تعالى للملائكة في آدم ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ . وعذر السالمية (نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن احمد بن سالم البصري المتوفي ٢٩٧هـ) الحلاج لأنه قال بالحلول . وقالت الكرامية (نسبة إلى محمد بن كرام المتوفي ٢٥٥هـ) إن الوجود جسم واحد هو الله ، وأن ما عداه ليس سوى أفعال أو أعراض . ومن الطوائف الاسلامية المعاصرة التي تقول بالحلول العلويون ، ويدعون ألوهية علي بن أبي طالب ، والدروز ويعتقدون أن الحاكم بأمر الله الفاطمي (المقتول ٤١١ هـ) هو الصورة الناسوتية للألوهية .

مذهب حيوي . Vitalism

اتجاه مثال في علم الحياة يرجع العمليات الحيوية في الكائنات الحية إلى عوامل لامادية يطلق عليها البعض اسم قوى الحياة Life Forces أو الدوافع الفعالة في التكوين Formulative Impulses أو السورة الحيوية Élan Vital والسوائل المولدة Generative Fluids أو الحرارة الحيوانية Animal Heat أو الكهرباء الحيوانية Animal Electricity ويرجع المذهب الحيوي إلى أرسطو حيث يعرف في كتابيه « عن الروح » و « عن توالد الحيوانات » القوة الحيوية التي تميز الكائنات الحية عن الأجسام غير الحية بأنها النفس Psyche أو الروح Soul ويطلق عليها اسم الكمال أو الانتلخيا Entelechy ، ويصفها بأنها وحدة عضوية غرضية النشاط . وينعقد الاجماع بين القائلين بالمذهب الحيوي منذ أرسطو حتى الآن على وجود « حياة Life » أو موجود حيوي Vital Entity بكل كائن حي ، تعتبره العامة في احاديثهم اليومية مادة Substance يتحدثون عنها باعتبارها مادة الحياة ، مثلما يقولون إن فلاناً مات وصار جثة « بلا حياة » أو أنه فقد « الحياة » ، باعتبار أن الحياة سائلاً أو نفساً أو دماً نفقده فنموت ، ولو طلبت وصفاً لهذه الحياة فلن يكون أكثر من أنها خاصة الأجسام الحية ، ومذهب العامة وكثير من الفلاسفة هو المذهب الحيوي البسيط Naive Vitalism . غير أن التيار العلمي السائد بين علماء الحياة والذي يسميه البعض باسم المذهب الحيوي النقدي Critical Vitalism قد حاول عزل هذه « الحياة » والتجريب عليها ، واشتهر من هؤلاء العلماء وليام هارفي وجورج شتال وبوفون وكاسبر فولف وبلومينباخ ولورينز أوكين وفون باير ،

وكان أبرزهم هانز دريش ، وعرف دريش المذهب الحيوي بأنه النظرية التي تقول باستقلال عمليات الحياة ، وميزه عن مذهب شمول الحياة (الاعتقاد بأن كل ما في الكون له روح أو نفس) ، ووصف هذه « الحياة » بأنها موجود مادي Substantial Entity أو انتلخيا Entelechy ، واستخدم تعبير انتلخيا الارسطي احتراماً لأستاذه ولكن ليس بنفس المعنى ، فالأنتلخيا عنده قوة مستقلة ، تشبه العقل ، ولا مكان لها، وتتحكم في مجرى العمليات العضوية ، ويشبهها بالفنان الذي يضفي الشكل على المادة مع تقيده بإمكانيات هذه المادة وحدود الشكل الذي يترسمه . ولقد انتهت بحوث كل هؤلاء بالفشل في توليد كائنات حية من أشكال غير حية ، كما أدت بحوثهم ، وخاصة بحوث دريش على الأجنة ، إلى إمكان تقسيم الخلايا البلاستولية وعزل نصفها ، ومع ذلك فقد نمى الجنين كاملاً برغم أنه كان من المفروض أن ينمو نصفه فقط ، الأمر الذي يؤكد لدى أصحاب المذهب الحيوي وجود قوة في الجنين تندفع إلى تحقيق هدف محدد قد وضع لها من قبل ، الأمر الذي لا نملك حياله إلا أن نعزو هذه القوة إلى علل إلهية .

مذهب حيوية المادة Hylozoism

وجهة النظر التي تقول بأن الحياة من خصائص المادة ، وأنها لا توجد إلاَّ في المادة ، وأنها تستمد منها ، على عكس ما كان يقول به أفلاطون وباركلي من أن المادة عاطلة ولا تفعل بنفسها . ويرد رالف كدويرث (١٦١٧ - ١٦٨٨) مذهب حيوية المادة إلى ستراتو رئيس مدرسة المشائين (٢٨٧ - ٢٦٩ ق . م) ، وكدويرث هو الذي أعطى الاسم للمذهب . ويختلف مذهب حيوية المادة عن مذهب شمول النفس Panpsychism حيث أن الأخير لا يقتصر على القول بأن المادة حية ، بل يزعم بأن لكل كائن عضوي وغير عضوي نفساً أو نشاطاً نفسياً أو نشاطاً واعياً .

مذهب الخلود Immortality

يذهب القائلون بالخلود ثلاثة مذاهب أساسية ، فمذهب الخلود بالروح Immortal - Soul Doctrine يقول إن الإنسان مخلوق مركَّب من عنصرين مادي هو الجسد ولامادي هو الروح ، وأن الروح توجد في الجسد فيما يشبه التقمّص أو الحلول ، ومع أنها لامادية إلاَّ أنها جوهر له كيانه المستقل ، وكل شخص بما هو كذلك ليس جسماً ولكنه الروح التي هي حقيقته وجوهره . ومذهب المعاد Reconstitution Doctrine يقول بالبعث بالجسد ، وأن الصورة الإنسية لا تتم إلاَّ بالجسد ، وأن الإنسان وهذه حقيقته سيكون بعثه ومقامه في الآخرة بالروح والجسد معاً كما كان في الدنيا . ومذهب الإنسان الطيف يقول بطبيعتين للإنسان ، واحدة مادية هي الجسد أو الإنسان كجسد ، والأخرى أثيرية أو الإنسان كطيف ، وأن الأولى يصيبها الفساد فيموت الإنسان الجسد وينسلخ عنه الإنسان الطيف انسلاخ الأفعى من جلدها . ويسوق القائلون بالروح والخلود براهين على ما يذهبون إليه ، فنحن حينما نتكلم نستخدم الكلمات ، والمستخدم خلاف الشيء الذي يستخدمه ، ونحن نستخدم أيدينا وعيوننا وبالاختصار الجسم كله ، ومن ثمَّ فلا يمكن أن أكون أنا ما استخدمه أي لا يمكن أن أكون جسمي ، ومن ثمَّ فأنا روحي . ويقول برهان ثانٍ أن الإنسان له دراية ومعرفة فطرية ، مثل فكرته المثالية عن المساواة ، وهما معرفة ودراية ليس لهما عضو يختصّ بهما في الجسم ، وحيث أنه لا بد أن يختصّ بهما عنصر في الإنسان فإن هذا العنصر لا يمكن إلاَّ أن يكون عنصراً غير مرئي هو الروح ، ولا بد أن هذه المعرفة وتلك الدراية قد اكتسبتهما الروح من ممارسة الحياة في عالم مثل هذا العالم لا يمتّ لعالمنا المادي بصلة هو عالم المثل ، وأن الروح تعود بعد وفاة صاحبها إلى عالم المثل أو عالم الخلود . ويقوم برهان ثالث على فكرة أن العقلانية التي يتّسم بها الإنسان جانب قد حار في أمره العلم واستعصى على التفسير العلمي ، الأمر الذي يجعلها

شيئاً خارقاً للطبيعة ويؤكّد نسبتها إلى هذا الجزء الخفي في الإنسان والذي تنسب إليه كل الفعالية فيه والذي يسمّىٰ الروح . ولكل هذه الأسباب استخدم أفلاطون الروح بمعنى الحياة ، فأن يكون الكائن به روح يعني أن يكون حياً ، أو بمعنى آخر أن الروح هي مبدأ الحياة ، وبناء على ذلك لا يمكن أن يأتيها الموت . وقال ديكارت إن كل ما لا يمكن أن ينسب في الإنسان إلى عضو عن أعضائه لا سبيل إلى نسبته إلاَّ للروح ، وقال إن كل جوهر الإنسان هو التفكير ، وأنه بما هو مفكر متميز تماماً عن جسده ، وأنه حتى لو لم يوجد كجسد فإنه كجوهر مفكر لن يتوقف عن التفكير ، وأطلق ديكارت على هذا الجوهر المفكر اسم الروح . وربط كنط بين ضرورة العمل بمقتضىٰ القانون الخلقي وبين الإيمان بالله والاعتقاد في الخلود . وقال دوجالد ستيوارت أن مجرد الرغبة في الخلود التي تبرز في الإنسان بشكل جلي لدليل على حنين متأصل فيه إلى حياة كانت له قبل هذه الحياة وهي الخلود . ولقد قامت ردود كثيرة على هذه البراهين تدحضها وتسخف من فكرة الخلود ، أخصّها براهين الماديين ، وكانت هناك براهين أخرى لم يكن أصحابها من الماديين ، وادَّعوا أن لها أسساً من العلم والتجربة ، وكان أشهرها البرهان الذي يشرط وجود العقل بوجود البدن ، واستمرار البدن باستمرار العقل Body - Mind Dependence Argument ، ومن ثمَّ يكون من المعقول أن نفترض أن الحياة العقلية تتوقف بتوقف الحياة البدنية . (رسل : لماذا أنا لست مسيحياً ؟ ١٩٥٧ ص ٥١) .

مذهب دينامي Dynamism

وجهة النظر التي تقول بأن الكون كله عبارة عن مجالات لقوى طاردة وجاذبة تتفاعل مع بعضها ، في مقابل المذهب الآلي أو الميكانيكي الذي يرد المادة إلى ذرات ولكنه لا يجعلها تأتلف وتفترق إلاَّ بفعل حركة تمر بها ولكنها لا تمسّها ، فهي عارضة وليست من خواصها . ويعتبر رودجر بوسكوفتش (١٧١١ - ١٧٨٧) مؤسس المذهب وإن كانت أفكار نيوتن ولايبنتس العلمية والفلسفية بمثابة إرهاصات له ، فقد نبَّه نيوتن إلى دور الجاذبية في البناء الكوني ، ومهد تعريفه للقصور الذاتي بوصفه قوة كامنة إلى اكتشاف أهم خصائص المادة ، ولكن تفسير نيوتن للتفاعل الكوني ظلَّ ميكانيكياً كتفسير جاسندي والذريين الذين قالوا بأن الكون عبارة عن جزئيات لا تنقسم ولها حجم برغم صغرها . ولم يستبعد نيوتن أن يكون سبب الجاذبية ضغط الأثير . ورغم أن مونارات لايبنتس تشبه ذرات بوسكوفتش إلاَّ أنه كان ميكانيكياً على طريقة ديكارت ، وكان بوسكوفتش على حق حينما وصف التشابه بينه وبين كل من نيوتن ولايبنتس بأنه سطحي ، فذراته ليست ممتدة ، وليس لها حجم ، وليست أكثر من نقاط أو مراكز قوى طاردة وجاذبة لها مجالها الدينامي داخل المجال الدينامي الكوني . وكان تأثير لايبنتس وبوسكوفتش على التطور اللاحق للدينامية كبيراً ، غير أن تأثير لايبنتس كان أكبر في ألمانيا ، بينما اتَّجه تأثير بوسكوفتش إلى فرنسا وإنجلترا ، وأخذ كنط من لايبنتس وبوسكوفيتش معاً ، وأثر بدوره على هيربارت وفخنر وفيبر ولوتسه . وقال شوبنهاور بذرية دينامية ، وأخذها عنه نيتشه ، غير أن نيتشه قال بمراكز إرادية للأفراد وأحلَّها محل الإرادة الكونية الكلية عند شوبنهاور . وقال هاميرلنج إن مجال الذرة ، وليس الذرة نفسها ، هو الذي يتمدد . وفي فرنسا كانت الدينامية علمية أكثر منها ميتافيزيقية ، وأيَّدها أمبير وكوشي وبواسون وفينانت ، وقال بها فلاسفة مثل رينوفييه . وأخذ كنط من لايبنتس وبوسكوفيتش معاً ، وأثَّر بدوره على هيربارت وفخنر وفيبر ولوتسه . وقال شوبنهاور بدينامية ذرية ، قلده فيها نيتشه وإن كان قد أحلَّ الإرادات الفردية المتعارضة محل الإرادة الكونية الواحدة عند شوبنهاور . وقال هاميرلنج تلميذ شوبنهاور إن مجال الذرة ، وليست الذرة نفسها ، هو الذي يتمدد . وكانت الدينامية علمية في فرنسا أكثر منها ميتافيزيقية ، وأيَّدها أمبير وكوشي وبواسون وفينانت

ورينوفييه . واهتمَّ بها علماء الفيزياء وفلاسفة العلم في إنجلترا ، مثل ستيوارت وبريستلي وفراداي .

مذهب الربوبية Deism

Deism من Deus اللاتينية بمعنى الرب ، وهو وجه النظر التي تؤكد الاعتقاد بوجود إلّه غير شخصي كسبب أولي للعالم وليس كإلّه الديانات الكتابية . وهو عند الغزالي الإيمان بالله مع جحد اليوم الآخر . ويعتقد الربوبي Deist أن الله خلق العالم وتركه يعمل وفق قوانينه ودون تدخل منه ، ومن ثمَّ ينفي القدرة المطلقة والعلم المطلق عن الله ، ويفسر بذلك وجود الشر ، إذ لو كان الله قادراً قدرة مطلقة لاستطاع أن يمنع الشر ، وهو عكس موقف المؤلّه Theist الذي يرى أن الله قادر قدرة مطلقة ، وأنه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في العالم ، وأنه إلّه شخصي متميز عن العالم الذي خلقه . ويُقال إن أول من قال بالربوبية بطرس فيريه ، تلميذ كالفن ، في كتابه « التعليم المسيحي » (المجلد الثاني ص ١٥٦٤) ، ووصف مذهبه بأنه تعبير جديد لمطلب الذين يعتقدون في وجود إلّه ويرفضون مع ذلك ما تقول به المسيحية . وكان فولتير وروسو ولوك ونيوتن وتولاند وجيفرسون وبنيامين فرانكلين وتوماس بين من دعاة الربوبية . وكان كنط ربوبياً مسيحياً عندما دعا إلى ديانة في حدود العقل وحده .

مذهب الطاقة

(انظر أوستفالد) .

مذهب عقلي Rationalism

Rationalism من Ratio اللاتينية بمعنى العقل ، فهو المذهب الذي يقوم على الإيمان بالعقل وقدرته عن طريق الاستدلال العقلي الخالص على تحصيل الحقائق عن العالم بدون مقدمات تجريبية ، ومع أن الأفكار الفلسفية التي يمكن إدراجها ضمن المذهب العقلي قد ظهرت في كل مكان وزمان إلاَّ أن الروح العقلية بهذا المعنى السابق لم تكن أظهر في أي وقت وأي مكان منها في القرنين السابع عشر والثامن عشر في فرنسا وألمانيا ، وكان أهم فلاسفة هذا المذهب ديكارت وسبينوزا ولايبنتس ولقد وصف مفكرو التنوير في فرنسا خصوصاً بأنهم بشكل عام عقلانيون ، ولعلَّ أبرز ما كان يصف هؤلاء ويفسّر تسميتهم تلك أنهم كانوا من محبّي البحث العلمي والمطالبين بنشر التعليم اعتقاداً منهم بأن في العلم والتعليم سعادة وخلاص البشرية والمجتمعات إذا أريد لها أن تقوم على الحرية وأن يشيع فيها السلام ، وكان دالمبير وفولتير وكوندورسيه أبرز هؤلاء المفكرين الذين ذهبوا إلى إعلاء العقل كنقيض للخرافة والإيمان الساذج والتعصّب . غير أن أهم ما اتَّصف به المذهب العقلي حقيقة أنه النقيض للمذهب التجريبي ، بمعنى أنه لا يستمد المعرفة بالعالم من الخبرة الحسية ولكنه يذهب إلى القول بأن وراء الخبرة الحسية معرفة أسبق من ذلك ، يسميها أفلاطون معرفة قبلية ، ويقول ديكارت عنها إنها أفكار فطرية موجودة بالعقل ، ويبني لايبنتز على وجود هذه الأفكار الفطرية ضرورة أن توجد كذلك مبادىء فطرية تربط بين هذه الأفكار وتستنبط منها كل القضايا استنباطاً منطقياً ، ومن ثمَّ وصف العقلانيون قضايا الرياضيات بأنها من ذلك النوع من القضايا ، وعلَّلوا لهذا صدقها ، ومن ثمَّ زعموا بأن الفيلسوف العقلاني هو الذي يقول بأن المعرفة صورية ، أو أنها تركيبية قبلية ، وإن كان لايبنتز وهو فيلسوف عقلي قد ذهب إلى أن القضايا العقلية بحكم كونها صادقة بناء على قانون استحالة التناقض الذاتي فإنها لذلك تحليلية . ومن ناحية أخرى نجد أن كنط وهو فيلسوف لم يزعم أنه عقلاني إلاَّ أنه يقول بأن من المعرفة ما هو قبلي ، ولكنه لا يجعلها لذلك قطعية طالما أنها معرفة بالظواهر . وعلى أي حال فقد تغلغل المذهب العقلي إلى أبعد من نظرية المعرفة وتطرَّق إلى اللاهوت ، وصار الاتجاه العقلي في اللاهوت يعني تفسير قضايا الدين تفسيرات تتفق مع العقل ولا تقول بالخرافة وبالتأويلات الخارقة للطبيعة وتجعل من الأخلاق

العقلانية أساساً للاعتقاد الديني . وذهب القائلون بالعقلانية في علم النفس إلى رد الوظائف النفسية كالإرادة إلى العقل ، وفي علم الجمال اهتموا بالطابع العقلي للإبداع ، وأولوا عنايتهم في الأخلاق بالدوافع والمبادىء العقلية .

مذهب الفيض Emanationism

من Emanatio اللاتينية بمعنى الصدور والفيض ، وهو المذهب الذي قال به أفلوطين ، واقتنع به الفلاسفة المسيحيون والمسلمون في العصور الوسطى مثل يوحنا سكوتس والفارابي وابن سينا وابن رشد ، ويفسّر نشأة الكون برده إلى مبدأ أعلى يصدر عنه الخلق كالإشعاع أو الدفق ، بشكل سرمدي ، ولا يقلل هذا التدفق الدائم من الأصل ، ولذلك يقال إنها عملية من باب المجاز وليس الحقيقة . والكائنات الأقرب للمبدأ هي الأكمل ، ومنها تفيض كائنات أدنى ، وعلى ذلك فمذهب الفيض نقيض مذهب الخلق Creationism والتطور Evolutionism ، والأول يفترض مبدأ علوياً يخلق الكائنات من العدم أو من مادة كانت موجودة من قبل ، والثاني يفترض صدور الكائنات من بعضها البعض في سلسلة متطورة للأحسن . والعمليتان ، سواء الخلق أو التطور . حقيقتان تقومان في الزمان .

مذهب المساواة Egalitarianism

وجهة النظر التي تجعل من مقولة المساواة بين الناس مبدأ ، حيث تزعم أن الناس ولدوا بالطبيعة متساوين ، وترد اللاّتساوي بينهم إلى الظروف الاجتماعية ، ومن ثمَّ فلكي يعود الناس إلى الحالة الطبيعية يتوجّب أن تعاد صياغة النظم الاجتماعية بما يكفل أن يعامل الناس سواسية لضمان حرياتهم وأن يعيشوا عيشة تحقق لهم ممارسة ملكاتهم دون ضغوط أو معوقات . غير أن المنظرين للمساواة قد اتجهوا دائماً وجهات متباينة بحسب المراحل التاريخية التي تمر بها مجتمعاتهم ، فأفلاطون نشرها لجنسيّ الرجال والنساء رغم أنه كان يعتبر أن الناس تختلف فيما بينهم بحسب قدراتهم الروحية وأن المعاملة التي ينبغي أن يلقونها ينبغي أن تقوم على هذا الأساس ، وكان أرسطو يفرق بين العبيد والأحرار في الحقوق والواجبات . وطلبها الرواقيون كحق طبيعي للجميع ، لكنهم عرفوه بأنه حق نشدان الفضيلة التي لا ينبغي أن تمنع عن أحد . ولقد أقر الإسلام المساواة في العصور الوسطى للكافة بصرف النظر عن اللون والعرق والمكانة ، فالكل سواء كأسنان المشط لا فرق بين عربي وأعجمي إلاَّ في التقوى ، والناس لا يتباينون إلاَّ بأعمالهم ، وهي نظرة فاقت كل ما سبقها وما تلاها ، وجعلت من المساواة مقولة عالمية بعكس العهدين القديم والجديد ، ولم يقترب منها إلى العصر الحديث في الحركات الوطنية التي ظهرت على المسرح ابتداءً من القرن السابع عشر ، وخاصة عند المساواتية Levelers في إنجلترا ، وقد ردوا اللاّمساواة إلى الظروف الاجتماعية ، وتبلورت آراؤهم في إعلانات حقوق الإنسان التي كان آخرها إعلان الأمم المتحدة (١٩٤٨) ، غير أنهم جعلوا لها مضامين مختلفة بحسب المطالبين بها ، فالمساواة التي سعت لها البورجوازية عنت احترام الملكية ، والمساواة عند الشعوب المستعمرة تعني الحكم الذاتي ، وعند الماركسيين تعني المساواة الاقتصادية .

مذهب المشبهة Anthropomorphism

هو التشبيه ، ومنه التمثيل ، ويقابله التعطيل أو مذهب المعطلة ، وهما من المذاهب التي كثر الجدل حولها ورُمي أصحابها بالزندقة ، وقد يُقال إن المشبهة تجعل لله وجوداً مشخصاً ، بينما المعطلة تجعله ذاتاً روحانية خالصة ، ولذلك فإن المسلمين ظلّوا في حيرة بين المذهبين ، ورأى بعضهم من الآخرين طريقاً ثالثاً بخلاف السابقين ، فقال الماتريدية بالسلوب ، وهو أن الله لامحدود ، ولامعدود ، ولامتبعض ،ولامتجزىء، ولامتركب .

وينسب التشبيه إلى الحشوية من أهل الشيعة والسنة

على السواء ، وكان موطنهم البصرة والكوفة وحران ، وهؤلاء قالوا بأن الله على صورة ذات أعضاء وأبعاض ، روحانية أو جسمانية ، وأنه يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن والمصافحة والملامسة والمزاورة ، مستندين إلى أحاديث وضعوها ، مثل « خلق الله آدم على صورة الرَّحمٰن » ، و« قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرَّحمٰن » ، و« وضع يده أو كفه على كتفي حتى وجدت برد أنامله على كتفي » . ويقول الشهرستاني إن مصدر هذه الأحاديث هم اليهود فإن التشبيه فيهم طباع والتوراة مليئة بالتشبيهات . ويقول الكوثري إن حشو الحديث مصدره أحبار اليهود ورهبان النصارىٰ وموابذة المجوس الذين أظهروا الإسلام في عهد الراشدين ثم أخذوا في بثّ ما لديهم من أساطير روجوا لها بين بسطاء مواليهم ، فرواها هؤلاء معتقدين فيما في أخبارها في جانب الله من التجسيم والتشبيه . والفرق بين المشبهة والمجسمة أن الأوائل يشبهون الله بالإنسان ، بينما الأواخر لا يكتفون بذلك بل يجعلون له جسماً . وقد ورد التشبيه بصيغته المضعفة في القرآن في الآية ١٥٦ من سورة النساء ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسىٰ ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلَّا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ﴾ ، كما ورد التمثيل في الآية العاشرة من سورة الشورىٰ ﴿ فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . وكان من أوائل مشبهة الحديث مضر بن محمد بن خالد بن الوليد وأبو محمد الضبي الأسدي الكوفي وكهمس بن الحسن أبو عبد الله البصري وأحمد ابن عطاء الهجيمي البصري ورقبة بن مصقلة . واشتهرت من فرق المشبهة مدرسة المقاتلية ، نسبة إلى مقاتل بن سليمان (المتوفي ١٥٠ هـ) ، وكان إعلان جهم بن صفوان لمذهبه المنزّه رداً على مقاتل ومذهبه المجسم . وكان مقاتل يقول إن لله أعضاء وجوارحاً ولكن لا يشبه غيره ، وفسَّر الصمد بأنه المصمت الذي ليس بأجوف . وكان على رأس المقاتلية أبو عاصم خشيش بن أصرم . وعرف القرن الرابع مدرسة البربهارية نسبة إلى بهر محمد بن الحسن ابن كوثر بن علي البربهاري ؛ وفرقة الحلمانية نسبة إلى أبي حلمان الدمشقي ؛ والسلمية نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري وابنه أحمد ، وهؤلاء قالوا بجواز حلول الله في الأجساد وتجليه في صورة إنسية للأولياء ومن ثمَّ عذروا الحسين بن منصور الحلاج لأنه قال بالحلول . وتنسب الكرامية إلى محمد بن كرام (المتوفي ٢٥٥ هـ) ، وتقول بأن لله كيفوفية أو كيفاً هو الجسمية أو الجسم ، وله حيثوثية أو حيثاً أو مكاناً ، وأن الوجود هو الجسم الواحد وهو الله ، وأن ما عداه ليس سوى أعراض ، وبذلك انتهت إلى وحدة الوجود وحلول الله في العالم .

وفي الفلسفة اليونانية كان أكسانوفان (٥٧٠ ـ ٤٨٠ ق . م) يقول بأن الناس هم الذين استحدثوا الآلهة وأضافوا إليهم عواطفهم وصورتهم وهيئتهم ، فالأحباش يقولون عن آلهتهم إنهم سود فطس الأنوف ، ويقول أهل تراقية إن آلهتهم زرق العيون حمر الشعر . فكأنَّ أكسانوفان يريد أن يقول بأن التشبيه أصيل في طبع الإنسان . وفي الفلسفة الألمانية ذهب فيورباخ إلى اعتبار الله تحققاً موضوعياً للسمات الإنسانية ، وأن الإنسان يزدوج ويتأمل جوهره في فكرته عن الله . وعموماً فإن التشبيه قديم جداً ويرتبط بالأرواحية والطوطمية من حيث قولهما بأن الله يحلّ في كائناته .

مذهب شكي Skepticism

من Skeptikos اليونانية وتعني الشكاكين أو الباحثين ، وهم جماعة الفلاسفة الإغريق الذين شكوا في كفاية الحواس وكفاءة العقل لبلوغ اليقين حول طبيعة الأشياء ، ومن ثمَّ نصحوا بوجوب تعليق الحكم والإمساك عن الإثبات ، ويسميهم الإسلاميون اللاأدرية .

ويضرب مذهب الشك بجذوره إلى الفلاسفة قبل

سقراط . ونعثر على إرهاصات الشك عند هرقليطس وأقراطيلوس وإكسانوفان وبروتاغوراس ، إلاَّ أن الشكية كمنهج لم تبدأ إلاَّ في أكاديمية أفلاطون ، ابتداءً من أرقاسيلاوس وقرينادس ، ورفع فلاسفة الأكاديمية شعار سقراط « إن كل ما أعرفه هو أني لا أعرف شيئاً » . وانتقلت الشكية من الأكاديمية إلى المدرسة البيرونية في العصر الروماني ، وبدأها بيرون وتلميذه تيمون ، وواصلها إنيسيديموس الإسكندري الذي ميَّز بين الشك الأكاديمي والشك البيروني ، فقال إن الأول يؤكد أنه ليس ثمَّة ما هو يقيني ، لكنه يفرّق بين الخير والشر ، والمحتمل وغير المحتمل ، فيقع في التناقض ، بينما الثاني لا يوجب ولا يسلب أصلاً .

ولقد سيطرت المدرستان على الفكر الشكي الفلسفي حتى العصر الحديث ، وإننا لنقرأ سلسلة طويلة من الفلاسفة ، فأبو حامد الغزالي ، مثلاً في الإسلام ، رفض الأقيسة العقلية ، وشك في صلاحيتها كأداة لتحصيل المعرفة الحقة ، وتشبه دفوعه دفوع المدرستين معاً . واستحالت البيرونية عند إرازم في عصر النهضة إلى شكية مسيحية . واشتهر في القرن السادس عشر ميرانديللو وفون نيتشهايم ومونتاني وسانشيز ، وفي القرن السابع عشر بيير جاسندي ومارين مارسين ، وفي القرن الثامن عشر بايل وهيوم وتوماس ريد وكنط وستودلين (صاحب أول كتاب في تاريخ الشكية من بيرون إلى كنط) ومايمون ، وفي القرنين التاسع عشر والعشرين إرنست ماخ ورسل وكارناب ، وهؤلاء أحيوا الشك الأكاديمي بفلسفاتهم التي تنتهي إلى القول بالعجز عن تحصيل أي معرفة تتجاوز حدود الظواهر . وتقصر الفلسفة الوضعية مصطلح « المعرفة » على الجمل التي يمكن وصفها بأنها تحصيلات حاصل منطقية ، وأنها الوحيدة التي يمكن التحقق من صدقها . وكذلك تقصر البراجماتية المعرفة على الفروض التي تأكد صدقها تجريبياً . ولقد ادعت التجريبية منذ ستيوارت مل وما بعده أنها لم تعثر على أي وسيلة لتحصيل أي نوع من المعرفة اليقينية يمكن أن يتجاوز عالم التجربة والظواهر إلا في المصطلحات المنطقية وتحصيلات الحاصل الرياضية . واستخدم رسل الطبيعة الاحتمالية للعلم ليحذر من الآراء الدوغماطيقية . وقدم وليام جيمس وسيجموند فرويد وكارل مانهايم وتشارلز بيرد أشكالاً جديدة من الشكية النسبية ، حيث أكدوا على أهمية العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسيكولوجية في صياغة معتقداتنا عن الحقائق ، وبذلك صارت هذه الحقائق في ضوء هذه العوامل حقائق نسبية . ولقد حاول هيجل أن يبين أن الشكية نقيض الفلسفة ، وأنها مرحلة عابرة في تاريخ الشعور . واشتهر من بين الشكاك المحدثين فريتز موثز وجورج سانتايانا وألبير كامو وهانز فاينجر وربما كارل بوبر ، ويجمع بين كل هؤلاء هجومهم الإبستمولوجي على الفلسفات الدوغماطيقية التي تزعم لنفسها الكشف عن الحقيقة ، وهم جميعاً يبنون شكوكهم على دعاوى أن الناس تخطىء في الحكم ، وأن مصدر الخطأ قد يكون الإحساس أو الوجدان أو التذكر أو الاستدلال ، وربما تمثل الخطأ في هذيان محموم أو تخيل مجنون ، وأن الناس لا تجمع على شيء واحد فيما يذهبون إليه من معتقدات أو ما يصدرون عنه من إحساسات ، وأن معتقداتهم واراءهم تتعارض ويهدم بعضها بعضا ، وأن البرهان التام ممتنع حيث يستند كل برهان على آخر إلى ما لانهاية بحيث يستحيل إرساء العلم على أساس ، وأن الوثوق بالعقل عملية تستلزم استخدام العقل ، أي أن يكون العقل حكماً في الحكم على صدقه أو كذبه وهو ما لا يجوز .

مذهب اللذة Hedonism

من الكلمة الإغريقية Hedone بمعنى اللذة أو المتعة ، وتتميز فيه نظرتان هما مذهب اللذة الأخلاقي Ethical Hedonism ومذهب اللذة النفسي Psychological Hedonism . ويستند القائلون بالمذهب الأول على دعاوى المذهب الثاني ، والأول هو وجهة نظر عدد كبير من الفلاسفة ، من أرستبوس القورينائي وأبيقور في

الفلسفة الإغريقية إلى لوك وهوبز وهيوم وبنتام ومل وسيدجويك في الفلسفة الحديثة ، ويقول إن اللذة هي الشيء الوحيد المرغوب لذاته ، وأن الألم هو الشيء الوحيد غير المرغوب لذاته . ومن الفلاسفة من يحل السعادة محل اللذة ، ويختلف الفلاسفة في معنى كل منهما . ومعنى الشيء المرغوب لذاته أنه الشيء المطلوب والخير والذي يستحق أن نختاره لذاته بصرف النظر عما يترتب عليه من نتائج . ويميز القائلون بمذهب اللذة بين الشيء المرغوب فيه كوسيلة لغاية اللذة ، والشيء المرغوب فيه كغاية أو كلذة في حد ذاته ، والشيء الذي قد تجتمع فيه الوسيلة والغاية معاً . وقد يختلط الأمر على البعض فيظن اللذة هي فقط الاستمتاع الحسي بمتع الحياة كالطعام والشراب والجنس ، ولكن اللذة بالمعنى الذي يقصد اليه القائلون بها هي حالة من الاستمتاع الشعوري ، سواء كان استمتاعاً سلبياً بمتع الطعام والشراب والجنس ، أو استمتاعاً إيجابياً بمتعة الخلق مثلاً . ويختلف الفلاسفة وعلماء النفس حول تفسير معنى اللذة أو المتعة Enjoyment ، ولكن الاجماع يكاد ينعقد على أن الاستمتاع بالشيء لا يكون إلا لذاته بصرف النظر عن النتائج التي تترتب عليه . وتتعدد صياغات مذهب اللذة النفسي الذي يستند إليه كثير من أصحاب مذهب اللذة الأخلاقي ، ولكنها جميعاً تجمع على أن اللذة وتحاشي الألم هما الدافع إلى السلوك ، سواء كانت لذة حاضرة أو ماضية أو متوقعة . ولا يكتسب مذهب اللذة النفسي أهميته من مجرد ارتباطه بمذهب اللذة الأخلاقي ، ولكنه يكتسب أهميته كذلك من ثبوت صحة بعض تفسيراته التي يقدمها لدوافع السلوك الإنساني . ولعل **أهم صياغاته ثلاث ، هي نظرية «الهدف هو اللذة Goal is the Pleasure theory»** ، ونظرية «الدافعية بالأفكار السارة Motivation by Pleasant Thoughts» ونظرية « الإشراط بالخبرات السارة Conditioning by Pleasant Experiences Theory » . والنظرية الأولى هي أهمها والأولى من الناحية التاريخية ، وتقول إن الدافع الى اختيار شيء أو فعل شيء دون شيء أو فعل آخر إنَّما لأن صاحب الاختيار يظن أو يعتقد أن اختيار هذا الشيء أو الفعل من شأنه أكثر من غيره أن يزيد من اللذة أو يقلل من الألم . ومع ذلك فالنظرية تفشل في دعم مزاعم أصحاب مذهب اللذة لأنها تتعارض أحياناً مع بعض حقائق الحياة ، حيث نجد السياسيين مثلاً مدفوعين في سلوكهم إلى تخليد أسمائهم في ذاكرة أممهم ، وهو ما لا يمكن أن نفسره بأنه توقع للذة مستقبلة . وهنا يتقدم أصحاب نظرية « الدافعية بالخواطر السارة » ليقولوا إن تفضيل اختيار على اختيار إنما لأن اختيار الشيء أو الفعل يدفع إليه ما التصق بهذا الشيء من خواطر سارة أكثر استمالة أو أقل تنفيراً من أية خواطر أخرى تلتصق بما عداه ؛ ولكن هذه النظرية إن صلحت للمفاضلة بين الأشياء والمواقف المتمايزة فهي لا تصلح لتفسير أسباب الاختيار بين الأشياء والمواقف المتماثلة عندما يفرض على الشخص أن يختار بينها ، ثم إنها لا تصلح لتبرير اختيار اللذة دون غيرها من الأسباب كأساس لتفسير السلوك الإنساني . وعلى أي حال فإن النظرية الثالثة تقوم بمحاولة رد أسباب الاختيار إلى التجارب الماضية وإلى ما ناله الشخص فيها من ثواب أو عقاب أو متع ، فإذا اختار الشخص أن يتناول الأيس كريم دون سواه فإن النظرية تفسر ذلك بأن الشخص قد استمتع بالأيس كريم في ماضيه وتتمثل قيمة هذه النظرية في تأكيدها لأثر المتع الماضية على تشكيل قيم الشخص وما يحبه ، ولكنها تفشل حيث تقصر أسباب هذه القيم على تأثير المتع الماضية وحدها ، ومن ثم تفشل في مساندة دعوى القائلين باللذة وحدها كأساس للسلوك .

مذهب المنفعة **Utilitarianism**

تُقَوَّم الأفعال بمقدار ما تنتجه من منافع ، غير أن الفلاسفة المنفعيين ينقسمون إلى فريقين ، فمنهم من يقيم مذهبه على قيمة كل فعل على حدة وبما يستحدثه من نتائج ، وهؤلاء هم فلاسفة مذهب منفعة الفعل Act

Utilitarianism ، ومنهم من يصف الأفعال طبقاً لقواعد الأخلاق ، ولا يحكم عليها بما تحققه من نتائج ولكن بمقدار مسايرتها أو مجافاتها لقواعد الاخلاق ، وهؤلاء هم فلاسفة المنفعية الخلقية أو منفعية القواعد الخلقية Rule Utilitarianism . ويحتج الأولون بأنه حتى القواعد الأخلاقية والقوانين والنظم الاجتماعية إنما تكون لها قيمة بمقدار ما تحقق من نتائج طيبة وما تمنع من نتائج سيئة ، وأنه في الحكم على الفعل بالسداد او الفساد وبالخير أو الشر لا يهم إن كان الفعل مطابقاً للعرف أو للتقاليد سواء كانت دينية أو خلقية ، أو متمشياً مع النظم السياسية المتفق عليها وقواعد القانون ، أو منسجماً مع ما يمليه الضمير وما يقضي به الحس الخلقي ، وذلك لأن الفعل قد يكون كل ما سبق ولكنه مع ذلك قد يجر الوبال على صاحبه أو الناس ، أو حتى يكون سبباً في تعاستهم . وقد يفهم بعض الفلاسفة المنفعة باعتبارها اللذة التي يحققها العقل ، ويسمى ما يذهبون إليه بالمنفعية القائمة على اللذة Hedonistic Utilitarianism ، غير أن البعض قد يحتج بأن من الأفعال ما لا تتوقف صحته على ما يترتب عليه من نتائج لذيذة ، ولكنها أفعال خيرة في ذاتها أو شريرة في ذاتها ، ويطلبها الناس لذاتها باعتبارها غايات وليس مجرد وسائل ، ويسمى ما يذهبون إليه بالمنفعية المثالية Ideal Utilitarianism . غير أن فلاسفة اللذة يردون بأن الذي يسعى إلى الفضيلة أو المعرفة لذاتها لا يزال ناشداً اللذة ، وأن اللذة وحدها لذلك هي الخير في ذاته ، وهي التي تجعلنا نحكم على الشيء بأنه خير ، وأن الألم أو الحرمان من اللذة هو الذي يجعلنا نحكم على الشيء بأنه شر ، ويصنف القائلون باللذة الأفعال إلى أفعال تنتج لذات عليا ، وأفعال لذاتها دنيا ، ويفاضلون بين الأفعال بمقدار ما تتمايز به على بعضها من نتائج .

ويفرق الفلاسفة بين المنفعة التي تخص الفرد ، ومذهبها هو مذهب المنفعة الفردية أو الانانية Egoistic Utilitarianism ، والمنفعة التي تخص الجماعة ، ومذهبها هو « مذهب المنفعة الجماعية Universalistic Utilitarianism ، وهو المذهب الذي يعرف الفعل النافع بأنه الفعل الذي يزيد من سعادة الجماعة بمقدار ما تتفق نتائجه مع صالح الجماعة أو الصالح العام .

ويبني أصحاب القواعد الخلقية مذهبهم على اعتبار أن الناس قد اصطلحوا فيما بينهم على ما يجب عمله وما لا يجب عمله ، وأن الحياة غير ممكنة ما لم يراع الجميع العرف الأخلاقي . غير أن البعض يذهب إلى أن هناك من القواعد ما لم يطبق بعد ولكننا نحب لو أخذ طريقه إلى التطبيق ، وهو ما يفهمه هؤلاء من قول كنط « لا تتصرف إلا وفقاً للمبدأ الذي تراك قادراً على أن تريد له أن يكون قانوناً عاماً » ويعدلون صياغته إلى « لا تتصرف إلا وفقاً للمبدأ الذي تحب أن تراه معمولاً كمبدأ عام » . ويرى البعض أن إقبال الناس على التزام قواعد الأخلاق إنما لأنهم يرون بعضهم بعضاً يلتزمها، مثل الصدق واحترام ملكية الغير ، بينما يرى آخرون أن هذه القواعد هي فضائل صناعية ويميزون بينها وبين الفضائل الطبيعية ، ويقولون عن الأخيرة أنها تستحق أن يؤخذ بها بصرف النظر عن إقبال الناس عليها أو تغاضيهم أحياناً عنها . ومنهم من يأخذ المذهب النفعي باعتباره مذهباً أخلاقياً معيارياً Normative Utilitarianism يبين لنا ما ينبغي أن يكون عليه تفكيرنا السلوكي ، ومنهم من يعتبره مذهباً أخلاقياً وصفياً Descriptive Utilitarianism عمله تحليل ما عليه تفكيرنا السلوكي .

والمنفعية مصطلح استخدمه في الفلسفة جون ستيوارت مل لأول مرة ، وأخذه من رواية للاسكتلندي جون جولت Galt (١٨٢١) ، غير أن جريمي بنتام (١٧٤٨ - ١٨٣٢) هو صاحب المذهب ، وكان جماعياً من القائلين باللذة ، ومذهبه أخلاقي معياري . غير أن المنفعية تمتد بجذورها إلى الفكر اليوناني حتى أرستبوس القورينائي وأبيقور ، والاثنان من أنصار اللذة ويميلان إلى القول بأن المنفعية فردية أكثر منها جمعية . ويمكن تتبع المنفعية في العصر الحديث إلى آراء هوبز ولوك وهتشسون . وكان هيوم نفعياً ، غير أن نفعيته

لم تكن معيارية ولا وصفية وإنما تفسيرية ، بمعنى أنه لم يكن مشغولاً بوصف ما هو قائم من الفضائل ، ولا بما ينبغي أن يقوم منها ، ولكنه كان يتناول الموجود منها ويحاول تفسير قيامه ، فإما لأنها مفيدة وإما لأنها مقبولة . وكان مل معيارياً ، وسدجويك جمعياً من أنصار اللذة ، ومور وراشدال مثاليين جمعيين .

مذهب المؤلّهة .... Theism

من Theos الإغريقية بمعنى الإله ، وهو الاعتقاد بوجود إله ، وأن أول ما يجب على الإنسان ، بما هو متميز بالعقل ، النظر المؤدّي إلى معرفة الله . غير أن بعضهم يقول إن الله يعرف بالضرورة ، والبعض يقول إنه يعرف بالمشاهدة ، والبعض يقيم الاعتقاد في الله على الخبرة والوجدان ، والغالبية تقول بوجوب معرفته بالتفكر والنظر (انظر براهين وجود الله) .

والعلم بالضروري هو العلم الذي لا يمكن أن ينفيه العالم عن نفسه بشك ولا بشبهة ، وهو كالعلم بأن زوايا المثلث مساوية لزاويتين قائمتين ، وكان ديكارت يقول بأن جملة الله موجود صادقة صدقاً ضرورياً ، لأن وجود الله متضمن في الفكرة بنفس الطريقة التي تكون فيها زوايا المثلث مساوية لزاويتين قائمتين متضمنة في فكرة المثلث ، ويقين وجود الله كيقين أي برهان من براهين الهندسة . وفي رأي البعض أن العلم بالله لا يكون ضرورة لا للمكلفين كالأنبياء والأولياء والصالحين . والقائلون بالمشاهدة يثبتون لله القدرة ، ثم يقولون إن العالم القادر لا يكون كذلك إلاّ بجسم هو دليله الشاهد . وهم يقولون إن المعقول إما جسم وإما عرض ، والله يستحيل أن يكون عرضاً فيجب أن يكون جسماً ، ويحتجون بآيات من القرآن كقوله تعالى ﴿ الرَّحمٰن على العرش استوى ﴾ حيث الاستواء يعني الانتصاب وهو من صفات الأجسام ـ ويقول البعض إن الله يعرف تقليداً ، والتقليد هو قبول قول الغير من غير أن نطالبه بحجة وبينة ، ونحن نقبل ما تواترت الأخبار به عن النبي والقرآن والإسراء والمعراج ولا نناقشه ، لأن الإجماع عليه ، ولأنه ما يؤكده السلف الصالح .

وعموماً فإن المؤله هو الذي يعتقد في وجود إله قادر عليم ، حي سميع بصير ، خلق العوالم وهو متميز عنها ، يدبر أمورها ويتدخل في سيرها . وهو غير الربوبي الذي يعتقد بوجود إله خلق العالم ولكنه تركه لا يتدخل في شؤونه ، وإيمانه بالله كسبب أولي وليس إيماناً بإله شخصي كإله الديانات الكتابية .

مرجئة ......

اسم فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، لقبوا به لأنهم يؤخرون العمل عن النية ، أي يؤخرونه في الرتبة عنها وعن الاعتقاد ، من أرجأ أي أخّر ، أو لأنهم يقولون لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، فهم يعطون الرجاء ، وعلى هذا ينبغي أن يُقال لهم المرجية وليس المرجئة . وروي عن النبي أنه قال « لعنت المرجئة على لسان سبعين نبياً » قيل « من المرجئة يا رسول الله ؟ » قال « الذين يقولون الإيمان كلام » ، يعني الذين زعموا أن الإيمان هو الإقرار وحده دون غيره . والمرجئة ثلاثة أصناف ، صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية المعتزلة ، كغيلان وأبي شمر ومحمد بن شبيب البصري ، وصنف منهم قالوا بالإرجاء بالإيمان ، وبالجبر في الأعمال على مذهب جهم بن صفوان ، والصنف الثالث خارجون عن الجبرية والقدرية ، وهم فيما بينهم خمس فرق هي اليونسية والغسانية والثوبانية والتومنية والمريسية .

مردارية

أصحاب عيسىٰ بن صبيح ، المكنّىٰ بأبي موسىٰ ، والملقّب بالمردار ، ويسمّى راهب المعتزلة . تتلمذ على بشر بن المعتمر ، وقال في القدر إن الله تعالىٰ يقدر أن يكذب ويظلم . وقال في التولد بجواز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد . وقال في القرآن إن الناس قادرون على الاتيان بمثله ، وهو الذي بالغ في مسألة خلق القرآن ، وكفر من قال إن أعمال

العباد مخلوقة لله ، ومن قال إنه يرى بالأبصار .

مرقس أوريليوس أنطونينوس
Marcus Aurelius Antoninus

(١٢١ ـ ١٨٠ م) امبراطور روماني ، رواقي ، من أنبل فلاسفة العالم القديم ، وصفوه وصفاً بليغاً فقالوا « قديس وحكيم ، امتهنَ الحرب والحكم » ، اعتنق الرواقية في الحادية عشرة ، ولبس ملابس الرواقيين وتقشّف مثلهم ، وكان يتيم الأب والأم فتبنّاه الامبراطور أنطونينوس وزوّجه ابنته ، وخلفه على العرش بعد وفاته ، غير أن عهده تفشت به الأوبئة والفتن والثورات ، وكثر ترحال الامبراطور الفيلسوف لإخمادها واستنفدته فماتت زوجته وتوفي في التاسعة والخمسين . دون أفكاره أو تأملاته كيفما اتفق ، ولم يكن يقصد نشرها ، ونشرت من بعده بعنوان « تأملات » في ١٢ كتاباً ، كانت تعبيراً عن الفلسفة الرواقية ، لكنها رواقية محدثة أو رواقية رومانية تختلف عن رواقية زينون أو الرواقية اليونانية ، وتنتسب لإبيكتيتس أكثر من انتسابها لأقلينتوس أو أقريسبوس ، وكان بطبعه متديناً أكثر منه عالماً ، ولذلك حفلت تأملاته بالتمزق بين حنينه الديني وحبه للإنسانية وبين اعتقاده الفلسفي ، وطبع الرواقية بشبق ديني حتى لتحس ، كما يقول ماثيو أرنولد، أنه أقرب إلى المسيحية .

مرقيونية Marcionism

أصحاب مرقيون (نحو ٨٥ ـ ١٥٩ م) وكان مسيحياً أرثوذكسياً ، ولم يعجبه التعارض الواضح بين العهدين القديم والجديد ، وكان أبوه أسقفاً ، وقد كفره لما رآه يجاهر بآراء تخالف المسيحية ، ثم كفرته الكنيسة (سنة ١٤٤) ، وتزايد أتباعه ، وبلغت الدعوة المرقيونية ذروتها في منتصف القرن الثاني ، ثم اضمحلّت وامتصتها المانوية ، وانتهت تقريباً في القرن الخامس . والمرقيونية تثبت أصلين قديمين متضادين ، أحدهما النور ، والثاني الظلمة . وتثبت أصلاً ثالثاً هو المعدل الجامع ، وهو سبب المزاج ، فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلاَّ بجامع . وقال مرقيون إن الجامع دون النور في المرتبة ، وفوق الظلمة . وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم . ومن أصحابه من يقول إنَّما حصل بين الظلمة والمعدل ، إذ هو أقرب منها ، فامتزجت به لتطيب به ، وتلتذ بملاذه ، فبعث النور إلى العالم الممتزج روحاً مسيحية ، وهو روح الله وابنه ، تحنناً على المعدل الجامع السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم ، حتى يخلصه من حبائل الشياطين ، فمن اتبعه فلم يلامس النساء ، ولم يقرب الزهومات أفلت ونجا ، ومن خالفه خسر وهلك ، وقالوا وإنَّما أثبتنا المعدل لأن النور الذي هو الله تعالىٰ لا يجوز عليه مخالطة الشياطين ،وأيضاًفإن الضدين يتنافران طبعاً ، ويتمانعان ذاتاً ونفساً ، فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما ؟ فلا بد من معدل يكون بمنزلة دون النور وفوق الظلام ، فيقع الامتزاج منه . وهذا على خلاف ما قالته المانوية ، وإن كان ريصان أقدم ، وإنَّما أخذ ماني منه مذهبه وخالفه في المعدل .

مزدكية Mazdocism

نسبة إل مزدك (المولود في نيسابور سنة ٤٨٧ م ، والمقتول سنة ٥٢٣) ، وكان مانوياً ولكنه انشقَّ على ماني ، وقال بثلاثة أصول للعالم بدلاً من أصلين ، هي الماء والنار والتراب ، امتزجت بنسب متساوية فكانت مادة الخير الصافية ، وبنسب متفاوتة فكانت مادة الشر الكدرة . وقال إن الإنسان لن يكون ربانياً إلاَّ إذا اجتمعت فيه أربع قوى هي التمييز والفهم والحفظ والسرور ، فمن كانت له رفعت عنه التكاليف . وقال إن الناس لن تنعقد لهم السعادة إلاَّ إذا كانت لهم متع الدنيا شركة فيما بينهم كشركتهم في الماء والنار والكلأ ، ومن ثم أمرَ أتباعه أن تكون لهم ملكية النساء والأموال على المشاع ، وأن ينتهوا عن المشاحنة والبغضاء ، وبسبب ذلك أقبل الناس عليه ، وكان انتشار المزدكية بإيران وأذربيجان وأرمينية على الخصوص .

مسؤولية .... **Responsibility**

هي الإقرار بما يصدر عن من أفعال وأقوال تترتب عليها نتائج قد تكون معنوية (الاحترام أو التحقير) أو اقتصادية (التعويض المالي عمَّا يلحق الآخرين من أضرار) أو قانونية (الثواب والعقاب) أو دينية (الثواب والعقاب عند الله) أو أخلاقية (المدح أو الذم) .

وتقوم فكرة المسؤولية على الحرية ، ومع أن القهر يحد من الحرية ومن ثمَّ يقلص المسؤولية ، إلاَّ أن المسؤولية تظل قائمة ما دامَ الإنسان يعيش ويفعل وتترتب على أفعاله مسؤوليات . ولو ظلَّ الإنسان يتهرّب من المسؤولية بعذر عجزه عن مواجهة الطغيان ، لكان يشارك بموقفه في دعم التسلّط وتمكين القيم الشريرة من أن تسود فيعم ضررها الناس جميعاً ومنهم الهارب من المسؤولية . ولا تسقط المسؤولية عن إنسان عاقل ، ولا يكلف بها المجنون . غير أن البعض يميز بين المسؤولية الكاملة والمسؤولية الجزئية والمخففة ، ويدرج تحت المسؤولية الجزئية المصابون بأمراض عقلية تتناول بالتلف جزءاً من أجزاء حياتهم العقلية ، مثل المصابين بمرض الفكرة المتسلطة ؛ كما يدرج تحت المسؤولية المخففة الذين يثبت وقوعهم تحت ظروف قهرية سواء كانت فزيائية أو نفسية ، لكن المسؤولية الأخلاقية لا تتجزأ ولا تكون إلاَّ مسؤولية كاملة ، وهذان النوعان من المسؤولية أدخل في باب المسؤولية القانونية منه في باب المسؤولية الأخلاقية . ويشترط البعض الإحاطة بمبادىء الأخلاق كأساس للمسؤولية ، ويزيدون درجة المسؤولية بزيادة درجة المعرفة ، لكن البعض الآخر لا يرى وجوب العلم بقواعد المسؤولية أيّاً كان نوعها كشرط للمساءلة تطبيقاً للمبدأ القانوني الذي يقول بأن الجهل بالقانون لا يعفى منه .

مستدركة ....

فرقة من البخارية استدركوا على الزعفرانية منهم ، وقالوا كلام الله تعالىٰ مخلوق مطلقاً ، ولكنا وافقنا السنة والواردة بأن كلام الله تعالى غير مخلوق، وقالوا أقوالاً مخالفين كلها كذب حتى قولهم لا إلَه إلاَّ الله فإنه كذب أيضاً .

مسيح .... **Messiah**

عيسىٰ بن مريم ، رسول الله وكلمته عليه السلام ، المبعوث حقاً بعد موسىٰ عليه السلام ، المبشّر به في التوراة ، وكانت له آيات ظاهرة ، كإحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص ، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه ، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ، وإنطاقه في المهد . وكانت مدة دعوته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه ، وتعود اختلافاتهم إلى أمرين ، أحدهما كيفية نزوله واتصاله بأمه ، وتجسد الكلمة ، والثاني كيفية صعوده وتوحد الكلمة ، وفي الأول قضوا بتجسد الكلمة وقالوا في الاتحاد والتجسد أنه أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف ، وقال بعضهم بل انطبع فيه انطباع النقش في الشمع ، وقال آخرون ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني ، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت ، وقال نفر منهم مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء ، والماء اللبن . وأثبتوا لله تعالىٰ أقانيم ثلاثة ، فقالوا إنه جوهر واحد ، يعنون به القائم بالنفس ، وليس التحيز والحجمية ، فهو واحد بالجوهرية ، وثلاثة بالأقنومية ، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم ، وسموها الآب والابن وروح القدس . وقالوا في الصعود إنه قتل وصلب ، قتله اليهود حسداًوبغياً، وإنكاراً لنبوته ودرجته ، ولكن القتل لم يرد على الجزء اللاهوتي ، وإنّما ورد على الجزء الناسوتي . وقالوا كمال الشخص الإنساني في ثلاثة وجوه : بنوة وإمامة وملكة ، وغيره من الأنبياء كانوا موصوفين بهذه الصفات الثلاث أو ببعضها ، والمسيح درجته فوق ذلك ، لأنه الابن الوحيد ، فلا نظير له ، ولا قياس إلى غيره من الأنبياء ، وهو الذي به غفر الله زلة آدم ، وهو الذي يحاسب الخلق . ولهم في النزول اختلاف ، فبعضهم يقول

ينزل قبل يوم القيامة ، ومنهم من يقول لا نزول له إلاَّ يوم الحساب ، فبعد أن قتل وصلب نزل ورآه شمعون وكلمه وأوصىٰ إليه ، ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء ، فكان وصيه شمعون ، وهو أفضل الحواريين علماً وزهداً وأدباً ، غير أن شاول الملقب ببولس الرسول غير أوضاع كلامه وخلطه بكلام الفلاسفة . ثم اجتمع أربعة من الحواريين ، وجمع كل واحد منهم جمعاً سماه الإنجيل ، وهم متى ولوقا ومرقس ويوحنّا ، وجاء في ختام إنجيل متى أنه قال : إني أرسلكم إلى الأمم كما أرسلني أبي إليكم ، فاذهبوا وادعوا الأمم باسم الآب والابن وروح القدس . وقيل افترق النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وكبار فرقهم ثلاث : الكاثوليكية ثم الأرثوذكسية ثم البروتستنتية .

مشبهة Anthropomorphists

الذين قالوا معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض ، إما روحانية وإما جسمانية ، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن ، وهم مشبعة الشيعة ، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية ، مثل الهشاميين من الشيعة ، ومثل مضر والهجيمي من الحشوية ، وقد حكى الأشعري عنهم أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، والرؤية في دار الدنيا ، وأن يزور ويزار ، وأما ما ورد في التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والإتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها ، وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي ، وأكثرها مقتبسة من اليهود . ومن المشبهة من مال إلى مذهب الحلولية ، وقال يجوز أن يظهر الباري في صورة شخص ، والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول ، وقد يكون بجزء ، أو بكل .

مصطفى محمود

مصطفى كمال محمود حسين (مولود سنة ١٩٢١) إسلامي مصري ، تعلم بطب القاهرة ، وتخرج عام ١٩٥٢ ، ولكنه عزف عن مهنة الطب وآثر الصحافة . أهم كتبه « **القرآن : محاولة لفهم عصري** » و « **حوار مع صديقي الملحد** » ، يطرح فيهما موقفه الإسلامي العلمي ، ويناقش الإلحاد ، الذي يرى أنه أهم قضايا هذا العصر ، وخاصة الإلحاد في صورة المذهب المادي ، أو المادية الماركسية ، وكان مصطفى محمود قد بدأ شكاكاً من خلال المشكلات الميتافيزيقية التي تناولها في بداية حياته ، كمشكلة الموت . وفي هذه المرحلة كان يؤمن بالعقل وحده ، أو كما يقول هو كان إنسانياً عقلانياً مادياً بتأثير دراساته العلمية ، لا يؤمن إلا بما يلمس ويرى ويسمع ، ثم اكتشف أن العلم عاجز عن ان يجيب على اسئلته ، وأن الإنسان ليس مجرد لحم وعضلات وأحشاء ، ولا مجرد مركبات كيميائية من نحاس وحديد وكبريت ، ولا مجرد باحث عن الطعام ، ولا شهورة جنسية ، ولا يمكن تفسيره بهذه المسائل ، فالإنسان مثلاً يصيبه الجوع فيتغلب عليه بالصيام ، ومعنى هذا أنه يتجاوز حاجاته المادية ومطالبه الجسدية ، فهو الذي يتحكم في جسمه وليس جسمه الذي يتحكم فيه ، وإذن فهو اسمى من كل حاجاته ، وهوماجعله يعيد النظر في أفكاره واتجاهاته ، ويرى أن الكون كله يكشف عن غائية ، وعن مهندس عظيم وارادة خالقة .

معتزلة Mu'tazila ; Rationalists

سموا كذلك لأن واصل بن عطاء (٦٩٩ - ٧٤٩م) شيخ المعتزلة الأول خالف استاذه الحسن البصري في الرأي في أمر المسلم مرتكب الكبيرة ، وقضى واصل بأنه في منزلة بين منزلتين ، فلا هو بالكافر ولا هو بالمؤمن ، وقام إثر إعلانه لرأيه فانتحى بنفسه وأصحابه إلى أسطوانة بالمسجد ، فقال الحسن قولته المشهورة «المعتزل عنا واصل » . وكثر أنصار واصل وكونوا لهم مذهباً استعانوا فيه بالفلسفة ليفصلوا في أمر الكثير من المسائل التي كان الخلاف حولها قد احتدم بين المسلمين ، مثل هل الإنسان حر فيما يفعل أو أنه مجبر ، فكان الجبرية ، جماعة جهم بن صفوان ،

ينكرون الحرية بينما كان القدرية ، أتباع معبد الجهني ، يقولون إن الإنسان حر فيما يختار ويريد ، وكذلك ذهب المعتزلة ليبرهنوا عن ان الإنسان محاسب على أفعاله ، لأنه ليس من العدل أن يجازى على عمل لم يأته بإرادته ومحض اختياره ، ولذلك وصف المعتزلة بأنهم أهل عدل ، ووصفوا كذلك بأنهم أهل توحيد لأنهم قالوا إن الله هو عبد ذاته ، وأن إضافة صفات إليه يجعل الصفات أزلية كما أن الله أزلي ، وهذا تعدد . ومن ذلك أيضاً كلام الله ، فلو كان قديماً لكان أزلياً وهذا شرك ، وإذن فالقرآن مخلوق ، وأدى الخلاف في هذه القضية بين المعتزلة أو أهل العقل ، والسنة أو أهل النقل ، إلى ما يسمى في التاريخ باسم محنة القرآن ، حيث أغرى مذهب المعتزلة بعض المثقفين وخاصة من الخلفاء ، فاضطهدوا المعارضين ونكلوا بهم ، ودارت الدائرة بعد ذلك على المعتزلة ونزلت بهم كارثة عرفت في التاريخ باسم محنة المعتزلة بدأت من أيام المتوكل. ويذهب البعض إلى أن اسم الاعتزال ليس مأخوذاً عن فكرة الانشقاق ، بمعنى الانفصال عن مذهب أهل السنة والجماعة ، ولكنه يعني الحياد أو أن أصحابه لا ينصرون فريقاً على فريق ، حيث كانت القضايا محل الخلاف قد احتدم حولها صراع بلغ حد تكفير البعض والإعلان عن وجوب قتلهم . وكان المناخ السياسي عموماً يشجع على الحياد بلغة السياسيين حيث كان الخلاف السياسي على أشده بين انصار علي وانصار معاوية . وكان عمرو بن عبيد (٧٩٠م) شريك واصل في تأسيس المذهب ، ومن أئمته أبو الهذيل العلاف (٧٤٢م) وتلميذه ابراهيم بن سيار النظام (٨٤٥) وأبو الحسني الخياط (٨٦٧) وأبو علي الجبائي (٩١٦) وابنه ابو هاشم (٩٣٣) وأبو الحسن الأشعري (٩٣٦) قبل أن يؤسس مذهب الأشاعرة يحاول أن يوفق به بين المعتزلة وأهل السنة . وعموماً يدور الاتفاق بين كل هؤلاء على ما يسمى بالأصول الخمسة ، وهي التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أما الوعد فهو كل خير يتضمن النفع للغير ورفع الضرر عنهم ، والوعيد هو كل خير يتضمن ايصال الضرر للغير أو تفويت النفع له ، وكل من يخالف في الوعد والوعيد ، ويقول إن الله ما وعد المطيعين بالثواب ولا توعد العاصين بالعقاب، أو يقول إن الله وعد وتوعد ولكنه يجوز أن يخلف في وعده لأن الخلف في الوعيد كرم ، فإنه يكون كافراً ، فإن قال إن الله يجوز أن يكون قد وضع في عموميات الوعيد شرطاً لم يبينه فإنه يكون مخطئاً .

ومن الناس من ينسب الاعتزال لأبي هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية (المتوفي عام ٩٨هـ) وكان قد تعلم في مكتب أبيه في المدينة ، وعليه تتلمذ واصل بن عطاء وأخذ عنه الاعتزال بالمعنى لا بالتسمية .

معري

(٩٧٣ - ١٠٥٧م) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان محمد التنوخي ، ونسبته إلى قرية معرة النعمان بالقرب من حلب الشام ، حيث ولد لأسرة تعمل بالقضاء ، وأصيب بجدري في الرابعة من عمره ، أفقده عينه اليسرى وأضعف اليمنى إلى أن عميت تماماً بعد عامين ، وتعلم على شيوخ حلب ، وارتاد مكتبة أنطاكية يقرأ تعاليم اليونان والمسيحيين ، ودخل الدير في اللاذقية ، ثم ارتحل إلى طرابلس يدرس على رهبانها ويهودها ، ثم إلى بغداد يجرب حظه ، ثم لم يلبث أن عاد إلى المعرة بعد وفاة أمه ، ليعتزل الناس مدة خمس وأربعين سنة ، رهين المحبسين : الدار والعمى ، كما قال عنه الناس ، أو رهين المحابس الثلاثة : الدار والعمى والجسد الخبيث كما قال عن نفسه ، وحرم نفسه من اللحم ، وطابق بين فلسفته وحياته ، وعاش حياة الزهد التي دعا إليها ، ولم يشرب الخمر ، واكتفى بالتين والدبس ، ولبس الصوف بالصيف والشتاء ، ولم يشعل ناراً في شتاء ، ولم يتزوج ، وكان يقول إن الشر في الدنيا لن يغسله إلا طوفان ، فالناس شر ، والإعتقادات متناقضة ، والأنبياء كذابون ، والرسالات لم تجد ، والشرائع ألقت بين الناس الإحن ،

والمجتمعات أصلها اللامساواة والظلم ، وغاية ما يفعله الدين أن يعيد توزيع الثروة بالزكاة . واشتهر المعري باللزوميات ورسالة الغفران ، وهو وإن كان لاأدرياً وشكاكاً ومتشائماً ، إلا أنه كان يؤمن بالعقل ، والعقل يقضي بأنه لا يقين ، وأن جل ما يمكنه أن يظن ويحدس ، وأن للإنسان ظاهر ما يراه ، وأن يحذر من التقليد . وكان المعري من المؤلهين ، يؤمن بأن هناك إلهاً ، ولكنه يكفر بالنبوة ، ولا يؤمن بالبعث والحساب والروح والملائكة والجن ، وإلهه قديم ، ولكنه لا يعرف عنه أكثر من ذلك .

معطلة ... **Negationists**

هم المعتزلة الذين نفوا الصفات القديمة عن الله ، وقالوا إنه سبحانه عالم لذاته ، وقادر لذاته ، وحي لذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة ، وأن الصفات لو شاركته في القدم الذي هو أخص وصف له لشاركته في الإلهية ، وعلى رأس هؤلاء واصل بن عطاء (المتوفي ١٣١هـ) وعمرو بن عبيد (المتوفي ١٤٤هـ) وأبو الهذيل العلاف (المتوفي ٢٢٦هـ) وإبراهيم بن سيار النظام (المتوفي ٢٣١هـ) .

معلومية ....

فرقة من الخوارج العجاردة ، وهم كالحازمية ، إلا أن المؤمن عندهم من عرف الله بجميع صفاته وأسمائه ، ومن لم يعرفه كذلك فهو جاهل لا مؤمن ، وفعل العبد مخلوق لله تعالى .

معمرية ....

فرقة من المعتزلة ، أتباع معمر بن عباد السلمي ، قالوا الله لم يخلق غير الأجسام ، وأما الأعراض فتخترعها الأجسام ، إما طبعاً كالنار للإحراق والشمس للحرارة ، وإما اختياراً كالحيوان للألوان . وقالوا لا يوصف الله بالقدم لأنه يدل على التقادم الزماني ، والله سبحانه ليس بزمان ، ولا يعلم الله نفسه وإلا اتحد العالم والمعلوم ، والإنسان لا فعل له غير الإرادة ، مباشرة كانت أو توليداً .

مغيرية ..

فرقة من غلاة الشيعة ، قالوا بالتشبيه ، وأن الله صورة وجسم ، أو أعضاء على مثال حروف الهجاء ، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله قلب تنبع منه الحكمة .

مقاربة .

وتسمى اليوذعانية أيضاً ، فرقة من اليهود ، نسبة إلى يوذعان الهمداني ، قيل كان اسمه يهوذا ، وكان من الزاهدين ، يزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً ، وتنزيلاً وتأويلاً ، وخالف في تأويلاته سائر اليهود ، وخالفهم في التشبيه ، ومال إلى القدر ، وأثبت الفعل للعبد ، وقدر الثواب والعقاب عليه . ومن المقاربة الموشكانية ، أصحاب موشكان ، كان على مذهب يوذعان ، غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفيه .

مقمص **Mukamis**

داود بن مروان المقمص ، يهودي عراقي ، عاش في بواكير القرن العاشر في الرقة ، وتزود بالثقافة الإسلامية ، وارتد لفترة عن يهوديته إلى المسيحية ، وارتحل إلى نصيبين بسوريا يدرس على رهبانها الفلسفة واللاهوت ، ولكن قراءاته لكتب المعتزلة ردته إلى الإيمان بوحدانية الله ، فارتد إلى اليهودية ، وكتب « **عشرون مقالة** » بالعربية . وفلسفته يصوغها في قالب أرسطي تتخللها عناصر أفلاطونية ، ويطرحها على طريقة علماء الكلام المسلمين .

مكدوجال ... **Mcdougall**

(١٨٧١ - ١٩٣٨) وليام مكدوجال ، بريطاني ، تجنس بالجنسية الأمريكية ، ولد في شادرتون بانجلترا ، وتعلم بجامعتي مانشستر وكيمبردج ، وتخصص في الطب ثم في علم النفس ، وانضم لبعثة

انثروبولوجية تابعة لجامعة كيمبردج أثمرت مؤلفه « قبائل بورينو الهمجية » (١٩١٢) ، واشتغل مع موللر في جامعة جوتنجن ، وانضم لقسم علم النفس بالكلية الجامعية بلندن ، ثم لجامعة أوكسفورد مدرساً للفلسفة العقلية . وصاغ لأول مرة نظريته في علم النفس النزوعي Hormic Psycology في كتابه « **مدخل لعلم النفس الاجتماعي** An Introduction to Social Psychology » (١٩٠٨) ، ورد السلوك الإنساني إلى الغرائز التي وصفها بأنها ميول نفسية فطرية لها جوانبها المعرفية والانفعالية والنزوعية (مثلاً إدراك الخطر ، فالخوف منه ، فالهروب) ، وقال إن الغرائز تعمل في البالغين بطريقة غير مباشرة من خلال الأنماط المكتسبة اجتماعياً ، والعواطف التي ارتبطت فيها الموضوعات بالغرائز بشكل دائم ، وضرب مثلاً بالعواطف التي تبعد عن أصولها الغريزية بالحب الأبوي والشعور الأسري والوطنية . وتنتظم هذه العواطف مع نمو الشخصية في شكل هرمي حول عاطفة سائدة Master Sentiment تكون نواتها في الشخصية المتوازنة عاطفة احترام الذات . ولقد انضم مكدوجال خلال الحرب العالمية الأولى إلى القسم الطبي ، وأثمر ذلك كتابه « علم نفس الشواذ Abnormal Psychology » ، وتوجه بالنقد لفرويد ويونج لإهمالهما تكامل الشخصية الإنسانية ، ولم يقبل حتمية فرويد ، ووصف العمليات اللاشعورية بأنها غرضية وغائية . وفي سنة ١٩٢٠ عين استاذاً لعلم النفس بجامعة هارفارد ثم بجامعة ديوك (١٩٢٧) ، وتميزت الفترة التي عاشها في أمريكا بغزارة الإنتاج ، وحاول في كتابه « عقل الجماعة The Group Mind » (١٩٢٠) أن يستكمل نظريته في علم النفس الاجتماعي بتطبيق نظريته النزوعية على « العقلية والشخصية الوطنية » . وفي كتابيه « **معالم علم النفس** An Outline of Psychology » (١٩٢٣) و « **معالم علم نفس الشواذ** » (١٩٢٦) صاغ نظريته في الشخصية وبناها على العواطف التي تديرها الغرائز ووصف الأخيرة بأنها مصارف لطاقة غرضية بيولوجية .

وتتحكم عاطفة احترام الذات في السلوك وتوجهه من خلال خطوط مرشده تتكون بتقمص الشخص للشخصيات التي يعجب بها وتمثله للمثل العليا . وفي إطار عاطفة احترام الذات ، تتحكم العواطف الخلقية (الضمير) في الدوافع الغريزية الفجة ، ويمارس الشخص إرادته الفردية الحرة ، وتتكامل الشخصية بانتظام العواطف في شكل هرمي . ويستكمل مكدوجال نظريته في الشخصية بنظرية مونادية تقوم على نظرية ليبنتز في المونارات ، حيث يصوغ الشخصية من ذرات روحية أو مونارات ، كل ذرة عبارة عن ذات لها إمكانية التفكير والمجاهدة والتذكر ، تتحكم فيها جميعاً ذرة عليا هي « ذاتي Myself » بالتخاطر ، ويحدث تمرد إحدى الذرات صراعاً مرضياً يفسر الحركات اللاإرادية في النوم والتنويم المغنطيسي ، وقد يسبب انحلال الشخصية .

مكرمية

فرقة من الخوارج الثعالبة ، أصحاب مكرم العجلي ، قالوا تارك الصلاة كافر ، لا من أجل تركه الصلاة ، ولكن من أجل جهله بالله تعالىٰ . وقالوا إن كل ذي ذنب جاهل بالله ، والجهل بالله كفر . وقالوا بإيمان الموافاة ، أي إن الله يتولى عباده ويعاديهم على ما هم صائرون إليه من موافاة الموت ، لا على أعمالهم التي هم فيها .

مكيافيللي .. Machiavelli

(١٤٦٩ - ١٥٢٧) نيقولا مكيافيللي ، اشتهر بكتابه « **الأمير** » (١٥١٢/ ١٥١٣) فتح به فتحاً جديداً في علم السياسة وعلاقته بالأخلاق . وقال إن الحاكم ينبغي أن يتجرّد من الضمير ، ويتجاوز معاني الخير والشر ، ويتوجّه لبناء الدولة القوية ، ويدعم الوحدة الوطنية ، ويستخدم في سبيل ذلك ما يراه مناسباً من الوسائل طبقاً لما تمليه عليه الظروف . وقال إن السياسي لا يحتاج إلى الفضائل ، ولكنه يحتاج إلى القوة المعنوية

Virtu التي يجب أن يتحلّى بها أيضاً شعبه . ووضع مكيافيللي علماً جديداً للسياسة على أساس من التجربة التاريخية ، فالسياسة ليست ما تمليه الأخلاق ، ولكنها الدروس المستفادة من التاريخ وتنظير الماضي . وفي رأيه أن النظم السياسية تولد وتنضج وتشيخ وتموت كالأفراد ، ولأن عمرها قصير ينبغي للسياسي أن يستخدم كل المتاح من الوسائل لتحقيق النصر ودعم الاستقرار . ولا يستبعد مكيافيللي دور الصدفة والحظ في توجيه الأحداث برغم مطالبته بإخضاع العمل السياسي للقوانين السياسية . ومع أن الكنيسة حظرت كتبه إلّا أن تأثيره امتدّ حتى إنجلترا وفرنسا ، ونشأت في إيطاليا جماعة من المفكرين يطالبون بأن يكون معيار العمل السياسي مقدار ما يحققه للدولة من مصالح . وقال روسو ومابلي إن مكيافيللي يبدو على حق لأن التنظيمات السياسية تحتاج إلى روح جماعية تتجاوز مجموع الإرادات الفردية . وقال تلاميذ المؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكه إن مكيافيللي لم يقصد إلى فصل السياسة عن الأخلاق ، لأنه وهو يطالب بتجاوز بعض القواعد الأخلاقية ، كان يهدف إلى غاية أخلاقية أعظم وهي تثبيت الوحدة الوطنية ودعم الدولة وإشاعة الاستقرار والأمن ، ومن ثمّ صار مكيافيللي في عصر القوميات ، في القرن التاسع عشر ، بنى القوميات والدولة الوطنية . وفي نهاية القرن امتدحه القائلون بالتقدم من خلال تطوير قوى الإنسان الإدراكية ، ونبذ الأخلاق المعوقة ، والتي تحول دون إحداث هذا التطوير ، وشكل نيتشه إنسانه الأعلى بدون أخلاق ، ولكنه الإنسان الممتلىء بالقوة المعنوية التي نادى بها ميكافيللي .

مل .... **Mill**

(١٧٧٣ - ١٨٣٦) جيمس مل ، اسكتلندي ، ابن صانع أحذية ، التحق بجامعة إدنبرة ، ودرس الفلسفة واللاهوت ، وتحول إلى الإلحاد لأسباب أخلاقية أكثر منها فكرية ، لأنه لم يتصور أن يكون هناك إله خير لهذا المليء بالشرور ، واشتغل صحفياً بالقطعة ، ومترجماً ، وتزوج (١٨٠٥) وأنجب تسعة أطفال كان جون ستيوارت مل أكبرهم ، ودوّن « تاريخ الهند » في ثلاثة مجلدات ، ركّز فيه على الظروف الاجتماعية وليس على حياة الملوك وتفاصيل المعارك ، وضمن له منصباً في شركة الهند الشرقية ، وصارَ تلميذاً البنتام وأحد البارزين في جماعة الراديكاليين الفلاسفة Philosophical Radicals ، وهي جماعة كان لها أثرها السياسي والاجتماعي كالأثر الذي كان للجماعة الفابية Fabian Society في الجيل التالي ، ومع أنها كانت تتألف من فلاسفة ومنظرين ومفكرين إلّا أن الساسة لم يكونوا ليتجاهلونها وكتابات أفرادها تملأ الصحف ودعواتها تجتذب المؤيّدين . ونشر مل « عناصر الاقتصاد السياسي Elements of Political Economy » (١٨٢١) بتأثير الاقتصادي دافيد ريكاردو، غير أنه اشتهر بكتابه « تحليل ظواهر العقل الإنساني Analysis of The Phenomena of The Human Mind » (١٨٢٩) ، ومع ذلك لم يكن مفكراً أصيلاً ، وقد اشتهر لأنه كان الساعد الأيمن لبنتام فيلسوف النفعية ، ولتأثيره على الراديكاليين الفلاسفة وعلى ابنه جون ستيوارت مل ، وكل ما عنده من آراء يمكن أن نعثر عليها بسهولة لدى بنتام أو السابقين عليه كدافيد هارتلي . ولا يعني قوله أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس بالضرورة أن ينادي بحكم الأغلبية ، فقد يحقق هذا الشعار ديكتاتور مستنير أحسن مما تحققه الجماهير الجاهلة ، ويطالب له بجهاز منتخب يقصر حق الانتخاب فيه على الأزواج بعد الأربعين طالما أنهم خير من يمثل مصالح الزوجات والأبناء ، ولا يكون التمثيل طبقياً ولكنه يقوم على الأفراد المستنيرين من متعلمي الطبقة المتوسطة أقدر الطبقات على تبين مصالح المجتمع ككل . ويطوّر مل مذهب تداعي المعاني في نظرية المعرفة بطريقة أفضل من عند هارتلي وهيوم ، ويقول أن الإحساسات تحدث إما متزامنة أي في وقت واحد أو متواترة . والأحاسيس

المتزامنة تنشىء أفكاراً متزامنة ، والأفكار المتواترة تنشىء أفكاراً متواترة ، فمثلاً تتزامن أحاسيس شم ورؤية ولمس الزهرة ، ومن ثمَّ فأي من هذه الأفكار البسيطة قد يستدعي الأفكار الأخرى ، ومن ثمَّ يتجاوز وعينا الأفكار البسيطة إلى « زملة أفكار » مجتمعة تكون فكرة الزهرة . ويطلق مل على « زملة الأفكار Cluster of Ideas » هذه اسم الموضوعات أو الأشياء Objects ، ومن ثمَّ تختلف الإسمية عند مل عنها ضد بنتام الذي كان يعد هذه الأفكار صوراً Fictions للواقع تتم بالتجريد .

ويدعو مل ، في مجال التربية ، إلى اتّباع الطرق التي تؤدّي بالطالب إلى تكوين الترابطات الصحيحة التي تضمن سعادته وسعادة الآخرين ، ومن ثمَّ يدعو إلى نوع من التربية يتناول الإنسان ككل ، عقله وشخصيته ، منذ الميلاد بل منذ الحمل ، ويحدّد له حتى ما يأكله ، ويتدخل في البيئة التي يترعرع فيها والنظام السياسي الذي يعيش في كنفه ، ولكنها في الأساس تربية خلقية هدفها تعليم الاعتدال والتحمّل وحب العدالة وفعل الخير .

مل Mill

(١٨٠٦ - ١٨٧٣) جون ستيوارت مل ، أبوه الفيلسوف جيمس مل ، ولد بلندن ، ولم يتلقّ العلم في المدارس بل تعهده أبوه بالتعليم ، وفي الثالثة كان يقرأ بالإغريقية ، وفي الثامنة تعلَّم اللاتينية ، وفي الرابعة عشرة كان قد قرأ أغلب الأدب الإغريقي واللاتيني وقطع شوطاً بعيداً في التاريخ والمنطق والرياضيات ، وتأثّر بكتابات فيلسوف النفعية بنتام ، وانخرط في سلك جماعة الراديكاليين الفلاسفة التي كان أبوه من زعمائها الفكريين ، وفي الخامسة عشرة كان يكتب المقالات وينظم المحاضرات ويشتغل بالنقد ، وفي الثامنة عشرة انضمَّ إلى شركة الهند الشرقية التي كان أبوه من كبار موظفيها ، لكنه في العشرين مرَّ بأزمة عقلية أصابته بكآبة شديدة وأعانته أشعار وردزورث على تجاوزها ، وكانت جرعة عاطفية وتدريباً للمشاعر كان يأمل أن يتعادل مع التدريب العقلي والجرعات الفكرية التحليلية التي نشّأه أبوه عليها ، وسرعان ما أصيب برد فعل ضد الآراء العقلية والأخلاقية التي ذهب إليها أبوه والراديكاليين الفلاسفة ، وتعرّف إلى كتابات سان سيمون وأوجست كونت وكولردج ، ووقع تحت تأثيرها ، ثم التقى بالسيدة هاربيت تايلور (١٨٣١) ، وكانت زوجة وأماً ، وظلَّ على علاقة أفلاطونية بها مدة عشرين سنة ، كانا يلتقيان باستمرار ، وكان يصفها بالعبقرية وينسب إليها تأثيراً فكرياً ضخماً عليه ، ثم توفي زوجها (١٨٤٩) فتزوجها مل بعد ثلاث سنوات ، وشرعا يعملان معاً ، لكن الموت لم يمهلها إذ توفيت (١٨٥٨) خلال جولة لهما في فرنسا ودفنت بأفنيون ، واستقالَ مل من شركة الهند واشترى بيتاً بالقرب من قبرها .

كتب مل كثيراً في الصحف والمجلات ، وجمعت مقالاته في أربع مجلدات بعنوان « مقالات ومناقشات » ، ودوَّن العديد من الكتب أهمها « المنطق » في مجلدين (١٨٤٣) ، كان له صدى كبير في أوروبا ، و « مبادىء الاقتصاد السياسي » (١٨٤٨) ، و « مقال في الحرية » (١٨٥٩) ، و « المذهب النفعي » (١٨٦١) ، و « أوجست كونت والوضعية » (١٨٦٥) ، و « إخضاع النساء Subjection of Women » (١٨٦٩) ، و « السيرة الذاتية Autobiography » (١٨٧٣) .

ويعارض مل المذهب العقلي بالمذهب الحسي . ويعني المذهب العقلي عنده المذهب الحدسي Intuitionism ، وهو المذهب الذي يدعي أن العقل فطر على المعاني والمبادىء ، والذي يلجأ عند حسم المشاكل إلى القول بأن العقل يرى كذا . وهو لا ينفي الحدس تماماً كمصدر للمعرفة ، وإنَّما يقصد إلى التقليل ما أمكن من المسائل التي يدعي العقل العلم بها دون استدلال ، ولكنه لا يعني مع ذلك أن كل المعرفة استدلالية .

ويرى مل أن قواعد الأخلاق تبدو للوهلة الأولى

حدسية ، لكن الواقع أنها حصيلة تجارب الأجيال ، ولا يعني لجوء الفرد إليها أنه يلجأ إلى معرفة حدسية ، لكنه يلجأ إليها ليكمل بها النقص في خبرته ويرفع عنها الضحالة وضيق النظرة ، ومع ذلك يظل مل من الداعين للمذهب النفعي ، فمعيار الحكم على الأفعال بالصواب والخطأ يكون بمقدار ما تمنح من لذة وما تحجب من ألم ، والفعل الصائب هو الذي تزيد نتائجه الطيبة على نتائجه السيئة ، والذي يحقق به الفرد ذاته ويثري شخصيته وينمّيها . ومل رغم فرديته يرى أن تطوير الفرد لذاته هو أسلم السبل كي يعمل بوعي في سبيل الصالح العام ، ورغم إيمانه أن الفرد ابن بيئته كان يعتقد أن الرغبة القوية لتحسين واقعه هي ما يحدوه ، وأنه من ثمَّ مسؤول عمَّا قد تؤول إليه شخصيته وما تتوجه إليه طاقته ، ومن ثمَّ يؤمن بالديموقراطية ولكنه لا يقرُّها عندما يكون معناها أن يتلاشىٰ صوت الأقلية أمام مطالب الأغلبية ، ولذلك لا تعني الديموقراطية بالنسبة له توجيه الحكومة على الاستجابة لطلب الأغلبية ، ولكنها تعني تربية الفرد بحيث يستمع للأصوات الأخرى بخلاف صوته ، ويهيء لها السبيل أن تعلو ليسمعها الآخرون . ومل متعصب للحرية ، ولذلك قال في أول الأمر بالاقتصاد الحر ، لكنه سرعان ما عدل عنه إلى الاقتصاد الاشتراكي ، وكان يعبر عن مخاوفه أن يكون في إعلاء الاشتراكية إضعاف للفردية وكبت للحرية ، ويرى أن الديموقراطية النيابية أعلى أشكال الحكومات ، وأنها تربي المواطن التربية السياسية السليمة وتعلمه أن يؤلف بين مصالحه ومصالح المجتمع ، ولكن ينبغي أن يكون التمثيل للأقلية والأغلبية معاً ، أي أن يكون تمثيلاً نسبياً فيعطي المتعلم والشخصيات البارزة أصواتاً أكثر من الأمي أو المواطن العادي .

ولقد ظلَّ مل صامتاً إزاء مسائل الدين ، ولكن تربيته وما كان يدعو إليه رجحت لدى أتباعه وخصومه أنه ملحد ، ورغم أنه كتب « عن الطبيعة On Nature » و « منفعة الدين The Utility of Religion » (١٨٥٨) ، إلَّا أنه كان يدرك أن الخوض في الدين تؤذي مشاعر الشعب البريطاني وتفقد الكاتب أغلبية القراء . ولقد نشرت له بعد وفاته « ثلاثة مقالات في الدين Three Essays on Religion »(١٨٧٤) ، وجاء الكتاب صدق لمريديه عندما قرأوا فيه أن نظام الوجود يرجح أن له إلّهاً خالقاً ، ولكنه يؤمن بأنه إلّه محسن ، ويستدرك بأن النقص والشر والمعاناة في العالم يستتبع أنه إلّه متناه ، بمعنى أنه عاجز عن استكمال النقص أو إخضاع قوى الشر ، ومن ثمَّ فعلى الإنسان أن لا يتواكل عليه ، وأن لا يكون العبد العاجز لإلّه عاجز ، وعليه أن يعمل لسد النقص في الطبيعة ، والتفوّق عليها ، وإخضاعها ، وعليه أن لا يصدق المثل الذي يقول « قلد الطبيعة » ، لأن الطبيعة فيها الخير والشر ، ولو لم يعمد الإنسان إلى تقويم الطبيعة لما كانت الحضارة ، ولقد أبدع الإنسان الفضائل ، وهي ضد الطبيعة .

ولقد كان للدين نفعة ، لأن الاعتقاد بوجود إلّه يسر القبول بالفضائل ، وما يزال الإنسان في حاجة إلى الإيمان الذي يوجّه طاقاته نحو المثل العليا ويدفعه إلى التضحية بمصالحه في سبيلها ، ولكنه لو أمكن إحلال ديانة إنسانية محل الديانة المنزلة فإن تأثيرها سيكون أبلغ لأنها ستغنينا عن اللجوء إلى التفكير الغيبي والتهديد بالجحيم ، وستعمل على إقناعنا بما ينطوي عليه الوجود من شر ونقص ، وتستحثّنا على تقويمه .

وفي كتابه « المنطق » يرفض التسليم بالمنطق الصوري بحجة أنه يهتم بشروطه مطابقة الفكر ولا يهتم بصدق القضايا وكذبها . ولأنه حسي ينكر وجود المعنى المجرد في الذهن ، ويردد استحالة تصور الماهية الخالصة ، وأنه لا ينبغي التحدث عن مفهوم المعاني وما صدقها ، ويؤكّد على ضرورة الاقتصار على القول بأن الألفاظ تدل على أفراد الطائفة ، وأنها تتضمن العناصر ، وينفي الحاجة إلى المعاني المجردة للأحكام ، وينقد الاستدلال الاستنباطي (كما هو موجود في القياس مثلاً) بدعوى أن القياس مصادرة على المطلوب الأول ، فنحن عندما نقول إن كل الناس مائتون ، وأن جونز (لم يمت بعد) إنسان ، وأنه

مائت ، نفترض النتيجة في المقدمة الكبرى « كل الناس مائتون » ولا ينبغي أن نفترضها إذ أنها المطلوب ، وهي إما أن تكون معروفة من قبل صياغة المقدمة الكبرى وإذاً لا يكـون هناك جـدوى من صياغـة القياس ، وتكـون صياغته عملية صناعية . وإمّا أن تكون المقدمة مجهولة من قبل وعندئذٍ لا يمكن صياغتها لأنه من غير الممكن أن ندرك أن كل الناس مائتون من غير أن ندرك أن كل فرد منهم مائت . وإنّما نحن نقول إن جونز مائت لأننا علمنا أن سميث وبيتـرز وولكنز وغيـرهم من الأفـراد الـذين يشبهون جونز قد مـاتوا ، بمعنى أننـا نتخذ من مـوت الآخرين مقدمة جزئية نخرج منها بنتيجة جزئية ، فمـا نـظن قياسـاً ليس إلاّ استقـراء ، وليست النتيجـة فيـه مستنبـطة من الكبرى ولكنهـا مكتسبة وفقـاً للكبرى .

وحتى في قضايا الرياضيـات ، التي يحتج فيهـا بأنهـا المجال الذي يظهر فيه الاستنباط العلمي ، وخاصة في الهندسة ، فإن الاستدلال هو استدلال بـالجزئي على الجزئي وليس استدلالاً بالجزئي على الكلي ، والنتائج ضرورية بمعنى أنها تستتبع بـالضرورة من المقـدمات التي استنبـطت منها ، لكن المقـدمـات نفسهـا ، أي النـظريـات الهنـدسيـة أو البـدهيـات ، قـامت على الملاحظة ، وليست إلاّ تعميمات لما خبرناه دائماً ، ولم تكن القضـايا الكليـة الضـروريـة إلاّ وليـدة التجـربـة الجزئية .

ملاحدة **Atheists**

فرقة من الكفار ، المنكرين لـوجود الله ، ويـطلق عليهم الإسلاميون اسم الدهرية ، لأنهم ذهبوا إلى قدم الـدهر واستنـاد الحوادث إليـه ، كما أخبـر عنهم الله تعالىٰ ﴿ إن هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر ﴾ وذهبـوا إلى ترك العبـادات رأساً لأنهـا لا تفيد ، وإنّما الدهر بما يقتضيـه مجبول من حيث الفطرة على ما هو الواقع فيه ، فما ثمَّ إلاّ أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وأسماء تقلع ، وسحاب تقشع ، وهواء تقمع .

مليسوس الساموسي **Melissus of Samos**

عرفه الإسلاميون بإسم مالـسس ، وهو من المدرسة الإيلية ، وتلميذ بارمنيدس ، ولد بساموس ، ولا نعرف عنه إلاَّ أنه قادَ أسطول ساموس ضد الأثينيين وهزمهم في موقعة بحرية نحو سنة ٤٤٠ ق . م ، وأنـه وضع كتـاباً واحـداً بعنوان « **في الـطبيعـة أو مـا يـوجـد** » ، ضـد الطبيعيين القائلين بالكثرة والتغير والحركة ، على طريقة بارمنيدس وإن اختلف عنه قليلاً ، فلو كانت أشياء العالم المحسـوس حقيقية على مـا تبـدو للحس لبقيت على حالها ولم تتغير ، لأن ما يتغير يبطل أن يكون نفسه ، والتغير يعني الوجـود من العدم ، والـطبيعيون أنفسهم يقولون إن الشيء لا يمكن أن يخـرج من اللاّشيء ، وإذن فالموجود لا بد أنه قد وجد دائماً ، وسيستمر في الوجود ، ولم تكن له بداية ، ومن ثَمَّ فليست له نهاية ، وإذن فهو لامتناه ، ولو كان هناك متناهيان لحد الواحد الآخر ، وإذن فهو واحد ، ولو كان هناك آخـر لتحرك إليه ، وإذن فهو ساكن ، ولو تحرّك لكان هنـاك مكان خارجه يتحـرك إليه ، وإذن فهـو ثابت ، ومن ثمَّ فمـا يخبرنا به العالم المحسـوس من أن الأشياء كثيرة ومتغيرة ومتحركة هو وهم وخداع حواس .

مندائية **Mandaeism**

فرقة غنوصية ، كان انتشارها بجنوبي العـراق وفي الكوفة ، وقضىٰ عليها الإسلام ، وكانت تعتقد بعالمين وإلٓهين ، واحد للنور وآخر للظلام ، وأن السماء عرش إلٓه النور ، بينما الأرض موطن إلٓه الظلام والشر ، وأن الإنسـان لن يخلصه من الجسـد الأرضي حيث سجن الروح إلاّ كائن إلٓهي يعيده إلى السماء .

منشيوس **Mencius**

(انظر كونفوشية) .

منصورية

أصحـاب أبي مصـور العجلي ، فـرقـة من غـلاة الشيعـة ، قالـوا الرسـل لا تنقطع أبـداً ، والرسـالة لا

تنقطع ، والجنة رجل أمرنا بموالاته ، وهو إمام الوقت ، والنار رجل أمرنا بمعاداته ، وهو خصم الإمام ، وتأولوا المحرمات والفرائض على أسماء رجال أمرنا بمعاداتهم أو موالاتهم .

منطق Logic

العلم الذي يبحث في القواعد الصورية للفكر ، أو نظرية الشروط الواجب توافرها للاستنتاج الصحيح ، ويشتقّ لفظته الأوروبية من Logos وهي نفسها كلمة لغة العربية ، وأما لفظته العربية فهي من النطق بمعنى التلفّظ ، باعتبار النطق واللغة مظهرين للتفكير ، وهو ما نقصده عندما نصف الإنسان بأنه حيوان ناطق ، أي مفكر ، حيث التفكير هو الصفة الجوهرية التي تميّز الإنسان كنوع .

١ ـ المنطق الصوري Formal Logic

وللتفكير صورة أو شكل Form ، وموضوع أو مادة Matter . والمنطق حين يهتم بصورة التفكير أكثر من اهتمامه بموضوعه يسمى المنطق الصوري في مقابل المنطق المادي الذي يرجح الموضوع على الصورة . والمنطق الأرسطي صوري يهتم بالتصورات والتصديقات دون مضمونها الواقعي ، ولذلك رأى فيه البعض أنه غير قادر على كشف الحقائق وتحصيل العلم، ولم يجدوا بداً من إقامة منطق جديد يقوم على التجربة والاستقراء عند بيكون وجاليليو ، وعلى العيانات الرياضية وتصورات العدد والمقدار عند ديكارت ، وانقسم المنطق لهذا إلى منطق صوري يختص بقواعد التفكير من حيث هي قواعد كلية وضرورية ، والمنطق المادي أو علم المناهج ويختص بالبحث في منهج كل علم من العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية والروحية . وانقسم المنطق الصوري بدوره إلى المنطق الأرسطي أو التقليدي والمنطق الرياضي أو الرمزي . وانقسم المنطق المادي إلى المنهج الاستدلالي والمنهج الاستقرائي والمنهج التاريخي أو الاستردادي .

٢ ـ قوانين الفكر Laws of Thought

ولعلم المنطق بديهيات لا بد من التسليم بصدقها قبل البدء في البرهنة ، والالتزام بها كقواعد عامة للتفكير في الحياة اليومية ، وهي وإن كنا لا نلتفت إليها لفرط بساطتها ، إلا أنها تمثل الدعامات الأولى للتفكير السليم في كل مجالات المعرفة . وقوانين الفكر ثلاثة ، أولها قانون الذاتية أو الهوية Law of Identity ، وصورته أ هي أ ، كأن أقول الإنسان هو الإنسان ، ويعني أن الشيء هو ذاته ، وأنه لا يتغير ولا تتبدل حقيقته ، وحقيقة الشيء هي صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره ، وقانون التناقض Law of Contradiction ، أو عدم التناقض ، وصورته أ لا يمكن أن تكون ب ولا ب في نفس الوقت ، أي أن الشيء لا يمكن أن يتصف بصفة ونقيضها في آن واحد ، فالإنسان لا يمكن أن يكون ناطقاً وغير ناطق في نفس الوقت ، وقانون الوسط الممتنع أو الثالث المرفوع Law of Excluded Middle ، وصيغته أن الشيء لا بد أن يكون ب أو لا ب ، لأنه طالما أن الشيء هو نفسه ، وأنه لا يمكن أن يكون على حال ونقيضها في نفس الوقت ، فإنه لا بد أن يكون على حال أو نقيضها، أي أن يتصف بإحدى الصفتين كأن يكون الإنسان ناطقاً أو غير ناطق ولا ثالث لهذين الاحتمالين .

٣ ـ منطق الحدود Logic of Terms

والجملة المفهومة إما خبرية أو إنشائية ، والخبرية هي القضية المنطقية لأنها تفيد خبراً يحتمل الصدق والكذب ، وعمل المنطق هو التمييز بين الصدق والكذب والحق والباطل . ويفضل بعض المناطقة استخدمت العبارة Statement بدلاً من القضية Proposition ، ويميزون بين الجملة Sentence والعبارة ، فسقراط كان فيلسوفاً جملة عربية و Socrates Was a Philosopher جملة إنجليزية ، والجملتان تعبران عن « قضية » واحدة ، سواء قلنا عنها Proposition أو Statement ، غير أن العبارة تحتمل

الصدق والكذب ، والقضية هي العبارة التي ثبت صدقها .

وتتألف القضية المنطقية البسيطة من ثلاثة حدود هي حد الموضوع Subject Term ، وهو الطرف الذي يقع عليه الحكم أو يخبر عنه ، وحد المحمول Predicate Term ، وهو الطرف الذي يخبر عن الموضوع أو الذي يحكم به عليه . ويرتبط الحدان بواسطة حد الرابطة Copula Term ، وهو في القضية البسيطة فعل الكينونة سواء صرحنا به مثلما نقول Man is Mortal، والفعل هنا هو Is ، أو لم نصرح به مثلما نقول في العربية ، ترجمة للعبارة السابقة ، الإنسان فان ، ونقصد الإنسان يكون فانياً، ولذلك نقول إن القضية Man is Mortal ثلاثية الحدود ، بينما الإنسان فان قضية ثنائية الحدود حيث ان الرابطة لم تذكر صراحة . وإذا دلت الرابطة على علاقة اتصال بين الموضوع والمحمول سميت رابطة موجبة، غير أنها قد تكون سالبة وتدل على علاقة انفصال بين الموضوع والمحمول كأن نقول الإنسان ليس قرداً . ويؤثر بعض المناطقة من أصحاب الاتجاهات السيكولوجية والإبستمولوجية أن يسموا الحدود بالتصورات Ideas ، وتسمى الألفاظ التي تتألف منها حدود القضية والتي يمكن أن يكون لها معنى بذاتها بالألفاظ الحملية Categorematic ، مثل سقراط أو فان ، بينما تسمى الألفاظ التي لا يمكن أن تكون حدوداً وليس لها معنى بذاتها وإنما لا بد أن ترتبط بأحد الحدود لكي تدخل في القضية بالألفاظ الرابطة Syncategorematic ، مثل كل أو بعض .

٤ ـ اسم الذات واسم المعنى

قد يشير الحد المنطقي إلى شيء يمكن إدراكه بالحواس ويسمى اسم الذات Concrete Term ، مثل شجرة ، وقد يشير إلى شيء لا يدرك بالحواس ويسمى باسم المعنى Abstract Term ، مثل عدالة .

٥ ـ الأسماء المفردة والعامة وأسماء الأعلام

ومن الحدود ما يطلق على مسمى واحد ، ويسمى حداً أو اسماً فردياً Singular Term ، مثل سقراط ، ومنها ما يطلق على مسميات كثيرة تشترك في صفات تجعلها أعضاء في فئة واحدة ، وتسمى بالحدود أو الأسماء العامة Common Nouns و Common Terms و Termini Communes مثل إنسان أو حصان . والحد المفرد يمكن أن تسبقه أداة تنكير ككل وبعض ، ويمكن جمعه ، وتتم المعرفة به بالاتصال المباشر ، بينما تتم المعرفة بالحد العام بالوصف . وأسماء الأعلام Proper Names ، مثل أحمد وفاطمة وعلي ، فرغم أنها تطلق على كثيرين إلا أنها حدود مفردة ، وتتصف كل الأسماء بصفات من نوع ما ، أي أن لها مفهوماً ، إلا أسماء الأعلام فهي الوحيدة التي لا تدل على صفات خاصة بها ، وإنما يقصد بها أن تكون مجرد علامة على شيء أو شخص دون أن يعني ذلك أن الاسم يتضمن في معناه امتلاك الشخص أو الشيء المسمى به لأي صفة يدل عليها الاسم ، أي أنها بلا مفهوم .

٦ ـ الكليات الخمس

وتتشابه الاسماء العامة والمفردة وأسماء الاعلام من وجوه رغم اختلافها ، فالحصان والإنسان كلاهما حيوان مثلاً ، وتسمى أمثال هذه الأمور المتشابهة بالأمور الكلية ، وكان أرسطو يعتبرها أربع كليات ، هي الجنس (ويدخل فيه الفصل) والتعريف والعرض العام والخاصة ، ولكن فورفوريوس جعلها خمساً ، وعرفت من بعده باسم شجرة فورفوريوس أو الكليات الخمس The Five Universals أو المحمولات Predicables ، وتنقسم إلى كليات ذاتية أي جوهرية وضرورية ، وبها تتكون الماهية ، وكليات عرضية أي ليست جوهرية ولا تدخل في الماهية ولكنها قد تكون ضرورية . وتنقسم الذاتية بدورها إلى (أ) الكلي العام الذي تندرج تحته كليات أخص منه ، ويسمى بالجنس

(ب) والكلي الذي يندرج هو نفسه تحت Genus كلي أعم منه ، ويسمى النوع Species ، فالإنسان نوع ولكنه يندرج مع أنواع أخرى كالأسود والقردة في جنس الحيوان (جـ) والكلي الخاص بأفراد النوع الواحد ، ويسمى الفصل Differentiam ، مثلما تقول الإنسان حيوان ناطق حيث النطق هو الصفة الجوهرية التي تعين الإنسان كنوع وتفصل نوعه عن بقية أنواع الجنس .

وتنقسم الكليات العرضية إلى (أ) ما يعم الشيء وغيره من النوع الواحد أو الأنواع الأخرى ، وهو الصفة الحادثة التي قد تتعلق بالشيء أو لا تتعلق به ، وتسمى لذلك بالعرض العام Accidens (ب) وما يخص بعض أفراد النوع الواحد دون البعض الآخر ، ويسمى الخاصة Proprium ، كأن أقول الإنسان حيوان مخترع ، فأقصر القدرة على الاختراع على نوع الإنسان دون بقية أنواع الحيوان ، لكن كذلك أقصره على بعض أفراد الإنسان ، وبذلك لا يكون هناك حيوان مخترع إلا الإنسان ، لكنه لا يكون كل إنسان مخترعاً . والخاصة إذن وإن كانت ليست صفة جوهرية للنوع إلا أنها ضرورية لبعض أفراده ، ولذلك تسمى عرضية لازمة .

وأهم ما نلاحظه على هذا التقسيم أنه أولاً يهدف إلى التمييز بين الذاتي والعرضي حيث كان المنطق القديم ينشد تحصيل العلم بالصفات الذاتية توصلاً إلى الحقيقة الكاملة وهي الله ، وأنه ثانياً يجعل الجنس والنوع نسبيين الواحد بالنسبة للآخر بحيث يمكن أن يكون النوع جنساً بالنسبة لأنواع اخرى تحته ، ويمكن أن يكون الجنس نوعاً بالنسبة لأجناس أخرى يندرج تحتها ، وتتعدد الأنواع والأجناس صعوداً وهبوطاً حتى ننتهي في أعلى السلم إلى الجوهر Substantia أو جنس الأجناس Summum Genus الذي لا يعلوه جنس آخر ، وفي أدناه إلى نوع الأنواع Infina Species أي النوع الذي لا يليه نوع آخر بل اسماء جزئية مثل علي وفاطمة وحسين . وقد تكون الأجناس قريبة لأنواعها أو بعيدة عنها ، فكلمة حيوان مثلاً جنس قريب Proximum Genus بالنسبة للنوع إنسان ، أما كلمة جسم حي فهي جنس بعيد بالنسبة لإنسان وجنس قريب في الوقت نفسه بالنسبة لحيوان .

الجوهر (جنس الأجناس أو جنس عال) .

جسم (نوع عال وجنس متوسط) .

جسم حي (نوع متوسط وجنس متوسط) .

حيوان (جنس قريب ونوع متوسط) .

إنسان (نوع الأنواع) .

فاطمة علي حسين (أسماء جزئية) .

٧ ـ المفهوم والماصدق

كل اسم من الأسماء العامة هو اسم لشيء أو لفرد أو لعدد من الأفراد أو الأشياء التي يصدق عليها . ولكل شيء أو فرد من هذه الأشياء أو الأفراد صفات يحمل عليها وترتبط به ، بمعنى أن لكل اسم ناحيتين ، تسمى إحداهما الماصدق وتشير إلى الأفراد أو الأشياء التي يصدق عليها الاسم ، وتسمى الأخرى المفهوم ، أي مجموع الصفات التي تحمل على هذه الأشياء أو الأفراد . وإذا كان مفهوم اللفظ هو المفهوم الشائع بين الناس أو الذي اصطلحوا عليه ، والذي يدل على الصفات الجوهرية المعروفة عن الشيء ، سمي بالمفهوم الاصطلاحي Connotation ؛ وإذا كان المفهوم متعلقاً بصفات يعرفها الشخص نفسه دون غيره من الناس عن هذا الشيء في زمن معين سمي بالمفهوم الذاتي Subjective Intension ، وإذا تعادل هذا المفهوم مع حقيقة الشيء في الخارج واستوعب كل صفاته الذاتية والعرضية سمي بالمفهوم الموضوعي Objective Intension أو Comprehension . أما الشيء نفسه الذي ينطبق عليه اللفظ في الواقع الخارجي العيني فهو الماصدق Extension (عند البورترورياليين) أو Denotation (عند جون ستيوارت مل) . وكلما زادت صفات المفهوم قل عدد أفراد ماصدقه ، أي أن العلاقة بين المفهوم والماصدق علاقة عكسية .

التعريف Definition

٨ ـ هو البحث عن الماهية ، ويتم بالجنس والفصل

ويسمى تعريفاً بالحد أو بالجنس والفصل Definito Per Genus et Differentiam ، فإذا دل على الماهية سمي تعريفاً بالحد التام ، ويتم بالجنس والفصل القريبين ، وإذا دل على الشيء المعرف دون أن يستوفي كل أوصافه الجوهرية سمي تعريفاً بالحد الناقص ويتم بالجنس البعيد والفصل القريب ، فإذا انصرف التعريف إلى خواص الشيء أو أعراضه يسمى تعريفاً بالرسم التام Complete Description ، ويتم بالجنس القريب والخاصة ، أو تعريفاً بالرسم الناقص Incomplete Description ويتم بالخاصة وحدها أو بالخاصة والجنس البعيد . ويشترط في التعريف الكامل أن يكون معبراً عن ماهية الشيء ، وأن يدل عليه وحده ولا شيء غيره Omni et Soli Definito ، وأن لا يعرف المعرف (بالفتحة) Definiendum بمعرف (بالكسرة) Definiens يساويه في المعرفة والجهالة كأن نقول إن الحركة هي ما ليس بسكون ، وأن لا نلجأ إلى ما لا يعرف الشيء إلا به كأن نقول عن الزوج أنه ما يزيد على الفرد بواحد ، وأن لا نستخدم في التعريف ألفاظاً غريبة أو مجازية أو ملتبسة المعنى . وقد يكون التعريف اسمياً Definito Quid Nominis ، أي لمعنى اللفظ ، أو شيئياً Definito Quid Rei يتعلق بماهية الشيء ، أو قاموسياً Dictionary Definition بترجمة اللفظ من اللغة الأجنبية إلى القومية أو العكس أو بشرحها ، أو ذاتياً Intrinsic يتناول مضمون الشيء ، أو خارجياً Extrinsic يتناول أوصافه الظاهرية دون كنهه ، أو تعريفاً بالإشارة Ostensive بأن نشير إلى الشيء أو صورته ، أو معجمياً Lexical بمرادف ، أو اشتراطياً Stipulative يشترط معنى معيناً ، أو سياقياً Contextual يتفق مع السياق الوارد فيه اللفظ ، أو تحليلياً Analytic بتعريفه بالحد أو بالرسم ، أو تركيبياً Synthetic بذكر علاقات الشيء بغيره .

٩ ـ اللامعرفات Indefinables

الألفاظ التي لا تقبل التعريف على اعتبار أنها وحدات بسيطة مجردة تستعمل في تعريف غيرها دون أن يكون لها هي تعريف .

١٠ ـ المقولات Categories

هي أنواع الصفات المضافة أو المسندة أو المقولة ، أي المحمولات التي نستطيع أن نصف بها فرداً كائناً ما كان ، فإذا سأل سائل عن أي شيء ما هو كان حتماً ـ يقع الجواب تحت واحد منها ، فالمقولة معنى كلي يمكن أن يدخل محمولاً في أي قضية . واختلف الفلاسفة في عددها ، وأرسطو يجعلها عشرة تقابل جميع الأجوبة لجملة الأسئلة التي يمكن أن تثار بصدد شيء ما . وهذه الأسئلة عشرة يجاب عنها بعشرة محمولات هي الجوهر والكم والكيف والإضافة والفعل والانفعال والمكان والزمان والوضع والحال. فإذا سألت عن سقراط مثلاً ما هو ؟ وكان الجواب بأنه إنسان فقد علمت جوهره . وإذا سألت عن شيء وكان الجواب ثلاثة أمتار فالجواب وصف لكميته . وقد يوصف الشيء بكيفيته فيقال بأنه أبيض ، أو بإضافته إلى شيء آخر فيقال أنه أكبر أو أصغر منه ، أو بمكانه فيقال إنه في أثينا ، أو بزمانه فيقال في القرن الخامس قبل الميلادي ، أو بوضعه فيقال إنه جالس ، أو بملكه أي بحالته فيقال بأنه شاهر السلاح ، أو بالفعل فيقال إنه يجادل أو بالانفعال فيقال إنه مبتور . وكنط يجعل المقولات معان رابطة بين الظواهر المعروضة في المكان والزمان ويجعلها أربعاً هي الكم والكيف والإضافة والجهة ، تنقسم كل منها بدورها إلى ثلاث ، فالكم ينقسم إلى الوحدة والكثرة والجملة ، والكيف إلى موجود وسلب وحد ، والإضافة إلى جوهر وعلية وتفاعل ، والجهة إلى إمكان وضرورة واستحالة .

١١ ـ التصنيف Classification

هو ترتيب التصورات بحسب ماصدقاتها في سلم صاعد من الأفراد إلى الأنواع إلى الأجناس فأجناس الأجناس . ويشترط في التصنيف أن يستنفد كل

التصـورات ولا يبقي منهـا شيئـاً ، وأن يكـون بين موضوعات الصنف الواحد مشابهات أكثر مما يكون بينها وبين موضوعات تنتسب إلى صنف آخر . والتصانيف إما صناعية تقوم على الصفات الخارجية للموجودات ، وإما متحيزة تقوم على علامات اصطلاحية ، وإما موضوعية تقوم على صفات من الموضوعات نفسها ، وإما طبيعية تقوم على الصفات الجوهرية دون العرضية .

١٢ ـ التقسيم ..... Division

عكس التصنيف ، يرتب التصورات في سلم نازل من جنس الأجناس إلى الأجناس الأدنى والأنواع الأعلى حتى نصل إلى أدنى السلم حيث نوع الأنواع فالأفراد .

١٣ ـ القسمة الثنائية .... Dichotomy

شكل من التصنيف أو التقسيم ، لكنه يختلف عنهما أننا في كل مرة من مراحل التدرج صعوداً أو هبوطاً مع التصنيف أو التقسيم نقسم التصـورات إلى أنـواع أو أجناس ونقائضها ، بمعنى أننا نقسم الجوهر إلى مادي ولامادي ، والمادي إلى حي ولاحي وهكذا ، ولو قسمنا اللون مثلاً إلى أبيض وأسود فإننا نكون قد قسمناه إلى متضادين ولن تستنفد بهذه الطريقة كل الألوان، لكننا لو قسمنا اللون إلى أسود ولاأسود ، ثم قسمنا اللاأسود إلى أبيض ولاأبيض . . وهكذا ، فإننا بهذه الطريقة نستنفد كل الألوان الممكنة .

١٤ ـ تقابل الألفاظ ..... Opposition of Terms

تتقابل الألفاظ بالتناقض أو بالتضاد . والألفاظ المتنـاقضـة Contradictory Terms مثـل أبيض ولاأبيض ، ألفـاظ مثبتة ومنفيـة أو مـوجبـة وسـالبـة ، ويستنفد مثبت اللفظ ومنفيه عالم مقاله Universe of Discourse ، وهو هنا عالم اللون . والألفاظ المتناقضة لا تصدق معاً ولا تكـذب معاً ، فـالشيء إما أبيض أو لا أبيض . أما الألفاظ المتضادة Contrary Terms ، مثل أبيض وأسود ، فهي لا تستنفد معاً عالم مقالها حيث أنها لا يمكن أن تصدق معاً ، غيـر أنها قـد تكذب معـاً ، فالشيء لا يمكن أن يكون أبيض وأسود معاً ، ولكنه يمكن أن لا يكون أبيض أو أسود بل ملوناً بلون آخر .

١٥ ـ منطق القضايا والأحكام

The Logic of Propositions and Judgments

القضية المنطقية حكم بوجود علاقة بين حديها ، وقد يـوصف الحكم بـالصـدق أو بـالكـذب ، والأحكـام المنطقية إمـا صادقـة على أساس تجـريبي يقوم على الإدراك الحسي الذي تصدقه تجارب الآخرين ، وإمَّا صـادقة على أسـاس برهـاني يقـوم على استخـلاص الأحكام البرهانية من الأحكام التجريبية بالاستقـراء أو بالاستدلال .

ويميز المناطقة بين القضايـا بحسب مصدر الخبـر فيها ، فالقضية « الإنسان حيوان ناطق » لم تضف شيئاً جديداً إلى مفهوم الإنسان ، ولم تخرج عن كونها تحليلاً لغـوياً لمعنى المـوضـوع ، ولـذلـك تسمَّى بـالقضية التحليليـة Analytic Proposition . أمـا القضيـة « المصريون أحرار » فإننا لو رجعنـا إلى القامـوس لما وجدنا أن كلمة المصريين تعني بالضرورة أحراراً ، أي أن مصدر الخبر ليس هو المعنى اللغوي للموضوع ، كما في القضية التحليلية ، بل هو الواقـع بما فيـه من خبـرات جعلتني أستخلص أن المصـريين أحـرار ، ولذلك تسمَّى هـذه القضية تـركيبية Synthetic . ولا يشترط للقضية التحليلية أن تسوق خبراً نعرفه وللقضية التركيبية أن تحمل خبراً نجهله ، وإنَّما يتقوم الفرق بين القضيتين بمصدر الخبر حيث هو في الأولى موضـوع القضية نفسها وهو في الثانية الواقع الخارجي . وبنـاء على ذلك تكون كل قضايا الرياضيات تحليلية لأنها تقدم أحكاماً مستنبطة من مفهوم المـوضوع ، بينمـا قضايـا العلوم تـركيبية لأن أحكـامها تـرجع فيهـا إلى الواقـع والتجربة ، ولذلك تكون القضية التحليلية صادقـة إذا كان محمولاً تحليلاً لبعض أو كل صفات موضوعها أو مستنبـطاً من مفهـوم المـوضـوع ، ومعنى ذلـك أن

الموضوع متسق مع المحمول ، ويعني هذا الإتساق أن القضية تخضع لقانون الذاتية وقانون عدم التناقض اللذين شرحناهما في قوانين الفكر ، وإلّا تناقض الموضوع والمحمول وانعدم الإتساق وكذب الحكم . أما القضية التركيبية ، فطالما أن الواقع الخارجي هو مصدر الحكم بصدقها ، فلا بد أن تكون هذه القضية مما يمكن التأكد من صحة واقعها بالتجربة العملية ، وعلى ذلك فالقضايا التركيبية التي تحمل أخباراً خيالية لا أساس لها من الواقع يرفضها المنطق .

والقضية المنطقية إما بسيطة Simple لها موضوع واحد ومحمول واحد والحكم فيها مطلق غير مقيد ، وإمَّا مركبة Compound تتكون من قضيتين والحكم فيها مقيد بشرط . وتنقسم القضية البسيطة إلى قضية حملية وقضية إضافة ، والحملية Categorical يرتبط موضوعها ومحمولها برباط ضمني ، مثل الإنسان فان ، حيث تتضمن صفة الإنسان صفة الفناء ، بينما قضية الإضافة Relational يرتبط طرفاها برباط إضافة يتصل بالمقدار أو المسافة أو القرابة أو التساوي أو غيرها من العلاقات بخلاف علاقة التضمن ، كأن نقول الهرم أعلى من القلعة ، أو بيروت أقرب إلى القاهرة من لندن . وتنقسم القضية المركبة بحسب أداة الربط فيها ، فإن كانت واو العطف سميت عطفية Conjunctive ، مثل الإنسان والسيارة متحركان ، وإن كانت إذا الشرطية سميت شرطية متصلة Hypothetical ، مثل إذا تكاثرت الغيوم هطل المطر ، وإن كانت إمَّا البدائلية سميت شرطية منفصلة Disjunctive ، مثل إمَّا الأرض تدور حول الشمس وأما الشمس تدور حول الأرض .

وتنقسم القضية الحملية من حيث الكيف Quality إلى موجبة Affirmative ، الرابطة فيها موجبة تفيد اتصال الموضوع بالمحمول ، ورمزها م ، مثل كل البشر ميتون ، وسالبة Negative ، الرابطة فيها سالبة تفيد انفصال الموضوع عن المحمول ، ورمزها س ، مثل الإنسان ليس قرداً . وتنقسم القضية الحملية من حيث الكمّ Quantity إلى كلية Universal يقع الحكم فيها على كل أفراد الموضوع ، ورمزها ك ، مثل كل المصريين عرب ، وجزئية Particular يقع الحكم فيها على جزء من أفراد الموضوع ، ورمزها ج ، مثل بعض المصريين عرب . وتنقسم القضايا الحملية من حيث الكيف والكمّ معاً إلى كلية موجبة Universal - Affirmative الحكم فيها باتصال كل أفراد الموضوع بأفراد المحمول ، ورمزها ك . م أو A ، وتسمَّى A - Proposition ، مثل كل المصريين عرب ؛ وكلية سالبة Universal - Negative الحكم فيها بانفصال كل أفراد الموضوع عن كل أفراد المحمول ، ورمزها ك . س أو E ، وتسمَّى E - Proposition ، مثل لا إسرائيلي عربي ؛ وجزئية موجبة Particular - Affirmative الحكم فيها باتصال بعض أفراد الموضوع بأفراد المحمول ، ورمزها ج . م أو I ، وتسمَّى I - Proposition ، مثل بعض العرب مصريون ، وجزئية سالبة Particular - Negative الحكم فيها بانفصال بعض أفراد الموضوع عن كل أفراد المحمول ، ورمزها ج . س أو O ، وتسمَّى O - Proposition ، مثل بعض العرب ليسوا مصريين . **والرموز A, I, E, O التي ترمز لكيف وكم القضايا مأخوذة من الحرفين المتحركين الأولين في لفظي Affirmo Nego** .

١٦ ـ سور القضية **Quantifier**

هي اللفظ أو الألفاظ التي تحدد نوع القضية من حيث الكمّ والكيف . وسور القضية الكلية ـ الموجبة ألفاظ مثل كل وجميع وكافة وعامة ، وسور الكلية السالبة ألفاظ من نوع ولا واحد من ، وكل . . . ليس ، وسور الجزئية الموجبة ألفاظ مثل بعض وقليل من ، وسور الجزئية السالبة من نوع ليس بعض وليس كل .

١٧ ـ القضية المهملة **Indefinite Proposition**

هي القضية التي لا سور لها ، مثل الإنسان فان ، وبعض هذه القضايا قوانين علمية ، مثل المعادن تتمدد بالحرارة .

١٨ ـ القضية اللاّمحدودة Infinite Porposition

هي القضية الموجبة التي محمولها سالب ، مثل أ هي لا ب .

١٩ ـ القضية الشخصية Singular Proposition

موضوعها حد فردي . مثل هذا الرجل مصري ، أو اسم علم مثل محمد عربي .

٢٠ ـ القضية الجمعية Collective Proposition

موضوعها مجموعة أفراد أو فئة غير محددة ، مثل صدق مجلس الأمة على القانون ، وهي قضية جمعية استغراقية ، لأن كل أفراد المجلس قد صادقوا على القانون ، فإذا قلت مجلس الأمة اجتمع ، فإنك تستخدم الاسم الجمعي ككل ولا تنظر فيه إلى الأجزاء ، ولذلك فالقضية هنا شخصية وليست جمعية .

٢١ ـ الاستغراق Distribution

يعني أن الحمل يتعلق بكل الأفراد الذين يدل عليهم الحد ؛ ويعني عدم الاستغراق أن الحمل ينطبق على جزء غير معين من الحد . ويسمَّى الحد الأول حداً مستغرقاً Distributed Term ، ويسمَّى الثاني حداً غير مستغرق Undistributed . وبناء على ذلك فإن القضية الكلية الموجبة تستغرق موضوعها فقط ، بينما تستغرق الكلية السالبة الموضوع والمحمول ، ولا تستغرق الجزئية الموجبة إلاَّ جزءاً من الموضوع والمحمول ، بينما تستغرق الجزئية السالبة المحمول ولا تستغرق الموضوع .

٢٢ ـ الاستدلال Inference

عملية عقلية منطقية ينتقل فيها الفكر من قضية معلومة إلى قضية جديدة مجهولة ، وقد يكون استدلالاً استنتاجياً Deductive Inference أو استنباطاً Deduction ينتقل فيه الفكر من العام إلى الخاص ومن المبدأ إلى النتيجة ؛ وقد يكون استدلالاً استقرائياً - Inductive Inference أو استقراء Induction ينتقل فيه الفكر من الخاص إلى العام ، ومن الواقع إلى القانون ؛ كما قد يكون استدلالاً رياضياً Mathematical Inference يبدأ من الواقع لا من حيث مادته وإنَّما من حيث مقاديره ومقاييسه .

٢٣ ـ الاستنباط Deduction

يسمَّى الاستنباط من مقدمة واحدة استدلالاً مباشراً Im-mediate Inference ومن مقدمتيه استدلالاً قياسياً أو قياساً Syllogism . ويقوم المنهج الاستنباطي في العلوم الاستنباطية المسماة بالصورية على نسق من التعريفات والفروض المسلَّم بصحتها من البداية ، وننتقل فيها إلى ما يترتَّب عليها من نتائج تسمَّى بالنظريات . ولكل علم صوري فروضه Postulates ونسقاته ، والصدق في العلوم الاستنباطية صدق صوري ، ويعني أن النتائج متفقة مع الفروض ، بينما الصدق في العلوم الاستقرائية أو المادية صدق مادي ، ويعني أن قضايا هذه العلوم تتطابق مع الواقع الخارجي ، ولذلك فليس هناك إلاَّ صدق واحد في العلوم الاستقرائية بينما تتعدد صور الصدق في العلوم الاستنباطية بتعدد نسقاتها الصورية . وتعتمد العلوم الصورية على بعضها من تعريفاتها وبديهياتها وتنتظم لذلك في سلم من التعميم يبدأ بالمنطق بوصفه العلم الذي تستعين كل العلوم الاستنباطية بقواعده ، ويليه الحساب فالهندسة فعلم الحركة فالميكانيكا فالعلوم الطبيعية ثم الجيولوجيا والفلك والكيمياء والبيولوجيا وعلم النفس وأخيراً علم الاجتماع . ولكل علم منها معرفاته Definables وهي الألفاظ الخاصة به ، وبديهياته Axioms وهي أولياته التي لا تعرف . ولكل علم أن يستعير معرفات وبديهيات العلوم التي تسبقه في سلم التعميم .

٢٤ ـ الاستدلال المباشر Immediate Inference

إمَّا بواسطة المقابلة بين القضايا By Opposition of Propositions ، وإمَّا بواسطة العكس والنقض By Eduction . ويكون التقابل بين قضيتين تشتركان فيا الموضوع والمحمول وتختلفان إمَّا في الكمّ (كلية أو جزئية) وإمَّا في الكيف (موجبة أو سالبة) وإمَّا في الكمّ والكيف

معاً . والقضايا كما نعلم أربع ، وعلى ذلك يكون لدينا أربعة أنواع من التقابل يعبر عنها بمربع يسمَّى مربع التقابل Square of Opposition أو مربع أرسطو ، وهي التناقض Contradiction ، والتضاد Contrariety ، والتداخل Subalternation ، والدخول تحت التضاد Subcontrariety . ويكون التناقض بين القضيتين المختلفتين كمّاً وكيفاً ، أي بين الكلية الموجبة والجزئية السالبة ،وصورته كل ب هي أ، ليس كل ب هي أ ؛ وبين الكلية السالبة والجزئية الموجبة ، وصورته لا واحد من ب هو أ ، بعض ب هو أ . وحكم التناقض عدم صدق القضيتين المتناقضتين معاً وعدم كذبهما معاً ، فإمَّا أن الكلية صادقة فتكذب الجزئية ، وإمَّا أن الجزئية صادقة فتكذب الكلية .

ويكون التضاد بين القضيتين الكليتين المختلفتين في الكيف فقط ، أي بين الكلية الموجبة والكلية السالبة ، وصورته كل ب هو أ ، لا واحد من ب هو أ ، وحكمه أن القضيتين المتضادتين لا تصدقان معاً ، ولكنهما قد تكذبان معاً ، فإذا صدقت الكلية الموجبة كذبت الكلية السالبة ، وبالعكس . أما إذا كذبت الكلية الموجبة فإن الكلية السالبة تحتمل الصدق والكذب ، وبالعكس .

ويكون التداخل بين القضيتين المتماثلتين في الكيف والمختلفتين في الكمّ ، أي بين الكلية الموجبة والجزئية الموجبة ، وصورته كل ب هو أ ، بعض ب هو أ ؛ أو بين الكلية السالبة والجزئية السالبة ، وصورته لا ب هي أ ، ليس كل ب هو أ . وإذا صدقت الكلية المتداخلة Sub-alternant Universal صدقت الجزئية المتداخلة فيها Subalternate Particular لأن ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء . وإذا صدقت الجزئية تحتمل الكلية المتداخلة معها الصدق والكذب . وإذا كذبت الجزئية كذبت الكلية المتداخلة معها . وإذا كذبت الكلية تحتمل الكلية المتداخلة معها الصدق والكذب .

ويكون الدخول تحت التضاد بين القضيتين الجزئيتين المختلفتين في الكيف ، أي بين الجزئية الموجبة والجزئية السالبة ، وصورته بعض ب هو أ ، ليس بعض ب هو أ ، ويعني ذلك أنه إذا كانت إحداهما صادقة فالأخرى كاذبة ، وكذلك فإن صدق إحدى القضيتين يعني أن الأخرى محتملة الصدق والكذب ، فإذا كانت بعض ب هي أ فإن البعض الآخر قد يصدق عليه أنه أ أو لا يصدق عليه لأنه مجهول منا .

٢٥ ـ التكافؤ بين القضايا Equipollence

ترتبط نظرية تقابل القضايا بنظرية تكافئها . وتكون القضايا متكافئة Equipollent إذا كانت لها نفس الحدود ونفس الترتيب ولكن أدوات النفي فيها معكوسة . وطالما أن صدق إحدى القضيتين يعني لذلك صدق الأخرى وبالعكس ، فإن بالإمكان معادلة أي قضية بنفي نقيضها . وعلى ذلك فإن بعض أ ليس ب = كل أ هو ب (بعض المصريين ليسوا مسيحيين = ليس كل المصريين مسيحيون) ، وبالعكس كل أ هو ب = ليس (بعض أ ليس ب) أو بتعبير أصحّ ولا أ ليس ب (كل المصريين مسيحيون = ليس (بعض المصريين ليسوا مسيحيين) ، أي ولا واحد من المصريين ليس مسيحياً .

٢٦ ـ الاستدلال بالعكس والنقض

يكون « الاستدلال المباشر بالتقابل » بين قضايا تشترك في الموضوع والمحمول وتختلف في الكيف والكمّ ، بينما يكون « الاستدلال المباشر بالعكس والنقض » بين قضايا تختلف في الموضوع وحده أو المحمول وحده أو في الموضوع والمحمول معاً ، وله ثمانية أنواع هي العكس المستوي Conversion ونقض العكس المستوي Obverted Conversion ، ونقض المحمول Obversion ، وعكس النقيض المخالف Partial Contraposition وعكس النقيض الموافق Obverted Contraposition ، ونقض الموضوع Partial Inversion ، والنقض التام Full Inversion .

ويكون العكس المستوي بعكس وضع الموضوع والمحمول ، وصورته بعض أ هو ب ، بعض ب هو أ (بعض المصريين مسيحيون ، بعض المسيحيين مصريون) ، وإذا صدقت القضية الأصلية صدقت

القضية العكسية ، ويشترط أن يتبع كيف القضية العكسية كيف القضية الأصلية ، وألاّ يكون في القضية العكسية حد مستغرق دون أن يكون مستغرقاً في القضية الأصلية ، ولكن لا يشترط أن يكون الحد المستغرق في الأصلية مستغرقاً في العكسية . وعلى ذلك فإن الكلية الموجبة تعكس جزئية موجبة ، والكلية السالبة كلية سالبة ، والجزئية الموجبة جزئية موجبة ، والجزئية السالبة لا عكس لها . ويسمّى العكس المستوي في حالتيّ الكلية السالبة والجزئية الموجبة العكس المستوي البسيط Simple .

ونقض العكس المستوي هو تحويل القضية إلى أخرى موضوعها محمول الأصل ومحمولها نقيض موضوع الأصل مع بقاء الصدق والكذب ، وطريقة ذلك بعكس القضية الأصلية عكساً مستوياً أولاً ثم تنقض المعكوسة نقض المحمول ، مثل كل إنسان حيوان ، تعكس بعض الحيوان إنسان ، وينقض محمولها ليس بعض الحيوان غير إنسان . وبنقض العكس المستوي تصبح الكلية الموجبة جزئية سالبة ، والجزئية الموجبة جزئية سالبة ، والكلية السالبة كلية موجبة ، ولا تعكس الجزئية السالبة فلا نقض عكس مستوٍ لها .

ونقض المحمول هو تحويل القضية إلى أخرى تساويها في الصدق موضوعها موضوع الأصل ومحمولها نقيض محمول الأصل ، مثل كل إنسان حيوان ، لا واحد من الإنسان غير حيوان ، وبنقض محمول الكلية الموجبة تصير كلية سالبة ، والجزئية الموجبة تصير جزئية سالبة ، والكلية السالبة كلية موجبة ، والجزئية السالبة جزئية موجبة .

وعكس النقيض المخالف هو تحويل القضية إلى أخرى موضوعها نقيض محمول الأصل ، ومحمولها نقيض موضوع الأصل مع بقاء الصدق دون الكيف ، وذلك بنقض محمول الأصل أولاً ثم نعكس نقض المحمول عكساً مستوياً ، مثل كل إنسان حيوان ، ينقض محمولها إلى لا إنسان غير حيوان ، وتعكس عكساً مستوياً إلى لا شيء من غير الحيوان بإنسان . وعكس النقيض المخالف للكلية الموجبة هو كلية سالبة ، والكلية السالبة جزئية موجبة ، والجزئية السالبة هي جزئية موجبة ، ولا عكس نقيض مخالف للجزئية الموجبة لأن نقيض محمولها جزئية سالبة لا تعكس .

وعكس النقيض الموافق هو تحويل قضية إلى أخرى موضوعها نقيض محمول الأولى ، ومحمولها نقيض موضوع الأولى مع بقاء الصدق والكيف ، مثل لا شيء من غير الحيوان بإنسان ، وهذا هو عكس النقيض المخالف ، فتنقض المحمول فتصير كل غير الحيوان غير إنسان ، وهذا هو عكس النقيض الموافق .

والنقض هو تحويل قضية إلى أخرى موضوعها نقيض موضوع الأصلية ، ومحمولها إمّا محمول الأصلية ، وهذا هو نقض الموضوع ، وإمّا نقيض موضوع الأصلية ، وهذا هو النقض التام . ويتم النقض بطريقتين ، بأن نعكس القضية الأصلية عكساً مستوياً ، ثم ننقض محمول العكس ، ثم نعكس عكساً مستوياً إلى أن نصل إلى قضية موضوعها نقيض موضوع الأصلية ، أو موضوعها ومحمولها نقيضاً موضوع ومحمول الأصلية ، أو أن نصل إلى قضية جزئية سالبة لا تعكس . والطريقة الثانية بنقض محمول الأصلية ثم نعكس عكساً مستوياً ثم ننقض ونعكس حتى نصل إلى نقض الموضوع أو إلى النقض التام ، أو نصل إلى جزئية سالبة لا تعكس فتتوقف العملية .

٢٧ ـ القياس Syllogism

ويسمّى الاستدلال غير المباشر تمييزاً له عن الاستدلال المباشر حيث يستعين غير المباشر بحد ثالث بدونه لا يكون الحكم ، ويعرفه أرسطو بأنه القول الذي نقدم له بمقدمات معينة فيلزم عنها بالضرورة شيء غير تلك المقدمات ، كأن نقول كل إنسان حيوان ، كل عاقل إنسان ، إذن كل عاقل حيوان .

٢٨ ـ شروط القياس

تقتصر عملية الاستدلال القياسي على ثلاث قضايا حملية فقط ، وثلاثة حدود فقط ، فإذا قلت عن ذلك كانت استدلالاً مباشراً ، وإذا زادت كانت قياساً مركباً أو

أي شكل آخر غير قياسي . وبوسعنا أن نضع رموزاً مكان الحدود فيكون القياس السابق كالآتي : كل و هي ك ، كل ص هي و ، ∴ كل ص هي ك . ويربط الحد (و) بين المقدمتين ، وهو في القضية الأولى يسمى موضوعاً Subject ، وفي الثانية يسمَّى محمولاً Predicate . والحد (ص) موضوع القضية الثالثة هو نفسه موضوع القضية الثانية ، والحد (ك) محمولها هو محمول القضية الأولى . والحد (ك) هو أعم هذه الحدود وأشملها ، بمعنى أنه يشير إلى فئة من الماصدقات أكبر من الفئتين اللتين يشير إليهما الحدان الآخران ، ومن ثمَّ يسمَّى الحد الأكبر Major Term . ويشير الحد (و) إلى فئة تتوسط في الاتساع الفئتين الأخريين ، ومن ثم يسمى الحد الأوسط Middle Term . وفئة الحد (ص) هي أقل الفئات اتساعاً في ماصدقاتها ، ولذلك يسمَّى الحد الأصغر Minor Term . وتسمَّى القضية التي تشتمل على الحد الأكبر المقدمة الكبرى Major Premise ، والتي تشتمل على الحد الأصغر المقدمة الصغرى Minor Premise . وتأتي الكبرى قبل الصغرى لأن الكبرى تمثل القانون العام ، وتتلوها الصغرى بوصفها الحقيقة الأقل عمومية ، وبذلك نحكم على الصغرى بما نحكم به على الكبرى . ويربط الحد الأوسط بين الحدين الأكبر والأصغر بعلاقة تلزم عنها القضية الثالثة وتسمَّى النتيجة . والحد الأوسط في المقدمتين بمعنى واحد ، ولكي يقوم بوظيفة الربط بين الحدين الأكبر والأصغر يجب أن يستغرق في إحدى المقدمتين على الأقل ، فإذا استنتجنا نتيجة من مقدمتين ليس الحد الأوسط مستغرقاً في واحدة منهما تنشأ عن ذلك المغالطة المعروفة باسم مغالطة الوسط غير المستغرق Fallacy of Undistributed Middle ولذلك يجب أن لا يستغرق حد في النتيجة ما لم يكن هذا الحد نفسه مستغرقاً في إحدى المقدمتين ، فإذا كان الحد الأكبر ، وهو محمول النتيجة ، هو الذي يستغرق في النتيجة ولا يستغرق في إحدى المقدمتين ، تنشأ عن ذلك المغالطة المعروفة باسم مغالطة التجاوز في الحد الأكبر Illicit Process of The Major . وإذا كان الحد الأصغر ، وهو موضوع النتيجة ، هو الذي يستغرق في النتيجة ولا يستغرق في إحدى المقدمتين ، تنشأ عن ذلك المغالطة المعروفة باسم مغالطة التجاوز في الحد الأصغر Illicit Process of The Minor . ويجب أن تكون إحدى مقدمتي القياس على الأقل موجبة ، لأنه لا إنتاج من مقدمتين سالبتين ، فإذا كانت إحدى المقدمتين سالبة ، وجب أن تكون النتيجة سالبة والعكس صحيح .

٢٩ ـ نتائج شروط القياس

ويترتب على الشروط السابقة عدة نتائج تمثل شروطاً أخرى للقياس ، أولها أنه لا إنتاج من مقدمتين جزئيتين ، وثانياً أنه إذا كانت إحدى المقدمتين جزئية تكون النتيجة أيضاً جزئية ، وثالثاً أنه لا إنتاج من مقدمة كبرى جزئية ومقدمة صغرى سالبة . وتسمى القاعدتان اللتان تشتركان استغراق الحد الأوسط في مقدمة واحدة على الأقل ، وعدم جواز استغراق حد في النتيجة ما لم يكن مستغرقاً المقدمة الموجود فيها ، بقاعدتي الاستغراق أو الكم ، وتسمى القاعدتان اللتان تشتركان عدم جواز الاستنتاج من مقدمتين سالبتين ، ووجوب إيجاب النتيجة إذا كانت إحدى المقدمتين سالبة ، بقاعدتي الكيف ، وتعتمد القواعد والشروط كلها على بعضها البعض وتترتب على مبدأ الاستدلال القياسي الذي يلخصها جميعاً ويسمى مقال الكل واللاشيء Dictum de Omni et Nullo .

٣٠ ـ أشكال القياس Figures of Syllogism

وللقياس أشكال أربعة تبعاً لموضع الحد الأوسط في المقدمتين ، وهو في الشكل الأول موضوع المقدمة الكبرى ومحمول الصغرى ، وفي الثاني المقدمتين ، وفي الثالث موضوع المقدمتين ، وفي الرابع محمول الكبرى وموضوع الصغرى . ولم يقل أرسطو بالشكل الرابع ، غير أن جالينوس هو الذي جعله شكلاً بذاته وأسماه الشكل الرابع ، وعرف من بعده باسم الشكل

الجالينوسي Galenian Figure ، ولم يقبله كثير من المناطقة كشكل مستقل باعتباره هو نفسه الشكل الأول بعد عكس حدي نتيجته .

٣١ ـ ضروب الأشكال
The Moods of The Figures

ولكل شكل من هذه الأشكال الأربعة ضروب تتوقف على اختلاف الكم والكيف في القضايا التي تتألّف منها ، وقد يتحد الكم والكيف في شكلين مختلفين ، وقد يختلفان في الشكل الواحد ، وبعض هذه الضروب منتج ، وبعضها غير منتج . وضروب الشكل الأول المنتجة أربعة ، وضروب الشكل الثاني المنتجة أربعة كذلك ، بينما ضروب الشكل الثالث المنتجة ستة ، وضروب الشكل الرابع المنتجة خمسة . ويشمل الشكل الأول أنواع القضايا الأربع الموجبة الكلية والسالبة الكلية والموجبة الجزئية والسالبة الجزئية . والشكل الأول هو الشكل الوحيد الذي يمكن به البرهنة على نتيجة موجبة كلية ، أي على قانون علمي ، بعكس الشكل الثاني فلأن نتائجه سالبة كانت أهم استعمالاته في النقض أي استبعاد الفروض غير العلمية . وتتراوح نتائج القياس من الشكل الثالث بين الجزئية الموجبة والجزئية السالبة ، ولذلك يستخدم في النقض أيضاً ، فإذا كان المطلوب نقضه حكماً موجباً لجأنا إلى قياس من الشكل الثالث نتيجته سالبة جزئية ، والعكس صحيح . ويسمي أرسطو الشكل الأول القياس الكامل ، لأن مقدمتيه تستلزمان توليد النتيجة من غير حاجة إلى إقامة البرهان على صحتها ، لكن الأشكال الباقية ناقصة بمعنى أن نتائجها تستلزم البرهنة على أنها نتائج تلزم عن المقدمات .

٣٢ ـ رد القياس Reduction of Syllogism

وتكون البرهنة على صحة القياس برده من أحد الأشكال الثلاثة الناقصة إلى قياس من الشكل الأول ، إما بالطريقة المباشرة Direct Reduction ، بعكس إحدى المقدمتين بحيث يجيء الحد الأوسط موضوعاً في المقدمة الكبرى ، أو بالطريقة غير المباشرة Indirect Reduction التي تسمى أحياناً ببرهان الخلف Reducto ad Absurdum ، بواسطة البرهنة بقياس من الشكل الأول على أن بطلان النتيجة في القياس المطلوب رده لا يتفق مع صحة المقدمتين بافتراض أنهما صحيحتان . وقد يحدث اننا بالتحوير في إحدى المقدمتين لا نحصل على صورة تتفق مع قواعد القياس ، وفي هذه الحالة علينا التبديل في وضع المقدمتين بحيث نجعل الصغرى كبرى والكبرى صغرى . وقد يتغير وضع الحدين في النتيجة تبعاً لذلك ، وفي هذه الحالة علينا أن نعكس النتيجة لنعيد الحدين إلى وضعهما الطبيعي .

٣٣ ـ الأسماء اللاتينية للضروب

وضع المناطقة منذ العصور الوسطى للضروب قواعد ردها أسماء لاتينية لا معنى لها ، ولكنها تساعد على الحفظ والتذكر ولذلك أسموها المنشطة للذاكرة Mnemonic Terms :

- Barbara, Celarent, Darii, Ferioque;
- Cesare, Camestres, Festino, Baroco;
- Darapti, Disamis, Datisi, Felaptor, Bocardo, Ferison;
- Baramantip, Camenes, Dimaris, Fesapo, Fresison.

ويمثل كل سطر شكلاً من أشكال القياس الأربعة ، وتمثل الحروف المتحركة الثلاثة الأولى في كل كلمة ضرباً من الضروب المنتجة ، والحروف المتحركة هي A, E, I, O ، ويراعى أن A رمز للقضية الموجبة الكلية ، و I للموجبة الجزئية ، و E للسالبة الكلية ، و O للسالبة الجزئية . وتمثل الحروف الساكنة اوائل الكلمات في السطر الأول ضروب القياس الأربعة من الشكل الأول ، فإذا ورد حرف منها في أول كلمة من كلمات الأسطر التالية فإن ذلك يعني أن الضرب الذي

تمثله الكلمة يرد إلى الضرب الذي تمثله الكلمة من كلمات السطر الأول التي تبدأ بنفس الحرف ، فمثلاً Cesare في السطر الثاني ترد إلى Celarent في السطر الأول ، وحروف Cesare المتحركة الثلاثة الأولى هي E, A, E يعني أن الضرب مقدمته الكبرى سالبة كلية والصغرى موجبة كلية والنتيجة سالبة كلية . ويعني ورود الحرف S في الكلمة اللجوء إلى عملية عكس بسيطة ، فإذا ورد وسط الكلمة يعني أننا سنلجأ إلى عكس المقدمة التي يمثلها الحرف السابق عليه ، وإذا ورد في آخرها يعني أننا سنلجأ إلى عكس النتيجة التي نصل إليها في القياس الجديد عكساً يضع الحدين في وضعهما الأصلي . ويعني الحرف P في وسط الكلمة أن المقدمة التي وصلنا إليها بالرد تعكس بتغيير كمها . ويعني الحرف K أننا سنلجأ إلى نقض المحمول ، والحرف C أن الطريقة التي يجب أن تتبع في الرد هي الطريقة غير المباشرة . أما الحروف n, l, t, r فحروف زائدة ، ولا يكون للحرف d, b أي معنى ما لم يأتيا في أول الكلمة .

٣٤ ـ القياس الضعيف والقياس القوي

يسمى القياس الذي يكتفى فيه بنتيجة جزئية في الوقت الذي يكون لا يسعنا أن نخرج بنتيجة كلية لقياس الضعيف Weakened Syllogism أو المقتر . ويسمى القياس الذي تكون مقدمتاه كليتان ونتيجته جزئية القياس القوي Strengthened Syllogism أو المفرط .

٣٥ ـ القياس الحملي
Categorical Syllogism

لم يعرف أرسطو إلا القياس الحملي ، لكن المتأخرين ميزوا بين الأقيسة الحملية والشرطية ، وقالوا إن الحملية يمكن أن تكون بسيطة Pure بمعنى أن تكون النتيجة متضمنة في المقدمتين بالفعل ، ويمكن أن تكون اقترانية Conjunctive بمعنى أن تكون النتيجة متضمنة في المقدمتين بالقوة وليس بالفعل .

٣٦ ـ القياس الشرطي
Conditional Syllogism

يمكن أن يكون القياس الشرطي مطلقاً Pure بمعنى أن تكون المقدمتان والنتيجة كلها شرطية مطلقة ، أو تكون استثنائية Mixed بمعنى أن تكون إحدى المقدمتين شرطية والأخرى والنتيجة حمليتين . والقياس الشرطي منه القياس الشرطي المتصل المطلق Pure Hypothetical Syllogism من نوع مهما كانت ك صادقة كانت م صادقة ، ومهما كانت م صادقة كانت ق صادقة ، وإذن فمهما كانت ك صادقة كانت م صادقة . ومنه القياس الشرطي النسبي Conditional Syllogism وقضاياه الثلاث شرطية نسبية من نوع كلما كانت أ هي ج كانت د ، وكلما كانت أ هي ب كانت ج ، وإذن كلما كانت أ هي ب كانت د هي ب ومنه القياس الشرطي المتصل الحملي Hypothetico- Categorical Syllogism أو المتصل الاستثنائي ، وله حالتان ، الأولى حالة وضع المقدم Modus Ponens من نوع إذا كانت س هي أ فإن س هي ب ، لكن س هي أ ، إذن س هي ب ، والثانية حالة رفع التالي Modus Tollens من نوع إذا كانت س هي أ فإن س هي ب ، لكن س ليست ب ، إذن س ليست أ . ويقابل القياس الشرطي المتصل الاستثنائي قياس شرطي منفصل استثنائي Disjunctive Syllogism ، والفرق بين القياسين أن المقدمة الكبرى في الأول متصلة وفي الثاني منفصلة . ويترتب على انفصال المقدمة في القياس المنفصل أن النتيجة تكون إما منفصلة وإما حملية ، والمقدمة إما أن تضع وإما أن ترفع جزءاً من أجزاء الانفصال والنتيجة تضع أو ترفع الجزء الآخر ؛ وله حالتان كالقياس المتصل ، الأولى حالة الرفع ، بوضع جزء من أجزاء الانفصال Modus Ponendo Tollens من نوع دائماً إما أن تكون أ هي ب أو ج ، لكن أ هي ب ، إذن ليست ج ، والحالة الثانية حالة الوضع برفع أحد حدود الانفصال Modus Tol - Lendo Ponens من نوع إما أن تكون أ هي ب أو ج ، لكنها ليست ب ، إذن هي ج . ويكون رد القياس

الاستثنائي المفصل إلى الأقيسة الحملية بتحويله أولاً إلى قياس استثنائي متصل ثم تحويله إلى قياس حملي .

٣٧ ـ القياس المضمر ...... Enthymeme

لا يتبع القواعد المعروفة ، ويكون بحذف إحدى المقدمتين أو النتيجة بحيث يفهم الجزء المحذوف ضمناً ، فإذا كانت المقدمة الكبرى هي المحذوفة سمي إضماراً من الدرجة الأولى First Order Enthymeme ، كأن نقول عبد الناصر مصري ، ولذلك فهو عربي ، بدلاً من أن نقول كل المصريين عرب ، وعبد الناصر مصري ، وإذن فهو عربي ، وإذا كانت المقدمة الصغرى هي المحذوفة سمي الإضمار من الدرجة الثانية ، فإذا حذفت النتيجة فقط سمي إضماراً من الدرجة الثالثة .

٣٨ ـ القياس المركب Pollysyllogism

يتألف من عدة أقيسة متسلسلة بحيث تكون نتيجة القياس السابق مقدمة في القياس التالي ، فإذا كانت نتيجته هي مقدمة القياس التالي سمي قياساً سابقاً Prosyllogism ؛ وإذا كانت إحدى مقدمنين نتيجة لقياس سابق عليه سمي قياساً لاحقاً Episyllogism . ويكون القياس المركب متقدماً Progressive حين نتقدم من قياس سابق إلى قياس لاحق ، ويسمى أيضاً قياساً تركيبياً Synthetic . ويكون القياس المركب راجعاً Regressive إذا سرنا من قياس إلى آخر سابق عليه ، ويسمى كذلك قياساً تحليلياً Analytic .

٣٩ ـ القياس المعلل ...... Epicheirema

هو القياس المضمر الذي نأتي فيه بالعلة في المقدمات ، منْ نوع كل ب هي د لأنها ج، وكل أ هي ب ، ∴ كل أ هي د . فإذا ذكرت العلة في مقدمة واحدة سمي القياس معللاً مفرداً Single Epicheirema ، وإذا ذكرت العلة في كلتا المقدمتين سمي قياساً معللاً مضاعفاً Double Epicheirema مثل كل جسم حادث لأنه مركب ، وكل محسوس جسم لأنه ذو أبعاد ثلاثة ، وإذن كل محسوس حادث . وإذا كانت العلة في المقدمة الكبرى سمي قياساً معللاً مفرداً من الدرجة الأولى First Order Single Epicheirema ، وإذا كانت العلة في المقدمة الصغرى سمي قياساً معللاً مفرداً من الدرجة الثانية .

٤٠ ـ القياس المركب المفصول النتائج . Sorites

من كلمة Soros اليونانية بمعنى كومة ، وكانت المدرسة الميغارية تستخدم السوريت في حجاجها ، وأهم حجة سوريت عندهم هي حجة كومة القمح ، فلو وضعت حبة قمح وسألتك هل تصنع الحبة كومة ؟ ستقول كلا . فإذا أضفت حبة في كل مرة فستظل ترفض أنها تصنع كومة ، إلى أن يأتي الوقت الذي تضطر فيه بإضافة حبة أخرى أن تقول إنها صنعت كومة ، فكأنَّ الكومة تصنعها حبة واحدة ، وهي مغالطة مكشوفة . ولكن الاستخدام الحالي للسوريت يختلف عن الاستخدام القديم ، وربما بدأ الاستخدام الحالي في القرن الرابع الميلادي عند فيكتورينوس . ويعني السوريت القياس الذي تحذف منه نتيجة كل قياس سابق ، فإذا كانت كل نتيجة هي المقدمة الصغرى للقياس اللاحق سمي القياس مركباً مفصول النتائج أرسطياً Aristolelian Sorites من نوع كل أ هي ب ، وكل ب هي ج ، وكل ج هي د ، وكل د هي هـ ، ∴ أ هي هـ ، وإذا كانت كل نتيجة هي المقدمة الكبرى للقياس اللاحق سمي القياس مركباً مفصول النتائج جوكلينيا Goclenian Sorites نسبة إلى رودلف جوكلينيوس (١٥٤٧ ـ ١٦٢٨) الأستاذ بجامعة ماربورج ، من نوع كل د هي هـ ، وكل ج هي د ، وكل ب هي ج ، وكل أ هي ب ؛ ∴ كل أ هي هـ . والفارق بين النوعين هو فارق في الترتيب ، حيث بصياغتهما صياغة تامة يتبيّن أن المقدمة الصغرى تأتي أولاً ثم الكبرى في الأرسطي ، والعكس في الجوكليني ، أي إن تركيب المقدمات في الأرسطي تصاعدي وفي الجوكليني تنازلي .

٤١ ـ الإحراج ..... Dilemma

مثل إذا صدقت ق صدقت ك ، وإذا صدقت ل صدقت م ، لكنه إما أن تصدق ك أو تصدق م . ويتركب الإحراج من مقدمتين تشتمل الكبرى على قضيتين شرطيتين معطوفتين ، وتشتمل الصغرىٰ على إثبات للمقدمين Antecedents في المقدمة الأولى ، أو إنكار للتاليين Consequents فيها ، ويكون الاختيار فيه بين بديلين كلاهما مكروه ، ولذلك يقولون عن الشخص المتوسط فيه إنه على قرني الإحراج On The Horns Of The Dilemma . ويكون الإحراج مثبتاً Constructive إذا كانت المقدمة الصغرىٰ مثبتة للمقدمين في المقدمة الكبرى ، ونافياً Destructive إذا كانت المقدمة الصغرىٰ نافية للتاليين في المقدمة الكبرى . وينقسم الإحراج المثبت إلى بسيط Simple Constructive Dilemma إذا كان التاليان في المقدمة الكبرى غير مختلفين ، ومركب Complex Constructive Dilemma إذا كان التاليان في المقدمة الكبرى مختلفين . ويضرب المثل على الإحراج بشرط بروتاغوراس الذي وافق عليه تلميذه أواثلس ، وكان بروتاغوراس قد درّبه على المحاماة واشترطَ عليه أن يدفع له أجره من أجرة أول قضية يكسبها ، ولاحظ بروتاغوراس أن تلميذه يماطل في التمرين ويرفض أن يترافع في القضايا ليتهرب من الدفع ، فرفع بروتاغوراس عليه قضية ، وقال للقاضي : إذا خسر أواثلس القضية فعليه أن يدفع بناء على حكم المحكمة ، وإذا كسبها فعليه أن يدفع بناء على الاتفاق ، ولكنه إما أن يخسر القضية وإمَّا أن يكسبها ، وسواء كسبها أو خسرها يجب أن يدفع !! ولكن أواثلس ردَّ عليه : إذا كسبت القضية يجب ألاَّ أدفع بناء على حكم المحكمة ، وإذا خسرتها يجب ألاَّ أدفع بناء على الاتفاق ، وسواء كسبتها أو خسرتها يجب ألاَّ أدفع !!

ويكون رد هذا النوع من القياس إمَّا ببيان المغالطة في افتراض أن البديلين هما الحالتان الوحيدتان المحتملتان ، وأن الخصم يغالط في ادعاء أنه لا مخرج منهما ، ويسمى الرد خروجاً من قرني الإحراج Escaping Between The Horns Of The Dilemma ، وإمَّا برد الإحراج بإحراج مثله له نتيجة تتناقض مع نتيجة القياس الأول كما فعل أواثلس ، ويسمى الرد دفع الإحراج Rebutting The Dilemma ، وإمَّا بالتسليم بالمقدمات دون النتائج ويسمى بإمساك الإحراج من قرنيه Taking The Dilemma By The Horns .

٤٢ ـ قياس التنافر .... Antisyllogism

يتألف من ثلاث قضايا ، يعني صدق اثنتين منها كذب الثالثة ، وهو من ابتكار السيدة كرستين لادفرانكلين ، وصورته إذا صدقت (ق) و (ل) كذبت (س) ، وإذا صدقت (ق) ، و (م) كذبت (ك) ، وإذا صدقت (ك) و (م) كذبت (ق) .

٤٣ ـ منطق الجهة .... Modal Logic

الموجهات من الناحية اللغوية ألفاظ تضاف إلى العبارة المنطقية فتغير معناها بالتغيير إمَّا في طبيعة الموضوع أو الرابطة أو المحمول ، فعبارة « محمد مات » قد نقول « محمد النبي مات » وتكون النبي هي الجهة التي أثرت على الموضوع ، وقد نقول « محمد قد مات » ، وتكون قد هي الجهة التي أثرت على الرابطة ، وقد نقول « محمد مات طبيعياً » وتكون طبيعياً هي الجهة التي أثّرت على المحمول . وتنقسم القضايا بحسب أرسطو من ناحية الوجهات Modalities إلى ضرورية أو واجبة أو حتمية Necessary ، ومحتملة Contingent ، وممتنعة أو مستحيلة Impossible ، وممكنة Possible . والضرورية هي التي تعبر عمَّا لا يمكن أن يكون بخلاف ما هو كائن أو الذي نفيه مستحيل ، مثل من الضروري أن يكون محمد إنساناً . والمحتملة هي التي تعبّر عمَّا هو لاضروري ولامستحيل ، مثل من المحتمل أن يكون هذا الرجل مصرياً . والممكنة هي التي تعبّر عمَّا هو ليس بضروري . وقد يكون الإمكان باعتبار ما كان ، والممكنة بهذا المعنى تعبّر عمَّا حدث في الماضي وكان

يمكن أن لا يحدث ، مثل كان من الممكن أن يكون هذا الولد بنتاً . وقد يكون الإمكان باعتبار ما سيكون ، والممكنة بهذا المعنى تعبّر عمّا لم يحدث بعد ولكن من الممكن أن يحدث يوماً ما ، مثل من الممكن أن يكون ابني طبيباً . والممتنعة هي التي تعبّر عمّا لا يمكن أن يكون أبداً ، مثل من المستحيل أن يكون هذا الرجل ذئباً .

ويقوم هذا التقسيم للموجهات على نظرة موضوعية مادية لا شأن لها بالعلاقات الصورية للقضية ، غير أن هناك تقسيم كنط الذي يقوم على نظرة ذاتية حيث تنقسم القضايا من ناحية الجهة إلى ضرورية ، مثل من الضروري أن أ هي ب ، وواقعية أو تقريرية مثل الواقع أن أ هي ب ، واحتمالية مثل من المحتمل أن تكون أ هي ب . ويتوقف التقسيم الذاتي على اعتقاد الشخص الذي يقول الحكم ، فالضروري هو ما يظهر أنه ضروري له وليس لكل الناس ، بينما يقوم التقسيم الموضوعي على طبيعة العلاقة بين الموضوع والمحمول ، والضروري فيه هو ما لا يتغير من هذه العلاقة أبداً في كل الظروف والأزمان . وواضح أن الأحكام في التقسيم الموضوعي تعبر عن صدق كلي وليس عن صدق ذاتي ، وميدان المنطق الصوري هو الصدق الكلي وليس الذاتي ، وبناء عليه تكون القضية الضرورية هي التي تعبر عن قانون عام ، والممكنة هي التي تعبر عمّا يمكن أن يقع ولا يوجد ما يمنع وقوعه ، والتقريرية هي التي تقرر الحقيقة والمعرفة التي تتحصل بها مباشرة ، بخلاف الضرورية التي تعبر عن قانون وتقوم على الاستدلال ، وعلى ذلك فالقضايا الشرطية المتصلة ضرورية وممكنة ، والقضايا الحملية تقريرية باستثناء القضية الكلية الموجبة التي تعبّر عن قانون عام .

٤٤ ـ منطق الإلزام الخلقي Deontic Logic

لا يختص بالناحية المادية للإلزام الخلقي فهذا مجاله علم الأخلاق ، لكنه يختصّ بناحيته الصورية ، أي ناحية الجهة Modality التي تؤثّر في العبارة فتجعلها عبارة تعني إلزاماً خلقياً . ومن الواضح أن منطق الإلزام الخلقي يرتبط بمنطق الجهة Modal Logic ، فالمعروف في منطق الجهة أن الضروري ممكن ، والمستحيل ممتنع بالضرورة وبالعكس ، وأن ما يقضي به الشيء الضروري هو نفسه ضروري ، وبالمثل فإن الملزم Obligatory مباح Permissable ، والممنوع Forbidden (غير المباح) يلزمنا بعدم إتيانه وبالعكس ، وما يلزمنا ملزم . ومن ناحية أخرى فبينما نجد أن الضروري هو ما هو كائن فعلاً ، وأن ما هو كائن فعلاً هو الممكن ، فإننا لا نجد أن الملزم هو ما يفعل فعلاً ، ولا نجد أن ما يفعل فعلاً هو المباح ، ولكن كان ينبغي أن يكون الملزم هو ما يفعل . ونحن في منطق الجهة نقول « من الضروري أن . . » و « من الممكن أن . . . » ، لكننا في منطق الإلزام الخلقي نقول « من الواجب أن . . » و « من المباح أن . . » .

ويقوم منطق الإلزام الخلقي على مبادىء أن ما ينبغي فعله أستطيعه ، أي أن الملزم ممكن ، وأن ما لا يمكن فعله دون أن يترتب عليه خطأ من الخطأ فعله ، والعكس صحيح ، بمعنى أن ما يكون فعله خطأ لا يمكن فعله دون أن نقع في الخطأ الذي هو فعل الخطأ . ويفسّر البعض عبارة « من الملزم أن نفعل أ » بأنها « إذا لم تفعل أ فإن جزاء أو عقاباً من نوع ما سيحل بنا » . ويفسر البعض « إذا كانت أ ملزمة فإن أ » بأنها لا تعني « إذا كان إغلاق النافذة ملزماً فإن إغلاق النافذة » ، بل تعني « إذا كان عمل من نوع أ ملزماً فإن عملاً كهذا يتوجب عمله » ، بمعنى أن رموز الإلزام لا ترتبط بالعبارة الملزمة لكنها ترتبط بالفعل الملزم . لكن الأفعال منها ما نحن مطالبون به Claims ، ومنها ما هو ملزم Obligations ، ويختص منطق الإلزام بالأفعال الملزمة ، ومنطق المتطلبات Logic of Requirements بالأفعال المطلوبة ، والأولى إلزامها حقيقي Actual ، والثانية إلزامها ظاهري Prima - Facie ، فإذا كانت العبارة أ تعبّر عن موقف يتطلب الفعل ب ، فإننا نصوغ ذلك

بمنطق المتطلّب فلا نقول « من اللازم ب » بل نقول « إن أ تتطلب ب » .

٤٥ الاستقراء ...... Induction

هو الانتقال من الخاص إلى العام ، ومن النتائج إلى مبادئها ، ومن الظواهر إلى قوانينها ، وينقسم إلى نوعين ، الأول الاستقراء التام Elaborate or Complete Induction أو الصوري Epagoge ، مثل قولنا النباتات والحيوانات كائنات نامية ، والنباتات والحيوانات هي كل الكائنات الحية ، إذن كل كائن حي نام . ويقوم الاستقراء التام على تعداد جميع الأمثلة الجزئية التي تشترك في صفات خاصة ، ثم يلخصها في قوانين عامة . ويكثر استخدام هذا النوع من الاستقراء في العلوم الاحيائية والإحصائية . والنوع الثاني هو الاستقراء الناقص Incomplete or Imperfect Induction أو التوسعي Amplicative Induction أو التعميمي ، لأنه يوسع المجال الذي تصدّق فيه فكرة ما ، مثل الذهب والفضة والحديد والنحاس موصلات للكهرباء ، والذهب والفضة والنحاس والحديد معادن ، إذن المعدن موصل للكهرباء . ويقوم الاستقراء الناقص على ملاحظة الظواهر وإجراء التجارب على بعض الأمثلة واستخلاص القوانين وتعميمها على الظواهر والحالات المماثلة . وهذا النوع الثاني هو الاستقراء العلمي ، ويسميه ابن سينا لذلك الاستقراء المشهور ، ومنه نوع أولي ساذج نستخدمه في حياتنا اليومية بملاحظة بعض الأمثلة والتعجيل بالتعميم عليها ، بعكس الاستقراء العلمي الخالص الذي يقتصر على المجالات العلمية .

٤٦ ـ الأغاليط Fallacies

وظيفة المنطق هي تمييز الحق من الباطل واليقين من الخطأ ، وينقسم الخطأ من الناحية النفسية إلى خطأ غير مقصود ويسمى غلطاً Paralogism ، وخطأ مقصود للتمويه على الخصم ويسمّى أغلوطة . والأغاليط حجج تبدو صحيحة لكنها في الواقع فاسدة ، وقد يبدو لذلك أن دراستها لا جدوى منها ، لكن الواقع أن الحق يرتبط بالباطل ارتباط الضدين من الناحية الفكرية والوجودية ، والعلم بالحق يستلزم العلم بما يفسده . والأغاليط كثيرة حاول القدماء أن يحصروها في الأنواع الآتية : ١ ـ أغلوطة النبرة Accentus بإبراز بعض الألفاظ أو العبارات في النطق بطريقة تجعلها تبدو صادقة أو كاذبة . ٢ ـ إثبات التالي Affirmation of The Consequent باستخلاص صدق المقدم من صدق قضية شرطية متصلة وتالٍ صادق . ٣ ـ الالتباس Ambiguity باستخدام ألفاظ لها مدلولات مختلفة واللعب على هذا الاختلاف . ٤ ـ الاشتباه Amphiboly باستخدام ألفاظ يشتبه في التباسها . ٥ ـ حجة العصا Argumentum Ad Baculum . ٦ ـ الحجة الشخصية Argumentum Ad Hominem بتجريح الخصم شخصياً بدلاً من مناقشته فيما يدعي . ٧ ـ دليل الجهل أو الادعاء بأن القضية صادقة طالما أنه لم يثبت أنها كاذبة أو بالعكس Argumentum Ad Ignorantiam . ٨ ـ الحجة المؤثرة Argumentum Ad Misericordiam كأن نستدر العطف على المتهم بدلاً من أن نسوق الأدلة على براءته . ٩ ـ الاحتجاج بالقول الشائع Argumentum Ad Populum . ١٠ ـ الاستشهاد بأقوال في غير مجالاتها Argumentum Ad Verecundiam . ١١ ـ البرهان الدائري Circular Reasoning بإيراد النتيجة في المقدمة ثم استخلاصها من جديد من هذه المقدمة . ١٢ ـ حجة التركيب Composition بادعاء أن الكل يتصف بإحدى الصفات لا لسبب سوى أن الأجزاء تتّصف بها . ١٣ ـ مغالطة نفي المقدم Denial of The Antecedent باستنتاج كذب التالي من صدق قضية شرطية متصلة وكذب مقدمها ـ ١٤ ـ التقسيم Division بادّعاء أن الأجزاء تتّصف بصفة لا لسبب سوى أن الكل يتصف بها . ١٥ ـ مغالطة الاشتراك Equivocation باستخدام نفس الحد في مقدمة بمعنى ، وفي مقدمة أخرى أو في النتيجة بمعنى آخر . ١٦ ـ تجاهل المطلوب Ignoration

Elenchi بتجاهل المطلوب إثباته وإثبات شيء آخر وادعاء أنه قد أجاب على المطلوب . ١٧ ـ التجاوز في الحد Illicit Process باستغراقه في النتيجة وعدم استغراقه في المقدمتين . ١٨ ـ جميع المسائل في مسألة Many Questions بطلب إجابة بسيطة عن سؤال معقد . ١٩ ـ رفض قضية بسبب كذب قضية أخرى تبدو كما لو كانت نتيجة عن الأولى ولكنها ليست كذلك Non Causa Pro Causa . ٢٠ ـ استخلاص نتيجة ليست هي النتيجة الضرورية من المقدمات Non Sequitur . ٢١ ـ المصادرة على المطلوب الأول Petitio Principii بافتراض صحة ما يُراد البرهنة عليه كي يبرهن عليه . ٢٢ ـ بعقبه إذن بسببه Post Hoc, Ergo Propter Hoc بافتراض أن حدثاً يكون معلولاً لآخر لا لسبب إلاّ لأنه يتلوه . ٢٣ ـ مغالطة الوسط غير المستغرق Undistributed Middle وهو قياس فاسد فيه الحد الأوسط غير مستغرق في إحدى المقدمتين على الأقل .

٤٧ ـ المنطق الحديث Modern Logic

يعرف باسم المنطق الرمزي Symbolic Logic أو الرياضي Mathematical Logic أو الاستدلالي Deductive Logic أو النظري Theoretical Logic أو جبر المنطق Algebra of Logic أو المنطق اللوغاريتمي Logarithmic Logic أو اللوجسطيقا Logistics ، ويتوقف الاسم على الهدف من التسمية ، وعموماً فهو منطق صوري لكنه أوسع منه بكثير ويعتبر تحولاً وثورة عليه . ويرجع ظهوره إلى ليبنتز أولاً ، ثم أرسىٰ قواعده جورج بول وشرويدر ، وطوّره فريجه وبيانو وهوايتهد ورسل وهيلبرت وفيتنجشتاين وكارناب وغيرهم . وجاءت تسميته السابقة نتيجة لاستخدامه الرموز التي استخدمها أرسطو للتعبير عن البراهين ودراسة قواعد وسمات صورها ، ولكن بشكل أشمل تعداها إلى ما يسميه بالمتغيرات ، ولتطبيق الرياضيات العليا .

٤٨ ـ منطق الجمل المفيدة Sentential Logic

هو أهم فروع المنطق الحديث ، ويعالج الحجج التي تتألف منها القضايا ، وتسمّىٰ قضايا المنطق الحديث جملاً مفيدة Sentences ، والمقصود بها الجمل المفيدة التامة بعكس الجمل الناقصة غير المفيدة Phrases . وتعتبر القضية صادقة إذا كانت جملتها المفيدة صادقة ، والعكس صحيح ، وتوصف بواحدة من قيمتيّ الصدق Two Truth - Values ، الصدق أو الكذب ، ولكنها لا توصف بالقيمتين معاً ، ويسمّىٰ المنطق الذي يدرس الجمل المفيدة من هذا النوع باسم المنطق ذي القيمتين Two - Valued Logic . والجمل المفيدة إمّا بسيطة Simple أو مركبة Compound . وتتكوّن الجملة المفيدة المركبة من عدة جمل مفيدة بسيطة ، ولكن الجملة المفيدة البسيطة لا تتحلّل إلى ما هو أبسط منها ، فمثلاً « مصر جمهورية » جملة بسيطة ، لكن « مصر جمهورية والسعودية ملكية » جملة مفيدة مركبة من جملتين مفيدتين بسيطتين تربط بينهما أداة الربط « و » . وتسمّى أدوات ربط Connectives الجمل المركبة ، عوامل إجراء Operators ، وأشهرها « و and » و « أو Or » و « ليس Not » و « إذا . . إذن If.. Then » و « إذا كان وفقط إذا كان If and If Only » ، وتدخل كل منها على الجمل البسيطة فتجعلها مركبة ، كدالات صدق Truth Functions للجمل البسيطة المكوّنة للجمل المركبة ، بمعنىٰ أن قيمة صدق الجملة المركبة هي دالّة قيم صدق الجملة المركبة وليست دالة محتوىٰ هذه الجملة أو دالة سياقها أو أي شيء آخر ، فمثلاً « مصر جمهورية والسعودية ملكية » هي دالة صدق للجملتين « مصر جمهورية » و « السعودية ملكية » ، وهي صادقة إذا كانت الجملتان اللتان تتألف منهما صادقتين ، لكن جملة « من رأي أحمد أن الفقر يرقق الشعور » ليست دالة صدق لجملة « الفقر يرقق الشعور » ، طالما أن قيمة صدقها لا تحدده قيمة صدق « الفقر يرقق الشعور » . وبإيجاز فإن منطق الجمل يدرس الجمل التي لها قيمتا صدق ، ويدرس

روابطها التي تجعل منها جملاً مركبة ، والتي تجعلها دالات صدق للجمل البسيطة التي تتألف منها ، ولذلك يسمَّى هذا المنطق باسم نظرية دالات الصدق Theory of Truth - Functions .

ويمكن الاستعاضة عن الجمل البسيطة بحروف من الأبجدية ، كما يمكن أن نرمز لقيمة الصدق بالرمزين ص للصدق وك للكذب، وللروابط « و » بالرمز & ، و « أو » بالرمز V ، و « ليس » بالرمز ┐ ، و « إذا . . إذن » بالرمز ⟵ ، و « إذا كان وفقط إذا كان » بالرمز ⟷، ويسمى الفرع الذي يدرس استخدام هذه الروابط والرموز بالحساب التحليلي للجمل المفيدة Sentential Calculus ، وعلى ذلك يمكن إعادة كتابة القضية المركبة السابقة هكذا : ق & ل ، وهي قضية ص إذا كانت كل من ق ول صادقة . ولكل قضيتين بسيطتين أربعة مركبات محتملة من قيم الصدق : ١ ـ ق تكون ص ، ول تكون ص ، ٢ ـ ق تكون ص ، ول تكون ك ، ٣ ـ ق تكون ك ، ول تكون ص ، ٤ ـ ق تكون ك ، ول تكون ك . وبذلك فإن ق & ل تكون ص في ١ وك في كل الأرقام . ويمكن التعبير عمَّا سبق بواسطة ما يسمَّى بقوائم الصدق Truth Tables أو مصفوفات الصدق Truth Matrices كالآتي :

ق	ل	ق & ل
ص	ص	ص
ص	ك	ك
ك	ص	ك
ك	ك	ك

وتسمَّى « ┐ ق » سلب Negation ق ، ونعني به « إنه من الكذب أن نقول إن ق » ، وتسمَّى الجملتان اللتان تكون إحداهما سلباً للأخرى بالمتناقضتين ، ويعني سلب الجملة أنها كاذبة ، فإذا كانت كاذبة كان سلبها صادقاً ، والعكس صحيح ، ونعبر عن ذلك بقائمة الصدق التالية :

ق	┐ ق
ص	ك
ك	ص

وتسمَّى أداة الربط « و » أداة عطف أو وصل Conjunction ، ويسمَّى عطفها حاصل الضرب المنطقي Logical Product ، وتسمَّى الجمل البسيطة التي ترتبط بها عناصر العطف أو عوامل حاصل الضرب المنطقي . وتسمَّى أداة الربط « أو » أداة فصل Disjunction ، ويسمَّى فصلها حاصل الجمع المنطقي Logical Sum، ولها معنيان أحدهما تضمني Inclusive والآخر استبعادي Exclusive ، وعلى ذلك فالقضية ق V ل ، وتقرأ ق أو ل ، تكون بالمعنى التضمني صادقة إذا كانت ق صادقة أو ل صادقة أو كلاهما صادقة ؛ وتكون كاذبة إذا كانت كل من ق ول كاذبة ، مثل « يرجىٰ من المترددين من العملاء أو الموظفين الالتزام بالهدوء » ، فواضح أن « أو » لا تعني التخيير وإنَّما تتضمَّن المترددين العملاء والموظفين معاً . أما « أو » بالمعنى الاستبعادي أو التخييري فتعني أنه إذا كانت ق أو ل كاذبة كانت الأخرى صادقة والعكس صحيح ، مثل « اليوم نذهب إلى السينما أو نستريح في البيت » . وعلى أي حال فإن « أو » التضمنية هي المستخدمة في المنطق ، وإليك قائمة صدق أو بالمعنيين :

ق	ل	ق V ل التضمنية	ق V ل الاستبعادية
ص	ص	ص	ك
ص	ك	ص	ص
ك	ص	ص	ص
ك	ك	ك	ك

وتقوم الصعوبة في استخدام أداة الربط ⟵ في القضية ق ⟵ ل ، وتقرأ « إذا ق إذن ل » ، وتسمَّى الجملة شرطية . وتسمَّى صعوبات استخدامها مفارقات Paradoxes ، وتمثل الفرق بين استخدامها في اللغة

اليومية واستخدامها في المنطق ، فإذا قلنا « إذا تناولت حبة أسبرين يضيع الصداع » فإنك تثبت رابطة علية بين المقدم والتالي ، حيث يتوقف الصدق الواقعي للتالي على الصدق الواقعي للمقدم ، وتسمَّى الجملة شرطية بالمعنى العادي . وتسمَّى الجمل من هذا النوع بجمل اللزوم الصوري Formal Implication لأنها تشترط وجود علاقة صورية محددة بين المقدم والتالي لكي تكون الجملة صادقة ولها معنى . أما القضية الشرطية المنطقية ق ← ل فلا تشترط وجود علاقة محددة لكي تكون القضية ذات معنى ، وترتب الصدق أو الكذب على صدق أوكذب المقدم والتالي ، ولذلك تسمَّى القضايا الشرطية المنطقية من هذا النوع بقضايا اللزوم المادي Material Implication . وإليك قائمة صدق النوعين :

ق	ل	ق ← ل المنطقية	ق ← العادية
ص	ص	ص	ص
ص	ك	ك	ك
ك	ص	ص	-
ك	ك	ص	-

وتسمَّى أداة الربط « إذا كانت وفقط إذا كانت » شرطية مزدوجة Biconditional ، بمعنى أنها تربط بين ق و ل وبين ل وق هكذا : ق ↔ ل ، أي ق ← ل ول ← ق ، وقائمة صدقها كالآتي :

ق	ل	ق ↔ ل	ق ← ل	ل ← ق	(ق ← ل) & (ل ← ق)
ص	ص	ص	ص	ص	ص
ص	ك	ك	ك	ص	ك
ك	ص	ك	ص	ك	ك
ك	ك	ص	ص	ص	ص

وتستخدم جمل اللزوم في الرياضيات ، ويسمَّى مقدمها بالفرض وتاليها بالنتيجة Conclusion ، بشرط أن تلزم النتيجة من الفرض وتتلوه . وللروابط رموز متعددة الأشكال كالآتي :

		هوايتهد ورسل	هيلبرت
السلب	┌ ق	قَ	$\overline{\text{ق}}$
العطف	ق & ل	ق ل	ق & ل
الفصل	ق V ل	ق V ل	ق V ل
الشرط	ق ← ل	ق ⊂ ل	ق ← ل
الشرط المزدوج	ق ↔ ل	ق ≡ ل	ق ∼ ل

وتسمَّى الجمل المفيدة المركبة التي لدالات صدقها قيمة صدق ص مهما كانت قيمة صدق الجمل المفيدة البسيطة التي تتألف منها تحصيلات حاصل Tautologies ، وهي صادقة مهما كانت أحوالها . وتسمَّى الجمل المركبة التي لدالات صدقها قيمة صدق ك دائماً متناقضات . أما التي تتفاوت قيمة صدق دالاتها بين ص وك فتسمَّى الجائزة Contingent . والمثل على تحصيلات الحاصل « ق ┌ ل » (قانون الوسط المرفوع Law of Excluded Middle) ، و« ┌ (ق & ┌ ق) » (قانون التناقض Law of Contradiction) ، و« ق ← (ق V ل) » (قانون الإضافة Law of Addition) . وهذه قائمة بأهم تحصيلات الحاصل والأسماء التي تحملها كمبادىء منطقية :

١ - (ق & (ق ← ل)) ← ل

قانون العزل Law of Detachment .

٢ - (┌ ل & (ق ← ل)) ← ┌ ل

حالة الرفع بالرفع Modus Tollendo Tollens .

٣ - ((ق ← ل) & (ل ← ع)) (ق ← ع)

قانون القياس الشرطي المتصل Law of Hypothetical Syllogism .

٤ - (ق ← (ل & ┌ ل)) ← ┌ ق

قانون الخلف Law of Absurdity .

٥ - ق ↔ ┌ ┌ ق

قانون السلب Law of Negation .

٦ - (ق ← ل) ↔ (┌ ل ← ┌ ق)

قانون عكس النقيض Law of Contraposition .

٧ - ¬ (ق & ل) ↔ (¬ ق V ¬ ل)

¬ (ق V ل) ↔ (¬ ق & ¬ ل)

قانونا دي مورجان

وتكون صورة الحجة المنطقية القضوية صحيحة إذا كانت وإذا كانت فقط الجملة الشرطية المناظرة لها التي تتكون من عطف مقدمتيها كمقدم ونتيجتها كتالٍ تحصيل حاصل .

ق V ل

¬ ق

∴ ل

والشرطية المناظرة لها :

(ق V ل) & ¬ ق) ← ل .

٤٩ ـ المنطق الحملي من الطراز الأول

First Order Predicate Logic

ويسمَّى المنطق الأولي Elementary Logic ، ويعالج الحجج التي تقع خارج نطاق منطق الجمل ، أي الجمل التي ليست بسيطة ولا مركبة ، مثل كل الناس مائتون ، وكل الإغريق ناس ، وإذن كل الإغريق مائتون . وهي حجة تتكون ، من وجهة نظر منطق الجمل أو القضايا ، من ثلاث جمل متميزة بسيطة ، صورتها : ق ؛ ل ؛ ∴ ع . والشرطية التي تناظرها هي : « (ق & ل) ← ع » ، وواضح أنها ليست تحصيل حاصل لأنه بتوزيع قيم الصدق على عناصرها فإن ق تكون ص ، ول تكون ص ، وع تكون ك ، أي أنها كاذبة ، ومع ذلك فإنها حجة صحيحة تماماً ، والسبب أن صحة الحجة هنا لم تحددها الطريقة التي تترابط بها الجمل البسيطة فقط ، لكن صحتها تعتمد كذلك على التركيب الداخلي لهذه الجمل ، أي على الطريقة التي تتكرر بها نفس الحدود في الجمل المختلفة من الحجة ، وتعتمد أكثر من ذلك على ما يسمَّى بالأسوار Quantifiers « كل » و « بعض » وما يرادفهما . ومن ثمَّ كانت الحاجة إلى جهاز منطقي أشمل ليتّسع لهذه الفئة الأكبر من أنواع الحجاج ، ويسد هذه الحاجة المنطق الجملي الذي يقوم على تحليل الصور المنطقية لبعض الجمل البسيطة ، وهو منطق يقوم أساساً على نظرية الصفات المنطقية للأسوار ، والمنطق الحملي من الطراز الأول أهم أجزائه ، ويسمَّى من الطراز الأول لأنه يقصر استخدام « بعض » و « كل » على الأفراد دون الفئات ، والفئة هي مجموعة من الأفراد ذات الخواص المشتركة ، فمثلاً الفئة الإنسان هي مجموع الأفراد المتصفين بصفة الإنسانية ، ويسمَّى هذا الجزء من المنطق الحملي الذي يبحث في فكرة الفئات بنظرية الفئات Theory of Classes .

ويبدأ المنطق الحملي تحليله بأبسط نوع من الجمل وهو الجملة المفردة ، وهي التي تقرر أن صفة معينة يمتلكها موضوع فرد ، أو أن علاقة معينة تقوم بين موضوعين فردين ، مثل « أرسطو خطاء » و « ٣ أكبر من ٢ » و « تقع طنطا بين القاهرة والإسكندرية » . وتسمَّى التعبيرات التي تسمَّى أو تصف أفراداً مثل « أرسطو » و « ٢ » و « طنطا » حدوداً منطقية ، كما تسمَّى التعبيرات التي تصور صفات أو علاقات بين الأفراد ، مثل « خطاء » و « أكبر من » و « تقع بين » محمولات . ويكون المحمول أحادي الحدود One - Place مثل خطاء لأنه يصف حداً واحداً من الجملة وهو أرسطو ، بينما « أكبر من » محمول ثنائي الحدود Two - Place لأنه يربط بين حدين هما ٢ و ٣ ، وتقع بين « ثلاثي الحدود Three - Place لأنه يربط بين ثلاثة حدود هي طنطا والإسكندرية والقاهرة ، وهكذا . ويرمز للمحمولات بحروف كبيرة سوداء من وسط الأبجدية مثل F, G, H ، وتسمى ثوابت حملية Predicate Constants ، بينما يرمز لأسماء الأعلام بحروف صغيرة من أول الأبجدية مثل a, b, c ، وتسمَّى ثوابت فردية Individual Constants ، ومن ثمَّ نعبر عن الجمل الثلاث السابقة كالآتي : Fa (حيث a ترمز لأرسطو و F لخطاء) و Gab و Habc ، حيث F ثابت حملي أحادي ، و G ثابت حملي ثنائي الحدود ، و H ثابت حملي ثلاثي الحدود ، ومن ثمَّ يكون التعبير عن

التركيب الداخلي للجمل البسيطة المفردة في المنطق الحملي بتعبيرات تتكون من ثابت حملي يصف أو يربط س من الحدود . وتسمَّى مثل هذه التعبيرات بالصيغ الذرية Atomic Formulas . ونظراً لأنها صيغ فإنها لا تصدق ولا تكذب ، ولا تكون لها قيم صدق إلاَّ بعد تأويلها ، فإذا استبدلنا F بخطاء و a بأرسطو ، فإن القضية « أرسطو خطاء » تكون صادقة . وقد تكون نفس الصيغة الذرية Fa قضية مفردة كاذبة بتأويل آخر . وما دامت الصيغ الذرية المأولة جملاً بسيطة فإن بالإمكان ربطها كما نفعل في الجمل البسيطة لتكون جملاً مركبة دالية الصدق . وكما أن ق V ل تمثل في المنطق القضوي فصل أي جملتين مفردتين ، فإن Fa V Gb تمثل في المنطق الحملي الفصل بين أي قضيتين مفردتين (لهما ثوابت حملية وثوابت مفردة مختلفة) .

ويتطلب تحليل الجمل غير المفردة ، مثل « كل شيء مادي Everything is Material » و « بعض شيء مادي Something is Material » ، وهي الجمل البسيطة التي لا رابط بينها ولا تحتوي أسماء ولا صفات ، نوعاً آخر من المصطلحات يسمى المتغيرات الفردية Individual Variables ، ورموزها مثل X, Y, Z (س و ص و ق) ، أو بدون رموز أي أن أماكنها خالية . وهي لا تسمي ولا تشير إلى موضوعات معينة ، لكنها كالضمائر تشغل أماكن الحدود التي تؤدّي هذا العمل . وتسمَّى الجمل التي تحتوي على الأقل على متغير فردي واحد جملة مفتوحة ، مثل « س خطاء » أو « ـــ خطاء » . ومن الواضح أن تعبيراً كهذا ليس جملة مفيدة يجوز عليها الصدق والكذب ، لكنها تصبح جملة صادقة أو كاذبة إذا وضعنا بدلاً من س أو المكان الخالي اسماً كأرسطو أو صفة . وليس إحلال الأسماء محل المتغيرات هو الطريقة الوحيدة للحصول على جمل صادقة أو كاذبة من الجمل المفتوحة ، فقد نلجأ إلى السورين « لكل س » و « يوجد س بحيث » ، ويسمَّى الأول السور الكلي Quantifier ، وكثيراً ما نرمز له برمز متغير بين قوسين (س) . ويسمَّى الثاني السور الوجودي Existential Quantifier ، وكثيراً ما نرمز له بالرمز E س . فإذا قدمنا التعبير « س مادي » بالسورين تكون لدينا الجملتان « لكل س ، فإن س مادي » و « يوجد س بحيث أن س مادي » . ومن الواضح أنهما جملتان يجوز عليهما الصدق والكذب ، وهما نفس الجملتين « كل الأشياء مادية » و « بعض الأشياء مادية » ، ومن ثمَّ يجوز أن نرمز لهما بالصورتين (Fx) (X) أو (Fx) (x ∃) ، وهما تحللان تركيبهما الداخلي بحيث يمكن أن نكتب الأول مرة أخرى على هذه الصورة « كل الأشياء مادية » فتوضح الصفة الكلية للسور الأول ، ويمكن أن نكتب الثانية « بعض الأشياء مادية » أو « توجد أشياء مادية » فتوضح الصفة البعضية أو الوجودية للسور الثاني . والجملتان « كل شيء مادي » و « بعض الشيء مادي » نموذجان للجملة العامة General Sentence التي يمكن استخراجها من الجمل المفتوحة بتقديمها بسور أو أكثر ، بينما تسمَّى الجملتان الرمزيتان التعميم الكلي Universal Generalization والتعميم الوجودي Existential Generalization للصيغة المفتوحة (Fx) . وتسمَّى النظرية العامة للأسوار والمفاهيم التي تتعلق بها ، والتي طوَّرها فريجه ، بنظرية كم المحمول Quantification Theory . وتكتب رموز الأسوار بأشكال عدة أهمها ما يأتي :

	هوايتهدورسل	هيلبرت	آخرون
الكلية	(x) F (x)	(x) F (x)	x F(x), ∧x Fx
الوجودية	(∃x) F (x)	(∃ x) F (x)	x F(x), ∨ x Fx

ومن الممكن اعتبار المنطق من الطراز الأول نسقاً استنباطياً طبيعياً ، وبالرغم من أنه لا توجد به بديهيات فإنه يستمد قوته الاستنباطية من قواعد الاستدلال التي يمكن تلخيصها بأن نقول إن صورة الحجة تكون صحيحة في نسق S إذا كانت نتيجتها مشتقة من النسق من مقدماتها ، وتكون الصيغة F مستحدثة من النسق S من مقومات معينة إذا كانت هناك مجموعة من الصيغ

المتعاقبة تكون الصيغة F آخر أفرادها ، وكل فرد منها إما مقدمة أو مستمداً من أفراد أسبق عليه بواسطة قواعد الاستدلال الخاصة بالنسق S . وتسمى العبارة التي يمكن البرهنة عليها على هذا النحو بالعبارة المبرهنة Theorem . وإذا كانت كل مبرهنات النسق S صيغاً صحيحة فإن النسق يوصف بأنه نسق سليم Sound ، وبالمقابل فإنه إذا كانت كل صيغة مبرهنات فإن النسق S يوصف بأنه كامل Complete .

٥٠ ـ حساب الجمل المفيدة Setential Calculus

يوجد نوعان من الأنساق الاستنباطية لمنطق الجمل ، وهما النسق البديهي Axiomatic الذي يستخدم البديهيات وقواعد الاستدلال ، والنسق الطبيعي الذي يستغني عن البديهيات ويقتصر على قواعد الاستدلال . ويرتبط الأول بفريجه ، وطوره هوايتهد ورسل . ويرتبط الثاني بجنتزن وستانسلاف ياسكوفسكي . والبديهيات عبارات أولية واضحة بذاتها لا تحتاج إلى برهنة ، ولكننا نستخدمها في البرهنة على المبرهنات . وتستخدم في البرهنة لغة صورية عبارة عن رموز وقواعد تربط هذه الرموز في حدود وصيغ وعبارات . ويسمى العلم الذي يعالج هذه العلاقات بين الرموز بصرف النظر عن معناها باسم علم دراسة البنية Syntax . ويسمى العلم الذي يعالج العلاقة بين الرموز اللغوية والموضوعات غير اللغوية باسم علم السيمانطيقا Semantics . وتسمى اللغة التي ندرسها بهذه الطريقة باللغة موضوع الدراسة Object Language ويرمز لها بالرمز Ls . وتسمى اللغة التي نشرحها بها اللغة الشارحة أو ما بعد اللغة Metalanguage . ويقال عن اللغة قبل أن نضفي على رموزها معان أنها غير مؤولة Uninterpreted . ويسمى النسق الصوري المكون منها النسق أو الحساب الصوري غير المؤول ، ولكننا بعد أن نعطي معان للرموز والمصطلحات نكون قد أولناها ، فإذا صحت بديهياتها في ضوء التأويل فإن هذا التأويل يصبح نموذجاً Model من النماذج البديهية الخاصة بهذا النسق S . ويسمى استيفاء المبرهنات بواسطة هذه النماذج باسم قانون الاستدلال Law of Deduction أو مبرهنة الاستدلال Deduction Theorem . وتتكون اللغة Ls من الثوابت المنطقية وهي الرموز الرابطة التي يمكن أن ترد جميعها إلى الرابطتين الأوليين ¬ و ← ، ومن المتغيرات أو حروف الجملة ، والصيغ المصاغة جيداً Well- Formed Formulas واختصارها Wf f s . ويقوم النسق الاستنباطي لمنطق الجمل على هذه الحدود الأولية والبديهيات ، وافتراض المصادرات على أساسها كما يقوم صدق أي نظرية من نظريات البناء الاستنباطي على أساس هذه المسلمات الأولية .

ويتطلب النسق الصوري للمنطق الحملي من الدرجة الأولى لغة تتجاوز لغة نسق منطق الجمل نرمز لها بالرمز Lp ، تعتبر اللغة Ls جزءاً منها ، وتقم رموزها الثوابت المنطقية للغة Ls بالإضافة إلى الثوابت غير المنطقية التي تشتمل على الثوابت الحملية والثوابت الفردية والمتغيرات الفردية وحروف الجمل .

ورغم أن حساب الجمل يشكل جزءاً من أهم أجزاء المنطق إلا أنه لا يكفي وحده أساساً لإقامة علوم أخرى وخاصة الرياضيات ، فهناك مفاهيم أخرى لا يختص بها هذا الجزء من المنطق ويختص بها الحساب الحملي ، ولعل مفهوم الهوية أو الذاتية Identity أهمها ، ولذلك يسمى بالحساب الحملي على مبدأ الهوية . وتعني الهوية التساوي كما نقول س في هوية أو تماثل أو تساوي ص . ويعتبر المنطق الحملي الدرجة الأولى طريقة قياسية لصياغة النظريات الرياضية وغيرها صياغة صورية ، وتسمى هذه النظريات المصاغة بهذه الطريقة باسم الأولية .

٥١ ـ منطق العلاقات Logic of Relations

تنقسم القضايا من حيث العلاقة ، وتسمى كذلك الإضافة ، إلى حملية وإضافية Relational ، والأولى هي التي يربط فيها فعل الكينونة بين الموضوع

والمحمول ، مثل « الإنسان مائت » ، ونقصد أن نقول «الإنسان يكون مائتاً Man is Mortal»، والرابطة فيها هي الكينونة وإن لم تكن ظاهرة في اللغة العربية ، لكنها صريحة في اللغات الأوروبية كما في فعل is ، والأحكام التي تعبر عنها القضايا الحملية أحكام تضمن أو استلزام ، بمعنى أن صفة الموت متضمنة في صفة الإنسان . وللقضايا الإضافية روابط تختلف عن رابطة القضايا الحملية ، وتتصل بالمقدار أو بالمسافة أو بالقرابة أو بغير ذلك من العلاقات غير علاقة الاستلزام ، مثل « الهرم أكبر من القلعة » ، أو « بيروت أقرب إلى القاهرة من لندن » أو « الحسن أخ للحسين » ، ولا يوجد مجال في القضايا الإضافية للتحدث عن موضوع ولا عن محمول ، ولكننا نقول بدلاً من ذلك أن لها طرفين أحدهما نسميه المشير ونعني به المضاف ، والآخر نسميه المشار إليه ونعني به المضاف إليه . ويرمز للمضاف بالرمز س أو a ، وللمضاف إليه بالرمز ص أو b ، وللعلاقة بينهما بالرمز ع أو R ، وبذلك تكون الصورة الرمزية للقضية الإضافية كالآتي : س ع ص أو a R b ، ولسلبها ¬ (س ع ص) .

٥٢ ـ النظرية العامة للعلاقات
The General Theory of Relations

تعالج العلاقات في القضايا الإضافية ، وللعلاقة اتجاه سير Sense ، فإذا كان اتجاهها من اليمين إلى اليسار ، أي هكذا ← ، كان رمزها ع ، وإذا كان اتجاهها من اليسار إلى اليمين ، أي هكذا → ، كان رمزها عَ . ويسمى الطرف س الطرف البداية في العلاقة Predecessor ، والطرف ص الطرف النهاية Successor . ونطاق العلاقة Domain هو الفئة التي يكون الطرف البداية أحد أفرادها ، والنطاق العكسي أو المضاد Converse or Counter domain هو الفئة التي يكون الطرف النهاية أحد أفرادها . ومجال العلاقة Field هو مجموع نطاقها ونطاقها العكسي . وتسمى العلاقة التي تربط بين أفراد بعلاقة من الدرجة الأولى First- Order Relation ، والتي تربط بين فئات أو علاقات من الدرجة الأولى بعلاقة من الدرجة الثانية ، والتي تكون بداياتها أفراداً مثلاً ، ونهاياتها فئات بعلاقة مختلطة Mixed Relation . وتسمى العلاقة التي تربط بين فردين بالعلاقة الشاملة Universal Relation ورمزها V ، والتي لا تربط بين أي شيئين بالعلاقة الفارغة Null Relation ورمزها ٨ .

٥٣ ـ الحساب التحليلي للعلاقات
Calculus of Relations

يبحث في القوانين الصورية لاستخراج علاقات من علاقات أخرى ، فعندما تكون العلاقة ع (أو R) متضمنة في العلاقة ر (أو S) ، نقول إن العلاقة بينهما علاقة تضمن ، ورمزها ع ⊃ ر (أو R ⊂ S) ، فإذا تساوت العلاقتان قلنا إنهما في علاقة هوية Identity ، ورمزها ع = ر ؛ وإذا تناقضتا قلنا في علاقة تباين Diversity ، ورمزها ع ≠ ر . وعلاقة الهوية هي علاقة تساو وتطابق بين ع و ر أو بين فردين س و ص ، ويستحيل أن يكون بين الفردين أو العلاقتين علاقة هوية وعلاقة تباين في نفس الوقت ، فلا كانتا متطابقتين ذاتياً لما كانتا متباينتين ، والعكس صحيح .

وتكون العلاقة بين موضوعين علاقة تماثل Symmetric Relation إذا كانت العلاقة بينهما مساوية لمعكوستها Its Converse ، وصورتها س ع ص = ص عَ س ، مثل س شقيق ص فإنها تساوي ص شقيق س . وتكون العلاقة لاتماثلية Asymmetric حين تكون نقيض معكوستها ، مثل س أكبر من ص فإنها نقيض ص أصغر من س ، وصورتها س ع ص ≠ ص عَ س . وتكون العلاقة غير تماثلية Nonsymmetric حيث تكون هي ومعكوستها لا هما بالمتساويتين ولا هما بالمتناقضتين ، وإنما يجوز أن تتماثلا أو لا تتماثلا ، فإذا قلنا إن س يحب ص فإن معكوستها يجوز أن تكون ص يحب س ، ويجوز أيضاً أن لا يكون الأمر بينهما كذلك .

أما علاقة التعدي Transitive Relation فلا بد لها من زوجين من الأطراف بحيث يكون هناك طرف مشترك بين الزوجين ، مثل س أكبر من ص ، ص أكبر من ط ، إذن س أكبر من ط . فإذا قلنا إن س والد ص ، ص والد ط ، فإن س لا يكون والد ط ، فالإضافة والد غير متعدية ، أي لازمة Intransitive ، وتكون الإضافة لا متعدية Nontransitive إذا كانت لدينا القضيتان أ صديق ب ، ب صديق ج ، فإنه يجوز أن تكون النتيجة أن أ صديق ج أو لا تكون .

وتكون العلاقة انعكاسية Reflexive إذا كان س يرتبط بالعلاقة ع مع نفسه ، أو إذا كان أحد أعضاء الفئة يرتبط بعلاقة مع عضو آخر من أعضائها ، وصورتها س ع س ، فإذا لم يكن كذلك قيل إن العلاقة غير منعكسة Nonreflexive .

وقد تكون العلاقات منعكسة وتماثلية ومتعدية في وقت واحد كما في علاقة الهوية ، وتسمى العلاقات من هذا النوع بالمتساويات Equalities أو المتكافئات Equivalences ، فإذا كان الشيء أكبر من أو أصغر من شيء آخر فإن بالإمكان أن نقول إن بينهما علاقة ترتيب .

والعلاقة ع ، مما سبق ، تسمى علاقة واحد بكثير One- Many Relation ، أو بالعلاقة الدالية Func- tional Relation أو بالدالة Function ، وتسمى الأطراف اللاحقة للعلاقة ع ، وهي ص ، بقيم المتغير Argument Values ، كما تسمى الأطراف السابقة للعلاقة ع بقيم الدالة ع Function Values ، وهي س ، بحيث يمكن أن تقول إن الدالة ع تضفي القيمة س على قيمة المتغير ص . ولتوضيح علاقة الواحد بالكثير يمثل من الحياة نقول إن س والد ص ، حيث يمكن أن يكون س والد لآخرين غير ص ، ومعكوسة الإضافة التي من هذا النوع تسمى علاقة الكثير بالواحد Many- One ، كأن نقول إن ص ابن س ، حيث يمكن أن يكون كثيرون غير ص أولاد س . وتسمى العلاقة واحد لواحد One- One أو بدالة مزدوجة ، إذا كانت علاقة تناظر واحد لواحد بين عناصر الفئة س وعناصر الفئة ص ، مثل عناصر الخريطة وعناصر الواقع الذي تصوره تلك الخريطة . وإذا كانت العلاقة بين ثلاثة حدود أو أكثر بدلاً من أن تكون بين حديد فإننا نسميها علاقة ثلاثية Three- Termed أو علاقة متعددة الحدود Many- Termed ، ومن ثم يمكن أيضاً أن نسميها علاقة دالية متعددة الحدود Many- Termed Func- tional Relation وبدلاً من أن نصف الدالة بأنها ذات متغيرين نقول إنها ذات ثلاثة أو اربعة الخ متغيرات .

منهج علمي Scientific Method

المنهج هو الطريق المتبوع ، وهو بالمعنى العلمي مجموعة الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين ، وتتوقف طبيعة هذه الإجراءات وتفاصيلها على الغاية منها ، وتتنوع بتنوع العلوم ، وتختلف في العلم الواحد من عالم إلى عالم ، ومن عصر إلى عصر . وكان منهج أرسطو منطقياً ينزل من الكليات إلى الجزئيات . وفي العصور الوسطى نبه روجر بيكون إلى ضرورة موازنة المنهج المنطقي بمنهج تجريبي . وفي القرن السابع عشر زاد الاهتمام بالمنهج الرياضي ليتوازن مع المنهج التجريبي ، وتطور المنهج التجريبي من خلال فرانسيس بيكون ، كما تطور المنهج المنطقي من خلال ديكارت ، ولكن المنهج العلمي بدأ بدايته الصحيحة من خلال جاليليو ونيوتن ، وليس من خلال بيكون وديكارت ، وذلك لأن جاليليو ونيوتن تناولا مسائل محددة ، ولم يكونا يستهديان بمبادىء مسبقة ، وإنما كانا يستخلصان مبادئهما من تجاربهما ، ومن ثم جاء منهج نيوتن منهجاً علمياً محدداً يقوم على الملاحظة وتعريف المقولات الكلية التي تصف السمات المطردة للشيء الملاحظ ، ثم تعميم القوانين الكلية البسيطة المعبرة عن هذه السمات المطردة تعميماً استقرائياً ، والتصدي لتفسيرها بالفروض ، ومقارنة نتائج الفروض تفصيلياً بالتعميمات المستقرئة ، مع رفض نتائج الفروض إذا تعارضت مع هذه التعميمات ،

ثم تنظيم الفروض التي تصمد للاختبار في بدهيات ، والتدليل على بقية النظرية كنتيجة لما سبق . وكان تنظير نيوتن للمنهج العلمي أول محاولة كاملة من نوعها ، ومن ثم وضحت بشكل عام مبادىء هذا المنهج ، وإن كان من المعروف أنه من الناحية التفصيلية لا يوجد شيء اسمه المنهج العلمي الموحد بالرغم من أن هذه المناهج على تعددها تتسم جميعاً بأنها تقوم على علاقة جدلية بين الملاحظة التجريبية وتفسيرها منطقياً ، إلا أن تفاصيل هذه المناهج ترك للظروف التقنية في المعامل ولطبيعة الموضوعات محل الدراسة .

موربيكي .... William of Maerbeke

(نحو ١٢١٥ ـ ١٢٨٦) وليام الموربيكي ، من أقدر مترجمي كتب الفلسفة من اليونانية إلى اللاتينية في العصور الوسطى ، وكان الاعتماد فيها على ترجمتها من العربية إلى اللاتينية ، وكان ذلك منه في زمنه بمثابة ثورة ، وكانت ترجماته وشروحه أفضل من ترجمات كثيرة سبقته ، وأعطت صورة أصدق لأرسطو وعصره ، وأثرت ترجمته لأبرقلس على تطور الأفلاطونية المحدثة في العصور الوسطى .

موت .... Death

قلما يطرق الفلاسفة مسألة الموت ، وما أكثر ما يلجها الأدباء . ولا توجد فكرة كفكرة الموت حظيت بهذه الأطنان من الكتابات ، غير أن أقلها يستحق أن يوصف بالحكمة ، وأقل القليل يمكن أن يكون من صميم الفلسفة ، ولذلك وصف شوبنهاور فكرة الموت بأنها عروس الفلاسفة ، وغازلها الوجوديون من كيركجارد حتى سارتر ، حتى لقبوا بفلاسفة الموت ، وفي ذلك قال كامو بأن الانتحار هو قمة التفلسف ، ومع ذلك وقف آخرون من المشكلة موقفاً مناقضاً ، واستخلص الفلاسفة التحليليون من نقص معلوماتنا عن الموت أنه مسألة تستعصي على التفكير واستبعدوه كموضوع من موضوعات الفلسفة ، إلا أن علم النفس وجد في الموت مشكلة تستحق التصدي وعقد لها ندوة دعت إليها الجمعية السيكولوجية الأمريكية (١٩٥٦) . وكان شغل الجميع في الأدب والفلسفة ، في كل عصر ومصر ، أن يعثروا على الوسيلة التي يمكن بها التخفيف من فزع الناس من الموت . ويبدو أن الإنسان كان أبداً المخلوق الوحيد الذي يعي أنه مائت ، وحول ذلك قال فولتير في قاموسه الفلسفي « الجنس البشري هو الوحيد الذي يعرف بخبرته أن مصيره إلى الموت » ، ويعتمد القائلون بأن المعرفة بالموت تتحصل للإنسان بالخبرة على جهل الإنسان بحقيقته وهو طفل. وينكر البعض أن تكون للإنسان وحده هذه المعرفة ،ويدعون أن بعض الحيوانات الدنيا تظهر من العلامات ما تستخلص منه أنها تحس أن نهاياتها قد دنت . وكذلك يرفض البعض الموافقة على أن العلم بالموت يتوفر بالخبرة ، وفي رأي ماكس شيلر ومارتن هايدجر أن الموت في تركيب وعي الانسان وليس شيئاً وافداً ، ومع أنهما لا يقدمان من الشواهد ما ينهض دليلاً على قولهما ، إلا أنه ليس من السهل رفضه . ولو أننا ذهبنا إلى ما يذهب إليه القائلون بأن الشعور مستويات لنبنا الجهل بالموت إلى الكبت ، وقلنا إنه مسألة تتعلق بسطوح الشعور وليس بأغواره . ومن اليسير أن نرد حجة القائلين بأن المعرفة بالموت تتحصل بالخبرة فنحيلهم إلى معرفة الشعوب البدائية به ، وهي المعرفة التي لا يمكن تبريرها إلا بأنها معرفة لا تتقوم بالخبرة ، فلكي تقوم المعرفة على الخبرة لا بد لها من قدر معين من الثقافة يتيح تفسير هذه الخبرة التفسير الصحيح ، ومن العجيب أن فرويد الذي ظل يطلب منا أن نعود أنفسنا على التفكير وكأن الشعور مستويات ، قال عن الشعور بالموت أنه سطحي ، وكان من المعقول أن يقول إن جهلنا به هو السطحي . ونسب فرويد إدعاء الخلود للاشعور ، مع أنه قال من قبل أن غريزة الموت أو ثاناتوس جزء من تركيب اللاشعور .

ولا شك أن الفكر البشري قد حار في أمر ظاهرة الموت وتفسيرها ، وأن الدين قد قدم فيه وجهة النظر الوحيدة المتكاملة ، فالروح من أمر الله وليست من المسائل التي يمكن أن يعيها عقل بشر ، ﴿ كل نفس

ذائقة الموت (سورة الأنبياء الآية ٣٥) ولا تدري نفس بأي أرض تموت﴾ (سورة لقمان الآية ٣٤) و ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنت في بروج مشيدة﴾(سورة النساء الآية ٧٨). ولقد أوجب الله الموت على آدم وبنيه عندما عصى به﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ (سورة البقرة الآية ٣٦).

وفي رأي هويزنجا وبول لويس لانسبرج أن الوعي بالموت يشتد ويكثر الحديث عنه ويزداد الخوف منه في أوقات الأزمات والحروب . وكان الأبيقوريون يرجعون الخوف من الموت لما يصاحبه من ألم ، فالمرض هو المؤلم لكن الموت نفسه ليس سوى إغفاءة ، ولكن الوجودي الأسباني أونامونو يقول إنه كشاب ، وحتى كطفل ، لم يكن تهزه أشد مشاهد الألم بشاعة لأنه ما كان يظن أن هناك ما هو أشد هولاً من العدم نفسه . وكان الرواقيون ينصحون للتغلب على الخوف من الموت بالتفكر فيه باستمرار بوصفه قدرنا ، وكان سينيكا يقول عن الحياة إنها عرس قد دعينا إليه وينبغي أن ننسحب منه في الوقت المناسب وبكرامتنا ، أو أنها رواية نيطت بنا أدوار فيها لم نخترها لأنفسنا وعلينا أن نحسن القيام بها طبقاً لما هو مطلوب منا . ومن رأيه أن رهبة الموت لا تليق بالفلاسفة ، على أن غاية التفلسف عند أفلاطون أن نتعلم كيف نتصالح مع الموت، بأن نتعلم أن نتصل أسبابنا بما هو أبدي من خلال التأمل الفلسفي ، والقرآن يقول ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾(سورة الملك الآية ٢) . ولكن فيلسوفا كسبينوزا نصح بالإنصراف عن التفكير في الموت ، بوصفه عملاً لا يتناسب وحرية الإنسان ، طالما أنه تفكير يصرفه عن التفكير في الحياة . ويذهب إلى شيء من ذلك روشفوكولد فيقول إن التفكير في الموت كالنظر في عين الشمس ، عملان لا يقدر عليهما الإنسان ، وعلى عكس ذلك يذهب الرواقيون والوجوديون ، فالتغلب على الخوف من الموت ليس له علاج سوى المواجهة المباشرة ، أما ليورنادو دافينشي فكان له رأي مخالف، فمثلما يجلب قضاء يوم سعيد النوم فكذلك تكون نهاية الإنسان الذي يحسن إنفاق عمره ، ولا يتفكر الإنسان في الموت ويخشاه إلا إذا كانت كأس حياته تطفح بالآثام . والمؤمن حقاً لا تزعجه فكرة الموت وإن كانت الصوفية قبل رابعة العدوية يخشونه كل خشية ، وكان هذا رأي فلاسفة عصر التنوير وخاصة كوندورسيه . ويبدو أنه رأى غالبية البراجماتيين وبرتراند رسل . وإذا كان من بين المؤمنين من يقول بأن السعادة على الأرض ممكنة بالانصراف عن الشهوات وتجنب الإثم وأداء الفروض ، فإن منهم أيضاً من يرى استحالة تحقيق السعادة الحقة على الأرض ، فهي دار الممر إلى دار المقر ، والسعادة الأصلية في جوار الله وفي فيض نوره ، فمهما كانت السعادة على الأرض فهي مادية وليست من جنس الروح ، ولكن سعادة الأخرة تكون بعودة الروح إلى مبدأها الذي هو أصل جنسها . وإذا كان الوجوديون لا يرون في الواقع الإنساني إلا البؤس ، فإنهم كذلك لا ينصحون لتحقيق السعادة إلا بقبول الإنسان لواقعه الذي منه الموت ، ولا يكون قبوله لفكرة الموت إلا بمواجهة الموت مباشرة ، وهو عندهم شيء سخيف ونهاية لا معنى لها . وفي ذلك يقول شوبنهاور ان ذات الإنسان فانية ، وفناءها مظهر لإرادة كونية قضت أن يعيش الإنسان في عناء وكبد ، وليس من علاج لهذا البؤس إلا بتعطيل تلك الإرادة في الإنسان ، بالتحرر من خدمتها ، وبذلك يتخلص من شره الحياة فيه . أما نيتشه فلم يرض للسوبرمان أن يفاجئه الموت في كمين ويضربه الضربة القاتلة على غير توقع ، وإنما على السوبرمان أن يسعى للموت وأن يعيش في خطر وأن يحتضن فكرة الموت في فرح وفخر بوصفها النهاية الطبيعية لكل حياة . ويطلب هايدجر وسارتر أن ننفتح لفكرة الموت لأننا بها يرهف وعينا للحياة ، فطالما نعلم بأننا مائتون سنسعى في إلحاح طلباً للحياة ، ويذهب إلى نفس الشيء فرويد عندما يشبه الحياة بدون الوعي بالموت بقصة حب أفلاطونية لا طائل منها ، أو بلعبة

نلعبها دون مخاطر . ويضيف هايدجر إلى ما سبق أن الوعي بالموت يستثير في الإنسان وعيه بفرديته ، ذلك لأن موتي هو الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن يؤديه آخرون عني ، والوعي بأن الموت موتي أنا يزيد إحساسي بذاتي وبفرديتي ، ولامبالاتي بالموت هو رفض لفرديتي وقبول مني بأن أعيش بلا أصالة .

موتزو .... Mo Tzu

(نحو ٤٣٠ ـ ٣٩١ ق . م) المعلم مو ، حيث تزو تعني معلماً ، وهو مؤسّس مدرسة موتزو أو المدرسة الموية Moism ثالث المدارس الفكرية الصينية القديمة ، ويُقال إن اسمه مو يعني العبد بما يفيد أنه ينتمي إلى طبقة الأرقاء ، ويفسّر كراهيته للأرستوقراطية ، وسعيه لتحسين أحوال الشعب . ويُقال إنه بدأ كونفوشياً واستوزره عدد من الإقطاعيين ، ثم اتّجه إلى التدريس وأنشأ من خلاله نظاماً كنسياً من الأتباع المتكافلين ، وارتدَّ عن الكونفوشية . وانتقدها لسلفيتها الشديدة وتفسيراتها الحرفية للنصوص القديمة . ووضع تعاليمه في كتاب « مصنف موتزو » من واحد وسبعين فصلاً ، وقال بمذهب نفعي يقوم على فكرة المحبة الجامعة علاجاً للفوضىٰ والنزاع والحروب ، وعلى معيار براجماتي ثلاثي تتقوم بمقتضاه الأقوال والغايات طبقاً لموافقتها لقواعد السلف أولاً ولإمكانية التطبيق ثانياً ، ومقدار ما تحققه من خيرات ثالثاً . وحصر موتزو الخيرات في أربع هي كل ما يثري الفقراء ، ويزيد السكان ، ويرفع المخاطر ، ويشيع النظام . وأفرد ستة فصول من مؤلّفه متحدثاً عمّا اشتهر باسم منطق مو ، ووصف بأنه منطق جدلي ، غايته التمييز بين ما هو خطأ وما هو صواب ، والتفرقة بين الحكومة الفاسدة والحكومة الصالحة ، وجلاء أوجه الشبه والمخالفة ، واختيار الأسماء الواحدة للأحداث وللأشياء ذات الخصائص المشتركة .

مور .... Moore

(١٨٧٣ ـ ١٩٥٨) جورج إدوارد مور ، إنجليزي ، من أسرة متيسرة ، كان أبوه طبيباً ، وأمه من أسرة من التجار . وفي صغره عانىٰ من تجربة إكراهه على التزام الدين ، وتحوّل إلى اللّاأدرية بتأثير أخيه الأكبر الشاعر توماس مور ، وتخرّج من كيمبردج وعيّن أستاذاً بها ، وفيها التقى ببرتراند رسل وكان مور فيلسوفه الذي صرفه عن المثالية . ورأس مور تحرير مجلة العقل Mind ، وانتخب عضواً بالأكاديمية البريطانية ، ومنح نوط الاستحقاق . وكانت أهم كتبه « المبادىء الأخلاقية Principia Ethica » (١٩٠٣) ، و « الأخلاق Ethics » (١٩١٢) ، و « دراسات فلسفية Philosophical Studies » (١٩٢٢) ، و « بعض مسائل رئيسية في الفلسفة Some Main Problems of Philosophy » (١٩٥٣) ، و « بحوث فلسفية Philosophical Papers » (١٩٥٩) .

ولم يكن مور يخطر بباله أن يقيم نسقاً فلسفياً ، ولم تثره إلى التفلسف مسألة من المسائل التي أثارت أو تثير غيره من الفلاسفة ، لكنه صرف اهتمامه إلى ما يقوله غيره من الفلاسفة من ضروب التفلسف ، وكان يجهد ليستوضح ما قالوه ، وما يعنونه بما قالوه ، وليستوثق من الأسباب التي تجعله يعتقد بصواب أو خطأ ما قالوه ، فإذا قال قائل إن هذا ضروري ، فليس يعنيه في المحل الأول أن يعرف صدق أو بطلان ضرورة ما يقول عنه إنه ضروري ، لكنه سيحاول أن يحدد معنى الضروري ، وما الذي يقصد إليه بقوله إن هذا ضروري ، وذلك كله بهدف أن يرفع ما يكون بها من غموض أو لبس ، وليكشف عمّا بها من أوجه الخطأ وعدم المطابقة مع الواقع وضروب المغالطات والخلط ، وليتجنب إضاعته وقته في حل مشكلات زائفة طالما حفلت بها مذاهب الفلاسفة . وفي سبيل ذلك يقدم منهجه الذي عرف به والذي يعد إسهامه الرئيسي ؛ حيث يطرح الحجج المؤيّدة والمعارضة لإستيضاح قوة صدقها ، ويطبّق عليها مبدأ المفاضلة بين الحجج The Principle of Weighted Certainties وإيثار القضية التي تقدم الحجج الأقوى بالتصديق ، ويستخدم برهان الخلف

Reductio Ad Absurdum ليدحض ادّعاء الشكاك حين يزعم أننا لا يمكن أن نتيقن مثلاً من وجود الآخرين ، بأنه يتناقض مع نفسه باستخدامه لضمير المتكلم الجمع في إننا . ويسمي مور منهجه بالمنهج التحليلي ، ومور لذلك يسمى رائد النزعة التحليلية ، ويصنع مع رسل وفتجنشتاين المدرسة التحليلية في الفلسفة . وقد يرقىٰ استخدامه كمنهج التحليل إلى حد البحث عن معاني الكلمات في القواميس ، وعن استخداماتها المختلفة والفرق بين مدلولاتها الفلسفية والعادية ، ولا يمارس هذا التحليل اللغوي Linguistic Analysis كهدف لذاته ، لكن كوسيلة لبلوغ اليقين حول الواقع والوصول إلى عناصر الموضوعات والمفاهيم .

غير أن هناك قضايا لا تحتمل الشك ولا تقبل التحليل ، لأنها وليدة الذوق الفطري Common Sense ، وهي القضايا التي يصطلح الناس على أنها صادقة في وقت من الأوقات ، أو التي يميلون إلى تصديقها بطبيعتهم . وبرغم أنها قضايا قابلة للتغيير ، إلّا أننا نستشهد بها ، وطالما أننا نميل إلى تصديقها فهي قضايا حاصلة على قدر من اليقين يمنع الاختلاف بصددها ، ويعني أيضاً أننا قد فاضلنا بين الحجج المؤيّدة لها والداحضة فرجحت كفة المؤيّدة ، وأن برهان التناقض Paradigm Argument أو الخلف قد أسقط عنها الشك فيها ، ويصفها مور بأنها صادقة بطبيعتها Ipso Facto .

وأما الموضوعات الأخرى التي عالجها مور فهي الأخلاق ونظرية الإدراك ، وهي تطبيقات لمنهجه في التحليل .

مورجان .... Morgan

(١٨٥٢ ـ ١٩٣٦) كونواي لويد مورجان ، إنجليزي ، ولد في لندن ، وتلقى تعليماً أدبياً خالصاً ، لكنه اتجه إلى العلم ، ودرس الهندسة في مدرسة المعادن الملكية بلندن ، وعلم الحياة على هكسلي ، واشتغل أستاذاً للجيولوجيا وعلم الحيوان بجامعة بريستول وعيّن وكيلاً لها ، وكان اتجاهه العلمي الفلسفي هو الذي دفع به إلى تكوين مذهب له جانباه العلمي والفلسفي المتلازمان ، ومع ذلك يستطيع العالم أن يقنع فيه بالجانب العلمي وحده ويرفض جانبه الميتافيزيقي ، وقد تأثّر في فلسفته بأفلاطون وألكسندر وبرجسون وداروين ، وقال بمذهب طبيعي أطلق عليه اسم التطور الطافر ، وألّف عدداً من الكتب التي أسهمت إسهاماً كبيراً في تطوير علميّ النفس والحيوان ، وأهمها « الحياة الحيوانية والذكاء Animal Life and Intelligence » (١٨٩٠) و « العادة والغريزة Habit and Instinct » (١٨٩٦) و « السلوك الحيواني Animal Behaviour » (١٩٠٠) و « الغريزة والتجربة Instinct and Experience » (١٩١٢) و « التطور الطافر Emergent Evolution » (١٩٢٣) ، وهو يقبل فكرة التطور التي قالَ بها داروين ، لكنه آلَ على نفسه أن يتابع دراسة تطور السمات العقلية في الكائنات القادرة على التعلّم من التجربة ، عن طريق ما أسماه « منهج المحاولة والخطأ The Method of trial and Error » (١٨٩٤) ، وهو التعبير الذي شاعَ عنه منذ ذلك الوقت ، ورفض النظرية التي ترد السلوك الحيواني لأسباب سيكولوجية ، وقال بقانون أطلق عليه اسم قانون الاقتصاد Law of Parsimony يفسّر السلوك في ضوئه بأدنى الأسباب مرتبة وليس بأرفعها كلما استطعنا ، وخالف داروين بشأن التطوّر المطرد ، وقال إنه في فترات قد يسرع التطوّر بحيث تظهر صفات ما كان من الممكن الاستدلال على نشوئها من المجرى السابق للأمور ، ولا يقوم الطافر أو الناتج على العوامل الموجودة ، ويظهر في شكل قفزات لا يمكن التنبّؤ بها ولا تفسيرها ، ومن ثمّ لا يمكن أن نقحم في شرح أسبابها أفكاراً مثل الدفعة الحيوية التي قال بها برجسون . ويبني على هذا الأساس العلمي تركيباً علوياً ميتافيزيقياً لا يجد أنه يتعارض مع منهجه العلمي طالما أن لكل منهجه الخاص ولا يستبعد

أحدهما الاخر ، ويقيم فلسفته على ثلاثة فروض ، الأول أن عالم الأشياء والحوادث يوجد بنفسه ولا يتوقف وجوده على إدراك وعي به أو تفكير فيه ، ويصفه بأنه عالم رباعي الأبعاد يتطور هرمياً بقانون التطور الطافر ؛ والثاني يسميه فرض التضايف مؤدّاه أنه لا توجد حوادث فيزيائية لا تكون أيضاً نفسية ، فهناك تضايف كامل بين العالم النفسي والعالم المادي ، والظواهر فيزيائية ونفسية معاً ولا انفصال بين الجانبين ؛ والثالث أن عملية التطوّر تشير إلى فاعل إلّهي أو قوة فعّالة لا ينتهي إليها التطوّر أو التفسير ، ولكنها خلف كل نشاط ووراء كل حدث ، وهو تفسير ينتهي إليه حتماً الميتافيزيقي ولكنه ليس بالضروري للموقف العلمي .

موليسكوت .... Moleschott

(١٨٣٢ - ١٨٩٣) يعقوب موليسكوت ، ألماني ، يعتبر مؤسّس المادية في القرن التاسع عشر . أهم كتبه «دورة الحياة The Circuit of Life» (١٨٥٢) يرى أن الطاقة والمادة لا ينفصلان ، وأنها خاصة من خواصها ، ولا يمكن تصور المادة دون طاقة وبالعكس ، وأي دعوىٰ تنعب الوجود للمادة دون طاقة مرفوضة . وكل معرفة تقوم على عارف ومعروف وعلاقة بينهما ، فالثلج بارد لليد الدافئة ، والأشياء توجد بنسبتها لغيرها ، ولأن العلم بالأشياء هو العلم بعلاقاتها فكل معرفتي موضوعية .

مونتسكيو .... Montesquieu

(١٦٨٩ - ١٧٥٥) شارل لويس دي سيكوندا مونتسكيو ، أو البارون دي مونتسكيو ، فرنسي ، من أتباع لوك ، وأكبر دعاة الحرية والتسامح والاعتدال والحكومة الدستورية في بلده ، وهي الأفكار التي حملت دعوتها انجلترا ، ونقلها مونتسكيو إلى فرنسا ، وكان من أشد أعداء الحكم الاستبدادي ، ونادى لذلك بفصل السلطات ، ورد أصل الدولة والقوانين إلى الطبيعة ، وقال إن الطبيعة هي التي تحدد نوع الدولة ، أو نوع العلاقات بين الأفراد الذي يحدد بالتالي شكل الدولة ، ويقصد بالطبيعة المناخ . وقال إن نظم الحكم والقوانين تختلف من مجتمع إلى مجتمع باختلاف المناخ ، وأن اختلاف المناخ هو الذي يتسبب، في اختلاف العادات والتقاليد والنظم الاقتصادية والأديان ، بل ومفهوم الحرية . وقال إن سكان الجبال والجزر يحسون بحرياتهم أكثر من سكان السهول والقارات ، لسهولة الدفاع عن الأولى ، وأن سكان الجبال يتصفون بالاقتصاد والاستقلالية والنشاط بسبب طبيعة بلادهم. وجعل هذا التفسير الجغرافي مونتسكيو واحداً من مؤسسي نظرية الحتمية الجغرافية ، وجعله منهجه الموضوعي في دراسة المجتمعات المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع ، كما قال إميل دوركايم . وفي كتابه **« تأملات في أسباب عظمة الرومان وسقوطهم »** (١٧٣٤) حاول أن يتناول التاريخ من زاوية علمية ، وأن يطبق منهجاً وصفياً في تفسير الحوادث . ويعتبر الكتاب مقدمة لكتابه اللاحق **« روح القوانين »** (١٧٤٨) ، ولا يعني عنده الاعتراف للناس بنفس الحقوق أنهم فعلاً ينالون هذه الحقوق ، فالحقوق لا ينبغي أن تدرس إلا على الواقع ، ودراسة الشرائع لا يكون بالنظر فيها على الورق ، ولكن في التطبيق والممارسة . وفي كتابه **« رسائل فارسية »** (١٧٢١) أعلن أنه مؤمن بالله ، ولكن دينه دين طبيعي وليس سماوياً ، وأعلن رفضه للتثليث وألوهية المسيح والتناول . وقال إن الدين لا ينتشر إلا مع الجهل ، وأنه بانتشار العلم لا يعود ثمة حاجة إلى الأديان ، وأن هناك علاقة بين نوع الحكم والتعلق بالدين ، ففي الحكم الديموقراطي يكون التعلق بالأخلاق ، وفي الحكم الاستبدادي يكون التعلق بالدين .

مونييه .... Mounier

(١٩٠٥ - ١٩٥٠) إيمانويل مونييه ، أبرز فلاسفة الشخصانية ، فرنسي ، من مواليد جرينوبل ، تعلم في باريس ، وأصدر بالاشتراك مع آخرين مجلة الفكر

(١٩٣٢) يواصلون بها ما بدأه شارل بيجي . وفي سنة ١٩٣٩ استُدعي للتجنيد ، وسرح عام ١٩٤٠ ، وأودع في السجن لبضعة أشهر سنة ١٩٤٢ للاشتباه في صلته بالأعمال التخريبية . كتابه الرئيسي « ما هي الشخصانية ؟ » (١٩٤٧) ، ويقول مونييه إن الشخص هو موجود روحي ، له قيمه التي يعيش بالتزامها ، طواعية، وتعيش في كيانه كله حتى ليجعلها رسالته . والشخصانية في تأكيدها على الحرية والالتزام والفردية ، تشبه الوجودية ، غير أن الوجودية ، في الأغلب ، ملحدة ، والشخصانية مؤمنة ، والوجودية ترفض القيم المشتركة وتقول إن الجحيم هم الآخرون ، بينما الشخصانية تتواصل بالأشخاص الآخرين ، وتجعل القيم مطلبهم وما يجتمع بينهم . وأخيراً الوجودية متشائمة، والشخصانية متفائلة . ولا يقصد مونييه بالشخص هذا الشخص المعنوي بالمعنى القانوني ، فالشخص في الشخصانية إنسان متفرد متدين ، والتزامه من ناحية شخصي ، ومن ناحية أخرى جمعي ، يتواصل به ، ويصنع به إخوته مع الآخرين .

موروية .... **Moism**

(أنظر موتزو) .

ميرلو بونتي .... **Merleau Ponty**

(١٩٠٨ - ١٩٦١) موريس ميرلو بونتي ، وجودي فرنسي ، ولد بروشفور ، وتعلم بمدرسة المعلمين العليا ، واشتغل مدرساً ثانوياً للفلسفة ، ومعيداً بمدرسة المعلمين ، وضابطاً في الحرب العالمية الثانية ، واستاذاً للفلسفة بجامعات ليون والسوربون والكوليج دي فرانس بعد حصوله على الدكتوراه (١٩٤٤) . وأهم كتبه « **بناء السلوك La Structure du Compartement** » (١٩٤٢) و « **فينومينولوجية الإدراك الحسي Phénoménologie de la Perception** » (١٩٤٥) و « **الإنسانية والرعب Humanisme et Terreur** » (١٩٤٧) و « **المعنى واللامعنى Sens et Non- Sens** » (١٩٤٨) و « **امتداح الفلسفة L'Éloge de la Philosophie** » (١٩٥٣) و « **مغامرات الجدل Les Aventures de la Dialectique** » (١٩٥٥) و « **علامات Signes** » (١٩٦٠) و « **المرئي واللامرئي Le Visible et L'invisible** » (١٩٦٤) .

وكتب ميرلوبونتي كثيراً في موضوعات سياسية ولغوية وجمالية ، وشارك مشاركة فعالة في الحياة الفكرية لزمنه ، ورأس تحرير مجلة « العصور الحديثة Les Temps Modernes » (١٩٤٥ - ١٩٥١) التي أصدرها سارتر وسيمون دي بوفوار ، وكان كثير الخلاف مع سارتر فمن الناحية الفلسفية اختلفت وجوديته عن وجودية سارتر في نواح كثيرة ، ومن النقاد من يعتبره أفضل من سارتر ، ومن الناحية السياسية تعرض كل منهما للماركسية ونقدها ، وفضح الانحطاط التي تردت إليه في التطبيق الشيوعي ، لكنهما كانا متعاطفين معها من منطلقات مختلفة ، وكان إعجاب بونتي بالماركسية لواقعيتها وربطها بين البشر في المجتمع الصناعي بروابط خلقية واقعية ، وإقامتها الوعي على أساس من الموقف المادي ، لكنه أنكر منها إسقاطها للذات الإنسانية وقولها بوجود منطق وجدل للتاريخ ، ومع ذلك وافقها أن التاريخ عمل جماعي ، لكنه وصفه بأنه عارض غير ضروري ، بمعنى أنه لا يمكن التكهن بمسيرته ، ووصف ماركسية سارتر بأنها بلشفية مسرفة Ultrabolschevism ، وأنكر عليه أن يكون دور الحزب الثوري هو فرض الاتجاهات على مسيرة التاريخ ، وفرض رؤى معينة على الجماهير والشعوب ، وقال إن عمل الحزب الثوري هو تطوير وتوجيه الاتجاهات والمعاني الموجودة أصلاً في المجتمع ، وأنكر أن يكون بإمكان أي طبقة أو حزب أن ينفرد بصنع التاريخ ، وأن يزعم لنفسه أنه وحده وكيل العملية التاريخية .

والفلسفة عند بونتي خبرة معاشة ، ومنهجه فينومينولوجي يقوم على وصف الخبرة المعاشة والعالم أو الوسط الذي تعايشه ، ويسميه بونتي العالم أو الوسط

المدرك ، والإدراك هنا هو الإدراك الحسي ، لكنه لا يقوم على معطيات حسية ، وإنما على الانفتاح على العالم ، والتفطن إلى العلاقة المتبادلة بينه وبين الإنسان ، والمعرفة التي تتولد عنه ليست المعرفة العلمية ، لكنها معرفة تسبقها ، والعالم ليس العالم الموضوعي أو العلمي ، لكنه عالم يسبق كل معرفة علمية ، وارتباطنا به غامض يقوم على علاقة مشاركة وليس على علاقة تملك أو استيعاب، ووجود الذات فيه وجود في العالم Being- in- the- World وليس وجوداً لذاته ، ولذلك فالإدراك الحسي المقصود هو إدراك أولي يعيش العالم وليس يعقله ، وليس إدراكاً لمعطيات حسية فقط ، فالخبرة لا تقوم بالأحاسيس التي تشتمل عليها والتي نستخلصها بالتحليل والتجريد ، لأن الإنسان ليس مجموعة الأحاسيس ، لكنه يتجاوز نفسه ، والوجود يتجاوز ذاته ، والخبرة تتجاوز ما تشتمل عليه . وليس أدل على هذا التجاوز الباطني في الوجود كله من أن الجسم ، وهو موضوع ، يقوم بكل الوظائف القصدية التي تستهدف العالم ، فلا فرق بين الذات والجسم ، والإنسان يلتحم بجسمه ، ويمتزج وجوده بوجوده ، وهو لا يشعر بجسمه وهو يبصر ويتسمع ويتحدث ، وإدراكه للعالم على هذا إدراك حسي مباشر وليس إدراكاً بواسطة الجسم ، فالجسم لا يتوسط بين الإنسان وعالمه ، والإنسان هو جسمه ، وجسمه هو حضور الإنسان في العالم ومع الآخرين ، واللغة وظيفة من وظائف الجسم ، وهي رموز تتواصل بها الذات مع الذوات الأخرى ، وبها تخرج الذات إلى الأخرين وتضع الفكر في العالم المحسوس ، وبها يكون وجود الذات والذوات الأخرى وجوداً مشتركاً في العالم .

ويرى بونتي أن الحرية والاختيار هما صميم الوجود البشري ، لكنها ليست الحرية المطلقة وإلا ما كان هناك التزام ، فالالتزام يقوم عندما تحد الحرية حدود وتقف دونها العوائق والحريات الأخرى . والحرية لا تتواجد إلا في مواقف ، ولا تنبثق من المطلق ، وتعمل في حدود الموقف الذي تتواجد فيه ، وتفيد من المواقف السابقة والخبرات التي تقدمته ، والمواقف والخبرات السابقة هي الماضي ، والحرية ترتبط بالماضي ، وليس بوسع الإنسان التنصل من ماضيه ، لكن بوسعه تحويل مجرى حياته ، ليس تحويلاً مطلقاً ، وليس على شكل طفرات ، لكن على شكل انحناءات صغيرة في مسار الحياة . والإنسان يترك في الماضي شيئاً محفوظاً ، يشد إليه اللحظة الحاضرة والمستقبلة ، ويعمل بمقتضاه في الحاضر ، ويواصله في المستقبل ، ويخلق لنفسه قيمها وللأشياء معانيها ، لكنها قيم ومعان ليست ثابتة ، يحفظها داخل الأشياء ويجدها فيها كلما تحول إليها ، لكن ما يخلفه في الأشياء من معان يرتد اليه ، بحيث تقوم بين العالم والوعي حركة دائمة . وللإنسان بنية وجودية تحدد موقفه من العالم ، وتجعل هذا العالم يبدو للوعي في صور خاصة ، تفرض نفسها عليه ، وتمتزج بتجربته بشكل أولي مسبق ، وبها يحس الإنسان أنه مندمج في العالم مصطبغ به ، وعن طريقها ومن خلال المواقف الماضية والحاضرة يتحدد أسلوب حياته ويتخلق التاريخ ، ولو كان الإنسان موجوداً لذاته ، حراً حرية مطلقة لما كان للتاريخ معنى أو مسار ، لأنه كان يستطيع أن يصنع أي شيء في أي وقت ، لكن التاريخ له مسار قبل أي تصميم بشري ، والواقع له خطوط ، والمستقبل له إمكانيات تقدم نفسها للوعي ، وتشير بمعانيها عليه ، وتتحقق بفعل الكيان الاجتماعي المشترك ، والإنسان هو الذي يتعقل ما في التاريخ والأشياء من جدل ، ويضفي على موضوعيتها ذاتيته ، وذاتيته هي التي تسم الخبرة الإنسانية ، وهي التي تعطي للخبرة العادية دلالتها الميتافيزيقية ، وذلك معنى نظرية بونتي في الذاتية الإنسانية .

ميمونية

فرقة من الخوارج العجاردة ، أصحاب ميمون بن عمران ، قالوا بالقدر ، أي بإسناد أفعال العباد إلى قدرتهم ، وتكون الاستطاعة قبل الفعل ، وأن الله يريد الخير دون الشر ، ولا يريد المعاصي .

مين دي بيران .... Maine De Biran

فرنسي ، عاصر كابانيس ودستو دي تراسي ، واحتك بجماعة الإيديولوجيين ، وفاز بجائزتين للمجتمع العلمي الذي كان الإيديولوجيون يسيطرون عليه ، عن موضوعي « تأثير العادة على ملكة التفكير » و « تحليل التفكير » ، وصار من أعضائه ، واشتهر كفيلسوف حتى عرف بين معاصريه باسم استاذ الجميع ، واختلف معهم لأنه رفض أن يؤسس المعرفة على الحس وحده ، لأن ذلك يؤدي إلى إنكار فاعلية النفس وجهدها ، وضرب مثلاً بالذاكرة ، وقال إن فيها فعلاً وانفعالاً ، وان الانفعال يتمثل في العودة اللاإرادية للذكريات ، في حين ان الفعل يظهر في استعادتها إرادياً ، وأطلق على الفعل أو جهد النفس اسم الجهد الإرادي Effort Voulu ، وقال إن كل تقدم فكري يتوقف على هذا الجهد الإرادي الذي أسماه الحس الباطن Sens Intime ، والذي شبهه بالنور الداخلي Lumière Intérieure الذي قال به روسو ، وقال إن الجهد الإرادي ليس هو الجهد العضلي ، وإنما يعرف الأنا نفسه بالجهد العضلي ، فيدرك انه قوة تعلو على قوة الجسم ، وأنه علة فاعلة في مادة تقاومه ، وتظهرنا التجربة الباطنة على الأنا كقوة فاعلة شرطها الجسم المادي الذي تفعل فيه ، وتجربتنا الأولى بالعلية أو الرابطة الضرورية تجربة باطنة ، ومنها نستمد كل استخداماتنا الأخرى للعلية . وهذا اليقين الذي نجربه في العلاقة بين الإرادة وحركة الجسم هو أساس شعور الإنسان بالحرية .

وكان دي بيران شخصية قلقة مفرط الحساسية ، متقلب المزاج ، ووصف ما يضطرب في نفسه من عواطف غامضة متناقضة في مفكرته الخاصة Journal Intime ، وأعجب لذلك بالرواقية لأنها مع سيطرة الإرادة على الحس ، وحاول أن يفلسف قلقه النفسي في كتابه الذي لم يتمه « محاولات جديدة في الأنثروبولوجيا» ، وأن يجد الخلاف في فكرة الدين ، وفسر النزوع الديني بأنه أصيل في الانسان ، وأرجعه إلى ملكة بالنفس أطلق عليها ملكة العقيدة ، وقال إنها مقفلة ، وأنها تحس اللانهاية في إشراقات وومضات تتأبى على التعبير وتستعصي على الوصف ، ومن ثم نجد أن أصول المعرفة عنده ثلاثة : الحس المنفعل والإدراك الفاعل والنفس الدينية المنفعلة .

حـرف النـون

نبهاني

تقي الـدين النبهاني ، إسـلامي ، صـاحب دعـوة التحرير ، يقول في كتابه « **نداء حار إلى المسلمين من حزب التحرير** » أن القضية هي إنقاذ الأمة الإسلامية من الفناء ، بإعادة الثقة بأفكار الإسلام وأحكامه ، باعتبارها أفكاراً وأحكاماً إسلامية مستنبطة من الكتاب والسنّة ، وليس باعتبارها أفكاراً نافعة ، وعن طريق جعل الوقائع والحوادث تنطق بصحة وصدق هذه الأفكار والأحكام لتحصـل القناعـة بها ، أي عن طـريق حمل الـدعـوة الإسلامية في طريقها السيـاسي ، أي بالعمـل لإيجاد الخلافة الإسـلامية عن طـريق بثّ الأفكار الإسـلامية والكفاح في سبيلها . ويسمي النبهاني ذلك نهضـة ، والنهضة ارتفاعاً فكرياً على أساس روحي ، فإذا وجدت الأفكـار وجدت النهضـة ، وإذا عدمت الأفكـار كـان الانحطاط ، وإنهاض الأمة يكون بالفكر وليس بالدستور والقـوانين ، ولا يمكن أن توجـد النهضـة إلّا بـالفكـر المستنير عن الكون والإنسان والحياة ، وهـو القاعـدة الفكرية التي يُبنى عليها كل فكر فرعي عن السلوك في الحياة وعن أنظمة الحياة . والـطريقة للدعـوة والعمل السياسي هي تثقيف الناس جماعياً بالإسلام لإيجاده في معتـرك الحيـاة ، وحتى يحـدث التثقيف الانقـلاب الفكـري الـذي يحـدث الانقـلاب الشـامـل في المجتمع .

نجارية

فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، أصحاب محمد بن الحسين النجار ، وافقوا أهل السنة في خلق الأفعال ، وأن الاستطاعة مع الفعل ، وأن العبد يكتسب فعله ؛ ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات الـوجودية وحدوث الكـلام . وهم ثلاث فـرق : البرغـوثية والـزعفـرانية والمستدركة ، يجمعهم قولهم بأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالىٰ وبرسله وفرائضه ، والإقرار باللسان ، فمن جهل شيئاً من ذلك بعد قيام الحجة به عليه ، أو عرفه ولم يقـر به فقـد كفر . وقـالوا كـل خصلة من خصال الإيمـان طاعـة وليست بإيمـان ، ومجموعهـا إيمان ، وليست خصلة منها عند الانفراد إيماناً ولا طاعة . وقالوا الإيمـان يـزيـد ولا ينقص . وزعم النجـار أن الجسم أعراض مجتمعة ، لا ينفك الجسم عنها كاللون والطعم والرائحة ، وأن كلام الله عرضي إذا قرىء ، وجسم إذا كتب .

نجدات

فـرقـة من الخـوارج ، أصحـاب نجـدة بن عـامـر الحنفي ، ويسمون بالعاذرية ، لأنهم عذروا بالجهالات في أحكام الفروع ، وقالوا التقية جائزة في القول والعمل كله ، ولا حاجة للناس إلى إمام قط ، وإنّما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم .

نزعة إلى المحافظة .... Conservatism

ارتباط الناس بالعادات والمؤسّسات التي طالما عاشوا في ظلّها ، وتفضيلهم لما جرى عليه العمل من قواعد ، وهي نزعة لم تظهر بشكلها الجلي إلاّ بعد حركة الإصلاح ، وقد تطوّرت من بعد كرد فعل لنمو الاتجاه العقلاني الذي تبلور نهائياً في أيديولوجية الثورة الفرنسية . وجرت العادة على التأريخ لبداية الفلسفة المحافظة بظهور كتاب ادموند بيرك « تأملات في الثورة في فرنسا » (١٧٩٠) مع أن بيرك نفسه كان عملياً من الهويج . وظهر تعبير النزعة إلى المحافظة في لندن وباريس معاً نحو سنة ١٨٣٠ ، ولم يستخدمه التوري إلاّ سنة ١٨٣٥ ، ولم يكن تعبيراً بلا تاريخ إذ الواقع أن التفكير المحافظ يمتد من بولنجبروك ودزرائيلي إلى هيوم وسويفت وريتشارد هوكر والأكويني ، وقد يصل حتى أفلاطون وأرسطو . وتعادي النزعة إلى المحافظة التغيير الراديكالي الاجتماعي ، وخاصة التغيير الذي قد تفرضه الدولة وتتمسح في تبريرها له بالحقوق المجردة والأهداف الطوباوية . ويعتقد المحافظون أن أمور البشر وسلوكهم من التعقيد بحيث لا يمكن التنبؤ بشيء عنها (فرضية التعقيد Comlexity Thesis) ومن ثمَّ يستحيل صياغة نظم تناسبها ، ويعتبرون الحكم مهارة خاصة لا يتمتع بها كل إنسان ، لكنها مهارة تكتسب بالتعلّم وتصقل بالممارسة ، ولذلك تكون في أعلى درجات تطوّرها لدى الأسر الحاكمة القديمة ، ومن ثمَّ كانت كراهيتهم للديموقراطية والتغيرات الثورية ، وللفلسفة والسياسة باعتبارهما سبباً في ظهور تلك الكتيّبات التي أثارت القلاقل ونشرت الفوضىٰ ، في حين أنها لم تكن أكثر من شعارات تجاوب معها العامة وإن لم تنطلِ على الخاصة . ويربطون بين فكرة الخطيئة ورسالة الدولة الخلقية ، ويرون أن الحضارة والفضيلة رهن باستمرار المؤسسات التاريخية ، وأن الاستقرار السياسي يقوم على الدولة والدين والأسرة ، بينما يقوم الاستقرار الخلقي على الإحساس القوي بالواجب الذي يغذيه الإيمان الديني . ويرجع المحافظون أسباب المشاكل الاجتماعية والسياسية إلى طبيعة الإنسان ، ويرجعها الليبراليون والاشتراكيون إلى البيئة، ومن ثمَّ يتوجهون بإصلاحاتهم للبيئة ، بينما تتوجه عناية المحافظين إلى الطبيعة البشرية ويتعهدونها بالإصلاح الخلقي وبالتربية الدينية . بيد أن هناك نوعاً آخر من النزعات المحافظة لا يرتبط بالدين ، ويقوم على التشكّك في البرامج السياسية التي تستهدف فرض مخططات حالمة بدلاً من التطور بقواعد الحكم تدريجياً ومعالجة المجتمعات من داخلها وليس بتصورات فردية لحاكم مستبد يلغي دوره كحكم في اللعبة السياسية فيندمج فيها ويفرض نفسه على المحكومين . وقد يكون المحافظ الشكاك مجدداً في الفن ، أو متحرراً في مسائل الجنس ، لكنه محافظ في أمور السياسة ، بعكس المحافظ التقليدي الذي يتسق سلوكه المحافظ في كل نشاطات الحياة . وتضفي النزعة المحافظة ، مهما كان شكلها ، قيمة كبرى على التقاليد ، وبينما يعتبرها الليبراليون معوقة للتقدم ، يراها المحافظون ميراثاً اجتماعياً ناقلاً لمهارة السلف وإنجازاتهم التي تقوم عليها كل إنجازات حالية ، والتي باتباعها نوفر على أنفسنا جهد إجراء التجارب من جديد . وبينما يرى الليبرالي أن السلطة تبرر نفسها بالحصول على موافقة الرعية ، يرى المحافظ أن رضىٰ الرعية على السلطة ليس إلاّ شرطاً ضمن شروط أخرى عديدة للحكم على الحكومة الصالحة ، ويعتقد أن هذه الحكومة هي حارس التقاليد والإنجازات الموروثة ضد غباء وتواكل وجنون البشر ، ومن ثمَّ تؤكد النزعة المحافظة على الواجب أكثر من تأكيدها على الحقوق ، وعلى النظام أكثر من مطالبتها بالحرية .

نزعة تاريخية .... Historicism

يرجع استخدام هذا المصطلح إلى الاقتصاديين الألمان حيث قيلَ إن كارل مينجر قد هجا جوستاف شمولر ونظريته التي تقصر التناول العلمي للمفاهيم على عرض تطورها التاريخي ، وأطلق على هذا الاتجاه اسم التاريخية أو النزعة التاريخية Historismus . واستخدم

الاصطلاح بعد الحرب العالمية الأولى ليعني التوسّع في الاعتماد على المعلومات التاريخية لفهم الواقع ومراجعة القيم السائدة ، ثم توفرت على النزعة التاريخية فلسفات تعتبرها منهجاً ونظرة شاملة في الحياة Weltanschauung وفسرها ترولیش ومانهايم ودلتاي وفندليانت وريكرت وكروتشه بأنها وجهة النظر التي تنظر إلى العالم بوصفه مجال فعل الإنسان باعتباره الكائن الوحيد الواعي ، ومن ثمَّ لا يكون هناك مجال للحديث عن أي معرفة أو خبرة إلاَّ بالنسبة إلى الإنسان ، فالإنسان هو الكائن التاريخي الوحيد ، والعلوم التي تبحث فيه هي علوم روحية لأنها لا تبحث فيه من خارج كما تبحث العلوم الطبيعية في الطبيعة ، وإنَّما هي تبحث فيه من داخل ، ولذلك تسمَّى بالعلوم الخلقية ، أو التاريخية حيث يكون الإنسان في علاقة حية بالطبيعة ، ومن ثمَّ فإن أصحاب هذه النزعة يقابلون بينها وبين النزعة الطبيعية Naturalismus ، ويقولون إن كل معرفة نسبية طالما أنها زمانية ، ويرفضون كل المبادىء والقيم المطلقة ، ويرون أن كل محاولة لتفسير التاريخ بمبدأ فوق إنساني محاولة باطلة لأن عالم الإنسان هو من عمل الإنسان . وفسَّر ياسبرز ذلك بأن الإنسان هو الكائن الوحيد المزوّد بالعقل لا بوصفه موجوداً طبيعياً ، ولكن بوصفه حراً في اتخاذ قراراته ، ومن ثمَّ لا يكون هناك مجال لتفسير الظواهر إلاَّ في ضوء علاقتها بالإنسان .

نسبية أخلاقية .... Ethical Relativism

وجهة النظر التي تقول بأن صواب أي فعل أو حكم ، إنَّما يكون بالنسبة للظروف أو المواقف التي جرى فيها الفعل أو صدر في إطارها الحكم . وتتميز في النسبية الأخلاقية ثلاثة اتجاهات ، فالذين يقولون باختلاف القيم والمبادىء الأخلاقية بين الأفراد ، ويصفونها بأنها اختلافات جذرية تتولَّد عنها مصادمات ، يتبعون وجهة النظر القائلة بالنسبية الوصفية **Descriptive Relativism** ، ومعنى أنها اختلافات جذرية أو أساسية Fundamental أنه ما من سبيل إلى رفع هذه الاختلافات حتى لو اتفق هؤلاء الأفراد فيما بينهم على طبيعة ما هم بصدد تقييمه . وليست **النسبية الثقافية Cultural Relativism** إلاَّ شكلاً خاصاً من هذه النسبية الوصفية ، وهي ترجع الاختلافات الأساسية إلى اختلافات في الأطر والتقاليد الحضارية التي يستمد منها هؤلاء الأفراد قيمهم وتقاليدهم الأخلاقية . والذين يرون أن للاختلافات في الأحكام الأخلاقية دلالة تتجاوز الصواب والخطأ إلى دراسة النظريات التي يمكن رد هذه الأحكام إليها ، ودراسة البناء المنطقي لهذه الأحكام ، إنَّما يتبعون الاتجاه القائل **بالنسبية الفوق أخلاقية Metaethical Relativism** ، ولا تقدم النسبية الوصفية ولا النسبية الفوق أخلاقية أي معيار للصواب أو الخطأ ، بل إن النسبية الفوق أخلاقية تنكر إمكان قيام منهج استدلالي أخلاقي له قوة المنهج الاستقرائي ويمكن الركون إليه في حالة تصادم القيم واختلاف وجهات النظر الأخلاقية لاستخلاص الحل الذي يمكن أن يُقال عنه إنه الحل الصحيح نسبياً ، ولكن **النسبية المعيارية Normative Relativism** ، وهي الاتجاه الثالث ، تؤكد أن الشيء يكون خاطئاً أو صائباً إذا كان هذا الشيء خاطئاً أو صائباً بالنسبة لآخرين ، فلو كان المجتمع الذي يتبعه الشخص يعتبر فعلاً ما في ظروف معينة خاطئاً فإنه يتعين أن لا يقوم هذا الشخص بهذا الفعل في الظروف المماثلة ؛ بمعنى أنه يتوجب على الأفراد أن يتكيفوا مع قيم مجتمعاتهم .

نسطورية ....

أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون ، وهم فرقة مسيحية ، قالوا إن الله واحد ولكنه ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ، وهي ليست زائدة على الذات ، ولا هي هو ، وأن الكلمة اتَّحدت بجسد المسيح ، لا على طريق الامتزاج ، ولا على

طريق الظهور به ، ولكن كإشراق الشمس في كوّة على بلورة ، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم . وفسَّر نسطور واحدية الله بأنها بالجوهر ، أي إنه ليس مركباً بل بسيط وواحد . وفسَّر الحياة والعلم بأنهما أقنومان جوهران ، أي أنهما أصلان ومبدءان للعالم . وفسَّر العلم بالنطق والكلمة ، ويعني من ذلك أن الله موجود وحي وناطق كما تقول الفلاسفة في حد الإنسان ، إلَّا أن هذه المعاني تتغاير في الإنسان لكونه جوهراً مركباً ، وهو جوهر بسيط غير مركّب . وزعم بعض النسطوريين أن كل واحد من الأقانيم الثلاثة حي ناطق إلّه ، وأن الابن لم يزل متولداً من الأب ، وإنَّما تجسد واتَّحد بجسد المسيح حين ولد ، والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت ، فهو إلّه وإنسان اتَّحدا ، وهما جوهران أقنومان طبيعيان : جوهر قديم وجوهر محدث ، إلّه تام وإنسان تام ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ، ولا حدوث المحدث ، لكنهما صارا مسيحاً واحداً ، وطبيعة واحدة ، وأن القتل والصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، لأن الإلّه لا تحله الآلام .

نصيرية

فرقة من غلاة الشيعة ، أتباع محمد بن نصير النميري ، قالوا بنبوّته ، وكان يدّعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري ، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن ، ويقول فيه بالربوبية ، ويقول بإباحة المحارم ، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلّل ، وأنه أحد الطيبات التي لم يحرمها الله .

نظام

(١٦٠ ـ ٢٣١ هـ) أبو إسحق إبراهيم بن سيار النظام ، وكان تلقيبه بالنظام ، بتشديد الظاء ، لأنه كان ينظم الكلام نثراً وشعراً في رأس ، أو لأنه كان ينظم الحرز في سوق البصرة وهو الأرجح . واعتبره ابن حزم وابن نباتة أعظم شيوخ المعتزلة ، وقال عنه الجاحظ تلميذه أنه لو صدق أن على رأس كل ألف سنة رجل لا نظير له فهو أبو إسحق النظام . ومع أنه لم يصلنا من كتبه إلّا بعض الأسماء مثل « الجزء » ، ينقض فيه النظرية الذرية ، و « الحركة » الذي يؤكّد فيه أنها أصل الكون ، و « الثنوية » يرد فيه على الملاحدة ، إلَّا أننا نستطيع أن نلمّ بفلسفته من خلال ما تناثر عنه في كتب الآخرين . وكان النظام على اتفاق مع المعتزلة في تصوره لذات الله وتنزيهها عن الصفات القديمة ، غير أنه زادَ في مسألة عدل الله فقال إن الله لا يقدر على الظلم لأن أفعاله كلها من جنس واحد ، وهي عدل ، وما كان من الممكن أن يأتي فعلاً ويكون هناك فعل آخر أصلح منه ، وجرَّ عليه قوله النقد الشديد . وهو يقول إن العالم خلق دفعة واحدة ، غير أن بعض الموجودات ظاهرة الوجود ، وبعضها موجود بالقوة لا بالفعل ، فإذا جاء وقت ظهورها حدثت لها الحركة . والحركة عنده لا تعني الانتقال ولكنها مبدأ التغير . وأنكر النظام نظرية الجزء الذي لا يتجزأ ، وقال إنه ما من جزء وإلّا ويمكن أن يتجزأ ولو بالوهم ، أي إن القسمة عنده تكون بالقوة لا بالفعل . ومن أغرب الأقوال المنسوبة إليه قوله بالطفرة ، وفكرته في الطفرة تتفق مع فكرته في الجزء ، وقد أنكرهما عليه أبو الهذيل العلاف ، ابن أخته ، بحجة أن مذهبه يؤدّي كما أوضح زينون قديماً إلى استحالة الحركة لأن ما لا نهاية لأجزائه لا يمكن عبوره ، فابتكر النظام مذهباً غريباً لم يسبق إليه ، وهو مذهب الطفرة الذي يمكن بمقتضاه أن تحدث الحركة طفرة بالانتقال من طرفٍ إلى طرف بدون المرور حتماً بكل جزء مكاني من الأجزاء التي لا نهاية لها ، وبذلك تكون الحركة بين الطرفين ممكنة بالرغم من قبول المسافة بينهما للقسمة إلى ما لانهاية . وقد قيلَ عن النظام أنه كان كثير الاطّلاع على كتب الفلاسفة ، وأنه خلط كلامهم بكلام أصحابه المعتزلة . وفرقته تسمى النظامية ، وقيل إن من أصحابه الفضل الحدثي وأحمد بن خابط . ومن أقواله في الإرادة أن الله لا يوصف بها على الحقيقة ، فإذا وصف

بها شرعاً في أفعاله ، فالمُراد بذلك أنه خالقها ومنشئها على حسب ما علم ، وإذا وصف بكونه مريداً لأفعال العباد ، فالمعنى أنه آمر بها وناهٍ عنها . وقال إن الإنسان روح لها القوة والاستطاعة والحياة والمشيئة ، وبدن هو آلتها وقالبها .

نظامية ....

فرقة من المعتزلة ، أصحاب إبراهيم بن سيار النظام (انظر النظام) .

نظرية الاتساق في الصدق
Coherence Theory of Truth

إحدى نظريتين تقليديتين في الصدق ، والثانية هي نظرية التطابق Correspondence Theory ، والأولى قال بها لايبنتس واسبينوزا وهيجل وبرادلي من أصحاب المذاهب العقلانية ، وبعض الوضعيين المنطقيين مثل نيوراث وهيمبل ، وتكون العبارة ، وهي في العادة حكم ، صادقة ، إذا اتسقت مع غيرها من العبارات التي تدخل في نطاق علم معين ، كاتساق عناصر الرياضيات البحتة مثلاً وترابطها ببعضها البعض . غير أن هناك اتجاهاً في الفلسفة الوضعية المنطقية لمد هذا الاتساق بحيث يشمل كل العبارات الصادقة عن الواقع أو العالم .

نظرية « العظيم » التاريخية
Great Man Theory of History

النظرية التي تزعم أن التاريخ من صنع العظماء ، أو أنهم أهم العناصر المؤثرة في حركة التاريخ ، أو أنهم يجسدون أو يمثلون أو يلخصون الأحداث التاريخية ، وأننا بالإحاطة بتاريخ حياة هؤلاء الناس يمكن أن نفهم التاريخ ، بالمعنى الذي يعبر عنه هيجل حينما يقول إن البطل « يجسد عصره » ، أو الذي يعبر عنه كارلايل بقوله المأثور « إن التاريخ هو السيرة الذاتية للعظماء » (محاضرات ١٨٤٠) . وقد يعني العظيم أنه الإنسان المبرز ، أو أنه السوبرمان كما عند نيتشه ، أو البطل كما عند كارلايل وهيجل . ويبرّر كارلايل عظمة البطل بأنه مبعوث الله لينقذ البشرية أو قومه وليهديهم سواء السبيل . ويعرف هيجل البطل بأنه العظيم الذي تكتمل فيه متطلبات المرحلة التاريخية ، والذي يعمل من خلاله العقل الإلّهي . ويبرز برجسون ونيتشه وإمرسون الدور الخلاق للعظماء حيث يحصلون التقاليد ويكتشفون طرقاً جديدة للحياة وأبعاداً جديدة للتجربة البشرية . وتؤكّد نظرية العظيم فائدة قراءة تاريخ حياة العظماء بوصفهم نماذج يحتذيها الشباب .

نظرية انفعالية في الأخلاق ....
Emotive Theory in Ethics

ليست نظرية في الأخلاق بقدر ما هي نظرية في نقد الأخلاق أو في علم ما بعد الأخلاق Metaethics ، وتميز بين الحكم والاستدلال والمعتقدات واللغة في الأخلاق وفي العلوم التجريبية ، وترى أن لغة الأخلاق مثل الخطأ والصواب ليست محمولات علمية ولا يمكن التدليل عليها مثل قضايا الحساب ، ولا اختبارها بالملاحظة والتجريب كالمعطيات العلمية ، وتقصر اللغة الأخلاقية على التعجّب أو التمنّي أو الإنجاز (مثل أعدك بأن . .) والنظرية الانفعالية في الأخلاق جهة الوضعيين المناطقة مثل كارنات وآير وستيفنسون وهير ، وفي رأيهم أن العبارات الأخلاقية تعبيرات انفعالية عن أوامر تطلب أو تنصح بشيء ، أو تقارير تعبر عن ميول المتحدث واتجاهاته وحالته الذهنية . وتؤكّد هذه النظرية على الجانب المعرفي كذلك للعبارات الأخلاقية تأكيدها على الجانب الانفعالي ، وعندها أن هذه العبارات تعبّر كذلك عن معتقدات المتحدث وما يعرفه عن العالم ، وهو ما يريد إقناع السامعين به بحيث يمكن أن نقول إنها بمثابة دعوة للآخرين أن يحذوا حذوه وأن يصدقوها تصديقه لها بحيث تصبح هذه العبارات مبادىء أخلاقية عامة . ويرى بعض الفلاسفة الوضعيين أنها تعبّر كذلك عن اتجاهات الجماعة أو أنها تنصح باسم الجماعة .

نظرية الجزء الذي لا يتجزأ .... **Atomism**
(انظر الذرية) .

نظرية الجسيمات الدقيقة الطبيعية .....
Minima Naturalia Theory
(انظر النظرية الذرية) .

نظرية ذرية .... **Atomism**

النظرية التي تقول بأن الواقع المادي يتألف من جزئيات بسيطة دقيقة تسمّى الذرات Atoms ، وأن ما نلاحظه من تغيرات في الأشياء والعالم إنّما يرجع إلى ما يطرأ على هذه الأشياء أو ما يستحدث بها من تغير في الوضع النسبي للذرات الداخلة في تركيبها . والنظرية الذرية من أقدم النظريات في تاريخ الفكر ، وكانت فلسفية الطابع حتى القرن الثامن عشر ، ثم تحولت إلى نظرية علمية . وكان الفيلسوف الإغريقي لوقيبوس (القرن الخامس قبل الميلادي) أول من أشارَ إلى الأساس الذري للعالم ، ثم صاغ ديموقريطس النظرية صياغة محكمة ، وأضاف أبيقور إليها بعض الإضافات الطفيفة ، وطرحها لوكريتيوس طرحاً وافياً عن أبيقور في قصيدته عن « طبائع الأشياء » . ولم تكن نظرية لوقيبوس وديموقريطس إلاَّ تعديلاً لنظرية بارمنيدس وزينون التي ذهبت إلى أن الأشياء لا يمكن أن توجد من اللاّشيء أو أن تصير إلى اللاّشيء ، وهو مبدأ كان يعني عندهما أن الخلق غير ممكن وأن المادة ثابتة لا تتغير . وكانت نظرية لوقيبوس وديموقريطس الذرية محاولة للتوفيق بين التغير الذي يقرره الواقع والثبات الذي يذهب إليه بارمنيدس ، فالمادة ثابتة لكن التغير يطرأ على النسبة العددية للذرات الداخلة في تركيب الأشياء ، ومن ثمَّ فالتغير الذي يجري على الأشياء تغير كمّي وليس تغيراً كيفياً . وتفترض النظرية الذرية أن العالم يتألف من ملاء وخلاء ، وأن الملاء قوامه ذرات لامتناهية في أعدادها وأشكالها وأحجامها ، وإن كانت جميعها من الصغر بحيث لا تدركها الحواس وإن كان العقل يدركها بالاستنتاج الرياضي . وهي وإن كانت متناهية في الصغر إلاّ أنها ليست نقاطاً هندسية . وهي ذرات بمعنى أنها لا تقبل الانقسام من الناحية الفيزيقية ، إلاّ أنها من الناحية الهندسية تتكون من أجزاء ، وتتّصف بالصلابة ولها حجم وشكل ووزن ، لكنها بدون رائحة ولا طعم ولا حرارة ولا برودة ، أي أنها لا تتّصف إلاّ بما يقبل القياس وما يتعلق بالناحية الميكانيكية ، وهي الصفات التي أطلق عليها لوك فيما بعد اسم الصفات الأولية .

ورغم أن أرسطو لم يكن من الذريين ، وعارض بارمنيدس وديموقريطس ، ورفض فكرة الطبيعة الثابتة للذرات وعدم قابليتها هي نفسها للتغير ، واستنكر فكرة قابلية المادة للانقسام بشكل مطلق ، وقال بالتغير المحكوم والمحدود بطبيعة الأشياء ، إلاّ أن مفسريه - الكسندر الأفروديسي (القرن الثاني الميلادي) وثيمسطيوس (القرن الرابع) وفيلوبونوس (القرن السادس) أبرزوا أقواله كما لو كانت له وجهة نظر جسيمية Corpuscular Theory ، وأطلقوا على ما ذكره بشأن ذرات ديموقريطس الاسم الإغريقي Elachista بمعنى الجسيمات الدقيقة طالما أنه وصف الذرات بأنها مركبة وليست بسيطة ، وتحول هذا الاسم الإغريقي إلى الاسم اللاتيني Minima بمعنى الأجسام الدقيقة أيضاً ، وطوّرها مفسروه في العصور الوسطى من اللاتينيين والرشديين إلى نظرية الجسيمات الدقيقة الطبيعية Minima Naturalia Theory ، وذهبوا إلى أن الانقسام في الذرات ممكن ، وأنه انقسام محدود عندما يقع ، وشبه أجوستينو نيفو Nifo (١٤٧٣ - ١٥٣٨) جسيمات أرسطو بالحجارة في البناء ، وقال إن إنقاصها أو زيادتها بمثابة التفاعل الكيميائي . ووصف سكاليجر Scaliger (١٤٨٤ - ١٥٥٨) هذا التفاعل بأنه حركة الجسيمات نحو بعضها ليتم اتحادها ، ونسب لهذه الجسيمات دوراً حقيقياً في إحداث التفاعل بخلاف ما قال به أرسطو .

ومهّد دانيال سينرت (١٥٧٢ - ١٦٥٧) للاتجاه

العلمي للنظرية الذرية عندما ميَّز بين الذرات الأولية وبين الجزئيات . وواصل بطرس جاسندي (١٥٩٢ - ١٦٥٥) فكرة الجزئيات وقصر عليها تكوين الأشياء ، ولكنه ذكر أن الجزئيات تتألف أصلاً من ذرات . وقال ديكارت بالجزئيات دون الذرات ، ووصفها بأنها تمتد في المكان وتؤلّف فيما بينها وحدات تتحرك معاً ، وتختلف كل منها عن الأخرى باختلاف حركاتها . وذهبَ بويل (١٦٢٧ - ١٦٩١) إلى أن ذرات ديموقريطس تؤلّف فيما بينها لبنات أولية تتحد مع بعضها لتصنع مركبات أعلى . وكان جون دالتون (١٧٦٦ - ١٨٤٤) نقطة التحول الحقيقية ، ومع أنه لم يكن فيلسوفاً إلّا أنه جمع في نظريته بين فكرة ديموقريطس التي تقول بتجاور الذرات فيما تتركب منه دون أن يطرأ عليها تغيير كيميائي ، وفكرة القائلين بالجسيمات الدقيقة التي تنسب لكل عنصر ذراته الخاصة به . وتطورت بعده النظرية الذرية بسرعة عند بيرزيليوس (١٧٧٩ - ١٩٤٨) فقال بالأوزان النسبية للذرات ؛ وأميديو أفوجاردو (١٧٧٦ - ١٨٥٦) فقال بأن الجزئيات لا تتكون بالضرورة من ذرات ؛ ونيلز بور Bohr (١٩١٣) فقال بالبناء الذري من النواة الموجبة الشحنة وحولها في مدارات الكترونات ترسل موجات كهرومغنطيسية ، ومن ثمَّ فإن الذرة تفقد جزءاً من طاقتها باستمرار وتتناقص تبعاً لذلك حركة الالكترونات تدريجياً حتى تتوقف ؛ وأن إرسال الطاقة لا يحدث إلّا عندما يقفز أحد الالكترونات من مداره إلى مدار آخر ، بمعنى أن انبعاث الطاقة غير مستمر ، وهكذا أضيفت فكرة جسيمات الطاقة إلى فكرة جسيمات المادة . وأدّى تطور النظرية الذرية إلى قيام علم الطبيعة النووية لدراسة التغيرات التي تتعرض لها النواة الذرية ، ودراسة الإشعاع الذري الطبيعي ، والقول بأن النواة من خلال الإشعاع الصادر عنها تتغير شحنتها وحجمها فتستحيل من نواة عنصر إلى نواة عنصر آخر ، ونجح إرنست زدرفورد في تحقيق هذا التحول عملياً (١٩١٩) ، وأدّى ذلك إلى اكتشاف أنه بعملية التحوّل تتحرر كمية هائلة من الطاقة ، ومن ثمَّ استحالت الذرة إلى شيء أعقد مما ظنَّها دالتون ، وكان خطأ النظرية الميكانيكية الأساسي أنها بنيت على فكرة أن الذرة لا يجري بداخلها أي نوع من التغييرات .

وفي الفلسفة الإسلامية كانت أول نظرية في الذرة أو الجوهر الفرد هي نظرية الهذيل العلّاف في الجزء الذي لا يتجزأ ، ورغم أنه من المؤكّد أن العلاف أخذها عن اليونان ، إلّا أنه استطاعَ أن يضعها في مذهبه الديني بحيث تنسجم انسجاماً مطلقاً مع ميتافيزيقاه ، ووصفَ هذا الجزء الذي لا يتجزأ والذي تنحل إليه كل الموجودات بأنه لا طولَ له ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ، وبأن الكون يحدث بفعل حركة هذه الجواهر وتجمعها ، فإذا انفصلت يقع الفساد ، والزمان هو حركتها ، والمكان هو تحقق الآنات المنفصلة فيه . ووجدت هذه النظرية رواجاً عند الإسلاميين ، وأخذ بها كثير من المعتزلة ، ثم وضعها الأشاعرة وخاصة أبي الحسن الأشعري وتلميذه الباقلاني في صورة كاملة جعلت منها المذهب الرسمي للأشاعرة ثم للعالم الإسلامي كله . وكان لجوء الأشاعرة للنظرية بسبب رغبتهم في معارضة الإسلاميين الذين أخذوا بفكرة المحرك الأول غير المتحرك عند أرسطو ، والمادة القديمة المتحركة ، ليثبتوا أزلية الله وقدمه بأن يتصوروا عالماً يتكون من جوهر وأعراض حادثة تلحق به ، وأن لكل حادث محدث هو الله ، فالله يخلق الأجزاء ثم تفنىٰ فيعيد خلقها ، والأجزاء تأتلف وتفترق بإرادة الله وقدرته .

نظرية شمول النفس .... Panpsychism

تقول بأن كل الكائنات في العالم حية ولها نشاطها النفسي أو الواعي ، أو أن لها أنفساً ، وأنها تنتظم جميعا ، الجماد والنبات والحيوان ، في سلم في أسفله الكائنات اللّاعضوية ، وفي أعلاه الكائنات العضوية ، والإنسان على قمته . وتختلف نظرية شمول النفس عن نظرية حيوية المادة Holyzoism حيث تقتصر الأخيرة

على القول بأن المادة حية . والنظرية بصيغتها السابقة قديمة ، وتوجد إرهاصاتها في الاعتقادات البدائية والأفكار التي تروج بين الأطفال ، وتسمَّى بنظرية شمول النفس البسيطة أو الساذجة Naive ، بينما تسمَّى النظرية التي يعتنقها الفلاسفة بالنقدية Critical . ومن الفلاسفة الذين قالوا بها قديماً طاليس وانكسمانس وأمباذوقليس وأفلوطين وسمبليقوس ، ومن فلاسفة النهضة براسلس وكاردانو وتليزيو وبرونو وكمبانيللا ، ومن المحدثين لايبنتس وشيللنج وشوبنهاور وروزميني وكليفورد وفوييه وبيرس وشيللر ووايتهد وصامويل ألكسندر .

نظرية عامة للعلاقات ....
The General Theory of Relations

(انظر المنطق) .

نظرية المعرفة .... **Theory of Knowledge**

(انظر إبستمولوجيا) .

نظرية نسبية .... **Relativity Theory**

نظرية فيزيائية على نقد منطقي لطرق قياس الزمان والمكان ، وتطوّرت نتيجة للصعوبات التي كانت تكتنف دراسة الفيزياء في القرن التاسع عشر ، وكردّ فعل للتناقضات التجريبية التي كانت تحكم النظريات القديمة . ولم تحل النظرية النسبية المشاكل التي تولّدت بسببها فحسب ، لكنها ربطت بين عدد كبير من الظواهر التي لم تكن قد صيغت من أجلها أصلاً ، وشرحتها ، وتنبأت بظواهر أخرى غيرت شكل الفيزياء في القرن العشرين ، وتجاوزت عالم المحسوسات الذي يدخل ضمن نطاق التجريب إلى ظواهر اللامتناهي في الصغر واللّامتناهي في الكبر ، ومكنتنا من فهم الظواهر الفيزيائية الفلكية وخاصة معدل الطاقة التي تشعّها النجوم ، والتجاذب الكوني ، وانفلات السدم الحلزونية ، ووسعت معلوماتنا عن الذرة ، وساعدت قوانينها على وصف الأشعة الطيفية داخل الذرة ، وكانت العامل الحاسم في تشكيل نظرية الكموم ، وكان يستحيل بدونها فهم وحدة المادة .

ولم يكن اكتشاف نظرية النسبية مرة واحدة ، لكنه تكامل على دفعتين ، وفي الأول صاغَ ألبرت إنشتاين نظرية النسبية الخاصة STR (١٩٠٥) ، وفي الثانية توسّع في مجالات تطبيقها وأعلن نظرية النسبية العامة GTR (١٩١٦) . ولم يكن أحد يشك قبل ظهور النسبية في الانفصال التام بين الزمان والمكان ، ولكن إينشتاين أكَّد أن الزمان ليس مطلقاً ، وأن قياسه يتأثر بالحركة النسبية في المكان ، وأن قياس المسافات يتأثر بالزمان الخاص لكل مشاهد ، وجمع بين المكان والزمان في وحدة أطلق عليها اسم المكان الزماني ، تتكون من مكان وزمان نسبيين . وتلعب سرعة الضوء في هذا « المكان ـ الزمان » دوراً فريداً من نوعه ، وتؤلّف مطلقاً جديداً يذكر بالفلسفات والمعتقدات التي تقول بالنور وتنصبه إلّهاً على الكون ، وإنّما تسميه الفيزياء الضوء . ولم تعد الكتلة في النظرية الجديدة مطلقة ، لكنها أصبحت تتغير مع السرعة ، وصارَ للطاقة المكانة الأولى في الكون ، وأصبح من الممكن وزن الضوء .

وقامت النظرية العامة في النسبية بنقد المكان كنقد النظرية الخاصة للزمان ، وكانت رد فعل الفيزياء على الهندسة ، وقالت بأن المكان يتغير تبعاً لما يوجد فيه ، وتوصل إينشتاين إلى ذلك من تطابق الكتلة الوازنة والكتلة القصورية ، وما ترتب عليه من أن كل تغيير حركي (هندسي) يتميز بطابع تجاذبي . ولم يعد يُقال أن القوة تبعد الجسم عن الحركة المستقيمة ، بل نقول إنه في جوار كل مادة تتغير ميزات المكان ، وأن المكان الزماني منحني ، وأن الكون منحني كانحناء الأشعة الضوئية قرب الشمس ، وأن التجاذب يمنع الكون أن يكون إقليدياً . (انظر إينشتاين) .

نعمانية ....

فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب محمد بن النعمان

أبي جعفر الأحول ، الملقّب بشيطان الطاق ، وهم الشيطانية أيضاً ، والشيعة تقول هو مؤمن الطاق . قال إن الله على صورة إنسان رباني ، فهم من المشبهة . وقال إن الله تعالىٰ لا يعلم شيئاً حتى يكون .

نهضة .... Renaissance

الحركة الثقافية التي بدأت في إيطاليا في منتصف القرن الرابع عشر واستمرَّت حتى القرن السابع عشر ، وامتدَّت من إيطاليا إلى بقية أوروبا . والاسم فرنسي ، وكان كتاب النهضة يسمون حركتهم باسم الإحياء Restituto ، وترجمها عنهم جيبون إلى Restoration ، ولا يعجب اسم النهضة البعض وخاصة من اللاهوتيين لأنه يعني أن العصر الذي سبقَ عصر النهضة والمسمَّى بالعصور الوسطى كان عهد تخلّف ، وكان عصر النهضة بالنسبة إليه عصر يقظة وبعث ، ولذلك يؤثر هذا البعض اسم الإحياء لأن الحركة كانت في الواقع إحياء للتراث اليوناني القديم ، وكانت انفتاحاً على كل ما به حتى ولد كان ضد الإيمان والكنيسة ، ولقد تمثَّل ذلك في الناحية العلمية في إحياء الفلسفة الطبيعية والعلم الطبيعي ، فترجمت أعمال لوكريتيوس وأعيدت قراءة أرسطو بمنهج جديد ، وباشر فرانسيس بيكون تطبيق منطق أرسطو ومنهجه العلمي تطبيقاً يتناسب مع التطوّر التكنولوجي في مجال المقتروفات والميكانيكا ، وقدَّم كوبرنيق ثورته الفلكية فيما يسمَّى نظرية مركزية الشمس Heliocentric Theory ، وأقامها على بعض أفكار وجدها عند فيثاغورس ، وكانت نظريته أهم إسهامات عصر النهضة ، وتلتها التطورات المستحدثة في الرياضيات البحتة والتطبيقية . ومن البديهي أن الانفتاح جرَّ معه انشغالاً غير مجدٍ بمسائل أخرى كالتنجيم والسحر والكيمياء القديمة ، وترجمت كتب تتعلق بالديانات المصرية والكلدانية والعبرية ، أو بمعنى أصحَّ بالجوانب الخفية منها ، وتأثّرت الأخلاق والقيم الاجتماعية واللاهوت ، واعتبر مفكّرو النهضة أن فلاسفة العصور الوسطىٰ أو ما يسمَّى بعصر الإيمان قد أساؤوا فهم أرسطو واستخدموه في مجادلاتهم الدينية ليدعموا به علم الكلام عندهم ، وكذلك ترجموا أفلاطون لأنه كان يمثل عندهم الدعوة إلى دين طبيعي ، وأشرف على هذه الترجمات فشينو وتحلقت حوله في فلورنسا جماعة وجدت لدعوتها صدىً عند بعض اللاهوتيين من أمثال جون كوليت . كما أنهم انفتحوا على الفلسفة الأبيقورية رغم أن العصور الوسطىٰ كانت تعتبرها من الفلسفات المسرفة في الإلحاد ، وكذلك عرفوا الرواقية من خلال كتابات بومبانتزي ، ووجدت الشكية الأرض خصبة أمام ما كانت العصور الوسطىٰ تبشّر به في تعصّب وجزمية ، ودعا إيرازموس ومونتاني إلى التسامح الذي عرف به عصر التنوير . ورغم أن أخلاقيات العصر كانت في جملتها أرستوقراطية إلاَّ أنها كانت ضربة للأخلاق المسيحية ، وظهرت قيم البورجوازية النامية . وتمثل الانفتاح في الاقتصاد في نموّ حركة التجارة والرحلات البحرية حتى سمي العصر بعصر المغامرة Age of Adventure ، وتدعم الإحساس بالفردية وبالقومية ، وانعكسَ ذلك على سلطة الدولة وعلى تفكير بعض الطوباويين الذين ألّفوا كتباً في جمهوريات مثالية خيالية وضعوها بوازع ديني وبمفهوم تقدمي علمي . ولقد أشرف على كل هذه التيارات مجموعة من المثقفين من أفراد الشعب الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الإنسيين ، نسبة إلى نوع العلوم التي كانوا يعلمونها للشباب ، وهي البلاغة والشعر والنحو والخطابة وفن الكتابة ، واستوحوها جميعاً من الآداب القديمة ، وهي نفسها العلوم التي أطلق عليها شيشرون اسم الدراسات الإنسية Studia Humanitatis ، وكان المعلم الإنسي Umanista يخرج متعلمين يشغلون الوظائف الفكرية في البلاط وفي الكنيسة ، وقامَ هؤلاء في دراساتهم الإنسية بتوجيه الضربة القاضية للفلسفة الإسكولائية التي سادت العصور الوسطىٰ ، وكانوا حرباً شعواء عليها . ولعلَّ جيرولامو كاردانو (١٥٠١ ـ ١٥٧٦) خير من يمكن أن

يمثل الإنسيين والنهضة بشكل عام ، ولقد تعلَّم بجامعتيّ بافيا معقل الإنسية ، وبادوا مركز العلم والطب ، وكتب كاردانو في الطب والفلك والرياضيات ، وفلسفته طبيعية ، وهو القائل بأن أرسطو قد أورثنا أفكاراً تدحضها التجربة .

نومينيوس .... Numenius

إغريقي من القرن الثاني الميلادي ، يعرف بوصفه لأفلاطون بأنه موسىٰ الأتيكي Atticizing Moses أي موسىٰ الإغريق ، تمثلاً بموسىٰ اليهود الذي سبق أفلوطين والأفلاطونية المحدثة ، وحاول البعض أن ينسبوا إليه الأفلاطونية المحدثة ، وقالوا إن أفلوطين سرق أفكاره ، لكن أميليوس تلميذ أفلوطين كتب كتاباً يدحض فيه هذه الآراء ويشرح الفرق بين الاثنين ، والغالب أن نومينيوس من أصل سامي ، ومؤلّفاته شروح لأفلاطون ، وكان عارفاً باليهودية حتى ظنَّه البعض يهودياً ، ولكنه كان يهدف إلى الاسترسال إلى أبعد من أفلاطون ، إلى الديانات اليهودية والمصرية والمجوسية ، ويؤمن بإلّهين أو مبدأين متعارضين ، الله والمادة ، أو الموناد والداياد ، لكن بينما يجعل فيثاغوراس الداياد يخرج من الموناد ، يجعل نومينيوس الله مفارقاً للمادة لأن المادة شر ، ومن ثَمَّ يخترع إلّهاً Demiurge له طبيعة مزدوجة تتصل بالله وبالمادة ، ويجعل للعالم نفسين إحداهما خيرة والأخرى شريرة ، وللإنسان نفسين عاقلة وشهوانية ، والخلاص من الازدواج بالنجاة من إسار الجسد .

نيتشه .... Neitzsche

(١٨٤٤ ـ ١٩٠٠) فريدريك نيتشه ، ناثر من كبار الأدباء الألمان ، وفيلسوف يجيء ترتيبه الثالث بعد كنط وهيجل في سلم الفلاسفة الألمان . تفكيره كالأدباء ، وكتابته كالأنبياء . من أسرة من القساوسة ، لكنه كان شديد الإلحاد ، وجعله محور كتاباته . عاش ناسكاً ، وأحبَّ شوبنهاور لتشاؤمه ، لكنه انقلبَ عليه واعتنق مبدأ الحياة ، ومع ذلك ظلَّ التشاؤم يلازمه حتى أورده الجنون في الخامسة والأربعين . كان مولده في عيد ميلاد فريدريك وليام الرابع ملك بروسيا ، وأطلق عليه أبوه اسم الملك تيمناً به وتعبيراً عن وطنيته ، لكنه تمرَّد على الوطنية ودعا إلى العالمية ، وأُصيب هو والملك وأبوه بالجنون . وكان شاعره الذي أحبه هولدرن ، أكبر الشعراء الألمان بعد جوته ، وقضىٰ هو أيضاً آخر سنوات حياته مجنوناً . تأثَّر بثلاثة : شوبنهاور وريتشارد فاجنر وكتاب لانج « تاريخ المادية » وقال « بعد هؤلاء لست في حاجة إلى شيء » . وكان ما يزال طالباً في الجامعة عندما طبعَ له الأستاذ ريتشل عدداً من المقالات ، وكان النشر في مجلة ريتشل شرفاً لم ينله سوى نيتشه . وعندما خلا كرسي الفيلولوجيا (فقه اللغة) الكلاسية بجامعة بازل رشحه ريتشل للمنصب ، ولم يكن نيتشه قد حصل على الدكتوراه ، لكن ريتشل كان يعده معجزة ، وتحايلت الجامعة فأعطته الدكتوراه ليتم التعيين طبقاً للوائح . وحاول علماء النفس اليهود تجريحه لعدائه لليهود ، وردّوا جنونه إلى إصابة باكرة بالزهري أيام التلمذة ، وزعموا أن وفاته كانت بالزهري في المرحلة الثالثة ، لكن الذي لا شكَّ فيه أن نيتشه كان شديد النسك ولم يعرف من النساء في حياته إلاَّ أخته ، وهي التي تعهَّدته أثناء جنونه ، وباشرت نشر كتبه . ولم يستطع فرويد أن يخفي إعجابه به رغم ذلك ، ووصفه بأنه عالم نفس استطاعَ أن يحيط بالكثير من حقائق التحليل النفسي بثاقب فكره وفي لمحات ، وكان على التحليل النفسي أن يكتشفها بعد طول عناء وبحث . وفرويد يشير إلى أسلوبه الذي اتَّبعه في كتاباته « **إنساني ، إنساني جداً** » (١٨٧٨) و « **الفجر** » (١٨٨١) و « **العلم المرح** » (١٨٨٢) . وكان أول ما استرعىٰ نيتشه إليه الانتباه كتابه « **نشأة التراجيديا** » (١٨٧٢) وموضوعه التشاؤم والروح الإغريقية ، وزعم فيه أن اليونانيين القدامى عرفوا اتجاهين متعارضين ، أحدهما أبولّلوي (نسبة إلى أبوللو) يتَّسم بضبط النفس والإتساق والتناغم ، ويسير وفق حساب دقيق ، ويتجلَّى في النحت والعمارة

الإغريقية ، والثاني ديونيزي (نسبة إلى ديونيسوس) تحدوه رغبة عارمة لتجاوز كل المعايير ، ويتجلّى في النشوة المحمومة المعربدة التي تعبّر عن نفسها في احتفالات الإله ديونيسوس ، والموسيقى المصاحبة . ويرجع نيتشه نشأة التراجيديا إلى موسيقى ورقصات احتفالات ديونيسيوس ، غير أنه يجعل التراجيديا نفسها جماع الاتجاهين ، فإن كانت قد نشأت ديونيزية فإن قالبها أبوللوي . وهو يمجد الإغريق لأنهم واجهوا فظائع الطبيعة ومآسي التاريخ ، ولم يهربوا منها بأن ينكروا على أنفسهم إرادتهم كما فعل بوذا وقلّده شوبنهاور ، لكنهم كتبوا التراجيديات ليقولوا إن الحياة جميلة رغم كل ما يكتنفها .

ولا شك أن أهم كتبه « **هكذا تحدث زرادشت** » (١٨٨٣ - ١٨٩١) و « **ما وراء الخير والشر** » (١٨٩٦) و « **أصل الأخلاق** » (١٨٨٧) . ويعتبر « **هكذا تحدث زرادشت** » من عيون الأدب العالمي ، بل وأبلغ ما كتب في مجال الفلسفة . وتقوم فلسفته على محورين ، الأول نقد الدين ونقد القيم الثقافية والحضارية السائدة ، وفي رأيه أنها صورة للناس الذين يعتنقونها . وهو يميز نوعين من الثقافة إحداهما ثقافة الأقوياء أو السادة ، والأخرى ثقافة المنحطين أو العبيد ، والثقافة المعاصرة ثقافة منحطّة ترجع بأصلها إلى الشعب اليهودي الذي هو شعب عبيد ، وليست المسيحية إلَّا امتداداً معكوساً للفكر اليهودي ، وأخلاقياتها أخلاقيات ضعف وانحطاط لا تناسب إلَّا المساكين . والمحور الثاني لفلسفته قوله بإرادة القوة فليس صحيحاً أن الكائنات تتوق إلى البقاء ، وأن الحياة إرادة حياة كما يقول شوبنهاور ، وإنّما الحياة تتوق إلى الازدهار والانتشار والغزو ، فهي إرادة قوة وليست إرادة حياة . ولا ينبغي أن نفهم أن دعوته فاشية ، لأن نيتشه يستخدم مع إرادة القوة مفهوم التسامي ، وهو أول من يستخدمه ، ويعني به أن ينتصر الفرد على نفسه ، وأن يثري نفسه بالعلم والفلسفة ، وأن يسيطر على الطبيعة . ويعبّر عن انتصاراته بالفن . والإنسان القوي هو الذي يملك أفعاله ويوجهها ، أما الإنسان الذي يكتم ما بنفسه ويظهر خلاف ما يبطن فهو العبد ، وأخلاقه أخلاق العبيد ، ولا يمكن أن نطلب إلى العبيد أن يحبوا أعداءهم ، وإنّما السيد القوي هو الذي يأبى على نفسه الصغار ، ويرفض أن يتدنىٰ إلى مستوى الانتقام ، ويسمو بنفسه عن الدنايا ، وهو القادر على أن يحترم عدوه ويحب فيه أخلاقه الرفيعة . ولا يخدم السيد بأخلاقه أغراضه الشخصية ، وإنّما يعمل لغاية تعلو عليه هي إيجاد الإنسان الأعلى ، وهو الإنسان الذي اقترب منه جوته ، ينظم فوضىٰ عواطفه ، ويضفي على نفسه شخصية ، وينقلب خالقاً ، يعي فظائع الحياة لكنه يمجّد الحياة ، طريقة الخلق والإبداع ، لا يشغل باله بالأحقاد والضغائن ، وهو صنو الله أو هو المقابل الأرضي لله . ولم يدع نيتشه أنه إنسان أعلى ، ولم يقل إن الإنسان الأعلى موجود ، لكنه قال إنه يرتجيه . ولم يقل إن الناس توجد في الحياة إما بأخلاق السادة أو النبلاء وإمّا بأخلاق العبيد أو المضطهدين ، ولكنه قال إنهم موجودون بالنوعين معاً ، حتى في الإنسان الواحد . لكن الإنسان الأعلى ممكن بمقتضىٰ قانون التطور، وليس الإنسان الحالي إلَّا حبلاً مشدوداً بين الحيوان والإنسان الأعلى ، ولا يمكن أن يبلغ الناس كلهم مرتبة الإنسان الأعلى ، لكن القلة يمكن أن تبلغها عندما تنبذ الأديان العدمية التي تنفر من الحياة الأرضية وتنقل البشر من واقع الحياة إلى صور وتهاويم لعالم آخر وتسلب منهم عناصر القوة وتستبقيهم في حال الضعف والمهانة ، وعندما تعود إلى القيم التي سادت يوماً الأمم الشريفة التي أبدعت قيمها ولم تتلقها من خارج ، فليس للحياة من معنى إلَّا ما يعطيه لها الإنسان ، ولكي لا نسقط علينا أن نرفع هاماتنا ونقسو على أنفسنا وننتصر عليها ، ولا تأخذنا بها أو بالغير شفقة ، ولو تملكتك الشفقة المسيحية استعبدتك واستبقتك في الهوان ، والإنسان الأعلى هو الإنسان الخالق لا المخلوق ، ولكي يخلق سيتعذب ، وسيهجره الناس ، وستمر به لحظات من الشك في أهدافه وفي نفسه ، وقد يصرعه

الضعفاء بفضل عددهم أو بالدهاء ، لكنه سيعيش في خطر ولن يرحم نفسه أو التابعين له ، لأن غايته الفوز ، وليس من سبيل إلاَّ هذا السبيل ليبلغ ما ينشده أو يثبت لنفسه جدارته ، وفي الفوز سروره الأعظم ، وفي كل ما يأتيه يصدر عن ضمير مطمئن لأنه يلخص الإنسانية . وليس هذا الإنسان المختار هو الذي يظن أنه أحسن من الباقين لكنه الذي يطلب من نفسه أكثر من الباقين . وهو راضٍ في كل الأحوال بمصيره ، وليس أعظم من هذا المصير . وإذا كان العالم إلى صيرورة فهو أيضاً عالم يتصف بالدوام ، لأن الآن ليس إلى زوال ، لكنه سيعود طبقاً لنظرية العود الأبدي Eternal Recurrence ، وبها يستطيع الإنسان عندما يجعل لحياته معنى ويصنع لنفسه شخصية ويؤكِّد بفرح وجوده أن لا يكتفي مع فاوست جوته بأن يتمنى أن تدوم اللحظة التي هو فيها ، فطالما أنها إلى انقضاء فليطلب إليها أن تعود كلَّما انقضت .

نيشادا كيتارو .... Nishada Kitaro

(١٨٧٠ ـ ١٩٤٥) أبرز الفلاسفة العصرانيين في اليابان ، تعلَّم بجامعة طوكيو ، وأسَّس مدرسة كيوتو الفلسفية ، وكان في كل مؤلَّفاته التي أبرزها « دراسة الخير » (١٩١١) ينحو إلى إيجاد شكل غربي للمحتوى الياباني في الفلسفة ، بمعنى أن يطرح الأخلاق الكونفوشية في نسق فلسفي أوروبي ، ولذلك اعتبر النقّاد كتابه السابق أول محاولة فلسفية جادة في المرحلة الحديثة التي بدأت سنة ١٨٦٨ مع حركة البعث . ويناقش الكتاب معنى الخبرة الخالصة التي ليست ذاتية ولا موضوعية ، وقال في كتبه اللاحقة إن الوعي بالذات هو أعلى أشكال الخبرة الخالصة .

نيشي أماني .... Nishi Amane

(١٨٢٩ ـ ١٨٩٧) رائد تحديث الفلسفة اليابانية ، و « أبو » الفلسفة الغربية في اليابان ، درس في هولنده ، وعادَ إلى اليابان سنة ١٨٦٥ ، فصار واحداً من « المايوروكوشا » أي المفكرين المرموقين الذين دعوا للثقافة والقيم الغربية في اليابان ، وعين مديراً لأكاديمية طوكيو ، وعضواً بمجلس الشيوخ . أهم كتبه « الموسوعة » (١٨٧٤) و « نظرية جديدة عن المذاهب الكثيرة » (١٨٧٤) و « المنطق : مقدمة » (١٨٧٤) و « نظرية الكنوز الثلاثة في حياة الإنسان » (١٨٧٥) ، والأول عبارة عن قاموس في الفلسفة ، والثاني يشرح منهج جون ستيوارت مل الاستقرائي ، ويفضله على وضعية كونت ، والثالث أول كتاب من نوعه في اليابان ، والرابع يحل محل الأخلاق الكونفوشية أخلاقاً هدفها تحصيل الصحة والثروة والمعرفة .

نيقولا الأوتركورتي .... Nicholas of Autrecourt

(نحو ١٣٠٠ ـ بعد ١٣٥٠ م) وهو أيضاً نيقولاوس دي أولتراكوريا ، من الإسميين المناهضين لأرسطو ، علَّم بالسوربون ، وحاضرَ عن الأحكام في باريس ، واستدعي إلى روما ليحاكم بتهم ترقىٰ إلى التجديف والكفر ، وأجبروه على إنكار الكثير من أقواله ، وأحرقت كتبه علناً ، وحرموه من التدريس . ويبدأ نيقولا من قضية اليقين ، حيث يكون مصدره الإيمان ، ثم اليقين القائم على مبدأ عدم التناقض ، فالشيء يكون إمَّا هذا وإمَّا ذاك المناقض له ، ولكنه لا يكون أبداً هذا وذاك المتناقضين . ومبدأ اليقين أساس كل يقين ، وهو مطلق ولا يمكن لشيء أن يغيره ، وكل استدلال بالقياس ينهض على مبدأ عدم التناقض ، ويثبت للموضوع محمولاً هو نفس الموضوع أو جزء منه ، وإلاَّ ما كان المحمول يوافق الموضوع . ويخلص نيقولا من ذلك إلى أننا لا نستطيع أن نستنتج من مبدأ عدم التناقض وجود شيء من وجود شيء آخر، ولا عدم وجود شيء من عدم وجود شيء آخر ، وتقوض نتيجة هذا الكشف كل البناء الفكري للمدارس الفلسفية ، ويلزم عنها تهافت مبدأ العلية ، حيث أنه يذهب إلى صدور العلة غير المنظورة من المعلول المنظور ، ومن ثمَّ يسقط استخلاص الجوهر من الأعراض ، ويبطل القول بجواز

استخلاص وجود الجواهر أو الأرواح من المدركات الحسية والانتقال من العالم إلى الله . وحتى لو قلنا بجواز ذلك ، من باب الاحتمال ، لكانَ الاحتمال مستحيلاً ، لأن معنىٰ المحتمل أنه الشيء الذي يتكرر حدوثه ، فعندما يحدث أن أحس الدفء بتقريب يدي من النار ، يكون من المحتمل أن أحس الدفء بتقريبها مرة أخرى من النار ، ولم يوجد في تجاربنا عن الظواهر ما يجعلنا نقول بوجود علاقة بين المظهر والجوهر ، ولا يوجد حتى ما يدعونا إلى الاعتقاد باحتمال وجود ما يسمَّى بالجوهر : وإذاً فالموجود حقاً بالنسبة إلينا ظواهر ، نتوجه إليها بالتجربة ، ونكتسب بها معارف محققة . وهكذا كان نيقولا الأوتروكورتي من الرافضين الإقرار بأن قضية الإيمان شيء يمكن التدليل عليه ، ومن ثمَّ عارض أرسطو وأسهم في تدهور تأثيره على فكر القرن الرابع عشر ، ولكن لم يكن لنيقولا نفسه تأثير مباشر على تطور الفلسفة في عصره ، وكان يمكن أن ينتظر حتى القرن الثامن عشر حتى يعرف الفلاسفة قيمته ويقدروه حق قدره .

نيقولا الأوريسمي .... Nicholas Oresme

(نحو ١٣٢٥ ـ ١٣٨٢ هـ) فرنسي ، من الإسميين المحدثين ، تعلَّم بجامعة باريس ، وربما كان قد حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت ، ورشح مدرساً للملك شارل الخامس قبل تولّيه العرش ، وكلفه البلاط بترجمة بعض الكتب إلى الفرنسية ، فكان الأول في استعمال اللغة العامية في العلم والفلسفة من بين الفرنسيين ، وكانت لغة العلوم والفلسفة اللاتينية ، وكانت اللغات الأوروبية بالنسبة لها لغات عامية ، ونقل الأوريسمي كتب أرسطو في « الأخلاق » وفي « السياسة » وفي « الاقتصاد » وفي « السماء والعالم » . وتدل شروحه ومؤلّفاته على سعة اطّلاع وتمكّن في اللاهوت والعلم الطبيعي والاقتصاد والسياسة ، غير أن أهم مؤلّفاته هي التي دوَّنها في العلم الطبيعي والرياضيات ، وجاءت مناقشاته للمسائل الفلسفية من خلال معالجته للمسائل العلمية . ومن رأيه أن مسائل الطبيعة لا يمكن الجزم فيها بشيء ، وأن من الخطأ تسفيه الرأي المخالف ، لكنه كان هو نفسه ينحاز للتراث ، فالقول بثبات الأرض له ما يسانده ، لكن القول بدورانها لا يمكن القطع بخطله ، لا بالتجربة ولا بالاستدلال . وتنبَّه أو رسم إلى قانون سقوط الأجسام وفكرة الهندسة التحليلية والحركة وعلاقتها بالسرعة والزمان والمكان .

نيقولا القوساوي .... Nicholas of Cusa

(١٤٠١ ـ ١٤٦٤) ويعرف كذلك بنيقولا كريفتس أو كريبس ، ولد بمدينة قوسا Kues من أعمال ألمانيا ، وحضر مدرسة إخوان المعيشة المشتركة في دفنتر بهولندة ، ودرس الفلسفة في هيدلبرج ، وكان أساتذتها أوكاميين ، فأخذ عنهم أشياء ، وانتقل إلى جامعة بادوا بإيطاليا ليدرس القانون ، وكانت معقل الرشديين أو أتباع ابن رشد ، ثم جامعة كولونيا حيث درس اللاهوت ، وحصل على الدكتوراه في القانون ، واشتغل محامياً ، لكنه انصرف إلى الكهنوت وترقىٰ في مناصبه حتى صار كردينالاً ، وحاول المساعدة في إصلاح الكنيسة ، وأرسله البابا إلى الكنيسة الشرقية لمحاولة ضمها إلى روما . كتب نيقولا في اللاهوت نحو أربعة عشر كتاباً ، أهمَّها « الجهل الحكيم Apologia Doctac Ignorantiae » و « رؤيا الله De Visione Deis » و « الأحمق Idiotae Libri » ، وله أربعة كتب في الرياضيات . غير أن أهم كتبه إطلاقاً كتابه « الجهل الحكيم » ، والعنوان أخذه عن القديس بونافنتورا ، ومن رأيه أن الإنسان يبلغ الحكمة إذا تبيّن حدود عقله ، وهو يسعىٰ إلى الحقيقة ، تدفعه إليها رغبة طبيعية ، متوسلاً بالعقل الذي يبدأ من فروض محتملة وينتهي إلى نتائج ما يزال الشك يحوطها ، مستعيناً بالاستدلال الذي ينسب النتائج إلى المقدمات ويقارن بينهما ، وكلما بعدت بينهما الشقة ، كلما كان بلوغ النتيجة صعباً ، وكان عدم اليقين بها أكثر ، فإذا كانت المسافة بينهما لانهائية ، لا يبلغ العقل هدفه أبداً ، لأنه لا علاقة ، ولا

نسبة ، بين المتناهي واللامتناهي ، ومن ثمَّ فالعقل لا يمكن أن يعرف اللامتناهي ، ، حيث أنه مطلق ، والوسيلة إلى معرفة المطلق ليست بالمقارنة والانتساب ، وإذاً فالعقل لا يمكن أن يدرك الله المطلق ، ونحن بالبحث العقلي يمكن أن نقترب منه ، لكننا لن نبلغه . ونفس الشيء مع كل حقيقة ، لأنها مطلق ولا تعرف التدرج ، أما العقل فهو تدريجي ، يرجع النتائج إلى مقدماتها ، ومن ثمَّ لا يمكن أن يبلغ الحقيقة . والمعرفة في أحسن حالاتها تخمينية ، بمعنى أن العقل يشبه العين التي تنظر إلى الوجه من مواضع مختلفة ومتقابلة ، وكل منظر تراه للوجه صحيح ، لكنه جزئي ونسبي ، وليس جماع المناظر هو الوجه . ونفس الشيء يصدق على العقل حيث يدرك نوعاً بسيطاً من الحقيقة كأجزاء ومن خلال آراء متعارضة ، ولكن جماعها ليس كل الحقيقة . ويرجع ضعف العقل إلى مبدأ عدم التناقض الذي ينفي اتصاف الشيء الواحد بصفتين متناقضتين . ولذلك يتجاوز نيقولا مبدأ عدم التناقض ، ويقول بمبدأ توافق الأضداد Oppositorum Coincidentia ، وينقد الأرسطوطاليين لإصرارهم على مبدأ عدم التناقض ، فالعقل الاستدلالي يدرك الأضداد منفصلة متقابلة ، لكن النفس تدرك توافق الأضداد بالحدس ، وتبطل عندها قيمة مبدأ عدم التناقض ، وهذا الحدس ليس معرفة ، لأن المعرفة تحصل بالكثرة والاختلاف ، وكمال التفكير في وقوف التفكير ، والجهل الحكيم هو معرفة الفكر لحدوده ، واعتقاده بالوحدة المطلقة وراء هذه الحدود ، وليس مبدأ عدم التناقض هو أعلى المبادىء كما يقول الأرسطيون ، وليس الجدل هو أرفع العلوم كما يدّعون .

نيميسيوس الحمصي .... Nemesius of Emesa

(نحو ٣٩٠م) مؤلف كتاب « **في طبيعة الإنسان** » ، ويعتبر أول كتاب معروف في الأنثروبولوجيا الفلسفية واللاهوتية ، وكل ما نعرفه عن نيميسيوس أنه ربما كان أسقفاً على حمص في سوريا ، وأن أفكاره يستمد معظمها من جالينوس وأوريجين وفورفوريوس وبعض شراح أرسطو . ويعالج الكتاب موضوعات : الخلق ، وعلاقة الروح بالجسم ، وعناصر الجسم ، والحواس والقدرات ، والانفعالات ، والحرية ، والقدر ، والعناية الإلّهية . ويذهب نيميسيوس إلى أن الإنسان حر في تصرفاته ، وينتقد لذلك الرواقيين لمقالتهم في القدر ، ويميز بين الأفعال الإرادية واللاإرادية ويقول بأن الروح جسم لطيف ، وأنها تحل بالجسم حلولاً وليس اتحاداً .

نيوتن .... Newton

(١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) إسحاق نيوتن ، مؤسس الميكانيكا التقليدية ، إنجليزي ، تعلم بكيمبردج وعلم بها ، كتابه الرئيسي « **المبادىء Principia** » أو « **المبادىء الرياضية للفلسفة الطبيعية Principia Mathematica Philosophiae Naturalis** » (١٦٨٧) الذي صاغ فيه قانون الجاذبية الكلية ، والمعروف باسمه ، والذي وجد فيه الحقيقة الآتية : إذا افترضنا كتلة (ك ١) وكتلة أخرى (ك ٢) وبينهما قوة جاذبة ، فإن القوة الجاذبة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين ، وعكسياً مع مربع المسافة ، ويعني ذلك أن قوة الجذب تزداد كلما اقتربت المسافة بين الكتلتين ، واستطاع نيوتن ، والذين تابعوه في التفسير الميكانيكي للكون ، توسيع مجال تطبيق هذا القانون على ظواهر الطبيعة والكون ، كما ظهرت نزعة فلسفية نتيجة هذا التصور الميكانيكي ، وهذا التعليل العلمي للظواهر الطبيعية ، فلقد ركزت فلسفة نيوتن الطبيعية على التعليل السببي للظواهر ، وتعيين العلة ، وارتباطها الوثيق بالمعلول ، بحيث أصبح التعليل السببي ، أو قانون السببية ، ركناً أساسياً وهاماً في عالم الطبيعة . وزاد من تأكيد العلماء لأهمية قدرة القوانين الطبيعية على التنبؤ ، فإذا ظهرت العلة فمن الضروري أن يظهر الحدث أو المعلول ، لأن العلاقة بين العلة والمعلول ضرورية وحتمية ، وكان من جراء هذا التفكير أن

أصبحت الحتمية هي النظرية السائدة في تفسير الظواهر الطبيعية ، فإذا عرفت العلة فإنه بالإمكان معرفة المعلول ، وتجاوزت النظرية الحتمية مجال الفيزياء إلى علم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ ، وأصبح قانون السببية أساس صياغة القوانين الطبيعية . وإدراك حقائق الكون ، فنجد جون ستيوارت مل في كتابه « نسق المنطق » يؤكد أهمية هذا القانون ، وتدور طرقه في البحث حول تثبيت العلاقة بين العلة والمعلول ، وكيفية التوصل إلى العلاقة السببية التي تربط بين الحوادث . وأدت هذه النظرة الميكانيكية إلى الاعتقاد بأن الكون يمكن تصوره دون علة خارجة عنه ، وأن قوانين الطبيعة هي وحدها المتحكمة في المادة وتشكلها وصيرورتها ، وأن هناك انتظاماً في الطبيعة يؤلف بين الحوادث ويربط بين العلة والمعلول ، بحيث تكون قوانين السببية هي التفسير الوحيد لكل تعليل يقوم على الصواب .

نيومان .... Newman

(١٨٠١ - ١٨٩٠) يوحنا هنري نيومان ، انجليزي ، ابن صراف ، نشأته دينية ، وكانت له تجربة دينية عميقة وهو في الخامسة عشرة ، وكان يؤمن إيماناً عملياً بأن الله موجود ، وكان يردد على نفسه أن التقوى خير الزاد ، وميز بين نوعين من الاستدلال الصوري وغير الصوري ، الأول نستخدمه في الرياضيات والمنطق ، والمعرفة المتحصلة به تجريدية ، والتصديق الذي يولده لا أثر له في سيرة صاحبه . والثاني نستخدمه في الحياة ، فليست مسائل الحياة مما يمكن أن نفكر فيها تفكيراً استدلالياً صورياً مطلقاً ، ومع ذلك فنحن نصل فيها إلى نتائج تصمد للاختبارات الصورية ، ويسمى هذا الضرب من التفكير بالاستدلال الواقعي Concrete Reasoning ، وهو واقعي لأنه الاستجابة الواقعية للتجربة الشخصية ، لصاحب التفكير . وعندما يفكر الانسان تفكيراً واقعياً يكون مسؤولاً عن اتجاه تفكيره . وفي تجارب الحياة لا يتوقف الإنسان ليناقش نفسه مناقشة تسير وفق الأصول المنهجية ولكنه يخوض التجربة مباشرة بتلقائية يسميها نيومان النمط الطبيعي في الاستدلال ، وهو النمط الذي لا يرهق نفسه بالتساؤل عن نوع الاستخدام الذي يمارسه صاحبه بعقله . وكل فرد تواجهه مواقف عملية واختيارات خلقية تتطلب منه تقييماً شخصياً للأمور وللأهداف والوسائل المحققة لها ، وهناك لحظات لا يمكن حتى لأعظم القادة العسكريين أن يعتمدوا فيها فقط على قواعد الاستراتيجية والمفهوم الصوري للحرب ، لكنه يوظف كل معرفته هذه في خدمة تقديره الشخصي لهذا الموقف العسكري بعينه حتى يتخذ بشأنه القرار المسؤول . ويصف نيومان قرارات المؤرخ والعالم والقاضي والناقد بأنها قرارات يسترشد فيها أصحابها بذكائهم الواقعي ، واستدلاله غير صوري لأنه يعالج مسائل لا يحلها مجرد اللجوء إلى القواعد المنطقية الصورية ، والحاسة التي تصدر أحكامها الواقعية في المواقف التي تستدعي الاستدلال الواقعي ، يسميها نيومان الحاسة الاستنتاجية Illative Sense ، ونلمس استخدامها بشكل متكامل في الأعمال الإبداعية ، ومع مفكرين من أمثال نيوتن أو جيبون ، وفي مجال الدين حيث تكون المباحث حول الحقيقة عن الله والروح ، وهما مسائل تدخل ضمن الوجود الواقعي ، ويميز نيومان بين التصديق الذي يرجع إلى المعرفة التجريدية ويسميه التصديق النظري Notional Assent ، والتصديق الواقعي Real Assent أو العملي القائم على طبيعة الشخص المصدق وتجربته الخاصة . والموقف الإنساني يستدعي التصديقين ، وهو يقول في أهم كتبه « أجرومية التصديق A Grammar of Assent » (١٨٧٠) ان مجال الأخلاق هو المجال الذي يستدعي التفكيرين معاً ويزاوج بين التصديقين ، وطريق الأخلاق هو طريق الله ، لأنها طريق شخصي تتدعم فيه العلاقات بالآخرين ، وفيه نجرب الضمير وحرية الفعل والمسؤولية ، والضمير هو الذي يعري الموقف الانساني بكامله ومسؤوليتنا تجاه الله .

حرف الهاء

هارتمان .... **Hartman**

إدوارد فون هارتمان (١٨٤٢ ـ ١٩٠٦) ألماني ، متشائم ، ولد ببرلين ، وكان أبوه ضابطاً بروسيا فألحقه بالكلية الحربية ولكنه أصيب في ركبته وظل بقية حياته يشكو منها وما ترتب على إصابته من آلام روماتيزمية . وترك التعليم العسكري إلى الرسم والموسيقى وانصرف أخيراً إلى الفلسفة وتوفر على كتابه الأشهر « فلسفة اللاشعوري **Die Philosophie des Unbewussten** » (١٨٦٩) وأتبعه بعده بكتب ينمي بها وجهة نظره وتزيد أفكاره شرحاً وتوضيحاً . ولم يمنعه تشاؤمه من أن يتزوج مرتين وأن يكون له من زوجتيه الأولاد . ويجمع هارتمان في فلسفته بين إرادة شوبنهاور ومثال هيجل في مطلق متجانس لاشعوري ، ويقول إن في الكائنات الحية وظائف وغرائز تفترض عقلاً أوسع من عقل الإنسان وأشد عزماً ، إلا أنه عقل لاشعوري ، فالحياة تكشف لنا عن لاشعور عاقل مربد ، يرشده المثال الهيجلي ، وقد يوجد الشعور حتى في الحمار إذ لا تلازم بين الشعوري والنفس على ما يشهد به الإلهام الفني وتطبيق المقولات ، كما ذكر كنط ، وكلاهما لاشعوري ، وإذن فالموجودات مظاهر للاشعور مطلق أو مطلق لاشعوري أراد أن يتحقق فأوجد العالم ، وكان هذا العالم أفضل العوالم الممكنة ويتألف من مراتب يتزايد فيها الشعور من الأدنى إلى الأعلى ، إلا أن الشر فيه يربو على الخير إلى الحد الذي يستحب العدم دونه ، والمثل الأعلى والغاية القصوى لتطور المطلق ، في عرف مذهب التشاؤم ، يجب أن تكون عدم العالم وعدم اللاشعوري نفسه ، ولا يتحقق ذلك إلا بنحو الشعور في المطلق ، أي في مظاهره على اختلافها وبخاصة في الانسان ، وبزيادة الشعور يزيد الإحساس بالشقاء وتؤثر الموجودات عدم الوجود ، ومن ثم تكون نهاية العالم على عكس ما يذهب إليه شوبنهاور حيث يرى بقاء الوجود ومن ثم يكون الشر دائماً ، إلا أن هارتمان يستدرك فيقول إنه ليس ثمة ما يضمن استمرار أن يبقى العالم في الدمار إذ من الممكن أن تعود الإرادة الكامنة فتستيقظ .

هاشمية .....

أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، ومنهم جماعة قالوا بالتناسخ ، والثواب والعقاب يكون في الدنيا ، في الأشخاص التي تتناقل منها الأرواح ، وكفروا بالقيامة ، وعن هؤلاء نشأت الخرمية .

هاملان ...

(١٨٥٦ ـ ١٩٠٧) أوكتاف هاملان ، مثالي فرنسي ، طور النقدية المحدثة عند رنوفييه ولاشلييه ،

وكان يعتبر نفسه تلميذاً لرنوفييه ، وسعى لتقديم تفسير للكون جعل فيه الضرورة تتضمن كل الواقع العيني وما هو ممكن عرضي ، وتصدر تطوراً جدلياً للواقع يتم بسلسلة من العمليات التركيبية التي تؤلف بين الأضداد ، وتتجه حركتها من العناصر المجردة إلى الواقع العيني ، وغايتها تكوين الذات الواعية ، بخلاف هيجل الذي يوجه سعيها نحو المطلق ، وينتهي هاملان إلى لوحة مقولات تبدأ بالإضافة التي تتركب من الوجود واللاوجود ، ونقيضها العدد ، ومركبهما الزمان ، ونقيضه المكان ، ومركبهما الحركة ، ونقيضهما الكيف ، ومركبهما الاستحالة ، ونقيضها التنويع ، ومركبهما العلية ، ونقيضها الغائية ، ومركبهما الذات الواعية .

هاليفي .... Halevi

(نحو ١٠٧٥ ـ ١١٤١) يهودا هاليفي ، يهودي أندلسي ، اشتهر بكتابه « خوارزمي » أو « **كتاب البرهان والحجة دفاعاً عن العقيدة المحتقرة** » يهاجم الفلسفة كما عرضها ابن سينا ، وينقدها ، ويعترف بفضل الغزالي عليه ، ويتخذ من حكاية ملك الخرز الوثني الذي قيل انه تحول إلى اليهودية نحو سنة ٧٤٠ دعوى لتفضيلها على الديانتين المسيحية والإسلامية ، ويزعم أن الملك قد استدعى ثلاثة من العلماء المسيحيين والمسلمين واليهود ، وأن كلاً منهم عرض عقيدته عليه فاختار الملك من بينها اليهودية ديناً له ، ورغم أن ذلك يعني أن اليهودية أكثر معقولية إلا أن هاليفي كان من الرافضين للعقلانية وخاصة عند أرسطو ، وكان يزهو بأن اليهودية لا تقوم على العقل ، وأنها ديانة تاريخية حيث ينصر الله اليهود الذين آمنوا به ، فالدليل على صحة الإيمان اليهودي بالله أن الله قد ميز اليهود شعبه عبر التاريخ .

هاملتون .... Hamilton

(١٧٨٨ ـ ١٨٥٦) وليام هاملتون ، اسكتلندي ، ولد بجلاسجو ، وتخرج من أدنبرة وأكسفورد ، واشتغل بتدريس التاريخ والمنطق والميتافيزيقا ، وكان له تأثير كبير على الفلسفة في القرن التاسع عشر ، وخاصة الفلسفة الاسكتلندية ، وكان موضوع دراسة من جون ستيوارت مل لم يعد يذكر إلا بها (مناقشة لفلسفة سيروليم هاملتون) ، واشتهر بكتابه « **فلسفة اللامشروط On The Philosophy of the Unconditioned** » (١٨٢٩) ، وحاول به التقديم لنظرية جديدة في المعرفة تقوم على النسبية ، بمعنى أننا حينما نفكر في شيء فإننا نحدده بعلاقته بشيء آخر يكون شرطاً له ، فكل مدرك مشروط ، وإدراكي له إدراك موضوعي ، بمعنى أن ما أدركه من الأشياء هو آثارها على حواسي ، وأني لا أعرف شيئاً عنها في ذاتها ، وان ادراكي للشيء لا ينفصل عن ظواهره ؛ وبالمثل لا تعني معرفتي بالشيء أني أصبحت أعرفه في ذاته ووجوده المطلق من غير علاقة بينه وبيني أنا العارف ، فذلك مستحيل ، فلكي يكون الشيء معروف لا بد أن ينسب إلى عارف ، والمعرفة نسبة بين صفات الشيء الموضوعية والوسط الطارىء وأعضاء الحس ، ومن ثم تتعدل المعرفة بالعوامل الوسيطة ، ولا بد أن تكون نسبية . والتفكير في شيء يعني أننا نصنفه بشكل معين ، بمعنى أن الفكر يفرض عليه شروطه ، ومن ثم فالمشروط هو الشيء الوحيد القابل للمعرفة ؛ أما اللامشروط ، غير النسبي ، المطلق ، فلا تتسنى معرفته ، وكل ما يمكن أن نعرفه أنه موجود ، لكننا لا نعرف ما هو ، فإذا تساءلنا هل هو متناه أوغير متناه ، وجدنا أنفسنا أمام حدين متقابلين ، ويقضي مبدأ الثالث المرفوع أن أحد الحدين صادق بالضرورة ، لكن أيهما الصادق ؟ هنا نجد أن المشروط هو الوسط الممكن بين الحدين ، أو الوسط الممكن بين لامشروطين يناقض كلاهما الآخر ، وكلاهما غير ممكن ، ولكن الاختيار بينهما ضروري مع ذلك ، وهو اختيار صعب يتجاوز طاقة العقل ، ومن ثم يلجأ العقل إلى البقاء في الوسط ، فإذا حدث واختار فإنما يفعل ذلك لأسباب خلقية ، لأننا مثلاً نرى أننا بحاجة إلى موجود غير متناه .

ويعتبر هاملتون نظريته في تكميم المحمول إسهامه الحقيقي في المنطق ، ويجعل للمحمول كماً مثل الموضوع ، بحيث لا يكون كل ما لدينا مجرد قضايا « كل ص هو ك ، وبعض ص هو ك » ، بل تكون القضايا هي « كل ص هو كل ك ، وكل ص هو بعض ك ، وبعض ص هو كل ك ، وبعض ص هو بعض ك » .

هان فيه تزو .... **Han Fei Tzu**

(نحو ٢٨٠ ـ ٢٣٣ ق . م) أبرز ممثلي الفاتشيا Fa Chia أو مدرسة المشترعين Legalist Shcool ، وهي المدرسة التي تعبّر عن وجهة نظر الدولة ، وتقوم على تقويض أو تحريف ما كانت تدعو إليه الكونفوشية والموهية والتاوية من مدارس الفكر الصيني القديم . وكان هان فيه تزو تلميذاً لهسون تزو أحد دعاة الكونفوشية البارزين ، وكان عيياً فاتجه إلى الكتابة دون الخطابة ، وألّف خمسة وخمسين مصنفاً ، ورسم برنامجاً لإصلاح أحوال مملكة هان أعجب به حاكم ولاية تشن ، وكان مرشده في تدعيم حكمه وتوسيع رقعة دولته حتى صارت امبراطورية تشن ، ولكن وزيرها وصديقه وزميل الدراسة لي سو دفعه إلى الانتحار . ويأخذ هان من هسون تزو قوله بالطبيعة الشريرة للبشر ، وصدورهم عن الأنانية ، واقترح لعلاج ذلك نظاماً يقوم على التهديد والترغيب ، ولا يبالي بالأفراد إلاّ بمقدار فائدتهم للدولة ، ويستبيح أن يأتي الحاكم من الأفعال ما يجافي الأخلاق طالما أن غايته تدعيم الحكم ، ويبرر الحرب لتعزيز السلطة أو توسيع رقعة الدولة ، ويعرف الشر بأنه كل ما يخرق القانون ويعمل على تقويض الحكم ، والفضيلة بأنها الامتثال لأوامر السلطان ، ويندد بمن يتحسر على نظم السلف ويهفو للعودة إلى أساليب الحكم في الماضي ، ويصفهم بأنهم يضيعون وقتهم فالتاريخ لا يعيد نفسه ، ولكل زمن أحواله وما يناسبها من نظم .

هايدجر .... **Heidegger**

مارتن هايدجر ، ولد ببادن (١٨٨٩) وتعلم بفرايبورج وعيّن بها خلفاً لأستاذه إدموند هوسرل ، ورغم أن هايدجر كان من أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي الألماني (النازي) إلاّ أنه تتلمذ على هوسرل وكان يهودياً ، وأخذ عنه المنهج الظاهراتي ، وأهدىٰ إليه كتابه الذي اشتهر به « **الوجود والزمان** » (١٩٢٧) ، ويبدو أنه تنكّر له من بعد (١٩٣٣) عندما عينه الحزب أول مدير نازي لجامعة فرايبورج ، ويبدو أيضاً أنه تنكّر للحرية الأكاديمية ، وكان أول خطاب له كمدير للجامعة تحية وتمجيداً للنظام الجديد . ورغم أنه من المفكرين المعدودين في القرن العشرين ، إلاّ أنه شديد التعصّب لوطنه ولغته ، ويعتقد أن الفلسفة لا يمكن أن تكون بدون اللغة الألمانية ، وأن شعبه هو الوحيد القادر على تجديد الفكر الغربي وإنقاذه من بربرية القوتين الكبيرتين المحصورة بينهما ألمانيا ، وهما الروس والأمريكيون . ورغم أنه اشتهر بكتابه « الوجود والزمان » إلاّ أن له مقالات وكتباً أخرى لا يمكن أن نفهم كتابه الكبير إلاّ بها ، وأهمها « **كنط ومشكلة الميتافيزيقا** » (١٩٢٩) ، و« **ما الميتافيزيقا** » (١٩٢٩) ، و« **هولدرين وماهية الشعر** » (١٩٣٦) ، و« **ماهية الحقيقة** » (١٩٤٣) ، و« **مدخل إلى الميتافيزيقا** » (١٩٥٣) ، و« **ما الفلسفة** » (١٩٥٦) ، ولكن الشهرة كانت من نصيب « الوجود والزمان » لتطبيقه الرائع للظاهراتية وتأسيسه لعلم الوجود وتأثيره الكبير على الفلاسفة الوجوديين ، وخاصة جان بول سارتر . واختار هايدجر ، لكي يقيم علم الوجود على دعامة متينة ، أن يفهم الوجود الإنساني من حيث أن الإنسان هو الكائن الذي ينكشف من خلاله معنى الوجود ، ومن ثمّ عكف على دراسة البناء الأنطولوجي للإنسان ، واستثارته منه ثلاث نواحٍ ، هي الوجود في العالم ، والتعالي ، والسقوط .

والوجود في العالم يعني أن الموجود البشري قد قذف به في العالم ضد إرادته ، وأنه يوجد به دائماً ، وأن

وجوده ليس مجرد وجود مكاني ، ولكنه وجود قوامه الاهتمام بهذا الوجود والقلق عليه ، لأنه وجوده هو ، ولا يمكن أن يكون عالمه بدونه ، كما لا يمكن أن يوجد هو بدون هذا العالم ، فهو عالمه الخاص ، وعالمي الخاص My World بكل ما يشتمل عليه من موضوعات ليس مجموعة من الأشياء ، لكنها أدوات للاستخدام Tools for Use تغرينا على استخدامها ، وتتكشّف لنا حقيقتها من خلال تناولنا لها ، وتحيلنا إلى أدوات أخرى ، والإنسان صانع قبل أن يكون عاقلاً ، وهو يجد نفسه محاطاً بالمواد والأدوات والفرص . ومع أنه قد قذفَ به إلى عالم ليس من صنعه ، إلاّ أنه قد أخلىٰ بينه وبين استيعابه وتعديله ، عن طريق الخروج المستمر من ذاته للتلاحم مع عالم الأدوات والمواد ، واهتبال الفرص ، وسبر أغوار قدراته ، والارتداد إلى نفسه ، والقذف بنفسه للأمام Self - Projection لتحقيق إمكانياته ، وليجعل هذا العالم ، الذي ليس من صنعه ، عالمه .

والتعالي هو الوجود ، ليس كما توجد الأشياء ، بل الوجود في توقع لإمكانياته ، حيث يوجد الإنسان متقدماً على نفسه ، ويتفهم موقفه ويمسك بمقاليده ، ويتجاوز نفسه ، هادفاً أن يكون ما لم يكنه ، ولكنه لا يتجاوز في كل ذلك العالم الذي أُعطي له ، فهو يخرج من ذاته ، ولكنه يخرج إلى العالم ليوجد في العالم .

وكما أن الإنسان موجود دائماً في العالم ، فهو موجود كذلك مع الآخرين . وإذا كان الإنسان موجود في العالم ليفهم العالم وليخلقه ، فوجوده مع الآخرين ينسيه وجوده الخاص السابق ، ويوزع طاقاته ويشتت انتباهه ، ويتوارىٰ وجوده المندفع السبّاق ، ليبرز وجود الآخرين ، ويخسر الإنسان ذاته ويعيش في حالة جماعية زائفة ، بوجود زائف ، ويفقد حريته ، ويترك المسؤولية للجماعة ، ويفكر كما تفكر ، ويفعل مثلما تفعل ، ويسقط إلى مستوى الأشياء ، ويغترب عن ذاته غارقاً في الحياة مع الآخرين وللآخرين .

لكن الإنسان مقدور وحر ، فإذا كان هو ما صنعته الوراثة والبيئة ، فإن الوراثة والبيئة هي كذلك ما صنعهما الإنسان . والإنسان يعيش في توتر مع التاريخ ، بتحديه لمواقفه ولجسمه ولأسرته ولمدينته ولبلده ، ولكل ما يحده ، ويعيش كذلك في توتر مع ما ليس تاريخاً ، مع الحاضر الخالص ـ المزاج الطائف ، والجار الثرثار ، وطنين المكتب ودوي المطبخ ، وملاحقة التلفزيون ، ومحاولات ذاته الإفلات من ذاته . فهل من سبيل أن تكفّ الذات عن الهرب من نفسها ، وأن ترجع إلى نفسها ، وأن تواجه وجودها بأمانة وصراحة ؟ ويعني هذا عند هايدجر ما إذا كان من الممكن للإنسان أن يمسك بوجوده ككل بدلاً من أن يتوزع منه أجزاء ويتطاير أشلاء ؟ ويلفت نظر هايدجر حالة من حالات الوجدان ، توقظه من سباته وتنتشله من سقوطه ، وتوقظ وعيه وتنبّه فكره ، هي القلق ، ذلك لأن القلق حالة فريدة ، لا موضوع لها ، استثناء من كل الحالات ، شعور غامض مُبهم يمسك بخناقي ؛ ليس هذا الشيء أو الشخص أو ذاك الذي يقلقني ، لكنه وجودي نفسه في العالم ، لأني عندما أتمعّن حياتي ، التي هي عالمي ، في شمولها ، أرى أن الموت نهايتها . والقلق هو قلق من الحياة ككل ، ومن الموت كنهاية وكأساس وجد للحياة . والحياة في شمولها هي الحياة تواجه الموت . والقلق هو الحالة الانفعالية الوحيدة التي تبدو بهذه الحقيقة ، وترفع الغشاوة عن عينيّ ، وتعيد إلي الوعي ، بأن الوجود هو وجود للموت Being - To - Death وأن الموت أعلى إمكانياته ، وأن مواجهتي له ، بوصفه موتي أنا وتجربتي أنا ، يعزلني عنه الغير ويعيد إلي وعيي ، وفي القلق يتفتح الإنسان لنداء الضمير الذي يدعوه إلى مسؤولياته تجاه وجوده ، فكأنّه نداء الذات لنفسها ، للخروج من السقوط إلى أصالة الوجود Authenticity of Being .

والإنسان له زمن ، وزمن كل فرد هو زمن وجوده ، أو زمنه الوجودي ، لكن لأن الإنسان يتحدث عن نفسه دائماً بوصفه مشروعاً ، فزمنه الوجودي لا يسير من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل ، لكنه يخرج من

المستقبل ويعرّج على الماضي إلى الحاضر، وهو يتطّلع للمستقبل، لكنه يستدير ليستوعب الماضي الذي صنع الحاضر. وزمنه الوجودي متناهٍ، لأن الموت خاتمته، وتوقع الخاتمة يجعله يستعيد البداية أي الميلاد، والزمن من الميلاد حتى الموت تاريخ كان من نصيب الإنسان أن يواجهه بحرية، فالميلاد لم يكن مسؤوليتي، لكن تاريخي هو حريتي ومسؤوليتي وقدري، وليس النداء الذي يصرخ به ضميري إلاّ دعوة كي أعيش تاريخي وأصنعه وأكون مسؤولاً عنه، وأن أواجه زماني الوجودي، وأعيش الوجود من أجل الموت. وليس الذنب الذي أستشعره إلاَّ إحساسي بأني كان ينبغي أن أصنع من حياتي شيئاً ولم أصنع هذا الشيء. وليس قدري إلاّ أن أؤدّي بحرية الدور الذي لم أختره لنفسي، وأن أؤدّيه في الزمن الذي هو زمن دوري، وأن يكون أدائي لنفسي وليس لمتفرجين أو للاستئثار بتصفيق المشاهدين. وليس دوري الحقيقي إلاّ أن أسعىٰ لأصل إلى الأرض التي عليها يقوم وجود كل شيء، وهذه الأرض هي الوجود نفسه، وليس التاريخ إلاّ تاريخ وعي الإنسان بوجوده وتاريخ نسيانه لوجوده، ونحن لم ننس الوجود إلاّ لأننا تنكبنا رسالتنا المقدسة وسعينا خلف أهداف سرابية، ولم يصف الناس الوجود بأنه عدم ولا شيء إلاّ لأنهم سقطوا من الوجود وفقدوا قربه وظلّه، وعدوا في سخف خلف هذا الشيء أو ذاك، وخانوا رسالتهم الحقيقية، ونحن نعيش في عالم قد أظلمه نسياننا للوجود ولحقيقتنا، وإن من تاريخ الوجود أن نخونه ونخون أنفسنا. ونحن نعيش في عصر البحوث، من البحوث في الجينات إلى البحوث في سفن الفضاء، وشواغلنا بالأدوات والآلات، استخدامها واختراعها والتخصّص فيها، ولكنها جميعاً تجمعها وحدة تاريخية وميتافيزيقية واحدة، أن ما يحدث لا بد أن يحدث بالطريقة التي يحدث بها، لأننا سقطنا من الوجود، ونسينا رسالتنا، أن نكون رعاة ورقباء على الوجود، ومن ثمَّ ضللنا، وصارَ الوجود نفسه غلطة وضباباً، وعدماً. وإن الإنسانية لتحاول أن تسترجع وعيها بالوجود، وأن تعيش ما تسميه مجتمعاً حراً ليبرالياً يهتم بالثقافة والقيم والمثل، لكن الماركسية بعدميتها سرعان ما ستجرفها، وليس باستطاعة المسيحية إنقاذ الإنسان، لأنها منذ البداية كانت تهدف إلى تحطيمه لا إنقاذه، وكانت الإنسانية تعيش قبل سقراط الوجود والفكر معاً، وكان بارمنيدس يدمج الاثنين في الوعي، لكن سقراط فصل اللوغوس عن الوجود، وأقامَ الإنسان العاقل، وأغرق الفكر والوجود في العدمية، وما نزال غارقين فيها، ولم يعد الإنسان من يومها في بيته مع الوجود. لكن رسالة هايدجر أن ينبهنا إلى حمأة هذا المصير العدمي، وأن يثير منا الشعراء، وإن اللغة لأداة ولكنها أكثر من أداة، وليست اللغة هي ثرثرة الإنسان الغوغائي، وليست الرطانة الاصطلاحية العلمية، ولكن اللغة في أصلها شعر، والشعر هو اللغة الأولى للشعب التاريخي، وبها يؤسّس الوجود ويتفتح له، والشعراء العظام هم الشعراء الذين يعيدون للغة أصالتها، أنها وعاء الوجود ولسانه.

هبياس .... Hippias

هبيالي الإيلي الذي وردَ ذكره في محاورات أفلاطون بنفس الاسم، والذي يذكر أنه واحد من كبار السوفسطائيين وقت وفاة سقراط (٣٩٩ ق. م)، ونستطيع أن نتصوره، ممَّا وصفه أفلاطون، موسوعياً متعدد الثقافات، لم يكن يعتقد إلاَّ في عالم الواقع الظاهر، ولم يكن يفصل بين الجمال والأشياء الجميلة، وكان يظاهر التقاليد على الأخلاق.

هتشسون .... Hutcheson

(١٦٩٤ - ١٧٤٦) فرانسيس هتشسون، أيرلندي، ولد في دراماليج من أعمال أولستر، وتعلَّم بجامعة جلاسجو وعلَّم بها، ورأس لمدة عشر سنوات أكاديمية خاصة بالكنيسة المشيخية لتعليم الشباب، وعارض التفسيرات العقلية والقبلية لأحكام القيمة بتأثير من

فلسفة صامويل كلارك ، وقال إن تمييز القيمة ليس نشاطاً عقلياً لكنه بفعل حواس داخلية خلقها الله لهذا الغرض ، وتعمل فينا بتوجيهه وعنايته ، وأن أميز هذه الحواس هي الحاسة الخلقية ، غير أن هناك حاسة للشرف تستحسنه فينا وفي الآخرين ، وحاسة للعامة وهي ميلنا لأن نسعد لسعادة الناس ونتألم لآلامهم . وتدفعنا الحاسة الخلقية من خلال المشاعر القوية إلى استحسان الخير واستهجان الشر ، والبحث عمّا فيه سعادتنا وسعادة أكبر عدد من الناس . وهتشسون في تمييزه بين الحواس الداخلية والخارجية يخضع لفلسفة لوك ، وفي قوله **بالحاسة الخلقية Moral Sense** يذهب إلى ما ذهب إليه شافتسبري وإن كان قد طوّره تطويراً مذهبياً ، وقال بأنها كقوة الإبصار تختلف فينا من شخص لآخر ، وتعمل بصرف النظر عن التربية والعرف وإن كانت ترهف بهما وتتوجه إلى موضوعات بعينها ، إلاّ أن التربية والعرف لا يخلقانها من لا شيء . ويعتبر كتابه « بحث في مصدر أفكارنا عن الجمال والفضيلة In-quiry Into The Original of Our Idensof Beauty and Virtue » (١٧٢٥) أفضل مؤلّفاته ، غير أن له كتاباً آخر هو « مذهب في فلسفة الأخلاق » نشره ابنه فرانسيس (١٧٧٥) بعد وفاته ، أقل شأناً وإن كان أضخم من الكتاب السابق .

هذيلية

فرقة من المعتزلة ، منسوبة الى أبي الهذيل العلاف ، شيخ المعتزلة وبطريقهم ، قالوا بفناء مقدورات اللّه ، وهذا قريب من مذهب جهم ، حيث ذهب الى ان الجنة والنار تفنيان ، وقالوا ان حركات أهل الجنة والنار ضرورية مخلوقة للّه ، إذ لو كانت مخلوقة لهم لكانوا مكلفين ، ولا تكليف في الآخرة ، وأن حركاتهم تنقطع ويصيرون الى جمود دائم وسكون ، منه سكون اللذات لأهل الجنة ، وسكون الآلام لأهل النار ، ولذلك تسمي المعتزلة أبا الهذيل جهمي الآخرة ، يعني انه قدري الأولى ، جهمي الآخرة . وقالوا ابن اللّه عالم بعلم هو ذاته ، قادر بقدرة هي ذاته ، وبعض كلامه لا في محل ، وهو كلمة كن ، وبعضه في محل كالأمر والنهي والخبر والاستخبار ، وان ارادته غير المراد ، لأنها عبارة عن خلقه لشيء ، وخلقه للشيء مغاير لذلك الشيء ، بل الخلق عندهم لا في محل ، أي كلمة كن .

هرقليطس الإفسوسي Heraclitus of Ephesus

(نحو ٥٤٠ ـ ٤٧٥ ق.م) ولد في إفسوس ، إحدى مدن اليونان الأيونية بآسيا الصغرى، من أسرةٍ عريقة ، وقيل إنه تنازل عن الملكِ لأخيه الأصغر زهدا في الجاه والحسب ، وتفرغ لتحصيل الحكمة، والحكمة عنده هي تحصيل الكليات ، وهو لا ينكر المعرفة التي تقوم على الحواس ، وخاصة حاسة البصر، لكنه يصفها بأنها معرفة تحتاج لبصيرة تفهم مضمونها وتأوله تأويلاً صحيحاً، وأسلوبه شاعري، ولغته جزلة مبهمة حتى لقب بالغامض . وهو يقلد أسلوب المتنبئين الذي « لا يفصح ولا يخفي ، لكنه يشير » ، ولم يكتب الا كتاباً واحداً لا نعلم عنوانه ، وتقوم فلسفته على نظرية التدفق أو الجريان Theory of Flux ، فكل شيء إلى تغير ، ويشبه الأشياء بالنهر الجاري الذي تتغير مياهه باستمرار ، فأنت لا تنزل نفس النهر مرتين ، وينكر أن للعالم أصلاً ، ويقول إنه غير مخلوق ، وأن اللوغوس Logos يحكمه ، واللوجوس أو اللوغوس كلمة ، يصعب ترجمتها ، فهي حقيقة الأشياء والمبدأ أو القانون الذي تعمل بمقتضاه ، ويفضل البعض ترجمتها بالصيغة Formula ، ويفضل آخرون تعريفها بأنها مبدأ أو قانون وحدة الأضداد ، والعالم كله أضداد، والتغير صراع Strife بين الأضداد ، بين البداية والنهاية ، النهار والليل ، الحياة والموت ، اليقظة والنوم ، الشباب والشيخوخة ، الحرارة والبرودة ، الرطوبة واليبوسة ، الراحة والتعب ، الخير والشر ، الصعود والهبوط ، الاستقامة والانحراف ، الصحة والمرض ، والجوع والشبع ، ويمتزج كل ضد من ضده، ولا يمكن ان

تجرب احدهما دون الآخر ، والتغير يكون من الضد إلى الضد ، حتى بين الكتل الكونية ، وهو يستعمل الكتلة بدلاً في العنصر ، ويقول إن الكتل أو العناصر الكونية ثلاث ، النار والبحر والأرض ، وتماثل احوال المادة الثلاث ، الغازية والسائلة والصلبة ، والتغير يتم بمقدار Proportion ، والا قضي على توزان الأضداد وانتهى الصراع . ويقوم استقرار العالم على هذا الصراع المتوازن بين الأضداد ، لكن النار لها الغلبة ، فكل شيء من النار وإلى النار ، وكلما ازدادت النارية في روح الانسان كلما زاد حكمة ، فإذا اختلطت بالرطوبة مال الى الغباء ، والموت رطوبة ، والنوم خمود .

وعرف الاسلاميون هرقليطس عن طريق اثولوجيا ، ويذكره الشهرستاني والمقدسي ، ويكتب عنه المبشر بن فاتك تحت اسم يراقليطوس الظلمي نسبة الى الظلمة لأن اسلوبه كان غير واضح ، وكان يسمى لذلك باسم المظلم ، وتأثر به من المسلمين المجسمة من أهل السنة والشيعة الذين قالوا بأن للوجود جسماً ، وقال عنه غلاة الشيعة ان النار أشرف العناصر ، وكذلك الحلاج والسهروردي وطائفة اليزيدية . وأثرت فكرته في التغير في اخوان الصفا ، وليست فكرة الكور عندهم الا فكرة الدور التام أو السنة عند هرقليطس .

هرمسية .... Hermeticism

وجهة النظر التي تطرحها الكتابات الهرمسية باللغة الاغريقية التي تنسب إلى من يدعى هرمس، والذي قيل إنه كاهن مصري، وأنه نبي وان كان من غير بني إسرائيل ، وقيل بل هو الإله تحوت المصري رب المصير . واعتبر جيوردانو برونو الفلسفة الهرمسية ديانة بل وأصل الديانات جميعها ، وفضلها على المسيحية . ورغم ان الكتابات الهرمسية تتناول مسائل في التنجيم والكيمياء السحرية ، إلا أن ما تذهب اليه في أصل الكون يشبه إلى حد بعيد سفر التكوين ، وتتنبأ بنزول ابن اللّه لهداية البشر ، وتشبه في بعض نواحيها إنجيل يوحنا ، ولذلك أنزلها المسيحيون الأوائل مكانة عالية ، وترجمها الى اللاتينية في العصور الوسطى مارسيليو فيشينو ، واعتبرها خلاصة الحكمة المصرية وأصل الافلاطونية ، نظراً للتشابه الكبير بينهما .

هسون تزو .... Hsun Tzu

(أنظر الكونفوشية) .

هسيونج شيه لي .... Hsiwng Shih Li

(انظر الكونفوشية) .

هشامية ....

فرقة من المعتزلة ، أتباع هشام بن عمر الفوطي (بضم الفاء وفتح الواو) الذي كان مبالغاً اكثر من مبالغة سائر المعتزلة في القدر ، قالوا الاعراض لا تدل على كون اللّه خالقاً ، ولا تصلح دلالات ، بل الأجسام تدل على كونه خالقاً . وتطلق الهشامية أيضاً على فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب الهشاميين ابن الحكم وابن سالم الجواليقي ، قالوا اللّه جسد ، ثم اختلفوا ، فقال ابن الحكم هو طويل عريض عميق ، متساو طوله وعرضه وعمقه ، وله لون وطعمُ ونبض ، وهذه الصفات ليست غير ذاته ، ويقوم ويقعد ويتحرك ويسكن ، وله مشابهة بالأجسام ، لولاها لم يدل عليه ، ويعلم ما تحت الثرى بشعاع ينفصل عنه إليه ، وإرادته حركة ، هي لا عينه ولا غيره ، وإنما يعلم الأشياء بعد كونها ، بعلم لا قديم ولا حادث ، لأنه صفة والصفة لا توصف . وقال ابن سالم هو على صورة إنسان له يد ورجل وإذن وعين وفم وأنف وحواس خمس ، ونصفه الأعلى مجوف والأسفل مصمت ، الا انه ليس لحماً ودماً .

هكسلي .... Huxley

(١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) توماس هنري هكسلي ، عالم أحياء إنجليزي ، لكنه اتجه الى الفلسفة ، ولم يكن قد تلقى تعليماً جامعياً ، الا انه كان موسوعياً ، وتخصص في الطب وذهب في رحلة بحرية فوق سفينة أبحاث

مثلما فعل معاصره دارون ، ونشر بحوثاً في الحياة البحرية جلبت لـه الشهـرة ، الا ان شهـرتـه كمفكـر وفيلسـوف ومجادلاتـه في الدين وأصـل الخلق فـاقت بحوثه وكتاباته الأخرى التي لم يتفرغ لها كثيراً ، وكانت اكثـر شهرتـه لدفـاعـه عن نـظريـة الارتقـاء الاحيـائي لدارون ، وتهليله للمنهج العلمي ، ورفضه للأناجيل وقصـة الخلق التي تدعـو لهـا ، ورفضـه فكـرة الإلـه المفارق ، واستعداده للايمان بإله متحـد مع الـطبيعة بمفهوم سبينوزا ، واختراعه للفظة لا أدري التي صاغها كمقـابل للفـظة غنوصي أو أدري Gnostic التي كـان يستخدمها رجال الدين في ادعائهم العلم بالحياة ، ولم يقبل هكسلي المادية ولا الروحية باعتبار انهما تدعيان العلم بالحقيقة ونحن لا نعلمها ، لكنه أيد أن يستخدم العلم لغة مادية لوصف الظواهر .

هكل .... Haeckel

(١٨٣٤ ـ ١٩١٩) إرنست هنري هكل ، استاذ علم الحيوان بجامعة يينا ، كان أول عالم أحياء الماني يهلل لنـظرية الارتقـاء العضوي ، وجعله دارون داعيتـه في ألمانيا ، ونشر كتاب «لغز الكون» (١٨٩٩) يقول بقانون النشوء الاحيائي ، أن تطور الكائن الفرد خلاصة سريعة لتطور النوع ، تحكمه عوامـل الوراثـة والبيئة ، وكـان مقتنعاً بوحدة الطبيعة ـ العضوية واللاعضوية وأن ابسط المواد البروتوبلازمية تتولـد عن المواد الكـربونيـة غير العضوية بالتوالد التلقائي ، وان كائنات حية بدائيـة ، اطلق عليها اسم « المونيرا Monera » تخلّقت من هذه المركبات البروتوبـلازمية ، وأنهـا أصل الحيـاة ، وأن المملكـة الحيوانيـة برمتهـا تتفـرع إلى مجمـوعتين ، احـداهما وحيدة الخلية وهي البـروتوزوا ، والأخـرى متعددة الخلايا لها انسجة معقدة وهي الميتازوا ، وأن كل الميتازوا تطورت بفعل قانون النشوء الاحيائي ، أي تخلق الكـائن الحي من كائن حي آخـر ، من شكـل حيـواني بسيط منقرض هـو الجاستـره ، وأن المعرفـة المؤكدة هي معرفة الظواهر ، وأن الشيء في ذاته يتجاوز الظاهرة المعلومة وتستحيل معـرفته ، وكـان ملحداً ، ودعا إلى طرح الدين لأنه يقوم على خرافات يؤصلها بين العـامة. ويبعث آمـالاً كاذبـة لا تمت للواقـع بصلة ، ويخلف آثاراً اجتماعية وسياسية وتربوية مدمرة . وهو يقول أن اسمى اهداف الأخلاق هي الموازنة بين الأنانية والغيرية ، وبين مطالب الجسد ومطالب الروح ، ودعا الى مساواة المرأة بالرجل .

هلمهولتس .... Helmholtz

(١٨٢١ ـ ١٨٩٤) هيـرمان لـودفيج هلمهـولتس، ألماني ، ولد في بوتسدام وسيطرت بحوثه على المناخ الفكري في أغلب الجامعـات الألمانيـة وتحكمت في تطور علم الفيزياء والديناميكا الحـرارية في الخمسين سنة التالية حتى ليعد بحق واحداً من المؤسسين للفلسفة العلمية . ورغم أن بحوثه أربت على المائتين الا أنـه يعتبر أن كتابه الوحيد في الفلسفة هو « حقائق الإدراك » (١٨٧٨) . وهو معارض شديد البأس للمثالية وخاصة عند شليجل وهيجل ، وكان أحد الأسباب التي دفعته الى كتابة بحثه التاريخي **«في حفظ الـطاقة»** (١٨٤٧) عداؤه للمذهب الحيوي ، وتقترب فلسفته من الكنطية كما يمثلها «نقد العقلي النظري» . ويعتبر وظيفة الفلسفة دراسة المعرفة الانسانية ، ويرى أن المعرفة بالواقع تقوم في الشعور نتيجة تغيرات في أعضاء الحس تستحدثها مسببـات خـارجيـة ، وأن هـذه التغيـرات تنتقـل الى الأعصاب فالمخ لتصبح احسـاسات شعـورية أولاً ثم يترجمها المخ ويربط بينها بعمليات يسميها هلمهولتس استدلالات لاشعورية ، تشبه ما يحدث عند الطفل لدى تعلمه لغته الأم . وتتماثل الأحاسيس تماثـلاً تامـاً مع خواص الشيء المسبب لها بفعل مبدأ الطاقات العصبية المتخصصة ، بحيث يمكن القول ان الأحاسيس تسببها الموضوعـات الخارجيـة ، وأنها عـلامات ذاتيـة لهذه الموضوعات وخواصها ولكنها ليست صوراً لها .

هلينية .... Hellenism

روح وفكر العصر الهليني ، وهو عصر المستعمرات

والممالك الإغريقية خارج اليونان نفسها منذ أن جرد الإسكندر الأكبر جيوشه لغزو العالم (٣٢٣ق.م) وحتى اكتساح الجيوش الرومانية لهذه الممالك وسقوط آخرها وهي مملكة مصر في عهد كليوباترة (٣٠ ق.م) ، واختلطت الفلسفات اليونانية بالمعتقدات والافكار غير اليونانية لشعوب آسيا الوسطى والبحر الأبيض، وتوفر عليهافلاسفة لم يكونوا يونانيين وإن سكنوا اثينا وكانت اليونانية لغتهم ، فزينون كان إيليا ، وأبيقور من آسيا الصغرى ، وفيلون تيسالياً ، وكليتوماخوس قرطاجياً ، وأنتيوخس سورياً ، وبانيتياس وبوسيدونيوس من روديسيا ، وأرقلاوس أيولياً ، وقرنيادس قورينائياً . وكان على رأس هذا الفكر مدرستان من أكبر مدارس الفكر قاطبة هما الأبيقورية والرواقية . وتميزت الفلسفة في هذا العصر بشكل عام بانفصالها عن العلوم بتطور هذه العلوم تطوراً ظاهراً اعتمد على الملاحظة وجمع الحقائق اكثر منه على التجريب الذي، لم يكونوا قد عرفوه بعد . وكان فكراً إنسانياً عالمياً بخروجه من إطار أثينا والأثينيين ، حتى أنه اتخذ له مراكز اخرى غيرها مثل الاسكندرية ، ونادي الرواقيون بأن الناس جميعاً إخوة ، وأن العالم كله مدينة الله . وأعلن الأبيقوريون ان الأخوة شريعة العالم . وزاد الاهتمام بالفرد مع الاهتمام بالانسانية ، وتمثل هذا في الأدب والفن في تصوير الشخصيات وتحليلها ، واتجه البحث الفلسفي الى الانسان نفسه للبحث في القوانين التي عليه ان يطيعها فلا يبحث عنها في العادات الاجتماعية أو ارادة الألهة أو الحق الموضوعي ، واتجه كذلك إلى الطبيعة بوصفها الطبيعة الانسانية أو الطبيعة العالمية التي يشكل الانسان جزءها الاساسي ، واعتمدت الفلسفة والعلوم على العقل، وحتى الشكاك كان العقل ركيزتهم كمرشد بين الاحتمالات التي يمكن ان ينصرف إليها الفعل الانساني ، ومن ثم فرغم ان الفلسفة كانت من انفصال العلوم عنها إلا انها تطورت تطوراً كانت العناية فيه بالاخلاق ، وبرزت الاخلاق في هذا الفكر حتى نستطيع ان نصفه بأن كان اخلاقياً ، وذلك بسبب اختلاف العادات بين الشعوب وتدهور الوضع بما أسموه العادات الأجنبية على الاثينيين ، وبفعل الأزمات الاقتصادية التي تسببت فيها الحروب ، والترف الذي انزلق اليه ملوك هذه الدويلات اليونانية فيما وراء اليونان .

هندوسية .... Hinduism

أسلوب في الحياة اكثر منها عقيدة ، وديانة الغالبية من الهنود ، ويطلق عليها البرهمية نسبة إلى الإله براهما ، ويسمى كهنتها البراهمة ، ولا يوجد لها مؤسس ، وإن كان اساسها عقائد الأريين والطورانيين بعد اندماجها واتصالها بغيرها من الأفكار والعقائد لسكان المنطقة . وكتابها الفيدا **Veda** ويشتمل على أربعة كتب في الطقوس والشعائر والأناشيد والأدعيات، هي الريج فيدا والياجور فيدا والساما فيدا والأثر فيدا، وينقسم كل منها بدوره أربعة أقسام ، هي السامهيتا وتمثل المقدمة أو الفطرة ، والبراهمن وتمثل مرحلة التقنين ، والأرانياكا وتمثل النقلة من القانون الى الروح ، والأوبانيشاد وتمثل الروح وهي قمة التسلسل . ويقال ان الأوبانيشاد وضعت في المدة بين ٨٠٠ إلى ٦٠٠ ق.م ، وحيث انها تجيء الاخيرة في الزمن التاريخي فمعنى ذلك ان الفيدا موغلة في القدم، ويزعم الهنود أنها أزلية . والهندوسية ديانة معددة وموحدة ، فهي تجعل لكل ظاهرة طبيعية الهاً ، ولكنها تجعل على الألهة جميعها رباً للأرباب ، وفي القرن التاسع قبل الميلاد جمعت كل الآلهة في اله واحد وصفته بثلاثة أسماء ، فهو براهمان أي الموجد ، وهو فشنو أي الحافظ ، وهو سيفا من حيث هو مهلك . وبراهمان هو الله باللغة السنسكريتية ، أو الروح العام ، ويقابله أتما Atma أو الروح الفردية ، وهي قبس من الروح العام، وتحل في الانسان، ولذلك فإن روح الانسان مثلثة كالروح العام، فهي براهمان عندما تخلق، وهي فشنو عندما تسعى على الحفاظ على ما تخلق ، وهي سينفا عندما تهلك وتدمر . وعندما يموت الانسان ترتد الروح

أتما الى بارئها براهمان. وليس هناك جنة ولا نار في الهندوسية، وإنما يتم الثواب والعقاب في الدنيا، بمقتضى قانون الكارما Karma، ومعناه الفعل، بمعنى أنه سلوك الانسان في الحياة يحدد نوع حياته المقبلة التي تبدأ بالميلاد التالي، فإن كان سلوكاً روحياً فإن الأتما تصعد في طريق العودة الى الروح العام وتتحد وتنال النعيم الأبدي. وان كانت الروح ما تزال متشبثة بالماديات والشهوات فإنها تضل طريق العودة وتتجول وتحل بأجساد لها نفس الأهواء. وقد تسربت افكار التناسخ والحلول هذه الى الشيعة الغالية من أمثال الباطنية والقرامطة والبربهارية والحلمانية والسالمية والنصيرية والدرزية، وإلى بعض المتصوفة من أمثال محي الدين بن عربي والحلاج وجلال الدين الرومي وابن الفارض. كما تأثرت الهندوسية بالإسلام بعد الفتح الاسلامي لها، وخاصة بدعوته التوحيدية وتحريمه للتماثيل، وحاول بعض فلاسفة الهند أن يؤلفوا بين الديانتين، ومن ذلك محاولة كبير (١٤٤٠ - ١٥١٨)، وناناك (١٤٦٩ - ١٥٣٨) صاحب دعوة السيخ التي قامت على هذا الأساس السابق ولكنها صارت ديانة مستقلة بسبب معلميها «الجورو» الذين اضفوا عليها طابعاً حربياً، والامبراطور اكبر (١٥٤٢ - ١٦٠٥). وعندما احتلت بريطانيا الهند قاومت الهندوسية المسيحية بمحاولة اخرى للتوفيق بين الدبانتين، ومن ذلك محاولة راجا رام موهان روي (١٧٧٢ - ١٨٣٣) مؤسس جمعية المؤمنين بالله، ورابندرانات طاغور (١٨٦١ - ١٩٤١)، وديانادا ساراسفاتي (١٨٢٤ - ١٨٨٣) مؤسس الجمعية الآرية، وراما كريشنا (١٨٣٦ - ١٨٨٦) الذي اعتنق كل الديانات ليجرب تأثيرها جميعاً وزعم ان الهندوسية بها من كل الديانات ما يجعلها أصلاً لها، والمهاتما غاندي (١٨٦٩ - ١٩٤٨) الذي كان يقيم صلواته بكل طقوس الديانات المعروفة.

هوايتهد .... Whitehead

(١٨٦١ - ١٩٤٧) ألفريد نورث هوايتهد، إنجليزي، من فلاسفة الواقعية المحدثة، ولد في رامزجيت بجزيرة ثانت شرقي ساحل كنت، من أب قسيس، فكان لنشأته المتدينة واتصاله بالشخصيات الريفية ذات الملامح المحددة، وإحساسه العميق بالطبيعة واتصال أسبابها عبر الأجيال، أثره على فلسفته، وأكسبته تفهماً وحباً للتاريخ القديم والحديث، وامتلاء بالماضي وتمرساً بالحاضر، وظلّت معه هذه النظرة العملية إلى التاريخ. وكان مبرزاً في الرياضيات وعيّن محاضراً بجامعة كمبردج، وكان رسل من أبرز تلاميذه، وتوفرا معاً على كتابة «**المبادىء الرياضية Principia Mathematica**» (١٩٠٠ - ١٩١١) يرد به الرياضيات إلى المنطق، ثم انتقل هوايتهد إلى جامعة لندن (١٩١٠) أستاذاً للرياضيات التطبيقية، وشغل بفلسفته العلمية. وفي سن الثالثة والستين دعته هارفارد أستاذاً للفلسفة بها (١٩٢٤) حتى وفاته، وفيها أتمَّ تطوير فلسفته الميتافيزيقية الأنطولوجية. وكانت أهم كتاباته «**رسالة في الجبر العام A Treatise on Universal Algebra**» (١٨٩٨) طور بعض أفكار جراسمان في الامتداد، وكانت سبباً في قبوله عضواً بالجمعية الملكية، ونشرت له «**المفاهيم الرياضية في العالم المادي Concepts of the Material World on Mathematical**» (١٩٠٦) يرفض آراء نيوتن الكلاسيكية التي تفسّر العالم بأنه جزئيات أو ذرات تشغل حيزاً من المكان والزمان، وقال بأن للعالم خطوطاً من القوة لها اتجاهات ومسارات من الأحداث تعترض بعضها البعض، متأثراً بالكشوف العلمية في الفيزياء الموجهة Vector Physics، وفي الديناميات الإلكترونية Electrodynamics ومفهوم المجال. وأطلق على منهج خطوط القوة المتداخلة في مجالات اسم المنهج المنطقي الطبولوجي، ووصفه بأنه منهج التجريد الشامل Extensive Abstraction، يصف به التشابك

بين الأجسام بأشكالها المختلفة كما لو كان تشابكاً من الخطوط ، ويجعل من الهندسة تجريداً لوقائع الحياة . وبسط نظريته هذه في « أصول المعرفة الطبيعية The Principles of Natural Knowledge » (١٩١٩) و « مفهوم الطبيعة The Concept of Nature » (١٩٢٠) و « مبدأ النسبية The Principle of Relativity » (١٩٢٢) ، ردَّ فيها النظم الاستنباطية إلى معطيات الخبرة ، وجعل للخبرة الدور الأساسي ، وجعل مهمة الفلسفة تفسير الخبرة، ولكن الفلسفة وحدها لن تستطيع أن تصفها وصفاً شاملاً ، فالخبرات نحس بها أولاً غامضة وليس في صورة معطيات الحس الواضحة ، وبالتجريد الشامل يمكن تحديد إطاراتها المنطقية . وتابعَ هوايتهد تكوين مذهبه في كتبه اللاحقة « العلم والعالم الحديث Science and The Modern World » (١٩٢٥) و « الدين في تكونه Religion in Making » (١٩٢٦) و « الصيرورة والواقع Process and Reality » (١٩٢٩) و « مغامرات الأفكار Adventures of Ideas » (١٩٣٣) و « أنماط من الفكر Modes of Thought » (١٩٣٨) و « مقالات في العلم والفلسفة Essays in Science and Philosophy » (١٩٤٧) ، وانتصر فيها للموضوعية كما تتبدَّى للعيان أو الحدس أو الوجدان المباشر ، وقال إن وجدان الشعراء ربما كان أصدق في النظر إلى الطبيعة من العلماء لأن العلم يغفل القيم ولا يعير المعاني التفاتاً ، وقال بطبيعة معينة لكل كائن ، وأنها نظام كلي تتبع أجزاؤه طبيعة الكائن ، وأن الأجزاء وحدات مكانية وزمانية أو أحداث وعلاقات من طابع موجه إبداعي يصدر عنها الحادث الجديد ، وتعبِّر عن ذاتها في صورة تقدم خلاق ، وتجري وفق مقولات ثابتة تجعل من العالم وحدة عضوية ، تربط بين أجزائه علاقات التفاعل والتبادل والتكامل . وجملة هذه القوانين يمثل الألوهية التي لم تتحقق ولن تتحقق تماماً ، طالما أن العالم أشبه بعملية الصيرورة المستمرة . ويعد كتابه « الصيرورة والواقع » من أحفل كتبه بالمصطلحات والتعميمات التي ينتزعها من كافة المصادر . وكان لتعميمه الترابط العضوي السبب في تسميته لفلسفته بأنها « فلسفة الكائن العضوي The Philosophy of Organism » ، ويرفض الازدواج بين العقل والجسم والعضوي واللاّعضوي ، ويقول بوجود موجودات واقعية فقط Actual Entities تتّصف كلها بصفات عامة واحدة ، ويصف نفسه بأنه وحدة من الانفعالات والتطلّعات والمخاوف والقيم والقرارات ، وكلها ردود فعل ذاتية للبيئة تفعل فعلها داخل طبيعته ، ووحدته هذه التي هي نفسها « أنا موجود » التي قال بها ديكارت ، هي عملية التطور التي تجري داخله ، والتي تشكل هذه الفوضىٰ داخلة في نسق من المشاعر ، وإحساسه بنفسه هو إحساسه بوجوده في دوره الذي يمارسه في نشاطه الطبيعي وهو يشكّل نشاطات البيئة في اتجاه إبداع جديد ، هو إبداعه هو نفسه في هذه اللحظة نفسها ، وطالما أنه هو نفسه فهو استمرار لما كان من قبل .

ولقد منح هوايتهد نوط الاستحقاق ، وكان يتمتع بأسلوب فذ وعبارة رشيقة ، وكانت تشبيهاته واضحة ، غير أن كتبه الأخيرة في مرحلته الميتافيزيقية كانت شطحات تحفل بالمصطلحات غير المألوفة ، وباستثناء كتابه « المبادىء الرياضية » الذي ترك أثره الكبير في المنطق الرمزي فإن أغلب كتاباته لم يترك أثراً في الفكر الفلسفي المعاصر .

هوبز .... Hobbes

(١٥٨٨ - ١٦٧٩) توماس هوبز ، أبو الفلسفة التحليلية ، إنجليزي ، كان أبوه قسيساً ، تخرج من جامعة أكسفورد ، وصارَ عام ١٦٠٨ معلماً لابن وليام كافندش إيرل ديفونشاير ، ولشارل الثاني في منفاه في باريس عام ١٦٤٦ ، وهيَّأ له هذا المنصب فرصة السفر إلى أوروبا ثلاث مرات ، وتأكَّد له في السفرة الأولى (١٦١٠) فساد التعليم القديم القائم على الفكر الأرسطي ، وزكا هذا الرأي عنده كشوف كبلر وجاليليو

ونقد فرانسيس بيكون ، واجتمع ببيكون في باريس ، وكانت حصيلة هذه الرحلة ترجمة ثاكيداديس ، لعلَّ قومه يستهدون بالتاريخ ويلتمسون فيه العظة ويعتبرون بأخطار الديموقراطية ، وكانت إنجلترا مشرفة على حرب أهلية ، يمزقها الجدل بين أنصار الأمة مصدر السلطات وبين أنصار حق الملك الإلّهي في الحكم . وفي السفرة الثانية لمس اهتمام أهل الفكر في القارة بالهندسة ، وأعجب بالمنهج القياسي وعول على اصطناعه ، يعرض به آراءه كما لو كانت براهين ، ويخطط به لمجتمع جديد كما لو كان يخطط تخطيطاً هندسياً . وفي السفرة الثالثة زارَ جاليليو بإيطاليا ، وأوحت له فلسفته تعميم علم الحركة على الإنسان والمجتمع . وأثمر ذلك كله عدة كتب ، أولها « **الرسالة الصغيرة Little Treatise** » (١٦٣٧) ناقش فيه ظاهرة الإحساس وردَّها إلى تغير الحركة ، فلو كانت الأجسام تتحرك حركة منتظمة دوماً ، أو لو كانت ساكنة أبداً ، لما كان إحساس الناس بالحركة أو السكون ، وإنَّما يحس الناس حركة الأجسام ، عندما تتحرك هذه الأجسام ، وتتوقف ، أو تتحرك بسرعة ثم تبطىء أو تسرع ، فهذا التفاوت في الحركة ، والتراوح بين الحركة والسكون ، هو الذي يثير الإحساس . وفي عام ١٦٤٠ نشر كتاب « **مبادىء القانون Elements of Law** » ، ظهر في جزءين ، الأول « **الطبيعة البشرية Human Nature** » ، والثاني « **الهيئة السياسية De Corpore Politico** » ، وكان فيه من دعاة الحكم المطلق ، باعتباره يغني عن المنازعات الحزبية وفوضى الديموقراطية التي تكرِّس التنابذ والتخاصم ، ومن المؤثرين للملكية باعتبار أن من مزاياها أن واحداً فقط قد يجاوز العدل ويسيء الحكم ، ومن المخاصمين للديموقراطية باعتبارها أرستوقراطية خطابية وعندما اشتدَّ الخلاف بين البرلمان الإنجليزي والملك شارل الأول ، ورجحت كفة البرلمان حتى جرؤ على اتهام إيرل ستراتفورد ، خشي هوبز على حياته ، ولاذَ بالفرار إلى فرنسا ، مفتخراً بأنه كان أول الفارين بدبنه . وفي عام ١٦٤٢ نشر كتابه « **المواطن De Cive** » ، عني فيه ببيان الصلة بين الدولة والكنيسة ، وذهب فيه إلى حد أن أعطى الدولة سلطة تقرير المعتقدات الدينية والقواعد الأخلاقية ، وفرض الطاعة للدين الذي ترتضيه ، لأنه طالما أن ظاهرة الدين طبيعية ، فالدولة هي التي تحتويه وتحسم الخلاف فيه لإقرار النظام . وفي عام ١٦٥١ أعادَ نشر « المواطن » ، وكان قد طبعه مرتين باللاتينية ، ولكنه هذه المرة قرر أن يقرأه كل الناس بالإنجليزية ، واختارَ له اسماً مثيراً « **التنين** » أو « **اللاوثيان Levathian** » ، أخذه من سفر أيوب الأصحاح الواحد والأربعين ، وقصد به الحكم المطلق ، وكأنَّ كرومويل كان ينتظر هذا الكتاب ليبرر به حكمه ، وكأنَّه كان كتاب الساعة الذي حسم مشكلة شكل الحكم بعد إعدام شارل الأول . وفي عام ١٦٥٦ دخل في جدل عنيف مع الأسقف برامهول ، نشر على أثره « الحرية والضرورة والصدفة » ، وقال إن الإنسان يحب ما يعطيه اللذة ، ويكره ما يمنحه الألم ، وحركة اللذة تدفع إلى اشتهاء الشيء ، وحركة الألم تدفع إلى خوفه ، والاشتهاء والخوف هما الباعثان لكل أفعالنا ، وهما ما نسميه الإرادة . والإنسان الحر هو الذي لا يوقفه شيء عن فعل ما يريد أو يشتهي أو يهوى ، ومع ذلك فهو خاضع للضرورة ، لأن للأفعال مسبباتها ، ومن ثم تقتضيها الضرورة . ولم يعترض برامهول على مذهب هوبز طالما أنه ينسحب على أفعال الإنسان التلقائية التي تشبه أفعال الحيوان ، ولكنه يرفض بشدة أن يقول إن الأفعال الإرادية تمليها الضرورة وإلَّا لانتفى معنى العقاب والثواب . واستمرَّ الجدل ولم ينته إلَّا بوفاة برامهول . وفي عام ١٦٥٥ نشر كتابه « الجسم » وقال إن الوجود مادي ، وهو وجود أجسام ، وأن القول بوجود موجودات غير جسمية قول متناقض . ووصف الأجسام بخاصيتين فقط هما الامتداد والحركة ، وما سوى ذلك طالما أنه مغاير للحركة ، فهو ليس من الأجسام ، وإنَّما هو صور ذاتية ، وإلَّا فكيف نفسر اختلاف الإحساس باللون باختلاف الأشخاص . ووصف الزمان والمكان بأنهما

صورتان من الصور التي يحدثها فينا الامتداد والحركة . وأرجـع الأفعال العقليـة إلى الإحسـاس ، ووصف الإحساس بأنه حركة في ذرات الجسم الحساس صادرة عن حركة في ذرات الجسم المحسوس تنقلها الأعصاب من أعضاء الحس إلى الدماغ . وتتعاقب حركات الدماغ بنفس ترتيب الإحساسات ، وتأتي الصور بنفس التعاقب والترتيب. ولكن هوبز ارتكب خطأ رياضياً في الكتاب، أذله مدة عشرين سنة، فقد حاول تربيع الدائرة، وكان ذلك في وقته عملاً فذاً، وتصيد جون واليس أستاذ الهندسة بجامعة أوكسفورد الخطأ، واستغلَّه ضده أسوأ استغلال ، ودخل في العراك سيث وارد أستاذ الفلك وكشف الأخطاء التي تردَّى فيها هوبز في فلسفته، وكان هوبز قد أغضبهما بالهجوم على التطهر مذهبهما ، وعلى جامعة أكسفورد ووصفها بأنها مكان موبوء بالخطيئة والفساد . وتـآلبت المشاكل على هوبـز بمـطالبة البـرلمان بـالتحقيق في المـوجات الإلحـادية التي انتشـرت ، وشكِّلت لجنـة لمناقشة كتـاب « التنين » ، لكن الملك شارل الثـاني تـدخل وأسقـطت الدعـوى بشرط أن يكفّ هـوبز عن الكتابة ، فتحـول إلى التاريخ ، وأتمّ عام ١٦٦٨ كتـابه « بهيموث Behomoth » ، مقتبساً الاسم من سفر أيوب أيضاً ، تناول فيه تاريخ الحرب الأهلية ، وفسَّر أحداثها في ضوء آرائه عن الإنسان والمجتمعات ، ولم يوافق الملك على نشـره ، ونشر الكتـاب بعـد وفـاتـه سنـة ١٦٨٢ . ورغم أنه كان قد بلغ الثمانين ، إلاَّ أنه كان ما يزال في كامل قواه العقلية ، متوفر النشاط ، وكان يلعب التنس حتى سن الخامسـة والسبعين ، وانتهىٰ من تدوين كتابه الأخيـر « حوار بين فيلسـوف وطالب حقـوق » ، الذي نشر بعد وفاته سنة ١٨٨١ ، وكان فيه رائداً مهَّد لقيام المدرسة التحليلية في التشريع في القرن التاسع عشر ، بزعامة جون أوستن ، واشتهر برأيه القائـل إن القانون هو أمر الحاكم ، وأنه كلمة صاحب الحق في إصدار الأوامر للآخرين ، وأن السلطة هي التي تصنع القانون وليس العادة أو العرف والتقـاليد ، وفـرَّق بين القانون كقانون ، وبين كونه مقسطاً أو معقولاً ، وقال إن القانون يكون ملزماً طالما أن الذي أصدره صاحب سلطة له حق إصداره ، أما كونه مقسطـاً أو معقولاً فهذه مسألة أخرى لا علاقة لها بالمسألة الأولى .

والقـانون الـطبيعي مجموعـة مبادىء تحكم سلوك الناس وتلزمهم ، لا تـستمد من التقاليد أو العرف أو ما يصطلح عليه النـاس من قوانين ، بـديهية ، يمكن أن تكـون أساس قـانون دولي لكـل المجتمعات ، يجب طاعتها لذاتها ، وتلزم كل إنسان عاقل يرى أنه لكي لا يصنع الغير به الشر لا ينبغـي له أن يصنع الشر بالغير ، ويصـدر في ذلك لا عن حب للنـاس ، بـل عن حب لنفسه . وهوبز من أشياع المذهب الإسمي ، فكل كلمة لها معنىٰ كما لـو كانت اسمـاً ، والخير هـو ما يكـون موضوعاً للاشتهاء ، والشر ما يكون موضوعـاً للنفور ، والفـرد يصدر عن الخـوف وغريـزة حب البقاء ، ومن الخطل الاعتقاد بغريزة اجتماعية تحمـل الإنسان على الاجتماع والتعاون ، فالحاجة واستشعار القوة يحملان الفرد على الاستئثار بأكثر ممَّا يستطيـع ، وإن أعوزتـه القوة لجأ إلى الحيلة ، لكن العقل يلجئه إلى وسـائل أفعل من القوة والحيلة ، ويهديه إلى أول قاعدة خلقية وهي طلب السلم ، فـالسلم خيـر ، وكـل الـوسـائـل المـوصلة إليه بـالضرورة خيـر . وقد لا يشتهي الفـرد السلم ، ولكنه بالتفكير الهادىء سيجد أن السلم أدعىٰ إلى إشباع كل رغباته على المدى الطويل ، وأنه شيء يجب أن يشتهيـه ، لأنه يخشىٰ المـوت ، ولأن حالـة الحرب ستخلق وضعـاً يستحيل معه إشباع ما يشتهي . ومن هذا التعاقد يلزم وجوب الصدق والأمانة والإقساط والتسامح والتحكيم وكل قواعد الأخلاق .

هوبهاوس .... Hobhouse

(١٨٦٤ ـ ١٩٢٩) ليـونارد تـريلوني هوبهـاوس ، بريطاني ، ولد في كورنويل ، وتعلَّم بأكسفورد ، ويعد الفيلسوف الإنجليزي الثاني بعد سبنسر ، وتخصصه في دراسة تطور العقل بوصفه العنصر المؤثّر في عملية التطور التاريخي ، ومنهجه ارتقاء مستمر من الوقائع إلى

النظرية ، واختبار النتائج النظرية بالرجوع إلى الوقائع . والفلسفة مركب من كل العلوم ، الأمر الذي يجعلها مرنة تتقبل كل المدارس الفلسفية ، وينزع هوبهاوس إلى التوفيق بين كل الفلسفات وخاصة المدرستين التقليديتين المثالية والتجريبية ، وتمثل ذلك في كتبه « **نظرية المعرفة** » (١٨٩٦) و « **العقل في التطور** » (١٩٠١) و « **الأخلاق في التطور** » (١٩٠٦) و « **التطور الاجتماعي والنظرية السياسية** » (١٩١١) و « **النمو والغرض** » (١٩١٣) و « **النمو الاجتماعي** » (١٩٢٤) وكلها كتب موسوعية للفلسفات النظرية تجنّب فيها الاستنتاجات النهائية تاركاً فسحة لمزيد من الكشوف العلمية والحقائق الجديدة في مجال الفكر والحياة ، ومنهجه تجريبي غير متميز يذهب إلى القول بالتطور ، ويبدأ من العقل في الحيوان ثم في الإنسان ثم دراسة الأفكار الأخلاقية والدينية ، ثم يتحول إلى دراسة القيم لدى الإنسان والمجتمع ، وينتهي إلى مركب ضخم من النظريات الفلسفية والعلمية . والمعرفة عنده تصنع موضوعها ، لأنها تقوم على التجربة ، وهي معرفة بالواقع وليس بالمظهر . وموضوع العلوم الطبيعية هو المادة وتخضع للقوانين الميكانيكية ، وهي ليست سوى جانب واحد من الواقع ، والجانب الآخر هو العقل ، ويخضع لقوانين غائية ، ويرتبط الاثنان برباط قوي يتمثل في تطور النظام العالمي .

هوس .... Hus

(نحو ١٣٦٩ - ١٤١٥) يوحنّا هوس ، مصلح ديني ، تشيكي ، واقعي ، من أتباع ويكليف ، أنكر سلطة البابا ، وأن يكون للمسيح خليفة ، وأن يكون باستطاعة الكنيسة أن تحل الفاسق من ذنوبه . وقال إن الخلاص بيد الله وحده ، وأن الهدى والضلالة من الله ، ولا سلطان لأحد على قلب المرء إلاَّ الله ، فإن شاء هداه وكتبه من الناجين . وبسبب هذه الآراء أصدر البابا أمراً بحرمانه (١٤١١) وقبض عليه (١٤١٥) وأعدم حرقاً ، وأدَّى استشهاده إلى سلسلة من الحروب عرفت باسم الحروب الهوسية (١٤١٩ - ١٤٣٤) ، وأدَّت إلى عزلة بوهيميا عن بقية أوروبا لعدة أجيال .

هوسرل .... Husserl

(١٨٥٩ - ١٩٣٨) إدموند هوسرل ، يهودي ألماني ، مؤسس فلسفة الظواهر Phenomenology . بدأ رياضياً ، ثم تحول إلى الفلسفة بتأثير برنتانو ، وكان قد رحل إلى فيينا للتلقي عليه ، وقرر أن يكرس حياته للفلسفة ، واشتغل بتدريسها في جامعات هال وجوتنجن وفرايبورج ، وعانى من اضطهاد النازي له ليهوديته . أهم كتبه « **فلسفة الحساب** » (١٨٩١) و « **بحوث منطقية** » (١٩٠٠ - ١٩٠١) و « **الفلسفة كعلم صارم** » (١٩١٠) و « **الأفكار : مدخل عام إلى علم ظواهر خالص** » (١٩١٣) و « المنطق الصوري والمنطق الترنسندنتالي » (١٩٢٩) و « **التأملات الديكارتية** » (١٩٣١) . وكان يرى في الفلسفة رسالة دينية وواجباً مقدساً ، وأن أي تراخ في أدائها وحملها بمثابة خيانة للنفس ، وأن فقد الإيمان بها فقد الإيمان بالنفس ، وكان شديد الثقة بنفسه معتزاً بها ، لكنه كان يعتبر نفسه دائماً مبتدئاً ، ولم يكن يعتقد أن هناك حقائق فينومينولوجية تعلو على النقاش أو لا تقبله ، وكان يرى أن الوضوح الجلي هو مسعى الفيلسوف ، واليقين الدامغ مطلبه ، وأنه كفيلسوف عليه أن يكون راديكالياً لا يأخذ الأمور قضايا مسلمة ، وأن الفلسفة لا تفترض فروضاً قبلية ولا تصادق على أية قضية دون تمحيصها ، لذلك لم تعجبه الرياضيات أول ما احترفها ، لأن مفاهيمها قبلية ، وتحول بتشجيع برنتانو إلى فلسفة الرياضيات دون الرياضيات ، وحاول تحليل المفاهيم الرياضية والمنطقية تحليلاً سيكولوجياً ليبلغ الفلسفة التي وراءها ، فحاول مثلاً أن يفسر مفهوم العدد بتحليل فعل أو نشاط العد ، لكن جوتلوب فريجه انتقده بدعوى أن مفاهيم الرياضيات والمنطق ليست أفعالاً سيكولوجية ، وعاب عليه خلطه بين علم النفس

والمنطق، وعدم إدراكه أن تفسير الرياضيات والمنطق لا يكون بتفسير العمليات السيكولوجية الرياضية أو المنطقية، وتقبل هوسرل نقد فريجه وأخذ بوجهة نظره ، ثم انبرى يفصل بين الفلسفة كعلم وسائر العلوم الأخرى التجريبية ، وانتقد لذلك النزعة السيكولوجية المتطرفة Psychologism التي تجعل المنطق فرعاً لعلم النفس ، فعلم النفس تجريبي ، والرياضيات والمنطق علمان قبليان ، والفلسفة علم قبلي كذلك . وهاجم النزعة الطبيعية المتطرفة التي تزعم أن مبادىء المنطق قواعد علمية ، وأنه لذلك فرع من العلم الطبيعي التجريبي ، وضرب المثل بقانون التناقض ، ونفى أن يكون معناه عدم إمكان النطق بعبارتين متناقضتين ، وقال إنه قانون ينص على عدم إمكان أن يكون للشيء الواحد خاصيتان متناقضتان . وهاجم النزعة التاريخية المتطرفة Historicism التي تدعي أن الحقائق الفلسفية في حقيقتها حقائق تاريخية ترتبط بفترات تاريخية وليست حقائق أزلية . أي أن هوسرل جعل الفلسفة علماً ، لكنه فصلها عن العلوم التجريبية ، وأطلق عليها اسم علم الظواهر ، وفي أول الأمر قال عن علم الظواهر إنه علم نفس وصفي بالرغم من هجومه السابق على علم النفس ، ثم أدرك خطأه وفصل علم الظواهر عن علم النفس ، لكنه أصر على أن علم الظواهر علم وصفي ، وأن وصفيته تميز منهجه عن المناهج الفلسفية التقليدية التي تريد أن تعرف حقيقة العالم باستنباطها من المفاهيم المجردة بدلاً من الانفتاح على العالم ومطالعته لاكتشاف حقيقته ، فالفينومينولوجيا هي علم دراسة الظواهر أو المعطيات التي تبدو للوعي ، كي تعرف « هذا » الذي نعيه أو ندركه أو نتعقله أو نفكر فيه أو نتحدث عنه ، دون أن تحاول اصطناع الفروض وتقديم التفسيرات ، لذلك كانت مهمتها البحث عن المنهج الفلسفي الذي يضمن إقامة الفلسفة على علم فلسفي حقيقي يتجاوز الصفات أو المحمولات العرضية لموضوعات الشعور أو المعطيات ، ويكشف عن ماهياتها الثابتة والتي بدونها لا تكون موضوعات، وما من شك أن بلوغ الماهية أو صميم الموضوع لن يتأتى من تجربة واحدة ، وأنه من خلال الخبرات المتعددة ، أو تخيل مظاهر الموضوع المتنوعة ، نستطيع الوقوف على الماهية . ويلعب منهج التخيل هذا دوراً مهماً . ويصف هوسرل الصفات العارضة بأنها مجردة لأنها غير ثابتة وليست جوهرية ، بعكس الماهية فهي حقيقة الموضوع العينية ، وبلوغها أمر شاق على الذات العارفة ، لكنها تتأتى بالتأمل وبالتوضيح التدريجي ، بمعنى أن الموضوعات أو المعطيات لا تقوم مباشرة أمام الحدس الذهني الهوسرلي ، لكن هذا الحدس يبلغ منها وطره بعد لأي ، ويصل إلى ماهياتها بعد استعداد طويل . وهو لا يصل إلى ماهية الشيء بالشك فيه كما يفعل ديكارت، لكنه يصطنع منهج التوقف عن الحكم أو وضع بعض عناصر الموضوع أو المعطى بين قوسين Brack- eting- Off ، واستبعادها من التأمل ، والانصراف بالوعي إلى الماهية الخالصة . وهو يقول إن للوعي طابع قصدي Intention ، وأنه دائماً وعى بشيء ، وأن نشاطاته نشاطات قصدية ، فهو دائماً يقصد إلى موضوع ويتجه إليه ويجعله هدفه ويحاول الإحاطة به ، ويتبع في ذلك ما يسميه هوسرل الرد الفينومينولوجي Phe- nomenological Reduction، وبه يضع الوعي كل ما لا يجمعه اي ارتباط بالوعي الخالص بين قوسين ، ويستبعده عن تأمله بحيث لا يتبقى من الموضوع إلا ما يهم الذات . وهو يتجاوز الصفات العارضة وينفذ إلى الماهية ، وهذا التجاوز يسميه الرد الفينومينولوجي الترانسندنتالي Transcendental Phe- nomenological Reduction ، يتجاوز به الأنا العالم المباشر ، وينتقل به من موقف المتأمل العادي للعالم وموضوعاته العادية، إلى موقف أو اتجاه تأملي يستوعب فيه الأنا الترانسندنتالي Transcendental Ego الخبرات الواقعية للذات التجريبية Empirical Self ، ويخلص إلى المجرى الخالص للخبرة المعاشة ، وإلى الماهية أو الصورة التي للشيء . ولذلك يقسم هوسرل المعارف إلى علوم الوقائع التي تقوم على الخبرة الحسية

والملاحظة التجريبية ، ووسيلتها العيان الحسي Empirical Intuition ، وعلوم الماهية Eidetic Sciences التي تهدف إلى الإحاطة بالماهية أو الصورة Eidos ، وتقوم على الوصف الظاهري أو الفينومينولوجي ، ووسيلتها العيان الماهوي Eidetic Intuition . وواضح أنه لا مكان للمعقول يفصل بين الذات العارفة والموضوع المعروف طالما ان الوعي لا يمكن أن لا يكون إلا وعياً بشيء . وواضح أيضاً أن هذا الوصف الفينومينولوجي للخبرة يشمل اتجاهات الذات نحو الموضوع ، كالشعور والعاطفة والشك والإرادة ، ويسميها هوسرل فعل الإدراك Noesis (نؤيزيس) ، والموضوع أو المعطى أو المدرك Noema (نؤيما) . وتخلص من كل ما سبق أن هوسرل يميز بين عالم الخبرات التي نعيشها ، والعالم كما يعرفه العلم ، ومهمة الفلسفة الفينومينولوجية الأولى هي دراسة العالم المعاش ، ودراسة خبراتنا به .

هوكنج .... **Hocking**

وليام إرنست هوكنج ، أمريكي ، ولد في كليفلاند من أعمال أوهايو (١٨٧٣) ، وتعلم بهارفارد وعلم بها ، وكان قد بدأ بدراسة الهندسة المدنية ، ولكنه مال إلى الفلسفة وتتلمذ على وليام جيمس وجوذيا رويس ، واشتهر بكتابه « **معنى الله في التجربة الإنسانية** The Meaning of God in Human Experience » (١٩١٢) ، ورغم أن فلسفته بها آثار براجمانية وواقعية إلا أنها مثالية تؤكد على العقل الآخر The Other Mind أو الله كحقيقة مطلقة نعرفها مباشرة وبالحدس ، ويسمي مذهبه **بالمثالية الموضوعية** Objective Idealism ، ويقيمها على التجارب الحسية الانفعالية الإدراكية التي موضوعها الآخرون والعالم ، والتي تقوم في ظل الوعي المباشر بوجود عقل آخر ، ويديرها على علاقات ثنائية بين الأنا والأنت ، تتجاوز في محصلتها حدودها كتجارب معرفية إلى الحقيقة المطلقة ، وترتبط فيها الأفكار بالمشاعر في وحدة « الفكر ـ الشعور » التي تبدو في فلسفته كنغمة تصوفية قوية ، ولكن تصوفه لا يهمل دور العقل في تصحيح الحدس ، ويقول بمبدأ التبادل Principle of Alternation بين العقل والحدس ، ويولي عنايته لمسائل مثل المعنى في الخبرة والواقع والقدر ، وهي المسائل التي تتجاوز الخبرة اليومية العادية .

هولباخ .... **Holbach**

(١٧٢٣ ـ ١٧٨٩) بول هنري تيري هولباخ ، أبرز فلاسفة المادية الملحدة في القرن الثامن عشر ، وأشد فلاسفة حركة التنوير إنكاراً للدين وتهجماً عليه ، ويطرح في كتبه كل حجج ذلك القرن وتلك الحركة ضد الدين ، ويعد كتابه « **نظام الطبيعة أو قوانين العالم الفيزيائي والعالم الأخلاقي** » (١٧٧٠) مرجعاً كلاسياً لتاريخ المادية الملحدة بوصفها نتاج وغاية العلم الحديث . وهولباخ ولد ألمانياً ، وتعلم بجامعة ليدن ، وهاجر إلى باريس (١٧٤٩) ليعيش مع خاله فرانسيكوس هولباخ الذي كان قد استوطن فرنسا وتجنس بجنسيتها وأثرى ثراء فاحشاً ، وتزوج هولباخ ابنة خاله الكبرى ثم الصغرى بعد وفاتها . وورث عنه اسم هولباخ ولقب بارون والجنسية الفرنسية ، وصار بيته صالوناً أدبياً يغشاه المتفلسفون من أبطال حركة التنوير ، والفلاسفة الموسوعيون مؤلفو « الموسوعة » ، وكثير من الأجانب أمثال هيوم وجيبون وآدم سميث وشتيرن وبنيامين فرانكلين . وتنقسم حياته إلى مراحل ثلاث ، في الأولى (١٧٥٠) كان اهتمامه علمياً ونشر وترجم كثيراً من المقالات العلمية ، وفي الثانية (١٧٦٠) تصدى للنظام القديم برمته ، وهاجم الكنيسة والدولة والإقطاع ، وسلط مدافعه كلها على الدين ، ومن ثم اضطر إلى طبع كتبه في هولندا وتهريبها إلى فرنسا . ولم يكتف بالكتابة بنفسه ناقداً الدين والكنيسة ، ولكنه توفر على نقل كل الأدب الملحد من اللغات الأخرى إلى الفرنسية ، ومن كتبه في هذه المرحلة « **المسيحية سافرة** » (١٧٦١) ، « **والوباء المقدس** » (١٧٦٨) .

وفي المرحلة الثالثة (١٧٧٠) طرح فلسفته المادية الملحدة ، وقال إن الإنسان ابن الطبيعة ، وأنه لا وجود لشيء اسمه الروح ، وأن الأخلاق والأفكار مصدرها الأحاسيس ، وأن الطبيعة مادة وحركة ، والعالم المادي من صنع نفسه ، والتغير في الأشياء تغير في الجزئيات المكونة لها ، ولا وجود للصدفة ولا الفوضى ولا الحرية ، فكل شيء ضروري ومنظم ومحتوم ، والكون سلسلة من الأسباب والنتائج ، وهدف الإنسان تحصيل السعادة ، ولا تقوم السعادة إلا بالتعاون مع الآخرين لخير المجتمع والفرد ، وتقوم المعرفة الموضوعية على إدراك الانسان لحاجاته الاجتماعية وطبيعته ، لكن الدين ضلله عن ذلك وربط أفكاره بعالم متوهم . ويصف هولباخ فلسفته بأنها إثوقراطية Ethocracy ، اي الفلسفة الداعية لحكم الأخلاق ، ويرى أن الدولة وظيفتها أخلاقية حيث عملها الأول تربية الفرد تربية اجتماعية تعاونية . ودعا إلى حكومة تجمع بين حكم الشعب والاستبداد ، وإلى نظام لا يقوم على الإقطاع ويحدد الملكية ويجعل بها وظيفة اجتماعية ، وإلى فرض ضرائب تصاعدية وفصل الدين عن الدولة .

هيجل .... Hegel

(١٧٧٠ - ١٨٣١) جورج وليام فريدريك هيجل ، من أعظم الفلاسفة تأثيراً في تاريخ الفلسفة ، ويعد تاريخ الفلسفة منذ وفاته سلسلة من الخروج عليه ، لكن أفكاره استوعبها خصومه ، ولا يمكن أن نفهم الوجودية والماركسية والبراجماتية والفلسفة التحليلية والنزعة النقدية دون أن نفهم هيجل وتأثيره فيها جميعاً بالسلب والإيجاب .

ولد هيجل بشتوتجرت من اعمال المانيا الغربية ، وزامل شيللنج وهولدرلن بجامعة توبنجن ، وكان يكبر شيللنج بخمس سنوات ومع ذلك كان تلميذاً له ، وتبعه إلى جامعة يينا حيث كان شيللنج قد عين استاذاً للفلسفة بها ، واشترك معه في إصدار مجلة فلسفية ، وكان أول كتاب له عن الفرق بين فلسفتي فخته وشيللنج (١٨٠١)، وفي يينا كتب أهم كتبه **«فينومينولوجيا العقل»** (١٨٠٧) ويعد مدخلاً لفلسفته ، ثم عين ناظراً لاحدى مدارس نورمبرج الثانوية (١٨٠٨ - ١٨١٦) ، وفي نورمبرج نشر كتابه **«علم المنطق»** في ثلاثة مجلدات ، نشرها تباعاً (١٨١٢ - ١٨١٦)، ويعد حجر الزاوية في بنائه الفلسفي ، وانتقل الى هايدلبرج حيث عين استاذاً للفلسفة بجامعتها (١٨١٦ - ١٨١٨) ، وفيها نشر **«موسوعة العلوم الفلسفية»** (١٨١٧)، ثم عين أستاذاً بجامعة برلين، وهناك اشتهر وظهر كتابه **«فلسفة الحق»** (١٨٢١) ، ومرض بالكوليرا التي اجتاحت المانيا عام ١٨٣١ ومات بها ، وجمع اصدقاؤه كتاباته وطبعوها في ثمانية عشر مجلداً، كما طبعوا لأول مرة محاضراته في علم الجمال وفي التاريخ وفي فلسفة الدين وتاريخ الفلسفة ، وطبعوا له كتاباته المبكرة التي تميز مرحلة تطوره الأول النقدية ، وهي **« حياة يسوع »** و **« وضعية الدين المسيحي »** و **« روح المسيحية ومصيرها»** .

ويتميز اسلوب هيجل بالبلاغة والصور في كتبه الأولى ، ويتسم بالتجريد والتعقيد والاصطلاحات الكثيرة في كتبه اللاحقة ، وان المرء ليحار في ترجمة Geist ، هل هي العقل أم الروح ، حتى ان البعض يترجم كتابه الرئيسي « علم ظواهر الروح » ، والبعض يترجمه «علم ظواهر العقل»، وهناك من يترجمه «فينومينولوجيا الذهن » ، ولا تكون ترجمتها احياناً الا بالعقل، وأحياناً لا تصح الترجمة إلا بالروح . وهو يقول ان الوجود الحقيقي هو وجود العقل، ولا يعني بذلك ان يلغي وجود الماديات وأنه لا يوجد سوى العقول ، وإنما يعني ان العقل الواعي هو الموجود الحقيقي ، وهو العقل الذي يفعل في حرية ، وهو العقل الذي يزيد وعي الناس بماهية ما يقومون به وما يشغلون به انفسهم ، وهو الفيلسوف الذي ينمي الوعي بماهية الفن والسياسة والتجارة والدين، فيبذل الفنان والسياسي ورجل الدين الخ من نفسه وفكره ويصل الى آماد ما كان من الممكن أن لا يدركها لولا الفيلسوف ، وقول هيجل

ذاك شبيه بما كان يذهب اليه فيثاغورس وافلوطين وسبينوزا عن ان الفلسفة نشاط يطهر العقل ويحرره .

وينقد هيجل فخته وشيللنج ، الأول لأنه قال بأنا يحده لا أنا ، والأنا هو المطلق ، وطالما أن هناك ما يحده فهو ليس مطلقاً ؛ والثاني لأنه وصف المطلق بأنه أصل الأنا واللاأنا ، أي أنه مجمع الأضداد ، وشبهه هيجل بالليل تبدو فيه كل الأبقار سوداء . أما هيجل فيذهب مذهبهما في وحدة الوجود، ويقول ان المطلق هو الوجود الحقيقي ، وأنه ليس مجرد الإيجاب ، وليس نفي اللاوجود ، لكنه وجود لا وجود ، أو وجود في صيرورة ونماء ، أو وجود ما سيصير ، فالصيرورة صميم الوجود وسر التطور . (مبدأ الوجود Doctrine of Being) .

والموجود لا يكون موجوداً إلا إذا تعين (مقولة الكيف) ، والتعين يعني التوحد (مقولة الكم) . والموجود الواحد يعارضه الوجود في الكثرة ، لكن الكثرة في حقيقتها واحدة ، فالكم المتصل واحد بالفعل ، كثير بالقوة لأنه يقبل القسمة باستمرار ، والقسمة تنشىء العدد وهو الكم المنفصل ، والعدد متناه ، ولكنه أيضاً غير متناه لأنه قابل للزيادة والنقصان . والعدد كم مبعثر ، والشدة نقيضه وهي الكم المركز ، لكنهما يتفقان في النسبة ، فكل موجود عبارة عن نسبة معينة من العناصر الداخلة في تكوينه ، والنسبة هي ماهية الموجود .

وللموجود إذن طبيعة أو نسبة ، وله ظواهر يبدو عليها . والنسبة هي العلة أو الماهية أو القوة، والظاهرة هي فعل القوة أو وظيفتها أو هي ماهية الماهية أو المعلول ، والعلة والمعلول متلازمان ، وكل علة معلولة لغيرها ، وتنتظمها جميعاً دائرة ، فهي لا تسير في خط مستقيم ينتهي إلى علة أولى أو علة مفارقة، لكن المطلق هو مجموع العلل الجزئية النسبية . (مبدأ الماهية Doctrine of Essence) وإن أقل ما يمكن أن يوصف به الشيء هو أنه موجود ، فإذا احطنا بكيفه وعددناه وقسناه عرفنا عنه المزيد ، لكننا نعرف عنه أكثر إذا بلغنا ماهيته وأدركنا علله ، وتبلغ معرفتنا به أقصاها عندما نضعه في سياق الحياة ونعلم القصد منه وأساسه وقيمته وفاعليته . (مبدأ المعاني Doctrine of Cocepts) .

وإذن فهيجل لا يؤمن بإله مفارق، لكنه يعتقد أن القوة التي تعمل على تطوير الكون وتشكيل الانسان ، يمكن أن تتسمى باسم آخر صورة تتبدى عليها ، مثلما نقول عن الجنين إنه انسان لم يكتمل بدل ان نقول عن الانسان إنه المرحلة الاخيرة من الجنين ، وفي رأيه ان هذا الروح اللامتناهي ، أو هذا العقل الكلي ، أو هذا المبدأ المنظم للخلق ، لا يبلغ وعيه بذاته إلا في الانسان وحده ، وأنه لا يعرف إلا ما يعرفه الانسان ، وليس التاريخ البشري بالمفهوم الفلسفي الا تجسيد العقل الكلي ، وبدون هذا التطور التاريخي للانسان لا يكون هناك إله .

غير أنه لكي نفهم التاريخ والطبيعة والروح لا بد من منهج منطقي ، ومنهج هيجل يستمده من الوجود نفسه ، ويقوم على تطور جدلي ثلاثي يبدأ بالموضوع او القضية ، التي تنقلب الى نقيضها ، ثم تأتلف مع النقيض ، ويطبقه على كل مظاهر الوجود ، حتى في تبويبه لكتبه ، فالطبيعة تنقسم إلى ثلاثة اجزاء، وكذلك التاريخ وتطور الروح .

والروح أو العقل يباين نفسه فتظهر الطبيعة ، فهي مظهره الخارجي الذي يعارضه وينفيه ، وهي تتطور وفق المنهج الجدلي الثلاثي ، فهناك الطبيعة في ذاتها أو جملة القوانين الآلية التي تعبر عن الوجهة الكمية في الاجسام (الميكانيكا) ؛ وهناك الطبيعة لذاتها أو جملة القوى الطبيعية والكيميائية التي تعبر عن الوجهة الكيفية ؛ وهناك الطبيعة في ذاتها ولذاتها أو الطبيعة الاحيائية ، وهي أرقاها جميعاً حيث تكون الطبيعة الجيولوجية أدناها ، والطبيعة النباتية أوسطها ، والطبيعة الحيوانية أعلاها ، والانسان قمة الطبيعة الحيوانية .

ان الروح الكلي يعارض نفسه بالطبيعة ، ولكنه يعارض الطبيعة بأن يستزيد من معرفته بنفسه ، ويمر لذلك بأطوار ثلاثة كذلك ، فهناك الروح الذاتي الذي

يحس ويشعر ويفعل وينفعل ويتنبه ويتذكر ويتخيل ويدرك ، وله رغبات ودوافع يسعى لاشباعها ، وهو الفرد أو الانسان ؛ وهناك الروح الموضوعي أو المجتمع ؛ وهناك أخيراً الروح المطلق أو الحياة الروحية للوجود .

والروح الذاتي في أدنى مراحله الثلاثية انفعالي ، وفي أوسطها شعوري ، وفي أعلاها عقلي . ويدقق العقل بين الانفعال والشعور ، والنظر والعمل ، ويجعل قوانين الحياة قوانين الشعور ، وبذلك يقر بسمو الروح الموضوعي ، ويتم له ذلك بالإرادة الحرة .

وللروح الموضوعي مظاهره الثلاثية كذلك ، وهي الحق والواجب والمؤسسات الاجتماعية ، فالإنسان يبدأ أنانياً ، ثم يهذب المجتمع أنانيته بالحق والواجب ، ويتوسط المجتمع الاسرة والدولة ، وتنظم الاسرة الجنس بالزواج ، وعليها يقوم المجتمع . والدولة غاية الاسرة والمجتمع ، وتحقيق الروح الكلي غاية الدولة ، فهي مشيئة اللّه على الأرض ، وهيجل يقصد طبعاً الدولة المثالية ، واحترامها من احترام اللّه . والدول كالأفراد ، لكي يعترف بها الآخرون ينبغي أن تعترف بهم ، وأن تقوم العلاقات بين الدول على مبدأ الحق ، والحرب وسيلة لفض المنازعات ، لكنها وسيلة وحشية ينبغي تجنبها . مع ذلك فلكل دولة دور في التاريخ ، وليس التاريخ عمل الصدفة ، فطالما أنه فعل العقل فلا مجال للصدفة فيه ، والتاريخ بناء معقول وليس قصة خرافية ، وبناؤه المعقول هو تطور الحرية .

ان تحقيق الروح المطلق غاية الدولة ، بأن تهيء للفرد غاية ما ينمي ملكاته ، ويمنحه المعرفة ، ويتيح له ممارسة ذاته ، لكن الدولة في أحسن أحوالها قوة خارجية ، وإنما يحتاج الفرد لكي يصعد مدارج الكمال الى تعميق وعيه الذاتي ، والانسان يكتسب الوعي بالدين ويحقق في الفن مثله الأعلى . والفن انتصار على المادة ، وانزال الفكرة في المادة ، لكن الصورة المادية لن تكون كالمثال فالفكرة أرفع وأجمل من أن توضع في المادة ، وهذا الشعور بالقصور عن تصوير المثال هو أصل الدين ، والدين ادراك للمطلق في الباطن ، والفن تعبير عنه في الظاهر ، فالفن دين غير كامل ، والدين فن متكامل ، لكن الدين شخصن الإله وجعله مفارقاً للعالم لكن القدرة ، أي أنه مثل أو صور المطلق ، بينما تصورته الفلسفة وتفكرت فيه ، فالدين عبر عنه في شكل كالخيال ، بينما الفلسفة طرحته في شكل مفهوم . وكان كل من الفن والدين وليدا العاطفة والخيال ، لكن الفلسفة تحقيق لما يرمز الفن والدين إليه ، وانتصار للعقل الخالص ، وتحقيق للروح المطلق ، لأن الثقافة الانسانية في الفلسفة تصل إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه ، وليست كل الفلسفات إلا سلسلة من التقدم نحو هذا التحقق ، ودرجات متباينة لفلسفة واحدة ، وكانت الفلسفة اليونانية دراسة للمادة ، لكن فلسفة العصور الوسطى فلسفة الروح ، وكانت الفلسفة الحديثة مركب الموضوع والنقيض ، وكانت فلسفة هيجل آخر وأكمل صورها ، لأن الروح المطلق فيها يخلص إلى الشعور بذاته تماماً .

هيجلية .... **Hegelianism**

ظهر أثر هيجل في التفكير الميتافيزيقي المنهجي وفي علم الجمال وفي النظرية السياسية والاجتماعية وفي البروتستنتية وفلسفة الدين والتأريخ وتاريخ الفكر ، وتراوح تأثيره في كل منها ، واختلفت النتائج التي توصلت اليها الحركات الهيجلية ، ولم يكن اختلافها لاختلاف في الظروف بقدر ما كان بسبب التناقضات الموجودة في الفلسفة الهيجلية نفسها ، ولم يكن هيجل يعتبر التناقضات الا لحظات جدلية في حياة الروح المطلق ، تأتلف في وحدة فلسفية عليا . لكن هذا التأليف بين المتناقضات ، ووصفه بأنه جدلي ، لم يكن إلا اخفاء لصراع داخلي وتوتر هائل ، سيفجر من بعد خلافات حادة ، ولقد قامت الهيجلية في عشرينات القرن الثامن عشر وقت ان كان هيجل استاذاً يحاضر في جامعة برلين ، وتحلقت حوله مجموعة من المريدين الموهوبين ، شجعهم استاذهم على تطبيق الجدل على نواحي المعرفة المختلفة ، وبرز منهم في مجال الفلسفة

جورج جابلر (١٧٨٦ ـ ١٨٥٣) وليوبولد فون هينتج (١٧٩١ ـ ١٨٦٦) وجوليوس شاللر (١٨٠٧ ـ ١٨٦٨) وكارل ميشليت (١٨٠١ ـ ١٨٩٣)، وفي مجال الدين كارل دوب (١٧٦٥ ـ ١٨٣٦) ، وفي مجال القانون ادوارد جانز (١٧٩٨ ـ ١٨٣٩) ، وفي علم الجمال هاينريش روتشر (١٨٠٣ ـ ١٨٧١) وهاينرش هوثو (١٨٠٢ ـ ١٨٧٣) وكارل روزينكرانز (١٨٠٥ ـ ١٨٧٩) . وأقام حواريوه في بيته في يوليو من عام ١٨٢٦ «جمعية للنقد العلمي» تتفرع إلى أقسام تبحث في الفلسفة والعلم الطبيعي والتاريخ والفلسفة ، وأصدرت الجمعية مجلة، وضم مجلسها الهيجليين القدامى، وأطلق عليهم فيما بعد الجناح اليميني في الهيجلية ، ولعل خير ما قدموه هو نشرهم لأعمال هيجل الكاملة بما فيها محاضراته ، وحاول بعضهم ، وأخص بالذكر منهم كارل جوشل (١٧٨١ ـ ١٨٦١) ، التوفيق بين الهيجلية والمسيحية والقول بإله مشخصن وخلود شخصي ، وجاءت الخطوة الأولى في الاتجاه نحو الالحاد داخل الحركة الهيجلية من لودفيج فيورباخ (١٨٠٤ ـ ١٨٧٢) الذي نشر «أفكار حول الموت والخلود» وأنكر الخلود وقال إنه وهم مصدره غرور الانسان وأنانيته ، وأن الأخذ به يزيد من الاحساس بفناء الإنسان ، وأن على الانسان أن يقبل فكرة الموت ليتحرر من فرديته المحدودة إلى رحابة الروح المطلق. واختلف الفلاسفة حول فكرة الخلود التي فجر فيورباخ مشكلتها ، لكن الخلاف سرعان ما انتقل الى فكرة الوهية المسيح نفسه ، والشك في حقيقته التاريخية ، وظهر كتاب د.ف. شتراوس (١٨٠٨ ـ ١٨٧٤) «حياة اليسوع»، يقول ان العهد الجديد ليس إلا المفاهيم اللاشعورية الاسطورية للكنيسة، اسقطتها على يسوع، وليس فيه من وجه الحقيقة إلّا أنه قد حدَّ الطبيعة الإلّهية في الإنسان، لكن هذا التجسيد لا يمكن أن يتم في شخص إنسان واحد، بل في كل البشرية. وقال شتراوس إن هذا هو المضمون الحقيقي لفلسفة هيجل في الدين، ولكن هيجل لم يستطع التوصل اليه لأنه كان رومانسياً وعاطفياً من ناحية الأشخاص التاريخيين. وقسم شتراوس الهيجليين في مواقفهم إزاء مسألة المسيح الى ثلاثة معسكرات على غرار ما حدث تاريخياً في البرلمان الفرنسي إبان الثورة الفرنسية ، يسار ويمين ووسط. وكان شتراوس من أهل اليسار. لكن برونو باور (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) أعلن انكاره للعهد الجديد كحقيقة تاريخية ، واستنكر تفسير شتراوس أنه الاسقاط واللاشعور للكنيسة ، وقال انه تأليف شعوري لمؤلف واحد، وان المضمون الحقيقي للهيجلية ليس الايمان بإله مشخصن أو غير مشخصن ، وليس وحدة الوجود، ولكنه الالحاد .

ولكن الكتاب الذي احدث ثورة حقيقية كان كتاب لودفيج فيورباخ «ماهية المسيحية» (١٨٤١) ، يقول ان الديانات تسقط على الإله صفات بشرية ، وتجعل من الإله الموضوع المطلق ، ولكنه ، أي فيورباخ ، يعكس الآية فيسقط على الانسان صفات الهية ، ويجعل الانسانية هي الموضوع المطلق ، وقال ان الفكرة ليست حقيقة الوجود البشري ، لكن الوجود البشري هو مصدر وحقيقة الفكرة ، وان الحواس، وليس الوعي المفارق أو الميتافيزيقي ، هي الوسائل الأولية للمعرفة ، وأن اساس الاجتماع البشري هو العلاقات الانسانية المتعينة وليس الروح ، وان حقيقة التدين هو الحب بين الانسان والانسان ، وليس الايمان بإله مفارق ، وان الإله فكرة أبدعها الانسان ، وأسقط فيها أسمى ما عنده من إمكانات ، وأنه جرد نفسه من كل ما عنده فيها ، بل واستعبد نفسه لها ، ومن ثم فالانسان منقسم على نفسه ، ووصف فيورباخ مذهبه الانساني بأنه يسلب السلب في الانسان وأنه يعيده إلى نفسه .

لكن الخلاف بين اليمين واليسار اتسع ليشمل السياسة بعد الدين ، وكان هيجل يقول ان المعقول هو الواقعي وأن الواقعي هو المعقول ، وقال كارل لويث إن هذه العبارة يفهمها الثوري والمحافظ كل على هواه ، وكان اليمين طبقاً لقول لويث محافظاً لأنه ضد الثورة والتغيير طالما أن الواقع معقول ، أما اليسار فثوري

يطلب التغيير طالما أن المعقول هو الذي يجب ان يكون ، وان الأوضاع الاجتماعية الفاسدة لا بد أن تنهار وتسقط بفعل ضرورتها الداخلية ، واتهم اليسار الهيجلية بأنها توليفة مصطنعة من المثالية الفلسفية التي كانت تسود المناخ الفلسفي، والدين المسيحي ، والسياسة الملكية ، والبورجوازية الثقافية ، وأخذ «الهيجليون الشبان» على عاتقهم فصم هذه التوليفة ومهاجمة عناصرها الأربعة ، وأصدر أرنولد روج (١٨٠٣ - ١٨٨٠) جريدة عكست في تطورها تطور الحركة الهيجلية اليسارية، وكانت في سنتها الأولى يمينية لكنها سرعان ما تحولت الى اليسار ، وانضم اليها فيورباخ وباور ، وهاجمت الدولة والكنيسة ، وحينما أغلقتها السلطة انتقلت ادارة تحريرها من بروسيا إلى سكسونيا (١٨٤١)، وصار شعارها اكتشاف روح التاريخ ، وأعلنت أن محك صدق أي مذهب هو قدرته على الصمود للزمن وتلاؤمه مع روح العصر، ورددت قول هيجل ان الانسان ابن عصره، وان الفلسفة هي الامساك بروح العصر لكن الفلسفة كانت بالنسبة لهيجل استعادة للماضي، ورآها روج ورفاقه تنبؤية، وأنها تشكيل حركة العصر المتقدمة إلى المستقبل . وأغلقت السلطات الجريدة في سكسونيا ، فنقل روج إدارتها إلى باريس ، وانضم اليها ماركس ، وصار شعارها ان الملكية نظام لا يتفق مع العصر ، ولا حتى الديمقراطية الليبرالية ، لكن نظام العصر هو الاشتراكية . وطالب روج بإنزال العقل من السماء الهيجلية إلى أرض الواقع ، بنبذ تهاويم الميتافيزيقا التي ملأ بها فلسفته، والاستمساك بتعين المنطقة ، ووصف المنطق الهيجلي بأنه الخريطة التي سيبحر العقل على هديها سعياً وراء اهدافه السياسية ، وأن الفلسفة ينبغي أن تتوجه الى الحرية، ولكن الحرية هي الحرية الانسانية الحقيقية، اي الحرية السياسية ، وليست شيئاً ضبابياً ميتافيزيقياً ، وأضفى ماركس معنى جديداً على الاغتراب بوصفه نقيض الحرية ، وكان هيجل قد أعطى اسم الاغتراب للحالة التي يجد فيها الانسان نفسه مستعبداً للمؤسسات الاجتماعية التي خلقها خلال تطور الروح من الذاتية الى الموضوعية ، ثم اضفى عليها سلطات صارت عوناً عليه لا عوناً له ، أي انها صارت خلواً من المضمون الانساني الذي كان من المفروض ان يكون لها . وطور فيورباخ مفهوم الاغتراب في الدين ، وقال ان الإله اختراع انساني ، اسقط فيه الانسان كل ما له من امكانيات سامية ، مجرداً نفسه منها ، ومستعبداً نفسه للفكرة التي خلقها هو نفسه . ووافق ماركس فيورباخ ، لكنه قال انه لا يكفي ان يطالب فيورباخ بإلغاء الدين لينتهي الاغتراب ، لأن الدين ليس سبب الاغتراب ، لكنه تعبير الانسان عن الاغتراب ، وإنما ينبغي مهاجمة الواقع الذي أوقع الانسان في الأسر ، واستخدم ماركس جدل هيجل ، قائلاً إن مهاجمة الواقع لا تكون بقصد تحقيق مثال اخلاقي مجرد هو المجتمع الذي قوامه الحب كما يقول فيورباخ ، بل لأن هذا الواقع يتضمن داخله العوامل المناقضة له (نقيض الموضوع) والتي يكون بها تقويضه ، بهدف إقامة النظام الاشتراكي الذي يستغل فيه الناس لأول مرة انسانيتهم استغلالاً متحرراً من الاستعباد. وأعلن ماركس نفسه تلميذاً لهيجل ، لكنه قال ان هيجل أوقف جدله على رأسه ، وأنه - أي ماركس - يقيمه صحيحاً ويقلبه ليوقفه على قدميه على الواقع المادي ، فإذا كانت الأوضاع البورجوازية السائدة هي الموضوع ، وإذا كان نقيضها المتضمن فيها هو الوضع البروليتاري ، فإن المركب الحتمي الذي ستصير إليه هو الاشتراكية .

وكانت وجهة النظر الهيجلية اليسارية غير مقبولة من الحكومات المحافظة التي تسيطر على الجامعات الألمانية ، ومن ثم كان الجناح الهيجلي اليساري من غير اساتذة الجامعات والممتهنين تدريس الفلسفة . وفصل كثير من الهيجليين الشبان من مناصبهم بالجامعات ، فتحولوا الى الكتابة والتأليف وتزكية الغضب الاجتماعي والثورة . أما اليمينيون فكانوا كلهم أساتذة بالجامعات، وانضم بعضهم الى الأحزاب والى مجالس النواب، وكانوا في السياسة ليبراليين اكثر منهم

ثوريين أو رجعيين ، وانتقدوا البرامج اليسارية بحجة أنها تحاول ان تفرض مثلاً مجردة على الواقع الحي للنظام القائم ، مما يتضمن عدم احترام لهذا الواقع وللروح التاريخي العقلي الذي يمثله ، وكان أبرزهم روزنكرانز وجوهان اردمان وفيشر وإدوارد زيللر ورودولف هايم وميشليت وكونو فيشر . ولعل اكبر اسهام لهم هو تأريخهم للفلسفة ، والقول بأن الفلسفة هي محاولة فهم الروح الانساني ، وان أي محاولة لفهم العالم لا بد ان تبدأ بفهم الانسان لنفسه ، ولأن الانسان مخلوق تاريخي اساساً فلا سبيل لأن تقوم الفلسفة بهذه المهمة الا بأن تقرأ تاريخها .

ولقد انتقلَ تأثير هيجل إلى كل أوروبا وأمريكا ، وتمثَّل أكثر في الحركة المناهضة له على يد سورين كيركجورد في الدانمارك في منتصف القرن التاسع عشر ، وقاومت التجريبية البريطانية تأثيره ، لكن الخط الهيجلي تمثَّل في الهيجليين المحدثين أصحاب المنشور الهيجلي (١٨٨٣) : لورد هالدين وج . س . هالدين وباتيسون وريتشي وبوزانكويت وسورلي وهنري جونز ، وفي القرن العشرين نستطيع أن نلمس التأثير القوي لهيجل في الماركسية اللينينية والبراجماتية والوجودية ، لكن يبدو أن هيجل القرن العشرين كان غير هيجل القرن التاسع عشر ، بمعنى أن القرن العشرين اهتمَّ بمنطقه ومنهجه الجدلي ، وأسقط هيجل المثالي في سبيل هيجل العملي .

هيربارت .... **Herbart**

(١٧٧٦ - ١٨٤١) يوحنّا فردريك هيربارت ، ألماني ، درس على فخته ، وانقسم عليه ، وحاضرَ في سويسرا لمدة ثلاث سنوات وضع خلالها أهم أركان بنائه الفلسفي ، وحصل على الدكتوراه من جوتنجن (١٨٠٢) ، وظلَّ بها سبع سنوات كتب خلالها « **النظرية العامة في العلم** » و « **أسُس الميتافيزيقا** » و « **الفلسفة العملية العامة** » ، وانتقل إلى كونسبرج ليشغل كرسي كنط ، ونشر « **خلاصة علم النفس** » و « **علم النفس كعلم** » .

وفي رأيه أن الفلسفة لا يميزها موضوعها ولكن منهجها في توضيح المعاني ، أو المنطق . ولما كانت هذه المعاني لا تخلو من تناقض ، كانت مهمة الفلسفة العمل على رفعه بالميتافيزيقا . لكن بعض هذه المعاني يتضمن أحكاماً بالموافقة أو الرفض كما في علم الجمال .

والميتافيزيقا منهج وأنطولوجيا Ontology (علم دراسة الوجود) وسينيكيولوجيا Synechiology (علم دراسة الأشكال التي تتخذها التجربة التي لها استمرارية كالمكان والزمان والحركة) وإيدولوجيا **Eidology** (علم دراسة إمكانية المعرفة) .

وتدرس الأنطولوجيا الوجود ، لكن الوجود لا يحس في التجربة مباشرة ، لذلك فمن السهل الشك فيه ، ولكن الحياة لا تستقيم مع الشك في وجود الأشياء طالما أنها موجودة فعلاً ، فإذا لم يكن هناك شيء حقاً لما بدا شيء فعلاً . وإذاً فالشك موقف عاجز ، لكنه ممكن وجائز عندما نشك في تطابق الأشياء مع تصوراتنا عنها ، ونجد أنها لا تخلو من تناقض ، وعندئذٍ نشك فيها ، لأن مبدأ العقل هو عدم التناقض ، ونبدأ في التفلسف . والمعاني المتناقضة مثل معاني المادة والزمان والحركة والجوهر ، فالمادة والزمان وحدة في كثرة أو وحدة متكثرة طالما أنهما قابلان للقسمة . وتجمع الحركة بين الوجود واللاّوجود . والجوهر شيء واحد ، وفي نفس الوقت كثير بما يضاف إليه من أعراض .

ويرفع هيربارت التناقض بأن يرد الموجودات إلى كيفيات بسيطة كل البساطة ، لا تتجزأ ، ولا توجد في درجات ، ولا يحد بعضها بعضاً ، وليست متغيرة ؛ والموجود عبارة عن كيفيات متحلقة حول كيفية مركزية ؛ وتغير الموجود هو تغير العلاقات المتبادلة بين الكيفيات ، ومن ثمَّ تتغير الكيفيات المدركة بالحواس والتي نعرّف بها أن علاقات كيفيات الموجود ، وهي التي يسميها هيربارت الكيفيات أو الظواهر الحقيقية ، تغيرت .

والأنا أو الذات كيفية أو موجود بسيط يصون نفسه ويدافع عن ذاته ضد الآخرين الذين يحتك بهم ، ومن خلال مجهوداته في سبيل البقاء تقوم الظواهر الشعورية في العقل ، ويتعزز أو يتعارض بعضها ببعض . ومع أن الموجودات والظواهر الشعورية ليست قوى ، فإننا كي نفهمها لا سبيل إلاّ أن نشبهها بالقوى ، ومن ثم نستطيع أن نتحدث عن هذا الجزء التركيبي من علم النفس الذي يشتمل على ستاتيكيات وديناميكيات العقل ، وأن نصور ذلك بمعادلات رياضية ترمز إلى تفاعل هذه الظواهر الشعورية .

وهدف التعليم من هدف الأخلاق ، ومهمة علم النفس هي توضيح الوسائل وإسقاط الضوء على العقبات التي تعترض ذلك ، والهدف كما ذكرت هو تقوية الشخصية خلقياً ، وخلق الإرادة المتحررة من الداخل ، بمعنى أن ما تريده في وفاق دائماً مع القانون الأخلاقي . وأركان التربية ثلاثة هي التثقيف والنظام والتدريب ، وطالما أن علم النفس يقول بأن الحياة العقلية كلها ، بما فيها الرغبات والإرادة ، تتكون من ظواهر ، فإن علينا أن نوجّه التثقيف إلى توسيع دائرة الطفل الفكرية وتنمية اهتماماته ، ويستبقي النظام الطفل مطيعاً ومتنبهاً للتثقيف والتدريب حتى يفعلا فعلهما قبل أن يكبر الطفل وتكون له إرادته . ويعمل التدريب باستمرار مع التثقيف والنظام لتشكيل الإرادة مباشرة من خلال البيئة والنموذج الصالح والمثل العليا . ويتصرف الطفل بطريقة صحيحة من خلال النظام لأنه ينبغي أن يتصرف بشكل صحيح ؛ ولكنه من خلال التثقيف والتدريب يتصرف بطريقة صحيحة لأنه يريد أن يفعل ذلك .

هيرزن .... **Herzen**

(١٨١٢ - ١٨٧٠) ألكسندر هيرزن ، ثوري روسي ، صاحب الدعوة إلى **طريق روسي للاشتراكية** ، وإلى **اشتراكية فلاحية** يقوم عليها تقدم التاريخ . وكان هيرزن ابن سفاح ، تعلّم في موسكو ، وبمجرد تخرجه أبعدته السلطات إلى الريف لنشاطه الثوري ، واضطرَّ إلى الهجرة إلى لندن حيث أقامَ بقية حياته ، وماتَ في باريس ، وأصدر أول جريدة روسية في المهجر (١٨٥٢) أطلق عليها اسم « الجرس » . وفلسفة هيرزن تقوم على توجيه الممارسة والنظرية ، والمجتمع والفرد ، والوجود والفكر ، ويسميها **فلسفة الفعل** ، وقوامها الجدل الهيجلي الذي يعطيه تفسيراً مادياً ، ويسميه جبر الثورة ، لأنه وسيلتها لتنوير الجماهير ثورياً ، وإعدادها للثورة الاشتراكية . أهم كتبه « **الهواية في العلم** » (مجموعة مقالات ١٨٤٢ / ١٨٤٣) و « **من الشاطىء الآخر** » (١٨٥٠) .

هيس .... **Hess**

(١٨١٢ - ١٨٧٧) موسىٰ هيس ، قيل إنه أبو الاشتراكية الألمانية الذي مهَّد لتطورها إلى النازية ، وأنه من خلال فلسفته البراجماتية ودعوته الصهيونية طرح فكرة الطريق القومي للاشتراكية . وقد رفض الجدلين المثالي والهيجلي من أجل فلسفة تقوم على العمل ، وتخلط هيجل بسبينوزا بلاسال ، وتقوم على وحدة الوجود الذي تتحقق فيه الروح المطلقة من خلال تطور المجتمع إلى مجتمع تذوب فيه الطبقات وتنمحي الفوارق وتتلاشىٰ التناقضات بين ولاء الفرد لنفسه ، من خلال ممارساته لقدراته الخلاقة وإنهاء اغتراب طاقته على العمل التي كان يوظفها لصالح الرأسمالي بإعادة توظيفها لتحقيق ذاته في خدمة التطور الاجتماعي ، وبين ولائه للمجتمع والقانون العام ، ورغم دعوته لإلغاء القهر العنصري إلاّ أنه كان لا يرى أي تناقض بين دعوته هذه وبين مطالبته بأن يكون لكل شعب وجنس استقلاله ووحدته المتميزين ، ومنها الشعب اليهودي .

هيوشيه .... **Hu Shih**

(١٨٩١ - ١٩١٢) براجماتي صيني ، تعلّم بالصين وبجامعتيّ كورنيل وكولومبيا الأمريكيتين ، ودرس على جون ديوي ، وقادَ الثورة الأدبية (١٩١٦) التي تزعمت الدعوة للكتابة باللغة العامية وحركة البعث الفكري

الصيني (١٩١٧) ، وحمل على فكرة الكيو منتانج القائلة بضرورة الحكم المطلق في مرحلة إعادة البناء القومي ، باعتبار أن الحكم المطلق لم يكن أساس نهضة إنجلترا مثلاً ، وأنه فشل في إيجاد دولة قوية في الصين رغم استمراره لمدة ألفي سنة على أساس من التفكير الواحد واللغة الواحدة والحكومة الواحدة ، وقال إن صدق النظرية يقوم على صدقها تاريخياً وتجريبياً ، وطالب بترسيخ المنهج العلمي وإعادة كتابة الفلسفة الصينية على أساس علمي نقدي ، واستخرج لنفسه من تاريخ الفلسفة الصينية منهجاً صينياً صرفاً يقوم على تصحيح الأسماء لتوافق مسمياتها وقوانين الاستدلال الثلاثة ومنهج مطابقة الأسماء على الواقع ، وهي مناهج أخذها من الكونفوشية والماوية .

هيوم .... **Hume**

(١٧١١ - ١٧٧٦) داوود هيوم ، اسكتلندي ، ولد في إدنبره ، واتجه إلى دراسة القانون بجامعتها ؛ لكنه زهده وترك الجامعة في الخامسة عشرة وانصرف إلى قراءة الفلسفة وصياغة مذهبه الخاص ، ونشرَ أول وأشهر كتبه « **رسالة في الطبيعة الإنسانية A Treatise of Human Nature** » (١٧٣٩) ، ولم يمهره باسمه ، وكان في الثامنة والعشرين ، واستغرقت كتابته ثماني سنوات وخطّط له وهو في الثامنة عشرة ، وقيل إنه لم يفهمه من معاصريه سوى كنط وتوماس ريد ، وقد تأثر به كنط كثيراً حتى قال إن هيوم كان أول من أيقظه من سباته الدوغماطيقي ، وكانت تفسيراته للمكان والزمان والعلية والجوهر والهوية الشخصية والعقل العملي إجابات لمشكلات أثارها هيوم . وأرجع هيوم سبب تجاهل الناس له لحداثة عهده بالكتابة وقلة خبرته فيها فكتب له موجزاً «**An Abstract of A Treatise of Human Nature**» (١٧٤٠) ، وألحقه بكتابه الثاني « مقالات فلسفية في الفهم الإنساني » (١٧٤٨) ، و « بحث في مبادىء الأخلاق » (١٧٥١) ، وأعادَ نشر الأخير تحت عنوان « **بحث في الفهم البشري An Inquiry Concerning The Human Understanding** » (١٧٥٨) ، ثم « محاورات في الدين الطبيعي » (١٧٧٩) الذي أوصىٰ بنشره بعد وفاته . وتلك كانت أهم مؤلّفاته ، ولم يكن هيوم فيلسوفاً محترفاً ولا أستاذاً جامعياً ، وحاولَ مرتين أن يشغل كرسي الفلسفة بجامعتيّ إدنبره وجلاسجو ، وكان متيماً بالشهرة الأدبية كما عبَّر عن نفسه ، ونالها بمقالاته وكتبه في السياسة والتاريخ والاقتصاد حتى ضاهت شهرته في العلم الأخير شهرة صديقه آدم سميث ، وكان شخصية اجتماعية محبوبة لطيبة قلبه ودماثة خلقه حتى لقّبوه في باريس **داوود الطيب Le Bon David** وفي إدنبره **القديس داوود Saint David** ولم يتزوج ولكنه عرف الكثيرات من النساء ، وعندما لزم فراش المرض مصاباً بالسرطان واجه الموت بشجاعة أبيقورية .

ولقد أرادَ هيوم بكتابه « الرسالة » أن ينشىء علماً تجريبياً لطبيعة الإنسان والعقل يستخدم فيه المنهج التجريبي على طريقة نيوتن ، لكنه في الجزء الخامس من المجلد الأول بدأ يستعين لأول مرة بالشك كمنهج يثير به أعداءه ، ثم ظهر اتجاهه بشكل جلي في « البحث » و « المحاورات » ، ولم يعد عدوه الأول الميتافيزيقا لكنه صارَ الدين . ويقسم هيوم علم الإنسان إلى المنطق والأخلاق والنقد والسياسة ، وذهب إلى أن العقل يتألف من إدراكات حسية تتكون من انطباعات أو ما نسميه مشاعراً وانفعالات ، ومن أفكار أو ما نسميه الخواطر والصور الذهنية . وقسم الانطباعات إلى حسية أولية غير معروفة الأصل ، وثانوية مصدرها الأفكار التي تعكس الانطباعات الأولية . وقسم الأفكار إلى بسيطة ومركبة ، وتماثل البسيطة الانطباعات البسيطة ، وتتألف المركبة من الأفكار البسيطة ، وتشتق البسيطة والمركبة جميعها من الانطباعات وتستمد من التجربة ، وإذن فلا وجود لشيء اسمه الأفكار الفطرية . ويربط هيوم بالخيال بين الأفكار التي تتشابه انطباعاتها ، أو تتجاور في الزمان أو المكان ، وتترابط ترابط العلة بالمعلول ، ومن ثمَّ فإن معنىٰ الكلمة يستمد من الأفكار التي تتشابه

وترابط وتتداعىٰ بالتجاور . ويفسّر الزمان والمكان بأنهما ليسا انطباعين كالانطباعات ، لكنهما طريقتين تحدث بهما الإدراكات الحسية ، بالتعاقب أو التآني في حالة الزمان ، وبترتيب النقاط المحسوسة الملونة إلى جدار بعضها البعض في حالة المكان . ويذهب هيوم إلى أن إحساساتنا وأفكارنا لا تقبل الانقسام إلى ما لانهاية ، وهي تنقسم حتى تبلغ أقصىٰ ما يمكن أن يبلغه الانقسام ، أي إلى الحد الذي لا يعد بمقدورنا أن نرى أو نشعر أو نتخيل أي شيء أصغر في الحجم أو أقل في المدة ، وهذه حقيقة تجريبية ، ومن ثم فلا وجود لشيء اسمه الانقسام إلى ما لانهاية الذي يزعمه الرياضيون . ويقول هيوم إن الاستدلال العقلي يكشف العلاقات بين الأفكار أو بين أمور الواقع ، والأولى يقوم عليها الاستنباط البرهاني ، والثانية لا يمكن إثبات صدق الاستدلال فيها إلَّا بالتجربة ، ومن ثمَّ فالاستدلال البرهاني وسيلة الرياضيات وليس وسيلة أمور الواقع . لكن الاستدلال في أمور الواقع استدلال على سبيل الاحتمال ، أي احتمال وجود علاقات بين أمور الواقع هي علاقات العلة بالمعلول ، وهي شيء لا يمكن أن نستنبطه ما لم نكن قد لمسناه في الواقع ، وبتواتره واطراده يخلق فينا الاستعداد لربط السبب بالمسبب والانطباع بالفكرة ، كارتباط الحرارة أو الدخان بالنار ، وتوقع تعاقبهما أو تلازمهما ، فتصبح الفكرة عادة وتتحول إلى اعتقاد وتصبح يقيناً ، واليقين هو مطلب البرهان التجريبي ، فإذا لم تكتمل الحلقة ونبلغ إلى اليقين المنشود ، استنتجنا أن الاستدلال كان ناقصاً وأنه كان على سبيل الاحتمال . ومع ذلك فإن بلوغ هذا اليقين وتحصيل البرهان القطعي في أمور الواقع شيء مستحيل ، لأننا بطلبنا لليقين نشك في كل شيء ، والشك يدمر كل يقين ، وإذن يكون الاعتماد على العقل تماماً لبلوغ اليقين موضع شك . وكذلك لو حللنا الاعتقاد فلن نجده حالة عقلية تماماً ، بل حالة نفسية تقوم على الميل والعادة ، وإذن يكون الاعتقاد من طبيعة العقل ويكون الشك المغالىٰ فيه أمراً يصطنعه أصحابه .

ويرد هيوم الاعتقاد إلى الخيال بعد أن هدم الحس والعقل كمصدرين له ، ويقصد بالخيال الميل الطبيعي لدى الإنسان لتأليف صورة عن العالم تتسم بالانتظام ، يركب فيها الانطباعات الحسية إلى بعضها ، ويملأ الفجوات فيما بينها بانطباعات وهمية . وينكر هيوم وجود العقل أو الذات ، وينسبهما إلى هذه التركيبات الوهمية ، حيث أن التجربة لم تكشف له إلَّا عن وجود انطباعات وأفكار تتصل ببعضها في توالٍ وتماثل بعلاقات علية ، حتى ليقول « أنا لست إلَّا حزمة من الإدراكات الحسية » ، ولذلك فهو ملحد ويجزم بأنه لن يخرج من الزعم بوجود إلّه بشيء يزيد على ما تقدمه معارفنا عن العالم ، وينكر المعجزات كمبرر لبناء ديني ينهض عليها ، ويسمي إلحاده فلسفياً بمعنى أنه يشك في وجود إلّه ولا يستطيع إلَّا أن يقول إن وجوده محتمل ، ولا يقصد بالاحتمال هنا الاحتمال العلمي ، ولا يستبعد أن يكون العالم من تصميم كائن يشبه العقل المبدع شبهاً بعيداً ، لكنه يستنكر ما يقول به الذين من خلود وسقوط وحساب ويصفها بأنها محض خرافة وفلسفته الأخلاقية تنسجم مع نظريته في المعرفة ، حيث أنه لا يجعل للأحكام والقرارات الخلقية من مصدر سوى فطرة العقل وميول الشخص وتجربته الماضية لما هو سار ومؤلم ، ويقيمها على مذهب اللذة ، ويجعل طلب هذه اللذة واتقاء الألم الدافع وراء السلوك ، سواء كان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فالعقل وحده لا يستطيع أن يؤثّر في السلوك ولا أن يقضي بشيء في مسائل الأخلاق ، وليست لديه القدرة على إنشاء السلوك أو منعه ، طالما أن الأحكام الخلقية ليست من اختصاصه حيث إنها ليست من أمور الواقع ولا هي علاقات بين الأفكار ، ومن ثمَّ تتجاوز نطاقه ، ولا يكون هناك مبرر لانتقال أصحاب المذاهب الخلقية فجأة من بحثهم فيما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون ، أي من الوصف إلى التقييم ، وهو ما يصوغه هيوم صياغة لطيفة بقوله «No Ought From An Is» . وهو يرجع الأحكام الخلقية إلى العاطفة ، لأنها أولاً البديل عن العقل الذي رفضه ،

ولأنها الانطباع الوحيد الذي وجد أنه يقابل فكرة الرذيلة، ولأن القرارات الخلقية هي التي تؤثر في السلوك وهو ما تستطيعه المشاعر والعواطف وحدها. وتصطدم فكرة العدالة مع ما يذهب إليه من طلب اللذة واتّقاء الألم، فالعدالة قيد على اللذة، لكن هيوم يجعل العدالة وما شابهها من معانٍ خلقية التزامات جماعية اتفاقية بدونها لا تقوم المجتمعات ولا تؤدّي وظائفها، ويردّها إلى ما يسميه اهتماماً متعاطفاً بسعادة طويلة الأمد لإخواننا في الإنسانية، ويجعل هذا التعاطف معياراً للاستحسان الخلقي. ولقد تأثّر جيربمي بنتام بنظرية هيوم ووصفه بسببها بأنه أول فلاسفة المدرسة النفعية الإنجليزية.

هيوويل .... **Whewell**

(١٧٩٤ ـ ١٨٦٦) وليام هيوويل، بريطاني، ولد في لانكستر، وتعلّم وعلّم بكيمبردج، وكان أستاذاً لعلم المعادن والفلسفة الأخلاقية، واشتهر من كتبه الكثيرة «**تاريخ العلوم الاستقرائية**» (١٨٣٧) و «**فلسفة العلوم الاستقرائية**» (١٨٤٠)، وهو يمزج الفلسفة بالتاريخ، ويجعل من الاستقراء منهجاً علمياً، بمعنى أن تاريخ الفلسفة هو تاريخ صياغة هذا المنهج الذي طرحه بيكون وطورته العلوم التي اتّفق على أنها علوم استقرائية Inductive Sciences، ويجمع في فلسفته بين عنصرين، أحدهما مثالي، والآخر تجريبي، وبسبب هذا التركيب المتناقض قيلَ عن فلسفته أنها استقرائية من جهة بمقارنتها بالفلسفات التي تقوم على المعاني القبلية، وفلسفة أفكار من جهة أخرى بمقارنتها بالفلسفات التجريبية. ويجعل هيوويل للعلوم التجريبية قاعدة أساسية من البدهيات يسميها حقائق ضرورية لا سبيل إلى تفسيرها إلّا بوجود ما يسميه الأفكار الأساسية في العقل، مثل العدد والمكان والزمان والسبب والعلة النهائية والتناسق إلخ، وما تزال تنضاف الأفكار الجديدة إلى التي سبقتها، ولذلك فرغم عقلانية فلسفته إلّا أنها ترتبط بمثالية كنط وتقول بمثالية استقرائية، بمعنى أن العقل يكتشف الأفكار الأساسية على مراحل ومن خلال محاولاتنا لتأويل التجربة، فتصبح هذه الأفكار عناصر ومبادىء أساسية للفهم يرسخها التعليم في عقول العامة. ولأنه يربط نظرية الأفكار الأساسية بنظرية الاستقراء، والفكرة كمقولة بالفكرة كغرض، فإنه يجعل من الاستقراء والاستنباط شيئاً واحداً وإن كان أحدهما هو الآخر بشكل معكوس، طالما أن الغرض هو الأساس في الحالتين، وهو ما أثارَ الخلاف بينه وبين جون ستيوارت مل.

حرف الواو

واتسوجي تيتسورو .... **Watsuji Tetsuro**

(١٨٨٩ - ١٩٦٠) أبرز فلاسفة الأخلاق في اليابان، وتقوم شهرته على دراساته في التاريخ الثقافي لبلده ولروح اليابان، ويعارض الأخلاق الفردية الأوروبية بالأخلاق الجماعية اليابانية، فالأخلاق تعني عنده مبدأ الزمالة Rin، ويستخدم عناصر جدلية بوذية (نفي النفي) ليدلل على استغراق الفرد في المجموع. وأهم كتبه «الأخلاق كأنثروبولوجيا Ethics as Anthropology» (١٩٣١) و«العزلة القومية مأساة اليابان National Seclusion : Japan's Tragedy» (١٩٥١).

واصلية ....

فرقة من المعتزلة، وهم أصحاب واصل بن عطاء، تلميذ الحسن البصري، ويقوم اعتزالهم على أربع قواعد، الأولى نفي صفات الباري إلا العلم والقدرة، فهاتان اعتباران للذات قديمة؛ والثانية القول بالقدر، قال واصل إن الله تعالى حكيم عادل، لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر، ويحتم عليهم شيئاً ثم يجازيهم عليه؛ والثالثة قول واصل إن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً مطلقاً ولا كافراً مطلقاً، بل هو في منزلة بين منزلتين، لا مؤمن ولا كافر، وتفسير ذلك ان الإيمان عبارة عن خصال خير، إذا اجتمعت سمي المرء مؤمناً، والفاسق لم يستجمع خصال الخير فلا يسمى مؤمناً، وليس هو بكافر مطلقاً، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه؛ والرابعة قوله في الفريقين من أصحاب الجمل، وأصحاب صفين، إن أحدهما مخطىء لا بعينه، وأحدهما فاسق لا محالة، لكن لا بعينه.

واقعية .... **Realism**

كان المذهب الواقعي في فلسفة العصور الوسطى هو المقابل للمذهب الإسمي حيث كان يجعل للكليات وجوداً واقعياً موضوعياً، ولكنه صارَ في الفلسفة الحديثة المذهب المقابل للمثالية حيث إنه يجعل للموضوعات المادية وجوداً خارجياً سواء خبرنا هذا الوجود أو لم نخبره، بعكس المثالية التي تزعم بأن الموضوعات المادية والوقائع الخارجية لا توجد مستقلّة عن معرفتنا أو شعورنا بها. وتناقض الواقعية الفلسفة الظاهرية التي وإن كانت تتجنّب الكثير من ميتافيزيقيات المثالية إلاّ أنها تقول بأن الموضوعات المادية لا توجد إلاّ في شكل تجمّعات أو نتائج حسّية حقيقية أو محتملة. وكانت المثالية هي الفلسفة التي سادت الفكر الأوروبي الغربي في أواخر القرن التاسع عشر، ولكنه مع بداية القرن العشرين ظهرت لها ردود فعل واقعية عنيفة في بريطانيا في فلسفات مور ورسل وصامويل الكسندر، وفي

أمريكا في فلسفات وليام جيمس (برغم براجماتيته) والواقعيين الجدد والنقديين . وهاجم مور مثلاً مبدأ باركلي الذي يقول إن الوجود يعني الإدراك Esse Is Percipi ، وقال بأن المثاليين لم يميّزوا بين فعل الإحساس وموضوع الإحساس ، وخلطوا مثلاً بين اللون الأزرق والموضوع الأزرق . وهاجم الواقعيون ما سمّي بالمقولة الفردية أو الأنوية Egocentric Predicament ، ومؤدّاها أن العقل لا يعرف ولا يكتشف الأشياء بمعزل عن وعينا بها ، أو أن الأشياء لا توجد طالما أننا لا نعرف بها ، لأن اكتشافنا لها يعني وعينا بها ومن ثمَّ تعرّفنا إليها ، أو أن طبيعة الأشياء ، طبقاً لنظرية العلاقات الداخلية Internal Relations Doctrine ، تتقوّم بعلاقاتها بالأشياء الأخرى ، وأنه لا يمكن أن يكون شيئآن متضايفان ما هما عليه ما لم توجد العلاقة القائمة بينهما ، ومن ثمَّ لا يمكن أن توجد الموضوعات المادية على ما هي عليه بمعزل عن علاقاتها بالعقل الذي يعرفها . ولقد هاجمَ الواقعيون هذا المبدأ ، وخاصة في أمريكا ، ووصفوه بالتناقض الذاتي والمغالطة عندما يزعم أنه لا وجود لشيء خارج الوعي ، لأن عجز إنسان حين اكتشاف س من الأشياء لا يعني أن س لا وجود له ، أو أنه غير معقول . ووصفوا المقولة الأنوية بأنها فلسفة أنا وحدية Solipsism غير معقولة .

وتميزت في الواقعية نظريتان هي الواقعية المباشرة Direct Realism والواقعية غير المباشرة Indirect Realism ، وتقوم النظرية الأولى على أن عملية الإدراك هي وعي مباشر بالأشياء ، بينما تقول النظرية الثانية بأن الإدراك هو في المحل الأول إدراك للصور التي تتكون في العقل وتمثل موضوعات العالم الخارجي ، ولذلك تسمى النظرية الثانية بالواقعية الثنائية Dualist Realism لأنها تقول بوجود للأشياء في الواقع ولصورها في الذهن .

وتتفرع عن النظريتين نظريات أخرى ، فالواقعية المباشرة تتفرع عنها الواقعية الساذجة . والواقعية الجديدة ، والواقعية التي تقول بالمنظور . والتي تقول بالفطرة . وتتفرع من الواقعية غير المباشرة أو الثنائية نظرية الواقعية التمثيلية ونظرية الواقعية النقدية .

أما الواقعية الساذجة Naive Realism فهي أبسط أشكال الواقعية المباشرة ، ويفسر بها بعض الفلاسفة وجهة نظر الإنسان البسيط الذي يعتقد بأن ما يحسه من خصائص الأشياء هو حقيقتها ، ولكن يدحض هذا الرأي أن الناظر إلى الطاولة مثلاً من علٍ سيتوهمها مسطحة مستديرة ، بينما الناظر إليها عن بعد سيتوهمها بيضاوية ، وكذلك فإن المصاب بعمى الألوان سيحسب اللون الأحمر لوناً أسود . ولذلك تحاول الواقعية الجديدة New Realism أن ترأب هذا الصدع فتقول بأن الشيء في حقيقته هو جماع ما يبدو به للناس ، ومن ثم فإن الطاولة تكون مستديرة وبيضاوية معاً ، ولكن العقل في عملية الإدراك ينتقي من الخصائص الكثيرة التي للشيء الواحد خاصية واحدة ، وبذلك يعرف الشخص الطاولة مستديرة أو بيضاوية ، ومن ثم سميت هذه النظرية بالنظرية الانتقائية Selective Theory . غير أن بعض الفلاسفة الواقعيين رأوا أن الواقعية الجديدة تتردى الخطأ عندما تجعل للشيء الواحد صفتين متناقضتين ، فالطاولة لا يمكن أن تكون مستديرة وبيضاوية في نفس الوقت ، ومن ثم فسروا ظهورها بهذين المظهرين المتناقضين بأن ما يبدو لنا منها ليس هو حقيقتها ولكنها الحقيقة كما تبدو لنا ، أو الحقيقة النسبية للشيء ، بمعنى أن الطاولة مستديرة لأنها تبدو لنا كذلك من زاوية رؤيتنا لها ، بينما هي بيضاوية من زاوية رؤية مختلفة ، فإن أنت اعتبرت الطاولة بوصفها منظوراً سميت الواقعية التي تتبعها بالواقعية التي تقول بالمنظور Perspective Realism ، وإن أنت اعتبرتها من زاوية موضوع إدراكك سميت الواقعية التي تقول بها بالواقعية الموضوعية Objective Realism ، وسواء قلنا بهذه أو بتلك فإنك تقول بأن الشيء هو ما يبدو لنا ، بمعنى أن خصائصه التي يتبدى علينا هي الخصائص المكانية والزمانية والإضائية التي له بوصفه منظوراً ، ولذلك تسمى النظريات التي تقول بذلك بنظريات التبدي Theories of Appearing أي التي تقول بما يبدو عليه

الشيء . غير أن بعض الفلاسفة لا يقرون بهذه النسبية في كل الأحوال ، فهناك من الوقائع ما لا يمكن إلا التسليم بصحته تسليماً أولياً ، كأن أقول « هذه يد » ، فمن غير المعقول أن نقول إنها تبدو لي يداً ، وذلك لأنها واقعة إدراكية بسيطة لن يختلف عليها اثنان ، وحتى لو توهمنا الشيء شيئاً لم يكن هو ، فإن أوهامنا لا بد ان يكون بها جانب أو شبه من الحقيقة . أما الهلوسات فهي شيء مختلف عن الإدراك العادي وتستحدثها ظروف عادية كالحميات والعقاقير .

وتقوم الواقعية التمثيلية Representative Realism على تصور أن الطاولة تصدر عنها إشعاعات تصافح العين وتحدث بالشبكية تغيرات كيمائية ، وترسل نبضات إلى العصب البصري ، فيستقبلها المخ ، وبذلك يدرك العقل الأفكار الحسية Sensa (وكان لوك يسميها أفكاراً Ideas) التي تمثل شكل ولون وكل الخصائص المرئية للطاولة ، ومن ثم فالإدراك الصحيح هو الوعي المباشر بهذه الأفكار الحسية التي تمثل بدورها الموضوعات الخارجية . وتسمى الواقعية النقدية Critical Realism هذه الأفكار الحسية معطيات حسية Sense Data وتصفها بأنها محتويات عقلية أولية تتركب منها الموضوعات الخارجية في الإدراك لحظة إدراكها .

واقعية جديدة ..... New Realism

ظهرت مع بداية القرن العشرين كاتجاه معارض للمذاهب المثالية التي تقول بأن الموضوع المدرك أو المعروف يعتمد في وجوده على فعل المعرفة ، وأن الموضوع المدرك مباشرة هو حالة من حالات العقل المدرك . وقدم فرانز برنتانو وأليكسيوس مينونج للدعوى الرئيسية للواقعية الجديدة ، بأن ما يعرفه أو يدركه العقل يوجد مستقلاً عن فعلي المعرفة والإدراك ، وكان هذا المبدأ قد قال به بعض الفلاسفة في انجلترا قبل سنة ١٩٠٠ ، مثل جون كوك ويلسون وتوماس كيس ، ويرجع تاريخ الواقعية النقدية في امريكا منذ ظهرت كتابات وليام مونتاج ورالف بارتون بيري النقدية في سنة ١٩٠١ و١٩٠٢ ، المعارضة لمعارضة جوزيا رويس للواقعية والتي بناها على أساس أن العارف والمعروف لا يمكن فصلهما عن بعضهما . واتخذت الحركة شكلاً محدداً عندما انضم لمونتاج وبيري أربعة آخرون وأذاعوا « برنامج الواقعية الجديدة . واتخذت الواقعية الجديدة لها شكلاً محدداً في انجلترا في أعمال نن Nunn ورسل وجورج إدوارد مور . وأكد الواقعيون الجدد في كل من أمريكا وانجلترا استقلال الوعي وموضوعه ، ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهم حول طبيعة الوعي وموضوعه والعلاقة بينهما (انظر **الواقعية**) .

واقعية نقدية ..... Critical Realism

إحدى مدارس الفلسفة المثالية الحديثة ، وكان ظهورها عقب نشر كتاب سيللرز « **الواقعية النقدية** » (١٩١٦) ، وسرعان ما انتحل الاسم مجموعة من الفلاسفة شاركوا سيللرز رأيه في نظرية المعرفة ، وأصدروا كتاباً بعنوان « **بحوث في الواقعية النقدية : دراسة مقارنة لمشكلة المعرفة** » ، أسهم فيه دريك ولافجوي Lovejoy وبرات وروجرز وسيللرز وسترونج وسانتايانا (١٩٢٠) ، أقاموا فيه فعل المعرفة على ثلاثة عناصر هي الذات والموضوع والمعطى Datum ؛ والمعطى هو الشيء الجديد في نظريتهم ، وهو مضمون الوعي ولكنه ليس صورة أو نسخة من الواقع الفيزيائي ، ويفرق سانتايانا مثلاً بين واقع المعطى والواقع الفيزيائي فيقول إن الواقع الفيزيائي وجود موضوعي في الزمان والمكان ، لكن إدراك الإنسان له لا يكون إلا لصفات الأشياء الظاهرة والممكنة ، ويسمي هذه الصفات الماهيات Essences لأنها موجودة في العقل وجوداً مستقلاً عن وجود المادة ولا يرتهن بها ، وهو وجود على غرار كليات أفلاطون .

والاس ..... Wallace

(١٨٢٣ - ١٩١٣) ألفريد راسل والاس ، عالم أحياء إنجليزي ، اشتهر بنظريته في الانتخاب الطبيعي ، وولد

في أوسك من مقاطعة موغوثشاير ، ولم يدخل جامعة ولكن كان شديد الإقبال على البحث والمطالعة في علم الأحياء ، وخرج في بعثين علميتين لجمع وتصنيف النباتات والأحياء في الأمازون وأرخبيل الملايو ، وصاغ نظريته في « اتجاه الانواع إلى أن تحيد بشكل غير محدود عن النمط الأصلي » (فبراير ١٨٥٨) ، وكان داروِن قد فرغ من كتابة نظريته في الانتخاب الطبيعي سنة ١٨٤٢ ، ومع ذلك رأى ضرورة نشر اكتشاف والاس فور أن أرسل والاس نظريته إليه ، وقد رأى صديقهما تشارلز لايل أن يصدر بالنظريتين معاً بيان واحد يقدم إلى جمعية لينايِن العلمية (يوليو ٨٥٨) ، ولو أنه كان معروفاً أن داروِن كان الأسبق على والاس ، ومع ذلك فقد كانت هناك اختلافات بين النظريتين حيث كان داروِن يقول بعوامل لاماركية بالاضافة إلى الانتخاب الطبيعي ، بينما والاس يغلب الانتخاب الطبيعي ويقول عنه إنه « الوسيلة الوحيدة للتعديل إلا في حالة الإنسان » ، ومن ثم صار والاس مبشراً ، مثل أوجست فايزمان بالداروينية المحدثة Neo- Darwinism ، وجعله ذلك يقول بأن كل تغيير يستحدث في الكائن لا بد أن يكون ذا فائدة له في الصراع من أجل الحياة . وكان والاس يقول بأن الطاقات الذهنية في الانسان ، وخاصة ملكاته الرياضية والموسيقية والفنية لا يمكن أن تكون قد تطورت لديه طبقاً للانتخاب الطبيعي ، ولكنها دليل وجود جوهر روحي فيه لم ينتقل إليه من الأسلاف الدنيا ، ولم يبدأ فعله إلا بظهور الإنسان على مسرح التطور . وزاد تأكيد والاس لهذا العامل الروحي كلما تقدم في السن ، ووصفه في كتابه « عالم الحياة The World of Life » (١٩١٠) بأنه « عقل قادر على توجيه وتنظيم كل القوى العاملة في الكائنات الحية ، بل وكل القوى الكبرى الاساسية لكل العالم المادي » .

وانج شونج Wang Ch'ung

(أنظر الكونفوشية) .

وانج فوشيه Wang Fu-Chih

(انظر الكونفوشية) .

وانج يانج منج Wang Yang-Ming

(انظر الكونفوشية) .

وجود Existence

الأس كما يسميه الاسلاميون، لا تعريف له، فليس له حد ولا رسم ، فلا جنس فوقه يمكن ادراجه تحته ، ولا يمكن وضعه بفصل سابق على كل فصل، ولذلك قال عنه هيجل انه اللاتحدد الخالص، ومن ثم لا يمكن التفكير فيه لأنه سيكون تفكيراً في خواء أو في عدم بمعنى أصح . ولأنه يعلو على كل المتقابلات والمقولات سمي متعالياً، ومع أن كل حكم ينطوي على تقرير وجود نعبر عنه بفعل يوجد، كقولنا «الانسان فان» بمعنى الانسان يوجد أو يكون فانياً Man Is Mortal ، حيث نضمر فعل يكون في العربية ونصرح به في لغات اخرى، فإن الوجود ليس صفة تحمل على الموضوعات كالصفات، لأنه الأعم الذي تشترك فيه كل الموجودات، ومن ثم لا يمكن اعتباره صفة كالصفات . غير أن للوجود مراتب كقولنا الوجود الروحي والوجود المادي إلخ ، وأحوال فهو في الجوهر أقوى منه في العرض وفي اللّه أقوى منه في الانسان، ولذلك يقال عن وجود اللّه انه وجود في ذاته بينما وجود الانسان وجود بغيره . ويفرق الوجوديون بين الوجود الآني أو المتعين والوجود الماهوي أو وجود الماهيات قبل تحققها . وإذا كانت كل الموجودات تشترك جميعاً في الوجود فإدراكه يكون من خلال الدخول معها في تجارب مباشرة حيث تكون كل تجربة هي تجربة بوجود . غير أن إدراك الوجود يكون كذلك بالاستيطان بأن تكون الذات موضوعاً للتفكير أو الشعور وهو ما حدا بديكارت أن يقول أنا أفكر فأنا موجود ، فلقد افترض أن هناك مخادعاً بداخله يخدعه عن نفسه باستمرار ولكنه مهما أفلح فلن يفلح في خداعه عن حقيقة أنه يفكر وأنه موجود، وهذه الحقيقة هي المبدأ الأول لكل علم ويقين، وبه كان ديكارت المؤسس الأول للمثالية، غير أن نقاده كمين دي بيران ذكروا ان ما توصل إليه ديكارت

ليس الا وجود الفكر وليس الوجود، وان الذات لا يمكن ان يتكشف لها الوجود بتفكيرها فيه بل باشتباكها معه في فعل، فالذات المريدة الفاعلة هي النافذة الحقيقية على الوجود. وقال هوسرل ان شعور الذات لا يكون بنفسها فقط كذات لأن كل شعور يحيل إلى غيره، وربط هايدجر ذلك بوجود الذوات الأخرى وقال ان الذات لا توجد في خواء ولكنها توجد في العالم، وأن الشعور بالوجود في العالم سابق على شعور الذات بوجودها.

وجود وماهية .... Existence And Essence

شغلت مشكلة العلاقة بينهما الفلاسفة منذ العصر اليوناني، ويعرف ارسطو الماهية بأنها مجموع الصفات التي تجعل الشيء ما هو، ويفرق ابن سينا بين الوجود والماهية، ويصف الأكويني الماهية بأنها القوة والوجود بأنه الفعل، ونقل الاسكولائيون هذا الاهتمام من دنس سكوتس ولايبنتس إلى ديكارت، ومن سبينوزا إلى هيجل، وورثه فرانز برنتانو وإدمون هوسرل، ولكن الوجوديين هم الذين اضفوا كل الأهمية على هذه العلاقة، ووصفوا الماهية بأنها مجموع الخصائص الثانية للموضوع، والوجود بأنه الحضور الفعلي في العالم. وكاتب الفكرة ان الماهية تسبق الوجود، فكل ما في الحياة يوجد وفق فكرة مسبقة عنه، غير أن الوجوديين قالوا ان الانسان هو الوحيد الذي يسبق وجوده ماهيته، حيث أنه يحدد ماهيته تدريجياً وهو يختار أفعاله وتظل ماهيته مفتوحة حتى يموت.

وجودية .... Existentialism

الفلسفة التي تقول بأسبقية الوجود على الماهية، وأن الانسان يوجد أولاً ثم تتحدد ماهيته باختياراته ومواقفه، وهي مذهب مختلف بشأنه حتى بين أتباعه. وهو وإن بدا عصرياً الا أنهم يردونه الى سقراط. وهو من بين المذاهب جميعها الوحيد الذي ينتسب فيه فلاسفته الى بعضهم البعض في شجرة نسب ضخمة. ولأن الوجودية هي فلسفة الوجود فهي ضد المذهبية، وكان كيركجورد يرى أن وجود الانسان أسبق على كل المذاهب، فرغم أنها محاولات لفهم الانسان الا ان الواقع الفردي والواقع العام يتجاوزان كل نسق فلسفي. وليست الوجودية الا احتجاجاً ضد فكرة ان العالم نسق يمكن أن يستوعبه العقل. و كان دستويفسكي، وهو من رواد الوجودية، يرى أن ما يبدو عليه العالم من نظام ومعقولية ليس الا خداعاً فكرياً. ولكن الوجودية وهي تعلن عن محدودية العقل ليست مع ذلك فلسفة لاعقلانية، ولكنها وجهة نظر ترى أن الانسان لا يمكن فهمه إلا في المواقف التي يختارها لنفسه، وأن أسبابها ليست كلها خارجية ولكنها في مزاجه أو انفعالاته أو إرادته، وهو ما يعبر عنه الظاهراتيون بفكرة القصدية، فالشيء عند برنتانو لا وجود له الا في قصد الذات أي في انفعالاتها به أو إدراكاتها له أو معتقداتها التي تدور حوله، وهو عند هوسرل لا يوجد خارج وعي الذات المركز عليه، ولا يكتشف ولا يخلق الا نتيجة للحدس الذي يتركز عليه. والانفعالات هي معيار الحقيقة. ووجود الانسان في العالم عند هايدجر هو انفعالاته بهذا العالم. والعالم عند سارتر مشتق من الوجود الذاتي للإنسان، وهو وجود لا يعتمد على القوانين الموضوعية ومفتاحه الانسان هو ما يصنعه بنفسه. ويستخدم هايدجر الوجود والعدم كمتقابلين وهو يدرك ان العلم يرفض التسميتين، ولكنه يستشهد بذلك ليثبت ان العلم لا يكفي كمنهج لفهم الواقع، وان الانسان في حاجة الى الشعر والفلسفة ليبلغ هذه الغاية. ويستخدم سارتر فكرة ان الوجود عبث لينكر مبدأ السبب الكافي، فليس ثمة سبب لأن العالم كان على هذا الوضع دون وضع آخر. ويطلق هايدجر على هذه الظاهرة اسم السقوط، ويقول ان تجربة السقوط تثير فينا القلق والحيرة ولكنها ضمان للحرية. ويميز الوجوديون بين الموجود لذاته الذي له وعي وحرية، والموجود في ذاته وهو ببساطة الشيء. والحرية هي جوهر الطبيعة البشرية، وحتى فكرة ان الوجود يسبق الماهية لا تعني سوى ان الناس لا تحدهم طبيعتهم المسبقة عن ممارسة اختياراتهم، وأن اختياراتهم هي على العكس هي التي تحدد طبيعتهم. وحتى عندما لا

اختار صراحة فإني في معظم الأحوال اختار ضمناً. وحتى الصمت اختيار. وليس من الممكن عند التحليل النهائي تبرير الاختيار الا بأنه ممارسة الارادة، وأن هذه الممارسة تصيب الانسان بالخوف، وهو ليس خوفاً من شيء معين، ويرجعه كيركجورد إلى أنه شعور بالخطيئة، ويرى فيه هايدجر أنه عنصر من عناصر تكوين العالم، ويعرفه سارتر أنه الخوف من المجهول المترتب على ممارسة الحرية. ولأن الوجودي يقول بالاختيار فهو لا يفرض أفكاره على الآخرين، ومن ثم يخاطبهم بخلق مواقف حياتية يثير فيها قضايا عصره ويسلط عليها الأضواء بالحوار والصراع بين المواقف المتضاربة، ولذلك كان للوجودية تأثير كبير على مجالي الرواية والمسرحية وخاصة عند سارتر وألبير كامو، بل وكانت لهم مواقف في مسائل السياسة فقد اختار هايدجر النازية وانحاز سارتر الى الشيوعية وكان ياسبرز ليبرالياً، وتقوم فلسفتهم السياسية على أساس ان الاختيار وان كان عملاً فردياً إلا أن مضمونه سياسي، لأنـي باختياري لهذا الحل ونبذي لكل الممكنات الأخرى ادعو الآخرين ان يحذوا حذوي، ومن هنا كانت المسؤولية السياسية لاختياراتي. وكان ياسبرز ضد التكنولوجيا والبيروقراطية باعتبار انهما مسؤولتان عن ضياع الفردية ويضحيان بالفرد في سبيل أهداف عامة. وأثرت الوجودية في التحليل النفسي ويرجع بنزفانجر اعراض العصاب لنمط الحياة الشعورية، وليس لمحتويات اللاشعور، ويقول ان تفسيرها ليس بردها لأسبابها ولكنه في المعنى الحاضر الذي يضفيه شعور البالغ على معنى الموقف، وان كان لمحتويات الشعور اثرها الا ان هذا الأثر موجود بوصفه المعنى المشابه الذي أضفاه الشعور على الموقف المشابه القديم، ومن ثم يتوجب على المعالج النفسي أن يركز على نمط شعور المريض وطريقته في التعامل مع العالم وفهمه له، بمعنى ان تفسير سلوك المريض يكون باستبصار الحاضر والشعور وليس الماضي واللاشعور.

وسترمارك .... Westermarck

(١٨٦٢ - ١٩٣٩) إدوارد ألكسندر ويسترمارك، فنلندي من أصل سويدي، ولد في هلسنكي وتعلم بجامعتها، وتنقل بين هلسنكي ولندن والدار البيضاء، وعلم بجامعة لندن، ومن كتبه «**نشأة وتطور الافكار الخلقية The Origin And Development of The Moral Ideas**» (١٩٠٦) و«**تاريخ الزواج البشري The History of Human Marriage**» (١٩٢١) تبين نزعته التطورية، وهو يقول بالذاتية في الأخلاق، ويرجع أحكامها إلى الانفعال وليس العقل، ويقسمها الى قسمين موجبة استحسانية تتعلق بالخير، وسلبية استهجانية تتعلق بالصواب والواجب وما ينبغي. وتؤدي معالجته للظواهر الاخلاقية باعتبار نشأتها وتطورها الى القول بنسبية الأحكام الخلقية، ولعل أفضل مؤلفاته كتاب «**النسبية الأخلاقية Ethical Relativity**» (١٩٣٢)، والجديد في نظريته انه يقول اننا بعد اصدار الحكم الأخلاقي بناء على انفعالنا بالاستحسان أو الاستهجان نميل الى تعميم هذا الحكم Objectivizing، وإقامته كمبدأ أخلاقي، نقيس عليه بعد ذلك تجاربنا الذاتية، فيخيل الينا أننا نصدر ازاءها احكاماً موضوعية.

وضعية منطقية .... Logical Positivism

الاسم الذي أطلقه بلومبرج وفايجل (١٩٣١) على مجموعة الأفكار الفلسفية التي اشتهرت بها الجماعة التي اطلقت على نفسها اسم جماعة أو حلقة فيينا Vienna Circle. وتسمى أحياناً باسم التجريبية الوضعية Logical empiricism أو التجريبية المشتقة Consistent Empiricism أو الوضعية المحدثة المنطقية Logical Neopositivism، وقد تفهم احياناً على انها الفلسفة التي أثمرت الفلسفة التحليلية Analytical أو فلسفة اللغة العادية Ordinary Language في كيمبردج وأوكسفورد، وعموماً فهي فلسفة علمية سعى الى اقامتها علماء ثلاثة هم عالم

الرياضيات هانز هان، وعالم الاقتصاد أوتو نويراث، وعالم الفيزياء فيليب فرانك، بتأثير طموح عالم الفيزياء إرنست ماخ الذي كان يريد توحيد العلوم كلها في فلسفة علمية تشملها جميعاً، ولقد شكل العلماء الثلاثة فيما بينهم جماعة غير رسمية سنة ١٩٠٧ لمناقشة المسائل العلمية من هذه الزاوية الشاملة، ودعوا الى حلقتهم المحاضرين الشبان الذين كانت لهم نفس تطلعاتهم، وكان موريتس شليك من بين هؤلاء، وكان تخصصه في نظرية النسبية، وانضم اليهم عام ١٩٢٢، وكانت له من مقدمات الشخصية ما جعله ينظم الجماعة في حلقة رسمية ضمت الى الأعضاء المؤسسين فريدريش فايزمان وإدجار زيلسل وفيلكس كلوفمان وهيربرت فايجل وفكتور كرافت وبيلافون جوهوس وكارناب مينجر وكورت جودل، ودعت الجماعة رودلف كارنابا سنة ١٩٢٦ فصار المتحدث باسمها، وكان كارل بوبر ولودفيج فتجنشتاين من المترددين عليها المشاركين في مناقشاتها، لكنهما لم ينتميا للجماعة واسست الحلقة سنة ١٩٢٨ جمعية إرنست ماخ بهدف نشر النظرة العلمية وتهيأة المناخ الفكري للدعوة التجريبية الحديثة وتطويرها، ثم نشرت الجماعة سنة ١٩٢٩ منشورها الفلسفي الأشهر أو المانيفستو، بعنوان «العالم بنظرة علمية»، وضعه كارناب وهان ونويراث، ونسب المنشور تعاليم الجماعة الى الفلسفة الوضعية عند هيوم وماخ، والفلسفة العلمية عند هلمهولتز وبوانكاريه وديهيم وإينشتاين، والمنطقية إبتداء من لايبنتس الى رسل، والخلقية النفعية من أبيقور الى مل، والاجتماعية عند فيورباخ وماركس وسبنسر وكارل مينجر. وعقدت الجماعة سلسلة من المؤتمرات الدولية التي خصصتها للبحوث الرياضية والفيزيائية، وأصدرت عدداً من الكتب ومجلة فلسفية، وذاعت دعوتها وشدت اليها الكثير من الفلاسفة في القارتين الأوروبية والأميركية، وخاصة في بريطانيا واسكندناوة وبولندة، وكان أبرزهم الفريد تارسكي وجيلبرت رايل وألفريد أير، ولكن الجماعة بدأت تتفرق في الثلاثينات، فمات هان سنة ١٩٣٤، ورحل كارناب وفايجل ومنجر وجودل الى امريكا، وفايزمان ونوايرث الى انجلترا سنة ١٩٣٤، وقتل احد الطلبة الجامعيين شليك سنة ١٩٣٦، وبموته توقفت اجتماعاتها وانحلت الحلقة رسمياً سنة ١٩٣٨، حيث اشتدت محاربة النازي لأعضائها وذاع عنها انها تجمع يهودي، وأن نواة دعوتها صهيونية، وضعت منشوراتها في كل البلاد المتحدثة بالألمانية، وكان فشلها في المانيا ذريعاً فقد ازدهرت بها الفلسفة الوجودية على يد هايدجر وأتباعه، وهي فلسفة تمثل كل ما كانت الوضعية المنطقية تناهضه، وانحلت في بريطانيا واسكندناوة في التيار التجريبي العام، حيث كانت الفلسفة الوضعية تزعم انها ليست فلسفة، بل انها ضد الفلسفة، وكان ماخ ملهمها يزعم انه ليس فيلسوفاً، وأنه لا يهدف إلا الى توحيد العلوم في نظرة شاملة تخلصها من عناصر الميتافيزيقا، ولم يدع انه يشيد مذهباً فلسفياً، وكانت هذه الغاية هي نفسها التي توسمتها الجماعة، لكن شليك لم ير بأساً بأن يسمي الوضعية المنطقية فلسفة، ووصفها بأنها ثورة في الفلسفة، وكان كارناب يقول ان الجماعة لا تقدم اجابات على أسئلة فلسفية، بل انها لترفض اصلاً هذه الأسئلة سواء كانت في الميتافيزيقا أو الأخلاق أو الابستمولوجيا (نظرية المعرفة)، وكان يدعو الى تدمير الفلسفة وليس تجديدها، وكان واضحاً ان الوضعية المنطقية تناهض الفلسفات الميتافيزيقية جميعها بدعوى انها تبحث في موضوعات لا معنى لها، طالما انها موضوعات تتجاوز الخبرة ولا يمكن التحقق من صدقها عملياً، ومن ثم وصفتها بأنها سفسطة وسراب، وكان فتجنشتاين يقول ان التفلسف فيما يجري في العالم شيء عقيم لأنه ليس مجال حديث بل هو مجال تجريب، وكان شليك يرى ان وظيفة الفلسفة ينبغي ان تقتصر على التنبيه الى ما يجري في العالم وليس التصدي لتفسيره، لأن التفسير لا يكون بالعبارات لكنه بالتجربة واستجلاء المعاني بالخبرة، وفرق كارناب بين لغة العلم التي تتحدث عن أشياء مادية Object Language، وبين اللغة التي تتحدث عن صيغ اللغة وقواعدها -Syntactic

al Language ، وبين اللغة التي تشبه اللغة الأولى ولكنها لا تتحدث عن شيء عادي Pseudo-Object Language ، فإنه لكي لا نقع في الخطأ بفعل سواء استخدامنا للغة ينبغي ان نقوم بتحويل اللغة من شكلها المادي Material Mode إلى شكل صوري Formal Mode ، بمعنى انه بدلاً من ان نقول مثلاً «إن الخمسة عدد» فنظن اننا نتكلم عن الخمسة كشيء مادي، نضع الخمسة بين قوسين مثلاً لنعرف اننا نتحدث عن اللفظة خمسة وليس الشيء خمسة، وينصحنا كارناب أن نعلق إصدار الحكم على الجملة بالصدق أو بالكذب حتى نتحقق منها، والى ان نتحقق من الجملة فان كارناب يسميها اقتراحاً أو توصية، وتتوقف امكانية تحويل الاقتراح أو الجملة الى قضية على امكانية التحقق من صدقها . ولكن محتوى الخبرة لا يمكن التحقق من صدقه، ولا يمكن كذلك التيقن من تماثل محتويات الخبرة الواحدة عند كل الناس، ولذلك يرى شليك ان مناط العلم هو قوام الخبرة أو التجربة Structure وليس محتواها، وأننا لو اخذنا بهذه التفرقة نكون على الطريق الصحيح لتوحيد العلم وإلغاء قسمة العالم موضوع العلم الى عالم داخلي أو باطن وعالم خارجي أو ظاهر . (انظر ماخ وكارناب ورسل وفتجنشتاين) .

وطسن .... Watson

(١٨٧٨ ـ ١٩٥٨) حنا برودس وطسون ، عالم نفسي أمريكي ، ومؤسّس المذهب السلوكي ، ولد في جرينفيل من ولاية كارولينا الجنوبية وتعلّم بشيكاغو ، وعلّم علم النفس التجريبي والمقارن بجامعة جون هوبكنز ، واشتهر لأول مرة بكتابه « **السلوك : مدخل إلى علم نفس مقارن Behaviour, An Introduction To Comparative Psychology** » (١٩١٤) كواحد من أبرز علماء السلوك الحيواني ، وظلّ في طليعة علماء النفس والمدرسة السلوكية لمدة عشرين سنة ، برفضه الاستبطان كنهج ، للشعور والغرض والعقل . ولدراسته للسلوك البشري بالملاحظة والتجربة في البيئات الطبيعية وفي المعمل ، ولقد اختطّ لنفسه برنامجاً سلوكياً في كتابه « **علم النفس من وجهة نظر سلوكي Psychology From The Standpoint Of A Behaviourist** » (١٩١٩) ، وأقامَ معملاً سيكولوجياً في مستشفى الولادة بجامعة هوبكنز ليدرس الأنماط السلوكية الفطرية والمتعلمة في الأطفال الرضّع ، وعملية التعلّم أو الإشراط ، ولكنه فجأة انصرفَ عن البحث العلمي (١٩٢٠) وانخرط في التجارة بالإعلانات ، وهو يقول إن كل السلوك ، الإنساني والحيواني ، يمكن تحليله إلى مثير واستجابة ، وليس هناك فرق بين الإنسان والحيوان في ذلك إلّا في درجة تعقيد السلوك .

والدانيون .... Walonists

جماعة بطرس والدو ، الذي بدأ سنة ١١٧٠ حملة دينية في سبيل مراعاة الناس لشريعة المسيح ، وأنشأ جمعية « فقراء ليون » يعيش الناس في ظلّها في فقر وفضيلة ، ورفض سلطة البابا ، وتبرّأ من دعاية رجال الدين ، وقال إن كل رجل طيب في وسعه أن يعظ ويبشر بتعاليم المسيح .

وورد .... Ward

(١٨٤٣ ـ ١٩٢٥) جيمس وورد ، إنجليزي ، ولد في هل Hull ، وتعلّم في لندن وبرلين وجوتنجن وكيمبردج ، وعلم الفلسفة العقلية بكيمبردج ، وفلسفته مثالية ألوهية Theistic Idealism ، تأثّر فيها بلوتسه خصوصاً ، وبكنط وباركلي ولايبنتس . أهم كتبه الفلسفية « **المذهب الطبيعي واللاّأدرية Naturalism and Agnosticism** » (١٨٩٩) عن محاضراته بجامعة أبردين ، و « **عالم الغايات ، أو مذهب الكثرة ومذهب الألوهية The Realm of Ends, or Pluralism and Theism** » (١٩١١)، غير أن بحوثه في علم النفس كانت رائدة واشتهرت في زمانها، وتأثّرت بها فلسفته ، وما يزال كتابه « **مبادىء نفسية Psychological Principles** » (١٩١٨) من

الكتب المرجعية ، وهو يعرف علم النفس بأنه علم التجربة الفردية ، ويؤكد أن التجربة ليست فقط هي تجربة المعرفة ولكنها التجربة التي نمارسها من خلال الشعور والإرادة ، فهي نزوعية أكثر منها معرفية ، قطباها الذات الفاعلة أو المنفعلة وعالم الواقع . ويتكون الوعي من صور Representations أو أفكار متصلة تتغير في الترتيب وتزداد تعقداً ، وتتحكم فيها باستمرار ذات تتجه إلى غايات وتختار بينها والوسائل المحققة لها ، والوعي في كل ذلك يتميز بخاصية الانتباه ، أو هو نفسه الانتباه ، والانتباه هو الجديد الذي يقدمه وورد ، والتداعي عنده ليس آلياً كما عند الترابطيين وإنَّما تتحكم فيه ذات غرضية . ويستخلص وورد من مبدأ الغائية في الطبيعة أن لها روحاً ، ويسمِّى مذهبه في شمول النفس الواحدية الروحية حيث يرجع الكثرة في الكون إلى وحدة تشملها يصفها بأنها مطلقة وإلّهية . والكثرة التي يعنيها ذرات روحية تتألف منها الكائنات . والله نفسه روح تتميز بالعقل والإرادة ، وهو شخصي ، خلق العالم ويعلو عليه لكنه حاضر دائماً في مخلوقاته بوصفه المبدأ الخالق . والإنسان خالق لأنه من روح الله ، وهو حرّ ومسؤول لأنه خالق . والعالم يغلب عليه الخير طالما أن الله حاضر فيه .

ويتشكوت .... Whichcote

(١٦٠٩ - ١٦٨٣) بنيامين ويتشكوت ، الأب الروحي لأفلاطوني كيمبردج ، لم يترك كتباً ولكن محاضراته تعد إرهاصات العقلانية في الأخلاق البريطانية ، ومن خلاله عرفت طريقها إلى كدورث وصامويل كلارك وريتشارد برايس وما زالت حتى الآن ، وهو يقول إن الإيمان يؤسّس على العقل ، ويبشر بالعقل والتسامح وتقليل الفروق بين المذاهب ، ويقول إن الأفعال خيرة أو شريرة بطبيعتها وليست لأنها مأمورة أو محظورة من قبل الدين ، وشجَّع ويتشكوت الاتجاه الليبرالي في الدين الذي يؤكّد على الأفعال أكثر من الأقوال .

ويتلي .... Whately

(١٧٨٧ - ١٨٦٣) ريتشارد ويتلي ، منطيق إنجليزي ، وصفه دي موجان بأنه باعث الدراسات المنطقية في إنجلترا ، وقال عنه جون ستيوارت مل أنه أعاد طرح مناقشة حدود المفهوم وأسماها الحدود النعتية Attributive Terms ، ويعد الفصل المعنون « اتجاه القضايا The Drift of Propositions » من كتابه « عناصر المنطق **Elements of Logic** » (١٨٢٦) إسهامه الحقيقي ، ولم يول ما هو جدير به من اعتبار إلاَّ في القرن العشرين ، وكل القضايا عنده من نمط الموضوع الرابطة المحمول ، وكل ألوان الحجاج يمكن ردَّها إلى قياسات ، وكل أشكال القياس يلخصها مقال الكل واللّاشيء Dictum de Omni et Nullo ، لأنه مقال الشكل الأول ، ولا يوجد منطق للعلوم وآخر للدين ، وليس الاستقراء منهجاً جديداً في البرهنة كما يزعم بيكون ، لأنه تعميم من أمثلة ، وليس هذا مجال المنطق ولا يضمن المنطق صدق النتائج التي نبلغها بمقدمات كهذه ، ومع أن النتائج في القياس لا تقدم شيئاً جديداً لم يكن في المقدمات إلاَّ أن ذلك لا يجعل القياس عديم الجدوى .

ويزدوم .... Wisdom

آرثر حنا تيرنس دبين ويزدوم ، بريطاني ، تحليلي ، ولد سنة ١٩٠٤ وتعلَّم بكيمبردج ، والتصق اسمه باسم لودفيج فتجنشتاين ، وشغل كرسيه للفلسفة بجامعة كيمبردج ، واشتهرَ بكتبه « التأويل والتحليل **Interpretation and Analysis** » (١٩٣١) و « مسائل العقل والمادة **Problems of Mind and Matter** » (١٩٣٤) و « الفلسفة والتحليل النفسي **Philosophy and Psycho - Analysis** » (١٩٥٣) ، وتنقسم فلسفته إلى مرحلتين ، ما قبل ١٩٣٤ ، وما بعد ١٩٣٦ حيث كان قد راجع نفسه واتَّخذ موقفاً اختلف عن موقفه الأول حول طبيعة الفلسفة ودور الفيلسوف ، ويقوم منهجه على

مناقشة الصياغات الفلسفية بافتراض نقيضها لينظر النتائج التي تترتب على ذلك ، وبذلك تكشف الفلسفة عن منطق الأنواع المختلفة من العبارات ، وهو لا يرفض الميتافيزيقا مثل فتجنشتاين لكنه يصف عباراتها بأنها تعبير عن عدم رضانا باستعمالاتنا اللغوية المألوفة التي تحاكي في تضاربها وساوس المرضى العصاب ، والفلسفة هي التي تخلصنا من هذه الخبرة ، وهي أشبه بالتحليل النفسي ، حيث يقوم الفيلسوف بدور المحلّل المعالج موضحاً الأخطاء التي نتردّى فيها في أحاديثنا وتفكيرنا ومنبهاً إلى العلاج .

ويكليف Wycliffe

(نحو ١٣٢٠ ـ ١٣٨٤) حنا ويكليف ، إنجليزي ، أنكر تحول القربان إلى لحم ودم المسيح ، وقال عن هذا التحول إنه خداع وحماقة كافرة ، وقال إن الحصانة الكنسية تسقط عن رجل الدين الذي لا يظهر التقوى في معاملاته مع الناس ، وأن الكنيسة لا ينبغي أن تملك ، وأن الملكية تبحث عن الخطيئة . وأنشأ جماعة القساوسة الفقراء ، واستخدمهم وعاظاً جوالين ، فبذروا بذور الاشتراكية ، وكانوا سبباً في اندلاع ثورة الفلاحين .

ويلسون Wilson

(١٨٤٩ ـ ١٩١٥) إنجليزي ، ولد في نوتنجهام ، وتعلّم في باليول بأكسفورد ، ودرس على جرين وجويت ، وزار جوتنجن واستمع إلى لوتسه وتأثّر به ، وعيّن أستاذاً للمنطق بأكسفورد ، وتولّى صديقه فاركهارسون نشر محاضراته بعد وفاته بعنوان « التقرير والاستدلال **Statement and Inference** » (١٩٢٦) وكان اهتمامه بتحليل المشكلات وتوضيحها ، ومرّ تفكيره بتغير دائم ، ونما أصلاً من مثالية أوكسفورد ، وظلّ كذلك مدة من الزمن إلى أن تحوّل تدريجياً إلى الواقعية ، ولكنه لم يحاول أبداً التنصل نهائياً من المثالية أو بناء مذهب في الواقعية ، وكان المنطق مجال اهتمامه الخاص ، وحاول أن يحقق له استقلالاً كاملاً عن علم النفس ، وأن يؤكد الصلة الوثيقة بينه وبين الرياضيات ، وأن يبيّن أن اللغة العادية تحوي من المنطق أكثر ممّا تحويه لغة التفكير ، وحاول التعبير عن نفسه بلغة الناس العاديين وتحاشى لغة المصطلحات ، تلك اللغة التي تغري بالمغالطات وطرح الأسئلة الباطلة ، ولهذا هاجم بشدة آراء لوك في الأفكار البسيطة والمعقدة والكيفيات الأولية والثانوية ، ومذهبي برادلي وبوزانكيت في الحكم ، وجون ستيوارت مل في المعنى الدلالي والمعنى الإضافي ، وترك ويلسون أثراً قوياً على فلاسفة أوكسفورد الواقعيين من أمثال جوزيف وبريتشارد وروس .

حرف الياء

ياسبرز .... **Jaspers**

كارل ياسبرز ، الممثل الأكبر للوجودية الألمانية بعد مارتن هايدجر ، وإن كان قد رفض هذه التسمية . ولد بمدينة أولدنبرج (١٨٨٣) ، وتعلَّم بهايدلبرج ، وحصل على الدكتوراه في الطب العقلي ، وعيِّن أستاذاً لعلم النفس (١٩١٦) ثم أستاذاً للفلسفة (١٩٢١) ، ثم أقصته الحكومة النازية عن التدريس بالجامعة (١٩٣٧) ، بدعوى أن زوجته ، أخت إرنست مير ، يهودية ، ولم يعد إلى الجامعة إلَّا بعد انتصار الحلفاء (١٩٤٥) ، وفي ذلك كتب « **مسألة إحساس الألمان بالذنب** » (١٩٤٦) حول اضطهاد اليهود ، متمثلاً التجربة من خلال عذاب زوجته ، وكتب مفهومه عن « **فكرة الجامعة** » (١٩٤٦) ، رداً على إبعاده عن الجامعة ، وفيما يبدو مناقضاً خطاب هايدجر عن دور الجامعة في عهد الرانج . ويعد ياسبرز من أغزر الفلاسفة الوجوديين إنتاجاً ، حتى لتربو مؤلَّفاته على الثلاثين ، بعضها يزيد على الألف صفحة ، غير أن أهم كتبه : « **طب الأمراض النفسية العام** » (١٩١٣) ، و« **سيكولوجية النظرات الفلسفية العامة عن الحياة** » (١٩١٩) ، (وهو الكتاب الذي انتقل به ياسبرز من علم النفس إلى الفلسفة ، ووصفه من بعد بأنه كتاب وجودي أصيل . ويلاحظ أنه رجع في تأليف الكتابين السابقين إلى تجربته الطبية) ، وكتابه الضخم « **فلسفة** » في ثلاثة مجلدات (١٩٣٢) ، (وهو أروع ما كتب ، أو تحفته) ، و« **المنطق الفلسفي** » (نشر الجزء الأول منه بعنوان « الحقيقة والرمز » (١٩٤٧) ، و« المجال الدائم للفلسفة » (١٩٤٨) ، و« **أصل وهدف التاريخ** » (١٩٤٩) ، و« **الطريق إلى الحكمة** » (١٩٥٠) ، و« **مستقبل الإنسانية** » (١٩٥٧) و« **الفلاسفة العظام** » (١٩٥٧) .

ويقوم منهج ياسبرز على الشك ، واكتشاف ووصف وتحليل الخبرات ، خبرات ياسبرز وليست خبرات الشخص الآخر ، ومنها يستخلص تعميماته الفلسفية ، ويصفها بأنها مصدر المعلومات الوحيد عن الواقع ، وهو يفوق في ذاتيته ذاتية ديكارت ، ويقول عن تفكيره بأنه يبدأ وينتهي بالذاتية طالما أن الوعي ، كما رآه كنط ، يتكون في جزء منه من التفسيرات والتأويلات التي نضفيها على الواقع ، ولذلك فرغم أن النتائج التي يخرج بها من أوصافه وكشوفه وتحليلاته لا تكون في مجموعها أونطولوجيا عامة ، إلَّا أنها نتائج ينفرد هو بها وتناسب ذاته تماماً ، ومع ذلك فالتحقق منها أمر ممكن طالما أن كل الأنوات تتبادل الخبرات وتقارنها ببعضها البعض . ويقتفي ياسبرز أثر أستاذه كيركجورد ، ويقصر وصفه على الخبرات المباشرة ، وهي معطيات حسية وتجارب من نوع آخر كالحب والقلق والأمل والياس ، ويتوجه بتفلسفه نحو كشف معانيها الأونطولوجية ،

وأغلبها خبرات معقدة تقوم على مشارف الشعور ، وتتّسم بالغموض ، ولذلك كانت لغته غامضة ، وهو يقول إن اليقين شيء لا يمكن أن يبلغه العلم أو الفلسفة ، ولا مندوحة للإنسان أن يعتمد كلية على حدوسه وعلى قرارات يتخذها أناه ، والعلم ليس شكلاً نهائياً للمعرفة طالما أنه يستبعد الملاحظ ، ولأنه يحفل بالفروض التي لم يمحصها أحد ، والتي كثيراً ما تكون خاطئة ، ولأن الاعتماد على طريقة واحدة في البحث لا يمكن أن يعطينا الصورة الكاملة للعالم .

والإنسان يكتشف طبيعة ذاته في سعيه للتعرّف عليها ، فعندئذٍ تتكشف له إمكانياته كإنسان ، ويتكشّف له وجوده ، وهو لا يتكشّف إلاّ لمن يبحث في معناه ويسعىٰ للتعرف على حقيقته ، وعندما يتحدث ياسبرز عن الإنسان والوجود يريدنا أن نتجاوز المعرفة الموضوعية وعالم الظواهر التجريبية ، فالإنسان أكبر من كل الظواهر التجريبية ، وهو يريدنا أن نمضي نحو الحقيقة الأصلية التي تنبع منها أفكار الإنسان وأفعاله ، وليست هذه الحقيقة الأصلية إلاّ الوجود الماهوي أو الذاتي Existenz ، والوجود الذاتي هو ذاته الحقيقية ، وهي ذات فريدة غير موضوعية ، منفتحة تماماً على كل إمكانيات جديدة ، لا سبيل لفهمها بالوسائل التقليدية ، وهي مع ذلك يمكن أن تعاش ، ويمكن أن يضيئها التأمّل الفلسفي ، ويمكن أن نوصلها إلى الآخرين . والوجود الذاتي هو تجربة الحرية الكاملة التي لا يتّسم بها إلاّ الإنسان ، وهو تجربة إمكانيات لا تنتهي من أساليب الحياة ، وتجربة العزلة الموحشة ، وهو الأزلي في الإنسان . أما الوجود الموضوعي أو التجريبي أو الآنية فهو بعده الزمني ، وهو جانبه الذي يتّصف بالسمات والذي يمكن تأمله نظرياً .

والإنسان غريب في هذا الكون ، قد خرج من الظلام والمجهول ، ويسير إلى الظلام والمجهول . والحياة تدفق وجريان ، وهو يحاول أن يتشبث بها . والوجود الذاتي غني بمتناقضاته ، تتعايش فيه كل الأضداد ، فالحرية تعايش العبودية ، والتواصل مع الاعتزال ، والخير مع الشر ، والصدق مع الزيف ، والسعادة مع الحزن ، والحياة مع الموت ، والازدهار مع الدمار . ويتجلّى الوجود الذاتي الأصيل للعقل ، ويشتغل الفكر بأموره العملية . والفكر ترضيه النتائج العملية ، بينما العقل ينكبّ على البحث الدائب ، والإنسان عقل ووجود ذاتي ، أو توتر بين القطب الأبولوني والقطب الديونيسي ، أو بين المبدأ البنائي والمبدأ الدينامي . والعقل بدون الوجود حقيقة فارغة لا تؤدّي في النهاية إلاّ إلى خواء عقلي ونزعة عدمية ، في حين أن الوجود الذاتي بدون العقل مجرَّد دافع أهوج عابث غير معقول .

إنني أصبح وجودياً ذاتياً حين أكفّ عن أن أكون مجرَّد موضوع لذاتي ، فالوجود الذاتي انفتاح على العالم وفاعلية ، ولكنها فاعلية لها حدودها التي لا سبيل إلى اجتيازها ، وحدودها هي المواقف الحاجزة أو النهائية التي تصطدم بها الذات ، فالإنسان كائن فان ، وهو يخبر الفناء كحد لوجوده . وهو يحاول أن يبعد عنه هذه الحدود إلى أبعد ما يستطيع ، لكنه يقبل بها ويحتملها . والموت هو واحد من أفجع حدوده ، وهو مصدر قلقه أو هلعه ، لكنه يسمو بالروح لأنه يلحّ عليها أن تعيش الحياة في أصالة ، وأن تعيشها الآن حالاً . والشعور بأن الموت معلق على الرقاب ، وأنه حاضر ، يثير في الإنسان شجاعته ، ويهزه ككل ، ويسمو به عن الصغار ، ويجعله لا يلتفت إلاّ إلى الأهم . والإثم حد آخر من الحدود ، فالإنسان يحس الذنب ، ولأنه حرّ بلهبة الإحساس بالذنب ، فهو دائماً يتحسَّر أنه كان من الممكن أن يختار غير ما اختار ، وهو لا يستطيع إلغاء ما اختار ، وليس بوسعه أن يطرح الحسرة والندم والإثم على ما اختار ، ومع ذلك ليس أمامه إلاّ أن يقبل ويرضىٰ عمّا اختار ، لكي يستطيع أن يبني وينشىء ، ولأن ما اختاره اختاره بحرية ، وحريته هي التي تصنع قدره ، وقدره هو حريته . والوجود هو دائماً وجود في موقف ، والموقف هو مواجهة الحد الذي يقف في وجه نشاطي الحر ، والمواقف التي يتواجد فيها الإنسان ، بعضها

مفروض عليه كالمواقف الحاجزة ، وبعضها يختاره اختياراً . وأنا ألقي كل المواقف بتطوير إمكانياتي ، ومن ثمَّ أصبح ذاتي ، لكني عندما أتردَّى وأدع نفسي للسقوط ويستغرقني الموقف ويسيطر علي ، فإني أفقد ذاتي ، وأزيف وجودي ، وعلى العكس فإني عندما أختار المواقف وأصنعها وأسيطر عليها ، فإني أصنع وجودي وأعيشه أصيلاً . وليست الحرية إلَّا القدرة على الاختيار ، والاختيار يعني الحرية ، والحرية هي وجود الإنسان ، وبقدر ما تكون حريتي بقدر ما يكون وجودي ، ووجودي يعني أني أعي أني حر . وأنا مقيد بما سبق أن اخترت ، ومحدود بزمانيتي ، لكني حر تماماً داخل هذا الإطار . وأنا أعيش حريتي كنشاط وعفوية ، ومن ثمَّ كان العمل والالتزام أهم من التأمّل والتنظير . وإن الوجود ليتجلّى ويتكشف وأنا أستخدم حريتي وتعرّفي عليها . وعندما أختار أفعل ، وأعي فعلي ، وأعي القيم التي يتمثلها ، وأخاطر ، وأدرك أن التزامي بقيم معينة هو شيء لا يمكن أن أتجنبه .

وإن كل اختيار أختاره يحمل عبء قراراتي السابقة ، واختياري الأول يطبع كل وجودي اللاحق ، ويرين على حياتي كأنه الخطيئة الأولى . وأنا مسؤول عن هذا الاختيار الأول ، ويعني ذلك أني أتحمل وزره أو ذنبه . وكل اختيار ضرب من المخاطرة ، وأنا دائماً فريسة المفاضلة بين اختيارين ، فإمَّا أختار طريق السلامة والعمر المديد وأضحي بكمالي ، وإما أختار تحقيق ذاتي وممارسة وجودي الممكن . ويؤدّي التردد والحيرة بين الاختيارين إلى المزيد من الإحساس بالذنب . وقد أرى أن أخفف من إحساسي ، فأتوهّم وجود معايير خلقية مطلقة ، وأحاول أن أطابق حياتي لها ، ولكني في أعماقي أدرك أنه لا وجود لمعايير ثابتة ، وأن لجوئي إليها ليس سوى تبرير لرغبتي في الهروب من المسؤولية ، وإن الذنب يلاحقني ، وأن الفكاك فيه مستحيل . وعندما تواجهني مواقف كهذه ، وكأنها هوة تكاد تبتلعني ، وعندما يتولاني الجزع ، ويمتلأ فؤادي بالهلع ولا أدري كيف أتصرف ، ولا ماذا أختار ، وأخاف من المسؤولية ، وأخشىٰ الحرية ، عندها قد أعتنق فكرة فلسفية ، أو نظرية علمية ، أو أدين بدين سماوي ، أو أصم الموقف كله بأنه خواء لا يعني شيئاً وأنهج نهجاً عدمياً .

وإذا كان وجودي يتولد عن ذاتي ، فإن وجود غيري يعكس هذا الذات ، ولن أستطيع أن أحقق ذاتي إلَّا بمناصرة الذوات الأخرى ، وبالتواصل الشعوري معهم ، فالحرية لا تعيش إلَّا في عالم من الحريات ، ولا يتحقق التواصل الأصيل إلَّا بين حريات ، وليست حريتي إلَّا سعي ذاتي للتواصل بالذوات الأخرى من خلال الصراع الودي . وذاتي لا تكون ذاتاً أصيلة إلَّا إذا تفتّحت لغيرها من الذوات . وليس التواصل الوجودي صداقة ، ولا علاجاً نفسياً ، ولا اندماجاً والتحاماً ، ولا احتراماً ، لكنه يتجاوز ذلك جميعاً ، ولا يمكن وصفه لأنه ليس حقيقة موضوعية ، بل هو صميم الحياة ونسيج الوجود .

لكن الوجود الإنساني في النهاية مآله للفشل ، فلا مهرب من الحدود المفروضة عليه ، وخاصة حد الموت ، ومع ذلك فالإنسان مقدور عليه أن يكابد ويحاول . وهو بين محاولته وعبث المحاولة ، وفي حضور الموت ، ومع إحساسه بتناهي الوجود ، وسورته لتجاوز الحدود ، يخبر في أعماقه شعوراً بأنه ليس وحده ، وأن حريته منحة ، وأنه لا قيام لوجود الزمان المتناهي دون حقيقة متعالية ، وأن المتعالي هو القوة الموجدة للإنسان .

ويصف ياسبرز حدود الوجود بأنها شاملة ، بمعنى أنها محيطة بها ، تشمله وتغلفه وتغمر كل ما يحتويه . والشامل هو الأفق النهائي الذي لا يخبر . و« الوجود بما هو » شامل ، أي أن تفكيرنا فيه وتصورنا له محدود . والتعالي هو الجهد الشخصي الملتزم المخلص لبلوغ الشامل في أي مجال من مجالاته . ومجالاته ثلاثة : الشامل الكلي وهو الله ، والشامل التجريبي وهو العالم كما نخبره ، والشامل الذاتي أو الذات . والشامل الكلي يحتويني كذاب عارفة ،

ويحتوي العالم كموضوع للمعرفة . ويجهد الإنسان لبلوغ الشامل الكلي بطريقته ، بأن يكتشف العالم على طريقة العلم وتكون له بالشامل معرفة علمية تجريبية ، أو قد يناقش العلاقة بينه وبين العالم ، وتكون له بالشامل معرفة ابستمولوجية أخلاقية نفسية ، وبها يتكشّف له وجوده الذاتي هو نفسه ؛ أو قد يتجه مباشرة إلى البحث في الله ، ولكن البحث في الله لن يكون إلّا بالسير على درب الله واقتفاء أثر خطاه ، من خلال لغة تمثيلية ، ورموز ، أو بالشفرة على حد تعبير بسكال . ويشبه الشامل خط الأفق الذي يرنو إليه البحار دوماً بنظره ، ولا يختفي أبداً من أمام بصره ، لكنه لا يدرك قط . ومهمة الميتافيزيقا هي حل الشفرة وكشف الشامل ، لكنها مهمة شخصية بحتة يقوم بها كل فرد لحاله . لكن الفن والعلوم والأساطير الدينية والعقائد والتاريخ والفلسفة ، كلها لغات لقراءة الشفرة ، وكلها تشير إلى أن الإنسان متفتّح للمتعالي ، وأنه يريد اللّامتناهي ، وأنه لا قيام للوجود الزماني المتناهي دون دعامة أزلية لامتناهية ، وأنه لا وجود بدون حرية ، وأن التواصل لا غنىٰ عنه للإنسان ، وأن الله خلف وجود الإنسان والعالم . ويسمي ياسبرز هذا الضرب من الإيمان بالإيمان الفلسفي .

يامبليخوس .... **Iamblichus**

(نحو ٢٧٠ ـ ٣٣٠ م) من دعائم المدرسة السورية للأفلاطونية المحدّثة ، سوري ولد في خلقيس وتتلمذ على فورفوريوس ، وكعادة فلاسفة عصره دون شروحاً على أفلاطون وأرسطو ، فةومؤلفات منها « الترغيب في الفلسفة » و « الحياة الفيثاغورية » و « الرياضة العامة » و « أسرار المصريين » ، والكتاب الأخير تأويل للديانات المصرية ، وكانت كتبه مرجعاً للأفلاطونيين لقرنين من الزمان وأسموه « الملهم » ويبدو أنه حاول مزج الفلسفة بالدين والرياضيات فجاءة مذهبه خليطاً إغريقياً شرقياً جعل البعض يتهمه بإسلام الفلسفة للخرافة والغيبيات الشرقية . قال بصدور الموجودات عن بعضها ، وكثر مراتب الوجود وحدودها ، ربما ليجمع آلهة اليونان والشرق في مذهبه ، فالواحد مثلاً جعله واحدين ، والعقل عقلين ، وكان تقسيمه للنفس إلى نفسين ، واحدة مفارقة وأخرى متعينة خطوة هامة لفصل علم النفس عن الميتافيزيقا .

يزيدية ....

طائفة من الإباضية ، أصحاب يزيد بن أنيسة ، زعم أن الله سيبعث رسولاً من العجم ، وينزل عليه كتاباً جملة واحدة ، ويترك شريعة المصطفى ، ويكون على ملة الصابئة . وقال إن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون ، وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك .

يعاقبة ....

فرقة مسيحية ، أتباع يعقوب البراذعي ، وجد في مصر في القرن السادس ، وبعث القول بطبيعة واحدة للمسيح . وأقباط مصر من اليعاقبة ، وكذلك السريان والأرمن .

يهودية .... **Judaism**

نسبة إلى يهودا ، أحد أسلاف النبيّ داوود ، وكانت قبيلته أكبر قبائل الأسباط الاثني عشر ، وأطلق على إحدىٰ المملكتين اللتين انقسمت إليهما مملكة سليمان بعد وفاته ، لأنها كانت تضم سبطي يهودا وبنيامين ، ومن ثمَّ فإن اليهودية جنسية سكان يهودا كما نقول المصرية جنسية سكان مصر ، ثم صارت جنسية كل اليهود . واليهودية كديانة ، في غير القرآن ، نظام في السلوك أكثر منها عقيدة ، فهي ثقافة اليهود ، بمعنىٰ عاداتهم وأعرافهم ومعتقداتهم وفلسفتهم في الحياة كما وردت في التوراة ، وهي كتاب التعاليم أو الوصايا أو الشرائع ، ويضم أسفار موسىٰ الخمسة بالإضافة إلى تاريخ الإسرائيليين ، وهو ليس تاريخاً بالمعنىٰ الاصطلاحي ، لأنه لم يرد في الآثار والمؤلّفات التاريخية المتواترة ما يؤيّد هذه الأحداث رغم ضخامتها . وكان التوراة في حاجة دائمة إلى التفسير ،

وهو أمر لم يكن يقوىٰ عليه إلاّ الأحبار ، وكان اليهود أول من مارسوا التأويل ، وكانت تأويلاتهم شفاهية ، والمشناه Mishnah هي مجموعة الشرائع التي جمعها معلّمو الشريعة من صدور المؤمنين ، والجمارة Gemarah هي الشروح والتفسيرات التي وضعها الربانيون أو الفقهاء على المشناه ، ومنهما معاً يتكوّن التالمود كتاب اليهود الثاني ، وتوجد منه نسختان ، فلسطينية كتبت في فلسطين في القرن الثالث ، وبابلية كتبت في بابل في القرن الخامس . وانقسمَ الإسرائيليون فريقين تجاه الشريعة الشفوية ، فالسامريون Samaritans (نسبة إلى السامرة عاصمة مملكة إسرائيل) ، والقراءون Karaites (أنصار المقرا أو التوراة المقروءة) ، والصدوقيون Sadducees (نسبة إلى صادوق كبير كهنة سليمان) ، والأسينيون Essenes أو النسّاك ، كانوا جميعاً من الرافضين الأخذ بها ، بينما كان الفريسيون Pharisees أو الكتبة من أشد أنصارها . وتطوّرت الفريسية لتكون الخط العقلاني العلماني الإسرائيلي ، وأطلقَ عليها القراءون اسم اليهودية الربانية Rabbinic Judaism نسبة إلى أنها من تفسير الربانيين أو الحاخامات . وبعد اندثار القراءين اختفت الصفة الربانية واقتصر على اليهودية للدلالة على هذا الاتجاه السائر على الهالاخاه Halachah أو الطريق القديم ، ويعنون به طريق الاجتهاد في التفسير والتأويل ، وعلى كل فقد تفرع هذا الطريق فرعين ، واحد باطني والآخر عقلاني ، ويسمّىٰ الباطني القبالة Cabalah (من قبول التأويل) ، وانتهى إلى غنوصية وصوفية تقول بمعنيين للتوراة ، معنىً ظاهراً ، وآخر باطناً يختصّ به العارفون بالله ، ويسمى كتاب الباطنيين الزوهار Zohar أو الإشراق ، ويدور حول مسائل كلامية تأثّر بها الفكر الإسلامي ، وتطوّر إلى اتجاه يسمى السفاردي Sephardie ، يختص به اليهود الذين نشأوا في دائرة الثقافة الإسلامية في الأندلس وتثقّفوا بالثقافة العربية وتأثّروا بعلم الكلام السني والمعتزلي . ويسمّىٰ الاتجاه العقلاني عند اليهود الأوروبيين بالاتجاه الإشكنازي Ashkenazi ، وحالياً ينقسم المجتمع الإسرائيلي إلى يهود إشكنازيين وسفارديين . وكان الإشكنازيون من الداعين إلى الاستنارة Haskalah ، وتولّدت بينهم الحركة الصهيونية كغيرها من الحركات المشيحانية التي تدور حول فكرة الخلاص المنتظر ، كحركة شبتاي تسفي (١٦٢٦ ـ ١٦٧٦) الذي استطاعَ أن يعبىء يهود تركيا باعتبار أن تركيا هي الدولة التي تشغل فلسطين جزءاً من أراضيها ، وادَّعىٰ الإسلام ودعا أتباعه إليه حتى يستطيع من خلاله السيطرة على السياسة التركية وتوجيهها نحو اقتطاع اليهود أرض فلسطين ، ومن هؤلاء كان يهود الدونم الذين تمكّنوا من حزب تركيا الفتاة وأعلنوا علمانية الدولة التركية وعزلوها عن الشعوب العربية والإسلامية . ورغم أن النزعات المشيحانية تبدو دينية إلاّ أنها إلحادية ، والحركة الصهيونية حركة يهودية بالمعنىٰ القومي وليس الديني . ويعتبر الصهاينة حركتهم أوج التطوّر في الفكر اليهودي الذي يقولون إنه بدأ غيبياً طوباوياً وانتهى واقعياً علمياً . ومع ذلك ظلّ الاتجاه الباطني يتطوّر في الفكر اليهودي ، وتمثّل في الخط التقوي أو الحسيدي Hassidism ، وإن كان يبدو دينياً إلاّ أنه في حقيقته تقوىٰ بدون دين ونزعة مشيحانية تقول بوحدة الوجود وبالنبوّة المفتوحة . وهو قول يجرّنا إلى المعتقدات اليهودية بشكل عام ، وخاصة ما يتعلّق منها بالآخرة والبعث والحساب ، وهي معانٍ قلّما يرد لها ذكر عند اليهود ، حتى أن هـ. ج. ويلز رفض اعتبار أنبياء إسرائيل أنبياء بالمعنىٰ الذي نعرفه في الإسلام ، ووصفهم بأنهم أبطال قوميون . وقال ويل ديورانت إن اليهودية لا تكاد تكون ديناً وتخلو من أي ذكر عن العالم الآخر . وقال برستيد إن الديانة اليهودية مشتقّة من الديانة الأتونية المصرية التي بشّر بها إخناتون ، وإن التوحيد اليهودي يقوم على التوحيد الأتوني الذي كانَ أول رسالة توحيد في العالم ، وإن أدوناي إلّه إسرائيل قبل أن يتحوّل إلى يهوة هو نفسه أتون المصري ، وإن الختان عادة مصرية ينفرد بها الشعب المصري من دون شعوب العالم ، وإن تحريم الخنزير وتصوير الله في

الرسوم والتصريح باسمه ، كلها عادات دينية مصرية ، وإن مزامير داوود مشتقة من أناشيد إخناتون ، وعلى أي حال فإن الاتجاهين الديني والعلماني سارا جنباً إلى جنب في الفكر اليهودي ، فعلى حين نجد اليهودية الأرثوذكسية أو الصحيحة Orthodox Judaism لمؤسّسها شمشون هيرش (١٨٠٨ ـ ١٨٨٨) تسيطر على الحياة الدينية وتتمسك بالهالاخاه وبحرفية الطقوس والنصوص وتعادي اليهودية الإصلاحية ، وحركة الموسار لمؤسّسها إسرائيل ليبكين (أوروبا الشرقية) تجه اتجاهاً دينياً أخلاقياً في محاولة لمعادلة الاتجاه العلماني المتزايد والدعوة للاندماج في البيئة ، فإن اليهودية الإصلاحية Reform Judaism (بدأت في ألمانيا في القرن التاسع عشر) ترفض الطقوس وفكرة العودة إلى فلسطين ، وتدعو للاندماج في المجتمعات ، وتفسر المشيحانية بأنها تفاؤلية وتقدمية ، وتبرز النواحي الأخلاقية في اليهودية دون نواحيها الغيبية ؛ واليهودية المحافظة Conservative Judaism تفسّر الألوهية بأنها القداسة أو الديمومة أو روح الخلق في الشعب اليهودي ؛ واليهودية التجريدية Recon-struction Judaism (مردخاي كابلان في الولايات المتحدة) تفسّر اليهودية تفسيراً ثقافياً أكثر منه تفسيراً شرعياً ؛ والحركة الصهيونية (منذ بازل ١٨٩٧) برغم أنها إلحادية إلاَّ أنها تستخدم المفاهيم الدينية كمفاهيم قومية لبعث الروح القومية والجهاد لإقامة الدولة الإسرائيلية بالقوة وتوطين اليهود في أرض الميعاد . وعموماً فإن اليهودية تتّسم بإيمانها بالمطلق الذاتي ، وهو الله المقصور على اليهود ، فإذا كان الله قد اختصَّ اليهود بعبادته ، فإن اليهود قد اختصّوا الله بالوحدانية ، ونتيجة لأنهم شعب الله المختار صاروا شعباً مقدساً ، أي أنه شعب من الكهنة يرتبط بأرض اختصَّها بهم الله هي أرض الميعاد ، ومن ثمَّ تختلط مفاهيم الله والشعب والأرض لدى اليهودي لتكون أساس الوعي الصهيوني .

ويدَّعي اليهود أن الشريعة لا تكون إلاَّ واحدة ، وهي ابتدأت بموسى وتمَّت به ، فلم تكن قبله شريعة إلاَّ حدود عقلية وأحكام مصلحية . ولم يجيزوا النسخ أصلاً ، وقالوا لا يكون بعده شريعة أصلاً ، لأن النسخ في الأوامر بداء ، ولا يجوز البداء على الله . ومسائلهم تدور على جواز النسخ ومنعه ، وعلى التشبيه ونفيه ، والقول بالقدر والجبر وتجويز الرجعة واستحالتها . وكان قولهم بالتشبيه لأنهم وجدوا التوراة مليئة بالمتشابهات ، مثل الصورة ، والمشافهة ، والتكليم جهراً ، والنزول على طور سيناء انتقالاً ، والاستواء على العرش استقراراً ، وجواز الرؤية فوقاً وغير ذلك . ويختلفون في القدر اختلاف فرق الإسلام ، فالربانيون هم معتزلة الإسلام ، والقراءون كالمجبرة والمشبهة . ويقول اليهود بالرجعة لأن عزيراً منهم مات مائة عام ثم بعثه الله ، وقالوا إن هارون مات في التيه وسيعود ، ومنهم من قال إنه عادَ بعد موته .

والتوراة بالمقارنة إلى الإنجيل كتاب شرائع وأحكام، بينما الإنجيل كتاب مواعظ ورموز وأمثال ، ولهذا لم ينقاد اليهود ليعسى ، وادّعوا عليه أنه كان مأموراً بمتابعة موسى ، وموافقة التوراة ، فغير وبدل ، وعدوا عليه تلك التغييرات ، منها : تغيير السبت إلى الأحد ، وتغيير أكل لحم الخنزير وكان حراماً في التوراة والختان والغسل وغير ذلك .

يوجا .... Yoga

فلسفة هندية يعيشها معتنقوها ، تتم على مرحلتين الأولى رياضية وتسمَّى الهاثا يوجا Hatha Yoga ، غايتها التحكّم في التنفس ، وتُنسب إليها تحقيق معجزات فسيولوجية حيث يسيطر اليوجي على وظائف جسمه اللاّإرادية (التنفس وضربات القلب) ، ويشكّل فيها وضع الجسم Asana ركناً مهماً ، وخاصة الوضع المعروف باسم وضع اللوتس Lotus Posture . والثانية تأملية وتتم على ثماني مراحل أو تسع ، ويستخدم فيها اليوجي في المراحل الأربع الأولى حيلة Kasina النقطة أو الزهرة الزرقاء من الطين أو أي شيء ليركز عليها انتباهه حتى يصفو تفكيره تماماً في المراحل

الأربع التالية ولا يعود يفكر في شيء إطلاقاً . واليوجا فلسفة بوذية قديمة تهدف إلى تلخيص العنصر الأزلي في الإنسان ، وهو الروح ، من أرسان زمانية الجسد وفنائيته ، بحيث تعيده إلى مبدأ الزفافا أو السكون الأبدي ، ومن ثمَّ تتوخىٰ اليوجا استحداث حالة شعورية تتعطَّل فيها الملكات الذهنية ، ويتخلص فيها البدن من الشهوة والألم . واليوجا إحدى مدارس ست كبرى في الفلسفة الهندوكية ، جمع أصولها ودوَّنها لأول مرة باتا نجالي في القرن الثاني قبل الميلادي في كتابه « تعاليم اليوجا » Yogasutras ، ثم فياسا في القرن الرابع الميلادي في كتابه « شرح اليوجا » Yogabhasya ، وفيجنانا بهيكسو في القرن السادس عشر في كتابه « تفسير اليوجا » Yogavarttika .

يوحنا الباريسي .... **John of Paris**

(نحو ١٢٥٥ ـ ١٣٠٦) وشهرته يوحنا الأصم Surdus ، راهب دومينيكاني ، ولد في باريس وتعلَّم بجامعتها وعلَّم بها ، كان أرسطياً توماوياً متعصباً ، دافع عن الأكويني وفلسفته ضد « إصلاح » وليام دي لامير وأخذَ عليه الفرنسيسكان لذلك ستة عشر قولاً فصلوه بسببها عن الجامعة ، ودافع عن الحقوق المدنية وفصل القول في نوعين من الحقوق الإلّهية ، حقوق الكنيسة وحقوق الدولة ، واتَّخذ فلسفتيّ الأكويني وأرسطو أساساً لكتابه « عن السلطة الملكية والسلطة البابوية » (١٣٠٢) ، وتورَّط في قضية دينية (١٣٠٥) لم تكن الكنيسة قد حسمتها بعد أنكر فيها أن يتحول الخبز إلى جسد المسيح بعد تكريسه ، فكفروه ومنعوه من الوعظ تحت تهديد حرمانه .

يوحنا الدمشقي .... **John of Damascus**

(نحو ٦٧٤ ـ ٧٤٩ م) أفلاطوني محدّث مسيحي ، التزم الأناجيل في شروحه ، لكنه كان يلجأ فيما سوى ذلك إلى الفلسفة اليونانية ، ويعد آخر فلاسفة الآباء المسيحيين الإغريق ، واشتهرت كتاباته في القرنين الثاني والثالث عشر ، وأهميته أنه يجمع في مؤلّفاته أقوال السابقين ويوفّق بينها .

يونج .... **Jung**

(١٨٧٥ ـ ١٩٦١) كارل جوستاف يونج ، مؤسّس علم النفس التحليلي ، سويسري ، ابن قسيس ، ولد في كيسفيل ، ودرس في بازل ، وعمل مساعداً لبلويلر وبيير جانيه في باريس ، وصحب فرويد لفترة في زيورخ حتى طمعَ الأخير أن يخلفه على عرش التحليل النفسي ، ويكون له كما كان يوشع لموسىٰ النبي ، وانتخب يونج رئيساً للجمعية الدولية للتحليل النفسي (١٩١١) ، لكن تجديدات يونج أدَّت إلى القطيعة بينهما (١٩١٤) ، فمع أن يونج قبل مبادىء فرويد الأساسية ، إلَّا أنه اضطّر إلى تعديل بعضها ، وإضافة أخرى ، بسبب معتقداته الدينية والفلسفية ، واتَّخذت هذه الأفكار شكلاً خاصاً به ، أطلق عليه يونج اسم علم النفس التحليلي ، ليميِّز منهجه عن منهجي فرويد وأدلر في التحليل النفسي . ويختلف يونج عن فرويد في تأكيده على العلية والغائية معاً ، فسلوك الإنسان ليس مشروطاً بتاريخه الفردي والأجناسي (العلية) بل وكذلك بأهدافه وطموحاته (الغائية) ، وكل من الماضي كواقع ، والمستقبل كإمكان ، يقود سلوك المرء في الحاضر ، أي إن نظرة يونج مستقبلية بقدر ما هي نظرة إلى الماضي . كذلك تتميز نظرية يونج بتأكيدها على الأصول الأجناسية الخاصة بالجنس البشري ككل ، وهو ما أسماه باللّاشعور الجمعي ، فافترض أنه بالإضافة إلى الخبرات الشخصية المكبوتة التي يختزنها اللّاشعور الشخصي أو الفردي ، فإن اللّاشعور يحتوي على بقايا خبرات الأجداد ، التي هي مصدر العادات والأعراف والديانات والاتجاهات الأجناسية الموروثة ، والتي تميِّز الإنسان كحيوان أولاً ، وكإنسان ثانياً ، والتي تميِّز السلالات الأجناسية ، ويطلق عليها يونج اسم الأنماط الأثرية ، ومن ثم فالتدين اتجاه إنساني عند يونج ، والإنسان به حاجة إلى الاعتقاد الديني والدخول

في الخبرات الميتافيزيقية الاعتقادية . وأدخل يونج مفهوم الانبساط والانطواء في تقسيم الشخصية ، فالنمط المنبسط يميل إلى الاجتماع ، ويتعامل مع الواقع ، ويتّسم بالتفاؤل . والنمط المنطوي يميل إلى اعتزال الواقع والناس ، ويعيش في قوقعة عالمه ، ويميل إلى التشاؤم . ويرتبط هذا التقسيم لنشخصية بتقسم آخر لوظائفها الأربع : الإحساس والتفكير والانفعال والحدس ، وتتميز الشخصية ، بالإضافة إلى انبساطها أو انطوائها ، بسيطرة إحدى هذه الوظائف على بقية الوظائف ، بحيث تكون لدينا شخصية منبسطة أو منطوية ، مفكرة أو انفعالية أو حسية أو حدسية ، فالمنبسط المفكر مثلاً يتعامل مع الواقع لأنه الواقع ، ويميل إلى فهمه وتنظيمه تنظيماً يقبله العقل ، بينما المنطوي المفكر يتعامل مع الواقع ليس كواقع في ذاته يفرض نفسه عليه ، ولكن كمجال يبرز فيه قدرته على التنظير والفهم ، ويثري به ذاته المفكرة . ويقوم منهج يونج في العلاج النفسي على مراحل أربع ، الأولى مرحلة أو منهج تداعي الكلمات ، بذكر كلمات للمريض يستجيب لها بكلمات من عنده ، ويُقاس الزمن الذي يستغرقه المريض للرد بالكلمة الاستجابة على الكلمة المثيرة . ويدرس المعالج العلاقة بين الكلمتين ، ويربط بينهما وبين اضطراب المحتوى الفكري عند المريض . والمرحلة الثانية هي تحليل العرض ، بتقويمه ودراسة معناه بالنسبة للمريض . والثالثة هي تحليل السوابق المرضية في تاريخ المريض ، لإعانته على فهم العلاقة بين سلوكه الحالي وسلوكه الماضي . والرابعة تحليل لاشعوره كما يظهر في الأحلام والأوهام والسلوك العام ، ويدرسها يونج بوصفها شواهد ظاهرة للغوي اللّاشعورية ، وليس بوصفها أقنعة رمزية . وانتقدَ يونج تأويلات فرويد للمكبوت ، وقال بضرورة معاملة المادة المكبوتة كما هي ، وليس باعتبارها شيئاً مختلفاً عن ظاهرها . ولا يتدخل المعالج بطريقة يونج ليوجه أفكار المريض ، ولكنه يدخل الموقف بوصفه صديقاً للمريض ورفيق رحلة إلى المجهول . ولا يجلس أمامه كخبير أو مرشد ، ولكنه يكون أكثر ديموقراطية وتعاطفاً ، ولا يكتفي بأن ينقل إليه معلوماته ، بل يمنحه صداقته الدافئة . أهم كتبه « **إسهامات في علم النفس التحليلي** » (١٩٢٨) و « **الأنماط السيكولوجية** » (١٩٣٣) و « **تكامل الشخصية** » (١٩٣٩) .

يونسية

فرقة من المرجئة ، أصحاب يونس النمري ، قالوا الإيمان هو المعرفة بالله ، والخضوع له ، والمحبة بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن ، ولا يضرّ معها ترك الطاعات وارتكاب المعاصي ، ولا يعاقب عليها ، وإبليس كان عارفاً بالله ، وإنّما كفر باستكباره وترك الخضوع له . وتطلق اليونسية أيضاً على فرقة من غلاة الشيعة أصحاب يونس بن عبد الرَّحمٰن .

فهرس الموضوعات